



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر
عليه السلام

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الإحاطة

إحاطة بحقائق الإسلام

تأليف

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب

المؤلف المشهور بـ "الإمام بن عبد الوهاب"
القرن الثامن عشر

تأليف

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب
المؤلف المشهور بـ "الإمام بن عبد الوهاب"
القرن الثامن عشر

تأليف

مؤلف مجهول



دار الفكر
بيروت
الطبعة الأولى: 1400 هـ
الطبعة الثانية: 1401 هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإحاطة في أخبار غرناطة

كاتب:

ابن خطيب، محمد بن عبد الله

نشرت في الطباعة:

دارالكتب العلمية

رقم الناشر:

مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٣٥	الاحاطة فى اخبار غرناطة
٣٥	اشارة
٣٥	[المجلد الاول]
٣٥	مقدمة المحقق
٣٥	أولا- مؤلفاته التاريخية:
٥١	ثانيا- مؤلفاته فى الجغرافيا و الرحلات:
٥٢	ثالثا- مؤلفاته فى التراجم:
٥٢	رابعا- المؤلفات الأدبية (شعرا و نثرا):
٥٤	خامسا- مؤلفاته فى الشريعة و التصوف و الحث على جهاد النفس:
٥٥	سادسا- مؤلفاته فى السياسة:
٥٦	سابعا- مؤلفاته فى الطبّ و الأغذية:
٥٧	ثبت بأسماء مصادر و مراجع الدراسة و التحقيق
٦٤	[مقدمة المؤلف]
٦٨	القسم الأول فى حلى المعاهد و الأماكن و المنازل و المساكن
٦٨	اشارة
٦٨	فصل فى اسم هذه المدينة و وضعها على إجمال و اختصار
٧٠	فصل فى فتح هذه المدينة و نزول العرب الشاميين من جند دمشق بها و ما كانت عليه أحوالهم، و ما تعلق بذلك من تاريخ
٧١	ذكر ما آل إليه حال من ساكن المسلمين بهذه الكورة من النصارى المعاهدين على الإيجاز و الاختصار
٧٣	ذكر ما ينسب إلى هذه الكورة من الأقاليم التى نزلتها العرب بخارج غرناطة، و ما يتصل بها من العمالة
٧٣	فصل فيما اشتمل عليه خارج المدينة من القرى و الجنتات و الجهات
٧٤	فصل
٧٦	فصل

- ٧٨ فصل
- ٨٠ فصل فيمن تداول هذه المدينة من لدن أصبحت دار إماره باختصار و اقتصار
- ٨١ القسم الثاني في حلى الزائر و القاطن و المتحرّك و الساكن
- ٨١ اشارة
- ٨١ أحمد بن خلف بن عبد الملك الغساني القليعي
- ٨٢ أحمد بن محمد بن أحمد بن يزيد الهمداني اللخمي
- ٨٢ أحمد بن محمد بن أضحي بن عبد اللطيف بن غريب ابن يزيد بن الشمّر بن عبد شمس بن غريب الهمداني الإلبيري
- ٨٣ أحمد بن محمد بن أحمد بن هشام القرشي
- ٨٥ أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى ابن عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن جزى الكلبى
- أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن على ابن محمد بن سعد بن سعيد بن مسعدة بن ربيعة بن صخر ابن شراحيل بن عامر بن الفضل بن ؛
- ٨٨ أحمد بن محمد بن أحمد بن قعنب الأزدي
- ٨٩ أحمد بن محمد بن سعيد بن زيد الغافقى
- ٨٩ أحمد بن أبى سهل بن سعيد بن أبى سهل الخزرجى
- ٨٩ أحمد بن عمر بن يوسف بن إدريس بن عبد الله ابن ورد التميمى
- ٩٠ أحمد بن محمد بن على بن أحمد بن على الأموى
- ٩٠ أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن عميرة المخزومى
- ٩٢ أحمد بن عبد الحق بن محمد بن يحيى ابن عبد الحق الجدلى
- ٩٣ أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن الصقر الأنصارى الخزرجى
- ٩٥ أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الحسن ابن الحسين بن الزبير بن عاصم بن مسلم بن كعب الثقفى
- ٩٧ أحمد بن عبد الولى بن أحمد الرعيني
- ٩٧ أحمد بن على بن أحمد بن خلف الأنصارى
- ٩٨ أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد رحمه الله
- ١٠٠ أحمد بن محمد بن على بن محمد بن يحيى بن محمد ابن مصادف بن عبد الله
- ١٠٠ أحمد بن حسن بن باصه الأسلمى المؤقت بالمسجد الأعظم بغرناطة

- أحمد بن محمد بن يوسف الأنصاري ١٠١
- أحمد بن محمد الكرني ١٠١
- أحمد بن محمد بن أبي الخليل، مفرج الأموي ١٠٢
- أحمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن ابن عثمان بن محمد بن عبد الله بن
اشارة ١٠٤
- غريبة في أمره مع حفصة ١٠٦
- أحمد بن سليمان بن أحمد بن محمد بن أحمد القرشي، المعروف بابن فركون ١٠٦
- أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان ١٠٧
- أحمد بن أيوب اللمائي ١١٢
- أحمد بن محمد بن طلحة ١١٣
- أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد ابن خاتمة الأنصاري ١١٥
- أحمد بن عباس بن أبي زكريا ١٢٣
- أحمد بن أبي جعفر بن محمد بن عطية القاضي ١٢٤
- أحمد بن محمد بن شعيب الكرياني ١٢٧
- أحمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن محمد بن حسين بن علي بن سليمان بن عرفه اللخمي ١٢٩
- أحمد بن علي الملياني ١٣٢
- أحمد بن محمد بن عيسى الأموي ١٣٣
- أحمد بن الحسن بن علي بن الزيات الكلاعي ١٣٣
- إبراهيم بن محمد بن مفرج بن همشك ١٣٧
- اشارة ١٣٧
- انخلعه للموحدين عمًا بيده و جوازه للعدوة، و وفاته بها: ١٣٩
- إبراهيم بن أمير المسلمين أبي الحسن بن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحق ١٣٩
- إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر ابن يحيى الهنتاني، أبو إسحاق ١٤١
- اشارة ١٤١

- ١٤٣ إدار أمره بهلاكه على يد الدعى الذى قتيضه الله لهلاك حينه:
- ١٤٥ إبراهيم بن محمد بن أبى القاسم بن أحمد بن محمد ابن سهل بن مالك بن أحمد بن إبراهيم بن مالك الأزدي
- ١٤٥ إبراهيم بن فرج بن عبد البر الخولاني
- ١٤٦ إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسى
- ١٤٧ إبراهيم بن أبى بكر بن عبد الله بن موسى الأنصارى
- ١٤٨ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصارى الساحلى
- ١٤٨ إشارة
- ١٥٢ إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن أسد بن موسى ابن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحاق بن أسد بن قاسم النميرى
- ١٥٩ إبراهيم بن خلف بن محمد بن الحبيب بن عبد الله بن عمر ابن فرقد القرشى العامرى
- ١٦١ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيدس بن محمود النفزى
- ١٦٢ إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبى بكر التسولجى
- ١٦٣ إبراهيم بن محمد بن على بن محمد ابن أبى العاصى التنوخى
- ١٦٣ إشارة
- ١٧٤ الملوك على عهده
- ١٧٤ أبو بكر بن إبراهيم، الأمير أبو يحيى المسوفى الصحراوى
- ١٧٦ إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن على، أمير المؤمنين، الملقب بالمأمون، مأمون الموحدين
- ١٧٦ إشارة
- ١٧٧ تصير الأمر إليه، و جوازه إلى العدو:
- ١٨٠ أسباط بن جعفر بن سليمان بن أيوب بن سعد السعدى سعد ابن بكر بن عفان الإلبيرى
- ١٨٠ أسلم بن عبد العزيز بن هشام بن خالد بن عبد الله بن خالد ابن حسين بن جعفر بن أسلم بن أبان
- ١٨١ أسد بن الفرات بن بشر بن أسد المرى
- ١٨١ أبو بكر المخزومى الأعمى المورورى المدورى
- ١٨٣ أصبغ بن محمد بن الشيخ المهدي
- ١٨٣ أبو على بن هديئة

- ١٨٤ أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي
- ١٨٤ بلكين بن باديس بن حنوس بن ماكسن بن زيري ابن مناد الصنهاجي
- ١٨٥ باديس بن حنوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي
- ١٨٥ اشارة
- ١٨٧ ذكر مقتل اليهودي يوسف بن إسماعيل بن نغالة الإسرائيلي:
- ١٨٧ مكان باديس من الذكاء و تولعه بالقضايا الآتية:
- ١٨٨ بكرون بن أبي بكر بن الأشقر الحضرمي
- ١٨٩ بدر مولى عبد الرحمن بن معاوية الداخل
- ١٨٩ تاشفين بن علي بن يوسف أمير المسلمين بعد أبيه بالعدوة
- ١٩٢ ثابت بن محمد الجرجاني ثم الأستراآبأدى
- ١٩٣ جعفر بن أحمد بن علي الخزاعي
- ١٩٤ جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيدبونة الخزاعي
- ١٩٥ الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص القرشي الفهري
- ١٩٥ الحسن بن محمد بن الحسن النباهي الجذامي
- ١٩٦ حسن بن محمد بن حسن القيسي
- ١٩٦ حسن بن محمد بن باصة
- ١٩٧ الحسن بن محمد بن علي الأنصاري
- ١٩٨ الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق التغلبي
- ٢٠٠ حنوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي
- ٢٠٠ الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن ابن معاوية
- ٢٠١ الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان بن أمية
- ٢٠٢ حكم بن أحمد بن رجا الأنصاري
- ٢٠٢ حاتم بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله ابن سعيد بن الحسين بن عثمان بن سعيد بن عبد الملك ابن سعيد بن عمار بن ياسر
- ٢٠٣ حباسة بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي

- ٢٠٣ حبيب بن محمد بن حبيب
- ٢٠٤ حمدة بنت زياد المكتب
- ٢٠٥ حفصة بنت الحاج الزكوني
- ٢٠٦ الخضر بن أحمد بن الخضر بن أبي العافية
- ٢٠٩ خالد بن عيسى بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي
- ٢١٠ داود بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان ابن عمر بن حوط الله الأنصاري الحارثي الأندى
- ٢١١ رضوان التصري الحاجب المعظم
- ٢١١ اشارة
- ٢١٢ ترتيب خدمته و ما تخلل عن ذلك من محنته:
- ٢١٣ زاوى بن زبرى بن مناد الصنهاجى
- ٢١٣ اشارة
- ٢١٥ منصرفه عن الأندلس:
- ٢١٥ زهير العامرى، فتى المنصور بن أبى عامر
- ٢١٦ طلحة بن عبد العزيز بن سعيد البطليوسى و أخواه أبو بكر و أبو الحسن بنو القبطنة
- ٢١٧ محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر
- ٢٢٠ محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف ابن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر الخزرجى
- ٢٢٠ اشارة
- ٢٢٢ من كان على عهده من الملوك بأفطار المسلمين و النصارى:
- ٢٢٤ محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد ابن محمد بن نصر بن قيس الخزرجى
- ٢٢٤ اشارة
- ٢٢٥ ما نقل عنه من الفظاظه و القسوة :
- ٢٢٦ من كان على عهده من الملوك بالأفطار :
- ٢٢٩ محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد ابن خميس بن نصر الأنصاري الخزرجى
- ٢٢٩ اشارة

- ٢٣١ من كان على عهد من الملوك:
- ٢٣٢ و من الأحداث في أيامه:
- ٢٣٣ فهرس المحتويات
- ٢٣٣ إشارة
- ٢٣٥ إبراهيم بن محمد بن علي بن محمد بن أبي العاصي التتوخي ١٩٧
- ٢٣٥ إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر ٢١٤
- ٢٣٧ [المجلد الثاني]
- ٢٣٧ [تتمة قسم الثاني]
- ٢٣٧ إشارة
- ٢٣٧ محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج ابن يوسف بن نصر الخزرجي
- ٢٣٧ إشارة
- ٢٣٨ شيخ الغزاة و رئيس الجند الغربي لأول أمره:
- ٢٤١ الأحداث في أيامه:
- ٢٤٢ الحادثة التي جرت عليه:
- ٢٤٣ ترتيب الدولة الثانية السعيدة الدور إلى بيعه الكور:
- ٢٤٤ ظرف السلطان و حسن توقيعه:
- ٢٤٧ و من ملوك النصارى:
- ٢٤٩ بعض مناقب الدولة لهذا العهد:
- ٢٥٨ الجهاد في شعبان من عام سبعة و ستين و سبعمائة:
- ٢٦٠ الغزاة إلى حصن أشر :
- ٢٦٠ الغزاة المعملة إلى أطربة :
- ٢٦١ الغزاة إلى فتح جتان:
- ٢٦١ الغزاة إلى مدينة أبد:
- ٢٦٣ مولده السعيد التشيئة ، الميمون الطلوع و الجيئة:

- ٢٦٣ محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر ابن قيس الخزرجى الأنصارى
- ٢٦٣ اشارة
- ٢٦٥ الملوك على عهده:
- ٢٦٧ محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي عامر ابن محمد بن أبي الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافى، المنصور بن أبي عامر
- ٢٦٧ اشارة
- ٢٦٨ غزواته و ظهوره على أعدائه:
- ٢٦٩ محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل ابن قريش بن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطاء ابن نعيم، لخمى النسب
- ٢٦٩ اشارة
- ٢٧١ توقيعه و نثره فى البديهية:
- ٢٧٤ محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مردنيش الجذامى
- ٢٧٤ اشارة
- ٢٧٤ ما نقم عليه و وصم به:
- ٢٧٦ بعض الأحداث فى أيامه، و نبذ من أخباره:
- ٢٧٦ محمد بن يوسف بن هود الجذامى
- ٢٧٦ اشارة
- ٢٧٧ بعض الأحداث فى أيامه:
- ٢٧٨ محمد بن أحمد بن زيد بن أحمد بن زيد بن الحسن ابن أيوب بن حامد بن زيد بن منخل الغافقى
- ٢٧٨ اشارة
- ٢٧٨ حاله و نباهته و محنته و وفاته:
- ٢٧٩ خبر فى وفاته و معرجه:
- ٢٧٩ محمد بن أحمد بن محمد الأشعرى
- ٢٨٠ محمد بن فتح بن على الأنصارى
- ٢٨٠ محمد بن أحمد بن على بن حسن بن على ابن الزيات الكلاعى
- ٢٨٠ محمد بن على بن عبد الله بن محمد بن الحاج

- محمد بن رضوان بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ابن أرقم التميمي ٢٨١
- محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن خلف بن محمد بن سليمان بن سوار ابن أحمد بن حزب الله بن عامر بن سعد الخبي ٢٩٣
- محمد بن عبد الله بن منظور القيسي ٢٩٣
- محمد بن علي بن الخضر بن هارون الغساني ٢٩٣
- محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد ابن أبي بكر بن سعد الأشعري المالقي ٢٩٥
- إشارة ٢٩٥
- محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن محمد بن محمد بن علي بن موسى بن إبراهيم بن محمد ابن ناصر بن حيون بن ٢٩٨
- محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي ٢٩٨
- محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى ابن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي بن داود القرشي المقرئ ٣٠٠
- إشارة ٣٠٠
- و من فصل الاتصال : [الطويل] ٣٠٥
- و من فصل الإدلال : [الطويل] ٣٠٦
- و من فصل الاحتفال : [الطويل] ٣٠٧
- و من فصل الاعتقال : [الطويل] ٣٠٨
- محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبي ٣١٥
- محمد بن عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى ابن عياض اليحصبي ٣١٦
- محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن جبير بن محمد بن سعيد ابن جبير بن محمد بن مروان بن عبد السلام بن مروان ابن عبد السلام بن جبير ال ٣٢٠
- محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن شبرين ٣٢٠
- محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي ٣٢٤
- محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي ٣٢٥
- محمد بن محمد بن محمد بن قطبة الدوسي ٣٢٥
- محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي ٣٢٦
- محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي ٣٢٦
- محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى ابن عبد الرحمن بن يوسف بن جزى الكلبى ٣٢٦

- ٣٣١ محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم ابن يحيى بن محمد بن الحكيم اللخمي
- ٣٣٣ محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن علي ابن محمد اللوشي اليحصبي
- ٣٣٤ محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى ابن الحكيم اللخمي
- ٣٣٧ محمد بن محمد بن علي بن العابد الأنصاري
- ٣٣٧ محمد بن مالك المرزي الطغنري
- ٣٣٨ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن عبد الملك الأوسى
- ٣٣٩ محمد بن علي بن عبد الله بن علي القيسى العرادي
- ٣٣٩ محمد بن علي بن العابد الأنصاري
- ٣٤٠ محمد بن هاني بن محمد بن سعدون الأزدي الإلبيري الغرناطي
- ٣٤١ محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن علي بن إبراهيم ابن علي الغساني البرجي الغرناطي
- ٣٤٥ محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف ابن محمد الضريحي
- ٣٥١ محمد بن أحمد بن محمد بن أبي خيثمة الجبائي
- ٣٥٢ محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الإستجى الحميري
- ٣٥٧ محمد بن أحمد بن علي الهواري
- ٣٥٩ محمد بن أحمد بن الحداد الوادي آشي
- ٣٦١ محمد بن إبراهيم بن خيرة
- ٣٦١ محمد بن إبراهيم بن علي بن باق الأموي
- ٣٦٢ محمد بن إبراهيم بن سالم بن فضيلة المعافري
- ٣٦٣ محمد بن إدريس بن علي بن إبراهيم بن القاسم
- ٣٦٣ اشارة
- ٣٦٤ شعره و دخوله غرناطة
- ٣٦٦ حمد بن محمد بن أحمد الأنصاري
- ٣٧٠ محمد بن محمد بن أحمد بن شلبطور الهاشمي
- ٣٧٣ محمد بن محمد بن جعفر بن مشتمل الأسلمي

- ٣٧٤ محمد بن محمد بن حزب الله
- ٣٧٦ محمد بن إبراهيم بن عيسى بن داود الحميرى
- ٣٨٠ محمد بن محمد بن عبد الله بن مقاتل
- ٣٨١ محمد بن أحمد بن أحمد بن صفوان القيسى
- ٣٨١ محمد بن محمد بن عبد الواحد بن محمد البلوى
- ٣٨٤ محمد بن محمد بن الشديده
- ٣٨٥ محمد بن مسعود بن خالصة بن فرج بن مجاهد ابن أبى الخصال الغافقى
- ٣٩٦ محمد بن مفضل بن مهيب اللخمى
- ٤٠٠ محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقى
- ٤٠٣ محمد بن عبد الله بن محمد بن لب الأمى
- ٤٠٨ محمد بن عبد الله بن الحاج البضيعة
- ٤٠٩ محمد بن عبد الله بن فطيس
- ٤٢٣ محمد بن عبد الرحمن العقيلى الجراوى
- ٤٢٣ محمد بن عبد الرحمن المتأهل
- ٤٢٤ محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسى
- ٤٢٤ اشارة
- ٤٢٤ حظوته و دخوله غرناطة:
- ٤٢٥ محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبيد الله ابن عتاش التجيبى البرشانى
- ٤٢٥ اشارة
- ٤٢٦ بعض أخباره مع المنصور و محاورته الدالة على جلاله قدره:
- ٤٢٨ محمد بن على بن محمد بن إبراهيم بن محمد الهمدانى
- ٤٢٩ محمد بن على بن محمد بن على بن محمد ابن خاتمة الأنصارى
- ٤٣١ محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان الزهرى
- ٤٣٦ محمد بن غالب الرصافى

- ٤٤٢ محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي الملقى
- ٤٤٢ محمد بن سليمان بن القصيرة
- ٤٤٤ محمد بن يوسف بن عبد الله بن إبراهيم التميمي المازني
- ٤٤٥ محمد بن حسن العمراني الشريف
- ٤٤٦ محمد بن محمد بن إبراهيم بن المرادي ابن العشاب
- ٤٤٧ محمد بن محمد بن عبد الملك بن محمد بن سعيد الأنصاري الأوسي
- ٤٤٨ محمد بن خميس بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد ابن خميس الحجري حجر ذي رعين التلمساني
- ٤٤٥ محمد بن عمر بن علي بن إبراهيم المليكي
- ٤٧٠ محمد بن علي بن الحسن بن راجح الحسني
- ٤٧٣ محمد بن علي بن عمر العبدري
- ٤٧٥ فهرس المحتويات
- ٤٧٨ [المجلد الثالث]
- ٤٧٨ [تتمة قسم الثاني]
- ٤٧٩ اشارة
- ٤٧٩ محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد العزفي
- ٤٨٢ محمد المكودي
- ٤٨٣ المقرئون و العلماء- الأصليون منهم
- ٤٨٣ محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى ابن عبد الرحمن بن يوسف بن جزى الكلبى
- ٤٨٥ محمد بن أحمد بن فتوح بن شقرال اللخمي
- ٤٨٦ محمد بن جابر بن يحيى بن محمد بن ذي النون التغلبي
- ٤٨٦ محمد بن محمد بن محمد بن بيبش العبدري
- ٤٨٨ محمد بن محمد التمرى الضير
- ٤٨٩ محمد بن عبد الولي الرعيني
- ٤٩٠ محمد بن علي بن أحمد الخولاني

- ٤٩١ محمد بن على بن محمد البنسى
- ٤٩٢ محمد بن سعد بن محمد بن لب بن حسن بن حسن ابن عبد الرحمن بن بقتى
- ٤٩٣ محمد بن سعيد بن على بن يوسف الأنصارى
- ٤٩٣ محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حتيان التفرى
- ٥٠٢ و من الطارئين عليها فى هذا الحرف
- ٥٠٢ محمد بن أحمد بن داود بن موسى بن مالك اللخمى اليبكى
- ٥٠٤ محمد بن أحمد بن محمد بن على الغسانى
- ٥٠٤ محمد بن أحمد بن على بن قاسم المذحجى
- ٥٠٥ محمد بن أحمد بن محمد بن على الغسانى
- ٥٠٥ محمد بن أحمد الزقوطى المرسى
- ٥٠٥ محمد بن إبراهيم بن المفرج الأوسى
- ٥٠٦ محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسى
- ٥٠٦ محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حميد ابن مأمون الأنصارى
- ٥٠٧ محمد بن حكم بن محمد بن أحمد بن باق الجذامى
- ٥٠٧ محمد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن خلف ابن يوسف بن خلف الأنصارى
- ٥٠٨ محمد بن محمد بن أحمد بن على الأنصارى
- ٥٠٨ محمد بن محمد بن إدريس بن مالك بن عبد الواحد ابن عبد الملك بن محمد بن سعيد بن عبد الواحد ابن أحمد بن عبد الله القضاعى
- ٥٠٩ محمد بن محمد بن محارب الصرىحى
- ٥٠٩ محمد بن محمد بن لب الكنانى
- ٥١٠ محمد بن محمد البدوى
- ٥١٢ محمد بن عبد الله بن ميمون بن إدريس بن محمد ابن عبد الله العبدرى
- ٥١٣ محمد بن عبد الله بن عبد العظيم بن أرقم التميرى
- ٥١٤ محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن فرج ابن الجدد الفهرى
- ٥١٤ محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن على بن محمد ابن أحمد بن الفخار الجذامى

- ٥١٦ محمد بن على بن عمر بن يحيى بن العربى الغستانى
- ٥١٧ محمد بن على بن محمد العبدرى
- ٥٢٠ و من الغرباء فى هذا الباب
- ٥٢٠ محمد بن أحمد بن محمد ابن محمد بن أبى بكر بن مرزوق العجيسى
- ٥٣٢ محمد بن عبد الرحمن بن سعد التميمى التسلى الكرسوطى
- ٥٣٤ محمد بن عبد المنعم الصنهاجى الحميرى
- ٥٣٤ محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس ابن سعيد بن مسعود بن حسن بن محمد بن عمر ابن رشيد الفهرى
- ٥٣٨ محمد بن على بن هانى اللخمى السبى
- ٥٤٤ محمد بن يحيى العبدرى
- ٥٤٤ المحدثون و الفقهاء و الطلبة النجباء و أولاء الأصليون
- ٥٤٤ محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الزبير
- ٥٤٥ محمد بن أحمد بن خلف بن عبد الملك ابن غالب الغسانى
- ٥٤٥ محمد بن أحمد بن محمد التوسى
- ٥٤٦ محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن يوسف بن روبيل الأنصارى
- ٥٤٧ محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أبى زمنين المرى
- ٥٤٧ محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم ابن حسان القيسى
- ٥٤٨ محمد بن خلف بن موسى الأنصارى الأوسى
- ٥٤٩ محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الخولانى
- ٥٤٩ محمد بن محمد بن على بن سوذة المرى
- ٥٥١ محمد بن عبد العزيز بن سالم بن خلف القيسى
- ٥٥١ محمد بن عبد الله بن أبى زمنين
- محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبى زمنين عدنان بن بشير بن كثير المر
- ٥٥٢ محمد بن عبد الرحمن بن الحسن بن قاسم بن مشرف ابن قاسم بن محمد بن هانى اللخمى القائصى
- ٥٥٢ محمد بن عبد الرحمن بن عبد السلام بن أحمد ابن يوسف بن أحمد الغسانى

- ٥٥٣----- محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم بن مفرج بن أحمد ابن عبد الواحد بن حريث بن جعفر بن سعيد بن محمد ابن حقل الغافقى
- ٥٥٤----- محمد بن على بن عبد الله اللخمى
- ٥٥٤----- محمد بن على بن فرج القربليانى
- ٥٥٥----- محمد بن على بن يوسف بن محمد الشكونى
- ٥٥٥----- محمد بن سودة بن إبراهيم بن سودة المرى
- ٥٥٦----- محمد بن يزيد بن رفاعة الأموى البيرى
- ٥٥٦----- محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن على ابن أبى بكر بن خميس الأنصارى
- ٥٥٧----- محمد بن أحمد بن عبد الله العطار
- ٥٥٧----- محمد بن أحمد بن المراكشى
- ٥٥٨----- محمد بن بكر بن حزب الله
- ٥٥٩----- محمد بن الحسن بن أحمد بن يحيى الأنصارى الخزرجى
- ٥٥٩----- محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصارى الساحلى
- ٥٦٠----- محمد بن محمد بن يوسف بن عمر الهاشمى
- ٥٦٠----- محمد بن محمد بن ميمون الخزرجى
- ٥٦١----- محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصارى
- ٥٦٢----- و من الغرباء فى هذا الاسم
- ٥٦٢----- محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التلمسانى الأنصارى
- ٥٦٣----- محمد بن على بن محمد بن على بن محمد بن يوسف ابن قطرال الأنصارى
- ٥٦٤----- العمال فى هذا الاسم و أولا الأصليون
- ٥٦٤----- محمد بن أحمد بن محمد بن الأكل
- ٥٦٦----- محمد بن الحسن بن زيد بن أيوب بن حامد الغافقى
- ٥٦٦----- محمد بن محمد بن حسان الغافقى
- محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ابن موسى بن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحاق بن أحمد ابن أسد بن قاسم التميمى، المدعو
- ٥٦٧----- محمد بن عبد الرحمن الكاتب

- محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد ابن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد ابن عمار بن ياسر ----- ٥٦٨
- محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله ابن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن عمار ابن ياسر العنسى ----- ٥٦٩
- و من الطارئين فى هذا الاسم من العمال ----- ٥٧٠
- محمد بن أحمد بن المتأهل العبدرى ----- ٥٧٠
- محمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوى ----- ٥٧١
- محمد بن محمد بن شعبة الغسانى ----- ٥٧٣
- محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله ابن محمد بن عبد الله بن فرتون الأنصارى ----- ٥٧٤
- محمد بن عبد الله بن محمد بن مقاتل ----- ٥٧٥
- محمد بن على بن عبد ربه التجيبى ----- ٥٧٥
- الزهاد و الصلحاء و الصوفية و الفقراء و أولا الأصليون ----- ٥٧٦
- محمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد الأنصارى ----- ٥٧٦
- محمد بن أحمد الأنصارى ----- ٥٧٦
- محمد بن حسنون الحميرى ----- ٥٧٦
- محمد بن محمد البكرى ----- ٥٧٧
- محمد بن محمد بن أحمد الأنصارى ----- ٥٧٧
- و من الطارئين عليها فى هذا الاسم ----- ٥٧٨
- محمد بن أحمد بن جعفر بن عبد الحق بن محمد بن جعفر ابن محمد بن أحمد بن مروان بن الحسن بن نصر بن نزار ابن عمرو بن زيد بن عامر ----- ٥٧٩
- محمد بن أحمد بن حسين بن يحيى بن الحسين ابن محمد بن أحمد بن صفوان القيسى ----- ٥٧٩
- محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصارى ----- ٥٨٠
- محمد بن أحمد بن قاسم الأمى ----- ٥٨١
- محمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن عمر بن يوسف بن على ابن خالد بن عبد الرحمن بن حميد الهاشمى الطنجالى ----- ٥٨٣
- محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البليقى ابن الحاج ----- ٥٨٤
- محمد بن يحيى بن إبراهيم بن أحمد بن مالك ابن إبراهيم بن يحيى بن عباد التنزى ----- ٥٨٥
- محمد بن يوسف بن خلسون ----- ٥٨٧

- ٥٩٣ و من الغرباء فى هذا الاسم
- ٥٩٣ محمد بن أحمد بن أمين بن معاذ بن إبراهيم بن جميل ابن يوسف العراقى
- ٥٩٣ محمد بن أحمد بن شاطر الجمحى المراكشى
- ٥٩٤ محمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمى ابن الحلفاوى
- ٥٩٥ محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن يوسف اللواتى
- ٥٩٥ سائر الأسماء فى حرف الميم الملوك و الأمراء و ما منهم إلا طارىء علينا أو غريب
- ٥٩٥ مزدلى بن تيولتكان بن حمنى بن محمد بن ترقوت بن ورباطن ابن منصور بن نصاله بن أمية بن اباتن الصنهاجى اللتمونى
- ٥٩٦ موسى بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن بن على الهنتانى
- ٥٩٦ منديل بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو الأمير أبو زيان
- ٥٩٧ و من الطارئين
- ٥٩٧ المطرف بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية
- ٥٩٨ منذر بن يحيى التجيبى
- ٦٠١ موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى ابن يغمراسن بن زيان
- ٦٠٤ مبارك و مظفر الأميران موليا المنصور بن أبى عامر
- ٦٠٦ و من ترجمة الأعيان و الوزراء بل و من ترجمة الطارئين و الغرباء منها
- ٦٠٦ منصور بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو
- ٦٠٧ مقاتل بن عطية البرزالى
- ٦٠٧ موقل بن رجاء بن عكرمة بن رجاء العقيلى
- ٦٠٨ و من الطارئين و الغرباء
- ٦٠٨ المهلب بن أحمد بن أبى صفرة الأسدى
- ٦٠٨ و من ترجمة الكتاب و الشعراء و هم الأصليون
- ٦٠٨ مالك بن عبد الرحمن بن على بن عبد الرحمن بن الفرغ ابن أزرق بن سعد بن سالم بن الفرغ
- ٦١٩ و من طارئى المقرئين و العلماء
- ٦١٩ منصور بن على بن عبد الله الزواوى

- ٦٢١ مسلم بن سعيد التتملى
- ٦٢٢ و من العمال الأثراء
- ٦٢٢ مؤمل، مولى باديس بن حبّوس
- ٦٢٣ نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر بن أحمد ابن محمد بن خميس بن عقيل الخزرجى الأنصارى
- ٦٢٤ و من الأعيان و الوزراء
- ٦٢٤ نصر بن إبراهيم بن أبى الفتح الفهرى
- ٦٢٤ نصر بن إبراهيم بن أبى الفتح بن نصر بن إبراهيم ابن نصر الفهرى
- ٦٢٧ و من الكتاب و الشعراء
- ٦٢٧ نزهون بنت القليعى
- ٦٢٨ من الأعيان و الوزراء
- ٦٢٨ الضمىل بن حاتم بن عمر بن جذع بن شمر بن ذى الجوشن الصّبائى الكلبى
- ٦٢٩ و من الكتاب و الشعراء
- ٦٢٩ صفوان بن إدريس بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى ابن إدريس التجيبى
- ٦٣٤ صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبى القاسم ابن على بن شريف التفزى
- ٦٤٣ عبد الله بن إبراهيم بن على بن محمد التجيبى الرئيس أبو محمد بن إشقيلولة
- ٦٤٤ عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبّوس بن ماكسن ابن زيرى بن مناد الصنهاجى
- ٦٤٥ عبد الله بن على بن محمد التجيبى، الرئيس أبو محمد ابن إشقيلولة
- ٦٤٥ عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد العزفى
- ٦٤٦ عبد الله بن الجبير بن عثمان بن عيسى بن الجبير اليحصبى
- ٦٤٦ عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد ابن على السلمانى
- ٦٤٩ عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن جزى
- ٦٥٣ و من المقرئين و العلماء
- ٦٥٣ عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن مجاهد العبدرى الكوّاب
- ٦٥٣ عبد الله بن على بن عبد الله بن على بن سلمون الكنانى

- ٦٥٥ عبد الله بن سهل الغرناطى
- ٦٥٥ عبد الله بن أيوب الأنصارى
- ٦٥٥ عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى ابن عبد الله الأنصارى
- ٦٥٧ عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عيسى بن أحمد ابن إسماعيل بن سماك العاملى
- ٦٥٨ و من ترجمة القضاة
- ٦٥٨ عبد الله بن أحمد بن محمد بن سعيد بن أيوب بن الحسن ابن منخل بن زيد الغافقى
- ٦٥٨ عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن أبي زمنين المرى
- ٦٥٩ عبد الله بن يحيى بن محمد بن أحمد بن زكريا بن عيسى ابن محمد بن يحيى بن زكريا الأنصارى
- ٦٥٩ عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الملك ابن أبي جمرة الأزدى
- ٦٥٩ عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان ابن عمر بن حوط الله الأنصارى الحارثى الأزدى
- ٦٦٠ عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد ابن عبد الرحمن بن ربيع الأشعرى
- ٦٦١ عبد الله بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن ابن الحسين الثقفى العاصمى
- ٦٦١ عبد الله بن موسى بن عبد الرحمن بن حماد الصنهاجى
- ٦٦١ و من ترجمة الكتاب و الشعراء بين أصلى و طارىء
- ٦٦١ عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأزدى
- ٦٦٦ عبد الله بن إبراهيم بن و زمر الحجارى الصنهاجى
- ٦٦٧ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله ابن سعيد بن الخطيب السلمانى
- ٦٦٩ عبد الله بن محمد بن سارة البكرى
- ٦٦٩ عبد الله بن محمد الشراط
- ٦٧٠ عبد الله بن يوسف بن رضوان بن يوسف ابن رضوان التجارى
- عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد ابن خلف بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن ابن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سع
- ٦٧٧ و من الصوفية و الفقراء
- ٦٧٨ عبد الله بن عبد البر بن سليمان بن محمد بن محمد ابن أشعث الرعنى
- ٦٧٩ عبد الله بن فارس بن زيان

- ٦٧٩ عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي
- ٦٨٠ و من الملوك و الأمراء و الأعيان و الوزراء
- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله [ابن محمد] ابن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن ابن معاوية، أمير المؤمنين، الناصر لدين الله
- ٦٨١ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية
- ٦٨١ عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ابن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس
- ٦٨٣ عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن سعيد ابن محمد اللخمي
- ٦٨٣ عبد الرحيم بن إبراهيم بن عبد الرحيم الخزرجي
- ٦٨٥ و من ترجمة المقرئين و العلماء و الطلبة النجباء من ترجمة الطارئين منهم
- ٦٨٥ عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن أصبغ بن حسن بن سعدون بن رضوان بن فتوح الخثعمي
- ٦٨٧ عبد الرحمن بن هانيء اللخمي
- ٦٨٧ عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد بن محمد الأزدي
- ٦٨٧ عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الأنصاري
- عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن ابن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد ابن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي
- ٧٠٣ عبد الرحمن بن الحاج بن القمي الإلبيري
- ٧٠٣ عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد بن تفليت الفازازي
- ٧٠٥ عبد الرحمن بن أسباط
- ٧٠٦ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مالك المعافري
- ٧٠٧ عبد الرحمن بن عبد الملك الينشتي
- ٧٠٨ و في سائر الأسماء التي بمعنى عبد الله و عبد الرحمن، و أولاد الأمراء:
- ٧٠٩ عبد الأعلى بن موسى بن نصير مولى لخم
- ٧٠٩ عبد الحلیم بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ابن محيو
- ٧١٠ عبد المؤمن بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ابن محيو
- ٧١١ و من الأفراد أيضا في هذا الحرف و هم طارؤون
- ٧١١ عبد الحق بن علي بن عثمان بن أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحق

- ٧١١ عبد الواحد بن زكريا بن أحمد اللحياني
- ٧١١ و من ترجمة الأعيان و الوزراء و الأماثل و الكبرا
- ٧١١ عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق بن محيو
- ٧١٢ عبد الملك بن على بن هذيل الفزارى و عبد الله أخوه
- ٧١٢ عبد القهار بن مفرج بن عبد القهار بن هذيل الفزارى
- ٧١٣ القضاة الفضلاء و أولا الأصليون
- ٧١٤ عبد الحق بن غالب بن عطية بن عبد الرحمن بن غالب ابن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد ابن عطية بن خالد بن خ
- ٧١٤ عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن فرج الخزرجى
- ٧١٦ و من غير الأصليين
- ٧١٦ عبد الحكيم بن الحسين بن عبد الملك بن يحيى ابن باسيو بن تادرت التتمالى اليدرازينى ثم الواغدينى
- ٧١٧ و من المقرئين و العلماء
- ٧١٧ عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جلهمة ابن العباس بن مرداس السلمى
- ٧١٩ و من الطارئين عليها
- ٧١٩ عبد الواحد بن محمد بن على بن أبى السداد الأموى الملقى، الشهير بالباهلى
- ٧٢٠ و من الكتآب و الشعراء فى هذا الحرف
- ٧٢٠ عبد الحق بن محمد بن عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة ابن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربى
- ٧٢٨ عبد الرزآق بن يوسف بن عبد الرزآق الأشعرى
- ٧٢٨ عبد الملك بن سعيد بن خلف العنسى
- ٧٢٩ عبد العزيز بن على بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن عبد العزيز بن يست
- ٧٣٠ عبد البر بن فرسان بن إبراهيم بن عبد الله ابن عبد الرحمن الغسانى
- ٧٣١ عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغسانى
- ٧٣٢ فهرس المحتويات
- ٧٣٩ و من الكتآب و الشعراء فى هذا الحر
- ٧٣٩ [المجلد الرابع]

- ٧٣٩ [تتمة قسم الثاني]
- ٧٣٩ اشارة
- ٧٣٩ و من الغرباء
- ٧٣٩ عبد المهيم بن محمد بن عبد المهيم بن محمد ابن علي بن محمد بن عبد الله بن محمد الحضرمي
- ٧٤٣ عبد المهيم بن محمد الأشجعي البلذودي
- ٧٤٤ عبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد الملزوزي
- ٧٤٧ و من العمال
- ٧٤٧ عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز الأسدي العراقي
- ٧٤٨ عبد القادر بن عبد الله ابن عبد الملك بن سوار المحاربي
- ٧٤٩ و من الزهاد و الصحاء و أولاء الأصليون
- ٧٤٩ عبد الأعلى بن معلا
- ٧٥٠ عبد المنعم بن علي بن عبد المنعم بن إبراهيم ابن سدرای بن طفيل
- ٧٥٠ و من الطارئين و غيرهم
- ٧٥٠ عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن فتح ابن سبعين العكي
- ٧٥٠ اشارة
- ٧٥١ شهرته و محلّه من الإدراك:
- ٧٥١ دعواه و إزراؤه:
- و فيما يسمى بإحدى عيون الإسلام من الأسماء العينية و هم عتيق و عمر و عثمان و علي، و أولاء الأمراء و الملوك و هم ما بين طاريء و أصلي و غر
- ٧٥٣ عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر الإسلامي ابن كسمسم بن دميان بن فرغلوش بن أذفونش
- ٧٥٣ اشارة
- ٧٥٣ دخوله غرناطة و البيرة:
- ٧٥٤ عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة التجيبي
- ٧٥٨ و من الغرباء
- ٧٥٨ عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن

- ٧٦٠ على بن حمود بن ميمون بن حمود بن علي بن عبيد الله ابن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن علي ابن أبي طالب
- ٧٦١ على بن يوسف بن تاشفين بن ترجوت
- ٧٦١ اشارة
- ٧٦١ ظهور الموحدين في أيامه:
- ٧٦٢ الأعيان و الوزراء و الأماثل و الكبراء
- ٧٦٢ عتيق بن زكريا بن مول التجيبى
- ٧٦٣ عمر بن يحيى بن محلى البطوى
- ٧٦٤ عامر بن عثمان بن إدريس بن عبد الحق
- ٧٦٥ على بن بدر الدين بن موسى بن رحو بن عبد الله ابن عبد الحق
- ٧٦٦ على بن مسعود بن علي بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله ابن مسعود المحاربى
- ٧٦٨ على بن لب بن محمد بن عبد الملك ابن سعيد العنسى
- ٧٦٨ على بن يوسف بن محمد بن كماشة
- ٧٦٩ عثمان بن إدريس بن عبد الله بن عبد الحق بن محيو
- ٧٧١ القضاة الأصليون
- ٧٧١ عتيق بن أحمد بن محمد بن يحيى الغسانى
- ٧٧٢ على بن محمد بن توبة
- ٧٧٢ على بن عمر بن محمد بن مشرف بن محمد بن أضحى ابن عبد اللطيف بن الغريب بن يزيد بن الشمير ابن عبد شمس بن الغريب الهمدانى
- ٧٧٤ و من الطارئين و الغرباء
- ٧٧٤ عثمان بن يحيى بن محمد بن منظور القيسى
- ٧٧٤ على بن أحمد بن الحسن المذحجى
- ٧٧٥ على بن عبد الله بن الحسن الجذامى التباهى الملقى
- ٧٨٠ المقرئون و العلماء
- ٧٨٠ على بن أحمد بن خلف بن محمد بن البادش الأنصارى
- ٧٨٠ على بن محمد بن درى

- ٧٨٢ على بن عمر بن إبراهيم ابن عبد الله الكنانى القيجاطى
- ٧٨٣ و من الطارئين
- ٧٨٣ عمر بن عبد المجيد بن عمر الأزدى
- ٧٨٤ عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد الأموى
- ٧٨٥ على بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح ابن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد
- ٧٨٧ على بن إبراهيم بن على الأنصارى الملقى
- ٧٨٩ على بن محمد بن على بن يوسف الكتامى
- ٧٩٠ الكتاب و الشعراء و أولا الأصليون منهم
- ٧٩٠ على بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلى
- ٧٩١ على بن محمد بن سليمان بن على بن سليمان ابن حسن الأنصارى
- على بن موسى بن عبد الملك بن سعيد بن خلف ابن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن ابن عثمان بن عبد الله بن سعد بن عمار
- ٨١١ على بن عبد الرحمن بن موسى بن جودى القيسى
- ٨١١ و من الطارئين
- ٨١١ عمر بن خلاف بن سليمان بن سلمة
- ٨١٢ على بن أحمد بن محمد بن يوسف بن عمر الغسانى
- ٨١٣ على بن محمد بن على بن هيزم الرعينى
- ٨١٥ على بن محمد بن على بن البنا
- ٨١٧ على بن محمد بن على العبدرى
- ٨١٧ اشارة
- ٨١٩ أخباره فى الجود و الجلالة:
- ٨١٩ و من المحدثين و الفقهاء و الطلبة النجباء
- ٨١٩ على بن إبراهيم بن على بن إبراهيم الجذامى
- ٨٢٠ على بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن الضحاك الفزارى
- ٨٢٠ على بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصارى

- ٨٢١ و من الطارئين و الغرباء
- ٨٢١ على بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن أحمد الخشني
- ٨٢٣ على بن أحمد بن محمد بن يوسف بن مروان بن عمر الغساني
- ٨٢٤ على بن صالح بن أبي الليث الأسعد بن الفرج بن يوسف
- ٨٢٥ على بن أبي جلا المكناسي
- ٨٢٥ على بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن علي ابن سمحون الهلالي
- ٨٢٥ على بن محمد بن عبد الحق الزرويلي
- ٨٢٦ على بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن عبد الله ابن يحيى بن عبد الله بن يحيى الغافقي
- ٨٢٦ اشارة
- ٨٢٧ محنته و دخوله غرناطة:
- ٨٢٧ على بن عبد الله بن محمد ابن يوسف بن أحمد الأنصاري
- ٨٢٧ اشارة
- ٨٢٨ عمر بن علي بن غفرون الكلبى
- ٨٢٩ على بن يحيى الفزارى
- ٨٣٠ الزهاد و الصلحاء و الصوفية و الفقراء
- ٨٣٠ عتيق بن معاذ بن عتيق بن معاذ بن سعيد بن مقدم بن سعيد بن يوسف بن مقدم اللخمى
- ٨٣٠ على بن علي بن عتيق بن أحمد بن محمد ابن عبد العزيز الهاشمى
- ٨٣٢ على بن أحمد بن محمد بن عثمان الأشعري
- ٨٣٤ و من الطارئين
- ٨٣٤ على بن عبد الله النميرى الششتري
- ٨٣٩ الأعيان و الوزراء و الأمائل و الكبراء
- ٨٣٩ عامر بن محمد بن علي الهنتاني
- ٨٤١ و من الطارئين فى القضاء و الغرباء
- ٨٤١ عاشر بن محمد بن عاشر بن خلف بن رجا ابن حكم الأنصاري

- ٨٤١ عياض بن محمد بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبي
- ٨٤٢ عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى ابن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى ابن عياض اليحصبي
- ٨٤٥ عقيل بن عطية بن أبي أحمد جعفر بن محمد ابن عطية القضاعي
- ٨٤٦ و من الكتاب و الشعراء
- ٨٤٦ عاصم بن زيد بن يحيى بن حنظلة بن علقمة بن عدى بن محمد التميمي ثم العبادى الجاهلى
- ٨٤٨ و من الأصليين من ترجمة المحدثين الفقهاء و الطلبة النجباء
- ٨٤٨ عيسى بن محمد بن أبي عبد الله بن أبي زمنين المرى
- ٨٤٨ عيسى بن محمد بن عيسى بن عمر بن سعادة الأموى
- ٨٤٨ غالب بن أبي بكر الحضرمى
- ٨٤٩ و من المقربين
- غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام ابن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن خفاف ابن أسلم بن مكتوم المحاربى، أبو بكر
- ٨٤٩ غالب بن حسن بن غالب بن حسن بن أحمد بن يحيى ابن سيد بونه الخزاعى
- ٨٥٠ غالب بن على بن محمد اللخمي الشقورى
- ٨٥٠ فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر
- ٨٥٢ فرج بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر
- ٨٥٣ فرج بن محمد بن يوسف بن محمد بن نصر
- ٨٥٣ و من الكتاب و الشعراء
- ٨٥٣ الفتح بن على بن أحمد بن عبيد الله الكاتب المشهور
- ٨٥٥ و من المقرئين و العلماء
- ٨٥٥ فرج بن قاسم بن أحمد بن لب التغلبى
- ٨٥٦ و من الصوفية و الصلحاء
- ٨٥٦ فضل بن محمد بن على بن فضيلة المعافى
- ٨٥٧ و من العمال الأثرا
- ٨٥٧ فلّوج العالج

- ٨٥٨ و من المقرئين و العلماء
- ٨٥٨ قاسم بن عبد الله بن محمد الشاط الأنصاري
- ٨٥٩ قاسم بن عبد الكريم بن جابر الأنصاري
- ٨٦٠ و من الكتاب و الشعراء
- ٨٦٠ قرشى بن حارث بن أسد بن بشر بن هندی بن المهلب ابن القاسم بن معاوية بن عبد الرحمن الهمداني
- ٨٦١ قاسم بن محمد بن الجد العمري
- ٨٦٢ و من المحدثين و الفقهاء و الطلبة النجباء
- ٨٦٢ قاسم بن أحمد بن محمد بن عمران الحضرمي
- ٨٦٢ قاسم بن خضر بن محمد العامري
- ٨٦٣ سوار بن حمدون بن عبدة بن زهير بن ديسم بن قديدة ابن هنيذة
- ٨٦٣ اشارة
- ٨٦٣ حاله و بعض آثاره و حروبه:
- ٨٦٣ مبدأ أمره و حروبه و شعره:
- ٨٦٤ سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر لدين الله الخليفة بقرطبة
- ٨٦٥ سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان
- ٨٦٥ سعيد بن سليمان بن جودي السعدي
- ٨٦٦ و من ترجمة الأعيان و الوزراء و الأمائل و الكبراء
- ٨٦٦ سهل بن محمد بن سهل بن مالك بن أحمد بن إبراهيم ابن مالك الأزدي
- ٨٧٦ سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن أحمد ابن عبد السلام الحميري الكلاعي
- ٨٨٣ و من القضاة في هذا الحرف
- ٨٨٣ سلمون بن علي بن عبد الله بن سلمون الكناني
- ٨٨٣ و من المحدثين و الفقهاء و سائر الطلبة النجباء بين أصلى و غيره:
- ٨٨٣ سعيد بن محمد بن إبراهيم بن عاصم بن سعيد الغساني
- ٨٨٥ و من الكتاب و الشعراء

- ٨٨٥ سهل بن طلحة
- ٨٨٥ سالم بن صالح بن علي بن صالح بن محمد الهمداني
- ٨٨٦ هشام بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله بن محمد بن عبد الله
- ٨٨٧ و من ترجمة الأعيان و الكبرا و الأمائل و الوزرا
- ٨٨٧ هاشم بن أبي رجاء الإلبيري
- ٨٨٧ يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الأنصاري الخزرجي
- ٨٨٧ اشارة
- ٨٨٨ رئيس الغزاة و يعسوب الجند الغربي:
- ٨٨٩ من كان على عهده من الملوك:
- ٨٩٧ يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبه ابن نافع الفهري
- ٨٩٧ و من غير الأصليين
- ٨٩٧ يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد ابن أحمد بن محمد بن أبي عزفة اللخمي
- ٩٠٠ يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن توقورت بن ورباطن ابن منصور بن مصالة بن أمية بن و ايامي الصنهاجي ثم اللمتوني
- ٩٠٣ يوسف بن محمد بن يوسف بن محمد بن نصر
- ٩٠٣ يوسف بن عبد المؤمن بن علي
- ٩٠٤ يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو
- ٩٠٥ يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن بكر بن حمامة ابن محمد بن رزين بن فقوس بن كرناطة بن مرين
- ٩٠٧ الأعيان و الوزرا و الأمائل و الكبراء
- ٩٠٧ يحيى بن رحو بن تاشفين بن معطى بن شريفين
- ٩٠٧ يحيى بن طلحة بن محلى البطوى، الوزير أبو زكريا
- ٩٠٨ يحيى بن عبد الرحمن بن إبراهيم ابن الحكيم اللخمي
- ٩٠٨ يحيى بن عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق
- ٩١١ يوسف بن هلال
- ٩١١ و من القضاة الأصليين و غيرهم

- ٩١١ يحيى بن عبد الله بن يحيى بن كثير بن و سلاسن ابن شمال بن مهايا المصمودى
- ٩١١ يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع الأشعري
- ٩١٢ يحيى بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصارى
- ٩١٢ يوسف بن الحسن بن عبد العزيز بن محمد ابن أبى الأحوص القرشى الفهرى
- ٩١٣ يوسف بن موسى بن سليمان بن فتح بن أحمد ابن أحمد الجذامى المنتشاقرى
- ٩١٩ و من المقرئين
- ٩١٩ يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبى
- ٩٢٥ يحيى بن عبد الكريم الشنتوفى
- ٩٢٧ يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن محمد بن قاسم ابن على الفهرى
- ٩٢٨ و من الكتاب و الشعراء بين أصلى و غيره:
- ٩٢٨ يحيى بن محمد بن يوسف الأنصارى
- ٩٣٣ و من ترجمة الشعراء من السفر الأخير و هو الثانى عشر المفتتح بالترجمة بعد
- ٩٣٣ يحيى بن محمد بن أحمد بن عبد السلام التطيلي الهذلى
- ٩٣٤ يحيى بن بقى
- ٩٣٥ يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر الفهرى
- ٩٣٦ يوسف بن محمد بن محمد اليحصبى اللوشى، أبو عمر
- ٩٣٧ يوسف بن على الطرطوشى، يكنى أبا الحجاج
- ٩٣٨ و من ترجمة المحدثين و الفقهاء و سائر الطلبة النجباء:
- ٩٣٨ يحيى بن محمد بن عبد العزيز بن على الأنصارى
- ٩٣٨ يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان بن محمد بن خير بن أسامة الأنصارى التجارى
- ٩٣٩ و من ترجمة الزهاد و الصلحاء
- ٩٣٩ يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطى
- ٩٤١ [ترجمة ابن الخطيب]
- ٩٤١ اشارة

- ٩٤٤ ذكر بعض ما صدر لى من التشريعات الملوكية أيام تأبشى بهذه الغرور
- ٩٧١ المقطوعات المشتملة على الأغراض العديدة
- ٩٧٤ و من المقطوعات أيضا:
- ٩٧٩ و من الأوصاف و ما يرجع إليها
- ٩٨٧ و من أغراض الإشارات الصوفية و غيرها من الوعظ و الجدّ و الحكم، و لعلّ ذلك ماحيا لما تقدّمه بفضل الله
- و كتبت عن ولده أمير المسلمين أبى عبد الله إلى ضريح رسول الله صلى الله عليه و سلم، و ضمّنت ذلك ما فتح الله عليه من الفتوحات السنيّة
- ١٠٠٢ و صدر عنى قبل هذه الرسالة عن السلطان ، رضى الله عنه، رسالة بهذه الفتوح إلى صاحب تونس نصها :
- ١٠٢١ رسالة السياسة
- ١٠٣١ فهرس الإحاطة
- ١٠٣١ اشارة
- ١٠٣١ فهرس تراجم الأعلام
- ١٠٤٨ فهرس الكنى و الألقاب
- ١٠٦٢ فهرس الكتب و المؤلّفات
- ١٠٨٤ فهرس الأماكن و البقاع
- ١١٠١ فهرس القوافى
- ١١٥٥ فهرس الأرجاز
- ١١٥٥ اشارة
- ١١٧٢ يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الأنصارى الخزرجى ٢٨٠
- ١١٧٢ يحيى بن على بن غانية الصحراوى، الأمير أبو زكريا ٣٠٠
- ١١٧٤ فهرس المحتويات
- ١١٧٨ تعريف مركز القائمية باصفهان للتمريات الكمبيوترية

الإحاطة في أخبار غرناطة

إشارة

نام كتاب: الإحاطة في أخبار غرناطة
 نويسنده: ابن خطيب، محمد بن عبد الله
 تاريخ وفات مؤلف: ٧٧٦ هـ. ق
 موضوع: شرح حال
 زبان: عربى
 تعداد جلد: ٤
 ناشر: دار الكتب العلمية
 مكان چاپ: بيروت
 سال چاپ: ١٤٢٤ هـ. ق
 نوبت چاپ: اول

[المجلد الاول]

مقدمة المحقق

أولاً - مؤلفاته التاريخية:

١- الإحاطة، في أخبار غرناطة: تحدّثنا عنه في أول المقدمة.

٢- أعمال الأعلام، فيمن بويغ قبل الاحتلام، من ملوك الإسلام، و ما يجزّ ذلك من شجون الكلام: هو آخر مؤلّف كتبه ابن الخطيب، وقد ألقه للوزير أبى بكر بن غازى، القائم بالدولة، والوصى على الطفل محمد السعيد، الذى تولّى الحكم فى المغرب بعد موت والده السلطان عبد العزيز المرىنى سنة ٧٧٤ هـ. وفيه استأنف حملته على القاضى أبى الحسن النباهى، و نعته ب «الجعسوس» أى القزم الدميم. و لم يتح له القدر إكماله، فتركه ناقصا، و الذى كتبه يشتمل على ثلاثة أقسام: قسم يتناول تاريخ المشرق و مصر و الشام. و الثانى يتناول تاريخ الأندلس حتى أيام ابن الخطيب.

و الثالث يتناول تاريخ المغرب و إفريقيا. نشر منه فقط القسمان الثانى و الثالث.

٣- رقم الحلل، فى نظم الدول: عبارة عن أرجوزة من نظم ابن الخطيب نفسه، أهداها إلى سلطان المغرب فى أثناء إقامته بمدينة سلا فى المدة التى قضاها منفيا بالمغرب ما بين ٧٦٠ و ٧٦٣ هـ. و تدور حول تاريخ الدول الإسلامية بالمشرق و الأندلس، منذ أيام الرسول الكريم حتى أيام ابن الخطيب، بدءا بالخلفاء الراشدين، و مرورا بدولة بنى أمية، و بنى العباس، و بنى الأغلب، و الفاطميين، و بنى أمية بالأندلس، و انتهاء بدولة بنى نصر بغرناطة و بنى حفص بإفريقية و بنى مرين بالمغرب.

و هكذا سرد ابن الخطيب التاريخ الإسلامى شعرا، و قام فى الوقت نفسه بشرح ما رواه نظما. و الكتاب، على حدّ قول المقرئ، فى غاية الحلاوة و العذوبة و الجزالة، و قد ابتدأه بقوله: [الجز]

الحمد لله الذى لا ينكره من سرحت فى الكائنات فكره

و هذا الكتاب مطبوع فى تونس. و هو أيضا من منشورات وزارة الثقافة بدمشق، ١٩٩٠.

الإحاطة في أخبار غرناطة، مقدمة ج ١، ص: ١٥

٤- طرفه العصر، في دولة بني نصر: يقع في ثلاثة أسفار، ويؤرخ لبني نصر.

و هو مفقود.

٥- قطع الفلاة، بأخبار الولاة: عبارة عن رسالة قصيرة في النثر، تمثل فيها ابن الخطيب بشعر من نظم غيره. و تدور حول ولاه مغاربة أمثال ابن الربيب، أحد خدام السلطان أبي سالم المريني، الذي كان مكلفاً بصرف جراية ابن الخطيب في أثناء إقامته بالمغرب، و والى مكناسة عبد الله بن محمد. و الرسالة لا تزيد عن عشر صفحات، و قد أوردها ابن الخطيب في كتابه «نفاضة الجراب» .

٦- اللمحة البدرية، في الدولة النصرية: كتاب مختصر لتاريخ بني نصر بغرناطة، بدأ تدوينه عام ٧٦٣هـ، و انتهى منه أول عام ٧٦٥هـ، و قد توخى فيه الصدق و بعد النظر في درك الحقائق. و هو مطبوع.

٧- نفاضة الجراب، في علالة الاغتراب: هو سجلّ لمذكرات ابن الخطيب الشخصية عن المدة التي قضاها منفياً في مدينة سلا المغربية مع سلطانه الغني بالله ما بين ٧٦٠ و ٧٦٣هـ. و هو في أربعة أسفار، طبع منه فقط السيفر الثاني، و فيه يهتئ سلطان المغرب أبا سالم المريني بمناسبة فتح تلمسان، و يذكر بعض القصائد و الرسائل التي كتبها في سلا، و يتحدث عن حال غرناطة في عهد السلطان أبي سعيد البرميخو المغتصب، و يرثي زوجته التي توفيت في عام ٧٦٢هـ. و يأتي من حيث الأهمية بعد كتاب «الإحاطة». و جاء اسم الكتاب في كتابه «الريحانة» هكذا: «نفاضة الجراب» في ثلاثة أسفار. و جاء في مكان آخر من الكتاب نفسه: «نفاضة الجراب» .

الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ١؛ ص ٣٢٦

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٢٧

عمره، وجدّ صيته، و اشتهر في البلاد ذكره، و عظمت غزواته، و سيمرّ من ذكره ما يدلّ على أجلّ من ذلك إن شاء الله. شعره و توقيعه: وقفت على كثير من شعره، و هو نمط منحنط بالنسبة إلى أعلام الشعراء، و مستظرف من الملوك و الأمراء. من ذلك، يخاطب وزيره :

[المتقارب]

تذكر عزيز ليال مضت و إعطاءنا المال بالزاحتين

و قد قصدتنا ملوك الجهات و مالوا إلينا من العدوتين

و إذ سأل السلم منا اللعين فلم يحظ إلّا بخفى حنين

و توقيعه يشدّ عن الإحصاء ، و بأيدي الناس إلى هذا العهد كثير من ذلك؛ فمما كتب به على رقعة كان رافعها يسأل التصرف في بعض الشهادات و يلحّ عليها:

[الوافر]

يموت على الشهادة و هو حيّ إلهي لا تمته على الشهادة

و أطال الخطّ عند إلهي إشعارا بالصّراعة عند الدعاء و الجدّ. و يذكر أنه وقع بظهر رقعة لآخر اشتكى ضرر أحد الجند المنزلين في الدّور، و نبزه بالتعريض لزوجه:

«يخرج هذا النازل ، و لا يعوّض بشيء من المنازل».

بنوه: ثلاثة؛ وليّ عهده أبو عبد الله المتقدّم الذّكر، و فرج المغتال أيام أخيه، و نصر الأمير بعد أخيه .

بناته: أربع، عقد لهنّ، جمع أبرزهنّ إلى أزواجهنّ، من قرابتهنّ، تحت أحوال ملوكية، و دنيا عريضة، و هنّ: فاطمة، و مؤمنة، و شمس، و عائشة، منهنّ أمّ حفيده إسماعيل الذي ابتز ملك بنيه عام ثلاثة عشر و سبعمئة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٢٨

وزيره : كان وزيره، الوزير الجليل الفاضل، أبو سلطان ، لتقارب الشبه، زعموا في السن و الصورة، و فضل الذّات، و متانته الدين، و صحّية الطبع، و جمال الرّواء، أغنى و حسنت واسطته، و رفعت إليه الوسائل ، و طرّزت باسمه الأوضاع، و اتصلت إلى أيامه أيام مستوزره، ثم صدرا من أيام وليّ عهده.

كتّابه: وليّ له خطّة الكتابة و الرياسة العليا في الإنشاء جملة، منهم كاتب أبيه أبو بكر بن أبي عمرو اللّوشى، ثم الأخوان أبوا على الحسن و الحسين، ابنا محمد بن يوسف بن سعيد اللّوشى؛ سبق الحسن و تلاه الحسين، و كانا توأمين؛ و وفاتهما متقاربة. ثم كتب له الفقيه أبو القاسم محمد بن محمد بن العابد الأنصارى، آخر الشيوخ، و بقيه الصّدور و الأدباء ، أقام كتابا مدة إلى أن أبرمه انحطاطه في هوى نفسه، و إيثاره المعاقرة، حتى زعموا أنه قاء ذات يوم بين يديه. فأخّره عن الرّتبة ، و أقامه في عداد كتّابه إلى أن توفى تحت رفته . و تولّى الكتابة الوزير أبو عبد الله بن الحكيم ، فاضطلع بها إلى آخر دولته.

قضاته: تولّى له خطّة القضاء قاضى أبيه الفقيه العدل أبو بكر بن محمد بن فتح الإشبيلي الملقّب بالأشبرون. تولّى قبل ذلك خطّة السّوق، فلقى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٢٩

سكران أفرط في قحته، و اشتدّ في عربدته ، و حمل على الناس، فأفرجوا عنه؛ فاعترضه و اشتدّ عليه حتى تمكّن منه بنفسه، و استنصر في حدّه، و بالغ في نكاله؛ و اشتهر ذلك عنه، فجمع له أمر الشرطة و خطّة السوق، ثم وليّ القضاء، فذهب أقصى مذاهب الصّيرامة، إلى أن هلك؛ فولى خطّة القضاء بعده الفقيه العدل أبو عبد الله محمد بن هشام من أهل الشّ، لحكاية غبظت السلطان بدينه ، و دلّته على محلّه من العدل و الفضل، فأصلت أيام قضائه إلى أيام مستقضييه، رحمه الله.

جهاده: و باشر هذا السلطان الوقائع، فانجلت ظلماتها عن صبح نصره، و طرّزت مواقعها بطراز جلادته و صبره؛ فمنها وقعة المطران و غيرها، مما يضيق التّأليف عن استقصائه. و في شهر المحرّم من عام خمس و تسعين و ستمائة، على تفنّئ هلاك طاغية الروم، شانجه بن أذفونش، عاجل الكفّار لحين دهشهم، فحشد أهل الأندلس، و استنفر المسلمين، فاغتنم الداعية، و تحرّك في جيش يجزّ الشوك و الشجر ، و نازل مدينة قيجاطة و أخذ بكظمها، ففتحها الله على يديه، و تملّك بسببها جملة من الحصون التي ترجع إليها؛ و كان الفتح في ذلك عظيما، و أسكنها جيشا من المسلمين، و طائفة من الحامية، فأشرقت العدوّ بريقه.

و في صائفة عام تسعة و تسعين و ستمائة، نازل مدينة القبذاق فدخل جفنها، و اعتصم من تأخّر أجله بقصبتها، ذات القاهرة العظيمة الشّان، الشهيرة في البلدان، فأحيط بهم، فخذلوا و زلزل الله أقدامهم؛ فألقوا باليد، و كانوا أمنع من عقاب الجوّ؛ و تملّكها على حكمه، و هي من جلاله الوضع، و شهرة المنعة، و خصب السّاحة،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٣٠

و طيب الماء، و الوصول إلى أفلاذ الكفر، و الأطلاق على عوراته، بحيث شهر.

فكان تيسير فتحها من غرائب الوجود، و شواهد اللّطف، و ذلك في صلاة الظهر من يوم الأحد الثامن لشهر شوال عام تسعة و تسعين و ستمائة؛ و أسكن بها رابطة المسلمين ، و باشر العمل في خندقها بيده، رحمه الله، [فتساقط الناس، من ظهور دوابهم إلى العمل، فتمّ ما أريد منه سرّيا.

و أنشدنى شيخنا أبو الحسن الجيّاب يهنّئه بهذا الفتح: [الطويل]

عدوك مقهور و حزبك غالب و أمرك منصور و سهمك صائب
و شخصك مهما لاح للخلق أذعنت لهيبته عجم الورى و الأعارب

و هي طويلة].

من كان على عهده من الملوك:

كان على عهده بالمغرب، السلطان الجليل، أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق، الملقب بالمنصور؛ وكان ملكا صالحا، ظاهر السذاجة، سليم الصدر، مخفوض الجناح، شارعا أبواب الدالة عليه منهم؛ أشبه بالشيخ منه بالملوك، في إخمالات اللفظ، والإغضاء عن الجفوة، والنداء بالكنية. وهو الذي استولى على ملك الموحدين، واجتث شجرتهم من فوق الأرض، وورث سلطانهم، واجتاز إلى الأندلس، كما تقدم مرات ثلاثا أو أزيد منها، وغزا العدو، وجرت بينه وبين السلطان المترجم به أمور، من سلم و مناقضة، وإعتاب، وعتب، [حسبما تدل على ذلك القصائد الشهيرة المتداولة؛ وأولها ما كتب به على عهده، الفقيه الكاتب الصدر، أبو عمرو بن المرابط، في غرض استفاد للجهاد: [السريع]

هل من معيني في الهوى أو منجدي من متهم في الأرض أو منجد؟

[و توفي السلطان المذكور بالجزيرة الخضراء في عنفوان وحشة بينه وبين هذا السلطان في محرم خمسة وثمانين و ستمائة؛ و ولى بعده

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٣١

ولده، العظيم الهمة، القوى العزيمة، أبو يعقوب يوسف، و جاز إلى الأندلس على عهده، واجتمع به بظاهر مربله، و تجدد العهد، و تأكد الود؛ ثم عادت الوحشة المفضية إلى تغلب العدو على مدينه طريف، فرضه المجاز الأدنى، و استمرت أيام السلطان أبي يعقوب إلى آخر مدة السلطان المترجم به، و مدة ولده بعده.

و بوطن تلمسان، أبو يحيى يعمور، و هو يعمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد بن بندوس بن طاع الله بن علي بن يمل، و هو أوحد أهل زمانه جرأه و شهامة، و دهاء، و جزالة، و حزما. مواقف في الحروب شهيرة، و كانت بينه و بين بنى مرين وقائع، كان عليه فيها الظهور، و ربما ندرت الممانعة؛ و على ذلك فقوى الشكيمة، ظاهر المنعة. ثم ولى بعده ولده عثمان إلى تمام مدة السلطان المترجم به، و بعضا من دولة ولده.

و بوطن إفريقية، الأمير الخليفة، أبو عبد الله بن أبي زكريا بن أبي حفص، الملقب بالمستنصر، المثل المضروب، في البأس و الأنفة، و عظم الجبروت، و بعد الصيت، إلى أن هلك سنة أربع و سبعين و ستمائة؛ ثم ولده الواثق بعده، ثم الأمير أبو إسحاق و قد تقدم ذكره. ثم كانت دولة الدعي ابن أبي عمار المتوئب على ملكهم؛ ثم دولة أبي حفص مستنقذها من يده، و هو عمر بن أبي زكريا بن عبد الواحد، ثم السلطان الخليفة الفاضل، الميمون النقيبة، أبو عبد الله محمد بن الواثق يحيى بن المستنصر أبي عبد الله بن الأمير زكريا. و بوطن التصارى، بقشتالة، ألفنش بن هراندة، إلى أن ثار عليه ولده شانجه، و اقتضت الحال إجازة سلطان المغرب، و استجار به؛ و كان من لقاته بأحواز الصخرة من كورة تاكرتا ما هو معلوم. ثم ملك بعده ولده شانجه، و اتصلت

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٣٢

ولايته مدة أيام السلطان، و جرت بينهما خطوب إلى أن هلك عام أربعة و سبعين و ستمائة. و ولى بعده ولده هراندة سبعة عشر عاما، و صار الملك إليه، و هو صبي صغير، فتنفس مخنق أهل الأندلس، و غزا سلطانهم و ظهر إلى آخر مدته. و برغون، ألفنش بن جايمش بن بطره بن جايمش، المستولى على بلنسية. ثم هلك و ولى بعده جايمش ولده، و هو الذى نازل مدينة ألمرية على عهد نصر ولده، و استمرت أيام حياته إلى آخر مدته. و كان لا نظير له فى الدهاء و الحزم و القوة. و من الأحداث فى أيامه:

على عهده تفاقم الشر، و أعيا داء الفتنة، و لقت حرب الرؤساء الأصهار من بنى إشبيلية، فمن دونهم، و طنّب سرادق الخلاف، و أصاب الأسر و فحول الثروة الرؤساء، فكان بوادى آش الرئيس أبو محمد و أبو الحسن، و بمالقة و قمارش الرئيس أبو محمد عبد الله، و بقمارش رئيس آخر هو الرئيس أبو إسحاق. فأما الرئيس أبو محمد فهلك، و قام بأمره بمالقة، ولده، و ابن أخت السلطان المترجم به. ثم خرج عنها فى سبيل الانحراف و المنابذة إلى ملك المغرب، ثم تصير أمرها إلى السلطان، على يد و اليها من بنى على

. و أما الرئيسان، فصابرا المضايقة، و عزمنا على النطاق و المقاطعة بوادي آش زمانا طويلا؛ و كان آخر أمرهما الخروج عن وادي آش إلى ملك المغرب؛ معوضين بقصر كتامة؛ حسبما يذكر في أسمائهم؛ إن بلغنا الله إليه.

و في أيامه كان جواز السلطان المجاهد أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق؛ إلى الأندلس؛ مغازيا و مجاهدا في سبيل الله؛ في أوائل عام اثنين و سبعين و ستمائة، و قد فسد ما بين سلطان النصارى و بين ابنه . و اغتتم المسلمون الغزاة، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٣٣

و استدعى سلطان المغرب إلى الجواز؛ و لحق به السلطان المترجم به؛ و جمع مجلسه بين المنتزين عليه و بينه؛ و أجلت الحال عن وحشة. و قضيت الغزاة؛ و آب السلطان إلى مستقره.

و في العام بعده، كان إيقاع السلطان ملك المغرب بالزعيم «ذنونه»، و استئصال شأفته، و حصد شوكته. ثم عبر البحر ثانية بعد رجوعه إلى العدو؛ و احتل بمدينة طريف في أوائل ربيع الأول عام سبعة و سبعين و ستمائة؛ و نازل إشبيلية؛ و كان اجتماع السلطانين بظاهر قرطبة؛ فاتصلت اليد؛ و صلحت الضمائر؛ ثم لم تلبث الحال أن استحالت إلى فساد، فاستولى ملك المغرب على مالقة، بخروج المنتزى بها إليه، يوم الأربعاء التاسع و العشرين لرمضان عام سبعة و سبعين و ستمائة. ثم رجعت إلى ملك الأندلس بمدخله من كانت بيده و لنظره، حسبما يأتي بعد إن شاء الله.

و على عهده نازل طاغية الروم الجزيرة الخضراء، و أخذ بمخترتها، و أشرف على افتتاحها، فدافع الله عنها، و نفس حصارها، و أجاز الزوم بحرهما على يد الفئة القليلة من المسلمين، فعظم المنح، و أسفر الليل، و انجلت الشدة، في وسط ربيع الأول من عام ثمانية و سبعين و ستمائة .

مولده: بقرناطة عام ثلاثه و ثلاثين و ستمائة. و أيام دولته ثلاثون سنة و شهر واحد، و ستة أيام.

وفاته: من كتاب «طرفه العصر» من تأليفنا في التاريخ، قال: و استمرت الحال إلى أحد و سبعمائة، فكانت في ليلة الأحد الثامن من شهر شعبان في صلاة العصر، و كان السلطان، رحمه الله في مصلاه، متوجها إلى القبلة لأداء فريضته، على أتم ما يكون عليه المسلم من الخشية و التأهب، زعموا أن شرقا كان يعتاده لمادة كانت تنزل من دماغه، و قد رجمت الظنون في غير ذلك لتناوله عشية يومه كعكا اتخذت له بدار

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٣٤

ولّى عهده، و الله أعلم بحقيقته ذلك. و دفن منفردا، عن مدفن سلفه، شرقى المسجد الأعظم، في الجنان المتصل بداره . ثم ثنى بحافده السلطان أبي الوليد، و عزز بثالث كريم من سلالته، و هو السلطان أبو الحجاج بن أبي الوليد، تغمد الله جميعهم برحمته ، و شملهم بواسع مغفرته و فضله.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٣٥

فهرس المحتويات

إهداء ١

مقدمة المحقق ٣

أولا- مؤلفاته التاريخية ١٤

ثانيا- مؤلفاته في الجغرافيا و الرحلات ١٥

ثالثا- مؤلفاته في التراجم ١٦

رابعا- المؤلفات الأدبية (شعرا و نثرا) ١٧

خامسا- مؤلفاته في الشريعة و التصوف و الحث على جهاد النفس ٢٠

سادسا- مؤلفاته في السياسة ٢٢

سابعا- مؤلفاته في الطب والأغذية ٢٤

ثبت بأسماء مصادر و مراجع الدراسة و التحقيق ٢٧

مقدمة المؤلف ٣

القسم الأول في حلى المعاهد و الأماكن و المنازل و المساكن فصل في اسم هذه المدينة و وضعها على إجمال و اختصار ١٣

فصل في فتح هذه المدينة و نزول العرب الشاميين من جند دمشق بها و ما كانت عليه أحوالهم، و ما تعلق بذلك من تاريخ ١٨

ذكر ما آل إليه حال من ساكن المسلمين بهذه الكورة من النصارى المعاهدين على الإيجاز و الاختصار ٢١

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٣٦

ذكر ما ينسب إلى هذه الكورة من الأقاليم التى نزلتها العرب بخارج غرناطة، و ما يتصل بها من العمالة ٢٥

فصل فيما اشتمل عليه خارج المدينة من القرى و الجئات و الجهات ٢٥

فصل ٢٨

فصل ٣١

فصل ٣٦

فصل فيمن تداول هذه المدينة من لدن أصبحت دار إمارة باختصار و اقتصار ٤٠

القسم الثانى فى حلى الزائر و القاطن و المتحرك و الساكن أحمد بن خلف بن عبد الملك الغسانى القليعى ٤٥

أحمد بن محمد بن أحمد بن يزيد الهمدانى اللخمى ٤٧

أحمد بن محمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن غريب ابن يزيد بن الشمير بن عبد شمس بن غريب الهمدانى الإلبيرى ٤٧

أحمد بن محمد بن أحمد بن هشام القرشى ٤٩

أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن جزى الكلبى ٥٢

أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن على بن محمد بن سعد بن سعيد بن مسعدة بن ربيعة بن صخر بن شراحيل بن عامر بن

الفضل بن بكر بن بكار بن البدر بن سعيد بن عبد الله العامرى ٥٦

أحمد بن محمد بن أحمد بن قعنب الأزدى ٥٨

أحمد بن محمد بن سعيد بن زيد الغافقى ٥٩

أحمد بن أبى سهل بن سعيد بن أبى سهل الخزرجى ٥٩

أحمد بن عمر بن يوسف بن إدريس بن عبد الله بن ورد التميمى ٦٠

أحمد بن محمد بن على بن أحمد بن على الأموى ٦٠

أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن عميرة المخزومى ٦٢

أحمد بن عبد الحق بن محمد بن يحيى بن عبد الحق الجدلى ٦٦

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٣٧

أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الأنصارى الخزرجى ٦٨

أحمد بن أبى القاسم بن عبد الرحمن ٧١

أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن الزبير بن عاصم بن مسلم بن كعب الثقفى ٧٢

أحمد بن عبد الولى بن أحمد الرعينى ٧٥

- أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري ٧٦
- أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد رحمه الله ٧٧
- أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن محمد بن مصادف بن عبد الله ٨٠
- أحمد بن حسن بن باصه الأسلمي المؤقت بالمسجد الأعظم بقرناطة ٨١
- أحمد بن محمد بن يوسف الأنصاري ٨٢
- أحمد بن محمد الكرنى ٨٣
- أحمد بن محمد بن أبي الخليل، مفرج الأموي ٨٣
- أحمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عثمان بن ياسر صاحب رسول الله، صلى الله عليه وسلم ٨٨
- غريبة في أمره مع حفصة ٩٢
- أحمد بن سليمان بن أحمد بن محمد بن أحمد القرشي، المعروف بابن فركون ٩٢
- أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان ٩٣
- أحمد بن أيوب اللمائي ١٠١
- أحمد بن محمد بن طلحة ١٠٤
- أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري ١٠٨
- أحمد بن عباس بن أبي زكريا ١٢٥
- أحمد بن أبي جعفر بن محمد بن عطية القضاعي ١٢٧
- أحمد بن محمد بن شعيب الكرياني ١٣٤
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٣٨
- أحمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن علي بن سليمان بن عرفة اللخمي ١٣٨
- أحمد بن علي الملياني ١٤٣
- أحمد بن محمد بن عيسى الأموي ١٤٤
- أحمد بن الحسن بن علي بن الزيات الكلاعي ١٤٥
- إبراهيم بن محمد بن مفرج بن همشك ١٥١
- انخلاء للموحد بن عماد بن يده و جوازه للعدوة، و وفاته بها ١٥٥
- إبراهيم بن أمير المسلمين أبي الحسن بن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ١٥٥
- إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر بن يحيى الهنتاني، أبو إسحاق ١٥٩
- إدبار أمره بهلاكه على يد الدعي الذي قبضه الله لهلاك حينه ١٦٣
- إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم بن أحمد بن محمد بن سهل بن مالك بن أحمد بن إبراهيم بن مالك الأزدي ١٦٥
- إبراهيم بن فرج بن عبد البر الخولاني ١٦٦
- إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسي ١٦٨
- إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري ١٦٨
- إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الساحلي ١٧٠

- إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن أسد بن موسى بن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحاق بن أسد بن قاسم النميري ١٧٨
- إبراهيم بن خلف بن محمد بن الحبيب بن عبد الله بن عمر بن فرقد القرشي العامري ١٩١
- إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيدس بن محمود النفزي ١٩٣
- إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر التّسولّي ١٩٦
- إبراهيم بن محمد بن علي بن محمد بن أبي العاصي التّنوخى ١٩٧
- إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الأنصاري الخزرجي ٢٠٠
- إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر ٢١٤
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٣٩
- الملوك على عهده ٢١٨
- أبو بكر بن إبراهيم، الأمير أبو يحيى المسوفى الصحراوي ٢١٨
- إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، أمير المؤمنين، الملقب بالمأمون، مأمون الموحد بن ٢٢٢
- تصير الأمر إليه، و جوازه إلى العدو ٢٢٣
- أسباط بن جعفر بن سليمان بن أيوب بن سعد السعدي سعد بن بكر بن عفان الإلبيري ٢٢٨
- أسلم بن عبد العزيز بن هشام بن خالد بن عبد الله بن خالد بن حسين بن جعفر بن أسلم بن أبان ٢٢٩
- أسد بن الفرات بن بشر بن أسد المزي ٢٣١
- أبو بكر المخزومي الأعمى الموروري المدوري ٢٣١
- أصبح بن محمد بن الشيخ المهدي ٢٣٥
- أبو علي بن هدية ٢٣٦
- أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي ٢٣٧
- بلكين بن باديس بن حبّوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي ٢٣٨
- باديس بن حبّوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي ٢٤٠
- ذكر مقتل اليهودي يوسف بن إسماعيل بن نغالة الإسرائيلي ٢٤٣
- مكان باديس من الذكاء و تولّعه بالقضايا الآتية ٢٤٤
- بكرون بن أبي بكر بن الأشقر الحضرمي ٢٤٦
- بدر مولى عبد الرحمن بن معاوية الداخل ٢٤٦
- تاشفين بن علي بن يوسف أمير المسلمين بعد أبيه بالعدوة ٢٤٧
- ثابت بن محمد الجرجاني ثم الأسترآبادي ٢٥٣
- جعفر بن أحمد بن علي الخزاعي ٢٥٥
- جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيدبونه الخزاعي ٢٥٧
- الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص القرشي الفهري ٢٥٩
- الحسن بن محمد بن الحسن النباهي الجذامي ٢٦٠
- حسن بن محمد بن حسن القيسي ٢٦١
- حسن بن محمد بن باصة ٢٦١

- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٤٠
الحسن بن محمد بن علي الأنصاري ٢٦٢
الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق التغلبي ٢٦٤
حبّوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي ٢٦٧
الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية ٢٦٨
الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن أمية ٢٦٩
حكم بن أحمد بن رجا الأنصاري ٢٧١
حاتم بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسين بن عثمان بن سعيد بن عبد الملك بن سعيد بن عمّار بن ياسر ٢٧٢
حباسة بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي ٢٧٣
حبيب بن محمد بن حبيب ٢٧٤
حمدة بنت زياد المكتب ٢٧٥
حفصة بنت الحاج الركوني ٢٧٧
الخضر بن أحمد بن الخضر بن أبي العافية ٢٨١
خالد بن عيسى بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي ٢٨٦
داود بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن حوط الله الأنصاري الحارثي الأندلي ٢٨٧
رضوان النصري الحاجب المعظم ٢٨٩
ترتيب خدمته و ما تخلّل عن ذلك من محنته ٢٩١
زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي ٢٩٣
منصرفه عن الأندلس ٢٩٦
زهير العامري، فتى المنصور بن أبي عامر ٢٩٦
طلحة بن عبد العزيز بن سعيد البطلوسى و أخواه أبو بكر و أبو الحسن بنو القبطرنة ٢٩٨
محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر ٣٠١
محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر الخزرجي ٣٠٦
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٤١
من كان على عهده من الملوك بأقطار المسلمين و النصارى ٣١١
محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن نصر بن قيس الخزرجي ٣١٦
ما نقل عنه من الفظاظ و القسوة ٣١٨
من كان على عهده من الملوك بالأقطار ٣٢٠
محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الأنصاري الخزرجي ٣٢٦
من كان على عهده من الملوك ٣٣٠
و من الأحداث في أيامه ٣٣٢
الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ١؛ ص ٣٢٦

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٢٧

عمره، وجدّ صيته، و اشتهر في البلاد ذكره، و عظمت غزواته، و سيمّر من ذكره ما يدلّ على أجلّ من ذلك إن شاء الله. شعره و توقيعه: وقفت على كثير من شعره، و هو نمط منحطّ بالنسبة إلى أعلام الشعراء، و مستظرف من الملوك و الأمراء. من ذلك، يخاطب وزيره :

[المتقارب]

تذكر عزيز ليال مضت و إعطاءنا المال بالزّاحتين
و قد قصدتنا ملوك الجهات و مالوا إلينا من العدوتين
و إذ سأل السّلم منا اللّعين فلم يحظ إلّا بخفى حنين
و توقيعه يشدّ عن الإحصاء ، و بأيدي الناس إلى هذا العهد كثير من ذلك؛ فمما كتب به على رقعة كان رافعها يسأل التصرّف في بعض الشهادات و يلخّ عليها:

[الوافر]

يموت على الشّهادة و هو حيّ إلهي لا تمته على الشّهادة

و أطال الخطّ عند إلهي إشعارا بالضرّاعة عند الدعاء و الجدّ. و يذكر أنه وقع بظهر رقعة لآخر اشتكى ضرر أحد الجند المنزلين في الدّور، و نبزه بالتعرّض لزوجه:

«يخرج هذا النّازل ، و لا يعوّض بشيء من المنازل».

بنوه: ثلاثة؛ ولّى عهده أبو عبد الله المتقدّم الذّكر، و فرج المغتال أيام أخيه، و نصر الأمير بعد أخيه .

بناته: أربع، عقد لهنّ، جمع أبرزهنّ إلى أزواجهنّ، من قرابتهنّ، تحت أحوال ملوكية، و دنيا عريضة، و هنّ: فاطمة، و مؤمنة، و شمس، و عائشة، منهنّ أمّ حفيده إسماعيل الذي ابتزّ ملك بنيّه عام ثلاثة عشر و سبعمائة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٢٨

وزيره : كان وزيره، الوزير الجليل الفاضل، أبو سلطان ، لتقارب الشّبه، زعموا في السنّ و الصورة، و فضل الدّات، و متانة الدين، و صحّية الطبع، و جمال الرّواء، أغنى و حسنت واسطته، و رفعت إليه الوسائل ، و طرّزت باسمه الأوضاع، و اتصلت إلى أيامه أيام مستوزره، ثم صدرا من أيام ولّى عهده.

كتّابه: ولّى له خطّبة الكتّابة و الرياسة العليا في الإنشاء جملة، منهم كاتب أبيه أبو بكر بن أبي عمرو اللّوشى، ثم الأخوان أبوا على الحسن و الحسين، ابنا محمد بن يوسف بن سعيد اللّوشى؛ سبق الحسن و تلاه الحسين، و كانا توأمين؛ و وفاتهما متقاربة. ثم كتب له الفقيه أبو القاسم محمد بن محمد بن العابد الأنصارى، آخر الشيوخ، و بقيه الصّدور و الأدباء ، أقام كتابا مدة إلى أن أبرمه انحطاطه في هوى نفسه، و إيثاره المعافرة، حتى زعموا أنه قاء ذات يوم بين يديه. فأخّره عن الرّتبة ، و أقامه في عداد كتّابه إلى أن توفى تحت رفته . و تولّى الكتّابة الوزير أبو عبد الله بن الحكيم ، فاضطلع بها إلى آخر دولته.

قضاته: تولّى له خطّبة القضاء قاضى أبيه الفقيه العدل أبو بكر بن محمد بن فتح الإشبيلي الملقّب بالأشبرون. تولّى قبل ذلك خطّبة السّوق، فلقى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٢٩

سكران أفرط في قحته، و اشتدّ في عربدته ، و حمل على الناس، فأفرجوا عنه؛ فاعترضه و اشتدّ عليه حتى تمكّن منه بنفسه، و استنصر في حدّه، و بالغ في نكاله؛ و اشتهر ذلك عنه، فجمع له أمر الشرطة و خطّبة السّوق، ثم ولّى القضاء، فذهب أقصى مذاهب الصّيرامة، إلى أن هلك؛ فولّى خطّبة القضاء بعده الفقيه العدل أبو عبد الله محمد بن هشام من أهل ألس، لحكاية غبطت السلطان بدينه ، و دلّته

على محلّه من العدل و الفضل، فاتّصلت أيام قضاؤه إلى أيام مستقضيه، رحمه الله.

جهاده: و باشر هذا السلطان الوقائع، فانجلت ظلماتها عن صبح نصره، و طرّزت مواقعها بطراز جلاذته و صبره؛ فمنها وقعة المطران و غيرها، مما يضيق التأليف عن استقصائه. و في شهر المحرّم من عام خمس و تسعين و ستمائة، على تفتئه هلاك طاغية الروم، شانجه بن أذفونش، عاجل الكفّار لحين دهشهم، فحشد أهل الأندلس، و استنفر المسلمين، فاعتنم الداعية، و تحرّك في جيش يجزّ الشوك و الشجر، و نازل مدينة قيجاطة و أخذ بكظمها، ففتحها الله على يديه، و تملك بسببها جملة من الحصون التي ترجع إليها؛ و كان الفتح في ذلك عظيما، و أسكنها جيشا من المسلمين، و طائفه من الحامية، فأشرقت العدو بريقه.

و في صائفة عام تسعة و تسعين و ستمائة، نازل مدينة القبذاق فدخل جفنها، و اعتصم من تأخر أجله بقصبتها، ذات القاهرة العظيمة الشأن، الشهيرة في البلدان، فأحيط بهم، فخذلوا و زلزل الله أقدامهم؛ فألقوا باليد، و كانوا أمتع من عقاب الجو؛ و تملكها على حكمه، و هي من جلاله الوضع، و شهرة المنعة، و خصب الساحة،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٣٠

و طيب الماء، و الوصول إلى أفلاذ الكفر، و الاطلاع على عوراته، بحيث شهر.

فكان تيسر فتحها من غرائب الوجود، و شواهد اللطف، و ذلك في صلاة الظهر من يوم الأحد الثامن لشهر شوال عام تسعة و تسعين و ستمائة؛ و أسكن بها رابطة المسلمين، و باشر العمل في خندقها بيده، رحمه الله، [فتساقط الناس، من ظهور دوابهم إلى العمل، فتم ما أريد منه سريعا.

و أنشدني شيخنا أبو الحسن الجيّاب يهنئه بهذا الفتح: [الطويل]

عدوك مقهور و حزبك غالب و أمرك منصور و سهمك صائب

و شخصك مهما لاح للخلق أذعنت لهيبته عجم الوري و الأعراب

و هي طويلة].

من كان على عهده من الملوك:

كان على عهده بالمغرب، السلطان الجليل، أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق، الملقّب بالمنصور؛ و كان ملكا صالحا، ظاهر السداجة، سليم الصدر، مخفوض الجناح، شارعا أبواب الدالة عليه منهم؛ أشبه بالشيخ منه بالملوك، في إخمال اللفظ، و الإغضاء عن الجفوة، و النداء بالكنية. و هو الذي استولى على ملك الموحدّين، و اجتث شجرتهم من فوق الأرض، و ورث سلطانهم، و اجتاز إلى الأندلس، كما تقدّم مرّات ثلاثا أو أزيد منها، و غزا العدو، و جرت بينه و بين السلطان المترجم به أمور، من سلم و مناقضة، و إعتاب، و عتب، [حسبما تدلّ على ذلك القصائد الشهيرة المتداولة؛ و أولها ما كتب به على عهده، الفقيه الكاتب الصدر، أبو عمرو بن المرابط، في

غرض استفاد للجهاد: [السريع]

هل من معيني في الهوى أو منجدي من متهم في الأرض أو منجد؟

[و توفي السلطان المذكور بالجزيرة الخضراء في عنفوان وحشة بينه و بين هذا السلطان في محرم خمس و ثمانين و ستمائة؛ و ولى بعده

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٣١

ولده، العظيم الهمة، القوى العزيمة، أبو يعقوب يوسف، و جاز إلى الأندلس على عهده، و اجتمع به بظاهر مربلة، و تجدد العهد، و تأكد الود؛ ثم عادت الوحشة المفضية إلى تغلب العدو على مدينة طريف، فرضه المجاز الأدنى، و استمرت أيام السلطان أبي يعقوب إلى آخر مدة السلطان المترجم به، و مدة ولده بعده.

و بوطن تلمسان، أبو يحيى يغمور، و هو يغمراسن بن زيّان بن ثابت بن محمد بن بندوس بن طاع الله بن علي بن يمل، و هو أوحد

أهل زمانه جرأة وشهامة، ودهاء، وجزالة، وحرماً. موافقه في الحروب شهيرة، وكانت بينه وبين بنى مرين وقائع، كان عليه فيها الظهور، وربما ندرت الممانعة؛ وعلى ذلك فقوى الشكيمة، ظاهر المنعة. ثم ولى بعده ولده عثمان إلى تمام مدة السلطان المترجم به، وبعضاً من دولة ولده.

و بوطن إفريقية، الأمير الخليفة، أبو عبد الله بن أبي زكريا بن أبي حفص، الملقب بالمستنصر، المثل المضروب، في البأس والأنفة، وعظم الجبروت، وبعد الصيت، إلى أن هلك سنة أربع وسبعين وستمائة؛ ثم ولده الواثق بعده، ثم الأمير أبو إسحاق وقد تقدم ذكره. ثم كانت دولة الدعيّ ابن أبي عمار المتوثب على ملكهم؛ ثم دولة أبي حفص مستنقذها من يده، وهو عمر بن أبي زكريا بن عبد الواحد، ثم السلطان الخليفة الفاضل، الميمون النقيبة، أبو عبد الله محمد بن الواثق يحيى بن المستنصر أبي عبد الله بن الأمير زكريا. و بوطن النصارى، بقشتالة، ألفنش بن هراندة، إلى أن ثار عليه ولده شانجه، واقتضت الحال إجازة سلطان المغرب، واستجار به؛ وكان من لقائه بأحواز الصخرة من كورة تاكرنا ما هو معلوم. ثم ملك بعده ولده شانجه، واتصلت

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٣٢

ولايته مدة أيام السلطان، و جرت بينهما خطوب إلى أن هلك عام أربعة وسبعين وستمائة. و ولى بعده ولده هراندة سبعة عشر عاماً، وصار الملك إليه، وهو صبي صغير، فتنفس مخفق أهل الأندلس، وغزا سلطانهم و ظهر إلى آخر مدته. و برغون، ألفنش بن جايمش بن بطره بن جايمش، المستولى على بلنسية. ثم هلك و ولى بعده جايمش ولده، وهو الذي نازل مدينة ألمرية على عهد نصر ولده، واستمرت أيام حياته إلى آخر مدته. وكان لا نظير له في الدهاء والحزم والقوة. و من الأحداث في أيامه:

على عهده تفاقم الشر، وأعياء الفتنة، ولقحت حرب الرؤساء الأوصهار من بنى إشقيلولة، فمن دونهم، و طنب سرادق الخلاف، وأصاب الأسر و فحول الثروة الرؤساء، فكان بوادي آش الرئيس أبو محمد وأبو الحسن، و بمالقة و قمارش الرئيس أبو محمد عبد الله، و بقمارش رئيس آخر هو الرئيس أبو إسحاق. فأما الرئيس أبو محمد فهلك، وقام بأمره بمالقة، ولده، و ابن أخت السلطان المترجم به. ثم خرج عنها في سبيل الانحراف و المنابذة إلى ملك المغرب، ثم تصير أمرها إلى السلطان، على يد و اليها من بنى على . و أما الرئيسان، فصابرا المضايقة، و عزم على النطاق و المقاطعة بوادي آش زماناً طويلاً؛ و كان آخر أمرهما الخروج عن وادي آش إلى ملك المغرب؛ معوضين بقصر كتامة؛ حسبما يذكر في أسمائهم؛ إن بلغنا الله إليه.

و في أيامه كان جواز السلطان المجاهد أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق؛ إلى الأندلس؛ مغازيا و مجاهدا في سبيل الله؛ في أوائل عام اثنين وسبعين وستمائة، و قد فسد ما بين سلطان النصارى و بين ابنه . و اغتتم المسلمون الغزة،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٣٣

و استدعى سلطان المغرب إلى الجواز؛ و لحق به السلطان المترجم به؛ و جمع مجلسه بين المنتزين عليه و بينه؛ و أجلت الحال عن وحشة. و قضيت الغزاة؛ و آب السلطان إلى مستقره.

و في العام بعده، كان إيقاع السلطان ملك المغرب بالزعيم «ذنونه»، و استئصال شأفته، و حصد شوكته. ثم عبر البحر ثانية بعد رجوعه إلى العدو؛ و احتل بمدينة طريف في أوائل ربيع الأول عام سبعة وسبعين وستمائة؛ و نازل إشبيلية؛ و كان اجتماع السلطانين بظاهر قرطبة؛ فاتصلت اليد؛ و صلحت الضمائر؛ ثم لم تلبث الحال أن استحالت إلى فساد، فاستولى ملك المغرب على مالقة، بخروج المنتزى بها إليه، يوم الأربعاء التاسع و العشرين لرمضان عام سبعة وسبعين وستمائة. ثم رجعت إلى ملك الأندلس بمدخله من كانت بيده و لنظره، حسبما يأتي بعد إن شاء الله.

و على عهده نازل طاغية الروم الجزيرة الخضراء، و أخذ بمخقتها، و أشرف على افتتاحها، فدافع الله عنها، و نفس حصارها، و أجاز الروم بحرهما على يد الفئة القليلة من المسلمين، فعظم المنح، و أسفر الليل، و انجلت السدة، في وسط ربيع الأول من عام ثمانية و

سبعين و ستمائة .

مولده: بقرناطة عام ثلاثه و ثلاثين و ستمائة. و أيام دولته ثلاثون سنه و شهر واحد، و سته أيام.

وفاته: من كتاب «طرفه العصر» من تأليفنا في التاريخ، قال: و استمرت الحال إلى أحد و سبعمائة، فكانت في ليله الأحد الثامن من شهر شعبان في صلاة العصر، و كان السلطان، رحمه الله في مصلاه، متوجها إلى القبلة لأداء فريضته، على أتم ما يكون عليه المسلم من الخشية و التأهب، زعموا أن شرقا كان يعتاده لماده كانت تنزل من دماغه، و قد رجمت الظنون في غير ذلك لتناوله عشية يومه كعكا اتخذت له بدار

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٣٤

ولّى عهده، و الله أعلم بحقيقه ذلك. و دفن منفردا، عن مدفن سلفه، شرقى المسجد الأعظم، في الجنان المتصل بداره . ثم ثنى بحافده السلطان أبى الوليد، و عزز بثالث كريم من سلالته، و هو السلطان أبو الحجاج بن أبى الوليد، تغمد الله جميعهم برحمته ، و شملهم بوسع مغفرته و فضله.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٣٥

فهرس المحتويات

إهداء ١

مقدمه المحقق ٣

أولا- مؤلفاته التاريخيه ١٤

ثانيا- مؤلفاته في الجغرافيا و الرحلات ١٥

ثالثا- مؤلفاته في التراجم ١٦

رابعا- المؤلفات الأدبيه (شعرا و نثرا) ١٧

خامسا- مؤلفاته في الشريعه و التصوف و الحث على جهاد النفس ٢٠

سادسا- مؤلفاته في السياسه ٢٢

سابعا- مؤلفاته في الطب و الأغذيه ٢٤

ثبت بأسماء مصادر و مراجع الدراسه و التحقيق ٢٧

مقدمه المؤلف ٣

القسم الأول في حلى المعاهد و الأماكن و المنازل و المساكن فصل في اسم هذه المدينه و وضعها على إجمال و اختصار ١٣

فصل في فتح هذه المدينه و نزول العرب الشاميين من جند دمشق بها و ما كانت عليه أحوالهم، و ما تعلق بذلك من تاريخ ١٨

ذكر ما آل إليه حال من ساكن المسلمين بهذه الكوره من النصارى المعاهدين على الإيجاز و الاختصار ٢١

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٣٦

ذكر ما ينسب إلى هذه الكوره من الأقاليم التى نزلتها العرب بخارج غرناطة، و ما يتصل بها من العماله ٢٥

فصل فيما اشتمل عليه خارج المدينه من القرى و الجئات و الجهات ٢٥

فصل ٢٨

فصل ٣١

فصل ٣٦

فصل فيمن تداول هذه المدينه من لدن أصبحت دار إمارة باختصار و اقتصار ٤٠

- القسم الثاني في حلى الزائر و القاطن و المتحرّك و الساكن أحمد بن خلف بن عبد الملك الغساني القليعي ٤٥
- أحمد بن محمد بن أحمد بن يزيد الهمداني اللخمي ٤٧
- أحمد بن محمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن غريب ابن يزيد بن الشمر بن عبد شمس بن غريب الهمداني الإلبيري ٤٧
- أحمد بن محمد بن أحمد بن هشام القرشي ٤٩
- أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن جزى الكلبى ٥٢
- أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن سعد بن سعيد بن مسعدة بن ربيعة بن صخر بن شراحيل بن عامر بن الفضل بن بكر بن بكار بن البدر بن سعيد بن عبد الله العامري ٥٦
- أحمد بن محمد بن أحمد بن قعنب الأزدي ٥٨
- أحمد بن محمد بن سعيد بن زيد الغافقي ٥٩
- أحمد بن أبي سهل بن سعيد بن أبي سهل الخزرجي ٥٩
- أحمد بن عمر بن يوسف بن إدريس بن عبد الله بن ورد التميمي ٦٠
- أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن علي الأموي ٦٠
- أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن عميرة المخزومي ٦٢
- أحمد بن عبد الحق بن محمد بن يحيى بن عبد الحق الجدلي ٦٦
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٣٧
- أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الأنصاري الخزرجي ٦٨
- أحمد بن أبي القاسم بن عبد الرحمن ٧١
- أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن الزبير بن عاصم بن مسلم بن كعب الثقفي ٧٢
- أحمد بن عبد الولي بن أحمد الرعيني ٧٥
- أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري ٧٦
- أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد رحمه الله ٧٧
- أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن محمد بن مصادف بن عبد الله ٨٠
- أحمد بن حسن بن باصة الأسلمي المؤقت بالمسجد الأعظم بغرناطة ٨١
- أحمد بن محمد بن يوسف الأنصاري ٨٢
- أحمد بن محمد الكرنى ٨٣
- أحمد بن محمد بن أبي الخليل، مفرج الأموي ٨٣
- أحمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمّار بن ياسر صاحب رسول الله، صلى الله عليه وسلم ٨٨
- غريبة في أمره مع حفصة ٩٢
- أحمد بن سليمان بن أحمد بن محمد بن أحمد القرشي، المعروف بابن فركون ٩٢
- أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان ٩٣
- أحمد بن أيوب اللمائي ١٠١
- أحمد بن محمد بن طلحة ١٠٤

- أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري ١٠٨
- أحمد بن عباس بن أبي زكريا ١٢٥
- أحمد بن أبي جعفر بن محمد بن عطية القضاعي ١٢٧
- أحمد بن محمد بن شعيب الكرياني ١٣٤
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٣٨
- أحمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن حسين بن علي بن سليمان بن عرفة اللخمي ١٣٨
- أحمد بن علي الملياني ١٤٣
- أحمد بن محمد بن عيسى الأموي ١٤٤
- أحمد بن الحسن بن علي بن الزيات الكلاعي ١٤٥
- إبراهيم بن محمد بن مفرج بن همشك ١٥١
- انخلاءه للموحدين عما بيده و جوازه للعدوة، و وفاته بها ١٥٥
- إبراهيم بن أمير المسلمين أبي الحسن بن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ١٥٥
- إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر بن يحيى الهنتاني، أبو إسحاق ١٥٩
- إدبار أمره بهلاكه على يد الدعي الذي قتيه الله لهلاك حينه ١٦٣
- إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم بن أحمد بن محمد بن سهل بن مالك بن أحمد بن إبراهيم بن مالك الأزدي ١٦٥
- إبراهيم بن فرج بن عبد البر الخولاني ١٦٦
- إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسي ١٦٨
- إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري ١٦٨
- إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الساحلي ١٧٠
- إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن أسد بن موسى بن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحاق بن أسد بن قاسم النميري ١٧٨
- إبراهيم بن خلف بن محمد بن الحبيب بن عبد الله بن عمر بن فرقد القرشي العامري ١٩١
- إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيدس بن محمود النفزي ١٩٣
- إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر التسولي ١٩٦
- إبراهيم بن محمد بن علي بن محمد بن أبي العاصي التتوخي ١٩٧
- إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الأنصاري الخزرجي ٢٠٠
- إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر ٢١٤
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٣٩
- الملوك على عهده ٢١٨
- أبو بكر بن إبراهيم، الأمير أبو يحيى المسوفي الصحراوي ٢١٨
- إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، أمير المؤمنين، الملقب بالمأمون، مأمون الموحد بن ٢٢٢
- تصير الأمر إليه، و جوازه إلى العدو ٢٢٣
- أسباط بن جعفر بن سليمان بن أيوب بن سعد السعدي سعد بن بكر بن عفان الإلبيري ٢٢٨
- أسلم بن عبد العزيز بن هشام بن خالد بن عبد الله بن خالد بن حسين بن جعفر بن أسلم بن أبان ٢٢٩

- أسد بن الفرات بن بشر بن أسد المرّي ٢٣١
 أبو بكر المخزومي الأعمى الموروري المدوّري ٢٣١
 أصبغ بن محمد بن الشيخ المهدي ٢٣٥
 أبو علي بن هديّة ٢٣٦
 أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي ٢٣٧
 بلكين بن باديس بن حبّوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي ٢٣٨
 باديس بن حبّوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي ٢٤٠
 ذكر مقتل اليهودي يوسف بن إسماعيل بن نغالة الإسرائيلي ٢٤٣
 مكان باديس من الذكاء و تولّعه بالقضايا الآتية ٢٤٤
 بكرون بن أبي بكر بن الأشقر الحضرمي ٢٤٤
 بدر مولى عبد الرحمن بن معاوية الداخل ٢٤٤
 تاشفين بن علي بن يوسف أمير المسلمين بعد أبيه بالعدوة ٢٤٧
 ثابت بن محمد الجرجاني ثم الأسترآبادي ٢٥٣
 جعفر بن أحمد بن علي الخزاعي ٢٥٥
 جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيدبونة الخزاعي ٢٥٧
 الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص القرشي الفهري ٢٥٩
 الحسن بن محمد بن الحسن النباهي الجذامي ٢٦٠
 حسن بن محمد بن حسن القيسي ٢٦١
 حسن بن محمد بن باصة ٢٦١
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٤٠
 الحسن بن محمد بن علي الأنصاري ٢٦٢
 الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق التغلبي ٢٦٤
 حبّوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي ٢٦٧
 الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية ٢٦٨
 الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن أمية ٢٦٩
 حكم بن أحمد بن رجا الأنصاري ٢٧١
 حاتم بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسين بن عثمان بن سعيد بن عبد الملك بن سعيد بن عمّار بن ياسر ٢٧٢
 حباسه بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي ٢٧٣
 حبيب بن محمد بن حبيب ٢٧٤
 حمدة بنت زياد المكتّبة ٢٧٥
 حفصة بنت الحاج الركوني ٢٧٧
 الخضر بن أحمد بن الخضر بن أبي العافية ٢٨١

- خالد بن عيسى بن إبراهيم بن أبي خالد البلوى ٢٨٦
- داود بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن حوط الله الأنصاري الحارثي الأندلي ٢٨٧
- رضوان النَّصرى الحاجب المعظم ٢٨٩
- ترتيب خدمته و ما تخلل عن ذلك من محنته ٢٩١
- زاوى بن زيرى بن مناد الصنهاجى ٢٩٣
- منصرفه عن الأندلس ٢٩٦
- زهير العامري، فتى المنصور بن أبي عامر ٢٩٦
- طلحة بن عبد العزيز بن سعيد البليوسى و أخواه أبو بكر و أبو الحسن بنو القبطرنة ٢٩٨
- محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر ٣٠١
- محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر الخزرجى ٣٠٦
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٤١
- من كان على عهده من الملوك بأقطار المسلمين و النصرى ٣١١
- محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن نصر بن قيس الخزرجى ٣١٦
- ما نقل عنه من الفظاظه و القسوة ٣١٨
- من كان على عهده من الملوك بالأقطار ٣٢٠
- محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الأنصاري الخزرجى ٣٢٦
- من كان على عهده من الملوك ٣٣٠
- و من الأحداث في أيامه ٣٣٢

ثانيا- مؤلفاته في الجغرافيا و الرحلات:

- ١- خطرة الطيف، و رحلة الشتاء و الصيف: رسالته مسجعة و وصف فيها ابن الخطيب رحلة قام بها برفقة سلطانه أبي الحجاج يوسف النَّصرى فى السابع عشر من محرم لعام ٧٤٨هـ، لتفقد مقاطعات غرناطة الشرقية. وردت ضمن أربع رسائل جمعها الدكتور أحمد مختار العبادى فى كتاب أسماه: «مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى بلاد المغرب و الأندلس» تحت عنوان: «خطرة الطيف، فى رحلة الشتاء و الصيف».
- الإحاطة فى أخبار غرناطة، مقدمة ج ١، ص: ١٦
- ٢- معيار الاختبار، فى أحوال المعاهد و الديار: رسالته فى الأدب و الترسل المسجع، و وصف فيها ابن الخطيب أهم مدن المغرب و الأندلس، و قد دونها فى أثناء المدة التى قضها فى المنفى مع سلطانه الغنى بالله بين عامى ٧٦٠ و ٧٦٣هـ.
- و وردت ضمن أربع رسائل جمعها الدكتور أحمد مختار العبادى فى كتاب أسماه «مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى بلاد المغرب و الأندلس» تحت عنوان:
- «معيار الاختبار، فى ذكر أحوال المعاهد و الديار». و العنوان الذى اخترناه من «نفاضة الجراب» حيث جاء فيه أنه «كتاب غريب مصور لم يسبق متقدم إلى غرضه». و جاء العنوان فى «الإحاطة» و «أزهار الرياض» هكذا: «معيار الاختيار»، و فى «النفح».
- «معيار الأخبار».
- ٣- مفاضلة بين مالقة و سلا: عبارة عن رسالته مسجعة قارن فيها ابن الخطيب بين مدينته مالقة الأندلسية و مدينته سلا المغربية، و قد تحيز

فيها إلى مالقة التي كانت آنذاك تابعة لمملكة غرناطة. وقد وردت ضمن أربع رسائل جمعها الدكتور أحمد مختار العبادي في كتاب أسماه: «مشاهدات لسان الدين...» تحت عنوان «مفاخرات مالقة و سلا». وهذا العنوان اخترناه من كتاب «الإحاطة»، وهو في كتاب «الريحانة» هكذا: «مفاخرة بين مالقة و سلا»، وهو عند المقرئ: «مفاضلة مالقة و سلا». ونستطيع أن نعدّ هذه الرسالة ضمن الرسائل الأدبية، وبمعنى آخر، فهي رسالة في أدب الجغرافيا.

ثالثاً - مؤلفاته في التراجم:

١- الإكليل الزاهر، فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر: هو تنمّة لكتابه «التاج المحلّي»، كتبه لسلطانه أبي الحجاج يوسف النصرى، و اعتمد فيه أسلوب السجع في ترجمته بعض أعلام عصره. وقد ورد العنوان نفسه في كتابه «ريحانة الكتاب» هكذا: «الإكليل الزاهر، فيمن فضل عند نظم التاج من الجواهر». وهو غير مطبوع، و توجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة الإسكوريال تحت رقم ٥٥٤.

الإحاطة في أخبار غرناطة، مقدمة ج ١، ص: ١٧

٢- التاج المحلّي، في مساجلة القدح المعلّى: يقع في سفر، و هو مفقود، و قد كتبه لسلطانه أبي الحجاج يوسف النصرى في زمان الحداثة، و يترجم لمائة و عشرة شعراء عاشوا في مملكة غرناطة في القرن الثامن الهجرى. و قد ورد اسمه في كتابه «ريحانة الكتاب» هكذا: «التاج المحلّي، و مساجلة القدح المعلّى». و كتاب «القدح المعلّى» الذى يساجله ابن الخطيب هو لابن سعيد الأندلسى.

٣- عائد الصلة: يقع في سفرين، و هو مفقود، و قد وصل به «صلة الصلة» للأستاذ أبي جعفر بن الزبير، المتوفى سنة ٧٠٨ هـ. و يترجم لطائفة من الأعلام الذين لم يرد ذكرهم في كتاب ابن الزبير.

٤- الكتيبة الكامنة، في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة: كتبه في جمادى الآخرة من عام ٧٧٤ هـ، بعد وفاة السلطان أبي فارس عبد العزيز المرينى بثلاثة أشهر. و فيه يحمل بشدة على القاضى أبى الحسن النباهى و ينعته بأقسى النعوت. و يترجم لمائة و ثلاثة من أدباء و شعراء و فقهاء الأندلس المعاصرين له. ذكره فى ثبت كتبه، الذى أورده فى كتابه «الإحاطة» تحت عنوان: «الكتيبة الكامنة، فى أدباء المائة الثامنة». و كذا أورده المقرئ. و أورده فى مكان آخر هكذا: «الكتيبة الكامنة، فى شعراء المائة الثامنة». و نحن اعتمدنا العنوان الذى اعتمده محقق الكتاب، الدكتور إحسان عباس، طبعه دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٣. و العنوان نفسه ذكره ابن الخطيب فى مقدمة الكتاب المذكور. و ينسب إليه كتاب عنوانه: «تحفة ذوى الأدب، فى مشكل الأسماء و النسب، فى ضبط ما وقع فى الموطأ و الصحيحين من الأسماء و النسب». و الكتاب نشره تروغرتمان فى ليدن، سنة ١٩٠٥، و يقع فى إحدى و سبعين و مائتى صفحة.

رابعاً - المؤلفات الأدبية (شعرا و نثرا):

١- أبيات الأبيات: مفقود، اختاره ابن الخطيب من مطالع ما له من الشعر، و ذكره ضمن مؤلفاته التى كتبها فى بادئ الأمر. كما ذكره المقرئ فى كتابيه «النفح» و «الأزهار»، دون أن يزيد شيئا عمّا جاء به ابن الخطيب.

الإحاطة في أخبار غرناطة، مقدمة ج ١، ص: ١٨

٢- تافه من جمّ، و نقطة من يّم: مفقود، و هو عبارة عن مجموعة رسائل اقتضبها ابن الخطيب من نثر شيخه أبى الحسن على بن محمد الأنصارى، المعروف بابن الجيّاب، على حدّ قول ابن الخطيب نفسه فى ترجمة شيخه المذكور فى المجلد الرابع من كتابه «الإحاطة». و ذهب المقرئ إلى أن ابن الخطيب جمع فى هذا الكتاب نثر ابن الجيّاب. و أضاف أنه دون أيضا شعر شيخه ابن الجيّاب.

٣- تخلص الذهب، فى اختيار عيون الكتب: مفقود، و أغلب الظن أنه يدور حول ثلاثة كتب أدبية، لم يذكر اسمها.

٤- جيش التوشيح: كتاب فى سفرين؛ السفر الأول مطبوع بتونس، سنة ١٩٦٧، و فيه مائة و خمس و ستون موشحة لسته عشر و شاحا

عاشوا في القرن السادس الهجري، و من ضمنها خمس عشرة موشحة خرجاتها عجمية (الإسبانية القديمة).

و السفر الثاني مفقود، و يدور حول وشاحي القرن السابع الهجري و النصف الأول من القرن الثامن الهجري.

٥- خلع الرّسن، في أمر القاضي ابن الحسن: مفقود، و قد ألفه للسلطان أبي فارس عبد العزيز المريني، بعد أن فر من الأندلس إلى المغرب، و فيه يهجو خصمه اللدود القاضي أبا الحسن علي بن عبد الله ابن الحسن النباهي، صاحب كتاب «المراقبة العليا». و ورد اسمه في مكان آخر بهذا الاسم: «خلع الرّسن، في التعريف بأحوال ابن الحسن».

٦- الدرر الفاخرة، و اللّجج الزاخرة، مفقود، جمع فيه ابن الخطيب ديوان شعر أبي جعفر أحمد بن إبراهيم ابن صفوان المالقي، المتوفى سنة ٧٦٣هـ، أيام مقامه بمالقة عند توجهه بصحبة السلطان أبي الحجاج إلى نجدة الجزيرة الخضراء عام ٧٤٤هـ، حسبما يذكر في ترجمة ابن صفوان المذكور، في الجزء الأول من كتاب الإحاطة.

٧- ريحانة الكتاب، و نجعة المنتاب: يقع في ثمانية أسفار، و فيه طائفة كبيرة من الرسائل السلطانية و السياسية، يتعلق بعضها بوصف الغزوات و الوقائع الحربية التي جرت في إشبيلية و جيان و الجزيرة الخضراء و جبل طارق، و بعضها يطلب فيها الإنجاد و العون من سلاطين المغرب. كما يحتوي على مخاطبات ملوك النصارى الإسبان.

الإحاطة في أخبار غرناطة، مقدمة ج ١، ص: ١٩

و هو مطبوع في مجلدين، بتحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٨١.

٨- السّيرح و الشّعر: عبارة عن مختارات شعرية لمشاركة و أندلسيين أمثال أبي العتاهية، و ابن الرومي، و ابن رشيق، و المعتمد بن عباد، و ابن عمّار، و ابن اللبانه، تعالج موضوعات شتى، من ضمنها الوصايا و النقد. توجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة الإسكوريال تحمل الرقم ٤٥٦، و نسخة أخرى بخزانة الرباط العامة ذات الرقم ١٢٩٥D.

٩- الصّيب و الجهام، و الماضي و الكهام: عنوان الديوان الذي جمع فيه ابن الخطيب معظم شعره، و يقع في سفرين، و يعالج معظم أغراض الشعر. السفر الأول حقّقه الدكتور محمد الشريف قاهر، الجزائر، ١٩٧٣. و السفر الثاني مفقود.

١٠- طلل الغمام، المقتضب من الصّيب و الجهام: أغلب الظن أنه مختصر ديوان شعر ابن الخطيب، السابق الذّكر، إذ لم يذكره ابن الخطيب ضمن مؤلفاته، كما لم يذكره ممّن ترجم له، و انفرد ابن القاضي بذكره.

١١- فئات الخوان، و لقط الصّوان: مفقود، و يقع في سفر واحد، و يتضمن فقط مقطوعات شعرية.

١٢- كناسة الدّكان، بعد انتقال السّكان: كتاب أدب و ترسل، يدور حول العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة و المغرب في القرن الثامن الهجري. و يضمّ مجموعة من الرسائل السلطانية التي كتبها كلّ من أبي الحجاج يوسف و ولده الغني بالله إلى سلطان المغرب أبي عنان فارس، و قد جمعها ابن الخطيب عند إقامته بمدينة سلا المغربية، بعد التجائه مع سلطانه الغني بالله إلى المغرب. و هو مطبوع بالقاهرة، ١٩٦٦.

١٣- المباخر الطيبية، في المفاخر الخطيبية: مفقود، ألفه للسلطان أبي فارس عبد العزيز المريني، بعد هروبه إلى المغرب سنة ٧٧٣هـ. يدور موضوعه حول الرّدّ على خصومه الذين انتقصوا من منزلة بني الخطيب؛ يذكر فيه نباهة سلفه و ما لهم من المجد، و يرّد على من جاهر له بالعداوة و قدح في فخر أسلافه.

١٤- مثلى الطريقة، في ذمّ الوثيقة: عبارة عن رسالة صغيرة يعرّض فيها ابن الخطيب بالموثقين و العدول، و قد أوجبها محاوره صدرت في ذلك بينه و بين بعض

الإحاطة في أخبار غرناطة، مقدمة ج ١، ص: ٢٠

شيوخ تلك الطريقة، تضمّنت نظما و نثرا، و فقها و حكاية. و هذه الرسالة منشورة ضمن: دراسات و وثائق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٣، بتحقيق الدكتور عبد المجيد التركي.

١٥- مساجلة البيان: لم يرد ذكره في أى من المصادر التي ترجمت لابن الخطيب، كما أنه لم يرد اسمه ضمن مؤلفات ابن الخطيب، التي ذكرها بنفسه.

و انفرد التطواني بذكره في كتابه: «ابن الخطيب من خلال كتبه». و أغلب الظن أنه يدور حول علم البيان، و هو واحد من علوم البلاغة العربية؛ علم البيان، و علم البديع، و علم المعانى.

١٦- النفاية، بعد الكفاية: مفقود، كذا ورد اسمه في كتاب «الإحاطة»، و جاء فيه أنه في نحو «قلائد العقيان» و «مطمح الأنفس» لابن خاقان . و هو عند المقرئ: «النفاية» بالقاف. و لابن الخطيب كتاب في غرض الهجاء، مفقود، و يوجد منه قسم في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم ١٢٣٣، أوله: الباب الثالث و الأربعون .

خامسا- مؤلفاته في الشريعة و التصوف و الحث على جهاد النفس:

١- استنزال اللطف الموجود، في سرّ الوجود: كذا ورد اسمه في الإحاطة، و نفع الطيب و أزهار الرياض . و جاء في «ريحانة الكتاب» «أسرار» بدل «سرّ»، كما يقول ابن الخطيب نفسه: «و ثبت في صدر كتابي المسمى ب «استنزال اللطف الموجود، في أسرار الوجود، و هو ما جمعته لهذا العهد ...» . و هذا المؤلف عبارة عن رسالة صغيرة في التصوف، توجد منه نسخة مخطوطة في المكتبة العامة بتطوان تحمل الرقم ٣٥٣.

٢- أنشدت على أهل الرّد: عبارة عن رسالة في الشعر، مفقودة، يدور موضوعها حول الرّد على أصحاب الآراء المضلّة و أهل الزندقة، و قد ذكرها ابن الخطيب في ترجمة الغنى بالله محمد بن يوسف النصرى، و هي أول ترجمة في الجزء الثاني من كتابه «الإحاطة».

الإحاطة في أخبار غرناطة، مقدمة ج ١، ص: ٢١

٣- الحلل المرقومة، في اللّمع المنظومة: عبارة عن أرجوزة من ألف بيت في أصول الفقه . توجد منه نسخة مخطوطة في خزانة القرويين بفاس، تحمل الرقم ٧٨ .

٤- حمل الجمهور، على السيّن المشهور: عبارة عن رسالة مفقودة، يدور موضوعها حول السيّن المشهور، كجهاد النفس، و إخماد البدع، و الاشتداد على أهل الزيغ و الزندقة، الذين أضاقوا الشريعة بأصاليهم. و قد ذكرها ابن الخطيب في ترجمة الغنى بالله، في أوّل الجزء الثاني من كتابه «الإحاطة» .

٥- رجز الأصول: هو أرجوزة مفقودة تبحث في أصول الفقه، و قد شرحها ابن خلدون، صاحب كتاب العبر، و صرح ابن الخطيب نفسه بأنّ له خمس أرجيز من نظمه في أصول الفقه، نظمها بمدينة سلا .

٦- الرّد على أهل الإباحة: هو كتاب مفقود، يردّ فيه ابن الخطيب على من أباح ما لم يباح.

٧- الرّميمة: أغلب الظنّ أنه مقالة مفقودة تدور حول أصول الدين و الدّفاع عن الشريعة، و قد ورد ذكرها فقط في كتاب الإحاطة .

٨- روضة التعريف، بالحبّ الشريف: كتاب في التصوف، موضوعه المحبة الروحية و الإلهية، عارض به «ديوان الصباية» لأبى العباس أحمد بن يحيى بن أبى حجلة التلمساني، و تكلم فيه على طريقة أهل الوحدة المطلقة. و جعله خصومه وثيقة اتّهام و جهوها إليه فنسبوه إلى مذهب الحلول و غيره، ما أدّى إلى نكبتة التي ذهبت فيها نفسه. نشره الأستاذ عبد القادر أحمد عطا، بدار الفكر العربى بالقاهرة، سنة ١٩٦٨.

٩- الرّبدة الممخوضة: نعتقد أنه مقالة مفقودة تدور حول أصول الدين، ورد ذكرها فقط في كتاب الإحاطة .

الإحاطة في أخبار غرناطة، مقدمة ج ١، ص: ٢٢

١٠- سدّ الذريعة، في تفضيل الشريعة: كتاب مفقود، يبحث في أصول الدين.

١١- كتاب المحبة: مفقود، و يقع في سفرين، و موضوعه المحبة الإلهية.

١٢- الغيرة، على أهل الحيرة: رسالة مفقودة يدور موضوعها حول الغيرة على الدين، و تغير أحوال الملحدين، و هو ما وقع به العمل على إذهاب الآراء المضلّة، و قد ذكرها ابن الخطيب فى ترجمه الغنى بالله، فى أول الجزء الثانى من كتابه «الإحاطة» .

سادسا- مؤلفاته فى السياسة:

١- الإشارة إلى أدب الوزارة: هو كتاب فى السياسة، ذكره ابن الخطيب بهذا الاسم فى كتابه «الريحانة»، و ذكر منه ما يقارب خمس صفحات تتناول الوزير و الوزارة . و اكتفى فى الإحاطة بذكره باسم: «الإشارة»، و كذا ذكره المقرئ .

و ذكره الدكتور أحمد مختار العبادى باسم: «الإشارة، إلى أدب السياسة فى الوزارة» . نشره الأستاذ عبد القادر زمامة بدمشق، ١٩٧٢ .

٢- بستان الدول: كتاب مفقود، يدور حول السياسة و الحرب و القضاء و أهل الحرف و المهن، لم يكن يسمع بمثله قبل أن يؤلف . يشتمل على عشر شجرات:

أولها شجرة السلطان، ثم شجرة الوزارة، ثم شجرة الكتابة، ثم شجرة القضاء، ثم شجرة الشرطة و الحسبة، ثم شجرة العمل، ثم شجرة الجهاد (أسطول و خيول)، ثم شجرة ما يضطر باب الملك إليه من الأطباء، و البيازرة و البيطرة، و الشعراء، ثم شجرة الرعايا . كذا ذكر ابن الخطيب أنها عشر شجرات، و لكنه لم يورد منها إلا تسعا . و هذا الكتاب لم يكمل، كتب منه ابن الخطيب فقط نحو ثلاثين جزءا تقارب الأسفار .

٣- تخصيص الرياسة، بتلخيص السياسة: الكتاب مفقود، كذا أورده ابن الخطيب فى كتابه «نفاضة الجراب»، و قال: هذا المؤلف أرجوزة نظمتها فى فنّ

الإحاطة فى أخبار غرناطة، مقدمة ج ١، ص: ٢٣

السياسة، فى نحو ستمائة بيت . ثم أورده فى الكتاب المذكور باسم: «السياسة» .

و قد يكون هو نفسه الذى ذكره الدكتور أحمد مختار العبادى باسم: «قصيدة فى السياسة»، و قال: توجد من هذه القصيدة نسخة مخطوطة فى خزانة الرباط تحت رقم (د ٧٧٤٠) . و ذكره ابن الخطيب فى كتاب الإحاطة باسم: «رجز السياسة» . ثم ذكره باسم: «السياسة المدنية» .

٤- رسالة السياسة: أوردها ابن الخطيب فى آخر كتابه «الإحاطة» ضمن ترجمته الشخصية، فقال: «و لنختتم هذا الغرض ببعض ما صدر عنى فى السياسة، و كان إملاؤها فى ليلة واحدة» . كذلك أوردها فى كتابه «ريحانة الكتاب» . و هى رسالة قصيرة تقع فى أقل من عشرين صفحة، بطلها الخليفة هارون الرشيد، و تدور حول الوزير، و الجند، و العمال، و الولد، و الخدم، و الحرم .

٥- رسالة فى السياسة: هى رسالة قصيرة، ذكرها الدكتور أحمد مختار العبادى فقال: لابن الخطيب رسالة فى السياسة مكتوبة باللغة القشتالية (الإسبانية القديمة) و موجهة إلى ملك قشتالة بدرو المعروف بالقاسى، نشرها المؤرخ الإسبانى لوبث دى أيلالا Lopez De Ayala فى كتابه: «حوليات ملوك قشتالة»

Gronica de los Reyes de Castilla, Tomo I. pp. ٣٨٤-٣٩٤, Madrid, ١٧٧٦

٦- رسالة فى أحوال خدمة الدولة و مصائرهم، و تبيينهم على النظر فى عواقب الرياسة بعيوب بصائرهم: ووجهها ابن الخطيب إلى الخطيب أبى عبد الله محمد بن أحمد ابن مرزوق، و توجد منها نسخة مخطوطة فى خزانة الرباط تحت رقم (د. ٠٩٧٢ د. ١٤٢١) .

٧- كتاب الوزارة: يبحث فى شؤون الوزارة. ذكره ابن الخطيب فى كتابه الإحاطة دون أن يتحدّث عنه بشىء . و مثله فعل المقرئ .

الإحاطة فى أخبار غرناطة، مقدمة ج ١، ص: ٢٤

٨- مقامه السياسة: كذا أدرجها ابن الخطيب فى كتابه الإحاطة، دون أن يتحدّث عنها. و بهذا الاسم أيضا أوردها المقرئ . و أوردها

الدكتور أحمد مختار العبادي تحت اسم «رسالة في غرض السياسة» وقال: هي مقامة توجد منها نسخة مخطوطة في خزانة الرباط تحت رقم (د. ١٠٩٢ د. ١٤٢١).

سابعاً - مؤلفاته في الطب والأغذية:

١- أرجوزة في فن العلاج من صنعة الطب: عدد أبياتها نحو ألف و ستمائة بيت، تتضمن ذكر جميع الأمراض الكلية و الجزئية، و ذكر أسبابها و علاماتها و تدبيرها و جلب العلاج بحسب أحوالها. توجد منها نسخة مخطوطة بخزانة القرويين، ضمن رسائل ابن الخطيب الطيبة . و قد أورد ابن الخطيب اسمها في الإحاطة هكذا: «رجز الطب». و كذا أوردتها المقرئ في أزهار الرياض .

٢- الأرجوزة المعلومه: مفقوده، و هي أرجوزة طيبة موضوعها الرتبة و علاج السموم. و قد صرح ابن الخطيب بأنه كتبها ليعارض بها من جهة أرجوزة أبي علي بن سينا الطيبة، الموسومة ب «الأرجوزة المجهولة» التي موضوعها العلاج من الرأس إلى القدم، و لتكتمل بها، من جهة ثانية، صناعة الطب كامالا لا يشينه نقص .

٣- البيطرة: مفقود، و يقع في سفر واحد يجمع لما يرجع إلى البيطرة من محاسن الخيل و غير ذلك من علاج الحيوانات.

٤- البيزرة: مفقود، و يقع في مجلد يبحث في أحوال الجوارح من الطيور.

٥- الرجز في عمل الترياق الفاروقى: مفقود، و يدور حول الترياق الفاروقى، و هو دواء مركب يدفع السموم، و هو أجل المركبات؛ لأنه يفرق بين المرض و الصحة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، مقدمة ج ١، ص: ٢٥

٦- رسالة تكوين الجنين: مفقوده، و تتناول، كما يبدو من عنوانها، مراحل الحمل. كذا ورد اسمها في الإحاطة . و جاء في النسخ و أزهار الرياض : «تكون بدل «تكوين».

٧- رسالة الطاعون: كذا ورد اسمها في الإحاطة و أزهار الرياض . ثم ورد في الإحاطة و نفع الطيب اسم آخر هو: «الكلام على الطاعون المعاصر». و أغلب الظن أنهما رسالة واحدة تتحدث عن علاج مرض الطاعون الذي اجتاح الأندلس و غيرها من البلدان الإسلامية غير مرة. و قد تكون هي نفسها: «مقنعة السائل، عن المرض الهائل»، و هي الرسالة الصحية التي تتحدث عن مرض الطاعون الذي دهم الأندلس في سنة ٧٤٩ هـ. و قد نشرت بألمانيا مع ترجمة لها بالألمانية في مجلة أكاديمية العلوم سنة ١٨٦٣، Bayerische Akademische Der Wissens haft .

٨- عمل من طب، لمن حب: كتاب ضخيم يقع في سفر، و يبحث في مختلف الأمراض و كيفية علاجها، و قد ألفه ابن الخطيب لسلطان المغرب أبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريني، في أثناء إقامته بسلا بعد أن خلع سلطانه الغنى بالله في عام ٧٦١ هـ. توجد منه نسخة مخطوطة بخزانة القرويين بفاس تحمل الرقم ٦٠٧/٤٠، كذلك في المكتبة الوطنية بمديرية برقم ٢١١، و المكتبة الأهلية بباريس برقم ٣٠١١.

٩- المسائل الطيبة: مفقود، و هو عبارة عن رسالة طيبة و صحية تقع في سفر واحد.

١٠- المعتمدة في الأغذية المفردة: كذا ورد اسم هذا المؤلف في الإحاطة و نفع الطيب . و كان ابن الخطيب و المقرئ قد ذكراه أيضا باسم «رجز الأغذية».

و هو عبارة عن أرجوزة من نظم ابن الخطيب، تتحدث عن منافع الأغذية و مضارها.

توجد منها نسخة مخطوطة بخزانة القرويين الكبرى .

الإحاطة في أخبار غرناطة، مقدمة ج ١، ص: ٢٦

١١- الوصول، لحفظ الصّحة في الفصول: يبحث في الحمية، و قد فرغ ابن الخطيب من تأليفه سنة ٧٧١ هـ. توجد منه نسخة مخطوطة في الخزانة العامة برباط الفتح تحت رقم D ١٢٩٩.

١٢- اليوسفي في صناعة الطب: كذا ورد اسمه في الإحاطة و النفع . و كان ابن الخطيب و المقرئ قد ذكراه أيضا باسم: «اليوسفي في الطب». و الكتاب مفقود، و هو ممتع، يقع في سفرين كبيرين، ألفه ابن الخطيب لسلطان أبي الحجاج يوسف، و نسبه إليه اقتداء بالرازي الطبيب المشهور في كتابه «المنصوري».

كذلك ألف في الموسيقى، و قد أشار نفسه إلى ذلك في كتابه «الإحاطة» دون أي إضافة. و مثله فعل المقرئ . و له مؤلفات مفقودة لا نعلم عنها شيئا هي:

١- تقرير الشبه، و تحرير المشبه: ذكره ابن الخطيب، ضمن ترجمته لنفسه في آخر كتابه «الإحاطة» ، دون أن يتحدّث عنه بشيء. كذلك ذكره المقرئ في كتابيه «النفع» و «الأزهار» ، و جاء فيهما أنه: «تقرير الشبه، و تحرير الشبه».

٢- قطع السلوك: ذكره ابن الخطيب، ضمن ترجمته لنفسه، في آخر كتابه الإحاطة دون ذكر أي شيء آخر.

و أخيرا نقدّم شكرنا الحارّ للحاج محمد علي بيضون، صاحب دار الكتب العلمية؛ لتشجيعه إيانا على القيام بهذا العمل الشاقّ، فبدلنا الاستطاعة و الجهد، و ما يكلف الإنسان إلّا ما تصل قدرته إليه. حرسنا الله تعالى من التردّي في مهاوى الغواية، و جعل لنا من العرفان بأقدارنا أمنع وقاية، و ستر عيوبنا بكرمه الضافي، و لا كدّر علينا ما منحنا من مشرع إغضائه النмир الصافي.

كفر كلا في الثالث و العشرين من تموز ٢٠٠٢ أ.د. يوسف علي طويل

الإحاطة في أخبار غرناطة، مقدمة ج ١، ص: ٢٧

ثبت بأسماء مصادر و مراجع الدراسة و التحقيق

١- قرآن كريم.

٢- أخبار مجموعة في فتح الأندلس و ذكر أمرائها لمجهول. تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١.

٣- أخبار و تراجم أندلسية مستخرجه من معجم السفر للسلفي. تحقيق الدكتور إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٣.

٤- اختصار القدر المعلى، في التاريخ المحلى لابن سعيد. تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٠.

٥- الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة للدكتور أحمد هيكل. دار المعارف بمصر، ١٩٧٩.

٦- أزهار الرياض، في أخبار عياض للمقرئ (١-٣). تحقيق الأساتذة مصطفى السقا و إبراهيم الأبياري و عبد الحفيظ شلبي. مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر. القاهرة، ١٩٣٩-١٩٤٢.

٧- أزهار الرياض، في أخبار عياض للمقرئ (٤-٥). تحقيق الأساتذة سعيد أحمد أعراب و محمد بن تاويت و عبد السلام الهراس. الرباط، ١٩٧٨-١٩٨٠.

٨- الاستقصاء، لأخبار المغرب الأقصى للناصرى (١-٩). تحقيق الأستاذين جعفر الناصرى و محمد الناصرى. دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤.

٩- الإشارة، إلى أدب الوزارة لابن الخطيب. نشره الأستاذ عبد القادر زمامة.

دمشق، ١٩٧٢.

١٠- الأعلام للزركلي (١-٨). دار العلم للملايين. بيروت، ١٩٨٠.

١١- أعمال الأعلام، فيمن بويغ قبل الاحتلام، من ملوك الإسلام لابن الخطيب.

القسم الثاني، تحقيق الأستاذ إ. ليثقي بروقنسال. دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦.

- الإحاطة في أخبار غرناطة، مقدمة ج ١، ص: ٢٨
- ١٢- أعمال الأعلام، فيمن بويغ قبل الاحتلام، من ملوك الإسلام لابن الخطيب.
- القسم الثالث، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي و الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني. دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٤.
- ١٣- الأغاني لأبي فرج الأصفهاني (١- ٢٥). شرحه الدكتور يوسف طويل، و الأستاذان عبد علي مهنا و سمير جابر. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦.
- ١٤- إنباه الرواة، على أنباه النحاة للقفطي (١- ٣). تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الكتب المصرية، ١٩٥٠.
- ١٥- الأنيس المطرب، بروض القرطاس، في أخبار ملوك المغرب، و تاريخ مدينة فاس. عنى بتصحيحه و طبعه الأستاذ كارول تورنبرغ. دار الطباعة المدرسية بمدينة أو بسالة، ١٨٤٣.
- ١٦- البدايه و النهاية في التاريخ لابن كثير (١- ١٤). مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٩ - ١٩٨٠.
- ١٧- برنامج شيوخ الرعيني، تحقيق الأستاذ إبراهيم شيوخ. وزارة الثقافة بدمشق، ١٩٦٢.
- ١٨- بغية الرواد، في ذكر الملوك من بني عبد الواد ليحيى بن محمد ابن خلدون (١- ٢). الجزائر، ١٩٠٣.
- ١٩- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس للضبى. دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧.
- ٢٠- بغية الوعاة، في طبقات اللغويين و النحاة للسيوطي. دار المعرفة، بيروت.
- ٢١- البيان المغرب، في أخبار الأندلس و المغرب لابن عذارى المراكشي (١- ٤). تحقيق الأساتذة ج. س. كولان و إ. ليقى بروقنسال و إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت.
- ٢٢- البيان المغرب لابن عذارى المراكشي (قسم الموحدين). تحقيق الأساتذة محمد إبراهيم الكتاني و محمد بن تاويت و محمد زبير و عبد القادر زمامة. دار الثقافة ببيروت، دار الغرب الإسلامي ببيروت، الدار البيضاء، ١٩٨٥.
- ٢٣- تاج المفرق، في تحليه علماء المشرق، المعروف ب (رحلة البلوى) للشيخ خالد البلوى. مخطوط رقم ١٠٥٣ جغرافية بدار الكتب.
- ٢٤- تاريخ ابن الوردي، المسمى تنمة المختصر في أخبار البشر (١- ٢). تحقيق الأستاذ أحمد رفعت البدرأوى. دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٠.
- ٢٥- تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية. تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبيارى. دار الكتاب اللبناني. بيروت، ١٩٨٢.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، مقدمة ج ١، ص: ٢٩
- ٢٦- تاريخ الأندلس لابن الكردبوس. تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي. معهد الدراسات الإسلامية بمدير، ١٩٧١.
- ٢٧- تاريخ الفكر الأندلسي لأنجل جنثال بالنيشا. نقله إلى العربية الدكتور حسين مؤنس. القاهرة. ١٩٥٥.
- ٢٨- تاريخ قضاة الأندلس أو المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الفتيا لابن الحسن النباهي. تحقيق الدكتورة مريم قاسم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥.
- ٢٩- تاريخ المن بالامامة لابن أبي صاحب الصلاة. تحقيق الدكتور عبد الهادي التازي. دار الأندلس، بيروت، ١٩٦٤.
- ٣٠- تنمة المختصر: انظر تاريخ ابن الوردي.
- ٣١- تذكرة الحفاظ للذهبي (١- ٤). الهند، حيدر آباد الدكن، ١٩٥٥.
- ٣٢- التعريف بابن خلدون و رحلته شرقا و غربا لابن خلدون. تحقيق الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي. طبعه لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، ١٩٥١.
- ٣٣- تقويم البلدان لأبي الفداء. تحقيق رينود و ماك كوكين دى سلان. باريس، ١٨٥٠. يطلب من مكتبة المثنى ببغداد و مؤسسة الخانجي بمصر.

- ٣٤- التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار (١-٤). تحقيق الدكتور عبد السلام الهراش. دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.
- ٣٥- تكملة المعاجم العربية لرنهارت دوزي. نقله إلى العربية الدكتور محمد سليم النعيمي. وزارة الثقافة و الفنون بالعراق.
- ٣٦- جذوة الاقتباس لابن القاضي. طبعه الرباط، ١٩٧٣.
- ٣٧- جذوة المقتبس، في ذكر ولاية الأندلس للحميدي. الدار المصرية للتأليف و الترجمة، ١٩٦٦.
- ٣٨- جغرافية الأندلس و أوروبا من كتاب المسالك و الممالك لأبي عبيد البكري. تحقيق الدكتور عبد الرحمن الحجى. دار الإرشاد، بيروت، ١٩٦٨.
- ٣٩- جمهرة أنساب العرب لابن حزم. تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون. دار المعارف بمصر، ١٩٦٢.
- ٤٠- جيش التوشيح لابن الخطيب. تحقيق الأستاذين هلال ناجي و محمد ماضور. مطبعة المنار بتونس، ١٩٦٧.
- ٤١- حسن المحاضرة، في تاريخ مصر و القاهرة للسيوطي (١-٢). تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦٧-١٩٦٨. الإحاطة في أخبار غرناطة، مقدمة ج ١، ص: ٣٠
- ٤٢- الحلة السيرة لابن الأبار (١-٢). تحقيق الدكتور حسين مؤنس. الشركة العربية للطباعة و النشر. القاهرة، ١٩٦٣.
- ٤٣- الحلل الموشية، في ذكر الأخبار المراكشية للسان الدين بن الخطيب. مطبعة التقدم الإسلامية بتونس، ١٣٢٩ هـ. و هناك طبعه الرباط (١٩٣٦) بتحقيق الأستاذ علوش مصدرة بعبارة «مجهول المؤلف»، و هي عبارة صحيحة؛ لأنه لا يصح أن ينسب هذا الكتاب إلى ابن الخطيب لأسباب عدة، منها الصياغة و المضمون. و نحن اعتمدنا طبعه تونس، لعدم توفر الثانية.
- ٤٤- خريدة القصر، و جريدة العصر للعماد الكاتب الأصفهاني (قسم شعراء المغرب و الأندلس، الجزء الثاني). تحقيق الأستاذين عمر الدسوقي و على عبد العظيم. دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٩.
- ٤٥- ابن الخطيب من خلال كتبه لمحمد بن أبي بكر التطواني. دار الطباعة المغربية، تطوان، ١٩٥٤.
- ٤٦- دائرة المعارف الإسلامية (١-١٥). نقلها إلى العربية الأستاذة أحمد الشنتاوي و إبراهيم خورشيد و عبد الحميد يونس. دار المعرفة بيروت.
- ٤٧- دار الطراز في عمل الموشحات لابن سناء الملك. تحقيق الدكتور جودت الركابي. دار الفكر بدمشق، ١٩٨٠.
- ٤٨- درة الحجال، في أسماء الرجال لابن القاضي. تحقيق الأستاذ محمد الأحمدى أبو النور. القاهرة، ١٩٧٠.
- ٤٩- الدرر الكامنة، في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني (١-٤). الهند، حيدر آباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٩٣٠.
- ٥٠- الديباج المذهب، في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون. الطبعة الأولى، مصر، ١٣٥١ هـ.
- ٥١- ديوان ابن الحداد الأندلسي. تحقيق الدكتور يوسف على طويل. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.
- ٥٢- ديوان الحطيئة. دار صادر، بيروت، ١٩٦٧.
- ٥٣- ديوان ابن خفاجة، دار بيروت للطباعة و النشر. بيروت، ١٩٨٠.
- ٥٤- ديوان ابن دراج القسطلي. تحقيق الدكتور محمود على مكي. منشورات المكتب الإسلامي بدمشق، ١٩٦١.
- ٥٥- ديوان ابن عبد ربّه. تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية. مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، مقدمة ج ١، ص: ٣١

- ٥٦- ديوان أبي الأسود الدؤلي. (ضمن نفائس المخطوطات، المجموعة الثانية، ص ٦-٥١، من تحقيق الأستاذ محمد آل ياسين، بغداد، ١٩٥٤).
- ٥٧- ديوان أبي تمام. تحقيق الدكتور شاهين عطية. دار صعب، بيروت.
- ٥٨- ديوان أبي نواس. تحقيق الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالي. دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٥٣.
- ٥٩- ديوان امرئ القيس. تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر، ١٩٦٩.
- ٦٠- ديوان البحترى (١-٢). شرحه الدكتور يوسف الشيخ محمد. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.
- ٦١- ديوان بشار بن برد. جمعه وحققه السيد بدر الدين العلوي. دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣.
- ٦٢- ديوان جميل بثينة. دار بيروت، بيروت، ١٩٨٤.
- ٦٣- ديوان أبي الحسن الششتري. تحقيق الدكتور علي سامي النشار. طبعه الإسكندرية، ١٩٦٠.
- ٦٤- ديوان الفرزدق (شرح ديوان الفرزدق). تحقيق الأستاذين سيف الدين الكاتب و أحمد عصام الكاتب. دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٣.
- ٦٥- ديوان قيس بن الخطيم. تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد. الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٢.
- ٦٦- ديوان ليلى بن ربيعة العامري. دار صادر، بيروت.
- ٦٧- ديوان المتنبي (العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب). شرحه الشيخ ناصيف اليازجي. دار القلم، بيروت.
- ٦٨- ديوان مهيار الديلمي (١-٤). دار الكتب المصرية، القاهرة.
- ٦٩- ديوان النابغة الذبياني. تحقيق الأستاذ فوزي عطوي. دار صعب، بيروت، ١٩٨٠.
- ٧٠- الذخيرة، في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الششتري (أربعة أسفار في ثمانية مجلدات). تحقيق الدكتور إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٨-١٩٧٩.
- ٧١- الذيل و التكملة لابن عبد الملك المراكشي (١-٦). تحقيق الأستاذين محمد بن شريفه و إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥-١٩٧٣.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، مقدمة ج ١، ص: ٣٢
- ٧٢- الذيل و التكملة لابن عبد الملك المراكشي. الجزء الثامن. تحقيق الدكتور محمد بن شريفه. مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية.
- ٧٣- رايات المبرزين، و غايات المميزين لابن سعيد الأندلسي. تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية. دار طلاس، دمشق، ١٩٨٧.
- ٧٤- رحلة ابن بطوطة، و تسمى تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار. دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، ١٩٨٠.
- ٧٥- رحلة البلوي: انظر تاج المفرق.
- ٧٦- رسائل ابن حزم الأندلسي (١-٤). تحقيق الدكتور إحسان عباس. المؤسسة العربية للدراسات و النشر. بيروت، ١٩٨٠-١٩٨٣.
- ٧٧- رسائل ابن سبعين لابن سبعين. تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي. الدار المصرية للتأليف و الترجمة، القاهرة، ١٩٥٦.
- ٧٨- رقم الحلل، في نظم الدول لابن الخطيب. تعليق الدكتور عدنان درويش. وزارة الثقافة بدمشق، ١٩٩٠.
- ٧٩- روضة التعريف، بالحب الشريف لابن الخطيب. نشره الأستاذ عبد القادر أحمد عطا، دار الفكر العربي بالقاهرة، ١٩٦٨.
- ٨٠- الروض المعطار، في خبر الأقطار للحميري. تحقيق الدكتور إحسان عباس.

- مؤسسة ناصر للثقافة. بيروت، ١٩٨٠.
- ٨١- ریحانة الکتیاب، و نجعة المنتاب لابن الخطيب (١-٢). تحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان. مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٨٠-١٩٨١.
- ٨٢- زاد المسافر، و غزوة محيا الأدب السافر لأبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسى. تحقيق الأستاذ عبد القادر محداد. دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٣٩.
- ٨٣- السفن الإسلامية على حروف المعجم للأستاذ درويش النخيلي. الإسكندرية، ١٩٧٤.
- ٨٤- سير أعلام النبلاء للذهبي (١-٢٣). تحقيق الأستاذين شعيب الأرنؤوط و إبراهيم الزبيق. مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١-١٩٨٨.
- ٨٥- شذرات الذهب، في أخبار من ذهب للعماد الحنبلي (١-٨). نشره القدسي، القاهرة، ١٣٥٠-١٣٥١ هـ.
- ٨٦- شروح سقط الزند لأبي العلاء المعري (١-٥). دار الكتب المصرية، ١٩٤٥-١٩٤٨.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، مقدمة ج ١، ص: ٣٣
- ٨٧- الشعر و الشعراء لابن قتيبة (١-٢). دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٩.
- ٨٨- صبح الأعشى، في صناعة الإنشاء للقلقشندي (١-١٤). شرحه و علق عليه الأستاذ محمد حسين شمس الدين و الدكتور يوسف على طويل. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.
- ٨٩- الصلة لابن بشكوال (١-٣). تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري. دار الكتاب المصري بالقاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، ١٩٨٩.
- ٩٠- صلة الصلة لابن الزبير. تحقيق الأستاذ إ. ليقى بروفنسال. الرباط، ١٩٣٧.
- ٩١- الصييب و الجهم، و الماضي و الكهام لابن الخطيب. تحقيق الدكتور محمد الشريف قاهر. الشركة الوطنية للنشر و التوزيع. الجزائر. ١٩٧٣.
- ٩٢- الضوء اللامع للسخاوي (١-١٢). طبعه مصر، ١٣٥٣-١٣٥٥ هـ.
- ٩٣- طبقات الشعراء لابن سلام. نشر جوزف هل. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢.
- ٩٤- العبر، في خبر من غير للذهبي (١-٤). تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد. الكويت، ١٩٦٠-١٩٦٣.
- ٩٥- عنوان الدراية، فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس الغبريني. نشر بعناية الأستاذ محمد بن أبي شنب، الجزائر، ١٩١٠.
- ٩٦- عيون الأنباء، في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة. تحقيق الدكتور نزار رضا. دار مكتبة الحياة. بيروت، ١٩٦٥.
- ٩٧- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١-٣). تحقيق برجشتراسر. القاهرة، ١٩٣٢-١٩٣٣.
- ٩٨- الغصون الليانة، في محاسن شعراء المائة السابعة لابن سعيد. تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري. دار المعارف بمصر، ١٩٧٧.
- ٩٩- الفلاكة و المفلوكون لشهاب الدين أحمد بن علي الدلجي. مكتبة الأندلس ببغداد، ١٣٨٥ هـ.
- ١٠٠- الفهرست لابن النديم. ضبطه و شرحه الدكتور يوسف على طويل. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦.
- ١٠١- فهرسة ابن خير لابن خير (١-٢). تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري. دار الكتاب المصري بالقاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، ١٩٨٩.
- ١٠٢- فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي (١-٥). تحقيق الدكتور إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣-١٩٧٤.

- الإحاطة في أخبار غرناطة، مقدمة ج ١، ص: ٣٤
- ١٠٣- قضاة قرطبة للخشنى. تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبيارى. دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢.
- ١٠٤- فلانند الجمان، في التعريف بقبائل عرب الزمان للقلقشندى. تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبيارى. دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢.
- ١٠٥- فلانند العقيان، في محاسن الأعيان لابن خاقان. القاهرة، ١٢٨٤ هـ.
- ١٠٦- الكامل في التاريخ لابن الأثير (١-١٢). دار صادر، بيروت، ١٩٨٢.
- ١٠٧- كتاب العبر، و ديوان المتبدي و الخبر لابن خلدون (ثمانية مجلدات في أربعة عشر جزءا). دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١.
- ١٠٨- كتاب القوافي للأخفش. تحقيق الدكتور عزّة حسن. دمشق، ١٩٧٠.
- ١٠٩- الكتيبة الكامنة، في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة لابن الخطيب. تحقيق الدكتور إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٣.
- ١١٠- كشف الظنون، عن أسامى الكتب و الفنون لحاجي خليفة (١-٢). إستانبول، ١٩٤١-١٩٤٣.
- ١١١- كناسة الدكان، بعد انتقال السِّكَّان لابن الخطيب. تحقيق الدكتور محمد كمال شبانة و الدكتور حسن محمود. دار الكاتب العربي للطباعة و النشر، القاهرة، ١٩٦٦.
- ١١٢- لسان الدين ابن الخطيب، حياته و تراثه الفكرى لمحمد عبد الله عنان. مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٨.
- ١١٣- لسان العرب لابن منظور (١-١٥). دار صادر، بيروت.
- ١١٤- اللمحة البدرية، في الدولة النصرية لابن الخطيب. دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠.
- ١١٥- مثلى الطريقة، في ذم الوثيقة لابن الخطيب. تحقيق الأستاذ عبد المجيد التركى، دراسات و وثائق المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر، ١٩٨٣.
- ١١٦- مجمع الأمثال للميداني (١-٢). تحقيق الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد. مطبعة السنّة المحمدية، ١٩٥٥.
- ١١٧- محيط المحيط للمعلم بطرس البستاني. مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٧.
- ١١٨- مختار الصحاح للرازى. مؤسسة الرسالة، دار البصائر، بيروت، ١٩٨٥.
- ١١٩- المختصر، في أخبار البشر لأبى الفدا (١-٤). المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة الأولى. الإحاطة في أخبار غرناطة، مقدمة ج ١، ص: ٣٥
- ١٢٠- مدخل إلى الأدب الأندلسى للدكتور يوسف طويل. دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩١.
- ١٢١- مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بنى زيرى بغرناطة، المسماة بكتاب التبيان. نشر و تحقيق إ. ليقى بروفنسال. دار المعارف بمصر، ١٩٥٥.
- ١٢٢- مرآة الجنان لأبى محمد اليافعى (١-٤). الهند، حيدر آباد الدكن، ١٣٣٧-١٣٣٩ هـ.
- ١٢٣- المرقبة العليا. انظر: تاريخ قضاة الأندلس.
- ١٢٤- مروج الذهب للمسعودى (١-٤) ضبطها الأستاذ يوسف أسعد داغر. دار الأندلس، بيروت، ١٩٨١.
- ١٢٥- مسالك الأبصار، فى ممالك الأمصار لشهاب الدين ابن فضل الله العمري (الجزء الحادى عشر). مخطوطة مصورة بالميكروفيلم فى مكتبة الجامعة الأميركية فى بيروت تحت رقم ٨٠-Mic-A.
- ١٢٦- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى بلاد المغرب و الأندلس (مجموعة من رسائله) لابن الخطيب. نشر و تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادى. مؤسسة شباب جامعة الإسكندرية، ١٩٨٣.
- ١٢٧- المطرب، من أشعار أهل المغرب لابن دحية. تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبيارى و الدكتور حامد عبد الحميد و الدكتور أحمد

- أحمد بدوي. دار العلم للجميع، بيروت، ١٩٥٥.
- ١٢٨- مطمح الأنفس، و مسرح التأنس، في ملح أهل الأندلس لابن خاقان. دراسة و تحقيق الأستاذ محمد علي شوابكة. دار عمار، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣.
- ١٢٩- المعجب، في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي. تحقيق الأستاذ محمد سعيد العريان، القاهرة، ١٩٦٣.
- ١٣٠- معجم الأدباء لياقوت الحموي (١-٥). دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١.
- ١٣١- معجم البلدان لياقوت الحموي (١-٥). دار صادر، دار بيروت، بيروت، ١٩٨٤.
- ١٣٢- معجم السفر للسلفي. تحقيق الأستاذ عبد الله البارودي. دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣.
- ١٣٣- معجم الشعراء للمرزباني، و معه المؤلف و المختلف للآمدى. تصحيح الدكتور ف. كرنكو. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، مقدمة ج ١، ص: ٣٦
- ١٣٤- المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي لابن الأبار. تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري. دار الكتاب المصري بالقاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٩.
- ١٣٥- المغرب، في حلى المغرب لابن سعيد الأندلسي (١-٢). تحقيق الدكتور شوقي ضيف. دار المعارف بمصر، ١٩٦٤.
- ١٣٦- المقتبس من أبناء أهل الأندلس لابن حيان القرطبي (تتمة السفر الثاني، و يؤرخ من سنة ٢٣٢ حتى ٢٦٧ هـ). تحقيق الدكتور محمود علي مكي. دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣.
- ١٣٧- المقتبس في أخبار بلد الأندلس لابن حيان القرطبي (و يؤرخ من سنة ٣٦٠ حتى ٣٦٤ هـ). تحقيق الأستاذ عبد الرحمن الحجى. دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥.
- ١٣٨- المقتبس لابن حيان القرطبي (الجزء الخامس، و يؤرخ من سنة ٣٠٠ حتى ٣٣٠ هـ). نشره ب. شالميتا و ف. كورنيطي و الدكتور محمود صبح. المعهد الإسباني العربي للثقافة. كلية الآداب بالرباط، مدريد، ١٩٧٩.
- ١٣٩- المقتبس في تاريخ الأندلس لابن حيان الأندلسي. تحقيق الدكتور عبد الرحمن علي الحجى، بيروت، ١٩٦٥.
- ١٤٠- المقتضب من كتاب تحفة القادام لابن الأبار. اختيار الأستاذ إبراهيم بن محمد البلفيقي، و تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري. دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٣.
- ١٤١- الملل و النحل للشهرستاني (١-٢). تحقيق الأستاذ محمد سيد كيلاني. دار المعرفة، بيروت.
- ١٤٢- مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر للدكتورة مريم قاسم. مكتبة الوحدة العربية بالدار البيضاء، دار الكتب العلمية ببيروت، ١٩٩٤.
- ١٤٣- المؤنس، في تاريخ إفريقيا و تونس لابن أبي دينار. تحقيق الأستاذ محمد شمام. المكتبة العتيقة بتونس، ١٩٦٧.
- ١٤٤- نثير فرائد الجمان، في نظم فحول الزمان لابن الأحمر. تحقيق الأستاذ محمد رضوان الداية. دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧.
- ١٤٥- النجوم الزاهرة، في ملوك مصر و القاهرة لابن تغرى بردى (١-١٦). نسخة مصورة عن طبعه دار الكتب. وزارة الثقافة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة و الطباعة و النشر.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، مقدمة ج ١، ص: ٣٧
- ١٤٦- نخبة الدهر، في عجائب البر و البحر. طبع بمدينة بطرسبورغ في مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية، سنة ١٨٦٥.
- ١٤٧- نزهة المشتاق، في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي (١-٢). دار عالم الكتاب، بيروت، ١٩٨٩.
- ١٤٨- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار و تنويع الآثار و البستان في غرائب البلدان و المسالك إلى جميع الممالك لأحمد بن عمر العذري، المعروف بابن الدلائى. تحقيق الدكتور عبد العزيز الأهواني. و طبعه معهد الدراسات الإسلامية.

- ١٤٩- نفاضة الجراب، في علالة الاغتراب لابن الخطيب. تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي. دار الكاتب العربي للطباعة و النشر بالقاهرة.
- ١٥٠- نوح الطيب، من غصن الأندلس الرطيب للمقري (١- ١٠). تحقيق الدكتورة مريم قاسم و الدكتور يوسف طويل. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥.
- ١٥١- نهاية الأندلس و تاريخ العرب المنتصرين للأستاذ محمد عبد الله عنان. مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، ١٩٦٦.
- ١٥٢- نيل الابتهاج، بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي. طبعه فاس.
- ١٥٣- هديّة العارفين أسماء المؤلفين و آثار المصنّفين من كشف الظنون لإسماعيل باشا البغدادي (١- ٢). إستانبول، ١٩٥١-١٩٥٥.
- ١٥٤- الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي (١- ٢٢). إستانبول و فيسبادن، ١٩٣١-١٩٨٣.
- ١٥٥- الوفيات لابن قنفذ. تحقيق الأستاذ عادل نويهض. دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣.
- ١٥٦- وفيات الأعيان لابن خلكان (١- ٥). تحقيق الدكتورة مريم قاسم و الدكتور يوسف طويل. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣

[مقدمة المؤلف]

بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم قال الشيخ الأديب البارع أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب السلماني:

أما بعد حمد الله الذي أحصى الخلائق عددا، و ابتلاهم اليوم ليجزيهم غدا، و جعل جياهم تتسابق في ميادين الآجال إلى مدى، و باين بينهم في الصور و الأخلاق و الأعمال و الأرزاق فلا يجدون بما قسم محيضا و لا فيما حكم ملتجدا، و سعه علمه على تباين أفرقهم و تكاثف أعدادهم و الذا و ولدا، و نسبا و بلدا، و وفاة و مولدا، فمنهم النبيه و الخامل، و الحالى و العاطل، و العالم و الجاهل، و لا- يظلم ربك أحدا. و جعل لهم الأرض ذلولا- يمشون في مناكبها و يتخذون من جبالها بيوتا و من متاعها عددا. و خص بعض أقطارها بمزايا تدعو إلى الاغباط و الاعتماد، و تحث على السكون و الاستقرار، متبوءا فسيحا، و هواء صحيحا، و ماء نميرا، و امتناعا شهيرا، و رزقا رغدا. فسبحان من جعل التفاضل في المساكن و الساكن، و عرّف العباد عوارف اللطف في الظاهر و الباطن، و لم يترك شيئا سدى.

و الصلاة و السلام على سيدنا و مولانا محمد الذي ملأ الكون نورا و هدى، و أوضح سبيل الحق و كانت طرائق قدا، أعلى الأنام يدا، و أشرف الخلق ذاتا و أكرمهم محتدا، الذي أنجز الله به من نصر دينه الحقّ موعدا، حتى بلغت دعوته ما زوى له من هذا المغرب الأقصى فرفعت بكل هضبة معلما و بنت بكل قلعة مسجدا. و الرضى على آله و أصحابه الذين كانوا لسماة سنّته عمدا، ليوث العدا، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٤

و غيوث الندى، ما أقل ساعد يدا، و عمر فكر خالدا، و ما صباح بدا، و أورك شدا، فإن الله، عزّ وجهه، جعل الكتاب لشوارد العلم قيادا، و جوارح اليراع تثير في السهول الرّقاع صيدا. و لو لا ذلك لم يشعر آت في الخلق بذاهب، و لا اتصل شاهد بغائب، فماتت الفضائل بموت أهلها، و أفلت نجومها عن أعين مجتليها، فلم يرجع إلى خبر ينقل، و لا- دليل يعقل، و لا- سياسة تكتسب، و لا أصالة إليها ينتسب، فهدى سبحانه و ألهم، و علم الإنسان بالقلم، علم ما لم يكن يعلم، حتى ألقينا المراسم بادية، و المرشد هادية، و الأخبار منقولة، و الأسانيد موصولة، و الأصول محرّرة، و التواريخ مقرّرة، و السير مذكورة، و الآثار مأثورة، و الفضائل من بعد أهلها باقية خالدة، و المآثر ناطقة شاهدة، كأنّ النهار القرطاس، و الليل المداد، ينافسان الليل و النهار، في عالم الكون و الفساد، فمهما طويا شيئا، و لعا هما بنثره، أو دفنا ذكرنا دعوا إلى نشره.

فلو أن لسان الدهر نطق، و تأمل هذه المناقضة و تحقّق، لأتى بما شاء من عتب و لوم، و أنشده: [الوافر]

أعلمه الرماية كل يوم و لمّا كان الفنّ التاريخي مأرب البشر، و وسيلة إلى ضمّ النشر، يعرفون به أنسابهم في ذلك شرعا و طبعاً ما فيه، و يكتسبون به عقل التجربة في حال السكون و الترفيه، و يستدلّون ببعض ما يبدي به الدهر و ما يخفيه، و يرى العاقل من تصريف قدرة الله تعالى ما يشرح صدره بالإيمان و يشفيه، و يمرّ على مصارع الجابرة فيحسبه بذلك واعظاً و يكفيه، و كتاب الله يتخلّله من القصص ما يتمّ هذا الشاهد لهذا الفن و يوفيه. و قال الله تعالى: وَ كَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٥

بِهِ فَوَادَّكَ . و قال عزّ و جلّ: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَ إِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ (٣) .

الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ١؛ ص ٥

ضح سبيل مبین، و ظهر أن القول بفضله يقتضيه عقل و دين، و أن بعض المصنّفين ممّن ترك نومه لمن دونه، و أنزف ماء شبابه مودعا إياه بطن كتابه يقصده الناس و يردونه، اختلفت في مثل هذا الباب أغراضهم؛ فمنهم من اعتنى بإثبات حوادث الزمان، و منهم من اعتنى برجاله بعد اختيار الأعيان، عجزاً عن الإحاطة بهذا الشأن، عموماً في أكثر الأقطار و خصوصاً في بعض البلدان، فاستهدف إلى التعميم فرسان الميدان، و توسّعوا بحسب مادة الأطلاع و جهد الإمكان، و جنح إلى التخصيص من أثر الأولوية بحسب ما يخصّه من المكان، و يلزمه من حقوق السكان، مغرماً برعاية عهود وطنه و حسن العهد من الإيمان، بادئاً بمن يعوله كما جاء في الطرق الحسان. فتذكرت جملة من موضوعات من أفرد لوطنه تاريخاً هزّ إليها - علم الله - وفاء و كرم، و دار عليها بقول الله من رحمته الواسعة حرم، كتاريخ مدينة بخارى لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان الفخار. و تاريخ أصبهان لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ صاحب الحلية. و تاريخ أصبهان أيضاً لأبي زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن قنّده الحافظ. و تاريخ نيسابور للحاكم أبي عبد الله بن اليسع، و ذيله لعبد الغافر بن إسماعيل. و تاريخ همذان لأبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه محمد بن فنا خسرو الديلمي. و تاريخ طبقات أهل شيراز لأبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن القصار. و تاريخ هراة، أظنه لأبي عبد الله الحسن بن محمد الكتبي. و أخبار هراة أيضاً و من نزلها من التابعين و غيرهم من المحدثين لأبي إسحاق أحمد بن ياسين الحداد. و تاريخ سمرقند لعبد الرحمن بن محمد الأردسى. و تاريخ نسف لجعفر بن المعبر المستغفري. و تاريخ جرجان لأبي القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي. و تاريخ الرقة لأبي علي محمد بن سعيد بن عبد الرحمن القشيري.

و تاريخ بغداد للخطيب أبي بكر بن ثابت، و ذيله لأبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٦

منصور السمعاني. و أخبار بغداد لأحمد بن أبي طاهر. و تاريخ واسط لأبي الحسين علي بن الطيب الخلافي. و تاريخ من نزل حمص من الصحابة و من دخلها، و من ارتحل عنها، و من أعقب، و لم يعقب، و حدّث و لم يحدث، لأبي القاسم عبد الصمد بن سعيد القاضي. و تاريخ دمشق لأبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر.

و تاريخ مكة للأزرقى. و تاريخ المدينة لابن النجار. و تاريخ مصر لعبد الرحمن بن أحمد بن نواس. و تاريخ الإسكندرية لوجيه الدين أبي المظفر منصور بن سليمان بن منصور بن سليم الشافعي. و تاريخ طبقات فقهاء تونس لأبي محمد عبد الله بن إبراهيم بن أبي العباس بن خلف التميمي. و عنوان الدرّاية في ذكر من كان في المائة السابعة ببجاية، لأبي العباس بن الغبريني. و تاريخ تلمسان لابن الأصفر، و تاريخها أيضاً لابن هديّة. و تاريخ فاس لابن عبد الكريم، و تاريخها أيضاً لابن أبي زرع.

و تاريخ فاس أيضاً للقونجي، و تاريخ سبتة، المسمّى بالفنون السبّية، لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض، تركه في مسودته. و تاريخ بلنسية لابن علقمة. و تاريخ إلبيرة لأبي القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي الملاحى. و تاريخ شقورة لابن إدريس. و تاريخ مالقة لأبي عبد الله بن عسكر، تركه غير متّم، فتّمه بعد وفاته ابن أخيه أبو بكر خمسين. و الإعلام بمحاسن الأعلام من أهل مالقة،

لأبي العباس أصبغ بن العباس. و الاحتفال في أعلام الرجال، لأبي بكر الحسن بن محمد بن مفرّج القيسى. و تاريخ قرطبة، و منتخب كتاب الاحتفال، و تاريخ الرؤساء و الفقهاء و القضاة بطليطلة، لأبي جعفر بن مظاهر، و منتخبه لأبي القاسم بن بشكوال. و تاريخ فقهاء قرطبة لابن حيان. و تاريخ الجزيرة الخضراء لابن خمسين. و تاريخ قلعة يحصب، المسمّى بالطالع السعيد، لأبي الحسن بن سعيد. و تاريخ بقيرة، لأبي عبد الله بن المؤذن. و الدرّة المكنونة في أخبار أشبونة، لأبي بكر بن محمد بن إدريس الفرابي العالوسي. و مزية المريّة لأبي جعفر أحمد بن خاتمة، من أصحابنا. و تاريخ ألمرية و باجة، لشيخنا نسيج وحده أبي البركات بن الحاج، مَنَّعَ اللهُ بإفادته، و هو في مبيضة، لم يرمها بعد.

فداخلتني عصبية لا تقدر في دين و لا منصب، و حمية لا يذم في مثلها متعصب، رغبة أن يقع سؤالهم و ذكرهم من فضل الله جناب مخصب، و رأيت أن هذه الحضرة التي لا خفاء بما وقر الله من أسباب إثارتها، و أرادته من جلال الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٧

مقدارها، جعلها ثغر الإسلام و متبوء العرب الأعلام، قبيل رسوله، عليه أفضل الصلاة و أزكى السلام، و ما خصّها به من اعتدال الأقطار، و جريان الأنهار، و انفساح الاعتمار، و التفاف الأشجار. نزلها العرب الكرام عند دخولهم مختطين و مقتطعين، و هبوا بدعوة فضلها مهطعين، فعمروا و أولدوا، و أثبتوا المفاخر و خلدوا، إلى أن صارت دار ملك، و لبنة سلك، فنبه المقدار و إن كان نبيا، و ازدادت الخطّة ترفيعا، و جلب إلى سوق الملا بما نفق فيها. فكم ضمت جدرانها من رئيس يتقى الصباح هجومه، و يتخوف الليل طروقه و جومه، و يفتقر الغيث لنوافله الممنوحة و سجومه، و عالم يبرز للفنون فيطيعه عاصيها، و يدعو بالمشكلات فيأخذ بنواصيها، و عالم بالله قد وسم السجود جبينه، و أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبرّ يمينه، و بليغ قد أذعنت لبراعة خطّه و شيجته الخط، يغوص على درر البدائع، فيلقها من طرسه الرائع على الشط، لم يبق بحقها ممتعض حقّ الامتعاض، و لا فرق بين جواهرها و بين الأغراض. هذا و سمر الأقسام مشرعة، و مكان القول و الحمد لله ذو سعة، فهي الحسنة التي عدت الدّام، و زينت الليالي و الأيام. و الهوى إن قيل كلفت بمغانيها، و قصرت الأيام على معانيها، فعاشق الجمال عذره مقبول، و لله درّ أبي الطيب حيث

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٨

يقول: [الوافر]

ضروب الناس عشاق ضروباً فاعذرهم أشقهم حبيبا

فلست ببدع مّمن فتن بحب وطن، و لا- بأول ما شاقه منزل فألقى بالعطن، فحبّ الوطن معجون بطينه ساكنه، و طرفه مغرى بإتمام محاسنه، و قد تبه على بن العباس على السّبب، و جاء في التماس التعليل بالعجب، حيث يقول: [الطويل]

و حبّ أوطان الرجال إليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلك

و رميت في هذا المعنى بسهم سديد، و ألمحت بغرض إن لم يكنه فليس ببعيد:

[الطويل]

أحبك يا مغنى الجلال بواجب و أقطع في أوصافك الغرّ أوقات

تقسّم منك الترب قومي و جيرتني ففي الظهر أحياء و في البطن أموات

و قد كان أبو القاسم الغافقي من أهل غرناطة، قام من هذا الغرض بفرض، و أتى من كله ببعض، فلم يشف من غلّة، و لا سدّ خلّة، و لا كثر قلّة، فقامت بهذا الوظيف، و انتدبت فيه للتأليف، و رجوت على نزاره حظّ الصّحة، و ازدحام الشواغل الملحّة، أن أضطلع من هذا القصد بالعبء الذي طالما طأطأت له الأكتاد، و أقف منه الموقف الذي تهيبته الأبطال الأنجاد، فاتخذت الليل جملا لهذه الطّية، و

انتضيت

غارب العزم و نعمت المطيئة، بحيث لا مؤانس إلا ذبال يكافح جيش الدجى، و دفاتر تلفح الحجا، و خواطر تبتغى إلى سماء الإجابة
معرجا؛ و إذا صحب العمل صدق التية، أشرقت من التوفيق كل ثتية، و طلعت من السداد كل غرة ستية، و قد علم الله أنى لم أتمد
منها دنيا أستمناها، و لا نسمة جاه يستشوق ريحها؛ و إنما هو صبح

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٩

تبين، و حق رأيته على قد تعين، بذلت فيه جهدى، و أقطعت جانب سهدى، لينظم هذا البلد بمثله، مما أثير كامنه، و سطر محاسنه، و
أنشر بعد الممات جانبه :

[الوافر]

و ما شرّ الثلاثة أمّ عمرو بصاحبك الذى لا تصبحينا

فلم أذع واحدة إلا استجدتها، و لا حاشية إلا احتشدتها، و لا ضالة إلا نشدتها؛ و المجتهد فى هذا الغرض مقصر، و المطيل مختصر، إذ
ما ذكر لا نسبة بينه و بين ما أغفل، و ما جهل أكثر مما نقل، و بحار المدارك مسجورة، و غايات الإحسان على الإنسان محجورة؛ و
من أراد أن يوازن هذا الكتاب بغيره من الأوضاع فليأمل قصده، و يثير كامنه، و يبدي خبائه، تتضح له المكرمة، و لا تخفى عليه
التصفة، و يشاهد مجزى السيئة بالحسنة، و الإغراب عن الوصمة و الظنة، إذ الفاضل فى عالم الإنسان، من عدت سقطاته، فما ظنك
بمفضوله. و للمعاصر مزية المباشرة، و مزيد الخبرة، و داعى التشفى و المقارضة؛ و سع الجميع الستر، و شملهم البر، و نشرت جنازهم
لسقى الرحمة، و مثنى الشفاعة، إلا ما شدّ من فاسق أباح الشرع حماه، أو غادر وسمه الشؤم الذى جناه، فتختلّ عرضه عن تخليد مجد،
و تدوين فخر، و إبقاء ذكر، لمن لم يهّمه قطّ تحقيق اسم أبيه، و لم يعمل لما بعد يومه، فكم خلف مما ذكر فيه يجده بين يديه، شفيعا
فى زلّة، أو آخذا بضبع إلى رتبته، أو قائما عند ضيم بحجة؛ أو عانس يقوم لها مقام متاع و نحلة، أو غريب يحلّ بغير قطره فيفيده نحلة،
صاعد خدم قاعدا و نائما. و قد رضينا بالسلامة عن الشكر، و الإصغاء عن المثوبة، و التصفة عوض الحسرة، إذ الناس على حسب ما
سّطر و رسم، و لا حول و لا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

و الترتيب الذى انتهت إليه حيلتى، و صرفت فى اختياره مخيلتى، هو أنى ذكرت البلدة، حاظها الله، متبها منها على قديمها، و طيب
هوائها و أديمها، و إشراق علاها، و محاسن حلاها، و من سكنها و تولّاها، و أحوال أناسها، و من دال بها من

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٠

ضروب القبائل و أجناسها، و أعطيت صورتها، و أزحت فى الفخر ضرورتها، و ذكرت الأسماء على الحروف المبوبة، و فصلت
أجناسهم بالتراجم المترتبة، فذكرت الملوك و الأمراء، ثم الأعيان و الكبراء، ثم الفضلاء، ثم القضاة، ثم المقرئين و العلماء، ثم
المحدثين و الفقهاء، و سائر الطلبة النجباء، ثم الكتّاب و الشعراء، ثم العمّال الأثراء، ثم الزّهاد و الصّالحاء، و الصوفية و الفقراء، ليكون
الابتداء بالملك، و الاختتام بالمسك، و لينظم الجميع انتظام السلمك، و كلّ طبقة تنقسم إلى من سكن المدينة بحكم الأصالة و
الاستقرار، أو طرأ عليها مما يجاورها من الأقطار، أو خاض إليها و هو الغريب أثباج البحار، أو ألمّ بها و لو ساعة من نهار؛ فإن كثرت
الأسماء نوعت و توسّعت، و إن قلت اختصرت و جمعت. و آثرت ترتيب الحروف فى الأسماء، ثم فى الأجداد و الآباء، لشروذ الوفيات
و الموالييد، التى ربّتها الزمان عن الاستقصاء، و ذهبت إلى أن أذكر الرجل و نسبه و أصلته و حسبه، و مولده و بلده، و مذهبه و
أنحاله؛ و الفنّ الذى دعا إلى ذكره، و حليته و مشيخته، إن كان ممّن قيّد علما أو كتبه؛ و ماثره إن كان ممّن وصل الفضل بسببه؛ و
شعره إن كان شاعرا؛ و أدبه و تصانيفه، إن كان ممّن ألفت فى فن أو هدّبه؛ و محنته إن كان ممّن بزّه الدهر شيئا أو سلبه؛ ثم وفاته و
منقلبه، إذ استرجع الله من منحه حياته ما وهبه.

و جعلت هذا الكتاب قسمين، و مشتملا على فئتين: القسم الأول؛ «فى حلى المعاهد و الأماكن، و المنازل و المساكن». القسم الثانى؛
«فى حلى الزائر و القاطن، و المتحرّك و الساكن».

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١١

القسم الأول في حلى المعاهد والأماكن والمنازل والمسكن

إشارة

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٣

فصل في اسم هذه المدينة ووضعها على إجمال واختصار

بسم الله الرحمن الرحيم يقال غرناطة، ويقال إغرناطة، وكلاهما أعجمي، وهي مدينة كورة إلبيرة، فبينهما فرسخان وثلثا فرسخ. وإلبيرة من أعظم كور الأندلس، ومتوسّطة ما اشتمل عليه الفتح من البلاد، وتسمى في تاريخ الأمم السالفه من الروم، سنام الأندلس، وتدعى في القديم بقسطيلية. وكان لها من الشهرة والعمارة، ولأهلها من الثروة والعدّة، وبها من الفقهاء والعلماء، ما هو مشهور. قال أبو مروان بن حيّان: كان يجتمع بباب المسجد الجامع من إلبيرة خمسون حكمه، كلها من فضة لكثرة الأشراف بها. ويدلّ على ذلك آثارها الخالدة، وأعلامها الماثلة، كطلل مسجدها الجامع، الذي تحامى استطالته البلى، كسلت عن طمس معالمه أكفّ الردى، إلى بلوغ ما فسح له من المدى.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٤

بناه الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، أمير المؤمنين الخليفة بقرطبة، رحمه الله، على تأسيس حنش بن عبد الله الصيّنعاني الشافعي، رحمه الله، وعلى محرابه لهذا الوقت: «بسم الله العظيم، بنيت لله؛ أمر بينائها الأمير محمد بن عبد الرحمن، أكرمه الله، رجاء ثوابه العظيم؛ وتوسيعا لرعيته؛ فتمّ بعون الله على يدي عبد الله بن عبد الله، عامله على كورة إلبيرة في ذي قعدة سنة خمسین و مائتين».

ولم تزل الأيام تخيف ساكنها، والعفاء يتبوأ مساكنها، والفتن الإسلامية تجوس أماكنها، حتى شملها الخراب، وتقسّم قاطناتها الاغتراب، وكلّ الذى فوق التراب تراب. وانتقل أهلها مدة أيام الفتنة البربرية سنة أربعمائه من الهجرة، فما بعدها، ولجأوا إلى مدينة غرناطة، فصارت حاضرة الصّقع، وأمّ المصر، وبيضة ذلك الحقّ، لحصانة وضعها، وطيب هوائها، ودرور مائنها، وفور مدتها، فأمن فيها الخائف، ونظم النّشر، ورسخت الأقدام، وتأنل المصر، وهلمّ جرّا. فهى بالأندلس، قطب بلاد الأندلس، ودار الملك، وقرى الإمارة، أبقاها الله متبوأ الكلمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها بقدرته.

من «كتاب إلبيرة»، قال: بعد ذكر إلبيرة، وقد خلفها بعد ذلك كله مدينة غرناطة من أعظم مدنها وأقدمها، عندما انقلبت العمارة إليها من إلبيرة، ودارت أفلاك البلاد الأندلسية، فهى فى وقتنا هذا قاعدة الدنيا، وقرارة العليا، وحاضرة السلطان، وقبة العدل والإحسان. لا يعدلها فى داخلها ولا خارجها بلد من البلدان، ولا يضاهيها فى اتّساع عمارتها، وطيب قرارتها، وطن من الأوطان. ولا يأتى على حصر أوصاف جمالها، وعدّ أصناف جلالها، قلم البيان. أدام الله فيها العزّ للمسلمين والإسلام، وحرسها ومن اشتملت عليه من خلفائه، وأنصار لوائه، بعينه التى لا تنام، وركنه الذى لا يرام.

وهذه المدينة من معمور الإقليم الخامس، يبتدئ من الشرق، من بلاد ياجوج ومأجوج، ثم يمرّ على شمال خراسان، ويمرّ على سواحل الشام، ممّا يلي

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٥

الشمال، ويمرّ على بلاد الأندلس، قرطبة وإشبيلية وما والاها إلى البحر المحيط الغربى. وقال صاعد بن أحمد فى كتاب «الطبقات»:

إنّ معظم الأندلس في الإقليم الخامس، و طائفة منها في الإقليم الرابع، كمدينة إشبيلية، و مالقة، و غرناطة، و ألمرية و مرسية. و ذكر العلماء بصناعة الأحكام أنّ طالعتها الذي اختطت به السيرطان، و نحلوها، لأجل ذلك، مزايا، و حظوظا من السعادة، اقتضاها تسيير أحكام القرانات الانتقائية على عهد تأليف هذا الموضع.

و طولها سبع و عشرون درجة و ثلاثون دقيقة، و عرضها سبع و ثلاثون درجة و عشر دقائق. و هي مساوية في الطول بأمر يسير لقرطبة، و ميورقة، و ألمرية؛ و تقرب في العرض من إشبيلية، و ألمرية، و شاطبة و طرطوشة، و سردانية، و أنطاكية، و الرقة. كل ذلك بأقل من درجة. فهي شامية في أكثر أحوالها، قريبة من الاعتدال، و بينها و بين قرطبة، أعادها الله تعالى، تسعون ميلا. و هي منها بين شرق و قبله. و بحر الشام يحول و يحاجز بين الأندلس و بلاد العدو، و بين غرب و قبله على أربعة برد. و الجبال بين شرق و قبله، و البراجلات بين شرق و جوف، و الكنبائية بين غرب و قبله، و بين جوف و غرب، فهي لمكان جوار الساحل، ممارة بالبواكر الساحلية، طيبة البحار، و ركاب لجهاد البحر، و لمكان استقبال الجبال، المقصودة بالفواكه المتأخرة للحاق، معللة بالمدخرات،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٦

و لمكان استدبار الكنبائية و اضطبار البراجلات؛ بحر من بحور الحنطة، و معدن للحبوب المفضلة، و لمكان شلير، جبل الثلج، أحد مشاهير جبال الأرض، الذي ينزل به الثلج شتاء و صيفا، و هو على قبله منها على فرسخين؛ و ينساب منه ستة و ثلاثون نهرا من فوهات الماء، و تنبجس من سفوحه العيون، صحّ منها الهواء، و اضطردت في أرجائها و ساحاتها المياه، و تعددت الجنات بها و البساتين، و التفت الأدواح، و شمّر الرّود على منابت العشب في مظانّ العقار مستودعات الأدوية و الترياقية. و بردها لذلك في المنقلب الشتوى شديد، و تجمد بسببه الأدهان و المائعات، و يتراكم بساحاتها الثلج في بعض السنين، فجسوم أهلها لصحة الهواء صلبة، و سحانهم خشنة، و هضومهم قوية، و نفوسهم لمكان الحرّ الغريزي جريّة.

و هي دار منعة و كرسى ملك، و مقام حصانة. و كان ابن غانية يقول للمرابطين في مرض موته، و قد عوّل عليها للامتسك بدعوتهم: الأندلس درقة، و غرناطة قبضتها؛ فإذا جسّتم يا معشر المرابطين القبضة، لم تخرج الدرقة من أيديكم.

و من أبداع ما قيل في الاعتذار عن شدة بردها، ما هو غريب في معناه، قول شيخنا القاضي أبي بكر بن شبرين رحمه الله: [الطويل]

رعى الله من غرناطة متبوءايسرّ كنيبا أو يجير طريدا

تبرّم منها صاحبي عندما رأى مسارحها بالبرد عدن جليدا

هي الثغر صان الله من أهلت بهو ما خير ثغر لا يكون برودا؟

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٧

و قال الرّازي عند ذكر كورة البيرة: و يتصل بأحواز قبرة كورة البيرة، و هي بين الشرق و القبلة، و أرضها سقى غزيرة الأنهار، كثيرة الثمار، ملتفة الأشجار، أكثرها أدواح الجوز، و يحسن فيها قصب السكر؛ و لها معادن جوهريّة من ذهب، و فضة، و رصاص، و حديد. و كورة البيرة أشرف الكور، نزلها جند دمشق. و قال: لها من المدن الشريفة مدينة قسطلية، و هي حاضرة البيرة، و فحصها لا يشبه بشيء من بقاع الأرض طيبا و لا شرفا إلّا بالغوطة؛ غوطة دمشق.

و قال بعض المؤرخين: و من كرم أرضنا أنها لا تعدم زريعة بعد زريعة؛ و رعا بعد رعى، طول العام؛ و في عمالتها المعادن الجوهريّة من الذهب، و الفضة، و الرصاص، و الحديد، و التوتيا. و بناحية دلاية من عملها، عود اليلنجوج، لا يفوقه العود الهندي ذكا و عطر رائحة. و قد سيق منه لخيران صاحب ألمرية أصل كان منبته بين أحجار هناك. و بجبل شلير منها سنبل فائق الطيب، و به الجنطيانا، يحمل منه إلى جميع الآفاق، و هو عقير رفيع، و مكانه من الأدوية الترياقية مكانه. و به المرقشينة على اختلافها، و اللّازورد. و بفحصها و ما يتصل به القمرز. و بها من العقار و الأدوية النباتية و المعدنية ما لا يحتمل ذكرها الإيجاز. و كفى بالحرير الذي فضلت به فخرا و قيته، و غلبه شريفة، و فائدة عظيمة، تمتاره منها البلاد، و تجلبه الرفاق، و فضيلة لا يشاركها فيها إلّا البلاد العراقية. و فحصها الأفيح،

المشبه بالغوطة

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٨

الدمشقية، حديث الزكاب، و سمر الليالي، قد دحاه الله في بسيط سهل تخترقه المذانب، و تتخلله الأنهار جداول، و تتزاحم فيه القرى و الجنات، في ذرع أربعين ميلا- أو نحوها، تنبو العين فيها عن وجهه؛ و لا- تتخطى المحاسن منها إلّا مقدار رقعة الهضاب، و الجبال المتطامية منه بشكل ثلثي دائرة، قد عرت منه المدينة فيما يلي المركز لجهة القبلة، مستندة إلى أطواد سامية، و هضاب عالية، و مناظر مشرفة؛ فهي قيد البصر، و منتهى الحسن، و معنى الكمال، أضى الله عليها، و على من بها من عباده المؤمنين جناح ستره، و دفع عنهم عدو الدين بقدرته.

فصل في فتح هذه المدينة و نزول العرب الشاميين من جند دمشق بها و ما كانت عليه أحوالهم، و ما تعلق بذلك من تاريخ

قال المؤلف: اختلف المؤرخون في فتحها؛ قال ابن القوطية: إن يليان الرومي الذي ندب العرب إلى غزو الأندلس طلبا لوتره من ملكها لذريق بما هو معلوم، قال لطارق بن زياد مفتتحها عندما كسر جيش الروم على وادي لكه: قد فضضت جيش القوم و دوخت حاميتهم، و صيرت الرعب في قلوبهم، فاصمد لبيضتهم؛ و هؤلاء أدلاء من أصحابي، ففرق جيوشك في البلدان بينهم، و اعمد أنت إلى طليطلة بمعظمهم، و أشغل القوم عن النظر في أمرهم، و الاجتماع إلى وليّ رأيهم.

قال: ففرق طارق جيوشه من إستجة؛ فبعث مغيث الرومي، مولى الوليد بن عبد الملك بن مروان إلى قرطبة؛ و بعث جيشا آخر إلى مالقة؛ و أرسل

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٩

جيشا ثالثا إلى غرناطة مدينة البيرة؛ و سار هو في معظم الناس إلى كورة جتان يريد طليطلة. قال: فمضى الجيش الذي وجه طارق إلى مالقة ففتحها، و لجأ علوجها إلى جبال هناك ممتعة. ثم لحق ذلك الجيش بالجيش المتوجه إلى البيرة، فحاصروا مدينتها، و فتحوها عنوة؛ و ألفوا بها يهودا ضمّوهم إلى قصبه غرناطة؛ و صار لهم ذلك سنة متبعة، متى وجدوا بمدينة فتحوها يهودا، يضمّونهم إلى قصبته، و يجعلون معهم طائفة من المسلمين يسدّونها. ثم مضى الجيش إلى تدمير.

و كان دخول طارق بن زياد الأندلس يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة اثنتين و تسعين. و قيل في شعبان، و قيل في رمضان، بموافقة شهر غشت من شهور العجمية.

و ذكر معاوية بن هشام و غيره: أن فتح ما ذكر تأخر إلى دخول موسى بن نصير في سنة ثلاث و تسعين. فتوجه ابنه عبد الأعلى في جيش إلى تدمير فافتتحها، و مضى إلى البيرة فافتتحها، ثم توجه إلى مالقة.

قال المؤلف رحمه الله: ولما استقر ملك الإسلام بجزيرة الأندلس، و رمى إلى قصبته الفتح، و اشرب في عرصاتها الدين، و نزلت قرطبة و سواها العرب، فتبوؤوا الأوطان، و عمروا البلدان، فالداخلون على يد موسى بن نصير يسمون بالبلديين، و الداخلون بعضهم مع بلج بن بشر القشيري، يسمون بالشاميين. و كان دخول بلج بن بشر القشيري بالطالعة البلجية سنة خمس و عشرين و مائة.

و لما دخل الشاميون مع أميرهم بلج، حسبما تقرّر في موضعه، و هم أسود الشرى عزة و شهامة، غصّ بهم السابقون إلى الأندلس، و هم البلديون، و طالبوهم بالخروج عن بلدتهم الذي فتحوه، و زعموا أنه لا يحملهم و إياهم، و اجتمعوا لغزوهم، فكانت الحروب تدور بينهم، إلى أن وصل الأندلس أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي، عابرا إليها البحر من ساحل تونس، و أظّل على قرطبة على حين غفلة، و قد

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٠

ستر خبر نفسه، و الحرب بينهم، فانقاد إليه الجميع بحكم عهد مدينه حنظلة بن صفوان والي إفريقية، و قبض على وجوه الشاميين

عازما عليهم في الانصراف حسبما هو مشهور؛ و رأى تفريق القبائل في كور الأندلس، ليكون أبعد للفتنة، ففرّقهم، و أقطعهم ثلث أموال أهل الدّمة، الباقيين من الرّوم، فخرج القبائل الشاميون عن قرطبة.

قال أبو مروان: أشار على أبي الخطار، أرباس قومن الأندلس، و زعيم عجم الدّمية، و مستخرج خراجهم لأمرء المسلمين - و كان هذا القومس شهير العلم و الدهاء - لأول الأمر، بتفريق القبائل الشاميين العلمين عن البلد، عن دار الإمارة قرطبة، إذ كانت لا تحملهم، و إنزالهم بالكور، على شبه منازلهم التي كانت في كور شامهم، ففعل ذلك على اختيار منهم؛ فأنزل جند دمشق كورة البيرة، و جند الأردن كورة جيان، و جند مصر كورة باجة، و بعضهم بكورة تدمير؛ فهذه منازل العرب الشاميين؛ و جعل لهم ثلث أموال أهل الدّمة من العجم طعمة؛ و بقى العرب و البلديون و البرابر شركاؤهم؛ فلما رأوا بلدانا شبه بلدانهم بالشام، نزلوا و سكنوا و اغتبطوا و كبروا و تمّولوا، إلّا من كان قد نزل منهم لأول قدومه في الفتوح على عنائهم موضعا رضيا، فإنه لم يرتحل عنه، و سكن به مع البلديين. فإذا كان العطاء أو حضر الغزو و لحق بجنده، فهم الذين كانوا سموا الشّادة حينئذ.

قال أحمد بن موسى: و كان الخليفة يعقد لواءين، لواء غازيا، و لواء مقيما؛ و كان رزق الغازي بلوائه مائتي دينار. و يبقى المقيم بلا رزق ثلاثة أشهر؛ ثم يدال بنظيره من أهله أو غيرهم. و كان الغزاة من الشّاميين مثل إخوة المعهود له أو بنيه أو بنى عمّه، يرزقون عند انقضاء غزاته عشرة دنانير؛ و كان يعقد المعقود له مع القائد؛ يتكشّف عمّن غزا، و يستحقّ العطاء، فيعطى على قوله تكرمه له؛ و كانت خدمتهم في العسكر، و اعتراضهم إليه؛ و كان من الشّاميين غازيا من غير بيوتات العقد، ارتزق خمسة دنانير عند انقضاء الغزو. و لم يكن يعطى أحد من البلديين شيئا غير المعقود له؛ و كان البلديون أيضا يعقد لهم لواءان؛ لواء غاز، و لواء مقيم؛ و كان يرتزق الغازي الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢١

مائة دينار وازنه؛ و كان يعقد لغيره إلى ستة أشهر، ثم يدال بنظيره من غيرهم؛ و لم يكن الدّيوان و الكتبة إلّا في الشّاميين خاصّة؛ و كانوا أحرارا من العشر، معدّين للغزو، و لا يلزمهم إلّا المقاطعة على أموال الرّوم التي كانت بأيديهم؛ و كان العرب من البلديين يؤدّون العشر، مع سائر أهل البلد، و كان أهل بيوتات منهم يغزون كما يغزو الشّاميون، بلا عطاء، فيصيرهم إلى ما تقدّم ذكره. و إنما كان يكتب أهل البلد في الغزو؛ و كان الخليفة يخرج عسكرين، إلى ناحيتين، فيستزلهم؛ و كانت طائفة ثالثة يسمّون النظراء من الشّاميين و البلديين، كانوا يغزون كما يغزو أهل البلد من الفريقين.

و قد بيّنا نبذة من أحوال هؤلاء العرب. و الاستقصاء يخرج كتابنا عن غرضه، و الإحاطة لله سبحانه.

ذكر ما آل إليه حال من ساكن المسلمين بهذه الكورة من النصارى المعاهدين على الإيجاز و الاختصار

قال المؤلف: و لما استقرّ بهذه الكورة الكريمة أهل الإسلام، و أنزل الأمير أبو الخطار قبائل العرب الشّاميين بهذه الكورة، و أقطعهم ثلث أموال المعاهدين، استمرّ سكناهم في غمار من الروم؛ يعالجون فلاحه الأرض، و عمران القرى، يرأسهم أشياخ من أهل دينهم، أولو حنكة و دهاء و مداراة، و معرفة بالجباية اللازمة لرؤوسهم.

و أحدهم رجل يعرف بابن القلاس، له شهرة وصيت، و جاء عند الأمراء بها. و كانت لهم بخارج الحضرة، على غلوتين، تجاه باب البيرة في اعتراض الطريق إلى قولجر، كنيسة شهيرة، اتخذها لهم أحد الزعماء من أهل دينهم، استركبه بعض أمرائها في جيش خشن من الروم، فأصبحت فريدة في العمارة و الحلية؛ أمر بهزمها الأمير يوسف بن تاشفين، لتأكّد رغبة الفقهاء، و توجه فتواهم. قال ابن الصّيرفي: خرج أهل الحضرة لهدمها يوم الاثنين عقب جمادى الآخرة من عام اثنين و تسعين و أربعمائه، فصيرت للوقت قاعا، و ذهب كلّ يد بما أخذت من أنقاضها و آلاتها.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٢

قلت: و مكانها اليوم مشهور، و جدارها مائل ينبئ عن إحكام و أصالة، و على بعضها مقبرة شهيرة لابن سهل بن مالك، رحمه الله.

ولما تحركت لعدو الله الطاغية ابن رذمير ربح الظهور، على عهد الدولة المرابطية، قبل أن يخضد الله شوكته على إفراغه بما هو مشهور، أملت المعاهدة من النصارى لهذه الكورة إدراك الثرة، و أطمعت في المملكة، فخطبوا ابن رذمير من هذه الأقطار، و تواتر عليه كتبهم و تواترت رسالهم، ملحة بالاستدعاء مطعمه في دخول غرناطة، فلما أبطأ عنهم، وجهوا إليه زماما يشتمل على اثني عشر ألفا من أنجاد مقاتليهم، لم يعدوا فيها شيئا ولا غزا، و أخبروه أن من سمّوه، ممن شهرت أعينهم لقرب مواضعهم، و بالبعد من يخفى أمره، و يظهر عند ورود شخصه، فاستأثروا طمعه و ابتعثوا جشعه، و استفزّوه بأوصاف غرناطة، و ما لها من الفضائل على سائر البلاد و بفحصها الأفيح، و كثرة فوائدها من القمح و الشعير، و الكتّان، و كثرة المرافق، من الحرير و الكروم، و الزيتون، و أنواع الفواكه، و كثرة العيون و الأنهار، و منعة قبتها و انطباع رعيتها، و تأتي أهل حاضرتها، و جمال إشرافها و إطلالها، و أنها المباركة التي يمتلك منها غيرها، المسماة سنام الأندلس عند الملوك في تواريخها، فرموا حتى أصابوا غربه، فانتخب و أحشد، و تحرك أول شعبان من عام خمسة عشر و خمسمائة و قد أخفى مذهبه، و كتم أربه، فوافى بلنسية، ثم إلى مرسية، ثم إلى بيرة، ثم اجتاز بالمنصورة ثم انحدر إلى برشانه، ثم تلوم إلى وادي ناطلة. ثم تحرك إلى بسطة، ثم إلى وادي آش، فنزل بالقرية المعروفة بالقصر و صافح المدينة بالحرب، و لم يحل بطائل، فأقام عليها شهرا.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٣

قال صاحب كتاب «الأنوار الجلية»: فبدأ بحث المعاهدة بغرناطة في استدعائه، فافتضح تدبيرهم باجتلابه، و هم أميرها بتتقيفهم، فأعياهم ذلك، و جعلوا يتسللون إلى محلته على كل طريق، و قد أحذقت جيوش المسلمين من أهل العدو و الأندلس بغرناطة، حتى صارت كالدائرة، و هي في وسطها كالتقطعة، لما أنذروا بغرضه؛ و تحرك من وادي آش فنزل بقرية دجمه؛ و صلى الناس بغرناطة صلاة الخوف، يوم عيد النحر من هذه السنة في الأسلحة و الأبهة؛ و بعيد الظهر من غده، ظهرت أخبية الروم بالليل شرق المدينة، و توالى الحرب على فرسخين منها، و قد أجلي السواد، و تراحم الناس بالمدينة، و توالى الجليد، و أظلت الأمطار. و أقام العدو بمحلته بضع عشرة ليلة لم تسرح له سارحة، إلما أن المعاهدة تجلب له الأقوات؛ ثم أقلع و قد ارتفع طعمه عن المدينة، لأربع بقين من ذي الحجة عام عشرين، بعد أن تفرغ مستدعيه إليها، و كبيره يعرف بابن القلاس، فاحتجوا ببطئه و تلومه حتى تلاحقت الجيوش، و أنهم قد وقعوا مع المسلمين في الهلكة، فرحل عن قرية مرسانه إلى بيش، و من الغد إلى السكة من أحواز قلعة يحصب ثم اتصل إلى لدويانه، و نكب إلى قبرة و اللسانه، و الجيوش المسلمة في أذياله.

و أقام بقبرة أياما، ثم تحرك إلى بلاى و العساكر في أذياله، و شيجه في فحص الزنيسول مكافحه في أثنائها، و مناوشه، و ظهورا عليه.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٤

ولما جن الليل، أمر أميرهم برفع خبائه من و هده كان فيها إلى نجد، فساءت الظنون، و اختل الأمر، ففرّ الناس و أسلموا، و تهيب العدو المحلّة، فلم يدخلها إلّا بعد هداه من الليل و استولى عليها. و تحرك بعد الغد منها إلى جهة الساحل فشقّ العمامة الآمنة من الإقليم و الشارات، فيقول بعض شيوخ تلك الجهة:

إنه اجتاز بوادي شلوبانية المطلّ الحافات، و المتحصن المجاز، و قال بلغته: أى قبر هذا لو ألفتنا من يصبّ علينا التراب! ثم عرج يمينه حتى انتهى إلى بلش، و أنشأ بها جفنا صغيرا يصيد له حوتا، أكل منه كأنه نذر كان عليه، و فنى به، أو حديث أراد أن يخلد عنه، ثم عاد إلى غرناطة، فاضطرب بها محلته بقرية ذكر، على ثلاثة فراسخ منها قبله، ثم انتقل بعد ذلك بيومين إلى قرية همدان، و برز بالكتب جاعرسة من المدينة، و كان بينه و بين عساكر المسلمين واقعة عظيمة؛ و لأهل غرناطة بهذا الموضوع حدثان ينظرونه من القضايا المستقبلية.

قال ابن الصّيرفي: و قد ذكر في بعض كتب الجفر: «هذا الفحص، بخراب يجبي عن يتامى و أيامى». و كان هذا اليوم معرّضا لذلك، فوقى الله؛ و انتقل بعد يومين إلى المرج مضيقا عليه و الخيل تخرجه، فنزل بعين أطسه، و الجيوش محدقة به، و هو في نهاية من كمال

التعبئة، وأخذ الحذر، بحيث لا تصاب فيه فرصة؛ ثم تحرك على البراجلات، إلى اللقوق، إلى وادي آش، وقد أصيب كثير من حاميته؛ وطوى المراحل إلى الشرق؛ فاجتاز إلى مرسية، إلى جوف شاطبة، والعساكر في كل ذلك تطأ أذياله، والتناوش يتخطر به، والوباء يسرع إليه، حتى لحق بلاده، وهو ينظر إلى قفاه، مخترما، مفلولا من غير حرب، يكاد الموت يستأصل محلته وجملته. ولما بان للمسلمين من مكيدة جيرانهم المعاهدين، ما أجلت عنه هذه القضية، أخذهم الإرجاف، وغرت لهم الصدور. ووجه إلى مكانهم الحزم، ووجه القاضي

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٥

أبو الوليد بن رشد الأجر، وتجشم المجاز، ولحق بالأمير علي بن يوسف بن تاشفين بمراكش، فبين له أمر الأندلس، وما منيت به من معاهدها، وما جنوه عليها من استدعاء الزوم، وما في ذلك من نقض العهد، والخروج عن الذمة، وأفتى بتغريبهم، وإجلالهم عن أوطانهم وهو أخف ما يؤخذ به من عقابهم؛ وأخذ بقوله، ونفذ بذلك عهده، وأزعج منهم إلى بر العدو، في رمضان من العام المذكور، عدد جم، أنكرتهم الأهواء، وأكلتهم الطرق، وتفرقوا شذر مذر، وأصاب كثير من الجلاء جمعهم من اليهود؛ وتقاعدت بها منهم طائفة، هبت لها بممالة بعض الدول ربح، فأمروا وأكثروا إلى عام تسعة وخمسين وخمسائة، ووقعت فيهم وقعة احتشمتهم، إلا صابة لهذا العهد قليلة، قديمة المذلة، وحالفت الصغار. جعل الله العاقبة لأولياؤه.

ذكر ما ينسب إلى هذه الكورة من الأقاليم التي نزلتها العرب بخارج غرناطة، وما يتصل بها من العمالة

فصل فيما اشتمل عليه خارج المدينة من القرى والجنات والجهات

قال المؤلف رحمه الله: ويحف بسور هذه المدينة المعصومة بدفاع الله تعالى، البساتين العريضة المستخلصة، والأدواح الملتفة، فيصير سورها من خلف ذلك كأنه من دون سياج كثيفة، تلوح نجوم الشرفات أثناء خضرائه، ولذلك ما قلت فيه في بعض الأغراض: [الكامل]

بلد تحف به الرياض كأنه وجه جميل والرياض عذاره
و كأنما واديه معصم غادة من الجسور المحكمات سواره
فليس تعرى عن جنباته من الكروم والجنات جهة، إلا ما لا عبرة به مقدار غلوة، أما ما حازه السفلى من جوفيه، فهي عظمة الخطر، متناهية القيم، يضيق جده

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٦

من عدا أهل الملك، عن الوفاء بأثمانها، منها ما يغل في السنة الواحدة نحو الألف من الذهب، قد غصت الدكاكين بالخضر الناعمة، والفواكه الطيبة، والثمر المدخرة، يختص منها بمستخلص السلطان، المرور طوقا على ترائب بلده ما بينهن منية؛ منها الجنة المعروفة بفدان الميسة، والجنة المعروفة بفدان عصام، والجنة المعروفة بالمعروى، والجنة إلى المنسوبة إلى قذاح بن سحنون، والجنة المنسوبة لابن المؤذن، والجنة المنسوبة لابن كامل، وجنة النخلة العليا، وجنة النخلة السفلى، وجنة ابن عمران، والجنة التي إلى نافع، والجرف الذي ينسب إلى مقبل، وجنة العرض، وجنة الحفرة، وجنة الجرف، ومدرج نجد، ومدرج السبيكة، وجنة العريف: كلها لا نظير لها في الحسن والدمانة والربيع، وطيب التربة، وقرقد السيقا، والتفاف الأشجار، واستجادة الأجناس، إلى ما يجاورها و يتخللها، مما يختص بالأجاس الموقفة، والجنات المتملكة، وما يتصل بها بوادي سنجيل ما يقيد الطرف، ويعجز الوصف، قد مثلت منها على الأنهار المتدافعة العباب، المنارة والقباب، واختصت من أشجار العاريات ذات العصير الثاني بهذا الصقع، ما قصرت عنه الأقطار. وهذا الوادي من محاسن هذه الحضرة، ماؤه رقيق من ذوب الثلج، ومجاغة الجليد، وممره على حصى جوهرية، بالنبات والظلال محفوفة، يأتي من قبله علام البلد إلى غربه، فيمر بين القصور التجديدة، ذوات المناصب الرفيعة، والأعلام الماثلة.

و لأهل الحضرة بهذه الجنات كلف، و لذوى البطالة فوق نهره أريك من دمث الرمل، و حجال من ملتف الدوح، و كان بها سطر من شجر الحور؛ تنسب إلى مامل، أحد خدام الدولة الباديسية، أدركنا المكان، يعرف بها.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٧

قال أبو الحجاج يوسف بن سعيد بن حسان: [الطويل]

أحنّ إلى غرناطة كلما هفت نسيم الصبا تهدى الجوى و تشوق

سقى الله من غرناطة كل منهل بمنهل سحب ماؤهن هريق

ديار يدور الحسن بين خيامها و أرض لها قلب الشجي مشوق

أغرناطة العليا بالله خبى ألهائم الباكي إليك طريق؟

و ما شاقنى إلا نضارة منظرو بهجة واد للعيون تروق

تأمل إذا أملت حوز مؤمل و مدّ من الحمرا عليك شقيق

و أعلام نجد و السبيكة قد علت و للشفق الأعلى تلوح بروق

و قد سلّ شئيل فرندا مهندانضى فوق درّ ذرّ فيه عقيق

إذا نمّ منه طيب نشر أراكه أراك فتيت المسك و هو فتيق

و مهما بكى جفن الغمام تبسمت ثغور أقاح للرياض أنيق

و لقد ولعت الشعراء بوصف هذا الوادى، و تغالت الغالات فيه، فى تفضيله على النيل بزيادة الشين، و هو ألف من العدد، فكأنه نيل بألف ضعف، على عادة متناهى الخيال الشعري؛ فى مثل ذلك.

و لقد ألغزت فيه لشيخنا أبى الحسن بن الجيّاب، رحمه الله، و قد نظم فى المعنى المذكور ما عظم له استطرابه و هو: [البسيط]

ما اسم إذا زدته ألفا من العدد أفاد معناه لم ينقص و لم يزد

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٨ و إنما ائتلفا من بعد ما اختلفا معنى بشين و من نزر و من بلد

ثم يتصل بالحسن العادى البديع، و هو على قسمين، خمس من محكم الكدان فى نهاية الإبداع و الإحكام، يتصل به بناء قديم محكم، و يستقبل الملعب، العيدى، ما بين ذنابى الجسر إلى جدار الرابطة، و ملعب بديع الشكل، عن يمينه جناح بديع، عن ميدانه عدوات النهر، و عن يساره الجنّات، و يفضى بعد انتهائه إلى الرابطة، إلى باب القصر المنسوب إلى السيد، و سيأتى ذكره؛ و يرتفع من هذا النهر الزلال جداول، تدور بها أعداد من الأرحى لا نظير لها استعدادا و إفادة.

فصل

و تركب ما ارتفع من هذه المدينة من جهاتها الثلاث، الكروم البديعة، طوقا مرقوما، يتصل بما وراءها من الجبال، فتعمّ الرّبى و الوهاد، و تشمل الغور و النّجد، إلّا ما اختصّ منها بالسهل الأفح، متصلا بشرقى باب البيرة، إلى الخندق العميق، و هو المسمّى «بالمشايع»، بسيط جليل، و جوّ عريض، تغمى على العدّ أمراجه و مصانيعه، تلوح مبانيها، ناجمة بين الثّمار و الزيتون، و سائر ذوات الفواكه، من اللّوز و الإجاص و الكمثرى، محدقة من الكروم المسحّة، و الرياحين الملتفة، ببحور طامية تأتي البقعة الماء؛ ففيها كثير من البساتين و الرياض، و الحصون، و الأملاك المتصلة السكنى، على الفصول؛ و إلى هذه الجهة يشير الفقيه القاضى، أبو القاسم بن أبى العافية، رحمه الله، فى قصيدة، يجب بها عروس الشعراء، الأديب الرّحال أبى إسحاق الساحلى، و كان ممّن نيّطت عليه بهذا العهد، التّمام:

[الكامل]

يا نازحا لعب المطى بكوره لعب الرّياح الهوج بالأملود

و رمت به للطية القصوى التي ما وردها لسواه بالمورود
هلا حننت إلى معاهدنا التي كنت الحلّي لنحرها و الجيد؟
و رياض أنس بالمشايخ طارحت فيه الحمائم صوت سجع العود
و مبيتنا فيها و صفو مدامناصفو المودّة لابنة العنقود
و العيش أخضر و الهوى يدني جنى زهرات ثغر أو ثمار نهود
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٩ و القضب رافلة يعانق بعضها بعضا إذا اعتنقت غصون قدود
لهفى على ذاك الزمان و طيبه و على مناه و عيشه المحسود
تلك الليالي لا ليالي بعدها عطنن إلّا من جوى و سهود
كانت قصارا ثم طلن ففيتها تأتي على المقصور و الممدود

و أما ما استند إلى الجبل، فيتصل به البيازين في سفح الجبل، المتصل بالكديّة ابن سعد، متّصلا بالكديّة المبصلة، المنسوبة لعين الدّمع ، منعطفة على عين القبلة، متصلة بجبل الفخار ، ناهلة في غمر الماء المجلوب على ذلك السّمت؛ أوضاع بديعة، و بساتين رائقة، و جنّات لا نظير لها، في اعتدال الهواء، و عذوبة الماء، و الإشراف على الأرجاء، ففيها القصور المحروسة، و المنارة المعمورة، و الدّور العالية، و المباني القصبيّة ، و الرياحين النّضيرة، قد فضّ فيها أهل البطالة، من أولى الحبرة، الأكياس، و أرخصوا على النفقة عليها، غالى النّشب ، تتنازع في ذلك غير الخادمين، من خدّام الدولة على مرّ الأيام، حتى أصبحت نادرة الأرض، و المثل في الحسن. و لهذه البقعة ذكر يجري في المنظومات على ألسنة البلغاء من ساكنيها و زوّارها؛ فمن أحسن ما مرّ من ذلك قول شيخنا أبي البركات :
[الطويل]

ألا قل لعين الدمع يهيمى بمقلتي لفرقة عين الدمع وقفا على الدّم
و ذكرته في قصيدة فقلت: [الكامل]

يا عهد عين الدمع، كم من لؤلؤ للدمع جاد به عساک تعود!
تسرى نواسمك اللدان بليلة فيهزّنى شوق إليك شديد

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٠

و قلت من أبيات تكتب في قبة بقصرى الذى اخترعته بها: [الطويل]

إذا كان عين الدمع عينا حقيقة فإنسانها ما نحن فيه و لادع
فدام لخيّل الأنس و اللّهو ملعبا و لا زال مثواه المنعم مرتع
تودّ الثريا أن تكون له ثرى و تمدحه الشّعري و تحرسه ألمع
و قال صاحبنا الفقيه أبو القاسم بن قطبة من قصيدة: [الطويل]
أجل إن عين الدمع قيد التّواظر فسرح عيوننا فى اجتلاء التّواظر
و عزّج على الأوزان إن كنت ذا هوى فإنّ رباه مرتع للجآذر
و صافح بها كفّ البهار مسلّموا قبل عذار الأنس بين الأزاهر
و خذها على تلك الأباطح و الرّبي معتقة تجلو الصّدا للخواطر
مدامة حان أنسى للدهر عمرها فلم تخش أحداث الدّهور الدّوائر
تحدّث عن كسرى و ساسان قبله و تخبر عن كرم يخلّد دائر
و هى طويلة. و قال أيضا من قصيدة طويلة: [الطويل]

و ليلا بعين الدمع وصلا قطعتهو أنجمه بين النجوم سعود
 ترى الحسن منشور اللواء بسرّه وظلّ الأمانى فى رباه مديد
 فبتنا و من روض الخدود أزهردينا و من ورد الرياض خدود
 و تفاحنا وسط الرياض مورّدو رماننا وسط الصدور نهود
 و قد عرفت نصّ الهوى و ذميله تهائم من أكبادنا و نجود
 و قال من قصيدة: [البيسط]

و مل بنا نحو عين الدمع نشربها حيث السرور بكأس الأنس يسقيني
 حيث المنى و فنون اللّهُو راتعهو الطير من طرب فيها تناجيني
 و جدول الماء يحكى فى أجنته صوارما جرّدت فى يوم صفين
 و أعين الزهر فى الأغصان جاحظة كأنها بهوى الغزلان تغريني
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣١
 و من ذلك: [الطويل]

سهرت بعين الدمع أرى ربوعه و حسبي من الأحباب رعى المنازل
 ينافحنى عرف إذا هبت الصبا و يقنعنى طيف الحبيب المراسل
 و الأفاويل فى ذلك أكثر من أن يحاط بها كثرة، و ما سوى هذه الجهة فغير لاحق بهذه الزتبه، مما معوله على محض الفائدة و صريح
 العائده. و تذهب هذه الغروس المغروسه قبله، ثم يفيض تيارها إلى غرب المدينه، و قد تركت بها الجبال الشاهقه، و السفوح العريضة،
 و البطون الممتده، و الأغوار الخائفة، مكلّله بالأعنان، غاصه بالأدواح، متراحمه بالبيوت و الأبراج، بلغ إلى هذا العهد عددها فى ديوان
 الخرص، إلى ما يناهز أربعة عشر ألفا، نقلت ذلك من خطّ من يشار إليه فى هذه الوظيفة؛ و قاها الله مضرّة السنين، و دفع عنها عباب
 القوم الظالمين، و عدوان الكافرين.

فصل

و يحيط بما خلف السور من المنى، و الجنّات، فى سهل المدينه، العقار الثمين، العظيم الفائدة، المتعاقبه الغلّه، الذى لا يعرف الجمام،
 و لا- يفارق الزرع من الأرض البيضاء، ينتهى ثمن المرجع منها العلى، إلى خمسّه و عشرين ديناراً من الذهب العين، لهذا العهد فيه
 مستخلص السلطان، ما يضيق عنه نطاق القيمة، ذرعا و غبطه و انتظاما؛ يرجع إلى دور نجمه، و بروج ساميه، و بيادر فسيحه، و قصاب
 للحمام و الدّواجن مائله، منها فى طوق البلد، و حمى سورها، جملة؛ كالدار المنسوبه إلى هذيل، و الدار المنسوبه إلى أم مرضى، و
 الدار البيضاء، و الدار المنسوبه إلى السّنينات، و الدار المعروفه بنبله و وتر؛ و بالمرج ما يساير جريه التهر كقرية و كروها حصن خريز،
 و بستان و بشر عيون، و الدار المنسوبه إلى خلف، و عين الأبراج، و الحشّ المنسوب إلى الصّحاب؛ و قرية رومه و بها حصن و بستان،
 و الدار المنسوبه إلى العطشى، و بها حصن؛ و الدار المنسوبه لابن جزى، و الحشّ المنسوب لأبى على؛ و قرية ناجره، و منها فضل بن
 مسلمه الحسنى، و بها حصن، و حوله

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٢

ربض، فيه من الناس أمه؛ و قرية سنيانه و فيها حصن؛ و قرية أشكر؛ و قريتي بيش و واط، و بهما حصنان؛ و قرية واط عبد الملك بن
 حبيب. و فى هذه القرى الجمل الضخمه من الرجال؛ و الفحول من الحيوان الحارث لآثار الأرض؛ و علاج الفلاحه؛ و فى كثير منها
 الأرحى و المساجد. و ما سوى هذه من القرى، المستخلص من فضله الإقطاع، و قصرته به الشهرة عن هذا التّمط، فكثير.

و يتخلل هذا المتاع الغيظ الذي هو لباب الفلاحة، و غير هذه المدرة الطيبة؛ سائر القرى التي بأيدي الرعية، مجاورة لهذه الحدود، و بنات لهذه الأمهات.

منها ما انبسط و تمدد، فاشترك فيه الألوفا من الخلق، و تعددت منه الأشكال؛ و نحن نوقع الاسم منه على البقعة من غير ملاحظة للتعدد. و منها ما انفرد بمالك و اثنين فصاعدا، و هو قليل؛ و تنيف أسماؤها على ثلاثمائة قرية ما عدا ما يجاور الحضرة من كثير من قرى الإقليم أو ما استضافته حدود الحصون المجاورة. فمن ذلك:

حوز الساعدين و فيه القرى. و حوز وتر، و منها إبراهيم بن زيد المحاربي.

و قرية قلجار. و قرية ياجر الشاميين. و قرية ياجر البلديين. و قرية قشتالة، و منها قاسم بن إمام من أصحاب سحنون، و نزل بها جدّه عطية بن خالد المحاربي. و قرية أججر. و قرية أرملة الكبرى. و قرية أرملة الصغرى. و قرية رقاق و همدان، منها الغريب بن يزيد السمر، جدّ بنى أضحى. و قرية الغيظون. و قرية لسانة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٣

و حارة الجامع. و حارة الفراق. و قرية غرليانة. و حشّ البكر. و غدير الصغرى و غدير الكبرى، من إقليم البلاط، منها يربوع بن عبد الجليل، و نزل بها جدّه يربوع بن عبد الملك بن حبيب. و قرية قولر. و قرية جريانة. و قرية حارة عمروس.

و حشّ الظلم. و قرية المطار. و قرية الصرمورثة. و قرية بلسانة. و قرية الحبشان. و قرية الشوش. و قرية عرتقة. و قرية جيجانة. و قرية السيجة. و قنب قيس. و قرية بردنار. و قرية دوير تارش. و قرية آقله. و قرية أحجر.

و قرية تجرجر. و قرية والة. و قرية أنقر. و قرية الغروم. و قرية دار و هدان.

و قرية بيرة. و قرية القصيبة. و قرية أنطس. و قرية فنتيلان. و قرية سنبودة.

و حشّ زنجيل. و قرية أشر. و قرية غسيان، منها مطر بن عيسى بن الليث. و قرية شوذر. و قرية سنتشر. و قرية ابن ناطح. و قرية الملاحه، و منها محمد بن عبد الواحد الغافقي أبو القاسم الملاحى. و قرية القمور، منها أصيغ بن مطرف. و قرية نفجر و غرنطلة. و قرية بيرة، و بها مسجد قراءة ابن حبيب. و قرية قولجر، منها

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٤

سهل بن مالك. و قرية شون، منها محمد بن هانيء الأزدي الشاعر المفلق، و محمد بن سهل، جدّ هذا البيت، بنى سهل بن مالك. و قرية بليانة. و قرية برقلش. و قرية ضوَجِر. و قرية البلوط. و قرية أنتيانة. و قرية مرسانة.

و قرية الدوير. و قرية الشلان. و قرية طغتر، منها الطغترى صاحب الفلاحة.

و قرية حشّ الدجاج. و قرية حشّ نوح. و قرية حشّ خليفة. و حشّ الكوبانى.

و حشّ المعيشة. و حشّ السلسلة. و قرية الطرف. و قرية البيرة. و قرية الشكروجة، و منها عيسى بن محمد بن أبى زمنين. و عين

الحورة. و حشّ البومل. و قرية بلومال. و قرية رقّ المخيض. و قرية الغيظون الحورة. و قرية أشقظمر. و قرية الديموس الكبرى. و قرية

الديموس الصغرى. و قرية دار الغازى. و قرية سويدة. و حشّ قصيرة. و قرية الركن. و قرية ألفنت، و منها صخر بن أبان. و قرية

الكديء. و قرية لاقش. و قرية قربسانة. و قرية برسانة برياط. و قرية الولجة. و قرية ماس. و حشّ على. و حشّ بنى الرسيلىة.

و حشّ رقيب. و حشّ البلوطه. و حشّ الرّواس. و حشّ مرزوق. و قرية قبالة.

و قرية نبالة. و قرية العيران. و برج هلال. و قرية قلتيش. و قرية

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٥

القنار. و قرية أربل. و قرية بربل. و قرية قرباسة. و قرية أشكن. و قرية قنبيرة.

و قرية سعدى. و قرية قلفاجج. و قرية فتن. و قرية مرنيط. و قرية ددشطر. و قرية شتمانس. و قرية أرنالش. و قرية و ابشر. و قرية

ققلولش . و قرية التَّيْبِل .

و قرية الفَحَّار . و قرية القصر ، و منها محمد بن أحمد بن مرعيّاز الهلالي . و قرية بشر . و قرية بنوط . و قرية كورء . و قرية لص . و قرية بيش . و قرية قنتر .

و قرية دور . و قرية قلنقر . و قرية غلجر ، و منها هشام بن عبد العظيم بن يزيد الخولاني . و قرية ذرذر . و قرية ولجر . و قرية قنالش . و قرية إبتايلس . و قرية سج . و قرية منشال . و قرية الوطا . و قرية واني . و قرية قريش . و قرية الزاوية .

و قد ذكرنا أن أكثر هذه القرى أمصار، فيها ما يناهز خمسين خطبة، تنصب فيها لله المنائر، و ترفع الأيدي، و تتوجه الوجوه .

و جملة المراجع العلمية المرتفعة فيها، في الأزمنة، في العام بتقريب، و معظمها السقى الغيظ السمين، العالي، مائتا ألف و ثنتان و ستون ألفا، و يضاف إلى ذلك مراجع الأملاك السلطانية، و مواضع أحباس المساجد، و سبل الخير، ما

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٦

ينيف على ما ذكر، فيكون الجميع باحتياط، خمسمائة ألف و ستون ألفا، و المستفاد فيها من الطعام المختلف الجبوب للجانب السلطاني، ثلاثمائة ألف قدح و يزيد، و يشتمل سورها و ما وراءه من الأرحاء الطّاحنة بالماء، على ما ينيف على مائة و ثلاثين رحي ، ألحفها الله جناح الأمانة، و لا قطع عنها مادّة الرحمة، بفضلها و كرمه .

فصل

و قد فرغنا من ذكر رسوم هذا القطر و معاهده، و فرغنا من تصويره و تشكيكه، و ذكر قرأه و جنّاته ، و قصوره و متنزّهاته، فنحن الآن نذكر بعضا من سير أهله، و أخلاقهم، و غير ذلك من أحوالهم بإجمال و اختصار، فنقول :

أحوال هذا القطر في الدّين و صلاح العقائد أحوال سيّئة، و التّحلّ فيهم معروفة ؛ فمذاهبهم على مذهب مالك بن أنس، إمام دار الهجرة جارية، و طاعتهم للأمرء محكّمة، و أخلاقهم في احتمال المعاون الجبائية جميلة .

و صورهم حسنة، و أنوفهم معتدلة غير حادّة، و شعورهم سود مرسله، و قدودهم متوسطة معتدلة، إلى القصر، و ألوانهم زهر مشربة بحمرة، و ألسنتهم فصيحة عريية، يتخلّلها غرب كثير، و تغلب عليهم الإمالة، و أخلاقهم أئبّ في معاني المنازعات، و أنسابهم عريية، و فيهم من البربر و المهاجرة كثير . و لباسهم الغالب على طرقاتهم ، الفاشى بينهم، الملفّ المصبوغ شتاء، و تتفاضل أجناس البرّ بتفاضل الجدّة، و المقدار، و الكتّان و الحرير، و القطن، و المرعزيّ، و الأردية الإفريقيّة، و المقاطع التونسية، و المآزر المشفوعة صيفا، فتبصرهم في المساجد، أيام الجمع، كأنّهم الأزهار المفتحة، في البطاح الكريمة، تحت الأهوية المعتدلة .

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٧

و أنسابهم حسبما يظهر من الإستراعات ، و البيعات السلطانية و الإجازات، عريية: يكثّر فيها القرشى، و الفهري، و الأموي، و الأمي، و الأنصاري، و الأوسي، و الخزرجي، و القحطاني، و الحميري، و المخزومي، و التّنوخى، و الغساني، و الأزدي، و القيسي، و المعافري، و الكناني، و التّميمي، و الهذلي، و البكري، و الكلابي، و التّمري، و اليعمرى، و المازني، و التّقفى، و السّلمى، و الفزاري، و الباهلي، و العبسي، و العنسي، و العذري، و الحججي، و الضّبي، و السّكوني، و التّيمي، و العبشمي، و المرّي، و العقيلي، و الفهمي، و الصّريحي، و الجزلي، و القشيري، و الكلبى، و القضاعي، و الأصبحي، و الهواري، و الرّعيني، و اليحصبي، و التّجيبى، و الصّدفى، و الحضرمي، و الحّي، و الجذامي، و السّيلولي، و الحكمي، و الهمداني، و المذحجي، و الخشني، و البلوي، و الجهني، و المزني، و الطّائي، و الغافقي، و الأسدي، و الأشجعي، و العاملي، و الخولاني، و الأيادي، و اللّيثي، و الخثعمي، و السّكسكي، و الرّبيدي، و التّغلبى، و التّغلبى، و الكلاعي، و الدّوسي، و الحواري، و السّلماني .

هذا، و يرد كثير في شهادتهم، و يقلّ من ذلك السّلماني نسبا، و كالدّوسي، و الحواري، و الرّبيدي؛ و يكثّر فيهم، كالأنصاري، و

الحميدى، والجذامى، والقيسى، والغسانى، وكفى بهذا شاهدا على الأصالة، و دليلا على العروبية.

وجندهم صنفان؛ أندلسى وبربرى؛ و الأندلسى منها يقودهم رئيس من القرابة أو حصى من شيوخ الممالك. و زبهم فى القديم شبه زى أقتالهم و أضدادهم من جيرانهم الفرنج، إسباج الدروع، و تعليق الترس، و حفا البيضات، و اتخاذ عراض الأسنة، و بشاعة قرابيس السروج، و استركاب حملة الزيات خلفه؛ كل منهم بصفة تختص بسلاحه، و شهرة يعرف بها. ثم عدلوا الآن عن هذا الذى الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٨

ذكرنا، إلى الجواشن المختصرة، و البيضات المرهفات، و السروج العربية، و البيت اللمطية، و الأسل العطفية. و البربرى منه، يرجع إلى قبائله الميريتية، و الزناتية، و التجانية، و المغراوية و العجيسية، و العرب المغربية إلى أقطاب و رؤوس، يرجع أمرهم إلى رئيس، على رؤسائهم، و قطب لعرفائهم، من كبار القبائل الميريتية، يمت إلى ملك المغرب بنسب. و العمائم تقل فى زى أهل هذه الحضرة، إلا ما شاد فى شيوخهم و قضاتهم و علمائهم، و الجند العربى منهم. و سلاح جمهورهم العصى الطويلة، المثناة بعضى صغار ذوات عرى فى أواسطها، تدفع بالأنامل عند قذفها تسمى «بالأمداس»؛ و قسى الإفرنجة يحملون على التدريب بها على الأيام.

و مبانيهم متوسطة، و أعيادهم حسنة، مائلة إلى الاقتصاد؛ و الغنى بمدنيتهم فاش، حتى فى الدكاكين التى تجمع صنائعها كثيرا من الأحداث، كالخفافين و مثلهم.

و قوتهم الغالب، البر الطيب، عامية العام، و ربما اقتات فى فصل الشتاء الضعفة و البوادي و الفلحة، الدرة العربية، أمثل أصناف القطنى الطيبة.

و فواكههم اليابسة عامية العام، متعددة؛ يدخرون العنب سليما من الفساد إلى شطر العام؛ إلى غير ذلك من التين، و الزبيب، و التفاح، و الزمان، و القسطل،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٩

و البلوط، و الجوز، و اللوز، إلى غير ذلك مما لا ينفد، و لا ينقطع مدده إلا فى الفصل الذى يزهد فى استعماله. و صرفهم فضة خالصة، و ذهب إبريز طيب محفوظ، و درهم مربع الشكل، من وزن المهدى القائم بدولة الموحدين، فى الأوقية منه سبعون درهما، يختلف الكتب فيه. فعلى عهدنا، فى شق: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»؛ و فى شق آخر: «لا غالب إلا الله، غرناطة». و نصفه و هو القيراط، فى شق: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢). و فى شق: وَمَا نُنْصِرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. و نصفه و هو الربع، فى شق: هُدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى. و فى شق: وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى.

و دينارهم فى الأوقية منه، ستة دنانير و ثلثا دينار؛ و فى الدينار الواحد ثمن أوقية و خمس ثمن أوقية. و فى شق منه: قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ ... بِيَدِكَ الْخَيْرُ.

و يستدير به قوله تعالى: وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١٦٣).

و فى شق: «الأمير عبد الله محمد بن يوسف بن أمير المسلمين أبى الحجاج بن أمير المسلمين أبى الوليد إسماعيل بن نصر، أيد الله أمره». و يستدير به شعار هؤلاء الأمراء: «لا غالب إلا الله». و لتاريخ تمام هذا الكتاب، فى وجه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَ صَابِرُوا وَ رَابِطُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠).

و يستدير به: «لا غالب إلا الله». و فى وجه: «الأمير عبد الله الغنى بالله، محمد بن يوسف بن إسماعيل بن نصر، أيد الله و أعانه». و يستدير بربع: «بمدينة غرناطة حرسها الله».

و عادة أهل هذه المدينة الانتقال إلى حلال العصور أوان إدراكه، بما تشتمل عليه دورهم، و البروز إلى الفحوص

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٤٠

بأولادهم، معولين في ذلك على شهادتهم وأسلحتهم، وعلى كتب دورهم، و اتّصال أمصارهم بحدود أرضه. و حليهم في القلائد، و الدّمالج، و الشّنوف، و الخلاخل الدّهب الخالص، إلى هذا العهد، في أولى الجدّة؛ و اللجين في كثير من آلات الرّجلين، فيمن عداهم. و الأحجار النفيسة من الياقوت، و الزّبرجد و الرّمرد و نفيس الجوهر، كثير ممّن ترتفع طبقاتهم المستندة إلى ظلّ دوله، أو أصالة معروفة موقّرة.

و حريمهم، حريم جميل، موصوف بالسحر، و تنعمّ الجسوم، و استرسال الشّعور، و نقاء الثّغور، و طيب النّشر، و خفّة الحركات، و نبل الكلام، و حسن المحاوره، إلّا أن الطّول يندر فيهنّ. و قد بلغن من التّفنّن في الزينة لهذا العهد، و المظاهرة بين المصبغات، و التّنفيس بالدّهبيّات و الدّياجيات، و التّماجن في أشكال الحلّى، إلى غاية نساء الله أن يغضّ عنهنّ فيها، عين الدهر، و يكفكف الخطب، و لا يجعلها من قبيل الابتلاء و الفتنة، و أن يعامل جميع من بها بستره، و لا يسلبهم خفيّ لطفه؛ بعزّته و قدرته.

فصل فيمن تداول هذه المدينة من لدن أصبحت دار إمارة باختصار و اقتصار

قال المؤلّف: أول من سكن هذه المدينة سكنى استبداد، و صيرها دار ملكه و مقرّ أمره، الحاجب المنصور أبو مثنى زاوى بن زيرى بن مناد، لما تغلب جيش البربر مع أميرهم سليمان بن الحكم على قرطبة، و استولى على كثير من كور الأندلس عام ثلاثه و أربعائة فما بعدها، و ظهر على طوائف الأندلس، و اشتهر أمره، و بعد صيته. ثم اجتاز البحر إلى بلد قومه بإفريقيه، بعد أن ملك غرناطة سبع سنين، و استخلف ابن أخيه حبّوس بن ماكسن، و كان حازما داهية، فتوسّع النظر إلى أن مات الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ١؛ ص ٤٠ الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٤١

سنة تسع و عشرين و أربعائة. و ولى بعده حفيده عبد الله بن بلّكين بن باديس، إلى أن خلع عام ثلاثه و ثمانين و أربعائة، و تصير أمرها إلى أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ملك لمتونة عند تملكه الأندلس، ثم إلى ولده على بن يوسف. و تنوّب إمارتها جملة من أبناء الأمراء اللّمتونيين و قرابتهم كالأمير أبي الحسن على بن الحاجّ و أخيه موسى، و الأمير أبي زكريا يحيى بن أبي بكر بن إبراهيم، و الأمير أبي الطّاهر تميم، و الأمير أبي محمد مزدلى، و الأمير أبي بكر بن أبي محمد، و أبي طلحة الزّبير بن عمر، و عثمان بن بدر اللّمتونى، إلى أن انقرض أمرهم عام أربعين و خمسمائة.

و تصير الأمر للموحّدين، و إلى ملكهم أبي محمد عبد المؤمن بن على، فتناوبها جملة من بنيه و قرابته، كالسيّد أبي عثمان ابن الخليفة؛ و السيّد أبي إسحاق ابن الخليفة؛ و السيّد أبي إبراهيم ابن الخليفة؛ و السيّد أبي محمد ابن الخليفة؛ و السيّد أبي عبد الله، إلى أن انقرض منها أمر الموحّدين.

و تملكها المتوكّل على الله أمير المؤمنين أبو عبد الله محمد يوسف بن هود فى عام ستة و عشرين و ستمائة، ثم لم ينشب أن تملكها أمير المسلمين الغالب بالله محمد بن يوسف بن نصر الخزرجى، جدّ هؤلاء الأمراء الكرام موالينا، رحم الله من درج منهم، و أعان من خلفه، إلى أن توفى عام أحد و سبعين و ستمائة. ثم ولى الأمر بعده ولده و سمّيه محمد بن محمد، فقام بها أحمد قيام، و توفى عام أحد و سبعمائة.

ثم ولى بعده سمّيه محمد إلى أن خلع يوم عيد الفطر من عام ثمانية و سبعمائة، و توفى عام أحد عشر و سبعمائة فى ثالث شوال منه. ثم ولى بعده أخوه نصر بن مولانا أمير المسلمين أبى عبد الله، فأرتب أمره، و طلب الملك اللّاحق به مولانا أمير المسلمين أبو الوليد إسماعيل بن فرج، فغلب على الإمارة، ثانى عشر ذى القعدة من عام ثلاثه عشر و سبعمائة؛ و انتقل نصر إلى وادى آش مخلوعا، موادعا بها إلى أن مات عام اثنين و عشرين و سبعمائة. و تمادى ملك السلطان أمير المسلمين أبى الوليد إلى السادس و العشرين من رجب عام خمسة و عشرين و سبعمائة، و وثب عليه بعض قرابته فقتله،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٤٢

و عوجل بالقتل مع من حضر منهم. و تولى الملك بعده ولده محمد، و استمرّ سلطانه إلى ذى الحجة من عام أربعة و ثلاثين و سبعمائة، و قتل بظاهر جبل الفتح . و ولى بعده أخوه مولانا السلطان أبو الحجاج لباب هذا البيت، و واسطة هذا العقد، و طراز هذه الحلية، ثم اغتاله ممرور من أخبيث السوقة، قىضه الله إلى شهادته، و جعله سببا لسعادته، فأكبّ عليه فى الركعة الآخرة من ركعتى عيد الفطر، بين يدى المحراب، خاشعا، ضارعا، فى الحال الذى أقرب ما يكون العبد من ربّه، و هو ساجد، و ضربه بخنجر مهيبى للفتك به، فى مثل ذلك الوقت، كان، زعموا، يحاول شحذه منذ زمان، ضربه واحدة، على الجانب الأيسر من ظهره، فى ناحية قلبه، فقضى عليه، و بودر به فقتل.

و ولى الأمر بعده محمد ، ولده أكبر بنيه، و أفضل ذويه، خلقا و خلقا و حياء و جودا، و وقارا و سلامة و خيرية، و دافع دولته من لا يعاب الله به ؛ ثم تدارك الأمر سبحانه، و قد أشفى، و دافع و كفى، بما يأتى فى محلّه إن شاء الله. و هو أمير المسلمين لهذا العهد، متّع الله به، و أدام مدته، و كتب سعادته، و أطلق بالخير يده، و جعله بمراسيم الشريعة من العاملين، و لسلطان يوم الدين من الخائفين، المراقبين، بفضله.

و قد آتينا بما أمكن من التعريف بأحوال هذه الحضرة على اختصار. و يأتى فى أثناء التعريف برجالها كثير من تفصيل ما أجمل، و تتميم ما بدأ، و إيضاح ما خفى بحول الله تعالى.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٤٣

القسم الثانى فى حلى الزائر و القاطن و المتحرّك و الساكن

إشارة

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد بن خلف بن عبد الملك الغسانى القليعى

من أهل غرناطة، يكنى أبا جعفر، من جله أعيانها، تنسب إليه الساقية الكبرى المجاورة لطوق الحضرة إلى البيرة، و ما والاها. حاله: قال ابن الصّيرفى: كان الفقيه أبو جعفر القليعى، من أهل غرناطة، فريد عصره، و قريع دهره، فى الخير و العلم و التلاوة؛ و له حزب من الليل، و كان سريع الدّمة، كثير الزّواية؛ و هو المشار إليه فى كل نازلة، و له العقد و الحلّ و التقدّم و السّابقة، مع منة فى جلائل الأمور، و التّهضة بالأعباء و سموّ الهمة.

غريبة فى شأنه: قال: كان باديس بن جبوس أمير بلده يتفرّس فيه أن ملك دولته ينقرض على يديه، فكان ينصب لشأنه أكلبا، و يتملّظ بسيفه إلى قتله، فحماه الله منه بالعلم، و غلّ يده، و أغمد سيفه، ليقضى الله أمرا كان مفعولا.

مشيخته: روى عن أبى عمر بن القطان، و أبى عبد الله بن عتاب، و أبى زكريا القليعى، و أبى مروان بن سراج؛ و كان ثقة صدوقا، أخذ عنه الناس.

محنته: و لمّا أجاز أمير لمتونة يوسف بن تاشفين البحر مستدعى إلى نصر المسلمين، ثانى حر كاته إلى الأندلس، و نازل حصن أليط، و سارع ملوك الطوائف

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٤٦

إلى المسير فى جملة، كان ممن وصل إليه الأمير عبد الله بن بلكين بن باديس، صاحب غرناطة، و وصل صحبته الوزير أبو جعفر بن

القليعي، لرغبته في الأجر مع شهرة مكانه، و علو منصبه، و لنهوض نظرائه من زعماء الأقطار إلى هذا الغرض.

و كان مضرب خيام القليعي قريبا من مضرب حفيد باديس، و لمنزلته عند الأمير يوسف بن تاشفين، و له عليها الحفوف و له به استبداد و انفراد كثير و تردد كثير، حتى نفى بذلك حفيد باديس، و أنهم عينه. قال المؤرخ: و كيفما دارت الحال، فلم يخل من نصح لله و للأمير المسلمين.

قلت: حفيد باديس كان أدرى بدائه، قصير الله خطانا من مدارك الشُّرور. فلما صدر حفيد باديس إلى غرناطة، استحضره و نجهه، و قام من مجلسه مغضبا، و تعلقت به الخدمة، و حفت به الوزعة و الحاشية، و هموا بضربه؛ إلا أن أم عبد الله تطارحت على ابنها في استحيائه، فأمر بتخليصه، و سجنه في بعض بيوت القصر؛ فأقبل فيه على العبادة و الدعاء و التلاوة؛ و كان جهير الصوت، حسن التلاوة، فأرتج القصر، و سكنت لاستماعه الأصوات، و هدأت له الحركات، و اقشعت الجلود.

و خافت أم عبد الله على ولدها، عقابا من الله بسببه، فلاطفته حتى حلّ عقاله، و أطلقه من سجنه. و لما تخلّص أعضاها غنيمة. و كان جزلا، قوي القلب، شديد الجزم؛ فقال الصّيد بغراب أكيس؛ فاتخذ الليل جملا؛ فطلع له الصباح بقلعه يحصب، و هي لنظر ابن عباد، و حثّ منها السّير إلى قرطبة؛ فخاطب منها يوسف بن تاشفين بملء فيه، بما حرّكه و أطمعه؛ فكان من حركته إلى الأندلس، و خلع عبد الله بن بلّكين من غرناطة، و استيلائه عليها، ما يرد في اسم عبد الله و في اسم يوسف بن تاشفين، إن شاء الله. و بدا لحفيد باديس في أمر أبي جعفر القليعي، و رأى أنه أضاع الحزم في إطلاقه، فبحث عنه من الغد، و تقصّت عنه البلدة، فلم يقع له خبر، إلى أن اتصل به خير نجاته، و لحاقه بمأمنه. فرجع باللائمة على أمه، و لات حين مندم. و لم يزل أبو جعفر مدّته في دول الملوك، من لمتونة، معروف الحق، بعيد الصّيت و الذّكر، صدر الحضرة، و المخصوص بعلو المرتبة إلى حين وفاته .

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٤٧

أحمد بن محمد بن أحمد بن يزيد الهمداني اللخمي

من أهل غرناطة.

حاله: كان فقيها وزيرا جليلا حسيبا حافلا.

وفاته: توفي بالبيرة قبل الثلاثين و أربعمئة.

ذكره أبو القاسم الغافقي في تاريخه و ابن اليسر في مختصره و أثني عليه.

أحمد بن محمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن غريب ابن يزيد بن الشمر بن عبد شمس بن غريب الهمداني الإلبيري

من نزلاء قرية همدان؛ ذكره ابن حبان، و الغافقي، و ابن مسعدة، و غيرهم؛ فقال جميعهم: كان من أهل البلاغة، و البيان، و الأدب، و الشعر البارع.

مناقبه: قدم على الخليفة أبي مطرف عبد الرحمن، فقام خطيبا بين يديه، فقال: الحمد لله المحتجب بنور عظمته، عن أبصار بريته، و الدال بحدوث خلقه على أوليته، و المنفرد بما أتقن من عجائب دهره و منن صمديته، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، إقرارا بوحدانيته، و خضوعا لعزّه و عظمته. و أشهد أن محمدا عبده و رسوله، انتخبه من أطيب البيوتات، و اصطفاه من أطيب البيوتات، حتى قبضه الله إليه، و اختار له ما لديه. و قد قبل سعيه، و أدّى أمانته، فصلّى الله عليه و سلّم تسليما. ثم إن الله لما أن بعثه من أكرم خلقه، و أكرمه برسالته و أنزل عليه محكم تنزيله، و اختار له من أصحابه و أشياعه مخلفا، جعل

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٤٨

منهم أئمة يهدون بالحق، و به يعدلون؛ فجعل الله الأمير، أعزّه الله، وارث ما خلفوه من معاليهم، و باني ما أسسوه من مشاهدهم، حتى

أَمَّنَ الْمَسَالِكِ، وَ سَكَنَ الْخَائِفِ، رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ، أَلْبَسَهُ كِرَامَتَهَا، وَ طَوَّقَهُ فَضِيلَتَهَا، وَ اللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ: [الرجز]

اللَّهِ أَعْطَاكَ الَّتِي لَا فَوْقَهَا وَ قَدْ أَرَادَ الْمَلْحَدُونَ عَوْقَهَا
عَنْكَ وَ يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا سَوْقَهَا إِلَيْكَ حَتَّى قَلْدُوكَ طَوْقَهَا
ثُمَّ أَرْدَفَ قَوْلَهُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ: [الطويل]

أَيَا مَلِكًا تَرْمِي بِهِ قَضْبَ الْهِنْدِ إِذَا لَمَعَتْ بَيْنَ الْمَغَاوِرِ وَ الزَّرْدِ
وَ مِنْ بَأْسِهِ فِي مَنْهَلِ الْمَوْتِ وَارِدًا إِذَا أَنْفَسَ الْأَبْطَالُ كُلَّ عَنِ الْوَرْدِ
وَ مِنْ أَلْبَسَ اللَّهُ الْخِلَافَةَ نِعْمَةً بِهِ فَاقَتْ النَّعْمَى وَ جَلَّتْ عَنِ الْحَدِّ
فَلَوْ نَظَّمْتَ مِرْوَانَ فِي سَلْكَ فَخْرَهَا لِأَصْبَحَ مِنْ مِرْوَانَ وَاسِطَةَ الْعَقْدِ
تَجَلَّى عَلَى الدُّنْيَا فَأَجَلَى ظِلَامَهَا كَمَا انْجَلَّتِ الظُّلُمَاءُ عَنِ قَمَرِ السُّعْدِ
إِمَامٌ هَدَى أَضْحَتْ بِهِ الْعَرَبُ غَضَبًا مَلْبَسُهُ نُورًا كَوَاشِيَةَ الْبَرْدِ
كَفَانِي لَدَيْهِ أَنْ جَعَلْتَ وَ سَائِلِي ذِمَامًا شَأْمِي الْهَوَى مُخْلِصَ الْوَدِّ
يُؤَكِّدُ مَا يَدُلِّي بِهِ مِنْ مَتَانَةٍ خُلُوصَ أَبِيهِ عَبْدَكَ الْفَارِسَ النَّجْدِ

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٤٩ تأمل رواه و الزمّاح شواجر و خيل إلى خيل بأبطالها تردى
رأى أسدا وردا يخف إلى الوغى و ربّما أربى على الأسد الورد
فأنعم عليه اليوم يا خير منعم بإظهار تشريف و عقد يد عندي
و لا تشمت الأعداء أن جئت قاصدا إلى ملك الدنيا فأحرم من قصدي
فعند الإمام المرتضى كلّ نعمه و شكرا لما يلحيه من نعمه عندي
فلا زال في الدنيا سعيدا مظفرا و بؤى في دار العلى جنة الخلد
و كان من بيت سماحة و فصاحة و خطابة، فعلا شرفه بهذه الخصال؛ فسجل له على أرحية؛ و حصن نبيل بنى هود و غير ذلك،
فانقلب مرعى الوسائل، و مقضى الرّسائل .
قال المؤلف: أرى ابن فركون قبل الست عشرة و الثلاثمائة.

أحمد بن محمد بن أحمد بن هشام القرشي

من أهل غرناطة، يكنى أبا جعفر، و يعرف بابن فركون.
أوليته: و كفى بالنسب القرشي أوليته.

حاله من عائد الصلة: كان من صدور القضاة بهذا الصّقع الأندلسي، اضطلاعاً بالمسائل و معرفة بالأحكام من مظانها، كثير المطالعة و الدّروب،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٥٠

و حتى الإجهاز في فصل القضايا، نافذ المقطع، كثير الاجتهاد و النّظر، مشاركا في فنون، من عربيّة، و فقه، و قراءة، و فرائض، طيب
التّعمة بالقرآن، حسن التّلاوة، عظيم الوقار، بين طبع و مكسوب، فائق الأبهة، مزريا بمن دونه من الفقهاء، و عاقدى الشروط، مسقطا
للكنى و التّجلمات، يعامل الكهول معاملة الأحداث، و يتهاون بتعاملات ذلك فيجعلها دبر أذنيه، و يسترسل في إطلاق عنان التّادرة
الحارة، في مجالس حكمه، فضلا عن غيرها؛ وجد ذلك من يحمل عليها سببا للغرض منه.

نباهته: ترشح بذاته، و باهر أدواته، إلى قضاء المدن النبيهة، و الأقطار الشهيرة، كرنده، و مالقة، و غيرهما. ثم ولى قضاء الجماعة، في ظلّ جاه، و ضمن حرمة.

غريبة في أمره: حدث أنه كان يقرأ في شيبته على الأستاذ الصالح أبي عبد الله بن مستقور بكرم له خارج الحضرة، على أميال منها في فصل العصور. قال: وجّهني يوما بغلة من الرّب لأبيعه بالبلد، فأصابني مطر شديد، و عدت إليه بحال سيئه، بعد ما قضيت له وطره؛ و كان له أخ أسنّ منه، فعاتبه في شأنه، و قال له: تأخذ صبيًا ضعيفًا يأتيك لفائدة يستفيدها، و تعرّضه لمثل هذه المشقة، في حقّ مصلحتك، ليس هذا من شيم العلماء، و لا من شيم الصّالحين. فقال له: دعه، لا بدّ أن يكون قاضي الجماعة بغرناطة؛ فكان كذلك، و صدقت فراسته، رحمه الله تعالى.

مشيخته: قرأ بالقرية على الأستاذ أبي القاسم بن الأصفر؛ و بغرناطة على العالم القاضي أبي الحسن محمد بن يحيى بن ربيع الأشعري، و على الشيخ المفتي أبي بكر محمد بن أبي إبراهيم بن مفرّج الأوسى بن الدبّاغ الإشبيلي، و على الخطيب الزاهد أبي الحسن العدّال، و على الأستاذ النحوي أبي الحسن على بن محمد بن علي بن يوسف بن الصّايغ؛ بالصاد المهملة، و الغين المعجمة، و على الأستاذ أبي الحسن الأبدى؛ و أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الطائي، عرف بابن مستقور.

و لمّا دالت الدولة، كان له في مشايعة مخلوعها أمور اقتضتها منه أريحية و حسن وفاء، أوجبت عليه الخمول بعد استقرار دائلها السلطان أبي الوليد، رحمه الله؛

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٥١

و أصابته أيام الهيج محن، و نسبت إليه نقائص زورتها حسدته، فصرف عن القضاء؛ و بقي مدّة مهجور الفناء، مضاع المكان، عاطل الدولة، متبذًا في مليك له؛ خارج الحضرة، ينحني على خرثي ساقط القيمة، و دفاتر ساقطة الثمن، يتعلّل بعلاقتها، و يرجي الوقت بيسيرها.

حدّثني الوزير أبو بكر بن الحكيم، قال: زرته في منزله بعد عزله، و نسبة الأمور التي لا تليق بمثله، فأنشدني بما ينبئ عن ضجره و ضيق صدره:

[المجتث]

أنا من الحكم تائب و عن دعاويه هارب
بعد التفقه عمري و نيل أسنى المراتب
و بعد ما كنت أرقى على المنابر خاطب
أصبحت أرمي بعار للحال غير مناسب
أشكو إلى الله أمري فهو المثيب المعاقب

و ثبت اسمه في التاريخ المسمّى «بالتاج» تاريخي بما نصّه:

شيخ الجماعة و قاضيها، و منقذ الأحكام و ممضيها، و شايخ سيوفها الماضية و منتضيها، رأس بفضيلة نفسه، و أحيا دارس رسم القضاء بدرسه، و أودع في أرض الاجتهاد، بذر السّهاد، فجنى ثمرة غرسه؛ إلى وقار يودّ رضوى رجاحتها، و صدر تحسد الأرض الغبيطة ساحته، و نادرة يدعوها فلا تتوقف، و يلقي عصاها فتتلّف؛ و لم يزل يطمح بأمانيه، و يضطلع بما يعانیه، حتى رفع إلى الرتبة العالية، و حصل على الحال الحالية؛ و كان له في الأدب مشاركة، و في قريض النظم حصّة مباركة. انتهى إلى قوله يهنئ السلطان أبا عبد الله بن نصر، بالإبلال من مرض في اقتران بعيد و فتح، و ذلك: [الطويل]

شفاؤك للملك اعتراز و تأييدو برؤك مولانا به عندنا عيد

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٥٢ مرضت فلم تأوّ النفوس لراحته و لا كان للدنيا قرار و تمهيد

و لم تستطع عيني تراكم مؤلماً و لازمها طول اعتلالك تسهيد

و شعره مختلف عن نمط الإجابة التي تناسب محلّه في العلم، و طبقته في الإدراك فاختصرته.

مولده: عام تسعة و أربعين و ستمائة.

وفاته: في السادس عشر لذي القعدة عام تسعة و عشرين و سبعمائة. ذكرته في كتاب «عائد الصلّة» قاضيا، و في كتاب «التاج المحلي» قاضيا أديبا. و ذكره أبو بكر بن الحكيم في كتاب «الفوائد المستغربة، و الموارد المستعذبة» من تأليفه.

أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى ابن عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن جزى الكلبى

من أهل غرناطة، و يعرف بابن جزى. أوليته معروفه، و أصالته شهيرة، تنظر فيما مرّ من ذلك عند ذكر سلفه، و فيما يأتي في ذلك، بحول الله و قوته.

حاله: من أهل الفضل و النزاهة، و الهمة، و حسن السيمه، و استقامة الطريقة، غرب في الوقار، و مال إلى الانقباض، و ترشّح إلى رتب سلفه. له مشاركة حسنة في فنون، من فقه و عربيّه، و أدب، و حفظ، و شعر، تسمو ببعضه الإجابة، إلى غاية بعيدة.

مشيخته: قرأ على والده الخطيب أبى القاسم، و لازمه، و استظهر ببعض موضوعاته، و تأدّب به؛ و قرأ على بعض معاصري أبيه، و روى، و استجلب له أبوه كثيرا من أهل صقعه و غيرهم.

نباهته: ثم أرسم في الكتابة السلطانية لأول دولة السابغ من الملوك النصريين، منفق سوق الحليّه من أبناء جنسه، أبى الحجاج بن نصر، فورى زنده، و درّت أحلاب قريحته، و صدر له في مدائحه شعر كثير. ثم تصرّف في الخطط الشرعية، فولّى القضاء ببرجه، ثم بأندرش، و هو الآن قاضى مدينة وادى آش، مشكور الشيرة،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٥٣

معروف النزاهة، أعانه ذلك و سوّده، و بلغ به رتبة سلفه. و جرى ذكره في كتاب التاج بما نصّه:

«فاضل تحلى بالسكينة و الوقار، فمدّت إليه رقاب سلفه يد الافتقار، ما شئت من هدوء و سكون، و جنوح إلى الخير و ركون، عنى بالمحافظة على سمته من لدن عقل، و لزم خدمة العلم فما عاد و لا انتقل، و وجد من أبيه رحمه الله مرعى خصيبا فابتقل، و عمل على شاكلة سلفه في سلامة الجانب، و فضل المذاهب، و تحلى بتلك المآثر و توشّح، و تأهل إلى الرتب في سنن الشيبية و ترشّح؛ و له مع ذلك في لجة الفقه سبج، و على بعض موضوعات أبيه شرح؛ و أدبه ساطع، و كلامه حسن المقاطع. فمن ذلك ما كتب به إلى، و قد خاطبت ما أمكن من نظمه: [المتقارب]

فديتك يا سيدي مثلما فداك الزمان الذى زنته

و قوله فى المقطوعات من ذلك فى معنى التورية: [الخفيف]

كم بكائى لبعدهم و أنينى من ظهيرى على الأسى من معينى

جرّح الخدّ دمع عينى و لكن عجب أن يجرح ابن معين

و قال فى الغنى: [الطويل]

أرى الناس يولون الغنى كرامه و إن لم يكن أهلا لرفعه مقدار

و يلوون عن وجه الفقير وجوههم و إن كان أهلا أن يلقى يا كبار

بنو الدهر جاءتهم أحاديث جمّة فما صحّحوا إلّا حديث ابن دينار

و من بديع ما صدر عنه، قوله ينسج على منوال امرئ القيس فى قصيدته الشهيرة: [الطويل]

أقول لحزى أو لصالح أعمالى (ألا عم صباحا أيها الظل البالى)

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٥٤ أما واعظى شيب سما فوق لمتى (سموّ حباب الماء حالا على حال) أنار به ليل الشّباب كأنه (مصاييح رهبان تشبّ لقفال)

نهانى عن غيّ و قال متبها (أ لست ترى السّمّار و الناس أحوالى)؟
يقولون غيره لتنعم برهه (و هل يعمن من كان فى العصر الخالى)؟
أغالط دهرى و هو يعلم أننى (كبرت و أن لا يحسن اللّهُو أمثالى)
و مؤنس نار الشّيب يقبح لهوه (بأنسه كأنها خطّ تمثال)
أ شيخا و تأتي فعل من كان عمره (ثلاثين شهرا فى ثلاثة أحوال)
و تشغفك الدّنيا و ما إن شغفتها (كما شغف المهنوءة الرجل الطّالى)
ألا إنّها الدنيا إذا ما اعتبرتها (ديار لسلمى عافيات بذى خال)
فأين الذين استأثروا قبلنا بها (لناموا فما إن من حديث و لا صال)
ذهلت بها غيّا فكيف الخلاص من (لعوب تنسّينى إذا قمت سربالى)
و قد علمت منى مواعيد توبتى (بأنّ الفتى يهذى و ليس بفعل)
و مذ وثقت نفسى بحبّ محمد (هصرت بغصن ذى شماريخ مئال)
و أصبح شيطان الغواية خاسئا (عليه قتام سيء الظّنّ و البال)
ألا ليت شعرى هل تقول عزائى (لخيلى كزى كزى بعد إجفال)
فأنزل دارا للنبىّ نزيلها (قليل هموم ما بيت بأوجال)
فطوبى لنفس جاورت خير مرسل (بيثرب أدنى دارها نظر عالى)
و من ذكره عند القبول تعطّرت (صبا و شمأل فى منازل قفال)
جوار رسول الله مجد مؤثّل (و قد يدرك المجد المؤثّل أمثالى)
و من ذا الذى يثنى عنان السرى و قد (كفانى، و لم أطلب، قليلا من المال)
ألم تر أنّ الطّيبه استشفعت به (تميل عليه هونه غير مجفال)
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٥٥ و قال لها عودى فقالت له نعم (و لو قطعوا رأسى لديك و أوصالى)
فعدت إليه و الهوى قائل لها (و كان عداء الوحش منى على بالى)
رثى لبعير قال أزمع مالكى (ليقتلنى و المرء ليس بفعل)
و ثور ذبيح بالرسالة شاهد (طويل القرا و الرّوق أخنس ذبال)
و حنّ إليه الجذع حنّه عاطش (لغيث من الوسمى رائده خالى)
و أصلين من نخل قد التّأما له (فما احتبسا من لين مسّ و تسهال)
و قبضه ترب منه ذلّت لها الطّبا (و مسنونه زرق كأنياب أغوال)
و أضحى ابن جحش بالعسيب مقاتلا (و ليس بذى رمح و ليس بتبال)
و حسبك من سيف الطّفيل إضاءة (كمصباح زيت فى قناديل ذبال)
و بدّت به العجفاء كلّ مطهم (له حجبات مشرفات على الفال)
و يا خسف أرض تحت باغيه إذ علا (على هيكل نهذ الجزارة جوال)
و قد أخدمت نار لفارس طالما (أصابت غضى جزلا و كفت بأجزال)

أبان سبيل الرشد إذ سبل الهدى (يقنن لأهل الحلم ضلماً بتضلال)
 لأحمد خير العالمين انتقيتها (ورضت فذلت صعبةً أيّ إذلال)
 وإن رجائي أن ألقيه غداً (ولست بمقلّي الخلال ولا قالي)
 فأدرك آمالي و ما كلّ آمل (بمدرك أطراف الخطوب ولا والي)

ولا خفاء ببراعة هذا النظم، وإحكام هذا التسج، وشدّة هذه العارضة. وله تقييد في الفقه على كتاب والده، المسمّى بالقوانين الفقهية، ورجز في الفرائض يتضمّن العمل. وإحسانه كثير. وتقدم قاضيا بحضرة غرناطة، وخطيبا بمسجد السلطان، ثامن شوال من عام ستين وسبعمائه. ثم انصرف عنها، وأعيد إليها في عام ثلاثئة وستين، موصوفا بالنزاهة والمضاء. مولده: في الخامس عشر من جمادى الأولى عام خمسة عشر وسبعمائه، وهو الآن بقيد الحياة. الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٥٦

أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن علي ابن محمد بن سعد بن سعيد بن مسعدة بن ربيعة بن صخر ابن سراحيل بن عامر بن الفضل بن بكر بن بكر بن البدر ابن سعيد بن عبد الله العامري

يكنى أبا جعفر، من أهل غرناطة.

أوليته: عامر الذي ينتسبون إليه، عامر بن صعصعة بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

ومن مناقبهم: ميمونة أم المؤمنين، زوج رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وعمرو بن عامر من أصحابه، وعاصم بن عبد الله الجعلى، ويزيد بن الحميرى، وغيرهم، منزل جدّهم الداخل إلى الأندلس، وهو بكر بن بكر بن البدر بن سعيد بن عبد الله، قرية طغرن من إقليم براجلة ابن خريز من إلبيرة.

قال ابن الصيرفى فى تاريخه الصغير: منزل بنى مسعدة، موضع كرم ومحمدة، ينتسبون فى عامر، وهم أعيان عليه، فرسان أكابر، و حجّاب و وزراء، ولهم سابقات ومفاخر، وأوائل وأواخر. ومنهم على القدم جليل و نبيه، ومنهم كان و ضيع بن جراح الفقيه، لم يدخل أحد منهم فى الفتنة يدا، ولا تأذى مسلما، ولا معاهدا، على قدرتهم على ذلك، وكفى به فخرا لا ينقطع أبدا. و دخل جدّهم الأندلس بعقد بنى مروان له، سنة أربع و تسعين من الهجرة. و يأتى من ذكر أعلامهم ما يدلّ على شرف بيتهم، وأصالته، و علوّه و جلالته.

حاله: كان صدرا جليلا، فقيها مضطلعا، من أهل النظر السديد و البحث، قائما على المسائل، مشاركاً فى كثير من الفنون، جزلا مهما، جاريا على سنن سلفه، ريان من العربية. و ختم سيويه تفقها، و قرأ الفقه، و استظهر كتاب التلقين، و درس الأحكام الجيدة، و عرضها فى مجلس واحد، و قرأ أصول الفقه، و شرح المستصفى شرحا حسنا، و قرأ الإرشاد و الهداية، و كان صدرا فى الفرائض و الحساب، و ألف تاريخ قومه و قرابته.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٥٧

ولايته: ولّى القضاء بمواضع من الأندلس كثيرة من البشارات، أقام بها أعواما خمسة؛ ثم لوشة، و أقام بها ثلاثة أعوام؛ ثم بسطة و برشانة. ثم انتقل إلى مالقة و أقام بها أعواما خمسة. تبهت على مقدار الإقامة لما فى ضمن طول سنى الولاية من استقامة أمر الوالى. و كان له من أمير المسلمين بالأندلس حظوة لطيفة لم تكن لغيره، استنزلها بسحر التلطف، و خطبها بلسان التملق حتى استحكمت له أسبابها.

حدّثنى بعض أشياخى ممّن كان يباشر مال السلطان يومئذ، قال: وّجّه ابن مسعدة ابنه من مالقة، بكتاب فى بعض الأغراض الضرورية،

ثم رغب فيه أن ينعم على ولده بالمشافهة للإلقاء أمر ينوب عنه فيه، فلما حضر تناول رجل السلطان فقبتها، وقال: أمرني أبي أن أنوب في تعفير الوجه، في هذه الزجل الكريمة الجهادية عنه خاصة؛ لبعد عهده بها، إلى أمثال هذا مما اقتضت الانتفاع بعاجل من الدنيا زهيد، لا يدري ما الله صانع فيه، والإبقاء بما تجاوز الإفراط في تقدمه بمالقة، بعده دار الأعلام، وديوان العقد، وهو حدث خلّي من العلم، قريب العهد بالبلوغ، فكانت على أنها غاية الصدور ملعبا، إلى أن ضرب الدهر ضرباته، وانتقلت الحال.

مشيخته: أولهم قاضي الجماعة أبو الحسن بن أبي عامر بن ربيع، و ثانيهم القاضي أبو عامر يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع، و ثالثهم أبو يحيى بن عبد المنعم الخزرجي، و رابعهم العدل الزاوية أبو الوليد العطار، و خامسهم أبو إسحاق بن إبراهيم بن أحمد الخشني، و سادسهم الأستاذ أبو الحسن الكنانى الإشبيلي، و سابعهم محمد بن إبراهيم بن مفرج الأوسى الدباغ، و ثامنهم أبو جعفر أحمد بن علي الزعيني، و تاسعهم أبو علي بن أبي الأحوص.

وصمته: فروى الناس أنه وجد بخزائنه بعد وفاته زمام يشتمل على مثالب أهل غرناطة، مما يحدث على الأيام في أفرادهم من فلتات يجريها عدم الاتصاف بالعصمة. استقر عند ولده الفضل، زعموا، ثم خفي أثره، ستر الله عيوبنا برحمته.

وفاته: توفي بمالقة قرب صلاة المغرب، يوم الأحد الموقى عشرين لذي الحجة عام تسعة و تسعين و ستمائة، و دفن بخارج باب قبالة في مالقة المذكورة بمقبره من رابعة بنى عمّار، و بالروضة المنسوبة لبني يحيى، نقلت من خط ولده الفضل.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٥٨

أحمد بن محمد بن أحمد بن قنّب الأزدي

يكنى أبا جعفر، و يعرف بابن قنّب.

أوليته: ذكر الأستاذ ابن الزبير في «صلته» و غيره، أن قوما بغرناطة يعرفون بهذه المعرفة، فإن كان منهم، فله أولية لا بأس بها. حاله: كان من شيوخ كتاب الشروط معرفة بالمسائل، و اضطلاعا بالأحكام، و انفراد بصحة الوثيقة، باقعة من بواقع زمانه، و عيابه في مشايخ قطره، يألف التادرة الحارة في ملاء من التوك و الغفلة، فلا يهتّر لموقع نادرة، و لا يضحك عقب عقد صرعه، لقلقه غير ما مرة، غير مجلس من مجالس القضاء من بنى مسعود المزراة أحكامهم، المرمية بتهمته و إزرائه، فتقتع في طريق حكمهم خطى منفسحة، غير مكترث بهوانه، و لا- غاص بلسانه. و ربما قال لبعض الوزعة من قاداته بمحبسه، و قد توقّفوا به في بعض الطريق، توقعا لسكون غضب قاضيهم، ابعثوا بعضهم إلى هذا المحروم، لئرى ما عزم عليه، بكلام كثير الفتور و الاستكانة، له في هذا الباب شهرة.

ذكر بعض نزعاته: حدّثني ملازمه، وقف عليه، أبو القاسم بن الشيخ الرئيس أبي الحسن بن الجيّاب، و قد أعمل والده، رحلة إلى مالقة لزيارة شيخه الذي تلمذ له، و شهر بالتشيع فيه، أبي عبد الله الساحلي، صاحب الأتباع و الطريقة، و كان مفرط الغلو فيه، و استصحب ولده الصغير، فسأله عن سفر أبيه و سعيه، فقال: نعم، و احتمل أخى، فقال: أظنه منذر ولد كان غير مغتطس، فحملة الشيخ، فغطسه، و استغرب كل من حضر ضحكا، فلم يبتسم هو كأنه لا شعور عنده بما ذهب إليه، فكانت إحدى الطوام عند الشيخ.

و حدّثني، قال: جاءت امرأة تخاصم ميثارا، أوصلها من بعض المدن، في أمر نشأ بينهما، و بيده عقد، فقال بعض جيرانه، من نصيه حاكيا: «و أنه جامعها من موضع كذا إلى كذا» و لم يرسم المدّ على ألف «جا»، فقال الشيخ للمرأة: أ تعرفين أن هذا الميثار جامعك في الطريق أى فعل بك، فقالت: معاذ الله، و نفرت من ذلك،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٥٩

فقال: كذا شهد عليك الفقيه، و أشار إلى جاره. و مثل ذلك كثير. و لى القضاء بأماكن عديدة كلوشة، و بسطة، و المسند، و برجة، و أرجبة، و غير ذلك.

مشيخته: يحمل عن الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، و الخطيب الصالح أبي عبد الله بن فضيلة، و أبي محمد بن سماك، و أبي الحسن بن

مستقور.

مولده: عام سبعين و ستمائة. توفي قاضيا ببرجة بعد علة سدت به في السادس عشر من شعبان من عام اثنين و ثلاثين و سبعمائة، و انتقل منها في وعاء خشب. و دفن بمقبرة إلبيرة، تجاوز الله عنه و رحمه.

أحمد بن محمد بن سعيد بن زيد الغافقي

من أهل غرناطة، و جلة بيوتها، و يأتي من ذكر ذلك ما فيه كفاية.

حاله: هذا الرجل ممن صرفت إلى الله رجعا، و خلصت له معاملته، و خلص إليه انقطاعه. نازع في ذلك نفسا جامحة في الحزم، عريقة في الغفلة، فكتب الله له النصر عليها دفعة، فشمّر و فوّت الأصول للحضرة في باب الصدقة، و نبذ الشواغل، و حفظ كتاب الله على الكبرة، و استقبل المحراب، ملغيا سواه، درأ به، فاتفق على فضله، و غبط في حسن فينته. و له ديوان نبيل يتضمّن كثيرا من فقه النفس و البدن، دلّ على نبه، و هو بحاله الموصوفة إلى هذا العهد. نفعه الله تعالى.

مولده: بغرناطة عام تسعين و ستمائة.

أحمد بن أبي سهل بن سعيد بن أبي سهل الخزرجي

من أهل الحمّة، يكنى أبا جعفر.

حاله: من أهل الخير و العفاف و الطهارة و الانقباض، و الصحة و السلامة، أصيل البيت، معروف القدم ببلده، حرّ النادرة، قرأ بالحضرة، و اجتهد، و حصل؛ و لازم الأستاذ أبا عبد الله الفخار و غيره من أهل عصره. و ولي القضاء ببلدة الحمّة، ثم بغربي مالقة. و هو الآن قاض بها، مشكور الشيرة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٦٠

أحمد بن عمر بن يوسف بن إدريس بن عبد الله ابن ورد التميمي

من أهل المرية. يكنى أبا القاسم، و يعرف بابن ورد.

حاله: قال الملاحى: كان من جلة الفقهاء المحدّثين. قال ابن الزبير كذلك، و زاد: موفور الحظّ من الأدب و النحو و التاريخ، متقدّما في علم الأصول و التفسير، حافظا متقنا، و يقال إن علم المالكية انتهت إليه الرياسة فيه، و إلى القاضي أبي بكر بن العربي، فى وقتها، لم يتقدّمهما فى الأندلس أحد بعد وفاة أبي الوليد بن رشد.

قال: أخبرنى الثقة أبو عبد الله بن جوبر عن أبي عمر بن عات، قال: حديث ابن العربي، اجتمع بابن ورد، و تبايتا ليلة، و أخذنا فى التناظر و التذاكر، فكانا عجا. يتكلم أبو بكر فيظن السامع أنه ما ترك شيئا إلّا أتى به، ثم يجيبه أبو القاسم بأبدع جواب ينسى السامعين ما سمعوا قبله. و كانا أعجوبتى دهرهما. و كان له مجلس يتكلم فيه على الصحيحين، و يخصّ الأخمسة بالتفسير. حلولة غرناطة: قال المؤرّخون: ولى قضاء غرناطة سنة عشرين، فعدل و أحسن السيرة، و به تفقه طلبتها إذ ذاك.

مشيخته: روى عن أبي على الغسانى، و أبى الحسن بن سراج، و أكثر عنه، و أبى بكر بن سابق الصقيلى، و أبى محمد بن عبد الله بن فرج، المعروف بالعمّال الزاهد، و لازمه، و هو آخر من روى عنه. و رحل إلى سجلماسة، و ناظر عند ابن العواد. و روى أيضا عن أبى الحسن المبارك، المعروف بالخشاب، و كان الخشاب يحمل عن أبى بكر بن ثابت الخطيب و غيره.

من روى عنه: و روى عنه جماعة كأبى جعفر بن الباذش، و أبى عبيد الله، و ابن رفاعه، و ابن عبد الرحيم، و ابن حكيم و غيرهم. و

آخر من روى عنه، أبو القاسم بن عمران الخزرجي بفاس.
وفاته: توفى بالمريّة في الثاني عشر لرمضان سنة أربعين و خمسمائة.

أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن علي الأموي

يكنى أبا جعفر، و يعرف بابن برطال، أصله من قرية تعرف بحارة البحر من وادي طرش نصر، حصن متماس من شرقي مالقة، من بيت خير و أصالة،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٦١

و انتقل سلفه إلى مالقة، فتوشجت لهم بها عروق، و صاهروا إلى بيوتات نبيهه.

حاله: كان من أهل الخير، و كان على طريقة مثلى من الصّيمت، و السّيمت، و الانقباض، و الذكاء، و العدالة و التخصّص، محوّلا في الخير، ظاهر المروءة، معروف الأصالة، خالص الطّعمه، كثير العقّة، مشهور الوقار و العفاف، تحرّف بصناعة التوثيق على انقباض.

دخوله غرناطة: تقدّم قاضيا بغرناطة، بعد ولاية القضاء ببلده، و انتقل إليها، و قام بالرّسم المضاف إلى ذلك، و هو الإمامة بالمسجد الأعظم منها، و الخطابة بجامع قلعها الحمراء؛ و استقلّ بذلك إلى تاسع جمادى الثانيه من عام أحد و أربعين و سبعمائة، على قصور

في المعارف، و ضعف في الأداء، و كلال في الجدّ، و لذلك يقول شيخنا أبو البركات بن الحاج: [الرمل]

إنّ تقديم ابن برطال دعاطلب العلم إلى ترك الطّلب

حسبوا الأشياء عن أسبابها فإذا الأشياء عن غير سبب

إلّا أنه أعانتة الدربة و الحنكة على تنفيذ الأحكام، فلم تؤثر عنه فيها أحداثه، و استظهر بجزالة أمضت حكمه، و انقباض عافاه عن الهوادة، فرضيت سيرته، و استقامت طريقته.

مشيخته: لقي والده، شيخ القضاء، و بقيه المحدثين، و له الرواية العالية، و الدرجة الرفيعة، حسبما يأتي في اسمه، و لم يؤخذ عنه شيء فيما أعلم.

شعره: أنشدني الوزير أبو بكر بن ذى الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم، قال: أنشدني القاضي أبو جعفر بن برطال لنفسه، مودعا في بعض الأسفار:

[الكامل]

أستودع اللّهم من لوداعهم قلبي و روحى إذ دنى لوداعى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٦٢ بانوا و طرفى و الفؤاد و مقولى باك و مسلوب العزاء وداع

فتولّ يا مولاي حفظهم و لاتجعل تفرّقنا فراق وداع

وفاته: توفى، رحمه الله و عفا عنه، أيام الطاعون الغريب بمالقة، في منتصف ليلة الجمعة خامس صفر عام خمسين و سبعمائة، و خرجت جنازته في اليوم التالي، ليلة وفاته في ركب من الأموات، يناهز الألف، و ينيف بمائتين، و استمرّ ذلك مدة، و كان مولده عام تسعة و ثمانين و ستمائة، رحمه الله تعالى.

أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن عميرة المخزومي

بلنسى شقورى الأصل، يكنى أبا مطرف.

أولّيته: لم يكن من بيت نباهه؛ و وقع لابن عبد الملك في ذلك نقل، كان حقه التجافى عنه، لو وقّق.

حاله: قال ابن عبد الملك: كان أوّل طلبه العلم شديد العناية بشأن الرواية، فأكثر من سماع الحديث و أخذه عن مشايخ أهله، و تفنّن

في العلوم، و نظر في العقليات و أصول الفقه، و مال إلى الأدب فبرع فيه براعة عدّ بها من كبار مجيدي النّظم. و أما الكتابة، فهو علمها المشهور، و واحدها الذي عجزت عن ثانيه الدّهور، و لا سيما في مخاطبة الإخوان، هنالك استولى على أمد الإحسان، و له المطولات المنتخبة، و القصار المقتضبة، و كان يملح كلامه نظما و نثرا بالإشارة إلى التاريخ، و يودعه إلماعات بالمسائل العلمية الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٦٣

منوّعة المقصد . قلت: و على الجملة، فذات أبي المطرف فيما ينزع إليه، ليست من ذوات الأمثال، فقد كان نسيج وحده، إدراكا و تفنّنا، بصيرا بالعلوم، محدّثا، مكثرا، راوية ثبّتا، سجرا في التاريخ و الأخبار، ريان، مضطعا بالأصلين، قائما على العربية و اللغة، كلامه كثير الحلاوة و الطلاوة، جمّ العيون، غزير المعاني و المحاسن، وافد أرواح المعاني، شفّاف اللفظ، حرّ المعنى، ثاني بديع الزمان، في شكوى الحرفة، و سوء الحظ، و رونق الكلام، و لطف المأخذ، و تبرز النثر على النظم، و القصور في السلطانيات. مشيخته: روى عن أبي الخطاب بن واجب، و أبي الربيع بن سالم، و أبي عبد الله بن فرج و أبي علي السّلميين، و أبي عمر بن عات، و أبي محمد بن حوط الله، لقيهم، و قرأ عليهم، و سمع منهم، و أجازوا له؛ و أجاز له من أهل المشرق أبو الفتوح نصر بن أبي الفرج و غيره.

من روى عنه: روى عنه ابنه القاسم، و أبو بكر بن خطاب، و أبو إسحاق البلقيني الحفيد، و الحسن بن طاهر بن الشّقوري، و أبو عبد الله البرّي. و حدّث عنه أبو جعفر بن الزبير، و ابن شقيف، و ابن ربيع، و غيرهم مما يطول ذكره. نباهته: صحب أبا عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن خطاب قبل توليته ما تولّى من رياسة بلده، و انتفع به كثيرا؛ و كتب عن الرئيس أبي جميل زيان بن سعد و غيره من أمراء شرق الأندلس. ثم انتقل إلى العدوّة، و استكتبه الرشيد أبو محمد عبد الواحد بمراكش، مدة يسيرة؛ ثم صرفه عن الكتابة و ولّاه قضاء مليانة من نظر مراكش الشرقي، فتولّاه قليلا، ثم نقله إلى أقصى رباط الفتح. و توفي الرشيد، فأقرّه على ذلك الوالي بعده، أبو الحسن المعتضد أخوه؛ ثم نقله إلى قضاء مكناسة الزّيتون؛ ثم لما قتل المعتضد لحق بسبته، و جرى عليه بطريقها ما يذكر في محنته. ثم ركب البحر منها متوجّها إلى إفريقية، فقدم بجاية على الأمير أبي زكريا يحيى بن الأمير أبي زكريا. ثم توجه إلى تونس فنجحت بها وسائله، و ولّى قضاء مدينة الأرش. ثم انتقل إلى قابس، و بها طالت مدة ولايته؛ و استدعاه المستنصر بالله محمد بن أبي زكريا، و لطف محلّه منه، حتى كان يحضر مجالس أنسه، و داخله بما قرفته الألسن بسببه حسبما يذكر في و صمته.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٦٤

مناقبه: و هي الكتابة و الشعر؛ كان يذكر أنه رأى في منامه النبيّ، صلى الله عليه و سلم، فناوله أقلاما، فكان يروى له أن تأويل تلك الرؤيا، ما أدرك من التبريز في الكتابة، و شياع الذكر، و الله أعلم. و من بديع ما صدر عنه، فيما كتب في غرض التورية، قطعة من رسالته، أجاب بها العباس بن أمية، و قد أعلمه باستيلاء الروم على بلنسية، فقال:

«بالله أيّ نحو ننحو، أو مسطور نثب أو نمحو؛ و قد حذف الأصل و الزائد، و ذهبت الصلّة و العائد؛ و باب التعجب طال، و حال اليأس لا تخشى الانتقال؛ و ذهبت علامة الرّفح، و فقدت نون الجمع؛ و المعتلّ أعدى الصّحيح و المثلث أردى الفصيح؛ و امتنعت الجموع من الصّرف، و أمنت زيادتها من الحذف؛ و مالت قواعد الملة، و صرنا جمع القلّة؛ و ظهرت علامة الخفض، و جاء بدل الكلّ من البعض». و من شعره في المقطوعات التي ورى فيها بالعلوم قوله: [الخفيف]

قد عكفنا على الكتابة حيناً و أتت خطّة القضاء تليها

و بكلّ لم يبق للجهد إلّا منزلاً نايباً و عيشاً كريها

نسبة بدلت و لم تتغير مثل ما يزعم المهندس فيها

و كقوله مما افتتح به رسالة : [البيسط]
يا غائبا سلبتني الأنس غيبته فكيف صبرى و قد كابدت بينهما؟
دعواى أنك فى قلبى فعارضها شوقى إليك فكيف الجمع بينهما؟
و فى مثل ذلك استفتاح رسالته أيضا : [الكامل]
إن الكتاب أتى و ساحه طرسه روح موشى بالبديع مرتع
و له حقوق ضاق وقت وجوبها و من الوجوب مضيق و موسع
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٦٥
و فى مثل ذلك فى استفتاح رسالته أيضا : [الكامل]
كبرت بالبشرى أتت و سماعها عيذى الذى لشهوده تكبيرى
و كذلك الأعياد سنه يومها مختصة بزيادة التكبير
و فى أغراض آخر : [الخفيف]
بايعونا مودة هى عندى كالمراة بيعها بالخداع
فسأقضى بردها ثم أقضى بعدها من مدامعى ألف صاع
و له فى معنى آخر : [الطويل]

شرطت عليهم عند تسليم مهجتى و عند انعقاد البيع قربا يواصل
فلما أردت الأخذ بالشرط أعرضوا و قالوا يصح البيع و الشرط باطل

تصانيفه: له تأليف فى كائنة مبرقة و تغلب الروم عليها، نحى فيه منحى العماد الأصفهاني، فى الفتح القدسى ؛ و كتابه فى تعقبيه على
فخر الدين بن الخطيب الرزاقى فى كتاب المعالم فى أصول الفقه منه؛ و رده على كمال الدين أبى محمد بن عبد الكريم السيامكى فى
كتابه المسمى بالتيان فى علم البيان؛ و اقتضابه النبيل فى ثورة المريدين ، إلى غير ذلك من التعاليق و المقالات، و دون الأستاذ أبو
عبد الله بن هانىء السبتي كتابته و ما يتخللها من الشعر فى سفرين بديعين أتقن ترتيبهما، و سمي ذلك «بغية المستطرف، و غنية
المتطرف، من كلام إمام الكتابة ابن عميرة أبى المطرف».

دخوله غرناطة: قال شيخنا أبو الحسن بن الجيآب: عمير أخبر بذلك من شيوخه، و الرجل ممن يركن إليه فى أخباره فيما أحقوا على
سبيل الرواية و الإخبار، من شرق الأندلس إلى غرناطة، إلى غربها إلى غير ذلك، عند رحلته، و هو الأقرب، و قال: قال المخبر: عهدى
به طويلا، نحيف الجسم، مصفرا، أقى الأنف؛ أصيب

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٦٦

بمالقة ما أحوج ما كان إليه، و قد استقبل الكبره ، و نازعه سوء الحظ. قال الشيخ أبو الحسن الرعيني: إنه كتب إليه يعلمه بهذه الحادثة
عليه، و أن المنهوب من ماله يعدل أربعة آلاف دينار عشرية، و كان ورقا و عينا و حليا و ذلك أنه لما قتل المعتضد، اغتنم الفطرة، و
فصل عن مكناسه، قاصدا سبته، فلقي الرفقة التى كان فيها جمع من بنى مرين، سلبوه و كل من كان معه.

مولده: بجزيرة شقر ، و قيل ببلنسية، فى رمضان اثنتين و ثمانين و خمسمائة.

وفاته: توفى بتونس ليلة الجمعة الموفية عشرين ذى الحجة عام ست و خمسين و ستمائة . قال ابن عبد الملك : و وهم ابن الزبير فى
وفاته، إذ جعلها فى حدود الخمسين و ستمائة أو بعدها.

من أهل مالقة، يكنى أبا جعفر، ويعرف بابن عبد الحق.

حاله: من صدور أهل العلم والتفنن في هذا الصِّقع الأندلسي، نسيج وحده في الوقار والحصافة، والتزام مثلى الطريقة، جمّ التحصيل، سديد النظر، كثير التخصص، محافظ على الرسم، مقبوض العنان في التّطيف في إيجاب الحقوق لأهلها، قريب من الاعتدال في معاملة أبناء جنسه، مقتصد مع ثروته، مؤثر للترتيب في كافّة أمره، متوقّد الفكرة مع سكون، لئين العريكة مع مضاء؛ مجموع خصال حميدة مما يفيد التجريب والحنكة؛ مضطلع بصناعة العربية، حائز قصب السيّبق فيها، عارف بالفروع والأحكام، مشارك في فنون من أصول، و طبّ، و أدب، قائم على

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٦٧

القراءة، إمام في الوثيقة، حسن الخطّ، مليح السّمة والشّية، عذب الفكاهة، حسن العهد، تامّ الرجولية.

نباهته: تصدّر للإقراء ببلده على وفور أهل العلم، فكان سابق الحلبة، و مناخ الطيبة، إمتاعاً، و تفنّناً، و حسن إلقاء. و تصرّف في القضاء ببلّش و غيرها من غربى بلده، فحسنت سيرته، و اشتهرت طريقته، و حمدت نزاهته. ثم ولى خطّة القضاء بمالقة، و النظر في الأحباس بها، على سبيل من الحظوة و النّباهة، مرجوعاً إليه في كثير من مهمّات بلده، سائمه وجوه السعادة، ناطقة ألسن الخاصّة و العامّة بفضلها، جمّاعة نزاهته، آوياً إلى فضل بيته. و اتّصلت ولايته إياها إلى هذا العهد، و هى أحد محامد الوالى، طول مدة الولاية، لا سيما القاضى، ممّا يدلّ على الصبر، و قلة القدر، و سدّ أبواب التّهم، و الله يعينه، و يمتّع به بمنه.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبى عبد الله بن بكر، و هو نجيب حليته، و السّهم المصيب من كنانته، لازمه، و به تفقّه و انتفع، و تلا القرآن عليه و على محمد بن أيوب، و على أبى القاسم بن درهم علمى وقتهما فى ذلك، و على غيرهما، و تعلّم الوثيقة على العاقد القاضى أبى القاسم بن العريف. و روى عن الخطيبين المحدثين أبى عثمان بن عيسى و أبى عبد الله الطنجالى، و غيرهما. دخوله غرناطة: تردّد إليها غير ما مرّ، منها فى أمور عرضت فى شؤونه الخاصّة به، و منها مع الوفود الجليّة، من أهل بلده، تابعا قبل الولاية، متبوعا بعدها.

و من شعره قوله فى جدول: [الكامل]

و مقارب الشّطين أحكم صقله كالمشرفى إذا اكتسى بفرنده
فحماثل اللّيباج منه خمائل و معانق فيها البهار بورده
و قد اختفى طرف له فى دوحه كالسيف ردّ ذبابه فى غمده

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٦٨

و قوله فى شجر نارنج مزهر: [الكامل]

و ثمار نارنج نرى أزهارها مع نأتى النّارنج فى تنضيد
فإذا نظرت إلى تألفها أتت كمباسم أو مت للثم حدود

وفاته: فى زوال يوم الجمعة السابع و العشرين لرجب عام خمسة و ستين و سبعمائة.

مولده: ثامن شوال عام ثمانية و تسعين و ستمائة.

أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الأنصارى الخزرجى

يكنى أبا العباس، من أهل الثغر الأعلى.

أولّيته: من سرقسطة، حيث منازل الأنصار هنالك؛ انتقل جدّ أبى عبد الرحمن بابنه الصغير منها لحدوث بعض الفتن بها إلى بلنسية، فولد له ابنه عبد الرحمن أبو العباس هذا؛ ثم انتقل أبوه إلى المرية، فولد أبو العباس بها، و نقله أبوه إلى سبتة فأقام بها مدّة.

حاله: كان محدثاً مكثراً ثقفاً، ضابطاً، مقرئاً، مجوّداً، حافظاً للفقه، ذاكرة للمسائل، عارفاً بأصولها، متقدّماً في علم الكلام، عاقداً للشروط، بصيراً بعللها؛ حاذقاً بالأحكام، كاتباً بليغاً، شاعراً محسناً، أتقن أهل عصره خطّاً، وأجلّهم منزعاً، ما اكتسب قطّ شيئاً من متاع الدّنيا، ولا تلبس بها، مقتنعاً

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٦٩

باليسير، راضياً بالدّون، مع الهمة العليّة، والنفس الأبيّة، على هذا قطع عمره، وكتب من دواوين العلم ودفاتره، ما لا يحصى كثرة، بجودة و ضبط و حسن خطّ؛ و عنى به أبوه في صغره، فأسمعه كثيراً من الشروح، و شاركه في بعضهم. نفعه الله.

نباهته: استدعاه أبو عبد الله بن حسن، قاضي مراكش، إلى كتابته، إلى أن صرف، و استقرّ هو متولّي حكمها و أحكامها، و الصلاة في مسجدها، ثم ترك الأحكام، و استقرّ في الإمامة. و لمّا تصيّر الأمر إلى الموحّدين، ألحقه عبد المؤمن منهم، بجملته طلبه العلم، و تحفّى به، و قدّمه إلى الأحكام بحضرة مراكش، فقام بها مدّة، ثم ولّاه قضاء غرناطة، ثم نقله إلى إشبيلية قاضياً بها مع وليّ عهده. و لمّا صار الأمر إلى يعقوب، ألزمه خدمة الخزانة العلميّة و كانت عندهم من الخطط التي لا يعين لها إلّا كبار أهل العلم و عليّهم، و كانت مواهب عبد المؤمن له جزلة، و أعطياتهم مترافهة كثيرة.

مشيخته: قرأ القرآن على أبيه، و أكثر عنه، و أجاز له، و على أبي الحسن التطيلي، قال: و هو أول من قرأت عليه.

من روى عنه: روى عنه أبو عبد الله، و أبو خالد يزيد بن يزيد بن رفاعه، و أبو محمد بن محمد بن علي بن وهب القضاعي. دخوله غرناطة: صحبه القاضي أبي القاسم بن جمره، و توه به و استخلفه إذ وليها، و قبض عليه بكتلي يديه، ثم استقضى بها أبو الفضل عياض بن موسى، فاستمسك به، و اشتمل عليه؛ لصحبه كانت بينهما و قرابه، إلى أن صرف عنها أبو الفضل عياض، فانتقل إلى وادي آش، فتولّى أحكامها و الصلاة بها، ثم عاد إلى غرناطة سنه ست و ثلاثين، إلى أن استقضى بغرناطة في دولة أبي محمد بن

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٧٠

عبد المؤمن بن علي؛ فحمدت سيرته، و شكر عدله، و ظهرت نزاهته، و دام بها حتى ظنّ من أهلها.

شعره: و شعره في طريقة الزهد، و هي لا ينفذ فيها إلّا من قويت عارضته، و توقّرت مادّته: [الطويل]

إلهي لك الملك العظيم حقيقته و ما للورى مهما منعت نقير

تجافى بنو الدنيا مكاني فسرتني و ما قدر مخلوق جداه حقير

و قالوا فقير و هو عندي جلاله نعم صدقوا إنني إليك فقير

و شعره في هذا المعنى كثير، و كله سلس المقادة، دالاً على جودة الطبع. و من شعره قوله: [الكامل]

أرض العدو بظاهر متصنّع إن كنت مضطراً إلى استرضائه

كم من فتى ألقى بوجه باسم و جوانحي تنقّد من بغضائه

تصانيفه: له تصانيف مفيدة تدلّ على إدراكه و إشرافه، كشرحه «الشّهاب»، فإنه أبداع فيه، و كتابه «أنوار الأفكار»، فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزّهاد و الأبرار»، ابتداء تأليفه، و توفي دون إتمام غرضه فيه، فكمله عبد الله ابنه.

محنته: كان ممّن وقعت عليه المحنة العظمى بمراكش يوم دخول الموحّدين إياها، يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شوال عام أحد و أربعين و خمسمائة، على الوجه المشهور في استباحة دماء كل من اشتملت عليه من الذّكور البالغين؛ إلّا من تسترّ بالاختفاء في سرب أو غرفة أو مخبأ. و تمادى القتل فيها ثلاثة أيام، ثم نودي بالعمو عمّن أشارته الفتكة الكبرى، فظهر من جميع الخلق بها، ما يناهز السبعين رجلاً، و بيعوا أسارى المشركين، هم و ذراريهم، و عفى عنهم، فكان أبو العباس ممّن تخطّطه المتيّة، و استنقذه من الرّقّ العفو، و حسبك بها محنة، نفعه الله، و ضاعت له في ذلك و في غيره كتب كثيرة بخطّه و بغير خطّه، مما تجلّ عن القيمة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٧١

مولده: بالمريّة في أواخر شهر ربيع سنة اثنتين وخمسمائة.

وفاته: توفي بمراكش بين صلاة الظهر والعصر، في يوم الأحد لثمان خلون من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وخمسمائة. ودفن يوم الاثنين بعده عقب صلاة الظهر، و صلى عليه القاضي أبو يوسف حجاج؛ وكانت جنازته عظيمة المحفل، كثيرة الجمع؛ برز إليها الرجال والنساء ورفعوا نعشه على الأيدي، رحمه الله.

و مما رثاه به جاره و صديقه أبو بكر بن الطفيل ، و هو ياشبيلية، بعث بها إلى ابنه مع كتاب في غرض العزاء : [الوافر]

لأمر ما تغيّرت الدهور وأظلمت الكواكب والبدور

و طال على العيون الليل حتى كأنّ النّجم فيه لا يغور

أحمد بن أبي القاسم بن عبد الرحمن

يعرف بابن القتاب، من أهل فاس، و يكنى أبا العباس.

حاله: هذا الرجل، صدر عدول الحضرة الفاسية، و ناهض عشهم، طالب، فقيه، نبيه، مدرّك، جيّد النظر، سديد الفهم؛ حضر الدرس بين يدي السلطان، و ولى القضاء بجبل الفتح، متصفاً فيه بجزاله و انتهاض. تعرّفت به بمدينة فاس، فأعجبته سيمته؛ و وصل مدينة

سلا في غرض اختبار و استطلاع الأحوال السلطانية؛ و استدعيته فاعتذر ببعض ما يقبل، فخاطبته بقولي : [الوافر]

أبيتم دعوتي إمّا لشأو و تأبى لومه مثلى الطريقه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٧٢ و بالمختار للناس اقتداء و قد حضر الوليمة و العقيقه

و غير غريبه أن رقّ حرّ على من حاله مثلى رقيقه

و إمّا زاجر الورع اقتضاها و يأبى ذاك دكان الوثيقه

و غشيان المنازل لاختبار يطالب بالجليلة و الدقيقه

شكرت مخيلة كانت مجازالكم و حصلت بعد على الحقيقه

و تفرّع الكلام على قولي: «و يأبى ذاك دكان الوثيقه»، بما دعى إلى بيانه بتصنيفي فيه الكتاب المسّمى «بمثلى الطريقه في ذمّ الوثيقه».

دخوله غرناطة: في عام اثنتين وستين و سبعمائة، موجّهاً من قبل سلطان المغرب أبي سالم بن أبي الحسن لمباشرة صدقة عهد بها لبعض الرّبط؛ و هو إلى الآن، عدل بمدينة فاس، بحال تجلّه و شهرة. ثم تعرّفت أنه نسك و رفض العيش من الشهادة ككثير من الفضلاء.

أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الحسن ابن الحسين بن الزبير بن عاصم بن مسلم بن كعب الثقفي

يكنى أبا جعفر.

أوليته: كعب الذي ذكر، هو كعب بن مالك بن علقمة بن حباب بن مسلم بن عدى بن مرّة بن عوف بن ثقيف؛ أصله من مدينة جيان، منزل قنّسرين، من العرب الداخلين إلى الأندلس؛ و نسبه بها كبير، و حسبه أصيل، و ثروته معروفة. خرج به أبوه عند تغلب العدو عليها عام ثلاثه و أربعين و ستمائة، و لأبيه إذ ذاك إثناء و جده أعانتته على طلب العلم، و إرفاد من أحوجته الأزمه في ذلك الزمان من جاليه العلماء عن قرطبة و إشبيلية كأبي الحسن الصائغ و غيره، فنصحوا له، و حطبوا في حبله.

حاله: كان خاتمة المحدّثين، و صدور العلماء و المقرّئين، نسيح وحده، في حسن التعليم، و الصبر على التّسميع، و الملازمة للتدريس، لم تختلّ له، مع تخطّي

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٧٣

الثمانين، و لا لحقته سآمة، كثير الخشوع والخشية، مسترسل العبرة، صليبا في الحق، شديدا على أهل البدع، ملازما للسنّة، جزلا، مهيبا، معظما عند الخاصية والعامة، عذب الفكاهة، طيب المجالسة، حلو التآدره، يؤثر عنه في ذلك حكايات، لا تخل بوقار، و تحل بجلال منصب.

فنونه: إليه انتهت الرياسة بالأندلس في صناعة العربية، و تجويد القرآن، و رواية الحديث، إلى المشاركة في الفقه، و القيام على التفسير، و الخوض في الأصولين.

مشيخته: أخذ عن الجلة المقرئين، كالمقرئ أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن مستقور الغرناطي الطائي.

نباهته و خطته: ولى قضاء المناكح، و الخطبة بالحضرة، و بلغ من الشهرة و الإشادة بذكره، ما لم يبلغه سواه.

تصنيفه: من تأليفه كتاب «صلة الصلّة» لابن بشكوال، التي و صلتها بعده، و سميت كتابي ب «عائد الصلّة»، و افتتحت أول الأسماء فيه باسمه؛ و كتاب «ملايك التأويل، في المتشابه اللفظ في التّزليل» غريب في معناه؛ و البرهان في ترتيب سور القرآن؛ و شرح الإشارة للباحي في الأصول؛ و سبيل الرّشاد في فضل الجهاد؛ و ردع الجاهل عن اغتياب المجاهل، في الرد على الشّوديّة، و هو كتاب جليل ينبي عن التّفنّ و الاضطلاع؛ و كتاب الزمان و المكان، و هو وصمه، تجاوز الله عنه.

شعره: و شعره مختلف عن نمط الإجادة، مما حقّه أن يثبت أو ثبت في كتاب شيخنا أبي البركات المسمّى «شعر من لا شعر له» مما رواه، ممّن ليس الشعر له بضاعة، من الأشياخ الذي عدّ صدر عنهم هو. فمن شعره: [السريع]

ما لي و للتسأل لا أمّ لي سألت من يعزل أو من يلي

حسبي ذنوب أثقلت كاهلي ما إن أرى إظلامها ينجلي الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ١؛ ص ٧٣

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٧٤ يا ربّ، عفوا إنها جمّة إن لم يكن عفوك لا أمّ لي

محنته: نشأت بينه و بين المتغلب بمالقة من الرؤساء التّجيبين من بني إشقيلولة، وحشّه أكّدها سعاية بعض من استهواهم رجل ممخرق من بني الشّعوذة، و منتحلي الكرامة، يمتطيها، زعموا إلى النبوة، يعرف بالفزاري، و اسمه إبراهيم، غريب المنزع، فدّ المآخذ، أعجوبة من أعاجيب الفتن، يخبر بالقضايا المستقبلية، و يتسور سور حمى العادة في التطور من التّشّف و الخلاية، تبعه ثاغية و راغية، من العوام الصّمّ البكم، مستفزين فيه حياته؛ و بعد زمن من مقتله، على يد الأستاذ بغرناطة، قرعه بحقّه، و بادره بتعجيل نكيره، فاستغاث بمفتونه الرئيس، ظهير محاله فاستعصى له؛ و بلغ الأستاذ النياحة، ففرّ لوجهه، و كبس منزله لحيته، فاستولت الأيدي على ذخائر كتبه، و فوائد تقييده عن شيوخه، على ما طالت له الحسرة، و جلت فيه الرزية. و لحق بغرناطة آويا إلى كنف سلطانها الأمير أبي عبد الله بن الأمير الغالب بالله بن نصر؛ فأكرم مثواه، و عرف حقّه، و انثال عليه الجّم الغفير لالتماس الأخذ عنه، إلى أن نالته لديه سعاية، بسبب جار له، من صلحاء القرابة النّصريّة، كان ينتابه لنسبه الخيريّة، نمت عنه في باب تفضيله، و استهالت للأمر كلمة، أو جبت امتحانه، و تخلّل تلك الألقية من الشكّ، ما قصر المحنة على إخراجة من منزله المجاور لذلك المتهم به، و منعه من التصرف، و التزامه قعر منزل انتقل إليه بحال اعتزال من الناس، محجورا عليه مداخلتهم؛ فمكث على ذلك زمانا طويلا، إلى أن سرّيت عنه النكبة، و أقشعت الموجدة، فتخلّص من سرارها بدره؛ و أقلّ من شكاتها جاهه، و أحسنت أثرها حاله، و كثر ملتسمه، و عظمت في العالم غاشيته؛ فدوّن و استمع، و روى و درّب، و خرّج و أدب و علّم، و حلّق و جهر. و كانت له الطّاييلة على عدوّه، و العاقبة للحسنى، بعد ثبات أمره، و الظفر بكثير من منتهب كتبه. و آلت الدولة للأمير أبي عبد الله نصر بمالقة، فطالب الفزاريّ المذكور، و استظهر بالشّهادات عليه، و بالغ في دحض دعوته، إلى أن قتل على يده بغرناطة.

حدّثنا شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب، قال: لما أمر بالتأهب للقتل و هو في السجن الذي أخرج منه إلى مصرعه، جهر بتلاوة «ياسين»، فقال له أحد الدّعرة، ممّن

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٧٥

جمع السجن بينهم «اقرأ قرآنك؛ على أي شيء تتطفل على قرآننا اليوم» أو ما هو في معناه. فتركها مثلا للوذعية. مولده: ببلده جيان في أواخر عام سبعة و عشرين و ستمائة.

وفاته: و توفي بغرناطة في الثامن لشهر ربيع الأول عام ثمانية و سبعمائة.

و كانت جنازته جنازة بالغه أقصى مبالغ الاحتفال، نفر لها الناس من كل أوب، و احتمل طلبه العلم نعشه على رؤوسهم، إلى جدته، و تبعه ثناء جميل، و جزع كبير، رحمه الله.

و رثاه طائفة من طلبته؛ و ممن أخذ عنه منهم، القاضي أبو جعفر بن أبي حبل في قصيدة أولها: [الطويل]

عزيز على الإسلام و العلم ماجد فكيف لعيني أن يلّم بها الكرى؟

و ما لمآقى لا تفيض شوونها نجيعا على قدر المصيبة أحمرًا؟

فو الله ما تقضى المدامع بعض ما يحقّ و لو كانت سيولا و أبحرا

حقيق لعمري أن تفيض نفوسنا و فرض على الأكباد أن تنفطرا

أحمد بن عبد الولي بن أحمد الرعيني

يكنى أبا جعفر؛ و يعرف بالعواد، صنعه لأبيه الكاتب الصالح.

حاله: هو من بيت تصاون، و عفاف، و دين، و التزام السنّة؛ كانوا في غرناطة في الأشعار، و تجويد القرآن، و الامتياز بحمله، و عكوفهم عليه، نظراء بنى عظيمة بإشبيلية، و بنى البادش بغرناطة؛ و كان أبو جعفر هذا، المترجم له ممن تطوى عليه الخناصر، معرفة بكتاب الله، و تحقيقا لحقه، و إتقانا لتجويدته، و مثابرة على تعليمه، و نصحا في إفادته؛ على سنن الصالحين، انقباضا عن الناس، و إعراضا عن ذوى الوجاهة، ستيّا في قوله و فعله، خاصّيّا في جميع أحواله، مخشوشنا في ملبسه، طويل الصّمت إلّا في دست تعليمه، مقتصرًا في مكسبه، متّقيا لدينه، محافظا على أواده. سأل منه رجل يوما كتب رقعة، ففهم من أمره، فقال: يا هذا، و الله ما كتبت قطّ يميني إلّا كتاب الله، فأحبّ أن ألقاه على سجيّتي بتوفيقه، إن شاء الله، و تسديده.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، و الأستاذ أبي جعفر الحزموني الكفيف، و أبي عبد الله بن رشيد و غيرهم.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٧٦

وفاته: توفي في شهر ذى الحجة من عام خمسين و سبعمائة، و دفن بجبانة باب الفخارين في أسفل السفح تجاه القصور الحكيمية، و أتبعه الناس أحسن الثناء.

أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري

من أهل غرناطة؛ يكنى أبا جعفر، و يعرف بابن البادش.

أولّيته: أصله من جيان، من بيت خيرية و تصوّن.

حاله: قال القاضي أبو محمد بن عطية: إمام في المقرئين، و مقدّم في جهابذة الأستاذين، راوية، مكثّر، متفّن في علوم القراءة، مستبحر، عارف بالأدب و الإعراب، بصير بالأسانيد، نقاد لها، مميّز لشاذّها من معروفها. قال ابن الزبير: و ما علمت فيما انتهى إليه نظرى و علمي، أحسن انقيادا لطرق القراءة، و لا أجلّ اختيارا منه، لا يكاد أحد من أهل زمانه، و لا ممن أتى بعده أن يبلغ درجته في ذلك.

مشيخته: تفقّه بأبيه الإمام أبي الحسن، و أكثر الرواية عنه، و استوفى ما كان عنده، و شاركه في كثير من شيوخه. أخذ القراءات عرضا عن الإمام المقرئ أبي القاسم بن خلف بن النحاس، رحل إلى قرطبة و لازمه؛ و على المقرئ أبي جعفر هابيل بن محمد الحلاسى، و أبي بكر بن عيّاش بن خلف المقرئ، و أبي الحسن بن زكريا، و أبي الحسن شريح بن محمد، و أبي محمد عبد الله بن أحمد

الهمداني الجياني، رحل إليه إلى جيان، و تلا على جميع من ذكر. و روى بالقراءة و السماع و الإجازة على عالم كثير، كأبي داود و أبي الحسن بن أخي الرّش المقرئين، أجازا له؛ و أبي علي الغساني في الإمامة و الإتقان، و قد أسمع عليه؛ و أبي القاسم خلف بن صواب المقرئ، و أبي عامر محمد بن حبيب الجياني، و أبي عبد الله محمد بن أحمد التجيبي الشهير، و أبي محمد بن السيد، و أبي الحسن بن الأخضر، و أبي محمد عبد الله بن أبي جعفر الحافظ، و عالم كثير غير هؤلاء يطول ذكرهم.

من روى عنه: روى عنه أبو محمد عبد الله، و أبو خالد بن رفاعه، و أبو علي القلعي المعدي، و أبو جعفر بن حكم، و أبو الحسن بن الصّحّاك، و ابنه أبو محمد عبد المنعم، و هو آخر من حدّث عنه.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٧٧

تصانيفه: ألف كتاب «الإقناع» في القراءات، لم يؤلّف في بابه مثله؛ و ألف كتاب «الطرق المتداولة» في القراءات، و أتقنه كل الإتقان، و حرّر أسانيده و أتقنها، و انتقى لها، و لم يتسع عمره لفرش حروفهم و خلافهم من تلك الطرق. و ألف غير ما ذكر.

مولده: في ربيع الأول سنة إحدى و تسعين و أربعمائه.

وفاته: توفي ثاني جمادى الآخرة سنة أربعين و خمسمائة، و كان عمره تسعا و أربعين سنة.

أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد رحمه الله

يكنى أبا جعفر، من أهل مالقة، و يعرف بيته بها ببني راشد. قال شيخنا أبو البركات: نقلت اسم هذا من خطه، و لا نعلم له نسبا إذ لم يكتبه، و شهر بابن عبد النور.

حاله: كان قيما على العربية إذ كانت جلّ بضاعته؛ يشارك مع ذلك في المنطق، على رأى الأقدمين، و عروض الشعر، و فرائض العبادات من الفقه، و قرص الشعر. و كان له اعتناء بفكّ المعنى، و التثقير عن اللّغوز. و كان ذكّي الصوت عند قراءة القرآن، خاشعا به. رحل من بلده مالقة إلى سبته، ثم انتقل إلى الأندلس و أقرأ بوادي آش مدة، و تردّد بين ألمرية و برجة، يقرئ بها القرآن، و غير ذلك مما كان يشارك فيه. و ناب عن بعض القضاء وقتا، و دخل غرناطة أثناء هذا السّفر.

مشيخته: قال: أخذ القرآن قراءة على طريقة أبي عمرو و الدّاني، على الخطيب أبي الحسن الحجّاج بن أبي ريحانة المريلي، و لا يعلم له في بلده شيخ سواه، إذ لم يكن له اعتناء بلقاء الشيوخ، و الحمل عنهم. و من علمى أنه لقي أبا الحسن بن الأخضر المقرئ العروضي بسبته، و ذاكره في العروض، و لا أعلم هل أخذ عنه أم لا. و رأيت في تقايدى أن القاضي أبا عبد الله بن برطال حدّثني أن ابن النور قرأ معه الجزوليّ على ابن مفرّج المالقي تفقها، و قيد عليه تقييدا عرضه بعد ذلك، على ابن

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٧٨

مفرّج هذا؛ و هو محمد بن يحيى بن علي بن مفرّج المالقي. و روى عن أبي الحجّاج المتقدّم المذكور تيسير أبي عمرو الدّاني، و جمل الرّجّاجي، و أشعار السّنة، و فصيح أحمد بن يحيى بن ثعلب؛ و قفت في ذلك على رقّ أجاز فيه بعض الآخذين عنه، و لم ينصّ فيه على كيفية أخذه لهذا الكتيب عن أبي الحجّاج. قال: و رأيت في ذلك الرّقّ أوهاما تدلّ على عدم شعوره بهذا الباب جملة، و قبول التّلقين فيه، فلا ينبغي أن يركن إلى مثله فيه. و رأيت بخط بعض أصحابه، أنه تفقّه على أبي ريحانة، و لعلّ ذلك في صغره قبل أن يتحكّم طلبه و يتفنّن، إذ الفنون التي كان يأخذ منها لم يكن أبو ريحانة مليئا بها، و لا منسوبا إليها.

تصانيفه: منها كتاب «الحلية في ذكر البسملّة و التّصليّة». و كتاب «رصف المباني في حروف المعاني»، و هو أجلّ ما صنّف و ممّا يدلّ على تقدّمه في العربية. و جزء في العروض. و جزء في شواذه. و كتاب في شرح الكوامل لأبي موسى الجزولي، يكون نحو الموطأ في الجرم، و كتاب شرح مغرب أبي عبد الله بن هشام الفهري، المعروف بابن الشّواش، و لم يتمّ، انتهى فيه إلى همزة الوصل، يكون نحو الإيضاح لأبي علي.

وله تقييد على الجمل غير تام.

شعره: قال: و شعره وسط، بعيد عن طرفي الغث، و الثمين أبعد؛ و كان لا يعتنى فيه و لا يتكلفه، و لا يقصد قصده؛ و إن ذلك لعذر في عدم الإجادة. قال الشيخ: و لدى جزء منه تصفّحته على أن أستجيد منه شيئاً أثبتته له في هذا التعريف، فرأيت بعضه أشبه ببعض من الغرابة، فكتبت من ذلك، لا مؤثراً له على سواه من شعره؛ بل لمريح كونه أول خاطر بالبال، و متلمح خطه بالبصر، فمن ذلك قوله من قصيدة، و من خطه نقلت: [الطويل]

محاسن من أهوى يضيق لها الشرح له الهمة العلياء و الخلق السّمح
له بهجة يغشى البصائر نورهاو تعشى بها الأبصار إن غلس الصّبح
إذا ما رنا فاللحظ سهم مفوّق و في كل عضو من إصابته جرح
إذا ما انتنى زهوا و ولى تبخترايغار لذاك القد من لينه الرّمح
و إن نفحت أزهاره عند روضة فيخجل رياً زهرها ذلك التّفح
هو الرّمن المأمول عند ابتهاجه فلّمته ليل، و غرّته صبح

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٧٩ لقد خامرت نفسى مدامه حبه قلبي من سكر المدامه لا يصحو
و قد هام قلبي في هواه فبرّحت بأسراره عين لمدمعها سبح

وغفلته و نوكة: كان هذا الرجل من البله في أسباب الدنيا؛ له في ذلك حكايات دائرة على السنة الشقاء من الملازمين له و غيرهم، لو لا تواترها لم يصدّق أحد بها، تشبه ما يحكى عن أبي على الشلوين. منها أنه اشترى فضلة ملف فبلها، فانتقصت كما يجرى في ذلك، فذرعها بعد البل فوجدها تنقصت، فطلب بذلك بائع الملف، فأخذ يبين له سبب ذلك فلم يفهم. و منها أنه سار إلى بعض بساتين المريء مع جماعة من الطلبة و استصحبوا أرزاً و لبناً، فطلبوا قدراً لطبخه، فلم يجدوا، فقال: اطبخوا في هذا القدر، و أشار إلى قدر بها بقيت زفت مما يطلى به السوانى عندهم، فقالوا له:

و كيف يسوغ الطبخ بها، و لو طبخ بها شيء مما تأكله البهائم لعافته، فكيف الأرز باللين؟ فقال لهم: اغسلوا معائدكم، و حينئذ تدخلون فيها الطعام. فلم يدروا ممّا يعجبون، هل من طيب نفسه بأكله مما يطبخ في تلك القدر، أم من قياسه المعدة عليها. و منها أنهم حاولوا طبخ لحم مرّة أخرى في بعض التّزه فذاق الطعام من الملح بالمغرفة، فوجده محتاجاً للملح، فجعل فيه ملحاً و ذاقه على الفور، قبل أن ينحلّ الملح و يسرى في المرقّة الأولى، فزاد ملحاً إلى أن جعل فيه قدر ما يرجح اللحم، فلم يقدروا على أكله. و منها أنه أدخل يده في مفرج صهريج فصادفت يده ضفدعا كبيراً، فقال لأصحابه: تعالوا إن هنا حجراً رطباً. و منها أنه استعار يوماً من القائد أبي الحسن بن كماشه، جواداً ملوكياً، قرطاسى اللّون، من مراكب الأمراء؛ فقال:

وجّه لى تلك الدّابة، فتخيل أنه يريد الرّكوب إلى بعض المواضع، ثم تفتّن لغفلته، و قال: أى شيء تصنع به، قال: أجعله يسنى شيئاً يسيرا فى السّانية، فقال: تقضى الحاجة، إن شاء الله بغيره؛ و وجّه له حماراً برسم السّانية، و هو لا يشعر بشيء من ذلك كله.
قلت: و فى موجودات الله تعالى عبر، و أغربها عالم الإنسان، لما جبلوا عليه من الأهواء المختلفة، و الطّباع المشتتة، و القصور عن فهم أقرب الأشياء، مع الإحاطة بالغوامض.

حدّثنا غير واحد، منهم عمى أبو القاسم، و ابن الرّبير؛ إذنا فى الجملة، قال:

حدّثنا أبو الحسن بن سراج عن أبي القاسم بن بشكوال، أن الفقيه صاحب الوثائق أبا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٨٠

عمر بن الهندي، خاصم يوماً عند صاحب الشرطة و الصلاة، إبراهيم بن محمد، فنكل و عجز عن حجّته، فقال له الشرطى: ما أعجب أمرك، أبا عمر، أنت ذكى لغيرك، بكى فى أمرك؛ فقال أبو عمر: كذالك يبين الله آياته للنّاس . ثم أنشد متمثلاً: [المنسرح]

صرت كأنى ذبالة نصبت تضىء للناس و هى تحترق

قال: و حدثنى الشيخ أبو العباس بن الكاتب بجايه، و هو آخر من كتبنا معه الحديث من أصحاب ابن الغمّاز، قال: كنت آويا إلى أبى الحسن حازم القرطجاني بتونس؛ و كنت أحسن الخياطة، فقال لى: إن المستنصر خلع على جزيه جريئه من لباسه، و تفصيلها ليس من تفصيل أثوابنا بشرق الأندلس، و أريد أن تحل أكمامها؛ و تصيرها مثل ملابسنا. فقلت له: و كيف يكون العمل؟ فقال: تحل رأس الكم، و يوضع الضيق بالأعلى، و الواسع بالطرف. فقلت: و بم يحير الأعلى؟ فإنه إذا وضع فى موضع واسع، سطت علينا فرج ما عندنا؛ ما يصنع فيها إلا- أن رقعنا بغيرها، فلم يفهم. فلما يئست منه تركته و انصرفت. فأين هذا الذهن الذى صنع المقصورة و غيرها من عجائب كلامه.

مولده: فى رمضان من عام ثلاثين و ستمائة.

وفاته: توفى بالمرية يوم الثلاثاء السابع و العشرين لربيع الآخر من عام اثنين و سبعمائة، و دفن بخارج باب بجاية بمقبرة من تربه الشيخ الزاهد أبى العباس بن مكنون.

أحمد بن محمد بن على بن محمد بن يحيى بن محمد ابن مصادف بن عبد الله

يكنى أبا جعفر، و يعرف بابن مصادف؛ من أهل بسطة، و استوطن غرناطة، و قرأ و أقرأ بها.

حاله: من أهل الطلب و السلاطة و الاجتهاد، و ممن يقصر محصّله عن مدى اجتهاده، خلوب اللسان، غريب الشكل، و حشيه، شتيت الشّعر معفيه، شديد

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٨١

الاحتحام و التّسور، قادر على اللّصوق بالأشراف. رمى بنفسه على مشيخه الوقت يطرقهم طروق الأمراض الوافدة، حتى استوعب الأخذ عن أكثرهم، يفكّ عن فائدته فكّ المتبرّم، و ينتزعها بواسطة الحيا، و يسلّط على قنصها جوارح التبدّل و الإطراء، إلى أن ارتسم فى المقرئين بغرناطة، محوّلا- عليه بالتحب و الملق، و سدّ الترتيب المدنى؛ ولوثة تعاده فى باب الرّكوب و الثّقافه، و هو لا يستطيع أن يستقرّ بين دفتى السّرج، و لا يفرق بين مبسوط الكف، أخذ نفسه فى فنون، من قرآن، و عربيّه، و تفسير، و امتحن مرّات لجرّ حركة القلقلة الذى لا يملك عنانه، ثم تخلّص من ذلك، و هو على حاله إلى الآن.

مشيخته: قرأ على الخطيب ببسطة، و أبى الأصبع بن عامر، و الخطيبين بها أبى عبد الله و أبى إسحاق ابن عمّه، و أبى عبد الله بن جابر، و على أبى عثمان بن ليون بالمرية، و الخطيب أبى عبد الله بن الغربى بحمّه. و تلا القرآن بقراءته السبع على شيخنا أبى عبد الله بن الوالى العوّاد. و روى عن شيخنا أبى الحسن بن الجيّاب، و على الحاج أبى الحجاج الساحلى، فكتب الإقراء، و أخذ الفقه عن الأستاذ أبى عبد الله البيّانى. و قرأ على قاضى الجماعة أبى القاسم البيّانى، و قرأ على قاضى الجماعة أبى القاسم الحسنى. و لازم أستاذ الجماعة أبى عبد الله الفخّار، و قرأ عليه العرييه، و صاهره على بنته الأستاذ المذكور، و انتفع به، إلى أن ساء ما بينهما عند وفاة الشيخ فرماه بترميه بيضاء تخلّقها، مشيره عجب، مؤّه. و حاله متصله على ذلك، و قد ناهز الاكتهال.

أحمد بن حسن بن باصه الأسلمى المؤتّ بالمسجد الأعظم بغرناطة

أصله من شرق الأندلس، و انتقل إليها والده، يكنى أبا جعفر.

حاله: كان نسيج وحده، و قريع دهره، معرفه بالهيئه، و إحكاما للآله الفلكيه، ينحت منها بيده ذخائر، يقف عندها النظر و الخبر، جمال خطّ، و استواء صنعته، و صحه وضع، بلغ فى ذلك درجه عاليه، و نال غايه بعيده، حتى فضل بما ينسب إليه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٨٢

من ذلك كثيرا من الأعلام المتقدمين، و أزرته آلاته بالحمائريات و الصِّفاريات و غيرها من آلات المحكمين، و تغالى الناس فى أثمانها، أخذ ذلك عن والده الشيخ المتفنن شيخ الجماعة فى هذا الفن. وفاته: فى عام تسعة و سبعمائة.

أحمد بن محمد بن يوسف الأنصارى

من أهل غرناطة؛ يكنى أبا جعفر، و يعرف بالجبالي.

حاله: عكف صدرا من زمانه منتظما فى العدول، و آويا إلى تخصيص و سكون و دماثة، و حسن معاملته، له بصر بالمساحة و الحساب، و له بصر بصناعة التعديل و جداول الأبراج، و تدرّب فى أحكام النجوم، مقصود فى العلاج بالرّقا و العزائم، من أولى المسّ و الخيال، تعلّق بسبب هذه المنتحلات بأذيال الدول، و انبتّ من شيمته الأولى، فنال استعمالا فى الشهادات المخزنية، و خبر منه أيام قربه من مبادئ الأمور و التّواهي، و مداخلة السلطان؛ صمت و عقل، و اقتصر على معاناة ما امتحن به، و هو الآن بقيد الحياة. مشيخته: أخذ تلك الصناعة عن الشيخ أبى عبد الله الفخّار، المعروف بأبى خزيمه، أحد البواقع الموسومين بصحة الحكم فيها، و على أبى زيد بن مثنى؛ و قرأ الطب على شيخنا أبى زكريا بن هذيل، رحمه الله؛ و نسب إليه عند الحادثه على الدولة و انتقالها إلى يد المتغلب، اختيار وقت الثورة و ضمان تمام الأمر، و شهد بذلك بخطّ، و غيب من إثارها. فلما عاد الأمر إلى السلطان المزعج بسببها إلى العدو، أوقع به نكيرا كثيرا، و ضربه بالسّيّاط التى لم يخلصه منها إلا أجله، و أجلاه إلى تونس فى جملة المغزّيين فى أواخر عام ثلاثة و ستين و سبعمائة.

و أخبرنى السلطان المذكور أن المترجم به كتب إليه بمدينة فاس، قبل شروعه فى الوجهه، يخبره بعودة الملك إليه، و بإيقاعه المكروه الكبير به، بما شهد بمهارته فى الصنعة، إن صحّ ذلك كله من قوانينها، نسأل الله أن يطفى علينا لبوس ستره، و يقينا شرّ عثرات الألسن بمّته.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٨٣

أحمد بن محمد الكرنى

من أهل غرناطة.

حاله: شيخ الأطباء بغرناطة على عهده، و طيب الدار السلطانية. كان نسيج وحده، فى الوقار و التّزاهه، و حسن السّمت، و التّزام مثلى الطريقة، و اعتزاز الصّينعة؛ قائما على صناعة الطبّ، مقرّئا لها، ذاكرا لنصوصها، موفّقا فى العلاج، مقصودا فيه، كثير الأمل و المثاب، مكبوح العنان عمّا تثبت به أصول صناعته من علم الطبيعه، ستيا، مقتصرا على المداواة؛ أخذ عن الأستاذ أبى عبد الله الرّقوى، و نازعه بالباب السلطاني، لمّا شدّ، و احتيج إلى ما لديه فى حكم بعض الأموال المعروضة على الأطباء، منازعه أوجبت من شيخه يمينا أن لا يحضر معه بمكان، فلم يجتمعا بباب السلطان بعد، مع التمسك بما لديهما، و أخذ عن ابن عروس و غيره، و أخذ عنه جملة من شيوخنا كالطبيب أبى عبد الله بن سالم، و الطبيب أبى عبد الله بن سراج و غيرهما.

حدّثنى والدى بكثير من أخباره فى الوقار و حسن التّرتيب، قال: كنت آنس به، و يعجبني استقصاؤه أقوال أهل هذا الفن من صناعته، على مشهوره، فلقد عرض عليه، لعليل لنا، بعض ما يخرج، و فيه حية، فقال على فتور، و سكونه، و وقار كثير: هذا اللليل يتخلص، فقد قال الرئيس ابن سينا فى أرجوزته: [الرجز]

إن خرج الخلط مع الحيات فى يوم بحران فعن حياء

و هذا اليوم من أيام البحرانية، فكان كما قال.

وفاته: كان حيًا سنة تسعين و ستمائة.

أحمد بن محمد بن أبي الخليل، مَرَج الأموي

مولاهم، من أهل إشبيلية، يكنى أبا العباس، و كناه ابن فرتون أبا جعفر و تفرد بذلك، يعرف بالعشاب، و ابن الروميّة، و هي أشهرهما و ألقبهما به.

أولّيته: قال القاضي أبو عبد الله : كان ولاء جدّه أحد أطباء قرطبة، و كان قد تبّناه، و عن مولاه أخذ علم النبات.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٨٤

حاله: كان نسيج وحده، و فريد دهره، و غزّة جنسه، إماما في الحديث، حافظا، ناقدا، ذا كرا تواريخ المحدثين و أنسابهم و موالدهم و وفاتهم، و تعديلهم، و تجريحهم؛ عجيبة نوع الإنسان في عصره، و ما قبله، و ما بعده، في معرفة علم النبات، و تمييز العشب، و تحليلتها، و إثبات أعيانها، على اختلاف أطوار منابتها، بمشرق أو مغرب حسا، و مشاهدة، و تحقيقا، لا مدافع له في ذلك، و لا منازع، حجة لا تردّ و لا تدفع، إليه يسلم في ذلك و يرجع. قام على الصّنعين؛ لوجود القدر المشترك بينهما، و هما الحديث و النبات، إذ موادهما الرّحلة و التقييد، و تصحيح الأصول و تحقيق المشكلات اللفظية، و حفظ الأديان و الأبدان، و غير ذلك. و كان زاهدا في الدنيا، مؤثرا بما في يديه منها، موسّعا عليه في معيشته، كثير الكتب، جماعا لها، في كل فنّ من فنون العلم، سمحا لطلبة العلم، ربما وهب منها لملتسمه الأصل النفيس، الذي يعزّ وجوده، احتسابا و إعانة على التعليم؛ له في ذلك أخبار منبئة عن فضله، و كرم صنعه، و كان كثير الشّغف بالعلم، و الدّؤوب على تقييده و مداومته، سهر الليل من أجله، مع استغراق أوقاته، و حاجات الناس إليه، إذ كان حسن العلاج في طبه المورود، الموضوع، لثقتة و دينه.

قال ابن عبد الملك : إمام المغرب قاطبة فيما كان سبيله، جال الأندلس، و مغرب العدوّة، و رحل إلى المشرق، فاستوعب المشهور من إفريقيّة، و مصره، و شامه، و عراقه، و حجازه، و عاين الكثير ممّا ليس بالمغرب؛ و عاوض كثيرا فيه، كلّ ما أمكنه، بمن يشهد له بالفضل في معرفته، و لم يزل باحثا على حقائقه، كاشفا عن غوامضه، حتى وقف منه على ما لم يقف عليه غيره، ممّن تقدّم في الملة الإسلامية، فصار واحد عصره فردا، لا يجاربه فيه أحد ياجماع من أهل ذلك الشأن.

مذاهبه: كان سنيّا ظاهرّي المذهب، منحيا على أهل الرأي، شديد التعصّب لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، على دين متين، و صلاح تامّ، و ورع شديد؛ انتشرت عنه تصانيف أبي محمد بن حزم، و استنسخها، و أظهرها، و اعتنى بها، و أنفق عليها أموالا جميّة، حتى استوعبها جملة، حتى لم يشدّ له منها إلّا ما لا خطر، متقدما و مقتدرا على ذلك بجدّته و يساره، بعد أن تفقّه طويلا على أبي الحسن محمد بن أحمد بن زرقون في مذهب مالك.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٨٥

مشيخته: البحر الذي لا نهاية له؛ روى بالأندلس عن أبي إسحاق الدمشقي، و أبي عبد الله اليابري، و أبي البركات بن داود، و أبي بكر بن طلحة، و أبي عبد الله بن الحر، و ابن العربي، و أبي علي الحافظ، و أبي زكريا بن مرزوق، و ابن يوسف، و ابن ميمون الشريشي، و أبي الحسن بن زرقون، و أبي ذرّ مصعب، و أبي العباس ابن سيد الناس، و أبي القاسم البراق، و ابن جمهور، و أبي محمد بن محمد بن الجّان، و عبد المنعم بن فرس، و أبي الوليد بن عفير؛ قرأ عليهم و سمع. و كتب إليه مجيزا من أهل الأندلس و المغرب، أبو البقاء بن قديم، و أبو جعفر حكم الجفّار، و أبو الحسن الشّقوري، و أبو سليمان بن حوط الله، و أبو زكريا الدمشقي، و أبو عبد الله الأندلسي، و أبو القاسم بن سمجون، و أبو محمد الحجري.

و من أهل المشرق جملة، منهم أبو عبد الله الحمداني بن إسماعيل بن أبي صيف، و أبو الحسن الحويكر نزيل مكة. و تأدّى إليه أذن طائفة من البغداديين و العراقيين له في الرواية، منهم ظفر بن محمد، و عبد الرحمن بن المبارك، و علي بن محمد اليزيدي، و فناخسرو

فيروز بن سعيد، وابن ستيه، و محمد بن نصر الصيدلاني، وابن تيمية، وابن عبد الرحمن الفارسي، وابن الفضل المؤذن، وابن عمر بن الفخار، و مسعود بن محمد بن حسان المنيعي، و منصور بن عبد المنعم الصاعدي، و ابن هوازن القشيري، و أبو الحسن النيسابوري. و حج سنة اثنتي عشرة و ستمائة، فأدى الفريضة سنة ثلاث عشرة، و لقب بالمشرق بحب الدين. و أقام في رحلته نحو ثلاثة أعوام، لقي فيها من الأعلام العلماء، أكابر جملة؛ فمنهم ببحاية أبو الحسن بن نصر، و أبو محمد بن مكى؛ و بتونس أبو محمد المرجاني؛ و بالإسكندرية أبو الأصبح بن عبد العزيز، و أبو

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٨٦

الحسن بن جبير الأندلسي، و أبو الفضل بن جعفر بن أبي الحسن بن أبي البركات، و أبو محمد عبد الكريم الربيعي، و أبو محمد العثماني أجاز له و لم يلقه، و بمصر أبو محمد بن سحنون الغماري و لم يلقه، و أبو الميمون بن هبة الله القرشي؛ و بمكة أبو علي الحسن بن محمد بن الحسين، و أبو الفتوح نصر بن أبي الفرج الحضري؛ و ببغداد أحمد بن أبي السعادات، و أحمد بن أبي بكر؛ و ابن أبي خط طلحة، و أبو نصر القرشي، و إبراهيم بن أبي ياسر القطيعي، و رسلان المسدي، و الأسعد بن بقاقا، و إسماعيل بن باركش الجوهري، و إسماعيل بن أبي البركات.

و برنامج مروياته و أشياخه، مشتمل على مئين عديدة، مرتبة أسماؤهم على البلاد العراقية و غيرها، لو تتبعتها لاستبعدت الأوراق، و خرجت عمّا قصدت.

قال القاضي أبو عبد الله المراكشي بعد الإتيان على ذلك: منتهى الثقات أبو العباس النباتي، من التقييد الذي قيد، و على ما ذكره في فهارس له منوعة، بين بسط، و توسط، و اقتضاب، و قفت منها بخطه، و بخط بعض أصحابه، و الآخذين عنه. من أخذ عنه: حدث ببغداد برواية واسعة، فأخذ عنه بها أبو عبد الله بن سعيد اللوشي؛ و بمصر الحافظ أبو بكر القط، و غيرها من البلاد أمه و قفل برواية واسعة، و جلب كتباً غريبة.

تصانيفه: له فيما ينتحله من هذين الفئتين تصانيف مفيدة، و تنبيهات نافعة، و استدراقات نبيلة بديعة، منها في الحديث و رجاله «المعلم بزوائد البخاري على مسلم»، و «اختصار غريب حديث مالك» للدارقطني، و «نظم الدراري فيما

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٨٧

تفرد به مسلم عن البخاري»، و «توهين طرق حديث الأربعين»، و «حكم الدعاء في أدبار الصلوات»، و «كيفية الأذان يوم الجمعة»، و «اختصار الكامل في الضعفاء و المتروكين» لأبي محمد بن عدي، و «الحافل في تذييل الكامل»؛ و «أخبار محمد بن إسحاق». و منها في النبات، «شرح حشائش دياسقوريدوس و أدوية جالينوس»، و التنبيه على أوهام ترجمتها؛ و «التنبيه على أغلاط الغافقي»، و الرحلة النباتية و المستدركة، و هو الغريب الذي اختص به، إلا أنه عدم عينه بعده، و كان معجزة في فنه؛ إلى غير ذلك من المصنفات الجامعة، و المقالات المفيدة المفردة، و التعاليق المنوعة.

مناقبه: قال ابن عبد الملك و ابن الزبير، و غيرهما: عن تلميذه، الآخذ به، الناقد، المحدث، أبو محمد بن قاسم الحرّار، و تهتمم بجمع أخباره، و نشر ما أثره، و ضمن ذلك مجموعاً حفيلاً نبيلاً.

شعره: ذكره أبو الحسن بن سعيد في «القدح المعلى»، و قال: جوال بالبلاد المشرقية و المغربية، جالسته بإشبيلية بعد عوده من رحلته، فرأيت متعلقاً بالأدب، مرتاحاً إليه ارتياح البحتری لحلب، و كان غير متظاهر بقول الشعر، إلا أن أصحابه يسمعون منه، و يروون عنه، و حملت عنه في بعض الأوقات، فقيدت عنه هذه الأبيات: [البيسط]

خيم بجلق بين الكأس و الوتر في جنه هي ملء السمع و البصر
و متع الطرف في مرأى محاسنها تروض فكرك بين الروض و الزهر
و انظر إلى ذهبيات الأصيل بها و اسمع إلى نغمات الطير في الشجر

و قل لمن لام في لذاته بشرادعني فإنك عندي من سوى البشر

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٨٨

قال: و كثيرا ما يطنب على دمشق، و يصف محاسنها، فما انفصل عني إلّا و قد امتلأ خاطري من شكلها، فأتمني أن أحلّ مواطنها، إلى أن أبلغ الأمل قبل المنون: [الوافر]

و لو أنى نظرت بألف عين لما استوتف محاسنها العيون

دخوله غرناطة: دخلها غير ما مرّة لسماع الحديث، و تحقيق النبات؛ و نقر عن عيون النبات بجبالها، أحد خزائن الأدوية، و مظان الفوائد الغريبة، يجري ذلك في تواليه بما لا يفتقر إلى شاهد.

مولده: في محرم سنة إحدى و ستين و خمسمائة.

وفاته: توفي بإشبيلية عند مغيب الشفق من ليلة الاثنين مستهل ربيع الآخر سنة سبع و ثلاثين و ستمائة . و كان ممّا رثي، قال ابن الزبير: و رثاه جماعة من تلامذته كأبي محمد الحرّار، و أبي أمية إسماعيل بن عفير، و أبي الأصغ عبد العزيز الكتوري و أبي بكر محمد بن محمد بن جابر السقطي، و أبي العباس بن سليمان؛ ذكر جميعهم الحرار المذكور في كتاب ألفه في فضائل الشيخ أبي العباس، رحمه الله.

أحمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمّار بن ياسر صاحب رسول الله، صلى الله عليه و سلم

إشارة

أوليته: بيت بنى سعيد العنسي، بيت مشهور في الأندلس بقلعة يحصب، نزلها جدّهم الأعلى، عبد الله بن سعيد بن عمّار بن ياسر؛ و كان له حظوة

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٨٩

لمكانه من اليمانيّة بقرطبة؛ و داره بقرب قنطرتها، كانت معروفة؛ و هو بيت القيادة و الوزارة، و القضاء، و الكتابة، و العمل، و فيما يأتي، و ما مرّ كفاية من التنبيه عليه.

حاله: قال الملاحى: كان من جملة الطلبة، و نبهائهم؛ و له حظّ بارع من الأدب، و كتابة مفيدة، و شعر مدوّن. قال أبو الحسن بن سعيد في كتابه المسمّى ب «الطالع»: نشأ محببا في الأدب، حافظا للشعر، و ذاكرة لنظم الشريف الرضى، و مهيار، و ابن خفاجة، و ابن الرّفاق، فرقت طباعه، و كثر اختراعه و إبداعه؛ و نشأت معه حفصة بنت الحاجّ الرّكوني؛ أديبة زمانها، و شاعرة أوانها، فاشتدّ بها غرامه، و طال حبّه و هيامه؛ و كانت بينهما مناديات و مغازلات أربت على ما كان بين علوة و أبي عباد؛ يمرّ من ذلك إمام في شعر حفصة، إن شاء الله.

نباهته و حظوته: و لما وفدت الأندلس، على صاحب أمر الموحّدين في ذلك الأوان، و هو محتلّ بجبل الفتح، و احتفل شعراؤها في القصائد، و خطباؤها في الخطب بين يديه، كان في وفد غرناطة، أبو جعفر هذا المترجم به، و هو حدث السنّ في جملة أبيه و إخوته و قومه، فدخل معهم على الخليفة، و أنشده قصيدة؛ قال أبو الحسن بن سعيد، كتبت منها من خط والده قوله: [الطويل]

تكلم فقد أصغى إلى قولك الدهر و ما لسواك اليوم نهى و لا أمر

ورم كلّ ما قد شئت فهو كائن و حاول فلا برّ يفوت و لا بحر

و حسبك هذا البحر فألا فإنه يقبل تربا داسه جيشك الغمر

و ما صوته إلّا سلام مردّد عليك و عن بشر بقربك يفتر

بجيش لكي يلقى أمامك من غدا يعاند أمرا لا يقوم له أمر الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٩٠ أطلّ على أرض الجزيرة سعدهاو جدّد فيها ذلك الخبر الخبر

فما طارق إلّا لذلك مطرق ولا ابن نصير لم يكن ذلك النّصر

هما مهّداها كي تحلّ بأفقهما كما حلّ عند التّم بالهاله البدر

قال: فلما أتمّها أثنى عليه الخليفة، و قال لعبد الملك أبيه: أيهما خير عندك في ابنيك؛ فقال يا سيّدنا: محمد دخل إليكم مع أبطال الأندلس و قوادها، و هذ مع الشعر، فانظروا ما يجب أن يكون خيرا عندي، فقال الخليفة: كلّ ميسّر لما خلق له، و إذا كان الإنسان متقدّما في صناعة فلا يؤسف عليه، إنما يؤسف على متأخّر القدر، محروم الحظ. ثم أنشد فحول الشعراء و الأكابر. ثم لما ولى غرناطة ولده السيد أبو سعيد، استوزر أبا جعفر المذكور، و اتصلت حظوته إلى أن كان ما يذكر من نكبته.

محنته: قال قريبه و غيره: فسد ما بينه و بين السيد أبي سعيد لأجل حفصة الشاعرة، إذ كانت محلّ هواه، ثم اتصلت بالسيد، و كان له بها علاقة، فكان كلّ منهما على مثل الرّضف للآخر، و وجد حسّاده السبيل، إلى إغراء السيد به، فكان مما نمى به عنه، أن قال لحفصة يوما: و ما هذا الغرام الشديد به، يعنى السيد، و كان شديد الأدمه، و أنا أقدر أن أشتري لك من المعرض أسودا خيرا منه بعشرين

دينارا؛ فجعل السيد يتوسّد له المهالك، و أبو جعفر يتحفّظ كل التحفّظ. و فى حالته تلك يقول: [الكامل]

من يشتري منى الحياة و طيبها و زارتى و تأدّبي و تهذّبي

بمحلّ راع فى ذرى ملمومة زويت عن الدنيا بأقصى مرتب

لا حكم يأخذه بها إلّا لمن يعفو و يرؤف دائما بالمدنّب

فلقد سئمت من الحياة مع امرئ متغضب متغلب مترتب

الموت يلحظنى إذا لا حظته و يقوم فى فكرى أو ان تجنّبي

لا أهتدى مع طول ما حاولته لرضاه فى الدنيا و لا للمهرب

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٩١

و أخذ فى أمره مع أبيه و إخوته، و فتنه ابن مردنيش مضطربة؛ فقال له أخوه محمد و أبوه: إن حركنا حركة كنا سببا لهلاك هذا البيت، ما بقيت دولة هؤلاء القوم، و الصبر عاقبته حميدة، و قد كُنّا ننهاك عن الممارجة، فلم تترك إلّا هواك؛ و أخذ مع أخيه عبد الرحمن، و اتفقا على أن يثورا فى القلعة باسم ابن مردنيش، و ساعدهما قريبهما على ذلك حاتم بن حاتم بن سعيد، و خاطبوا ابن مردنيش، و صدر لهم جوابه بالمبادرة، و وصلت منه خيل ضاربة، و تهيأ لدخول القلعة؛ و تهيأ الحصول فى القلعة، و خافوا من ظهور الأمر؛ فبادر حاتم و عبد الرحمن إلى القلعة، و تمّ لهما المراد؛ و آخر الجبن أبا جعفر ففاتاه، و توقّع الطلب فى الطريق إلى القلعة، فصار متخفيا إلى مالقة، ليركب منها البحر إلى جهة ابن مردنيش؛ و وضع السيد عليه العيون فى كل جهة، فقبض عليه بمالقة، و طولع بأمره فأمر بقتله صبيرا، رحمه الله.

جزالته و صبره: قال أبو الحسن بن سعيد: حدّثنى الحسين بن دويره، قال:

كنت بمالقة لما قبض على أبى جعفر، و توصّلت إلى الاجتماع به، ريشما استؤذن السيد فى أمره حين حبس، فدمعت عينى لما رأيته مكبولا؛ قال: أعلّى تبكى بعد ما بلغت من الدنيا أطايب لذاتها؟ فأكلت صدور الدجاج، و شربت فى الرّجاج، و ركبت كل هملاج، و نمت فى الديداج، و تمتعت بالسّرارى و الأزواج، و استعملت من الشمع السّراج الوهاج، و هأنا فى يد الحجاج، منتظرا محنة الحلّاج؛ قادم على غافر، لا- يحوج إلى اعتذار و لا- احتجاج. فقلت: ألا- أبكى على من ينطق بمثل هذا؟ ثم تفقّد، فقمت عنه، فما رأيته إلّا مصلوبا، رحمه الله.

شعره: [الطويل]

أتانى كتاب منك يحسده الدهر أما حبره ليل، أما طرسه فجر؟
به جمع الله الأمانى لناظرى وسمعى وفكرى فهو سحر ولا سحر
ولا غرو أن أبدى العجائب ربّه و فى ثوبه برّ، و فى كفّه بحر
ولا عجب إن أئيع الزهر طيه فما زال صوب القطر يبدو به الزهر
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٩٢

و من شعره ما يجرى مجرى المرقص، و قد حضر مع الرّصافى و الكتندى و معهم مغنّ بروطة: [مجزوء الكامل]
لله يوم مسرّة أضوى و أقصر من ذباله
لما نصبنا للمنى فيه من أوتار حباله
ظل النهار بها كمرتاع، و أجفلت الغزاله
و شعره مدون كما قلنا، و هذا القدر عنوان على نبه.

غريبة في أمره مع حفصة

قال حاتم بن سعيد: و كان قد أجرى الله على لسانه، إذا حرّكت الكأس بها غرامه، أن يقول: و الله لا يقتلنى أحد سواك؛ و كان يعنى
بالحبّ، و القدر موكل بالمنطق، قد فرغ من قتله بغيره من أجلها. قال: و لما بلغ حفصة قتله لبست الحداد، و جهرت بالحزن، فتوعدت
بالقتل، فقالت فى ذلك: [الخفيف]
هددوني من أجل لبس الحداد لحبيب أردوه لى بالحداد
رحم الله من يجود بدمع أو ينوح على قتيل الأعادى
و سقته بمثل جود يديه حيث أضحي من البلاد الغوادى
و لم ينتفع بعد بها، ثم لحقت به بعد قليل.
وفاته: توفى على حسب ما ذكر، فى جمادى الأولى من سنة تسع و خمسين و خمسمائة.

أحمد بن سليمان بن أحمد بن محمد بن أحمد القرشى، المعروف بابن فركون

يكنى أبا جعفر.

أوليته: قد مرّ ذلك فى اسم جدّه قاضى الجماعة، و سيأتى فى اسم والده.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٩٣

حاله: شعله من شعل الذكاء و الإدراك، و مجموع خلال حميدة على الحدائث، طالب نبيل، مدرّك، نجيب، بدّ أقرانه كفاية، و سما
إلى المراتب، فقراً، و أعرب، و تمر، و تدرب، و استجاز له والده شيوخ بلده فمن دونهم، و نظم الشعر، و قيد كثيراً، و سبق أهل زمانه
فى حسن الخط سبقاً أفردّه بالغاية القصوى؛ فيراعه اليوم المشار إليه بالظرف و الإلتقان، و الحوا، و الإسراع؛ اقتضى ذلك كله ارتقاؤه
إلى الكتابة السلطانية. و مزية الشّفوف بها، بالخلع و الاستعمال؛ و اختصّ بى، و تأدب بما انفرد به من أشياخ تواليفى، فأثرته بفوائد
جمّة، و بطن حوضه من تحلمه، و ترشّح إلى الاستيلاء على الغاية.

شعره: أنشد له بين يدى السلطان فى الميلاد الكريم: [الكامل]

حىّ المعاهد بالكتيب و جادهاغيث يروى حيها و جمادها

مولده: في ربيع الآخر من عام سبعة و أربعين و سبعمائة.

أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان

من أهل مالقة؛ يكنى أبا جعفر، و يعرف بابن صفوان .

حاله: بقيّة الأعلام، أديب من أدباء هذا القطر، و صدر من صدور كتّابه، و مشيخه طلبته، ناظم، ناثر، عارف، ثاقب الذهن، قوى الإدراك، أصيل النظر، إمام الفرائض و الحساب و الأدب و التوثيق، ذاكر للتاريخ و اللغة، مشارك في الفلسفة و التصوف، كلف بالعلوم الإلهية، آية الله في فكّ المعنى، لا- يجاريه في ذلك أحد ممن تقدّمه، شأنه عجب، يفكّ من المعميات و المستنبطات، مفصولا و غير مفصول؛ شديد التعصّب لذى ودّ، و بالعكس، تامّ الرّجولة، قليل التّهيب، مقتحم حمى أهل الجاه و الحمد و المضايقة، إذا دعاه لذلك داع حبل نقده على غاربه، راض بالخمول، متبلّغ بما تيسّر، كثير الدؤوب و النظر، و التقييد و التصنيف، على كلال الجوارح، و عائق الكبر، متقارب نمطى الشعر و الكتابة، مجيد فيهما، و لنظمه شفوف على نثره.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبى محمد الباهلى، أستاذ الجملة من أهل بلده، و مولى النعمة عليهم، لازمه و انتفع به؛ و رحل إلى العدو، فلقى جملة، كالقاضى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٩٤

المؤرّخ أبى عبد الله بن عبد الملك، و الأستاذ التعالمى أبى العباس بن البّاء، و قرأ عليهم بمراكش.

نباهته: استدعاه السلطان، ثانى الملوك من بنى نصر، إلى الكتابة عنه مع الجملة، ببابه، و قد نما عشه، و علا كعبه، و اشتهر ذكاؤه و إدراكه. ثم جنح إلى العودة لبلده. و لما ولى الملك السلطان أبو الوليد، و دعاه إلى نفسه، ببلده مالقة، استكتبه رئيسا مستحقا، إذ لم يكن ببلده. فأقام به و اقتصر على كتب الشروط، معروف القدر، بمكان من القضاة و رعيهم، صدرا فى مجالس الشورى؛ و إلى الآن يجعل إلى زيارة غرناطة، حظا من فصول بعض السنين، فينصب بها العدالة، ثم يعود إلى بلده فى الفصل الذى لا يصلح لذلك. و هو الآن بقيد الحياة، قد علقته أشراك الهرم، و فيه بعد مستمتع، بديع، كبير.

تصانيفه: من تواليفه، «مطلع الأنوار الإلهية»؛ و «بغية المستفيد»؛ و «شرح كتاب القرشى فى الفرائض»، لا نظير له. و أما تقايبه على أقوال يعترضها، و موضوعات ينتقدها، فكثيرة.

شعره: قال فى غرض التصوف: و بلغنى أنه نظمها بإشارة من الخطيب، ولى الله، أبى عبد الله الطنجالى، كلف بها القوالون و المسمعون بين يديه: [الكامل]

بان الحميم فما الحمى و البان بشفاء من عنه الأحبة بانوا

لم ينقضوا عهدا بينهم و لأنسأهم ميثاقك الحدثان

لكن جنحت لغيرهم فأزالهم عن أنسهم بك موحش غيران

لو صحّ حبك ما فقدتهم و لاسارت بهم عن حبك الأظعان

تشتاقهم، و حشاك هالة بدرهم و السرّ منك لخلمهم ميدان

ما هكذا أحوال أرباب الهوى نسخ الغرام بقلبك السلوان

لا يشتكى ألم البعاد متيم أحبابه فى قلبه سكان

ما عندهم إلّا الكمال و إنما غطّى على مرآتك التقصان

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٩٥ شغلتك بالأغيار عنهم مقلّة إنسانها عن لمحهم و سنان

غمض جفونك عن سواهم معرضا إن الصوارم حجبتها الأجنان

و اصرف إليهم لحظ فكرك شاخصاترهم بقلبك حيث كنت و كانوا
 ما بان عن مغناك من الطافه يهمى عليها سحابها الهتان
 و جياذ أنعمه ببابك ترتضى تسرى إليك بركبها الأكوان
 جعلوا دليلا فيك منك عليهم فبدا على تقصيرك البرهان
 يا لا محاسر الوجود بعينه السر فيك بأسره و الشان
 ارجع لذاتك إن أردت تنزهافيا لعيني ذى الحجا بستان
 هى روضة مطلولة بل جنة فيها المنى و الروح و الزيحان
 كم حكمة صارت تلوح لناظر حارت لباهر صنعها الأذهان
 حجبت بشمسك عن عيانك شمسهاشمس محاسن ذكرها التبيان
 لولاك ما خفيت عليك آياتها و الجؤ من أنوارها ملآن
 أنت الحجاب لما تؤمل منهم ففناؤك الأقصى لهم وجدان
 فاخرج إليهم عنك مفتقرا لهم إن الملوك بالافتقار تدان
 و اخضع لعزهم ولد بهم يلح منهم عليك تعطف و حنان
 هم رشحوك إلى الوصول إليهم وهم على طلب الوصال عوان
 عطفوا جمالهم على أجمالهم فحل المشوق الحسن و الإحسان
 يا ملبسين عبيدهم حلل الضنى جسمى بما تكسونه يزدان
 لا سخط عندي للذى ترضونه قلبى بذاك مفرح جدلان

فبقر بكم عين الغنا و ببعدم محض الفنا و محبكم ولهان الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٩٦ إني كتبت عن الأنام هواكم حتى
 دهيت و خاننى الكتمان

و وشت بحالى عند ذاك مدامع أدنى مواقع قطرها طوفان
 و بدت على شمائل عذريئة تقضى بأنى فيكم هيما
 فإذا نظقت فذكركم لى منطق ما عن سواكم للسان بيان
 و إذا صمت فأنتم سرى الذى بين الجوانح فى الفؤاد يسان
 فبباطنى و بظاهرى لكم هوى من جنده الإسرار و الإعلان
 و جوانحى و جميع أنفاسى و ماأحوى، على لحبكم أعوان
 و إليكم منى المفتر فقصدكم حرم به للخائفين أمان
 و قال يذم الدنيا و يمدح عقبى من يقلل منها: [الطويل]
 حديث الأمان فى الحياة شجون إن ارضاك شأن أحفظتك شؤون
 يميل إليها جاهل بغرورها فممنه اشتياق نحوها و أنين
 و ذو الحزم ينبو عن حجاه فحالها يقيه إذا شك عراه يقين
 إليك صريح الأمان سنحة ناصح على نصحه سيما الشقيق تبين
 تجاف عن الدنيا و دن باطرا حافمر كبا بالمطمعين حرون
 و ترفيعها خفض و تنعيمها أذى و منهلها للواردين أجون

إذا عاهدت خانت و إن هي أقسمت فلا ترج براً باليمين يمين
 يروقك منها مطمع من وفائها وسرعان ما إثر الوفاء تخون
 و تمنحك الإقبال كفة حابل و من مكرها في طي ذاك كمين
 سقاها، لعمر الله، إحاضك الهوى لمن أنت بالبغضاء فيه قمين
 و من تصطفيه و هو يقطعك القلاو تهدى له الإعزاز و هو يهين
 ألا إنها الدنيا فلا تغترر بهاولود الدواهي بالخداع تدين
 يعم رداها الغرّ و الخبّ ذا الدهاو يلحق فيها بالكناس عرين
 و تشمل بلواها نبيلاً و خاملاً و يلقي مزال غدرها و مصون
 أبناها، لحاها الله، كم فتنة لها تعلم صم الصخر كيف يلين
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٩٧ فلا ملك سام أقالت عثاره و لو أنه للفرقدين خدين
 و لا معهد إلّا و قد نبهت به بعيد الكرى للثاكلات جفون
 أبيت لنفسى أن يدنّسها الكرى سكون إليها موبق و ركون
 فليس قرير العين فيها سوى امرئ قللاه لها رأى يراه و دين
 أبيت طلاق الحرص فالزهد دائباخليل له مستصحب و قرين
 إذا أقبلت لم يولها بشر شيق و لا خفّ للإقبال منه رزين
 و إن أدبرت لم يلتفت نحوها بهاو أدّ على ما لم توات حزين
 خفيف المطا من حمل أثقال همّها إذا ما شكت ثقل الهموم متون
 على حفظه للفقر أبهى ملاءة سنا حليها وسط الزرى يدين
 برجف تخال الخائفين منازل لهنّ مكان حيث حلّ مكين
 منازل نجد عندها و تهامة سوى و استوى هند لديه و صين
 يرود رياضاً أين سار و ورده زلال اعتاض الورود معين
 فهذا أثيل الملك لا ملك ثائر لأعدائه حرب عليه زبون
 و هذا عريض العزّ لا عزّ مترف له من مشيدات القصور سجون
 حوت شخصه أو صافها فكأنه و إن لم يمت فوق التراب دفين
 فيا خابطا عشواء و الصبح قد بدا الإلام تغطّى ناظريك دجون؟
 أفق من كرى هذا التعامى و لا تضع بجهلك علق العمر فهو ثمين
 إذا كان عقبى ذى جدّة إلى بلى و قصارى ذى الحياة منون
 ففيم التفانى و التنافس ضلّة؟ و فيم التلاحى و الخصام يكون؟
 إلى الله أشكوها نفوساً عميئة عن الرشد و الحقّ اليقين تبين
 و أسأله الرجعى إلى أمره الذى بتوفيقه جبل الرجاء متين
 فلا خير إلّا من لدنه وجوده لتيسير أسباب النجاة ضمّين

و جمعت ديوان شعره أيام مقامى بمالقة عند توجّهى صحبة الرّكاب السلطاني إلى إصراخ الخضراء عام أربعة و أربعين و سبعمائة؛ و قدّمت صدره خطبة، و سمّيت الجزء ب «الدرر الفاخرة»، و اللّجج الزاخرة»، و طلبت منه أن يجيزنى، و ولدى عبد الله، رواية ذلك عنه،

فكتب بخطه الرائق بظهر المجموع ما نصّه:

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٩٨

«الحمد لله مستحقّ الحمد؛ أجبت سؤال الفقيه، الأجلّ، الأفضل، السّيرى، الماجد، الأوحّد، الأحفل، الأديب البارِع، الطّالع في أفق المعرفة و النّباهة، و الرّفعة المكيّنة و الوجاهة، بأبهى المطالع، المصنّف، الحافظ، العلّامة، الحائز في فنى النظم و النثر، و أسلوبى الكتابة و الشّعْر، رتبة الرياسة؛ الحامل لراية التقدّم و الإمامة؛ محلّى جيد العصر بتواليفه الباهرة الرّواء؛ و مجلّى محاسن بنيّه، الرّائقة على منصّة الإِشهاد و الأنباء؛ أبى عبد الله بن الخطيب، و صلّ الله سعادتة و مجادته؛ و سنى من الخير الأوفر، و الصّنع الجميل الأبهْر، مقصده و إرادته؛ و بلّغه فى نجله الأُسعد، و ابنه الرّاقى بمحتده الفاضل، و منشئه الأطهر، محلّ الفرقد، أفضل ما يؤمّل نحلته إياه فى المكرمات و إفادته؛ و أجزت له و لابنه عبد الله المذكور، أبقاهما الله تعالى، فى عزّة سيّة الخلال، و عافية ممتدّة الأفياء، وارفه الظّلال؛ رويّه جميع ما تقيّد فى الأوراق، المكتتب على ظهر أوّل ورقة منها، من نظمي و نثرى؛ و ما تولّيت إنشاءه، و اعتمدت بالارتحال و الرواية، اختياره و انتقائه، أيام عمري؛ و جميع ما لى من تصنيف و تقييد، و مقطوعة و قصيد، و جميع ما أحمله عن أشياخى رضى الله عنهم، من العلوم، و فنون المنثور و المنظوم؛ بأى وجه تأدى إليّ، و صحّ حملى له، و ثبت إسناده لدى إجازة تامّة، فى ذلك كله عامّة، على سنن الإجازات الشّرعية، و شرطها المأثور عند أهل الحديث المرعى، و الله ينفعى و إيّاهما بالعلم و حملة، و ينظمنا جميعا فى سلك حزبه المفلحين و أهله، و يفيض علينا من أنوار بركتة و فضله. قال ذلك و كتبه بخطّ يده الفانية، العبد الفقير إلى الغنى به، أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان، ختم الله له بخير؛ حامدا لله تعالى، و مصليا و مسلما على محمد نبيّه المصطفى الكريم، و على آلّه الطاهرين ذوى المنصب العظيم، و صحبه البررة، أولى المنصب و الأثرة و التقديم؛ فى سادس ربيع الآخر عام أربعة و أربعين و سبعمائة، و حسبنا الله و نعم الوكيل».

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٩٩

و اشتمل هذا الجزء الذى أذن بحمله عنه من شعره على جملة من المطوّلات، منها قصيدة يعارض بها الرئيس أبا عليّ بن سينا فى قصيدته الشهيرة فى النفس التى مطلعها: «هبطت إليك من المحلّ الأرفع»، أولها: «أهلا بمسراك المحب الموضع».

و أول قصيدة: [الطويل]

لمعناك فى الأفهام سرّ مكتمّ عليه نفوس العارفين تحوم

و أول أخرى: [الكامل]

أزهى حجابك رؤية الأغيارفامح الدّجى بأشعة الأنوار

و أول أخرى: [الطويل]

ثناء وجودى فى هواكم هو الخلدو محو رسومي حسن ذاتى به يبدو

و مطلع أخرى: [الطويل]

ألا فى الهوى بالذلّ ترعى الوسائل دمعى أنادى مجيب وسائل

و مطلع أخرى: [الطويل]

هم القصد جادوا بالرّضى أو تمّنعواصلوا اللوم فيما أودعوا القلب أودعوا

و من أخرى: [البيسط]

سقى زمان الرّضا هام من الشّحب إلهى العود من أثوابه القشب

و من أخرى: [الكامل]

يا فوز نفسى فى هواك هواؤهارقت معانيها وراق مناؤها

و من أخرى: [الكامل]

أما الغرام فبالفؤاد غريم هيهات منى ما العذول يروم

و من شعره في المقطوعات قوله: [الكامل]

رشق العذار لجينه بنباله فغدا يدور على المحبّ الواله

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٠٠ خطّ العذار بصفحتيه لأمه خطّا توعدّه بمحو جماله

فحسبت أنّ جماله شمس الصّحى حسنا و ذاك الخطّ خطّ زواله

فدنا إلىّ تعجبا و أجنبي و الزّوع يبدو من خلال مقاله

إنّ الجمال اللام آخره فعج عن رسمه و اندب على أطلاله

و من أبياته في التّورية بالفنون قوله: [الوافر]

كففت عن الوصال طويل شوقى إليك و أنت للزّوح الخليل

و كفك للطويل فدتك نفسى قبيح ليس يرضاه الخليل

و قال في التّورية بالعروض: [الكامل]

يا كاملا شوقى إليه وافرو بسيط خدى فى هواه عزيز

عاملت أسبابى لديك بقطعها و القطع فى الأسباب ليس يجوز

و قال فى التّورية بالعربية: [الوافر]

أيا قمرا مطالعه جنانى و غرّته توارى عن عيانى

أ أصرف فى هواك عن اقتراحى و سهدى و انتحابى علّتان؟

و قال أيضا: [الرجز]

لا تصحبن يا صاحبي غير الوفى كلّ امرئ عنوانه من يصطفى

كم من خليل بشره زهر الرّبي و طىّ ذاك البشر حدّ المرهف

ظاهره يريك سرّ من رأى و أنت من إعراضه فى أسف

و وقعت بينه و بين قاضى بلده أبى عمرو بن المنظور مقاطعة، انبرى بها إلى مطالبته بما دعاه إلى التحوّل مضطرا إلى غرناطة، و أخذ

بكظمه، و طوّقه الموت

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٠١

فى أثناء القطيعة، فقال فى ذلك متشقيًا، و هو من نبيه كلامه، و كلّه نبيه:

[الطويل]

تردى ابن منظور و حمّ حماه و أسلمه حام له و نصير

تبرأ منه أولياء غروره و لم يقه بأس المنون ظهير

و أودع بعد الأنس موحش بلقع فحيّاه فيه منكر و نكير

و لا رشوة يدلى القبول رشادها فينسخ بالسّير المريح عسير

و لا شاهد يغضى له عن شهادة تخلّلها إفك يصاغ و زور

و لا خدعة تجدى و لا مكر نافع و لا غشّ مطوىّ عليه ضمير

و لكنه حقّ يصول و باطل يحول و مثوى جنّ و سعيير

و قالوا قضاء الموت حتم على الوري يدير صغير كأسه و كبير
 فلا تنتسم ريح ارتياح لفقده فإنك عن قصد السبيل تحور
 فقلت بلى حكم المتيء شامل و كل إلى ربّ العباد يصير
 و لكن تقدّم الأعداى إلى الزدى نشاط يعود القلب منه سرور
 و أمن ينام المرء فى برد ظلّه ولا حيّة للحقد ثم ثور
 و حسبى بيت قاله شاعر مضى غدا مثلا فى العالمين يسير
 و إن بقاء المرء بعد عدوّه لو ساعة من عمره لكثير
 مولده: قال بعض شيوخنا: سألته عن مولده فقال لى: فى آخر خمسة و تسعين و ستمائة، أظنّ فى ذى قعدة منه الشكّ.
 وفاته: بمالقة فى آخر جمادى الثانية من عام ثلاثة و ستين و سبعمائة.

أحمد بن أيوب اللّمائي

من أهل مالقة، يكنى أبا جعفر.
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٠٢
 حاله: قال صاحب الذّيل : كان أديبا ماهرا، و شاعرا جليلا، و كاتبا نبيلًا . كتب عن أوّل الخلفاء الهاشميين بالأندلس، على بن حمّود،
 ثم عن غيره من أهل بيته؛ و تولّى تدبير أمرهم ، فحاز لذلك صيتا شهيرا، و جلاله عظيمة.
 و ذكره ابن بسّام فى كتاب «الذّخيرة»، فقال : كان أبو جعفر هذا فى وقته أحد أئمة الكتاب، و شهب الآداب ، ممّن سخّرت له فنون
 البيان، تسخير الجنّ لسليمان، و تصرّف فى محاسن الكلام، تصرّف الرياح بالغمام، طلع من ثناياه، و اقتعد مطاياها؛ و له إنشاءات سرّية،
 فى الدولة الحمّودية، إذ كان علم أدبائها، و المضطلع بأعبائها، إلّا أنى لم أجد عند تحريرى هذه النسخة، من كلامه، إلّا بعض فصول
 له من منشور، و هى ثماد من بحور.
 فصل: من رقعة خاطب بها أبا جعفر بن العباس: «غصن ذكرك عندى ناضر، و روض شكرك لدى عاطر، و ريح إخلاصى لك صبا،
 و زمان آمالى فيك صبا، فأنا شارب ماء إخائك، متفّى ظلّ وفائك؛ جان منك ثمرة فرع طاب أكله، و أجنانى البرّ قديما أصله، و
 سقانى إكراما برقه، و رؤانى إفضالا-ودقه؛ و أنت الطّالع فى فجاجه، السّالك لمنهاجه؛ سهم فى كنانة الفضل صائب، و كوكب فى
 سماء المجد ثاقب، إن أتبع الأعداء نوره أحرق، و إن رميتهم به أصاب الحدق؛ و على الحقيقة فلسانى يقصر عن جميل أسره ، و
 وصف ودّ أضمره».

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٠٣

شعره: قال، و مما وجد بخطه لنفسه : [الكامل]

طلعت طلّاع للربيع فأطلعت فى الرّوض وردا قبل حين أوّانه
 حيا أمير المسلمين مبشّرا مؤملا للّئيل من إحسانه
 ضنّت سحائبه عليه بمائها فأتاه يستسقيه ماء بنانه
 دامت لنا أيّامه موصولة بالعزّ و التّمكين فى سلطانه

قال: و أنشدنى الأديب أبو بكر بن معن، قال: أنشدنى أبو الربيع بن العريف لجده الكاتب أبى جعفر اللّمائي، و امتحن بداء التّسمه من
 أمراض الصّدر، و أزمّن به، نفعه الله، و أعياه علاجه، بعد أن لم يدع فيه غايه، و فى ذلك يقول : [الكامل]
 لم يبق من شىء أعالجها به طمع الحياة، و أين من لا يطمع؟

«و إذا المتية أنشبت أظفارها ألفت كل تميمه لا تنفع»

و دخل عليه بعض أصحابه فيها، و جعل يروح عليه فقال له بديهة :

[المنسرح]

روحنى عائدى فقلت له: مه ، لا تردنى على الذى أجد

أما ترى النار و هى خامدة عند هبوب الرياح تتقد؟

و دخل غرناطة غير ما مرة، منها مترددا بين أملاكه، و بين من بها من ملوك صنهاجه؛ قالوا: و لم تفارقه تلك الشكاية حتى كانت سبب وفاته.

وفاته: بمالقة عام خمسة و ستين و أربعمائه. و نقل منها إلى حصن الورد، و هو عند حصن منت ميور إذ كان قد حصنه، و اتخذ له لنفسه ملجأ عند شدته، فدفن به،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٠٤

بعهد منه بذلك، و أمر أن يكتب على قبره بهذه الأبيات [الطويل]

بنيت و لم أسكن و حصنت جاهدا فلما أتى المقدور صيره قبرى

و لم يك حظى غير ما أنت مبصر عينك ما بين الذراع إلى الشبر

فيا زائرا قبرى أوصيك جاهدا عليك بتقوى الله فى السر و الجهر

فلا تحسنن بالدهر ظلنا فإنما من الحزم ألا يستنام إلى الدهر

أحمد بن محمد بن طلحة

من أهل جزيرة شقر، يكنى أبا جعفر، و يعرف بابن جدّه طلحة.

حاله: قال صاحب «القدح المعلى»: من بيت مشهور بجزيرة شقر من عمل بلنسية، كتب عن ولاة الأمر من بنى عبد المؤمن، ثم استكتبه ابن هود، حين تغلب على الأندلس، و ربما استوزره، و هو ممن كان والدى يكثر مجالسته، و بينهما مزاورة، و لم أستفد منه إلا ما كنت أحفظه من مجالسته.

شعره: قال: سمعته يوما يقول، تقيمون القيامة بحبيب، و البحرى، و المتنبى، و فى عصركم من يهتدى إلى ما لم يهتد إليه المتقدمون

و لا المتأخرون، الإحاطة فى أخبار غرناطة؛ ج ١؛ ص ١٠٤

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٠٥

فانبرى إليه شخص له همّة و إقدام، فقال: يا أبا جعفر، أين برهان ذلك، فما أظنك تعنى إلا نفسك، فقال: ما أعنى إلا نفسى، و لم

لا، و أنا الذى أقول: [السريع]

يا هل ترى أظرف من يومنا قلد جيد الأفق طوق العقيق

و أنطق الورق بعيدانها مطربة كل قضيب و ريق

و الشمس لا تشرب خمر الندى فى الرّوض إلا بكؤوس الشقيق

فلم ينصفوه فى الاستحسان، و ردّوه فى الغيظ كما كان، فقلت له: يا سيدى، هذا و الله السّبحر الحلال، و ما سمعت من شعراء عصرنا

مثله، فبالله إلا ما لازمتهنى و زدتنى من هذا النمط، فقال لى: لله درك، و درّ أبيك من منصف ابن منصف. اسمع، و افتح أذنيك. ثم

أنشد: [الوافر]

أدرها فالسماء بدت عروسا مضمخة الملابس بالغوالى

و خدّ الأرض خفّره أصيل وجفن النّهر كحلّ بالظلال
 وجيد الغصن يشرف في لآل تضيء بهنّ أكناف الليالي
 فقلت: بالله أعد وزد، فأعاد و الارتياح قد ملأ عطفه، و التّيه قد رفع أنفه،
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٠٦

ثم قال: [السريع]

لله نهر عندما زرته عاين طرفي منه سحرا حلال
 إذ أصبح الطلّ به ليلة و جال فيه الغصن مثل الخيال
 فقلت: ما على هذا مزيد في الاستحسان ، فعسى أن يكون المزيد في الإنشاد، فزاد ارتياحه و أنشد: [الوافر]
 ولما ماج بحر الليل بيني و بينكم و قد جدّدت ذكرا
 أراد لقاءكم إنسان عيني فمدّ له المنام عليه جسرا
 فقلت: إيه زادك الله إحسانا، فزاد: [الوافر]
 ولما أن رأى إنسان عيني بصحن الخدّ منه غريق ماء
 أقام له العذار عليه جسرا كما مدّ الظلام على الضياء
 فقلت: فما تكرر و يطول، فإنه مملول، إلّا ما أوردته آنفا، فإنه كنسيم الحياة، و ما إن يملّ، فبالله إلّا ما زدتنى ، و تفضّلت عليّ بالإعادة،
 فأعاد و أنشد:

[الكامل]

هات المدام إذا رأيت شبيهها في الأفق يا فردا بغير شبيهه
 فالصبح قد ذبح الظلام بنصله فغدت حمائمها تخاصم فيه
 دخوله غرناطة: دخلها مع مخدومه المتوكل على الله ابن هود و في جملته، إذ كان يصحبه في حركاته، و يباشر معه الحرب، و جرت
 عليه الهزائم، و له في ذلك كلّ شعر.
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٠٧

محنته: قالوا: لم يقنع بما أجرى عليه أبو العباس الينشتي من الإحسان، فكان يوغر صدره من الكلام فيه، فذكروا أن الينشتي قال يوما
 في مجلسه: رميت يوما بسهم من كذا، فبلغ إلى كذا؛ فقال ابن طلحة لشخص كان إلى جانبه: و الله لو كان قوس قزح؛ فشعر أبو
 العباس إلى قوله ما يشبه ذلك، و استدعى الشخص، و عزم عليه، فأخبره بقوله، فأسرّها في نفسه، إلى أن قوى الحقد عليه، من ما بلغه
 عنه من قوله يهجوه: [الوافر]

سمعنا بالموفق فارتحلنا و شافعنا له حسب و علم
 و رمت يدا أقبليها و أخرى أعيش بفضلها أبدا و أسمو
 فأنشدنا لسان الحال عنه يد شلا و أمر لا يتم

فزادت موجدته عليه، و راعى أمره إلى أن بلغته أبيات قالها في شهر رمضان، و هو على حال الاستهتار: [الوافر]

يقول أخو الفضول و قد رآنا على الإيمان يغلبنا المجون

أ تنتهكون شهر الصّوم هلا حماه منكم عقل و دين؟

فقلت اصحب سوانا، نحن قوم زنادقة مذاهبنا فنون

ندين بكلّ دين غير دين الررعاع فما به أبدا ندين

فحى على الصُّبوح الدَّهر ندعوو إبليس يقول لنا أمين
أيا شهر الصيام إليك عنَّا إليك ففِيك أكفر ما نكون
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٠٨

قال: فأرسل إليه من هجم عليه، وهو على هذا الحال، وأظهر إرضاء العامية بقتله، وذلك في سنة إحدى و ثلاثين و ستمائة . ولا خفاء أنه من صدور الأندلس، و أشدهم عثورا على المعاني الغريبة المخترعة، رحمه الله.

أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد ابن خاتمة الأنصاري

من أهل المريّة، يكنى أبا جعفر، و يعرف بابن خاتمة .

حاله: هذا الرجل صدر يشار إليه، طالب متفّن، مشارك، قوى الإدراك، سديد النَّظر، قوى الذهن، موفور الأدوات، كثير الاجتهاد، معين الطبع، جَيِّد القريحة، بارع الخط، ممتع المجالسة، حسن الخلق، جميل العشرة، حسنة من حسنات الأندلس، و طبقه في النظم و النثر، بعيد المرقى في درجة الاجتهاد، و أخذه بطرق الإحسان؛ عقد الشروط، و كتب عن الولاية ببلده، و قعد للإقراء ببلده، مشكور السيرة، حميد الطريقة، في ذلك كله.

و جرى ذكره في كتاب «التياج» بما نصّه: «ناظم درر الألفاظ، و مقلد جواهر الكلام نحور الرّواة و لِيّات الحفظاظ، و الآداب التي أصبحت شواردها حلم النائم و سمر الأيقاظ، و كم في بياض طرسها و سواد نفسها سحر الألفاظ . رفع في قطره رايه هذا الشأن على وفور حليته، و قرع فته البيان على سمو هضبته، و فوق سهمه إلى بحر الإحسان، فأثبته في لُبته؛ فإن أطال شأن الأبطال، و كاثر المنسجم الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٠٩

الهطّال؛ و إن أوجز، فضح و أعجز؛ فمن نسيب تهيج به الأشواق، و تضيق عن زفرتها الأطواق؛ و دعابه تقلّص ذيل الوقار، و تزيى بأكواس العقار؛ إلى انتماء للمعارف، و جنوح إلى ظلّها الوارف؛ و لم تزل معارفه ينفسح آمادها، و تحوز خصل السباق جياها». مشيخته: حسبما نقل بخطّه في ثبت استدعاه منه من أخذ عنه؛ الشيخ الخطيب، الأستاذ مولى النعمة، على أهل طبقته بالمريّة، أبو الحسن علي بن محمد بن أبي العيش المرّي؛ قرأ عليه و لازمه، و به جلّ انتفاعه؛ و الشيخ الخطيب الأستاذ الصالح أبو إسحاق إبراهيم بن العاص التتوخي. و روى عن الراوية المحدّث المكثّر الرّحال، محمد بن جابر بن محمد بن حسان الوادي آشي؛ و عن شيخنا أبي البركات ابن الحاجّ، سمع عليه الكثير، و أجازة إجازة عامّة؛ و الشيخ الخطيب أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن شعيب القيسي من أهل بلده؛ و القاضي أبو جعفر القرشي بن فركون. و أخذ عن الوزير الحاجّ الزاهد، أبي القاسم محمد بن محمد بن سهل بن مالك. و قرأ على المقرئ أبي جعفر الأغرّ، و غيرهم.

كتابته: ممّا خاطبني به بعد إمام الرّكب السلطاني ببلده، و أنا صحبته ، و لقائه إياي، بما يلقي به مثله من تأنيس و برّ، و تودّد، و تردّد:

[الكامل]

يا من حصلت على الكمال بما رأيت عيناى منه من الجمال الرائع
مرأى يروق و فى عطاى برده ما شئت من كرم و مجد بارع
أشكو إليك من الزمان تحاملا فى فضّ شمل لى بقربك جامع
هجم البعاد عليه ضنّا باللّقاحتى تقلّص مثل برق لامع
فلو أننى ذو مذهب لشفاعته ناديته: يا مالكي كن شافعي

شكواى إلى سيدى و معظّمى؛ أقرّ الله تعالى بسنائه أعين المجد، و أدّرّ بثنائه ألسن الحمد! شكوى الضمّان صدّ عن القراح العذب لأول و روده، و الهيمان ردّ عن استرواح القرب لمعضل صدوده، من زمان هجم علىّ بإبعاده ، على حين

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١١٠

إسعاده ، و دهمنى بفراقه غب إنارة أفقى به و إشراقه؛ ثم لم يكفه ما اجترم فى ترويع خياله الزاهر، حتى حرم عن تشييع كما له الباهر، فقطع عن توفية حقه، و منع من تأديه مستحقه، لا جرم أنه أنف لشعاع ذكائه، من هذه المطالع النائية عن شريف الإنارة، و بخل بالإمتاع بذكائه، عن هذه المسامع النائية عن لطيف العبارة، فراجع أنظاره، و استرجع معاره؛ و إلّا فعهدى بغروب الشمس إلى الطلوع ، و أن البدر ينصرف بين الاستقامة و الرجوع. فما بال هذا التير الأسعد، غرب ثم لم يطلع من الغد، ما ذاك إلا لعدوى الأيام و عدوانها، و شأنها فى تغطية إساءتها وجه إحسانها، و كما قيل: عادت هيف إلى أديانها؛ أستغفر الله أن لا يعد ذلك من المغتفر فى جانب ما أوليت من الأثر، التى أزرى العيان فيها بالأثر، و أربى الخبر على الخبر؛ فقد سرت متشوفات الخواطر، و أقرت متشرفات النواظر، بما جلت من ذلكم الكمال الباهر، و الجمال الناضر، الذى قيد خطى الأبصار، عن التشوف و الاستبصار؛ و أخذ بأزمة القلوب، عن سبيل كل مأمول و مرغوب؛ و أنى للعين بالتحول عن كمال الزين؟ أو للظرف ، بالتحول عن خلال الظرف؟ أو للسّمع من مراد، بعد ذلك الإصرار و الإيراد، أو للقلب من مراد، غير تلكم الشيم الرافلة من ملابس الكرم فى حلل و أبراد؛ و هل هو إلّا الحسن جمع فى نظام، و البدر طالع التمام، و أنوار الفضائل ضمها جنس اتفاق و التأم؛ فما ترعى العين منه فى غير مرعى خصيب، و لا تستهدف الآذان لغير سهم فى حديق البلاغة مصيب؛ و لا تطلع النفس سوى مطع له فى الحسن و الإحسان أوفر نصيب. لقد أزرى بناظم حلاه فيما تعاطاه التقصير، و انفسح من أعلاه بكل باع قصير، و سفه حلم القائل: إن الإنسان عالم صغير، شكرا للدهر على يد أسداها بقلب مزاره، و تحفة ثناء أهداها بمطلع أنواره، على تغاليه فى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١١١

ادّخار نفائسه، و بخله بنفائس ادّخاره؛ و لا غرو أن يضيق عنّا نطاق الذّكر، و لمّا يتسع لنا سوار الشكر؛ فقد عمّت هذه الأقطار بما شاءت من تحف، بين تحف و كرامة، و اجتنت أهلها ثمرة الرحلة فى ظلّ الإقامة، و جرى الأمر فى ذلك مجرى الكرامة. ألا و إن مفاتحتى لسيدى و معظّمى، حرس الله تعالى مجده، و ضاعف سعده! مفاتحة من ظفر من الدهر بمطلوبه، و جرى له القدر على وفق مرغوبه؛ فشرع له إلى أمله بابا، و رفع له من خجله جلابا، فهو يكلف بالاقتحام، و يأنف من الإحجام، غير أنّ الحصر عن درج قصده يقّيده، فهو يقدم و البصر يبهرج نقده فيقعده؛ فهو يقدم رجلا و يؤخر أخرى، و يجدد عزمًا ثم لا يتحرّى؛ فإن أبطأ خطابى فلواضح الاعتذار، و مثلكم لا يقبل حياة الأعدار؛ و الله عزّ و جلّ يصل إليكم عوائد الإسعاد و الإسعاف، و يحفظ لكم ما للمجد من جوانب و أكناف، إن شاء الله تعالى.

كتب فى العاشر من ربيع الأول عام ثمانية و أربعين و سبعمائة.

دخوله غرناطة: دخل غرناطة غير ما مرّة، منها فى استدعاء شمال الخواص من أهل الأقطار الأندلسية، عند إعدار الأمراء فى الدولة اليوسفية، فى شهر شعبان من عام أحد و خمسين و سبعمائة.

شعره: كان مجلياً، و أنشد فى حلبة الشعراء قصيدة أولها: [الكامل]

أجنان خلد زخرت أم مصنع؟ و العيد عاود أم صنيع يصنع؟

و من شعره: [الكامل]

من لم يشاهد موقفا لفراق لم يدر كيف تولّه العشاق

إن كنت لم تره فسائل من رأى يخبرك عن ولهى و هول سياقى

من حرّ أنفاس و خفق جوانح و صدوع أكباد و فيض مآقى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١١٢ دهى الفؤاد فلا لسان ناطق عند الوداع و لا يد متراق

و لقد أشير لمن تكلف رحلة أن عج على و لو بقدر فواق

علّي أراجع من ذمّاي حشاشة أشكو بها بعض الذى أنا لاق
 فمضى و لم تعطفه نحوى ذمّة هيهات! لا بقيا على مشتاق
 يا صاحبي و قد مضى حكم التوى روحا على بشيمة العشاق
 و استقبلا بي نسمة من أرضكم فلعلّ نفتحها تحلّ و ثاقى
 إنى ليشفينى التسيم إذا سرى متضوعا من تلكم الآفاق
 من مبلغ بالجزع أهل موذتى أنى على حكم الصبا به باق؟
 و لئن تحوّل عهد قريبهم نوى ما حلت عن عهدي و لا ميثاقى
 أنفت خلائقى الكرام لخلّتى نسبا إلى الإخلاق و الإخراق
 قسما به ما استغرقتنى فكرة إلّا و فكرى فيه و استغراقى
 لى آهه عند العشى لعله يصغى لها، و كذا مع الإشراق
 أبكى إذا هبّ النسيم فإنّ تجد بللا به فدمعى المهراق
 أومى بتسليم إليه مع الصبا فالذكر كتبى و الرفاق رفاقى
 من لى و قد شحط المزار بنازح أدنى لقلبى من جوى أشواقى
 إن غاب عن عينى فمشواه الحشاشفسراه بين القلب و الأحداق
 جارت على يد التوى بفراقه آها لما جنت التوى بفراق
 أحباب قلبى هل لماضى عيشنا ردّ فينسخ بعدكم بتلاق؟
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١١٣ أم هل لأثواب التجلّد راقع إذ ليس من داء المحبّة راق
 ما غاب كوكب حسنكم عن ناظرى إلّا و أمطرت الدّما آماقى
 إيه أختى أدر علىّ حديثهم كأسا ذكت عرفا و طيب مذاق
 و إذا جنحت لماء او طرب فمن دمعى الهموع و قلبى الخفّاق
 ذكراه راحى، و الصّبا به حضرتى و الدمع ساقيتى ، و أنت الساقى
 فليله عنى من لحانى إننى راض بما لاقيته و ألاقى
 و قال: [البسيط]

و قفت و الرّكب قد زمت ركائبه و للنفوس مع التوى تقطيع
 و قد تمايل نحوى للوداع و هل لراحل القلب صدر الرّكب توديع؟
 أضمّ منه كما أهوى لغير نوى ريحانة فى شذاها الطّيب مجموع
 تهفو فأذعر خوفا من تقلّصها إنّ الشّفيق بسوء الظنّ مولوع
 هل عند من قد دعا بالبين مقلته أنّ الرّدى منه مرئى و مسموع؟
 أشيع القلب من رغم علىّ و ما بقاء جسم له للقلب تشيع
 أرى و شاتى أنى لست مفتقرا لما جرى و صميم القلب مصروع
 الوجد طبع و سلوانى مصانعة هيهات يشكل مصنوع و مطبوع
 «إنّ الجديد إذا ما زيد فى خلق تبيّن الناس أنّ الثّوب مرقوع»
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١١٤

و قال أيضا : [الكامل]

لو لا حيائي من عيون التّرجس للثمت خدّ الورد بين الشّندس
و رشفت من ثغر الأفاحة ريقها و ضممت أعطاف الغصون الميس
و هتكت أستار الوقار و لم أبل للباقلا تلحظ بطرف أشوس
ما لي و صهباء الدّنان مطارحاسج القيان مكاشفا وجه المسى
شّتان بين مظاهر و مخاتل ثوب الحجا و مطهر و مدّس
و مجمجم بالعدل باكرنى به و الطير أفصح مسعد بتأس
نزهت سمعى عن سفاهة نطقه و أعرته صوتا رخيّم الملمس
سّفهت فى العشّاق يوما إن أكن ذاك الذى يدعى الفصيح الأخرس
أعدول و جدى ليس عشّك فادرجى و نصيح رشدى بان نصحك فاجلس
هل تبصر الأشجار و الأطيّار و الأزهار تلك الخافضات الأروس؟
تالّه و هو أليتى و كفى به قسما يفدى برّه بالأنفس
ما ذاك من شكو و لا لخاله لكن سجود مسيح و مقدّس
شكرا لمن برأ الوجود بجوده فثنى إليه الكلّ وجه المفلس
و سما بساط الأرض فيه فمدّه و دحا بسيط الأرض أوثر مجلس
و وشى بأنواع المحاسن هذه و أنار هذى بالجوارى الكنّس
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١١٥ و أدّر أخلاف العطاء تطوّلا و أنال فضلا من يطيع و من يسي
حتى إذا انتظم الوجود بنسبه و كساه ثوبى نوره و الحندس
و استكملت كلّ النفوس كما لها شفيع العطايا بالعطاء الأنفس
بأجلّ هاد للخلائق مرشدو أتم نور للخلائق مقبس
بالمصطفى المهدي إلينا رحمة مرمى الرّجاء و مسكّة المتيسّس
نعم يضيق الوصف عن إحصائها فلّ الخطيب بها لسان الأوجس
إيه فحدّثنى حديث هواهم ما أبعد السلوان عن قلب الأسي

إن كنت قد أحسنت نعت جمالهم فلقد سها عنى العذول بهم و سى
ما إن دعوك بببليل إلّا لماقد هجت من بلبال هذى الأنفس
سبحان من صدع الجميع بحمده و بشكره من ناطق أو أخرس
و امتدّت الأطلال ساجده له بجبالها من قائم أو أقعس
فإذا تراجعت الطيور و زابت أغصانها بان المطيع من المسى
فيقول ذا: سكرت لنغمه منشدو يقول ذا: سجدت لذكر مقدّس
كلّ يفوه بقوله و الحقّ لا يخفى على نظر اللّيب الأكيّس
و قال : [الكامل]

زارت على حذر من الرّقباء و الليل ملتحف بفضل رداء

تصل الدجى بسواد فرع فاحم لتزيد ظلماء إلى ظلماء
فوشى بها من وجهها و حلّها بدر الدجى و كواكب الجوزاء
أهلا بزائرة على خطر السرى ما كنت أرجوها ليوم لقاء
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١١٦ أقسمت لو لا عفة عذريه و تقى على له رقيب رائي
لتنعت غلة لوعتي برضا بها و نضحت ورد خدودها بيكائي
و من ذلك ما قاله أيضا: [الخفيف]
أرسلت ليل شعرها من عقص عن محيا رمى البدور بنقص
فأرتنا الصباح فى جنح ليل يتهادى ما بين غصن و دعص
و تصدّت برامحات نهود أشرعت للأنام من تحت قمص
فتولت جيوش صبرى انهزاما و بودى ذاك اللقاء و حرصى
ليس كل الذى يفز بناج ربّ ظعن فيه حياة لشخص
كيف لى بالسلو عنها و قلبى قد هوى حلمه بمهوى لخرص
ما تعاطيت ظاهر الصبر إلأردنى جيدها بأوضح نصّ
و من ذلك قوله أيضا: [الخفيف]
أنا بين الحياة و الموت وقف نفس خافت و دمع و وكف
حلّ بى من هواك ما ليس يبنى عنه نعت و لا يعبر وصف
عجبا لانعطاف صدغيك و المعطف و الجيد ثم ما منك عطف
ضاق صدرى بضيق حجلك و استوقف طرفى حيران ذاك الوقف
كيف يرجى فكاك قلب معنى فى غرام قيده قرط و شنف
و من ذلك قوله أيضا: [البيسط]
رقّ السنّا ذهباً فى اللأزوردى فالأفق ما بين مرقوم و موشى
كأنما الشهب و الإصباح ينهبها لآلىء سقطت من كفّ زنجى
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١١٧
و من شعره فى الحكم قوله: [الطويل]
هو الدّهر لا يبقى على عائد به فمن شاء عيشا يصطبر لنوائبه
فمن لم يصب فى نفسه فمصابه لفوت أمانيه و فقد حبابه
و من ذلك قوله: [الوافر]
ملاك الأمر تقوى الله، فاجعل تقاه عدّة لصلاح أمرك
و بادر نحو طاعته بعزم فما تدرى متى يمضى بعمرك
و من ذلك أيضا: [الوافر]
دماء فوق خدك أم خلوق؟ و ريق ما بثغرك أم رحيق؟
و ما ابتسمت ثنايا أم أقاح و يكنفها شفاه أم شقيق
و تلك سناء نوم ما تعاطت جفونك أم هى الخمر العتيق

لقد أعدت معاطفك انشاء وقلبي سكره ما إن يفيق
جمالك حضرتي و هواك راحي و كأسك مقلتي فمتى أفيق؟

و من شعره في الأوصاف: [الخفيف]

أرسل الجوّ ماء ورد رذاذا سمع الحزن و الدّمائث رشًا
فانشى حول أسوق الدّوح حجلوا جرى فوق برده الرّوض رقشا
و سما في الغصون حلى بنان أصبحت من سلافه الطّل رعشا
فترى الزّهر ترقم الأرض رقما و ترى الريح تنقش الماء نقشا
فكأنّ المياه سيف صقيل و كأنّ البطاح غمد موّشى
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١١٨

و كتب عقب انصرافه من غرناطة في بعض قدماته عليها ما نصّه: «مما قلته بديهة عند الإشراف على جنابكم السعيد، و قدومي مع الثّفر
الذين أتحفتهم السيادة سيادتكم بالإشراف عليه، و الدخول إليه، و تنعيم الأبصار في المحاسن المجموعة لديه، و إن كان يوما قد
غابت شمس، و لم يتفق أن كمل أنسه؛ و أنشده حينئذ بعض من حضر، و لعله لم يبلغكم، و إن كان قد بلغكم ففضلكم يحملني في
إعادة الحديث: [الطويل]

أقول و عين الدّمع نصب عيوننا و لاح لبستان الوزارة جانب
أهدى سماء أم بناء سما به كواكب غصّت عن سناها الكواكب
تناظرت الأشكال منه تقابلا على السعد وسطى عقده و الجنائب
و قد جرت الأمواه فيه مجرّة مذانها شهب لهنّ ذوائب
و أشرف من عليها بهو تحفه شماسى زجاج وشيها متناسب
يطلّ على ماء به الآس دائرا كما افتّر ثغر أو كما اخضرّ شارب
هنا لك ما شاء العلى من جلاله بها يزدهى بستانها و المراتب

و لما أحضر الطعام هنا لك، دعى شيخنا القاضى أبو البركات إلى الأكل، فاعتذر بأنه صائم، قد بيّته من الليل، فحضرني أن قلت:
[المتقارب]

دعونا الخطيب أبا البركات لأكل طعام الوزير الأجلّ

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١١٩ و قد ضمنا في نداء جنان به احتفل الحسن حتى كمل

فأعرض عنا لعذر الصّيام و ما كلّ عذر له مستقلّ

فإنّ الجنان محلّ الجزاء و ليس الجنان محلّ العمل

و عندما فرغنا من الطعام أنشدت الأبيات شيخنا أبا البركات، فقال: لو أنشدتنيها، و أنتم بعد لم تفرغوا منه لأكلت معكم، بزا بهذه
الأبيات، و الحوالة في ذلك على الله تعالى.

و لما قضى الله، عزّ و جلّ، بالإدالة، و رجعنا إلى أوطاننا من العدو، و اشتهر عنى ما اشتهر من الانقباض عن الخدمة، و التّيه على
السلطان و الدولة، و التّكبر على أعلى رتب الخدمة، و تطارحت على السلطان في استنجاز وعد الرحلة، و رغبت في تفويت الدّمة، و
نفرت عن الأندلس بالجملة، خاطبني بعد صدر بلغ من حسن الإشارة، و براعة الاستهلال الغاية، بقوله:

«و إلى هذا يا سيدى، و محلّ تعظيمى و إجلالى، أمتع الله تعالى الوجود بطول بقائكم! و ضاعف في العزّ درجات ارتقائكم! فإنّه من
الأمر الذى لم يغب عن رأى المقول، و لا اختلف فيه أرباب المحسوس و المعقول؛ أنكم بهذه الجزيرة شمس أفقها، و تاج مفرقها، و

واسطة سلكها، و طراز ملكها، و قلادة نحرها، و فريدة دهرها، و عقد جيدها المنصوص، و كمال زينتها على المعلوم و المخصوص؛ ثم أنتم مدار أفلاكها، و سرّ سياسة أملاكها، و ترجمان بيانها، و لسان إحسانها، و طيب مارستانها، و الذى عليه عقد إدارتها، و به قوام إمارتها؛ فلديه يحلّ المشكل، و إليه يلجأ فى الأمر المعضل؛ فلا غرو أن تتقيد بكم الأسماع و الأبصار، و تحدّق نحوكم الأذهان و الأفكار؛ و يزرع عنكم السانح و البارح،
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٢٠

و يستنبأ ما تطرف عنه العين و تختلج الجوارح، استقراء لمرامكم، و استطلاعاً لطالع اعتزامكم، و استكشافاً لمرامى سهامكم، لا سيما مع إقامتكم على جناح خفوق، و ظهوركم فى ملتصع بروق، و اضطراب الظنون فيكم مع الغروب و الشروق؛ حتى تستقرّ بكم الدار، و يلقى عصاه التسيار؛ و له العذر فى ذلك إذ صدعها بفراقكم لم يندمل، و سرورها بلقائكم لم يكتمل؛ فلم يبر بعد جناحها المهيض، و لا- جمّ مأوها المغيض، و لا- تميزت من داجيها لياليها البيض؛ و لا استوى نهارها، و لا تألقت أنوارها، و لا اشتملت نعمائها، و لا نسيت غمّائها؛ بل هى كالثاقه، و الحديث العهد بالمكاره، تستشعر نفس العافية، و تتمسّح منكم باليد الشافية؛ فبحنانكم عليها، و عظيم حرمتكم على من لديها، لا تشربوا لها عذب المجاج بالأجاج، و تقنطوها مما عودت من طيب المزاج، فما لدائها، و حياة قريبكم غير طبّكم من علاج. و إنى ليخطر بخاطرى محبة فيكم، و عناية بما يعينكم، ما نال جانبكم صانه الله بهذا الوطن من الجفاء، ثم أذكر ما نالكم من حسن العهد و كرم الوفاء، و أنّ الوطن إحدى المواطن الأظار التى يحقّ لهنّ جميل الاحتفاء، و ما يتعلّق بكم من حرمة أولياء القرابة و أولى الصّفاء، فيغلب على ظنى أنكم لحسن العهد أجنح، و بحقّ نفسكم على أوليائكم أسمح، و التى هى أعظم قيمة فى فضائلكم أوهب و أمنح؛ وهب أنّ الدّر لا- يحتاج فى الإثبات إلى شهادة النّحور و اللّبات، و الياقوت غنى المكان، عن مظاهرة القلائد و التّيجان؛ أليس أنّه أعلى للعيان، و أبعد عن مكابرة البرهان، تألقها فى تاج الملك أنوشروان؟ و الشمس و إن
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٢١

كانت أمّ الأنوار و جلا- الأبصار، مهما أغمى مكانها من الأفق قيل: أليل هو أم نهار؟ و كما فى علمكم ما فارق ذوو الأحلام، و أوّل الأرحام، مواطن استقرارهم، و أماكن قرارهم، إلّا برغمهم و اضطرارهم، و استبدال دار هى خير من دارهم، و متى توازن الأندلس بالمغرب، أو يعوّض عنها إلّا بمكة أو يثرب؟ ما تحت أديمها أشلاء أولياء و عبّاد، و ما فوقه مرابط جهاد، و معاهد أولية فى سبيل الله، و مضارب أوتاد؛ ثم يبوّئ ولده مبوّاً أجداده، و يجمع له بين طرافه و تلامه؛ أعيد أنظاركم المسدّدة من رأى فائل، و سعى طويل لم يحل منه بطائل، فحسبكم من هذا الإياب السعيد، و العود الحميد، و هى طويلة.

فأجبت عنها بقولى: [السريع]

لم فى الهوى العذرى أو لا تلم فالعذل لا يدخل أسماعى
شأنك تعينى و شأنى الهوى كلّ امرئ فى شأنه ساعى

«أهلا بتحفة القادم، و ريحانة المنادم، و ذكرى الهوى المتقادم، لا يصغّر الله مسراك! فما أسراك، لقد جلبت إلّى من همومى ليلا، و جبت خيلا- و رجلا- و وقّيت من صاع الوفاء كيلا، و ظننت بى الأسف على ما فات، فأعملت الالتفات، لكيلا، فأقسم لو أنّ الأمر اليوم يدي، أو كانت اللّمة السوداء من عددى، ما أفلتت أشراكى المنصوبة لأمثالك، حول المياه الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٢٢
و بين المسالك، و لا- علمت ما هنا لك، لكنك طرقت حمى كسحته الغارة الشّعواء، و غيرت ربه الأنواء، فحمد بعد ارتجاجه، و سكت أذنين دجاجه، و تلاعبت الرياح الهوج فوق فجاجه، و طال عهده بالزّمان الأول، و هل عند رسم دارس من معول و حيّا الله ندبا
إلى زيارتى ندبك، و بادابه الحكيمه أدبك: [الوافر]

فكان و قد أفاد بك الأمانى كمن أهدى الشّفاء إلى العليل

و هى شيمه بوركت من شيمه، و هبة الله قبله من لدن المشيمه، و من مثله فى صلة رعى، و فضل سعى، و قول و وعى: [مجزوء

[الخفيف]

قسما بالكواكب الزهر و الزهر عاتمه

إنما الفضل ملء ختمت بابن خاتمه

كسانى حلمة وصفه ، و قد ذهب زمان التجمل ، و حملنى ناهض شكره ، و كندى واه عن التحمل ، و نظرنى بالعين الكليله عن العيوب
فهلاً أجاد التأمل ، و استطلع طلع نثى ، و والى فى مركب المعجزه حتى ، إنما أشكوا بثى :

[الوافر]

و لو ترك القطا ليلا لنا ما الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٢٣

و ما حال شمل و تده مفروق، و قاعدته فروق، و صواع بنى أبيه مسروق، و قلب قرحه من عضة الدهر دام، و جمرة حسرته ذات
احتدام، هذا و قد صارت الصغرى، التى كانت الكبرى، لمشيب لم يرع أن هجم، لما نجم، ثم تهلل عارضه و انسجم: [الكامل]
لا تجمعى هجرا على و غربه فالهجر فى تلف الغريب سريع

نظرت فإذا الجنب ناب ، و النفس فريسة ظفر و ناب، و المال أكيهه انتهاب، و العمر رهن ذهاب، و اليد صفر من كل اكتساب، و سوق
المعاد مترامية، و الله سريع الحساب: [الوافر]

و لو نعطى الخيار لما افترقنا و لكن لا خيار مع الزمان

و هب أن العمر جديد، و ظل الأمن مديد، و رأى الاغتباط بالوطن سديد، فما الحجة لنفسى إذا مرّت بمطارح جفوتها، و ملاعب
هفوتها، و مثاقف قناتها، و مظاهر عزّاه و مناتها، و الزمان ولود، و زناد الكون غير صلود: [الكامل]

و إذا امرؤ لدغته أفعى مرّة تركته حين يجزّ حبل يفرق

ثم أن المرغّب قد ذهب، و الدهر قد استرجع ما وهب، و العارض قد اشتبه، و آراء الاكتساب مرجوحه مرفوضه، و أسماؤه على
الجوار مخفوضه، و التيه مع الله على الزهد فيما بأيدى الناس معقوده، و التوبه بفضل الله عزّ و جلّ شروطها غير معارضه و لا منقوده، و
المعاملة سامريه، و دروع الصبر

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٢٤

سابريه، و الاقتصاد قد قرّت العين بصحبته، و الله قد عوّض حبّ الدنيا بمحبته، فإذا راجعها مثلى من بعد الفراق، و قد رقى لدغتها ألف
راق، و جمعتنى بها الحجره، ما الذى تكون الأجره؟ جلّ شانى، و قد رضى الوامق و سخط الشانى، إنى إلى الله تعالى مهاجر، و
للغرض الأدنى هاجر، و لأظعان السرى زاجر، لأحد إن شاء الله و حاجر، و لكن دعانى إلى الهوى، لهذا المولى المنعم هوى، خلعت
نعلى الوجود و ما خلعت، و شوق أمرنى فأطعته، و غالب و الله صبرى فما استطعته، و الحال و الله أغلب، و عسى أن لا يخيب المطلب؛
فإن يسيره رضاه فأمل كمل، و راحل احتمال، و حاد أشجى الناقه و الجمل؛ و إن كان خلاف ذلك، فالزمان جمّ العوائق ، و التسليم
بمقامى لائق:

[البسيط]

ما بين غمضه عين و انتباهتها يصرف الأمر من حال إلى حال

و أما تفضيله هذا الوطن على غيره ، ليمن طيره، و عموم خيره، و بركة جهاده، و عمران رباه و وهاده، بأشلاء عباده و زهاده ، حتى لا
يفضله إلا أحد الحرمين، فحقّ برىء من المين، لكنى للحرمين جنحت، و فى جوّ الشوق إليهما سرحت ، فقد أفضت إلى طريق قصدى
محجته، و نصرتنى و المنه لله حجته، و قصد سيدى أسنى قصد، توخاه الشكر و الحمد، و معروف عرف به النكر، و أمل انتحاه الفكر،
و الآمال و الحمد لله بعد تمتاز، و الله يخلق ما يشاء و يختار، و دعاؤه يظهر الغيب مدد، و عدّه و عدد، و برّه حالى الظعن الإحاطة فى

أخبار غرناطة؛ ج ١؛ ص ١٢٤

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٢٥
و الإقامة معتملة معتمد ، و مجال المعرفة بفضله لا يحصره أحد ، و السلام .
و هو الآن بقيد الحياة، و ذلك ثاني عشر شعبان عام سبعين و سبعمائة.

أحمد بن عباس بن أبي زكريا

و يقال ابن زكريا. ثبت بخط ابن التياني، أنصاري النسب، يكنى أبا جعفر.
حاله: كان كاتباً حسن الكتابة، بارع الخط فصيحاً، غزير الأدب، قوى المعرفة، شارعاً في الفقه، مشاركاً في العلوم، حاضر الجواب، ذكي الخاطر، جامعاً للأدوات السلطانية، جميل الوجه، حسن الخلق، كلفاً بالأدب، مؤثراً له على سائر لُذاته، جامعاً للدواوين العلمية، معنياً بها، مقتنياً للجيّد منها، مغالياً فيها، نفاعاً من خصّه بها، و لا يستخرج منها شيئاً، لفرط بخله بها، إلّا لسيلها، حتى لقد أثرى كثير من الورّاقين و التجّار معه فيها، و جمع منها ما لم يكن عند ملك.
يساره: يقال إنه لم يجتمع عند أحد من نظرائه ما اجتمع عنده من عين و ورق و دفاتر و خرق، و آنية، و متاع و أثاث و كراع. مشيخته: روى عن أبي تمام غالب التياني، و أبي عبد الله بن صاحب الأعباس.
نباهته و حظوته: وزر لزهير العامري الآتي ذكره، وارثاً الوزارة عن أبيه، و هي ما هي في قطر متحرّ بينابيع السّخيلة، و ثرّ بهذه الأمانة مستندا إلى قعساء العزّة، فتبّنتك نعيماً كثيراً، تجاوز الله عنه.
دخوله غرناطة: الذي اتصل علمي أنه دخل غرناطة منكوبا حسبما يتقرّر.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٢٦
نكبتة: زعموا أنه كان أقوى الأسباب فيما وقع بين أميره زهير، و بين باديس أمير غرناطة، من المفاسدة، و فصل صحبه إلى وقم باديس و قبيله، و حطّه في حيز هواه و طاعته، و كان ما شاء الله من استيلاء باديس على جملتهم، و وضع سيوف قومه فيهم، و قتل زهير، و استئصال محلّته؛ و قبض يومئذ على أحمد بن عباس، و جرى به إلى باديس، و صدره يغلى حقداً عليه، فأمر بحبسه، و شفاؤه الولوغ في دمه، و عجل عليه بعد دون أصحابه من حملة الأقاليم. قال ابن حيان: حديث ابن عباس أنه كان قد ولع بيت شعر صيّره هجواً أوقات لعبه بالشطرنج، أو معنى يسنح له مستطيلاً بجده: [المتقارب]

عيون الحوادث عني نيام و هضمي على الدهر شيء حرام
و شاع بيته هذا عند الناس، و غاظهم، حتى قلب له مصراعه بعض الشعراء فقال:
«سيوقظها قدر لا نيام» فما كان إلّا «كلا» و «لا» حتى تبتّبت الحوادث لهضمه، انتباهه انتزعت منه نخوته و عزّته، و غادرته أسيراً ذليلاً يرسف في وزن أربعين رطلاً من قيده، منزعاً من عضه لساقه البضّة، التي تألمت من ضغطه جوربه، يوم أصبح فيه أميراً مطاعاً، أعتى الخلق على بابه، و آمنهم بمكره، فأخذه أخذ ملك مقتدر، و الله غالب على أمره.
وفاته: قال أبو مروان: كان باديس قد أرجأ قتله مع جماعة من الأسرى، و بذل في فداء نفسه ثلاثين ألف دينار من الذهب العين، مالت إليها نفس باديس إلّا أنه عرض ذلك على أخيه بلّكين، فأنف منه، و أشار عليه بقتله، لتوقعه إثارة فتنة أخرى على يديه، تأكل من ماله أضعاف فديته. قال: فانصرف يوماً من بعض ركباته مع أخيه، فلما توسّط الدار التي فيها

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٢٧
أحمد بقصبه غرناطة، لصق القصر، وقف هو و أخوه بلّكين، و حاجبه على بن القروي، و أمر بإخراج أحمد إليه، فأقبل يرسف في قيده حتى وقف بين يديه، فأقبل على سبّه و تبكيته بذنوبه، و أحمد يتلطف إليه، و يسأله إراحته مما هو فيه، فقال له: «اليوم تستريح من هذا الألم، و تنتقل إلى ما هو أشدّ»؛ و جعل يراطن أخاه بالبربرية، فبان لأحمد وجه الموت، فجعل يكثّر الضّراعة، و يضاعف عدد المال،

فأثار غضبه، وهزّ مزراقه، وأخرجه من صدره؛ فاستغاث الله، - زعموا-، عند ذلك، وذكر أولاده و حرمه؛ للحين أمر باديس بحزّ رأسه و رمى خارج القصر.

حدّث خادم باديس، قال: رأيت جسد ابن عباس ثاني يوم قتله، ثم قال لى باديس: خذ رأسه و واره مع جسده؛ قال: فنبشت قبره، و أضفته إلى جسده، بجانب أبى الفتوح قتيل باديس أيضا. و قال لى باديس: ضع عدوّا إلى جنب عدو، إلى يوم القصاص؛ فكان قتل أبى جعفر عشية الحادى والعشرين من ذى حجة سنة سبع و عشرين و أربعمائه، بعد اثنين و خمسين يوما من أسره. و كان يوم مات ابن ثلاثين، نفعه الله و رحمه.

أحمد بن أبى جعفر بن محمد بن عطية القضاى

من أهل مراكش، و أصله القديم من طرطوشة ثم بعد من دانية، يكنى أبا جعفر.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٢٨

حاله: كان كاتباً بليغاً، سهل المأخذ، منقاد القريحة، سيال الطبع.

مشيخته: أخذ عن أبيه، و عن طائفه كبيرة من أهل مراكش.

نباهته: كتب عن على بن يوسف بن تاشفين، و عن ابنه تاشفين، و عن أبى إسحاق، و كان أحظى كتابهم. ثم لما انقطعت دولة لمتونه، دخل فى لفيق الناس، و أخفى نفسه. و لما أثار الماسى الهداية بالسوس، و رمى الموحدى بحجرهم الذى رموا به البلاد، و أعيا أمره، و هزم جيوشهم التى جهّزوها إليه و انتدب منهم إلى ملاقاته، أبو حفص عمر بن يحيى الهنتائى، فى جيش خشن من فرسان و رجاله، كان أبو جعفر بن عطية، من الرجال، مرتسماً بالرمية، و التقى الجمعان، فهزم جيش الماسى، و ظهر عليه الموحّدون. و قتل الدعى المذكور، و عظم موقع الفتح عند الأمير الغالب يومئذ أبو حفص عمر، فأراد إعلام الخليفة عبد المؤمن، بما سناه الله، فلم يلق فى جميع من استصحبه من يجلى عنه، و يوفى ما أراد، فذكر له أن فتى من الرّماء يخاطر بشىء من الأدب و الأشعار و الرسائل فاستحضره، و عرض عليه غرضه، فتجاهل و ظاهر بالعجز، فلم يقبل عذره، و اشتدّ عليه، فكتب رسالة فائقة مشهورة، فلما فرغ منها و قرأها عليه اشتدّ إعجابها بها و أحسن إليه، و اعتنى به، و اعتقد أنه ذخر يتحف به عبد المؤمن، و أنفذ الرسالة، فلما قرئت بمحضر أكابر الدولة، عظم مقدارها، و نبه فضل منشئها، و صدر الجواب و من فصوله الاعتناء بكتابها، و الإحسان إليه، و استصحابه مكرّماً. و لما أدخل على عبد المؤمن سأله عن نفسه، و أحظاه لديه و قلده خطبة الكتابة، و أسند إليه وزارته، و فوّض إليه النظر فى أموره كلها؛ فنهض بأعباء ما فوّض إليه، و ظهر فيه استقلاله و غناؤه، و اشتهر بأجمل السعى للناس و استمالتهم بالإحسان و عمّت صنائعه، و فشا معروفه، فكان محمود السيرة، منجّب المحاولات، ناجح المساعى، سعيد المأخذ، ميسر المآرب، و كانت وزارته زينا للوقت، كمالاً للدولة.

محنته: قالوا: و استمرت حالته إلى أن بلغ الخليفة عبد المؤمن أن النصارى غزوا قصبه ألمرية، و تحصنوا بها؛ و اقترن بذلك تقديم ابنه يعقوب على إشبيلية،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٢٩

فأصعبه أبا جعفر بن عطية، و أمره أن يتوجّه بعد استقرار ولده بها إلى ألمرية؛ و قد تقدّم إليها السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن، و حصر من بها النصارى، و ضيق عليهم، ليحاول أمر إنزالهم، ثم يعود إلى إشبيلية، و يتوجّه منها مع و إليها، إلى منازلها التى بها على الوهيبى؛ فعمل على ما حاوله من ذلك؛ و استنزل النصارى من ألمرية على العهد بحسن محاولته، و رجع السيد أبو سعيد إلى غرناطة، مزعجين إليها، حتى يسبقا جيش الطاغية؛ ثم انصرف إلى إشبيلية ليقضى الغرض من أمر الوهيبى. فعندما خلا منه الجوّ، و من الخليفة مكانه، وجدت حساده السبيل إلى التدبير عليه، و السعى به، حتى أو غروا صدر الخليفة؛ فاستوزر عبد المؤمن ابن عبد السلام بن محمد الكومى. و انبرى لمطالبة ابن عطية، و جدّ فى التماس عوراته، و تشنيع سقطاته، و أغرى به صنائعه، و شحن عليه حاشيته، فبزوا و راشوا

و انقلبوا، و كان مما نقم على أبي جعفر، نكاه القرح بالقرح، في كونه لم يقف في اصطناع العدد الكثير من اللمتونيين، و انتياشهم من حملولهم، حتى تزوج بنت يحيى الحمار من أمرائهم؛ و كانت أمها زينب بنت علي بن يوسف، فوجدوا السبيل بذلك إلى استئصال شأفته و الحكام، حتى نظم منهم مروان بن عبد العزيز، طليقه و مسترق اصطناعه، أبياتا طرحت بمجلس عبد المؤمن: [البيسط]

قل للإمام أطل الله مدته قولا تبين لذي لب حقائقه
 إن الزرايين قوم قد وترتهم و طالب الثأر لم تؤمن بوائقه
 و للوزير إلى آرائهم ميل لذاك ما كثرت فيهم علاقته
 فبادر الحزم في إطفاء نارهم فربما عاق عن أمر عوائقه
 هم العدو و من والاهم كههم فاحذر عدوك و احذر من يصادقه
 الله يعلم أني ناصح لكم و الحق أبلج لا تخفى طرائقه
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٣٠

قالوا: و لما وقف عبد المؤمن على هذه الأبيات البليغة في معناها و غير صدره على وزيره الفاضل أبي جعفر، و أسر له في نفسه تغيرا، فكان ذلك من أسباب نكته. و قيل: أفضى إليه بسر فأفشاه، و انتهى ذلك كله إلى أبي جعفر و هو بالأندلس، فقلق و عجل بالانصراف إلى مراكش، فحجب عند قدومه، ثم قيد إلى المسجد في اليوم الثاني بعده، حاسر العمامة، و استحضر الناس على طبقتهم، و قرروا ما يعلمون من أمره، و ما صار إليهم منه، فأجاب كل بما اقتضاه هواه، فأمر بسجنه، و لفّ معه أخوه أبو عقيل عطية، و توجه عبد المؤمن في إثر ذلك زائرا إلى تربة المهدي، فاستصحبهما منكوبين بحال ثقاف.

و صدرت عن أبي جعفر في هذه الحركة، من لطائف الأدب، نظما و نثرا في سبيل التوسل بتربة إمامهم، عجائب لم تجد، مع نفوذ قدر الله فيه. و لما انصرف من وجهته أعادهما معه، قافلا- إلى مراكش، فلما حاذى تاقمرت، أنفذ الأمر بقتلهما، بالشعراء المتصلة بالحصن على مقربة من الملاحه هنالك، فمضيا لسيلهما، رحمهما الله .

شعره و كتابته: كان ممّا خاطب به الخليفة عبد المؤمن مستعظفا كما قلناه من رسالة:

«تالله لو أحاطت بي خطيئة، و لم تنفك نفسي عن الخيرات بطيئة، حتى سخرت بمن في الوجود، و أنفت لآدم من السجود، و قلت: إن الله لم يوح إلى الفلك إلى نوح، و برت لقرار ثمود نبلا، و أبرمت لحطب نار الخليل جبلا، و حططت عن يونس شجرة اليقطين، و أوقدت مع هامان على الطين، و قبضت قبضة من الطير من أثر الرسول فنبذتها؛ و افترت على العذراء البتول فقتلتها؛ و كتبت صحيفة القطيعة بدار الندوة، و ظهرت الأحزاب بالقصوى من العدو،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٣١

و ذممت كل قرشي، و أكرمت لأجل وحشي كل حبشي، و قلت إن بيعة السقيفة لا توجب لإمام خليفة، و شحذت شفرة غلام المغيرة بن شعبة، و اعتقلت من حصار الدار و قتل أشمطها بشعبة، و غادرت الوجه من الهامة خضيبا، و ناولت من قرع سنّ الخمسين قضيبا، ثم أتيت حضرة المعصوم لانداء، و بقبر الإمام المهدي عائدا. لقد آن لمقاتلي أن تسمع، و أن تغفر لي هذه الخطيئات أجمع:

[الطويل]

فعفوا أمير المؤمنين فمن لنا بحمل قلوب هدها الخفقان

[و كتب مع ابن له صغير آخرة]: [البيسط]

عظفا علينا أمير المؤمنين، فقد بان العزاء لفرط البتّ و الحزن
 قد أغرقتنا ذنوب كلّها لجج و عطفة منكم أنجي من السفن
 و صادفتنا سهام كلّها غرض لها و رحمتكم أوقى من الجنن

هيئات للخطب أن تسطو حوادثه بمن أجارته رحماكم من المحن
من جاء عندكم يسعى على ثقة بنصره لم يخف بطشا من الزمن
فالثوب يطهر بعد الغسل من درن و الطرف ينهض بعد الرّكض من وسن
أنتم بذلتم حياة الخلق كلّهم من دون منّ عليهم لا ولا ثمن
و نحن من بعض من أحيت مكارمكم تلك الحياتين من نفس و من بدن
و صبيّه كفراخ الورق من صغر لم يألفوا النّوح في فرع و لا فنن
قد أوجدتهم أياد منكم سابعه و الكلّ لولاك لم يوجد و لم يكن
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٣٢

و من فصول رسالته التي كتب بها عن أبي حفص، و هي التي أورثته الكتابة العلية و الوزارة كما تقدم قوله :
« كتبنا هذا من وادي ماسه بعد ما ترحح أمر الله الكريم، و نصر الله المعلوم و ما النصيرُ إلّا من عند الله العزيز الحكيم فتح بمسرى
الأنوار إشراقا، و أحدق بنفوس المؤمنين إحداقا، و نبه للأمانى النائمة جفونا و أحداقا، و استغرق غاية الشكر استغراقا، فلا تطيق الألسن
كنه وصفه إدراكا و لا لحاقا؛ جمع أشات الطّب و الأدب، و تقلّب في النعم أكرم منقلب، و ملأ دلاء الأمل إلى عقد الكرب : [البسيط]
فتح تفتح أبواب السماء له و تبرز الأرض في أثوابها القشب
و تقدّمت بشارتنا به جملة، حين لم تعط الحال بشرحه مهلة. كان أولئك الضالّون المرتدون قد بطروا عدوانا و ظلما، و اقتطعوا الكفر
معنى و اسما، و أملى لهم الله ليزدادوا إثما؛ و كان مقدّمهم الشقى قد استمال النفوس بخزعبلاته، و استهوى القلوب بمهولاته، و نصب
له الشيطان من حبالته، فأتته المخاطبة من بعد و كتب، و نسلت إليه الرسل من كل حدب، و اعتقدته الخواطر أعجب عجب؛ و كان
الذى قادهم لذلك، و أوردهم تلك المهالك، و صول من بتلك السواحل، ممّن ارتسم برسم الانقطاع عن الناس، فيما سلف من
الأعوام، و اشتغل على رغمة بالصيام و القيام، آناء الليل و الأيام، لبسوا الناموس أثوابا، و تدرّعوا الرياء جلبابا، فلم يفتح الله لهم إلى
التوفيق بابا».

و منها في ذكر صاحبهم :

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٣٣

«فصرع و الحمد لله لحينه، و بادرت إليه بوادر منونه، و أتته وافدات الخطيئات عن يساره، و يمينه، و كان يدعى أن المتيّة في هذه
الأعوام لا- تصيبه، و يزعم أنه يبشّر بذلك و النوائب لا تنوبه؛ و يقول في سواه قولاً كثيرا، و يخلق على الله إفكا و زورا؛ فلما عاينوا
هيئة اضطجاعه، و رأوا ما خطته الأسنان في أعضائه، و نفذ فيه من أمر الله ما لم يقدرُوا على استرجاعه؛ هزم لهم من كان لهم من
الأحزاب، و تساقطوا على وجوههم كتساقط الذباب، و أعطوا عن بكرة أبيهم صفحة الرقاب، و لم تقطر كلومهم إلّا على الأعقاب؛
فامتلاّت تلك الجهات بأجسادهم، و أذنت الآجال بانقراض آمالهم، و أخذهم الله بكفرهم و فسادهم؛ فلم يعاين منهم إلّا من خرّ
صريعا، و سقى الأرض نجيعا، و لقي من وقع الهنديّات أمرا فظيعا؛ و دعت الضرورة باقيهم إلى الترامى فى الوادى، فمن كان يؤمل
الفرار منهم و يرتجيه، و يسبح طامعا فى الخروج إلى ما ينجيه، اختطفته الأسنّة اختطافا، و أذاقته موتا ذعافا؛ و من لجّ فى الترامى على
لججه، و رام البقاء فى ثجّه، قضى عليه شرقة، و ألوى فرقته غرقه. و دخل الموحّدون إلى الباقية الكائنة فيه، يتناولون قتالهم طعنا و
حربا، و يلقونهم بأمر الله هونا عظيما و كربا، حتى سطت مراقات الدماء على صفحات الماء، و حكّت حمرتها على زرقة حمرة الشفق
على زرق السماء؛ و ظهرت العبرة للمعتبر، فى جرى الدماء جرى الأبحر».

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٣٤

دخوله غرناطة: احتلّ بغرناطة عام أحد و خمسين و خمسمائة، لما استدعى أهل جهات المرية، السيد أبا سعيد إلى منازلها من بها

النصارى؛ وحشد، و نزل عليها، و نصب المجانيق على قصبته، و استصرخ من بها الطاغية، فأقبل إلى نصرهم؛ و استمد السيد أبو سعيد الخليفة، فوجه إليه الكبير أبو جعفر بن عطية صحبة السيد أبي يعقوب ابنه، فلحق به، و اتصل الحصار شهورا سبعة، و بذل الأمن لمن كان بها، و عادت إلى ملكة الإسلام، و انصرف الوزير أبو جعفر صحبة السيد أبي يعقوب إلى إشبيلية، و جرت أثناء هذه أمور يطول شرحها؛ ففي أثناء هذه الحركة دخل أبو جعفر غرناطة، و عدّ فيمن ورد عليها.

مولده: بمراكش عام سبعة و عشرين و خمسمائة .

وفاته: على حسب ما تقدّم ذكره، لليلة بقيت من صفر سنة ثلاث و خمسين و خمسمائة .

أحمد بن محمد بن شعيب الكرياني

من أهل فاس، يكنى أبا العباس، و يعرف بابن شعيب من كريانه، قبيلة من قبائل الزيف الغربي.

حاله: من «عائد الصيلة»: من أهل المعرفة بصناعة الطب، و تدقيق النظر فيها، مشاركا في الفنون، و خصوصا في علم الأدب، حافظا للشعر؛ ذكر أنه حفظ منه عشرين ألف بيت للمحدثين، و الغالب عليه العلوم الفلسفية، و قد مقت لذلك، و تهتكت في علم الكيمياء، و خلع فيه العذار، فلم يحل بطائل، إلّا أنه كان تفوّه بالوصول شنشنة المفتونين بها على مدى الدهر. و له شعر رائع، و كتابه حسنة، و خط ظريف.

كتب في ديوان سلطان المغرب مرثسا، و تسرى جارية روميّة اسمها صبح، من أجمل الجوارى حسنا، فأدّبها حتى لقتن حظا من العريية، و نظمت الشعر، و كان شديد الغرام بها، فهلكت أشد ما كان حبا لها، و امتداد أمل فيها، فكان بعد وفاتها لا يرى إلّا في تأوّه دائم، و أسف متماد، و له فيها أشعار بديعة في غرض الرثاء.

مشيخته: قرأ في بلده فاس على كثير من شيوخها، كالأستاذ أبي عبد الله بن أجروم نزيل فاس، و الأستاذ أبي عبد الله بن رشيد، و وصل إلى تونس، فأخذ منها الطبّ و الهيئة على الشيخ رحلة و قته في تلك الفنون، يعقوب بن الدرّاس.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٣٥

و كان مما خاطب به الشيخ أبو جعفر بن صفوان، و قد نشأت بينهما صداقة أوجبها القدر المشترك من الولوج بالصّنع المرموزة، يتشوّق إلى جهة كانوا يخلون بها للشيخ فيها ضيعة بخارج مألقة كالأها الله: [المتقارب]

رعى الله وادي شنيانه و تلك الغدايا و تلك الليالي

و مسرحنا بين خضر الغصون و ودق المياه و سحر الظلال

و مرتعنا تحت أدواحه و مكرعنا في التّمر الزّلال

نشاهد منها كعرض الحسام إذا ما انتشت فوقه كالعوالي

و لله من درّ حصائه لآل و أحسن بها من لآل

و ليل به في ستور الغصون كخود ترّتم فوق الحجال

و أسحاره كيف راق و صحّ النسيم بها في اعتدال

و لله منك أبا جعفر عميد الحلال حميد الخلال

تطارحني برموز الكنوز و تسفر لي عن معاني المعالي

و تبدلني في شجون الحديد و يا طيبة كلّ سحر حلال

فألقط من فيك سحر البيان مجيبا به عن عريض النّوال

أفدت الذي دونها معشر كثير المقال قليل النّوال

فأصبحت لا أبتغى بعدها سواك و بعد كما لا أبالي
و خاطب الفقيه العالم أبا جعفر بن صفوان يسأله عن شيء من علم الصناعة بما نصّه: [الكامل]
دار الهوى نجد و ساكنها أقصى أمانى النفس من نجد
و ممّا صدر به رسالته: [الطويل]
أ يجمع هذا الشّمل بعد شتاته؟ و يوصل هذا الحبل بعد انباته؟
أما للبلبلى آية عيسويّة فينشر ميّت الأنس بعد مماته؟
و يورد عيني بعد ملح مدامعى برؤيته فى عذبه و فراته؟
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٣٦
و أنشد له صاحبنا الجليل صاحب العلامه بالمغرب، أبو القاسم بن صفوان قوله: [المنسرح]
يا ربّ ظبى شعاره نسك ألحاطه فى الورى لها فتك
يترك من هام به مكتتبالا تعجبوا أن قومه التترك
أشكو له ما لقيت من حرق فيمشين لاهيا إذا أشكو
صبرت حتى أطلّ عارضه فكان صبرى ختامه مسك
و من المعاتبه و الفكاهه قوله: [السريع]
و بائع للكتب يتاعها بأرخض السوم و أغلاه
فى نصف الاستذكار أعطيته و مخض العين و أرضاه و له أيضا: [الكامل]
يا من توعدنى بحادث هجره إن السلو لدون ما يتوعد
هذا عذارك و هو موضع سلوتى فأكفف فقد سبق الوعيد الموعد
و أظنّ سلوتنا غدا أو بعده فبذاك خبّرنا الغراب الأسود
و له أيضا: [الكامل]
قال العذول تنقّصا لجمالها هذا حبيبك قد أطلّ عذاره
لا بل بدا فصل الربيع بخده فلذا تساوى ليله و نهاره
و له يرثى: [مجزوء الكامل]
يا قبر صبح، حلّ فيك بمهجتى أسنى الأمانى
و غدوت بعد عيانها شهى البقاع إلى العيان
أخشى المتيه إنها تقصى مكانك عن مكاني
كم بين مقبور بفاس و قابر بالقيروان
و له أيضا يرثيها: [الكامل]
يا صاحب القبر الذى أعلامه درست و ثابت حبه لم يدرس
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٣٧ ما اليأس منك على التصبر حاملى أياستنى فكأننى لم أياس
لما ذهبت بكلّ حسن أصبحت نفسى تعانى شجو كلّ الأنفس
أصبح أيامى ليال كلّهالا تنجلي عن صبحك المتنفّس
و قال فى ذلك: [مجزوء الكامل]

أعلمت ما صنع الفراق غداً جَدَّ به الرِّفاق؟
 ووقفت منهم حيث للننظرات و الدمع استباق
 سبقت مطاياهم فما أبطا بنفسك في السباق
 أأطقت حمل صدودهم للبين خطب لا يطاق
 عن ذات عرق أصعدوا أ تقول دارهم العراق
 نزلوا ببرقة ثمهد فلذاك ما شئت البراق
 و تيامنوا عسفان أن يقفوا بمجتمع الرِّفاق
 ما ضرهم و هم المنى لو وافقوا بعض الوفاق
 قالوا تفرقنا غدا فاشغلت عن وعد التلاق
 عمدا رأوا قتل العميد فكان عيشك في اتِّفاق
 أولى لجسمك أن يرق و دمع عينك أن يراق
 أمّا الفؤاد فعندهم دعه و دعوى الاشتياق
 أعتاد حبّ محلهم فمحلّ صدرك عنه ضاق
 واهي لسالفه الشباب مضت بأيامى الرقاق
 أبقت حرارة لوعه بين الترائب و التراق
 لا تنطفئ و ورودها من أدمعى كأس دهاق
 و قال أيضاً: [الكامل]

يا موحشى و البعد دون لقائه أدعوك عن شحط و إن لم تسمع
 يدنيك منى الشوق حتى إننى لأراك رأى العين لو لا أدمعى
 و أحنّ شوقاً للنسيم إذا سرى لحديثكم و أصبح كالمستطلع
 كان اللقاء فكان حظى ناظرى وسط الفراق فصار حظى مسمعى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٣٨ فابعث خيالك تهده نار الحشا إن كان يجهل من مقامى موضعى
 و اصحبه من نومي بتحفة قادم فصدى فليل ركابكم لم تجمع

دخوله غرناطة: دخل غرناطة على عهد السابع من ملوكها الأمير محمد لقرب من ولايته فى بعض شؤونه؛ و حَقَّقَ بها تغيير أمر الأدوية المنفردة التى يتشوّف الطيب إليها و الشحرور، و هى بقرية شون من خارجها.
 وفاته: رحمه الله، توفى بتونس فى يوم عيد الأضحى من سنة تسع و أربعين و سبعمائة.

أحمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن علي بن سليمان بن عرفه اللخمي

الفقيه، الرئيس، المتفتن، حامل راية مذهب الشعر فى وقته، المشار إليه بالبنان فى ذلك بلده، يكنى أبا العباس.
 حاله: كان فذاً فى الأدب، طرفاً فى الإدراك، مهذب الشمائل، ذلق اللسان، ممتع المجالسة و المحاضرة، حلو الفكاهة، يرمى كل غرض بسهم، إلى شرف النشأة و عزّ المرتبة، و كرم المحتد، و أصالة الرياسة.
 حدّثنى الشيخ أبو زكريا بن هذيل، قال: حضرت بمجلس ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الحكيم، و أبو العباس بدر هالته، و قطب جلالته، فلم يحر بشيء إلّا ركض فيه، و تكلم بملء فيه. ثم قمنا إلى زبّارين يصلحون شجرة عنب، فقال لعريفهم: حقّ هذا أن يقصر، و

يطال هذا، و يعمل كذا. فقال الوزير: يا أبا العباس، ما تركت لهؤلاء أيضا حظًا من صناعتهم، يستحقون به الأجر، فعجبنا من استحضاره، و وساعة ذرعه، و امتداد حظ كفايته.

قدومه على غرناطة: قدم عليها مع الجملة من قومه عند تغلب الدولة النصرية على بلدهم، و نزول البلاء و الغلاء و المحنة بهم، و الجلاء بهم في آخر عام خمسة

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٣٩

و سبعمائة، و يأتي التعريف بهم بعد إن شاء الله. و كان أوفر الدواعي في الاستعطاف لهم بما تقدم بين يدي أديائهم، و دخولهم على السلطان، أن الذي تنخل بمثله السيخائم، و تذهب الإحن. و خطب لنفسه، فاستمرت حاله لطيف المنزلة، معروف المكانة، ملازما مجلس مدبر الدولة، مرسوما بصداقته، مشتملا عليه ببره، إلى أن كان من تقلب الحال، و إدالة الدولة، ما كان.

شعره: و شعره نمط عال، و محلّ البراعة حال، لطيف الهبوب، غزير المائيه، أنيق الديباجة، جمّ المحاسن؛ فمنه في مذهب المدح، يخاطب ذا الوزارتين أبا عبد الله بن الحكيم: [الكامل]

ملكت رقيّ بالجمال فأجمل و حكمت في قلبي بجورك فاعدل

أنت الأمير على الملاح و من يجرفي حكمه إلا جفونك يعزل

إن قيل أنت البدر فالفضل الذي لك بالكمال و نقصه لم يجهل

لو لا الحظوظ لكنك أنت مكانه و لكان دونك في الحضيض الأسفل

عيناك نازلتا القلوب فكّلها إما جريح أو مصاب المقتل

هزّت ظباها بعد كسر جفونها فأصيب قلبي في الرّعيل الأول

ما زلت أعذل في هواك و لم يزل سمعي عن العذال فيك بمعزل

أصبحت في شغل بحبك شاغل عن أن أصبح إلى كلام العذّل

لم أهمل الكتمان لكن أدمعي هملت و لو لم تعصني لم تهمل

جمع الصحيحين الوفاء مع الهوى قلبي و أملى الدّمع كشف المشكل

ما في الجنوب و لا الشمال جواب ما أهدى إليك مع الصّبا و الشّمال

خلصا له من طيب عرفك نفحة تجيء بها دماء عليلها المتعلل

إن كنت بعدي حلت عمّا لم أحل عنه و أهملت الذي لم أهمل

أو حالت الأحوال فاستبدلت بي فإنّ حبي فيك لم يستبدل

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٤٠ لا قيت بعدك ما لو أن أقله لاقى الثرى لأذاب صمّ الجندل

و حملت في حبيك ما لو حملت شمّ الجبال أخفّه لم تحمل

من حيف دهر بالحوادث مقدم حتى على حبس الهزير المشبل

قد كنت منه قبل كثر صروفه فوق السّنام فصرت تحت الكلكل

و نصول شيب قد ألمّ بلمّتي و خضاب أبي شيبه لم تنصل

ينوى الإقامة ما بقيت و أقسمت لا تنزل اللذات ما لم ير حل

و مسير ظعن و دان حميمه لاقى الحمام و إنّه لم يفعل

يطوى على جسدي الضلوع فقلبه بأواره يغلى كغلى المرجل

في صدره ما ليس في صدري له من مثله مثقال حبة خردل

أعرضت عنه و لو أشفَ لذمه شعري لجرعه نقيع الحنظل
 جليت في حلبات سبق لم يكن فيها مرتاح و لا بمؤمل
 ما ضره سبقيه في زمن مضى أن المجلى فيه دون الفسكل
 ساءته منى عجرفيه قلب باق على مرّ الحوادث حوّل
 متحرّق في البذل مدّة سيره متجلّد في عسره متجمل
 حتى يثوب له الغنى من ماجد بقضاء حاجات الكرام موكل
 مثل الوزير ابن الحكيم و ما له مثل يقوم مقامه متمل
 ساد الوري بحديثه و قديمه في الحال و الماضي و في المستقبل
 من بيت مجد قد سمعت بقبايه أقيال لخم في الزمان الأوّل
 سامى الدعائم طال بيت وزاره و مشاجع و أبى الفوارس نهشل
 يلقى الوفود ببسط وجه مشرق تجلو طلاقته هموم المجتلى
 فلا ملى جدواه حول فنائه لقط القطا الأسراب حول المنهل
 و إذا نحى بالعدل فصل قضية لم تحظ فصلا من إطالة مفصل
 يقضى على سحب الخصوم و شعبهم و يقيم مغربهم مقام المؤمل
 و يلقن الحج العيى تحرّجان راح عند اللجاج و أعزل
 فإذا قضى صور المحقّ بحقه عنه و حلّق عقابه بالمبطل
 عجل على من يستحقّ مثوبة فإذا استحقّ عقوبة لم يعجل
 يا كافي الإسلام كلّ عظيمه و معيده غضا كأن لم يذبل
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٤١

و قال أيضا يمدحه بقصيده من مطولاته: و إنما اجتلبت من مدحه للوزير ابن الحكيم لكونه يمدح أديبا ناقدا، و بليغا بالكلام بصيرا، و الإجابة تلزم فيه منظومه، إذ لا يوسع القريحة فيه عذرا، و لا يقبل من الطمع قدرا، و هى:

[الكامل]

أما الرسوم فلم ترقّ لما بى و استعجمت عن أن تردّ جوابى
 و استبدلت بوحوشها من أنس بيض الوجوه كواعب أتراب
 و لقد وقفت بها أرقرق عبرة حتى اشتكى طول الوقوف صحابى
 بيكى لطول بكاي فى عرصاتها صحبى و رجعت الحنين ركابى
 و من شعره فى المقطوعات غير المطولات: [مجزوء البسيط]
 لم يبق ذو عين لم يسبه وجهك من زين بلا مين
 فلاح بينهما طالعا كأنه قمر بلا مين
 و من ذلك قوله: [البسيط]
 كأنما الخال مصباح بوجنته هبت عواصف أنفاسى فعطف
 أو نقطة قطرت فى الخد إذ رسمت خطّ الجمال بخطّ اللام و الألف
 و من ذلك قوله: [المنسرح]

و عدتني أن تزور يا أملى فلم أزل للطريق مرتقبا
حتى إذا الشمس للغروب دنت و صيرت من لجينها ذهبا
آنسنى البدر منك حين بدالائه لو ظهرت لاحتجبا
و من ذلك قوله: [الرمل]
هجر كم ما لي عليه جلد فأعيدوا لي الرضى أو فعدوا
ما قسا قلبي من هجرانكم و لقد طال عليه الأمد
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٤٢
و من ذلك قوله: [البسيط]
أبدى عذارك عذرى في الغرام به و زادنى شغفا فيه إلى شغف
كأنه ظنّ أتى قد نسيت له عهدا فعرض لي باللام و الألف
و مما هو أطول من المزدوجات قوله: [الطويل]
و يوم كساه الدجن دكن ثيابه وهب نسيم الروض و هو عليل
و لاحت بأفلاك الأفق كواكب لها في البدور الطالعات أقول
و جالت جياذ الزّاح بالزّاح جولة فلم تحل إلّا و الوقار قتيل
و من ذلك: [الخفيف]

عذلونى فيمن أحبّ و قالو ادب نمل العذار فى وجنتيه
و كذا التمل كلما حلّ شيئا منع النفس أن تميل إليه
قلت قبل العذار أعذر فيه ثم من بعده ألام عليه
إنما دبّ نحو شهد بفيه فلذاك انتهى إلى شفّتيه
و إحسانه كثير، و مثله لا يقنع منه بيسير.

وفاته: قال فى «عائد الصلّة»: «و لما كان من تغلب الحال، و إدالة الدولة، و خلع الأمير، و قتل وزيره، يوم عيد الفطر من سنة سبع و سبعمائة، و انتهت دار الوزير، و نالت الأيدى يومئذ، من شمله دهليز بابيه، من أعيان الطبقات، و أولى الخطط و الرّتب، و منهم أبو العباس هذا، رحمه الله؛ فأقلت تحت سلاح مشهور، و حيز مرقوف، و ثوب مسلوف؛ فأصابته بسبب ذلك علّة أياما، إلى أن أودت به، فقضت عليه بغرناطة، فى الثامن و العشرين لذى حجة من سنة سبع و سبعمائة؛ و دفن بمقبرة الغرباء من الرّيبط عبر الوادى تجاه قصور نجد، رحمه الله عليه».

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٤٣

أحمد بن على المليانى

من أهل مراكش، يكنى أبا عبد الله و أبا العباس.

صاحب العلامة بالمغرب، الكاتب الشهير البعيد الشأن فى اقتضاء الثرة، المثل المضروب فى العفة، و قوة الصّريمة، و نفاذ العزيمة. حاله: كان نبيه البيت، شهير الأصالة، رفيع المكانة، على سجيّة غريبة كانت فيه، من الوقار و الانقباض و الصّمت. أخذ بحظ من الطّب، حسن الخطّ، مليح الكتابة، قارضا للشعر، يذهب نفسه فيه كلّ مذهب.

وصمته: فتك فتك شنيعة أساءت الظنّ بحملة الأقاليم على مّر الدهر؛ و انتقل إلى الأندلس بعد مشقّة. و جرى ذكره فى كتاب

«الإكليل» بما نصّه :

«الصيّارم، الفاتك، والكاتب الباتك، أى اضطراب فى وقار، و تجهّم تحته أنس عقارا! اتخذه صاحب المغرب صاحب علامته، و توجّه تاج كرامته؛ و كان يطالب جملة من أشياخ مراكش بثأر عمّه، و يطوقهم دمه بزعمه، و يقصر على الاستبصار منهم بنات همّه، إذ سعوا فيه حتى اعتقل، ثم جدّوا فى أمره حتى قتل؛ فترصد كتابا إلى مراكش يتضمّن أمرا جزما، و يشلّ من أمور الملك عزما، الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٤٤

جعل الأمر فيه يضرب رقابهم، و سبى أسبابهم؛ و لمّا أكّد على حامله فى العجل، و ضايقه فى تقدير الأجل، تأنّى حتى علم أنه قد وصل، و أنّ غرضه قد حصل. فرّ إلى تلمسان، و هى بحال حصارها، فاتّصل بأنصارها، حالّا بين أنوفها و أبصارها؛ و تعجّب من فراره، و سوء اغتراره، و رجحت الظنون فى آثاره. ثم اتّصلت الأخبار بتمام الحيلة، و استيلاء القتل على أعلام تلك القبيلة، و تركها شنعاء على الأيام، و عارا فى الأقاليم على حملة الأقاليم؛ و أقام بتلمسان إلى أن حلّ مخنق حصارها، و أزيل هيمان الضيقة عن خصرها؛ فلهق بالأندلس، فلم يعدم بزّاء، و رعيا مستمرا، حتى أتاه حمامه، و انصرفت أيامه.

شعره: من الذى يدلّ على بزّه، و انفساخ خطاه فى التفاسه، و بعد شأوه، قوله: [الكامل]

العزّ ما ضربت عليه قبابى و الفضل ما اشتملت عليه ثيابى

و الزّهر ما أهداه غصن براعتى و المسك ما أبداه نقش كتابى

و المجد يمنع أن يزاحم موردى و العزم يأبى أن يسام جنابى

فإذا بلوت صنيعة جازيتها بجميل شكرى أو جزيل ثوابى

و إذا عقدت مودّة أجريتها مجرى طعامى من دمى و شرابى

و إذا طلبت من الفراقد و السهى ثأرا فأوشك أن أنال طلابى

وفاته: توفى رحمه الله يوم السبت تاسع ربيع الآخر عام خمسة عشر و سبعمائة، و دفن بجبانة باب إلبيرة، تجاوز الله تعالى عنه.

أحمد بن محمد بن عيسى الأموى

يكنى أبا جعفر، و يعرف بالزّيّات.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٤٥

حاله: من أهل الخير و الصّلاح و الأتباع، مفتوح عليه فى طريق الله، تير الباطن و الظاهر، مطّرح التصنّع، مستدلّ، مجانبا للدنيا و أهلها، صادق الخواطر، مرسل اللسان بذكر الله، مبذول النصيحة، مثابر على أتباع السيّئة، عارف بطريق الصوفية، ثبت القدم عند زلّاتها؛ ناطق بالحكمة على الأمية؛ جميل اللقاء، متوغّل فى الكلف بالجهاد، مرتبط للخيل، مبادر للهيعة، حريص على الشهادة، بركة من بركات الله فى الأندلس، يعزّ وجود مثله.

وفاته: توفى، رحمه الله، ببلده غرناطة، يوم الخميس الثانى و العشرين لجمادى الثانية من عام خمسة و ستين و سبعمائة؛ و شارف الاكتهال.

أحمد بن الحسن بن على بن الزّيّات الكلاعى

من أهل بلش مالقة، يكنى أبا جعفر، و يعرف بالزّيّات، الخطيب، المتصوّف الشهير.

حاله: من «عائد الصلّة»: كان جليل القدر، كثير العبادة، عظيم الوقار، حسن الخلق، مخفوض الجناح، متألّق البشر، مبذول المؤانسة، يذكر بالسّيلف الصالح فى حسن شيمته و إعراب لفظه، مزدحم المجلس، كثير الإفادة، صبوراً على الغاشية، واضح البيان، فارس المنابر

غير مدافع، مستحق التصدر في ذلك بشروط قلما كملت عند غيره؛ منها حسن الصورة، وكمال الأبهة، وجمهوريّة الصوت، و طيب النغمه، و عدم التهيّب، و القدرة على الإنشاء، و غلبه الخشوع، إلى التفنّن في كثير من المآخذ العلمية، و الرياسة في تجويد القرآن، و المشاركة في العربية، و الفقه، و اللغة، و الأدب، و العروض، و المحاسنة في الأصلين، و الحفظ للتفسير.

قال لى شيخنا أبو البركات بن الحاج، و قد جرى ذكر الخطابة: ما رأيت في استيفائها مثله. كان يفتح مجالس تدريسه أكثر الأحيان، بخطب غريبة، يطبق بها مفاسل الأغراض، التي يشرع في التكلم فيها، و ينظم الشعر دائما في مراجعاته و مخاطباته، و إجازاته، من غير تأنّ و لا رويّة، حتى اعتاده ملكة بطبعه؛ و استعمل في السفارة بين الملوك، لدحض السخائم، و إصلاح الأمور، فكانوا يوجيئون حقه، و يلتمسون بركته، و يلتمسون دعاءه.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٤٦

مشيخته: تحمّل العلم عن جملة؛ منهم خاله الفقيه الحكيم أبو جعفر أحمد بن علي المذحجي من أهل الحميّة، من ذوى المعرفة بالقرآن و الفرائض. و منهم القاضي أبو علي الحسين بن أبي الأحوص الفهري، أخذ عنه قراءة و إجازة. و منهم العارف الزباني أبو الحسن فضل بن فضيلة، أخذ عنه طريقة الصوفية و عليه سلك، و به تأدّب، و بينهما في ذلك مخاطبات. و منهم أبو الزهر ربيع بن محمد بن ربيع الأشعري، و أبو عبد الله محمد بن يحيى أخوه. و منهم أبو الفضل عياض بن محمد بن عياض بن موسى، قرأ عليه بيلش و أجاز له. و منهم الأستاذ أبو جعفر بن الزبير، و الأستاذ أبو الحسن التجلي، و أبو محمد بن سماك، و أبو جعفر بن الطباع، و أبو جعفر بن يوسف الهاشمي الطنجلي، و الأستاذ النحوي أبو الحسن بن الصيّانغ، و الكاتب الأديب أبو علي بن رشيق التغلبي، و الراوية أبو الحسن بن مستقور الطائي، و الإمام أبو الحسن بن أبي الربيع، و الأستاذ أبو إسحاق الغافقي الميربي، و الإمام العارف أبو محمد عبد العظيم بن الشيخ البلوي، بما كان من إجازته العامية لكل من أدرك عام أحد و أربعين و ستمائة، و غير هؤلاء ممّن يشقّ إحصاؤهم.

تصانيفه: كثيرة، منها المسماة ب «المقام المخزون في الكلام الموزون»؛ و القصيدة المسماة ب «المشرف الأصفى في المأرب الأوفى» و كلاهما ينيف على الألف بيت؛ و «نظم السلوك في شيم الملوك»، و «المجتنى النضير و المقتنى الخطير»، و «العبارة الوجيزة عن الإشارة»، و «اللطف الزوحي و العوارف الربانية».

و من تواليه: «أسس مبني العلم، و أسس معنى الحلم» في مقدمة علم الكلام، و «لذات السمع من القراءات السبع» نظاما، و «رصف نفائس اللآلي، و وصف عرائس المعالي» في النحو، و «قاعدة البيان و ضابطه اللسان» في العربية، و «لهجة اللافظ و بهجة الحافظ»، و الأرجوزة المسماة ب «قرّة عين السائل و بغية نفس الآمل» في اختصار السيرة النبوية، و «الوصايا النظامية في القوافي الثلاثية»، و كتاب «عدّة الداعي، و عمدة الواعي»، و كتاب «عوارف الكرم، و صلوات الإحسان، فيما حواه العين من لطائف الحكم و خلق الإنسان»، و كتاب «جوامع الأشراف و العنايات، في الصّوادع و الآيات»، و «التّفحة الوسيمة، و المنحة الجسمية»، تشمل على أربع قواعد اعتقاديّة

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٤٧

و أصوليّة و فروعيّة و تحقيقيّة، و كتاب «شروف المفارق في اختصار كتاب المشارق»، و «تلخيص الدلالة في تليخيص الرسالة»، و «شدور الذهب في صرور الخطب»، و «فائدة الملتقط و عائدة المعتبط»، و كتاب «عدّة المحقّ و تحفه المستحقّ».

نثره: من ذلك خطبة ألغيت الألف من حروفها، على كثرة ترددها في الكلام و تصريفها، و هي:

«حمدت ربي جلّ من كريم محمود، و شكرته عزّ من عظيم موجود، و نزهته عن جهل كل ملحد كفور، و قدّسته عن قول كل مفسد غرور، كبير لو تقدم، في فهم نجد، قدير لو تصوّر في رسم لحد، لو عدته فكرة التصوّر لتصوّر، و لو حدته فكرة لتعدّر، و لو فهمت له كيفية لبطل قدمه، و لو علمت له كيفية لحصل عدمه، و لو حصره طرف لقطع بتجسّمه، و لو قهره وصف لصدع بتقسّمه، و لو فرض له شبح لرهقه كيف، و لو عرض له للحق عجل وريث. عظيم من غير تركّب قطر، عليم من غير ترتّب فكر، موجود من غير شيء يمسه،

معبود من غير وهم يدركه، كريم من غير عوض يلحقه، حكيم من غير عرض يلحقه، قوى من غير سبب يجمعه، على من غير سبب يرفعه، لو وجد له جنس لعروض في قيموميته، ولو ثبت له حس لنوزع في ديموميته».

ومنها: «تقدّس عن لمّ فعله، وتزّه عن سمّ فضله، وجلّ عن تمّ قدرته، وعزّ عن عمّ عزّته، وعظمت عن من صفتها، وكثرت عن كمّ منته؛ فتق ورتق، صوّر وخلق، وقطع ووصل، ونصر وحذل، حمدته حمد من عرف ربّه، ورهب ذنبه، وصفت حقيقة يقينه قلبه، وذكر بصيرة دينه لبّه، قنهض لوعى بشروط نفضته وحدّ، وربط سلك سلوكه وشدّ، وهدم صرح عتوّه وهدّ، وحرس معقل عقله وحدّ، طرد غرور عزّته وذلّه؛ علم علم تحقيق فنحا نحوه، وتفرد له عزّ وجلّ بثبوت ربوبيته وقدمه، وعتقد صدور كلّ جوهر وعرض عن جوده وكرمه، ونشهد بتبليغ محمد صلّى ربّه عليه وسلّم، رسوله وخير خلقه، وعلن بنهوضه في تبیین فرضه، وتبليغ شرعه، ضرب قتيّة شرعه، فنسخت كلّ شرع، وجدّد عزيمته فقمع عدوّه خير قمع، قوم كل مقوم بقويم سمته، وكريم هديه، وبين لقومه كيف يرکون فوره بقصده، وسديد سعيه، بشرّ مطيعه، فظفر برحمته؛ وحذر عاصيه فشقى بنقمته.

«و بعد، فقد نصحتم لو كنتم تعقلون، وهديتم لو كنتم تعلمون، وبصرتم لو كنتم تبصرون، وذكرتم لو كنتم تذكرون. وظهرت لكم حقيقة نشرکم وبرزت

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٤٨

لكم خبيثة حشرکم، فلم تركضون في طلق غفلتكم، وتغفلون عن يوم بعثكم، وللموت عليكم سيف مسلول، وحكم عزم غير معلول، فكيف بكم يوم يؤخذ كلّ بذنبه؛ ويخبر بجميع كسبه؛ ويفرق بينه وبين صحبه، ويعلم نصره حزبه، ويشغل بهمّه وكربه، عن صديقه وتربه، وتشر له رقعة وتعين له بقعته، فربح عبد نظر وهو في مهل لنفسه، وترسل في رضی عمله جنّه لحلول رمسه، وكسر صنم شهوته ليقتر في بحبوحة قدسه، وحصر بنظر ينزله سرير سروره بين عقله وجسمه».

ومنها: «فتتبه ويحك من سنتك ونومك، وتفكر فيمن هلك من صجك وقومك، هتف بهم من تعلم، وشبّ عليهم منه حرق مظلّم، فخرّب بصيخته ربوعهم، وتفزقت لهو له جموعهم، وذلّ عزيزهم، وخسى ربيعهم، وصمّ سميعهم، فخرج كلّ منهم عن قصره، ورمى غير مؤسد في قبره؛ فهم بين سعيد في روضته مقرب، وبين شقي في حفرة معذب، فنستوهب منه عزّ وجلّ عصمته من كل خطيئة، وخصوصية تقى من كل نفس جريئة».

كتب إلى شيخنا الوزير ابن ذى الوزارتين ابن الحكيم، جوابا عن مخاطبة كتبها إليه يلتمس منه وصايته ونصحه هذا الشعر: [السريع]

جلّ اسم مولانا اللطيف الخبير وعزّ في سلطانه عن نظير

هو الذى أوجد ما فوقها وتحتها وهو العليم الخبير

ثم صلاة الله تترى على ياقوته الكون البشير النذير

وصحبه الأولى نالوا مرأى يرجع منه الطرف وهو الحسير

و بعد فأنفسهم جوهر للأرواح منه ما للأثير

فإنك استدعيت من ناصر نصحا طويلا وهو منه قصير

ولست أهلا أن أرى ناصحاً قللة الصدق وخبث الضمير

و إنما يحسن نصح الورى من ليس للشرع عليه نكير

و مستحيل أن يقود امرء أيد امرئ واهى المبانى ضرير

وا عجا يلتمس الخير من معتقل العقل مهيض كسير

لكن إذا لم يكن بدّ فعن جهد أوفيك بتبر يسير

فالقنه إن كنت به قانعدراً نظيماً يزدري بالنشير

لازم أبا بكر على منهج ذاك تفر منه بخير كثير
واقنع بما يكفى ودع غيره فإنما الدنيا هباء نشير
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٤٩ بنى لا تخدعك هذى الدنا فإنها والله شيء حقير
أين المشيدات أما زلزلت؟ أين أخو الإيوان أين السدير؟
أين أنو شروان أضحى كأن لم يك أين المعتدى أزدشير
هذا مقال من وعاه اهتدى وحيط من كل مخوف مبير
وصى أبو بكر به أحمدوا أحمد فى الوقت شيخ كبير
انقرضت أيامه و انتهى وهنا و من قبل أتاه النذير
و ها هو اليوم على عدده مبرمه للشتر و ما من عذير
و من شعره فى طريقه الذى كان يتنحله :

شهود ذاتك شيء عنك محجوب لو كنت تدركه لم يبق مطلوب
علو و سفلى و من هذا و ذاك معادور على نقطة الإشراق منصوب
و منزل النفس منه ميم مركزه إن صح للغرض الظنى مرغوب
و إن تئات مساويها فمزلها أوج الكمال و تحت الروح تقلاب
و الروح إن لم تخنه النفس قام له فى حضرة الملك تخصيص و تقريب
و من شعره : [الكامل]

دعنى على حكم الهوى أتضرع فعسى يلين لنا الحبيب و يخشع
إنى وجدت أخوا التضرع فايزا بمراده و من الدعا ما يسمع
أهلا و ما شيء بأنفع للفتى من أن يذل عسى التذلل ينفع
وامح اسم نفسك طالبا إثباته واقنع بتفريق لعلك تجمع
و اخضع فمن دأب المحب خضوعه و لربما نال المنى من يخضع
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٥٠
و من شعره : [الكامل]

مالى بباب غير بابك موقف كلاً و لالى عن فنائك مصرف
هذا مقامى ما حييت فإن أمت فالذل مأوى للضراعة مألّف
غرضى و أنت به عليم لمحّة تذر الشّيت الشّمل و هو مؤلّف
و عليك ليس على سواك معولى جاروا على لأجل ذا أو أنصفوا
و من المقطوعات فى التجنيس : [الوافر]
يقال خصال أهل العلم ألف و من جمع الخصال الألف سادا
و يجمعها الصّلاح فمن تعدّى مذاهبه فقد جمع الفساد
و منه فى المعنى : [البسيط]

إن شئت فوزا بمطلوب الكرام غدا فاسلك من العمل المرضى منها جا
و اغلب هوى النفس لا تغررك خادعة فكلّ شيء يحطّ القدر منها جا

دخوله غرناطة: دخل غرناطة مرارا عدة تشدّد عن الحصر، أوجبتها الدّواعى بطول عمره، من طلب العلم و روايته، و حاجة عامّة، و استدعاء سلطان، و قدوم من سفارة. كان الناس ينسالون عليه و يغشون منزله، فيما أدركت، كلما تبوأ ضيافة السلطان، تبرّكا به، و أخذوا عنه.

مولده: ولد ببلّش بلده في حدود تسع و أربعين و ستمائة .

وفاته: توفى ببلّش سحر يوم الأربعاء السابع عشر من شوال عام ثمانية و عشرين و سبعمائة. و ممّن رثاه شيخنا، نسيح وحده، العالم الصالح الفاضل، أبو الحسن بن الجيّاب بقصيدة أولها: [الطويل]

على مثله خضابة الدهر فاجع تفيض نفوس لا تفيض المدامع الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ١؛ ص ١٥٠

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٥١

و رثاه شيخنا القاضي أبو بكر بن شبرين ، رحمه الله، بقصيدة أولها:

[المتدارك]

أ يساعد رائده الأمل أم يسمع سائله الطلل؟

يا صاح، فديتك، ما فعل ذا من الأحباب و ما فعلوا؟

فأجاب الدمع مناديه أمّا الأحباب فقد رحلوا

ورثاه من هذه البلدة طائفة، منهم الشيخ الأديب أبو محمد بن المربع الآتى اسمه في العيادة له، بحول الله، بقصيدة أولها: [الكامل]

أدعوك ذا جزع لو أنّك سامع ما ذا أقول و دمع عيني هامع

و أنشد خامس يوم دفنه قصيدة أولها: [الخفيف]

عبرات تفيض حزنا و ثكلاو شجون تعمّ بعضا و كلّا

ليس إلّا صباية أضرمتها حسرة تبعث الأسى ليس إلّا

و هي حسنة طويلة.

إبراهيم بن محمد بن مفرّج بن همشك

إشارة

المتأمر، رومى الأصل.

أولّيته: مفرّج أو همشك، من أجداده، نصرانى، أسلم على يدى أحد ملوك بنى هود بسرقسطة؛ نزع إليهم، و كان مقطوع إحدى الأذنين، فكان النصرارى إذا رأوه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٥٢

في القتال عرفوه، و قالوا: هامشك، معناه ترى المقطوع الأذن، إذ «ها» عندهم قريب مما هي في اللغة العربية، و «المشك» المقطوع الأذنين فى لغتهم .

نباهته و ظهوره: و لمّا خرج بنو هود عن سرقسطة، نشأ تحت خمول، إلّا أنه شههم متحرّك، خدم بعض الموحّدين فى الصّيد، و توسّل بدلالة الأرض؛ ثم نزع إلى ملك قشتالة و استقرّ مع النصرارى؛ ثم انصرف إلى بقيّة اللّمتونيين بالأندلس بعد شفاعته و إظهار توبه. و لمّا ولى يحيى بن غانية قرطبة، ارتسم لديه برسمه. ثم كانت الفتنة عام تسعة و ثلاثين و ثار ابن حمدين بقرطبة، و تسمّى بأمير المؤمنين، فبعثه رسولا ثقة بكفايته و دربته و عجمة لسانه؛ لمحاولة الصلح بينه و بين ابن حمدين، فأغنى و نبه قدره؛ ثم غلى مرّجل الفتنة و كثر

الثوار بالأندلس، فاتصل بالأمرير ابن عياض بالشرق وغيره، إلى أن تمكن له الامتياز بحصن شقوبش، ثم تغلب على مدينة شقورة و تملكها و هي ما هي من النعمة، فغلظ أمره، و ساوى محمد بن مردنيش أمير الشرق و داخله، حتى عقد معه صهرا على ابنته، فاتصلت له الرياسة و الإمارة. و كان يعدّ سيفاً لصهره المذكور، مسلطاً على من عصاه، فقاد الجيوش، و افتتح البلاد إلى أن فسد ما بينهما، فتفتتا و تقاطعا، و انحاز بما لديه من البلاد و المعامل، و عدّ من ثوار الأندلس أولى الشوكة الحادة، و البأس الشديد، و الشبا المرهوب. و آثاره بعد انقباض دولته تشهد بما تأثّل من ملك و سلف من الدولة؛ و الدار الآخرة خير لمن اتقى. قال ابن صفوان: [الخفيف]

و ديار شكوى الزمان فتشكّ حدثنا عن عزّة ابن همشك

حاله: قال محمد بن أيوب بن غالب، المدعو بابن حمامة: أبو إسحاق الرئيس، شجاع بهمة من بهم. كان رئيساً شجاعاً مقداماً شديد الحزم، سديد

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٥٣

الرأى، عارفاً بتدبير الحرب، حمى الأنف، عظيم السطوة، مشهور الإقدام، مرتكبا للعظمة. قال بعض من عرف به من المؤرخين: و هو و إن كان قائد فرسان، هو حليف فتنة و عدوان، و لم يصحب قطّ متشرّعا، و لا نشأ في أصحابه من كان متورّعا، سلطه الله على الخلق و أملى له فأصرّ بمن جاوره من أهل البلاد، و حبّ إليه العيث في العباد.

سيرته: كان جبّارا قاسيا، فظاً غليظا، شديد النكال، عظيم الجرأة و العبت بالخلق؛ بلغ من عينه فيهم إحراقهم بالنار، و قذفهم من الشواهد و الأبراج، و إخراج الأعصاب و الزباطات على ظهورهم، عن أوتار القسي بزعمه، و ضمّ أغصان الشجر العادى بعضها إلى بعض، و ربط الإنسان بينها، ثم تسريحها، حتى يذهب كل غصن بحظه من الأعضاء؛ و رآه بعض الصالحين في النوم بعد موته، و سأله ما فعل الله بك فأنشدته: [البيط]

من سرّه العيث في الدنيا بخلقه من يصوّر الخلق في الأرحام كيف يشا

فليصبر اليوم صبرى تحت بطشته مغللاً يمتطى جمر الغضا فرشا

شجاعته: زعموا أنه خرج من المواضع التي كانت لنصره متصيّداً، و في صحبته محاولو اللهو و قارعو أوتار الغناء، في مائة من الفرسان، و نقاوة أصحابه؛ فما راعهم إلّا خيل العدو هاجمة على عزّة، في مائتى فارس ضعف عددهم؛ فقالوا: العدو في مائتى فارس، فقال: و إذا كنتم أتمم لمائة، و أنا لمائة، فنحن قدرهم؛ فعدّ نفسه بمائة.

ثم استدعى قدحا من شرابه، و صرف وجهه إلى المغنى؛ و قال: أعد لى تلك الأبيات، كان يغنيه بها فتعجبه: [الخفيف]

يتلقى النداء بوجه حيّ و صدور القنا بوجه وقاح

هكذا هكذا تكون المعالي طرق الجدد غير طرق المزاح

فغناه بها، و استقبل العدو، و حمل عليه بنفسه و أصحابه، حملة رجل واحد، فاستولت على العدو الهزيمة، و أتى على معظمهم القتل، و رجع غانما إلى بلده.

ثم ضربت الأيام، و عاود التصيد في موضعه ذلك، و أطلق بازه على حجله، فأخذها، و ذهب ليذكيها، فلم يحضره خنجر ذلك الغرض في الوقت، فبينما هو يلتسمه، إذ رأى نصلا من نصال المعترك من بقايا يوم الهزيمة، فأخذه من التراب، و ذبح به الطائر، و نزل و استدعى الشراب؛ و أمر المغنى فغناه بيتي أبي الطيب:

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٥٤

[الطويل]

تذكرت ما بين العذيب و بارق مجرّ عوالينا و مجرى السوابق

و صحبة قوم يذبجون قنيصهم بفضلات ما قد كسروا في المفارق

و قد رأيت من يروى هذه الحكاية عن أحد أمراء بني مردنيش، و على كل حال فهي من مستظرف الأخبار.

دخوله غرناطة: قالوا، و في سنة ست و خمسين و خمسمائة، في جمادى الأولى منها، قصد إبراهيم بن همشك بجمعه مدينة غرناطة، و داخل طائفة من ناسها، و قد تشاغل الموحّدون بما دهمهم من اختلاف الكلمة عليهم بالمغرب، و توجه الوالي بغرناطة السيد أبي سعيد إلى العدو، فاقتحمها ليلا و اعتصم الموحّدون بقصبتها؛ فأجاز بهم بأنواع الحرب، و نصب عليهم المجانيق، و رمى فيها من ظفر به منهم و قتلهم بأنواع من القتل. و عندما اتصل الخبر بالسيد أبي سعيد، بادر إليها فأجاز البحر، و التفّ به السيد أبو محمد بن أبي حفص بجميع جيوش الموحّدين و الأندلس؛ و وصل الجميع إلى ظاهر غرناطة، و أصحر إليهم ابن همشك، و برز منها، فالتقى الفريقان بمرج الرقاد من خارجها، و دارت الحرب بينهم، فانهزم جيش الموحّدين، و اعترضت الفلّ تخوم الفدادين و جداول المياه التي تتخلّل المرج، فاستولى عليهم القتل، و قتل في الواقعة السيد أبو محمد؛ و لحق السيد أبو سعيد بمالقة؛ و عاد ابن همشك إلى غرناطة فدخلها بجملة من أسرى القوم، أفحش فيهم المثلة، بمراى من إخوانهم المحصورين؛ و اتصل الخبر بالخليفة بمراكش، و هو بمقربة سلا، قد فرغ من أمر عدوّه، فجهّز جيشا، أصحابه السيد أبا يعقوب ولده، و الشيخ أبا يوسف بن سليمان زعيم وقته، و داهية زمانه؛ فأجازوا البحر، و التقوا بالسيد أبي سعيد بمالقة،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٥٥

و تتابع الجمع، و التفّ بهم من أهل الجهاد من المطوعة، و اتصل منهم السير إلى قرية دلة من قرى غرناطة؛ و كان من استمرار الهزيمة على ابن همشك الذي أمده بنفسه و جيشه، من نصارى و غيرهم، ما يأتى ذكره عند اسم ابن مردنيش في الموحّدين، في حرف الميم، بحول الله تعالى.

انخلاءه للموحّدين عمّا بيده و جوازه للعدوّ، و وفاته بها:

قالوا: و لمّا فسد ما بينه و بين ابن مردنيش بسبب بنته التي كانت تحت الأمير أبي محمد بن سعد بن مردنيش إلى أن طلقها، و انصرفت إلى أبيها، و أسلمت إليه ابنها منه، مختارة كنف أبيها إبراهيم، نازعة في انصرامه إلى عروقتها؛ فلقد حكى أنها سئلت عن ولدها، و إمكان صبرها عنه، فقالت: جرو كلب، جرو سوء، من كلب سوء، لا حاجة لي به؛ فأرسلت كلمتها في نساء الأندلس مثلا؛ فاشتدّت بينهما الوحشة و الفتنة، و عظمت المحنة، و هلك بينهما من الرعايا الممرورين، المضطّرين، بقنينة الثوار ممّن شاء الله بهلاكه، إلى أن كان أقوى الأسباب في تدمير ملكه.

و لمّا صرف ابن سعد عزمه إلى بلاده، و تغلّب على كثير منها، خدم ابن همشك الموحّدين و لاذ بهم و استجارهم؛ فأجاز البحر، فقدم على الخليفة عام خمسة و ستين و خمسمائة، و أفّزه بمواضعه؛ إلى أوائل عام أحد و سبعين، فطولب بالانصراف إلى العدو بأهله و ولده، و أسكن مكناسة و أقطع بها سآما لها خطر، و اتصلت تحت عنايته إلى أن هلك.

وفاته: قالوا: و استمرّ مقام ابن همشك بمكناسة غير كبير، و ابتلاه الله بفالج غريب الأعراض، شديد سوء المزاج، إلى أن هلك؛ فكان يدخل الحمام الحارّ، فيشكو حرّه بأعلى صراخه، فيخرج، فيشكو البرد كذلك، إلى أن مضى سبيله.

إبراهيم بن أمير المسلمين أبي الحسن بن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحقّ

يكنى أبا سالم.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٥٦

أوّلّيته: الشمس تخبر عن حلى و عن حلال. فهو البيت الشهير، و الجلال الخطير، و الملك الكبير، و الفلك الأثير، ملاك المسلمين، و

حماة الدين، و أمراء المغرب الأقصى من بنى مرين، غيوث المواهب؛ و ليوث العرين، و معتمد الصيرخ، و سهام الكافرين. أبوه السلطان أبو الحسن، الملك الكبير، البعيد شأو الصييت و الهمة و العزيمة، و التحلى بحلى الشنة، و الإقامة لرسوم الملك، و الاضطلاع بالهمة، و الصبر عند الشدة. و أخوه أمير المسلمين فذلكة الحسب، و ثير التصبة، و بدرة المعدن، و بيت القصيد، أبو عنان، فارس، الملك الكبير، العالم المتبحر، العامل النظار، الجواد، الشجاع، القصور، الفصيح، مدد السعادة، الذى خرق الله به سياج العادة، فما عسى أن يطلب اللسان، و أين تقع العبارة، و ما ذا يحصر الوصف. عين هذا المجد قواره، و حسب هذا الحسب اشتهاره، قولاً بالحق، و بعدا عن الإطراء، و نشرا للواء النصفة، حفظ الله على الإسلام ظلهم، و زين بيدور الدين و الدنيا هالتهم، و أبقى الكلمة فيمن اختاره منهم. حاله: كان شايًا كما تطلع وجهه، حسن الهيئة، ظاهر الحياء و الوقار، قليل الكلام، صليفة عن اللفظ، آدم اللون، ظاهر السكون و الحيرية و الحشمة، فاضلا متخلقا. قدمه أبوه، أمير الرتبة، موفى الألقاب، بوطن سجالماسه، و هى عماله ملكهم، فاستحق الرتبة فى هذا الباب بمزيد هذه الرتبة المشترط لأول تأليفه. و لما قبضه الله إليه، و اختار له ما عنده، أحوج ما كانت الحال إلى من ينظم الشت، و يجمع الكلمة، و يصون الدما سبحانه أحوج ما كانت الدنيا إليه، و صير إلى وارثه طواعية و قسرا و مستحقا و غلابا، و سلما، و ذاتا و كسبا، السلطان أخيه، تحصل هو و أخ له اسمه محمد، و كنيته أبو الفضل، يأتى التعريف بحاله فى مكانه إن شاء الله، فأبقى، و أغضى، و اجتنب الهوى، و أجاب داعى البر و الشفقة و التقوى، فصرفهما إلى الأندلس؛ باشرت إركابها البحر بمدينه سلا ثانى اليوم الذى انصرفت من بابه، و صدرت عن بحر جوده، و أفضت بإمامة عنايته، مصحبا بما يعرض لسان الثناء من صنوف كرامته، فى غرض السفارة عن السلطان بالأندلس، تغمده الله برحمته، و نزل مريلة من بلاد الأندلس المصروفة إلى نظره، و اصلا السير إلى غرناطة. دخوله غرناطة: قدم هو و أخوه عليها، يوم عشرين من جمادى الأولى، من عام اثنين و خمسين و سبعمائة. و برز السلطان إلى لقائهما، إبلاغا فى التجلة،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٥٧

و انحطاطا فى ذمة التخلق، فسعى إليه مرتجلين، و فاوضهما، حتى قضيت الحقوق، و استفرجت تفقده و جرايته، و حلا بأحظى الأمكنة، و احتفيا فى سرير مجلسه مقسوم بينهما الحظ، من هشته و لحظته. فأما محمد، فسولت له نفسه الأطماع، و استفزته الأهواء، أمرا كان قاطع أجله، و سعد أخيه، اختاره الله من دونه. و أما إبراهيم المترجم به، فجنح إلى أهل العافية، بعد أن ناله اعتقال، بسبب إرضاء أخيه أمير المسلمين فارس، فى الأخريات لشهر ذى حجة من عام تسعة و خمسين و سبعمائة، و تقديم ولده الصبي، المكنى بأبى بكر، المسمى بسعيد؛ لنظر وزيره فى الحزم و الكفاية، حرّكه الاستدعاء، و أفلقتة الأطماع و هبّ به السائل، و عرض بغرضه إلى صاحب الأمر بالأندلس، و رفق عن صبوحة، فشكا إلى غير مصمت، فخرج من الحضرة ليلا. من بعض مجارى المياه، راكبا للخطر، فى أخريات جمادى الأولى من العام بالحضرة المكتبة الجوار، من ثغور العدو، و لحق بملك قشالة، و هو يومئذ ياشيبلي، قد شرع فى تجرية إلى عدوه من برجلونة، فطرح عليه نفسه، و عرض عليه مخاطبات استدعائه، و دسّ له المطامع المرتبطة بحصول غايته، فقبل سعائته، و جهز له جفنا من أساطيله، أركب فيه، فى طائفة تحريكه، و طعن بحر المغرب إلى ساحل أزمور، و أقام به منتظرا إلى إنجاز المواعد، ممّن بمراكش، فألقى الناس قد حطبوا فى جبل منصور بن سليمان، و بايعوه بجملتهم، فأخفق مسعاه، و أخلف ظنه، و قد أخذ منصور بمخّق البلد الجديد دار ملك فاس، و استوثق له الأمر، فانصرف الجفن أدراجه. و لما حاذى لبلاد غمارة من أحواز أصيلا. تنادى به قوم منهم، و انحدروا إليه، و وعدوه الوفاء له، فنزل إليهم، و احتملوه فوق أكتادهم، و أحذقوا به فى سفح جبلهم، و تنافسوا فى الدبّ عنه، ثم كبسوا أصيلا فملكوها، و ضيق بطنجة، فدخلت فى أمره، و اقتدت بها سبتة و جبل الفتح، و اتصل به بعض الخاصة، و خاطبه الوزير المحصور، و تخاذل أشياح منصور، فخذلوه، و فروا عنه جهارا بغير علّة، و انصرفت الوجوه إلى السلطان أبى سالم، فأخذ بيعاتهم عفوا، و دخل البلد المحصور، و قد تردّد بينه و بين الوزير المحصور مخاطبات فى ردّ الدعوة إليه، فدخل البلد يوم الخميس خامس عشر شعبان من عام التاريخ، و استقرّ و جدّد الله عليه أمره، و أعاد ملكه، و صرف عليه حقه؛ و بلى هذا الأمير من سير الناس إلى

تجدید

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٥٨

عهد أبيه، و طاعتهم إلى أمره، و جنوحهم إلى طاعته، و تمنى مدته، حال غريبة صارت عن كذب إلى أضدادها، فصرف ولده إلى اجتثاث شجرة أبيه، فالتقط من الصبية بين مراهق و محتلم و مستجمع، طائفة تناهز العشرين، غلمانا ردة، قتلوا إغراقا من غير شفعة توجب إباحة قطرة من دمائهم، و رأى أن قد خلا- له الجوّ، فتواكل، و آثر الحجة، و أشرك الأيدي في ملكه، فاستبيحت أموال الرعايا، و ضاقت الجبايات، و كثرت الظلامات، و أخذ الناس حرمان العطاء، و انفتحت أبواب الإرجاف، و حدت أبواب القواطع، إلى أن كان من أمره ما هو معروف.

و في أول من شهر رجب عام واحد و ستين و سبعمائة، تحرك الحركة العظمى إلى تلمسان، و قد استدعى الجهات، و بعض البلاد، و نهد في جيوش تجرّ الشوك و الحجر، ففر سلطانها أمام عزمه، و طار الدعر بين يدي الضلالة، و كنا قد استغثنا القرار في إيالته، و انتهى بنا الإزعاج إلى ساحل سلا من ساحل مملكته فخاطبته و أنا يومئذ مقيم بترية أبيه، متذمّم بها، في سبيل استخلاص أملاكى بالأندلس، في غرض التهنة و التوسّل:

«مولاي، فتاح الأقطار و الأمصار، فائدة الزمان و الأعصار، أثير هبات الله الآمنه من الاعتصار، قدوة أولى الأيدي و الأبصار».

وفاته: و في ليلة العشرين من شهر ذي قعدة من عام اثنين و ستين و سبعمائة، ثار عليه بدار الملك، و بلد الإمارة المعروف بالبلد الجديد، من مدينة فاس، الغادر مخلفه عليها عمر بن عبد الله بن علي، نسمه السوء، و جملة الشؤم، المثل البعيد في الجرأة على قدر، اهتبل غزاة انتقاله إلى القصر السلطاني بالبلد القديم، محتولا إليه، حذرا من قاطع فلكى الجدر منه استعجله ضعف نفسه، و أعانه على فرض صحته به، و سدّ الباب في وجهه، و دعا الناس إلى بيعه أخيه المعتوه، و أصبح حائرا بنفسه، يروم استرجاع أمر ذهب من يده، و يطوف بالبلد، يلتمس وجها إلى نجاح حيلته، فأعياه ذلك، و رشقت من معه السهام، و فرّت عنه الأجناد و الوجوه، و أسلمه الدهر، و تبرأ منه الجدّ. و عندما جنّ عليه الليل، فرّ على وجهه، و قد التفت عليه الوزراء، و قد سفّحت أحلامهم، و قالت آراؤهم، و لو قصدوا به بعض الجبال المنيعه، لوّلوا وجوههم شطر مظنة الخلاص، و اتّصفوا بعدار الإقلاع، لكنهم نكلوا عنه، و رجعوا أدراجهم، و تسلّوا راجعين إلى برّ غادر الجملة، و قد سلبهم الله لباس الحياء و الرّجلة، و تأذّن الله لهم بسوء العاقبة، و قصد بعض بيوت البادية، و قد فضحه نهار

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٥٩

الغداة، و اقتفى البعث أثره، حتى وقعوا عليه، و سيق إلى مصرعه، و قتل بظاهر البلد، ثاني اليوم الذي كان غدر فيه، جعلها الله له شهادة و نفعه بها، فلقد كان بقية البيت، و آخر القوم، دمائه و حياء، و بعدا عن الشرّ، و ركونا للعافية.

و أنشدت على قبره الذي و ريت به جثته بالقلعة من ظاهر المدينة، قصيدة أدّيت فيها بعض حقه: [الوافر]

بنى الدنيا، بنى لمع السراب، لدوا للموت و ابنوا للخراب

إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر ابن يحيى الهتاني، أبو إسحاق

إشارة

أمير المؤمنين بتونس، و بلاد إفريقية، ابن الأمير أبي زكريا، أمير إفريقية، و أصل الملوك المتأثلين العزّ بها، و الفرع الذي دوح بها، من فروع الموخّدين بالمغرب، و استجلايه بها أبا محمد عبد المؤمن بن علي، أبا الملوك من قومه، و تغلّب ذريته على المغرب و إفريقية و الأندلس معروف كله، يفتقر بسطه إلى إطالة كثيرة، تخرج عن الغرض.

و كان جدّ هؤلاء الملوك من أصحاب المهدي، في العشرة الذين هبوا لبيعتة، و صحبوه في غربته، أبو حفص، عمر بن يحيى، و لم يزل هو و ولده من بعده، مرفوع القدر، معروف الحق.

و لمّا صار الأمر للناصر أبي عبد الله بن المنصور أبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن بن علي، صرف وجهه إلى إفريقية، و نزل بالمهدية، و تلوّك إليه ابن غانية فيمن لّفه من العرب و الأوباش، في جيش يسوق الشجر و المدر، فجّهز إلى لقائه عسكرياً لنظر الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص، جدّهم الأقرب،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٦٠

فخرج من ظاهر المهديّة في أهبة ضخمة، و تعبئة محكمة، و التقى الجمعان، فكانت علي ابن غانية، الدائرة، و نصر الشيخ محمد نصرًا لا كفاء له، و في ذلك يقول أحمد بن خالد من شعر عندهم: [الطويل]

فتوح بها شدّت عرى الملك و الدّين تراقب منّا منكم غير ممنون

و فتحت المهديّة على هيئته ذلك الفتح، و انصرف الناصر إلى تونس، ثم تفقد البلاد، و أحكم ثقافتها، و شرع في الإياب إلى المغرب، و ترجّح عنده تقديم أبي محمد بن أبي حفص المصنوع له بإفريقية، على ملكها، مستظهاً منه بمضاء و سابقه و حزم؛ بسط يده في الأموال، و جعل إليه النظر في جميع الأمور، سنه ثلاث و ستمائة. ثم كان اللقاء بينه و بين ابن غانية في سنه ست بعدها؛ فهزم ابن غانية، و استولى على محلّته؛ فاتصل سعده، و توالى ظهره، إلى أن هلك مشايخاً لقومه من بني عبد المؤمن، مظاهراً بدعوتهم عام تسعة و عشرين و ستمائة .

و ولي أمره بعده، كبير ولده، عبد الله، على عهد المستنصر بالله بن الناصر من ملوكهم؛ و قد كان الشيخ أبو محمد زوحم، عند اختلال الدولة، بالسيد أبي العلاء الكبير، عمّ أبي المستنصر على أن يكون له اسم الإمارة بقصبة تونس، و الشيخ أبو محمد على ما لسائر نظره؛ فبقى ولده عبد الله على ذلك بعد، إلى أن كان ما هو أيضاً معروف من تصير الأمر إلى المأمون أبي العلاء إدريس، و وقعه السيف في وجوه الدولة بمراكش، و أخذه بثرة أخيه و عمّه منهم. و ثار أهل الأندلس على السيد أبي الربيع بعده بإشبيلية و جعجعوا بهم، و أخذوا في التشريد بهم، و تبيد دعوتهم؛ و اضطربت الأمور، و كثر الخلاف، و لحق الأمير أبو زكريا بأخيه بإفريقية، و عرض عليه الاستبداد، فأنف من ذلك، و أنكره عليه إنكاراً شديداً، خاف منه على نفسه؛ فلحق بقابس فأراً، و استجمع بها مع شيخها مكّي، و سلف شيوخها اليوم من بني مكّي؛ فمهد له، و تلقاه بالرحب، و خاطب له الموحدين سراً، فوعده بذلك، عند خروج عبد الله من تونس إلى الحركة، من جهة القيروان. فلمّا تحرّك نحو عليه، و طلبوا منه المال، و تلكأ، فاستدعوا أخاه الأمير أبا زكريا، فلم يرعه و هو قاعد في خبائه آمن في سربه، إلّا ثورة الجند به، و القبض عليه، ثم طرده إلى مراكش؛ و قعد

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٦١

أخوه الأمير أبو زكريا مقعده، و أخذ يبعه الجند و الخاصّة لنفسه، مستبداً بأمره، و رحل إلى تونس، فأخذ يبعه العامّة، و قتل السيّد الذي كان بقصبتها؛ و قبض أهل بجاية حين بلغهم الخبر على و إليها السيّد أبي عمران، فقتلوه تغريقاً؛ و انتظمت الدولة، و تأثّل الأمر. و كان حازماً داهية مشاركا في الطلب، أديبا راجح العقل، أصيل الرأي، حسن السياسة، مصنوعاً له، موفقاً في تدبيره؛ جبي الأموال، و اقتنى العدد، و اصطنع الرجال، و استكثر من الجيش، و هزم العرب، و افتتح البلاد، و عظمت الأمانة بينه و بين الخليفة بمراكش الملقّب بالسعيد. و عزم كلّ منهما على ملاقاته صاحبه، فأبى القدر ذلك؛ فكان من مهلك السعيد بظاهر تلمسان ما هو معروف. و اتصل بأبي

زكريا هلك ولده ولي العهد أبي يحيى ببجاية، فعظم عليه حزنه و أفرط جزعه، و اشتهر من رثائه فيه قوله: [الطويل]

ألا جازع يبكي لفقد حبيبته فإني لعمرى قد أضرب بي الثكل

لقد كان لي مال و أهل فقدتهم فهأنا لا مال لديّ و لا أهل

سأبكي و أرثي حسرة لفراقهم بكاء قريح لا يملّ و لا يسلو

فلهفى ليوم فرّق الدهر بيننا ألا فرج يرجى فينتظم الشمل؟

و إني لأرضى بالقضاء و حكمه و أعلم ربّي أنه حاكم عدل

نسبه ابن عذارى المراكشى فى البيان المغرب . و اعتلّ بطريقه فمات ببلد العنّاب لانقضاء أربعة من مهلك السعيد؛ و كان موت السعيد؛ يوم الثلاثاء، منسلخ صفر سنة ست و أربعين و ستمائة. و بويح ولده الأمير أبو عبد الله بتونس و سنّه إحدى و عشرين سنّه، فوجد ملكا مؤسّسا، و جندا مجتّدا، و سلطانا قاهرا و مالا و افرا؛ فبلغ الغاية فى الجبروت و الثّيه و النّخوة و الصّيلف، و تسمّى بأمير المؤمنين، و تلقّب بالمستنصر بالله؛ و نقم عليه أرباب دولته أمورا أوجبت مداخلة عمّه أبى عبد الله بن عبد الواحد، المعروف باللّحيانى. و مبايعته سرّا بداره، و انتهى الخبر للمستنصر، فعاجل الأمر قبل انتشاره برأى الحزمة من خاصّيته، كابن أبى الحسين، و أبى جميل بن أبى الحملات بن مردنيش، و ظافر الكبير، و قصدوا دار عمّه فكبسوها، فقتلوا من كان بها، و عدّتهم تناهز خمسين، منهم عمّه، فسكن الإرجاف، و سلم المنازع، و أعطت

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٦٢

مقادها، و استمرت أيامه. و أخباره فى الجود و الجرأة و التّعاضم على ملوك زمانه، مشهورة. و كانت وفاته سنة أربع و سبعين و ستمائة و لى أمره بعده ابنه الملّقب بالواثق بالله، و كان مضعوفا، و لم تطل مدته.

عاد الحديث، و كان عمّه المترجم، لما اتصل به مهلك أخيه المستنصر، قد أجاز البحر من الأندلس، و لحق بتلمسان، و داخل كثيرا من الموحّدين بها، كأبى هلال، فهيا له أبو هلال تملك بجاية، ثم تحرّك إلى تونس، فتغلّب عليها، فقتل الواثق و طائفه من إخوته و بنيه، منهم صبى يسمّى الفضل، و كان أنهضهم، و استبدّ بالأمر، و تمت بيعته بإفريقية، و كان من الأمر ما يذكر.

حاله: كان أزيّدا، جميلا و سيماء، ربعةً بادنا، آدم اللون، شجاعا بهمة، عجلا غير مراح، و لا حازم، منحطّا فى هوى نفسه، منقادا للذّته، بريئا من التّشمت فى جميع أمره. و لى الخلافة فى حال كبره، و وخطه الشيب، و آثر اللّهو، حتى زعموا أنه فقد فوجد فى مزرعة باقلا مزهرة ألقى فيها بعد جهد، نائما بينها، نشوان يتناثر عليه سقطها؛ و احتجب عن مباشرة سلطانه؛ فزعموا أن خالسته أبا الحسن بن سهل، داخل الناس بولده أبى فارس فى خلعه، و القيام مكانه، و بلغه ذلك، فاستعدّ و تأهب، و استركب الجند، و دعا ولده، فأحضره ينتظر الموت من يمينه و شماله، و أمر للحين فقتل و طرح بأزقة المدينة، و عجل بإزعاج ولده إلى بجاية، و عاد إلى حاله.

دخوله غرناطة: قالوا: و لما أوقع الأمير المستنصر بعمّه أبى عبد الله، كان أخوه أبو إسحاق، ممّن فرّ بنفسه إلى الأندلس؛ و لجأ إلى أميرها أبى عبد الله بن الغالب بالله أبى عبد الله بن نصر، ثانى ملوكهم فتوّ به، و أكرم نزله، و بوّاه بحال عنايته، و جعل دار ضيافته لأول نزوله القصر المنسوب إلى السيّد خارج حضرته،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٦٣

و هو أثر قصوره لديه، و حضر غزوات أغزاها ببلاد الروم، فظهر منه فى نكاية العدو و صدامه سهولة و غناء.

و لَمّا اتصل به موت أخيه تعجّل الانصراف، و لحق بتلمسان، و داخل منها كثيرا من الموحّدين، يعرف بأبى هلال بياجة كما تقدم، فملكه أبو هلال منها بجاية، ثم صعد تونس فملكها، فاستولى على ملك ابن أخيه و ما تمّ من ذمّه، و ارتكب الوزر الأعظم فيمن قتل معه، و كان من أمره ما يأتى ذكره إن شاء الله.

إدبار أمره بهلاكه على يد الدّعى الذى قبضه الله لهلاكه حينه:

قالوا: و اتّهم بعد استيلائه على الأمر فتى من أخصّاء فتیان المستنصر؛ اسمه نصير، بمال و ذخيرة؛ و توجّه إليه طلبه، و نال منه. و انتهز الفتى فرصة لحق فيها بالمغرب و استقرّ بحلال المراعمة من عرب دباب، و شارع الفساد عليه، بجمله جهده، حريصا على إفساد أمره، و عثر لقضاء الله و قدره بدعى من أهل بجاية يعرف بابن أبى عماره.

حدّثني الشيخ المسنّ الحاج أبو عثمان اللواتي من عدول المياسين، متأخر الحياة إلى هذا العهد؛ قال: خضت مع ابن أبي عماره ببعض الدكاكين بتونس، وهو يتكهن لنفسه ما آل إليه أمره، ويعدّ بعض ما جرى به القدر. وكان أشبه الخلق بأحد الصبية الذين ماتوا ذبحاً، بالأمر أبي إسحاق، وهو الفضل، فلاحت لنصير وجه حيلته، فبكى حين رآه، وأخبره بشبهه بمولاه، ووعده الخلافة؛ فحرّك نفساً مهياً في عالم الغيب المحجوب إلى ما أبرزته المقادير، فوجده منقاداً لهواه، فأخذ في تلقينه ألقاب الملك، وأسماء رجاله، وعوائده، وصفه قصوره، وأطلعته على إمارات جرت من المستنصر لأمراء العرب سرّاً كان يعالجها نصير، وعرضه على العرب، بعد أن أظهر العويل، ولبس الحداد، وأركبه، وسار بين يديه حافياً، حزناً لما ألفاه عليه من المضيعة، وأسفاً لما جرى عليه، فبايعته العرب النافرة، وأشادوا بذكره، وتقوّوا بما قرره من إمارته؛ فعظم أمره، واتصل بأبي إسحاق نبأه فبرز إليه، بعد استدعاء ولده من بجاية، فالتقى الفريقان، وتمّت على الأمير أبي إسحاق الهزيمة، واستلحم الكثير ممّن كان معه؛ وهلك ولده، ولجأ أخوه الأمير أبو حفص لقلعة سنان، وفّر هو لوجهه؛ حتى لحق ببجاية؛ وعاجله ابن أبي عماره؛ فبعث جريدة من الجند لنظر أشياخ من الموحّدين، أغرت إليهم الإيقاع، فوصلت إلى بجاية، فظن من رآه من الفلّ المنهزم، فلم يعترضه معترض عن القصة. وقبض على الأمير أبي إسحاق، فطوّقه الحمام، واحتزّ رأسه، وبعث إلى ابن أبي عماره به، وقد دخل تونس، واستولى على ملكها،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٦٤

وأقام سنين ثلاثة، أو نحوها في نعماء لا كفاء له، واضطلع بالأمر، وعاث في بيوت أمواله، وأجرى العظام على نسائه ورجاله إلى أن فشا أمره، واستقال الوطن من تمرّته فيه؛ وراجع أرباب الدولة بصائرهم في شأنه، ونهد إليه الأمير أبو حفص طالباً بثأر أخيه، فاستولى، ودحض عاره، واستأصل شأفته، ومثل به؛ والملك لله الذي لا ترن الدنيا جناح بعوضة عنده.

وفي هذا قلت عند ذكر أبي حفص في الرجز المسمّى بـ «نظم الملوّك»، المشتمل على دول الإسلام أجمع، على اختلافها إلى عهدنا، فمنه في ذكر بني حفص: [الرجز]

أولهم يحيى بن عبد الواحد وفضلهم ليس له من جاحد
وهو الذي استبدّ بالأموار وحاها ببيعته الجمهور
وعظمت في صقع آثاره ونال ملكاً عالياً مقداره
ثم تولّى ابنه المستنصر وهو الذي عليه لا تنحصر
أصاب ملكاً رئيساً أوطانه وفاق عزّاً سامياً سلطانه
ودولة أموالها مجموعته وطاعة أقوالها مسموعه
فلم تخف من عقدها انتكاثاً وعاث في أموالها عيائاً
هبت بنصر عزّه الرياح وسقيت بسعده الرّماح
حتى إذا أدركه شرك الرّدى وانتحب التّادى عليه والنّدى
قام ابنه الواثق بالتّدبير ثم مضى في زمن يسير
سطا عليه العمّ إبراهيم والملك في أربابه عقيم
وعن قريب سلب الإمارة عنه الدّعوى ابن أبي عماره
عجيبه من لعب الليالي ما خطرت لعائل بيال
واخترم السيف أباً إسحاقاً هلال لقي المحاقا
واضطربت على الدّعوى الأحوال والحق لا يغلبه المحال
ثم أبو حفص سما عن قرب وصير الدّعوى رهين التّرب

و رجع الحق إلى أهليه و بعده محمد يليه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٦٥

و هذه الأمور تستدعي الإطالة، مخلةً بالعرض، و مقصدي أن أستوفى ما أمكن من التواريخ التي لم يتضمنها ديوان، و أختصر ما ليس بقريب، و الله ولي الإعانة بمنه.

إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم بن أحمد بن محمد ابن سهل بن مالك بن أحمد بن إبراهيم بن مالك الأزدي

يكنى أبا إسحاق.

أوليته: منزل جدّهم الداخل إلى الأندلس قرية شون من عمل، أو قيل من إقليم إلبيرة. قال ابن البستي: بيتهم في الأزدي، و مجدّهم ما مثله مجد، حازوا الكمال، و انفردوا بالأصالة و الجلال، مع عفة و صيانة و وقار، و صلاح و ديانة، نشأ على ذلك سلفهم، و تبعهم الآن خلفهم. و ذكرهم مطرف بن عيسى في تاريخه، في رجال الأندلس. و قال ابن مسعدة: وقفت على عقد قديم لسلفي، فيه ذكر محمد بن إبراهيم بن مالك الأزدي، و قد حلّى فيه بالوزير الفقيه أبي أحمد بن الوزير الفقيه أبي عمرو إبراهيم. و تاريخ العقد سنة ثلاث و أربعمئة، فناهيك من رجال تحلّوا بالجلالة و الطهارة منذ أزيد من أربعمئة سنة، و يوصفون في عقودهم بالفقه و الوزارة منذ ثلاثمئة سنة، في وقت كان فيه هذا المنصب في تحلية الناس، و وصفهم، في نهاية من الضبط و الحرز، بحيث لا يتّهم فيه بالتجاوز لأحد، لا سيما في العقود، فكانوا لا يصفون فيه الشخص إلا بما هو الحقّ فيه و الصدق، و ما كان قصدي في هذا إلا أن شرفهم غير واقف عليه، أو مستند في الظهور إليه، بل ذكرهم على قديم الزمان شهير و قدرهم خطير.

قلت: و لما عقد لولدي عبد الله أسعده الله، على بنت الوزير أبي الحسن بن الوزير أبي الحسن القاسم بن الوزير أبي عبد الله بن الفقيه العالم الوزير، حزم فخارهم، و مجدّد آثارهم، أبي الحسن سهل بن مالك، خاطبت شيخنا أبا البركات بن

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٦٦

الحاجّ، أعرض ذلك عليه، فكان من نصّ مراجعته: فسبحان الذي أرشدك لبيت السّتر و العافية و الأصالة، و شحوب الأبرار، قاتلك الله ما أجلّ اختيارك. و خلف هذا البيت الآن على سنن سلفهم من التحلّي بالوزارة، و الاقتياد من العظمة الزاكية، و الاستناد القديم الكريم، و اغتنام العمر بالنسك، عناية من الله، اطرد لهم قانونها، و اتصلت عاداتها، و الله ذو الفضل العظيم.

حاله: كان من أهل السرّ و الخصوصية، و الصّمت و الوقار، ذا حظّ وافر من المعرفة بلسان العرب، ذكيّ الدّهن، متوقّد الخاطر، مليح النادرة، ششنته معروفة فيهم. سار بسيرة أبيه، و أهل بيته، في الطهارة و العدالة، و العفاف و التّزاهة.

وفاته:

إبراهيم بن فرج بن عبد البر الخولاني

من أهل قرطبة، يكنى أبا إسحاق، و يعرف بابن حرّة.

أوليته: من أهل البيوتات بالحضرة، ولى أبوه القهرمة لثاني الملوك من بني نصر، فتأثّل مالا و نباهة.

حاله: هذا الرجل من أعيان القطر، و وزراء الصّيقع، و شيوخ الحضرة، أغنى هذه المدرة يدا، و أشغلهم بالعرض الأدنى نفسا، تحرّف بالتّجر المربوب في حجر الجاه، و نما ماله، تحاط به الجدات، و تنمو الأموال، ففار تنورها، و فحق حوضها، كثير الخوض في التصاريق الوقتية، و الأدوات الزمانية، و أثمان السلع، و عوارض الأسعار، متبجّح بما ظهرت به يده من علق مضنّة هري المدينة، الذي ينفق على أسواقها، عند ارتفاع القيم، و تمييز الأسعار، و بلوغها الحدّ الذي يراه كفؤ حبته، و منتهى ثمن غلته. غرق الفكر، يخاطب الحيطان و الشّجر و الأساطين، محاسبا إياها على معاملات و أغراض فتية، يرى من التلبّس شيئا من المعارف و الآداب و الصنائع، و

حجة من الحجج في الرزق. تغلب عليه السداجة و الصحة، دمث، متخلق، متنزل، مختصر الملبس و المطعم، كثير التبذل، يعظم الانتفاع به في باب التوسعة بالتسلف

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٦٧

و المداينة، حسن الخلق، كثير التجمل مبتلى بالموقب و الطائر، يسمع ذى القحفة، و يصم على ذوى المسألة.

ظهوره و حظوته: لبس الحظوة شمله، لم يفارق طوقها رقبته، إذ كان صهرا للمتغلب على الدولة أبى عبد الله بن المحروق، صار بسهم فى جذور خطته، و ألقى فى مرقه حظوته، مشتملا على حاله، بعباءة جاهه. ثم صاهر المصير الأمر إليه بعده القائد الحاجب أبا النعيم رضوان، مولى الدولة النصرية، و هلم جزا، بعد أن استعمل فى السيفارة إلى العدو و قشتالة، فى أغراض تليق بمبعثه، مما يوجب فيه المياسير و الوجوه، مشرفين معززين بمن يقوم بوظيفة المخاطبة و الجواب، و الرد و القبول. و ولى وزارة السلطان، لأول ملكه فى طريق من ظاهر جبل الفتح إلى حضرته، و أياما يسيرة من أيام اختلاله، إلى أن رغب الخاصة من الأندلسيين فى إزالته، و صرف الأمر إلى الحاجب المذكور الذى تسقط مع رئاسته المنافسة، و ترضى به الجملة.

محنته: و امتحن هو و أخوه، بالتغريب إلى تونس، عن وطنهما، على عهد السلطان الثالث من بنى نصر. ثم آب عن عهد غير بعيد، ثم أسن و استسر أديمه، و ضجر عن الركوب إلى فلاحته التى هى قرّة عينه، و حظّ سعادته، يتطرح فى سكة المترددين بإزاء بابه، مباشر الثرى بثوبه، قد سدكت به شكايه شائنة، قلما يفلت منها الشيوخ، و لا من شركها، فهى تزفه بولاء، بحال تقتحمها العين شعئا، و بعدا عن النظر، فلم يطلق الله يده من جدته على يده، فليس فى سبيل دواء و لا غذاء إلى أن هلك.

وفاته: فى وسط شوال عام سبعة و خمسين و سبعمائة.

مولده: فى سنة خمس و سبعين و ستمائة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٦٨

إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسى

يكنى أبا إسحاق، و يعرف بابن المرأة.

حاله: سكن مالقة دهرا طويلا، ثم انتقل إلى مرسية، باستدعاء المحدث أبى الفضل المرسى و القاضى أبى بكر بن محرز، و كان متقدما فى علم الكلام، حافظا ذا كرا للحديث و التفسير، و الفقه و التاريخ، و غير ذلك. و كان الكلام أغلب عليه، فصيح اللسان و القلم، ذا كرا لكلام أهل التصوف، يطرز مجالسه بأخبارهم. و كان بحرا للجُمهور بمالقة و مرسية، بارعا فى ذلك، متفنا له، متقدما فيه، حسن الفهم لما يلقى، له و ثوب على التمثيل و التشبيه، فيما يقرب للفهم، مؤثرا للخمول، قريبا من كل أحد، حسن العشرة، مؤثرا بما لديه. و كان بمالقة يتجر بسوق الغزل. قال الأستاذ أبو جعفر و قد وصمه: و كان صاحب حيل و نوادر مستظرفة، يلهى بها أصحابه، و يؤنسهم، و متطلعا على أشياء غريبة من الخواص و غيرها، فتن بها بعض الحلبة، و أطلع كثير ممن شاهدته على بعض ذلك، و شاهد منه بعضهم ما يمنعه الشرع من المرتكبات الشنيعة، فنافره و باعده بعد الاختلاف إليه، منهم شيخنا القاضى العدل المسمى الفاضل، أبو بكر بن المرابط، رحمه الله؛ أخبرنى من ذلك بما شاهد مما يقبح ذكره، و تبرأ منه من كان سعى فى انتقاله إلى مرسية، و الله أعلم بغيبه و ضميره.

توالمفه: منها شرحه كتاب الإرشاد لأبى المعالى، و كان يعلقه من حفظه من غير زيادة و امتداد. و شرح الأسماء الحسنى. و ألف جزءا فى إجماع الفقهاء، و شرح محاسن المجالس لأبى العباس أحمد بن العريف. و ألف غير ذلك. و توالمفه نافعة فى أبوابها، حسنة الرصف و المبانى.

من روى عنه: أبو عبد الله بن أحلى، و أبو محمد عبد الرحمن بن وصلة.

وفاته: توفي بمرسية سنة إحدى عشرة و ستمائة.

إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري

تلمساني و قرشي الأصل، نزل بسبته، يكنى أبا إسحاق، و يعرف بالتلمساني.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٦٩

حاله: كان فقيها عارفا بعقد الشروط، مبرزاً في العدد و الفرائض، أديبا، شاعرا، محسنا، ماهرا في كل ما يحاول. نظم في الفرائض، و هو ابن ثمان و عشرين سنة، أرجوزة محكمة بعلمها، ضابطة، عجيبة الوضع. قال ابن عبد الملك:

و خبرت منه في تكرارى عليه، تيقظا و حضور ذهن، و تواضعا، و حسن إقبال و برّ، و جميل لقاء و معاشره، و توسط صالحا فيما يناظر فيه من التواليف، و اشتغالا بما يعنيه من أمر معاشه، و تخاملا في هيئته و لباسه، يكاد ينحط عن الاقتصاد، حسب المألوف و المعروف بسبته. قال ابن الزبير: كان أديبا لغويا، فاضلا، إماما في الفرائض.

مشيخته: تلا بمالقة على أبي بكر بن دسمان، و أبي صالح محمد بن محمد الزاهد، و أبي عبد الله بن حفيد، و روى بها عن أبي الحسن سهل بن مالك، و لقي أبا بكر بن محرز، و أجاز له، و كتب إليه مجيزا أبو الحسن بن طاهر الدباج، و أبو علي الشلوبين. و لقي بسبته الحسن أبا العباس بن علي بن عصفور الهواري، و أبا المطرف أحمد بن عبد الله بن عفيرة، فأجاز له. و سمع على أبي يعقوب بن موسى الحساني الغماري.

من روى عنه: روى عنه الكثير ممن عاصره، كأبي عبد الله بن عبد الملك و غيره.

تواليفه: من ذلك الأرجوزة الشهيرة في الفرائض، لم يصنف في فنّها أحسن منها. و منظوماته في السير، و أمداح النبي، صلى الله عليه و سلم، من ذلك المعشّرات على أوزان العرب، و قصيدة في المولد الكريم، و له مقالة في علم العروض الدوبيتي.

شعره: و شعره كثير، مبرز الطّبقة بين العالى و الوسط، منحازا أكثر إلى الإجادة جمّة، و تقع له الأمور العجيبة فيه كقوله: [المنسرح]

الغدر في الناس شيمه سلفت قد طال بين الورى تصرفها

ما كلّ من سرّبت له نعم منك يرى قدرها و يعرفها

بل ربما أعقب الجزاء بهامضرة عنك عزّ مصرفها

أما ترى الشمس تعطف بالنور على البدر و هو يكسفها؟

دخوله غرناطة: أخبر عن نفسه أن أباه انتقل به إلى الأندلس، و هو ابن تسعة أعوام، فاستوطن به غرناطة ثلاثة أعوام، ثم رحل إلى مالقة، فسكن بها مدّة، و بها

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٧٠

قرأ معظم قراءته. ثم انتقل إلى سبته، و تزوّج بها أخت الشيخ أبي الحكم مالك بن المرّحل. و هذا الشيخ جدّ صاحبنا و شيخنا أبي الحسين التلمساني لأبيه، و هو ممن يطرز به التأليف، و يشار إليه في فنون لشهرته.

و من شعره، و هو صاحب مطوّلات مجيدة، و أمادح مبدية في الإحسان معيدة، فمن قوله يمدح الفقيه أبا القاسم العزفي أمير سبته:

[الكامل]

أ رأيت من رحلوا و زمّوا العيسا و لا نزلوا على الطلول حسيسا؟

أحسبت سوف يعود نسف ترابها يوما بما يشفى لديك نسيسا؟

هل مؤنس نارا بجانب طورها لأنيسها؟ أم هل تحسّ حسيسا؟

مولده: قال ابن عبد الملك: أخبرني أنّ مولده بتلمسان سنة تسع و ستمائة.

وفاته: في عام تسعين و ستمائة بسبته، على سنّ عالية، فسحت مدى الانتفاع به.

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الساحلي

إشارة

المشهور بالطويجن ، من غرناطة.

حاله: من كتاب «عائد الصلة»: كان، رحمه الله، نسيج وحده في الأدب، نظما و نثرا، لا يشقّ فيهما غباره، كلام صافى الأديم، غزير المائئة، أتيقّ اللدياجة، موفور المادة، كثير الحلاوة، جامع بين الجزالة و الرقة؛ إلى خطّ بديع، و مشاركة في فنون، و كرم نفس، و اقتدار على كل محاولة. رحل بعد أن اشتهر فضله، و ذاع أوجه، فشرّق، و جال في البلاد. ثم دخل إلى بلد السودان، فاتصل بملكها، و استوطنها زمانا طويلا، بالغا فيها أقصى مبالغ المكنة، و الحظوة، و الشهرة، و الجلالة، و اقتنى مالا دثرا، ثم آب إلى المغرب، و حوّم على وطنه، فصرفه القدر إلى مستقرّه من بلاد السودان، مستريدا من المال. و أهدى إلى ملك المغرب هديّة تشتمل على طرف، فأثابه عليها مالا خطيرا، و مدحه بشعر بديع كتبناه عنه. و جرى ذكره في كتاب «التاج» بما نصّه :

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٧١

«جواب الآفاق، و محالف الإباق، و منفق سعد الشعر كل الإنفاق؛ رفع ببلده للأدب رايه لا تحجم، و أصبح فيها يسوى و يلجم؛ فإن نسب، جرى و نظم نظم الجمان المحامد، و إن أبّن ورثي غبر في وجوه السوابق و حثا. و لما اتفق كساد سوقه، و ضياق حقوقه، أخذ بالحزم، و أدخل على حروف علائه عوامل الجزم، يسقط على الدول سقوط الغيث، و يحلّ كناس الطبا و غاب الليث، شيع العجائب، و ركّض النجائب، فاستضاف بصرام، و شاهد البرابي و الأهرام، و رمى بعزمته الشأم، فاحتلّ ثغوره المحوطة، و دخل دمشق، و توجه الغوطة، ثم عاجلها بالعراق، فحيا بالسلام مدينة السلام، و أورد بالرفادين رواحله، و رأى اليمن و سواحله، ثم عدل إلى الحقيقة عن المجاز، و توجه إلى شأنه الحجاز، فاستلم الزكن و الحجر، و زار القبر الكريم لما صدر، و تعرّف بمجتمع الوفود بملك السود، فغمره بإرفاده، و صحبه إلى بلاده، فاستقرّ بأول أقاليم العرض، و أقصى ما يعمر من الأرض، فحلّ بها محلّ الحمر في الغار، و النور في سواد الأبصار؛ و تقيّد بالإحسان، و إن كان غريب الوجه و اليد و اللسان. و صدرت عنه رسائل أثناء إغرابه، تشهد بجلالة آدابه، و تعلق الإحسان بأهدابه».

نثره: فمن ذلك ما خاطب به أهل غرناطة بلده؛ و قد وصل إلى مراكش:

«سلام ليس دارين شعاره، و حلق الروض و النضير به صداره، و أنسى نجدا شمّه الزكى و عراره، جرّ ذيله على الشجر فتعطر، و ناجى غصن البان فاهترّ لحديثه و تأطر، و ارتشف الندى من ثغور الشقائق، و حيا حدود الورد تحت أريه الحدائق، طربت له التجديّة المستهامة، فهجرت صباها بطن تهامة، و حنّ ابن دهمان لصباه، و سلا به التميمي عن رياه، و أنسى النميري ما تضحّو برقيب من بطن نعماه، و استشرف السمر و البان، و تخلق بخلوقه الآس و الطيآن، حتى إذا راق أنفاس تحياته و رقت، و ملكت نفائس النفوس و استشرقت، و لبست دارين في ملائها، و نظمت الجوزاء في عقد ثنائها، و اشتغل بها الأعشى عن روضه و لها، و شهد ابن برد شهادة أطراف المساويك لها، خيمت في ربع الجود بغرناطة و رقت، و ملأت دلوها إلى عقد ركبها، و أقبلت منابت شرقها عن غربها، لا عن عرفه؛ هناك تترى لها صدور المجالس تحمل صدورا، و ترائب المعالي تحلّى عقودا نفيسة و جذورا، و محاسن الشرف تحاسن

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٧٢

البروج في زهرها، و الأفيّة في إيوانها، و الأندية في شعب يوانها، لو رآها النعمان لهجر سديره، أو كسرى لنبد إيوانه و سريره، أو سيف لقصّر عن غمدانه، أو حسان لترك جلق لغسانه: [الطويل]

بلاد بها نيظت على تماثمي وأول أرض مسّ جلدي ترايها

فإذا قضيت من فرض السلام ختما، وقضت من فاره الثناء حتما، ونفضت طيب عرارها على تلك الأنداء، واقتطفت أزاهر محامدها أهل الودّ القديم والإخاء، وعمّت من هنالك من الفضلاء، وتلت سور آلائها على منبر ثنائها، وقصّت وعظفت على من تحمل من الطلبة بشارتهم، وصدّرت عن إشارتهم، وأنارت نجما حول هالتهم المنيرة ودارتهم، فهناك تقصّ أحاديث و جدى على تلك المناهج، لا إلى صلة عالج، وشوقى إلى تلك العليا، لا إلى عبلة، والجزا إلى ذلك الشريف الجليل، فسقى الله تلك المعاهد غيداقا يهيمى دعاؤها، ويغرق روضها إغراقا، حتى تتكّلل منه نحور زندها درّا، وترنو عيون أطراف نرجسها إلى أهلها سررا، وتتعانق قدود أغصانها طربا، وتعطف خصور مذانها على أطراف كثنانها لعبا، وتضحك ثغور أقاحيها عند رقص أدواحها عجبا، وتحمرّ خدود وردها حياء، وتشرق حدائق وردها سناء، وتهدى إلى ألسنة صباها خبر طيبة وإنباء، حتى تشتغل المطريّة عن روضتها المردودة، والمتكلّىء عن مشاويه الموجودة، والبكرى عن شقائق رياض روضته النديّة، والأخطل عن خلع بيعته الموشية. فما الخورنق و سراد، والرّصافه و بغداد، وما لفّ النيل فى ملأته كرما إلى أفدين سقايته، و حارته غمدان عن محراب، وقصر وابريه البلقاء عن غوطه و نهر، بأحسن من تلك المشاهد التى تساوى فى حسننها الغائب والشاهد. و ما لمصر تفخر بنيلها، والألف منها فى شنيها، و إنما زيدت الشين هنالك ليعد بذلك:

[الوافر]

و يا لله من شوق حثيث ومن وجد تنشّط بالصميم

إذا ما هاجه وجد حديث صبا منها إلى عهد قديم

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٧٣

أجنح إنسانى فى كل جانحة، وأنطق لسانى من كل جارحة، وأهيم و قلبى رهين الأنين، و صريع البين، تهفو الرياح البليلة إذا ثارت، و تطير به أجنحة البروق الخافقة أينما طارت، و قد كنت أستنزل قربهم براحة الأجل، و أقول عسى وطن يدينهم و لعلّ، و ما أقدر الله أن يدنى على الشّحط، و يبرى جراح البين بعد اليأس و القنط، هذا شوقى يستعيره البركان لناره، و وجدى لا يجرى قيس فى مضماره، فما ظنك و قد حمت حول المورد الخصر، و نسمت ريح المنبت الخضر، و نظرت إلى تلك المعاهد من أمم، و همست باهتصار ثمار ذلك المجد اليانح و الكرم، و إن المحبّ مع القرب لأعظم همّا، و أشدّ فى مقاساة الغرام غمّا: [الوافر]

و أبرح ما يكون الشوق يوما إذ دنت الدّيار من الدّيار

و قربت مسافة الدّوّار، لكن الدهر ذو غير، و من ذا يحكم على القدر، و ما ضرّه لو غفل قليلا، و شفى بقاء الأجنّة غليلا، و سمح لنا بساعة اتفاق، و وصل ذلك الأمل القصير بباع، و روى مسافة أيام، كما طوى مراحل أعوام.

لذّ إبليس، أفلا أشفقت من عذابى، و سمحت و لو بسلام أحبّابى؟

أسلمتنى إلى ذرع البيد، و محالفة الذميل و الوخيد، و التنقل فى المشارق و المغارب، و التمطى فى الصّيهوات و الغوارب. يا سابق البين دع محمله، و ما بقى فى الجسم ما يحمله، و يا بنات جديل، ما لكنّ و للذميل؟ ليت سقمى عقيم فلم يلد ذات البين، المشتته ما بين المحبين، ثم ما للزاجر الكاذب، و للغراب الناعب، تجعله نذير الجلا، و رائد الخلا، ما أبعد من زاجر، عن رأى الزّاجر، إنما فعل ما ترى، ذات الغارب و القرى، المحتاله فى الأزمة و البرى، المترددة بين التّأويب و السّرى؛ طالما باكرت الثوى، و صدعت صدع الثوى، و تركت الهائم بين ربع محيل، و رسم مستحيل، يقفو الأثر نحوه، و يسأل الطلل عن عهده، و إن أنصفت فما لعين معقودة، و إبل مطرودة، مالت عن الحوض و الشّوط، و أسلمت إلى الحبل و العصا و السّوط، و لو خيّر النائي لأقام، و لو ترك القطا ليلا لنام، لكن الدهر أبو براقش،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٧٤

و سهم بينه و بين بنيه غير طائش؛ فهو الذى شتت الشمل و صدعه، و ما رفع سيف بعماده إلّا وضعه، و لا بلّ غليلا أحرقة بنار وجده و لا نفعه. فأقسم ما ذات خضاب و طوق، شاكية غرام و شوق، برزت فى منصيتها، و ترجمت عن قضيتها، أو غربت عن بيتها، و نفضت شرارة زفرتها عن عينها، ميلا- حكت الميلا- و الغريض، و عجماء ساجلت بسجعها القريض، و كصت الفود فكأنما نقرت العود، و ردّدت العويل، كأنما سمعت الثقليل، تبّثت الواله فثاب، و ناحت بأشواقها فأجاب. حتى إذا افتّر بريقها، استراب فى أنتها، فنادى يا حصية الساق، ما لك و الأشواق؟ أباكية و دموعك راقية؟ و محرّرة و أعطافك حالية؟ عطّلت الخوافى، و حلّيت القوادم، و خضبت الأرجل، و حضرت المآتم. أمّا أنت، فنزيعه خمار، و حليفة أنوار و أشجار، تتردّد بين منبر و سرير، و تتهادين بين روضة و غدير؛ أسرفت فى الغناء، و إنما حكيت خريير الماء، و ولعت بتكرير الرءاء، فقالت: أعد نظر البقير، و لأمر ما جدع أنفه قصير، أنا التى أغرقت فى الرّزء، فكثّيت عن الكل بالجزء؛ كنت أربع بالفيافى ما لأفى، و آنس مع مقيلى، بكرته و أصيلى، تحتال من غدير إلى شرح، و تنتقل من سرير إلى سرج، آونة تلتقط الحبّ، و حيننا تتعاطى الحبّ، و طورا تتراكم الفنن، و تارة تتجاذب الشّجن، حتى رماه الدهر بالشّتات، و طرقه بالآفات، فهأنا بعده دامية العين، دائمة الأين، أتعلّل بالأثر بعد العين؛ فإن صعّدت منارى، ألّهبت منقارى، أو نكأت أحشائى، خضبت رجلى بدمائى، فأقسم لا خلعت طوق عهده، حتى أردى من بعده، بل ذات خفض و ترف، و جمال باهر و شرف، بسط الدهر يدها، و قبض ولدها، فهى إذا عقدت التّمائم على تريب، أو لفّت العمائم على نجيب، حثّت المفؤود، و أدارت عين الحسود، حتى إذا أينعت فسالها، و قضى حملها و فصالها، عمر لحدّها بوحيد كان عندها وسطى، و فريد أضحى فى نحر عشيرتها سمطا، استحثّت له مهبات النسيم الطّارق، و خافت عليه من خطرات اللّحظ الرّاشق، فحين هشّ للجياذ، و وهب التّمائم للنّجاد و نادى الصّريم، يا الآل و الحرّيم، فشدّ الأناة، و اعتقل القناة، و برز يختال فى عيون لأمه، و يتعرّف منه رمحه بألفه و لامه، فعارضه شثن الكفّين، عارى الشعر و المنكبين، فأسلمه لحتفه، و ترك حاشية رداثه على عطفه، فحين انبهم

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٧٥

لشاكلته ما جرى برزت لترى: [الطويل]

فلم تلق فيها غير خمس قوائم و أشلاء لحم تحت ليث سخايل
يحطّ على أعطافه و ترائبه بكفّ حديد الثّاب صلب المفاصل

أعظم من وجد إلى تلك الآفاق، التى أطلعت وجوه الحسن و الإحسان، و سفرت عن كمال الشرف، و شرف الكمال عن كل وجه حسان، و أبرزت من ذوى الهمم المنيفة، و السّير الشريفة، ما أقرّ عين العلياء، و حلّى جيد الزمان، فتقوا للعلم أزهارا أربت على الروض الموجود، و أداروا للأدب هالة استدارت حولها بدور السّعود، نظم الدهر محاسنهم حلّيا فى جيده و نحره، و استعار لهم الأفق ضياء شمس و بدره، و أعرب بهم الفخر عن صميمه، و فسح لهم المجد عن مصدره، فهم إنسان عين الزمان، و ملّقى طريقى الحسن و الإحسان، نظمت الجوزاء مفاخرهم، و نثرت الثّرة مآثرهم، و اجتلبت الشّعرى من أشعارهم، و طلع النور من أزرارهم، و اجتمعت الثّريا لمعاطة أخبارهم، و ودّ الدلو لو كرع فى حوضهم، و الأسد لو ربض حول ربضهم، و النعائم لو غذّيت بنعيمهم، و المجرة لو استمدّت من فيض كرمهم، عشق المسك محاسنهم فرق، و طرب الصبح لأخبارهم فخرق جبينه و شقّ، و حام النّسر حول حمامهم و حلّق، و قدّ الفخار جدار محامدهم و حلّق، إلى بلاغة أخرست لسان لبيد، و تركت عبد الحميد غير حميد، أهلّ ابن هلال لمحاسنهم و كبر، أعطى القارئ ما زجر به قلمه و سطر، و أيس إياس من لحاقهم فأقصر لما قصر.

و منها: فما للوشى تألّق ناصعه، و تأنق يانعه، بأحسن ممّا وشته أنفاسهم، و رسمته أطراسهم، فكم لهم من خريدة غذّاه العلم بيّره، و فريده حلّاه البيان بدرّه، و استضاءت المعارف بأنوارهم، و باهت الفضائل بسناء منارهم، و جلّيت المشكلات بأنوار عقولهم و أفكارهم، جلّوا عروس المجد و حلّوا، و حلّوا فى ميدان السيادة و نشأوا، و زاحموا السّيهى بالمناكب، و اختطّوا التّرب فوق الكواكب، لزم محلّهم التّكبير، كما لزم اليباء التّصغير، و تقدّموا فى رتبة الأفهام، كما تقدّمت همزة الاستفهام، و نزلوا من مراتب العلياء، منزلة

حروف الاستعلاء، و ما عسى أن أقول و دون النهاية مدى نازح، و ما أغنى الشمس عن مدح المادح، و حسبي أن أصف ما أعانيه من الشوق، و ما أجده من التوق، و أعْلَل نفسي بلقائهم، و أتعلّل بالنسيم الوارد من تلقائهم، و إن جلاني الدهر عن ورود حوضهم، و أقعدني الزمان عن اجتناء روضهم، فما ذهب و دادى، و لا تغير اعتقادي، و لا جفت أقلامي عن مدادهم و لا الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٧٦

مدادى، و أنا ابن جلا فى وجدهم، و طَلَّاع الثنايا إلى كرم عهدهم، إن دعوا إلى ودّ صميم وجدونى، أضع العمامة عن ذوى عهد قديم عرفونى، و لو شرعوا نحوى قلم مكاتبهم، و أسحوا بالعلق الثمين من مخاطبتهم، لكفّوا من قلبى العانى قيد إيساره، و بلوا صدى و جدى المتحرّق بناره، ففى الكتابة بلغة الوطر، و قد يغنى عن العين الأثر، و السلام الأثير الكريم الطيب الرّيا، الجميل المحيّا، يحضر محلّهم الأثير، و كبيرهم إذ ليس فيهم صغير، و يعود على من هناك من ذوى الودّ الصميم، و العهد القديم، من أخ برّ و صاحب حميم، و رحمة الله و بركاته».

و لا خفاء ببراءة هذه الرسالة على طولها، و كثرة أصولها، و ما اشتملت عليه من وصف و عارضه، و إشارة و إحالة، و حلاوة و جزالة. شعره: ثبت لدى من متأخر شعره قوله من قصيدة، يمدح بها ملك المغرب ، أمير المسلمين، عند دنوّ ركابه من ظاهر تلمسان ببابه أولها [الكامل]:

خطرت كميّاس القنا المتأطرونت بألحاظ الغزال الأعفر

و من شعره فى النسب: [البسيط]

زارت و فى كلّ لحظ طرف محترس و حول كلّ كناس كفت مفترس
يشكو لها الجيد ما بالحلى من هدر و يشتكى الزند ما بالقلب من خرس
متى تلا خدّها الزاهى الضحى نطقت سيوف ألحاظها من آية الحرس
فى لحظها سحر فرعون و رقّتها آيات موسى و قلبى موضع القبس
تخفى النّومين من حلى و مبتسم تحت الكتومين من شعر و من غلس
و ترسل اللّحظ نحوى ثم تهزأ بى تقول بعد نفوذ الزّمية احترس
أشكو إليها فؤادا و اجلا أبادفى النّازعات و ما تنفكّ من عبس

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٧٧ يا شقّة النفس إنّ النفس قد تلفت إلّا بقيّة رجع الصّوت و النّفس

هذا فؤادى و جفنى فيك قد جمعاضدين فاعتبرى إن شئت و اقتبسى

و يا لطارق نوم منك أرّقنى ليلا و تبهنى للوجد ثم نسي

ما زال يشرب من ماء القلوب فلم أبصرته ذابلا يشكو من اليبس

ملأت طرفى عن ورد تفتح فى رياض خديك صلّا غير مفترس

و قلت للّحظ و الصّدغ احرسا فهما ما بين مصم و فتاك و منتكس

و ليلة جتتها سحرا أجوس بهاشبا العوالى و خيس الأخنف الشّرس

أستفهم الليل عن أمثال أنجمه و أسأل العيس عن سرب المها الأنس

و أهتك السّتر لا أخشى بواده ما بين منتهز طورا و منتهس

بتنا نعاطى بها ممزوجة مزجت حلو الفكاهة بين اللّين و الشّرس

أنكحتها من أبيها و هى آيسة فتار أبناؤها فى ساعة العرس

نور و نار أضاء فى زجاجتها فذاك خدك يا ليلى و ذا نفسى

حتى إذا آب نور الفجر في وضح معرّك جال بين الفجر و الغلس
و هيمنت بالضنا تحت الصباح صباحاً أنذرتها ببرد القلب و اللّمس
قامت تجرّ فضول الريط آنسة كريمة الذيل لم تجنح إلى دنس
تلوث فوق كتيب الرمل مطرفهاو تمسح الثوم عن أجفانها النّمس
فظلّ قلبى يقفوها بملتهب طورا و دمعى يتلوها بمنبجس
دهر يلؤن لونه كعادته فالصبح فى مآتم و الليل فى عرس
و إحسانه كثير، و مقداره كبير. ثم آب إلى بلاد السودان، و جرت عليه فى طريقه محنة، ممّن يعترض الرفاق و يفسد السبيل، و استقرّ
بها على حاله من الجاه و الشّهرة، و قد اتخذ إماء للتسرّي من الرّنجيات، و رزق من الجوالك أولادا كالخنافس. ثم لم يلبث أن اتصلت
الأخبار بوفاته بتبكتو، و كان حيا فى أوائل تسعة و ثلاثين و سبعمائة .
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٧٨

إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن أسد بن موسى ابن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحاق بن أسد بن قاسم النميرى

من أهل غرناطة، يكنى أبا إسحاق و يعرف بابن الحاج .

أولّيته: بيت نبيه، يزعم من يعنى بالأخبار، أن جدّهم الداخل إلى الأندلس ثوابه بن حمزة النميرى، و يشركهم فيه بنو أرقم الوادى
شيون . و كان سكانه بجهة وادى آش، و لقومه اختصاص و انتقال ببعض جهاتها، و هى شوظر، و المنظر، و قرسيس، و قطرش؛ تغلب
العدو عليها على عهد عبد العزيز، و آوى جميعهم إلى كنف الدولة النصرىة، فانخرطوا فى سلك الخدمة، و تمخّص خلفهم بالعمل . و
كان جدّه الأقرب إبراهيم، رجلا- خيرا من أهل الدين و الفضل و الطهارة و الذكاء؛ كتب للرؤساء من بنى إشقيلولة، عند انفرادهم
بوادى آش. و اختصّ بهم، و حصل منهم على صهر بأم ولد بعضهم، و ضبط المهّم من أعمالهم. ثم رابته منهم سجايا أوجبت انصرافه
عنهم، و جنوحه إلى خالهم السلطان الذى كاشفوه بالثورة، فعرف حقّه، و أكرم وفادته، و قبل بيانه؛ فقلّده ديوان جنده، و استمرت أيام
عمره تحت رعيه، و كنف عناية. و كان ولده عبد الله، أبو صاحبنا المترجم به، صدرا من صدور المستخدمين فى كبار الأعمال، على
سنن رؤسائهم، مكسابا متلافا، سرىّ النفس، غاض الحواز. ولى الأشغال بغرناطة و سبتة؛ عند تصيرها إلى إيالة بنى نصر؛ و جرى طلاقه
هذا، فى صلّ دنيا عريضة؛ تغلبت عليه بآخرة، و مضى لسبيله، مصدوقا بالكفاية، و براعة الخط، و طيب النفس، و حسن المعاملة.
حاله: هذا الرجل نشأ على عفاف و طهارة؛ امتهك صباة ترف من بقايا عافية، أعانته على الاستظهار ببزّة، و صانته من التحرف بمهنة.
ثم شدّ و بهرت خصاله، فبطح بالشعر؛ و بلغ الغاية فى إجادة الخط، و حاضر بالآيات، و أرسّم فى كتابة الإنشاء، عام أربعة و ثلاثين و
سبعمائة، مستحقّا حسن سمّه، و براعة

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٧٩

خط، و جودة أدب، و إطلاق يد، و ظهور كفاية؛ و فى أثناء هذا الحال، يقيد و لا يفتر، و يروى الحديث، و يعلّق الأناشيد، و لا يغب
النظم و النثر، و لا يعفى القريحة، معمى، مخولا فى العناية، مشتملا على الطهارة، بعيدا فى زمان الشّيبية عن الرّيبة، نزبها على الوسامة
عن الصّيبوة و الرّقية، أعانه على ذلك نخوة فى طبعه، و شفوف و همّة. كان مليح الدّعابة، طيب الفكاهة، آثر المشرق، فانصرف عن
الأندلس فى محرّم عام سبعة و ثلاثين و سبعمائة، و ألمّ بالدول، محرّكا إياها بشعره، هازّا أعطافها بأمداحه؛ فعرف قدره، و أعين على
طيّته؛ فحجّ و تطوّف، و قيّد، و استكثر، و دوّن فى رحله سفره؛ و ناهيك بها طرفه؛ و قفل إلى إفريقية، و كان علق بخدمة بعض
ملوكها، فاستقرّ ببجاية لديه، مضطلعا بالكتابة و الإنشاء. ثم انتقل إلى خدمة سلطان المغرب، أمير المسلمين أبى الحسن؛ و لم ينشب
أن عاد إلى البلاد المشرقية، فحجّ، و فصل إلى إفريقية، و قد دالت الدولة بها بالسلطان المذكور، فتقاعد عن الخدمة، و آثر الانقباض؛

ثم ضرب الدهر ضرباته، وآل حال السلطان إلى ما هو معروف، و ثابت للموحدين برملة بجاية بارقة لم تكد تتقد حتى خبت، فعاد إلى ديوانه من الكتابة عن صاحب بجاية. ثم أبى مؤثرا للدعة في كنف الدولة الفارسية، و نفص عن الخدمة يده، لا أحقق مضطرا أم اختيارا، و حجة كليهما قائمة لديه، و انقطع إلى تربة الشيخ أبي مدين بعنابد تلمسان، مؤثرا للخمول، عزيزا به، ذاهبا مذهب التجلة من التجريد و العكوف بباب الله، مفخرا لأهل نحلته، و حجة على أهل الحرص و التهافت، من ذوى طبقتة، راجع الله بنا إليه بفضلته. ثم جبرته الدولة الفارسية على الخدمة، و أبرته بزة التمسك، فعاد إلى ديدنه من الكتابة، رئيسا و مرءوسا. ثم أفلت نفيه موت السلطان أبي عنان فلاحق بالأندلس، و تلقى بيز و جراية، و تنويه و عناية، و استعمل في السفارة إلى الملوك؛ و ولى القضاء فى الأحكام الشرعية بالقليم بقرب الحضرة؛ و هو الآن بحاله الموصوفة، صدرا من صدور القطر و أعيانه، يحضر مجلس السلطان، و يعد من نهاء من يتتاب بابه، و قد توسيط من الاكتهال، مقيما لرسم الكتابة و الظرف مع الترخيص للباس الحرير، و الخضاب بالسواد، و مصاحبة الأبهة، و الحرص على التجلة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٨٠

و جرى ذكره فى «التاج المحلى» بما نصه: «طلع شهابا ثاقبا، و أصبح شعره للشعرى مصاقبا، فنجم و برع، و تتم المعانى و اخترع؛ إلى خط يستوقف الأبصار رائقه، و تقيّد الأحداق حدائقه، و تفتن الألباب فنونه البديعة و طرائقه، من بليغ يطارد أسراب المعانى البعيدة فيقتنصها، و يغوص على الدرر الفريدة فيخرجها، و يستخلصها بطبع مذاهبه دافقة، و تأييد رايته خافقة. نبه فى عصره شرف البيان من بعد الكرى، و انتدب بالنشاط إلى تجديد ذلك البساط و انبرى، فدارت الأكواس، و تضوّع الورد و الآس، و طاب الصّيبوح، و تبدل الروح المروح، و لم تزل نفحاته تتأرجح، و عقائل بناته تتبرّج، حتى دعى إلى الكتابة، و خطب إلى تلك المثابة، فطرز المفارق برقوم أقلامه، و شتّف المسامع بدرّ كلامه؛ ثم أجاز داعى نفسه التى ضاق عنها جثمانه، لا بل زمانه، و عظم لها فكره و غمّه، و تعب فى مداراتها، و كما قال أبو الطيب المتنبي:

«و أتعب خلق الله من راد محمده»، فارتحل لطيته، و اقتعد غارب مطيته، فحجّ و زار، و شدّ للطواف الإزار. ثم هبّ إلى المغرب و حوم، و قفل قفول النسيم عن الرّوض بعدما تلوم، و حطّ بإفريقية على نار القرى، و حمد بها صباح السرى، و لم يلبث أن تنقل، و وحر الحميم شفاه و تغل، ثم بدا له أخرى فشرق، و كان عزمه أن يجتمع فترقّ.

مشيخته: روى عن مشيخة بلده و أشجر، و قيد و استكثر، و أخذ فى رحلته عن أناس شتى يشقّ إحصاؤهم.

تواليفه: منها كتاب «المساهلة و المسامحة»، فى تبين طرق المداعبة و الممازحة، و «إيقاظ الكرام، بأخبار المنام»، و «تنعيم الأشباح بمحادثة الأرواح»، و كتاب «الوسائل، و نزهة المناظر و الحمائل» و «الزّهرات، و إجاله التّظرات»، و كتاب فى «التّورية» على حروف المعجم، أكثره مروى الأسانيد عن خلق كثير، و الله تعالى يخره؛ و جزء فى تبين المشكلات الحديثة الواصلة من زيد اليمن إلى مكّة؛ و جزء فى بيان اسم الله الأعظم، و هو كبير الفائدة، و «نزهة الحدق، فى ذكر الفرق»، و كتاب الأربعين حديثا البلدانية، و المستدرک عليها من البلاد التى دخلتها، و رويت فيها، زيادة على الأربعين، و «روضة العباد المستخرجة من الإرشاد»، و هو من تأليف شيخنا القطب أبى محمد الشافعى؛ و الأربعون حديثا التى رويتها عن الأمراء و الشيوخ،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٨١

الذين رووا عن الملوك و الأمراء؛ و الشيوخ الذين رووا عن الملوك و الخلفاء القريب عهدهم؛ و وصلت بها خاتمة ذكرت فيها فوائد مما رويته عن الملوك و الأمراء، و عن الشيوخ الذين رووا عن الملوك و الأمراء؛ و كتاب «اللباس و الصّحبة» و هو الذى جمعت فيه طرق المتصوّفة، المدعى أنه لم يجمع مثله؛ و كتاب فيه شطر الحماسة لحبيب، و هو غير مكمل؛ و رجز فى الفرائض على الطريقة البديعة التى ظهرت ببلاد الشرق؛ و رجز صغير فى الحجب و السّلاح، و رجز فى الجدل؛ و رجز فى الأحكام الشرعية سمّاه، ب «الفصول المقتضبة، فى الأحكام المنتخبة»؛ و كتاب سمّاه ب «مثال القوانين، فى التّورية و الاستخدام و التّضمنين»، و هو كله من

نظمه؛ و له تأليف سماه ب «فيض العباب، و إجاله قداح الآداب، في الحركة إلى قسنطينة و الزّاب».

شعره: و من شعره في المقطوعات: [الكامل]

طاب العذيب بماء ذكرك و انثى فكأنما ماء العذيب سلافه

و اهترّ من طرب للقياك الحمى فكأنما باناته أعطافه

و من ذلك: [الطويل]

لى المدح يروى منذ كنت كأنما تصورت مدحا للورى و ثناء

و ما لى هجاء فاعجبّ لشاعرو كاتب سرّ لا يقيم هجاء

و من ذلك: [الطويل]

ولى فرس من عليه الشّهب سابق أصرفه يوم الوغى كيف أطلب

غدوت له فى حلبة القوم مالكا يتابعنى ما شئت فى السّبق أشهب

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٨٢

و قال، و قد وقف حاجب السلطان على عين ماء «فيض الثغور» و شرب منها: [المتقارب]

تعجبت من ثغر هذى البلادو ها أنت من عينه شارب

فلله ثغر أرى شارباو عين بدا فوقها حاجب

و من ذلك: [المتقارب]

و حمراء فى الكأس مشموله تحثّ على العود فى كلّ بيت

فلا غرو أن جاءنى سابقا إلى الأنس خلّ يحثّ الكميت

و قال مضمنا، و قد تذكر حمراء غرناطة، و بابها الأحفل المعروف «باب الفرج»: [المتقارب]

أقول و حمراء غرناطة تشوق تشوق النفوس و تسبى المهج

ألا ليت شعرى بطول السرى أرتنا الوجى و اشتكت العرج

و ما لى فى عرج رغبه و لكن لأقرع باب الفرج

و قال ملغزا فى قلم و هو ظريف: [الطويل]

أحاجيك ما واش يراد حديثه و يهوى الغريب النازح الدار إفصاحه

تراه مع الأحيان أصفر ناحلا كمثل مريض و هو قد لازم الرّاحة

و قال: [الطويل]

و قالوا رمى فى الكأس وردا فهل ترى لذلك وجهها؟ قلت أحسن به قصدا

ألم تجد اللذات فى الكأس حلبة؟ فلا تنكروا فيها الكميت و لا الورد الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٨٣

و قال: [الطويل]

كماه تلاقى تحت نفع سيوفهم و للهام رقص كلّما طلب الثّار

فلا غرو أن غنّت و تلك رواقص لها فيهم فى مارد الحرب أوتار

و قال: [الرجز]

و عارض فى خده نباته فحسسه بين الورى يسحرنا

أجرى دموى إذ جرت شوقا له فقلت هذا عارض ممطرنا

و قال و قد توفي السلطان أبو يحيى بن أبي بكر، صاحب تونس، و ولى ابنه أبو حفص بعد قتله لإخوته: [الطويل]
و قالوا أبو حفص حوى الملك غاصباو إخوته أولى و قد جاء بالنكر
فقلت لهم كفوا فما رضى الورى سوى عمر من بعد موت أبي بكر
و قال مضمنا، و قد حضر الفتى الكبير عنبر قتالا، و كان فارسا مذكورا عند بنى مرين: [الكامل]
و لقد أقول و عنبر ذاك الفتى يلقى الفوارس فى العجاج الأكور
يا عاثرين لدى الجلاذ لعا فقد بسقت لكم ريح الجلاذ بعنبر
و قال و قد اشتاق إلى السبيكة خارج حمراء غرناطة: [مجزوء الرمل]
إن إفراط بكائى لم يرع منى عريكه
قد أذاب العين لَمَازاد شوقى للشبيكه
و قال: [الكامل]

لَمَّا نزلت من السبيكة صادنى ظبى وددت لديه أن لم أنزل
فاعجب لظبى صاد ليثا لم يكن من قبلها متخبطا فى أحبل
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٨٤
و قال و هو ظريف: [الكامل]

قد قارب العشرين ظبى لم يكن ليرى الورى عن حبه سلوانا
و بدا الربيع بخده فكأنما وافى الربيع ينادم النعمانا
و قال: [الطويل]

أتونى فعابوا من أحب جماله و ذاك على سمع المحبّ خفيف
فما فيه عيب غير أن جفونه مراض و أن الخصر منه ضعيف
و قال: [المتقارب]

أيا عجبا كيف تهوى الملوك محلى و موطن أهلى و ناسى
و تحسدنى و هى مخدومه و ما أنا إلّا خديم بفاس

نثره: و نثره تلو نظمه فى الإجادة، و قد تضمن الكتاب المسمى ب «نفاضة الجراب» منه ذكر كل بديع؛ فمما ثبت فيه، مما خاطبته به، و
قد ولى خطه القضاء بالإقليم، أداعبه، و أثير ما تستحويه عجائبه: [السرّيع]

يا قاضى العدل الذى لم تزل تمترار شهب الفضل من شمسك
قعدت للإنصاف بين الورى فاطلب لنا الإنصاف من نفسك

«ما للقاضى، أبقاه الله، ضاق ذرع عدله الرّحيب، عن العجيب؛ و همّ عن العتب، و ضنّ على صديقه حتى بالكذب؛ أمن المدوّنة
الكبرى ركب هذا التحريج، أم من المبسوطة ذهب إلى هذا الأمر المريج؛ أم من الواضحة امتنع عن الإمام ببديع الوفاء و التعريج؟ من
أمثالهم ارض من أخيك بعشر وده إذا ولى، و قد قنعنا و الحمد لله بحبه من مدّه، و إشارة من درجه، و برّه و صاعه معتدله، من زمان
بلوغ أشده؛ فما باله يمتل مع الغنى، و يحوج إلى العنا، مع قرب الجنى؛ المحله حلّه ضالع، و مطمع و طامع، و مرأى و رأى، و مستمع
و سامع، و الكنف واسع، و المكان لاء و لا شاسع؛ و الصّرع حافل؛ و الزّرع كاف كافل؛ و القريحة و اريه الزّند، و الإمالة خافقة البند؛
و هب أن البخل يقع بها فى الخوان على الإخوان، فما باله يسمح بالبيان، و ليس الخبر كالعيان؛ و يتعدّى حظّ الجنان، لا خطّ البنان؛
أعيد سيدى من ارتكاب رأى ذميم، ينقل إلى نميرها بيت تميم؛ و يقصد معناه بتميم، و هلاّ تلاحم؛ و عهدى بالسياسة القاضوية، و قد

نامت في مهاد أهل الظرف، نوم أهل الكهف، و لم تبال بمردد الويل

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٨٥

و اللّهُف، أو شربة لحفظ الصّحة بختجا، و دقت لإعادة الشّبيبة عفا ورد سحتجا؛ و غطت الصبح بالليل إذا سجا، و مدّت على ضاحي
البياض صلا سجسجا؛ و ردّت سوسن العارض بنفسجا، و لبس بحرهما الزّاهر من طحلب البحر منتسجا؛ و أحكام العامّة، و مزين المرأة
ينصح و يرشد، و يطوى المحاسن و ينشد، حتى حسنت الدّارة، و صحت الاستدارة، و أعجبه الوجه الجميل، و القّد الذي يمد في
دكّة الدّار و يميل، و أغرى بالسّواك السّيم و التكميل، و ولج بين شفرتي سيد الميل، و قيل لو صاح اليمين خاب فيك التّأميل؛ و
امتدّ جناح برنس السّرق، و احتفل الغصن الرّطيب في الورق، و رشّ الورد بمائه عند رشح العرق. و تهيتاً لمنطلق، فقرأت عليه نساء
أعوانه، و كتبه ديوانه، سورة الفلق؛ من بعد ما وقف الإمليق حجّابه على إقدامهم، و سحبهم جلاوزته من أقوامهم؛ فمثلوا و اصطفوا، و
تألّفوا و التّفوا، و داروا و حقّوا، و ما تسلّلوا و لا خفوا؛ كأنما أسمعتهم صيحة النّشر، و أخرجوا لأول الحشر، فعيونهم بملتقى المصراع
معقودة، و أذهانهم لمكان الهيبة مفقودة، و حبالهم قبل الطلب بها منقودة؛ فبعد ما فرش الوساد، و ارتفع بالتّفاق الكساد، و ذارع البكا
و تآرج الحساد، و استقام الكون و ارتفع الفساد، و راجعت أرواحها الأجساد؛ جاءت السّادة القاضوية فجلست، و تنعمت الأحداق
بالنظر فيها و اختلست، و سجّت الأكفّ حتى أفلست؛ و زانت شمسها ذلك الفلك، و جلت الأنوار ذلك الحلك، و فتحت الأبواب و
قالت هيت لك؛ و وقفت الأعوان سماطين و مثلوا خطّين، و تشكّلوا مجرّة تنتهي منك إلى البطين، يعلنون بالهدية و يجهرون، و لا
يَعُصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ؛ من كل شهاب ثاقب و طائف غاسق واقب، و ملاحظ مراقب؛ كميّش الإزار، بعيد المزار،
حامل للأوبار، خصيم ميبين، وارث سوسفطائيا عن رثين، مضطلع بفقّه البين و حريمها، فضلا عن تلقين الخصوم و تعليمها، يرأسهم
العزيز المقرب، و المقدّم المدرّب، و المشافه المباشر، و النّابح الشاكر، و النّهج العاشر؛ الذي يقتضى خلاص العقد، و يقطع الكالى و
التّقد، و يزكى و يجرح، و يمسك و يسرح و يطرح، و يحمل من شاء أو يشرح، و المسيطر الذي بيده ميزان الرّزق، و جميع أجزاء
المفترق، و كافه قابله، و حم الدّواة الفاعرة، و رشا بلالة الصّيدور الواغرة؛ فإذا وقف الخصمان بأقصى مطرح الشعاع، أيان يجتمع
الرّعا، و أعلننا النّداء، و طلب الأعداء، و صاح: جعل الله أنفسنا لك الفداء، و رفع الأمر إلى مقطع الحق، و الأولى بالثبوتة الأحق،
أخذتهما الأيدي دفعا في القفي، و رفعنا السّتر اللّطيف الخفي، و أمسكا بالحجر و الأكمام، و منعا المباشرة و الإلمام؛ فإذا أدلى بحجّته
من

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٨٦

أدلى، و سمعها دينه عدلا، و حقّ القول، و استقرّ الهول، و وجبت اليمين، أو الأداء الذي يفوت له الذخر الثمين، أو الرهن أو الضّمين،
أو الاعتقال الذي هو على أحدهما كالأمين؛ نهش الصّل، الذي سليمة لا هل، و لسبت العقارب، التي لا يفلتها الهارب، و لا تخفى منها
المشارب؛ و كم تحت ظلام الليل من غرارة يحملها غرّ، و صدّه ريح فيها صرّ؛ و يهدى ارتقاب قلّة شهد، و كبش يجزّ بقرنيه، و يدفع
بعد رفع ساقيه؛ و معزى و جدى و قلائد، و سرب دجاج، ذوات بجاج، يفضحن الطّارق، و يشعثن المفارق، فمتى يستفيق سيدي مع
هذا اللّغظ العائد بالصّيلة، و اللّهُو المتّصلة، و تفرغ يده البيضاء لأعمال ارتياض، و خطّ سواد في بياض، أو حنين لدوح أو رياض؛ أو
إمتاع طرف، باكتشاف حرف، أو إعمال عدل لرسول في صرف، أو حشو طرف، بتحفه ظرف؛ شأنه أشدّ استغراقا، و مثواه أكثر طراقا،
من ذكرى حبيب و منزل، و أمّ معدّل؛ و كيف يستخدم القلم الذي يصرف ماء الحبر، بذوب التّبر، في ترهات عدم جناها؛ و أقطع
جانب الخيبة لفظها و معناها؛ اللّهُمّ إلا أن تحصل النفس على كفاية تحتم لها الصّدر، و يشام من خلالها اللّجين الرفيع القدر، أو يحيى
للفكاهة و الأنس، أو ينفق لديها ذمام على الجنس؛ فربما تقع المخاطبة المبرورة، و تبيح هذا المرتكب الصّعب الضرورة؛ و المرغوب
من سيّدنا القاضى أن يذكرنا يوما بالإغفال في نعيمه، و لا يخيب آمالنا المتعلّقة بأذيال زعيمه، و يسهمنا حظّا من فرائد خطّه، لا من
فوائد خطّه، و يجعل لنا كفلا من فضل بريته و حنطته لا من فضل هرتة و قطنته؛ فقد غنينا عن الحلاوات بحلاوات لفظه، و عن الطرف

المجموعة، بفنون حفظه، و عن قصب السكر، بقصب أقلامه؛ و عن جنى الزوم بروامه، و بهديه، عن جدية؛ و بمجاسته، عن دجاسته؛ و بدلجه عن أترجه؛ و عن البر بيزه، و عن الحب بحبه؛ و لا نأمل إلا طلوع بطاقته، و قد رضينا بوسع طاقته؛ و إلا فلا بد أن يجيش جيش الكلام إلى عتبه، و نوالى عليه ضرايب الكتاب، حتى يتقى بضريبة كتبه، و السلام».

فراجعى بما نصه: [الطويل]

فنيث عن الإنصاف منى لأننى كما قلت لكم من فراقكم قاض
فمن سمعنا أو من بعينك إننى بكل الذى ترضاه يا سيدى راض

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٨٧

«عمر ك الله أيها الإمام الفذ، و من بمدحه تطرب الأسماع و تلذذ، أوحد الدنيا و حائر الرتبة العليا؛ و لو لا أنك فوق ما يقال، و الزلة إن لم تظهر العجز عن وصفك لا- تقال، لأطلت فى القول، و هدرت هدير قرع الشول، لكن تحصيل الحاصل محال، و لكل فى تهيب كمالك مقال، و مقام و حال؛ و لو لا أن الدعاء مأمول، و هو يظهر الغيب مقبول، و الزيادة من فضل الله لا تنتهى، و التعم قد توافيك، فوق ما تشتهى، لأريت أن ذلك أمر كفى، و أمر ظهر فيه ما خفى: [البيسط]

إن قلت لا زلت مرفوعا فأنت كذا أو قلت زانك ربى فهو قد فعلا

إيه يا سيدى، ما هذه الكلمات السحرية و الأنفاس النفيسة الشجرية، و الألفاظ التى أنالت المرغوب و خالطت بشاشتها القلوب، و التزعات الزائقة، و الأساليب الفائقة، و الفصاحة التى سلبت العقول، و البلاغة التى أوجبت الدهول؛ و البيان الذى لا يضيق صحيفه، و لا يبلغ أحد مدّه و نصيفه؛ يمينا بما احتوى من المحاسن، و اللطائف التى لم يكن ماؤها بالأسن، و قسما ببراعتك التى هى الواسى المطاع، و طرسك الذى أبهجت به الأبصار و الأسماع؛ لقد عاد لى بكتابتك عيد الشوق، و جاد لى بخطابك جد التوق، و لعهدى بنفسى رهن أشجاني، غير محلولة عقده لسانى، أشد من الصخرة جلد، و أغلظ من الإبل كبد؛ حتى إذا بدت حقيده القلب وهب نسيمه الرطب، و أفيح مورده العذب، و أضاء بنوره الشرق و الغرب، و لم يبق لى بثّ و لا شجن، و لا شاقنى أهل و لا وطن؛ و مضى سيف اللسان بعد النبؤ، و نهض طرف الفكر بعد البكر، و هزنى الطرب المثير للأفراح، و مشى الجذل فى أطرافى و أعطافى مشى الزاح؛ بيد أنى خجلت و لا خجله رية الخدر، و تضاءلت نفسى لجلاله ذلك القدر؛ و قلت ما لى بشرية من كأس بيانه، و قطره من بحور إحسانه؛ حتى أودى و لو بعض حنك، و أكتب عقد ملك رقى لرقك، إننى على ما وليت من الصدقة و الصداقة و بعد طلاقك؛ لكنى أقوم فى حنك مستغفرا، و لا- أرضى أن أكون لذمة المخدوم خفرا؛ على أننى أقول، قد كتبت فلم يرد جوابى، و جرمت فهاج الجوى بى، و لعمرى قد لزمتم فيه خطه الأدب، و لم أر التثليل على المولى الرفيع الرتب؛ فأما و قد نفقت عندك بضاعتى المزجاء، و شملنى من لدنك الحلم و الإناء، و شرفتنى بالخطاب الكريم، و الرسالة التى عرفت فى وجهها نضرة النعيم؛ فما أبغى إلا إيرادها عليك و كلها خراج، و لبردها فى الإجابة إنهاج؛ و لعلك ترضى التخرج من مدونة الأخبار، و المبسوطة و الواضحة، لكن من الأعذار. و أما الولاية التى يقنع بسببها من الود بالعرش، أو بحبه من المد إلى يوم النشر، فلا بد أن يكون القانع محتاجا للوالى، و مفتقرا إلى التفقد المتوالى؛ و أما إذا كان القانع هو الذى تولّى الخطه، و أكسب الهز

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٨٨

الذى أشار إليه و القطه، فهو قياس عكسه كان أقيس، بل تعليم لمن وجد فى نفسه خيفة و أوجس؛ و هأنا قد فهمت و علمت، من حسن تأديبك ما علمت، و على ما فرطت فى جنبك ندمت، و إلى المعذرة و الحمد لله ألهمت؛ و مع ذلك أعيد حديث الشيخ القاضى، و ذكر عهدك به فى الزمان الماضى؛ فلقد أجاد فى الخضاب بالسواد، و اعتمد على قول المالكى الذى هدى إلى الرشاد، و أوجه بعضهم فى بلاد الجهاد؛ و بين عمر منافع الخضاب الصادقة للإشهاد، و خضب بالسواد جماعة من الصيابة الأمجاد؛ و كان ذلك ترخيصا لم يعد شرعا، لكنه دفع شرا و جلب نفعاً؛ لا كأخيه الذى أبكى عين الحميم، و أنشد قول الرضى يوم السقيم، و فجع

قلوب أترابه، و لم يأت بيت النصف من بابه؛ و إلا فقد علم أن في الخير مشروع، و تعجل الشيء قبل أوانه ممنوع، و استغبط أخاك و لو بعد حين، و ما كل صاحب يحمد في إيضاح و تبين، و إنى لأرجو أن تتزوجها بكرا، تلاعبها و تلاعبك، أو ثيبا تقصر عن حبها مآربك؛ فلا- جرم ترجع إلى الخضاب، و حينئذ تمع برشف الرضاب؛ و إلا قالت سيدي، لا تعظم المنى، و لا تجعل القطر قبل أن يموت عمر؛ لعمر الله إن هذا الموقف صعب، قد ملأ الروح منه روع و رعب؛ و إن أضاف إلى ذلك غلبة الأوهام، و ظن الشيخوخة الصادرة عن نيل المرام، سكن المتحرك المصلوب، و تنغص عند ذلك المحبوب؛ و الله يعينك أيها المولى، و يواليك من بسطه أضعاف ما ولي. و أما الأوصاف التي حسبتها أوصافي، و أوجبت حكمها بالقياس على خلافي، فهي لعمرى أوصاف لا تتراد، و مراعى لا شك أنها تتراد؛ غير أنى بعيد العهد بهذه البلاد، لا أمت لها إلا بالانتساب و الميلاد، لا كالقضاء الذين ذكرت لهم عهدا، و نظمت حلاهم في جيد الدهر عقدا؛ و لو أنك بسرّك بصيرتني بشروط القضاء و سجايا أهل الصرامة و المضاء، لحققت المناط، و أظهرت الزهد و الاغتباط؛ لكنى جهلت و الآن ألهمت؛ و ما علم الإنسان إلا ليعلم، و الله يهدينا إلى الذي يكون أحسن و أقوم؛ و إنى لأعلم سيدي بخبرى، و أطلع جلاله على عجرى و بجرى؛ و لكنى رحلت عن تلك الحضرة، و عدمت النظرة في تلك النظرة؛ لبست الإهمال، و أطلعت في السفر و الاعتمال، فأقيم بادي الكآبة، مهتاج الصبابة، قد فارقت السكن، و خلفت الدار مثيرة الشجن:

[الوافر]

و كانت جنتي فخرت منها آدم حين أخرجه الضرار

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٨٩

حتى إذا حطت رحلى بالقرى، و قنعت بالزاد الذي كفى معيارا و القرى؛ أدخلت إلى دار ضيقة المسالك، شديدة الظلمة كالليل الحالِك، تذكّرني القبر و أهواله و تنسيني الذي أهواه، بل تزيد على القبر برفل لا يتخلص، و براغيث كزريعة الكتان حين تمحص؛ و بعوض يطيل اللّهُز، و لا تغنى حتى تشرب، و بوق يسقط سقوط الندى، و يزحف إلى فراشي زحف العدا؛ و أراقم خارجة من الكوى، و حيات بلدغها نزاعة للشوى؛ و جنون يسمع عزيها، و سراق لا يعدم تخويها؛ هذا و لا قرق لمن بالقهر حبس، إلا حصير قد اسود من طول ما لبس؛ لا يجتري في طهارته بالنضح، و لا يحشد من جلس عليه إلا بالجرح؛ حتى إذا سجا الليل، و امتد منه على الآفاق الذيل، فارقتي العون فراق الكرى، و رأيت الدمع لما جرى قد جرى؛ فأتوسد و الله ذراعي، و لأحمد و الله اضطجاعي؛ فكللا ليلى محمومين، و الوجع و الشّهر محمولان على الرأس و العين؛ حتى إذا طلع الصبح، و آن لبالي و عيون الخصوم الفتح، أتاني عون قد انحنى ظهره ظهره، و تيف عن المائة عمره، لا يشعر بالجون الصّيب، و لا تسمعه كلمات أبي الطيّب؛ بربرى الأصل، غير عارف بالفصل؛ حتى إذا أذنت للخصوم، و أردت إحياء الرسوم، دخل على غولان عاقلان، و أثقل كتفى منهما مائلان، قد أكلا الثوم التّيء و البصل، و عرفا في الزّنانير عرفا اتّصل، يهديان إلى تلك الروائح، و يظهران لي المخازي و الفضائح؛ فإذا حكمت لأحدهما على خصمه، و أردت الفصل الذي لا مطعم في فصمه؛ هرب العون هربا، و قضى من النجاة بنفسه أربا؛ و اجتمع إلى النصحاء، و جاء المرضى و الأصحاء، كلّ يقول أ تريد تعجيل المنايا، و إثكال الولايا، و إتعاب صديقك الشّيد العماد، بمرتبة كما فعل مع القاضي الحدّاد؛ فأقول هذا جهاد، و ما لي في الحياة مراد، فأرتكب الخطر، و أقضى في الحكم الوطر، و الله يسلم، و يكمل اللطف و يتّم. و أما إذا جاء أحدكم لكتب عقد، و طمعت في نسيئه أو نقد، قطعت يومى في تفهّم مقصده، مستعيذا بالله من غضبه و حرده؛ حتى إذا ما تخلّصت منه، و ملأت السّجل بما أثبتته عنه، كشف عن أنياب عضل، و عبس عبوس المحب لانقطاع وصل؛ و قال: لقد أخطأت فيما كتبت، و رسمت ما أردت و أحببت؛ فأكتب عقدا ثانيا و ثالثا، و أرتقب مع كل كلام حادث حادثا؛ فإذا رضى، فأسأله كيف؛ و سنّ السّالى الذي أظهره، أو اسمه أو السيف، أخرج من فمه درهما ننتا، قد لزم ضرسا عفنا؛ فأعاجله في البخور، و أحكّه في الصّخور، حتى إذا حمل لمن يبيع

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٩٠

خبز الدرّة منتنا، و يرى أنه قد فضل بذلك أنسا و حسنا، و جده ناقصا زائفا، فيرجع حامله و جلا خائفا، و يبقى القاضي فقيد الهجوع،

يشدّ الحجر على بطنه من الجوع، على أنني أحمد خلاء البطن، و ما بجسمي لا- يحكى من الوهن؛ لتعدّر المرحاض، و بعد ماء الحياض، و كمون السباع في الغياض، و تعلق الأفاعى بالزداء الفضفاض، و نجاسة الحجارة، و كثرة تردّد السيارة، و الانكشاف للريح العقيم، و المطر المنصبّ إلى الموضع الذميم. هذه الحال، و على شرحها مجال، و قد صدقتك سنن فكرى، و أعلمتك بذات صدرى، فتجلى الغرارة غرور، و شهود الشهد زور، و الطمع فى الصيرة إصرار، و دون التبر يعلم الله تيار. و أما الكبش، فحظى منه غباره إذا خطر، و الثور بقرنه إذا العيد حضر، كما أن حظى من الجدى التأذى بمسلكه، و إن جدى السماء لأقرب لى من تملكه، و أنا من الحلاوة سالم ابن حلاوة، و لا أعهد من طرف الطرف الدماوة، و دون الدجاج كل مدحج، و عوض الأترج رجة بكل معرج، و لو عرفت أنك تقبل على علانها الهدايا، و توجب المزيد لأصحابك المزايا، لبعثت بالقماش، و أنفذت الزياش، و أظهرت الغنى، و الوقوف بمبنى المنى، و أوردتها عليك من غير هلع، مقلعة فى الجوف بعد بلع، من كل ساحلية تقرب إلى البحر، و عدوية لا تعدّ و صدر مجلس الصدر، حتى أجمع بين الفاكهة و الفكاهة، و يبدو لى بعد الشقف وجوه الوجاهة، و أتبرأ من الصدد المذموم، و لا أكون أهدأ من القطا لطرق اللوم؛ لأنك زهدت فى الدنيا زهد ابن أدهم، و ألهمك الله من ذلك أكرم ما ألهم؛ فيدك من أموال الناس مقبوضة، و أحاديث اللها الفاتحة لها مرفوضة؛ و إذا كان المرء على دين خليله، و من شأنه سلوك نهجه و سبيله، فالأليق أن أزهده فى الصيفراء و البيضاء، و أقابل زخرف الدنيا بالبغضاء، و أحقق و أرجو على يدك حسن التخلّى، و الاطلاع على أسرار التجلى؛ حتى أسعد بك فى آخرتى و دنياى، و أجد بركة خاطر ك فى مماتى و محياى؛ أبقاك الله بقاء يسر، و أمتع بمنابك التى يحسدها الياقوت و الدر، و لا زلت فى سيادة تروق نعتا، و سعادة لا ترى فيها عوجا و لا أمتا، و أقرأ عليك سلاما عاطر العرف، كريم التأكيد و العطف، ما رثى لحالى راث، و ذكرت أداية حراث، و رحمة الله و بركاته. و كتبه أخوك و مملوكك، و شيعه مجدك، فى الرابع و العشرين من جمادى الأولى عام أربعة و ستين و سبعمائة.

مولده: بغرناطة عام ثلاثة عشر و سبعمائة.

محنته: توجه رسولا عن السلطان إلى صاحب تلمسان السلطان أحمد بن موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان، و ظفر بالجفن الذى ركه العدو، بأحواز جزيرة حبيبة، من جهة وهران، فأسر هو و من بأسطول الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٩١

سفره من المسلمين؛ و بلغ الخبر فعظم الفجع؛ و بينا نحن نروم سفر أسطول يأخذ النار، و يستقرى الآثار، فيقبل العثار؛ إذ اتصل الخبر بمهادنة السلطان المذكور، ففدى من أسر بذلك المال الذى ينيف على سبعة آلاف من العين فى ذلك؛ فتخلص من المحنة لأيام قلائل، و عاد؛ فتولّى السلطان إرضاء عمّا فقد، و ضاعف له الاستغناء و جدّد؛ و كان حديثه من أحاديث الفرج بعد الشدة محسوبا، و إلى سعادة السلطان منسوبا. و أنشدته شعرا فى مصابه، بعدها، و قد قضيت له من برّ السلطان على عادتى، ما جبر الكسر، و خفض الأمر: [المتقارب]

خلصت كما خلص الزّبرقان و قد محق الثور عنه السرار

و فى السّيّق و الرافى هذا سرّ و فى ذا أسرار

و كان تاريخ هذه المحنة المردفة المنحة، حسبما نقلته من خطّه؛ قال: «اعلموا يا سيدي أبقاكم الله تعالى، أنّ سفرنا من المريّة، كان فى يوم الخميس السادس لشهر ربيع الآخر من عام ثمانية و ستين و سبعمائة، و تغلب علينا العدو فى عشية يوم الجمعة الثانى منه، بعد قتال شديد؛ و كان خروجنا من الأسر فى يوم السبت الثانى و العشرين لربيع الثانى المذكور، و كان وصولى إلى الأندلس فى أسطول مولانا نصره الله، فى جمادى الآخرة من العام المذكور، بعد أن وصلوا قرطاجنة و أخذوا أجفانا ثلاثة من أجفان العدو، و عمل المسلمون الأعمال الكريمة».

قال ابن عبد الملك: كذا وقفت على نسبه بخطه في غير ما موضع من أهل مورّة، و سكن إشبيلية.

حاله: كان متفناً في معارفه، محدّثاً، راويّه، عدلاً، فقيهاً، حافظاً، شاعراً، كاتباً، بارعاً، حسن الأخلاق، وطى الأكناف، جميل المشاركة لإخوانه وأصحابه، كتب بخطه الكثير من كبار الدواوين و صغارها، و كان من أصحّ الناس كتباً، و أتقنهم

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٩٢

ضبطاً و تقييداً، لا تكاد تلقى فيما تولى تصحيحه خلا، و كان رؤوفاً شديد الحنان على الضعفاء و المساكين و اليتامى، صليبا في ذات الله تعالى، يعقد الشروط محتسباً، لا يقبل ثواباً عليها إلّا من الله تعالى.

مشيخته: تلا بالسبع على أبي عمران موسى بن حبيب، و حدّث عن أبي الحسن بن سليمان بن عبد الرحمن المقرئ، و عبد الرحمن بن بقى، و أبي عمرو ميمون بن ياسين، و أبي محمد بن عتاب، و تفقه بأبويّ عبد الله بن أحمد بن الحاج، و ابن حميد، و أبي الوليد بن رشد، و أجاز له أبو الأصبح بن مناصف، و أبو بكر بن قزمان، و أبو الوليد بن طريف.

من روى عنه: روى عنه أبو جعفر، و أبو إسحاق بن عليّ المزدالي، و أبو أمية إسماعيل بن سعد السعود بن عفير، و أبو بكر بن حكم الشرمسى، و ابن خير، و ابن تسع، و ابن عبد العزيز الصدفي، و أبو الحجاج إبراهيم بن يعقوب، و أبو علي بن وزير، و أبو الحسن بن أحمد بن خالص، و أبو زيد محمد الأنصاري، و أبو عبد الله بن عبد العزيز الذهبي، و أبو العباس بن سلمة، و أبو القاسم بن محمد بن إبراهيم المراعي، و أبو محمد بن أحمد بن جمهور، و عبد الله بن أحمد الأطلس.

تواليفه: دون برنامجاً ممتعاً ذكر فيه شيوخه، و كفيّة أخذه عنهم، و له رجز في الفرائض مشهور، و منظوم كثير، و ترسّيل منوع، و خطب مختلفة المقاصد، و مجموع في العروض.

دخوله غرناطة: قال المؤرّخ: و في عام أربعة و خمسين و خمسمائة، عند تغيب الخليفة بالمهدية، استدعى السيد أبو سعيد الوالى بغرناطة، عند استقراره بها، الحافظ أبا بكر بن الجدد، و الحافظ أبا بكر بن حبّيش، و الكاتب أبا القاسم بن المراعي، و الكاتب أبا إسحاق بن فرقد، و هو هذا المترجم به، فأقاموا معه مدّة تقرب من عامين اثنين بها.

شعره: مما ينقل عنه قصيدة شهيرة في رثاء الأندلس: [المتقارب]

ألا مسعد منجز ذو فطن يبكي بدمع معين هتن

جزيرة أندلس حسرة لا غالب من حقوق الزّمن

و يندب أطلالها آسفوا يرثي من الشّعر ما قد وهن

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٩٣ و يبكي الأيامى و يبكي اليتامى و يحكى الحمام ذوات الشّجن

و يشكو إلى الله شكوى شج و يدعوه في السّر ثم العلن

و كانت رباطاً لأهل التّقى فعادت مناظراً لأهل الوثن

و كانت معاذاً لأهل التّقى فصارت ملاذاً لمن لم يدين

و كانت شجى في حلق العدا فأضحى لهم مالها محتجن

و هي طويلة، و لدىّ خلاف فيمن أفرط في استحسانها. و شعره عندى وسط.

و من شعره و هو حجّة في عمره عند الخلاف في ميلاده و وفاته، قال: [الطويل]

ثمانون مع ستّ عمرت و ليتنى أرقّت دموعى بالبكاء على ذنب

فلا الدّمع في محو الخطيئة غنية إذا هاج من قلب منيب إلى الرّب

فيا سامع الأصوات رحماك أرتجى فهب إنسكاب الدّمع من رقة القلب

و زكّ الذي تدرّيه من شيمة تعلق بالمظلوم من شدّة الكرب
و زكّ مثابى فى العقود و كتبها لوجهك لم أقبل ثوابا على كتب
و لا تحرمنى أجر ما كنت فاعلافحقّ اليتامى عندى من لذى صعب
و لا تخزنى يوم الحساب و هو له إذا جئت مذعورا من الهول و الرعب
مولده: حسبما نقل من خط ابنه أبى جعفر، ولد، يعنى أباه سنه أربع و ثمانين و أربعمائة .
وفاته: بعد صلاة المغرب من ليلة الثلاثاء الثامن عشر من محرم عام اثنين و سبعين و خمسمائة. و نقل غير ذلك.

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيد بن محمود النفرى

أبذى الأصل، غرناطى الاستقرار، و يكنى أبا إسحاق.

حاله: خاتمة الرّحال بالأندلس، و شيخ المجاهدات و أرباب المعاملات، صادق الأحوال، شريف المقامات، مأثور الإخلاص مشهور الكرامات، أصبر الناس على

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٩٤

مجاهداته، و أدومهم على عمل و ذكر و صلاة و صوم، لا يفتر عن ذلك و لا ينام، آية الله فى الإيثار، لا يدّخر شيئا لغد، و لا يتحرّف بشىء، و كان فقيها حافظا، ذا كرا للغة و الأدب، نحويا ماهرا، درس ذلك كله أول أمره، كريم الأخلاق، غلب عليه التصوّف فشهّر به، و بمعرفة طريقه الذى ندّ فيها أهل زمانه، و صنّف فيها التصانيف المفيدة.

ترتيب زمانه: كان يجلس إثر صلاة الصبح لمن يقصده من الصالحين، فيتكلم لهم بما يجريه الله على لسانه، و يبيّن من تفسير، و حديث و عظة، إلى طلوع الشمس؛ فيتنفل صلاة الصّحى، و ينفل إلى منزله، و يأخذ فى أوراده، من قراءة القرآن و الذكر و الصلاة إلى صلاة الظهر، فيبكر فى رواجه، و يوالى التنفل إلى إقامة الصلاة، ثم كذلك فى كل صلاة، و يصل ما بين العشاءين بالتنفل، هذا دأبه أبدا.

و كان أمره فى التوكّل عجبا، لا يلوى على سبب، و كانت تجبى إليه ثمرات كلّ شىء، فيدفع ذلك بجملته، و ربما كان الطعام بين يديه، و هو محتاج، فيعرض من يسأله، فيدفعه جملة، و يبقى طاويا، فكان الضعفاء و المساكين له ليذا ينسلون من كل حدب، فلا يردّ أحدا منهم خائبا، و نفع الله بخدمته و صحبتته، و استخرج بين يديه عالما كثيرا.

مشيخته: أخذ القراءة عن أبى عبد الله الحضرمى، و أبى الكوم جودى بن عبد الرحمن، و الحديث عن أبى الحسن بن عمر الوادى آشى، و أبى محمد عبد الله بن سليمان بن حوط الله، و النحو و اللغة عن ابن يربوع و غيره. و رحل و حجّ، و جاور و تكزّر. و لقى هناك غير واحد، من صدور العلماء و أكابر الصوفية، فأخذ صحيح البخارى سماعا منه سنه خمس و ستمائة عن الشّريف أبى محمد بن يونس، و أبى الحسن على بن عبد الله بن المغربانى، و نصر بن أبى الفرج الحضرمى، و سنن أبى داود و جامع الترمذى على أبى الحسن بن أبى المكارم نصر بن أبى المكارم البغدادى، أحد السامعين على أبى الفتح الكروخى، و أبى عبد الله محمد بن مسترى الحمه، و أبى المعالى بن وهب بن البنا، و ببجاية عن أبى الحسن على بن عمر بن عطية.

من روى عنه: روى عنه خلق لا يحصون كثرة؛ منهم أحمد بن عبد المجيد بن هذيل الغسانى، و أبو جعفر بن الزبير، و غيره. توألفه: صنّف فى طريقة التصوّف و غيرها تصانيف مفيدة؛ منها «مواهب العقول و حقائق المعقول»، و «الغيرة المذهلة، عن الحيرة و التفرقة و الجمع»، و «الرحلة العنوية»، و منها «الرسائل فى الفقه و المسائل»، و غير ذلك.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٩٥

شعره: له أشعار فى التصوّف بارعة، فمن ذلك ما نقلته من خط الكاتب أبى إسحاق بن زكريا فى مجموع جمع فيه الكثير من القول:

[الوافر]

يضيق على من وجدى الفضاء و يقلقنى من الناس العناء
 و أرض الله واسعة و لكن أبت نفسى تحيط بها السماء
 رأينا العرش و الكرسيّ أعلى فواليناهما حرم الولاء
 فأين الأين منّا أو زمان بحيث لنا على الكلّ استواء
 شهدنا للإله بكلّ حكم فغاب القلب و انكشف الغطاء
 و يدعونى الإله إليه حقاً فيؤنسنى من الخوف الرجاء
 و يقبضنى و يبسطنى و يقضى بتفريقى و جمعى ما يشاء
 و يعى فى وجود الخلق نحو اينعت من تولّاه الفناء
 فكم أخفى وجودى وقت فقدى كأن الفقد و الإحيا سواء
 فسكر ثم صحو ثم سكر كذاك الدهر ليس له انقضاء
 فوصفى حال من وصفى و لكن ظهور الحقّ ليس له خفاء
 إذا شمس النهار بدت تولّت نجوم الليل ليس لها انجلاء
 و من شعره: [البسيط]

كم عارف سرحت فى العلم همّته فعقله لحجاب العقل هتاك
 كساه نور الهدى بردا و قلده درّاً ففى قلبه للعلم أسلاك
 كسب ابن آدم فى التحقيق كسوته إنّ القلوب لأنوار و أحلاك
 كلّف فؤادك ما ييدى عجائبه إنّ ابن آدم للأسرار درّاك
 كيف و كم و متى و الأين منسلب عن وصف باربيها و الجهل تباك الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج ١ ؛ ص ١٩٥
 كبير و قدس و نزه ما أطق فلم يصل إلى ملك الأملاك أملاك
 كرسيه ذلّ و العرش استكان له و نزه الله أملاك و أفلاك
 كلّ يقرب أنّ العجز قيده و العجز عن درك الإدراك درّاك

و قال: و هو ما اشتهر عنه، و أنشدها بعض المشاركة فى رحلته فى غرض اقتضى ذلك، يقتضى ذكره طولاً: [البسيط]
 يا من أنامله كالمزن هامية وجود كفيه أجرى من يجاريها
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٩٦ بحق من خلق الإنسان من علق انظر إلى رقعتى و افهم معانيها
 أنى فقير و مسكين بلا سبب سوى حروف من القرآن أتلوها
 سفينة الفقر فى بحر الرجا غرقت فامن عليها بريح منك يجريها
 لا يعرف الشوق إلّا من يكابده و لا الصّبا به إلّا من يعانيها
 و قال القاضى أبو عبد الله بن عبد الملك، و قد ذكره: على الجملة فيه ختم جله أهل هذا الشأن بصقع الأندلس، نفعه الله و نفع به.
 مولده: ولد بجيان سنة اثنتين و ستين و خمسمائة أو ثلاث و ستين.

إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبى بكر التّسولّى

من أهل تازى، يكنى أبا سالم، و يعرف بابن أبى يحيى.

حاله: من أهل «الكتاب المؤتمن»: كان هذا الرجل قيما على «التّهذيب»، و «رسالة ابن أبي زيد»، حسن الإقراء لهما؛ و له عليهما تقييدان نييلان، قيدهما أيام قراءته إياهما على أبي الحسن الصيّغير، حضرت مجالسه بمدرسة عدوة الأندلس من فاس، و لم أر في متصدري بلده أحسن تدريبا منه. كان فصيح اللسان، سهل الألفاظ، موفيا حقوقها، و ذلك لمشاركته الحضر فيما في أيديهم من الأدوات؛ و كان مجلسه وقفا على «التّهذيب» و «الرسالة»؛ و كان مع ذلك شيئا فاضلا، حسن اللقاء، على خلق بائن من أخلاق أهل مصره. امتحن بصحبة السلطان، فصار يستعمله في الرسائل، فمرّ في ذلك حظّ كبير من عمره ضائعا، لا في راحة دنيا، و لا في نصيب آخرة. ثم قال: هذه سنّة الله فيمن خدم الملوك، ملتفتا إلى ما يعطونه، لا- إلى ما يأخذون من عمره و راحته، أن يبوؤا بالصّيغة الخاسرة، لطف الله بمن ابتلى بذلك، و خلّصنا خلاصا جميلا.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٩٧

و من كتاب «عائد الصلّة»: الشيخ، الحافظ، الفقيه، القاضي، من صدور المغرب، مشارك في العلم، متبحرا في الفقه، كان وجيها عند الملوك، صحبهم، و حضر مجالسهم، و استعمل في السفارة، فلقيناه بغرناطة، و أخذنا بها عنه؛ تامّ السّراوة، حسن العهد، مليح المجالس، أنيق المحاضرة، كريم الطبع، صحيح المذهب. تصانيفه: قيّد على «المدوّنة» بمجلس شيخه القاضي أبي الحسن كتابا مفيدا و ضمّ أجوبته على المسائل في سفر، و شرح كتاب «الرسالة» شرحا عظيم الفائدة.

مشيخته: لازم أبا الحسن الصغير، و هو كان قارئ كتب الفقه عليه، و جلّ انتفاعه في التفقه به. و روى عن أبي زكريا بن أبي ياسين، قرأ عليه كتاب «الموطأ»، إلّا كتاب «المكاتب»، و كتاب «المدبر»، فإنه سمعه بقراءة الغير، و عن أبي عبد الله بن رشيد، قرأ عليه «الموطأ»، و «شفاء» عياض، و عن أبي الحسن بن عبد الجليل السّيداري، قرأ عليه «الأحكام الصغرى» لعبد الحق، و أبي الحسن بن سليمان، قرأ عليه «رسالة ابن أبي زيد»، و عن غيرهم.

وفاته: فلعج بآخرة، فالتزم منزله بفاس يزوره السلطان فمن دونه، و توفي بعد عام ثمانية و أربعين و سبعمائة.

إبراهيم بن محمد بن علي بن محمد ابن أبي العاصي التّوخي

إشارة

أصله من جزيرة طريف، و نشأ بغرناطة و اشتهر.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٩٨

حاله: من «عائد الصلّة»: كان نسيج وحده حياء، و صدقة، و تخلّقا، و مشاركة، و إثارا. رحل عند استيلاء العدو على جزيرة طريف، عام أحد و سبعين و ستمائة، متحوّلا إلى مدينة سبتة، فقرأ بها و استفاد. و ورد الأندلس، فاستوطن مدينة غرناطة، و كتب في الجملة عن سلطانها، و ترقى معارج الرّتب، حالّا محالا، من غير اختلاف على فضله، و لا نزاع في استحقاقه، و أقرأ فنونا من العلم، بعد مهلك أستاذ الجماعة أبي جعفر بن الزبير، بإشارة منه به؛ و ولى الخطابة و الإمامة بجامعها منتصف صفر عام ستّة عشر و سبعمائة، و جمع بين القراءة و التدريس، فكان مقرئا للقرآن، مبرزًا في تجويده، مدرّسا للربّية و الفقه، آخذًا في الأدب، متكلّما في التفسير، ظريف الخط، ثبتا محققا لما ينقله. و ألقى الله عليه من المحبة و القبول، و تعظيم الخلق له، ما لا عهد بمثله لأحد؛ بلغ من ذلك مبلغا عظيما، حتى كان أحبّ إلى الجمهور من أوصل أهلهم و آبائهم، يتراحمون عليه في طريقه، يتمسّحون به، و يسعون بين يديه، و من خلفه، و يتراحم مساكينهم على بابه، قد عوّدهم طلاقة وجهه، و مواساته لهم بقوته، يفترقه عليهم متى وجدوه، و ربما أعجلوه قبل استواء خيزه، يفترقه عليهم عجينا، له في ذلك أخبار غريبة. و كان صادعا بالحق، غيورا على الدين، مخالفا لأهل البدع، ملازما للسّنة، كثير الخشوع

و التخلّق على علوّ الهَيْئَةِ، مبدول المشاركة للناس و الجدّ في حاجاتهم، مبتليا بوسواس في وضوئه، يتحمل الناس من أجله مضضا في تأخير الصلوات و مضايقة أوقاتها.

مشيخته: قرأ ببلده على الخطيب القاضي المقرئ أبي الحسن عبيد الله بن عبد العزيز القرشي، المعروف بابن القارئ، من أهل إشبيلية، و قرأ بسبته على الأستاذ إمام المقرئين لكتاب الله، أبي القاسم محمد بن عبد الرحمن بن الطيب بن زرقون القيسي الضرير، نزيل سبته، و الأستاذ أبي إسحاق الغافقي المريوني، و قرأ على الشيخ الوزير أبي الحكم بن منظور القيسي الإشبيلي، و على الشيخ الراوية الحاج أبي عبد الله محمد بن الكتامي التلمساني بن الخضار، و قرأ بغرناطة على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، و أخذ عن أبي الحسن بن مستقور.

شعره: كان يقرض شعرا وسطا، قريبا من الانحطاط. قال شيخنا أبو بكر بن الحكيم في كتابه المسمى ب «الفوائد المنتخبة، و الموارد المستعذبة»: كتب إليه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٩٩

شيخنا و بركتنا أبو جعفر بن الزيات في شأن شخص من أهل البيت النبوي بما نصّه:
[الخفيف]

رجل يدعى القرابة للبيت و إنّ الثريا منه بمعزل
سال مني خطابكم و هو هذاو لكم في القلوب أرفع منزل
فهوبه دعاءكم و امنحوني منه حظا ينمي الثواب و يجزل
و عليكم تحية الله مادام أمير الهدى يولّي و يعزل
فأجابه: [الخفيف]

يا إمامي و من به قطركم ذاك و حادي البلاد أطيّب منزل
لم أضع ما نظمت من يدي حتى أنيل الشريف تحفة منزل
و حباه بكلّ منح جزيل من غدا يمنح الثواب و يجزل
دمتم تشرون علما ثواب الله فيه لكم أعزّ و أجزل
تذكرون الله ذكرا كثيرا و عليكم سكينه الله تنزل
و طلبتم منّي الدعاء و إنّني عند نفسي من الشروط بمعزل
لكن ادعو و لتدع لي برضا الله و أبدى فهم ذكر قد أنزل
و حديث الرسول صلّي عليه كل وقت و ربّ لنا الغيث ينزل
و عليكم تحيتي كل حين ما اطمأنت بمكة أمّ معزل
قال: و مما أنشدني من نظمه أيضا في معرض الوصية للطلبة: [الكامل]

اعمل بعلمك تؤت علما إنماعدوى علوم المرء منح الأقوم
و إذا الفتى قد نال علما ثم لم يعمل به فكأنما لم يعلم
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٠٠

و قال موطنًا على البيت الأخير: [المتقارب]

أمولاي أنت الغفور الكريم لبذل التّوال مع المعذرة
علّي ذنوب و تصحيفها و من عندك الجود و المغفرة

إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الأنصاري الخزرجي أمير المؤمنين بالأندلس، رحمه الله.

أوليته: تقرر عند ذكر الملوك من قومه في اسم صنو جدّه، أمير المسلمين أبي عبد الله الغالب بالله.

حاله: من كتاب «طرفه العصر في تاريخ دولة بني نصر» من تصنيفنا :

«كان، رحمه الله، حسن الخلق، جميل الزواء، رجل جدّ، سليم الصدر، كثير الحياء، صحيح العقل، ثبًا في المواقف، عفيف الإزار، ناشئًا في حجر الطهارة، بعيدًا عن الصبوة، بريئًا من المعاقرة. نشأ مشتغلًا بشأنه، متبنيًا نعمه أبيه، مختصًا بإيثار السلطان جدّه أبي أمه، و ابن عم والده، منقطعًا إلى الصّيد، مصروف اللذة إلى استجادة سلاحه، و انتقاء مراكبه، و استفراه جوارحه، إلى أن أفضى إليه الأمر، و ساعدته الأيام، و خدمه الجدّ، و تنقل إلى بيته الملك به، و ثوى في عقبه الذّكر، فبذل العدل في رعيته، و اقتصد في جبايته، و اجتهد في مدافعه»

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٠١

عدو الله، و سدّ ثلم ثغوره، فكان غزوة في قومه، و درّة في بيته، و حسنة من حسنات دهره. و سيرد نبذ من أحواله، مما يدلّ على فضل جلاله».

صفته: كان معتدل القدّ، و سيم الصورة، عبل اليدين، أبيض اللون، كثير اللحية، بين السواد و الصهبوة أنجل أعين أفوه مليح العين، أقتى الأنف، جهير الصوت؛ أمه الحرّة الجليّة، العريضة في الملوك، فاطمة بنت أمير المؤمنين أبي عبد الله نخبه الملك، و واسطة العقد، و فخر الحرم، البعيدة الشّأو في العزّ و الحرمة، و صلة الرّعي، و ذكر التراث. و اتصلت حياتها، ملتزمة الرأى، برنامجا للفوائد، تاريخا للأنسب، إلى أن توفيت في عهد حفيدها السلطان أبي الحجاج، رحمها الله، و قد أنفت على تسعين من السنين، فكان الحفل في جنازتها، موازيا لمنصبها، و متروكها، المفضى إليه خطيره، و قلت في رثائها: [الطويل]

نبيت على علم بغائلة الدهرو نعلم أنّ الخلق في قبضة الدّهر
و نركن للدنيا اغترارا بقهرها و حسبك من يرجو الوفاء من الغدر
و نمطل بالعزم الزّمان سفاهة فيوم إلى يوم، و شهر إلى شهر
و تغرى بها نفسى المطامع و الهوى و نرفض ما يبقى ضيعة العمر
هو الدهر لا يبقى على حدثانه جديد و لا ينفك من حادث نكر
و بين الخطوب الطارقات تفاضل كفضل من اغتالته في رفعة القدر
ألم تر أنّ المجد أقوت ربوعه و صوّح من أدواحه كل مخضّر
و لاحت على وجه العلاء كآبة فقّطب من بعد الطلاقة و البشر
و ثبت اسمها في الوفيات من الكتاب المذكور بما نصّه:

«السلطانة الحرّة، الطاهرة، فاطمة بنت أمير المسلمين أبي عبد الله ابن أمير المسلمين الغالب بالله، بقيّة نساء الملوك، الحافظة لنظام الإمارة، رعا للمتات، و صلة للحرمة، و إسداء للمعروف، و ستر للبيوتات، و اقتداء بسلفها الصالح، في نزاهة النفس، و علو الهمة، و متانة الدين، و كشف الحجاب، و نفاذ العزم، و استشعار الصبر.

توفيت في كفالة حفيدها أمير المسلمين أبي الحجاج، مواصلا برّها، ملتمة دعاها،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٠٢

مستفيدا تجربتها و تاريخها، مباشرة مواراتها بمقبرة الجنان، داخل الحمراء، سحر يوم الأحد السابع لذي حجة، من عام تسعة و أربعين و سبعمائة».

أولاده: تخلف من الولد أربعة؛ أكبرهم محمد، ولّى الأمر من بعده، و فرج شقيقه التالي له بالسّن، المنصرف عن الأندلس بعد مهلك أخيه المذكور، المتقلب في الإيالات، الهالك أخيراً في سجن قصبه ألمرية عام أحد وخمسين و سبعمائة، مظنوناً به الاغتيال، ثم أخوه أمير المسلمين أبو الحجاج، تغمده الله برحمته، أقعد القوم في الملك، و بعدهم أمدا في السعادة، ثم إسماعيل أصغرهم سناً، المبتلى في زمان الشيبه في الثقاف المخيف مدة أخيه، المستقرّ الآن موادعا مرفودا، بقصر المستخلص من ظاهر شالوبانية، و بتنين ثنتين من حظيته علوه، عقد عليهما أخوهما أبو الحجاج، لرجلين من قرابته.

وزراؤه: وزر له أول أمره القائد البهمة أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح الفهري، و بيت هؤلاء القواد شهير، و مكانتهم من الملوك النصرين مكينة. أشرك معه في الوزارة الفقيه الوزير أبا الحسن علي بن مسعود بن علي بن مسعود المحاربي، من أعيان الحضرة، و ذوى النباهة، فجاذب رفيقه حبل الخطه، و نازعه لباس الحظوة، حتى ذهب باسمها و مسماها. و هلك القائد أبو عبد الله بن أبي الفتح، فخلص له شربها، و سيأتى التعريف بكل على انفراد.

كتابه: كتب عنه لأول أمره بمالقه، ثم بطريقه إلى غرناطه، و أياما يسيره بها، الفقيه الكاتب أبو جعفر بن صفوان المتقدم ذكره. ثم ألقى المقادة إلى كاتب الدولة قبل، شيخنا أبي الحسن بن الجيّاب فاصل الخطه، و بارى القوس، و اقتصر عليه إلى آخر أيامه. قضاته: استقضى أخوا وزيره، الشيخ الفقيه أبا بكر بن يحيى بن مسعود بن علي، رجل الجزالة، و فيصل الحكم، فاشتد في إقامة الحكم، و غلظ بالشرع، و استعان بالجاه، فخيقت سطوته، و استمرّ قاضيا إلى آخر أيامه.

الإحاطة في أخبار غرناطه، ج ١، ص: ٢٠٣

رئيس جنده الغربى: الشيخ البهمة، لباب قومه، و كبير بيته، أبو سعيد عثمان بن أبي العلاء إدريس بن عبد الله بن عبد الحق، مشاركا له في النعمة، ضاربا بسهم في المنحة، كثير التجنى و الدلالة، إلى أن هلك المخلوع، و خلا الجوّ، فكان منه بعض الإقصار. الملوك على عهده: و أولا بعدوه المغرب: كان على عهده من ملوك المغرب السلطان الشهير، جواد الملوك، الرّحّب الجنب، الكثير الأمل، خدن العافية، و محالف الترفيه، مفحم النّعيم، السعيد على خاصته و عامته، أبو سعيد عثمان بن السلطان الكبير، المجاهد، المرابط، أبو يوسف بن عبد الحق. و جرت بينه و بينه المراسلات، و اتصلت أيامه بالمغرب بعد مهلكه و صدرا من أيام ولده أبي عبد الله حسبما مرّ عند ذكره.

و بمدينة تلمسان، وطن القبلة، الأمير أبو حمّو موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان. ثم توفى قتिला على عهده بأمر ولده المذكور، و استغرقت أيام ولده المذكور الوالى بعده، إلى أن هلك فى صدر أيام أبى الحجاج؛ و جرت بينه و بين الأمير مراسلات و هدايات. و بمدينة تونس، الشيخ المتلقّب بأمر المؤمنين أبو يحيى زكريا بن أبى حفص المدعو باللّحيانى، المتوثّب بها على الأمير أبى البقاء خالد بن أبى زكريا بن أبى حفص، و هو كبير، إلّا أن أباه حفص أكبر سنّا و قدرا، و قد تملك تونس تاسع جمادى الآخرة من عام ظهر له اضطراب من بها، أحد عشر و سبعمائة، و تمّ له الأمر. و اعتقل أباه البقاء بعد خلعه، ثم اغتاله فى شوال عام ثلاثة عشر و سبعمائة، ثم رحل عن تونس لما ظهر له من اضطراب أمره بها، و توجه إلى طرابلس فى وسط عام خمسة عشر، و استتاب صهره الشيخ أباه عبد الله بن أبى

الإحاطة في أخبار غرناطه، ج ١، ص: ٢٠٤

عمر، و لم يعد بعد إليها. ثم اضطرب أمر إفريقيه، و تنوّبه عدة من الملوك الحفصيين، منهم الأمير أبو عبد الله بن أبى عمر المذكور، و أبو عبد الله بن اللّحيانى، و السلطان أبو بكر بن الأمير أبى زكريا بن الأمير أبى إسحاق، لبنه تمامهم، و آخر رجالهم، و استمرت أيامه إلى أيام ولده الأمير بالأندلس و معظم أيام ولديه، رحم الله الجميع.

و من ملوك الروم بقشتاله؛ كان على عهده مقرونا بالعهد القريب من ولايته، الطاغية هرانده بن شانجه بن ألهنشه بن هرانده المجتمع له ملك قشتاله و ليون، و هو المتغلب على إشبيلية، و قرطبه، و مرسية، و جيان؛ ابن ألهنشه الذى جرت له و عليه هزيمة الأرك و

العقاب ، ابن شانجه بن الهنشة المسمى إنبردور، و هو الذي أفرد صهره و زوج بنته بملك برتقال، إلى أجداد، يخرجنا تقصّي ذكرهم عن الغرض.

و من ملوك رعون من شرق الأندلس، الطاغية جايمش بن بطره بن جايمش الذي تغلب على بلنسية، ابن بطره بن الهنشة ، إلى أجداد عدة كذلك. ثم هلك في أخريات أيامه، فولّى ملك أرغون بعده الهنشة بن جايمش إلى أخريات أيامه.

و برتقال الهنشة بن يومس بن الهنشة بن شانجه بن الهنشة بن شانجه بن الهونشة ، و تسمى أولا دوقا. ذكر تصير الأمر إليه: لما ولي الأمر بالأندلس، حرسها الله، السلطان أبو الجيوش نصر بن السلطان أبي عبد الله محمد بن السلطان الغالب بالله أبي عبد الله بن

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٠٥

نصر، يوم عيد الفطر من عام ثمانية و سبعمائة، بالهجوم على أخيه أبي عبد الله الزّمن المقعد، الآمن في ركن بيته، و اغتيال ابن الحكيم وزيره ببابه، و الإشادة بخلعه حسبما يأتي في موضعه، استقرّ الأمر على ضعف أخيه، و سارع دخلته، فساعت السيرة لمنافسة الخاصة، و كان الرئيس الكبير عميد القرابة، و علم الدولة أبو سعيد فرج، ابن عمّ السلطان المخلوع، و أخيه الوالي بعده، راسخا قدمه و عرفه، بمثوبة الوارث، و نظره عن أبيه المسوّغ عن جدّه مالفه و ما إليها، و نظره مدينة سبتّه، المضافة إلى إيالة المخلوع عن عهد قريب، قد أفرد بها ولده المترجم به، و جميعهم تحت طاعته، و في زمان انقياد سوغ مديد الدولة، بل مدّ سروها لما شاء عزّ و جلّ من احتوائهم في حبل هذا الدليل، يتعقبون على الرئيس الكبير أمورا تثر مخيمة الصدور، و تستدعي فرض الطاعة، و تحتوى على مظنات مخلة، و احترسوا صافيات منافعه، و أوعزوا إلى ولاة الأعمال بالتضييق على رجاله، و صرفوا سننه عن نظره. و لما بادر إلى الحضرة لإعطاء صفقة البيعة و تهنئة السلطان نصر عن روحه و ابن عمّه، على عادته، داخله بعض أرباب الأمر، محذّرا، و مشيرا بالامتناع ببلده، و الدّعاء لنفسه، و وعده بما وسعه، فاستعجل الانصراف إلى بلده، و لم تمرّ إلّا برهة، و اشتعلت نار الفتنة، و هاجت مراحل الحفيظة، فتلاحق به ولده، و أظهر الانفراد و الاستعداد في سابع عشر رمضان من هذا العام. و أقام ولده إسماعيل، يرسم الملك و السلطان، و ربّ له ألقاب الملك، و دوّن ديوان الملك بحسبه، و نازل حضرة أنتقيرة، و ناصبها القتال، فتملكها؛ و دخلت مربلة في طاعته، و تحرّك إلى بلّش فنازلها، و نصب عليها المجانيق فدانت، فضخمت الدعوة، و مكنت الجباية، و التفّ إليه من مساعير الحروب و من أجاب.

و تحرّك إلى غرناطة في أول شهر محرم، عام اثني عشر و سبعمائة، و نزل بقرية العطشا من مرجها. و برز السلطان نصر في جيش خشن ، مستجاد العدة، وافر الرّجل ، فكان اللقاء ثالث عشر الشهر، فأظهر الله أقلّ الفئتين ، و انجرت على الجيش الغرناطي الهزيمة، و كبا بالسلطان نصر فرسه في مجرى سقى لبعض الفدن، فنجا بعد لأي و دخل البلد مفلولا، و انصرف الجيش المالقي ظاهرا إلى بلده. و طال بالرئيس و ولده الأمر و ضرستها الفتنة، و عظم احتياجه إلى المال، و كادت تفضحه المطاوله، و زاحمه الملك بمكلف ضخم، فاقتضى ذلك إذعانه إلى الصلح، و إصغاره المهادنة، على سبيله من المقام ببلده، مسلّما للسلطان في جبايته، جارية و طائفة في رئاسته، و أرزاق جنده، فتمّ ذلك في ربيع الأول من العام المذكور. ثم لقت فتنة في العام

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٠٦

بعده، فعادت جذعة، و كانت ثورة الأشياخ في غرناطة في رمضان من العام المذكور هاتفين بخلعان السلطان، و طاعة مخلوعهم، طالبين منه إسلام وزيره خدن الروم، المتهم على الإسلام أبي عبد الله بن الحاج. ثم لحق زعمائهم بمالقه عند اختلال ما أبرموه، فكانت الحركة الثانية لغرناطة بعد أمور اختصرتها، من استبداد السلطان أبي الوليد بأمره ، و الانحطاط في القبض على أبيه، إلى هوى جنده، و التصميم في طلب حقه، فاتصل سيره، و احتلّ بلوشة سرار شوال فتملكها. و رحل قافلا إلى وطنه، طريد كلب الشتاء، وافر الخزانة، و اقتضى الرأي الفائل مّمن له النظر الجاش من زعيم شيوخ جندها، أنّها ما له بالطاغية، فسجنه. ثم بدا له في أمره، ثم سرّحه بعد استدعاء يمينه، فوغرت صدور حاشيته، و تبعهم من كان على مثل رأيهم، و هو شوكة حادة، فصرفوا الوجوه إلى السلطان المقبل

الحظ، المحبوب إليه هوى الملك، بما راعه، ثانيا من عنانه بأحواز أرجدونه، إلاً تثويب داعيهم، فكَرَّ إلى المدينة وبرز إليه جيشها، ملتفاً على عبد الحق بن عثمان، فأبلى، وصدق الحملة، فكادت تكون الدائرة؛ فلو لا ثبوت السلطان لما استقبلت بأسفلهم الحملة، فولوا منهزمين، و تبعهم إلى سور المدينة، وقد خفت اللّيف والغوغاء التّاعقون بالخلعان، الشّرهون إلى تبادل الدّعوات، و إلى تسّم المآذن والمنارات والرّيا. و برز أهل ربض البيّازين، الهافون إلى مثل هذه البوارق، إلى شرف ربوتهم، كلّ يشير مستدعياً إعلاناً بسوء الجوار، و ملل الإيالات، و الانحطاط، و بعد التلّون و التقلّب، و سامة العافية؛ شنشنة معروفة في الخلق مألوفة. و بودر غلق باب البيرة، فضّ قفله، و دخلت المدينة، و جاء السلطان إلى معقل الحمراء بأهله و ذخيرته و خاصّيته، و برز السلطان أبو الوليد بالقصبه القدمى تجاهها، بالدار الكبرى المنسوبة لابن المول، ينفذ الصكوك، و يذيع العفو، و يؤلف الشّارد، و ضعفت بصائر المحصورين، و فشلوا على وجود الطعمه، و وفور المال، و تمكّن المنعة، فالتمسوا لهم و لسلطانهم عهداً نزلوا به، منتقلين إلى مدينة وادي آش، في سبيل العوض بمال معروف، و ذخيرة موصوفة؛ و تمّ ذلك، و خرج السلطان رحمه اللّمة مخلوعاً، ساء به القرار، جانيا على ملكه الأخابيث و الأغمار، ليلة الثامن و العشرين من شوال عام ثلاثة عشر و سبعمائة، و استقرّ بها

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٠٧

مواداً مرة، و محاربا أخرى، إلى أن هلك حسبما يأتي ذكره. و خلا للسلطان الجوّ، و صرفت إليه المقادة، و أطاعه القاصي و الدّاني، و لم يختلف عليه اثنان، و البقاء الخالص لله وحده.

مناقبه: اشتدّ، رحمه الله، على أهل البدع، و قصر الخوض على ما تضطر إليه الملة. و لقد تذوكر بين يديه أهل البيت، فبذل في فديه بعضهم ما يعزّ بذله، و نقل منهم بعضاً من حرف خبيثه، فرعموا أنه رأى رسول الله، صلى الله عليه و سلم، في النوم، فشكر له ذلك. و اشتدّ في إقامة الحدود، و إراقة المسكرات، و حظر تجلّي القينات للرجال في الولايم، و قصر طربهنّ على أجناسهنّ من الناس، و أخذ يهود الذمة بالتزام سمة شهرهم، و شارة تميّزهم، و ليوفّي حقّهم من المعاملة التي أمر بها الشّارع في الخطاب و الطّرق، و هي شواشي صفر.

و لقد حدّث من يخفّ حديثه، من الشيوخ أولى المجانّة و الدّعابة، قال: كنّا عاكفين على راح، و برأسي شاشية ملف حمراء، فحاول أصحابي إنامتي، حتى أمكن ذلك، و بادروا إلى رفاع من ثوب أصفر، فصنعوا منها شاشية، و وضعوها في رأسي، مكان شاشيتي، و أيقظوني، فقمت لشأني، و قد هيئوا ثمنا لشراء بقل و فاكهه، و جهّزوني لشرائه، فخرجت حتى أتيت دكان السوق، فساوته، فلمّا نظر إليّ قال لصاحبه: جزى الله هذا السلطان خيراً، و الله لقد كنت أبادر هذا اللّعين بالسلام عند لقائه، أظنه مسلماً، و بصق عليّ؛ فهممت أن أوقع به، ثم فظنت للحليه، فانتزعتها، و بادرت فأوسعتهم ذماً، و عظم خجلي، و سبقني إليهم عين لهم عليّ، فكاد الضحك يهلكهم عند دخولي. و مناقبه كثيرة.

جهاده و بعض الأحداث في مدته: و التّأثت الأمور، لأول مدته، فجرت على جيشه بمظاهرة جيش المخلوع لجيش الرّوم، الهزيمة الشنيعة، بوادي فرتونة؛ أوقع بهم الطاغية بطره، كافل ملك الروم، المملك صغيراً على عهد أبيه، و عمه الدّابّ عنه، ففشا في الأعلام القتل، و ذلك في صفر من عام ستّة عشر و سبعمائة، و ظهر العدو بعدها فغلب على حصن شتمانس و حصن بجيج، و حصن طشكر،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٠٨

و ثغر روط. ثم صرفت المطامع عزمه إلى الحضرة، فقصد مرجها، و كفّ الله عاديته، و قمعه، و نصر الإسلام عليه، و دالت للدين عليه الهزيمة العظمى بالمرج من ظاهر غرناطة على بريد منها، و استولى على محلّته التّهب، و على فرسانه و رجاله القتل، و عظم الفتح، و بهر الصنع و طار الذكر، و ثاب السّعد. و كانت الوقعة سادس جمادى الأولى من عام تسعة عشر و سبعمائة، و في ذلك يقول كاتبه شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب:

الحمد حقّ الحمد للرحمن كافي العدو و ناصر الإيمان

و مكيف الصنع الكريم و دافع الخطب العظيم و واهب الإحسان

في كل أمر للمهمين حكمة أعت على الأفكار و الأذهان

و استقرّ ملكهم القليل بأيدي المسلمين بعد فرارهم، فجعل في تابوت خشب، و نصب بالسور المنازل من الحمراء يسار الداخل بباب يعقوب من أبوابها، إذاعه للشهرة، و تثبتا لتخليد الفخر.

و من الغريب أننى في هذه الأيام بعد خمسين سنة تماما ، تفقدت ذلك المكان في بعض ما أبشره، أيام نيابتي عن السلطان بدار ملكه على عادتي، فألفيته قد علا- عليه كوم من الحجارة، رجم الصبيان إياه، فظهر لى تجديد الإشادة به، و الاستفتاح بوقوع مثله، و لما كشف عن الرمة لتنقل إلى وعاء ثان، ألقى بعظم القطن العريض منها سنان مرهب ثبت في العظم، انتزع منه، و قد غالبتني الرقة و الإجهاش، و قلت اللهم ادخر رضوانك لمن أودع في هذه الرمة الطاغية، سنان جهادك إلى اليوم، و أثبه و ارفع درجته، إنك أهل لذلك.

رجع : و استقامت الأيام، و هلك المخلوع، فصفا الجو، و اتحدت الكلمة، و أمكن الجهاد، فتحرك في شهر رجب من عام أربعة و عشرين و سبعمائه، و أعمل القصد إلى بلاد العدو، و نازل حصن إشكر ، الشجى المعترض في حلق

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٠٩

بسطة، فأخذ بمخنقه ، و نشر الحرب عليه ، و رمى بالآلة العظمى المتخذة بالنفط كرة حديد محماة طاق البرج المنيع من معقله، فاندفعت يتطاير شررها، و استقرت بين محصوريه، فعاثت عياث الصواعق السموية، فألقى الله الرعب في قلوبهم، و أتوا بأيديهم، و نزلوا قسرا على حكمه في الرابع و العشرين من الشهر، و أقام بظاهره، فصيره دار جهاد، و عمل في خندقه بيده، و انصرف، فكانت غزاة جمّة البركة عظمت بها على الشرق الجدوى، و أنشد الشعراء في هذه الوجهة قصائد أشادت بفضلها، و شهرت من ذكرها، فمن ذلك عن كاتب سرّه قوله : [الكامل]

أما مداك فغاية لم تلحق أعت على غرّ الجياد السبق

و رفع إليه شيخنا الحكيم أبو زكريا بن هذيل، قصيدة أولها : [الطويل]

بحيث القباب الحمر و الأسد الورد كتائب سكان السماء لها جند

أنشدنى منها فى وصف النفط قوله:

و ظلّوا بأنّ الصّعق و الرّعد فى السما فحاق بهم من دونها الصّعق و الرّعد

غرائب أشكال سما هر مس بهامهتة تأتي الجبال فتنهد

ألا إنها الدنيا تريك عجائبها ما فى القوى منها فلا بد أن يبدو

و فى العاشر لشهر رجب من عام خمسة و عشرين و سبعمائه، تحرّك للغزو بعد أخذ الأهبة و الاستكثار و الاجتهاد للمطوعة، و قصد مدينة مرتش العظيمة الساحة، الطيبة البقعة، فأضرب بها المحلّات و كان القصد إجمام الناس، فصوّب الحشود و وجهها إلى ما بها من بحر الكروم و الملتقات، و أدواح

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢١٠

الأشجار، فأمعنوا فى إفسادها، و برز حاميتها، فناشبت الناس القتال، فحميت النفوس، و أريد منع الناس، فأعيا أمرهم و سال منهم البحر، فتعلّقوا بالأسوار، و قيل للسلطان: بادر بالكوب، فقد دخل الرّبض ، فركب و وقف بإزائها، فدخل البلد عنوة، و اعتصم أهله بالقصبة، فدخلت أيضا القصبة عنوة، و انطلقت أيدي الغوغاء على من بها من ذكر و أنثى كبيرا أو صغيرا ، فساعت القتلة، و قبحت الأحدوثة، و رفعت من الغد آكام من الجثث صعد ذراها المؤذّنون، و قفل إلى غرناطة بنصر لا كفاء له، فكان دخوله من هذه الغزاة فى الرابع و العشرين لرجب المذكور.

وفاته: و لما فصل من مرتش نغم على أحد الرؤساء من قرابته، و هر ابن عمه محمد بن إسماعيل، المعروف بصاحب الجزيرة، أمرا تقرعه عليه، و بالغ في الإهمال له ، و توغده بما أثار حفيظته، فأقدم عليه بالفتك الشنعاء التي ارتكبها منه بباب قصره، بين عييده و أرباب دولته ، آمن ما كان سربا، و أعزّ سلطانا و جندا؛ و ذلك يوم الاثنين ثالث يوم من دخوله من مرتش، بعد أن عاهد في الأمر جملة من القرابة و الخدام، فوثب به، و هو مجتاز بين السّماطين من ناسه إلى مجلس كان يجلس فيه للناس، فاعتقه و انتضى خنجرا كان ملصقا في ذراعه، فأصابه بجراحات ثلاث؛ إحداهنّ في عنقه، بأعلى ترقوته، فخرّ صريعا. و صاح بكر وزيره، فعمته سيوف الحاضرين من أصحاب الفاتك، و وقعت الرّجّة، و سلّت السيوف، و تشاغل كلّ بمن يليه، و استخلص السلطان من يديه، و حيل بينه و بينه؛ و حين تشاغل القوم بالوزير، رفع السلطان و ظنّ أنه قد أفلت جريحا، فوقع البهت، و بادروا الفرار، فسدت المذاهب، فقتلوا حيث وجدوا. و أخذت الظّنة قوما من أربائهم، فامتحنوا، و نهب الغوغاء دورهم، و علقت بالجدران أشلاؤهم، و كان يوما عصيبا، و موقفا صعبا، و احتمل السلطان إلى بعض دور قصره، و به صباة روح، أشبه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢١١

شيء بالعدم، للزوق العمامة بفوهة شريانه المبتور، ففاض لحيته بنفس زوال العمامة، رحمه الله.

و كان من أخذ البيعة لولده الأمير أبي عبد الله من بعده، ما هو معروف في موضعه. و دفن غلس ليلة الثلاثاء، ثاني يوم وفاته، بروضة الجنة من قصره، إلى جانب جدّه؛ و تنوهي الاحتفال بقبره نقشا، و تخريما، و إحكاما، و حليا، و تمويهها، يشقّ على الوصف، و كتب بإزاء رأسه في لوح الرخام ما نصّه، من كلام شيخنا، بعد سطر الافتتاح:

«هذا قبر السلطان الشهيد، قتيح الأمصار، و ناصر ملّة المصطفى المختار، و محيي سبيل آبائه الأنصار، الإمام العادل، الهمام الباسل، صاحب الحرب و المحراب، الطاهر الأنساب و الأثواب، أسعد الملوك دولة، و أمضاهم في ذات الله صولة، سيف الجهاد، و نور البلاد الحسام المسلول في نصره الإيمان، و الفؤاد المعمور بخشية الرحمن، المجاهد في سبيل الله، المنصور بفضل الله، أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن الهمام الأعلى الطاهر الذات و الفخار، الكريم المآثر و الآثار، كبير الإمامة النصيرية، و عماد الدولة الغالبية، المقدّس، المرحوم أبي سعيد فرج، ابن علم الأعلام، و حامى حمى الإسلام، صنو الإمام الغالب، و ظهيره العلىّ المراتب، المقدّس، المرحوم أبي الوليد إسماعيل بن نصر، قدّس الله روحه الطيب، و أفاض عليها غيث رحمته الصيّب، و نفعه بالجهاد و الشهادة، و حباه بالحسنى و الزيادة، جاهد في سبيل الله حقّ الجهاد، و صنع له في فتح البلاد، و قتل كبار الأعداء، ما يجده مذخورا يوم التناد، إلى أن قضى الله بحضور أجله، فختم عمره بخير عمله، و قبضه إلى ما أعدّ له من كرامته و ثوابه، و غبار الجهاد طيّ أثوابه، فاستشهد رحمه الله شهادة أثبتت له في الشهداء من الملوك قدما، و رفعت له في أعلام السعادة علما.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢١٢

«ولد رضى الله عنه، في الساعة المباركة بين يدي الصبح من يوم الجمعة سابع عشر شوال عام سبعة و سبعين و ستمائة، و بويح يوم الخميس السابع و العشرين لشوال عام ثلاثة عشر و سبعمائة، و استشهد في يوم الاثنين السادس و العشرين لشهر رجب عام خمسة و عشرين و سبعمائة. فسبحان الملك الحق، الباقي بعد فناء الخلق».

و بعده من جهة اللوح الأخير: [البيسط]

تخصّ قبرك يا خير السلاطين تحية كالصبا مرّت بدارين

قبر به من بنى نصر إمام هدى عالي المراتب فى الدنيا و فى الدين

أبو الوليد، و ما أدراك من ملك مستنصر واثق بالله مأمون

سلطان عدل و بأس غالب و ندى و فضل تقوى و أخلاق ميامين

لله ما قد طواه الموت من شرف و سرّ مجد بهذا اللحد مدفون

و من لسان بذكر الله منطلق و من فؤاد بحب الله مسكون
 أما الجهاد فقد أحيا معالمه و قام منه بمفروض و مسنون
 فكف فتوح له تزهى المنابر من عجب بهنّ و أوراق الدواوين
 مجاهد نال من فضل الشهادة ما يجبي عليه بأجر غير ممنون
 قضى كعثمان في الشهر الحرام ضحى و فاء مستشهد في الدار مطعون
 في عارضيه غبار الغزو تمسحه في جنة الخلد أيدي حورها العين
 يسقى بها عين تسنيم ، و قاتله مردّد بين زقوم و غسلين
 تبكى البلاد عليه و العباد معافالخلق ما بين أحزان أفانين
 لكنه حكم ربّ لا مردّد له فأمره الجزم بين الكاف و النون
 فرحمه الله ربّ العالمين على سلطان عدل بهذا القبر مدفون

بعض ما رثي به: و عظمت فيه فجيعة المسلمين لما ثكلوا من جهاده و عزمه، و بلوه من سعده و عزّ نصره، فكثرت فيه المراثي، و
 تراهنّت في شجوه القرائح، و بكاه الغادى و الرائح. فمن المراثي التي أنشدت على قبره، قول كاتبه شيخنا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢١٣

أبي الحسن بن الجيّاب: [الطويل]

أيا عبرة العين امزجى الدّمع بالدم و يا زفرة الحزن احكمى و تحكّمى
 و يا قلب ذب و جدا و غمّا و لوعة فإنّ الأسى فرض على كل مسلم
 و يا سلوة الأيام لا كنت فابعدى إلى حيث ألفت رحلها أمّ قشعم
 و صح بأناء الصبر سحقا تأخرى و قل لشكاه الحزن أهلا تقدّمى
 و لم لا و شمس الملك و المجد و الهدى و فتاح أبواب الندى و التكرّم
 ثوى بين أطباق الثرى رهن غربة و حيدا و أصمته الليالى بأسهم
 على ملك الإسلام فاسمح بزفرة تساقط درّا بين فدّ و توأم
 على علم الأعلام و القمر الذى تجلّى بوجه العصر غزّة أدهم
 على أوحد الأملاك غير منازع أصاله أعراق و فضل تقدّم
 و من مثل إسماعيل نور لمهتدو بشرى لمكروب و عفو لمجرم
 و ما مثل إسماعيل للبأس و الندى لإصراخ مذعور و إغناء معدم
 و ما مثل إسماعيل للحرب يجتنى به الفتح من غرس القنا المتحطّم
 و ما مثل إسماعيل سهم سعادة أصاب به الإسلام شاكلة الدم
 شهيد سعيد صبّحته شهادة تبوّأ منها فى الخلود التنعم
 أتت و غبار الغزو طىّ ثيابه ظهير أمان من دخان جهنّم
 فتبا لدار لا يدوم نعيمها فما عرسها إلّا طليعة ماتم
 و لا أنسها إلا رهين بوحشة و لا شهدها إلّا مشوب بعلقم
 فيا من يرى الدنيا مجاجة نحلة ألا فاعتبرها فهى نبتة أرقم
 فمن شام منها اليوم برق تبسّم فى الغد تلقاه بوجه جهنّم

فضاحكها باك و جذلانها شج و طالعتها هاو و مبصرها عم
و سزاؤها تفنى و سزاؤها معافكلتاهما طيف الخيال المسلم
سقط بملوك الأرض من بعد آدم تبدد منهم كل شمل منظم
فكم من قصير قصرت شأو عمره فخر صريعا للدين و للفم
و كم كسرت كسرى و فضت جيوشه فلم تحمه منها كتاب رستم
و لو أنها ترعى إمام هداية لأعفت عليا من حسام ابن ملجم
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢١٤ و ما قتلت عثمان في جوف داره فقدس من مستسلم و مسلم
و ما أمكنت فيروز من عمر الرضى فهدت من الإسلام أرفع معلم
إلى آخرها. و تضمن إجمال ما ذكر من ذلك، التاريخ المسمى ب «قطع السلوك» المنظوم رجزا من تأليفى بما نصه: [الرجز]
و عندما خيف انتشار السلوك و وزر الزوم وزير الملك
تدارك الأمر الإمام الطاهر فعالج الدار طيب ماهر
و هو أبو الوليد إسماعيل و الشمس لا يفقدها دليل
ابن الرئيس الماجد الهمام فرد العلا و علم الأعلام
و جدّه صنو الإمام الغالب مناقب كالشهب الثواقب
فقاد من مالقة الجنودا و نشر الأعلام و البنودا
و عاد نصر بمدى حمرائه أتى و أمر الله من ورائه
فخلع الأمر و ألقى باليد من بعد عهد موثق مؤكّد
و سار فى الليل إلى وادى الأشى و الملك لله يعز من يشا
و لم يزل فيها إلى أن ماتا و طلق الدنيا بها بتاتا
و اتسق الأمر و قرّ الملك و ربما جرّ الحياة الهلك
و من الرجز المذكور فى وصف جهاده و مقتله: [الرجز]
و كان يوم المرج فى دولته ففرق الأعداء من صولته
و فتح المعازل المنيعه و ابتهجت بعدله الشريعة
و انتبه الدهر له من نومه على يدى طائفه من قومه
بكى عليه الحرب و المحراب و ندبته الضمر العراب
إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر
السلطان الذى احتال على أخيه، المتوتّب على ملكه، يكنى أبا الوليد.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢١٥

حاله: كان صبيا كما اجتمع وجهه، بادنا دمث الخلق، لئن الجانب، شديد البياض، كثيف الحاشية، متصلا بالجفوة، لطول الحجة، و بعد
التمرّن و الحنكة، غزا، فاقتدا لحسن الأدب، عريقة ألفاظه فى العجمة. تصير الأمر إلى أخيه السلطان خيرتهم و لباب بيتهم، يوم قتل
أبوهما؛ و له مزية السنّ و الرّجاحة و السكنى بمحل وفاة الأب؛ فأبقى عليه، و أسكنه بعض القصور لصقه، و لم يضايق أمّه فيما
استأثرت به من بيت المال، إذ كان إقليده فى يدها، و يبضاؤه و صفراؤه فى حكمها، ورقّه متبؤاه، و استدعى له و لأخيه المعلم الذى
كان السبب فى إفاته إرماقهما، و إعدام حياتهما، الشيخ السيّفة محمد البطروجى البائس، فردّ ذلك الشرب، فاستمرت أيام احتجاجه و

انتظاره على قصره، إلى رمضان من عام ستين و سبعمائة. و حرّك سمسرة الفتنة له و لأمه جواز الطمع في الملك، و دندنوا لها حتى رقصت على إيقاعهم، و خفّت إلى مواعدهم، و شمّروا إلى خلاص الأمر؛ و أحام الوثبة صهره الرئيس أبو عبد الله، حلف الشؤم زوج أخته، محمد بن إسماعيل، الشهير الكائنة، المذكور في موضعه من حرف الميم، فسيرت إليه أمه المال، فبّته في الدعرة و الشرار، حتى تمّ غرضه، و اقتحم القلعة من بعض أسوارها عند البالية، و قد هدم منها شيء في سبيل إصلاحه، ليلة الأربعاء الثامن و العشرين لرمضان من عام ستين و سبعمائة؛ و السلطان ليلتذ غير حالّ بها، فملؤها لجبا و لظا و صراخا و هولاً و تنويراً، في جملة تناهز المائة؛ و انضاف إليهم أخوان رأيهم من حرّاسها و سكانها؛ فألبس الناس، و سقط في أيديهم. و أهدى الليل فتكتة هائلة، و أداها شنيعة، فاقصر كل على النظر لنفسه، و انقسموا فرقتين؛ قصدت إحداها دار كبير الدولة، و قيوم التفويض، و شيخ رجال الملك رضوان، المستبدّ بإحالة كورتها، الشيخ الذّهل، معزوز القدر، و رائب النكتة، و معود الإقالة، و جرّار رسن الأطواد، و طول الإملا، الماشى على خدّ الدنيا، المغضوض البصر عن النظر، المستهين بكل سبّه و حية تسعى، المعوّل على نظره، و قوة سعده و إجابة دعوته، مع كونه نسيج وحده في عفافه و ديانته، و رضى الناس به، و سقوط منافستهم من أجله، و مأويهم على مول لفظه، و بساط معاملته، و صحّة عقده. فعالجوا بابه طويلاً و تولّجوا داره، و قتلوه بين أهله و ولده.

و قصدت الأخرى دار الأمير المترجم به و معها صهره، فأخرجوه، و أركبوه على فرس، راعد الفرائض، ممتنع اللون، مختلط القول، تحفّ به داياته بين مولولة،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢١٦

و تافله و معوّدة، قد جعلوا به سيفاً مصلتا على سبيل اللواعب بالتّصوّل و الرّواقص، في مدارج اللهو؛ و استخرجت طبول الملك فقرعت، و قيدت الخيل من مرابطها فركبت، و قصدت الخزائن السلاحية ففرقت، و تمّ الأمر، و حلّ من الريب على دار الإمارة القصد، و خرجت الكتب إلى البلاد و القواعد، فالتقت باليد أمهاتها لقطع من بها من أولى الأمانة، بتمام الأمر، و هلاك السلطان، فتمّ له الأمر، و بادر أخوه السلطان لحيته لظهر سابق كان مرتبطاً عند مجرّ له من الجئة لصق القلعة، فاستأجر الليل، و وافق الحزم، فاستقرّ بوادي آش، و كان أملك بها، و نازلته المحلّات، و أخذ بمخنقه الحصص، و استنصرت لمنزلته الناس، و أعملت الحيل؛ و تأذّن الله بثبوت قدمه، و انتقاله إلى ملك المغرب صبح عيد النحر من العام المذكور؛ إلى أن أعاد الله إليه أمره و ردّ عليه حقّه، و تولّى بعد اليأس جبره، حسبما يذكر في موضعه، إن شاء الله.

و خلا الجو لهذا الأمير المضعوف، و استولى على أريكه الملك الأعمار و أولو البطالة، و أولياء صهره الرئيس، خاطبها له ابتداء ثم نقلها إلى نفسه انتهاء، و حاملها إلى غايته درجا، و إلى إعاقة سلّما؛ و هو ما هو من غشّ الحبيب، و سوء العقد، و دخل السريرة، و استيطان المكروه، فأغرى منه بالعهد نفساً مطاوعة للشهوة، متبرّمة بالامتحان و الخلوّة، بريّة من نور العلم و تهذيب الحكمة، ناشئة بين أخايث القسوة، جانية أمانى الشهوة و المخالفة، مضادة للفلاح، حايدة عن سبيل النجاة، بمحل اغتراب عن النصحاء، و انتباز عن مقاعد الأحرار؛ فجرى طلق الجموح في التخلّف، حتى كبا لفيه و يديه، و أعان نسمة السوء الرئيس على نفسه؛ و قد كان اصطنع الرجال، و استركب أولى البسالة، و أسالف الدّعرة؛ و اختصّ في سبيل خدمته و الذبّ عنه، بالبؤساء و المساعير، يشرّكهم في الأكل، و يضافهم النعمة. و أظلم ما بينهما، فحذر كلّ جانب أخيه، إلّا أن المهين كما أضعف من أن يستأثر بخطة المعالجة، و يهتدى إلى سبيل الحزم. و فى عشى يوم الأربعاء السابع و العشرين من شهر شعبان، شارفه من مكمّن غدرة الرّحّب بجوار قصره، و ارتبط به الخيل و استكثر من الحاشية، و أخفى المساعير، و داخل المورورى المشووم على الدولة، فبادر رجاله سدّ الأبواب، و انخرط في جملة أوباشه من باب السلطان، من الرّجل لنظر ممائه فى العناء، و عونته على الهول المورورى، فأحاط به، و قد بادر الاعتصام بالمصنع ثانى الصرح المنسوب إلى هامان سموّاً و نفلاً فى الشكاك وسعة ذرع. و بعدما رقى و صرخ بالناس،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢١٧

يناشدهم الذمام، فحفّ إليه منهم الكثير، و تراكموا بالطريق تحته، و تولّى استنزاله عن سوّيه مملوك أبيه، العليّ المخذول عبّاد، و قد تحصّل في قبضته الغادر، فقتل له في الغارب و الذروة، و وعده الحياة، فنزل عن أمان فسحة الغدر الصّراح، و الوفاء المستباح. و لحين استهاله، أمر نقله إلى المطبق، فقيّد مختبلاً كثير الضراعة، إلى الأريّ لصق قصره، و تعاورته السيوف، و ألحق به صغيره قيس، استخرج من بعض الخزائن، و قد جهدت أمّه في إخفائه؛ فمضى لسبيله، و طرح رأسه على الرّاع المجيين لندائه، فانفضّوا لحينه، و بقي مطروحا موارى بحلس داية من دواب الظهر، إلى يوم بعده، فوورى هو و أخوه بمقربة من مدفن أبيهما، فكان من أمرهما عبرة. و قد استوفى ذلك الكتاب المسمى ب «نفاضة الجراب» من تأليفنا.

وزراء دولته: قدّم للوزارة عشية يوم ولايته، محمد بن إبراهيم بن أبى الفتح الفهرى، بطالع الشؤم، و نعبة النحاس. عهد بالطبيب الإسرائيلي الحبرى العظيم المهارة في الفن النجومى، إبراهيم بن زرزار، يتطير بتلك الولاية بكون النحاس الأعظم في درجة طالعهما، جدوا انفرد بنحز أديمه الجهالة، المعدودون في البهم و الهمج، الذين لا يعبا الله بهم؛ فكان الخبر و فوق الخبر، فلم ير في الأندلس وزارة أثقل وطأه، و لا- أخبث عهدا، و لا- أعظم شرها، و لا أكثر حجرا منها. ثم كانت عاقبتهم أنهما في النار خالدان فيها، و ذلك جزاء الظالمين من رجل حبركى ، كمد اللون، تنطف سحنته مرّة و سّما، غائر العين، مطأطى الرأس، طرف في الحقد و الطمع و عى المنطق و جمود الكفّ، معدن من معادن الجهل، مثل في الخيانة؛ تناول الأمر مزاحما فيه بالرئيس المتوثّب، و ابن عمّ نفسه، الغادر، الضخم الجرارة، بالوعث المهين، و ثور النقل، و ثعبان الفواكه، و صاعقة الأخونة، و وكيل الدولة المنحطّ عن خلالهم بالأبوة و النشأة؛ فجرت أمورها أسوأ مجاريها، إلى أن كان ما أذن الله به، من مداخلة الرئيس الغادر، على قتل أميره المسكين المهين، مقلّده أنوه الرّتب، و تاركه و خطّة الخيانة؛ ثم أخذه الأخذة الرابية بيد من أمده في الغى، و ظاهره في الخزي؛ فجعله نكالا لما بين يديه و ما خلفه، و موعظة للمتّقين، حسبما يأتى في اسمه، بحول الله تعالى.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢١٨

كاتبه: و استعمل في الكتابة صاحبنا الرجل الأخرق، الطوال، الأهوج، البرى من الخلال الحميدة، إلّا ما كان من وسط الخط و سوقى السجع، و الدرّك الأسفل من النظم، عبد الحق بن محمد بن عطية المحاربى، الآتى ذكره . و هو الذى أفرده الله، جلّ جلاله؛ بالغاية البعيدة من مجال سوء العهد؛ و قلّة الوفاء. و تولّى القضاء أبو جعفر أحمد بن أبى القاسم بن جزى أياما، ثم شهّر به قوم من الفقهاء منافسيه، ورشقوه بما أوجب صرفه؛ و قدّم للقضاء الشيخ المسنّ، الطويل السباحة في بحر الأحكام، المفرى الودجين و الحلقوم بسكين القضاء، المنبوز بالمابقات فيه، تجاوز الله عنه، سلمون بن على بن سلمون. و شيخ الغزاة على عهده، يحيى بن عمر بن عبد الله بن عبد الحق، شيخ الغزاة لأخيه، أصبح يوم الكائنة في قياده، و نصح له فأمر له؛ و ضاعف برّه.

الملوك على عهده

مولده: في يوم الاثنين الثامن و العشرين لربيع الأول من عام أربعين و سبعمائة.

وفاته: حسبما تقرّر آنفا في يوم الأربعاء السابع و العشرين لشعبان من عام أحد و ستين و سبعمائة.

أبو بكر بن إبراهيم، الأمير أبو يحيى المسوفى الصخراوى

من أمراء المرابطين، صهر على بن يوسف بن تاشفين، زوج أخته، و أبو ولده منها يحيى، المشهور بالكرم. أوّلته: معروفة تستقرأ عند ذكر ملوكهم.

حالهم: كان مثلا في الكرم، و آية في الجود، أنسى أجواد الإسلام و الجاهلية إلى الغاية؛ في الحياء و الشجاعه و التبريز في ميدان الفضائل. استوزر الوزير الحكيم الشهير أبا بكر بن الصائغ، و اختصّه؛ فتجمّلت دولته و نبه قدره. و أخباره معه شهيرة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢١٩

ولايته: ولّى غرناطة سنة خمس مائة. ثم انتقل منها إلى سرقسطة عند خروج المستعين بن هود إلى روطه، فأقام بها مراسم الملك، وانهمك في اللذات، و عكف على المعاقرة، و كان يجعل التّياج بين ندمائه، و يتزيّا بزىّ الملوك، إلى أن هلك بها تحت مضايقة طاغية الروم المستولى عليها بعد.

خروجه من الصحراء: قال المؤرّخ: كان أبو بكر هذا رئيسا على بعض قبيله في الصحراء، و كان ابن عمّه منفردا بالتدبير؛ فاتفق يوما أن دخل على ابن عمّه في خبائه، و زوج ابن عمّه تمتشط في موضع قريب من الخباء؛ فاشتغلت نفس أبي بكر بالمرأة لحسنها و جمالها، فحين دخل قال لابن عمّه: فلانة تريد الوصول إليك؛ و إنما قصد الاستئذان لرجل من أصحابه، فنطق باسم المرأة لشغل باله بها، فقال له ابن عمّه بعد طول صمت و فكرة، و قد أنكر ذلك: عهدى بهذا الشخص لا يستأذن علينا.

فرجع عقله، و تاب لثبه، و علم قدر ما من القبيح وقع فيه، فخرج من ذلك المجلس، و ركب جملة، و هان عليه مفارقة وطنه من أجل العار، و استصحب نفرا قليلا من أصحابه على حال استعجال، و رحل ليلا و نهرا، حتى وصل سجلماسة أولى عمالات على بن يوسف ابن عمّه؛ و اتصل به قدومه، فأوجب حقّه، و عرف قدره، و عقد له على أخته، و ولّاه على سرقسطة دار ملك بنى هود بشرق الأندلس، بعد ولاية غرناطة.

نبذة من أخباره في الكرم: قالوا: لما حلّ بظاهر سجلماسة، مجهول الوفاة، خافى الأمر، نزل بظلّ نخلة بظاها، لا يعرف أحدا و لا يقصده، فجاء في ذلك الموضع رجل حداد فقراه بعز كان عنده، و تعرّف له، و أبو بكر يستغرب أمره؛ فلما فرغوا من أكلمهم، قال للحداد: ألا تصحبنا لموضع أملنا، و تكون أحد إخواننا، حتى تحمد لقاءنا؟ فأجابته؛ و صحبه الحداد، و خدمه، فلما قربوا من مراكش، استأذن أبو بكر على بن يوسف بن تاشفين، و أعلمه بنفسه، فأخرج له على بن يوسف فرسا من عتاق خيله، و كسوة من ثيابه و ألف دينار، فأمر أبو بكر بدفعها للحداد، فبهت

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٢٠

الحداد؛ و انصرف الرسول موجها إلى مرسله فأخبره بما عين من كرمه و فعله، فأعاده إليه في الحين بفرس أخرى، و كسى كثيرة، و آلاف من المال، فلما دخل مراكش، و لقي على بن يوسف و أنزله، أنزل الحداد مع نفسه في بيت واحد، و شاركه في الأموال التي توجه بها، فانصرف يجرّ وراءه دنيا عريضة.

ولمّا ملك سرقسطة، اختصّ الوزير الحكيم أبا بكر بن الصائغ، و لطف منه محلّه. ذكر أنه غاب يوما عنه و عن حضور مجلسه بسرقسطة، ثم بكر من الغد، فلمّا دخل قال له: أين غبت يا حكيم عتّا؟ فقال: يا مولاي، أصابتنى سوداء و اغتمت، فأشار إلى الفتى الذى كان يقف على رأسه، و خاطبه بلسان عجمي، فأحضره طبقا مملوءا مثاقيل محشمة، و عليها نوادير ياسمين، فدفعه كله إليه، فقال ابن باجة: يا مولاي، لم يعرف جالينوس من هذا الطّب، فضحك.

و ذكر أنه أنشد شعرا في مدحه، و قد قعد للشراب، فاستفرّزه الطرب، و حلف أن لا يمشى إلّا من فوق المال إلى منزله في طريقه، فالتمس الخدّام برنسه بأن كانوا يطرحون من المال شيئا له خطر، على أوعيته حتى يغمرها، فيمشى خطوا إلى أن وصل إلى منزله؛ و حسد الحكيم أصحابه، و لم يقدروا على مطالبته. و اتفق أن سار الأمير أبو بكر، و أمر أصحابه بالتأهب و الاستعداد، فاستعدّ ابن باجة، و اتخذ الأقبية و الأخبية، و استفره الجياد من بغال الحمولة، فكانت له منها سبعة صفر الألوان، حمل عليها الثياب و الفرش و المال؛ فلما نزل الأمير بمقرّه، مرّت عليه البغال المذكورة في أجمل الهيئات، فقال لجلسائه: لمن هذه البغال؟ و من يكون من رجالنا هذا فأصابوا العزّة؟ فقالوا: هي للحكيم ابن الصائغ، صاحب سرقسطة، و ليعلم مولانا أنّ في وسط كل حمل منها ألف دينار ذهباً سوى المتاع و العدة؛ فاستحسن ذلك. و قال: أهذا حقّ؟ قالوا: نعم، فدعا الخازن على المال، و قال له ادفع لابن باجة خمسة آلاف دينار ليكمل له ذلك اثني عشر ألفا، فقد سمعته غير ما مرة يتمنى أن يكون له ذلك؛ ثم بعث عنه في الحين و قال له: يا حكيم، ما هذا الاستعداد،

فقال له: يا مولاي، كل ذلك من هباتكم و أعطياتكم، و لما علمت أن إظهار ذلك يسرّكم، فسرّ بذلك. و أخباره رحمه الله كثيرة.

محنته: قالوا: و لما ولى غرناطة سنة خمس مائة، ثار بها، و انبرى على قومه لأمر رابه، فانتبذ عنه قومه، و ناصبوه الحرب، حتى استنزله عنوة، و قبضوا عليه،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٢١

و وجهوه إلى علي بن يوسف، فأثر الإبقاء عليه، و عفا عنه، و استعمله بسر قسطة؛ كذا ذكره الملاحى، و أشار إليه. و عندي أن الأمر ليس كذلك، و أن الذى جرى له ذلك، أبو بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين، فيتحقّق.

وفاته: توفى بسر قسطة فى سنة عشر و خمسمائة بعد أن ضاق ذرعه بطاغية الروم، الذى أناخ عليه بكل كله. و عندما تعرّف خبر وفاته، و اتصلت بالأمر أبو إسحاق إبراهيم بن تاشفين، و هو يومئذ والى مرسية، بادر إلى سر قسطة، فضبطها، و نظر فى سائر أمورها، ثم صدر إلى مرسية.

رثاؤه: ورثاه الحكيم أبو بكر بن الصائغ بمرثا اشتهر عنه منها قوله :

[الطويل]

سلام و إمام و وسمى مزنة على الجدث النائي الذى لا أزوره

أحقّ أبو بكر تقضى فلا ترى تردّ جماهير الوفود ستوره

لئن أنست تلك اللحود بلحده لقد أوحشت أقطاره و قصوره

و من ذلك قوله: [الخفيف]

أيها الملك قد لعمري نعى المجد نواعيك يوم قمنا فنحنا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٢٢ كما تقارعت و الخطوب إلى أن غادرتك الخطوب فى الترب رهنا

غير أنى إذا ذكرتك و الدهر أخال اليقين فى ذاك ظنا

و سألنا متى اللقاء فقليل الحشر قلنا صبيرا إليه و حزنا

إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، أمير المؤمنين، الملقب بالمأمون، مأمون الموحدين

إشارة

أوليته: جدّه عبد المؤمن، جذع الشجرة، و ينبوع الجداول؛ هو ابن علي بن علوى بن يعلى بن موار بن نصر بن علي بن عامر بن موسى بن عون الله بن يحيى بن ورجايغ بن سطفور بن نفور بن مطماط بن هزرج بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان. و كان طالبا بربريا ضعيفا، خرج مع عمّه يؤمّ للشرق، و كان رأى رؤيا هالته تدلّ على ملك، إذ كانت صفحته من طعام على ركبته، يأكل منها الناس، و كانت أمه رأّت و هى حامل، كأنّ نارا خرجت منها أحرقت المشرق و المغرب؛ فكانت فى نفسه حركة، لأجل هذه الرؤيا؛ فلما حلّ بسجلماسة، سمع بها عن المهدي، و كان رجلا يعرف بأبى عبد الله السوسى، و وصف له بالعلم، فتشوّف إلى لقائه، ليرى ما عنده فى تأويل رؤياه؛ فانصرف إليه مع بعض الطلبة، فلقى رجلا قد وسمه، على ما يزعم الناس، حدثان من أبى حامد الغزالي، و علقته به دعوة منه، فى إذهاب ملك أهل اللثام، لحرقت كتابه على أيديهم، فهو مغزى بالخروج عليهم، مهيا فى عالم الغيب إلى تخريب دعوتهم؛ فوافق شئ طبقة، و ما اجتمع الدآن إلّا ليقتتلا، و الله غالب على أمره، فأجلسه، و سأله عن اسمه، و بلده، و سنّه، و نسبه، بالتعريف؛ و أمره أن يخفى من أمره، و عبّر له رؤياه، بأنه يملك الأرض؛ فاهترت الآمال و تعاضدت؛ و نفذت مشيئة الله؛ بأن

دالت الدولة، و هلك محمد بن تومرت المهدي؛ فأفضى الأمر إلى عبد المؤمن، و استولى على ملك اللّمتونيين، فأباد خضراءهم، و استأصل شأفتهم، و استولى على

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٢٣

ملك المغرب، فأقام به رسماً عظيماً، و أمراً جسيماً، و أورثه بنيه من بعده، و الله يؤتي ملكه من يشاء.

حاله: كان، رحمه الله، شهماً شجاعاً، جريئاً، بعيد الهمة، نافذ العزيمة، قوى الشكيمة، لبيبا، كاتباً أديباً، فصيحاً، بليغاً، أيتاً، جواداً، حازماً. و ذكره ابن عسكر المالقي في تاريخ بلده؛ قال: دخل مالقة من قبل أخيه، فوصل إليها في الحادي عشر من محرم، و هو شاب حدث، فكان منه من نباهة القدر و جلاله النفس، و أبهة الملك ما يعجز عنه كثير من الملوك. و لحين وصوله عقد مجلس مذاكرة، استظهر له نبهاء الطلبة، و كان الشيخ علي بن عبد المجيد يحضره. و كان يبدو منه، مع حداثة سنّه، من الذكاء و النبل و التفطن، ما كان يبهت الحاضرين، و كانوا ينظرون منه إلى بدرى الحسن، و أسدى الهيبة، و كهلى القوار و التؤدة؛ و اشتغل بما يشتغل به الملوك من تفخيم البناء، كبنيان رياض السيد الذي على ضفة الوادي بمالقة المعروف باسمه، لله و رسوله، و كان عرفاء البنائين لا يتصرفون إلا بنظره؛ و استمرت ولايته مفعماً الأمر، عظيم الولاية، إلى أن نقل منها إلى قرطبة، ثم نقل إلى إشبيلية و فيها بويع الخليفة .

تصير الأمر إليه، و جوازه إلى العدو:

قام على أخيه العادل بين يدي مقلعه، بمالأه أخيه السيد أبي زيد، أمير بلنسية و تحريكه إياه، فتم له ذلك؛ و عقدت له البيعة بمراكش و الأندلس. ثم إن الموحدين في مراكش بدا لهم في أمره، و عدلوا عنه إلى ابن عمه أبي زكريا بن الناصر؛ و اتصل به خبر خلعه إياه فهاجت نفسه، و وقدت جمرته، و استعد لأخذ ثأره، و رحل من إشبيلية، و استصحب جمعا من فرسان الروم، و استجاز البحر سنة ست و عشرين و ستمائة، قاصدا مراكش؛ و برز ابن عمه إلى مدافعته، و التقى الجمعان فكانت الهزيمة على يحيى بن الناصر، و فر إلى الجبال، و استولى القتل على جيشه، و دخل المأمون مراكش فأمر بتقليد شرفاتها بالرؤوس فعمتها على اتساع الساحة؛ و استحضر التاكثين لبيعتة و بيعه أخيه، و هم كبار الدولة، و استفتى قاضيه بمرأى منهم، و استحضر

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٢٤

خطوطهم و بيعاتهم، فأفتى بقتل جماعتهم، و هم نحو مائة رجل، و اتصل بالبحث عمّن أفلت منهم، و صرف عزمه إلى محو آثار دولة الموحدين، و تغيير رسمها، فأزال اسم مهديها عن الخطبة و السكّة و المآذن، و قطع النداء عند الصلاة «تأصليت الإسلام» و كذلك «منسوب رب» «و بادري»، و غير ذلك، مما جرى عليه عمل الموحدين؛ و أصدر في ذلك رسالة حسنة، من إنشائه، يأتي ذكرها في موضعه.

و عند انصرافه من الأندلس، خلا للأمير أبي عبد الله بن هود الجوّ، بعد وقائع خلت بينهما، و انتهز النصارى الفرصة؛ فعظمت الفتنة، و جلت المحنة.

دخوله غرناطة: لم يصحّ عندي أنه دخل غرناطة، مع غلبة الظن القريب من العلم بذلك، إلا طريقه إلى مدافعتة المتوكل بن هود بجهة مرسية؛ فإنه تحرك لمعالجة أمره في جيش إشبيلية باستدعاء أخيه السيد أبي زيد، والي بلنسية، بعد هزائم جرت بصقع الشرق لابن هود؛ فتحرك المأمون إليه، و احتلّ غرناطة، في رمضان من عام خمسة و عشرين و ستمائة، و أنفذ منها كتابه إلى أخيه، يقوى بصيرته، و يعلمه بنفذه إليه؛ و التفّ عليه جيش غرناطة و ما والاها، و اتصل سيره إلى الشرق، فبرز ابن هود إلى لقائه، فكان اللقاء بخارج لورقة، فانهزم ابن هود، و فرّ إلى مرسية، و عساكر الموحدين في عقبه؛ و استقصاء مثل هذا يخرج عن الغرض.

و خاطب لأول أمره، و أخذ الناس ببيعتة من بأقطار الأندلس، صادعا بالأمر المعروف، و التّهي عن المنكر، و الحضّ على الصلوات و إيتاء الزكاة، و إيتاء الصدقات، و النهي عن شرب الخمر و المسكرات و التحريض على الرعاية، فمن كتابه:

«الحمد لله الذي جعل الأمر بالمعروف، و النهى عن المنكر أصلين يتفرع منهما مصالح الدنيا و الدين، و أمر بالعدل و الإحسان، إرشادا إلى الحق المبين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد النبي الكريم، المبعوث بالشريعة التي طهرت الجيوب من الأدران، و استخدمت بواطن القلوب و ظواهر الأبدان، طورا بالشدة، و تارة باللين؛ القائل، و لا عدول عن قوله: «و من اتقى الشبهات استبرأ لدينه و عرضه» تنبيها على ترك الشك لليقين؛ و على آله أعلام الإسلام، الملقين راية الإسلام باليمين، الذين مكّتهم الله في الأرض، فأقاموا الصلاة، و أتوا الزكاة، و أمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر، وفاء بالواجب لذلك التمكين.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٢٥

و من فصل: «و إذا كنا نوفي الأمة تمهيد دنياها، و نغني بحماية أقصاها و أدناها، فالدين أهمّ و أولى، و التهمم بإقامة الشريعة و إحياء شعائرها، أحقّ أن يقدّم و أخرى، و علينا أن نأخذ بحسب ما يأمر به الشرع و ندع، و نتبع السنن المشروعة و نذر البدع. و لنا أن لا ندخر عنها نصيحة، و لانغبها أداءه من الأدوات مريحة، و لنا عليها أن تطيع و تسمع».

و من فصل: «و أول ما يتناول به الأمر النافذ، الصلاة لأوقاتها، و الأداء لها على أكمل صفاتها، و شهودها إظهارا لشرائع الإيمان في جماعتها، فقد قال عليه الصلاة و السلام: «أحبّ الأعمال إلىّ الصلاة لأوقاتها». و قال: «أول ما ينظر فيه من أعمال العيد الصلاة». و قال عمر: إن أهمّ أموركم عندى الصلاة، فمن حفظها و حافظ عليها حفظ دينه، و من ضيعها فهو لما سواها أضيع. و قال: «لا حظّ في الإسلام لمن ترك الصلاة، و هى الركن الأعظم من أركان الإيمان، و السور الأوثق لأعمال الإنسان، و المواظبة على حضورها في المساجد، و إيثار ما لصلاة الجماعة من المزية على صلاة الواحد، أمر لا يضيّعه المفلحون، و لا يحافظ عليها إلّا المؤمنون. قال ابن مسعود، رضى الله عنه: لقد رأينا، و ما يتخلّف عنها إلّا المنافق معلوم النفاق، و لقد كان الرجل يؤتى يتهادى بين الرّجلين، حتى يقام فى الصّف. و شهود الصبح، و عشاء الآخرة شاهد بمحضر الإيمان. و لقد جاء: حضور الصبح فى جماعة يعدل قيام ليلة، و حسبكم بهذا الرّجحان. و من الواجب أن يعتنى بهذه القاعدة الكبرى من قواعد الدين، و يأخذ بها فى جميع الأمصار الصغير و الكبير من المسلمين، و نيظ فى إلزامها قوله عليه الصلاة و السلام: «مروا أبناءكم بالصلاة لسبع و اضربوهم عليها لعشر سنين». و هى طويّلة فى معانى متعدّدة.

نثره و نظمه: و لمّا غير رسوم الموحّدين و أوقع بأرباب دولتهم خبر النكث بيعته و بيعتى أخيه و عمّه، كتب إلى الأقطار عن نفسه، و لم يكمل إنشاءه بكتابة رسالته بديعة اشتملت على فصول كثيرة تنظر فى كتاب «المغرب» و «البيان المغرب» و غير ذلك. و كتابا بخطه إلى أهل أندو جر: «إلى الجماعة و الكافة من أهل فلانة، و قاهم الله عثرات الألسنة، و أرشدهم إلى محو السيئة بالحسنة؛ أما بعد فإنّه قد وصل من قبلكم كتابكم الذى جدّد لكم أسهم الانتقاد، و رماكم من السّهاد، بالداهية النّاد؛

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٢٦

أ تعتذرون من المحال بضعف الحال، و قلّة الرجال؟ إذا نلحقتكم برّيات الحجال.

كأنّا لا نعرف مناخى أقوالكم، و سوء منقلبكم و أحوالكم؛ لا جرم أنكم سمعتم بالعدوّ قصمه الله، و قصده إلى ذلك الموضع عصمه الله؛ فطاشت قلوبكم خورا، و عاد صنفوكم كدرا، و شمتم ريح الموت وردا و صدرا؛ و ظننتم أنكم أحيط بكم من كل جانب، و أن الفضاء قد غصّ بالتفاف القنا و اصطفاف المناكب، و رأيتم غير شىء فتخيلتموه طلائع الكتائب. تبا لهمتكم المنحطّة، و شيمتكم الرّاضية بأدون خطّة؛ أ حين ندبتكم إلى حماية إخوانكم، و الذّب عن كلمة إيمانكم، نسّقتم الأقوال و هى مكذوبة، و لفقتم الأعذار و هى بالباطل مشوبة؛ لقد آن لكم أن تبدلوا جلّ الخرصان، إلى مغازل النّسوان؛ و ما لكم و لصهوات الخيول، و إنما على الغايات جزّ الذبول. أ تظهرون العناد تخريصا، بل تصرّحا و تلويحا، و نظنّ أن لا يجمع لكم شتّا، و لا يدنى منكم نزوجا. أين المفّرّ و أمر الله يدرّكم، و طلبنا الحثيث لا يترّكم؟ فأزيلوا هذه النزعة التّفاقية من خواطركم قبل أن نمحو بالسيف أقوالكم و أفعالكم، و نستبدل قوما غيركم، ثم لا يكونوا أمثالكم، و نحن نقسم بالله لو اعتسفتكم كل بيداء سملق، و اعتصمتم بأمنع معقل، و أحفل فيلق، ما وينا عنكم

زمانا، و لا ثنا عن استئصال العزم منكم عنانا فلا يغزنكم الإمهال، أيها الجهال». و هي طويلة. و قال عند الإيقاع بالأشياخ أولى الفساد على الدول، و صلبهم في الأشجار و الأسوار، مما كلف السلمى بحفظها و استظرافها: [الكامل]

أهل الحراية و الفساد من الورى يعزون في التشبيه بالذكار الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٢٧ ففساده فيه الصلاح لغيره بالقطع و التعليق في الأشجار ذكارهم ذكرى إذا ما أبصروا فوق الجدوع و في ذرى الأسوار لو عم عفو الله سائر خلقه ما كان أكثرهم من أهل النار

توقيع: قال ابن عسكر: و كانت تصدر منه توقيعات نبيلة، فمنها أن امرأة رفعت رقعتها بأحد من الأجناد ممن نزل دارها، و صدر لها أمر ينكر؛ فوقع على رقعتها: «يخرج هذا النازل، و لا يعوض بشيء من المنازل». و غير ذلك مما اختصرناه.

بنوه: أبو محمد عبد الواحد ولي عهده، و أمير المؤمنين بعد وفاته، الملقب بالرشيد؛ و عبد العزيز، و مان؛ و أبو الحسن على، الملقب بالسعيد، الوالى بعد أخيه الرشيد.

بناته: ابنة العزيز، و صفية، و نجمة، و عائشة، و فتحونة؛ و أمهات الجميع روميات، و سرييات مغربيات.

وزراؤه: وزير له الشيخ أبو زكريا بن أبي الغمر و غيره.

كتابه: كتب له جملة من مشاهير الكتاب، منهم أبو زكريا الفازازى، و أبو المطرف بن عميرة، و أبو الحسن الرعيني، و أبو عبد الله بن عياش، و أبو العباس بن عمران، و غيرهم. و ما منهم إلا شهير كبير.

وفاته: توفى، رحمه الله، بوادى أم الربيع، و قد طوى المراحل من ظاهر سبتة، مقلعا عن حصارها، مبادرا إلى مراكش، و قد اتصل به دخول يحيى بن الناصر إياها، فأعد السير و قد اشتد حنقه على أهلها، و أقسم أن يبيح حماها للزوم، و يذهب اسمها و مسماها، فهلك عند دنوه منها فجأة، فكانت عند أهل مراكش من غر الفرج بعد الشدة؛ و كتمت زوجته حباة الرومية، أم الرشيد ولده، خبر وفاته إلا عن الأفراد من قواد النصارى و بعض الأشياخ، و اتفق القول على مبايعة ابنها المذكور، بيعه خاصة ثانى يوم وفاته؛ ثم جعل فى هودج و أشيع أنه مريض، و زحفت الجيوش على تعبته؛ و برز يحيى بن الناصر من مراكش إلى لقائه، و التقى الجمعان فانهزم يحيى، و استولى الرشيد عليه، و دخل مراكش فاستقام الأمر؛ و كانت

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٢٨

وفاء المأمون أبى العلا، رحمه الله، ليلة الخامس عشر لمحرم عام ثلاثين و ستمائة .

و جرى ذكر المأمون و المهدي و أوليتهم فى الرجز المتضمن ذكر المسلمة من نظمي بما نصه بعد ذكر الدولة اللمتونية: [الرجز]

و نجم المهدي و هو الداهية فأصبحت تلك المباني واهيه

و انحكم الأمر له و انجماعى خبر نذكر منه لمعا

لم يأل فيها أن دعا لنفسه و كان فى الحزم فريد جنسه

أغرب فى ناموسه و مذهبه و فى الذى سطره من نسبه

و عنده سياسة و علم و جراءة و كلام و حلم

و وافقت أيامه فى الناس لدولة المسترشد العباسى

ثم انقضت أيامه المنيفه و كان عبد المؤمن الخليفة

فضاء لون سعده و وضحاو لاح مثل الشمس فى وقت الضحى

ثم تلمسان و فاسا فتحاو ملك أصحاب اللثام قد محا

و لما انتهى القول إلى المأمون المترجم به، بعد ذكر من يليه و عبد المؤمن جدّه، قلت: [الرجز]

ثم تولّى أمرهم أبو العلافسلط البيض على بيض الطّلا
و هو الذى أركب جيش الروم و جدّ فى إزالة الرسوم

أسباط بن جعفر بن سليمان بن أيوب بن سعد السعدى سعد ابن بكر بن عفان الإلبيرى

هذا هو جدّ سعيد بن جودى بن سواده بن جودى بن أسباط، أمير المغرب.
و قدرهم بهذه المدينة شهرير.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٢٩

حاله: و كان من أهل العلم و الفقه، و الدين المتين، و الورع الشديد، و الصلاح الشهير.

نباهته: ولّاه الأمير عبد الرحمن قضاء إلبيرة حين بلغه زهده و ورعه، و أنّه لم يشرك إخوته فى شىء من ميراث أبيه، إذ كان لم يحضر
الفتح، فبرىء به إليهم، و ابتاع موثلاً بوطنه أنيط به ماء، و انفرد به للعبادة و التبتّل، فاستقدمه هشام، فركب حماره و قدم عليه فى هيئة
رثّة بذلّته، فتوسّم فيه الخير، و قدّمه و وسّع له فى الرزق، و وهب له ضياعاً كثيرة تعرف اليوم باسمه. و توفى هشام و هو قاض بإلبيرة،
فأقرّه ابنه الحكم ثم ولّاه شرطته، إلى أن توفى أسباط. قلت: انظر حال الشرطة عند الخلفاء من كان يختار لها لولايتها.

أسلم بن عبد العزيز بن هشام بن خالد بن عبد الله بن خالد ابن حسين بن جعفر بن أسلم بن أبان

مولى عثمان بن عفان، رضى الله عنه؛ يكنى أبا الجعد.

أولّيته: من أهل شرق الأندلس، أصلهم من لوشة فتية غرناطة، و موضعهم بها معروف، و إلى جدّهم ينسب جبل أبى خالد المطلّ
عليها، و كان لهم ظهور هنالك، و فيهم أعلام و فضلاء.

حاله: كان أسلم من خيار أهل إلبيرة، شريف البيت، كريم الأبوة، من كبار أهل العلم، و كانت فيه دعابة، لم ينسب إليه قطّ بسببها
خزية فى دين و لا زلّة. قال أبو الفضل عياض: كان أسلم من خيار أهل إلبيرة، رفيع الدرجة فى العلم، و علو الهمة فى الإدراك، و
الرواية و الدّيانة، و الصّحبة، و بعد الرّحلة فى طلب العلم، معروف التّصيحة و الإخلاص للأمرء.

مشيخته: لقي بمصر، المدنى، و محمد بن عبد الحكم، و يونس، و الربيع بن سليمان المؤذن، و أحمد بن عبد الرحيم البرقى. و سمع
من على بن عبد العزيز، و سليمان بن عمران بالقيروان. الإحاطة فى أخبار غرناطة؛ ج ١؛ ص ٢٣٠

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٣٠

من روى عنه: سمع منه عثمان بن عبد الرحمن، و عبد الله بن يونس، و محمد بن قاسم، و غير واحد، و انصرف إلى الأندلس من
رحلته، فنال الوجاهة العظيمة.

ولايته: ولّاه قضاء الجماعة بغرناطة، الناصر لدين الله، أول ولايته، وسط سنة ثلاثمائة، إلى أن استعفى سنة تسع و ثلاثمائة فأعفاه، ثم
أعاده. و كان فى قضائه صارماً لا هوادة عنده. قال المؤرّخ: كان الناصر يستخلفه فى سطح القصر إذا خرج إلى مغازيه. و حكى ابن
حارث أن ابن معاذ و ابن صالح أتيا يوماً، فلما أخذوا مجلسهما نظر إليهما و قال: ألقوا ما أنتم ملقون فأبهتهما. و دخل عليه محمد بن
وليد يوماً، فكلمه فى شىء، فقال أسلم: سمعنا و عصينا. فقال ابن وليد: و نحن قلنا و احتسبنا. و أتاه فى بعض مجالسه شهود، بعضهم
من أهل المدينة بقرطبة، و بعضهم من شلار من الرّبض الشرقى، يشهدون فى ترشيد امرأة من الرّبض الغربى، فلما أخذوا مجالسهم،
فتح باب الخوخة التى فى المجلس الذى يجلس بدليله، و نادى من بخارجه فاجتمعوا؛ اسمعوا، عجباً لله درّ الشاعر حيث يقول:

[الكامل]

راحت مشرّقة و رحت مغرّباشتان بين مشرّق و مغرّب

هؤلاء من أهل المدينة و شلار، يشهدون في ترشيد امرأة من ساكنات آخر بلاط مغيث، ثم سكت فدهش القوم و تسللوا. و بلغه عن بعض الشهود المتهمين أنه أُرشى في شهادته ببساط، فلما أتى ليؤدّيها، و دخل على أسلم، جعل يخلع نعليه عند المشى على بساط القاضي، فناداه: أبا فلان، البساط، الله الله؛ فتبته بأن أمره عند القاضي، و لم يجسر على أداء شهادته تلك. و خاصم فقيه عند أسلم رجلا في خادم أغربها، و جاء بشاهد أتى به من إشبيلية، فقال: يا قاضي، هذا شاهدى فاسمع منه، فصعد أسلم في الشاهد و صوب، و قال: أ محتسب أو مكتسب أصلحك الله؟ فقال الشاهد: أحسن الظنّ أيها القاضي، فليس هذا إليك، هذا إلى الله المطّلع على ما فى القلوب، و لم تقعد هذا المقعد لتسأل عن هذا و شبهه، و إنما عليك الظاهر، و تكل الباطن إلى الله، فإن شئت، فاسمع الشهادة كما يلزمنى أداؤها، ثم اقبلها أو اضرب بها الحائط. و فى رواية أخرى، و ليس لك أن تكشف الستر المنسدل بينك و بينى، فإن هذا التفسير للشهود يوقف عن الشهادة عندك، و يعرض لإهانتك أهل لائقة، و فى ذلك من ضياع الحقوق ما لا يخفى، فأججل أسلم كلامه، و قال له: لك ما قلت، فأدّ

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٣١

شهادتك، يرحمك الله. قال: فأين الخادم؟ تحضر حتى أشهد على عينها، قال أسلم و فقيه أيضا: هاتوا الخادم، فجاءت من عند الأمين، فلما مثلت بين يديه، نظر منها مليا، ثم قال: أعرف هذه الخادم ملكا لهذا الرجل، لا أعرف ملكه، زال عنها بوجه من الوجوه، إلى حين شهادتى هذه، سلام على القاضي، ثم خرج، فبقى أسلم متعجبا منه. محنته: كفّ بصره فى أخريات أيامه، فطلب لأجل ذلك الإعفاء فأعفى، و لزم بيته صابرا محتسبا إلى حين وفاته. مولده: سنة إحدى و ثلاثين و مائتين.

أسد بن الفرات بن بشر بن أسد المزى

من أهل قرية الصير مورته، من إقليم البساط من قرى غرناطة. حاله: كان عظيم القدر و الشرف و الشهرة، أصيل المعرفة و الدين. مشيخته: خرج إلى المشرق، و لقي مالك بن أنس، رضى الله عنه، روى عنه سحنون بن سعيد. تأليفه: ألف كتاب «المختلطة»، و ولى القضاء بالقيروان أجمل ما كانت و أكثر علما، و ولاه زيادة الله غزو صقلية، ففتحها و أبلى بلاء حسنا.

وفاته: توفى، رحمه الله، محاصرا سرقوسة منها سنة ثلاث عشرة و مائتين. هذا ما وقع فى كتاب أبى القاسم الملاحى. و ذكره عياض فذكر خلافا فى اسمه و فى أوليته.

أبو بكر المخزومى الأعمى المورورى المدورى

حاله: كان أعمى، شديد القحّة و الشّرّ، معروف بالهجاء، مسلطا على

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٣٢

الأعراض، سريع الجواب، ذكىّ الذهن، فطنا للمعاريض، سابقا فى ديوان الهجاء، فإذا مدح ضعف شعره. دخوله غرناطة: و ذكر شىء من شعره، و مهارته مع نزهون بنت القلاعى.

قال أبو الحسن بن سعيد، فى كتابه المسمى ب «الطالع السعيد»: قدم على غرناطة أيام ولاية أبى بكر بن سعيد عمل غرناطة، و نزل قريبا منه، و كان يسمع به؛ فقال: صاعقه يرسلها الله، عزّ و جلّ، على من يشاء من عباده، ثم رأى أن يبدأه بالتأنيس و الإحسان، فاستدعاه بهذه الأبيات: [المجتث]

يا ثانيا للمعزى فى حسن نظم و نثر
و فرط ظرف و نبل و غوص فهم و فكر
صل ثم واصل حفيبا بكل شكر و بر
و ليس إلا حديث كما زها عقد در
و شادن قد تغنى على رباب و زمر
و ما يسامح فيه الغفور من كأس خمر
و بيننا عقد حلف لبان شرك و كفر
فقم نجدده عهدا بطيب شكر و سكر
و الكأس مثل رضاع و من كمثلك يدرى؟

و وجه له الوزير أبو بكر بن سعيد عبدا صغيرا قاده، فلمّا استقرّ به المجلس، و أفعمته روائح النّد و العود و الأزهار، و هزّت عطفه الأوتار، قال: [البسيط]

دار السّعيدى ذى أم دار رضوان ما تشتهى النفس فيها حاضر دان

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٣٣ سقت أبارقها للنّد سحب ندى تحدو برعد لأوتار و ألمان

و البرق من كلّ دنّ ساكب مطرا يحيى به ميت أفكار و أشجان

هذا النعيم الذى كنا نحدّثه و لا سبيل له إلا بأذان

فقال أبو بكر بن سعيد: «و لا- سبيل له إلا بأذان»، فقال: حتى يبعث الله ولد زنا كلما أنشدت هذه الأبيات، قال: و إن قائلها أعمى، فقال: أمّا أنا، فلا أنطق بحرف فى ذلك، فقال: من صمت نجا. و كانت زهون بنت القلاعى، الآتى ذكرها، حاضرة، فقالت: و نراك يا أستاذ، قديم النغمه، بندّ و غناء و طيب شراب، تتعجب من تأتیه، و تشبّهه بنعيم الجنه، و تقول: ما كان يلمّ إلا بالسمع، و لا يبلغ إليه إلا بالعيان؟ لكن من يجيء من حصن المدور، و ينشأ بين تيوس و بقر، من أين له معرفة بمجالس النغم؟ فلما استوفت كلامها تنحج الأعمى، فقالت له: دعه، فقال: من هذه الفاعلة؟ فقالت: عجوز مقام أمك، فقال:

كذبت، ما هذا صوت عجوز، إنما هذه نغمه قحبه محترقه تشمّ روائح كذا منها على فرسخ، فقال له أبو بكر: يا أستاذ، هذه زهون بنت القلاعى الشاعرة الأديبه، فقال: سمعت بها لا أسمعها الله خيرا، و لا أراها إلا أيرا. فقالت له:

يا شيخ سوء تناقضت، و أى خير أفضل للمرأة ممّا ذكرت؟ ففكر المخزومى ساعه ثم قال: [الطويل]

على وجه زهون من الحسن مسحه و إن كان قد أمسى من الضوء عاريا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٣٤ قواصد زهون توارك غيرها و من قصد البحر استقلّ السواقيا فأعملت فكرها و قالت: [المجتث]

قل للوضع مقاليتلى إلى حين يحشر

من المدور أنشت و الخرا منه أعطر

حيث البداوة أمست فى أهلها تنبخر

لذاك أمسيت صبا بكلّ شيء مدور

خلقت أعمى و لكن تهيم فى كلّ أهور

جازيت شعرا بشعر فقل لعمرى من أشعر

إن كنت فى الخلق أنثى فإنّ شعرى مذكر

فقال لها اسمعى : [المتقارب]

الأقل لنزهونة ما لها تجرّ من التيه أذيالها

و لو أبصرت فيشئ شمرت كما عودتني، سربالها

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٣٥

فحلف أبو بكر بن سعيد ألا يزيد أحدهما على الآخر في هجوه كلمة، فقال المخزومي: أكون هجاء الأندلس و أكف عنها دون شيء؟ فقال: أنا أشتري منك عرضها فاطلب، فقال: بالعبد الذي أرسلته فقادني إلى منزلك، فإنه لئن القدر رقيق الملمس . فقال أبو بكر: لو لا أنه صغير كنت أبلغك فيه مرادك، و أهبه لك؛ ففطن لقصده، و قال: أصبر عليه حتى يكبر، و لو كان كبيرا ما آثرتني على نفسك؛ فضحك أبو بكر و قال: قد هجوت نثرا، و إن لم تهج نظاما، فقال: أيها الوزير، لا تبديل لخلق الله. و انفصل المخزومي بالعبد بعدما أصلح بينه و بين نزهون.

و قال يمدح القاضي بقرناطة أبا الحسن بن أضحي، رحمهما الله :

عجبا للزمان يطلب هضمي و ملاذى منه علي بن أضحي

جاره قد سما على التطح عزّاليس يخشى من حادث الدهر نطحا

فكأني علوت قرن فلان أي تيس مطول القرن أحي

فقال له ابن أضحي: هلا اقتصرت على ما أنت بسبيله، فكم تقع في الناس؟

فقال: أنا أعمى و هم حفر فلا أزال أقع فيها، فقال: فأعجبني كلامه على قبحه.

و حديث مقامه بقرناطة يقتضى طويلا.

وفاته: قال أبو القاسم بن خلف، كان حيا بعد الأربعين و خمسمائة.

أصبغ بن محمد بن الشيخ المهدي

يكنى أبا القاسم؛ عالم مشهور.

حاله: كان محققا بعلم العدد و الهندسة، مقدما في علم الهيئة و الفلك و علم النجوم، و كانت له مع ذلك عناية بالطب.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٣٦

توالياه: توالياه حسان، و موضوعاته مفيدة؛ منها كتاب «المدخل إلى الهندسة» في تفسير كتاب أقليدس. و منها كتاب ثمار العدد المعروف ب «المعاملات». و منها كتابه الكبير في الهندسة، تقصّي فيه أجزاءها. و منها كتاب في الآلة المعروفة بالأسطرلاب. و منها تاريخه الذي ألفه و هو تاريخ كبير.

وفاته: قال ابن جماعة في تاريخه: أخبرني أبو مروان سليمان بن عيسى الناشئ المهندس، أنه توفي بمدينة غرناطة قاعدة الأمير حبّوس ليلة الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت لرجب سنة ست و عشرين و أربعمائة، و هو ابن ست و خمسين سنة شمسية. و عدّه من مفاخر الأندلس.

أبو علي بن هديّة

من أهل غرناطة.

حاله: قال أبو القاسم الملاحى فيه: من أهل الدين، و الفضل، و الأمانة، و العدالة، و المعرفة بالتكسير و الأعمال السلطانية، و ولى «المستخلص» بقرناطة، فثقب و أجاد النظر. قال ابن الصّيرفي: و لما ولى الوزير أبو علي بن هديّة المستخلص، و باشر جلائل الأمور و

دقائقها بنفسه، حمى المناصفين، ورفع المؤمن والكلف عنهم، ووسع بسليف البذر عليهم، وآثرهم بالتصفة بالتزام حصّة بيت المال؛ ولم يكن له حجاب ولا بؤاب، فكان القوى والضعيف، والمشروف والشريف، والكبير والصغير، والرجل والمرأة، شرعا سواء في الوصول إليه، والتكلم في مجلسه، فلم يهتضم جانب، ولا دحضت حجة؛ إلا أنه ارتفعت الرقبة، وزالت الهيبة، وأمحق نور الخطّة؛ وخصّ أحباس جامع غرناطة بنظره، بفضل مال كثير من غلّته، وتبه باجتماعه ليزيد به بلاطين في مسقفه من شرقه وغربه، فأكمل الله ذلك بسعيه وعلى يديه؛ ورام ربح المستخلص، وزاد به في حمّاماته؛ ورمّ حوانيته، واستحدث منيحه سمّاها المستحدثه، وغرس قضبان الجوز في مواضع المياه، وعوض بما ذهب، وشمر في جمع المال، والى الحفز على العمل، ونصح بمقتضى جهده، ومنتهى وسعه، ولم تمدّ يده في مصانعة، ولا مالت إلى مداخلة، ولكنه لم يحمل في حق، ولا نوقش في باطل.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٣٧

أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي

من أهل لوشة.

نبيلة حسيبة، تجيد قراءة القرآن، وتشارك في فنون من الطلب، من مبادئ غريبة، وخلف وإقراء مسائل الطب، وتنظم أبياتا من الشعر. وذكرتها في خاتمة «الإكليل» بما نصّه: «ثالثة حمدة وولادة، وفاضلة الأدب والمجادة، تقلّدت المحاسن من قبل ولادة، وأولدت أبقار الأفكار قبل سنّ الولادة. نشأت في حجر أبيها، لا يدخر عنها تدريجا ولا سهما، حتى نهض إدراكها وظهر في المعرفة حراكها، ودّرسها الطبّ ففهمت أغراضه، وعلت أسبابه وأعراضه». وفي ذكر شعرها:

«و لَمّا قدم أبوها من المغرب، و حدّث بخبرها المغرب، توجه بعض الصدور إلى اختبارها، ومطالعة أخبارها، فاستنبل أغراضها واستحسنها، واستطرف لسنها، وسألها عن الخطّ، وهو أكسد بضاعة جلبت، وأشخّ درّة جلبت. فأنشده من نظمها:

[البسيط]

الخطّ ليس له في العلم فائدة وإنما هو تزيين بقرطاس

والدرس سؤلى لا أبغى به بدلا بقدر علم الفتى يسمو على الناس

وراجعها بعض المجان، يغفر الله له: [مجزوء البسيط]

إن فرط الدرس يا أمى سحق وهذا هو المشهور في الناس

فخذ من الدرس شيئا تافها خطا وبالْفهم كلّ الناس

ومن شعرها في غرض المدح: [الكامل]

إن قيل من للناس ربّ فضيلة حاز العلا والمجد منه أصيل

فأقول رضوان وحيد زمان إنّ الزمان بمثله لبخيل

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٣٨

بلكين بن باديس بن حبّوس بن ماكسن بن زيرى ابن مناد الصنهاجى

الأمير الملقّب بسيف الدولة، صاحب أمر والده والمرشح للولاية بعده.

حاله: قال المؤرّخ: كان زيرى بن مناد، ممّن ظهر في حرب ابن يزيد بإفريقية، واتّسم هو وقومه بطاعة العبيديين أمراء الشيعة، فكانوا حربا لأضدادهم من زناتة الموالين لأملاك المرابطة لتحقّق جدّهم خزر بولايته عثمان بن عفان، رضى الله عنه؛ فلمّا صار الأمر إلى بنى مناد بعد انتقال ملك الشيعة إلى المشرق، ولّى الأمر باديس بن منصور بن بلكين بن زيرى، ذهب أعمامه وأعمام أبيه إلى

استضعافه، فلم يعطهم ذلك من نفسه، و وقعت بينهم الحرب التي قتل فيها عم أبيه ماكسن بن زيري، فرهب الباقون منهم صولة باديس، و خافوا عاديته على أنفسهم، على صغر سنّه؛ فخاطب شيخ بيته يومئذ زاوى بن زيري و معه أبناء أخيه، المظفر بن أبي عامر ليجوز إليه إلى الأندلس رغبة في الجهاد، فألقى همّة بعيدة، و ملكا شامخا، يذهب إلى استخدام الأشراف و اصطناع الملوك، فأذن في ذلك؛ فدخل منهم جماعة الأندلس مع أميرهم زاوى بن زيري، و معه أبناء أخيه حباسة و حبّوس و ماكسن؛ فأتزلهم المظفر و أكرمهم، إلّا أنهم كابدوا مشقة من دهرهم الذى أصارهم يخدمون بأبواب الملوك من أعدائهم غيرهم؛ فلما انهدمت الإمامة، و انشقت عصا الجماعة، سعوا في الفتنة سعى غيرهم؛ من سائر قبائل البرابرة، عند تشديد أهل الأندلس للبربر؛ و انحازوا عند ظهورهم على أهل الأندلس، بملوك بنى حمود، إلى بلاد تضمّمهم، فانحازت صنهاجة مع شيخهم و رئيسهم زاوى بن زيري إلى مدينة غرناطة. ثم أثار زاوى العودة إلى وطنه إفريقية، فخرج عن الأندلس حسبما يتفسر في موضعه. و التفت قومه على ابن أخيه حبّوس بن ماكسن، في جماعة عظيمة تحمي حوزته، و أقام بها ملكا؛ و غلب على ما اتصل بمدينته من الكور، فتملك قبره، و جيان، و اتسع نظره، و حمى وطنه و رعيتته ممّن جاوره من البرابرة؛ و كان داهية شجاعا، فدامت رئاسته، و اتصل ملكه،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٣٩

إلى أن هلك. فولى بعده ابنه باديس، و سيأتى التعريف به؛ و ولد له ابنه بلكين هذا المترجم به، فرشحه إلى ملكه، و أخذ له بيعه قومه، و أهله للأمر من بعده. قال المؤرخ: و نشأ لباديس بن حبّوس، ولد اسمه بلكين، و كان عاقلا نبيلًا، فرشحه للأمر من بعده؛ و سمّاه سيف الدولة؛ و قال: ولى مالقة في حياة أبيه، و كان نبيلًا جليلا؛ و وقعت على كتاب بخطه نصّه بعد البسملة:

«هذا ما التزمه و اعتقد العمل به، بلكين بن باديس، للوزير القاضى أبى عبد الله بن الحسن الجذامى سلّمه الله. اعتقد به إقراره على خطّة الوزارة، و القضاء فى جميع كوره، و أن يجرى من الترفيع و الإكرام له إلى أقصى غاية، و أن يحمل على الجراية فى جميع أملاكه بالكور المذكورة، حاضرتها و باديتها، الموروثة منها، و المكتسبة، القديمة الاكتساب و الحديثة، و ما ابتاع منها من العالى، رحمته الله و غيره، لا يلزمها وظيف بوجه، و لا يكلف منها كلفه، على كل حال، و أن يجرى فى قرابته، و خوله و حاشيته و عامرى ضيعه، على المحافظة و البرّ و الحرية. و أقسم على ذلك كلّ بلكين بن باديس بالله العظيم، و القرآن الحكيم، و أشهد الله على نفسه و على التزامه له، و كفى بالله شهيدا. و كتب بخطّ يده مستهل شهر رمضان العظيم سنّه ثمان و أربعين و أربعمائه، و الله المستعان». و لا شكّ أن هذا المقدار يدلّ على نبل، و يعرف عن كفاية.

سبب وفاته: قال صاحب البيان المغرب و غيره: و أمضى باديس كاتب أبيه و وزيره إسماعيل بن نغالة اليهودى على وزارته و كتابته و سائر أعماله، و رفعه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٤٠

فوق كل منزلة؛ و كان لولده بلكين خاصّة من المسلمين يخدمونه، و كان مبغضا فى اليهودى، فبلغه أنه تكلم فى ذلك لأبيه، فبلغ منه كلّ مبلغ؛ فدبرّ الحيلة، فذكروا أنه دخل عليه يوما فقبل الأرض بين يديه، فقال له الغلام: و لم ذلك؟ فقال: يرغب العبد أن تدخل داره مع من أحببت من عبيدك و رجالك، فدخل إليه بعد ذلك، فقدم له و لرجاله طعاما و شرابا، ثم جعل السمّ فى الكأس لابن باديس، فرام القىء، فلم يقدر عليه، فحمل إلى قصره و قضى نحبّه فى يومه؛ و بلغ الخبر إلى أبيه و لم يعلم السبب، فقرّر اليهودىّ عنده أن أصحابه و بعض جواريه سمّوه، فقتل باديس جوارى ولده، و من فتياه و بنى عمّه جماعة كبيرة، و خافه سائرهم ففرّوا عنه. و كانت وفاته سنّه ست و خمسين و أربعمائه. و بعده قتل اليهودى فى سنّه تسع و خمسين.

باديس بن حبّوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجى

كنيته أبو مناد، و لقبه الحاجب المظفر بالله، الناصر لدين الله.

أوليته: قد تقدم الإلماع بذلك عند ذكر ابنه بلكين.

حاله: كان رئيسا ييسا، طاغية، جبارا، شجاعا، داهية، حازما، جلدا، شديد الأمر، شديد الرأي، بعيد الهمة، مأثور الإقدام، شره السيف، وارى زناد الشر، جماعة للمال؛ ضخمت به الدولة، ونهت الألقاب، وأمنت لحمايته الرعايا، وطم

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٤١

تحت جناح سيفه العمران، و اتسع بطاعته المرهبة الجوانب بأسه النظر، و انفسخ الملك، و كان ميمون الطائر، مطعم الظفر، مصنوعا له في الأعداء، يقنع أقتاله بسلمه، و لا- يطمع أعداؤه في حربته. قال ابن عسكر: يكنى أبا مسعود، و كان من أهل الحزم و حماية الجانب، و كان يخطب و يدعو للعلويين بمالقة، فلما توفي إدريس بن يحيى العالى، ملك مالقة سنة ثمان و أربعين و أربعمائ.

و قال الفتح في قلائده: «كان باديس بن حبوس بغرناطة عاتيا في فريقه، عادلا عن سنن العدل و طريقه؛ يجترئ على الله غير مراقب، و يسرى إلى ما شاء غير ملتفت للعواقب؛ قد حجب سنانة لسانه، و سبقت إساءته إحسانه؛ ناهيك من رجل لم يبت من ذنب على ندم، و لم يشرب الماء إلّا من قليب دم؛ أحزم من كاد و مكر، و أجرم من راح و ابتكر؛ و ما زال متقدما في مناحيه، متفقدنا لنواحيه، لا يرام بريث و لا عجل، و لا يبيت له جار إلّا على و جل».

أخباره في وقائعه: ينظر إيقاعه بزهير العامرى و من معه في اسم زهير، فقد ثبت منه هنالك نبذة، و إيقاعه بجيش ابن عباد بمالقة عندما طرق مالقة و تملكها، و استصرخ من استمسك بقصبتها من أساودتها، و غير ذلك مما هو معلوم، و شهرته مغنية عن الإطالة.

و من أخباره في الجبرية و القسوة، قال ابن حيان: عندما استوعب الفتكة بأبى نصر بن أبى نور اليفرنى أمير رندة المنتزى بها و قتله، و رجوعها إلى ابن عباد؛ حكى أبو بكر الوسنشانى الفقيه عن ثقة عنده من أصادقة التجار، أنه حضر مدينة غرناطة، حضرة باديس بن حبوس الجبار، أيام حدث على أبى نصر، صاحب تاكرنا، ما حدث، و أن أميرها باديس قام للحادثة و قعد، و هاج من داء عصبته ما قد سكن، و شق أثوابه، و أعلن أحواله، و هجر شرابه الذى لا صبر له عنه، و جفا ملاذّه؛ و أوهمته

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٤٢

نفسه الخيشة تمالؤ رعيتته من أهل الأندلس، على الذى دهى أبا نصر، فسوّلت له نفسه حمل السيف على أهل حضرته جميعا، مستحضرا لهم، و كيما ينبرهم، و يخلص برابرتة و عبيده فيريح نفسه، و دبر أن يأتى ذلك إليهم عند اجتماعهم بمسجدهم الجامع الأقرب أيام الجمعة، من قوة همومه؛ و شاور وزيره اليهودى يوسف بن إسماعيل، مدبر دولته الذى لا- يقطع أمرا دونه، مستخليا مستكنا بسره، مصمما فى عزمه، إن هو لم يوافق عليه؛ فنهاه عن ذلك و خطأ رأيه فيه، و سأله الأناة و محض الروية، و قال له: هبك وصلت إلى إرادتك ممن بحضرتك، على ما فى استباحتهم من الخطر، فأئى تقدر على الإحاطة بجميعهم من أهل حضرتك، و بسائط أعمالك؟ أتراهم يطمنون إلى الذهول عن مصائبهم، و الاستقرار فى موضعهم؟ ما أراهم إلّا سيوفا ينتظمون عليك فى جموع، يغرقونك فى لججها أنت و جندك؛ فردّ نصيحته، و أخذ الكتمان عليه، و تقدّم إلى عارضه باعتراض الجند فى السلاح، و التبعئة لركوبه يوم الفتكة، يوم تلك الجمعة، فارتج البلد. و ذكر أن اليهودى دسّ نسوانا إلى معارف لهنّ من زعماء المسلمين بغرناطة، ينهاهم عن حضور المسجد يومهم، و يأمرهم بإخفاء أنفسهم؛ و فشا الخبر فتخلف الناس عن شهود الجمعة؛ و لم يأت به إلّا نفر من عاقمتهم، اقتدوا بمن أتاه من مشيخة البربر و أغفال القاديين؛ و جاء إلى باديس الخبر، و الجيش فى السلاح حوالى قصره، فسأه وفّ فى عضده، و لم يشكّ فى فشوّ سرّه، و أحضر وزيره و قلده البوح بسره فأنكر ما قرفه به؛ و قال: و من أين ينكر على الناس الحذر، و أنت قد استركبت جندك و جميع جيشك فى التبعئة، لا لسفر ذكرتة، و لا لعدوّ و ثب إليك، فمن هناك حدس القوم على أنك تريد، و قد أجمل الله لك الصنيع فى نفاهم، و قادك إصايرهم، فأعد نظرك يا سيدى، فسوف تحمد عاقبة رأبى و غبطة نصحى. فنصح وزيره شيخ من موالى صنهاجته، فانعطف لذلك بعد لأى، و شرح الله صدره. و يجرى التعريف بشىء من أمور وزيره.

قال ابن عذارى المراكشي في كتابه المسمى ب «البيان المغرب»: أمضى باديس كاتب أبيه و وزيره ابن نغالة اليهودي، و عمالا متصرفين من أهل ملته، فاكسبوا الجاه في أيامه و استطالوا على المسلمين. قال ابن حيان: و كان هذا اللعين في ذاته، على ما زوى الله عنه من هدايته، من أكمل الرجال علما و حلما و فهما، و ذكاء، و دماثة، و ركانة، و دهاء، و مكرا، و ملكا لنفسه، و بسطا من خلقه، و معرفة

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٤٣

بزمانه، و مداراة لعدوه، و استسلالا لحقودهم بحلمه؛ ناهيك من رجل كتب بالقلمين، و اعتنى بالعلمين، و شغف باللسان العربي، و نظر فيه، و قرأ كتبه، و طالع أصوله؛ فانطلقت يده و لسانه، و صار يكتب عنه و عن صاحبه بالعربي، فيما احتاج إليه من فصول التحميد لله تعالى، و الصلاة على رسوله، صلى الله عليه و سلم، و التزكية لدين الإسلام، و ذكر فضائله، ما يريد، و لا يقصر فيما ينشئه عن أوسط كتاب الإسلام؛ فجمع لذلك «السجيج في علوم الأوائل الرياضية» و تقدم منتحليها بالتدقيق للمعرفة النجومية؛ و يشارك في الهندسة و المنطق، و يفوق في الجدل كل مستول منه على غاية؛ قليل الكلام مع ذكائه، ماقتا للسباب، دائم التفكير، جماعة للكتب. هلك في العشر الثاني لمحرّم سنة تسع و خمسين و أربعمائه، فجلل اليهود نعشه، و نكسوا لها أعناقهم خاضعين، و تعاقده جازعين، و بكوه معلنين؛ و كان قد حمل ولده يوسف المكنتي بأبي حسين على مطالعة الكتب، و جمع إليه المعلمين و الأدباء من كل ناحية، يعلمونه و يدارسونه، و أعلقه بصناعة الكتابة، و رشحه لأول حركته، لكتابه ابن مخدومه بلكين برتبة المترشح لمكانه، تمهيدا لقواعد خدمته؛ فلما هلك إسماعيل في هذا الوقت، أدناه باديس إليه، و أظهر الاغتيال به، و الاستعاضة بخدمته عن أبيه.

ذكر مقتل اليهودي يوسف بن إسماعيل بن نغالة الإسرائيلي:

قال صاحب البيان: و ترك ابنا له يسمى يوسف لم يعرف ذلّ الدّمة، و لا قدر اليهودية. و كان جميل الوجه، حادّ الدّهن، فأخذ في الاجتهاد في الأحوال، و جمع المال، و استخراج الأموال، و استعمال اليهود على الأعمال، فزادت منزلته عند أميره، و كانت له عليه عيون في قصره من نساء و فتیان، يشملهم بالإحسان، فلا يكاد باديس يتنفس، إلّا و هو يعلم ذلك. و وقع ما تقدم ذكره، في الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٤٤

ذكر بلكين من آتهامه بسّمه، و تولّيه التهمة به عند أبيه، للكثير من جواريه و خدامه، و فتك هذا بقريب له، تلو له في الخدمة و الوجاهة، يدعى بالقائد، شعر منه بمزاحمته إياه فتكّه شهيرة؛ و استهدف للناس فشغلت به ألسنتهم، و ملث غيظا عليه صدورهم، و ذاعت قصيدة الزاهد أبي إسحاق الإلبيري، في الإغراء بهم، و اتفق أن أغارت على غرناطة بعوث صمادحية تقول إنها باستدعائه، ليصير الأمر الصنهاجيّ إلى مجهزها الأمير بمدينة ألمرية. و باديس في هذه الحال منغمس في بطالته، عاكف على شرا به. و نمى هذا الأمر إلى رهطه من صنهاجة، فراحوا إلى دار اليهودي مع العامّة، فدخلوا عليه، فاختنف، زعموا في بيت فحم، و سوّد وجهه، يروم التنكير فقتلوه لما عرفوه، و صلبوه على باب مدينة غرناطة، و قتل من اليهود في يومه، مقتل عظيم، و نهبت دورهم، و ذلك سنة تسع و خمسين و أربعمائه. و قبره اليوم و قبر أبيه يعرف أصلا من اليهود ينقلونه بتواتر عندهم، أمام باب البيرة، على غلوة، يعترض الطريق، على لحدّه حجارة كدان جافية الجرم؛ و مكانه من الترفّ و الترف و الظرف و الأدب معروف؛ و إنما أتينا ببعض أخباره لكونه ممن لا يمنع ذكره في أعلام الأدباء و الأفراد إلا نحلته.

مكان باديس من الذكاء و تولّعه بالقضايا الآتية:

قال ابن الصّيرفي: حدّثني أبو الفضل جعفر الفتى، و كان له صدق، و في نفسه عزّة و شهامة و كرم، و أثنى عليه، و عرّف به، حسبما

يأتي في اسم جعفر المذكور، قال: خاض باديس مع أصحابه في المجلس العلى، من دار الشراب بقصره، و اصطفت الصقاليب و العبيد بالبرطل المتصل به لتخدم إرادته، فورد عليه نأ قام لتعرفه عن مجلسه، ثم عاد إلى موضعه و قد تجهّم وجهه، و خبث نفسه، فحذر ندماؤه على أنفسهم، و تخيلوا وقوع الشّرّ بهم، ثم قال: أعلمتم ما حدث؟ قالوا: لا، و الله يطلع على خير، قال: دخل المرابط الدمنه، فسرى عن القوم، و انطلقت ألسنتهم بالدعاء بنصره، و فسحة عمره، و دوام دولته، ثم وجموا لوجومه، فلما رأى الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٤٥

تكدّر صفوهم، قال: أقبلوا على شأنكم، ما نحن و ذاك، اليوم خمر و غدا أمر، بيننا و بينه أمداد الفجوة، و التّشور الجبال و أمواج البحار، و لكن لا بدّ له أن يتملك بلدى، و يقعد منه مقعدى، و هذا أمر لا يلحقه أحد منّا، و إنما يشقى أحفادنا. قال جعفر: فلما دخل الأمير القصر، عند خلعه حفيد باديس برحبة مؤمل، طاف بكل ركن و مكان منه، و أنا في جملته حتى انتهى إلى ذلك المجلس، فبسط له ما قعد عليه، فتذكرت قول باديس، و تعجبت منه تعجبا ظهر علىّ، فالتفت إلى أمير المسلمين منكرا، و سألتى ما بى، فأخبرته و صدقته، و قصصت عليه قول باديس، فتعجّب، و قام إلى المسجد بمن معه، فصلّى فيه ركعات، و أقبل يترحم على قبره.

وفاته: قال أبو القاسم بن خلف: توفي باديس ليلة الأحد الموفى عشرين من شوال سنة خمس و ستين و أربعمائه، و دفن بمسجد القصر. قلت: و قد ذهب أثر المسجد، و بقى القبر يحفّ به حلق له باب، كل ذلك على سبيل من الخمول، و جدث القبر رخام، إلى جانب قبر الأمير المجاهد أبى زكريا يحيى بن غانية، المدفون في دولة الموحدين به.

و قد أدال اعتقاد الخليفة في باديس بعد وفاته، قدم العهد بتعرف أخبار جبروته و عتوّه على الله سبحانه، لما جبلهم عليه من الانقياد للأوهام و الانصياع للأصاليب، فعلى حفرته اليوم من الازدحام بطلاب الحوائج و المستشفين من الأسقام، حتى أولو الدواب الوجيعه، ما ليس على قبر معروف الكرخى، و أبى يزيد البسطامى.

و من أغرب ما وقفت عليه رقعة رفعها إلى السلطان على يدى رجل من أهل الخبر مكتّب يؤمّ في مسجد القصبه القدمى من دار باديس، يعرف بابن باق، و هو يتوسل إلى السلطان و يسأل منه الإذن في دفنه مجاورا لقبره. و عفو الله أوسع من أن يضيق على مثله، ممّن أسرف على نفسه، و ضيّع حقّ ربّه. و دائره اليوم طول قد

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٤٦

تغيرت أشكالها و قسّم التملك جئاتها، و مع ذلك فمعاهدها إليه منسوبة، و أخباره متداولة.

و قد ألمعت في بعض مشاهده بقولى من قصيدة، غريبة الأغراض، تشتمل على فنون، أثبتتها إحماضا و فكاهه، لمن يطالع هذا الكتاب، و إن لم يكن جلبها ضروريا فيه، فمنها: [الطويل]

عسى خطرة بالركب يا حادى العيس على الهضبة الشّماء من قصر باديس

بكرون بن أبى بكر بن الأشقر الحضرمى

يكنى أبا يحيى.

حاله: كان من ذوى الأصالة و مشايخ الجند، فارسا نجدا حازما سديد الرأى، مسموع القول، شديد العضلة، أيّدا، فحلا و سيما، قائدا عند الجند الأندلسى، في أيام السلطان ثانى ملوك بنى نصر، من أحفل ما كان الأمر، يجزّ وراءه دنيا عريضة، و جبهى الجيش على عهده مغانم كثيرة.

قال شيخنا ابن شبرين في تذكرة ألفتها بخطه: كان له في الخدمة مكان كبير، و جاه عريض، ثم صرفه الأمر عن رسمه، و أنزله الدهر عن حكمه، تغمدنا الله و إياه برحمته.

وفاته: في عام أربعة عشر و سبعمائة، و دفن بمقبرة قومه بباب البيرة.

بدر مولى عبد الرحمن بن معاوية الداخل

يكنى أبا النصر، رومى الأصل.

حاله: كان شجاعا داهية، حازما فاضلا، مصمما تقيا، علما من أعلام الوفاء.

لازم مولاه في أعقاب النكبة، و صحبه إلى المغرب الأقصى، مختصا به ذابا عنه، مشتتلا عليه، و خطب له الأمر بالأندلس، فتم له بما هو مذكور.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٤٧

قال أبو مروان في المقتبس: إن عبد الرحمن لما شرده الخوف إلى قاصية المغرب، و تنقل بين قبائل البربر، و دنا من ساحل الأندلس- و كان بها هممه- يستخبر من قرب، فعرف أن بلادها مفترقة بفرقتى المضريه و اليمانية، فزاد ذلك في أطماعه، فأدخل إليهم بدرا مولاه يحسس عن خبرهم، فأتى القوم ويلي ما عندهم، فداخل اليمانيين منهم، و قد عصفت ريح المضريين بظهور بنى العباس بالمشرق، فقال لهم:

ما رأيكم في رجل من أهل الخلافة يطلب الدولة بكم، فيقيم أودكم و يدرككم آمالكم؟ فقالوا: و من لنا به في هذه الديار، فقال بدر: ما أدناه منكم، و أنا الكفيل لكم به، هذا فلان بمكان كذا و كذا يقدم نفسه فقالوا: فجيء به أهلا، إنا سراع إلى طاعته، و أرسلوا بدرا بكتبهم يستدعونه، فدخل إليه بأيمن طائر، و استجمع إليه خلق كثير من أنصاره قاتل بهم يوسف الفهري، فقهره لأول وقائعه، و أخذ الأندلس منه و أورثها عقبه.

محنته: قال الراوى: و كان من أكبر من أمضى عليه عبد الرحمن بن معاوية حكم سياسته و قومه معدلته، مولاه بدر المعتق منه بكل ذمة محفوظة، الخائض معه لكل غمرة مرهوبة، و كل ذلك لم يغن عنه نقيرا لما أسلف في إدلاله عليه، و كثير من الانبساط لحرمته، فجمع مركب تحامله حتى أوردته ألما يضييق الصدر عنه، و آسف أميره و مولاه، حتى كبح عنانه عن نفسه بعد ذلك كبحة ألقى بها أو شارف حمامه، لو لا أن أبقى الأمير على نفسه التي لم يزل مسرفا عليها. قال: فأنتهى في عقابه لما سخط عليه أن سلب نعمته، و انتزع دوره و أملاكه و أغرمه على ذلك كله أربعين ألفا من صامته، و نفاه إلى الثغر، فأقصاه عن قربه، و لم يقله العثرة، إلى أن هلك، فرفع طمع الهوادة عن جميع ثقله و خدمته، و صير خبره مثلا في الناس بعده.

تاشفين بن على بن يوسف أمير المسلمين بعد أبيه بالعدوة

صالى حروب الموحدين.

أوليته: فيما يختص به التعريف بأوليته قومه، ينظر في اسم أبيه و جدّه إن شاء الله. قال ابن الوراق في كتاب المقياس و غيره: و في سنة اثنتين و عشرين و خمسمائة، ولى الأمير على بن يوسف أمير لمتونة، الشهير بالمرابط، ولده الأمير

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٤٨

المسمى بسير عهده من بعده. و جعل له الأمر في بقية حياته؛ و رأى أن يولى ابنه تاشفين الأندلس، فولاه مدينة غرناطة، و ألمرية ثم قرطبة مضافة إلى ما بيده.

قلت: و في قولهم رأى أن يولى الأندلس فولاه مدينة غرناطة، شاهد كبير على ما و صفناه من شرف هذه المدينة؛ فنظر في مصالحها، و ظهر له بركة في النصر على العدو، و خدمة الجد الذي أسلمه. و تبرأ منه في حروبه مع الموحدين حسبما يتقرر في موضعه، فكانت له على النصرارى وقائع عظيمة بعد لها الصييت، و شاع الذكر حسبما يأتي في موضعه. قال: فكبر ذلك على أخيه سير ولى عهد أبيه، و فاوض أباه في ذلك و قال له: إن الأمر الذى أهلتنى إليه لا يحسن لى مع تاشفين، فإنه قد حمل الذكر و الثناء دونى، و غطى على

اسمى، و أمال إليه جميع أهل المملكة، فليس لى معه اسم و لا- ذكر، فأرضاه بأن عزله عن الأندلس و أمره بالوصول إلى حضرته، فرحل عن الأندلس فى أواسط سنة إحدى و ثلاثين و خمسمائة و وصل مراكش، و صار من جملة من يتصرف بأمر أخيه سير و يقف ببابه كأحد حجابيه؛ ففضى الله وفاة الأمير سير على الصورة القبيحة حسبما يذكر فى اسمه، و ثكله أبوه و اشتد جزعه عليه، و كان عظيم الإيثار و الإرضاء لأمه قمر، و هى التى تسببت فى عزل تاشفين و إخماله نظرا إلى ابنها، فقطع المقدار بها عن أمها بهلاكه. و لما توفى الأمير سير، أشارت الأم المذكورة على أبيه بتقديم ولده إسحاق، و كان رؤوما لها، قد تولت تربيته عند هلاك أمه و تبنته، فقال لها: هو صغير السن لم يبلغ الحلم؛ و لكن حتى أجمع الناس فى المسجد خاصه و عامه، و أخبرهم فإن صرفوا الخيار إلى، فعلت ما أشرت به. فجمع الناس و عرض عليهم الأمر؛ فقالوا كلهم فى صوت واحد: تاشفين، فلم توسعه السياسة مخالفتهم؛ فعقد له الولاية بعده و نقش اسمه فى الدنانير و الدراهم مع اسمه، و قلده النظر فى الأمور السلطانية، فاستقر بذلك. و كتب إلى العدو و الأندلس و بلاد المغرب ببيعته، فوصلت البيعات من كل جهة. ثم رمى به جيوش الموحدين الخارجين عليه، فبنا جدّه و مرضت أيامه، و كان الأمر عليه لا له، بخلاف ما صنع الله له بالأندلس.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٤٩

قال أبو مروان الوزاق: و كان أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين قد أمل فى ابنه تاشفين ما لم تكن الأقدار تساعد به، فتشاءم به و عزم على خلعه و صرف عهده إلى إسحاق ولده الأصغر، و وجه إلى عامله على إشبيلية عمر، أن يصل إليه ليجعله شيخ ابنه، إلى أن وافاه خبر أمضه و ألقه و لم يمهل، فأزعج تاشفين إلى عدوه على غير أهبة بتفويضه إياه، و صرف المدد فى إثره، و توفى لسبع خلون من رجب سنة سبع و ثلاثين لفعله ذلك.

ملكه و وصف حاله: فأفضى إليه ملك أبيه، بتفويضه إياه فى حياته، لسبع خلون من رجب سنة سبع و ثلاثين و خمسمائة، و كان بطلا شجاعا حسن الركة و الهيئه، سالكا ناموس الشريعة، مائلا إلى طريقة المستقيمين، و كتب المريدين؛ قيل إنه لم يشرب قط مسكرا و لا استمع إلى قينه، و لا اشتغل بلده مما يلهو به الملوك.

الثناء عليه: قال ابن الصيرفى: و كان بطلا شجاعا، أحبه الناس، خواصهم و عوامهم، و حسنت سياسته فيهم، و سد الثغور، و أذكى على العدو العيون، و آثر الجند، و لم يكن منه إلما الجد، و لم تنل عنده الخطوة، إلّا بالعناء و النجدة. و بذلك حمل على الخيل، و قلده الأسلحة، و أوسع الأرزاق، و استكثر من الرماة و أركبهم و أقام همّتهم للاعتناء بالثغور و مباشرة الحرب، ففتح الحصون و هزم الجيوش و هابه العدو. و لم ينهض إلا ظاهرا و لا صدر إلّا ظافرا. و ملك الملك و مهد بالحزم و تملك نفوس الرعية بالعدل، و قلوب الجند بالنصفه. ثم قال: و لو لا الاختصار الذى اشترطناه لأوردنا من سنى خلاله ما يضيّق عنه الرّحّب، و لا يسعه الكتب.

دينه: قال المؤرخ: عكف على زيارة قبر أبى وهب الزاهد بقربطيه، و صاحب أهل الإزادة، و كان وطى الأكناف، سهل الحجاب، يجالس الأعيان و يذاكرهم.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٥٠

قال ابن الصيرفى: و لما قدم غرناطة أقبل على صيام النهار، و قيام الليل، و تلاوة القرآن، و إخفاء الصدقة، و إنشاء العدل، و إيتار الحق. دعابته: قالوا: مرّ يوما بمرج القرون، من أحواز قلعة يحصب، فقال لزمال من عبيده كان يمازحه: هذا مرجك؛ فقال الزمال: ما هو إلّا مرجك و مرج أبيك، و أما أنا فمن أنا؟ فضحك و أعرض عنه.

دخوله غرناطة: قالوا: و فى عام ثلاثه و عشرين و خمسمائة، ولى الأمير أبو محمد تاشفين بن أمير المسلمين على بن أمير المسلمين يوسف، و وافاها فى السابع عشر لذى حجة؛ فقوى الحصون و سد الثغور و أذكى العيون، و عمد إلى رحبه القصر، فأقام بها السقائف و البيوت، و اتخذها لخن السلاح و مقاعد الرجال، و ضرب السهام؛ و أنشأ السقى، و عمل التراس، و نسج الدرّوع، و صقل البيضات و السيوف، و ارتبط الخيل، و أقام المساجد فى الثغور، و بنى لنفسه مسجدا بالقصر، و واصل الجلوس للنظر فى الظلمات، و قراءة

الزّجاج، و ردّ الجواب؛ و كتب التوقيعات، و أكرم الفقهاء و الطلبة، و كان له يوم في كل جمعة، يتفرّغ فيه للمناظرة. و زراؤه: قال أبو بكر: و قرن الله به مّمّن ورد معه، الزبير بن عمر اللّمتوني، ندره الزمان كرما و بسالة، و حزما و أصالة، فكان كما جاء في الحديث عن رسول الله، صلى الله عليه و سلم: «من ولى شيئا من أمور المسلمين فأراد الله به خيرا، جعل الله له بطانة خيرا، و جعل له وزيرا صالحا، إن نسى شيئا ذكره، و إن ذكره أعانه».

عمّاله: الوزير أبو محمد الحسين بن زيد بن أيوب بن حامد بن منحل بن يزيد.

كتّابه: الرئيس العالم أبو عبد الله بن أبي الخصال، و الكاتب المؤرّخ أبو بكر الصيرفي و غيرهما .

و من أخبار جهاده: خرج الأمير تاشفين في رمضان عام أربعة و عشرين و خمسمائة بجيش غرناطة و مطوعتها، و اتصل به جيش قرطبة إلى حصن السّكة من عمل طليطلة، و قد اتخذته العدو ركابا لإضراره بالمسلمين، و شحنه و جمّم به شوكة الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٥١

حادّة بقومس مشهور؛ فأحرق به، و نشر الحرب عليه، فافتتحه عنوة و قتل من كان به؛ و أحيأ قائده «فرنند» و من معه من الفرسان، و صدر إلى غرناطة، فبرز له الناس بروزا لم يعهد مثله. و في شهر صفر من عام خمسة و عشرين أوقع بالعدو المضيق على أوليته. و في ربيع الأول من عام ستة و عشرين، تعرّف خروج عدو طليطلة إلى قرطبة؛ فبادر الأمير تاشفين إلى قرطبة، ثم نهد إلى العدو في خفّ، و ترك السيقّة و الثقل بأرجونه. و قد اكتسح العدو بشتت إشتطين و الوادي الأحمر.

و أسرى الليل، و واصل الركض، و تلاحق بالعدو بقرية براشة. فترأى الجمعان صباحا، و افتضح الجيش، و نشرت الرّماح و الزّيات، و هدرت الطبول، و ضاقت المسافة، و انتبذ العدو عن الغنيمة؛ و التّفّ الجمع، فتقصرت الرّماح، و وقعت المسابقة، و دارت الحرب على العدو، و أخذ السيف مأخذه، فأتى القتل على آخرهم، و صدر إلى غرناطة ظافرا. و في آخر هذا العام خرج العدو «للنمط» و قد احتفل في جيشه إلى بلاد الإسلام، فصبح إشبيلية يوم النصف من رجب، و برز إليه الأمير أبو حفص عمر بن علي بن الحاج، فكانت به الدّبرة في نفر من المسلمين استشهد جميعهم؛ و نزل العدو على فرسخين من المدينة فجّللها نهباً و غارة؛ فقتل عظيما، و سبي عظيما؛ و بلغ الخبر الأمير تاشفين، فطوى المراحل، و دخل إشبيلية، و قد أسرها؛ و استوصلت باديتها، و كثر بها التّأديب و التنكيل فأخذ أعقاب العدو، و قد قصد ناحية بطليوس و باجة و يابرة في ألف عديده من أنجاد الرجال، و مشهور الأبطال، فراش جولا عهدا بالزّوع، فظفر بما لا يحصيه أحد، و لا يقع عليه عدد؛ و انثنى على رسل لثقل السيقّة، و ثقته ببعده الصّارخ، و تجشمت بالأمير تاشفين الأدلاء كل ذروة و ثتية، و أفضى به الإعداد إلى فلاة بقرب الزّلاقة، و هو المهيع الذي يضطر العدو إليه، و لم يكن إلّما كلّما و لا، حتى أقبلت الطلائع منذرة بإقبال العدو، و الغنيمة في يده قد ملأت الأرض؛ فلما تراءى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٥٢

الجمعان، و اضطربت المحلات، و رتبت المراكب فأخذت مصافّها، و لزمت الرجال مراكبها، فكان القلب مع الأمير و وجوه المرابطين و أصحاب الطاعات؛ و عليه البنود الباسقات، مكتّبة بالآيات، و في المجتئين كبار الدولة من أبطال الأندلس، عليهم حمر الزّيات بالصور الهائلة، و في الجناحين أهل الثغر و الأوشاب من أهل الجلادة، عليهم الزّيات المرقّعات بالعذبات المجزّعات. و في المقدمة مشاهير زناته و لفيف الحشم بالرايات المصبغات المتّبقات . و التقى الجمعان، و نزل الصبر، و حميت النفوس، و اشتدّ الضرب و الضراب و كثرت الحملات؛ فهزم الله الكافرين، و أعطوا رقابهم مدبرين، فوقع القتل، و استلحم العدو السيف، و استأصله الهلاك و الأسار؛ و كان فتحا جليلا لا كفاء له، و صدر الأمير تاشفين ظافرا إلى بلده في جمادى من هذا العام. و لو ذهبنا لاستقصاء حركات الأمير تاشفين و ظهوره لاستدعى ذلك طولا كثيرا.

بعض ما مدح به: فمن ذلك: [الكامل]

أمّا و بيض الهند عنك خصوم فالزّوم تبذل ما طباك تروم

تمضى سيوفك في العدا و يردّها عن نفسه حيث الكلام وخيم

و هذه القصائد قد اشتملت على أغراضها الحماسية، و الملك سوق يجلب إليها ما ينفق عندها.

وفاته: قد تقدّم انصرافه عن الأندلس سنة إحدى و ثلاثين و خمسمائة، و قيل:

سنة اثنتين ، و استقراره بمراكش مرءوساً لأخيه سير، إلى أن أفضى إليه الأمر بعد أبيه. قال: و استقبل تاشفين مدافعة جيش أمير الموحدين، أبي محمد عبد المؤمن بن

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٥٣

على خليفته مهديهم، و مقاومة أمر قضى الله ظهوره، و الدفاع عن ملك بلغ مداه، و تمت أيامه. كتب الله عليه، فالتأت سعدة، و فلّ جدّه، و لم تقم له قائمة إلى أن هزم، و تبدّد عسكره، و لجأ إلى وهران، فأحاط به الجيش، و أخذه الحصار. قالوا:

فكان من تدبيره أن يلحق ببعض السواحل، و قد تقدّم به وصول ابن ميمون قائد أسطوله، ليرفعه إلى الأندلس؛ فخرج ليلاً في نفر من خاصيته فزقهم الليل، و أضلهم الزرع، و بددتهم الأوعار، فمنهم من قتل، و منهم من لحق بالقواطع البحرية؛ و تردى بتاشفين فرسه من بعض الحافات، و وجد ميتاً في الغد، و ذلك ليلة سبع و عشرين لرمضان سنة تسع و ثلاثين و خمسمائة؛ و صلبه الموحّدون، و استولوا على الأمر من بعده، و البقاء لله تعالى.

ثابت بن محمد الجرجاني ثم الأستر آبادي

يكنى أبا الفتوح.

حاله: قال ابن سيّام : كان الغالب على أدواته علم اللسان، و حفظ الغريب، و الشعر الجاهلي و الإسلامي، إلى المشاركة في أنواع التعاليم، و التصرف في حمل السلاح، و الحدق بأنواع الجندية؛ و التّفاد في أنواع الفروسية، فكان الكامل في خلال جمّة. قال أبو مروان: و لم يدخل الأندلس أكمل من أبي الفتوح في علمه و أدبه. قال ابن زيدون: لقيته بغرناطة، فأخذت عنه أخبار المشاركة، و حكايات كثيرة؛ و كان غزير الأدب، قويّ الحفظ في اللغة، نازغاً إلى علم الأوائل من المنطق و النجوم و الحكمة، له بذلك قوة ظاهرة. طروؤه على الأندلس: قال صاحب الذخيرة : طرأ على الحاجب منذ صدر الفتنة للذائع من كرمه، فأكرمه و رفع شأنه، و أصبح ابنه المرشّح لمكانه ،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٥٤

فلم يزل له بهما المكان المكين، إلى أن تغير عليه يحيى لتغير الزمان، و تقلّب الليالي و الأيام بالإنسان، و لحق بغرناطة بعسكر البرابرة، فحلّت به من أميرهم باديس الفاقرة .

من روى عنه: قال أبو الوليد: قرأت عليه بالحضرة الحماسة في اختيار أشعار العرب، يحملها عن أحمد بن عبد السلام بن الحسين البصرى، و لقيه ببغداد سنة ثمان و سبعين و ثلاثمائة، عن أبي ريش أحمد بن أبي هشام بن شبل العيسى بالبصرة سنة ثمان و أربعين و ثلاثمائة، و له في الفضائل أخبار كثيرة.

محنته و وفاته: لحقه عند باديس مع عمه يدّير بن حباسة تهمة في التدبير عليه، و التسوّر على سلطانه، دعتهما إلى الفرار عن غرناطة، و اللّحاق بإشبيلية. قال أبو يحيى الوراق: و اشتدّ شوق أبي الفتوح إلى أهله عند هربه مع يدّير إلى إشبيلية لما بلغه أن باديس قبض على زوجته و بنيه و حبسهم بالمنكب عند العبد قدّاح صاحب عذابه، و كان لها من نفسه موقع عظيم، و كانت أندلسية جميلة جداً لها طفلان ذكر و أنثى، لم يطق عنهما صبرا و عمل على الرجوع إلى باديس طمعا في أن يصفح عنه، كما عمل مع عمّه من أبي ريش؛ فاستأمن إلى باديس يوم نزوله على باب إستجة إثر انهزام عسكر ابن عباد، و فارق صاحبه يدّير، و رمى هو بنفسه إلى باديس من غير توثّق بأمان أو مراسلة؛ فلما أدخل عليه و سلم، قال له: ابتدئ، بأي وجه جئتني يا نّمام؟

ما أجزأك على خلقك، و أشدّ اغترارك بسحرك، فرقت بين بنى ماكسن، ثم جئت تخدعنى كأنك لم تصنع شيئاً؛ فلاطفه، و قال اتق الله يا سيدى، و اراع ذمامى، و ارحم غربتى و سوء مقامى، و لا تلزمنى ذنب ابن عمك؛ فما لى سبب فيه، و ما حملنى على الفرار معه إلّا الخوف على نفسى لسابق خلطته؛ و لقد لفظتنى البلاد إليك مقرّاً بما لم أجنه رغبةً فى صفحك، فافعل أفعال الملوك الذين يجلون عن الحقد على مثلى من الصعاليك؛ قال: بل أفعل ما تستحقّه إن شاء الله؛ أن تنطلق إلى غرناطة، فدم على حالك، و الق أهلك إلى أن أقبل، فأصلح من شأنك. فاطمأنّ إلى قومه، و خرج إلى غرناطة و قد وكلّ به فارسان، و قد كتب إلى قداح بحبسه؛ فلما شارف إلى غرناطة قبض عليه، و حلق رأسه، و أركب على بعير، و جعل خلفه أسود فظّ ضخم يوالى صفعه، فأدخل البلد مشهراً، ثم أودع حبسا ضيقاً، و معه رجل من أصحاب يدير أسر فى الوقعة من صنهاجة، فأقاما فى الحبس معا إلى أن قفل باديس.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٥٥

مقتله: قال أبو مروان فى الكتاب المسمّى بالميتين: و استراح باديس أياما فى غرناطة يهيم بذكر الجرجانى، و يعرض أنامله، فيعارضه فيه أخوه بلكين، و يكذب الظنون و سعى فى تخليصه، فارتبك باديس فى أمره أياما، ثم غافض أخاه بلكين فقتله وقتا أمن فيه أمر معارضته؛ لاشتغاله بشراب و آله، و كانت من عادته؛ فأحضر باديس الجرجانى إلى مجلسه، و أقبل يشتمه و يسبه و يبكته، و يطلق الشماتة و يقول، لم تغن عنك نجومك يا كذاب، ألم يعد أميرك الجاهل؟ يعنى يدير، أنه سوف يظفر بى و يملك بلدى ثلاثين سنة، لم لم تدقق النظر لنفسك و تحذر و رطتك؟ قد أباح الله لى دمك. فأيقن أبو الفتوح بالموت؛ و أطرق ينظر إلى الأرض، لا يكلمه و لا ينظر إليه؛ فزاد ذلك فى غيظ باديس، فوثب من مجلسه و السيف فى يده، فخطب به الجرجانى حتى جدّ له و أمر بحزّ رأسه؛ قال: و قدّم الصّينهاجى الذى كان محبوسا معه إلى السيف، فاشتدّ جزعه، و جعل يعتذر من خطيئته، و يلخّ فى ضراعتة؛ فقال له باديس:

أما تستحى يا ابن الفاعلة؛ يصبر المعلم الضعيف القلب على الموت مثل هذا الصبر، و يملك نفسه عن كلامه لى و استعطافى، و أنت تجزع مثل هذا الجزع؟ و طال ما أعددت نفسك فى أشدّاء الرجال، لا أقال الرجال، لا أقال الله مقلبك؛ فضرب عنقه، و انقضى المجلس.

و من تمام الحكاية ممّا جلبه ابن حيان، قال: و كلم الصنهاجيون باديس فى جنة صنهاجهم المقتول مع أبى الفتوح، فأمرنى بإسلامها إليهم، فخرجوا بها من فورهم إلى المقبرة على نعش، فأصابوا قبرا قد احتفر لميت من أهل البلد، فصبوا صاحبهم الصّينهاجى فيه، و واروه من غير غسل و لا كفن و لا صلاة، فعجب الناس من تسخّيمهم فى الاغتصاب حتى الموتى فى قبورهم.

مولده: سنة خمسين و ثلاثمائة.

وفاته: كما ذكر ليلة السبت لاثنتين بقيتا من محرم سنة إحدى و ثلاثين و أربعمائه. قال برهون من خدام باديس: أمرنى بمواراة أبى الفتوح إلى جانب قبر أحمد بن عباس، وزير زهير العامرى، فقبراهما فى تلك البقعة متجاوران، و قال:

اجعل قبر عدوّ إلى جانب عدو إلى يوم القصاص، فيا لهما قبران أجما أدبا لا كفاء له، و البقاء لله سبحانه.

جعفر بن أحمد بن على الخزاعى

من أهل غرناطة، و يعسوب الناغية و الراغية من أهل ربض البيازين، يكنى أبا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٥٦

أحمد الشهير ذكره بشرق الأندلس، المعروف بكرامة الناس، المقصود الحفرة، المحترم التربة حتى من العدو، و الرائق بغير هذه الملة. خرج قومه من وطنهم عند تغلب العدو على الشرق، فنزلوا ربض البيازين جوفى المدينة، و ارتاشوا، و تلّموا، و بنوا المسجد العتيق، و أقاموا رسم الإرادة، يرون أنهم تمسكوا من طريق الشيخ أبى أحمد بآثاره، فلا يغيبون بيته، و لا يقطعون اجتماعا، على حالهم المعروفة

من تلاوة حسنة، وإثارة ركعات، ثم ذكر ثم ترجيع أبيات في طريق التصوف، مما ينسب للحسين بن منصور الحلاج وأمثاله، يعرفونها منهم مشيخة، قوالون، هم فحول الأجمة و ضرائك تلك القطيعة يهيجون بلابلهم، فلا ينشون أن يحمى و طيسهم، و يخلط مرعيهم بالهمل، فيرقصون رقصا غير مساوق للإيقاع الموزون، دون العجال الغالبة منهم، بإفراد كلمات من بعض المقول، و يكرز بعضهم على بعض، و قد خلعوا خشن ثيابهم، و مرقعات قباطيهم و درانيكهم . فيدوم حالهم حتى يتصببوا عرقا. و قوالهم يحزكون فتورهم، و يزمرون روحهم، يخرجون بهم من قول إلى آخر، و يصلون الشيء بمثله، فربما أخذت نوبه رقصهم بطرفي الليل التمام، و لا تزال المشيعة لهم يدعونهم، و يحاجونهم إلى منازلهم، و ربما استدعاهم السلطان إلى قصره محمضا في لطائف نعيمه باخشيشانهم، مبديا التبرك بألويتهم. و لهم في الشيخ أبي أحمد والد نحلتهم، و شحنة قلوبهم، عصيئة له و تقليد بإيثاره، أنفجت لعقده أيمانهم، و شرط في صحه دينهم، و ارتكبوا في النفور عن سماع المزمار القصبى المسمى بالشبابة الذى أرخص فى حضور الولايم، مع نفخ برعه العدد الكثير من الجلة الصلحاء القدوة مرتكبا، حتى ألحقوه بالكبائر الموبقة، و تعدوا اجتنابه جبله و كراهه طباعية، فتزوى عند ذكره الوجوه. و تقتحم عند الاتهام به الدور، و تسقط فيما

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٥٧

بينهم بفلته سماعه أخوة الطريق. و هم أهل سذاجة و سلامة، أولو اقتصاد فى ملبس و طعمة و اقيات بأدنى بلغة، و لهم فى التعصيب نزعة خارجية، و أعظمهم ما بين مكتسب متسبب؛ و بين معالج مدرة، و مريع حياكة، و بين أظهرهم من الذعرة و الصعاليك كثير، و الطرق إلى الله عدد أنفاس الخلائق، جعلنا الله ممن قبل سعيه، و ارتضى ما عنده، و يسره ليسرى.

حاله: قام هذا الرجل مقام الشيخ أبى تمام قريبه على هيئة مهلكه، فسد مسده، على حال فتور و غرارة، حتى لان متن الخطه، و خف عليه بالمران ثقل الوظيفة، فأم و خطب، و قاد الجماعة من أهل الإرادة. و قضى فى الأمور الشرعية بالرّبض، تحت ضبن قاضى الجماعة، و هو الآن بعده على حاله، حسن السّيجية، دمث الأخلاق، لئين العريكة، سهل الجانب، مقترن الصدق و العفة، ظاهر الجدة، محمود الطريقة، تطأه أقدام الكلف، و تطرح به المطارح القاصية، حوى على الشفاعات، مستور الكفاية فى لفق الضعف، متوالى شعله الإدراك فى حجر الغفلة، وجه من وجوه الحضرة فى الجمهورية، مرعى الجانب، مخفف الوظائف، مقصودا من متامى أهل طريقه بالهدايا، مستدعى إلى من بالجهات منهم فى كثير من الفصول، ظاهر الجدوى فى نفيير الجهاد، رحمه الله، و نفع بأهل الخير.

مولده: عام تسعة و سبعمائة.

وفاته: يوم الاثنين التاسع و العشرين لرمضان خمسة و ستين و سبعمائة.

جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيدبونة الخزاعى

من أهل شرق الأندلس، من نظر دانية، يكنى أبا أحمد، الولي الشهير.

حاله: كان أحد الأعلام المنقطعى القرين فى طريق كتاب الله، و أولى الهداية الحقّة، فدّ شهر، شائع الخلة، كثير الأتباع، بعيد الصيت، توجب حقه حتى الأمم الدائنة بغير دين الإسلام، عند التغلب على قرية مدفنه بما يقضى منه بالعجب.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٥٨

قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير عند ذكره فى الصلة: أحد أعلام المشاهير فضلا و صلاحا؛ قرأ ببلنسية، و كان يحفظ نصف «المدونة» و أقرأها، و يؤثر الحديث و التفسير و الفقه، على غير ذلك من العلوم.

مشيخته: أخذ القراءات السبع عن المقرئ أبى الحسن بن هذيل، و أبى الحسن بن النعمة، و رحل إلى المشرق، فلقي فى رحلته جلة، أشهرهم و أكبرهم فى باب الزهد و أنواع سنى الأحوال، و رفيع المقامات، الشيخ الجليل، الولي لله تعالى، العارف، أبو مدين شعيب بن الحسين، المقيم ببجاية، صحبه و انتفع به، و رجع من عنده بعجائب دينية، و رفيع أحوال إيمانية، و غلبت عليه العبادة، فشهّر بها

حتى رحل إليه الناس للتبرك بدعائه، و التيمّن برؤيته و لقائه، فظهرت بركته على القليل و الكثير منهم و ارتتوا زلالا من ذلك العذب التّمير، و حظه من العلم مع عمله الجليل موفور، و علمه نور على نور. لقيت قريبه الشيخ أبا تمام غالب بن حسين بن سيدبونه حين ورد غرناطة، فكان يحدّث عنه بعجائب.

دخوله غرناطة: و ذكر المعتنون بأخباره بالحضرة إلى طريقه، أنه دخل الحضرة و صلّى في رابطة الرّبط من باب ... و أقام بها أياما، فلذلك المسجد المزيّة عندهم إلى اليوم. و انتقل الكثير من أهله و أذياله عند تغلب العدو على بلدهم، إلى هذه الحضرة، فسكنوا منها ربض البيازين، على دين و انقباض و صلاح، فيحبّون بكنوز من أسرارهم، و مبشّراته مضمون بها على الناس. و بالحضرة اليوم منهم بقيّة تقدّم الإلماع بذكرهم.

وفاته: توفي، رحمه الله، بالموضع المعروف بزناطة، في شوال سنة أربع و عشرين و ستمائة، و قد نيف على الثمانين .
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٥٩

الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص القرشي الفهري

نشأ بغرناطة، يكنى أبا علي، و يعرف بابن الناظر .

حاله: كان متفنا في جملة معارف، أخذ من كل علم سنا بحظّ وافر، حافظا للحديث و التفسير، ذاكرا للأدب و اللغة و التواريخ، شديد العناية بالعلم، مكبا على استفادته و إفادته، حسن اللقاء لطلبة العلم، حريصا على نفعهم، جميل المشاركة لهم. و قال الأستاذ: كان من بقايا أهل الضبط و الإتقان لما رواه، و آخر مقرئ القرآن، ممّن يعتبر في الأسانيد و معرفة الطرق و الروايات، متقدما في ذلك على أهل وقته، و هو أوفر من كان بالأندلس في ذلك. أقرأ القرآن و العربية بغرناطة مدة، ثم انتقل إلى مالقة فأقرأ بها يسيرا، ثم انقبض عن الإقراء، و بقى خطيبا بقصبه مالقة نحو من خمس و عشرين سنة، ثم كثر منتقلا إلى غرناطة، فولى قضاء المريّة، ثم قضاء بسطة، ثم قضاء مالقة.

وصمته: قال الأستاذ: إلّا أنه كان فيه خلق أخلت به، و حملته على إعداء ما ليس من شأنه، عفا الله عنه، فكان ذلك مما يزهد فيه. مشيخته: روى عن الأستاذ المقرئ أبي محمد عبد الله بن حسين الكوّاب، أخذ عنه قراءة السبع و غير ذلك، و عن أبي علي و أبي الحسن بن سهل بن مالك الأزديّ، و أبي عبد الله محمد بن يحيى، المعروف بالحلي، و جماعة غير هؤلاء، و رحل إلى إشبيلية فروى بها عن الشيخ الأستاذ أبي علي أكثر كتاب سيبويه تفقها، و غير ذلك. و أخذ عن جماعة كثيرة من أهلها، و قدم عليها. إذ ذاك القاضي أبو القاسم بن بقيّ، فلقبه بها و أخذ عنه، و رحل إلى بلنسية، فأخذ بها عن الحاج أبي الحسن بن خيرة، و أبي الربيع بن سالم، و سمع عليه جملة صالحه، كأبي عامر بن يزيد بن أبي العطاء بن يزيد و غيرهم، و بجزيرة شقر عن أبي بكر بن وضّاح، و بمرسيّة الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٦٠

عن جماعة من أهلها، و بأوريولة عن أبي الحسن بن بقيّ، و بمالقة عن آخرين، و تحصّل له جماعة ينفوا على الستين. تصانيفه: منها المسلسلات، و الأربعون حديثا، و الترشيده في صناعة التّجويد، و برنامج رواياته و هو نبيل.

شعره: كان يقرض شعرا لا يرضى لمثله، ممّن برز تبريزه في المعارف.

مولده: يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شوال سنة خمسين و ستمائة.

وفاته: توفي بغرناطة لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة تسع و تسعين و ستمائة.

الحسن بن محمد بن الحسن النباهي الجذامي

من أهل مالقة، يكنى أبا علي.

أوليتته: قال القاضي المؤرخ أبو عبد الله بن أبي عسكر فيه: من حسباء مالقة وأعيانها وقضاتها، وهو جدّ بنى الحسن المالقيين، وبيته بيت قضاء وعلم وجلالة، لم يزالوا يرثون ذلك كابرا عن كابر، استقضى جدّه المنصور بن أبي عامر، وكانت له ولأصحابه حكاية مع المنصور.

قال القاضي ابن بياض: أخبرني أبي، قال: اجتمعنا يوما في منتزه لنا بجهة الناعورة بقرطبة مع المنصور بن أبي عامر في حدائه سنّه، وأوان طلبه، وهو مرتج مؤمل، ومعنا ابن عمّه عمرو بن عبد الله بن عسكلاجه، والكاتب ابن المرعزي، والفقير أبو الحسن المالقي، وكانت سفرة فيها طعام، فقال ابن أبي عامر من ذلك الكلام الذي كان يتكلّم به: لا بدّ أن نملك الأندلس، ونحن نضحك منه ومن قوله.

ثم قال: يتمنى كلّ واحد منكم عليّ ما شاء أوليه؛ فقال عمرو: أتمنى أن توليني المدينة، نضرب ظهور الجنّات. وقال ابن المرعزي: وأنا أشتهى الأسفح، القضاء في أحكام السوق. وقال أبو الحسن: وأنا أحب هذه، أن توليني قضاء مالقة بلدى. الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٦١

قال موسى بن غدرون: قال لي: تمنّ أنت، فشقت لحيته بيدي، واضطربت به وقلت قولاً قبيحاً من قول السفهاء. فلما ملك ابن أبي عامر الأندلس، ولّى ابن عمّه المدينة، وولّى ابن المرعزي أحكام السوق، وولّى أبا الحسن المالقي قضاء ريّه، وبلغ كل واحد ما تمنّى، وأخذ منى مالا عظيماً أفقرني لقبح قولى: فبيت بنى الحسن شهير، وسيأتى من أعلامه ما فيه كفاية.

حاله: قال ابن الزبير: كان طالبا نبيلاً من أهل الدين والفضل والنهى والنباهة.

نباهته: قال ابن الزبير في كتاب نزهة البصائر والأبصار: استقضى بقرطبة.

وفاته: توفى سنّه اثنتين وسبعين وأربعمائة، ذكره ابن بشكوال في الصلّة، وعرف بولايته قضاء غرناطة، و ذكره ابن عسكر، وتوهم فيه الملاحى، فقال: هو من أهل البيرة.

حسن بن محمد بن حسن القيسى

من أهل مالقة، يكنى أبا علي، ويعرف بالقلنار.

حاله: كان، رحمه الله، بقيّة شيوخ الأطباء ببلده، حافظاً للمسائل الطّيبية، ذاكرة للدواء، فسيح التجربة، طويل المزاوله، متصرفاً في الأمور التي ترجع إلى صناعة اليدى صدلّه وإخراعه، محاربا، مقدورا عليه في أخرياته، ساذجا، مخشوشنا، كثير الصحة والسلامة، محفوظ العقيدة، قليل المصانعة، برياً من التشمّت، يعالج معيشته بيده في صباغة فلاحه. أخذ صناعة الطب عن أبي الحسن الأركشى، ومعرفة أعيان النبات عن المصحفى وسرح معه، وارتاد منابت العشب في صحبته، فكان آخر السّحارين بالأندلس، وحاول عمل الترياق الفارق بالديار السلطانية عام اثنين وخمسين وسبعمائه مبرّزا في اختيار أجزاءه، وإحكام تركيبه، وإقدام على اختبار مرهوب حياته، قتلا وصنجا وتقريضا، بما يعجب من إدلاله فيه، وفراسته عليه.

حسن بن محمد بن باصه

يكنى أبا علي، ويعرف بالصّعلعل، رئيس المؤقتين بالمسجد الأعظم من غرناطة، أصله من شرق الأندلس.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٦٢

حاله: كان فقيها إماما في علم الحساب والهيئة، أخذ عنه الجملة والنبهات، قائما على الأطلال والزخائم والآلات الشعاعية، ماهرا في التعديل، مع التزام السّيئة، والوقوف عند ما حدّ العلماء في ذلك، مداوم النظر، ذا مستنبطات ومستدركات وتوليف، نسيج وحده ورحقة وقته.

وفاته: توفي بغرناطة عام ستّة عشر و سبعمائة.

الحسن بن محمد بن علي الأنصاري

من أهل ... ، يكنى أبا علي و يعرف بابن كسرى.

حاله: كان متقدّما في حفظ الأدب و اللغّة، مبرّزا في علم النحو، شاعرا مجيدا، ممتع المؤانسة، كثير المواساة، حسن الخلق، كريم النفس، مثرا في نظم الشعر في غير فن، مدح الملوك و الرؤساء، مؤثرا للخموم على الظهور، و في تخامله يقول شعرا ثبت في موضعه. مشيخته: روى عن أبي بكر بن عبد الله بن ميمون الكندي، و أبي عبد الله الكندي، و أبي الحكم بن هرودس، و أبي عبد الله بن غالب الرّصافي.

ممن روى عنه: روى عنه أبو الطاهر أحمد بن علي الهواري السّبتى، و أبو عبد الله إبراهيم بن سالم بن صالح بن سالم. نباهته و إدراكه: من كتاب نزهة البصائر و الأبصار، قال القاضي أبو عبد الله بن عسكر: نقلت من خط صاحبنا الفقيه القاضي، رحمه الله ما معناه:

قال: حدّثنى الفقيه الأديب أبو علي، قال: كنت بإشبيلية، و قد قصدتها لبعض الملوك، فبينما أنا أسير في بعض طرقها، لقيت الشيخ أبا العباس، فسلمت عليه، و وقفت معه، و كنت قد ذكر لي أنّ بها رجلا من الصالحين، زاهدا، فاضلا، ينتقد من الشعر في الزهد و الرقائق، بيدائع تعجب. و كان بالمغرب قد قصّيد الهريّ و النادر، فسألني أبو العباس عن مصيري، فأعلمته بقصدي، فرغب أن يصحبنى إليه، حتى أتيناها، فرأيناها رجلا عاقلا، قاعدا في موضع قدر، فسلمنا عليه، فردّ علينا، و سألناه عن قعوده في ذلك الموضع، فقال: أتذكر الدّنيا و سيرتها، فزدنا به غبطة؛ ثم استنشدناه في ذلك الغرض من كلامه، ففكر ساعة ثم أنشدنا كلاما قبيحا، تضمّن من القبيح و من الإقذاع و الفواحش ما لا يحلّ

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٦٣

سماعه، فقمنا نلعه، و خجلت من أبي العباس، و اعتذرت له. ثم اتفق أن اجتمعنا في مجلس الأمير الذي كنت قد قصدته، فقال أبو العباس: إن أبا علي قد حفظ لبعض الحاضرين شعرا في الزهد، من أعذب الكلام و أحسنه، فسألني الأمير و طلب مني إنشاده، فخجلت ثم تاب إليّ عقلي، فنظمت بيتين، فأنشدتهما إياه و هما:

[المنسرح]

أشهد ألّا إله إلاّ الله محمد المصطفى رسول الله
لا حول للخلق في أمورهم إنما الحول كلّ لله
قال: فأعجب الأمير ذلك و استحسّنه.

و من مقاماته بين يدي الملوك و بعض حاله، نقلت من خط صاحبنا الفقيه القاضي أبي الحسن بن أبي الحسن، قال: المروى منسوب إلى قرية بقرب مالقة، و هو الذي قال فيه الشيخ أبو الحجاج بن الشيخ رضى الله عنه: [المجتث]

إذا سمعت من أسرى و من إلى المسجد أسرى

فقل و لا تتوقّف أبا علي ابن كسرى

قال: و هو قريب الأستاذ الأديب أبي علي الإستجى و معلّمه، و أحد طلبه الأستاذ أبي القاسم السّهيلي، و ممن نبغ صغيرا، و ارتحل إلى غرناطة و مرسية. و هو الذي أنشد في طفولته السيد أبا إسحاق بإشبيلية: [الكامل]

قسما بحمص و إنّه لعظيم و هى المقام و أنت إبراهيم

و كان بالحضرة أبو القاسم السّهيلي، فقام عند إتمامه القصيدة، و قال: لمثل هذا أحسيك الحسا، و أوصل في تعليمك الإصباح

الإمساء، و كان يوما مشهودا.

و أنشد الأمير أبا يعقوب حين حلها: [الطويل]

أ معشر أهل الأرض في الطول و العرض بهذا استنادى في القيامة و العرض
لقد قال فيك الله ما أنت أهله فيقضى بحكم الله فيك بلا نقض
و إياك يعنى ذو الجلال بقوله كذلك مكنا ليوسف في الأرض
و ذكره ابن الزبير، و ابن عبد الملك، و ابن عسكر، و غيرهم.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٦٤

و من شعره في معنى الانقطاع و التسليم إلى الله تعالى، و هي لزومية، و لنختم بها، ختم الله لنا بالحسنى: [الطويل]
إلهي أنت الله ركني و ملجئى و ما لى إلى خلق سواك ركون
رأيت بنى الأيام عقبى سكونهم حراك و فى عقبى الحراك سكون
رضى بالذى قدرت تسليم عالم بأن الذى لا بد منه يكون
وفاته: توفى بمدينة مالقة فى حدود ثلاث و ستمائة.

الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق التغلبى

يكنى أبا على، مرسى الأصل، سبى الاستيطان، منتم إلى صاحب الثورة على المعتمد .

حاله: كان نسيج وحده، و فريد دهره، إتقانا و معرفة، و مشاركة فى كثير من الفنون اللسانية و التعاليمية، متبحرا فى التاريخ، ريانا من
الأدب، شاعرا مقلقا، عجيب الاستنباط، قادرا على الاختراع و الأوضاع، جهم المحيا، موحش الشكل، يضم برداه طويا لا كفاء له،
تحرف بالعدالة، و برز بمدينة سبتة، و كتب عن أميرها، و جرت بينه و بين الأديب أبى الحكم مالك بن المرحيل من الملاحظات و
المهارات أشد ما يجرى بين متناقضين، آلت به إلى الحكاية الشهيرة، و ذلك أنه نظم قصيدة نصها: [الكامل]

لكلاب سبتة فى النباح مدارك و أشدها دركا لذلك مالك
شيخ تفانى فى البطالة عمره و أحال فكيه الكلام الآفك
كلب له فى كل عرض عضه و بكل محصنه لسان آفك
متهمم بذوى الخنا مترمّع متهازل بذوى التقى متضاحك
أحلى شمائله السباب المفترى و أعف سيرته الهجاء الماعك
و ألد شىء عنده فى محفل لمز لأستار المحافل هاتك

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٦٥ يغشى مخاطره اللثيم تفكهاو يعاف رؤيته الحلیم الناسك

لو أن شخصا يستحيل كلامه خراء للاك الخراء منه لائك
فكانه التمساح يقذف جوفه من فيه ما فيه و لا يتماسك
أنفاسه و فساؤه من عنصرو سعاله و ضراطه متشارك
ما ضرفا من معد الله لو أسلمته نواجذ و ضواحك
فى شعره من جاهلية طبعه أثقال أرض لم ينلها فاتك
صدر و قافية تعارضتا معافى بيت عنس أو بعرس فارك
قد عم أهل الأرض بلعنه فلأعنية فى السماء ملائك

و لأعجب العجيين أن كلامه لخلاله مسك يروح و رامك
 إن سام مكرمه جثا متناقلا يرغو كما يرغو البعير البارك
 و يدب في جنح الظلام إلى الخناعدوا كما يعدو الظليم الراتك
 نبذ الوقار لصبيته يهجونه فسياله فرش لهم و أرائك
 يبدى لهم سواته ليسوءهم بمسالك لا يرتضيها سالك
 و الدهر باك لانقلاب صروفه ظهرا لبطن و هو لاه ضاحك
 و اللسن تنصحه بأفصح منطوق لو كان ينجو بالنصيحة هالك
 تب يا ابن تسعين فقد جزت المداو ارتاح للقا بسنك مالك
 أو ما ترى من حافديك نشابها ابن يضاجع جدّه و يناسك
 هيهات أيّه عشرة لهجت بههنوات مملوك و طيع مالك
 يا ابن المرخل لو شهدت مرخلو قد انحنى بالرحل منه الحارك
 و طريد لوم لا يحلّ بمعشر إلا أمان قفاه صفع دالك
 مركوب لهو لجاجة و ركاكؤه أراك من ذاك اللجاج البارك
 لرأيت للعين اللثيمة سحّه و علا بصفع عرك أذنك عارك
 و شغلت عن ذمّ الأنام بشاغل و ثناك خصم من أبيك مباحك
 قسما بمن سمك السماء مكانها ولديه نفس رداء نفسك شائك
 لأقول للمغرور منك بشبيبه بيضاء طي الصّحف منها حالك
 لا تأمن للذئب دفع مضرّة فالذئب إن أعفيتها بك فاتك
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٦٦ عار على الملك المنزّه أن يرى في مثل هذا للملوك مسالك
 فكلامه للدين سمّ قاتل و دنوّه للعرض داء ناهك
 فعليه ثم على الذي يصغى له ويل يعاجله و حتف و اشك
 و أتاها من مثواه آت مجهز لدم الخناجر بالخناجر سافك

و هي طويله، تشتمل من التعريض و الصريح على كل غريب، و اتخذ لها كنانة خشبيّة كأوعية الكتب، و كتب عليها: «رقاص معجل،
 إلى مالك بن المرخل». و عمد إلى كلب، و جعلها في عنقه، و أوجعه خبطا حتى لا- يأوى إلى أحد، و لا يستقرّ، و طرده بالزّقاق
 متكتما بذلك. و ذهب الكلب و خلفه من الناس أمية، و قرىء مكتوب الكنانة، و احتمل إلى أبي الحكم، و نزع من عنق الكلب، و
 دفعت إليه، فوقف منها على كل فاقرة كفت من طماحه، و غصّت عن عنان مجاراته، و تحدّث بها مدة، و لم يغب عنه أنها من حيل
 ابن رشيق، فعوّق سهام المراجعة، ثم أقصر مكبوحا، و في أجوبته عن ذلك يقول: [المتقارب]

كلاب المزابل آذيني بأبوالهّن على باب داري
 و قد كنت أوجعها بالعصا و لكن عوت من وراء الجدار
 و استدعاه بأخرة أمير المغرب السلطان أبو يعقوب، فاستكتبه، و استكتب أبا الحكم صدقة، فيقال إنه جرّ عليه خجله كانت سبب وفاة
 أبي على. و دخل الأندلس، و حطّ بها بالمرية، و قد أصيب بأسر عياله، فتوسّل إلى و إليها من قرابة السلطان الغالب بالله، بشعر مدحه
 فيه من قصيدة أولها: [الكامل]

ملقى النوى ملق لبعض نوال الكافاشف المحبّ و لو بطيف خيالكا

و منها:

لا تحسبني من فلان أو فلانا من رجال الله ثم رجالكا

و منها:

نصب العدو حبالا لحبابي و عقلت في استخلاصها بحبالكا

و في خاتمها:

و كفاك شرّ العين عيب واحدا عيب فيه سوى فلول نصالكا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٦٧

و لحق بغرناطة، و مدح السلطان بها، و نجحت لديه مشاركة الرئيس بالمرية. الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ١، ص ٢٦٧
بر الله حاله، و خلص أسره.

و مما جمع فيه بين نثره و نظمه ما كتبه لَمَّا كتب إليه الأديب الطبيب صالح بن شريف بهاتين القصيدتين اللتين تنازع فيهما الأقوام، و اتفقوا على أن يحكم بينهما الأحلام، و عبّر عن ذلك الأقلام، و لينظرهما من تشوق إليهما بغير هذا الموضوع.
تواليفه: و أوضاعه غريبة، و اختراعاته عجيبة، تعرّف أنه اخترع في سفره الشطرنج شكلا مستديرا. و له الكتاب الكبير في التاريخ، و التلخيص المسمى ب «ميزان العمل» و هو من أطرف الموضوعات، و أحسنها شهرة.
وفاته: كان حيا عام أربعة و سبعين و ستمائة.

حبّوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي

يكنى أبا مسعود، ملك البيرة و غرناطة؛ و ما والاها.

حاله و أوّلته: أما أوّلته، فقد مرّ ذلك بما فيه كفاية عند ذكر بلّكين. و لَمَّا دخل زاوي بن زيري على الأندلس غبّ إيقاعه بالمرتضى الذي نصبته الجماعة، و استيلائه على محلّته بظاهر غرناطة، خاف تمالؤ الأندلس عليه، و نظر للعاقبة، فأسند الأمر إلى ابن أخيه، حبّوس بن ماكسن، و كان بحصن آشر، فلَمَّا ركب البحر من المنكب، و ودّعه به زعيم البلدة و كبير فقهاءها أبو عبد الله بن أبي زمنين، ذهب إلى ابن أخيه المذكور و استقدمه، و جرت بينه و بين ابن عمّه المتخلف على غرناطة من قبل والده، محاوره انجلت عن رحيله تبعاً لأبيه؛ حبّوس، فاستبدّ بالملك، و رآب الصّدع سنة إحدى عشرة و أربعمائه. قال ابن عذارى في تاريخه: فانحازت صنهاجة مع شيخهم و رئيسهم حبّوس بن ماكسن، و قد كان أخوه حباسة هلك في

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٦٨

الفتنة، و بقي منهم معه بعد انصراف زاوي إلى إفريقية، جماعة عظيمة، فانحازوا إلى مدينه غرناطة، و أقام حبّوس بها ملكا عظيما، و حامى رعيتّه ممّن جاوره من سائر البرابرة المنتشرين حوله، فدامت رئاسته.
وفاته: توفي بغرناطة سنة ثمان و عشرين و أربعمائه.

الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الرحمن ابن معاوية

صفته و حاله: كان أصهب العين، أسمر، أقنى، معسل اللحية، جهير الصوت، طويل الصّلب، قصير الساقين، عظيم الشاعد، أفصم، و كان ملكا جليلا، عظيم الصّيت، رفيع القدر، عالي الهمة، فقيها بالمذهب، عالما بالأنساب، حافظا للتاريخ، جمّاعا للكتب، محبّا في العلم و العلماء، مشيرا للرجال من كل بلد، جمع العلماء من كل قطر، و لم يكن في بني أمية أعظم همّة، و لا أجلّ رتبة في العلم و غوامض الفنون منه. و اشتهر بهمّته بالجهاد، و تحدّث بصدقته في المحلول، و أمّلته الجابرة و الملوكة.

دخوله إلى البيرة: قال ابن الفياض: كتب إليه من الثغر الجنوبي أن عظيم الفرنجة من النصارى حشدوا إليه و سألوه الممره بطول المحاصره، فاحتسب شخوصه بنفسه إلى المريه فى رجب سنه ثلاث و خمسين و ثلاثمائة، فى جحفل لجب من نجده الأولياء و أهل المراتب. و لما أحل البيره ورد عليه كتاب أحمد بن يعلى من طرطوشه بنصر الله العزيز و صنعه الكريم على الروم. و وافى المريه، و أشرف على أمورها، و نظر إلى أسطولها و جدده، و عدته يومئذ ثلاثمائة قطع، و انصرف إلى قرطبه.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٦٩

مولده: لست بقين من جمادى الآخرة سنه اثنتين و ثلاثمائة.

وفاته: لأربع خلون من صفر سنه ست و ستين و ثلاثمائة، و عمره نحو من ثلاث و ستين سنه، و هو خاتمه العظماء من بنى أميه.

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان بن أميه

كنيته أبو العاصي.

صفته: آدم، شديد الأدمه، طويل، أشم، نحيف، لم يخضب. بنوه تسعه عشر من الذكور، منهم عبد الرحمن ولّى عهده.

بناته: إحدى و عشرون، أمه أم ولد اسمها زخرف.

وزراؤه و قواده: خمس، منهم إسحاق بن المنذر، و العباس بن عبد الله، و عبد الكريم بن عبد الواحد، و فطيس بن سليمان، و سعيد بن حسان.

قضاته: مصعب بن عمران، و عمر بن بشر، و الفرج بن كناه. و بشر بن قطن، و عبد الله بن موسى، و محمد بن تليد، و حامد بن محمد بن يحيى.

كتابه: فطيس بن سليمان، و عطاف بن زيد، و حجاج بن العقيلي.

حاجبه: عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث.

حاله: كان الحكم شديد الحزم، ماضى العزم، ذا صوله تقى. و كان حسن التدبير فى سلطانه، و توليه أهل الفضل، و العدل فى رعيتيه، مبسوط اليد بالعطاء الكثير، و كان فصيحاً، بليغاً، شاعراً مجيداً، أديباً، نحوياً.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٧٠

قال ابن عذارى: كانت فيه بطاله، إلا أنه كان شجاعاً، مبسوط اليد، عظيم العفو، و كان يسلط قضاته و حكاه على نفسه، فضلاً عن ولده و خاصيته. و هو الذى جرت على يده الفتكه العظيمة بأهل ربح قرطبه، الذين هاجوا به و هتفوا بخلعانه، فأظهره الله عليهم، فى خبر شهير. و هو الذى أوقع بأهل طليله أيضاً، فأبادهم بحيله الدعاء إلى الطعام بما هو معلوم.

دخوله غرناطة: قالوا: و بالبيرة و أحوازها تلاقى مع عمه أبى أيوب سليمان بن عبد الرحمن، فهزمه و قتله حسبما ثبت فى اسم أبى أيوب.

شعره: قالوا: و كان له خمس جوار قد استخلصهن لنفسه، و ملكهن أمره، فذهب يوماً إلى الدخول عليهن، فتأبين عليه، و أعرض عنه، و كان لا يصبر عنهن، فقال: [البسيط]

قضب من البان ماست فوق كشان ولين عنى و قد أزمعن هجرانى

ناشدتهن بحقى فاعتر من على العصيان حتى خلا منهن هميانى

ملكنى ملكك من ذلت عزيمة للحب ذل أسير موثق عانى

من لى بمغتصبات الزوج من بدنى يغصبنى فى الهوى عزى و سلطانى

ثم عطفن عليه بالوصال فقال: [الخفيف]

نلت كل الوصال بعد البعاد فكأني ملكت كل العباد
و تناهى السرور إذ نلت ما لم يغن عنه تكاثف الأجناد
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٧١

مناقبة: أنهى إليه عباس بن ناصح و قد عاد من الثغر أن امرأة من ناحية وادى الحجاره سمعها تقول: وا غوثاه، يا حكم، ضيعتنا، و أسلمتنا، و اشتغلت عنا، حتى استأسد العدو علينا، و رفع إليه شعر في هذا المعنى و الغرض، فخرج من قرطبة كاتما وجهته، و أوغل في بلاد الشرك، ففتح الحصون، و هدم المنازل، و قتل و سبي، و قفل بالغنائم على الناحية التي فيها تلك المرأة، فأمر لأهل تلك الناحية بمال من الغنائم يقدون به أسراهم، و يصلحون به أحوالهم، و خصص المرأة و آثرها، و أعطاهما عددا من الأسرى، و قال لها: هل أغاثك الحكم؟ قالت: إي و الله، أغاثنا و ما غفل عنا، أعانه الله و أعز نصره.

وفاته: توفي لأربع بقين لذي الحجة سنة ست و مائتين، و كان عمره اثنتين و خمسين سنة. و جرى ذكره في الرجز من نظمى في تاريخ دول الإسلام بما نصه:

[الرجز]

حتى إذا الدهر عليه احتكما قام بها ابنه المسمى حكما
و استشعر الثورة فيها و انقبض مستوحشا كالليث ألقى و ربيض
حتى إذا فرصته لاحت تفض فأفحش الوقعة في أهل الربيض
و كان جبارا بعيد الهمة لم يرع من آل بها أو ذمه

حكم بن أحمد بن رجا الأنصاري

من أهل غرناطة، يكنى أبا العاصي.

حاله: كان من قزائها و نبهائها، و كان من أهل الفضل و الطلب، و إليه ينسب مسجد أبي العاصي، و حمام أبي العاصي و دربه بغرناطة، و كفى بذلك دليلا على الأصالة و التأثر. ذكره أبو القاسم و لم يذكر من أمره مزيدا على ذلك.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٧٢

حاتم بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله ابن سعيد بن الحسين بن عثمان بن سعيد بن عبد الملك ابن سعيد بن عمارة بن ياسر

أوليته: قد مرّ بعض ذلك، و سيأتي بحول الله.

حاله: قال أبو الحسن بن سعيد في كتابه الموضوع في مآثر القلعة: كان صاحب سيف و قلم و علم، و دخل في الفتنة المردنشيّة، حسبما مرّ ذلك عند ذكر أخيه أبي جعفر، فصار من جلساء الأمير أبي عبد الله محمد بن سعد بن مردنيس بمرسيه، و أرباب آرائه، و ذوى الخاصّة من وزرائه، و كان مشهورا بالفروسيه و الشجاعه و الرأى.

حكاياته و نوادره: قال: كان التّندير و الهزل قد غلبا عليه، و عرف بذلك، فصار يحمل منه ما لا يحمل من غيره. قالوا: فحضر يوما مع الأمير محمد بن سعد، يوم الجلاب من حروبه، و قد صبر الأمير صبورا جميلا. و والى الكرّ المرّة بعد المرّة.

و ذلك بمراى من حاتم؛ فردّ رأسه إليه، و قال: يا قائدا أبا الكرم، كيف رأيت؟ فقال له حاتم: لو رآك السّيلطان اليوم لزداد في مرتّبك، فضحك ابن مردنيس، و علم أنه أراد بذلك: لا تليق به المخاطرة، و إنما هو للتّبات و التّديير. و قال له يوما و قد جرى ذكر الجنّات: جنّ اليوم يا أبا الكرم على بستانك بالزّنقات. و أردت أن أكون من ضيافتك، فقال عبد الرحمن بن عبد الملك، و هو إذ ذاك وزير الأمير و بيده المجابى و الأعمال:

لعل الأمير اغترّ بسمع اسمه حاتم، ما فيه من الكرم إلّا الاسم، فقال الحاتم: و لعلّ الأمير اغترّ بسمع أمانة عبد الرحمن، فقدّمه على وزرائه، و ما عنده من الأمانة إلّا الاسم، فقال ابن مردنيش و قد ضحك: الأولى فهمت، و لم أفهم الثانية، فقال له كاتبه أبو محمد السلمي: إنما أشار إلى قول رسول الله، صلى الله عليه و سلم، في عبد الرحمن بن عوف، رضى الله عنه، أمير هذه الأمة، و أمين في أهل السماء، و أمين في أهل الأرض؛ فطرب ابن مردنيش، و جعل يقول: أحستما.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٧٣

شعره: قال أبو الحسن: و لم أحفظ من شعر حاتم ما أورده في هذا المكان إلّا قوله يخاطب حفصة الرّكّونية الشاعرة، التي يأتي ذكرها، حين فرّ إلى مرسية، و تركها بغرناطة: [الوافر]

أحنّ إلى ديارك يا حياتي و أبصر ذو وهد سيل الطّبات
و أهوى أن أعود إليك لكن خفوق البند عاق عن القنات
و كيف إلى جنابك من سبيل و ليس يحلّه إلّا عداتي!

مولده: في سنة خمس و ثلاثين و خمسمائة، و قال أبو القاسم الغافقي فيه عند ذكره: كان طالبا نبيها، جميلا، سريّا، تامّ المروءة، جميل العشرة.

وفاته: قال: مات بغرناطة سنة اثنتين و تسعين و خمسمائة .

حباسة بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي

كان شهما هيبا، بهمة من البهم، كريما في قومه، أيبا في نفسه، صدرا من صدور صنهاجة؛ و كان أشجع من أخيه حبّوس. وفاته: قال أبو مروان عند ذكر وقعة «رمداى» بطرف قرطبة في حروب البرابرة لأهلها في شوال عام اثنين و أربعمائة، قال: و استلحم حباسة بن ماكسن الصنهاجي ابن أخى زاوى بن زيري، و هو فارس صنهاجة طرّا و فتاها؛ و كان قد تقدّم إلى هذه الناحية، زعموا لّما بلغه اشتداد الأمر فيها، فرمى بنفسه على طلبائها، و اتفق أن ركب بسرج طرى العمل متفتح اللبد، و خانة مقعده عند المجاوله، لتقلّبه على الصّهوة؛ و قيل إنه كان منتبذا على ذلك، فتطارح على من يازائه، و مضى قدما بسكرى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٧٤

شجاعته و نشوته، يصفاح البيوت بصفحته، و يستقبل القنا بليّاته، لا- يعرض له شيء إلّا حطّه، إلى أن مال به سرجه، فأتيح حمامه لاشتغاله بذلك، بطعنه من يد المسمّى التّبيه النصرانى، أحد فرسان الموالى العامرين؛ فسقط لفيه، و انتظمت رماح الموالى فأبادته؛ و حامى أخوه حبّوس، و بنو عمّه، و غيرهم من أنجاد البرابرة على جثته، فلم يقدروا على استنقاذها بعد جلاّد طويل، و غلب عليه الموالى فاحتروا رأسه، و عجلّوا به إلى قصر السلطان، و أسلموا جسده للعامة؛ فركبوه بكل عظيمه، و اجتمعوا إليه اجتماع البغاث على كبير الصّقورة، فجزّوه فى الطرق و طافوا به الأسواق، و قطعوا بعض أعضائه، و أبدوا شواره و كبده بكل مكروه من أنواع الأذى، بأعظم ما ركب ميت، فلّما سئموا تجراره، أوقدوا له نارا فحرقوه بها جريا على ذميم عادتهم، فى قبح المثله، و لؤم القدرة. و انجلت الحروب فى هذا اليوم لمصابه، عن أمر عظيم، و بلغ من جميع البرابرة الحزن عليه مناله، و رأت أن دماء أهل قرطبة جميعا لا تعدله. من الكتاب «المتين».

حبيب بن محمد بن حبيب

من أهل التّجش، من وادى المنصورة أخوه مالك التّجشى، دباب الحلقات، و مراد أذنان المقرّبين.

حاله: كان على سجيّة غريبة من الانقباض المشوب بالاسترسال، و الأمانة مع الحاجة، بادى الرّى و اللسان، يحفظ الغريب من اللغه، و

يحرّك شعرا لا غاية وراءه في الرّكائكة، و له قيام على الفقه و حفظ القرآن، و نعمة حسنة عند التلاوة. قدم الحضرة غير ما مره و كان الأستاذ، إمام الجماعة، و سيويه الصناعة، أبو عبد الله بن الفخّار، المعروف بالبيرى، أبا مثنواه و محطّ طيّته، يطلب منه مشاركته بباب السلطان في جريته يرغب في تسميتها، و حال يروم إصلاحها، فقصدني مصحبا منه رقعة تتضمن الشّفاعه، و عرض عليّ قصيده من شعره يروم إيصالها إلى السلطان، فراجعت الأستاذ برقعة أثبتها على جهة الإحماض و هي:

«يا سيدى الذى أتشرّف، و بالانتماء إلى معارفه أتميّز، و صل إليّ عميد حصن النجش، و ناهض أفرّاح ذلك العشّ، تلوح عليه مخايل أخيه المسمّى بمالك، و يترجّج به الحكم فى الغاية فى أمثال تلك المسالك، أشبه من الغراب بالغرّاب، و إنها لمن الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٧٥

عجائب الماء و التراب، فألقى من ثنائكم الذى أوجبه السيادة و الأيوه، ما يقصر عن طيب الألوه، و تخجل عند مشاهدته الغرر المجلوه، و ليست بأولى بزّ أسديتم، و مكرمه أعدتم و أبديتهم، و الحسنات و إن كانت فهى إليكم منسوبة، و فى أياديكم محسوبة، و بلوت من الرجل طلعه تنفّه، لم يغادر من صفات النبل صفة، حاضر بمسائل من الغريب، و قعد مقعد الذكى الأريب. و عرض عليّ حاجته و غرضه، و طلب منى المشاركة، و هى منى لأمثاله مفترضة، و وعدنى بإيقافى على قصيده حبرها، و أنسى بالخبر خبرها، و باكرنى بها اليوم مباركة الساقى بدهاقه، و عرضها عليّ عرض التاجر نفائس أعلاقه، و طلب منى أن أهذب له ما أمكن من معانيها و ألفاظها، و أجلو القذى عن ألحاظها، فنظرت منها إلى روض كثرث أئغابه، و جيش من الكلام زاحم خواصه أو شابه، و رمت الإصلاح ما استطعت، فعجزت عن ذلك و انقطعت، و رأيت لا جدوى إلى ذلك الغرض، ما لم تبدل الأرض غير الأرض. و هذا الفنّ، أبقى الله سيدى، ما لم يمتّ إلى الإجادة بسبب وثيق، و ينتمى فى الإحسان إلى مجد عريق، و كان رفضه أحسن و أحمد، و أطراحه بالفائدة أعود، و إذا اعتبره من عدل و قسط، و جدّه طريقين لا- يقبل الوسط، فمنهما مالّ يقتنى و يدّخر، و سافل يهزأ به و يسخر، و الوسط ثقيل لا يتلبس به نبيل. قيل لبعضهم: ألا تقول الشعر؟ فقال: أريد منه ما لا يتأتى لى، و يتأتى لى منه ما لا أريده. و قال بعضهم: فلان كمغنّ وسط لا يجيد فيطرب، و لا يسىء فيسلى. فاقضى نظركم الذى لا يفارق السداد و التوفيق، و إرشادكم الذى رافقه الهدى و نعم الرفيق، أن يشير عليه بالاستغناء عن رفعها، و الامتسك عن دفعها، فهو أقوى لأمته، و أبقى على سكنته و سمته، و أستر لما لديه، قبل أن يمدّ أبو حنيفه رجليه، و إن أصمّت عن هذا العذل مسامعه، و هفت به إلى النجاح مطامعه، فليعتمد على الاختصار، فذو الإكتار جمّ العثار، و ليعدل إلى الجادة عن ثنيات الطّرق، و يجترئ عن القلادة بما أحاط بالعنق، فإذا ربّتها و هدّبها، و أوردتها من موارد العبارة أعذبها، تولّيت زفافها و إهداءها، و أمطت بين يدي الكفوء الكريم رداءها، و السلام».

حمده بنت زياد المكتّب

من ساكنى وادى الحمة بقرية بادية من وادى آش.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٧٦

حالتها: قال أبو القاسم: نبيلة، شاعرة، كاتبة؛ و من شعرها و هو مشهور:

[الوافر]

أباح الدّمع أسرارى بوادى له فى الحسن آثار بوادى

فمن نهر يطوف بكلّ روض و من روض يطوف بكل وادى

و من بين الطّباء مهارة إنس سبت لّبي و قد سلبت فوادى

لها لحظ ترقّده لأمر و ذاك الأمر يمنعى رقادى

إذا سدلت ذوائبها عليها رأيت البدر فى جنح السّواد

كَانَ الصَّبْحَ مَاتَ لَهُ شَقِيقٌ فَمِنْ حَزْنِ تَسْرِيلِ فِي الْحَدَادِ

وَمِنْ غَرَائِبِهَا: [الطويل]

وَلَمَّا أَبَى الْوَأَشُونَ إِلَّا قَتَلْنَاوَمَا لَهُمْ عِنْدِي وَعِنْدَكَ مِنْ تَارِ

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٧٧ و شئوا على آذاننا كل غارء و قلت حماتي عند ذاك و أنصاري

رميتهم من مقلتيك و أدمعي و من نفسي بالسيف و السيل و النار

و قال أبو الحسن بن سعيد في حمدة و أختها زينب: شاعرتان، أدبيتان، من أهل الجمال، و المال، و المعارف و الصون، إلا أن حب

الأدب كان يحملهما على مخالطة أهله، مع صيانة مشهورة، و نزاهة موثق بها.

حفصة بنت الحاج الزكوني

من أهل غرناطة، فريضة الزمان في الحسن، و الظرف، و الأدب، و اللوذعية؛ قال أبو القاسم: كانت أديبة، نبيلة، جيدة البديهة، سريعة الشعر.

بعض أخبارها: قال الوزير أبو بكر بن يحيى بن محمد بن عمر الهمداني:

رغبت أختي إلى حفصة أن تكتب شيئاً بخطها فكتبت: [البيسط]

يا ربُّه الحسن، بل يا ربُّه الكرم غصّي جفونك عمّا خطّه قلمي

تصفّحيه بلحظ الودّ منعمة لا تحفلي بقيح الخطّ و الكلم

قال أبو الحسن بن سعيد، و قد ذكر أنهما باتا بحوز مؤمل في جنّه له هنالك على ما يبئ عليه أهل الظرف و الأدب، قال: [الطويل]

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٧٨ رعى الله ليلا لم يرع بمدّم رعانا و واراننا بحوز مؤمل

و قد نفحت من نحو نجد أريجة إذا نفحت هبت بريح القرنفل

و غرّد قمرى على الدّوح و اثنتي قضيب من الرّيحان من فوق جدول

يرى الرّوض مسرورا بما قد بدا له: عناق و ضمّ و ارتشاف مقبل

فقال: [الطويل]

لعمر ك ما سرّ الرياض و صالنا و لكنه أبدى لنا الغلّ و الحسد

و لا صفّق النّهر ارتياحا لقربناو لا صدح القمرى إلا لما وجد

فلا تحسن الظنّ الذى أنت أهله فما هو فى كل المواطن بالرّشد

فما خلت هذا الأفق أبدى نجومه لأمر سوى كى ما تكون لنا رصد

قال أبو الحسن بن سعيد: و بالله ما أبدع ما كتبت به إليه و قد بلغها أنه علق بجارية سوداء أسعت له من بعض القصور، فاعتكف معها

أياما و ليالى، بظاهر غرناطة، فى ظلّ ممدود، و طيب هوى مقصور و ممدود: [مخلع البسيط]

يا أظرف الناس قبل حال أوقعه نحوه القدر

عشقت سوداء مثل ليل بدائع الحسن قد ستر

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٧٩ لا يظهر البشر فى دجاهاكلّا و لا يبصر الخفر

بالله قل لى و أنت أدري بكلّ من هام فى الصّور

من الذى هام فى جنان لا نور فيه و لا زهر؟

فكتب إليها بأظرف اعتذار، و أطف أنوار: [مخلع البسيط]

لا حكم إلّا لأمر ناهله من الذنب يعتذر
 له محتيا به حياتي أعيد مجلاه بالسور
 كضحوة العيد في ابتهاج و طلعة الشمس و القمر
 بسعده لم أمل إليه إلّا أطرافا له خبر
 عدمت صبحي فاسودّ عشقى و انعكس الفكر و النظر
 إن لم تلح يا نعيم روحى فكيف لا تفسد الفكر؟
 قال: و بلغنا أنه خلا- مع حاتم و غيره من أقاربهم، لهم طرب و لهو، فمرّت على الباب مستتره، و أعطت البواب بطاقة فيها مكتوب :
 [الخفيف]

زائر قد أتى بجيد غزال طامع من محبه بالوصال
 أتراكم يا ذنكم مسعفيه أم لكم شاغل من الأشغال؟
 فلما وصلت الرّقعّة إليه، قال: و ربّ الكعبه، ما صاحب هذه الرّقعّة إلّا الرّقيعة حفصه؛ ثم طلبت فلم توجد، فكتب إليها راغبا في الوصال
 و الأنس الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٨٠
 الموصول: [الخفيف]

أى شغل عن الحبيب يعوق يا صباحا قد آن منه الشروق
 صل و واصل فأنت أشهى إلينا من جميع المنى فكم ذا نشوق
 بحياء الرّضى يطيب صبح عرفا إن جفوتنا أو غبوق
 لا و ذلّ الهوى و عزّ التلاقي و اجتماع إليه عزّ الطريق
 و ذكرها الأستاذ في «صلته»، فقال: و كانت أستاذة وقتها، و انتهت إلى أن علّمت النساء في دار المنصور؛ و سألتها يوما أن تنشده
 ارتجالا فقالت :

[المجتث]

امنن على بصكّ يكون للدهر عدّه
 تخطّ يمناك فيه: الحمد لله وحده
 قال: فمنّ عليها، و حرّز لها ما كان لها من ملك.
 وفاتها: قالوا: توفيت بحضرة مراكش في آخر سنه ثمانين أو إحدى و ثمانين و خمسمائة .
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٨١

الخضر بن أحمد بن الخضر بن أبي العافية

من أهل غرناطة، يكنى أبا القاسم.
 حاله: من كتاب «عائد الصلّة»: كان، رحمه الله، صدرا من صدور القضاة، من أهل النظر و التقيد، و العكوف على الطلب، مضطلعا
 بالمسائل، مسائل الأحكام؛ مهتديا لمظنّات التّصوص، نسخ بيده الكثير، و قيّد على الكثير من المسائل، حتى عرف فضله، و استشاره
 الناس في المشكلات. و كان بصيرا بعقد الشروط، ظريف الخطاب، بارع الأدب، شاعرا مكثرا، مصيبا غرض الإجابة.
 و تصرّف في الكتابة السلطانية، ثم في القضاء، و انتقل في الولايات الرفيعة النّبيهة.
 و جرى ذكره في «التّاج المحلّي» بما نصّه :

«فارس في ميدان البيان، و ليس الخير كالعيان؛ و حامل لواء الإحسان، لأهل هذا الشان؛ رفل في حلل البدائع فسحب أذيالها، و شعشع أكواس العجائب فأدار جريالها، و اقتحم على الفحول أغيالها، و طمح إلى الغاية البعيدة فنالها، و تذوكرت المعضلات فقال: أنا لها. عكف و اجتهد، و برز إلى مقارعة المشكلات و نهد، فعلم و حصل، و بلغ الغاية و توصل؛ و تولى القضاء، فاضطلع بأحكام الشرع، و برع في معرفة الأصل و الفرع، و تميز في المسائل بطول الباع، و سعة الذراع؛ فأصبح صدرا في مصره، و غزوة في صفحة عصره. و سيمر في بديع كلامه، و هئات أقلامه، و غرر إبداعه، و درر اختراعه، ما يستنير لعلم الحليم، و تلقى له البلغاء يد التسليم».

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٨٢

شعره: قال في غرض الحكمة و الأمثال: [الكامل]

عزّ الهوى نقصان و الرأي الذي ينجيك منه، إذا ارتأيت مروما

فإذا رأيت الرأي يتبع الهوى خالف و فاقهما تعدّ حكيمًا

و كيف تخاف من الحليم مداجيا خف من نصيحك ذي الشفاهة شوما

و احذر معاداة الرجال توقيا منهم ظلوما كنت أو مظلوما

فالناس إما جاهل لا يتقى عارا و لا يخشى العقوبة لوما

أو عاقل يرمى بسهم مكيدة كالقوس ترسل سهمها مسموما

فاحلم عن القسمين تسلم منهما و تسد فتدعي سيّدا و حليما

ودع المعاداة التي من شأنها أن لا تديم على الصفاء قديما

أبت المغالبة الوداد فلا تكن ممن يغالب ما حيت نديما

و إذا منيت بقربه فاخض جناح الدّلّ و اخضع ظاعنا و مقيما

إنّ الغريب لكالقضب محائر إن لم يمل للريح عاد رميما

وارع الكفاف و لا تجاوز حدّه ما بعده يجنى عليك هموما

و ابسط يديك متى غنيت و لا تكن فيما يكون به المديح ذميما

و إذا بذلت فلا تبذر إنّ ذا التبذير يومئذ أخوه رجيمًا

وعف الورود إذا تراحم موردو احسب ورود الماء منه حميما

و اصحب كريم الأصل ذا فضل فمن يصحب لئيم الأصل عدّ لئيمًا

فالفصل من لبس الكرام فمن عرى عنه فليس لما يقول كريمًا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٨٣ (إنّ المقارن بالمقارن يفتدى) مثل جرى جرى الرياح قديما

و جماع كلّ الخير في التقوى فلا تعدم حلى التقوى تعدّ عديما

و قال يصف الشيب من قصيدة، و هي طويلة؛ أولها: [الكامل]

لاح الصباح، صباح شيب المفروق فاحمد سراك نجوت ممّا تتقى

هي شبيهة الإسلام فاقد قدرها قد اعتقتك و حقّ قدر المعنى

خطّ بفودك أيضا في أسود بالعكس من معهود خطّ مهرق

كالبرق راع بسيفه طرف الدّجى فأغار دهمته شتات الأبلق

كالفجر يرسل في الدّجّة خيطه و يجرّ ثوب ضيائه بالمشرق

كالماء يستره بقعر طحلب فتراه بين خلاله كالزّئبق

كالحيّة الرقشاء إلّا أنه لا يبرأ الملسوع منه إذا رقى
 كالنجم عدّ لرجم شيطان الصبايا ليت شيطان الصبا لم يحرق
 كالزهر إلّا أنه لم يستتم إلّا بغصن ذابل لم يورق
 كتبسم الزنجى إلّا أنه يبكى العيون بدمعه المترقق
 و كذا البياض قذى العيون و لا ترى للعين أبكى من بياض المفرق
 ما للغوانى و هو لون حدودها يجزعن من لألائه المتألق
 و أخلته لمع السيوف و من يشم لمع السيوف على المفارق يفرق
 هو ليس ذاك و لا الذى أنكرته كن خائفا ما خفن منه و اتق
 داء يعزّ على الطيب دواؤه و يضيع خسرا فيه مال المنفق
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٨٤ لكنه و الحقّ أصدق مقول شين المسىء الفعل زين المتقى
 و من مقطوعاته قوله: [المتقارب]

أقلّى فما الفقر بالمرء عار و لا دار من يألف الهون دارا
 و ما يكسب العزّ إلّا الغنى غنى النفس فلتتخذ شعارا
 و ما اجتمع الشمل فى غيره فيحسن إلّا و ساء انتشارا
 فزهرة غيرك لا تنظرى فيألم قلبك منه انكسارا
 و هزى إليك بجذع الرضى تساقط عليك الأمانى ثمارا
 و قال أيضا: [المجتث]

العلم حسن و زين و الجهل قبح و شين
 و المال عزّ و عيش و الفقر ذلّ و حين
 و الناس أعضاء جسم فمنهم است و عين
 هذى مقالة حقّ ما فى الذى قلت مين
 و قال أيضا: [الخفيف]

إن أراك الزمان وجها عبوسا فستلقاه بعد ذلك طلقا
 لا يهمنك حاله إن فى طرفه عين تراتح فيه و تشقى
 أى عزّ رأيت أو أى ذلّ لذوى الحاليتين فى الدهر يبقى
 سل نجوم الدجى إذا ما استنارت ما الذى فى وقت الظهيرة تلقى
 و تفكر و قل بغير ارتياب كلّ شىء يفنى و ربك يبقى
 و قال أيضا: [الكامل]

لو أن أيام الشباب تعود لى عود النصارى للقضيب المورق
 ما إن بكيت على شباب قد ذوى و بقيت منتظرا لآخر موتق
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٨٥
 و قال فى القلم: [الطويل]

لك القلم الأعلى الذى طال فخره و إن لم يكن إلّا قصيرا مجوّفا

تعلم منه الناس أبداع حكمة فيها هو أمضى ما يكون محرّفاً

و قال في التشبيه: [البسيط]

كأنما السوسن الغضّ الذي افتتحت منه كمامه المبيضة اللون

بنان كفّ فتاة قطّ ما خضبت تلقي بها من يراها خيفة العين

و قال يعرض بقوم من بني أرقم: [المتقارب]

إذا ما نزلت بوادي الأشي فقل ربّ من لدغه سلّم

و كيف السلامة في موطن به عصبه من بني أرقم؟

و قال موريا بالفقه، و هو بديع: [الخفيف]

لى دين على الليالى قديم ثابت الرّسم منذ خمسين حجّه

أفأعدى بالحكم بعد عليها؟ أم لها في تقادم الدّهر حجّه؟

و نختم مقطوعاته بقوله: [الطويل]

نجوت بفضل الله ممّا أخافه و لم لا و خير العالمين شفيح؟

و ما ضعت في الدنيا بغير شفاعه فكيف إذا كان الشفيح أضيح؟

و قال أيضا: [الطويل]

عليك بتقوى الله فيما ترومه من الأمر تخلص بالمرام و بالأجر

و لا ترج غير الله في نيل حاجه و لا دفع ضرّ في سرار و لا جهر

فمن أمّ غير الله أشرك عاجلا و فارقه إيمانه و هو لا يدري

وفاته: توفى قاضيا ببرجّه، و سيق إلى غرناطة، فدفن بباب البيرة عصر يوم الأربعاء آخر يوم من ربيع عام خمسّه و أربعين و سبعمائة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٨٦

خالد بن عيسى بن إبراهيم بن أبي خالد البلوى

من أهل قنتوريه، من حصون وادى المنصورة.

حاله: هذا الرجل من أهل الفضل و السداجه، كثير التواضع، منحنط في ذمّه التخلّق، نابه الهيئه، حسن الأخلاق، جميل العشرة، محبّ في

الأدب؛ قضى ببلده و بغيره، و حجّ و قيد رحلته في سفر، وصف فيه البلاد و من لقي، بفصول جلب أكثرها من كلام العماد الأصبهاني،

و صفوان و غيرهما، من ملح. و قفل إلى الأندلس، و ارتسم في تونس في الكتابه عن أميرها زمانا يسيرا؛ و هو الآن قاض ببعض

الجهات الشرقية.

و جرى ذكره في الرّحلة التي صدرت عنى في صحبه الرّكاب السلطاني عند تفقد البلاد الشرقية؛ في فصل حفظه الناس، و أجره في

فكاهاتهم و هو:

«حتى إذا الفجر تبلّج، و الصّبح من باب المشرق تولّج، عدنا و توفيق الله قائد، و كنفنا من عنايته صلّه و عائد، تتلقّى ركابنا الأفواج، و

تحيينا الهضاب و الفجاج إلى قنتوريه، فناهيك من مرحلة قصيرة كأيام الوصال، قريه البكر من الآصال، كان المبيت بإزاء قلعتها

السامية الارتفاع، الشهيرة الامتناع؛ و قد برز أهلها في العديد و العدة؛ و الاحتفال الذي قدم به العهد على طول المدّة، صفوفًا بتلك

البقع خيلا و رجلا كشرنج الرّقعة، لم يتخلّف ولد عن والد، و ركب قاضيها ابن أبي خالد؛ و قد شهرته التّرعّه الحجازيّة، و قد لبس

من الحجازيّ، و أرخى من البياض طيلسانا، و تشبّه بالمشاركة شكلا و لسانا، و صبغ لحيته بالحناء و الكتم، و لاث عمامته و اختتم، و

البداءة تسمه على الخرطوم، و طبع الماء و الهواء يقوده قود الجمل المخطوم، فداعبته مداعبة الأديب للأديب؛ و الأريب للأريب، و خيرته بين خصلتين، و قلت: نظمت مقطوعتين، إحداهما مدح؛ و الأخرى قدح؛ فإن همت ديمتك، و كرمت شيمتك، فللذين أحسنوا الحسنى، و إلاً فالمثل الأذننى. فقال: أنشدنى لأرى على أى امرئ أتيت، و أفرق بين ما جنيتنى و ما جنيت، فقلت: [الكامل]

قالوا و قد عظمت مبره خالدقارى الضيوف بطارف و بتالد

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٨٧ ما ذا تمتت به فجئت بحجة قطعت بكل مجادل و مجالد

أن يفترق نسب يؤلف بيننا أدب أقمناه مقام الوالد

و أما الثانية فيكفى من البرق شعاعه، و حسبك من شرّ سماعه. و يسير التنبيه كاف للنبيه؛ فقال: لست إلى قرأى بذى حاجة، و إذا عزمت فأصالحك على دجاجة؛ فقلت: ضريبة غريبة، و مؤنة قريبة؛ عجل و لا تؤجل، و إن انصرم أمد النهار فأسجل؛ فلم يكن إلا كلاً و لا، و أعوانه من القلعة تنحدر، و البشر منهم بقدمها يبتدر، يزفونها كالعروس فوق الرءوس، فمن قاتل يقول: أمها يمايئة، و آخر يقول: أخوها الخصى الموجّه إلى الحضرة العلية، و أدنوا مرابطها من المضرب، بعد صلاة المغرب، و ألحفوا فى السؤال، و تشططوا فى طلب التوال؛ فقلت: يا بنى اللكيعة جتتم بيازى، بماذا كنت أجازى، فانصرفوا و ما كادوا يفعلون، و أقبل بعضهم على بعض يتلاومون؛ حتى إذا سلّت لذبحها المدى، و بلغت من طول أعمارها المدى، قلت: يا قوم، ظفرتم بقرة العين، و أبشروا باقتراب اللقاء فقد ذبحت لكم غراب البين».

و لقد بلغنى أنه لهذا العهد بعد أن طال المدى، يتظلم من ذلك، و ينطوى من أجله على الوجدة؛ فكتبت إليه: وصل الله عزّة الفقيه النبيه، العديم النظير و التشبيه؛ وارث العدالة عن عمه و ابن أبيه، فى عزّة تظلمه، و ولاية تتوجّ جاهه و تكلمه.

داود بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان ابن عمر بن حوط الله الأنصارى الحارثى الأندى

يكنى أبا سليمان.

أولّيته: قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: من بيت علم و عفاف، أصله من أندة، حصن بشرقى الأندلس، و انتقل أبو سليمان هذا مع أخيه أبى محمد إلى حيث يذكر بعد.

حاله: قال ابن عبد الملك: كان حافظاً للقراءة، عارفاً بإقراء القرآن بها، أتقن ذلك عن أبيه، ثم أخيه كبيره أبى محمد، محدثاً متسع الرواية، شديد العناية بها، كثير

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٨٨

السمع، مكثر، عدلاً، ضابطاً لما ينقله، عارفاً بطرق الحديث. أطال الرحلة فى بلاد الأندلس، شرقها و غربها، طالبا العلم بها، و رحل إلى سبتة و غيرها من بلاد الأندلس العدوية. و عنى بقاء الشيوخ كباراً و صغاراً و الأخذ منهم أتمّ عناية، و حصل له بذلك ما لم يحصل لغيره. و كان فهيماً بصيراً بعقد الشروط، حاذقاً فى استخراج نكتها، تلبس بكتبها زماناً طويلاً بمسجد الوحيد من مالقة، و كان محباً فى العلم و أهله، حريصاً على إفادته إياهم، صبوراً على سماع الحديث، حسن الخلق، طيب النفس، متواضعاً، ورعاً، منقبضاً، لئيم الجانب، مخفوض الجناح، حسن الهدى، نزيه النفس، كثير الحياء، رقيق القلب، تعدّد الثناء عليه من الجلة.

قال ابن الزبير: كان من أهل العدالة و الفضل، و حسن الخلق، و طيب النفس و التواضع، و كثرة الحياء. و قال ابن عبد المجيد: كان ممّن فضله الله بحسن الخلق و الحياء على كثير من العلماء. و قال أبو عبد الله بن سلمة مثل ذلك. و قال ابن ... بمثله.

مشيخته: قال الأستاذ: أقرأ بمرسية، و أخذ بها، و بقرطبة، و مالقة، و إشبيلية، و غرناطة و سبتة، و غيرها من بلاد الأندلس، و غرب العدو، و اعتناؤه يعينه و أخاه باب الرواة، و الأخذ عن الشيوخ، حتى اجتمع لهما ما لم يجتمع لأحد من أهل عصرهما؛ فمن ذلك

أبوهما أبو داود، و أبو الحسن صالح بن يحيى بن صالح الأنصاري، و أبو القاسم بن حسن، و أبو عبد الله بن حميد، و أبو زيد السهيلي، و أبو عبد الله محمد بن محمد بن عراق الغافقي، و أبو العباس يحيى بن عبد الرحمن المجريطي، و عن ابن بشكوال. و أخذ عن أبي بكر بن الجعد، و أبي عبد الله بن زرقون، و أبي محمد بن عبد الله، و أبي عبد الله بن الفخار الحافظ، و أبي العباس بن مضاء، و أبي محمد بن بونه، و أبي محمد بن عبد الصمد بن يعيش الغساني، و أبي بكر بن أبي حمزة، و أبي جعفر بن حكم الزاهد، و أبي خالد بن يزيد بن رفاعه، و أبي محمد عبد المنعم بن الفرس، و أبي الحسن بن كوثر، و أبي عبد الله بن عروس، و أبي بكر بن أبي زمنين، و أبي محمد بن جمهور، و أبي بكر بن النيار، و أبي الحسن بن محمد بن عبد العزيز الغافقي الشقوري، و أبي القاسم الحوفي القاضي، و أبي بكر بن بيش بن محمد بن بيش العبدري، و أبي الوليد بن جابر بن هشام الحضرمي، و أبي الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٨٩

بكر بن مالك الشريشي، و أبي عبد اليسر الجزيري، و أبي بكر بن عبد الله السكسكي، و أبي الحجاج ابن الشيخ الفهري، و غيرهم ممن يطول ذكرهم. قضاؤه و سيرته فيه: قال ابن أبي الربيع: لازمت ابني حوط الله، فكان أبو محمد يفوق أخاه و الناس في العلم، و كان أبو سليمان يفوق أخاه و الناس في الحلم.

و استقضى بسبته و المريّة و الجزيرة الخضراء، و قام قاضيا بها مدة، ثم نقل منها إلى قضاء بلنسية آخر ثمان و ستمائة، ثم صرف بأبي القاسم بن نوح، و قدّم على القضاء بمالقة في حدود إحدى عشرة و ستمائة، فشكرت أحواله كلها، و عرف في قضائه بالتراهة. قال أبو عبد الله بن سلمة: كان إذا حضر خصوم، ظهر منه من التواضع، و وطأ الأكناف، و تبيين المرشد، و الصبر على المداراة، و الملاطفة، و تحبيب الحق، و تكريه الباطل، ما يعجز عنه. و لقد حضرته. و قد أوجبت الأحكام عنده الحدود على رجل، فهاله الأمر، و ذرفت عيناه، و أخذ يعتب عليه و يؤنبه على أن ساق نفسه إلى هذا، و أمر بإخراجه ليحدّ بشهود في موضع آخر لرقّة نفسه، و شدّة إشفاقه. و استمرت ولايته بمالقة إلى أن توفي. مولده: ببلدة أندة سنة ستين و خمسمائة.

وفاته: قال أبو عبد الرحمن بن غالب: توفي إثر صلاة الصبح من يوم السبت سادس ربيع الآخر سنة إحدى و عشرين و ستمائة، و دفن إثر صلاة العصر يوم وفاته، بسفح جبل فاره، في الروضة المدفون بها أخوه أبو محمد، فأتبعه الناس ثناء جميلا؛ ذكر، و اختلفوا في جنازته، و خرج إليها النساء و الصبيان داعين متبكين.

رضوان النصرى الحاجب المعظم

إشارة

حسنه الدولة النصرية، و فخر مواليها. أوّليته: رومي الأصل، أخبرني أنه من أهل القلصادة، و أن انتسابه يتجاذبه القشتالية من طرف العمومة، و البرجلونية من طرف الخوولة، و كلاهما نبيه في الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٩٠

قومه، و أن أباه ألجأه الخوف بدم ارتكبه في محلّ أصالته من داخل قشتالة إلى السكنى بحيث ذكر. و وقع عليه سباء في سنّ الطفوليّة، و استقرّ بسببه بالدار السلطانية، و محض إحراز رقه، السلطان دايل قومه، أبو الوليد المارّ ذكره، فاخصّ به، و لازمه قبل تصير الملك إليه، مؤثرا له مغتبطا بمخايل فضله، و تماثل استقامته، ثم صير الملك إليه فتدرّج في معارج حظوته، و اخصّ بتربيته ولده، و ركن إلى

فضل أمانته، و خلطه في قرب الجوار بنفسه، و استجلى الأمور المشكّلة بصدقه، و جعل الجوائز السّيّية لعظماء دولته على يده، و كان يوجب حقه و يعرف فضله، إلى أن هلك، فتعلّق بكنف ولده، و حفظ شمله، و دبر ملكه، فكان آخر اللّخف، و سترًا للحرم، و شجى للعداء، و عدّه في الشّدة، و زينا في الرّضاء، رحمة الله عليه.

حاله وصفته: كان هذا الرجل مليح السّيبة و الهيئة، معتدل القدّ و السّيحة، مرهب البدن، مقبل الصورة، حسن الخلق، واسع الصدر، أصيل الرأى، رصين العقل، كثير التجيّل، عظيم الصبر، قليل الخوف في الهيئات، ثابت القدم في الأزمات، ميمون التّقيبة، عزيز النفس، عالى الهمة، بادي الحشمة، آية في العفة، مثلاً في النزاهة، ملتزماً للسّنّة، دؤوباً على الجماعة، جليس القبلة؛ شديد الإدراك مع السكون، ثاقب الدّهن مع إظهار الغفلة؛ مليح الدّعابة مع الوقار و السكينة، مستظهِراً لعيون التاريخ، ذاكرة للكثير من الفقه و الحديث، كثير الدّالة على تصوير الأقاليم و أوضاع البلاد، عارفاً للسياسة، مكرماً للعلماء، متركاً للهوادة، قليل التصنّع، نافراً من أهل البدع؛ متساوى الظاهر و الباطن، مقتصدًا في المطعم و الملبس.

مكانته من الدين: اتفق على أنه لم يعاقر مسكراً قطّ و لا زنّ بهناه، و لا لطح بريئة، و لا وسم بخلة تقدح في منصب، و لا باشر عقاب جاز، و لا أظهر شفاء من غائظ، و لا اكتسب من غير التّجر و الفلاحة مالا.

آثاره: أحدث المدرسة بغرناطة، و لم تكن بها بعد، و سبب إليها الفوائد، و وقف عليها الرّباع المغلّة، و انفرد بمنقبها، فجاءت نسيجه وحدها بهجة و صدرا و ظرفاً و فخامة، و جلب الماء الكثير إليها من النهر، فأبد سقيه عليها، و أدار السور

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٩١

الأعظم على الرّبض الكبير المنسوب للبيّازين، فانتظم منه التّجدد و الغور، في زمان قريب، و شارف التمام إلى هذا العهد. و بنى من الأبراج المنيعه في مثالم التّغور و روابى مطالعها المنذرة، ما ينيف على أربعين برجاً، فهي ماثلة كالنجوم ما بين البحر الشرقي من ثغر بيرة، إلى الأحواز العربيّة. و أجرى الماء بجبل مورور، مهتدياً إلى ما خفى على من تقدّمه، و أفذاذ أمثال هذه الأنقاب يشقّ تعداده. جهاده: غزا في السادس و العشرين من محرم عام ثلاثه و ثلاثين و سبعمائة بجيش مدينه باغه، و هي ما هي من الشّهرة، و كرم البقعة، فأخذ بمخنقها، و شدّ حصارها، و عاق الصريخ عنها، فتملّكها عنوة، و عمّرها بالحماة، و ربّتها بالمرابطة، فكان الفتح فيها عظيماً. و في أوائل شهر المحرم من عام اثنين و ثلاثين و سبعمائة غزا بالجيش عدو المشرق، و طوى المراحل مجتازاً على بلاد قشتالة، لورقة، و مرسية، و أمعن فيها.

و نازل حصن المدور، و هو حصن أمن غائلة العدو، مكتنف بالبلاد، مدّ بالسينى، موضوع على طية التجارة، و ناشبه القتال، فاستولى عنوة عليه منتصف المحرم من العام المذكور، و آب مملوء الحقائق سيباً و غنماً.

و غزواته كثيرة، كمظاهرة الأمير الشهير أبى مالك على منازل جبل الفتح، و ما اشتهر عنه فيه من الجدّ و الصبر، و أوتر عنه من المنقبه الدّالة على صحة اليقين، و صدق الجهاد، إذ أصابه سهم في ذراعه و هو يصلّى، فلم يشغله عن صلاته، و لا حملة توقع الإغارة على إبطال عمله.

ترتيب خدمته و ما تخلّل عن ذلك من محنته:

لمّا استوثق أمر الأمير المخصوص بتربيته، محمد، ابن أمير المسلمين أبى الوليد نصر، و قام بالأمر و كيل أبية الفقيه أبو عبد الله محمد بن المحروق، و وقع بينه و بين المترجم عهد على الوفاء و المناصحة، و لم يلبث أن نكبه و قبض عليه ليله كذا من رجب عام ثمانية و عشرين و سبعمائة، و بعثه ليلاً إلى مرسى المنكب، و اعتقله في المطبق من قصبته بغيا عليه، و ارتكب فيه أشنوعة أساءت به العامّة،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٩٢

و أنذرت باختلال الحال، ثم أجازته البحر، فاستقرّ بتلمسان، و لم يلبث أن قتل المذكور، و بادر سلطانه الموتور بفرقة عن سدّته،

فاستدعاه، فلاحق محلّه من هضبة الملك متملياً ما شاء من عزّ و عناية، فصرفت إليه المقاليد، و نيّطت به الأمور، و أسلم إليه الملك، و أطلقت يده في المال. و استمرّت الأحوال إلى عام ثلاثة و ثلاثين و سبعمائة، و التأت الأمر، و ظهر من سلطانه التنكّر عليه، فعاجله الحمام فخلّصه الله منه، و ولي أخوه أبو الحجاج من بعده، فوقع الإجماع على اختياره للوزارة أوائل المحرم من عام أربعة و ثلاثين و سبعمائة، فرضى الكلّ به، و فرحت العامّة و الخاصّة للخطة، لارتفاع المنافسات بمكانه، و رضى الأضداد بتوسّيطه، و طابت النفوس بالأمن من غائلته، فتولّى الوزارة و سحب أذيال الملك، و انفرد بالأمر، و اجتهد في تنفيذ الأحكام، و تقدّم الولاة، و جواب المخاطبات و قواد الجيوش، إلى ليلة الأحد الثاني و العشرين من رجب عام أربعين و سبعمائة، فنكبه الأمير المذكور نكبةً ثقيلةً البرك، هائلةً الفجاءة من غير زلّة مأثورة، و لا سقطه معروفة، إلّا ما لا يعدم بأبواب الملوك من شرور المنافسات، و ديب السعايات الكاذبة. و قبض عليه بين يدي محراب الجامع من الحمراء إثر صلاة المغرب، و قد شهر الرجال سيوفهم فوقه يحقّون به، و يقودونه إلى بعض دور الحمراء، و كبس ثقات السلطان منزله، فاستوعبوا ما اشتمل عليه من نعمه، و ضمّ إلى المستخلص عقاره، و سوغ الخبر عظيم غلاته. ثم نقل بعد أيام إلى قسبة ألمرية محمولاً على الظهر، فشدّ بها اعتقاله، و ربّ الحرس عليه إلى أوائل شهر ربيع الثاني من عام أحد و أربعين و سبعمائة، فبدا للسلطان في أمره و اضطر إلى إعادته. و وجد فقد نصحه، و أشفق لما عدم من أمانته، و الانتفاع برأيه، و عرض عليه بما لنوم الكفّ و الإقصار عن ضرّه، فغفا عنه، و أعاده إلى محلّه من الكرامة، و صرف عليه من ماله، و عرض الوزارة فأبأها، و اختار بردّ العافية، و أنس لذة التخلّي، فقدم لذلك من سدّ الثغور، فكان له اللفظ، و لهذا الرجل المعنى، فلم يزل مفزعاً للرأى، محلّى في العظة على الولاية، كثير الأمل و الغاشى، إلى أن توفي السلطان المذكور غزّة شوال من عام خمسة و خمسين و سبعمائة، فشعب الثأى، و حفظ البلوى، و أخذ البيعة لولده سلطاننا الأسعد أبي عبد الله، و قام خير قيام بأمره، و جرى على معهود استبرائه، و قد تحكّمت التجربة، و علت السنّ، و زادت أنّه الخشيّة، و قربت من لقاء

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٩٣

الله الشّقة، فلا تسأل عمّا حطّ من خل، و أفاض من عدل، و بذل من مداراة. و حاول عقد السلم، و سدّ أمور الجند على القل، و دامت حاله متصلةً على ما ذكر، و سنّه تتوسّط عشر التسعين إلى أن لحق برّبّه. و قد علم الله أنى لم يحملنى على تقرير سيرته، و الإشادة بمنقبتة داعية، و إنما هو قول بالحق، و تسليم لحجّة الفضل، و عدل في الوصف، و الله، عزّ و جلّ، يقول: وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا . و فاته: في ليلة الأربعاء الثامن و العشرين من رمضان من عام ستين و سبعمائة، طرق منزله بعد فراغه من إحياء ثلث الليل، متبدّل اللبسة، خالص الطويّة، مقتضياً للأمن، مستشعراً للعافية، قائماً على المسلمين بالكلّ، حاملاً للعزيمة، و قد بادره الغادرون بسلطانه، فكسروا غلقه بعد طول معالجة، و دخلوا عليه و قتلوه بين أهله و ولده، و ذهبوا إلى الدليل برأسه، و فجعوا الإسلام، بالسائس الخصيب المتغاضى، راكب متن الصبر، و مطوق طوق النزاهة و العفاف، و آخر رجال الكمال و الستر، الضافي على الأندلس، و لوئم من الغد بين رأسه و جسده، و دفن بإزاء لحود مواليه من السبيكة ظهراً. و لم يشهد جنازته إلّا القليل من الناس، و تبرّك بعد بقبيره. و قلت عند الصلاة عليه، أخاطبه دون الجهر من القول لمكان التقيّة: [الطويل]

أ رضوان، لا توحشك فتكّه ظالم فلا مورد إلّا سيتلوه مصدر

و لله سرّ في العباد معيب يشهد بخافيه القضاء المقدر

سميك مرتاح إليك مسلم عليك و رضوان من الله أكبر

فحث المطا ليس النعيم منغص و لا العيش في دار الخلود مكدر

زاوى بن زيرى بن مناد الصنهاجى

الحاجب المنصور، يكنى أبا مثنى.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٩٤

أولئته: قد مر ما حدث بين أبيه زيرى وبين قرابته من ملوك إفريقية، وباديس بن منصور من المشاحنة التي أوجبت مخاطبة المظفر بن أبي عامر في اللحاق بالأندلس، و إذنه في ذلك، فدخل الأندلس منهم على عهده جماعة وافرة من مساعير الحروب و آثار الحتوف، مع شيخهم هذا و أميرهم، و دخل منهم معه أبناء أخيه ماكسن و حباسة و حيتوس، و قاموا في جملة المظفر، و زاوى مخصوص باسم الحجابة؛ فلما اختل بناء الخلافة، بمحمد بن عبد الجبار الملقب بالمهدى، أذلهم و تنكر لهم، و أشاع بينهم و بين أمثالهم من البرابر، المغيرة، فكان ذلك سبب الفتنة التي يسميها أهل الأندلس بالبربرية؛ فانحاشوا، و نفروا عهده، و بايعوا سليمان بن الحكم، و استعانوا بالنصارى، و حرّكوا على أهل قرطبة خصوصا، و على أهل الأندلس عموما، ما شاء الله من استباحة، و إهلاك النفوس، و غلبوا على ملك الأندلس، و ما وراء البيضة، و اقتسموا أمهات الأقطار، و انحازوا إلى بلاد تضمهم، فانحازت صنهاجة مع رئيسهم المذكور إلى غرناطة، فأووا إليها، و اتخذوها ملجأ، و حماها زاوى المذكور، و أقام بها ملكا، و أثل بها سلطانا لذويه، فهو أول من مدّن غرناطة، و بناها و زادها تشييدا و منعة، و اتصل ملكه بها، و ارتشحت عروقه، إلى أن كان من ظهوره بها و أحوازها، على عساكر الموالى، الراجعين بإمامهم المرتضى إلى قرطبة، البادين بقتاله، و الآخذين بكظمه، بما تقرّر و يتقرّر فى اسم المرتضى، من باب المحمدين.

و كان زاوى كبش الحروب، و كاشف الكروب، خدم قومه شهر الذّكر أصيل المجد، المثل المضروب فى الدهاء، و الرأى، و الشجاعة، و الأنفة، و الحزم.

قال بعضهم: أحكم التدبير، و الدولة تسعده، و المقادر تنجده، و حكيته له فى الحروب حكايات عجيبة.

بعض أخباره فى الرأى: قال أبو مروان: و قد مرّ ذكر الفتنة البربرية؛ لما خلاص ملاً القوم، لتشاور أميرهم، و هم فرض فى خروجهم من قرطبة، عندما انتهوا إلى فحص هلال، و اجتمعوا على التأسى، و ضرب لهم زعيمهم زاوى بن زيرى بن مناد الصّنهاجى، مثلا بأرماع خمسة جمعها مشدودة، و دفعها لأشدّ من حضره منهم، و قال: اجهد نفسك فى كسرها كما هى و أعزمها، فعالج ذلك فلم

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٩٥

يقدر عليه، فقال له: حلّها و عاجلها رمحا رمحا، فلم يبعد عليه دقّها، فأقبل على الجماعة، فقال: هذا مثلكم يا برابرة، إن جمعتم لم تطاقوا، و إن تفرّقتم لم تبقوا، و الجماعة فى طلبكم، فانظروا لأنفسكم و عجلوا، فقالوا: نأخذ بالوثيقة، و لا نلقى بأيدينا إلى التهلكة، فقال لهم: بايعوا لهذا القرشى سليمان، يرفع عنكم الأنفة فى الرياسات، و تستميلون إليه العائمة بالجنسية، ففعلوا، فلما تمت البيعة قال: إن مثل هذا الحال لا يقوى على أهل الاستطالة، فيقتد له رئيس كل قبيلة منكم، قبيلة يتكفل السلطان بتقويمهم، و أنا الكفيل بصنهاجة، قال: و امتارت بطون القبائل على أرحامها، و قبائلها إلى أفخاذها و فصائلها، فاجتمع كل فريق منهم على تقديم سيده، فاجتمعت صنهاجة على كبيرها زاوى، و لم تزل تلك القبائل المتألفة بالأندلس لطاعة أميرها، المنادين له إلى أن أورثوهم الإمارة.

التوقيع: قالوا: و لَمّا نازله المرتضى الذى أجب به الموالى العامرين بظاهر غرناطة، خاطبه بكتاب يدعوه فيه إلى طاعته، و أجمل موعده فيه؛ فلما قرىء على زاوى قال لكاتبه: اكتب على ظهر رقعته: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) السورة. فلما بلغت المرتضى أعاد عليه كتابا يعده فيه بوعيده، فلَمّا قرىء على زاوى، قال: ردّ عليه: أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ (١) إلى آخرها، فازداد المرتضى غيظا، و ناشبه القتال، فكان الظهور لزاوى.

قال المؤرّخ: و اقتلت صنهاجه مع أميرهم مستميتين لما دهمهم من بحر العساكر، على انفرادهم و قلّة عددهم، إلى أن انهزم أهل الأندلس، و طاروا على وجوههم، مسلموهم و إفرنجهم، لا يلوون على أحد، فأوقع البرابر بهم السيف، و نهبوا تلك المحلات، و احتوا على ما لا- كفاء له اتساعا و كثرة؛ ظلّ الفارس يجىء من أتباع المنهزمين و معه العشرة، و لا تسلّ عمّا دون ذلك من فاخر النهب، و

خير الفساطيط، و مضارب الأمراء والرؤساء.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٩٦

قال ابن حيان: فحلّ بهذه الواقعة على جماعة الأندلس مصيبة أنست ما قبلها، و لم يجتمع لهم جمع بعدها و فرّوا بإدبار، و باؤوا بالصغار.

منصره عن الأندلس:

قال المؤرخ: و لهول ما عاينه زاوى من اقتدار أهل الأندلس فى أيام تلك الحروب و جعاجعهم، و إشرافهم على التغلب عليه، هان سلطانه عنده بالأندلس، و خرج عنها نظرا إلى عاقبة أمره، و دعا بجماعة من قومه لذلك فعصوه، و ركب البحر بجيشه و أهله، فلحق بإفريقية و طنه. قال: فكان من أغرب الأخبار فى الدولة الحمودية انزعاج ذلك الشيخ زاوى عن سلطانه بعد ذلك الفتح العظيم الذى ناله على أهل الأندلس، و عبوره البحر بعد أن استأذن ابن عمّه المعز بن باديس، فأذن له.

و حرص بنو عمّه بالقيروان، على رجوعه لهم لحال سنّه، و تقريههم يومئذ من مثله من مشيختهم لمهلك جميع إخوتهم، و حصوله هو على مقرّر بنى مناد، الغريب الشأن، فى أن لا تحجب عنهم نساؤهم و كنّ زهاء ألف امرأة فى ذلك الوقت، هنّ ذوات محرم من بنات إخوته و بناتهنّ و بنى بنهنّ. و كان رحيل زاوى عن الأندلس سنّه عشر و أربعمائه. قال ابن حيان: و أخبار هذا الداهية كثيرة، و أفعاله و نوادره مأثورة.

زهير العامري، فتي المنصور بن أبى عامر

حاله: كان شهما داهية، سديد المذهب، مؤثرا للأناة، ولى بعد خيران صاحب المرية، و قام بأمره أحمد قيام، سنّه تسع عشرة و أربعمائه، يوم الجمعة لثلاث

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٩٧

خلون من جمادى الأولى. و كان أميرا بمرسيه، فوجه عنه خيران حين أحسّ بالموت، فوصل إليه، و كان عنده إلى أن مات. فخرج زهير مع ابن عباس إلى الناس، فقال لهم: أما الخليفة خيران فقد مات، و قد قدّم أخاه زهيرا هذا، فما تقولون؟ فرضى الناس به، فدامت مدة ولايته عشرة أعوام و نصف عام إلى أن قتل.

مناقبه: قال أبو القاسم الغافقى: و كان حسن السيرة جميها؛ بنى المسجد فى المرية، و دار فيه من جهاته الثلاث، المشرق و المغرب و الجوف؛ و بنى مسجدا ببجانه، و شاور الفقهاء، و عمل بقولهم؛ و ملك قرطبة، و دخل قصرها، يوم الأحد لخمس بقين من شعبان سنّه خمس و عشرين و أربعمائه، و دام سلطانه عليها خمسة عشر شهرا و نصف شهر.

قال ابن عذارى: و أما زهير الفتى فامتدت أطناب مملكته من المرية إلى قرطبة و نواحيها، و إلى بياسة، و إلى الفجّ من أول طليطلة. و قالوا: قرّ ما بينه و بين باديس فأرسل باديس إلى زهير رسوله مكاتبا مستدعيا تجديد المحالفة، فسارع زهير، و أقبل نحوه، و ضيّع الحزم، و اغترّ بالعجب، و وثق بالكثرة، أشبه شىء بمجىء الأمير الضخم إلى عامل من عماله، قد ترك رسم الالتقاء بالنظر و غير ذلك من وجوه الحزم، و أعرض عن ذلك كله؛ و أقبل ضاربا بسوطه، حتى تجاوز الحدّ الذى جرت العادة بالوقوف عنده من عمل باديس دون إذنه؛ و صير الأوعار و المضايق خلف ظهره، فلا يفكر فيها، و اقتحم البلد، حتى صار إلى باب غرناطة. و لما وصل خرج باديس فى جمعه، و قد أنكر اقتحامه عليه، و عدّه حاصلا الإحاطة فى أخبار غرناطة؛ ج ١، ص: ٢٩٧

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٩٨

فى قبضته؛ فبدأه بالجميل و التكريم، و أوسع عليه و على رجاله فى العطاء و القرى و التعظيم بما مكن اغترارهم، و ثبت طمأنينتهم. و

وقعت المناظرة بين زهير و باديس ، و من حضرهما من رجال دولتيهما، فنشأ بينهما عارض الخلاف لأول وهلة، و حمل زهير أمره على التشطط، فعزم باديس على اللقاء و وافقه عليه قوم من خدامه، فأقام المراتب، و نصب الكتائب، و قطع قنطرة لا محيد عنها لزهير، و الحائن لا يشعر؛ و غاداه عن تعبئة محكمة، فلم يرعه إلا رجّة القوم راجعين، فدهش زهير و أصحابه، إلا أنه أحسن تدبير الثبات لو استتمه، و قام فنصب الحرب، و ثبت في قلب العسكر، و قدّم خليفته هذيل في وجوه أصحابه إلى الموالى، فلما رأتهم صنهاجة، علموا أنهم الحماة و الشوكة ، و متى حصدوا لم يثبت من وراءهم، فاختلفوا بهم ، و اشتد القتال، فحكم الله لأقل الطائفتين من صنهاجة ليرى الله قدرته، فانهزم زهير و أصحابه و تقطعوا، و عمل السيف فيهم فمزقوا، و قتل زهير، و جهل مصرعه؛ و غنم رجال باديس من المال و المرافق و الأسلحة و الحليّة و العدة و الغلمان و الخيام ، ما لا يحاط بوصفه. و كانت وفاة زهير يوم الجمعة عقب شوال، سنة تسع و عشرين و أربعمائه بقرية ألفت خارج غرناطة.

طلحة بن عبد العزيز بن سعيد البطلبوسى و أخواه أبو بكر و أبو الحسن بنو القبطرنة

يكنى أبا محمد.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٩٩

حاليهم: كانوا عيوننا من عيون الأدب بالأندلس، ممّن اشتهروا بالظرف، و السّرو و الجلالة. و قال أبو الحسن بن بسّام و قد ذكر أبا بكر منهم، فقال: أحد فرسان الكلام، و حملة السيوف و الأقاليم، من أسرة أصالة، و بيت جلاله، أخذوا العلم أولاً عن آخر، و ورثوه كابراً عن كابر. ثلاثة كهقعة الجوزاء، و إن أربوا عن الشهر في السنّ و السناء . كتب أبو محمد عبد العزيز و أخواه عن ملك لمتونة، و دخلوا معه غرناطة. ذكر ذلك غير واحد. و اجتزأت بذكر أبي محمد، و أتبعه أخويه اختصاراً.

شعره: من شعر أبي محمد، قوله في الاستدعاء: [المتقارب]

هلمّ إلى روضنا يا زهر و لح في سماء المنى يا قمر

و فوق إلى الأنس سهم الإخاء فقد عطّلت قوسه و الوتر

إذا لم تكن عندنا حاضرًا فما بغصون الأمانى ثمر

وقعت من القلب وقع المنى و حزت من العين حسن الحور

قال أبو نصر: بات مع أخويه في أيام صباه، و استطابه جنوب الشّباب و صباه، بالمنية المسماة بالبديع، و هى روض كان المتوكل يكلف بموافاته، و يبتهج بحسن صفاته، و يقطف ريحانه و زهره، و يقف عليه إغفاه و سهره، و يستفزّه الطرب متى ذكره، و ينتهز فرص الأنس فيه روحاته و بكره، و يدير حميّه على ضفة نهره، و يخلع سرّه فيه لطاعة جهره، و معه أخواه، فطاردوا اللذات حتى أنصوها، و لبسوا برود السرور فما نضوها، حتى صرعتهم العقار، و طلّحتهم تلك

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٠٠

الأوقار؛ فلما همّ رداء الفجر أن يندى، و جبين الصبح أن يتبدّى، قام الوزير أبو محمد فقال: [الخفيف]

يا شقيقى و افى الصّباح بوجه ستر الليل نوره و بهاؤه

فاصطبج، و اغتنم مسرة يوم لست تدرى بما يجىء مساؤه

ثم استيقظ أخوه أبو بكر فقال: [الخفيف]

يا أخى، قم تر التّسيم عليلا بكر الرّوض و المدام شمولاً

فى رياض تعانق الزّهر فيها مثل ما عانق الخليل خليلاً

لا تنم و اغتنم مسرة يوم إنّ تحت التّراب نوماً طويلاً

ثم استيقظ أخوهما أبو الحسن و قد ذهب من عقله الوسن، فقال: [البسيط]

يا صاحبى ذرا لومى و معتبتى قم نصطحب قهوة من خير ما ذخروا

و بادرا غفلة الأيام و اغتناما فاليوم خمر و يبدو فى غد خبر

و قال أبو بكر فى بقره أخذها له الرنق صاحب قلموريه، و قد أعاد أرضه: [الطويل]

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٠١ و أفقدنيها الرنق أما حفيته إذا هي ضفت ألفت بين رفين

تعفنى أمى على أن رثيتها بشعري و أن أتبعها الدم من عيني

لها الفضل عندى أرضعتنى أربعا و بالرغم ما بلغتنى رأس عامين

محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر

الرئيس المتوَّب على الملك، و حتى كرسى الإمارة، و عاقد صفقة الخسران المبين، يكنى أبا عبد الله. أوَّلِيته: معروفة.

حاله: «من نفاضة الجراب» و غيره: كان شيطانا، ذميم الخلق، حرفوشا، على عرف المشاركة، متراميا للخسائس، مألفا للدعرة و الأجلاف و السَّوار و أولى الريب، خبيثا كثير التكر، منغمسا فى العهن، كلفا بالأحداث، متقلبا عليهم فى الطرق، خليع الرسن، ساقط الحشمة، كثير التبدل، قواد عصبه كلاب، معالجا لأمراضها، مباشرا للصيد بها، راجلا فى ثياب منتاب الشعر من الجلود و السوابل و الأسمال؛ عقد له السلطان على بنته لوقوع القحط فى رجال بيتهم، و توههه بالولاية، و أركبه، و أغضى له عن موبقات تقصر به، إلى أن هلك؛ و حاد الأمر عن شقيق زوجته، و استقرَّ فى أخيه، و ثقل على الدولة، لكراهة طلعتة، و سوء الأحداث به، فأمر بترك المباشرة، و الدخول للقلعة، و أذن له فى التصرف فى البلد و الفحص، و أبقيت عليه النعمة، فداخل أمَّ زوجته، و ضمن لها تمام الأمر لولدها، و أمدته بالمال، فنظر من المساعير شيعه، من كسرة الأغلاق، و قتله الزقاق، و مختلسى البضائع، و مخيفى السابلة، و استضاف من أسافله الدولة، من آسفته بإقصار قصد، أو مطل وعد، أو حط رتبة، أو عزل عن ولايته، فاستظهر منهم بعدد و لا، كالشقيى الدليل المورورى، الغريب الطور، و إبراهيم بن أبى الفتح المنبوذ بالإضليح، قريع الجهل، و مستور العظيمة، و ارتادوا عورة القلعة فاهتدوا منها إلى ما شاؤوا و تألفوا بخارج. ثم تسللوا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٠٢

ببطن الوادى المعروف ب «هداره»، إلى أن لصقوا بجناح السور الصاعد، الراكبة قوسه جريه النهر، و صعدا مساوقين جناحه المتصل بسور القلعة، و قد نقص كثير من ارتفاعه، لحدثان إصلاح فيه، فتسوره عن سلم، و دافع بعض محاربيهم بعضا فى استباق أدراجه، فدخلوا البلد فى الثلث الأخير من ليله الأربعاء الثامن و العشرين لرمضان عام ستين و سبعمائه، ثم استغلظوا بالمشاعل، و قتلوا نائب الملك رضوانا النصرى، سايس الأمر، و بقيه المشيخة، و استخرجوا السلطان الذى هو يزيهه، فنصبوه للناس، و تمَّ الأمر، بما دلَّ على احتقار الدنيا عند الله؛ و انخرط هذا الخب فى طور غريب من التنزل للسلطان، و الاستخدام لأمه، و التهالك فى نصحه، و خلط نفسه فيه، و تبدل فى خدمته؛ يتولَّى له الأمور، و يمشى فى زى الأشراف بين يديه، و يتأتى لشهواته، و يتظاهر بحراسته. و لما علم أن الأمر يشقَّ تصيره إليه من غير واسطة، بغير انقياد الناس إليه، من غير تدريج كاده، فألطف الحيلة فى مساعدته على اللذات، و إغرائه بالخبائث، و شغله بالعهر، و قتله بالشهوات المنحرفة، و جعل يتبرأ من دئبته و ينفق بين الناس من سلع اغتيابه، و يرى الجماهير الإنكار لصنيعه، و يزيّن لهم الاستعاضة منه بعد ما غلظت شوكته، و ضمَّ الرجال إلى نفسه موريا بحفظه؛ و الاستظهار على صونه. و فى الرابع من شعبان عام أحد و ستين و سبعماية، ثار به فى محل سكناه فى جواره، و استجاش أولياء غدره؛ و كبس منزله، مداخلا للوزير المشؤوم، عاقدا معه صفقة الغدر. و امتنع السلطان بالبرج الأعظم، فاستنزله و قتله، كما مرَّ فى اسم المذكور قبل، و استولى على

الملك، فلم يختلف عليه اثنان. و اشتغل طاغية الروم بحرب، كان بينه وبين القطلبيين، فتمالاً لمسالمتهم، فاغتبط الصنيع و تهنأ المنحة، و تشطط على الروم في شروط غير معتادة، سامحوه بها مكيدة و استدراجا، و اجتاز أمير المسلمين المصاب بغدره إلى الأندلس، طالبا لحقه، و مبادرا إلى رد أمره، فسقط في يده، و وجّه الجيش إليه بمثواه من بلد رندة، فانصرف عنها خائبا، و رجع أدراجه، يشك في النجاة، و تفرغ إليه الطاغية، ففرض عليه جمه؛ و قد أجرت عليه شوكته و قيعه نصر الله فيها الدين، و أملى لهذا الوغد، فلم يقبله العثرة بعدها، و نازل حصونه المهتزمة، و استولى على كثير منها، و حام فلم يصحر غلوة، و أكذب ما موّه به من البسالة، و ظهر للناس بلبس الصوف، و أظهر التوبة على سريرة دخله، و فسق مبین، و قل ما بيده، و نفذ بيت ماله، فلم يجد شيئا يرجع إليه، من بعد ما سبك الآنية و الحلية، و باع العقار لتبذيره، و سحّ المال سحاً، في أبواب الأراجيف الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٠٣

و الاختلاف، و البهج بالغنا، فشرف الإنقاب إلى الفرار، و أزمع إلى الانسلاخ. و عندما تحرك السلطان إلى غربي مالقة، و نجح أهلها بطاعته و دخلوا في أمره، و سقط عليه الخبر، اشتمل على الذخيرة جمعاء، و هي التي لم تشتمل خزائن الملوك مطلقا على مثلها، من الأحجار و اللؤلؤ و القصب، و التفّ عليه الجمع المستमित، جمع الضلال و مردّ الغي، و خرج عن المدينة ليلة الأربعاء السابع عشر من جمادى الآخرة، و صوّب وجهه إلى سلطان قشتالة؛ مكظوم تجنيه، و موتور سوء جواره، من غير عهد، إلّا ما أمل من التبقّي عنده من التذمّم به، و ضمان إتلاف الإسلام، و استباحة البلاد و العباد بنكرته.

و لما استقرّ لديه نزله، تقبض عليه، و على شردمته المنيفة على ثلاثمائة فارس من البغاة، كشيخ جنده الغربي إدريس بن عثمان بن إدريس بن عبد الله بن عبد الحق، و من سواه؛ تحصّل بسببهم بيد الطاغية، كل ما تسمو إليه الآمال، من جواد فاره، أو منطقة ثقيلة، و سلاح محلّي، و جوشن رفيع، و درع حصينة، و بلبلة منيعة، و بيضة مذهبة، و بزّة فاخرة، و صامت عتيد، و ذخيرة شريفة، فتنخل منهم متولّي التسور، فجعلهم أسوء رأسهم في القتل، خرّ بعضهم يومئذ على بعض، في القتل، و أخذتهم السيوف، فحلّوا بعد الشّهرة، و التمثيل في أزقة المدينة، و إشاعة النداء في الجزيرة، ثاني رجب من العام المؤرّخ به، و ركب أسوق سائرهم الأدهم، و استخلصهم الإسار، و بادر بتوجيه رؤوسهم، فنصبت من فوق العورة التي كان منها تسورهم القلعة، فمكثت بها إلى أن استنزلت و وريت؛ و انقضى أمره على هذه الوتيرة مشؤوما ديبرا، لم يمتعه الله بالنعيم، و لا هنأه سكنى المحلّ الكريم، و لا سوّغه راحة، و لا ملأه موهبة، و لا أقام على فضله حجة، و لا أعانه على زلفه. إنما كان رئيس السراق و عريف الخراب، و إمام الشّرار، ندر يوما في نفسه، و قد رفعت إلى امرأة من البدو تدعى أنها سرقت دارها، قال: إن كان ليلا بعد ما سدّ باب الحمراء على و على ناسي، فهي و الله كاذبة، إذ لم يبق سارق في الدنيا، أو في البلاد، إلّا و قد تحصل خلفه، وقانا الله المحن، و ثبتنا على مستقرّ الرشد، و لا عاقنا عن جادة الاستقامة.

وزراء دولته: استوزر الوزير المشؤوم ممدّه في الغي، الوغد، الجهول، المرتاش من السرقة، الحقود على عباد الله لغير علمه عن سوء العاقبة، المخالف في الأدب سنن الشريعة، البعيد عن الخير بالعادة و الطبيعة، دودة القز، و بغل طاحونه الغدر، و زق القطران، محمد بن إبراهيم بن أبي الفتح الفهري، فانطلقت يده على الإبخار، و لسانه على الأعراض، و عينه على النظر الشّرر، و صدره على التأوّه و الزين؛ الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٠٤

يلقى الرجل كأنه قاتل أبيه، محدقا إلى كميته، يحترش بهما خبيته، أو يظنّ بهما رشوة، فأجاب الله دعاء المضطرين، و رغبات السائلين، و عاجله بالأخذة الزاوية، و البطشة القاضية؛ فقبض عليه في ليلة السبت العاشر لرمضان من العام المذكور، و على ابن عمّه العصر فوط و على الحيرا من نواض بيتهما، و أنفذ الأمر بتعريضهم، فمضى حكم الله بهذه المتيّة الفرعونية فيهم، لا تبديل لكلمات الله، قاهر الجبابرة، و غالب الغلاب، و جاعل العاقبة للمتقين.

و استوزر بعده، أولى الناس و أنسبهم إلى دولته، و أحقهم بمظاهرتة، المسوس الجيّار اليأس و الفطرة، المختبل الفكرة، القيل، المرّجس، الحول، الشهير، الصّجر، محمد بن علي بن مسعود؛ فيما بلى الناس على طول الحمرة، و انفساح زمان التجربة، أسوأ تدبيرا، و

لا أشتر معاملته، ولا أبدأ لسانا، ولا أكثر شكوى و معاتبته، ولا أشح يدا، ولا أجذب خوانا، من ذلك المشؤوم، بنق اليوم، ينق بما لا يسمع، و يسرد الأكاذيب، و يسىء السميع، فيسىء الإجابة، و يقود الجيش فيعود بالخبية، إلى أن كان الفرار، فصحبه إلى مصرعه؛ و كان ممن استؤثر به القيد الثقيل، و الأسر الشديد، و العذاب الأليم، عادة بذلك عبد «المالاحوينا»، التي كان يحجب سمتها، زمان ترفيهه، فقضت عليه سيء الميته، مطرح الجثة. سترنا الله بستره و لا سلبننا فى الحياة و لا فى الممات ثوب عنايته.

كاتب سره: صاحبنا الفقيه الأهو، قصب الريح، و شجرة الخور، و صوت الصيدي، أبو محمد عبد الحق بن عطية، المستبد بتدبير الدبير، خطا فوق الرقاع الجاهله، و مسارة فى الخلوات الفاسقة، و صدعا فوق المنابر الكيبية، بحلة لث الرايه، و يذب عنه ذب الوالده، ينتهى فى الاعتذار عن هناته إلى الغايات القاصره.

قضاته: شيخنا أبو البركات، قيس ليلي القضاء، المخدوع بزخرف الدنيا على الكبره و العناء، لطف الله به، و ألهمه رشده.

شيخ الغزاه على عهده: إدريس بن عثمان بن إدريس بن عبد الحق بن محيو، بقيه بيت الدبره، و وشيجه الشجرة المجتته، عذب فى الجملة من أهل بيته عند القبض عليهم، و استقر فى القبض الأشهب من قبيله بالمغرب، مطلق الإقطاع، مرموقا بعين التجلج، مكنوفا بشهره الأب، إلى أن سعى به إلى السلطان، نسيج وحده، فارس بن على، و استشعر البث فطار به الدعر لا يلوى عنانا، حتى سقط بإفريقيه، و عبر البحر

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٠٥

إلى ملك برجلونه، ثم اتصل بالدولة النصرية، بين إداله الغدر، و إياله الشتر، فقلده الدائل مشيخة الغزاه، و نوّه به، فاستراب معزله يحيى بن عمر، ففر إلى أرض الروم حسبما يذكر فى اسمه؛ فقام له بهذا الوظيف، ظاهر الشهرة و الأبّه، مخصوصا منه بالتجلج، إلى أن كان ما كان من إزمانه و فراره؛ فوفى له و صحبه ركابه، و قاسمه المنسجه شق الأبله، و استقر بعد قتله أسيرا عانيا علق الدهر، لضنانه العدو بمثله، إلى أن أفلت من دون الأغلاق، و شد الوثاق. و لحق بالمسلمين فى خبر لم يشتمل كتاب الفرج بعد الشده على مثله، و الإغراب منه، يستقر فى اسمه إلماع به؛ ثم استقر بالمغرب معتقلا، ثم مات رحمه الله.

من كان على عهده من الملوكة: و أولا- بمدينه فاس دار ملك المغرب، السلطان، الخير، الكريم الأبوه، المودود قبل الولاية، اللين العريكة، الشهير الفضل فى الحياة، آيه الله فى إغراب الصنع، و إغراب الإدبار، أبو سالم إبراهيم بن على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، أمير المسلمين، المترجم به فى حرف الألف. و لما قتل يوم الحادى و العشرين لذي قعدة من عام اثنين و ستين، قام بالأمر بعده أخوه المتحيل أبو عامر تاشفين بن على إلى أواخر صفر عام ثلاثه و ستين؛ و لحق بالبلد الجديد، الأمير أبو محمد زيان بن الأمير أبى عبد الرحمن بن على بن عثمان المترجم به فى بابه، ثم المتولى من عام ثمانية و ستين و سبعمائة السلطان أبو فارس عمه المؤمل للم الشعث، و ضمّ النشر، و تجديد الأمر بحول الله، ابن السلطان الكبير المقدس، أبى الحسن بن سعيد بن يعقوب بن عبد الحق، و هو بعد متصل الحال إلى اليوم.

و بتلمسان الأمير أبو حمّو، موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان.

و بإفريقيه الأمير الخليفة على عرفهم، إبراهيم بن أمير المؤمنين أبى يحيى بن حفص.

و بقتاله، بطره بن الهنش بن هرانده بن شانجه المصنوع له، ولّى النعمة منه، و مستوجب الشكر من المسلمين لأجله، يراحتة منهم.

و برغون، بطره بن شانجه.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٠٦

و برنده، مزاحمه بالملك الفخم، أمير المسلمين حقيقه، المرتب الحق، المعقود البيعه، و صاحب الكره، و ولّى حسن العاقبه، مجتت شجرته الخبيته، و صارخ إيالته الدثيه، أبو عبد الله محمد بن أمير المسلمين أبى الحجاج بن أمير المسلمين أبى الوليد بن نصر.

مولده: مولد هذه النسمة المشؤومه أول يوم من رجب عام اثنين و ثلاثين و سبعمائة.

وفاته: توفي قتيلا ممثلا به بطيلاطة من ظاهر إشبيلية، في ثاني يوم من رجب عام ثلاثة و ستين و سبعمائة، و سيقت رؤوس أشياعه، الغادرين مع رأسه إلى الحضرة فصلبت بها. و في ذلك قلت: [السريع]
 في غير حفظ الله من هامة هام بها الشيطان في كل واد
 لا خلقت ذكرا و لا رحمته في فم إنسان و لا في فؤاد

محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف ابن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر الخزرجي

إشارة

أمير المسلمين بالأندلس بعد أبيه، رحمه الله.
 أوليته: معروفة.

حاله: كان معدودا في نبلاء الملوك ، صيانه، و عزّا و شهامة، و جمالا، و خصلا؛ عذب الشمائل، حلوا لبقا، لودعيا، هشا، سخيا؛ المثل المضروب به في الشجاعة المقتحمة حدّ التهؤّر جلس ظهور الخيل، و أفرس من جال على ظهورها ، لا- تقع العين، و إن غصيت الميادين، على أدرب بركض الجياد منه، مغرما بالصّيد، عارفا بسمات السّقار و شتات الخيل؛ يحبّ الأدب، و يرتاح إلى الشعر، و يتبه على العيون، و يلّم بالنادرة الحارّة. أخذت له البيعة يوم مهلك أبيه، و هو يوم الثلاثاء السابع و العشرين لرجب الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٠٧

من عام خمسة و عشرين و سبعمائة، و ناله الحجب، و اشتملت عليه الكفالة إلى أن شبّ و ظهر، و فتك بوزيره المتغلب على ملكه، و هو غلام لم يبقل خده، فهيب شأنه، و رهبت سطوته، و برز لمباشرة الميادين، و ارتياد المطارد، و اجتلاء الوجوه، فكان ملء العيون و الصدور.

ذكاؤه: حدّثني القائد أبو القاسم ابن الوزير عبد الله بن عيسى وزير جدّه، قال: تذكّر يوما بحضرته تباين قول المتنبّي: [المتقارب]
 ألا خدد الله ورد الخدود و قد قدود الحسان القدود

و قول امرئ القيس: [الطويل]

و إن كنت قد ساءتكم منّي خليفة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

و قول إبراهيم بن سهل: [البيسط]

إنّي له من دمي المسفوك معتذر أقول حمّلته في سفكه تعباً

فقال، رحمه الله، بديهة: بينهما ما بين نفس ملك عربي و شاعر، و نفس يهودي تحت الدّمّة، و إنما تنفّس بقدر همّتها، أو كلاما هذا معناه. و لما نازل مدينة قبرة و دخل جفنها عنوة، و نال قصبته، و رماها بالنّقط، و تغلّب عليها، و هي ما هي عند المسلمين، و عند النصارى، من الشّهرة و الجلالة، بادرناه نهنته بما

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٠٨

نسّق له، فزوى وجهه عنّا، و قال: ما ذا تهوّنتني به، كأنكم رأيتم تلك الخرقه بكذا - يعني العلم الكبير- في منار إشبيلية، فعجبنا من بعد همّته، و مرمي عزمه .

شجاعته: أقسم أن يغير على باب مدينة بيّانه في عدّة قليلة عينها الميمن، فوقع البهت و توقّعت الفاقرة، لقرب الصّريخ، و منعه الحوزة، و كثرة الحامية، و اتصال تخوم البلاد، و وفور الفرسان بذلك الصّيقع؛ و تنخّل أهل الحفاظ، و هجم على باب الكفّار نهارا، و انتهى إلى باب المدينة، و قد برزت الحامية، و توقع فرسان الزّوم الكمناء، فأقصرّوا عن الإحصار، و حمى المسلمون فشّدّ عليهم، فأعطوهم

الضمة و دخلوا أمامهم المدينة؛ و رمى السلطان أحد الرجال الناشبة بمزراق كان بيده محلى السنان رفيع القيمة، و تحامل يريد الباب فمزع الإجهاز عليه، و انتزع الزمخ الذى كان يجزه خلفه، و قال: اتركوه يعالج به رمحه إن كان أخطأته الميته، و قد أفلت من أنشوطه خطر عظيم.

جهاده و مناقبه: كان له وقائع فى الكفار، على قلبه أيامه، و تحرك و نال البلاد، و فتح قبرة، و مقدم جيش العدو الذى بيت بظاهاها و أثن فىه، و فتح الله على يده مدينة باغوة، و تغلب المسلمون على حصن قشتالة، و نازل حصن قشرة بنفسه لدى قرطبة، فكاد أن يتغلب عليه، لو لا مدد اتصل للنصارى به. و أعظم مناقبه تخليص جبل الفتح، و قد أخذ الطاغية بكظمه، و نازله على قرب العهد من تملك المسلمين إياه، و ناخ بكلكله، و هد بالمجانيق أسواره، فدارى الطاغية، و استنزل الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٠٩

عزمه و تحفه، و لحق فى موضع اختلاله، إلى أن صرفه عنه، و عقد له صلحا، ففازت به قداح الإسلام، و تخلصه من بين ناب العدو و ظفروه؛ فكان الفتح عظيما لا كفاء له.

بعض الأحداث فى دولته: و فى شهر المحرم من عام سبعة و عشرين و سبعمائة، نشأت بين المتغلب على دولته، و وزيره، و بين شيخ الغزاة و أمير القبائل العدوية، عثمان بن أبى العلاء، الوحش و ألحق ريحها السعايات، فصبت على المسلمين شوبوب فتنه عظم فيهم أثرها معاطبا، و سئم الانصراف عن الأندلس، فلحق بساحل ألمرية، و أحوزته المذاهب و تحامت جواره الملوكة، فداخل أهل حصن أندرش، فدخل فى طاعته، ثم استضاف إليه ما يجاوره، فأعضل الداء، و تفاقمت اللأواء، و غامت سماء الفتنة، و استنفذ خزائن الأموال المستعدة لدفاع العدو، و استلحق الشيخ أبو سعيد عم السلطان، و قد استقر بتلمسان، فلحق به، و قام بدعوته فى أخريات صفر عام سبعة و عشرين و سبعمائة؛ و اغتم الطاغية فتنه المسلمين فنزل ثغر بيعة، ركاب الجهاد، و شجى العدو، فتغلب عليه، و استولى على جملة من الحصون التى تجاوره، فأتسع نطاق الخوف، و أعياء الشرى، و صرف إلى نظر ملك المغرب، فى أخريات العام، رنده و مربله و ما يليهما، و ترددت الرسائل بين السلطان و بين شيخ الغزاة، فأجلت الحال عن مهادنة، و معاودة للطاعة، فصرف أميرهم أدراجه إلى العدو، و انتقلوا إلى سكنى وادى آش على رسم الخدمة و الحماية على شروط مقررة؛ و أوقع السلطان بوزيره، و أعاد الشيخ إلى محله من حضرته؛ أوائل عام ثمانية و عشرين بعده، و استقدم القائد الحاجب أبا النعيم رضوان من أعاصم حباله الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣١٠

قتيله، فقام بأمره أحسن قيام. و عبر البحر بنفسه بعد استقرار ملكه فى الرابع و العشرين من شهر ذى حجة من عام اثنين و ثلاثين و سبعمائة، فاجتمع مع ملك المغرب السلطان الكبير أبى الحسن بن عثمان، فأكرم نزله، و أصحبه إلى الأندلس، و حباه بما لم يحب به ملك تقدمه، من مغريبات الخيل، و خطير الذخيرة، و مستجاد العدة؛ و نزل الجيش على أثره جبل الفتح؛ و توجه الحاجب أبو النعيم بأكبر إخوة السلطان، مظاهرا على سبيل النيابة، و هتأ الله فتحه. ثم استنقذه بلحاق السلطان، و محاوله أمره كما تقدم، فتم ذلك يوم الثلاثاء الثانى عشر لذى حجة من عام ثلاثة و ثلاثين و سبعمائة.

وزراء دولته: وزر له وزير أبية، و أخذ له البيعة، و هو متخن بالجراحات التى أصابته يوم الفتك بأبيه السلطان أبى الوليد، و لم ينشب أن أجهز جرح تجاوز عظم الدماغ، بعد مصابرة ألم العلاج الشديد، حسبما يأتى فى اسمه، و هو أبو الحسن على بن مسعود بن يحيى بن مسعود المحاربى. و ترقى إلى الوزارة و الحجابة و كيل أبية محمد بن أحمد المحروق، من أهل غرناطة، يوم الاثنين غرة شهر رمضان من عام خمسة و عشرين و سبعمائة، و يأتى التعريف بهم. ثم اغتيل بأمره، عشى ثانى يوم من محرم فاتح تسعة و عشرين و سبعمائة. ثم وزر له القائد أبو عبد الله بن القائد أبى بكر عتيق بن يحيى بن المول من وجوه الدولة، و صدور من يمت بوصله، إلى السابع عشر من رجب من العام؛ ثم صرف إلى العدو. و أقام رسم الوزارة و الحجابة و النيابة أبو النعيم مولى أبية، إلى آخر مدته، بعد أن التأث أمره

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣١١

لديه، و زاحمه بأحد المماليك المسمى بعصام حسبما يأتي ذكره في موضعه إن شاء الله.

رئيس كتّابه: كتب له كاتب أبيه قبله، و أخيه بعده، شيخنا نسيج وحده، أبو الحسن علي بن الجيّاب الآتي ذكره في موضعه إن شاء الله.

قضاته: استمرت الأحكام لقاضي أبيه، أخى وزيره، الشيخ الفقيه أبى بكر بن مسعود، رحمه الله، إلى عام سبعة و عشرين و سبعمائة، و وجهه رسولا عنه إلى ملك المغرب، فأدر كته وفاته بمدينة سلا، فدفن بمقبرة سلا. رأيت قبره بها، رحمه الله. و تخلف ابنه أبى يحيى مسعود عام أحد و ثلاثين و سبعمائة؛ و تولى الأحكام الشرعية القاضي أبو عبد الله محمد بن يحيى بن بكر الأشعري، خاتمة الفقهاء، و صدر العلماء، رحمه الله، فاستمرت له الأحكام إلى تمام مدة أخيه بعده.

أمه: رومية اسمها «علوة» و كانت أحظى لِدانتها عند أبيه، و أمّ بكره، إلى أن نزع عنها فى أخريات أمره، لأمر جرّته الدّالمة، و تأخرت وفاتها عنه إلى مدة أخيه.

من كان على عهده من الملوك بأقطار المسلمين و النصارى:

فبفاس، السلطان الكبير، الشهير، الجواد، خدن العافية، و حلف السعادة، و بحر الجود، و هضبة الحلم، أبو سعيد عثمان بن أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق، الذى بذل المعروف، و قرّب الصلحاء و العلماء، و أدنى مكانهم، و أعمل إشارتهم، و أوسع بأعطيته المؤمنين المسترفدين، و عظم قدره، و اشتهر فى الأقطار صيته، و فشا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣١٢

معروفه، و عرفت بالكفّ عن الدماء و الحرمان عفته، إلى أن توفى يوم الجمعة الخامس و العشرين من شهر ذى القعدة عام أحد و ثلاثين و سبعمائة. ثم صار الأمر إلى ولده السلطان، مقتفى سننه فى الفضل و المجد، و ضخامة السلطان، مبرّا عليه بالبأس المرهوب، و العزم الغالب، و الجّد الذى لا يشوبه هزل، و الاجتهاد الذى لا تتخلله راحة، الذى بعد مداه، و أذعن لصولته عداه، و اتصلت ولايته مدته، و معظم مدة أخيه الوالى بعده.

و بتلمسان الأمير عبد الرحمن بن موسى بن يغمراسن، من بنى عبد الواد، مشيد القصور، و مروّض الغروس، و متبّك الترف، و اتّصل إلى تمام مدته، و صدرا من مدة أخيه بعده.

و بتونس الأمير أبو يحيى، أبو بكر بن الأمير أبى زكريا بن الأمير أبى إسحاق لبنه تمام قومه، و صقر الجوارح من عشّه، و سابق الجياد من حلبته، إلى تمام المدة، و صدرا كبيرا من دولة أخيه بعده.

و من ملوك النصارى، ملك على عهده الجفرتين القنيطية و التاكرونية، الطاغية المرهوب الشّبا، المسلط على دين الهدى، ألهنش بن هراندة بن شانجه بن ألفنش بن هراندة، الذى احتوى على كثير من بلاد المسلمين حتى الجفرتين. و اتصلت أيامه إلى أخريات أيام أخيه، و أوقع بالمسلمين على عهده، و تملك الجزيرة الخضراء و غيرها.

و برغون، ألفنش بن جايمنش بن ألفنش بن بطره بن جايمنش الذى استولى على بلنسية، و دام إلى آخر مدته، و صدرا من مدة أخيه. و قد استقصينا من العيون أقصى ما سخّ به الاستقصاء، و ما أغفلناه أكثر، و لله الإحاطة.

مولده: فى الثامن من شهر المحرم من عام خمسة عشر و سبعمائة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣١٣

وفاته: و إلى هذا العهد مات؛ و غرت عليه من رؤوس الجند، من قبائل العدو، الصّيدور، و شحنت عليه القلوب غيظا؛ و كان شرها لسانه، غير جزوع و لا هيّاب، فربما يتكلم بملء فيه من الوعيد الذى لا يخفى على المعتمد به. و فى ثانى يوم من إقلاع الطاغية من

الجبل ، و هو يوم الأربعاء الثاني عشر من ذى حجة ، و قد عزم على ركوب البحر من ساحل مربلة ، فهو مع وادى ياروا من ظاهر جبل الفتح ، تخفيفا للمؤونة ، و استعجالا للصدور ، و قد أخذت على حركته المراسد ؛ فلما توسط كمين القوم ، ثاروا إليه و هو راكب بغلا أثابه به ملك الروم ، فشرعوا فى عتبه بكلام غليظ ، و تأنيب قبيح ، و بدأوا بوكيله فقتلوه ، و عجل بعضهم بطعنه ، و ترامى عليه مملوك من مماليك أبيه ، زمنه من أخايث العلوج يسمى زيانا ، صونع على مباشرة الإجهاز عليه ، فقضى لحينه بسفح الربوة المائلة ، يسره العابر للوادي ممن يقصد جبل الفتح ، و تركوه بالعراء بادي البوار ، مسلوب البزة ، سيء المصرع ، قد عدت عليه نعمه ، و أوبقه سلاحه ، و أسلمه أنصاره و حماته .

و لما فرغ القوم من مبايعة أخيه السلطان أبى الحجاج ، صرفت الوجوه يومئذ إلى دار الملك ، و نقل القتل إلى مالقة ، فدفن على حاله تلك برياض تجاور منية السيد ، فكانت وفاته ضحوة يوم الأربعاء الثالث عشر لذي حجة من عام ثلاثة و ثلاثين و سبعمائة . و أقيمت على قبره بعد حين قبة ، و نوّه بقبره . و هو اليوم مائل رهن غربة ، و جالب عبرة ، جعلنا الله للقائه على حذر و أهبة ، و بلوح الرخام المائل عند رأسه مكتوب :

الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ١ ، ص : ٣١٤

هذا قبر السلطان الأجل ، الملك الهمام ، الأمضى الباسل ، الجواد ذى المجد الأثيل ، و الملك الأصيل ، المقدس ، المرحوم ، أبى عبد الله محمد بن السلطان الجليل ؛ الكبير ، الرفيع ، الأوحد ، المجاهد ، الهمام ، صاحب الفتوح المسطورة ، و المغازى المشهورة ، سلالة أنصار النبی ، صلى الله عليه و سلم ، أمير المؤمنين ، و ناصر الدين ، الشهيد ، المقدس ، المرحوم أبى الوليد بن فرج بن نصر ، قدس الله روحه و برّد ضريحه . كان مولده فى الثانى لمحرم عام خمسة عشر و سبعمائة ، و بويح فى اليوم الذى استشهد فيه والده رضى الله عنه السادس و العشرين لرجب عام خمسة و عشرين و سبعمائة ، و توفى رحمه الله فى الثالث عشر لذي حجة من عام ثلاثة و ثلاثين و سبعمائة ، فسبحان من لا يموت : [الكامل]

يا قبر سلطان الشجاعة و الندى فرع الملوک الصيد أعلام الهدى
و سلالة السلف الذى آثاره و ضاحه لمن اقتدى و من اهتدى
سلف لأنصار النبى نجاره قد حلّ منه فى المكارم محتدا
متوسط البيت قد أسسته سادة الأملاك أوحد أوحد
بيت بناء محمّدون ثلاثة من آل نصر أورثوه محمّدا
أودعت وجهها قد تهلّل حسنه بدرا بأفاق الجلالة قد بدا
و نذا يسح على العفاء مواهبامثنى الأيادى السابغات و موحد
بيكيك مذعور بك استعدى على أعدائه فسقيتهم كأس الردى
بيكيك محتاج أتاك مؤملا فغدا و قد شفعت يداك له اليدا
أما سماحك فهو أسنى دية أما جلالك فهو أسمى مصعدا
جادت تراك من الإله سحابة لرضاه عنك تجود هذا المعهدا

[و شرّ ما تبع هذا السلطان تواطؤ قتلته من بنى أبى العلاء و أصهارهم و سواهم من شيوخ خدامه ، كالوكيل فى مدة أخيه بعد ، الشيخ الذهول مسافر بن حركات و سواه ، على اكتتاب عقد بعد وفاته ، بأمور من القول تقدح فى أصل الديانة ، و أغراض تقتضى إلى الوهن فى الدين ، و هنات تسوّغ إراقة دمه الذى

الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ١ ، ص : ٣١٥

توفرت الدواعى على حياطته ، و الذبّ عنه ، تولى كبرها شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب ، مرتكبا منها و صمة محت على غرر فضله إلى

كثير من خدامه و مماليكه، و بعثوا بها إلى ملك المغرب، فاقطعت جانب التمهيل و التأخير و اللبث عن الحكم، و التعليل عن السماع، و بروز الأغراض، و أتباع السيئة أمثالها. و قد كان، رحمه الله، من الجهاد و إقامة رسم الدين، بحيث تزلّ عن هذه الهنات صفاته، و تنكر هذه المذمات صفاته، و كان بمكان من العزّ، و إرسال السّجّية، ربما عدله الشيخ في بعض الأمر، فيسجم إضجارا و تمليحا بإخراجه؛ و لم يمرّ إلّا الزمان اليسير؛ و أوقع الله بالعصبة المتماثلة عليه من أولاد عبد الله، فسفتهم رياح النّكبات، و استأصلت نعمهم أيدي النّقمات، و لم تقم لهم من بعد ذلك قائم، و الله غالب على أمره].

و تبعت هذا السلطان نفوس أهل الحرية، ممّن له طبع رقيق، و حسّ لطيف؛ و وفاء كريم، ممّن كان بينه و بين سطوته دفاع؛ و في جوّ اعتقاده له صفاء؛ فصدرت مرث مؤثرة، و أقاويل للشجون مهيجة، نثت منها يسيرا على العادة. فمن ذلك ما نظمه الشيخ الكاتب القاضي أبو بكر بن شبرين؛ و كان على فصاحة ظرفه، و جمال روايته، غراب قربه، و نائحة مأتمه، يرثيه و يعرّض ببعض من حمل عليه من ناسه و خدامه: [مجزوء الرمل]

استقلّا و دعاني طائفا بين المغاني

و انعما بالصبر إنني لا أرى ما تريان

و من قوله: [الخفيف]

عين بكى لميت غادروه في ثراه ملقى و قد غدروه

دفنوه و لم يصلّ عليه أحد منهم و لا غسلوه

إنما مات يوم مات شهيداً فأقاموا رسماً و لم يقصدوه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣١٦

محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد ابن محمد بن نصر بن قيس الخزرجي

إشارة

ثالث الملوك من بنى نصر، يكنى أبا عبد الله.

أوليته: معروفة.

حاله: كان من أعظم أهل بيته، صيتا و همّة، أصيل المجد، مليح الصورة، عريق الإمارة، ميمون النّقيبة، سعيد النّصب، عظيم الإدراك؛ تهنأ العيش مدة أبيه، و تملّى السياسة في حياته، و باشر الأمور بين يديه، فجاء نسيج وحده إدراكا، و نبلا، و فخارا، و شأوا. ثم تولّى الأمر بعد أبيه فأجراه على ديدنه؛ و تقيل سيرته، و نسج على منواله. و قد كان الدهر ضايقه في حصّته، و نغصه ملاذ الملك بزمانة سدكت بعينه لمداخلة السّهر، و مباشرة أنوار ضخام الشمع، إذ كانت تتخذ له منها جذوع في أجسادها مواقيت تخبر بانقضاء ساعات الليل، و مضى الرّبع، و على التزامه لكنّه و غيبوبته في كسر بيته، فقد خدمته السّعود، و أمّلت بابه الفتوح، و سالمته الملوك، و كانت أيامه أعيادا. و كان يقرض الشعر و يصغى إليه و يثيب عليه، فيجيز الشعراء، و يرضخ للندماء، و يعرف مقادير العلماء، و يواكل الأشراف و الرؤساء، ضاربا في كل إصلاح بسهم، مالئا من كل تجربة و حنكة، حازّ النّادرة، حسن التوقيع، مليح الخط، تغلب عليه الفظاظه و القسوة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣١٧

شعره: كان له شعر مستظرف من مثله، لا- بل يفضل به الكثير ممّن ينتحل الشعر من الملوك. و وقعت على مجموع له، ألفه بعض

خدامه، فنقلت من مطولاته: [السريع]

واعدني وعدا وقد أخلفا أقل شيء في المليح الوفا
و حال عن عهدي و لم يرعه ما ضره لو أنه أنصفا
ما بالها لم تتعطف على صب لها ما زال مستعظفا
يستطلع الأنباء من نحوها ويرقب البرق إذا ما هفا
خفيت سقما عن عيون الوري و بان حبي بعد ما قد خفا
لله كم من ليلة بتها أدير من ذاك اللمي قرقفا
متعتني بالوصل منها و ما أخلفت وعدا خلت أن يخلفا
و منها:

ملكك القلب و إني امرؤ على ملك الأرض قد وقفا
أوامري في الناس مسموعه و ليس مني في الوري أشرفا
يرهف سيفي في الوغي مصلتا و يتقى عزمي إذا ما أرهفا
و ترتجي يمناي يوم الندى تخالها السحب غدت و كفا
نحن ملوك الأرض من مثلنا حزنا تلبد الفخر و المطرفا
نخاف إقداما و نرجى ندى لله ما أرجى و ما أخوفا
لى راية في الحرب كم غادرت ربع العدا قاعا بها صفصفا
يا ليت شعري و المنى جمه و الدهر يوما هل يرى منصفا
هل يرتجى العبد تدانيكم أو يصبح الدهر له مسعفا
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣١٨

مناقبه: و أعظم مناقبه المسجد الجامع بالحمراء، على ما هو عليه، من الظرف و التنجيد، و الترقيش، و فخامة العمدة، و إحكام أتوار
الفضة، و إبداع تراها، و وقف عليه الحيام بإزائه، و أنفق فيه مال الجزية، و أغرمها لمن يليه من الكفار، فدوا به زرعاً، نهد إليه
صائفته لانتسافه، و قد أهمتهم فتنه، فظهر بها منقبة يتيمة، و معلوه فذة، فاق بها من تقدمه، و من تأخره من قومه.
جهاده: أغزى الجيش لأول أمره مدينة المنظر، فاستولى عليها عنوة، و ملك من احتوت عليه المدينة، و من جملتهم الزعيمة صاحبة
المدينة، من أفراد عقائل الروم، فقدمت الحضرة في جملة السبي، نبيهة المركب، ظاهرة الملبس، رائقة الجمال، خص بها ملك
المغرب، فاتخذها لنفسه، و كان هذا الفتح عظيماً، و الصيت بمزايه عظيماً بعيداً. أنشدني.

ما نقل عنه من الفظاظ و القسوة :

هجم لأول أمره على طائفة من مماليك أبيه، و كان سيء الرأي فيهم، فسجنهم في مطبق الأري من حمرائه، و أمسك مفتاح قفله
عنده، و توعد من يرمقهم بقوت بالقتل، فمكثوا أياماً، و صارت أصواتهم تعلو بشكوى الجوع، حتى خفتت ضعفا بعد أن اقتات
آخرهم موتاً من لحم من سبقه؛ و حملت الشفقة حارساً كان برأس المطبخ، على أن طرح لهم خبزاً يسيراً، تنقص أكله، مع مباشرة
بلوهم، و نمى إليه ذلك، فأمر بذبحة على حافة الجب، فسالت عليهم دماؤه؛ و قانا الله مصارع السوء، و ما زالت المقالة عنها شنيعة، و
الله أعلم بجزيرتهم لديه.

وزراؤه: بقى على خطة الوزارة وزير أبيه أبو سلطان عزيز بن علي بن عبد المنعم الداني، الجاري ذكره بحول الله في محله، متبرماً،
بحياته [إلى أن توفي،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣١٩

فأنشد عند موته: [السريع]

مات أبو زيد فواحسرتان لم يكن قد مات من جمعه

مصيبة لا غفر الله لي أن كنت أجريت لها دمعه]

و تمادى بها أمره، [يقوم بها حاشيته، و قد ارتاح إليها متوليها بعده، المترفع بدولته، القائد الشهير، البهمة أبو بكر بن المول. حدث قارىء العشر من القرآن بين يدي السلطان، و يعرف بابن بكرون، و كان شيخا متصاونا ظريفا، قال: عزم السلطان على تقديم هذا الرجل وزيرا، و كان السلطان يؤثر الفأل، و له في هذا المعنى و ساوس ملازمة، فوجه إلى الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى يومئذ، أبو عبد الله بن الحكيم المستأثر بها دونه، و المتلقف لكرتها قبله، و خرج لي عن الأمر، و طلب مني أن أقرأ آيا يخرج فألها عن الغرض؛ قال: فلما غدوت لشأني تلوت بعد التعود قوله، عزّ وجلّ: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤَا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِلَى قَوْلِهِ: بَيْنَا، فلما فرغت الآية، سمعته حاد عن رأيه الذي كان أزمعه]، و قدّم للوزارة كاتبه أبا عبد الله بن الحكيم في ذى قعدة من عام ثلاثة و سبعمائة، و صرف إليه تدبير ملكه، فلم يلبث أن تغلب على أمره، و تقلد جميع شؤونه، حسبما يأتي في موضعه إن شاء الله.

كتابه: استقل برئاسته وزيره المذكور، و كان بابه من كتابه جملة تباهى بهم دسوت الملوك، أدبا و تفننا و فضلا و ظرفا، كشيخنا تلوه و ولى الرتبة الكتابية من بعده، و فاصل الخطبة على أثره، و غيره ممن يشار إليه في تضاعيف الأسماء، كالشيخ الفقيه القاضى أبى بكر بن شبرين، و الوزير الكاتب أبى عبد الله بن عاصم، و الفقيه الأديب أبى إسحاق بن جابر، و الوزير الشاعر المفلح أبى عبد الله اللوشى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٢٠

من كبار القادمين عليه، و الفقيه الرئيس أبى محمد الحضرمى، و القاضى الكاتب أبى الحجاج الطرطوشى، و الشاعر المكتر أبى العباس القرآق و غيرهم.

قضاته: استمرت ولاية قاضى أبيه الشيخ الفقيه أبى عبد الله محمد بن هشام الألسى، قاضى العدل، و خاتمة أولى الفضل، إلى أن توفي عام أربعة و سبعمائة. و تولى له القضاء القاضى أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد القرشى المنبوز بابن فركون، و تقدّم التعريف به، و التنبية على فضله، إلى آخر أيامه.

من كان على عهده من الملوك بالأقطار :

و أول ذلك بفاس؛ كان على عهده بها السلطان الرفيع القدر، السامى الخطر، المرهوب الشبا، المستولى فى العزّ و بعد الصّيت على المدى، أبو يعقوب يوسف بن يعقوب المنصور بن عبد الحق، و هو الذى وطّد الدولة الميريّة، و جبا الأموال العريقة، و استأصل من تتقى شوكته من القرابة و غيرهم. و جاز إلى الأندلس فى أيام أبيه و بعده، غازيا، ثم حاصر تلمسان، و هلك عليها فى أوائل ذى قعدة عام ستة و سبعمائة، [فكانت دولته إحدى و عشرين سنة و أشهرًا]. ثم صار الأمر إلى حافده أبى ثابت عامر بن الأمير أبى عامر عبد الله بن يوسف بن يعقوب بعد اختلاف وقع و نزاع انجلى عن قتل جماعة من كبارهم؛ منهم الأمير أبو يحيى بن السلطان أبى يوسف، و الأمير أبو سالم بن السلطان أبى يعقوب. و استمرّ الأمر للسلطان أبى ثابت إلى صفر من عام ثمانية و سبعمائة. و صار الأمر إلى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٢١

أخيه أبى الربيع سليمان تمام مدّة ملكه و صدرا من دولة أخيه نصر، حسبما يذكر فى موضعه إن شاء الله.

و بتلمسان الأمير أبو سعيد عثمان بن يغمراسن، ثم أخوه أبو عمران موسى، ثم ولده أبو تاشفين عبد الرحمن إلى آخر مدّة أخيه.

و بتونس السلطان الفاضل، الميمون التقيي، المشهور الفضيلة، أبو عبد الله محمد بن الواثق يحيى بن المستنصر أبي عبد الله بن الأمير أبي زكريا بن أبي حفص، من أولى العفة، والنزاهة، والتؤدة، والحشمة، والعقل، عنى بالصالحين، واختص بأبي محمد المرجاني، [فأشار بتقويمه]، و ظهرت عليه بركته، [و كان يرتبط إليه، و يقف في الأمور عنده، فلم تعدم الرعية بركة و لا صلاحا في أيامه]، إلى أن هلك في ربيع الآخر عام تسعة و سبعمائة، و وقعت بينه و بين هذا الأمير المترجم به المراسلة و المهاداة.

و بقتاله هراندة بن شانجه بن أدفونش بن هراندة، [المستولى على إشبيلية و قرطبة، و مرسية، و جيان، و لا حول و لا قوة إلا بالله]. هلك أبوه و تركه صغيرا، مكفولا على عادتهم، فتنفس المخنق و انعقدت السلم، و اتصل الأمان مدة أيامه، و هلك في دولة أخيه. و برغون؛ جايمش بن ألفنش بن بطره.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٢٢

الأحداث: في عام ثلاثه و سبعمائة، نقم على قريبه الرئيس أبي الحجاج بن نصر الوالى بمدينة وادى آش، [أمرا أوجب عزله عنها، و كان مقيما بحضرته فاتخذ الليل جملا، و كان أملك بأمرها؛ و ذاع الخبر، فاستركب الجيش، و قد حد ما ينزل في استصلايه، و جدد الصكوك بولايته خوفا من اشتعال الفتنة، و قد أخذ على يديه، و أغرى أهل المدينة بحربه، فتداعوا لحين شعورهم باستعداده و أحاطوا به، فدهموه و عاجلوه، فتغلبوا عليه، و قيد إلى بابه أسيرا مصفدا، فأمر أحد أبناء عمه فقتله صبورا، و تملأ فتحا كبيرا، و أمن فتنة عظيمة]. و في شهر شوال من عام خمسة و سبعمائة قرع الأسماع النبأ العظم، الغريب، من تملك سبته و حصولها في قبضته، و انتزاعها من يد رئيسها أبي طالب عبد الله بن أبي القاسم، الرئيس الفقيه، ابن الإمام المحدث أبي العباس العزفي حسبما يتقرر في اسم الرئيس الفقيه أبي طالب إن بلغنا الله ذلك؛ و استأصل ما كان لأهلها من الذخائر و الأموال، و نقل رؤساءها، و هم عدده، إلى حضرته غرناطة في غرة المحرم من العام، فدخلوا عليه، و قد احتفل بالملك، و استركب في الأبهة الجند، فلثموا أطرافه، و استعطفه شعراؤهم بالمنظوم من القول، و خطبائهم بالمشور منه، فطمأن روعهم و سكن جأشهم، و أسكنهم في جواره، و أجرى عليهم الأرزاق الهلالية، و تفقدهم في الفصول إلى أن كان من أمرهم ما هو معلوم.

اختلاعه: في يوم عيد الفطر من عام ثمانية و سبعمائة أحيط بهذا السلطان، و أتت الحيلة عليه، و هو مصاب بعينه، مقعد في كنهه، فداخلت طائفة من وجوه الدولة أخاه، و فتكت بوزيره الفقيه أبي عبد الله بن الحكيم، و نصبت للناس الأمير أبا الجيوش نصرا أخاه، و كبست منزل السلطان، فأحيط به، و جعل الحرس عليه، و تسومع بالكائنة فكان البهت، و سال من الغوغاء البحر، فتعلقوا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٢٣

بالحمراء، يسألون عن الحادثة، فشغلوا بانتهاج دار الوزير، و بها من مال الله ما يفوت الوصف، و كان الفجع في إضاعته على المسلمين، و إطلاق الأيدي الخبيثة عليه عظيما. و في آخر اليوم عند الفراغ من الأمر، دخل على السلطان المخلوع، الشهداء عليه بخلعه، بعد نقله من دار ملكه إلى دار أخرى، فأملى، رحمه الله، زعموا، وثيقه خلعه، مع شغب الفكر، و عظم الداهية، و انتقل، رحمه الله، بعد، إلى القصر المنسوب إلى السيد بخارج الحضرة؛ أقام به يسيرا، ثم نقل إلى مدينة المنكب. و كان من أمره ما يذكر إن شاء الله.

[و مما يؤثر من ظرفه؛ حدث من كان منوطا به من خاصيته، مدة أيام إقامته بقصر نجد، قبل خلعه، قال: أرسل الله الأغربة على سقف القصر، و كان شديد التطير و القلق لذلك حسبما تقدم من الإشارة إلى ذلك بحديث العشر؛ و كان من جملتها غراب، شديد الإلحاح، حاد النعب و الصياح، فأغرى به الرماة من مماليكه بأنواع القسي؛ فأبادوا من الغربان أمة؛ و تخطأ الحتف ذلك الغراب الخبيث العبقان؛ فلما انتقل إلى سكنى الحمراء ظهر ذلك الغراب على سقفه؛ ثم لما أهبط مخلوعا إلى قصر شنيل تبعه، و قام في بعض الليقف أمامه، فقال يخاطبه رحمه الله: يا مشؤوم، يا محروم بين الغربان، قد خلصت أمرنا، و لم يبق لك علينا طلب، و لا بيننا و بينك كلام؛ ارجع إلى هؤلاء المحارم فاشتغل بهم؛ قال: فأضحكنا على حال الكآبة بعدوبه منطقه، و خفة روحه].

وفاته: قد تقدم ذكر استقراره بالمنكب. و في أخريات شهر جمادى الآخرة عام عشرة و سبعمائة، أصابت السلطان نصرا سكتة، توقع منها موته، بل شك في حياته؛ فوقع التفاوض الذي تمخض إلى التوجيه عن السلطان المخلوع الذي بالمنكب ليعود إلى الأمر، فكان ذلك، و أسرع إلى إيصاله إلى غرناطة في محفة، فكان حلولة بها في رجب من العام المذكور. و كان من قدر الله، أن أفاق الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٢٤

أخوه من مرضه، و لم يتم للمخلوع الأمر، فنقل من الدار التي كان بها إلى دار أخيه الكبرى، فكان آخر العهد به. ثم شاعت وفاته أوائل شوال من العام المذكور، فذكر أنه اغتيل غريقا في البركة في الدار المذكورة لما توقع من عادية جواره؛ و دفن بمقبرة السبيكة، مدفن قومه، بجوار الغالب بالله جدّه، و نوه بجدته، و عليه مكتوب ما نصّه :

«هذا قبر السلطان الفاضل، الإمام العادل، علم الأتقياء، أحد الملوك الصلحاء، المخبت الأواه، المجاهد في سبيل الله، الرضى الأورع، الأخشى لله الأخشع، المراقب في السرّ و الإعلان، المعمور الجنان بذكره و اللسان، السالك في سياسة الخلق و إقامة الحق، منهج التقوى و الرضوان، كافل الأئمة بالرأفة و الحنان، الفاتح لها بفضل سيرته، و صدق سريرته، و نور بصيرته، أبواب اليمن و الأمان، المنيب الأواب، العامل بكلّ ما يجده نورا مبينا يوم الحساب، ذى الآثار السيئة، و الأعمال الطاهرة العلية، القائم في جهاد الكفار بماضى العزم و خالص النية، المقيم قسطاس العدل، المنير منهج الحلم و الفضل، حامى الذمار، و ناصر دين المصطفى المختار، المقتدى بأجداده الأنصار، المتوسّل بفضل ما أسلفوه من أعمال البرّ و الجهاد، و رعاية العباد و البلاد، إلى الملك القهار، أمير المسلمين، و قاصع المعتدين، المنصور بفضل الله، أبى عبد الله ابن أمير المسلمين الغالب بالله؛ السلطان الأعلى، إمام الهدى، و غمام الندى، محيي السنّة، حسن الأئمة، المجاهد في سبيل الله، الناصر لدين الله، أبى عبد الله ابن أمير المسلمين الغالب بالله أبى عبد الله بن يوسف بن نصر، كرم الله وجهه و مثواه، و نعمه برضاه. ولد رضى الله عنه يوم الأربعاء الثالث لشعبان المكرم من عام خمسة و خمسين و ستمائة. و توفى، قدس الله روحه، و برّد ضريحه، ضحوه يوم الاثنين الثالث لشوال عام ثلاثة عشر و سبعمائة، رفعه الله إلى منازل أوليائه الأبرار،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٢٥

و ألقبه بأئمة الدين، لهم عقبى الدار، و صلى الله على سيدنا محمد المختار، و على آله، و سلّم تسليمًا.
و من الجانب الآخر: [الطويل]

رضى الملك الأعلى يروح و يعتدى على قبر مولانا الإمام المؤيد
مقرّ العلى و الملك و البأس و الندى فقدس من مغنى كريم و مشهد
و مثنوى الهدى و الفضل و العدل و التقى فبورك من مثنوى زكى و ملحد
فيا عجا طود الوقار جلالة ثوى تحت أطباق الصفيح المنضد
و واسطة العقد الكريم الذى له ما أثر فخر بين مثنى و موحد
محمد الرضى سليل محمد إمام الندى نجل الإمام محمد
فيا نخبة الأملاك غير منازع و يا علم الأعلام غير مفند
بكتك بلاد كنت تحمى ذمارها بعزم أصيل أو برأى مسدد
و كم معلم للدين أوضحت رسمه بنى لك فى الفردوس أرفع مصعد
كأنك ما سست البلاد و أهلها بسيرة ميمون النقيب مهتد
كأنك ما قدت الجيوش إلى العدا فصيرتهم نهب القنا المتقصد
و فتحت من أقطارهم كلّ مبهم فتحت به باب التعميم المخلد

كأنك ما أنفقت عمرك في الرضى بتجديد غزوات و تشييد مسجد
و إنصاف مظلوم و تأمين خائف و إصراخ مدعور و إسعاف مجتد
كأنك ما أحييت للخلق سنة تجادل عنها باللسان و باليد
كأنك ما أمضيت في الله عزيمة تدافع فيها بالحسام المهند
فإن تجهل الدنيا عليك و أهلها بذاك ثواب الله يلقاك في غد
تعوضت ذخرا من مقام خلافة مقيم منيب خاشع متعبد
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٢٦ و كل الورى من كان أو هو كائن صريع الردى إن لم يكن فكأن قد
فلا زال جارا للرسول محمد بدار نعيم فى رضى الله سرمد
و هذى القوافى قد وفيت بنظمها فى ليت شعرى هل يصيخ لمنشد

محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الأنصارى الخزرجى

إشارة

ثانى الملوك الغالبين من بنى نصر، و أساس أمرهم، و فحل جماعتهم.
أوليته: تقرّر بحول الله فى اسم أبيه الآتى بعد حسب الترتيب المشترط.

حاله: من كتاب «طرفه العصر» من تأليفنا؛ كان هذا السلطان أوحد الملوك جلاله، و صرامه، و حزما. مهّد الدولة، و وضع ألقاب
خدمتها، و قرّر مراتبها، و استجاد أبطالها. و أقام رسوم الملك فيها، و استدرّ جباياتها، مستظها على ذلك بسعة الدرّ، و أصالة
السياسة، و رصانة العقل، و شدة الأسر، و وفور الدّاء، و طول الحنكة، و تملأ التجربة، مليح الصورة، تامّ الخلق، بعيد الهمة، كريم
الخلق، كثير الأناة. قام بالأمر بعد أبيه، و باشره مباشرة الوزير أيام حياته، فجرى على سنن أبيه، من اصطناع أجناسه، و مداراة عدوّه، و
أجرى صدقاته، و أربى عليه بخلال، منها براعة الخطّ، و حسن التوقيع، و إثارة العلماء، و الأطباء، و العدلين، و الحكماء، و الكتّاب، و
الشعراء، و قرض الأبيات الحسنه، و كثرة الملح، و حرارة النادرة.

و طما بحر من الفتنة لأول استقرار أمره، و كثر عليه المنترون و الثّوار، و ارتجت الأندلس، وسط أكلب الكفار، فصبر لزلزالها رابط
الجأش ثابت المركز، و بذل من الاحتيال و الدّاء المكنوفين بجميل الصبر، ما أظفره بخلو الجوّ. و طال الإحاطة فى أخبار غرناطة؛

ج ١؛ ص ٣٢٦

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٢٧

عمره، وجدّ صيته، و اشتهر فى البلاد ذكره، و عظمت غزواته، و سيمرّ من ذكره ما يدلّ على أجلّ من ذلك إن شاء الله.
شعره و توقيعه: وقفت على كثير من شعره، و هو نمط منحطّ بالنسبة إلى أعلام الشعراء، و مستظرف من الملوك و الأمراء. من ذلك،
يخاطب وزيره :

[المتقارب]

تذكر عزيز ليال مضت و إعطاءنا المال بالزّاحتين
و قد قصدتنا ملوك الجهات و مالوا إلينا من العدوئين
و إذ سأل السلم منا اللعين فلم يحظ إلّا بخفى حنين
و توقيعه يشدّ عن الإحصاء، و بأيدي الناس إلى هذا العهد كثير من ذلك؛ فمما كتب به على رقعة كان رافعها يسأل التصرف فى

بعض الشهادات و يلج عليها:

[الوافر]

يموت على الشهادة و هو حيّ إلهي لا تمته على الشهادة

و أطال الخطّ عند إلهي إشعارا بالصّراع عند الدعاء و الجدّ. و يذكر أنه وقع بظهر رقعة لآخر اشتكى ضرر أحد الجند المنزلين في الدّور، و نبزه بالتعرّض لزوجه:

«يخرج هذا النّازل ، و لا يعوّض بشيء من المنازل».

بنوه: ثلاثة؛ وليّ عهده أبو عبد الله المتقدّم الذّكر، و فرج المغتال أيام أخيه، و نصر الأمير بعد أخيه .

بناته: أربع، عقد لهنّ، جمع أبرهنّ إلى أزواجهنّ، من قرابتهنّ، تحت أحوال ملوكية، و دنيا عريضة، و هنّ: فاطمة، و مؤمنة، و شمس، و عائشة، منهنّ أمّ حفيده إسماعيل الذي ابتز ملك بنيه عام ثلاثة عشر و سبعمائة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٢٨

وزيره : كان وزيره، الوزير الجليل الفاضل، أبو سلطان ، لتقارب الشّبه، زعموا في السنّ و الصورة، و فضل الدّات، و متانة الدين، و صحّية الطبع، و جمال الرّواء، أغنى و حسنت واسطته، و رفعت إليه الوسائل ، و طرّزت باسمه الأوضاع، و اتصلت إلى أيامه أيام مستوزره، ثم صدرا من أيام وليّ عهده.

كتّابه: وليّ له خطّبة الكتّابة و الرياسة العليا في الإنشاء جملة، منهم كاتب أبيه أبو بكر بن أبي عمرو اللّوشى، ثم الأخوان أبوا على الحسن و الحسين، ابنا محمد بن يوسف بن سعيد اللّوشى؛ سبق الحسن و تلاه الحسين، و كانا توأمين؛ و وفاتهما متقاربة. ثم كتب له الفقيه أبو القاسم محمد بن محمد بن العابد الأنصارى، آخر الشيوخ، و بقيه الصّدور و الأدباء ، أقام كاتباً مدة إلى أن أبرمه انحطاطه في هوى نفسه، و إيثاره المعاقرة، حتى زعموا أنه قاء ذات يوم بين يديه. فأخّره عن الرّتبة ، و أقامه في عداد كتّابه إلى أن توفى تحت رفته . و تولّى الكتّابة الوزير أبو عبد الله بن الحكيم ، فاضطلع بها إلى آخر دولته.

قضاته: تولّى له خطّبة القضاء قاضى أبيه الفقيه العدل أبو بكر بن محمد بن فتح الإشبيلي الملقّب بالأشبرون. تولّى قبل ذلك خطّبة السّوق، فلقى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٢٩

سكران أفرط في قنّته، و اشتدّ في عربدته ، و حمل على الناس، فأفرجوا عنه؛ فاعترضه و اشتدّ عليه حتى تمكّن منه بنفسه، و استنصر في حدّه، و بالغ في نكاله؛ و اشتهر ذلك عنه، فجمع له أمر الشرطة و خطّبة السّوق، ثم وليّ القضاء، فذهب أقصى مذاهب الصّيرامة، إلى أن هلك؛ فولى خطّبة القضاء بعده الفقيه العدل أبو عبد الله محمد بن هشام من أهل ألس، لحكاية غبّط السلطان بدينه ، و دلّته على محلّه من العدل و الفضل، فاتّصلت أيام قضائه إلى أيام مستقضيّه، رحمه الله.

جهاده: و باشر هذا السلطان الوقائع، فانجلت ظلماتها عن صبح نصره، و طرّزت مواقعها بطراز جلالته و صبره؛ فمنها وقعة المطران و غيرها، مما يضيق التّأليف عن استقصائه. و في شهر المحرّم من عام خمس و تسعين و ستمائة، على تفتّه هلاك طاغية الروم، شانجه بن أذفونش، عاجل الكفّار لحين دهشهم، فحشد أهل الأندلس، و استنفر المسلمين، فاغتنم الداعية، و تحرّك في جيش يجزّ الشوك و الشجر ، و نازل مدينة قيجاطة و أخذ بكظمها، ففتحها الله على يديه، و تملك بسببها جملة من الحصون التي ترجع إليها؛ و كان الفتح في ذلك عظيماً، و أسكنها جيشاً من المسلمين، و طائفه من الحامية، فأشرفت العدو بريقه.

و في صائفه عام تسعة و تسعين و ستمائة، نازل مدينة القبداق فدخل جفنها، و اعتصم من تأخّر أجله بقصبتها، ذات القاهرة العظيمة الشّان، الشهيرة في البلدان، فأحيط بهم، فخذلوا و زلزل الله أقدامهم؛ فألقوا باليد، و كانوا أمتع من عقاب الجوّ؛ و تملكها على حكمه، و هي من جلاله الوضع، و شهرة المنعة، و خصب السّاحة،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٣٠

و طيب الماء، و الوصول إلى أفلاذ الكفر، و الأطلاع على عوراته، بحيث شهر.

فكان تيسير فتحها من غرائب الوجود، و شواهد اللطف، و ذلك في صلاة الظهر من يوم الأحد الثامن لشهر شوال عام تسعة و تسعين و ستمائة؛ و أسكن بها رابطة المسلمين، و باشر العمل في خندقها بيده، رحمه الله، [فتساقط الناس، من ظهور دوابهم إلى العمل، فتم ما أريد منه سريعاً.

و أنشدني شيخنا أبو الحسن الجيّاب يهنئه بهذا الفتح: [الطويل]
عدوك مقهور و حزبك غالب و أمرك منصور و سهمك صائب
و شخصك مهما لاح للخلق أذعت لهيبته عجم الوري و الأعراب
و هي طويلة].

من كان على عهده من الملوك:

كان على عهده بالمغرب، السلطان الجليل، أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق، الملقب بالمنصور؛ و كان ملكاً صالحاً، ظاهر السذاجة، سليم الصدر، مخفوض الجناح، شارعاً أبواب الدلالة عليه منهم؛ أشبه بالشيخ منه بالملوك، في إخمالات اللفظ، و الإغضاء عن الجفوة، و النداء بالكنية. و هو الذي استولى على ملك الموحدين، و اجتث شجرتهم من فوق الأرض، و ورث سلطانهم، و اجتاز إلى الأندلس، كما تقدم مرات ثلاثاً أو أزيد منها، و غزا العدو، و جرت بينه و بين السلطان المترجم به أمور، من سلم و مناقضة، و إعتاب، و عتب، [حسبما تدل على ذلك القصائد الشهيرة المتداولة؛ و أولها ما كتب به على عهده، الفقيه الكاتب الصدر، أبو عمرو بن المرابط، في غرض استفاد للجهاد: [السريع]

هل من معيني في الهوى أو منجدي من متهم في الأرض أو منجد؟

[و توفي السلطان المذكور بالجزيرة الخضراء في عنفوان وحشة بينه و بين هذا السلطان في محرم خمسة و ثمانين و ستمائة؛ و ولى بعده

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٣١

ولده، العظيم الهمة، القوى العزيمة، أبو يعقوب يوسف، و جاز إلى الأندلس على عهده، و اجتمع به بظاهر مرابلة، و تجدد العهد، و تأكد الود؛ ثم عادت الوحشة المفضية إلى تغلب العدو على مدينة طريف، فرضه المجاز الأدنى، و استمرت أيام السلطان أبي يعقوب إلى آخر مدة السلطان المترجم به، و مدة ولده بعده.

و بوطن تلمسان، أبو يحيى يغمور، و هو يغمراسن بن زيّان بن ثابت بن محمد بن بندوس بن طاع الله بن علي بن يمل، و هو أوحد أهل زمانه جرأة و شهامة، و دهاء، و جزالة، و حزمًا. مواقف في الحروب شهيرة، و كانت بينه و بين بني مرين وقائع، كان عليه فيها الظهور، و ربما ندرت الممانعة؛ و على ذلك فقوى الشكيمة، ظاهر المنعة. ثم ولى بعده ولده عثمان إلى تمام مدة السلطان المترجم به، و بعضاً من دولة ولده.

و بوطن إفريقية، الأمير الخليفة، أبو عبد الله بن أبي زكريا بن أبي حفص، الملقب بالمستنصر، المثل المضروب، في البأس و الأنفة، و عظم الجبروت، و بعد الصيت، إلى أن هلك سنة أربع و سبعين و ستمائة؛ ثم ولده الواثق بعده، ثم الأمير أبو إسحاق و قد تقدم ذكره. ثم كانت دولة الدعيّ ابن أبي عمارة المتوثب على ملكهم؛ ثم دولة أبي حفص مستنقذها من يده، و هو عمر بن أبي زكريا بن عبد الواحد، ثم السلطان الخليفة الفاضل، الميمون النقيبة، أبو عبد الله محمد بن الواثق يحيى بن المستنصر أبي عبد الله بن الأمير زكريا. و بوطن النصارى، بقشتالة، ألفنش بن هراندة، إلى أن ثار عليه ولده شانجه، و اقتضت الحال إجازة سلطان المغرب، و استجار به؛ و

كان من لقائه بأحواز الصخرة من كورة تاكرنا ما هو معلوم. ثم ملك بعده ولده شانجه، و اتصلت

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٣٢

ولايته مدة أيام السلطان، و جرت بينهما خطوب إلى أن هلك عام أربعة و سبعين و ستمائة. و ولى بعده ولده هراندة سبعة عشر عاما، و صار الملك إليه، و هو صبي صغير، فتنفس مختق أهل الأندلس، و غزا سلطانهم و ظهر إلى آخر مدته. و برغون، ألفنش بن جايمش بن بطره بن جايمش، المستولى على بلنسية. ثم هلك و ولى بعده جايمش ولده، و هو الذى نازل مدينه المريه على عهد نصر ولده، و استمرت أيام حياته إلى آخر مدته. و كان لا نظير له فى الدهاء و الحزم و القوة.

و من الأحداث فى أيامه:

على عهده تفاقم الشر، و أعيا داء الفتنة، و لقت حرب الرؤساء الأوصهار من بنى إشقيلولة، فمن دونهم، و طنّب سرادق الخلاف، و أصاب الأسر و فحول الثروة الرؤساء، فكان بوادى آش الرئيسان أبو محمد و أبو الحسن، و بمالقة و قمارش الرئيس أبو محمد عبد الله، و بقمارش رئيس آخر هو الرئيس أبو إسحاق. فأما الرئيس أبو محمد فهلك، و قام بأمره بمالقة، ولده، و ابن أخت السلطان المترجم به. ثم خرج عنها فى سبيل الانحراف و المنابذة إلى ملك المغرب، ثم تصير أمرها إلى السلطان، على يد و إليها من بنى على . و أما الرئيسان، فصابرا المضايقة، و عزم على النطاق و المقاطعة بوادى آش زمانا طويلا؛ و كان آخر أمرهما الخروج عن وادى آش إلى ملك المغرب؛ معوضين بقصر كتامة؛ حسبما يذكر فى أسمائهم؛ إن بلغنا الله إليه.

و فى أيامه كان جواز السلطان المجاهد أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق؛ إلى الأندلس؛ مغازيا و مجاهدا فى سبيل الله؛ فى أوائل عام اثنين و سبعين و ستمائة، و قد فسد ما بين سلطان النصارى و بين ابنه . و اغتتم المسلمون الغزة، الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٣٣

و استدعى سلطان المغرب إلى الجواز؛ و لحق به السلطان المترجم به؛ و جمع مجلسه بين المنتزين عليه و بينه؛ و أجلت الحال عن وحشه. و قضيت الغزاة؛ و آب السلطان إلى مستقره.

و فى العام بعده، كان إيقاع السلطان ملك المغرب بالزعيم «ذنونه»، و استئصال شأفته، و حصد شوكته. ثم عبر البحر ثانية بعد رجوعه إلى العدو؛ و احتل بمدينه طريف فى أوائل ربيع الأول عام سبعة و سبعين و ستمائة؛ و نازل إشبيلية؛ و كان اجتماع السلطانين بظاهر قرطبة؛ فاتصلت اليد؛ و صلحت الضمائر؛ ثم لم تلبث الحال أن استحالت إلى فساد، فاستولى ملك المغرب على مالقة، بخروج المنتزى بها إليه، يوم الأربعاء التاسع و العشرين لرمضان عام سبعة و سبعين و ستمائة. ثم رجعت إلى ملك الأندلس بمداخله من كانت بيده و لنظره، حسبما يأتى بعد إن شاء الله.

و على عهده نازل طاغية الروم الجزيرة الخضراء، و أخذ بمخنقتها، و أشرف على افتتاحها، فدافع الله عنها، و نفس حصارها، و أجاز الرّوم بحرها على يد الفئة القليلة من المسلمين، فعظم المنح، و أسفر الليل، و انجلت الشدة، فى وسط ربيع الأول من عام ثمانية و سبعين و ستمائة .

مولده: بغرناطة عام ثلاثة و ثلاثين و ستمائة. و أيام دولته ثلاثون سنة و شهر واحد، و سته أيام.

وفاته: من كتاب «طرفه العصر» من تأليفنا فى التاريخ، قال: و استمرت الحال إلى أحد و سبعمائة، فكانت فى ليلة الأحد الثامن من شهر شعبان فى صلاة العصر، و كان السلطان، رحمه الله فى مصلاه، متوجّها إلى القبلة لأداء فريضته، على أتم ما يكون عليه المسلم من الخشية و التأهب، زعموا أن شرقا كان يعتاده لمادة كانت تنزل من دماغه، و قد رجمت الظنون فى غير ذلك لتناوله عشية يومه كعكا اتخذت له بدار

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٣٤

ولّى عهده، و الله أعلم بحقيقته ذلك. و دفن منفردا، عن مدفن سلفه، شرقى المسجد الأعظم، فى الجنان المتصل بداره . ثم ثنى بحافده السلطان أبى الوليد، و عزز بثالث كريم من سلالته، و هو السلطان أبو الحجاج بن أبى الوليد، تغمّد الله جميعهم برحمته ، و شملهم بوسع مغفرته و فضله.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٣٥

فهرس المحتويات

إشارة

إهداء ١

مقدمة المحقق ٣

أولا- مؤلفاته التاريخية ١٤

ثانيا- مؤلفاته فى الجغرافيا و الرحلات ١٥

ثالثا- مؤلفاته فى التراجم ١٦

رابعا- المؤلفات الأدبية (شعرا و نثرا) ١٧

خامسا- مؤلفاته فى الشريعة و التصوف و الحث على جهاد النفس ٢٠

سادسا- مؤلفاته فى السياسة ٢٢

سابعا- مؤلفاته فى الطبّ و الأغذية ٢٤

ثبت بأسماء مصادر و مراجع الدراسة و التحقيق ٢٧

مقدمة المؤلف ٣

القسم الأول فى حلى المعاهد و الأماكن و المنازل و المساكن فصل فى اسم هذه المدينة و وضعها على إجمال و اختصار ١٣

فصل فى فتح هذه المدينة و نزول العرب الشاميين من جند دمشق بها و ما كانت عليه أحوالهم، و ما تعلق بذلك من تاريخ ١٨

ذكر ما آل إليه حال من ساكن المسلمين بهذه الكورة من النصارى المعاهدين على الإيجاز و الاختصار ٢١

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٣٦

ذكر ما ينسب إلى هذه الكورة من الأقاليم التى نزلتها العرب بخارج غرناطة، و ما يتصل بها من العمالة ٢٥

فصل فيما اشتمل عليه خارج المدينة من القرى و الجئات و الجهات ٢٥

فصل ٢٨

فصل ٣١

فصل ٣٦

فصل فىمن تداول هذه المدينة من لدن أصبحت دار إمارة باختصار و اقتصار ٤٠

القسم الثانى فى حلى الزائر و القاطن و المتحرّك و الساكن أحمد بن خلف بن عبد الملك الغسانى القليعى ٤٥

أحمد بن محمد بن أحمد بن يزيد الهمدانى اللخمى ٤٧

أحمد بن محمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن غريب ابن يزيد بن الشمّر بن عبد شمس بن غريب الهمدانى الإلبيرى ٤٧

أحمد بن محمد بن أحمد بن هشام القرشى ٤٩

- أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن جزى الكلبى ٥٢
- أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن على بن محمد بن سعد بن سعيد بن مسعدة بن ربيعة بن صخر بن شراحيل بن عامر بن
الفضل بن بكر بن بكّار بن البدر بن سعيد بن عبد الله العامرى ٥٦
- أحمد بن محمد بن أحمد بن قعنب الأزدي ٥٨
- أحمد بن محمد بن سعيد بن زيد الغافقى ٥٩
- أحمد بن أبى سهل بن سعيد بن أبى سهل الخزرجى ٥٩
- أحمد بن عمر بن يوسف بن إدريس بن عبد الله بن ورد التميمى ٦٠
- أحمد بن محمد بن على بن أحمد بن على الأموى ٦٠
- أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن عميرة المخزومى ٦٢
- أحمد بن عبد الحق بن محمد بن يحيى بن عبد الحق الجدلى ٦٦
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٣٧
- أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الأنصارى الخزرجى ٦٨
- أحمد بن أبى القاسم بن عبد الرحمن ٧١
- أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن الزبير بن عاصم بن مسلم بن كعب الثقفى ٧٢
- أحمد بن عبد الولى بن أحمد الرعينى ٧٥
- أحمد بن على بن أحمد بن خلف الأنصارى ٧٦
- أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد رحمه الله ٧٧
- أحمد بن محمد بن على بن محمد بن يحيى بن محمد بن مصادف بن عبد الله ٨٠
- أحمد بن حسن بن باصة الأسلمى المؤقت بالمسجد الأعظم بغرناطة ٨١
- أحمد بن محمد بن يوسف الأنصارى ٨٢
- أحمد بن محمد الكرنى ٨٣
- أحمد بن محمد بن أبى الخليل، مفرج الأموى ٨٣
- أحمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد
بن عبد الله بن سعيد بن عمّار بن ياسر صاحب رسول الله، صلى الله عليه و سلم ٨٨
- غريبة فى أمره مع حفصة ٩٢
- أحمد بن سليمان بن أحمد بن محمد بن أحمد القرشى، المعروف بابن فركون ٩٢
- أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان ٩٣
- أحمد بن أيوب اللمائى ١٠١
- أحمد بن محمد بن طلحة ١٠٤
- أحمد بن على بن محمد بن على بن محمد بن خاتمة الأنصارى ١٠٨
- أحمد بن عباس بن أبى زكريا ١٢٥
- أحمد بن أبى جعفر بن محمد بن عطية القضاعى ١٢٧
- أحمد بن محمد بن شعيب الكريانى ١٣٤

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٣٨

أحمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن علي بن سليمان بن عرفة اللخمي ١٣٨

أحمد بن علي الملياني ١٤٣

أحمد بن محمد بن عيسى الأموي ١٤٤

أحمد بن الحسن بن علي بن الزيّات الكلاعي ١٤٥

إبراهيم بن محمد بن مفرّج بن همشك ١٥١

انخلاءه للموحدين عمّا بيده و جوازه للعدوة، و وفاته بها ١٥٥

إبراهيم بن أمير المسلمين أبي الحسن بن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحقّ ١٥٥

إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر بن يحيى الهنتاني، أبو إسحاق ١٥٩

إدبار أمره بهلاكه على يد الدّعَى الذي قَتَضَهُ اللهُ لهلاك حينه ١٦٣

إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم بن أحمد بن محمد بن سهل بن مالك بن أحمد بن إبراهيم بن مالك الأزدي ١٦٥

إبراهيم بن فرج بن عبد البر الخولاني ١٦٦

إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسي ١٦٨

إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري ١٦٨

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الساحلي ١٧٠

إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن أسد بن موسى بن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحاق بن أسد بن قاسم النميري ١٧٨

إبراهيم بن خلف بن محمد بن الحبيب بن عبد الله بن عمر بن فرقد القرشي العامري ١٩١

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيدس بن محمود النفزي ١٩٣

إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر التّسولّي ١٩٦

إبراهيم بن محمد بن علي بن محمد بن أبي العاصي التّبوخي ١٩٧

إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الأنصاري الخزرجي ٢٠٠

إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر ٢١٤

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٣٩

الملوك على عهده ٢١٨

أبو بكر بن إبراهيم، الأمير أبو يحيى المسوفي الصحراوي ٢١٨

إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، أمير المؤمنين، الملقب بالمأمون، مأمون الموحدين ٢٢٢

تصير الأمر إليه، و جوازه إلى العدو ٢٢٣

أسباط بن جعفر بن سليمان بن أيوب بن سعد السعدي سعد بن بكر بن عفان الإلبيري ٢٢٨

أسلم بن عبد العزيز بن هشام بن خالد بن عبد الله بن خالد بن حسين بن جعفر بن أسلم بن أبان ٢٢٩

أسد بن الفرات بن بشر بن أسد المرّي ٢٣١

أبو بكر المخزومي الأعمى الموروري المدوّري ٢٣١

- أصبح بن محمد بن الشيخ المهدي ٢٣٥
 أبو علي بن هدية ٢٣٦
 أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي ٢٣٧
 بلكين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي ٢٣٨
 باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي ٢٤٠
 ذكر مقتل اليهودي يوسف بن إسماعيل بن نغالة الإسرائيلي ٢٤٣
 مكان باديس من الذكاء و تولعه بالقضايا الآتية ٢٤٤
 بكرون بن أبي بكر بن الأشقر الحضرمي ٢٤٦
 بدر مولى عبد الرحمن بن معاوية الداخل ٢٤٦
 تاشفين بن علي بن يوسف أمير المسلمين بعد أبيه بالعدوة ٢٤٧
 ثابت بن محمد الجرجاني ثم الأسترآباذي ٢٥٣
 جعفر بن أحمد بن علي الخزاعي ٢٥٥
 جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيدبونه الخزاعي ٢٥٧
 الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص القرشي الفهري ٢٥٩
 الحسن بن محمد بن الحسن النباهي الجذامي ٢٦٠
 حسن بن محمد بن حسن القيسي ٢٦١
 حسن بن محمد بن باصة ٢٦١
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٤٠
 الحسن بن محمد بن علي الأنصاري ٢٦٢
 الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق التغلبي ٢٦٤
 حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي ٢٦٧
 الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية ٢٦٨
 الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن أمية ٢٦٩
 حكم بن أحمد بن رجا الأنصاري ٢٧١
 حاتم بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسين بن عثمان بن سعيد بن عبد الملك بن سعيد بن عمار بن ياسر ٢٧٢
 حباسه بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي ٢٧٣
 حبيب بن محمد بن حبيب ٢٧٤
 حمدة بنت زياد المكتب ٢٧٥
 حفصة بنت الحاج الركوني ٢٧٧
 الخضر بن أحمد بن الخضر بن أبي العافية ٢٨١
 خالد بن عيسى بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي ٢٨٦
 داود بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن حوط الله الأنصاري الحارثي الأندلي ٢٨٧

- رضوان النَّصْرِي الحَاجِب المَعْظَم ٢٨٩
 ترتيب خدمته و ما تَخَلَّل عن ذلك من محنته ٢٩١
 زاوى بن زيرى بن مناد الصَّنْهَاجِي ٢٩٣
 منصرفه عن الأندلس ٢٩٦
 زهير العامري، فتى المنصور بن أبي عامر ٢٩٦
 طلحة بن عبد العزيز بن سعيد البطليوسي و أخواه أبو بكر و أبو الحسن بنو القبطرنة ٢٩٨
 محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر ٣٠١
 محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر الخزرجي ٣٠٦
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٤١
 من كان على عهده من الملوك بأقطار المسلمين و النصرى ٣١١
 محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن نصر بن قيس الخزرجي ٣١٦
 ما نقل عنه من الفظاظه و القسوة ٣١٨
 من كان على عهده من الملوك بالأقطار ٣٢٠
 محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن نصر الأنصاري الخزرجي ٣٢٦
 من كان على عهده من الملوك ٣٣٠
 و من الأحداث في أيامه ٣٣٢

[المجلد الثاني]

[تتمة قسم الثاني]

إشارة

بسم الله الرحمن الرحيم و صَلَّى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم

محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج ابن يوسف بن نصر الخزرجي

إشارة

أمير المسلمين لهذا العهد بالأندلس، صدر الصدور، و علم الأعلام، و خليفة الله، و عماد الإسلام، و قدوة هذا البيت الأصيل، و نير هذا البيت الكريم، و لباب هذا المجد العظيم، و معنى الكمال، و صورة الفضل، و عنوان السعد، و طائر اليمن، و محول الصنع، الذي لا تبلغ الأوصاف مداه، و لا توفى العبارة حقه، و لا يجرى النظم و النشر في ميدان ثنائه، و لا تنتهي المدائح إلى عليائه.
 أوليته: أشهر من إمتاع الضحى، مستولية على المدى، بالغة بالسعة بالانتساب إلى سعد بن عبادة عنان السماء، مبتجحة في جهاد العدا، بحاله من ملك جزيرة الأندلس، و حسبك بها، و هى بها فى أسنى المزايين و الحلوى، و قدما فيه بحسب لمن سمع و رأى.
 حاله: هذا السلطان أيمن أهل بيته نقيب، و أسعدهم ميلادا و ولاية، قد جمع الله له بين حسن الصورة، و استقامة البنية، و اعتدال الخلق، و صحه الفكر، و ثقب الذهن، و نفوذ الإدراك، و لطافة المسائل، و حسن التأني؛ و جمع له من الظرف ما لم يجمع لغيره، إلى الحلم

و الأناة اللذين يحبهما الله، و سلامة الصدر، التي هي من علامة الإيمان، و رقة الحاشية، و سرعة العبرة، و التبريز في ميدان الطهارة و العفة، إلى ضخامة التتجد، و استجادة الآلات، و الكلف بالجهد، و ثبات القدم، و قوة الجأش، و مشهور البسالة، و إثارة الرفق، و توخي السداد، و نجاح المحاولة. زاده الله من فضله،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤

و أبقى أمره في ولده، و أمتع المسلمين بعمره. ساق الله إليه الملك طواعية و اختياراً، إثر صلاة عيد الفطر على بغته وفاة المقدس أبيه، من عام خمسة و خمسين و سبعمائة، لمخايل الخير، و مزية السن، و مظنة البركة، و هو يافع، قريب العهد بالمراهقة، فأنبته الله الثبات الحسن، و سدل به الستر، و سوغ العافية، و هنا العيش؛ فلم تشخ في مدته السماء، و لا كلب الأعداء، و لا تبدلت الألقاب، و لا عونيت الشدائد، و لا عرف الخوف، و لا فورق الخصب، إلى أن كانت عليه الحادثة، و نابه التمحيص الذي أكسبه الحنكة، و أفاده العبرة، فشهد بعناية الله في كف الأيدي العادية، و أخطأ ألم الشهام الزاشقة، و تخيب الآمال المكيدة، و انسداد أروقة الستر و العصمة، ثم العودة، الذي عرف الإسلام بدار الإسلام قدرها، و تملأ عزها و رجح وزنها، كما اختبر ضدها فرصة الملك، و شاع العدل، و بعد الصيت، و انتشر الذكر، و فاض الخير؛ و غزر القطر، فظهرت البركات، و توالفت الفتوح، و تخلدت الآثار. و سيرد من بيان هذه الجمل، ما يسعه الترتيب بحول الله.

ترتيب دولته الأولى: إذ هو ذو دولتين، و مسوغ ولايتين، عززهما الله، بملك الآخرة، بعد العمر الذي يملأ صحايف البر، و يخلد حسن الذكر، و يعرف إلى الوسيلة، و يرفع في الرفيق الأعلى الدرجة، عند الله خير و أبقى للذين آمنوا، و على ربهم يتوكلون.

وزراؤه و حجاباه: انتدب إلى الثيابة عنه، و التشمير إلى الحجابة ببابه، الشيخ القائد المعتمد بالتجلة، المتحول من الخدام النبهاء، المتسود الأبوة؛ المخصوص بالقدح المعلى من المزية، المسلم في خصوصية الملك و التربية، ظهير العلم و الأدب، و أمين الجد، و مولى السلف، و مفرغ الرأي إلى هذا العهد، و عقد سفره السلطان، و بقيه رجال الكمال من مشيخة المماليك، و خيار الموالي، أبا النعيم رضوان، رحمه الله، فحمد الكل، و خلف السلطان، و أبقى الرتب، و حفظ الألقاب، و بذل الإنصاف، و أوسع الكنف، و استدعى النصيحة، و لم يأل جهداً في حسن السيرة، و تظاهر المحض، و أفردني بالمزية و عاملني بما يرتد عنه جسر أطرف الموالة و الصحبة، و وقى لي الكيل الذي لا يقتضيه السن، و القربة من الاشتراك في الرتبة، و الترحيح عن الهضبة، و الاختصاص باسم الوزارة على المشهر و الغيبة، و المحافظة على التشيع و القدم، بلغ في ذلك أقصى الغايات، مدارج التخلق المأثور عن الجلة،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٥

و التودد إلى المرّة بعد المرّة، و اختصت بفوت المدّة بالسلطان، فكنت المنفرد بسرّه دونه، و مفضى همّه، و شفاء نفسه، فيما ينكره من فتنة تقع في سيرته، أو تصير توجيه السداجة في معاملات، و صلاح ما يتغير عليه من قلبه، إلى أن لحق بربه.

شيخ الغزاة و رئيس الجند الغربي لأول أمره:

أقر على الغزاة شيخهم على عهد أبيه، أبا زكريا يحيى بن عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق، مطمح الطواف، و موفى الاختيار، و لباب القوم، و بقتية السلف، جزما و دهاء، و تجربة و حنكة و جدّاً و إدراكاً، ناهيك من رجل فدّ المنازع، غريبها، مستحقّ التقديم، شجاعه و أصالة، و رأيا و مباحته، نشابة قبيله، و أضحى قشيمهم، و كسرى ساستهم، إلى لطف السجية، و حسن التأني، لغرض السلطان، و طرق التّنزل للحاجات، و رقة غزل الشّفاعات، و إمتاع المجلس، و ثقب الذّهن و الفهم، و حسن الهيئة. و زاده خصوصية ملازمته مجلس الرّقاع المعروضة، و الرّسل الواردة. و سيأتى ذكره في موضعه بحول الله تعالى.

كاتب سرّه: قمت لأول الأمر بين يديه بالوظيفة التي أسندها إلى أبوه المولى المقدس، رحمه الله، من الوقوف على رأسه، و الإمساك في التهاني و المبايعه بيده، و الكتابة و الإنشاء و العرض و الجواب، و الخلعة و المجالسة، جامعاً بين خدمة القلم، و لقب الوزارة، معزز

الخطط برسم القيادة، مخصوصا بالنيابة عنه في الغيبة، على كل ما اشتمل عليه سور القلعة و الحضرة، مطلق أمور الإيالة، محكما في أشتاته تحكيم الأمانة، مطلق الراية، ظاهر الجاه و النعمة. ثم تضاعف العز، و تأكد الرعي، و تمخض القرب، فنقلني من جلسة المواجهة، إلى صف الوزارة؛ و عاملني بما لا مزيد عليه من العناية، و أحلني المحل الذي لا فوقه في الخصوصية، كافأ الله فضله، و شكر رعيه، و أعلى محله عنده.

و أصدر لي هذا الظهير لثاني يوم ولايته: هذا ظهير كريم، صفى شربه. و سقرني في الرسالة عنه، إلى السلطان، الخليفة الإمام، ملك المغرب، و ما إليه من البلاد الإفريقية، أبي عنان، حسبما يأتي ذكره. ثم أعفاني في هذه المدة الأولى، عن كثير من الخدمة، و نوه بي عن مباشرة العرض بين يديه بالجملة، فاخترت للكُل و البدلة، و ما صان عنه في سبيل التجلة، و إن كان منتهى أطوار الرفعة، الفقيه أبا محمد بن

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٦

عطية، مستنزلا عن قضاءه وادي آس و خطابتها، فكان يتولى ما يكتب بنظري، و راجعا لحكمي، و مترددا لبالي، مكفى المؤنة في سبيل الحمل الكلي، إلى وقوع الحادثة، و نفوذ المشيئة بتحويل الدولة.

قضاته: جدد أحكام القضاء و الخطابية لقاضي أبيه الشيخ الأستاذ الشريف، نسيج وحده، و فريد دهره، إغرابا في الوقار، و حسن السيمت، و أصالة البيت، و تبخرا في علوم اللسان، و إجهازا في فصل القضايا، و انفرادا ببلاغة الخطبة، و سبقا في ميدان الدهاء و الزجاجه، أبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسنى، الجانح إلى الإيالة النصريه من مدينه سبتة. و سيأتى التعريف به في مكانه، إن شاء الله.

و توفى، رحمه الله، بين يدي حدوث الحادثة، فأرجى الأمر بمكانه، إلى قدوم متلقف الكرة، و متعاور تلك الخطبة، الشيخ الفقيه القاضي، أبي البركات قاضي أبيه، و وليها الأحق بها بعده، إذ كان غايبا في السفارة عنه، فوقع التمهيص قبل إبرام الأمر على حال الاستنابة.

الملوك على عهده: و أولهم بالمغرب، السلطان، الإمام، أمير المسلمين، أبو عنان ابن أمير المسلمين أبي الحسن ابن أمير المسلمين أبي سعيد ابن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، البعيد الشاؤ في ميدان السعادة، و المصمى أغراض السداد، و معظّم الظفر، و محوّل الموهبة، المستولى على آماذ الكمال، عقلا و فضلا و أبهة و رواء، و خطا و بلاغة، و حفظا و ذكاء و فهما و إقداما، تغمده الله برحمته، بعثنى إلى بابه رسولا على إثر بيعته، و تمام أمره،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٧

و خاطبا إثره و وده، مسترفدا من منحة قبوله، فألفت بشرا مبدولا، و رفدا ممنوحا، و عزّا باذخا، يضيق الزمان عن جلالته، و تقصر الألسنة عن كنه وصفه، فكان دخولي عليه في الثامن و العشرين من شهر ذى قعدة عام خمسة و خمسين المذكور، و أنشدته بين يدي المخاطبة، و مضمن الرسالة: [المنسرح]

خليفة الله ساعد القدر علاك ما لاح في الدجى قمر

فأحسب و كفى، و احتفل و احتفى، و أفضت بين يديه كرمته، إلى الحضور معه في بعض المواضع المطللة على مورد رحب. هاج به الخدام أسدا، أروء، شثن الكفين، مشعر اللبده، حتى مرق عن تابوت خشبي كان مسجوننا به، من بعد إقلاعه، من بعض كواه، و أثارته من خلفه، و استشاط و توقد بأسا. و جلب ثور عبل الشوى، منتصب المروى، يقدمه صوار من الجواميس، فقربت الخطى، و حميت الوغى، و بلغ الزئير و الجوار ما شاء، في موقف من ميلاد الشيم العلى يخشى الجبان مقارعة العدا، و يوطن نفسه الشجاع على ملاقة الردى، و خار الأسد عن المبارزة، لما بلغ منه ثقافا عن رد المناوشة، و مضطلعا بأعباء المحاملة، فتخطاه إلى طائفة من الرجال، أولى عدّه، و ذوى دربه، حمل نفسه متطارحا كشهاب الرجم، و سرك الدجى، و أخذته رماحهم بإبادته، بعد أن أردى بعضهم، و جدل بين

يدى السلطان، متخطا في دمه.

و عرّض بعض الحاضرين، و أغرى بالنظم في ذلك، فأنشدته: [الكامل]

أنعام أرضك تقهر الآساد اطبعا كسا الأرواح و الأجسادا

و خصائص لله بثّ ضروربهافي الخلق ساد لأجلها من سادا

إن الفضائل في حماك بضائع لم تخش من بعد التفاق كسادا

كان الهزبر محاربا فجزيته بجزاء من في الأرض رام فسادا

فايغ المزيد من آلائه بشكره و ارغم بما خولته الحسادا

فاستحسن تأتى القريحة، و إمكان البديهة، مع قيد الصفة، و هيبه المجلس.

و كان الانصراف بأفضل ما عاد به سفير، من واد أصيل، و إمداد موهوب، و مهادة أثيرة، و قطار معنوب، و صامت محمول، و طعمه

مسوعه. و كان الوصول في وسط محرم من عام ستته و خمسين و سبع مائه، و قد نجح السعي، و أثمر الجهد، و صدقت المخيلة، و قد

تضمّن رحلى الوجهة، و الأخرى قبلها جزء. و الحمد لله الذى له الحمد فى الأولى و الآخرة. و توفى، زعموا، بحيلة، و قيل: حتف أنفه،

لمّا نهكه المرض، و شاع عنه الإرجاف، و تنازع ببابه الوزراء، و تسابق إلى باب الأبناء. و خاف مدبر أمره، عايده ملامته، على توقع

برئه، و كان سيفه يسبق على سوطه، و القبر أقرب إلى من

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٨

تعرض لعنقه من سجنه، ففضى موضع هذا السبيل خاتمة الملوك الجلّة، من أهل بيته. جدّد الملك، و حفظ الرسوم، و أجرى الألقاب،

و أغلظ العقاب، و صير إيالته أضيّق من الخدّ. و أمّد الأندلس، و هزم الأضداد، و خلد الآثار، و بنى المدارس و الزوايا، و استجلب

الأعلام. و تحرّك إلى تلمسان فاستضافها إلى إيالته، ثم ألحق بها قسنطينة و بجاية، و جهز أسطوله إلى تونس، فدخلها و تملكها ثقاته

فى رمضان عام ثمانية و خمسين و سبعمائة، و استمرت بها دعوته إلى ذى قعدة من العام، رحمة الله عليه. و كانت وفاته فى الرابع عشر

لذى حجة من عام تسعة و خمسين و سبعمائة.

و صار الأمر إلى ولده المسمى بالسعيد، المكنى بأبى بكر، مختار وزيره ابن عمر الفدودى. و رام ضبط الإيالة المشرقية فأعياه ذلك، و

بايع الجيش الموجه إليها منصور بن سليمان، و لجأ الوزير و سلطانه إلى البلد الجديد، مثنى الخلافة المريّته، فكان أملك بها. و نازله

منصور بن سليمان، ثم استفضى إليه أمر البلد لحزم الوزير و قوّة شكيمته. و غادر السلطان أبو سالم إبراهيم بن السلطان أبى الحسن،

أخو الهالك السلطان أبى عنان، الأندلس، و قد كان استقرّ بها بإزعاج أخيه إيّاه عن المغرب، كما تقدم فى اسمه، فطلع على الوطن

الغربىّ بإعانه من ملك النصارى، عانى فيها هولا كثيرا، و استقرّ بآخرة بعد إخفاق شيعته المرّاكشيه، بساحل طنجة، مستدعى ممن

بجبال غماره، و دخلت سبتة و طنجة فى طاعته. و فر الناس عن منصور بن سليمان، ضربة لازب، و تقبّض عليه و على ابنه، فقتلا صبورا،

نفعهما الله.

و تملك السلطان أبو سالم المدينة البيضاء يوم الخميس عشر لشعبان عام ستين و سبعمائة، بنزول الوزير و سلطانه عنها إليه. ثم دالت

الدولة. و كان من لحاق السلطان برنده، و استعانته على ردّ ملكه ما يأتى فى محلّه، و البقاء لله سبحانه.

و بتلمسان السلطان أبو حمّو موسى بن يوسف بن يحيى بن عبد الرحمن بن يغمرس بن زيان، قريب العهد باسترجاعها، لأول أيام

السعيد.

و بتونس الأمير إبراهيم ابن الأمير أبى بكر ابن الأمير أبى حفص ابن الأمير أبى بكر بن أبى حفص بن إبراهيم بن أبى زكريا يحيى بن

عبد الواحد، لنظر الشيخ

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٩

رأس الدولة، وبقية الفضلاء، الشهير الذكر، الشائع الفضل، المعروف السياسة، أبي محمد عبد الله بن أحمد بن تافرايين، تحت مضايقة من عرب الوطن.

و من ملوك النصارى بقشتالة، بطره بن ألهنشه بن هراندة بن شانجه بن ألfnش بن هرانده، إلى الأربعين، و هو كما اجتمع وجهه، تولى الملك على أخريات أيام أبيه في محرم عام أحد و خمسين و سبعمائة. و عقد معه سلم على بلاد المسلمين. ثم استمر ذلك بعد وفاته في دولة ولده المترجم به، و غمرت الزوم فتته و ألفت العصا، و أغضت القضاء، و أجالت على الكثير من الكبار الردي، بما كان من إخافته سائر إخوانه لأبيه، من خاصيته، العجلة الغالبة على هواه، فنبذوه على سوء بعد قتلهم أمهم، و انتزوا عليه بأقطار غرسهم فيها أبوهم قبل موته بمرعية أمهم. و سلك لأول أمره سيرة أبيه في عدوله عن عهوده بمكاييه لمنصبه، إلى اختصاص عجلة، أنف بحراه كبار قومه، من أجل ضياع بذره و انقراض عقبه، فمال الخوارج عليه، و دبروا القبض عليه، و تحصل في أنشوطه، يقضى أمره بها إلى مطاوله عقله أو عاجل خلع، لو لا أنه أفلت و تخلص من شرارها. فاضطره ذلك إلى صلة السلم، و هو الآن بالحالة الموصوفة.

الأحداث في أيامه:

لم يحدث في أيامه حدث إلا العافية المسخه و الهدنة المتصلة، و الأفرح المتجددة، و الأمنة المستحكمة، و السلم المنعقدة. و في آخر جمادى عام ستة و خمسين و سبعمائة لحق بجبل الفتح، فشتم شعبته، و أبر مبتوته، كان على ثغره العزيز على المسلمين، من لدن افتتاحه، الموسوم الخطه، المخصوص بمزية تشييده، عيسى بن الحسن بن أبي مندیل، بقیة الشيوخ أولى الأصالة و الدهاء، و التريبي بزي الخير، و المثل السائر في الانسلاخ من آية السعادة، و الإغراق في سوء العقبي، و الله غالب على أمره، فكان أملك بمصامه، و قر عينه بقاء ولده، و التمتع منه بجواد عتيق. ملئ من خلال السياسة، أرداه سوء الحظ، و شؤم النصبه، و اظلم ما بينه و بين الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٠

سلطانه، مسوغه برداء العافية على تفه صغر، و ملبسه رداء العفة على قذح الأمور، أبدى منها الخوف على ولده، و عرض ديسم عزمه، على ذوبان الجبل، فانحطوا في هواه، و غرّوه بكاذب عصبه، فأظهر الامتناع سادس ذى قعدة من العام المذكور، و اتصلت الأخبار، و ساءت الظنون، و ضاقت الصدور، و نكست الرؤوس لتوقع الفاقة، بانسداد باب الصيرىخ، و انتبات سبب التصرة، و انبعاث طمع العدو، و انحطت الأطماع فى استرجاعه و استقالته، لمكان حصانته، و سمو الذروة، و وفور العدة، و وجود الطعمة، و أخذ بتلاشى الفرصه. ثم ردت الأخبار بخروج جيشه صحبه ولده إلى منازل أشتبونه، و إخفاق أمله فيها، و امتسك أهلها بالدعوة، و انتصافهم من الطائفة العادية؛ فبودر إليها من مالمقة بالعدد. و خوطب السلطان من ملك المغرب، أيده الله، بالجلية، فتحققت المنازعة؛ و استقرت الظنون. و فى الخامس و العشرين من شهر ذى قعدة، ثار به أهل الجبل، و تبرأ منه أشياعه، و خذلوه بالفرار، فأخذت شعابه و نقابه، فكرر راجعا أدراجه إلى القاعدة الكبيرة، و قد أعجله الأمر، و حملته الطمأنينة على إغفال الاستعداد بها، و كوثر فألقى به، و قد لحق به بعض الأساطيل بسبته، لداعى تسور توطى على إمارته، فقيد هو و ابنه، و خيض بهما البحر للحين، و لم ينتطح فيها عنزان، رحمه الله؛ سنام فئه ألفت بركها، و أناخت بكلكلها، و قد قدر أنها واقعة، ليس لها من دون الله كاشفه، فقد كان من بالجبل برموا على إياله ذينك المرتسمين، و ألقوا أجوارها، و أعطوهما الصفقة، بما أطمعهما فى الثورة، و لكل أجل كتاب. و احتمال إلى الباب السلطاني بمدينه فاس، و برز الناس إلى مباشرة إيصالهما مجلوبين فى منصه الشهرة، مرفوعين فى هضبة المثله. ثم أمضى السلطان فيهما حكم الفساد، بعد أيام الحرايه، فقتل الشيخ بخارج باب السمارين من البلد الجديد، بأيدي قرابته، فكان كما قال الأول: [الكامل]

أضحت رماح بنى أبيه تنوشه لله أرحام هناك تشقق

و قطعت رجل الولد و يده، بعد طول عمل و سوء تناول، و لم ينشب أن استنقذه حمامه فأضحى عبرة فى سرعة انقلاب حالهما من الأمور الحميدة، حسن طلعه، و ذياح حمد، و فضل شهرة، و استفاضه خيريه، و نباهه بيت، و أصالة عز، إلى ضد هذه الخلال، و قانا الله

مصارع السوء، ولا سلب عنا جلباب الشتر والعافية.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١١

وسد السلطان ثغر الجبل بآخر من ولده اسمه السعيد، وكنيته أبو بكر، فلحق به في العشر الأول من المحرم من عام سبعة وخمسين و سبعمائة، ورتب له بطانته، وقدر له أمره، وسوغه رزقا رغدا، وعيشا خفصا. وبادر السلطان المترجم له، إلى توجيه رسوله؛ قاضيا حقه، مقرّر السيرور بجواره، وأتبع ذلك ما يليق من الحال من برّ ومهاداة ونزل، وتعقت بعد أيام المكافات، فاستحکم الود، وتحسنت الألفة إلى هذا العهد، والله وليّ توفيقهم ومسنى الخير والخيرة على أيديهم.

العادنة التي جرت عليه:

واستمرت أيامه كأحسن أيام الدول، خفض عيش، وتوالى خصب، وشياع أمن، إلا أن شيخ الدولة القائد أبا النعيم، رحمه الله، أضاع الحزم. وإذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره، سلب ذوى العقول عقولهم، بما كان من أمنه جانب القصر الملزم دار سكناه، من عليه فيها أخو السلطان، بتهاونه، يحيل أمه المداخلة في تحويل الأمر إليه، جملة من الأشرار، دار أمرهم على زوج ابنتها الرئيس محمد بن إسماعيل بن فرج من القرابة الأخلاف، وإبراهيم بن أبي الفتح، والدليل الموروري، وأمدته بالمال، فداخل القوم جملة من فرسان القيود، و عمره الشجون، وقلاميذ الأسوار.

و كانت تتردد إليه في سبيل زيارة بنتها الساكنة في عصمه هذا الخبيث، المنزوع العصمة، خارج القلعة حتى تم يوم الأربعاء الثامن والعشرين لرمضان من العام، اجتمعوا وقد خفي أمرهم، وقد تألفوا عددا يناهز المائة بالقوس الداخل من وادي هدازه إلى البلد، لصق الجناح الصاعد منه إلى الحمراء، وكان بسورها ثلم، لم يتم ما شرعوا فيه من إصلاحه؛ فنصبوا سلما أعد لذلك، وصعدوا منه. ولما استوفوا، قصدوا الباب المضاع المسلحة، للثقة بما قبله؛ فلما تجاوزوه أعلنوا بالصياح، واستغلظوا بالتهويل، وراعوا الناس بالاستكثار من مشاعل الخلفاء، فقصدت طائفة منهم دار الشيخ القائد أبي التميم؛ فاقتحمته غلابة وكسرت أبوابه؛ وقتلته في مضجعه؛ وبين أهله ولده، وانتهت ما وجدت به. وقصدت الأخرى دار الأمير، الذي قامت بدعوته، فاستنجزته واستولت على الأمر. وكان السلطان متحوّلا بأهله إلى سكنى «جنته العريف» خارج القلعة، فلما طرقة النبأ؛ وقرعت سمعه الطبول سده الله؛ وساند أمره في حال الحيرة، إلى امتطاء جواد كان مرتبطا عنده في ثياب تبدّله ومصاحبا لأفراد من ناسه؛ وطار على وجهه، فلحق بوادي آش قبل سوق نكبته، وطرق مكانه بأثر ذلك، فلم يلف فيه، وأتبع فأعيا المتبع. ومن الغد، استقام الأمر لأولى الثورة، واستكملوا لصاحبهم أمر البيعة، وخاطبوا البلاد فألقت إلى صاحبهم بالأزمة، وأرسلوا إلى ملك النصارى في عقد الصلح. وشرعوا في منازل وادي آش، بعد أن ثبت أهلها مع

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٢

المعتصم بها، فلازمته المحلات وولى عليه التضييق، وخيف فوات البدر و نفاذ القوة، فشرع السلطان في النظر لنفسه، وخاطب السلطان أبا سالم ملك المغرب في شأن القدوم عليه، فتلقيه بالقبول وبعث من يمهد الحديث في شأنه، فتم ذلك ثاني يوم عيد النحر من العام. و كنت عند الحادثة على السلطان، ساكنا بجنتي المنسوبة إلى من الحضرة، منتقلا إليها بجملتي، عادة المترفين، إذ ذاك من مثلي، فتخطاني الحنف، و نالتي النكبة، فاستأصلت النعمة العريضة، والجدة الشهيرة، فما ابتقت طارفا ولا تليدا، ولا ذرت قديما ولا حديثا، والحمد لله مخفف الحساب، وموقظ أولى الألباب، ولطف الله بأن تعطف السلطان بالمغرب إلى شفاعه بي بخطه، وجعل أمرى من فصول قصده. ففككت عنى أصابع الأعداء، واستخلصت من أنيابهم، ولحقت بالسلطان بوادي آش، فذهب البأس، واجتمع الشمل. وكان رحيل الجميع ثاني عيد النحر المذكور، فكان النزول بفحص ألفت، ثم الانتقال إلى لوشة، ثم إلى أنتقيره، ثم إلى ذكوان، ثم إلى مريلمة، يضم أهل كل محل من هذه مأتما للحسرة، ومناحة للفرقة. وكان ركوب البحر صحوة الرابع والعشرين من

الشهر، والاستقرار بمدينة سبتة، وكفى بالسلامة غنما، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين.

وكان الرحيل إلى باب السلطان، تحت بز لا تسعه العبارة، و لقاؤنا إياه بظاهر البلد الجديد لإمام ألم عاقه عن الإصحار والتغنى على البعد، يوم الخميس السادس لمحرم من عام أحد وستين بعده، في مركب هائل، واحتفال رائع رائع، فعورض فيه النزول عن الصّهوات، والبز اللائق بمناصب الملوك، والوصول إلى الدار السلطانية، والطعام الجامع للطبقات وشيوخ القبيل. وقمت يومئذ فوق رأس السلطان وبين يدي مؤمله، فأشدته مغريا بنصره، كالوسيلة بقولي: [الطويل]

سلا هل لديها من مخبيرة ذكر؟ وهل أعشب الوادي ونم به الزهر؟

فهاج الامتعاض، وسالت العبرات، وكان يوما مشهودا، وموقفا مشهورا، طال به الحديث، وعمرت به النوادي، وتوزعتنا النزائل على الأمل، شكر الله ذلك وكتبه لأهله، يوم الافتقار إلى رحمته. واستمرت الأيام، ودالت الدولة للرئيس بالأندلس، والسلطان تغلبه المواعيد، وتونسه الآمال، والأسباب تتوفر، والبواعث تتأكد. وإذا أراد الله أمرا هيا أسبابه، واستقرت بي الدار بمدينة سلا، مرابطا، مستمتعا بالغيب، تحت نعمة كبيرة، وإعفاء من التكليف.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٣

وفي اليوم السابع لسؤال من عام التاريخ، قعد السلطان بقبة العرض بظاهر جنة المصارة لتشييعه، بعد اتخاذ ما يصلح لذلك؛ من آله و حليء، وقد برز الخلق، لمشاهدة ذلك الموقف المسيل للدموع، الباعث للزفة، المتبع بالدعوات، لما قذف الله في القلوب من الرحمة، وصحبه به في التغرب من العناية، فلم تنب عنه عين، ولا حمل له موكب، ولا تقلصت عنه هيبه، ولا فارقت حشمه، كان الله له في الدنيا والآخرة. وأجاز، واضطربت الأحوال، بما كان من هلاك معينه السلطان أبي سالم، وغدر الخبيث المؤمن على قلعتة به، عمر بن عبد الله بن علي، صغر الله حربه، و خلد خزيه، وسقط في يده، إلا أنه ثبت في رنده من إيالة الأندلس، الراجعة إلى إيالة المغرب، قدمه، فتعلل بها، وارتاش بسببها، إلى أن فتح الله عليه، وسدد عزمه، وأراه لما ضعفت الحيل صنعه، فتحرّك إلى بز مالقة، وقد فغر عليها العدو فمه، ثم أقبل على مالقة، مستميتا دونها، فسهل الله الصعب، وأنجح القصد، واستولى عليها، واثالث عليه لحينها البلاد، وبدا الرئيس المتوثب على الحضرة، بعد أن استوعب الذخيرة والعدة، في جملة ضخمة ممن خاف على نفسه، لو وقى بذمة الغادر وعهده، واستقر بنادي صاحب قشتالة، فأخذه بجريته، وحكم الحيلة في جنائته وغدره، وألحق به من شاركه في التسور من شيعته، ووجه إلى السلطان برءوسهم تبع رأسه. وحت السلطان أسعده الله خطاه إلى الحضرة، يتلقاه الناس، مستبشرين، وتزاحم عليه أفواجهم مستقبلين مستغفرين، وأحق الله الحق بكلماته، وقطع دابر الكافرين.

وكان دخول السلطان دار ملكه، وعوده إلى أريكة سلطانه، و حلوله بمجلس أبيه وجده، زوال يوم السبت الموفى عشرين لجمادى الثانية من عام ثلاثة وستين وسبعمائه، جعلنا الله من هم الدنيا على حذر، وألهما لما يخلص عنده من قول وعمل. وتخلّف الأمير وولده بكره، أسعده الله، بمدينة فاس فيمن معه من جملة، وخلفه من حاشية ولد المستولى على ملك المغرب في إمساكه إلى أن يسترجع رنده في معارضة هدفه. ثم إن الله جمع لأبيه بجمع شمله، وتم المقاصد بما عمه من سعده. وكان وصولي إليه معه، في محمل اليمن والعافية، وعلى كسر التيسير من الله والعناية يوم السبت الموفى عشرين شعبان عام ثلاثة وستين وسبعمائه.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٤

ترتيب الدولة الثانية السعيدة الدور إلى بيعة الكور:

هنا المسلمين ببركتها الوافرة، ومزاياها المتكاثرة، السلطان، أيده الله، قد مر ذكره، ويسر الله من ذلك ما تيسر.

وزراؤه: اقتضى حزمه إغفال هذا الرسم جملة، مع ضرورته في السياسة، وعظم الدخول، حذرا من انبعاث المكروه له من قبله، وإن كان قدّم بهذا اللقب في طريق منصرفه إلى الأندلس، وأياما من مقامه برنده، فنحله عن كره، على بن يوسف بن كماشه، من عتاق

خدّامه و خدّام أبيه، مستصحباً إياه، مسدول التّجمل على باطن نفرة، مختوم الجرم، على شوكة، في حطبه في جبل المتغلب، و إقراضه السيئة من الحسنه، و المنزل الخشن، إلى الإنفاق منه على الخلاخل الدّميمة، ترأسها خاصية الشّوم، علاوة على حمل الشيخ الغريب الأخبار، و الطّمع في أرزاق الدور، و الاسترابة بمودة الأب، و ضيق العطن، و قصر الباب، و عى اللسان، و مشهور الجبن. و لما وقع القبض، و ساء الظنّ، بعثه من رنده إلى الباب المريني ليخلى منه جنده، و يجسّ مرض الأيام، بعد أن نقل من الخطه كعبه، فتيسّر بعد منصرفه الأمر، و تسّى الفتح.

و حملة الجشع الفاضح، و الهوى المتّبع، على التشطّط لنفسه، و الكدح لخويصته بما أقطعه الجفوة، و عسر عليه العوده على السلطان بولده، إلى أن بلغ الخبر برجوع أمره، و دخول البلاد في طاعته، فألقى ما تعين إليه، و أهوى به الطمع البالغ في عرش الدولة، و يرتاش في ريق انتقامها. و تحرّك و راية الإخفاق خافقه على رأسه، قطب مخلصه، و جوّجوه عوده، من شيخ تدور بين فتكه رحي جمععه، و تنور بين أضلاعه حية مكيدة، و ينق فوق مساعيه غراب شوم و طيرة. و حدّث حرفاؤه صرفا من مداخلة سلطان قشتاله، أيام هذه المجاورة، فبلغ أمنيته من ضرب وعد؛ و اقتناء عهد، و اتخاذ مدد، و ترصيد دار قرار، موهما نفسه البقاء و التعمير و التملّى، و انفساح المدة و الأمر، و قيادة الدّجن عند تحوّل الموطن لملّة الكفر، يسمح لذلك، لنقصان عقله، و قلبه حيائه و ضعف غيرته. و طوى المراحل، و قيض حمى تزلزل لها فكاه، أضلّها الحسرة، و انتراء الخباث. و تلقاه بمالقه، إيعاز السلطان بالإقامة بها، لما يتصل به من سوء تصريفه، ثم أطلع شافع الحياء في استقامة وطنه طوق عتبه، و صرفه إلى منزله، ناظرا في علاج مرضه. ثم لما أفاق وقفه دون حدّه، و لم يسند إليه شيئا من أموره، فشرع في ديدنه من الفساد عليه، و تمرّس سلطان قشتاله، شاكيا إليه بته، و أضجر لسكنى باديته بالثغر، فراب السلطان أمره، و أهمّه شأنه، فتقبض عليه و على ولده، و صرفا في

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٥

جملة من دائرة السوء ممن ثقلت وطأته، فغزبوا إلى تونس، أوائل شهر رمضان من عام ثلاثه و ستين. ثم لما قفل من الحجّ، و استقرّ بجاية يريد المغرب، حنّ إلى جوار النصرانية، التي ريم سلفه العبودية إليها، فعبر البحر إلى برجلونه، ينفذ عناء طريق الحجّ على الصّلبان، و يقفو على آثار تقبيل الحجر الأسود، تقبيل أيدي الكفار.

ثم قصد باب المغرب رسولا عن طاغية برجلونه في سبيل فساد على المسلمين، فلم ينجح فيه قصده، فتقاعد لما خسر فيه ضمانه، و صرف و كره إلى الاتصال بصاحب قشتاله، و عنّ على كتب إليه بخطه، يتنقّ عنده و يغريه بالمسلمين، فتقبض عليه، و سجن بفاس مع أرباب الجرائم. و على ذلك استقرّ حاله إلى اليوم، و أبرأ إلى الله من التّجاوز في أمره. و من يضلّل الله فما له من هاد.

و لما وفدت على السلطان بولده، و قرّت عيني بلقائه، تحت سداده و عزّه، و فوق أريكة ملكه، و أدّيت ما يجب من حقه؛ عرضت عليه غرضي، و نفضت له خزانه سرّي، و كاشفته ضميري بما عقدت مع الله عهدي، و صرفت إلى التّشريق وجهي، فعلق بي لركومه علوق الكرامة، و لاطفني بما عاملت البرّ بين الدّعر و الضّنانة، و يضرب الآماد، و خرج لي عن الضرورة، و أراني أن مؤازرته أبرّ القرب، و راكنني إلى عهد بخطه، فسح فيه لعامين أمد الثّواء، و اقتدى بشعيب، صلوات الله عليه، في طلب الزّيادة على تلك النسبة، و أشهد من حضر من العلية، ثم رمى إلى بعد ذلك بمقاليد رأيه، و حكّم عقلي في اختيار عقله، و غطّي من جفائي بحلمه، و حتا في وجوه شهواته تراب زجري، و وقف القبول على وعظي، و صرف هواه في التحول ثانيا و قصدي، و اعترف بقبول نصحي، فاستعنت بالله، و عاملت وجهه فيه. و صادقني مقارضة الحقّ بالجهاد، و رمى إلى بدنياه، و حكمني فيما ملكته يداه، و غلّبني على أمره لهذا العهد، و الله غالب على أمره. فأكمل المقام ببابه إلى هذا التاريخ مدة أجرى الله فيها، من يمن التّقيّة، و أطراد السّداد، و طرد الهوى، و رفض الزّور، و استشعار الجدّ، و نصح الدّين، و سدّ الثغور، و صون الجباية، و إنصاف المرتزقة، و محاولة العدو، و قرع الأسماع بلسان الصّيدق، و إيقاظ العيون من نوم الغفلة، و قدح زناد الزّجولة، ما هو معلوم، يعضّد دعواه، و لله المنّة، سجية السّداجة، و رفع التّسمت، و تكوّر المنساء، و تفويت العقار في سبيل القربة، و الزّهد في الزّبرج، و بتّ حبال الآمال، و التّعزير بالله عن الغنيمة، و جعل

الثوب غطاء الليل، و مقعد المطالعة فراش

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٦

التوم، و الشغل لمصلحة الإسلام، لريم الأنفاس، فأثمر هذا الكرخ، و أثبج هذا المسعى مناقب الدولة، بلغت أعنان السماء، و آثارا خالدة ما بقيت الخضراء على الغبراء، و أخبارا تنقل و تروى، إن عاندها الحاسد، فضحه الصّباح المنير، و كآثره القطر المنثال، و أعياء السيل المتدافع.

فما يختص من ذلك بالسلطان، فخامة الرتبة، و نباهة الألقاب، و تجمل الرياش، و تربع الشريعة، و ارتفاع التشاجر ببابه، و المنافسة و الاغتيال منه، بمجالس التنبيه و المذاكرة، و بدار الدموع في حال الرقة، و الإشادة باحتقار الدنيا بين الخاصة، و تعيين الصدقات في الأوقات العديدة، و القعود لمباشرة المظالم ستة عشر يوما في كل شهر من شهور الأهلة، يصل إليه فيها اليتيم و الأرملة، فيفرح الضعيف، و ينتظر حضور الزمن، و يتعمد هفوة الجاهل، و يتأثر لشكوى المصاب، و يعاقب الوزعة على الأغلاط، إلى إحسان الملكة في الأسرى، و الإغراب في باب الحلم، و الإعياء في ترك الحظ، و التبري من سجيئة الانتقام، و الكلف بارتباط الخيل، و اقتناء أنواع السلاح، و مباشرة الجهاد، و الوقار في الهيئات، و إرسال سجيئة الإيمان، و كساد سوق المكيدة، و التصامم عن السعاية؛ هذا مع الشباب الغض، و الفاحم الجعد، و تعدد حبال الشيطان في مسالك العمر، و مطاردة قانص اللذات في ظل السلم، و مغازلة عيون الشهوات من ثنایا الملوك. و أيم الله الذي به تستخلص الحقوق، و تيسر السّيتور، و تستوثق العهود، و لا تطمئن القلوب إلّا به؛ ما كاذبته، و لا راضيت في الهوادة طوله، و لا سامحته في نقيض هذه الخلال. و لقد كنت أعجب من نفاق أسواق الذكري لديه، و انتظام أقيسه النصح عنده، و إيقاع نبات الرشد فيه نصيحة، و أقول: بارك الله فيها من سجيئة، و هنا المسلمين بها من نفس زكية. و سيأتي بيان هذه النتائج، و تفسير مجمل هذه الفضائل بحول من لا حول إلّا به سبحانه.

و الحال متصله على عهده الوثير من إعانته بالوسوع و الخروج له عن هذه العهدة، و التسليم له في البقية، إرهافا لسيف جهاده، و جلاء لمرآة نصحه، و تسوية لميزان عدله، و إهابه لمحمد رشده، شدّ العقدة، عقدة و غيره على حرمة ماله و عرضه، و رعاية للسان العلم المنبئ عن شأنه، و نيابة عنه في معقل ملكه، و مستودع ماله و ذخيره، و محافظة على سرّه و علانيته لحرمة و ولده، و عمرانا للجوانح بتفضيله و حبه، معاملته أخلص الله قصدها لوجهه، و أمحضها من أجله، ترفعه عن جريئة

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٧

رحل هلالها، و إقطاع تنجع قدرته، أو فصله تعبت البنان بنشيرها، و خطه تشدّ إليه على منشورها. و الله يرحم ميزاني عنده، و يحظى وسيلتي لديه، و يحرك مكافأة سعي في خواطر حجه، و يتبّه لتبليغ أملى من حج بيت الله، و زيارة رسول الله، بمنّه و كرمه، فما على استحثاث الأجل من قرار، و لا بعد الشيب من إعدار، و حسبنا الله و نعم الوكيل.

أولاده: كمل له في هذا الوقت من الولد أربعة؛ ثلاثهم ذكور، يوسف بكره، و أراه يتلوه سعد، ثم نصر، غلمة روقه، قد أفرغهم الله في قالب الكمال، إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا، فسح الله لهم أمد السعادة، و جعل مساعيهم جانحة إلى حسنى العقبي، سالكا بهم سبيل الاهتداء بفضل الله و رحمته.

قضاته: قدّم لأول قدمومه، الفقيه القاضى، الحسيب، الخير، أبا جعفر بن أحمد بن جزى، شاكرًا بلائه بمالقه، إذ كان قد ألقاه قاضيا بها للمتغلب، فلم يأل جهدا في الإجلاب على من اعتصم بقصبتها، و التحريض على استنزاهم، فأتخذ زلفه لديه، فأجرى الأحكام، و توخى السداد. ثم قدّم إليها الفقيه القاضى الحسيب، أبا الحسن على بن عبد الله بن الحسن، عين الأعيان ببلده مالقه، و المخصوص برسم التجلّة، و القيام بوظيفة العقد و الحلّ بها في الدولة الأولى، و أصالة البيت، و الانقطاع إليه، و مصاحبة ركابه في طلب الملك، و متسور المشاق من أجله، و أولى الناس باستدرار خلف دولته، فسدد و قارب، و حمل الكل، و أحسن فصاحة الخطبة و الخطّة، و أكرم المشيخة و أرضى، و استشعر النزاهة، و لم يقف في حسن التأتى عند غاية، و اشتمل معها لفق الخطابة، فأبرز و أعلم، تسميا و

حفظاً و جهوريّة، فاتفق في ذلك على رجاحته، و استصحب نظره على الأحباس، فلم يقف في النصح عند غاية، أعانه الله.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٨

كتابه: أسند الكتابة إلى الفقيه المدرك، المبرز في كثير من الخلال، ملازمه أيضا في طلب الملك، و مطاردة قنص الحظ، أبي عبد الله بن زمرك، و يأتي التعريف بجمعهم.

شيخ غزاته: متولى ذلك في الدولة الأولى، الشيخ أبو زكريا يحيى بن عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق، قدّمه إليها معتبا إياه، طويا بساط العدو بالجملة، قدّموها بابنه عثمان على الخاصّة يومئذ، لمظاهرتة في الوجهة، و سعيه في عودة الدولة، و استمرت الحال إلى اليوم الثالث عشر لشهر رمضان من عام أربعة و ستين و سبعمائة، و كان القبض على جملتهم، و أجلى هذا البيت من سفرة السياسة مدّة، مجتريا فيه بنظره على رسمه في الوزارة من قبيله. ثم قدّم إليها موعوده بها القديم الخدمه، و سالف الأدمه، لما لجأ إلى وادي آش مفلتا من وبقه الحادثه، الشيخ أبا الحسن على بن بدر الدين بن موسى بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق، حلف السداد أيامه، و المقاربة و الفضل و الدّمائه، المخصوص على اختصار بيمن التقييه، و استمرت أيامه إلى نقبه القفول عن غزوة جيان أخريات محرم من عام تسعة و ستين، و توفي، رحمه الله، حتف أنفه، فاحتفل لمواراته، و إقرايه من تآبيه، و استغفاره، و الاعتراف بصدق موالاته، و تفجيعة لفقده، و ما أعرب به من وفاء نجده، و قدّم لها عهدا طرف اختياره، الأمين، الشهم، البهمة، خدن الشهرة، و المشار إليه بالساله، و فرع الملك و الأصالة، عبد الرحمن ابن الأمير أبي الحسن على بن السلطان أبي على عمر ابن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان ابن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، إذ كان قد لحق به، بعد ظهور أتيح له بوطنه من المغرب، استقرّ مبيعا بعماله سجالماسه و ما إليها، وطن جدّه، و ميراث سلفه، ففسح له جانب قبوله، و أحله من قربه محلّ مثله، و أنزله بين ثغر الاغتباط و نحره، ثم استظهر به على هذا الأمر، فأحسن الاختيار، و أعزّ الخطه، و هو القائم عليها لهذا العهد، و إلى الله أسباب توفيقه.

ظرف السلطان و حسن توقيعه:

بدّ في هذا الباب من تقدّمه، و كثرة وقوعه، بحيث لا يعدّ نادره، و قليل الشىء يدلّ على كثيره. مرّ بي يوما و معى ولده، يروم اتخاذ حذق القرآن، فقلت له: أيّدك

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٩

الله، الأمير يريد كذا، و لا بدّ له من ذلك، و أنا و كيله عليك في هذا، فقال: حسبنا الله و نعم الوكيل. و لا خفاء ببراعة هذا التوقيع، و غرابه مقاصده، و مجالسه على الأيام معمورة بهذا و مثله.

الملوك على عهده: بالمغرب السلطان الجليل إبراهيم ابن السلطان أبي الحسن ابن السلطان أبي سعيد ابن السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق. تولّى ملك المغرب حسبما تقدم في اسمه، و ألقى إليه بالمقاليد، و استوسقت له الطاعة، و بحسب ما بثّ الله من اشرباب الخلق إليه، و تعطّشهم إلى لقاءه، و رغبتهم في إنهاضه إلى ملك أبيه، كان انقلابهم إلى ضد هذه الخلال، شرقا بأيامه و إحصاء لسقطاته، و ولعا باغتيابه و تربصا لمكروه به، إذ أخفقت فيه الآمال، و استولت الأيدي من خدامه على ملكه. و قيص الله لإباده أمره، و تغير حاله و هدّ ركنه، الخائن الغادر نسمة السوء و قذار ناقه الملك، و صاعقه الوطن و حرد الشيد عمر بن عبد الله بن على مؤتمنه على البلد الجديد، دار ملكه و مستودع ماله و ذخيرته، فسدّ الباب دونه، و جهر بخلعانه. و فض في أتباع الناعق المشؤوم سور ماله، و أقام الدعوه باسم أخيه أبي عمر، ذى اللوثة، الميؤوس من إفاقته، و ذلك ضحوه اليوم الثامن عشر لشوال من عام اثنين و ستين و سبعمائة. و بادر السلطان أبو سالم البيعه من متحول سكناه بقصر البلد القديم، و صابر الأمر عامه اليوم. و لما جنّ الليل، فرّ لوجهه، و أسلم وزراءه و خاصّته، و قيدت خطاه الخيريّه، فأوى إلى بعض البيوت، و به تلاحق متبوعه، فقيد إلى مصرعه السوء بظاهر بلده، و حز رأسه، و أوتى به إلى الغادر. و كان ما بين انفصال السلطان عنه مودعا إلى الأندلس بإعانتة، و مطوّق فضل تلقيه و قفوله و حسن

كفالتة، ثمانية أشهر و يوم واحد. و استمرت دعوة أخيه الممّوه به إلى الرابع و العشرين من صفر من عام ثلاثه و ستين و سبعمائه،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٠

و استدعى من باب قشتالة الأمير محمد أبو زيّان ابن الأمير أبي زيد بن عبد الرحمن ابن السلطان المعظم أبي الحسن. و قد استقرّ نازعا إليه أيام عمّه السلطان أبي سالم، وقع عليه اختيار هذا الوزير الغادر، إذ وافق شئ تغلبه طبق ضعفه، و أعمل الحيلة في استجلابه، فوصل حسب غرضه، و أجريت الأمور باسمه، و أعيد أخوه المعتوه إلى مكانه، و استمرت أيام هذا الأمير مغلوبا عليه، مغرى بالشراب على فيه و بين الصّحب إلى أن ساءت حاله، و امتلأت بالموجدة على الوزير نفسه، فعاجله بحتفه، و باشر اغتياله، و أوعز إلى خدامه بخنقه، و طرحه بحاله في بعض سواقي قصره، متبعا ببعض أواني خمره، يوهم بذلك قاتله، تردّيه سكرًا، و هويه طفوحًا.

و وقف عليه بالعدول عند استخراجها، و ندب الناس إلى مواراته، و بايع يومه ذلك أبا فارس عبد العزيز وارث ملك أبيه السلطان أبي الحسن، المنفرد به، و خاطب الجهات بدعوته، و هو صبيّ ظاهر النبل و الإدراك، مشهور الصّون، و أعمل الحيلة لأول أمره، على هذا الوزير مخيف أريكه ملكه، و مظنة البدا في أمره، فطوّقه الحمام و استأصل ما زراه من مال و ذخيرة، شكر الله على الدولة صنيعة، و في ذلك يقول: [الطويل]

لقد كان كالحجاج في فتكاته تحاذره البراء دوما و تخشاه

تغذى به عبد العزيز مبادراو عاجله من قبل أن يتعشاه

و كان بعده وليه الحق و نصيره لا إله إلا هو. و هو اليوم ملك المغرب، مزاحما بابن أخيه، السلطان أبي سالم، المعقود البيعة بمزّاكش و ما إليها، جمع الله شتات الإسلام، و رفع عن البلاد و العباد مضرة الفتنة.

و بتلمسان السلطان أبو حمو موسى ابن الأمير أبي يعقوب يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيّان. حسبما كان في الدولة الأولى، متفقها منه على خلال الكرم و الحزم، مضطلعا بأمره و القيام على ما بيده.

و بتونس، الأمير أبو سالم إبراهيم ابن الأمير أبي يحيى بن أبي حفص، حسبما تقدم ذكره.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢١

و من ملوك النصارى:

فبقشتالة سلطانها المتقدم الذكر في الدولة الأولى، بطره ابن السلطان ألهنش بن هراندة بن شانجه بن ألهنش بن هراندة، متأكدة بينهما السلم الجمّة، و الهدنة المبرمة، بما سلف من مظاهرتة إياه، و الحرص على ما استحانه من المغرب في أسطوله، و بعثه إليه برأس عدوّه المتوتّب على ملكه، و رؤوس أشياعه، الظالمين الغدره، و أتباعه الفجرة، مستمرّة أيامه إلى وسط شعبان عام سبعة و ستين، صارفا وجهه إلى محاربة صاحب برجلونه، مستوليا على كثير من قواعده الشهيرة، و قلاع المنيعه، لما أسلفه به من إجازته، أخيه أندريق المدعوّ بالقند، و مظاهرتة حتى ساءت أحواله و أحوال عدوّه، و أوهنت الحركات قوى جيشه، و أضعف الاحتشاد عمرة أرضه، و اشربّت القلوب إلى الانحراف عن دعوته، و مالت النفوس إلى أخيه، و قامت البلاد بدعوته، و تلاحقت الوجوه بجهته، و رام التمسك بإشبيلية دار ملكه، فثار أهلها به في عام سبعة و ستين. فخرج فارّا عنها... به و السلاح بهشّ إليه، و بعد أن استظهر بخويصته، و أحمل ما قدر عليه من ذخيرة، و رفع من له من ولد و حرمة، رأى سخنة العين من انتهاب قصوره، و تشعيث منازلها، و عياث الأيدي في خزائنه، و أسمعته الناس من محض التأييب و أعراض الشّمات، ما لا مزيد عليه، و لاذ بصاحب برتغال، فنأى عنه جانبه لما يجنيه أبواه من مخالفة رأى الأُمّية فيه، فقصد بلاد غليسيه، و تلاحق أخوه أندريق بحضرة إشبيلية، فاستوى على الملك و طاعت لأمره البلاد، و عاجله المسلمون لأول أمره، فاستولوا على كثير من الثغور، و الحمد لله.

و لما توسّد له الأمر تحوّل لاستئصال شأفة المخلوع، فأجلى عن غليسيه في البحر، و استقرّ ببلد بيونة، ممّا وراء دروب قشتالة، و انتبذ

عن الخطّة القشتالية و أمر نفسه، و لجأ إلى ابن صاحب الأنتكيرة ، و هو المعروف بيرقسين أبي الأمير، و بين أول أرضه و بين قشتالة؛ ثمانية أيام، فقبله ولد السلطان المذكور، الساكن بأول ما تلقاه من تلك الأرض، و سفر بينه و بين أبيه فأنكر الأب استئذانه إياه، و المراجعة في نصره، حمية له، و امتعاضا للواقع. و حال هذه الأمة غريبة في الحماية الممزوجة بالوفاء و الرقة، و الاستهانة بالنفوس في سبيل الحمد، و بين يدى العشائق، عادة العرب الأول. و أخبارهم في القتال غريبة، من الاسترجال و الزحف على الأقدام، أميرهم و مأمورهم، و الجثو في الأرض، أو دفن ببعض الأرض في التراب، و الاستظهار في

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٢

حال المحاربة ببعض الألحان المهيجّة، و رماتهم قسيهم غريبة جافية، و كلهم في دروع، و الإحجام عندهم، و التقهقر مقدار الشبر ذنب عظيم، و عار شنيع، و رماتهم يثبتون للخيل في الطراد، و حالهم في باب التحليّ بالجواهر، و كثرة آلات الفضة، غريب. و بعد انقضاء سبعة عشر يوما كان رجوعه و رجوع البرنس المذكور معه مصاحبا بأمر كثيرين من خترانه و قرابته، و بعد أن أسلفوه مالا كثيرا، و اختص منه صاحب الأنتكيرة، بمائتي ألف دينار من الذهب إلى ما اختص به غيره، و ارتهنوا فيه ولده و ذخيرته. و كان ينفق على نفسه و جيشه بحسب دينار واحد من الذهب للفارس في ثلاثة أيام. و كان تأليف الجيوش في بنبلونة في أزيد من ثلاثين ألفا، و عسر عليهم المجاز على فحص أحدونيه، لبلاد تمسك لطاعة القند أخيه؛ فصالح القوم صاحب نبارّه على الإفراج لهم، و نزلت المحلات في فحص نبارّه، ما بين حدود أرض نبارّه و قشتالة، و نزل المتصير إليه أمر قشتاله، القند بإزائها في جموع لم تنتظم لمثله، إلّا أنه لشهامته و اغتراره، أجاز خندقا كان بين يديه، و عبر جسرا نشب فيه عند الجولة. و كان اللقاء بين الفريقين يوم السبت سادس إبريل العجمي، و بموافقة شعبان من عام ثمانية و ستين. و كان هذا الجمع الإفرنجي الآتي من الأرض الكبيرة في صفوف ثلاثة، مرتبة بعضها خلف بعض، ليس فيهم فارس واحد، إنما هم رجاله، سواء أميرهم و مأمورهم، في أيديهم عصي جافية في غلظ المعاصم؛ يشرعونها أمامهم، بعد إثبات زجاجها فيما خلفهم من الأرض، يستقبلون منها وجوه عدوهم، و نحور خيله، و يجعلونها دعائم و تكآت لبناء مصافهم، فلم تقلقهم المحلات، و بين أيديهم من الزمات الناشئة الدارعة، ما لا يحصيهم إلّا الله عزّ و جلّ. و سايرهم السلطان، مستدعي نصرهم راجلا- أميالا برأيهم؛ إلى أن أعيأ بعد ميلين منها فأركبوه بغلة حملوه بينهم عليها، إلى موقف اللقاء و القند، و كان على مقدمة القوم الدك أخو البرنس، و البرنس مع السلطان مستجيره في القلب، و القند المعروف بقند أرمانيان، و كثير من الأمراء؛ ردى و سيفه دونهم، و من خلف الجميع الخيل بجنبها ساستهم و غلمانهم و خدامهم، و وراءها دوابّ الظهر و أبغالهم، و في أثناء هذه العبيّة من البنود و آلات الحرب و الطرب و الأبواق ما يطول ذكره. و كان في مقدمة القند المستأثر بملك قشتالة؛ أخوه شانجه في رجل قشتالة، قد ملأ السهل و الجبل، و من خلفهم أولو

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٣

الخيل الجافية القبيلية، المسبغة الدروع، من رأس إلى حافر، في نحو ألف و خمسمائة، و في القلب أخوه الآخر دنطية في جمهور الرّعماء و الفرسان و الدّرق، و هو الأ-كثر من رجال الجيش اليوم، و من ورائهم السلطان أندريق في لفيق من الناس. و لما حمل بعضهم على بعض أقدم رماء الفرنج، ثقة بدروعهم، فعظم أثرهم فيمن بإزائهم من رماء عدوهم و رجالهم، لكونهم كشفاء، فكشفوا إياهم.

و حملت خيل قشتالة الدارعة، فزحزت كزّ المصافّ الإفرنجي، و اتصلت الحرب بالبرنس، و هو مطلق عليهم في ربوة، فصاح بهم بحيث أسمع، و تناول شيئا من التراب فاستفه، و كسر ثلاث عصبي، و فعل من معه مثل فعله، و هي عادتهم عند الغضب، و علامة الإقدام الذي لا نکوص بعده. و وجه إلى أخيه في المقدمة، يقول له: إن وجدت في نفسك ضعفا، فاذا ذكر أنك ولد صاحب الأنتكيرة. و حمل الكلّ حملة رجل واحد، فلم تجد الخيل الدارعة سييلا، و قامت في نحورها تلك الأسنّة، فولّوا منهزمين.

و لما رأى القند هزيمة أخيه، تقدّم بنفسه بمن معه من مدد الأمة الرّغونية، و هو ينادي: يا أهل قشتالة، يا موالى، إياكم و العار، ها

أندا، فلم يثبت أمره، و تراجع فله. فعند ذلك فرّ في أربعة من أولى ثقته، و استولى القتل و الأسر على خاصّته، و تردّى المنهزمون في الوادى خلفهم، فكان ذلك أعون الأسباب على هلكهم، فأناف عدد من هلك في هذه الواقعة، حسبما اشتهر، خمسين ألفا. و امتلأت أيدي هذه الأمة من الأسلحة و الأموال و الأمتعة و الأسرى الذين يفادونهم بمال عظيم، و اتصل القند المنهزم بأرض رعون، ثم نجم من البلاد الفرنسية، و دخل أخوه بهذه الأمة أوائل البلاد معترفا بحميد سعيهم، و عزيز نصرهم، و قد رابه استيلاؤهم، و أوجسه تغلبهم، و ساءه في الأرض الرّعادة عياثهم فاستأذّنهم في اللّحوق بقواعد أرضه، و قبض الأموال التي تجبى منها نفقاتهم، و قبض منها ديونهم قبله. و حتّ السّير، فوصل طليطلّة، لا يصدّق بالنجاة، و خاطب السلطان المترجم به، و قدر ودّه، و حدّره سورة هذه الأمة التي فاض بحرّها و أعيأ أمرها، و أنهى إليه شرّها، و شره إلى استئصال المسلمين، و حدّ له مواعدها التي جعلت لذلك. و وصل إشبيلية؛ و انثالت البلاد عليه، و عادت الإيالة إلى حكمه، ثم شرع في جعل الضرائب، و فرض الأموال، و أخاف الناس بالطلب و التّبعات، فعاد نفورهم عنه جزعا، و امتنعوا من الغرم، و طردوا العمّال، و أحسّ

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٤

بالشّر، فتحصّن بإشبيلية و جهاتها على نفسه، و طال على الأمة الواصلة في سبيل نصره الأمر. فرجعت إلى بلادها، و وقيت نفرة الفرسان، و أولى الأتباع، و أظهرها الخلاف، و كشفت جيّان وجهها في خلعانه، و الرجوع إلى دعوة أخيه المتصرّف، فتحرك إليها السلطان المترجم به، بعد أن احتشد المسلمين، فكان من دخولها عنوة، و استباحة المسلمين إياها و تخريبها، ما هو مذكور في موضعه. ثم ألحقت بها مدينة أيّدة، الذاهبة في مخالفة مذاهبها و الحمد لله. و خالفت عليه قرطبة، و استقرّ بها من الكبار جملة، كاتبوا أخاه، و استعجلوا، فتعرّف في هذه الأيام، أنه قد بلغ أرض برغش، و نار الفتنة بينهم، و يد الإسلام لهذا العهد، و المنية لله، و حده غالبه. و إنما مددنا القول في ذكر هذه الأحوال الرّومية، لغرابه تاريخها، و ليستشعر الحذر، و يؤخذ من الأمة المذكورة و غيرها، و الله وليّ نصر المؤمنين بفضله.

و بأرض رعون سلطانها الكائن على الدولة الأولى.

بعض مناقب الدولة لهذا العهد:

و أولا ما يرجع إلى مناقب الحلم و الكظم من مآزق الجهاد الأكبر، و هو جهاد النفس. فمن ذلك أن السلطان لما جرت الحادثة، و عظه التمحيص، و ألجا إلى وادى آش، لا يملك إلّا نفسه في خبر طويل، بادر إلى مخاطبة ثقته بقصبة المريّة، قلعة الملك، و مظنة الامتناع، و مهاد السّلام، و مخزن الجباية و العدة، و قد أصبح محلّ استقراره، بينها، و بين المنترى سدا، و بيعة أهلها لم ينسخ الشرع منها حكما يناشده الله في رمقه، و يتملّقه في رعي ذمّته، و الوفاء له، و إبراء غربته، و تمسّكه من أمانته، فردّ عليه أسوأ الردّ، و سجن رسوله في المطبق، و خرج منها لعدوّه، و ناصح بعد في البغي عليه. فلما ردّ الله الأمر، و جبر الحق، أعتب و أجرى عليه الرّزق. و لما ثار في الدولة الثانية الدليل البركي، هاتفا بالدعوة لبعض القرابة، و أكذبه الله، و عقّه الشيطان بعد نشر راية الخلاف، و جعل للدولة، علوّ اليد، و حسن العاقبة، و تمكّن من المذكور، أبقى عليه، و غلب حكم المصلحة العامة في استحيائه، و هو من مغربات الحلم المبني على أساس الدين، و ابتغاء وجه الله.

و لما أجلي عن الترشيح من القرابة، بعد تقرب التهمة، و غمس الأيدي في المعصية، صرفوا إلى المغرب صرف العافية، و أجرى على من تخلفوه عوائد

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٥

الأرزاق، و مرافق المواسم، و وعد ضعفاءهم بالإرفاد، و تجوفى عمّا يرجع للجميع من عقار و رباغ، و أسعفت آمالهم في لحاق ذويهم من أهل و ولد.

و ممّا يرجع إلى عوائد الرّفق، و مرافق العدل من مأزق في جهاد النفس، و قوف و كيل الدولة، مع من يجاور مستخلص السلطان من العامرين و مما ولى الفلاحه، و قد ادّعوا أضراراً، يجزّه الحوار بين يدي القاضي بالحضرة، حتى بعد منقطع الحق، على ما يخصّ السلطان من الأصول التي جرّها الميراث عن كريم السلف. و لا كفضية التاجر المعروف بالحاج اللباس، من أهل مدينة وادي آش، و قد تحصّلت في داره، من قبل التاجر المذكور جارية من بنات الروم، في سبيل تفوّت الذّم، و مستهلك المتولات، و ترقت إلى تربية ولده، و أصبحت بعض الأظار لأمرائه، و اتّصل بها كلفه، و زاد هيمنانه، و غشى مدافن الصّالحين من أجلها، و أنهيت إليه خبره و بثّه، و قرّرت عنده شجوه، و ألمعت بما ينقل في هذا الباب عن الملوك قبله، فبادر إلى إخراجها من القصر بنفسه، و انتزاعها من أيدي الغبطة، انتزاع القهر، بحاله في جميل الرّي، فمكنت منها يد عاشقها الدّاهل، و قد خفّت نفسه، و سكن حسّه، و كاد لقاؤه إياها أن يقضى عليه. و نظائر هذا الباب متعددة.

و من مواقف الصّدق و الإحسان من خارق جهاد النفس، بناء المارستان الأعظم، حسنة هذه التحوّم القصوى، و مزيّة المدينة الفضلى. لم يهتد إليه غيره من الفتح الأول، مع توفّر الضرورة، و ظهور الحاجة، فأغرى به همّة الدّين، و نفس التقوى، فأبرزه موقف الأخدان، و رحلة الأندلس، و فذلكه الحسنات، فخامة بيت، و تعدّد مساكن، و رحب ساحة، و درور مياه، و صحّة هواء، و تعدّد خزائن و متوسّات، و انطلاق جريته، و حسن ترتيب، أبرّ على مارستان مصر، بالسّاحة العريضة، و الأهوية الطّيبة، و تدفّق المياه من فورات المرمّل، و أسود الصخر، و تموج البحر، و انسداد الأشجار، إلى موافقة إباي، و تسويغه ما اخترعته بإذنه، و أجرته بطيب نفسه، من اتخاذ المدرسة و الزاوية، و تعيين التّربة، مغيرا في ذلك كله على مقاصد

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٦

الملوك، نقشا عليه، بطيب اسمه في المزيد، و تخليد في الجدران للدّكر، و صونا للمدافن غير المعتادة، في قلب بلده بالمقاصر و الأصونه، و ترتيب التلاوة، آناء الليل، و أطراف النهار. و كل ذلك إنما ينسب إلى صدقاته، و علوّ همّته. و يشهد بما يتّبه الحسّ إلى المنقبة العظمى، في هذا الباب، من إمداد جبل الفتح، مع كونه في إيالة غيره، و خارج عن ملكه حكمه، و ما كان من إعانته، و سدّ ثغره، فانهار إليه على خطر السّرى، و الظهر البعيد المسعى، ما ملأ الأهواء، و قطع طمع العداة، أنفقت عليه الأموال، ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبه أولى القوه، بودر بذلك، بين يدي التفاؤل، بنزول العدو إياه، فكان الكرى على إيصال الطعام إليه، بحساب درهم واحد و ربع درهم للزّطل من الطعام، منفعه فده، و حسنة كبرى، و بدعا من بدع الفتوى.

و في موقف الاستعداد لعدوّ الإسلام، من خارق جهاد النفس، إطلاق البنى، للمدّة القريبه، و الزمان الضيق، باثنين و عشرين ثغرا من البلاد المجاورة للعدوّ، و المشتركة الحدود، مع أراضيّه، المترامية النيران لقرب جوابه، منها ثغر أرجدونه، المستولى عليه الخراب، أنفق في تجديد قصبته؛ و اتخاذ جبّه، ما يناهز عشرين ألفا من الذهب، فهو اليوم شجى العدو، و معتصم المسلمين، و حصن أشر، و ما كان من تحصين جبله بالأسوار و الأبراج، على بعد أقطاره، و اتخاذ جباب الماء به، و احتفار السانية الهائلة بربضه، ترك بها من الآثار ما يشهد بالقوه لله، و العناية بالإسلام. ثم ختم ذلك بنديد حصن الحمراء، رأس الحضرة، و معقل الإسلام، و مفرع الملك، و معقد الأيدي، و صوان المال و الدّخيرة، بعد أن صار قاعا صفصفا، و خرابا بلقعا، فهو اليوم عروس يجلى المهضوب، و يغازل الشهب، سكن لمكانه الإرجاف، و ذوت نجوم الأطماع، و نقل إليه مال الجباية، المتفضّل لهذا العهد، بحسب التدبير، و نفد الخراج، و صون الألقاب، و قمع الخزانة بما لم يتقدّم به عهد، من ثمانين سنه، و الحمد لله، و تجديد أساطيل الإسلام، و إزاحة علل جيوش المرج، و عساكر البحر، فهي لهذا العهد، ملس الأديم، شارع الشّبا، منقّضة جفاتها إلى مساواة الأعداء، راكبة ظهور المحاسن، قلقه الموافق، قدما إلى الجهاد، قد تعدّد إغزاؤها، و جاست

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٧

البحر سوابحها، و تعرّفت بركنها، و الحمد لله، و أنصاب جيش الجهاد، استغرق الشهور المستقبله، لرود الصفرء و البيضاء الأهله إلى

أكفّ أهلها، على الدوام، بعد أن كانت يتحيفها المطل، و ينقصها المطال، و الحمد لله.

و فى مواقف الجهاد الحشّى، و بيع النفوس من الله، و هو ثمرة الجهاد الأول، ما لا يحتاج عليه إلى دليل، من الجوف إلى حصن أشبر، قبل الثغر، و الجراح المطل على الإسلام، و العزم على افتتاحه، و قد غاب الناس من مساورته، و أعيا عليهم فتحه، فلزمه السلطان بنفسه، بياض يوم القيظ، محرّضا للمقاتلة، مواسيا لهم، خالطا نفسه بالمستنفرة، يصابر لهيب النار، و وقع السلاح، و تعميم الدخان، مفديا للكلمات، محرّضا لذوى الجراح، مباشرة الصلاة على الشهداء، إلى أن فتحه الله على يده، بعزمه و صبره، فباشر رمّ سوره بيده، و تحصين عورته بنفسه، ينقل إليه الصخر، و ينال الطين، و يخالط الفعل، لقرب محلّ الطاغية، و توقع المفاجأة. ثم كان هذا العمل قانونا مطّردا فى غيره، و ديدنا فى سواه، حسبما نذكر فى باب الجهاد.

و فى باب النصيحة للمسلمين من مآزق الجهاد الأكبر، ما صدر فى هذه الدولة، من مخاطبة الكافة، بلسان الأمر بالمعروف، و النهى عن المنكر، صدعت بذلك الخطباء من فوق أعواد المنابر، و أسمعت آذان المحافل، ما لم يتقدم به عهد فى الزمان الغابر. نص الكتاب: و لما صحت الأخبار بخروج الأمة الإفرنسية إلى استئصال هذه البقية، و الله متمّ نوره، و لو كره الكافرون، صدر من مخاطبة الجمهور فى باب التحريض بما نصّه:

«من أمير المسلمين عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبى الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبى الوليد نصر، أيده الله و نصره، و أوى أمره، و خلّد مآثره، إلى أوليائنا الذين نوقظ من الغفلة أحلامهم، و ندعوهم لما يطهر من الارتياب إيمانهم، و يخلص لله أسرارهم و إعلانهم، يرثى لعدم إحسانهم، و خيبة قياسهم، و يغار من استيلاء الغفلات على أنواعهم و أجناسهم، و نسأل الله لهم و لنا إقالة العثرات، و تخفيض الشدائد المعتورات، و كفّ أكفّ العوادي المبتدرات. إلى أهل فلانة، دافع الله عن فتنهم الغريبة، و عزّفهم فى الدرارى و الحرم عوارف اللطائف القريبة، و تداركهم بالصنائع العجيبة، سلام عليكم أجمعين، و رحمة الله و بركاته.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٨

أما بعد حمد الله الذى لا شريك به أحدا، و لا نجد من دونه ملتجدا، مبتلى قلوب المؤمنين أيها أقوى جلداء، و أبعد فى الصبر مدى، ليزيد الذين اهتدوا هدى، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الذى أنقذ من الردى، و تكفل الشفاعة لمن غدا، ضاربا هام العدا، و مجاهدا من اتخذ مع الله ولدا، و الرضى عن آله الذين كانوا لسماء ملته عمدا، فلم ترعهم الكتائب الوافرة و كانوا لهم أقل عددا، و لا هالتهم أمم الكفر و إن كانت أظهر جمعا و أكثر عددا، صلاة لا تنقطع أبدا، و رضى لا يبلغ مدى. فإننا كتبنا إليكم، كتبكم الله فيمن امتلأ قلبه غضبا لأعدائه و حمية، و رمى بفكره غرض السداد، فلم يخط منه هدفا و لا رمية. و قد اتصل بنا الخبر الذى يوجب نصح الإسلام، و رعى الجوار و الدمام، و ما جعل الله تعالى للمأموم على الإمام، فوجب علينا إيقاظكم من مراقدم المستغرقة، و جمع أهوائكم المفترقة، و تهيبكم إلى مصادمة الشدائد المرعدة المبرقة، و هو أنّ كبير النصرانية، الذى إليه ينقادون، و فى مرضاته يصادقون و يعادون، و عند رؤية صليبه يكون و يسجدون، لما رأى الفتن قد أكلتهم خضما و قضما، و أوسعتهم هضما فلم تبق لهم عسبا و لا- عظما، و نثرت ما كان نظاما، أعمل نظره فيما يجمع منهم ما افترق، و يرفع ما طرق، و يرفو ما مزق الشّتات و خرق، فرمى الإسلام بأمة عددها كالقطر المتثال، و الجراد الذى تضرب به الأمثال، و عاهدهم و قد حضر التمثال، و أمرهم و شأنهم الامتثال، أن يدمنوا لمن ارتضاه الطاعة، و يجمعوا من ملته الجماعة، و يطلع الكلّ على هذه الفئة القليلة الغريبة بغته كقيام الساعة، و أقطعهم، قطع الله بهم، العباد و البلاد، و الطارف و التلاد، و سوغهم الحريم المستضعف و الأولاد، و بالله نستدفع ما لا نطقه، و منه نسأل عادة الفرج، فما سدّت لديه طريقة، إلّا أنا رأينا غفلة الناس مع

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٩

تصميمهم مؤذنة بالبور، و أشفقنا للذين من وراء البحار، و قد أصبح معظمهم فى لهوات الكفار، و أردنا أن نهزهم بالموعظة التى تكحل البصائر بميل الاستبصار، و تلهمكم الاستنصار بالله عند عدم الانتصار، فإن جبر الله الخواطر بالضراعة إليه، و الانكسار، و نسخ

الإعسار بالإيسار، و أنجد اليمين بانتهاه اليسار، و إلا فقد تعين في الدنيا و الآخرة حظّ الخسار، فإنّ من ظهر عليه عدوّ دينه ، و هو عن الله مصروف، و بالباطل مشغوف، و بغير العرف معروف، و على الحطام المسلوب ملهوف ، فقد تله الشيطان للجبين، و خسر الدنيا و الآخرة، و ذلك هو الخسران المبين. و من نفذ فيه قدر الله عن أداء الواجب و بذل المجهود، و آجر بالعبودية وجه الواحد الأحد المعبود، و وطن النفس عن الشهوات الموبقة في دار الخلود، العائدة بالحياة الدائمة و الوجود، أو الظهور على عدوّه المحشور إليه المحشود ، صبرا على المقام المحمود، و بيعا تكون الملائكة فيه من الشهود، حتى تعيث يد الله في ذلك البناء المهذوم، بقوة الله المحمود، و السواد الأعظم الممدود، كان على أمر ربّه بالحياة المردود: قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَ نَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ (٥٢) . فالله الله في الهمم، فقد خبت ريحها. و الله الله في العقائد، فقد خفتت مصاييحها. و الله الله في الرجولة ، فقد فلّ حدّها. و الله الله في الغيرة، فقد نعس جدّها، و الله الله في الدين، فقد طمع

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٠

العدوّ في تحويله. و الله الله في الحريم، فقد مدّ إلى استرقاقه يد تأميله. و الله الله في المساكن التي زحف لسكناها، و الله الله في الملة التي يريد إطفاء نورها و سناها ، و قد كمل فضلها و تناهى، و الله الله في القرآن العظيم . و الله الله في الجيران. و الله الله في الطّارف و التّالد، و الله الله في الوطن الذي توارثه الولد عن الوالد. اليوم تستأسد النفوس المهينة، اليوم يستنزل الصبر و السكينة. اليوم تحتاج الهمم أن ترعى هذه النفوس الكريمة الذّمم، اليوم يسلك سبيل العزم و الحزم و الشدة و الشّمم، اليوم يرجع إلى الله تعالى المصرون، اليوم يفيق من نومه الغافلون و المغترون، قبل أن يتفاقم الهول، و يحقّ القول، و يسدّ الباب، و يحيق العذاب، و يسترق بالكفر و الرقاب، فالنساء تقى بأنفسهنّ أولادهنّ الصغار، و الطيور ترفرف لتحمى الأوكار ، إذا أحست العياث بأفراخها و الإضرار. تمرّ الأيام عليكم مرّ السحاب، و ذهاب الليالي لكم ذهاب، فلا خبر يفضى إلى العين، و لا حديث في الله تعالى يسمع بين اثنين، و لا كدّ إلا لزينه يحلّى بها نحر و جيد، و لا-سعى إلا في متاع لا يغنى في الشدائد و لا يفيد. و بالأمس ندبتم إلى التماس رحمة أو رضى مسخر السحاب، و استقاله كاشف العذاب، و سؤال مرسل الدّيمة، و محيي البشر و البهيمه، و قد أمسكت عنكم رحمة السماء؛ و اغبرت جوانبكم المخضرة احتياجا إلى بلالة الماء و في السماء رزقكم و ما تؤعدون (٢٢) و إليها الأكفّ تمدون، و أبوابها بالدعاء تقصدون، فلم يصحر منكم عدد معتبر، و لا-ظهر للإنابة و لا-للصدقة خير، و توقون عن إعادة الرغبة إلى الغنى الحميد، و الولي الذي إن يشأ يذهبكم و يأت بخلق جديد .

و أيم الله لو كان لهوا لارتقتب الساعات، و ضاقت المتسعّات، و تراحمت على جماله و غصّت الجماعات . أ تعزّزا على الله و هو القوى العزيز؟ و تليسا على الله و هو

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣١

الذي يميّز الخبيث من الطيب و الشبه من الإبريز؟ أ منابذة و النواصي بيده؟ أغرورا في الشدائد بالأمل و الرجوع بعد إليه؟. من يبدأ الخلق ثم يعيده؟ ثم ينزل الرزق و يفيدته؟ من يرجع إليه في الملمات؟ من يرجي في الشدائد و الأزمات؟ من يوجد في المحيا و الممات؟ أفى الله شكّ يختلج القلوب؟ أم غير الله يدفع المكروه، و ييسّر المطلوب؟ تفضلون على اللجا إليه في الشدائد، بواسم الجهل ، و ثرة الأهل و طائفه منكم قد برزت إلى استسقاء رحمته، تمدّ إليه الأيدي و الرقاب، و تستكشف بالخضوع لعزته العقاب، و تستعجل إلى مواعد إجابته الارتقاب، و كأنكم أنتم عن كرمه قد استغنيتم، أو على الامتناع من الرجوع إليه بنيتم. أما تعلمون كيف كان نبيكم صلوات الله و سلامه عليه من التبليغ باليسير، و الاستعداد إلى دار الرحيل الحقّ و المسير، و مداومة الجوع، و هجر الهجوع، و العمل على الإياب إلى الله و الرجوع؛ دخلت عليه فاطمة، رضى الله عنها، و بيدها كسرة شعير، فقال: ما هذه يا فاطمة؟ فقالت: يا رسول الله، خبزت قرصه، و أحببت أن تأكل منها.

فقال: يا فاطمة، أما أنه أول طعام دخل جوف أبيك منذ ثلاث؟ و كان صلى الله عليه و سلم يستغفر في اليوم سبعين مرّة، يلتمس

رحماه، و يقوم و هو المغفور له ما تقدّم من ذنبه و ما تأخّر، حتى تورّمت قدماه، و كان شأنه الجهاد، و دأبه الجدّ و الاجتهاد، و مواقف صبره تعرفها الرّبي و الوهاد. فإذا لم تقتدوا به فبمن تقتدون؟ و إذا لم تهتدوا بهديه فبمن تهتدون؟ و إذا لم ترضوه بأبّاعكم فكيف تعتزون إليه و تنتسبون؟ و إذا لم ترغبوا في الاتّصاف بصفاته غضبا لله تعالى و جهادا، و تقللا- من العرض الأدنى و سهادا، فبمن ترغبون؟ فابتروا حبال الآمال، فكلّ آت قريب، و اعتبروا بمثلات ما دهم من تقدم من أهل البلاد و القواعد، فذهولكم عنها غريب، و تفكّروا في منابرها التي كان يعلوها واعظ أو خطيب، و مطيل و مطيب، و مساجدها المتعدّدة الصفوف، و الجماعات

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٢

المعمورة بأنواع الطّاعات، و كيف أخذ الله فيها بذنب المترفين من دونهم، و عاقب الجمهور بما أغمضوا عيونهم، و ساءت بالغفلة عن الله عقبي جميعهم، و ذهبت النقمات بعاصيهم، و من داهن في أمره من مطيعهم، و أصبحت مساجدهم مناصب للصلبان، و استبدلت ما ذنهم بالنواقيس من الأذان. هذا و الناس ناس، و الزمان زمان.

فما هذه الغفلة عن من إليه الرّجعي و إليه المصير؟ و إلى متى التّساهل في حقوقه و هو السميع البصير؟ و حتى متى مدّ الأمل في الزمن القصير؟ و إلى متى نسيان اللّجأ إلى الولي النصير؟ قد تداعت الصلبان مجلبة عليكم، و تحرّكت الطواغيت من كلّ جهة إليكم. أفيخذلكم الشيطان و كتاب الله قائم فيكم؟ و ألسنة الآيات تناديكم؟ لم تمنح سطورها، و لا احتجب نورها، و أنتم بقايا من افتتحها من عدد قليل، و صابر فيها كلّ خطب جليل، فوالله لو تمخّض الإيمان، و رضى الرحمن، ما ظهر التثليث في هذه الجزيرة على التوحيد، و لا عدم الإسلام فيها عزم التأييد. و لكن شمل الداء، و صمّ النداء، و عميت الأبصار، فكيف الاهتداء و الباب مفتوح، و الفضل ممنوح؟ فتعالوا نستغفر الله جميعا، فهو الغفور الرحيم، و نستقبل مقيل العثرات، فهو الرّؤوف الحليم، و نصرف الوجوه إلى الاعتراف بما قدّمت أيدينا، فقبول المعاذير من شأن الكريم. سدّت الأبواب، و ضعفت الأسباب، و انقطعت الآمال إلّا منك يا كريم، يا فتاح، يا وهّاب يا أيّها الذين آمنوا إنّ تنصّروا الله ينصركم و يُثبت أقدامكم (٧) يا أيّها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلوّنكم من الكفار و ليجدوا فيكم غلظةً و اعلموا أنّ الله مع المتّقين (١٢٣) و لا تهنوا و لا تحزنوا و أنتم الأعلون إنّ كنتم مؤمنين (١٣٩) يا أيّها الذين آمنوا اصبروا و صابروا و رابطوا و اتّقوا الله لعلّكم تُفلحون (٢٠٠). أعدّوا الخيل و ارتبطوها، و روضوا النفوس على الشهادة و اغبطوها، فمن خاف الموت رضى بالديّة، و لا بدّ على كلّ حال من المتيّة، و الحياة مع الذلّ ليست من شيم أهل العقول و النفوس السّيئة، و اقتنوا السلاح و العدّة، و تعرّفوا إلى الله في الرّخاء يعرفكم في الشدّة، و استشعروا القوّة بالله تعالى على أعدائه و أعدائكم، و استميتوا من دون أبنائكم، و كونوا كالبنين المرصوص

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٣

لحملات العدو النازل بفنائكم، و حطّوا بالتعويل على الله وحدة بلادكم، و اشتروا من الله جلّ جلاله أبناءكم. ذكروا أنّ امرأة احتمل السبع ولدها، و شكت إلى بعض الصالحين، فأشار عليها بالصدقة فتصدّقت برغيف، فأطلق السبع ولدها. سمعت النداء: يا هذه، لقمه بلقمة، و إنّنا لما استودعناه لحافظون. اهجروا الشهوات، و استدركوا الباقيات من قبل الفوات، و أفضلوا لمساكنكم من الأقوات، و اخشعوا لما أنزل الله تعالى من الآيات، و خذوا نفوسكم بالصبر على الأزمات، و المواساة في المهمّات، و أيقظوا جفونكم من السّنات. و اعلموا أنّكم رضع ثدى كلمة التوحيد، و جيران البلد الغريب، و الدّين الوحيد، و حزب التمحيص، و نفر المرام العويص، فتفقّدوا معاملتكم مع الله تعالى، فمهما رأيتم الصّديق غالبا، و القلب للمولى الكريم مراقبا، و شهاب اليقين ثاقبا، فثقوا بعناية الله التي لا يغلبكم معها غالب، و لا ينالكم من أجلها عدوّ مطالب، و أنكم في الشتر الكثيف، و عصمه الخبير اللطيف. و مهما رأيتم الخواطر متبدّدة، و الظنون بالله متردّدة، و الجهات التي تخاف و ترجى متعدّدة، و الغفلة عن الله ملابسها متجدّدة، و عادة دواعي الخذلان دائمة، و أسواق الشهوات قائمة، و اعلموا أنّ الله منقذ فيكم وعده و وعيده في الأمم الغافلين، و أنكم قد ظلمتم أنفسكم و لا عدوان إلّا على الظالمين. و التوبة تردّ الشارد و الله يحبّ التّوابين، و يحبّ المتطهّرين، و هو القائل: إنّ الحسنة تذهب

السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ . و ما أقرب صلاح الأحوال، إذا صلحت العزائم، و توالى على حزب الشيطان الهزائم، و خملت الدنيا الدنية في العيون، و صدقت فيها عند الله الظنون:

حزب الشيطان الهزائم، و خملت الدنيا الدنية في العيون، و صدقت فيها عند الله الظنون:
يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٥) .

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٤

و ثوبوا سراعاً إلى طهارة القلوب، و إزالة الشوب، و اقصدوا أبواب غافر الذنوب و قابل التوب، و اعلموا أن سوء الأدب مع الله يفتح أبواب الشدائد، و يسد طريق العوائد، فلا تمطلوا بالتوبة أزمانكم، و لا تأمنوا مكر الله فتغشوا إيمانكم، و لا تعلقوا متابكم بالصيرائر، فهو علم السرائر، و إنما علينا معاشر الأولياء أن نصحكم و إن كنا أولى بالنصيحة، و نعتمدكم بالموعظة الصريحة، الصادرة - علم الله - عن صدق القريحة، و إن شار كناكم في الغفلة، فقد ناديناكم إلى الاسترجاع و الاستغفار، و إنما لكم لدنيا نفس مبدولة في جهاد الكفار، و تقدّم إلى ربكم العزيز الغفار، و تقدّم لديكم إلى مواقف الصير التي لا - ترتضى بتوفيق الله الفرار، و اجتهاد فيما يعود بالحسن و عقبى الدار، و الاختيار لله ولي الاختيار، و مصرف الأقدار. وها نحن نسرع في الخروج إلى مدافعة هذا العدو، و نفدى بنفوسنا البلاد و العباد، و الحریم المستضعف و الأولاد، و نصلى من دونهم نار الجلال، و نستوهب منكم الدعاء إلى من وعد بإجابته، و تقبل من صرف إليه وجه إنابته. اللهم كن لنا في هذا الانقطاع نصيراً، و على أعدائك ظهيراً، و من انتقام عبدة الأصنام مجيراً. اللهم قو من ضعفت حيلته، فأنت القوى المعين، و انصر من لا نصير له إلا أنت، إياك نعبد، و إياك نستعين.

اللهم ثبت أقدامنا و انصرنا عند تزلزل الأقدام، و لا تسلمنا عند لقاء عدو الإسلام، فقد ألقينا إليك يد الاستسلام. اللهم دافع بملأناككتك المسومين، [عمن ضيقت أرجاؤه، و انقطع إلا منك رجاءه. اللهم هتئ لضعفائنا، و كلنا ضعيف فقير، إليك، دليل بين يديك حقير، رحمة تروى بالأزمة و تشيع، و قوة تطرد و تستتبع. يا غلاب الغلاب، يا هازم الأحزاب، يا كريم العوائد، يا مفرج الشدائد، ربنا أفرغ علينا صبراً، و ثبت أقدامنا، و انصرنا على القوم الكافرين]. اللهم اجعلنا ممن تيقظ فتيقظ، و ذكر

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٥

فتذكر، و من قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاحشواهم فزادهم إيماناً و قالوا حسبي الله و نعم الوكيل (١٧٣) فأنقلبوا بنعمة من الله و فضل لم يمسسهم سوء و أتبعوا رضوان الله و الله ذو فضل عظيم (١٧٤). و قد وردت علينا المخاطبات من قبل إخواننا المسلمين الذين عرفنا في القديم و الحديث اجتهادهم، و شكرنا في ذات الله تعالى جهادهم، بنى مرين، أولى الامتعاض لله و الحمية، و المخصوصين بين القبائل الكريمة بهذه المزية، بعزمهم على الامتعاض لحق الجوار، و المصارخة التي تليق بالأحرار، و التفرقة لانتهاك دمار نبيهم المختار، و حركة سلطانهم محلل أخينا بمن له من الأولياء و الأنصار، إلى الإعانة على هؤلاء الكفار، و مدافعة أحزاب الشيطان و أهل النار، فاسألوا الله تعالى إعانتهم على هذا المقصد الكريم الآثار، و السعى الضمين للعز و الأجر و الفخار، و السلام الكريم يخصكم أيها الأولياء، و رحمة الله و بركاته. في الثاني عشر من شهر رمضان المعظم من عام سبع و ستين و سبعمائة. عرفنا الله خيره، صح هذا، فكان دفاع الله أقوى، و عصمته أكفى. و الحمد لله على عوائده الحسنى.

و من الغيرة على الدين، و تغير أحوال الملحدين، من مآزق جهاد النفس، ما وقع به العمل من إخماد البدع، و إذهاب الآراء المضلة، و الاشتداد على أهل الزيغ و الزندقة. و قد أضاقت أبواب هذه الأضاليل الشريعة، و سدّت مضرهم في الكافة، فيسلط عليهم الحكام، و استدعت الشهادات، و أخذهم التشريد، فهل تحس منهم أحداً، أو تسمع لهم ركزا؟

و قيّد في ذلك عنى مقالات أخرى. منها رسالة «الغيرة على أهل الحيرة»، و رسالة «حمل الجمهور على السنن المشهور». و رسالة «أنشدت على أهل الرد».

فارتفع الخوض، و كسدت تلك الأسواق الخبيثة، و صم منها الصيدي، و وضع نار الهدى، و الحمد لله، و لو تتبعت مناقب الهدى،

لأخرج ذلك عن الغرض.

الأحداث: و في غرة ذي الحجة كانت الثورة الشنعاء المجحفة بالدولة، و قد كان السلطان أنذر بطائفة، تداخل بعض القرابة، فعاجله بالقبض عليه، و هو في محل ولايته، فصعد و أحمل إلى قصبه المريّة، و خاف أرباب المكيدة افتضح الأمر، فتعجلوا إبراز الكامن، و إظهار الخبث، و تولّى ذلك جملة من بنى غرون ذنابي بيت

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٦

الإدبار، و قد عابهم من بنى مطرون، يدور أمرهم على الدليل البركي، فأكذب الله دعوتهم، بعد أن أركبوا الشيخ عليا بن نصر، و نصبوه تلقاء القلعة بباب البنود، و دعوا الناس إلى بيعته. و أخذ السلطان حذره، و ناصبهم القتال، و أشاع العطا، و استركب الجيش. و عمّر الأسوار، فأخفق القصد، و فرّ الدليل البركي، و تقبض على الرئيس المذكور، و جعل الله العاقبة الحسنة للسلطان.

و كان ممّا أملتته يومئذ بين يدي السلطان، من الكلام المرسل، ما هو نصه، بعد الصدر: و إلى هذا فمما أفادته الفطر السليمة، و الحلم و القضاء بالشرعية، و النقل الشرعي و السنن المرعى، أنّ مغالب الحق مغلوب، و مزاحم الله مهزوم، و مكابر البرهان بالجهل موسوم، و مرتع الغي مهجور، و سيف العدوان مفلول، و حظّ الشيطان موكوس، و حزب السلطان منصور. و لا خفاء بنعمة الله علينا، التي أطردنا في المواطن العديدة؛ و الهضبات البعيدة، و الشبهات غير الميينة، و الظلمات الكثيفة، معلى بوفور الحظّ من رحمته، و إبراز القداح في مجال كرامته، و الاختصاص بسيما اختياره، فجعل العصمة ليله الحادث علينا من دون مضجع أمانا، و نهج لنا سبيل النجاة بين يدي كسبه علينا، و سخر لنا ظهري الطريف و الطريق، بعد أن فرّق لنا بحر الليل، و أوضح لنا خفي المسلك، و عتيد لنا عاصي الحزم، و دمّت غمر الشعراء، و أوطأنا صهوة المنعة، و ضرب وجوه الشردمة المتبعة، بعد أن ركضوا قنيب البراذن البادئة، من خزائن إهدائنا، المتجملة بحلى ركبنا؛ و تحمّلوا السلاح و الزياش المختار من أثير صلاتنا، و أبهروا الأنفاس التي طال ما رفعها إيناسنا و أبلغها الريق تأميننا، و صبّوا العرق الذي أفضله طعامنا، شهين إلى دمننا، المحظور بالكتاب و السنّة، المحوط بسياج البيعة، المحصّن عنهم بتقديم النعمة، و حرمة الأب و متعدّد الأذمة، فجعل الله بيننا و بينهم حاجزا، و سدّ لياجوجهم من المردة مانعا، و انقلبوا يعصّون الأنامل الغضة من سريط جفاننا، و يقلمون الأكفّ التي أجدها الدهر، ترفيعا من المهن المترتبة في خدمتنا، قد حالهم صغار القدر، و ذلّ الخيبة، و كبح الله جماعتهم عن التنفق بتلك الوسيلة. و احتلنا قصبه وادي آش، لا نملك إلّا أنفسنا، لم يشبها غشّ الملة، و لا كيد الأمة، و لا دنسها و الحمد لله عار الفاحشة، و لا وسما السوم في الولاية، و لا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٧

أحبط عمل نجابتها دخل العقيدة، و لا مرض السريرة، مذ سلّمنا المقادة لمن عطف علينا القلوب، و صير إلينا ملك أينا من غير حول و لا حيلة، نرى أنّها أملك لحرمتنا، و أعلم بما كنّا، و أرحم بنا، فتشبت بها القدم، و حميت لنا من أهلها، رعاهم الله الهمم، و صدقت في الذبّ عنّا العزائم، و حاصرنا جيش العدو، و أولياء الشياطين، و ظهر الباطل، فبان الظفر و الاستقبال، و ظهرت الفته القليلة، و الله مع الصابرين، فغلبوا هناك و انقلبوا صاغرين. و مع ما لنا من الضيق، و أهمنا من الأمر، فلم نطلق به غارة، و لا شرهنا إلى تغيير نعمة، و لا سرّحنا عنّا اكتساح على هجمه، و لا شعنا لبسا في بيت و لا حلة، و أمسكنا الأرقام بيسير الحلال الذي اشتملته خزائنا من أعشار و زكوات، و حظوظ من زراعات، و ارتقينا الفرج ممّن محصّ بالشدة، و الإقالة ممن تبّه من الغفلة، و ألهم الإقلاع و التوبة. ثم وقفنا سبحانه، و ألهمنا من أمرنا رشدا، و سلك بنا طريقا في بحر الفتنة يبسا، فدناه بحقن الدماء، و تأمين الأرجاء، و شكرنا على البلاء؛ كشكرنا إياه على الآلاء. و خرجنا على الأندلس، و لقد كاد، لو لا عصمته، بأن نذهب مذاهب الزوراء، و نستأصل الشافة، و نستأصل العرصة، سبحانه ما أكمل صنعه، و أجمل علينا ستره، إلى أن جزنا البحر، و لحقنا بجوار سلطان المغرب. لم تنب عنّا عين، و لا شمشع علينا أنف، و لا حمل علينا بركب، و لا هتفت حولنا غاشية، و لا نزع عنّا للتقوى و العفاف ستر، بل كان الناس يوجبون لنا الحقّ الذي أغفله الأوغاد من أبناء دولتنا، و الصّ فادع ببركة نعمتنا، حتى إذا الناس عافوا الصّيحة، و تملّوا الحسرة، و سيموا الخسار و الخيبة، و

سامهم الطغام الذين يرجون لله وقارا، ولا- يألون لشعائره المعظمة احتقارا، كلاب الأطماع، وعبدة الطاغوت، ومدبر و حجون الجهل، و مياسيس أسواق البعد عن الرب، و عرائس محرم الزينة، و دود القز، و ثغار النهم الأعزّة على المؤمنين بالباطل، الأذلة في أنفسهم بالحق، ممن لا- يحسن المحاولة، و لا يلازم الصّيهوة، و لا يحمل السلاح، و لا ينزه مجتمع الحشمة عن الفحشاء، و لا يطعم المسكين، و لا يشعر بوجود الله، جاروا من شقيهم المحروم، على مضعوف ملتفّ في الحرم المحصور، محتف بلطف المهدي، معلل بالخداع، مسلوب الجرأة بأيدي انتهازهم، شؤم على الإسلام، و معرّة في وجه الدين، أخذ الله

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٨

منهم حقّ الشريعة، و أنصف أئمة الملة، فلم ينشبو أن تهاشوا، فعصّ بعضهم، و استأصلهم البغي، و أحم للسيف، و تفنن القتل، فمن بين مجدّل يوارى بأحلاس الدّواب الوبرة، و غريق يزفّ به إلى سوء الميته، و استبينت حرمة الله، و استتصيم الدّين، و استبيحت المحرّمات، و استبضعت الفروج في غير الرّشدة، و ساءت في عدوّ الدّين الحيلة، فتحرّكنا عن اتفاق من أرباب الفتيا، و عزم من أولى الحرّية، و تحريض من أولى الحفيظة و الهمة، و تداحر من الشوكّة، و تحريك من وراء البحر من الأمة، فكان ما قد علمتم من تسكين الثائرة و إشكا العديم، و إصمات الصارخ، و شعب الثأى، و معالجه البلوى، و تدارك القطر، و قد أشفى، و كشف الضرّ و البأساء، أما الجبوة فالتمسها، و جلّ الرّب، و استشاط عليها جوّ السماء. و أمّا مرافق البحر و مرافده، فسدت طرقها أساطيل الأعداء. و أما الحميّة، فبددها فساد السيرة، و غمط الحق، و تفضيل الأذى. و أمّا المال، فاصطلم السّفه بيضاء و صفراءه، و كبس خزائنه حتى وقع الإدقاع و الإعدام، و أقوى العامر، و افتقرت المجابى و المغابن، و اغتربت جفون السيوف من حلاها، و جردتموا الآلة إلى أعلاها، و الدّغل المستبطن الفاضح، و يمحض الحين، و أسلمت للدواء العرصة، و تحزّبت الثغور من غير مدافعة، و اكتسحت الجهات فلم يترك بها نافخ، و وقع القول، و حقّ البهت، و خذل الناصر، و تبرأت الأواصر، فحاكمنا العدو إلى التّصفه، و لم نقرّه على الدّية، و بايناه أحوج ما كُنّا إلى كدحه، و أطمع ما أصبحنا في مظاهرتة على الكفّار مثله، اعترازا بالله، و ثقّه به، و لجأ إليه، و توكلا عليه، سبحانه ما أبهر قدرته، و أسرع نصرته، و أوجى أمره، و أشدّ قهره. و ركبنا بحر الخطر، بجيش من التجربة، و نهدنا قدما، لا نهاب الهول و لا نراقبه، و أطلنا على أحواز ربه في الجمع القليل، إلّا من مدد الصّبر المفرد، إلّا من مظاهره الله الغفل، إلّا من زينة الحق المظلل جناح عقابه يجتاح الروح، تسدّ جياده بصهيل العزّ، المطالعة غرره بطليعة النصر. فلما أحسّ بنا المؤمنون المطهّرون بساحتهم انتروا من عقاب الإيالة الظالمة، و الدّعوة الفاجرة، و تبرأوا من الشّرذمة الغاوية، و الطائفة المناصبه لله المحاربة، و أقبلوا ثنيات و أفرادا، و زرافات و وحدانا، ينظرون بعيون لم ترو من غيبتنا، من محيا رحمة، و لا اكتحلت بمنظر رأفة، و وجوه عليها قسوة الخسف، و إبطار عليها بوس الجهد، يتعلّقون بأذيالنا تعلّق الغريق، يثنون من الجوع و الخوف أنين المرضى، و يجهبشون بالبكاء، و يعلنون لله و لنا بالشكوى، فعرفناهم الأمان من الأعداء، و أول عارفة جعلونا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٩

عليهم، و صرفنا وجه التّأمين و التّأسيس، و جميل الودّ إليهم، و خارطناهم الإجهاش و الرّقعة، و وثبنا لهم من الدّلة، و استولينا على دار الملك ببلدهم، فأنزلنا منها أخابيث كان الأشقياء مخلفوهم بها، من أخلاف لا يزال تطأ إبطارهم الحدود، و تأنف من استكفائهم اليهود، و انتالت علينا البلاد، و شمّر الطاغية ذيله عن الجهات، و راجع الإسلام رمق الحياة، و حثنا السير إلى دار الملك، و قد فرّ عنها الشقى الغاصب، بشوكه بغيه، التي أمدّته في الغي، و أجرته على حرمة الله. و قصد دار قشتاله، بكل ما صانت الحقائق من ذخيرة، و حجبت الأمهاء من خزره ثمينه، يتوعدون المسلمين بإداله الكفر من الإيمان، و اقتياد جيوش الصّلبان، و شدّ الحيازم إلى تبديل الأرض غير الأرض، و سوم الدّين، و طمس معالم الحق، كيادا لرسول الله في أمته، و مناصبه له في حنيفيته، و تبديلا لنعمة الله كفرا، و لمعروف الحقّ نكرا، أصبح له الناس على مثل الرّضف، يرتقبون إطلال الكريهة، و سقوط الظّلة، و عودة الكرّة، و عقبى المعرّة، و الله من ورائهم محيط، و بما يعملون محيط، و لدعاء المستضعفين من المؤمنين مجيب، و منهم و إن قعدوا في أقصى الأرض قريب. و لم

نقدم مذحللنا بدار الملك شيئا على مراسلة صاحب قشتالة في أمره، ناشده العهد، ونظري له الوفاء، و نناجزه إلى الحق، و نقوده إلى حسن التلطف، إلى الذي نشاء من الأمن، فحسم الداء، و اجتث الأعداء، و ناصح الإسلام و هو أعدا عدوه، و حزم الدين، و هو المعطل من أدوائه، و صارت صغرى عناية الله بنا، التي كانت العظمى، و اندرجت أولاهها في الأخرى، و أتت ركائب اليمن و اليمين تترى، و رأى المؤمنون أن الله لم يخلق هذا الصّيق سدى و لا هباء عبثا، و أن له فينا خبيثة غيب، و سرّ عناية، يبلّغنا إياها، و يطوّقنا طوقها، لا مانع لعطائه، و لا معدّد لآلائه، له الحمد ملء أرضه و سمائه.

فمن اضطردت له هذه العجائب، فحملته عوائق الاستقامة مزية جيوب التقوى، كيف لا يتمنى، و يدين لله بمناصحته، و يحذر عناد الله بمخالفته، و يخشى عاقبة أمره، إنها لا تعمى الأبصار، و لكن تعمى القلوب التي في الصدور. فقلّمتنا أظفار المطالبة و أغضينا عن البقية و سوّغنا من كشف وجهه في حربنا نعمة الإبقاء، و أقطعنا رحم من قطع طاعتنا جانب الصّيف، و أدررنا لكثير ممن شخّ عنا و لو بالكلمة الطيبة جورية الرزق، و وهنا ما وجب لنا من الحق، و دنا له بكظم الغيظ؛ و عمرنا الرّتب بأربابها،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤٠

و جردنا الألقاب بعد خرابها، و قبضنا الجباية محملة كتد العادة، مقودة بزمام الرّفق، ممسوحا عطفها بكفّ الطواعية، فبللنا صدا الجيش الممطول بالأمانى، المعلّل بالكذب، المستخدم في الذبّ عن مجاثم الفحشاء، و مراقد العهر، و دارينا الأعداء، و حسمنا الداء، و ظهر أمر الله و هم كارهون، إلما أن تلك الشرّ ذمة الخبيثة أبقت جرائم نفاق، ركبها انحجار الغدر، و بذر بها حصيد الشرّ، و أخلطوا الحقائق اللعنة ممن ساء ظنّه، و خبت فكره، و ظنّ أن العقاب لا يفلته، و الحق لا يذره، و السياسة لا تحفره، فدبت عقاربهم، و تدارت طوافاتهم، و تأتت فسادهم، فدبروا أمرا تبهه الله تبييرا، و أوسع خزيا و بيلا، و جفلوا يرتادون من أذيال القرابة، من استخلصه الشيطان و أصبحه الخذلان، من لا يصلح لشيء من الوظائف، و لا يستقلّ ببعض الكلف، فحركوا منهم زاهق زمانه، من شرّ الدواب الذين لا يسمعون، فأجرهم رسنه، و توقف وقفه العين بين الورد و الصدر، بخلال ما أطلعنا الله طلع نيتته، فعاجلناه بالقبض، و استودعناه مصفدا ببعض الأطباق البعيدة، و الأجباب العميقة، فخرج أمرهم، و خافوا أن نحترش السعايات، صباب مكرهم، و تتبع نفاقهم، فأقدموا إقدام العير على الأسد، استعجالا للحين، و رجعا لحكم الخيار، و إقداما على التي هي أشدّ، تولّى كبرها، و كشف وجهه في معصيتها الخبيث البركى حلف التهور و الخرق، المموّه بالبسالة و هو الكذوب النكوث الفلول، تحملنا هفوته، و تغمّدتنا بالعفو قديما و حديثا زلته، و أعرضنا فيه عن التّصيحة، و أبقينا له حكم الولاية، و أنسنا من نفرته، و تعافنا عن غرته، و سوّغنا الجرائم التي سبقت، و الجرائر التي سلفت، من إفساد العهد و أسر المسلمين، و الافتيات على الشرع، و الصّدوع بدعوى الجاهلية، فلم يفده إلّا بطرا، و لم يزده إلّا مكرًا، و الخير في غير أهله يستحيل شرًا، و النفع ينقلب ضرًا. و التفت عليه طائفة من الخلائق، بنو غزون قرعاء الجبل و المشامة، و أذنان بيت الإدبار، و نفاية الشرار، عرك جراتهم مكان صهرهم البائس، ابن بطرون، الضعيف المنّة السقيط الهمة، الخامل التفصيل و الجملة، و غيرهم ممن يأذن الله بضلال كيدهم و تخيب سعيهم، فافتحموا البلد صبيحة يهتفون بالناس أن قد طرق حماهم، و أن العدو قد دهمهم، ملتفتين يرون أنهم في أذيالهم، و أنّ رماحهم تنهشهم و تنوشهم، و سرعانهم ترهقهم، كأنهم سقطوا من السماء، أو ثاروا من بين الحصباء، ثم جالوا في أزقة البلد يقذفون في الصّفاح نار الجباب ركضا فوق الصّخر المرصوف،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤١

و خوضا في الماء غير المرهوف. ثم قصدوا دار الشيخ البائس على بن أحمد بن نصر، نفاية البيت، و دردى القوم، ممسوخ الشكل، قبيح اللّغ، ظاهر الكدر، لإدمان المعاقرة، مزنون بالمعاقرة و الرّبت على الكبرة، ساقط الهمة، عديم الدّين و الحشمة، متمت في البخل و الهلع، إلى أقصى درجات الخسّة، مثل في الكذب و النميمة، معيب المثانة، لا يرق بوله، و لا يجفّ سلسه، فاستخرجوه مبيعا في الخلافة، منصوبا بأعلى كرسي الإمامة، مدعوما بالأيدى لكونه قلّقا لا يثبت على الصّيهوة، مختارا لحمية البيضة، و العدل في الأمة، مغتما للذبّ عن الحيفيّة السّميحة، و صعدوا به إلى ربوة بإزاء قلعتنا، منترا باب البنود، مستندا إلى الربض، مطلا على دار الملك، قد

أقام له رسم الوزارة ابن مطرون الكارى، الكسح الدروب برسم المسومة، الحرد، المهين الحجة، فحل طاحونة الغدر، و قدر السوق و الخيانة، و اليهودى الشكل و النحل، و قرعت حوله طبول الأعراس، إشادة بخمول أمره، و استهجان آله، و نشرت عليه راية فال رأيها، و خاب سعيها، و دارت به زعنفة من طغام من لا يملى و لا يزيد المكا و الصيغير من حيله، و انبثت فى سكك البلد مناديه، و هتف أولياء باطله باسمه و كنيته، و انتجزوا مواعيد الشيطان فأخلفت، و دعوا سماسير الغرور فصمت، و قدحوا زناد الفتنة فصلدت و ما أوارت. و لحين شعرنا بالحادثة، و نظرنا إلى مرج الناس، و اتصل بنا ریح الخلاف، و جهير الخلعان، استعنا بالله و توكلنا عليه، و فوضنا أمرنا إلى خير الناصرين، و قلنا: ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق، و أنت خير الفاتحين، و استركبنا الجند، و أذعنا خبر العطاء، و أطلقنا بريح الجهاد، و نغير الجلاذ. و ملأنا الأكف بالسلاح، و عمرنا الأبراج بالرجال، و قرعنا طبول الملك، و نشرنا ألوياً الحق؛ و استظهرنا بخالصة الأمراء أولياء الدعوة، و خاطبنا فقيه الرّيض، نخبر مخبره؛ و نسبر غوره، فألفينا متواريا فى وكره، مرعيا على دينه، مشفقا من الإخطار برمه، مشيرا بكمه. و تفقدنا البلد، فلم نرتب بأحد من أهله. فلما كملت البيعة، و فحمت الجملة، أنهدنا الجيش، و لى أمرنا، الذى اتخذناه ظهيرا؛ و استنبطناه مشيرا، و التزمناه جليسا و صهيرا، و لم ندخر عنه محلا أثيرا، الشيخ الأجل، أبا سعيد عثمان ابن الشيخ أبى زكريا يحيى بن عمر بن رحو، ممهد الرعب بقدمه، و السعد فى خدمتنا بخدمه، فى جيش كثيف الجملة، سايع العدة، مزاح العلة، وافر الناشية، أخذ بباب الريض و شعابه، و لفّ عليه أطنايه، و شرع إليه أمله. و لم يكن إلا كلاً و لا، حتى داسه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤٢

بالسنيابك، و تخلفه مجرّ العوالى، و مجرى السوابق، و هو الحمى الذى لا يتوعد، و المجد الذى لا يغرب، فلو لا تظاهر مشيخته بشعار السليم؛ و استظلاله بظلال العافية، لحتّ الفاقرة، و وقعت به الرزاية. و فرّ الأعداء لأول وهلة، و أسلموا شقيهم أذلّ من وتد فى قاع، و سلحفه فى أعلى يفاع، فتقبض عليه، و أخذت الخيل أعقاب الغدرة أشياعه، و قيد إلينا يرسف فى قيد المهزم، ثعلبان مكيدة، و شكية ضلال و مظنة فضيحة، و أضحوكة سمر. فتصرّع بين أيدينا، و أخذته الملامه، و علاه الخزى، و ثلّ إلى المطبق، حتى نستدعى حكم الله فى جرمه، و نقتضى الفتيا فى جريرته، و نختر فى أقسام ما عرضه الوحي من قتلته. و هدأت الثائرة، و الحمد لله من يومها، و اجتتت شجرة الخلاف من أصلها، فالحمد لله الذى أتمّ نوره و لو كره الكافرون إنّه هؤلايه مثير ما هم فيه و باطل ما كانوا يعملون (١٣٩). و ما ذا رابهم منا، أصغر الله منقلبهم، و أخزى مردهم، و استأصل فلهم؟ أولا يتبنى أمر وارثه، ثم عوده إلينا طواعية، ثم رفعنا وطأة العدو و حربيه، و مددنا ظلال الأمن دفعه، و أنفأنا رمق الثغور، حين لم يجدوا حيلة إلا ما عرفوا من أمنه، و بلوا من حيطته و تسوغا من هدنة، و انسحبت فوق آمالهم و حريمهم من عفة، و أظهر الله علينا من نعمة. ربنا أنك تعلم ما نخفى و ما نعلن، و ما يخفى على الله من شىء فى الأرض و لا فى السماء. اللهم ألبسنا سريرتنا، و عاملنا بدخلتنا فيهم، و إن كنا أردنا لجماعتهم شرا، و فى دينهم إغماضا، و عن العدل فيهم عدولا، فعاملنا بحسب ما تبلوه من عقيدنا، و تستكشفه من خبيثتنا، و إن كنت تعلم صحة مناصحتنا لسوادهم؛ و استفادنا الجهد فى إتاحة عافيتهم، و رعى صلاحهم، و تكيف آمالهم، فصل لنا عادة صنعك فيهم، و مسيلنا طاعتهم، واهد بنا جماعتهم، و ارفع بنظرنا إطاعتهم، يا أرحم الراحمين.

و لما أسفر صبح هذا الصنيع عن حسن العفو، و استقرّ على التى هى أركى، و ظهر لنا، لا تخاف بالله دركا و لا تخشى، و أن سبيل الحق أنجى و محجته أحجى، خاطبنا كم نجلو نعم الله قبلنا عليكم، و نشيد بتقوى الله بناديكم، و عنايته لدينا ولديكم، و نهدي طرف صنعه الجميل قبلنا إليكم ليكسبكم اعتبارا، فرجوا الله و قارا، و تزيدوا يقينا و استبصارا، و تصفوا العين من اختار لكم اختيارا. و هو حسبنا و نعم الوكيل، و الله يصل سعدكم، و يحرس مجدكم. كتب فى كذا. و السلام عليكم، و رحمة الله و بركاته.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤٣

اقتضى نظر الحزم، و رأى الاجتهاد للإسلام إطلاق الغارات على بلد الكفرة من جميع جهات المسلمين، فعظم الأثر، و شهر الذكر، و اكتسحت الماشية، و ألحم السيف. و كان ثغر برغمة، الفائزة به يد الكفرة، لهذه السنين القريبة، قد أهم القلوب، و شغل النفوس، و أضاق الصدور، لانبثات مدينة رندة، بحيث لا يخلص الطيف، و لا تبلغ الرسالة من الطير و غيرها إلى ناحية العدو، فوق العمل على قصده و استعانة الله عليه، و استنفر لمتازله أهل الجهات الغربية من مالقة و رندة، و ما بينهما، و يسّر الله في فتحه، بعد قتال شديد، و حرب عظيمة، و جهاد شهير، و استولى المسلمون عليه، فامتألت أيديهم أثاثا و سلاحا و رياشا و آله، و طهرت للحين مساجده، و زينت بكلمة الله مشاهده، و أنست بالمؤمنين معاهده، و رتبت فيه الحماة و الرماء، و الفرسان الكماة، و اتّصلت بفتحة الأيدي، و ارتفعت العوائق، و أوضحت بين المسلمين و أخوانهم السبل، و الحمد لله. و توجهت بفتحة الرسائل، و عظمت المنن الجلائل، و فرّ العدو لهذا العهد عن حصن السهلة، من حصون الحفرة اللويشية، و سدّ الطريق المائلة، و ذلك كله في العشر الأوسط لشعبان من هذا العام. ثم أجلب المسلمون في رندة في أخرياته و قصدوا باغمة و جيرة فاستزلوا أهلها، و افتتحوها، فعظمت النعمة، و أطرد الفتح، و اتسعت الجهة.

و كانت مما خوطبت به الجهة المربيتية من إملاني:

المقام الذي نبشره بالفتح و نحييه، و نعيد له خبر المسرة بعد أن نبديه؛ و نسأل الله أن يضع لنا البركة فيه، و نشرك مساهمته فيما نهصره من أغصان الزهور و نجنيه، و نعلم أن عزة الإسلام و أهله أسنى أمانيه، و إعانتهم أهم ما يعينه. مقام محلّ أخينا الذي نعظم قدره، و نلتزم برّه، و نعلم سرّه في مساهمة المسلمين و جهره؛ السلطان الكذا، الذي أبقاها الله في عمل الجهاد و نيته؛ متكفلة بنشر كلمة الله طويته، متممة من ظهور الدين الحنيف أمنيته، معظّم جلاله، و مجزل ثنائه، و مؤمل عادة احتفاله بهذا الوطن الجهادي و اعتنائه، أيد الله أمره، و أعز نصره. سلام كريم عليكم، و رحمة الله و بركاته. أما بعد حمد الله، و اصل سبب الفتوح، و مجزل مواهب النصر الممنوح، و مؤيد الفئة القليلة بالملائكة و الرّوح، و الصلاة و السلام على سيدنا و مولانا محمد نبيّه، الآتى بنور الهدى بين الوضوح، الداعي من قبوله و رضوانه إلى المنهل المورود و الباب المفتوح، و الرضا عن آله و أصحابه، أسود السّروج و حماة السّروج، و المقتفين

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤٤

نهجه في جهاد عدوّ الله بالعين القارّة و الصدر المشروح، و الدعاء لمقامكم العلى بالعز الرفيع الصّروح، فإننا كتبناه إليكم، كتب الله لكم سبوغ المواهب، و وضوح المذاهب، و عزة الجانب، و ظفرة الكتائب. من حمراء غرناطة حرسها الله، و نعم الله واكفة السحاب، كفيله بنيل الرغائب، و الله يصل لنا و لكم عوارف اللطائف، و يجعل الشّهد دليلا على الغائب. و إلى هذا وصل الله إعزازكم، و حرس أحوازكم، و عمر بالحقيقة من أمراد مجازنا و مجازكم. فإننا بادرنا تعريفكم بما فتح الله علينا من الثغر العزيز على الإسلام، العائد رزؤه الفادح على عبادة الأصنام، ركاب الغارات، و ممكّن حياة المضّرات، و مخيف الطريق السابلة؛ و المسارح الآهله، حصن برغمة. و يسّر الله في استرجاعه، مع شهرة امتناعه، و تطهر من دنس الكفار، و أنيرت مؤذنته بكلمة الشهادة الساطعة الأنوار، و عجلنا ذلك على حين وضعت الحرب فيه أوزارها، و وقت الأوتار أوبارها، فسار الكتاب إليكم، و أجير الأجر لم يجفّ عرقه، و عذر الاستعجال لاجبة طرقة. و لما عدنا إلى حضرنا، بعد ما حصّناه و عمّرناه، و أجزلنا نظر الحزم له و فرقناه، لم تكد البنود لمسرة فتحه أن تعاد إلى أماكن صونها، مرتقبة عادة الله في عونها، حتى طرقت الأنباء السارة بتوالى الصنع و انفراده، بتشفيح أفراده، و ذلك أن أهل رندة، حرسها الله، نافسوا جيرانهم من أهل مالقة، كان الله لجميعهم، و تولّى شكر صنيعهم، فيما كان من امتيازهم بحصن برغمة، الجار المصاقب لها، فحميت همهم السّبية، و هانت في الله موارد المتيّة، و تضافر العمل و التّية، و ظهر نجح المقاصد الدينية في إتاحة الفتوح الهيّية، فوجهوا نحو حصن و حبر، و هو الداين صحر المدينة و نحرها، و العدو الذي لا يفتر عن ضرّها، و الحيّة الذكر التي هي مروان أمرها؛ ففتحوه بعون الله و قوته، و تهّوا بعده سلوكك الطريق، و إشاعة الرّيق، و مراصد الحرس، و مجلّو الجرس، و أنصفوا، و

انصرفوا إلى حصن باغّة، من مشاهد تلك الحفرة، فناشبهه القتال، و أذاقوه الوبال، و فوقوا إليه التبال، ففتح الله فتحا هينا، لم تفتت فيه للمسلمين نفس، و لا تطرق لنصر التيسير لبس، فقابلنا بها لشكر هذه النعم المتواليّة، و المنن المتقدّمة و التالية، و أعدنا الأعلام إلى مراكزها المشرفة المراقب، و الطبول إلى قرعها عملا من الإشارة بالواجب، و شكرنا الله على اتصال المواهب، و وضوح المذاهب، و خاطبنا مقامكم الذي نرى الصيّان متواترة ببيتة الصالحة و قصده، و يعتد في الحرب و السلم بمجده، علما بأن هذه المسرات، نصيبكم منها النصيب الأوفى؛ و ارتياحكم إلى مثلها لا يخفى. و نحن نرقب ما تنجلي عنه هذه النكايات التي تفتت كبد العدو تتاليها، و تروع أحوازه و ما يليها، و لا- بدّ له من امتعاض يروم به صرع المعرّة، و يأبى الله أن ذلك يأتي بالكرّة، و الله يجعلها محركات لحتفه المرقوب، و حينه المجلوب، و يحقق حقّ القلوب، في نصره المطلوب، عرّفناكم بما تريدون الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤٥

عملا بواجب برّكم، و معرفة بقدركم، و ما يتزايد نعرفكم به، و يتصل سبب التأكيد و التعجيل بسببه، و السلام.

الغزاة إلى حصن أشر :

و في أوائل شهر رمضان بعده، أعمل السلطان الحركة السعيدة إلى حصن أشر، و هو قفل الثغر الذي فضّه الطاغية، و سورها الذي فرغه الكفر، و جارحه المحلّق على البلاد، و المتحكم لو لا- فضل الله في الأموال و الأولاد، فتأذن الله برد مغتصبه، و الشفا من و صبه، و أحاط به و ناصبه الحرب، ففتح الله على يده عنوة، على سموّ ذروته، و بعد صيته و شهرته، و اختيار الطاغية في حاميته بعد حرب لم يسمع بمثله، فاز بمزية الحمد فيها السلطان، لمباشرته إياها بنفسه، و حمل كلّها فوق كاهله، و اتقاد ما حمد من الحميّة بتحريضه. ثم لما كان بعد الفتح من استخلاص القصبه و سدّ ثلمها بيده، و مصابرة جو القيظ عامّة يومه، فحاز ذكرا جميلا و حلّ من القلوب محلّا أثيرا، و رحل منها، بعد أن أسكن بها من الفرسان رابطة متخيرة، و من الرّماء جملة، و تخلف سلاحا و عدّة، فكان الفتح على المسلمين، في هذا المعقل العزيز عليهم جليلا، و المنّ من الله جزيلا، و الصنع كثيرا، و صدرت المخاطبة للمغرب بذلك، على الأسلوب المرسل الخلى من السجع الغنى.

الغزاة المعملة إلى أطرية :

في شهر شعبان من عام ثمانية و ستين و سبعمائة، كانت الحركة إلى مدينة أطرية بنت إشبيلية، و بلدة تلك الناحية الآمنة، مهاد الهدنة البعيدة عن الصيرمة، حرك إليها بعد المدى، و آثرها بمحض الرّدى، من بين بلاد العدا، ما أسلف به أهلها المسلمين، من قتل أسراهم في العام قبله. فنازلها السلطان أول رمضان، و ناشبها الحرب و استباح المدينة و روضها عنوة، و لجأ أهلها إلى قصبته المنيعه، ذات الأبراج المشيدة، و أخذ القتال بمخنقهم، و أعان الزحام على استنزاهم، فاستنزوا على حكم المسلمين، فيما يناهز خمسة، بما لم يتقدمه عهد؛ و لا- اكتحلت به في هذه المدّة عين، و لا- تلقته عنها أذن، و امتلأت أيدي المسلمين، بما لم يعلمه إلّا الله، من شتى الغنائم، و أنواع الفوائد، و اقتسم الناس السبى ربعا على الأكفال و الظهور، و تقديرا بقدر الرجال، و حملا فوق الظهور للفرسان، و عمرانا للسروج

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤٦

و الأعضاء بالصيبة، و برز الناس إلى ملاقاء السلطان، في هول من العزّ شهير من الفخر، و بعيد من الصيت، قرّت له أعينهم، و قعد لبيعهم أياما تباعا، و ملأ بهم البلاد هدايا و تحفا و الحمد لله، و صدرت المخاطبة بذلك إلى السلطان بالمغرب بما نصه من الكلام المرسل من إنشائي.

الغزاة إلى فتح جيان:

وفي آخر محرم من عام تسعة و ستين و سبعمائة، كانت الحركة الكبرى إلى مدينة جيان، إحدى دور الملك، و مدن المعمود، و كرسيّة الإمارة، و لو أن المدن الشهيرة افتتحها الله عنوة، و نقل المسلمون ما اشتملت عليه من النعم و الأقوات و الأموال و الأنعام و الأثواب و الدواب و السّلاح، و مكنهم من قتل المقاتلة، و سبى الذرية، و تخريب الديار، و محو الآثار، و استنساف النعم، و قطع الأشجار. و هذا الفتح خارق، تعالى أن يحيط به النظم و النشر. فذكره أطير، و فخره أشهر. و صدرت في ذلك المخاطبة من إملائي إلى ملك المغرب. و أصاب الخلق عقب القفول في هذه الغزاة، مرض و افد، فشا في الناس كافة، و كانت عاقبته السيّامة؛ و تدارك الله بلطفه، فلم يتسع المجال لإنشاد الشعراء، و مواقف الإطراء، إلى شغل عن ذلك.

الغزاة إلى مدينة أبدة:

و في أول ربيع الأول من هذا العام، كان الغزو إلى مدينة أبدة، و احتلّ بظاها جيش المسلمين، و أبلى السلطان في قتالها، و قد أخذت بعد جارتها جيان أقصى أهبة، و استعدت بما في الوسع و القوة، و كانت الحرب بها مشهورة. و افتتحها المسلمون فانتهبوها، و أعفوا مساكنها العظيمة البناء، و كنائسها العجيبة المرأى، و ألصقوا أسوارها بالثرى، و رأوا من سعة ساحتها، و بعد أقطارها، و ضخامة بنائها، ما يكذب الخبر فيه المرأى، و يبلى الأفكار، و يحير التّهي. و لله الحمد على آلائه التي لا تحصى. و قفل المسلمون عنها، و قد أخرجوها، بحيث لا تعمر رباعها، و لا تأتلف حجورها و جموعها. و صدرت المخاطبة بذلك إلى صاحب المغرب من إنشائي بما نصّه: و إلى هذا العهد جرت الحادثة على ملك قشتالة، بطره بن أدفونش بن هراندة بن شانجه، و هو الذي تهيأ به الكثير من الصّنع للمسلمين، بمزاحمة أخيه أندريق في الملك و تضييقه عليه، و حياز سبعة من كبار أصحابه، و أهل ملته إليه، و افتقار بطره المذكور إلى إعانة المسلمين، و إجلابهم على من آثر طاعته ضده، فانهزم بظاها حصن منتيل، و معه عدد من فرسان المسلمين، و لجأ إلى الحصن على غير أهبة

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤٧

و لا- استعداد، فأخذ أخوه الذي هزمه بمخّقه، و أدار على الحصن البناء، و فرّ جيش المحصور، فاجتمع فله بأحواز أبدة، و راسلوا المسلمين في مظاهرتهم على استنقاذهم، فتوجهت الفتيا بوجوب ذلك. و وقع الاستنفار و الاحتشاد حرصا على تخليصه، ليسبب بقاؤه بقاء الفتنة تستأصل الكفر، و تشغل بعض العدو ببعضه.

و في أثناء هذه المحاولة تباطن الحارين المحصور بمن معه، و بعد عليه الخلاص من ورطته، و مساهمة المسلمين إياه في محنته؛ و انقطعت عنه الأنباء بفرج من كربته، فداخل بعض أمراء أخيه و ظهرائه، ممن يباشر حصاره، و كان قوما شهيرا من المدد الذي ظاهره، من أهل إفرنسية، و وعده بكل ما يطمع من مال و مهد، و توفية عهد، فأظهر له القبول، و أضمّر الخديعة. و لما نزل إليه، سجنه و من لحق به من الأدلاء و أولى الحرّة بالأرض و أمسكه، و قد طير الخبر إلى أخيه، فأقبل في شردمة من خواصه و خدامه، فهجم عليه و قتله، و أوسع العفو من كان محصورا معه، و طير إلى البلاد برأسه، و أوغر التّبن في جثته، و لبس ثياب الحزن من أجله، و إن كان معترفا بالصّواب في قتله، و خاطب البلاد التي كانت على مثل الجمر من طاعة الجاهر بمظاهرة المسلمين، و ما جرّ ذلك من افتتاح بلادهم، و تخريب كنائسهم، و الإتيان على نعمهم، فأجابته ضربه، و اتفقت على طاعته، فلم يختلف عليه منها اثنان، إلّا ما كان من مدينة قرمونة. و اجتمعت كلمة النصارى، و وقع ارتفاع شتاتهم، و صرفوا وجوههم إلى المسلمين، و شاع استدعاؤهم جميع من بأرض الشرق من العدو الثقيل ببرجلونه، و عدوّ الأشبونة، و العدو الثقيل الوطأة بإفرانسية. و قد كان الله، جلّ جلاله، ألهم أهل البصائر النظر في العواقب، و الفكر فيما بعد اليوم أعمل. و وقع لى إذن السلطان، المخلّى بينى و بين النصائح، في مخاطبة سلطان النصارى المنكوب

لهذا العهد، فأشرت عليه بالاحتراز من قومه، و التفتن لمكايد من يحطب في جبل أخيه، و أريته اتخاذ معقل يحرز ولده و ذخيرته، و يكون له به الخيار على دهره، و استظهرت له على ذلك بالحكايات المتداولة، و التواريخ المعروفة، لتتصل الفتنة بأرضهم، فقبل الإشارة و شكر النصيحة، و اختار لذلك مدينة قرمونة المختصة بالجوار المكتب، من دار ملكهم إشبيلية، فشيّد هضابها، و حصّن أسوارها، و ملأها بالمخازن طعاما و عدّة، و استكثر من الآلات، و استظهر عليها بالتقتات، و نقل إليها المال و الذخيرة، و سجن بها رهان أكابر إشبيلية، و أسرى المسلمين، و بالغ في ذلك، فيما لا غاية وراءه و لا مطمع، و لا ينصرف إلى مصرعه الذي دعاه القدر إليه، حتى تركها عدّة خلفه، و أودع

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤٨

بها ولده و أهله، و لجأ إليها بعض من خدامه ممن لا يقبل مهدنة ضده، و لا يقرّ أمان عدوه، و التفوا على صغير من ولده كالتحل على شهبه، و لجأوا إلى المسلمين، فبغض عليهم الكثرة و الفتح بقاء هذا الشجى المعترض في حلقه، و أهّمه تغيير أمره، و جمع به المسلمون لأجله، و أظهروا لمن انحاز بقرمونة الامتسك بعهدده، فعظم الخرق، و أظهر الله نجاح الحيلة، و صدق بها المخيلة، و تفتّر الأمر، و خمدت نار ذلك الإرجاف، و اشتغل الطاغية بقرمونة، بخلال ما خوطب به صاحب الأرض الكبيرة، فطمّعه في المظاهرة، و تحطّب له ملك قشتالة، و عقد السلم مع صاحب برطغال و الأشبونة، و نشأت الفتن بأرضهم، و خرجت عليهم الخوارج، فأوجب إزعاجه إلى تلك الجهة، و إقرار ما بالبلاد المجاورة للمسلمين من الفرسان و الحماة تقاتل و تدافع عن أحوازها، و جعل الخصاص موجّهة قرمونة، و انصرف إلى سدّ الفتوق التي عليه بلطف الحيلة، ببواطن أرضه، و أحشاء عمالته، و صار في ملكه أشغل من ذات النّحين، فساغ الرّيق، و أمكن العذر، و انتهز الغزّة، و استؤنفت الحركة، فكانت إلى حصن منبيل و الحويز، ففتحهما الله في رمضان من عام سبعين و سبعمائة، ثم إلى ثغر روطه، ففتحها الله عن جهد كبير، و اتصل به حصن زمرة، فأمن الإسلام عادية العدو بتلك الناحية، و كبس أهل رندة بإيعاز من السلطان إليها و إلى من بالجبل، جبل الفتح، حصن برج الحكيم و القشتور، فيسير الله فتحهما في رمضان أيضا.

ثم كانت الحركة إلى الجزيرة الخضراء، باب الأندلس، و بكر الفتح الأول، فكانت الحركة إليها شهر ذي الحجة من العام المذكور. و وقع تحريض الناس بين يدي قصدها في المساجد بما نصّه:

معاشر المسلمين المجاهدين، و أولى الكفاية عن ذوى الأعدار من القاعدين، أعلى الله بعلو أيديكم كلمة الدين، و جعلكم في سوى الأجر و الفخر من الزاهدين، اعلموا، رحمكم الله، أن الإسلام بالأندلس ساكن دار، و الجزيرة الخضراء بابه، و مبعده مغار، و الجزيرة الخضراء ركابه، فمن جهتها اتصلت في القديم و الحديث أسبابه، و نصرته على أعدائه و أعداء الله أحبابه، و لم يشك العدو الكافر الذي استباحها، و طمس بظلمة الكفر صباحها، على أثر اغتصابها، و اسوداد الوجوه المؤمنة لمصابها، و تبديل محاربتها، و علوق أصله الخبيث في طيب تراثها، أن صريح الدين الحنيف بهذا الوطن الشريف لا ينتعش و لا يقوم، بعد أن فرى الحلقوم، و أن الباقي

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤٩

رمق يذهب، و قد سدّ إلى التدارك المذهب، لو لا أن الله دفع الفارقة و وقاها، و حفظ المسكنة و استبقاها، و إن كان الجبل عصمة الله نعم البقية، و بمكانه حفّت التقيّة، فحسبك من مصراع باب فجع بثانيه، و مضايق جوار حيل بينه و بين أمانيه.

و الآن، يا عباد الله، قد أمكنكم الانتهاز، فلا تضيّعوا الفرصة، و فتر المختق فلا تسوّغه غصية، و امروا البواطن بحميّة الأحرار، و تعاهدوا مع الله معاهد الأولياء الأبرار، و انظروا للعون من الدّارارى و الأبقار، و النشأة الصّغار، زغب الحواصل في الأكوار، و الدين المنتشر بهذه الأقطار، و اعملوا للعواقب تحمدوا عملكم، و أخلصوا لله الضمائر يبلغكم من فضله أملككم، فما عذر من سلّم في باب و كره، و ما ذا ينتظر من أذعن لكيد عدوّه و مكره. من هذه الفرضة، دخل الإسلام تروّع أسوده، و من هذه الجهة طلع الفتح الأول تخفق بنوده، و منها تقتحم الطير الغريب، إذا رامت الجواز و فوده، فيبصر بها صافّات و الدليل يقوده. الباب المسدود، يا عباد الله، فافتحوه،

وجه النَّصْر تجلّى يا عباد الله فالمحوه، الداء العضال يا عباد الله فاستأصلوه، جبل الله يا رجال الله قد انقطع فصلوه. في مثلها ترخص النفوس الغالية، في مثلها تختبر الهمم العالية، في مثلها تشهر العقائد الوثيقة، و تدسّ الأحباس العريقة، فنصّر الله وجهه من نظر إلى قلبه، و قد امتلأته حمية الدين، و أصبح لأن تكون كلمة الله هي العليا متهلّ الجبين.

اللهمّ إنّنا نتوسّل إليك بأسرار الكتاب الذي أنزلته، و عناية النبيّ العربيّ الذي أوفدت من خصوص الرّحمت و أجزلت، و بكلّ نبيّ ركع لوجهك الكريم و سجد، و بكلّ وليّ سدّه من إمدادك كما وجد، ألا ما رددت علينا ضالّتنا الشاردة، و هتأتنا بفتحها من نعمك الواردة، يا مسهل المآرب العسرة، يا جابر القلوب المنكسرة، يا وليّ الأمّة الغريبة، يا منزل اللطائف القريبة، اجعل لنا من ملائكة نصرك مددا، و أنجز لنا من تمام نورك الحقّ موعدا. ربّنا آتتنا من لدنك رحمة، و هبّ لنا من أمرنا رشدا.

فوقع الانفعال، و انتشرت الحميّة، و جهزت الأساطيل. و كانت منازلتها يوم السبت الثالث و العشرين من الشهر المذكور، و عطاها المسلمون الحرب، فدخلت البنية و هي المدينة الملاصقة لها عنوة، قتل بها من الفرسان الدارعة عدّة، و صرفت الغنائم إلى المدينة الكبرى، فرأوا من أمر الله، ما لا طاقة لهم به، و خذلهم الله جلّ

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٥٠

جلاله، على منعة الأسوار و بعد مهاوى الأغوار، و كثرة العدّ و العدد، و طلبوا الأمان لأنفسهم، و كان خروجهم عنها يوم الاثنين الخامس و العشرين من الشهر المذكور، السعيد على المسلمين، في العيد و السرور، برد الدين، و لله الحمد على آلائه، و توالى نعمه و إرغام أعدائه.

و في وسط ربيع الأول من عام أحد و سبعين و سبعمائه، أعمل الحركة إلى أحواز إشبيلية دار الملك، و محل الشوكة الحادة، و بها نائب سلطان النصارى، في الجمع الخشن من أنجاد فرسانهم، و قد عظم التضيق ببلدة قرمونه، المنفرد بالانتزاع على ملك النصارى، و الانحياز إلى خدمة المسلمين، فنازل المسلمون مدينة أشونة، و دخلوا جفنها عنوة، و اعتصم أهلها بالقصبة، فتعاصت، و استعجل الإقلاع منها لعدم الماء المروي و المحلّات، فكان الانتقال قدما إلى مدينة مرشانة و قد أحرقوا بها، و بها العدّة و العديد من الفرسان الصناديد، ففتحها الله سبحانه، إلّا القصبة، و استولى المسلمون فيها، و في جارتها، من الدواب و الآلات على ما لا يأخذه الحصر، و قتل الكثير من مقاتلتها، و عمّ جميعها العدم و الإحراق، و رفعت ظهور دواب المسلمين من طعامها ما تقلّه أظهر مراكب البحار، ما أوجب في بلاد المسلمين التوسعة، و انحطاط الأسعار، و أوجب الغلاء في أرض الكفّار، و قفل، و الحمد لله، في عزّ و ظهور، و فرح و سرور.

مولده السعيد النسيئة ، الميمون الطلوع و الجيئة:

المقترن بالعافية، منقولاً من تهليل نشأته المباركة، و حرز طفولته السعيدة، في نحو ثلث ليلة الاثنين و العشرين من جمادى الآخرة عام تسعة و ثلاثين و سبعمائه. قلت: و وافقه من التاريخ الأعجمي رابع ينير من عام ألف و ثلاثمائة و سبعة و سبعين لتاريخ الصّيفر. و اقتضت صناعة التعديل بحسب قيمودا و بطليموس، أن يكون الطالع بروج القمر؛ لاستيلائه على مواضع الاستقبال المتقدم للولادة، و يكون التخمين على ربع ساعة و عشر ساعة، و ثلث عشر الساعة السادسة من ليلة الاثنين المذكورة، و الطالع من برج السّنبلة، خمس عشرة درجة، و ثمان و أربعون دقيقة من درجة. كان الله له في الدنيا و الآخرة، و حسبنا الله و نعم الوكيل.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٥١

محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر ابن قيس الخرزجي الأنصاري

من ولد سعد بن عباد، صاحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ابن سليمان بن حارثة بن خليفة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمر بن يعرب بن يشجب بن قحطان بن هميسع بن يمن بن نبت بن إسماعيل بن إبراهيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى مُحَمَّدٍ الْكَرِيمِ. أمير المسلمين بالأندلس ودايلها خدمة التصريين بها. يكنى أبا عبد الله، ويلقب بالغالب بالله.

أوليته: وقد اشتهر عند كثير ممن عني بالأخبار أن هذا البيت التصري من ذرية سعد بن عباد سيد الخزرج، وصاحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وصنف الناس في اتصال نسبهم بقيس بن سعد بن عباد غير ما تصنيف. وأقوى ما ذكر قول الرّازي: دخل الأندلس من ذرية سعد بن عباد رجلاً، نزل أحدهما أرض تاركوتا، ونزل الآخر قرية من قرى سقر سطونة، تعرف بقرية الخزرج، ونشأ بأحواز أرجونة من كنبائية قرطبة، أطيب البلاد مدررة، وأوفرها غلة، وهو بلده، وولد جدّه، في ظل نعمه، وعلاج فلاحه، وبين يدي نجدة وشهرة، بحيث اقتضى ذلك، أن يفيض شريان الرياسة، وانطوت أفكاره على نيل الإمارة، وآه مرتادو أكفاء الدول أهلاً، فقد حوا رغبتهم، وأثاروا طمعه.

حدّث شيخنا الكاتب الشاعر، محمد بن محمد بن عبد الله اللّوشى اليحصبي، وقد أخبرني أنه كان يوجد بمدينة جيان رجل من أهل المالئية، وكان له فرس أنثى من عتاق الخيل، على عادة أولى المالئية، وكان له من أهل الثغور، من ارتباط الخيل، والتنافس في إعداد القوة. وشهرت هذه الفرس في تلك الناحية، وبعث الطاغية ملك الروم في ابتياعها، فعلمت بها كف هذا الرجل، وآثر بها نفسه، وازداد غبطة بها لديه، ورأى في النوم قائلاً يقول له: سر إلى أرجونة، بفرسك، وابتح عن رجل اسمه كذا، وصفته كذا، فأعطه إياها، فإنه سيملك جياناً وسواها، ينتفع بها عقبك. وأرجى الأمر، فعرض عليه ثانية، وحثّ في ذلك في الثالثة، فسأل ثقة له خيراً بتلك الناحية وأهلها، فقال له المخبر، وكان يعرف بابن يعيش، فوصفه له، فتوجه الفقيه إلى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٥٢

أرجونة، ونزل بها، وتسمع به، وأقبل السلطان وأظهاره، وتكلموا في شأنه، فذكر غرضه فيه، وأظهر العجز عن الثمن، وسأل منه تأخير بعضه، فأسعفه، واشترى منه الفرس بمال له خطر. فلما كمل له القصد، طلب منه الخلو به في المسجد من الحصن، وخرج له عن الأمر، وأعطاه بيعته، وصرف عليه الثمن، واستكتمه السلطان خيفة على نفسه، وانصرف إلى بلده.

قال: وفي العام بعده، دعا إلى نفسه بأرجونة، وتملك مدينة جيان، واختلف في السبب الذي دعاه إلى ذلك، فقيل: إن بعض العمال أساء معاملته في حقّ مخزني، وقيل غير ذلك.

حاله: هذا الرجل كان آية من آيات الله في السداجة والسلامة والجمهورية، جندياً، ثغرياً شهماً، أيّداً، عظيم التجلّد، رافضاً للدعة والرّاحة، مؤثراً للتقشف، والاجترأ باليسير، متبلغاً بالقليل، بعيداً عن التصنّع، جافى السلاح، شديد العزم، مرهوب الإقدام، عظيم التّشمير، مقرباً لضيفه، مصطنعاً لأهل بيته، فظاً في طلب حظّه، محمياً لقربته وأقرانه وجيرانه، مباشراً للحروب بنفسه، تتغالي الحكمة في سلاحه، وزينة دهوره. يخصف النعل، ويلبس الخشن، ويؤثر البداوة، ويستشعر الجدّ في أموره. سعد بيوم الجمعة، وكان فيه تملكه جيان؛ ثم حضره الملك غرناطة، وقيل: يوم قيامه شرع فيه الصدقة الجارية على ضعفاء الحضرة، ومناهم إلى اليوم.

وتملك مدينة إشبيلية في أخريات ربيع الأول من عام ظهوره، وهو عام تسعة وعشرين وستمائة نحو من ثلاثين يوماً. وملك قرطبة في العشر الأول لرجب من العام المذكور، وكلاهما عاد إلى ملك ابن هود.

ولما تم له القصد من تملك البيضة، والحصول على العمال، مباشراً للحسابات بنفسه، فتوفّر ماله، وغصت بالصامت خزائنه، وعقد السّيلم الكبير، وتهنأ أمره، وأمكنه الاستعداد، فأنعم الأهواء، وملا بطن الجبل المتصل بالقلعة حبواً مختلفه، وخزائن درة، ومالا وسلاحاً واريةً ظهراً، وكراعاً، فوجد فائدة استعداده، ولجأ إلى ما آذخه من عتاده.

سيرته: تظاهر لأول أمره بطاعة الملوك بالعدوة وإفريقية، يخطب لهم زماناً يسيراً، وتوصل بسبب ذلك إلى إمداد منهم وإعانة، وقبل ما افتتح أمره بالدعاء للمستنصر العباسي ببغداد، حاذاً حذو سميّه ابن هود، للهج العامة في وقته، بتقلد تلك الدعوة، إلى أن نزع

عن ذلك كله.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٥٣

و كان يعقد للناس مجلسا عاما، يومين في كل أسبوع، فترفع إليه الظلمات، و يشافه طالب الحاجات، و تنشده الشعراء، و تدخل إليه الوفود، و يشافه أرباب النصائح في مجلس اختص به أهل الحضرة، و قضاء الجماعة، و أولى الرتب التبيهة في الخدمة، بقراءة أحاديث من الصيحيين، و يختتم بأعشار من القرآن. ثم ينتقل إلى مجلس خاص، ينظر فيه في أموره، فيصرف كل قصد إلى من يليق به ذلك، و يؤاكل بالعشيات خاصته من القرابة؛ و من يليهم من نبهاء القواد.

أولاده: أعقب ثلاثة من الذكور، محمدا ولي عهده و أمير المسلمين على أثره؛ و الأميرين أبا سعيد فرج، و أبا الحجاج يوسف؛ توفيا على حياته؛ حسبما يتقرر بعد إن شاء الله.

وزراء دولته: وزر له جماعة؛ الوزير أبو مروان عبد الملك بن يوسف بن صناديد، زعيم قاعدة جيان؛ و هو الذي مكّنه من ناصية جيان المذكورة. و استوزر على بن إبراهيم الشيباني من وجوه حضرته، و ذوى النسب من الفضلاء أولى الدماثة و الوقار. و استوزر الرئيس أبا عبد الله ابن الرئيس أبي عبد الله الرّيمى. و استوزر الوزير أبا يحيى ابن الكاتب من أهل حضرته، و غيرهم ممن تبلغ به الشهرة مبلغا فيهم.

كتابه: كتب له من الجلمة جماعة، كالكتاب المحدث الشهير أبي الحسن على بن محمد بن محمد بن سعيد اليحصبي اللّوشى، و لما توفى كتب عنه ولده أبو بكر بن محمد. هؤلاء مشاهير كتّابه، و من المرؤوسين أعلام، كأبي بكر بن خطاب و غيره.

قضاته: ولى له قضاء الجماعة، القاضى العالم الشهير، أبو عامر يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري، من جلة أهل الأندلس فى كبر البيت، و جلاله المنصب، و غزارة العلم. ثم ولى بعده الفقيه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الجليل بن غالب الأنصارى الخزرجى. ثم ولى بعده الفقيه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد السلام التميمى، و هذا الرجل من أهل الدين و الأصالة، و آخر قضاء العدل. ثم ولى بعده الفقيه القاضى أبو عبد الله محمد بن عياض بن موسى اليحصبي. ثم ولى بعده الفقيه القاضى الحسيب أبو عبد الله بن أضحى، و بيته شهير، و لم تطل مدته. و ولى بعده آخر قضاته أبو بكر محمد بن فتح بن على الإشبيلي، الملقب بالأشبرون.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٥٤

الملوك على عهده:

بمراكش المأمون إدريس، مأمون الموحّدين، مزاحما بأبي زكريا يحيى بن الناصر بن المنصور بن عبد المؤمن بالجبل. و لما توفى المأمون ولى الرشيد أبو محمد عبد الواحد فى سنة ثلاثين و ستمائة، و ولى بعده أبو حفص عمر بن إسحاق المرتضى، إلى أن قتله إدريس الواصل أبو دّبوس فى عام خمسة و ستين. و ولى بعده يسيرا بنو عامر بن على بمراكش، و تعاقب منهم على عهده جلة؛ كالأمير عثمان و ابنه حمو، و أخيه أبى يحيى بن عبد الحق. و استمرّ الملك فى أسنّ أملاكهم، أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق بن محيو إلى آخر أيامه.

و بتلمسان، شبيهه يغمراسن بن زريان، أول ملوكهم، و تقدمه أخوه أكبر منه برهه. و يغمراسن أول من أثل الملك، و حاز الدّكر، و استحق الشهرة.

و بتونس، الأمير أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص. و خاطبه السلطان المترجم به، و التمس رفته، و قد حصل على إعانتة، و ولى بعد موته ولده المستنصر أبو عبد الله، و دامت أيامه إلى أول أيام ولد السلطان المترجم له عام أربعة و سبعين.

و بقشتالة هراندة بن ألهنش بن شانجه الإنبرطور. و هراندة هذا هو الذى ملك قرطبة و إشبيلية، و لما هلك ولى بعده ألفنش ولده ثلاثا و ثلاثين سنة، و استمرّ ملكه مدة ولايته، و صدرا من دولة ولده بعده.

و برغون جايمش ابن بطره ابن ألفونش ققط برجلونه. و جايمش هذا هو الذي ملك بنسبة و صيرها دار ملكه من يد أبي جميل زيان بن مردنيش.

لمع من أخباره: قام ابن أبي خالد بدعوته بغرناطة، كما ذكر في اسمه، و دعاه و هو بجيان، فبادر إليها في أخريات رمضان من عام خمسة و ثلاثين و ستمائة، بعد أن بعث إليه الملاء من أهلها ببيعتهم مع رجلين من مشيختهم؛ أبي بكر الكاتب، و أبي جعفر التيزولي. قال ابن عذارى في تاريخه: أقبل و ما زيّه بفأخر، و نزل عشى اليوم الذي

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٥٥

وصل بخارج غرناطة، على أن يدخلها من الغد، ثم بدا له فدخلها عند غروب الشمس، نظرا للحزم.

و حدث أبو محمد البسطى قال: عاينته يوم دخوله و عليه شاشية ملفّ مضلعة أكتافها مخزقة. و عند ما نزل بباب جامع القصبه، كان مؤذن المغرب في الحيعلة، و إمامه يومئذ أبو المجد المرادى قد غاب، فدفع الشيخ السلطان إلى المحراب، و صلّى بهم، على هيئته تلك، بفاتحة الكتاب. و إذا جاء نصر الله و الفتح (١). و الثانية ب قل هو الله أحد (١). ثم وصل قصر باديس، و الشمع بين يديه. و في سنة ثلاث و أربعين و ستمائة، صالح طاغية الروم، و عقد معه السليم الذي طاحت في شروطه جيان. و كان واقع بالعدو الراتب تجاه حضرته، المختص بحصن بليش على يريد من الحضرة، و كان الفتح عظيما، ثم حالفه الصنيع بما يضيق المجال عن استيعابه. و في حدود اثنين و ستين و ستمائة صالح طاغية الروم، و عقد معه السلم، و عقد البيعة لولى عهده، و استدعى القبائل للجهاد. مولده: في عام خمسة و تسعين و خمسمائة بأرجونة، عام الأرك.

وفاته: في منتصف جمادى الثانية من عام واحد و سبعين و ستمائة، ورد عليه و قد أسن، جملة من كتاب الزعائم، يقودون جيشا من أتباعهم، فبرز إلى لقائهم بظاهر حضرته، و لما كثر أتبا إلى قصره، سقط ببعض طريقه، و خامره خصر، و هو راكب، و أرفده بعض مماليكه، و اسمه صابر الكبير، و كانت وفاته ليلة الجمعة التاسع

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٥٦

و العشرين لجمادى الثانية المذكورة، و دفن بالمقبرة الجامعة العتيقة بسنام الشبيكة، و على قبره اليوم منقوش:

«هذا قبر السلطان الأعلى، عز الإسلام، جمال الأنام، فخر الليالى و الأيام، غياث الأمة، غيث الرحمة، قطب الملة، نور الشريعة، حامى السنة، سيف الحق، كافل الخلق، أسد الهيجاء، حمام الأعداء، قوام الأمور، ضابط الثغور، كاسر الجيوش، قانع الطغاة، قاهر الكفرة و البغاة، أمير المؤمنين، علم المهتدين، قدوة المتقين، عصمة الدين، شرف الملوك و السلاطين، الغالب بالله، المجاهد فى سبيل الله، أمير المسلمين، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر الأنصارى، رفعه الله إلى أعلى عليين، و ألحقه بالذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين، و الشهداء و الصالحين. ولد، رضى الله عنه، و أتاه رحمه من لدنه، عام أحد و تسعين و خمسمائة، و بويع له يوم الجمعة السادس و العشرين من رمضان عام خمسة و ثلاثين و ستمائة، و كانت وفاته يوم الجمعة بعد صلاة العصر التاسع و العشرين لجمادى الآخرة عام أحد و سبعين و ستمائة، فسبحان من لا يفنى سلطانه، و لا يبىد ملكه، و لا ينقضى زمانه، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم».

و من جهة أخرى: [البسيط]

هذا محلّ العلى و المجد و الكرم قبر الإمام الهمام الطاهر العلم

لله ما ضمّ هذا اللحد من شرف و من شيم علوية الشيم

بالجود و الباس ما تحوى صفائه لا بأس عنتره و لا ندى هرم

مغنى الكرامة و الرضوان يعهده فخر الملوك الكريم الذات و الشيم

مقامه فى كلا يومى ندى و و غى كالغيث فى مجد و كالليث فى أجم

مآثر تليت آثارها سور اتقرّ بالحق فيها جملة الأمم

كأنه لم يسر في محفل لجب تضيق عنه بلاد العرب و العجم
و لم يباد العدا منه ببادرة يفتر منها الهدى عن ثغر مبتسم
و لم يجهز لهم خيلا مضمرة لا تشرب الماء إلا من قليب دم
و لم يقم حكم عدل في سياسته تأوى رعيته منه إلى حرم
من كان يجهل ما أولاه من نعم و ما حواه لدين لله من حرم
فتلك آثاره في كل مكرمة أبدى و أوضح من نار على علم
لا زال تهمة على قبر تضمّنه سحائب الرحمة الوكّافة الدّيم
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٥٧

محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي عامر ابن محمد بن أبي الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري، المنصور بن أبي عامر

إشارة

معظم الظفر، و خدن السّعد، و ملقى عصيّ الجدّ، و جوّ رياح الشهرة، و ديوان فنون السياسة، و حجاج الدولة العبشميّة، في التّخوم
المغربيّة، المزيّ بالظّرف و كمال السّجّية، و الجهاد العظيم، العريق في بحبوحة بلاد الكفار، رحمه الله تعالى.
أولّيته: دخل جدّه عبد الملك الأندلس مع طارق مولى موسى بن نصير في أول الداخلين من المغرب، و كان له في فتحها أثرا جميلا،
و إلى ذلك أشار مادحه محمد بن حسان: [الطويل]
و كلّ عدوّ أنت تهزم عرشه و كلّ فتوح عنك يفتح بابها
و إنّك من عبد المليك الذي له حلى فتح قرطاجتّه و انتهابها
و نزل عبد الملك الجزيرة الخضراء لأول الفتح، فساد أهلها، و كثر عقبه بها؛ و تكررت فيهم التّباهة، و جاوروا الخلفاء بقرطبة. و كان
والد محمد هذا، من أهل الدين و العفاف و الزهد في الدنيا و القعود عن السلطان. سمع الحديث، و أدّى الفريضة، و مات منصرفا عن
الحج ياطرابلس.

حاله: كان هذا الرجل بكر الدهر، و فائدة الأيام، و بيضة العمر، و فرد الخلق في اضطراد التّبع، و تملد العاجل من الحظ، حازما،
داهية، مشتملا على أقطار السّودد، هويّا إلى الأقصى، و طموحا، سوسا حميا، مصطنعا للرجال، جالبا
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٥٨

للأشراف، مستميلا للقلوب، مطبقا المفاصل، مزيحا للعلل، مستبصرا في الاستبداد، خاطبا جميل الذكر، عظيم الصبر، رحيب الدّرع،
طموح الطرف، جشع السيف، مهادى جياذ العقاب و المثوبة، مهيبا، جزلا، منكسف اللون، مصفر الكفّ، آية الله، جلّ جلاله، في
التّصر على الأعداء و مصاحبة الظّفر، و توالى الصّنع.

نباهته: قال المؤرخ: سلك سبيل القضاء في أولّيته، مقتفيا آثار عمومته و خؤولته، يطلب الحديث في حديثه. و كتب منه كثيرا، و لقي
الجلّة من رجاله، ثم صحب الخليفة الحكم متحرّبا في زمرة، و ولى له الأعمال من القضاء و الإمامة، ثم استكفاه، فعدل عن سبيله، و
صار في أهل الخدمة. ثم اختصّه بخدمة أمّ ولده هشام، فزاد بخاصّيته لولى العهد، عزّا و مكانة من الدولة، فاحتاج الناس إليه، و غشوا
بابه، و بلغ الغاية من أصحاب السلطان معه، إسعاف، و كرم لقاء، و سهولة حجاب، و حسن أخلاق، فاستطار ذكره، و عمّر بابه، و
ساعده الجدّ. و لما صار أمر المسلمين إليه، بلغ التي لا فوقها عزّا و شهرة.

الثناء عليه: قال: و في الدولة العامرية، و أعين محمد على أمره، مع قوة سعده، بخصال مؤلّفة لم تجتمع لمن قبله، منها الجود، و الوفاق،

و الجَدِّ و الهَيْبَةِ، و العَدْل و الأَمْن، و حَبِّ العِمَارَةِ، و تَأْمِير المَال، و الضَّبْط للرَعِيَّة، و أَخْذَهُم بِتَرْك الجِدَال و الخِلَاف و التَّشْعَب، من غير و هُن في دِينِهِ، و صَحَّة البَاطِن، و شَرَح كلِّ فَضْل، و جَلَب كلِّ ما يوجِب عن المَنصُور فِيهِ.

غزواته و ظهوره على أعدائه:

و اصل، رَحِمَهُ اللهُ، الغَزْو بِنَفْسِهِ، فِيمَا يَنَاهِز خَمْسِينَ غَزْوَةً، و فَتَح فِيهَا البِلَاد، و خَضَد شوكَةَ الكُفْر، و أَذَلَّ الطَّوَاغِيَت و فَضَّ مَصَافِ الكَفَّار، و بَلَغ الأَعْمَاق، و ضَرَب على العَدُو الضَّرَائِب، إلى أن تَلَقَّاه عَظِيم الروم بِنَفْسِهِ و أَتَحَفَهُ بِابْنَتِهِ في سَبِيل الرَغْبَةِ في صَهْرِهِ، فَكَانَت أَحْظَى عَقَائِلِهِ، و أَبْرَتْ في الدِين و الفَضْل على سَائِر أَزْوَاجِهِ، و عَقَد اثْنِي عَشَرَ بَرُوزًا إلى تَلَقَّى مَلُوك الروم القَادِمِينَ عَلَيْهِ مَصْطَهَرِينَ بِإِلْحَاح سَيْفِهِ، مَنكِبِينَ على لَثْم سَرِيرِهِ.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٥٩

شعره: و مما يؤثر من شعره: [الطويل]

رَمِيَتْ بِنَفْسِي هَوْلَ كُلِّ عَظِيمَةٍ و خَاطَرَتْ و الحَزَّ الكَرِيمِ يَخَاطِرُ
و مَا صَاحِبِي إِلاَّ جَنَانٌ مَشْتَعٍ و أَسْمَرُ خَطِيٍّ و أَيْبُضُ بَاتِرٍ
و مَن شِيَمْتِي أَنِي على كُلِّ طَالِبِ أَجُودِ بِمَالٍ لَا تَقِيهِ المَعَاذِرُ
و إِنِّي لَزَجَّاءُ الجِيُوشِ إلى الوَغَى أَسُودُ تَلَاقِيهَا أَسُودُ خِوَادِرِ
فَسَدَتْ بِنَفْسِي أَهْلَ كُلِّ سِيَادَةٍ و كَاثَرَتْ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مَن أَكَاثَرِ
و مَا شَدَّتْ بِنِيَانًا و لَكِن زِيَادَةً على مَا بَنَى عِبْد المَلِيكِ و عَامِرِ
رَفَعْنَا العِوَالِي بِالعِوَالِي سِيَاسَةً و أَوْرَثْنَاها في القَدِيمِ مَعَاوِرِ

و بَلَغَ في مَلِكِهِ أَقْطَارَ المَغْرِبِ، إلى حُدُودِ القِبْلَةِ، و بِمَدِينَةِ فَاسٍ، إِثْرَ وِلْدِهِ المَقْلَدِ فَتَحَ تِلْكَ الأَقْطَارَ، و نَهَدَ أَوْلَئِكَ المَلُوكِ الكِبَارِ. دَخُولُهُ غَرْنَاطَةَ: قال صَاحِبُ الدِيوانِ في الدَوْلَةِ العَامِرِيَّةِ، و قد مرَّ ذِكْرُ المَنصُورِ، قَوْمِ المَغْرِبِ بِمَدِينَةِ بَرشَلونَةَ: و هَذِهِ الأُمَّةُ أَكْثَرُ النَصْرَانِيَّةِ جَمْعًا، و أَوْسَعُها، و أَوْفَرُها مِنَ الاستِعْدَادِ، و مَا أَوْطَىءَ مِنَ المَمَالِكِ و البِلَادِ، و فَتَحَ مِنَ القِوَاعِدِ، و هَزَمَ مِنَ الجِيُوشِ. و قَفَلَ المَنصُورُ عِنها، و هُوَ أَطْمَعُ النَاسِ في اسْتِئْصَالِها؛ ثُمَّ خَصَّيْهِم بِصَافِئُهُ سَنَةَ خَمْسٍ و سَبْعِينَ، و هِيَ الثَّالِثَةُ عَشْرَةَ لَغَزَواتِهِ؛ الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ٢؛ ص: ٥٩

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٦٠

و قد اِحْتَفَلَ لذلِكَ، و اسْتَبْلَغَ في التَّنْفِيرِ، و اسْتَوْفَى أَتَمَّ الأَبْهَةِ، و أَكْمَلَ العِدَّةَ، فَجَعَلَ طَرِيقَهُ على شَرْقِي الأَنْدَلُسِ؛ لِاسْتِكْمَالِ ما هُنالِكَ مِنَ الأَطْعَمَةِ، فَسَلِكَ طَرِيقَ إِبِيرَةَ، إلى بَسْطَةَ، إلى تَدْمِيرِ؛ و عَزَمَ في هَذِهِ الغَزَواتِ بَرِيلَ مَلِكِ فَرَنْجَةَ و نَازَلَ مَدِينَةَ بَرجلونَةَ؛ فَدَخَلها عَنوَةً يَوْمَ الاثْنَيْنِ النَصْفِ مِنَ صَفَرٍ، سَنَةَ أَرْبَعٍ و سَبْعِينَ أَوْ خَمْسٍ بَعْدَها.

قَلت: و في دَخُولِ المَنصُورِ بِجيشِهِ بِلَدِ إِبِيرَةَ؛ ما يَحَقِّقُ دَعْوَى مَن ادَّعى دَخُولَ المَعْتَمِدِينَ مِنَ أَهْلِ الأَنْدَلُسِ لذلِكَ العَهْدِ؛ إِذْ كانَ يَصْحَبُ المَنصُورَ في هَذِهِ الغَزْوَةِ، مِنَ الشُعْرَاءِ المَرْتَزِقِينَ بِدِيوانِهِ مَن يذِكرُ؛ فَضْلاً عَن سَائِرِ الأَصْنَافِ على نَدَارَةِ هَذَا الصَّنْفِ مِنَ الخِدَامِ؛ بِالنِّسْبَةِ لِلبَحْرِ الزَّائِرِ مِنَ غَيْرِهِم.

و الذِي صَحَّ أَنَّهُ حَضَرَ ذلِكَ، أَبُو عِبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَسَنِ الطَّبْنِيِّ، أَبُو القَاسِمِ حَسَنِ بْنِ الوَلِيدِ، المَعْرُوفُ بِابْنِ العَرِيفِ، أَبُو الوَضَّاحِ بْنِ شَهِيدِ، عِبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ أَحْمَدَ، أَبُو العِلا- صَاعِدُ بْنُ الحَسَنِ اللُّغَوِيِّ، أَبُو بَكْرٍ زِيَادَةُ اللهِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ حَسَنِ اليمْنِيِّ، عَمْرُ بْنُ المَنجَمِ البَغْدَادِيِّ، أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ القَرَشِيِّ العَبَّاسِيِّ، عِبْدُ العَزِيزِ بْنِ الخَطِيبِ المَحْرُودِ، أَبُو عَمْرِو يوسُفُ بْنُ هَارُونَ الزِّيَادِيُّ، موسَى بْنُ أَبِي طَالِبِ، مروان بن عبد الحكم بن عبد الرحمن، يحيى بن هذيل بن عبد الملك بن هذيل المكفوف، سعد بن محمد القاضي، ابن

عمرون القرشي المرواني، على النقاش البغدادي، أبو بكر يحيى بن أمية بن وهب، محمد بن إسماعيل الزبيدي، صاحب المختصر في اللغة، أحمد بن درّاح القسطلي، متنبّي الأندلس، أبو الفرج منيل بن منيل الأشجعي، محمد بن عبد البصير، الوزير أحمد بن عبد الملك بن شهيد، محمد بن عبد الملك بن جهور، محمد بن الحسن القرشي، من أهل المشرق، أبو عبيدة حسان بن مالك بن هاني، طاهر بن محمد المعروف بالمهّند، محمد بن مطرف بن شخيص، سعيد بن عبد الله الشّنتريني، وليد بن مسلمة المرادي، أغلب بن سعيد، أبو الفضل أحمد بن عبد الوهاب، أحمد بن أبي غالب الرّصافي، محمد بن مسعود البلخي، عبادة بن محمد بن ماء السماء، عبد الرحمن بن أبي الفهد الإلبيري، أبو الحسن بن المضىء البجلي الكاتب، عبد الملك بن سهل، الوزير عبد الملك بن إدريس الجزيري، قاسم بن محمد الجيّاني.

قال المؤرخ: هؤلاء من حفظته منهم، و هم أكثر من أن يحصوا، فعلى هذا يتبنى القياس في ضخامة هذا الملك، و انفساح هذا العزّ.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٦١

وفاته: توفي، رحمه الله، منصرفاً من غزاته المسماة بقنالش و الرّيد، و قد دوّخ أقطار قشتالة، ليلة الاثنين سبع و عشرين لرمضان عام اثنين و تسعين و ثلاثمائة، و قد عهد أن يدفن ببلد وفاته، بعد وصية شهيرة صدرت عنه، إلى المظفر ولده، فدفن بمدينة سالم، التي بناها في نحر العدو من وادي الحجارة، و بقصرها، و قبره معروف إلى اليوم. و كان قد اتخذ له من غبار ثيابه الذي علاها في الجهاد، و عاء كبيراً بحديه، رحمه الله. و كتب على قبره هذا الشعر: [الكامل]

آثاره تنبيك عن أخباره حتى كأنك بالعيان تراه

تالله لا يأتي الزمان بمثله أبداً و لا يحمي الثغور سواه

محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل ابن قريش بن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطف ابن نعيم، نخمي النسب

إشارة

أولّيته: دخل الأندلس جدّه عطف مع بلج بن بشر القشيري، من أشرف الطّالعة البلجيّة، و هم من عرب حمص من أرض الشام، و موضعه بها يعرف بالعريش في آخر الجفّار بين مصر و الشام. و نزل عطف بقرية تعرف بيومين من إقليم طشانة على ضفة النهر الأعظم من أرض إشبيلية. و لما هلك قريش، ورث السيادة إسماعيل بن قريش، و هو القاضي المشهور بالفضل و الدهاء، يكنى أبا الوليد. ولى الشرطة الوسطى لهشام بن الحكم، و خطّة الإمامة إلى صلاة الجمعة.

ثم خلفه أبو القاسم المنفرد برئاسة إشبيلية، المتحف فيها بخطط الوزارتين و القضاء

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٦٢

و المظالم. و عزّ جاهه، و كثرت حاشيته، و تعدّدت غلمانه، و أذعنت له عاداته. ثم خلفه الأمير المعتضد ولده، و كان خيراً حازماً، سديد الرأي، مصنوعاً له في الأعداء، فلما توفي، تصير الأمر إلى ولده المترجم به، المكنى أبا القاسم إلى حين خلعه.

حاله: قالوا كلّهم: كان المعتمد، رحمه الله، فارساً شجاعاً، بطلاً مقداماً، شاعراً ماضياً، مشكور السيرة في رعيته. و قال أبو نصر في قلائده: «و كان المعتمد على الله ملكاً قمع العدا، و جمع بين البأس و النّدا، و طلع على الدنيا بدر هدى، لم يتعطل يوماً كفه و لا بنانه، آونة يراعه و آونة سنانه، و كانت أيامه مواسم، و ثغور برّه بواسم». لقبه أوالا- الظّافر، ثم تلقب بالمعتمد، كلفا بجاريته اعتماداً، لّمّا ملكها، لتتفق حروف لقبه بحروف اسمها، لشدة ولوعه بها.

وزراؤه: ابن زيدون. و ابن عمّار، و غيرهما.

أولاده المملكون: عبيد الله، يكنى أبا الحسن، و هو الرّشيد، و هو الذي لم يوافق أباه على استصراخ المرابطين، و عزّض بزوال الملك

عنهم، فقال: أحب إلي أن أكون راعي إبل بالعدوة من أن ألقى الله، وقد حوّلت الأندلس دار كفر، و كان قد ولّاه عهده، و بويع له بإشبيلية، و هو المحمول معه إلى العدو. ثم الفتح، و هو الملقب بالمأمون، كان قد بويع له بقرطبة، و هو المقتول بها، المحمل رأسه إلى محلّة العدو المرابطين، المحاصرة لأبيه بإشبيلية. ثم يزيد الراضى، و كان قد ولّاه رندة، فقتل لما ملكها اللمتونيون. ثم عبد الله، و يكتى أبا بكر. هؤلاء الأربعة من جاريته اعتماد، السيدة الكبرى، و المدعوة بالزيمكية منسوبة إلى مولاها رميك بن حجاج، الذى ابتاعها منه المعتمد.

ملّمته: لما تكالب أدفونش بن فردلاندى على الأندلس بعد أخذه مدين طليطلة ضيق بالمعتمد، و أجحف فى الجزية التى كان يتقى بها على المسلمين عاديته، و على ذلك أقسم أخذها و تجنى عليه، و طمع فى البلاد، فحكى بعض الإخباريين أنه وجه إليه رسله فى آخر أمره لقبض تلك الضريبة، مع قوم من رؤساء النصارى، و نزلوا خارج باب إشبيلية، فوجه إليهم المال، مع بعض الوزراء، فدخلوا على اليهودى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٦٣

المذكور فى خبائه، و أخرجوا المال، فقال لهم: لا أخذت منه هذا العيار و لا أخذت منه إلّا ذهباً مشجراً، و لا يؤخذ منه فى هذا العام إلّا أجفان البلاد، و نقل كلامه إلى المعتمد، فبادر بالقبض عليه و على النصارى، و نكل بهم، و قتل اليهودى بعد أن بذل فى نفسه زنة جسمه ذهباً، فلم يقبل منه، و احتبس النصارى، و راسله الطاغية فى إطلاقهم، فأبى إلّا أن يخلى منه حصن الحدود، فكان ذلك. و استصرخ اللمتونيين، و أجاز البحر بنفسه، و أقسم الطاغية بإيمانه المغلطة إلّا يرفع عنه يده. و هاجت حفيظة المعتمد، و اجتهد فى جواز المرابطين، و كان مما هو معلوم من الإيقاع بالطاغية فى وقعة الزلاقة، فإنه الذى أصلى نارها بنفسه، فعظم بلاؤه، و شهر صبره، و أصابته الجراح فى وجهه و يده، رحمه الله. و فى ذلك يقول أبو بكر بن عبادة المرى :

[الوافر]

و قالوا كفه جرحت فقلنا أعاديه توقعها الجراح
و ما أثر الجراحة ما رأيتم فتوهنها المناصل و الزماح
و لكن فاض سيل البأس منها ففيتها من مجاريه انسياح
و قد صحت و سحت بالأمانى و فاض الجود منها و السماح
رأى منه أبو يعقوب فيها عقاباً لا يهاض له جناح
فقال له لك القدح المعلى إذا ضربت بمشهدك القداح
و لما اتصلت به الصيحة؛ بين يدي دخول المدينة، ركب فى أفراد من عبيده؛ و عليه قميص يشف عن بدنه، و السيف منتضى بيده، و يمم باب الفرج، فقدّم الداخلين، فردّهم على أعقابهم؛ و قتل فارساً منهم؛ فانزعجوا أمامه؛ و خلفوا الباب؛ فأمر بإغلاقه؛ و سكنت الحال؛ و عاد إلى قصره. و فى ذلك

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٦٤

يقول: [مجزوء الكامل]

إن يسلب القوم العدا ملكى و تسلمنى الجموع
فالقلب بين ضلوعه لم تسلم القلب الضلوع
قد رمت يوم نزالهم إلّا تحصننى الدروع
و برزت ليس سوى القميص عن الحشا شىء دفع
أجلى تأخر لم يكن بهواى ذلى و الخضوع

ما سرت قط إلى القتال و كان من أملى الرجوع

شيم الأولى أنا منهم والأصل تتبعه الفروع

جوده: و أخبار جوده شهيرة، و مما يؤثر من ذلك، على استصحاب حال العز، و وفور ذات اليد، و أدوات الملك، غريب. و الشاهد المقبول بقاء السجينة و مصاحبة الخلق الملكية، مع الإقتار و الإيسار، و تقلب الأطوار. و تعرض له الحصرى القرمونى الضرير بخارج طنجة؛ و هو يجتاز عليها فى السواحل من قهر و اعتقال، بأشعار ظاهرة المقت، غير لائقة بالوقت، و لم يكن بيده، زعموا، غير ثلاثين ديناراً كانت بخفه، معدة لضرورة ضرر و أزمة، و أطع عليها دمه، و أدرج قطعه شعر طيها اعتذار عن نزرها، راغبا فى قبول أمرها، فلم يراجع الحصرى بشيء عن ذلك، فكتب إليه: [مجزوء الرمل]

قل لمن جمع العلم و ما أحصى صوابه

كان فى الصرة شعر فتظننا جوابه

قد أثبتناك فهلاً جلب الشعر جوابه ؟

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٦٥

حلمه: رفع إليه صدر دولته شعر، أغرى فيه أبى الوليد بن زيدون، و هو شهير، و تخير له موقع و ترصد حين، و انتظر به مؤجره، و هو: [الكامل]

يا أيها الملك الأعز الأعظم اقطع و ريدى كل باغ يسلم

و احسم بسيفك داء كل منافق يبدى الجميل و ضد ذلك يكتنم

لا تتركن للناس موضع شبهة و احزم فمثلك فى العظام يحزم

قد قال شاعر كنده فيما مضى قولاً على مر الليالى يعلم

«لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم»

فوقع على الرقعة: [الكامل]

كذبت مناكم، صرحوا أو جمجموا اللدين أمتن و السجينة أكرم

ختمت و رمت أن أخون و إنما حاولتم أن يستخف يلملم

و أردتم تضيق صدر لم يضق و السمر فى صدر التهور تحطم

و زحفتكم بمحالكم لمجرب ما زال يثبت للمحال فيهم

أنى رجوتم غدر من جرتبتم منه الوفاء و ظلم من لا يظلم

أنا ذا كم لا السعى يثمر غرسه عندى و لا مبنى الصنعة يهدم

كفوا و إلّا فارقبوا لى بطشة يبقى السفية بمثلها يتحلّم

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٦٦

توقيعه و نثره فى البديهة:

كتب مع الحمائم إلى ولده الرشيد عقب الفراغ من وقعة الرلقة:

يا بنى، و من أبواه الله و سلمه، و وقاه الأسواء و عصمه، و أسبغ عليه آلاءه و أنعمه، كتبته، و قد أعز الله الدين، و أظهر المسلمين، و

فتح لهم على يدي مستدعيات الفتح المبين، بما يسره الله فى أمسه و سناه، و قدره سبحانه و قضاه، من هزيمة أدفونش ابن فردلند لعنه

الله و أصله، و إن كان طاح للجحيم، و لا أعدمه و إن كان أهل العيش الدميم، كما قنعه الخزى العظيم. و أتى القتل على أكثر رجاله

و حماته، و اتصل النهب سائر اليوم، و الليلة المتصلة به، جميع محلاته، و جمع من رؤوسهم بين يدي، من مشهورى رجالهم، و المذكورى أبطالهم، و لم يختر منهم إلّا من شهر و قَرب، و امتلأت الأيدي ممّا سلب و نهب. و الذى لا مريّة فيه، أن الناجى منهم قليل، و المفلت من سيوف الجزع و البعد قتيل، و لم يصبنى بفضل الله إلّا جرح أشوى، و حسن الحال عندنا و الله و زكى، و لا يشغل بذلك بال، و لا- يتوهم غير الحال التى أشرت إليها حال، و الأدفونش بن فردلانند، إن لم يصبح تحت السيوف فسيموت لا محالة كمداء، و إن كان لم تعلقه أسراد الحمام فغدا، فإن برأسه طمرة و لحام. فإذا ورد كتابى هذا، فمر بجمع الخاص و العام، من أهل إشبيلية، و جيرانها الأقربين، و أصفينا المحين، فى المسجد الجامع، أعزهم الله، و ليقرأ عليهم فيه، ليأخذوا من المسرة بأنصائبهم، و يضيفوا شكرا لله إلى صالح دعائهم، و الحمد لله على ما صنع حقّ حمده، جلّ المزيّد لأمر حين، إلّا من عنده و السلام.

تلطفه و ظرفه: قال أبو بكر الدانى: سألتى فى بعض الأيام عند قدومى عليه بأغمات، قاضيا حقّ نعمته، مستكثرا من زيارته، مستمتعا برائق أدبه، على حال محتته، عن كتيبى، فأعلمته بذهابها فى نهب حضرته. و كنت قد جلبت فى سفرتى تلك، الأشعار الستة، بشرح الأستاذ أبى الحجاج الشنتمرى الأعلم، و كانت مستعارة، فكتمتها عنه. و وشى إليه أحد الأصحاب، فنجل بكرمه و حسن شيمته، من الأخذ معى فى ذكر ما كتتمته، فاستطرد إلى ذلك بغرض نبيل، و نحا فيه نحو، يعرب عن الشرف الأصيل، و أملى علىّ، فى جملة ما كان يمليه: [الكامل]

و كواكب لم أدر قبل وجوها أن البدور تدور فى الأزوار

نادمتها فى جنح ليل دامن فأعزته مثلا من الأنوار

فى وسط روضة نرجس كعيونها ما أشبه التوار بالتوار

فإذا توأصنا الحديث حسبتى ألهو بملتقط لدرّ نثار

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٦٧ فإذا اكتحلت برقّ ثغر باسم سكبت جفونى أغزر الأمطار

حذر الملام و خيفه من جفوة تذر الصدور على شفير هار

ترك الجوارى الآنسات مذهبى و سؤلها ظفر بريشة الأشعار

فلم أتمالك عند ذلك ضحكا، و علمت أن الأمر قد سرى إليه، فأعلمته قصتها، فبسط العذر بفضله، و تأوّل الأمر، و قسّم الأشعار، على ثلاثة من بنيه؛ ذوى خطّ رائع، و نقل حسن، و أدب بارع، أخذوا فى نسخها، و صرفوا الأصل لأجل قريب.

محتته: و لم يلبث أمير اللمتونيين بعد جوازه إلى الأندلس، و ظهوره على طائفة الروم، أن فسد ما بينه و بين رؤساء الطوائف بالأندلس، و عزم على خلعه، فأجاز من سبته العساكر، و سرب الأمداد. و أخذ المعتمد بالعزم يحصن حصونه، و أودع المعازل عدته، و قسّم على مظان الامتناع ولده، و صمدت الجموع صمده بنيه، و نازل الأمير سير إشبيلية، دار المعتمد، و حضرة ملكه، و نازل الأمير محمد ابن الحاج قرطبة، و بها المأمون، و نزل جرور من قواده رنده، و بها الرضى ابن المعتمد. و استمرّ الأمر، و اتصلت المحاصرة، و وقعت أمور يضيق الكتاب على استقصائها. فدخلت قرطبة فى جمادى الآخرة عام أربعة و ثمانين و أربعمائه، و قتل الرضى، و جلب رأسه فطيف به بمرأى من أبيه. و كان دخول إشبيلية على المعتمد، دخول القهر و الغلبة، يوم الأحد لعشر بقين من رجب، و شملت الغارة، و اقتحمت الدور، و خرج ابن عباد فى شكته، و ابنه مالك فى أمته معهما، فقتل مالك الملقب بفخر الدولة و رهقت الخيل، و كثر، فدخل القصر ملقيا بيده. و لما جنّ الليل، و جّه ابنه الأكبر الرشيد إلى الأمير، فحجب عنه، و وكلّ بعض خدمه به، و عاد إلى المعتمد فأخبره بالإعراض عنه، فأيقن بالهلكة، و ودّع أهله، و علا- البكاء، و كثر الصيراخ، و خرج هو و ابنه، فأنزلا- فى خباء حصين، و رقبا بالحرس، و أخرج الحرم من قصره، و ضمّ ما اشتمل عليه، و أمر بالكتب إلى ولده برنده ففعل. و لما نزل، و استوصلت ذخيرته، سلا، و أجز المعتمد البحر، و من معه إلى طنجة، فاستقرّ بها فى شعبان من العام، و فى هول البحر عليه فى هذا الحال، يقول رحمه الله:

[البسيط]

لم أنس و الموت يدنيني و يقصيني و الموت كأنّ المنى يأتيني
أبصرت هولاء لو أنّ الدهر أبصره لما خوفاً لأمر ليس بالدون
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٦٨ قد كنت ضائناً بنفس لا أجود بها فبعثتها باضطرار بيع مغبون
كم ليلة بت مطويا على حرق في عسر من عيون الدبر في العين
فتلك أحسن أم ظللت به في ظلّ عزّة سلطان و تمكين؟
و لم يكن و الذي تعنو الوجوه له عرضي مهانا و لا مالي بمخزون
و كم خلوت من الهيجا بمعترك و الحرب ترفل في أثوابها الجون
يا ربّ إن لم تدع حالاً أسرّ به فهب لعبدك أجرا غير ممنون

و جرى على بناته شيء يوم خروجهن، و اضطرتهن الضيقة إلى معيشتهنّ من غزل أيديهن، و جرت عليه محن طال لها شجنه و أقعده
قيد، إلى أن نقل إلى أغمات و ريكة، و حلّ عنه الاعتقال، و أجرى عليه رزقه، تلبّغ به لمدة من أعوام أربعة، و استنقذه حمامه، رحمه
الله عليه.

وصوله إلى غرناطة: قال ابن الصّيرفي: و قد أجرى ذكر تملكك يوسف بن تاشفين غرناطة، و خلع أميرها عبد الله بن بلقين حفيد
باديس، يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من رجب عام ثلاثة و ثمانين، و لحق ابن عباد و حليفه ابن مسلمة بخيل و رجل و رماة و عدد،
و حلّ ذلك من ابن عباد تضيماً لمسرة أمير المسلمين، و تحقّقا بموالاة، فدخل عليه، و هنّأه، و قد تحكّمت في نفس ابن عباد
الطماعية في إسلام غرناطة إلى ابنه، بعد استصفاء نعمه صاحبها، عوضاً عن الجزيرة الخضراء، و كان قد أشخصه معه، فعرض بغرضه،
فأعرض أمير المسلمين عن الجميع إعراضاً، كانت منية كل منهما التخلّص من يده، و الرجوع إلى بلده، فأعمل ابن عباد الحيلة، فكتب،
يزعم أنه وردت عليه تحته من إشبيلية في اللحاق أبناء مهمّة طرقت بتحرك العدو، و استأذن بها في الصّيدور، فأخذ له و لحليفه ابن
مسلمة، فانتهزا الفرصة، و ابتدروا الرجعة، و لحق كل بموضعه يظنّ أنه ملك رئاسه أمره.

مولده: ولد المعتمد على الله بمدينة باجة سنة إحدى و ثلاثين و أربعمائه. و ولى سنة إحدى و ستين. و خلع سنة أربع و ثمانين.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٦٩

وفاته: كانت وفاة المعتمد على الله بأغمات في ربيع الأول سنة ثمان و ثمانين و أربعمائه، بعد أن تقدمت وفاته وفاة الحرّة اعتماد، و
جزع عليها جزعا أقرب سرعة لحاقه بها. و لما أحسّ بالمنية رثى نفسه بهذه الأبيات و أمر أن تكتب على قبره:

[البسيط]

قبر الغريب سقاك الرّائح الغادي حقاً ظفرت بأشلاء ابن عبّاد
بالحلم بالعلم بالنعمى إذا اتصلت بالخصب إن أجدبوا بالرّي للصادى
بالطّاعن الضارب الرّامى إذا اقتتلوا بالموت أحمر بالضرغامه العادى
بالدهر فى نغم بالبحر فى نعم بالبدر فى ظلم بالصّدر فى النادى
نعم هو الحقّ فاجانى على قدر من السماء و وافانى لميعاد
و لم أكن قبل ذاك النّعش أعلمه أنّ الجبال تهادى فوق أعواد
كفاك فارفق بما استودعت من كرم رواقك كلّ قطوب البرق رعّاد
بيكى أخاه الذى غيّبت و ابله تحت الصّفيح بدمع رائح غادى
حتى وجودك دمع الطّل منهمر امن أعين الرّهر لم تبخل بإسعاد
فلا تزل صلوات الله نازلة على دفينك لا تحصى بتعداد

بعض ما رثى به: قال ابن الصيرفي: و خالف في وفاة المعتمد، فقال:

كانت في ذى حجة. فلما انفصل الناس من صلاة العيد، حفّ بقبيره ملاً، يتوجعون و يترحمون عليه، و أقبل ابن عبد الصمد، فوقف على قبره و أنشد:

[الكامل]

ملك الملوك، أ سامع فأنادى أم قد عدتك عن السماع عوادى؟

لما خلت منك القصور فلم تكن فيها كما قد كنت في الأعياد

أقبلت في هذا الثرى لك خاضعاو اتخذت قبرك موضع الإنشاد

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٧٠

ثم خرّ يبكي، و يقتيل القبر و يعفر وجهه في التراب، فبكي ذلك الملاء حتى أخضلوا ملابسهم، و ارتفع نشيجهم، فله درّ ابن عبد الصمد، و ملاذ ذلك البلد.

محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مردنيش الجذامي

إشارة

قال بعضهم: ينتمي في تجيب، الأمير أبو عبد الله.

أولّيته: معروفة. و على يد أبيه جرت الواقعة الكبرى بظاهر إفراغة، على ابن رذمير الطاغية، فجلبت الشهرة، و عظمت الأثر. قال بعضهم: تولى أبوه سعد قيادة إفراغه و ما إليها، و ضبطها. و نازلها ابن رذمير، فشه غناؤه بها في دفاعه، و صبره على حصاره، إلى أن هزمه الله عزّ و جلّ، على يدى ابن غانية. و ظهر بعد ذلك فحسن بلاؤه، و بعد صيته. و رأس ابنه محمد، و نفق في ألفته. و كان بينه و بين ابن عياض المتأمر بمرسیة صهر، و لاه لأجله بلنسية. فلما توفي ابن عياض، بادرها ابن سعد، و بلغه أثناء طريقه غدر العدو بحصن جلال، فكرّ و قاد له و فتحه. و عاد فملك بلنسية، و قد ارتفع له صيت شهير، ثم دخلت مرسیة في أمره، و استقام له الشرق، و عظمت حاله.

حاله: قال ابن حمامة: ساد من صغره بشجاعته و نجابته، وصيت أبيه، فمال بذلك إلى القيادة، و سنّه إحدى و عشرون سنة. ثم ارتقى إلى الملك الراسخ، و السلطان الشامخ، بباهر شجاعته و شهامته، فسمّا قدره، و عظم أمره، و فشى في كل أمة ذكره. و قال غيره: كان بعيد الغور، قوى الساعد، أصيل الرأى، شديد العزم، بعيد العفو، مؤثرا للانتقام، مرهوب العقوبة. و قال في مختصر «ثورة المریدين»: كان عظيم القوة في جسمه، ذا أيد في عظمته، جزّارة في لحمه، و كان له فروسيّة، و شجاعه، و شهامة، و رئاسة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٧١

بطالته وجوده: قال: و كان له يومان في كل جمعة؛ الاثنين و الخميس، يشرب مع ندمائهم فيهما، و وجود على قواده، و خاصته و أجناده، و يذبح البقر فيهما، و يفرق لحومها على الأجناد، و يحضر القيان بمزاميرهن و أعوادهن، و يتخلل ذلك لهو كثير، حتى ملك القلوب من الجند، و عاملوه بغاية التصح، و ربما وهب المال في مجالس أنسه.

ذكر أنه استدعى يوما ابن الأزرق أحد قواده، فشرّب معه و مع القرابة، في مجلس قد كساه بأحمر الوشى و الوطىء و الآنية من الفضة و غيرها، و تمادى في لهو و شراب عامة اليوم، فلما كمل نهاره معهم، و هبهم الآنية، و كلّ ما كان في المجلس من الوشى و غير ذلك.

قالوا: كان عظيم الانهماك في ميدان البطالة، و اتخذ جملة من الجوارى، فصار يراقدهن جملة تحت لحاف واحد . و انهمك في حب القيان، و الزمر و الرقص.

قالوا: و كان له فتى اسمه حسن، ذو رقبه سمينة، وقفا عريض، فإذا شرب، كان يرزه، و يعطيه بعد ذلك عطاء جزيلا. و فى ذلك يقول كاتبه المعروف بالسالمى، و كان يحضر شرابه و يخمر: [المنسرح]

أدر كؤوس المدام و الرزفقد ظفرنا بدولة العز

و نعم الكف من قفا حسن فإنها فى ليانة الخز

و صاحب إن طلبت أخدمه فلم يك فى بذله بمعتر

انحنى على أخداعى فأطربنى و هز عطفى أيما هز

و أجزل صلة السالمى حين أنشدها إياه، و اشتهرت هذه الأبيات بالشرق، و استظرفها الناس. فردّ مرسية دار مجونه، و بلغ فى زمانه ألفا و أربعين. و آثر زى النصارى من الملابس، و السلاح، و اللجم، و السروج. و كلف بلسانهم يتكلم مباهته، و ألجأه الخروج عن الجماعة، و الانفراد بنفسه إلى الاحتماء بالنصارى، و مصانعتهم، و الاستعانة بطواغيتهم، فصالح صاحب يرشونه لأول أمره على ضريبة، و صالح ملك

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٧٢

قشتالة على أخرى؛ فكان يبذل لهم فى السنة خمسين ألف مثقال. و ابنتى لجيشه من النصارى منازل معلومات و حانات للخمور، و أجحف برعيته لأرزاق من استعان به منهم، فعظمت فى بلاده المغارم و ثقلت، و اتخذ حوانيت بيع الأدم و المرافق، تختنق بجانبه، و جعل على الأغنام و عروض البقر، مؤنا غريبة. و أما رسوم الأعراس و الملاهى، فكانت قبالاتها غريبة. حدث بعض المؤرخين عن الثقة، قال: كنت بجزيان مع الوزير أبى جعفر الوقشى، فوصل إليه رجل من أهل مرسية، كان يعرفه، فسأله الوزير عن أحوال ابن مردنيش و عن سيره، فقال الرجل: أخبرك بما رأيته من جور عماله و ظلمهم؛ و ذلك أن أحد الرعية بشاطبة و اسمه محمد بن عبد الرحمن، كان له بنظر شاطبة، ضويعة يعيش بها، و كان لازمها أكثر من فائدها، فأعطى لازمها حتى افتقر، و فرّ إلى مرسية. و كان أمر ابن مردنيش، أنه من فرّ من الرعية أمام الغزو، أخذ ماله للمخزن. قال الرجل الشاطبي: فلما وصلت إلى مرسية فأرا عن وطنى، خدمت الناس فى البنيان، فاجتمع لى مثقالان سعديان، فبينما أنا أمشى فى السوق، و إذا بقوم من أهل بلدى شاطبة، و من قرابتى، فسألتهم عن أولادى و زوجتى، فقالوا: إنهم فى عافية، وفرحت فرحا عظيما، و سألتهم عن الضويعة، فقالوا: إنها باقية بيد أولادك، فقلت لهم: عسى تبيتوا عندى الليلة، فاشترت لحما و شرابا، و ضربنا دقا. فلما كان عند الصباح، و إذا بنقر عنيف بالباب. فقلت: من أنت؟ فقال: أنا الطرقون الذى بيده قبالة اللهو، و هى متفقه بيدي، و أنتم ضربتم البارحة الدف فأعطينا حق العرس الذى عملت. فقلت له: و الله ما كانت لى عرس، فأخذت و سجنت، حتى افتديت بمثقال واحد من الذى خدمت به، و جئت إلى الدار، فقبل لى إن فلانا وصل من شاطبة الساعة، فمشيت لأسأله عن أولادى، فقال: تركتهم فى السجن، و أخذت الضويعة من أيديهم فى رسم الجبالى، فرجعت إلى الدار، إلى قرابتى، و عرفتهم بالذى طرأ على، و بكيه طول ليلتى، و بكوا معى، فلما كان من الغد، و إذا بناقر بالباب، فخرجت، فقال: أنا رجل صاحب الموارىث، أعلمنا أنكم بكيتم البارحة، و أنه قد مات لكم ميت من قرابتكم غنى، و أخذتم كل ما ترك، فقلت: و الله ما بكيه إلا نفسى، فكذبنى و حملنى إلى السجن، فدفعت المثقال الثانى، و رجعت إلى الدار و قلت:

أخرج إلى الوادى، إلى باب القنطرة، أغسل ثيابى من درن السجن، و أفرّ إلى العدو، فقلت لامرأة تغسل الثياب: اغسلى مما على، و جردتها، و دفعت لى زنارا ألبسه. فبينما أنا كذلك، و إذا بالخصى قائد ابن مردنيش، يسوق ستين رجلا من أهل الجبل، لابسى الزنانير، فرآنى على شكلهم، فأمر بحملى إلى السخرة و الخدمة بحصن مسقوط عشرة أيام، فلبثت أخدم و أحضر مدة عشرة أيام، و أنا أبكى و

أشكى للقائد المذكور، حتى أشفق عليّ و سرّحني. فرجعت أريد مرسية، فقيل لي عند باب البلد: كيف اسمك؟

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٧٣

فقلت: محمد بن عبد الرحمن، فأخذني الشرطي، و حملت إلى القابض بباب القنطرة، فقالوا: هذا من كتبت من أرباب الحالى بكذا و كذا دينار، فقلت: و الله ما أنا إلّا من شاطبة، و إنما اسمي وافق ذلك الاسم، و وصفت له ما جرى عليّ، فأشفق و ضحك مني؛ و أمر بتسريحى، فسرت على وجهى إلى هنا.

بعض الأحداث في أيامه، و نبد من أخباره:

استولى على بلاد الشرق، مرسية و بلنسية و شاطبة و دانية، ثم اتسع نطاق ملكه، فولّى جيان، و أبده، و بيّاسه، و بسطة، و وادى آش. و ملك قرونة، و نازل قرطبة و إشبيلية، و كاد يستولى على جميع بلاد الأندلس، فولّى صهره ابن همشك، و قد مرّ في باب إبراهيم، مدينة جيان و أبده و بيّاسه، و ضيق منها على قرطبة، و استولى على إستجة، و دخل غرناطة سنة سبع و خمسين و خمسمائة، و ثار عليه يوسف بن هلال من أصحابه بحصن مطرنيش و ما إليه. ثم تفاسد ما بينه و بين صهره الآخر ابن همشك، فكان سبب إديار أمره، و استولى العدو في مدة ابن سعد على مدينة طرطوشة عام ثلاثة و أربعين و خمسمائة، و على حصن إقليج، و حصن شرانية.

دخوله غرناطة: و لما دخل ابن همشك مدينة غرناطة، و امتنع عليه قصبتها، و هزم الجيش المصرخ لمن حصر بها من الموحدين بمرج الرقاد و ثاب أثناء ذلك أمر الموحدين، فتجهز لنصرهم السيد أبو يعقوب، و أجاز البحر، و اجتمعوا بالسيد أبى سعيد بمالقة، استمدّ ابن همشك صهره الأسعد، أبا عبد الله محمد بن سعد، فخرج بنفسه فى العسكر الكبير من أهل الشرق و النصرارى، فوصل إلى غرناطة، و اضطربت محلته بالرطوبة السامية المتصلة بربض البيّازين، و تعرف إلى اليوم بكديّة مردنيس، و تلاحق جيش الموحدين بأحواز غرناطة، فأبينوا جيش عدوهم، فكانت عليه الدّبرة، و فر ابن مردنيس، فلحق بجيان، و اتصلت عليه الغلبة من لدن منتصف عام ستين، فلم يكن له بعده ظهور.

وفاته: و ظهر عليه أمر الموحدين، فاستخلصوا معظم ما بيده، و أوقعوا بجنده الوقائع العظيمة، و حصر بمدينة مرسية، و اتصل حصاره، فمات أثناء الحصار فى عاشر

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٧٤

رجب من عام سبعة و ستين و خمسمائة و له ثمانية و أربعون عاما، و وصل أمره أبو القمر هلال، و ألقى باليدين إلى الموحدين، فنزل على عهد و رسوم حسبما يأتى فى موضعه.

محمد بن يوسف بن هود الجذامى

إشارة

أمير المسلمين بالأندلس، يكنى أبا عبد الله، و يلقب من الألقاب السلطانية بالمتوكل على الله . أوّليته: من ولد المستعين بن هود. و أوّليتهم معروفة، و دولتهم مشهورة، و أمراؤهم مذكورون. خرج من مرسية تاسع رجب عام خمسة و عشرين و ستمائة إلى «الصّخور» من جهاتها، فى نفر يسير من الجنود معه، و كان الناس يستشعرون ذلك، و يرتقبون ظهور مسمى باسمه و اسم أبيه، و ينددون بإمرته و سلطانه. و جرى عليه بسبب ذلك امتحان فى زمن الموحّدين مرات، إذ كان بعض الهاتفين بالأمر الكائنة، و القضايا المستقبلية، يقول لهم: يقوم عليكم قائم من صنف الجند، اسمه محمد بن يوسف، فقتلوا بسبب ذلك شخصا من أهل جيان. و يقال إن شخصا ممن ينتحل ذلك، لقي ابن هود، فأمعن النظر إليه، ثم قال له: أنت سلطان الأندلس، فانظر لنفسك، و

أنا أدلك على من يقيم ملكك، فإذهب إلى المقدم الغشتي فهو القائم بأمرك. و كان الغشتي رجلا صعلوكا يقطع الطريق، و تحت يده جماعة من أنجاد الرجال، و سباع الشرار، قد اشتهر أمرهم، فنهض إلى المقدم، و عرض عليه الأمر، و قال: نستفتح بمغاورة إلى أرض العدو، على اسمك و على سعدك، ففعلوا، فجلبوا كثيرا من الغنائم و الأسرى، و انضاف إلى ابن هود طوائف مثل هؤلاء، و بايعوه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٧٥

ب «الصخيرات» كما ذكر، من ظاهر مرسية، و تحرّك إليه السيد أبو العباس بعسكر مرسية، فأوقع به و شرده، ثم تاب إليه ناسه، و عدل إلى الدعاء للعباسيين، فتبعه اللّيف، و وصل تقليد الخليفة المستنصر بالله ببغداد، فاستنصر الناس في دعوته، و شاع ذكره، و ملك القواعد، و جيش الجيوش، و قهر الأعداء، و وقى للغشتي بوعده، فولاه أسطول إشبيلية، ثم أسطول سبتة، مضافا إلى أمرها، و ما يرجع إليه، فثار به أهلها بعد و خلعه، و فرّ أمامهم في البحر، و خفى أثره إلى أن تحقق استقراره أسيرا في البحر بغرب الأندلس، و دام زمانا، ثم تخلص في سنّ الشيخوخة، و مات برباط آسفي.

حاله: كان شجاعا، ثباتا، كريما حيا، فاضلا، و فتيا، متوكلا عليه، سليم الصدر، قليل المبالاة، فاستعلى لذلك عليه ولاته بالقواعد، كأبي عبد الله بن الرّيمي بالمريّة، و أبي عبد الله بن زنون بمالقة، و أبي يحيى عتبة بن يحيى الجزولي بغرناطة. و كان مجدودا، لم ينهض له جيش، و لا- وفق لرأى؛ لغلبة الخفة عليه، و استعجاله الحركات، و نشاطه إلى اللقاء، من غير كمال استعداد.

بعض الأحداث في أيامه :

جرت عليه هزائم، منها هزيمة السلطان الغالب بالله إياه مرتين، إحداهما بظاهر إشبيلية، و ركب البحر فنجا بنفسه، ثم هزمه بالبيرة من أحواز غرناطة، زعموا كل ذلك في سنة أربع و ثلاثين و ستمائة أو نحوها. و في سنة خمس و ثلاثين، كان اللقاء بينه و بين المأمون إدريس أمير الموحدين بإشبيلية، فهزمه المأمون أقبح هزيمة، و استولى على محلته، و لاذ منه بمدينة مرسية.

ثم شغل المأمون الأمر، و أهمته الفتنة الواقعة بمراكش، فصرف وجهه إليها، و تاب الأمر للمتوكل، فدخلت في طاعته المريّة، ثم غرناطة، ثم مالقة. و في سبع و عشرين و ستمائة، تحرّك بفضل شهامته بجيوش عظيمة، لإصرار مدينة ماردة، و قد نازلها العدو و حاصر، و لقي الطاغية بظاها، فلم يتأنّ، زعموا، حتى دفع بنفسه العدو، و دخل في مصافه، ثم لما كثر إلى ساقته، وجد الناس منهزمين لما غاب عنهم، فاستولت عليه هزيمة شنيعة، و استولى العدو على ماردة بعد ذلك.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٧٦

و فتح عليه في أمور، منها تملكه إشبيلية سنة تسع و عشرين و ستمائة، و ولّى عليها أخاه الأمير أبا النجاة سالما الملقب بعماد الدولة. و في سنة إحدى و ثلاثين، رجعت قرطبة إلى طاعته، و استوسق أمره. و تملك غرناطة و مالقة عام خمس و عشرين و ستمائة، و دانت له البلاد. و في العشر الأول من شوال، دخل في طاعته الرّيسان أبو زكريا، و أبو عبد الله، ابنا الرئيس أبي سلطان عزيز بن أبي الحجاج بن سعد، و خرجا عن طاعة الأمير أبي جميل، و أخذوا البيعة لابن هود على ما في أيديهما. و في سنة ست و عشرين و ستمائة، تملك الجزيرة الخضراء عنوة، يوم الجمعة التاسع لشعبان من العام، و في العشر الوسط من شوال ورد عليه الخبر ليلا بقصد العدو وجهه مدينة وادي آش، فأسرى ليله مسرجا بقيه يومه، و لحق بالعدو على ثمانين ميلا، فأتى على آخرهم، و لم ينج منه أحد.

إخوته: الرئيس أبو النجاة سالم، و علامته: «وثقت بالله»، و لقبه «عماد الدولة»، و الأمير أبو الحسن عضد الدولة، و أسره العدو في غارة، و افتكّه بمال كثير، و الأمير أبو إسحاق شرف الدولة. و كلهم يكتب عنه، من الأمير فلان.

ولده: أبو بكر الملقب بالواثق بالله، أخذ له البيعة على أهل الأندلس، في كذا، و ولى بعده وليّ عهده، واستقلّ بملك مرسية، ثم لم ينشب أن هلك.

دخوله غرناطة: دخل غرناطة مرّات عديدة، إحداها في سنة إحدى و ثلاثين و ستمائة، و قد وردت عليه الرّاية و التقليد من الخليفة العباسي ببغداد. و بمصلّى غرناطة، قرىء على الناس كتابه، و هو قائم، وزيّ السّواد، و رايته السّوداء بين يديه، و كان يوم استسقاء، فلم يستتمّ على الناس قراءة الكتاب يومئذ، إلّا و قد جادت السماء بالمطر، و كان يوما مشهودا، و صنعا غريبا، و أمر بعد انصرافه، أن يكتب عنه بتلك الألقاب التي تضمّنها الكتاب المذكور إلى البلاد.

وفاته: اختلف الناس في سبب وفاته، فذكر أنه قد عاهد زوجه ألّا يتخذ عليها امرأة طول عمره، فلما تصير إليه الأمر، أعجبه روميّة حصلت له بسبب السّبي من أبناء زعمائهم، من أجمل الناس، فسترها عند ابن الرّيمي خليفة، فزعموا أن ابن الرّيمي علق بها، و لما ظهر حملها، خاف افتتاح القصّة، فدبر عليه الحيلة، فلما حلّ بظاهر المرية، عرض عليه الدخول إليها، فاغتاله ليلا، بأن أقعد له أربعة رجال، قضوا عليه خنقا بالوسائد. و من الغد ادّعى أنه مات فجأة، و وقف عليه العدول، و الله أعلم بحقيقة الأمر سبحانه، و كانت وفاته ليلة الرابع و العشرين من جمادى الآخرة عام خمسة و ثلاثين و ستمائة. و في إرجاف الناس بولاية ابن هود، و الأمر قبل وقوعه، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٧٧

يقول الشاعر: [الطويل]

همام به زاد الزمان طلاقه و لذت لنا فيه الأمانى موردا

فقل لبني العباس ها هي دولة أغار بها الحقّ المبين و أنجدا

فإن الذي قد جاء في الكتب وصفه بتمهيد هذى الأرض قد جاء فاهندا

فإن بشرتنا بابن هود محمد فقد أظهر الله ابن هود محمدا

محمد بن أحمد بن زيد بن أحمد بن زيد بن الحسن ابن أيوب بن حامد بن زيد بن منخل الغافقي

إشارة

يكنى أبا بكر، من أهل غرناطة. و سكن وادي آش.

أولّيته: أصل هذا البيت من إشبيلية، و ذكره الرّازي في الاستيعاب، فقال:

و بإشبيلية بيت زيد الغافقي، و هم هناك جماعة كبيرة، فرسان و لهم شرف قديم، و قد تصرّفوا في الخدمة. بلديون، ثم انتقلوا إلى طليطلة، ثم قرطبة، ثم غرناطة. و ذكر الملاحى في كتابه الحسن بن أيوب بن حامد بن أيوب بن زيد، و عدّه من أهل الشورى، و قضاء الجماعة بغرناطة. و أحمد بن زيد بن الحسن هو المقتول يوم قيام بنى خالد، بدعوة السلطان أبي عبد الله الغالب بالله بن نصر، و كان عامل المتوكل على الله بن هود بها، و عمّن جمع له بين الدّين و الفضل و المائيّة.

حاله و نباهته و محتته و وفاته:

كان هذا الرجل عينا من أعيان الأندلس، و صدرا من صدورها، نشأ عفا متصاونا عزوفا، و طلاوة، نزيها، أينا، كريم الخؤولة، طيب الطعم، حرّ الأصالة، نبيه الصّير. ثم استعمل في الوزارة ببلده، ثم قدّم على من به من الفرسان، فأوردهم الموارد الصّفيّة بإقدامه، و استباح من العدو الفرصة، و أكسبهم الذكر و الشهرة، و أنفق في سبيل الله، إلى غضاضة الإيمان، و صحّة العقد، و حسن الشّيمة، و الاسترسال في ذكر التواريخ، و الأشعار الجاهليّة، و الأمثال، و التمسك بأسباب الدين، و سحب أذيال الطّهارة، و هجر الخباث، و

إيثار الجَدِّ، و الانحطاط في هوى الجماعة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٧٨

مشيخته: قرأ بغرناطة على شيخ الجماعة أبي عبد الله بن الفخّار، و ببلده على الأستاذ أبي عبد الله الطرسوني، و به انتفاعه. و كان جهورى الصوت، متفاضلا، قليل التهيب في الحفل. و لما حدث بالسلطان أبي عبد الله من كيد دولته، و تلاحق بوادي آش مفلتا، قام بأمره، و ضبط البلد على دعوته، و لم المداهنة في أمره، و جعل حيل عدوه دبر أذنه، إلى أن خرج عنها إلى العدو، فكان زمان طريقه مفديا له بنفسه، حتى لحق بمأمنه، فتركها مغربة.

خبر في وفاته و معرجه:

و كانت الحمد لله على محمده، و استأثر به الدّاخل، فشدّ عليه يد اغتباطه، و أغرى به عقد ضنّانته، و خلطه بنفسه، ثم أغرى به لمكانته من الشهامة و الرياسة، فتقبّض عليه، و على ولده، لباب بنى وقته، و غرّة أبناء جنسه، فأودعهما مطبق أرباب الجرائم، و همّ باغتياهما، ثم نقلهما إلى مدينة المنكب ليلة المنتصف لمحرم من عام اثنين و ستين و سبعمائة في جملة من التّبهاء مأخوذین بمثل تلك الجريرة. ثم صرف الجميع في البحر إلى بجاية، في العشر الأول لربيع الأول مصقدين. و لما حلّوا بها، أقاموا تحت برّ و تجلّسه. ثم ركبوا البحر إلى تونس، فقطع بهم أسطول العدو بأحواز تكرنت، و وقعت بينه و بين المسلمين حرب، فكرم مقام المترجم يومئذ، و حسن بلاؤه. قال المخبر: عهدى به، و قد سلّ سيفا، و هو يضرب العدو و يقول: اللهم اكتبها لى شهادة. و استولى العدو على من كان معه من المسلمين، و منهم ولده، و كتب: افتكّ الجميع ببلد العنّاب، و انصرف ابنه إلى الحج، و آب لهذا العهد بخلال حميدة كريمة، من سكون و فضل و دين و حياء، و تلاوة، إلى ما كان يجده من الرّكض، و يعانيه من فروسية، فمضى على هذا السبيل من الشهادة، نفعه الله، في ليلة الجمعة الثامن لرجب من عام اثنين و ستين و سبعمائة.

شعره: أنشدنى قاضى الجماعة أبو الحسن بن الحسن له: [البسيط]

يا أيها المرتجى للطف خالقه و فضله في صلاح الحال و المال

لو كنت توقن حقا لطف قدرته فاشمخ بأنفك عن قيل و عن قال

فإنّ لله لطفًا عزّ خالقنا عن أن يقاس بتشبيه و تمثال

و كل أمر و إن أعياك ظاهره فالصنع في ذاك لا يجرى على بال

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٧٩

محمد بن أحمد بن محمد الأشعري

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، و يعرف بابن المحروق، الوكيل بالدار السلطانية، القهرمان بها، المستوزر آخر عمره، سداد من عون.

حاله و أوليته و ظهوره: كان، رحمه الله، من أهل العفاف و التّصاوت، جانحا إلى الخير، محبّا في أهل الإصلاح، مغضوض الطرف عن الحرم، عفيفا عن الدماء، مستمسكا بالعدالة، من أهل الخصوصية، كتب الشروط، و برّز في عدول الحضرة.

و كان له خط حسن، و مشاركة في الطلب، و خصوصا في الفرائض، و حظّه تافه من الأدب. امتدح الأمراء، فترقى إلى الكتابة مرءوسا مع الجملة. و عند الإيقاع بالوزير ابن الحكيم، تعيّن لحصر ما استرفع من منتهب ماله، و تحصّل بالدار السلطانية من أثائه و خريته، فحزم و اضطلع بما كان داعية ترقيه إلى الوكالة، فساعده الوقت، و طلع له جاه كبير، و تملك أموالا عريضة، و أرضا واسعة، فجمع الدنيا بحزمه و مثابرتة على تنمية داخله. و ترقى إلى سماء الوزارة في الدولة السادسة من الدول النصيرية، بتدبير شيخ الغزاة، و زعيم

الطائفة عثمان بن أبي العلي، فوصله إلى أدوار دنياه، والله قد خبأ له المكروه في المحبوب، وتأذن الله سبحانه بنفاد أجله على يده، فاستولى وحبس السلطان. ثم وقعت بينه وبين مرشحه الوحشة الشهيرة عام سبعة و عشرين و سبعمائة، مارسا لمكان الفتنة، صلة فارط في حبس السلطان، وأجلى جمهور ما كان ببابه، ومنع من الدخول إليه، فاضطربت حاله، وأعمل التدبير عليه، فهجم عليه بدار الحرّة الكبيرة جدّة السلطان، وكان يعارضها في الأمور، ويجعلها تكأة لغرضه، فتیان من أحداث المماليك المستبقيين مع محجوبه، تناولاه سطا بالخناجر، ورمى نفسه في صهريج الدار، وما زال يتعاورانه من كل جانب حتى فارق الحياة، رحمه الله تعالى.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، وكانت له فيه فرائسه صادقة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٨٠

محمد بن فتح بن علي الأنصاري

يكنى أبا بكر، ويشهر بالأشبرون، قاضي الجماعة.

حاله: كان طرفا في الدهاء والتخلق والمعرفة بمقاطع الحقوق، ومغامز الزيب، وعلل الشهادات، فذا في الجزالة، والصيرامة، مقداما، بصيرا بالأمور، حسن السيرة، عذب الفكاهة، ظاهر الحظوة، على الرتبة. خرج من إشبيلية عند تغلب العدو عليها، وولى القضاء بمالقة و بسطة. ثم ولى الحسبة بغرناطة، ثم جمعت له إليها الشرط. ثم قدم قاضيا، واستمرت ولايته نحو من ثلاثين سنة. وفاته: توفي ليلة الحادي عشر من شهر ربيع الأول عام ثمانية وتسعين و ستمائة.

محمد بن أحمد بن علي بن حسن بن علي ابن الزيات الكلاعي

ولد الشيخ الخطيب أبي جعفر بن الزيات، من أهل بلش، يكنى أبا بكر.

حاله: من «عائد الصلة» من تأليفنا: كان، رحمه الله، شبيها بأبيه، في هديه، و حسن سمته و وقاره، إلا أنه كان حافظا للرتبة، مقيما للأبهة، مستدعيا بأبيه و نفسه للتجلة، بقيه من أبناء المشايخ، طرفا و أدبا و مروءة و حشمة، إلى خط بديع قيد البصر، و رواية عالية، و مشاركة في فنون، و قراءة، و فقه، و عربية، و أدب و فريضة، و معرفة بالوثاق و الأحكام. تولى القضاء ببلده، و خلف أباه على الخطابة و الإمامة، فأقام الرسم، و استعمل في السفارة، فسد مسد مثله، و أقرأ ببلده، فانتفع به.

مشيخته: قرأ على الأستاذ الخطيب أبي محمد بن أبي السداد الباهلي، و بغرناطة على شيخ الجماعة الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، و من أعلام مشيخته جدّه للأئم، خال أبيه، الحكمي العارف أبو جعفر ابن الخطيب أبي الحسن بن الحسن المدحجي الحمي، و الخطيب الرباني أبو الحسن فضل بن فضيلة، و الوزير أبو عبد الله بن رشيد.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٨١

محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن الحاج

يكنى أبا عبد الله، و يعرف بابن الحاج.

أوليته و حاله: كان أبوه نجارا من مدجني مدينة إشبيلية، من العارفين بالحيل الهندسية، بصيرا باتخاذ الآلات الحربية الجافية، و العمل بها. و انتقل إلى مدينة فاس على عهد أبي يوسف المنصور بن عبد الحق، و اتخذ له الدّولاب المنفسح القطر، البعيد المدى، ملتين المركز و المحيط، المتعدّد الأكواب، الخفيّة الحركة، حسبما هو اليوم مائل بالبلد الجديد، دار الملك بمدينة فاس، أحد الآثار التي تحددو إلى مشاهدتها الرّكاب، و بناء دار الصّينعة بسلا. و انتقل بعد مهلك أبيه إلى باب السلطان ثاني الملوك من بني نصر، و مت إليه بوسيلة أدنت محلّه، و أسنت جرياتّه، إلى أن تولّى وزارة ولده أمير المسلمين، أبي الجيوش نصر، و اضطلع بتدبيره، و نقم الناس

عليه إثارة لمقالات الرّوم، و انحطاطه في مهوى لهم، و التشبّه بهم في الأكل و الحديث، و كثير من الأحوال و الهيئات و الاستحسان، و تطريز المجالس بأمثالهم و حكمهم، سمء و سمت منه عقلا، لنشأته بين ظهرانهم، و سبقت إلى قوى عقله المكتسب في بيوتهم، فلم تفارقه بحال، و إن كان آية في الدهاء، و النظر في رجل بعيد الغور، عميق الفكر، قائم على الدّمنة، منطو على الرّصف، لئن الجانب، مبذول البشر، و حيد زمانه في المعرفة بلسان الرّوم و سيرهم، محكم الأوضاع في أدب الخدمة، ذرب بالتصرف في أبواب الملوك.

و كان من ثورة العامة بسلطانه ما تقدم، و جهروا بإسلامه إليهم، و قد ولّوه بسبب الثورة، و طوّقه كباد الأزمه، فضنّ به السلطان ضنانه أعربت عن وفائه، و صان مهجته، و استمرّ الأمر إلى أن خلع الملك عن الملك. و كان نزول الوزير المذكور تحت خفارة شيخ الغزاة، و كبير الطائفة، عثمان بن أبي العلى، فانتقل محفوظ

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٨٢

الجملة، محوط الوفرة، و لم ينشب إلى أن لجأ إلى العدو، و اتصل بالأمير أبي على عمر بن السلطان الكبير أبي سعيد، فحرّكه، زعموا، على محادّة أبيه، و حمله على الانتراء، فكان ما هو معلوم من دعائه إلى نفسه، و منازعة أبيه، و لقائه إياه بالمقرمدة، و فلّ جيشه، و في أثناؤه هلك المترجم به.

وفاته: توفي بفاس الجديد في العشر الأول من شعبان عام أربعة عشر و سبعمائة.

محمد بن رضوان بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ابن أرقم النميري

من أهل وادي آش، يكنى أبا يحيى.

حاله: كان صدرا شهيرا، عالما علما، حسيبا، أصيلا، جَمّ التحصيل، قوى الإدراك، مضطلعا بالعربية و اللغة، إماما في ذلك، مشاركا في علوم من حساب و هيئة و هندسة. قال الشيخ: كان في هذا كله أبرع من لقيته، إلى سراوة و فضل و تواضع و دين، جاريا في ذلك على سنن سلفه، و علوّ محتده، جالسته، رحمه الله، كثيرا عند عليه من أدركته بغرناطة؛ لإقامته بها، و تكرر لقائي إياه بها و غيرها، فرأيت أصيلا جليلا- قد جمع علما و فضلا، و حسن خلق، و كان حسن التقييد، لخطّه رونق يمتاز به، و يبعد عن غيره. و لى القضاء ببلده، ثم ولى بعد مدة بيرشانه، فحمدت سيرته.

مشيخته: أخذ القراءات السبع عن أبي كرم جودي بن عبد الرحمن، و قرأ عليه الغريب و اللغة، و لآزمه في ذلك، و أجاز له إجازة عامة، و أخذ من غيره ببلده، و صحب بغرناطة جملة من العلماء بها، أيام اختلافه إليها، و إقامته بها.

تواليفه: ألف كتابا سماه «الاحتفال في استيفاء ما للخيل من الأحوال»، و هو كتاب ضخّم وقفت عليه من قبله و أفدته. و اختصر الغريب المصنّف، و له تقايد مثور و منظوم في علم النجوم، و رسالة في الأسطربال الخطى و العمل به، و شجرة في أنساب العرب.

وفاته: وفي ليلة السبت السابع عشر لشهر ربيع الآخر عام سبعة و خمسين و سبعمائة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٨٣

محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن حزب الله بن عامر بن سعد الخير بن عياش

المكنى بأبي عيشون بن حمّود، الداخلى إلى الأندلس صحبة موسى بن نصير، ابن عنبسة بن حارثة بن العباس بن المرداس، يكنى أبا البركات، بلفيقي الأصل، مروى النشأة و الولادة و السلف، يعرف بابن الحاج، و شهر الآن في غير بلده بالبليقي، و في بلده بالمعرفة القديمة.

أولّيته: قد تقدم اتصال نسبه بحارثة بن العباس بن مرداس، صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أحد خطبائه و شعرائه، رئيس

في الإسلام، ورئيس في الجاهلية. وكان لسلفه، وخصوصاً لإبراهيم، من الشهرة بولاية الله، وإيجاب الحق من خلقه ما هو مشهور، حسبما تنطق به الفهارس، يعضد هذا المجد من جهة الأمومة، كأبي بكر بن صهيب، وابن عمه أبي إسحاق، وغيرهم، الكثير ممن صنّف في رجال الأندلس، كأبي عبد المجيد المالقي، وابن الأبار، وابن طلحة، وابن فرتون، وابن صاحب الصلاة، وابن الزبير، وابن عبد الملك، فليُنظر هناك.

حاله: نشأ ببلده ألمرية عمود العفة، فضفاض جلباب الصيانة، غضيض طرف الحياء، نائي جنب السلام، حليف الانقباض والازورار، آوياً إلى خالص النّشب و بحت الطّعمه، لا يرى إلّا في منزل من سألته، وفي حلق الأسانيد، أو في مسجد من المساجد خارج المدينة المعدّة للتّعديد، لا- يجيء سوقاً، ولا- مجمعا، ولا وليمة، ولا مجلس حاكم أو وال، ولا يلبس أمراً من الأمور التي جرت عاداته أن يلبسها بوجه من الوجوه. ثم ترامي إلى رحلته، فجاس خلال القطر الغربي إلى بجاية، نافضا إياه من العلماء والصلحاء والأدباء والآثار بتقييده، وأخذته قيام ذكر، وإغفال شهرة. ثم صرف عنانه إلى الأندلس، فتصرف في الإقراء، والقضاء، والخطابة. وهو الآن نسيج

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٨٤

وحده في أصالة عريقته، و سجيته على السلامة مفطورة، فما شئت من صدر سليم، و عقد وثيق، و غور قريب، و نصح مبذول، و تصنع مرفوض، و نفس ساذجة، و باطن مساو للظاهر، و دمه سريعة، و هزل يثمر تجلّة، و انبساط يفيد حسن نيّة، إلى حسن العهد، و فضل المشاركة، و رقّة الحاشية، و صلابة العود، و صدق العزيمة، و قوة الحامية، و بلاغة الموعظة، و جلّة الوقت، و فائدة العصر، تفننا و إمتاعاً، فارس المنابر غير الهيباء، و لا الجزوع، طيب النّعمة بالقرآن، مجهشا في مجال الرّقة، كثير الشفقة لصالح العامة، متأسفا لضياح الأوقات، مدمعا على الفيئة، مجمّاً، محوّلاً في رئاسة الدين و الدنيا. هذا ما يسامح فيه الإيجاز، و يتجافى عنه الاختصار، و يكفي فيه الإلماع و الإشارة، أبقى الله شيخنا أبا البركات.

مشيخته و ولايته: تقدم قاضيا بقنالش، في جمادى الثانية عام خمسة عشر و سبع مائة ثم ولى مرّبلّة، و إستبونه ثم كانت رحلته إلى بجاية. ثم عاد فقعده بمجلس الإقراء من مالقة للكلام على صحيح مسلم، متّفقا على اضطلاعهم بذلك. ثم رحل إلى فاس. ثم آب إلى الأندلس، و استقرّ ببلده ألمرية، فقعده بمسجدها الجامع للإقراء، ثم قدّم قاضيا ببرجة و دلّاية، و البيبول و فيانية، ثم نقل عنها إلى بييرة، ثم غربي ألمرية. ثم قدّم قاضيا بمالقة، ثم قدّم بغربها مضافا إلى الخطابة، ثم أعيد إلى قضاء ألمرية، بعد وفاة القاضي أبي محمد بن الصائغ. و من كتاب «طرفه العصر» من تأليفنا في خبر ولايته ما نصه:

فتقلّم الحكم في الثالث و العشرين لشعبان من عام سبعة و أربعين و سبعمائة، ثالث يوم و صوله مستدعي، و انتابه الطلبة و وجوه الحضرة و الدولة، مهنيين بمثواه من دار الصيانة، و محل التّجلّة، إحدى دور الملوك بالحمراء، فطفقوا يغشونه بها زرافات و وحدانا، في إتاحة الخير، و إلهام السّداد، و تسويغ الموهبة. و كان و صوله، و الأفق قد اغبرّ، و الأرض قد اقشعرت لانصرام حظّ من أيام الشتاء الموافق لشهر ولايته، لم

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٨٥

يسح فيه الغمام بقطرة، و لا لمعت السماء بنزعه، حتى أضرتّ الأنفس الشّخ، و حسر العسر عن ساقه، و توقفت البذور، فساعده الجدلّ بنزول الرّحمة عند نزوله من مرقاة المنبر، مجابة دعوة استسقائه، ظاهرة بركة خشوعه، و لذلك ما أنشدته في تلك الحال: [الكامل]

ظمّت إلى السّقيا الأباطح و الرّباحتي دعونا العام عاما مجدبا
و الغيث مسدول الحجاب و إنماعلم الغمام قدومكم فتأدبا

و تولى النظر في الأحكام فأجال قداحها، مضطلعا بأصالة النظر، و إرجاء المشبّهات، و سلك في الخطابة طريقة مثلى، يفرغ في قوالب البيان أغراضها، و يصرف على الأحكام الكوائن و البساطات أساليبها، من المحاكاة، باختلاف القبض و البسط، و الوعد و الوعيد، حظوظها على مقبض العدل، و سبب الصواب يقوم على كثير مما يصدع به، من ذلك شاهد البديهة، و دليل الاستيعاب. قال شيخنا أبو

البركات: ثم صرفت عنها للسبب المتقدم، و بقيت مقيما بها، لما اشتهر من وقوع الوباء بالمرية، ثم أعدت إلى القضاء و الخطابة بالمرية، و كتب بذلك في أوائل رجب عام تسعة و أربعين. و بقيت على ذلك إلى أن صرفت بسبب ما ذكر. ثم أعدت إليها في أواخر رجب سنة ست و خمسين، عسى أن يكون الانقطاع لله سبحانه. فأنا الآن أتمثل بما قاله أبو مطرف بن عميرة رحمه الله: [الخفيف]

قد نسبنا إلى الكتابة يوما و أنت خطة القضاء تليها

و بكل لم نطق للمجد إلامتلا نايبا و عيشا كريها

نسبة بدلت فلم تتغير مثل ما يزعم المهندس فيها

بدل من لفظ الكتابة إلى الخطابة. و أغرب ما رأيت ما أحكى لك، و أنت أعلم ببعض ذلك، أن أفضل ما صدر عنى في ذلك، الخطبة من العمل الذى أخلصت لله فيه، و رجوت منه المثوبة عليه، و فيه مع ذلك مفتخر لمن أراد أن يفتخر غير ملتفت للدنيا، فعليه عولت سبحانه. انتهى كلامه.

تصانيفه: كتب إلى بخطه ما نصه، و هو فصل من فصول: و أما تواليفي فأكثرها، أو كلها غير متممة، في مبيضات. منها كتاب قد يكبو الجواد في أربعين

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٨٦

غلطه عن أربعين من التقاد، و هو نوع من تصحيف الحفاظ للدارقطني، منها «سلوة الخاطر فيما أشكل من نسبة النسب الرتب إلى الذآكر». و منها كتاب «قدر جم في نظم الجمل». و منها كتاب «خطر فطر، و نظر فحظر، على تنبيهات على و ثائق ابن فتوح». و منها كتاب «الإفصاح فيمن عرف بالأندلس بالصلاح». و منها «حركة الدخولية في المسألة المالقية». و منها «خطرة المجلس في كلمه وقعت في شعر استنصر به أهل الأندلس» جزء صغير. و منها «تاريخ المرية» غير تام. و منها ديوان شعره المسمى ب «العذب و الأجاج في شعر أبي البركات ابن الحاج». و مختصره سماه القاضي الشريف «اللؤلؤ و المرجان، اللذان من العذب و الأجاج يستخرجان». و منها «عرائس بنات الخواطر المجلوة على منصيات المنابر» يحتوى على فصول الخطب التى أنشئت بطول بنى و الخطابة. و منها «المؤمن على أبناء أبناء الزمن». و منها تأليف فى أسماء الكتب، و التعريف بمؤلفيها، على حروف المعجم.

و منها «ما اتفق لأبى البركات فيما يشبه الكرامات». و منها كتاب «ما رأيت و ما رنى لى من المقامات». و منها كتاب «المرجع بالدرك على من أنكر وقوع المشترك».

و منها «مسيبها اصطلاح العلوم». و منها «ما كثر وروده فى مجلس القضاء». و منها «الغلسيات»، و هو ما صدر عنى من الكلام على صحيح مسلم أيام التكلّم عليه فى التّغليس. و منها «الفصول و الأبواب، فى ذكر من أخذ عنى من الشيوخ و الأتباع و الأصحاب». ثم قال: و قد ذهب شرح الشّباب و نشاطه، و تقطعت أوصاله، و رحل رباطه، و أصبحت النفس تنظر لهذا كله بعين الإمهال و الإغفال، و قلّة المبالاة التى لا يصل أحد بها إلى منال. و هذه الأعمال لا ينشط إليها إلّا المحرّكات التى هى مفقودة عندى، أحدها طلبه مجتمعون متعطشون إلى ما عندى، متشوّفون غاية التشوّف، و أين هذه بالمرية؟ الثانى، طلب رياسة على هذا، و متى يرأس أحد بهذا اليوم، و على تقدير أن يرأس به و هو محال فى عادة هذا الوقت، فالتشوّف لهذه الرياسة مفقود عندى.

الثالث، سلطان يملأ يد من يظهر مثل هذا، على يده غبطة، و ما تم هذا. الرابع، نية خالصة لوجه الله تعالى فى الإفادة، و هذا أيضا مفقود عندى، و لا بدّ من الإنصاف.

الخامس، قصد بقاء الذكر، و هذا خيال ضعيف بعيد عنى. السادس، الشفقة على شىء ابتدى، و سعى فى تحصيل مباديه، أن يضيع على قطع ما سوى هذا الإشفاق،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٨٧

وهذا السادس، هو الذى فى نفسى منه شىء، و به أنا أقيد أسماء من لقيت، و ما أخذت، و يكون إن شاء الله إبراز إذا الصّحف نشرت. و أكثر زمانى يذهب فى كيفية الخروج عما أنا فيه، فإذا ينظر إلى العاقل فى هذا الوقت بعين البصيرة، لا يسعه إلا الشفقة على، و الرحمة لى، فإنه يرى رجلا مطرقا أكثر نهاره، ينظر إلى مآله، فلا ينشط إلى إصلاحه، و هو سابع و لا يلبس بالعبادة، و هو فى زمانها المقارب للفتوت، و لا ينهض إلى إقامة حقّ كما ينبغى لعدم المعين، و لا يجنح إلى شىء من راحات الدنيا، و يشاهد من علوم الباطل الذى لا طاقة له على رفعه ما يضيق صدر الحرّ يقضى نصف النهار، محتلا فى مكان غير حسن، تارة يفكر، و تارة يكتب ما هو على يقين منه أنه كذا لا ينتفع به، و نصف النهار يقعد للناس، تارة يرى ما يكره، و تارة يسمع ما يكره، لا صديق يذكره بأمر الآخرة، و لا صديق يسليه بأمر الدنيا، يكفينى من هذه الغزارة، اللهم إليك المشتكى يا من بيده الخلق، و لا حول و لا قوة إلا بالله.

شعره: من مطولاته فى النزعة الغربية التى انفرد بها، منقولا من ديوانه، قال:

و مما نظمته بسبته فى ذى الحجة من عام خمسة و عشرين و سبعمائة، فى وصف حالى، و أخذها عنى الأستاذ بسبته، أبو عبد الله بن هانى، و الأديب البارع أبو القاسم الحسينى، و أبو القاسم بن حزب الله، و سواهم. و لما انفصلت من سبته إلى بلاد الريف زدت عليها أبياتا فى أولها، و كثر ذلك بوادى لو من بلاد الريف و هى:

[الطويل]

تأسفت لكن حين عزّ التأسّف و كفكفت دمعاً حين لا عين تدرى
 و رام سكونا هو فى رجل طائرو نادى بأنس و المنازل تعنف
 أراقب قلبى مرّة بعد مرّة فألفيه ذياك الذى أنا أعرف
 سقيم و لكن لا يحسّ بدائه سوى من له فى مأزق الموت موقف
 و جاذب قلبا ليس يأوى لمألف و عالج نفسا داؤها يتضاعف
 و أعجب ما فيه استواء صفاته إذ الهمّ يشقيه أو السرّ ينزف
 إذا حلّت الضراء لم ينفعل لها و إن حلّت السراء لا يتكيف
 مذاهبه لم تبد غاية أمره فؤاد، لعمري، لا يرى منه أطرف
 فما أنا من قوم قصارى همومهم بنوهم و أهلهم و ثوب و أرغف
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٨٨ و لالى بالإسراف فكر محدث سيغدو حبيبي أو سيشعر مطرف
 و لا أنا ممّن لهوه جلّ شأنه بروض أنيق أو غزال مهفّف
 و لا أنا ممّن أنسه غاية المنى بصوت رخيم أو نديم و قرقف
 و لا أنا ممّن تزدهيه مصانع و يسيبه بستان و يلهيه مخرف
 و لا أنا ممّن همّه جمعها فإن تراءت يشب بسعى لها و هو مرجف
 على أنّ دهرى لم تدع لى صروفه من المال إلا مسحاً أو مجلف
 و لا أنا ممّن هذه الدار همّه و قد غرّه منها جمال و زخرف
 و لا أنا ممّن للسؤال قد انبرى و لا أنا ممّن صان عنه التعطف
 و لا أنا ممّن نجح الله سعيهم فهمتهم فيها مصلى و مصحف
 فلا فى هوى أضحى إلى اللهو قانداو لا فى تقى أمسى إلى الله يزلّف
 أحارب دهرى فى نقيض طباعه و حربك من يقضى عليك تعجرف
 و أنظره شزرا بأصلف ناظر فيعرض عنى و هو أزهى و أصلف

و أضببطه ضببط المحدث صحفه فيخرج في التوقيع أنت المصحف
و يأخذ منى كل ما عزّ نيله و يبدو بجهلى منه فى الأخذ محتف
أدور له فى كل وجه لعلى سائبته و هو الذى ظلّ يحذف
و لما يشنا منه تهنا ضروره فلم تبق لى فيها عليه تشوف
تكلفت قطع الأرض أطلب سلوه لنفسى فما أجدى بتلك التكلف
و خاطرت بالنفس العزيزة مقدا إذا ما تخطى النصل قصد مرهف
و صرفت نفسى فى شؤون كثيره لحظى فلم يظفر بذاك التصرف
و خضت لأنواع المعارف أبحرافى الحين ما استجرتها و هى تترف
و لم أحل من تلك المعانى بطائل و إن كان أهلها أطالوا و أسرفوا
و قد مرّ من عمرى الألدّ وها أنا على ما مضى من عهده أتلهف
و إنى على ما قد بقى منه إن بقى لحرمة ما قد ضاع لى أتخوف
أعدّ لىالى العمر و الفرض صومهاو حسبك من فرض المحال تعسف
على أنها إن سلّمت جدئية تعارض آمالا عليها يتيف
تحدثنى الآمال و هى كدينها تبدل فى تحديتها و تحرف
بأنى فى الدنيا سأفضى مآربى و بعد يحقّ الزهد لى و التقشف
و تلك أمان لا حقيقه عندها فى قرنى الصّدين بيقى التكلف؟
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٨٩ و ربّ أخلاء شكوت إليهم و لكن لفهم الحال إذ ذاك لم يفوا
فبعضهم يزرى علىّ و بعضهم يغضّ و بعض يرثى ثم يصدف
و بعضهم يومى إلىّ تعجباو بعض بما قد رأيت يتوقف
و بعضهم يلقي جوابه على مقتضى العقل الذى عنه يتوقف
يسىء استماعا ثم يعدّ إجابة على غير ما تحذوه يحذو و يخصف
و لا هو يبدى لى علىّ تعقلاو لا هو يرثى لى و لا هو يعنف
و ما أمرنا إلّا سواء إنما عرفنا و كلّ منهم ليس يعرف
فلو قد فرغنا من علاج نفوسناو حطوا الدتية من عليل و أنصفوا
أما لهم من علة أرمت بهم و لم يعرفوا أغوارها و هى تتلف؟
و حضنا لهم فى الكتب عن كنه أمرهم و مثلى عن تلك الحقائق يكشف
و صنفت فى الآفات كلّ غريبة فجاء كما يهوى الغريب المصنّف
و ليس عجيبا من تركّب جهلهم فإن يحجوا عن مثل ذاك و صرّفوا
إذا جاءنا بالسّخف من نزو عقله إذا ما مثلناه أزهى و أسخف
فما جاءنا إلّا بأمر مناسب أ ينهض عن كفّ الجبان المثقّف؟
و لكن عجيب الأمر علمى و غفلتى فديتكم أىّ المحاسن أكشف
إلّا أنها الأقدار يظهر سرّها إذا ما وفى المقدور فالرأى يخلف
أيا ربّ إن اللب طاش بما جرى به قلم الأقدار و القلب يرجف

وإننا لندعوهم ونخشى و إنما على رسمك الشرعى من لك يعكف
أقول وفى أثناء ما أنا قائل رأيت المنايا و هى لى تتخطف
و إنى مع الساعات كيف تقلبت لأسهمها إن فوّت متهدّف
و ما جرّ ذا التسويّف إلّا شيبتى تخيل لى طول المدى فأسوّف
إذا جاء يوم قلت هو الذى يلى و وقتك فى الدنيا جليس مخفّف
أقدّم رجلا عند تأخير أختها إذا لاح شمس فالنفس تكسف
كأننى لدانى المراقد منهم و لم أودعهم و الخضّ ريان ينسف
وهبنى أعيش هل إذا شاب مفرقى و ولى شياى هل يباح التّشوّف؟
و كيف و يستدعى الطريق رياضة و تلك على عصر الشّباب توّطف

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٩٠ متى يقبل التّقويم غير عطوفه و بى بعده حسان فالنار تنسف؟
و لو لم يكن إلّا ظهوره سرّه إذا ما دنا التّدليس هان التّنطف
أمولى الأسارى أنت أولى بعذرهم و أنت على المملوك أحقّ و أعطف
قذفنا بلجّ البحر و القيد آخذ بأرجلنا و الرّيح بالموج تعصف
و فى الكون من سرّ الوجود عجائب أطلّ عليها العارفون و أشرفوا
و كعت عليهم نكتة فتأخروا و ددت بأن القوم بالكل أسعف
فليس لنا إلّا أن نحطّ رقابنا بأبواب الاستسلام و الله يلفظ
فهذا سبيل ليس للعبد غيرها و إلّا فماذا يستطيع المكلف

و قال: و ضمنها محاوره بينه و بين نفسه، و قيدها عنه زوال يوم الثلاثاء التاسع و العشرين لمحرم خمس و خمسين و سبعمائة، برابطة
العقاب ، متعبد الشيخ ولى الله أبى إسحاق الإلبيرى، رحمه الله، فمنها: [الكامل]

يأبى شجون حديثى الإفصاح إذ لا تقوم بشرحه الألواح
قالت صفيه إذ مررت بها أفلا تنزل ساعة ترتاح؟

فأجبتها لو لا الرقيب لكان لى ما تبتغى بعد الغدوّ رواح

قالت: و هل فى الحىّ حىّ غيرنا؟ فاسمح فديتك فالسماح رياح

فأجبتها: إن الرقيب هو الذى بيديه منّا هذه الأرواح

و هو الشهيد على موارد عبده سيّان ما الإخفاء و الإفصاح

قالت و أين يكون جود الله إذ يخشى و منه هذه الأفراح

فأفرح ياذن الله جلّ جلاله و اشطح فنشوان الهوى شطّاح

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٩١ و انهج على ذم الرجال و لا تخف فالحكم رحب و التّوال مباح

و انزل على حكم السرور و لا تبل فالوقت صاف ما عليك جناح

و اخلع عذارك فى الخلاعة يا أخى باسم الذى دارت به الأقداح

و انظر إلى هذا النهار فسنة ضحكت و نور جبينه و ضّاح

أنواره ضحكت و أترع كأسه فقد استوى ريحانه و الرّاح

و انظر إلى الدنيا بنظرة رحمة فجفاؤها بوفائها يتزاح

فأجبتها لو كنت تعلم ما الذى يبدو لتاركها و ما يلتاح
من كل معنى غامض من أجله قد ساح قوم فى الجبال و ناحوا
حتى لقد سكرروا من الأمر الذى هاموا به عند العيان فباحوا
لعذرتنى و علمت أنى طالب ما الزهد فى الدنيا له مفتاح
فاترك صفيك قارعا باب الرضى و الله جلّ جلاله الفتحاح
يا حىّ ، حىّ على الفلاح و خلّنى فجماعتى حثوا المطىّ و راحوا
و قيدت من خطه فى جملة ما كتب إلّى ما نصه:

و مما نظمته بغرناطة، و بعضه ببرجة، و هو مما يعجبنى، و أظنه كتبه لك، و هو غريب المنزع، و إنه لكما، قال: [الكامل]
خذها على رغم الفقيه سلافة تجلى بها الأقمار فى شمس الضحى
أبدى أطباء القلوب لأهلها منها شرابا للنفس مبرحا
و إذا المرائى قال فى نشوانها قل أنت بالإخلاص فيمن قد صحا
ياقوته دارت على أربابها فاهتت الأقدام منها و اللّحا
مزجت فغار الشيخ من تركيها فلذاك جرّدها و صاح و سرّحا
فبدت فغار الشيخ من إظهارها فاشتدّ يبتدر الحجاب ملوّحا
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٩٢ لا تعترض أبدا على مسترقد قد غار من أسرارها أن يفضحا
و كذاك لا تعتب على مستهتر لم يدر ما الإيضاح لّما أوضحا
سكران يعثر فى ذبول لسانه كفرا و يحسب أنه قد سبّحا
كتم الهوى حرّيه بعض و بعض ضاق ذرعا بالگرام فبرّحا
لا تخشين على العدالة هاتفا ثغرا تياح العاشقين فجرّحا
الحبّ خمر العارفين قد ضفت حتما على من ذاقها أن يشطحا
فاشطح على هذا الوجود و أهله عجبا فليس براجح من رجّحا
كبر عليهم إنهم موتى على غير الشّهادة ما أغرّ و أقبّحا
و اهزأ بهم فمتى يقل نصحاءهم أهج فقل حتى ألقى مفلحا
و إذا أربهم استخفّ فقل له بالله يا يحيى بن يحيى دع جحا
أبنى سليم قد نجا مجنونكم مجنون لى العارفين به قد محا
هل يستوى من لم ييح بحبيبه مع من بذكر حبيبه قد أفصّحا
فافرح و طب و ابهج و قل ما شئت ما أملك الفقراء يا ما أملّحا

و من مقطوعاته التى هى آيات العجائب، و طرر حلل البدائع فى شتى الأغراض و المقاصد، قوله يعتذر لبعض الطلبة، و قد استدبره
ببعض حلق العلم بسبته: [السريع]

إن كنت أبصرتك لا أبصرت بصيرتى فى الحقّ برهانها
لا غرو أنى لم أشاهدكم فالعين لا تبصر إنسانها
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٩٣

و منها قوله فى غرض التورية، و هو بديع فى معناه: [الطويل]

يلوموننى بعد العذار على الهوى ومثلى فى وجدى له لا يفند
يقولون أمسك عنه قد ذهب الصباو كيف يرى الإمساك و الخيط أسود؟

و منها قوله فى المَجَبَّات، و هو من الغريب البديع : [الطويل]

و مصفرة الخدين مطوية الحشاعلى الجبن و المصفر يؤذن بالخوف

لها هيئة كالشمس عند طلوعهاو لكنها فى الحين تغرب فى الجوف

و منها قوله فى النَّصْح، و لها حكاية تقتضى ذلك: [الكامل]

لا تبدلن نصيحة إلا لمن تلقى لبذل النَّصْح منه قبولاً

فالنصح إن وجد القبول فضيلة و يكون إن عدم القبول فضولاً

و منها فى الحكم : [الخفيف]

ما رأيت الهموم تدخل إلامن دروب العيون و الآذان

غض طرفا و سد سمعا و مهما تلق هماً فلا تثق بضمان

و منها قوله، و هو من المعانى المبتكرات : [الكامل]

حزنت عليك العين يا مغنى الهوى فالدمع منها بعد بعدك ما رقا الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج ٢ ؛ ص ٩٣

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٩٤ و لذاك قد صبغت بلون أزرق أو ما ترى ثوب المآتم أزرقاً؟

و منها قوله فى المعانى الغربية. قال: و مما نظمته فى عام أربعة و أربعين فى التفكير فى المعانى، مغلقت العينين: [السريع]

أبحث فيما أنا حصلته عند انغماض العين فى جفنها

أحسبني كالشاة مجترة تمضغ ما يخرج من بطنها

و قال: و مما نظمته بين أندرش و برجة عام أربعة و أربعين، و أنا راكب مسافر، و هو مما يعجبني، إذ ليس كل ما يصدر عنى يعجبني.

قلت و يحق أن يعجبه :

[الطويل]

تطالبني نفسى بما ليس لى به يدان فأعطيها الأمان فتقبل

عجبت لخصم ليج فى طلباته يصلح عنها بالمحال فيفصل

[قال: و مما نظمته فى السنة المذكورة من ذم النساء]: [الخفيف]

ما رأيت النساء يصلحن إلا للذى يصلح الكنيف لأجله

فعلى هذه الشريطة صالح هن لا تعد بامرئ عن محلّه

قال: و مما نظمته فى السنة المذكورة: [الخفيف]

قد هجرت النساء دهرا فلم أبلغ أذانى صفاتهنّ الذميمة

ما عسى أن يقال فى هجو من قد خصه المصطفى بأقبح شيمه

أو يبقى لناقص العقل و الدين إذا عدت المثالب قيمه؟

و قال: و ما نظمته فى تاريخ لا أذكره الآن، هذان البيتان، و لم أر معناهما لمن مضى. و لو رحل رجل إلى خراسان، و لم يأت إلا بهما،

كان ممن لم يخفق

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٩٥

مسعاه، و لا أجذب مرعاه، يفتح بهما للقلب باب من الراحة فسيح، إذا أجهده ما يكابد من المضاضة، و نقض العهود، و اختلاف

الوعود. وهذه المحنة من شر ما ابتلى به بنو آدم، شنشنة نعرفها من أمرهم. ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى :

[الطويل]

رعى الله إخوان الخيانة إنهم كفونا مؤونات البقاء على العهد
فلو قد وفوا كنا أسارى حقوقهم نراوح ما بين النسيئة والنقد

وقال يداعبنى، وعلى سبيل الكناية يخاطبني: ولقد لقيت رجلا ببلاد الهند يعرف بأبى البركات ابن الحاج، وكان برد فى بستان كان

له، فقلت أهجوه عام أربعة و أربعين و سبعمائة: [الكامل]

قالوا أبو البركات جمّ ماؤه فغدا أبو البركات لا البركات

قلنا لأن يكنى بموجوداته أولى من أن يكنى بمعدومات

و مما نظمته عام خمسة و أربعين و سبعمائة: [السريع]

قد كنت معذورا بعلمى و ماأبث من وعظى بين البشر

من حيث قد أملت إصلاحهم بالوعظ و العلم فخان النظر

فلم أجد أوعظ للناس من أصوات و عآظ جلود البقر

و مما نظمته بمرسى تلهى، من بلد هنين، عام ثلاثة و خمسين، و قد أصابنى هوس فى البحر و خاطبت به بعض الأصحاب: [الكامل]

رأسى به هوس جديد لا الذى تدريه من هوس قديم فيه

قد حلّ ما أبدية من هذا كما قد حلّ من ذاك الذى أخفيه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٩٦

و من الملح قوله: قال: و بتّ بحمام الخندق من داخل المريّة ليلّة الجمعة الثامن من شهر محرم عام اثنين و ثلاثين منفردا، فطفىء

المصباح، و بقيت مفكرا، فخطر ببالى ما يقول الناس من تخيل الجنّ فى الأرحاء و الحمامات، و عدم إقدام كافه الناس إلّا ما شدّ عند

دخولها منفردين بالليل، لا- سيما فى الظلام، و استشعرت قوة فى نفسى عند ذلك، أعراض و أوهام، فقلت مرتجلا، رافعا بذلك

صوتى: [الكامل]

زعم الذين عقولهم قدرها إن عرّضت للبيع غير ثمين

أن الرّحا معمورة بالجن و الحّمّام عندهم كذا ييقين

إن كان ما قالوه حقا فاحضروا للحرب هذا اليوم من صقّين

فلئن حضرتم فاعلموا بحقيقة بآنى مصارع قيس المجنون

قال: و دخلت رياضاً يوما، فوجدت كساء منشورا للشمس لم أعرفه من حوائجى، و لا من حوائج حارسه البستان، فسألته فقالت: هو

لجارتى، فقلت:

[الكامل]

من منصفى من جارتى جارت على مالى كآنى كنت من أعدائها

عمدت إلى الشمس التى انتشرت على أرضى و أمت فيه بئس كسائها

لو لا غيوم يوم تبيس الكساسترت لحجب السحب جلّ ضيائها

لقضيت منهم الخسار لأننى أصبحت مزورا على بخلائها

قلت: و صرت إلى مغنى بحمّة بجانّه، و سار معى كلب كان يحرس رياضى اسمه قطمير، و هو، فيما يذكر، كلب أهل الكهف، فى

بعض الأقوال، فتبعنى من المريّة إلى الحمّة، ثم من الحمّة إلى المريّة، فقلت: [المتقارب]

رحلت و قطمير كلبى رفيقى يونس قلبى بطول الطريق
فلما أنخت أناخ حدائى يلاحظنى لحظ خلّ شفيق
و يرمى أذمة رفقى كما يتغنى الصديق الصدوق
على حين قومي بنى آدم بلؤمهم لم يوفوا حقوقى
ولا فرق بين الأبعد منهم وبين أخ مستحب شفيق
أو ابن متى تلقاه تلقه هوى اشتياق بقلب خفوق
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٩٧ فما منهم من ولى حميم ولا ذى إخاء صحيح حقيق
و ناهيك ممن يفضل كلباعليهم فيا ويلهم من رفيق
ألا من يرقّ لشيخ غريب أبى البركات الفتى البليق
و قال: و ممّا نظمته بتاريخ لا أذكره هذين البيتين: [الطويل]
و إنى لخير من زمانى و أهله على أننى للشّرّ أوّل سائق
لحى الله دهرا قد تقدّمت أهله فتلك لعمر الله إحدى البوائق
و من النزعات الشاذة الأغراض: [البيسط]
لا بارك الله فى الزّهاد إنهم لم يتركوا عرض الدنيا لفضلهم
بل أثقلتهم تكاليف الحياة فلم يصايروها فملّوا ثقل حملهم
و عظم الناس منهم تركها فغدوا من غبطة التّرك فى حرص لأجلهم
نعم أسلم أن القوم إذ زهدوا زادا و أعلى الناس طرا فضل تركهم
من حيث قد أحرزوا التّرجيح دونهم لا شىء أبين من ترجيح فضلهم
فالمال و الجود و الراحة غاية ما يحكى لنا الزهد فى ذاعن أجلهم
و الزاهدون براحت القلوب مع الأبدان سزوا و عزّوا بعد ذلّهم
فكل ما فزّقوا قد حصّلوا غرضامنه و زادوا ثناء الناس كلّهم
قال: و ممّا نظمته عام أربعين فى ذم الخمر من جهة الدنيا، لا من جهة الدين، إذ ليس بغريب: [الطويل]
لقد ذمّ بعض الخمر قوم لأنها تكثر على دين الفتى بفساد
و قد سلّموا قول الذى قال إنها تحلّ من الدنيا بأعظم ناد
و تذهب بالمال العظيم فلن ترى لمدمنها من طارف و تلاد
فيمسى كريما سيّدا ثم يغتدى سفيها حليف الغى بعد رشاد
و قالوا: تسلّى و هو عارية لهاو إلّا فلم يأتوا لذاك بشاد
و صلّ و نور و حسناء طفلة و مرأى به للطريف سير جواد
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٩٨ و هلاّ يداوى من مرارتها التى أواخرها مقرونه بمهاد؟
و لو أشرب الإنسان مهلا بهذه لأصبح مسرورا بأطيب زاد
و من حسن حال الشّارين يقيئونها بالرغم من برق و ساد
و من حسن ذا المحروم أنّ مدامه إذا غلبت تكسوه ثوب رقاد
فيختلف النّدمان طرا لروحه و يحدوهم نحو المروءة حادى

و من حسنه بين الورى ضرب ظهره فيمسي بلا حرب رهين جلاد

مجانين في الأوهام قد ضلّ سعيهم يخففون بيعا بحسن غواد

و من نظمه في الإنحاء على نفسه، و استبعاد وجوه المطالب في جنسه، ممّا نظمته يوم عرفة عام خمسين و أنا منزو في غار ببعض جبال
المرية :

[الخفيف]

زعموا أنّ في الجبال رجالا صالحينا قالوا من الأبدال

و ادعوا أنّ كلّ من ساح فيها فسيلقاهم على كلّ حال

فاخترقنا تلك الجبال مرارا بنعال طور و دون نعال

ما رأينا فيها سوى الأفاعى و شبا عقرب كمثل النبال

و سباعا يجرون بالليل عدوا لا تسلنى عنهم بتلك الليالى

و لو أنّا لدى العدو الأخرى رأينا نواجذ الرّئبال

و إذا أظلم الدّجى جاء إبليس إلينا يزور طيف الخيال

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٩٩ هو كان الأنيس فيها و لولاه أصيبت عقولنا بالخبال

خلّ عنك المحال يا من تعنى ليس يلقي الرّجال غير الرجال

قال: و من المنازع الغريبة ذمّ الأصحاب و مدح الأعداء، فمن ذلك قولى:

[المتقارب]

جزى الله بالخير أعداءنا فموردهم أنسى المصدر

هم حملونا على العرف كرها و هم صرفونا عن المنكر

و هم أقعدونا بمجلس حكم و هم بوؤونا ذرى المنبر

و هم صيرونا أئمة علم و دين و حسبك من مفخر

عدوى بأول فدى مائتم و إن جئت بالإثم لم يعذر

و أنت ترى تمحيص من يعدل بين المسىء و بين البرى

و لا زود الله أصحابنا بيزاد تقى و لا خير

هم جزؤونا على كل إثم و ما كنت لولاهم بالمخبر

و عدوا من اكبار آثامنا فكانوا أضرّ من الفاتر

أعارنى القوم ثوب التقى و إنى مما أعارونى برى

إذا خدعونى و لم ينصحوا و إنى بالنصح منهم حرى

فمن كان يكذب حال الرضى يصدق فى غضب يفتري

بلى سوف تلقى لدى الحاليتين يحكم النفس هوى الفرى

فياربّ أبق علينا عقولنا ببيع بها و بها نشترى

قال: و ما رأيت هذا المعنى قط لأحد، ثم رأيت بعد ذلك لبعضهم ما معناه:

[الطويل]

عداتي لهم فضل علىّ و منة فلا أذهب الرحمن عنى الأعاديا

هم بحثوا عن زلتى فاجتنبتهاو هم نافسونى فاكسبت المعاليا
فوقع حافرى على ساق هذا. قال: و مما نظمته، متخيلا أنى سابق معناه:
[الوافر]

خلصنا ليله من كفّ دهرضنين بالليالى الطيبات
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٠٠ سلكننا للهوى و العقل فيها مسالكك قد جلين على الشتات
قضينا بعض حقّ النفس فيهاو حقّ الله مرعى الثبات
فلم نر قبله فى الدهر وقتابدت حسناته فى السيئات
ثم رأيت بعد ذلك على هذا: [مخلع البسيط]
لا و ليال على المصلّى تسرق فى نسكها الذنوب
فوقعت ساقى على حافر هذا المحروم، إلا أنى جرّدت ذلك فى المعنى، و أوضحته، و جلوته على كرسى التّعديد و التّنجيد، فلو لا
التاريخ لعاد سارق البرق.

نثره: و أمّا نثره، فمط مرتفع عن معتاد عصره، استنفارا و بلاغة، و استرسالا و حلاوة، قلّما يعرّج على السّجع، أو يأمر على التّكليف، و
هو كثير بحيث لا- يتعين عيونه، و لكن نلمع منه نبذة، و نجلب منه يسيرا. كتب إلى عند إياي من الرّسالة إلى ملك المغرب، متمثلا
بيتين لمن قبله، صدّر بهما: [السريع]

أيتها النفس إليه اذهبي فحبه المشهور من مذهبي
أيأسنى التّوبة من حبه طلوعه شمساً من المغرب
بل محابك أمثل من التمثيل بالشمس، فلو كان طلوعك على هذه الأقطار شمسا، لأصبح جلّها لك عبّاد. و لو كان نزولك مطرا
لتكيفت الصّخور ترابا دمثا.

و لو لا معرفتنا معشر إخوان الصّفا، بإقرار أنفسنا، لحكمنا بأنّ قلوبنا تائم لأصدقائنا، و لكن سبقت عيون السعادة بالكلمات، فلو تصادف
بالرضى محلاً؛ لأنّ تحصيل الحاصل محال، لا زلت محروسا، بعين الذى لا تأخذه سنة و لا نوم مكنوفة بركة الذى يرومه رائم، و
السلام.

و كتب إلى عند ما تقلدت من رئاسة الإنشاء ما تقلدت: تخصّمك يا محلّ الابن الأرضى ولادة، و الأخ الصادق إخلاصا و ودّا، خصّمك
الله من السعادة بأعلاها مرقى، و أفضلها عقبي، و أحمدها غنى، و أكرمها مسعى، تحية اللّهفان إلى أيام لقائك، المسلى عنها بتأميل
العود إليها، المزجى أوقاته بترداد الفكر فيها، محمد بن الحاج، أبقاه الله، عن شوق، و الذى لا إله إلّا هو، لم أجد قط مثله إلى ولى
حميم. و الله على ما نقول و كيل، معرّفا أننى بعلاقمه، و تصلينى عن كسره مجامعه، لما اعتنى به

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٠١

من توقّلكم بالرتبة التى ما زال أحبّواكم بها ممطولى برّه، على أنك لم تزد بذلك رتبة على ما كنت باعتبار الأهلية، و المكانة العلية،
إلّا عند الأطفال و الأغفال، و المحلّقين من النساء و الرجال، لكن أفرعتنا هذه المخاطبة المحظية فى قالب الجمهور، و لم نسر فيها،
على الأصح، لكن على الجمهور، و لو كانت مصارف الوجود بيدي، لوافتك من الوجود منازل أسمائه منازل، و أوطأتك أفلاكه
مراكب، و أوردتك كوثره مشربا، و أحللتك أرفعه معقلا، و أقبستك بدره مصباحا، و أهدتك أسراره تحفا. و قد تبلغ المقاصد مبالغ
لا تنتهى أقاصيها الأعمال، فنحن و ما نضمّره لتلك الجملة الجليلة الفاضلة، مما الله رقيب عليه، و محيط بدقائقه. و لو كانت لهذا العبد
الغافل، المأسور فى قيد نفسه، المحزون على انتهاء الأيام، رأس عمره فى غير شىء، دعوة يساعدها الوجد حتى يغلب على ظنّه أن
العليم بذات الصدور، ولّاها من قبوله بارقة لخصّك بها، و الله شهيد على ما تكهّن الأفئدة، و هو حسبنا و نعم الوكيل.

و الفضل جَمِّ، و المحاسن عديدة، فلنقصر اضطرارا، و لنكف امتثالا للرسم، و انقيادا، أمتع الله به.

محمد بن عبد الله بن منظور القيسي

من أهل مالقة، يكنى أبا بكر.

أوليته: أصله من إشبيلية، من البيت المشهور بالتعيين و التقدم، و الأصالة، تشهد بذلك جملة أوضاع، منها «الروض المحظور في أوصاف بني منظور»، و غيره.

حاله: من كتاب «عائد الصلة». كان جَمِّ التواضع و التخلُّق، كثير البرِّ، مفرط الهشَّة، مبذول البشر، عظيم المشاركة، سريع اللسان إلى الثناء، مسترسلا في باب الإطراء، دربا على الحكم، كثير الحنكة، قديم العالء، بصيرا بالشروط، ولى القضاء بجهات كثيرة، و تقدم بمالقة، بلده فشكرت سيرته، و حمدت مدارته. و كان سريع

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٠٢

العبرة، كثير الخشية، حسن الاعتقاد، معروف الإيثار و الصدقة، شائع الإقراء لمن ألم بصقععه، و اجتاز على محلّ ولايته، جاريا على سنن سلفه، ينظم و ينثر، فلا يقصر.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي محمد بن أبي السيد الباهلي، و لازمه و انتفع به، و سمع على غيره من الأعلام، كالخطيب الولي أبي عبد الله الطنجالي، و العدل الراوية المسنّ أبي عبد الله بن الأديب، و المسنّ أبي الحكم مالك بن المرّحل، و على الشيخ الصوفي أبي عبد الله محمد بن أحمد الأقرشي الفاسي، و لبس عنه خرقة التصوف، و على الخطيب أبي عبد الله بن رشيد، و عن الشيخ القاضي أبي المجدد بن الأحوص، و على ابن مجاهد الرندي، المعروف بالسيمار، و الخطيب أبي العباس بن خميس بالجزيرة الخضراء، و على الخطيب الزاهد أبي عبد الله السلّال. و كتب إليه بالإجازة، أبو عبد الله بن الزبير، و الفقيه أبو الحسن بن عقيل الرندي، و الوزير المعمر أبو عمر الطنجي، و أبو الحكم بن منظور، ابن عم أبيه، و الأستاذ أبو عبد الله بن الكماد. نقلت ذلك من خطه.

توليفه: أخبرني أنه ألّف «نفحات المسوك»، و عيون التبر المسبوك في أشعار الخلفاء و الوزراء و الملوك». و كتاب «السحب الواكفة و الظلال الوارفة»، في الردّ على ما تضمّنه المضمون به على غير أهله من اعتقاد الفلاسفة». و كتاب الصيّب الهتان، الواكف بغايات الإحسان، و المشتمل على أدعية مستخرجة من الأحاديث الصحيحة النبوية و سور القرآن». و كتاب «البرهان و الدليل في خواص سور التنزيل، و ما في قراءتها في النوم من بديع التأويل». و كتاب يشتمل على أربعين حديثا في الرقائق، موصولة الأسانيد. و كتاب «تحفة الأبرار في مسألة النبوة و الرسالة، و ما اشتملت عليه من الأسرار». و كتاب «الفعل المبرور، و السعي المشكور، فيما وصل إليه، أو تحصل لديه من نوازل القاضي أبي عمر بن منظور».

شعره: و من شعره قوله: [البسيط]

ما للعطاس و لا للفأل من أثرفتك فديتك بالرحمن و اصطر

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٠٣ و سلّم الأمر فالأحكام ماضية تجرى على السنن المربوط بالقدر

محمد بن علي بن الخضر بن هارون الغساني

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله، و يعرف بابن عسكر.

حاله: من كتاب «الدليل و التكملة»: كان مقرئا مجودا، نحويا، متوقفاً الذهن، متفتنا في جملة معارف، ذا حظّ صالح من رواية الحديث، تاريخيا، حافظا، فهما؛ مشاورا، دؤوبا في الفتوى، متينا في الدين، تامّ المروءة، ستيا فاضلا، معظما عند الخاصة و العامة، حسن الخلق، جميل العشرة، رحيب الصدر، مسارعا إلى قضاء الحوايج، شديد الإجمال، محسنا إلى من أساء إليه، نفاعا بجاهه، سمحا

بذات يده، متقدماً في عقد الوثائق، بصيرا بمعانيها، سريع البديهة في النظم و النثر، مع البلاغة و الإحسان في الفنين. ولى قضاء مالقة نائبا عن القاضي أبي عبد الله بن الحسن مدة، ثم ولى مستبداً بتقديم الأمير أبي عبد الله بن نصر، يوم السبت ليلتين بقيتا من رمضان عام خمس و ثلاثين. و أشفق من ذلك و امتنع منه و خاطبه مستعفيا، و ذكر أنه لا يصلح للقيام بما قلمه من تلك الخطئة تورعا منه، فلم يسعفه.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٠٤

فتقلدها، و سار فيها أحسن سيرة، و أظهر الحقوق التي كان الباطل قد غمرها، و نفذ الأحكام.

و كان ماضى العزيمة، مقداما، مهيبا، جزلا في قضاة، لا تأخذه في الله لومة لائم، و استمر على ذلك بقية عمره.

مشيخته: روى عن أبي إسحاق الزوالى، و أبي بكر بن عتيق بن منزول، و أبي جعفر الجيان، و أبي حسن الشقورى، و أبي الحجاج بن الشيخ، و أبي الخطاب بن واجب، و أبي زكريا الأصبهاني مقيم غرناطة.

من روى عنه: روى عنه أبو بكر بن خميس ابن أخته، و أبو العون، و أبو عبد الله بن بكر الإلبيري. و حدث عنه بالإجازة، أبو عبد الله الأبار، و أبو القاسم بن عمران، و كتب بالإجازة للعراقيين من أهل بغداد الذين استدعوها من أهل الأندلس، حسبما تقدم في رسم أبي بكر بن هشام، و ضمنها نظما و نثرا اعترف له بالإجازة فيهما.

تصانيفه: صنّف كتباً كثيرة، أجاد فيها و أفاد، منها «المشروع الرّوى في الزيادة على المروى». و منها «أربعون حديثا» التزم فيها موافقة اسم شيخه، اسم الصابى، و ما أراه سبق إلى ذلك، و هو شاهد بكثرة شيوخه، وسعة روايته. و منها «نزهة الناظر في مناقب عمّار بن ياسر». و منها «الخبر المختصر، في السلوى عن ذهاب البصر»، ألفه لأبى محمد بن أبى الأحوص الضرير الواعظ. و منها

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٠٥

«رسالة في ادخار الصبر، و افتخار القصر و الفقر». و منها «الإكمال و الإتمام في صلة الإعلام بمجالس الأعلام من أهل مالقة الكرام». و له اسم آخر، و هو «مطلع الأنوار و نزهة الأبصار، فيما احتوت عليه مالقة من الرؤساء و الأعلام و الأخيار، و تقيّد من المناقب و الآثار». و اخترمته المتيّة عن إتمامه فتولّى إتمامه ابن أخته أبو بكر محمد بن خميس المذكور، و قد نقلت منه في هذا الكتاب.

شعره: و من شعره، و قد نعت إليه نفسه قبل أن تغرب من سماء معارفه شمسه: [الطويل]

و لما انقضى إحدى و خمسون حجة كأتى منها بعد كرب أحلم

ترقيت أعلاها لأنظر فوقها مدى الحتف منى علتى منه أسلم

إذا هو قد أدنت إليه كأنما ترقيت فيه نجوة و هو سلّم

و قال فى أحذب: [السريع]

و أحذب تحسب فى ظهره جاء به فى نهر عائمة

مثلث الخلقه لكنّه فى ظهره زاوية قائمة

و من أمثال نظمه قوله، و قد استدعت منه إجازة: [الطويل]

أجبتك لا أنى لما رمته أهل و لكنّ ما أجبت محتمل سهل

و ما العلم إلّا البحر طاب مذاقه و ما لى علّ فى الورود و لا نهل

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٠٦ فكيف أرانى أهل ذاك و قد أتى على المميتان البطالة و الجهل

و أسأل ربي العفو عنى فإنه لما يرتجيه العبد من فضله أهل

مولده: تخمينتا فى نحو أربع و ثمانين و خمسمائة.

وفاته: ظهر يوم الأربعاء لأربع خلون من جمادى الآخرة، عام ست و ثلاثين و ستمائة.

محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد ابن أبي بكر بن سعد الأشعري المالقي

إشارة

يكنى أبا عبد الله، و يعرف بابن بكر، من ذرية بلج بن يحيى بن خالد بن عبد الرحمن بن يزيد بن أبي بردة. و اسمه عامر بن أبي عامر بن أبي موسى.

و اسمه عبد الله بن قيس، صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم. ذكره ابن حزم في جملة من دخل الأندلس من العرب .
حاله: من «عائد الصلة»: كان من صدور العلماء، و أعلام الفضلاء، سذاجة و نزاهة و معرفة و تفننا. فسيح الدرس، أصيل النظر، واضح المذهب، مؤثرا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٠٧

للإنصاف، عارفا بالأحكام و القراءات، مبرزاً في الحديث تاريخاً و إسناداً و تعديلاً و تجريحا، حافظاً للأنسب و الأسماء و الكنى، قائماً على العربية، مشاركاً في الأصول و الفروع، و اللغة و العروض و الفرائض و الحساب، مخفوض الجناح، حسن التخلق، عطوفاً على الطلبة، محتباً في العلم و العلماء، مجلماً لأهله، مطرح التصنع، عديم المبالاة بالملبس، بادي الظاهر، عزيز النفس، نافذ الحكم، صوّالاً، معروف بنصرة من أزر إليه. تقدم للسياحة ببلده مالقة، ناظراً في أمور العقد و الحل، و مصالح الكافة. ثم ولى القضاء بها، فأعزّ الخطة، و ترك الهوادة و إنفاذ الحق ملازماً للقراءة و الإقراء، محافظاً للأوقات، حريصاً على الإفادة.

ثم ولى القضاء و الخطابة بغرناطة في العشر الأول لمحرم سبعة و ثلاثين و سبعمائة، فقام بالوظائف، و صدع بالحق، و جرح الشهود فزيف منهم ما ينيف على السبعين عدداً، و استهدف بذلك إلى معادة و مناضلة خاض ثبجها، و صادم تيارها، غير مبال بالمغنية، و لا حافل بالتبعة، فنال لذلك من المشقة، و الكيد العظيم ما نال مثله، حتى كان يمشى إلى الصلاة ليلاً في مسلة، لا يطمئن على حاله.
جرت في هذا الباب حكايات إلى أن استمرت الحال على ما أراده الله، و عزم عليه الأمير في بعض من الخطة، ليردّه إلى العدالة، فلم يجد في قناته مغمزا، و لا في عوده معجماً، و تصدّر لبث العلم بالحضرة، يقرئ فنونا منه جمّة، فنفخ و خرّج، و درّس العربية و الفقه و الأصول، و أقرأ القرآن، و علم الفرائض و الحساب، و عقد مجالس الحديث شرحاً و سماعاً، على سبيل من انشراح الصدر، و حسن التجمل، و خفض الجناح .

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٠٨

و ذكره القاضي المؤرخ أبو الحسن بن الحسن، فقال : و أما شيخنا، و قريتنا مصاهرة، أبو عبد الله بن أبي بكر، فصاحب عزم و مضاء، و حكم صادق و قضاء. كان له، رحمه الله، مع كل قوله صولة، و على كل رابع لا يعرف ذرة، فأحرق قلوب الحسدة و الصب، و أعزّ الخطة بما أزال عنها من الشوائب، و ذهب و فضّض كواكب الحق بمعارفه، و نفذ في المشكلات، و ثبت في المذهلات، و احتج و بكت، و تفقه و نكت.

توقيعه: قال: و حدّثنا صاحبنا أبو جعفر الشَّقُورِي قال : كنت قاعداً في مجلس حكمه فرفعت إليه امرأة رقعة، مضمونها أنها محبة في مطلقها، و تتبغى من يستشفع لها في ردها، فتناول الرقعة، و وقع في ظهرها للحين من غير مهلة: الحمد لله، من وقف على ما بالمقلوب، فليصغ لسماعه إصاغة مغيث، و ليشفع للمرأة عند زوجها، تأسبياً بشفاعه رسول الله صلى الله عليه و سلم لبربرة في مغيث. و الله يسلم لنا العقل و الدين، و يسلك بنا مسالك المهتدين. و السلام يعتمد على من وقف على هذه الأحرف من كاتبها، و رحمه الله. قال صاحبنا: فقال لي بعض الأصحاب: هلّا كان هو الشفيع لها؟ فقلت: الصحيح أنّ الحاكم لا ينبغي أن يباشر ذلك بنفسه على النصوص .

شعره: و لم يسمع له شعر إلّا بيتين في وصف قوس عربي النسب في شعر من لا شعر له، و هما: [البيسط]

هام الفؤاد بنت التبع و التشم زوراء تزرى بعطف البان و الصنم

قوام قامتها تمام معطفها من يلق مقلتها تصميه أو تصم

مشيخته: قرأ على الأستاذ المتفّن الخطيب أبي محمد بن أبي الشداد الباهلي القرآن العظيم جمعا وإفرادا، وأخذ عنه العربية و الفقه و الحديث، و لازمه،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٠٩

و تأدب به. و على الشيخ الراوية الصالح أبي عبد الله محمد بن عيَّاش الخزرجي القرطبي، قرأ عليه كثيرا من كتب الحديث، منها كتاب صحيح مسلم، و سمع عليه جميعه إلّا دولة واحدة. و من أشياخه القاضي أبو القاسم قاسم بن أحمد بن حسن بن الشكوت، و الفقيه المشاور الصّيدر الكبير أبو عبد الله بن ربيع، و الخطيب القدوة الولي أبو عبد الله بن أحمد الطنجالي، و الشيخ القاضي أبو الحسن ابن الأستاذ العلامة أبي الحجاج بن مصامد، و الأستاذ خاتمة المقرئين أبو جعفر بن الزبير، و الخطيب المحدث أبو عبد الله بن رشيد، و الخطيب الولي الصالح أبو الحسن بن فضيلة، و الأستاذ أبو الحسن بن اللباد المشرفي، و الشيخ الأستاذ أبو عبد الله بن الكماد السّيطي اللبليسي. و أجازة من أهل سبته شيخ الشرفاء أبو علي بن أبي التقي طاهر بن ربيع، و العدل الراوية أبو فارس عبد العزيز بن الهواري، و أبو إسحاق التلمساني، و الحاج العدل الراوية أبو عبد الله بن الحصّار، و الأستاذ المقرئ ابن أبي القاسم بن عبد الرحيم القيسي، و الأستاذ أبو بكر بن عبيدة، و الشيخ المعمر أبو عبد الله بن أبي القاسم بن عبيد الله الأنصاري. و من أهل إفريقية الأديب المعمر أبو عبد الله محمد بن هارون، و أبو العباس أحمد بن محمد الأشعري المالقي نزيل تونس، و محمد بن محمد بن سيّد الناس اليعمرى، و عثمان بن عبد القوى البلوي.

و من أهل مصر التسابة شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدماطي، و المحدث الراوية أبو المعالي أحمد بن إسحاق، و جماعة غيرهم من المصريين و الشاميين و الحجازيين.

مولده: في أواخر ذى حجة من عام أربعة و سبعين و ستمائة.

وفاته: فقد في مصاب المسلمين يوم المناجزة بطريف شهيدا محرّضا، زعموا أن بغلة كان عليها كبت به، و أفاق رابط الجأش، مجتمع القوى. و أشار عليه بعض المنهزمين بالركوب فلم يكن عنده قوة عليه. و قال: انصرف، هذا يوم الفرج ،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١١٠

إشارة إلى قوله تعالى في الشهداء: فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، و ذلك ضحى يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى عام أحد و أربعين و سبعمائة.

محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن محمد بن محمد بن علي بن موسى بن إبراهيم بن محمد ابن ناصر بن حيون بن القاسم بن الحسن بن محمد ابن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه

حسبما نقل من خطه:

أولّيته: معروفة، كان وليته مثله.

حاله: هذا الفاضل جملة من جمل الكمال، غريب في الوقار و الحصافة، و بلوغ المدى، و استولى على الأمم حلما و أناة، و بعدا عن الريب، و تمسكا بعري النزاهة، و استمساكا مع الاسترسال، و انقباضا مع المداخلة، معتدل الطريقة، حسن المداراة، مالكا أزمة الهوى، شديد الشفقة، كثير المواساة، مغار جبل الصبر، جميل العشرة، كثيف ستر الحياء، قوى النفس، رابط الجأش، رقيق الحاشية، ممتع المجالسة، متوقد الذهن، أصيل الإدراك، بارعا بأعمال المشيخة، إلى جلال المنتمى، و كرم المنصب و نزاهة النفس، و ملاححة الشّبية، و حمل راية البلاغة، و الإعلام في ميادين البيان، رحلة الوقت في التبريز بعلوم اللسان، حائر الخصل و الفضل في ميدانها، غريبة غزيرة الحفظ، مقنعة الشّاهد ، مستبحرة النظر، أصيلة التوجيه، بريّة عن التّوك و الغفلة، مرهفة باللغة و الغريب و الخبر و التاريخ و البيان، و

صناعة البدیع، و میزان العروض، و علم القافية، و تقدّمًا فی الفقه، و درسا له، و براءة فی الأحكام، و إتقان التّدریس، و الصبر، و الدّؤوب علیه، بارع التصنيف، حاضر الذهن، فصیح اللسان، مفخرة من مفاخر أهل بيته.

الإحاطة فی أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١١١

ولايته: قدم على الحضرة في دولة الخامس من ملوك بني نصر، كما استجمع شبابه، يفهق علما باللسان، و معرفة بمواقع البيان، و ينطق بالعذب الزّلال من الشعر، فسّهّل له كنف البر، و نظم في قلادة كتاب الإنشاء، و هو إذ ذاك ثمينه الخزرات، محكمه الرّصف، فشاع فضله، و ذاع رجله. ثم تقدم، فنقل من طور الحكم، إلى أن قلبد الكتابة و القضاء و الخطابة بالحاضرة، بعد ولاية غيرها التي أعقبها ولاية مالقة في الرابع من شهر ربيع الآخر عام سبعة و ثلاثين و سبعمائة. فاضطلع بالأحكام، و طبّق مفصل الفضل، ماضى الصّيرمة، و حىّ الإجهار، نافذ الأمر، عظيم الهيبة، قليل النّاقد، مطعم التوفيق، يصدع في مواقف الخطب، بكل بليغ من القول، مما يريق ديباجته، و يشفّ صقاله، و تبرأ من كلال الخطباء جوانبه و أطرافه. و استعمل في السّيفارة للعدوّ ناجح المسعى، ميمون التّقيّة، جزيل الحياء و الكرامة، إلى أن عزل عن القضاء في شعبان من عام سبعة و أربعين و سبعمائة، من غير زلّة تخفض، و لاهنه توثّر، فتخيّر إلى التّحليق لتدريس العلم، و تفرغ لإيقراء العربيّة و الفقه، و لم ينشب أميره المنطوى على الهاجس، المغرى بمثله، أن قدّمه قاضيا بوادى آش، بنت حضرته، معزّزة بسندها الكبير الخطّة، فانتقل إليه بجملته. و كانت بينه و بين شيخنا أبى الحسن بن الجيّاب، صداقه صادقه، و مودة مستحكمة، فجرت بينهما أثناء هذه النّقلة، بدائع، منها قوله، يرقب خطّة القضاء التي اخترعها، و يوليها خطّة الملامة :

[السريع]

لا مرحبا بالناشز الفارك إن جهلت رفعة مقدارك

لو أنها قد أوتيت رشداهما برحت تعشو إلى نارك

أقسمت بالنور المبين الذي منه بدت مشكاة أنوارك

و مظهر الحكم الحكيم الذي يتلو عليه طيب أخبارك

ما لقيت مثلك كفؤا لهاو لا أوت أكرم من دارك الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١١٢

ثم أعيد إلى القضاء بالحضرة، فولياها، و استمرت حاله و ولايته على متقدّم سمته من الفضل و الزّاهة و المراجعة فيما يأنف فيه من الخروج عن الجادة، إلى أن هلك السلطان مستقضييه، مأموما به، مقتديا بسجده، يوم عيد الفطر، خمسة و خمسين و سبعمائة. و ولى الأمر ولده الأسعد، فجدد ولايته، و أكّد تجلّته، و رفع رتبته، و استدعى مجالسته.

مشيخته: قرأ ببلده سبته على أبيه الشريف الطاهر، نسيح وحده في القيام، و على أبى عبد الله بن هانى و به جلّ انتفاعه، و عليه جلّ استفادته. و أخذ عن الإمام شيخ المشيخة أبى إسحاق الغافقى. و روى عن الخطيب أبى عبد الله الغمارى، و الخطيب المحدث أبى عبد الله بن رشيد، و القاضى أبى عبد الله القرطبي، و الفقيه الصالح أبى عبد الله بن حريث. و أخذ عن الأستاذ النظار أبى القاسم بن الشاط و غيره.

محنته: دارت عليه يوم مهلك السلطان المذكور رحى الوقيعة، فعركته بالنّقال، و تخلّص من شرارها هولاء، لتطرح الأمير المتوتّب أمام المرية عليه، خاتما في السّجدة، و درس الحماة إياه عند الدّجلة، من غير النفات لمحل الوطأة، و لا افتقاد لمحل صلاة تلك الأمية، فغشيه من الأرجل، رجل الرّبى كثيرة، و التفّ عليه مرسل طيلسانه، سادا مجرى النّفس إلى قلبه، فعالج الحمام وقتا، إلى أن نفّس الله عنه، فاستقلّ من الرّدى، و انتبذ من مطّرح ذلك الوغى، و بودر بالفصاد، و قد أشفى، فكانت عثرة لقيت لما و متاعا، فسمح له المدى آخر من يوثق به، من محل البثّ، و مودعات السّير من حظيّات الملك، أن السلطان عرض عليه قبل وفاته في عالم الحلم، كونه في محراب مسجده، مع قاضيه المترجم به، و قد أقدم عليه كلب، أصابه بشوبه، و لّطخ ثوبه بدمه، فأهمّته رؤياه، و طرقت به الظنون مطارقها، و همّ بعزل القاضى، انقيادا لبواعث الفكر، و سدّا لأبواب التّوقعات، و قد تأذن الله بإرجاء العزم، و تصديق الحلم، و إمضاء

الحكم، جلّ وجهه، و عزّت قدرته، فكان من الأمر ما تقرر في محله.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١١٣

تصانيفه: و تصانيفه بارعة، منها، «رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة»، شرح فيها مقصورة الأديب أبي الحسن حازم بما تنقطع الأطماع فيه.

و منها «رياضة الأبي في قصيدة الخرجي»، أبدع في ذلك بما يدل على الاطلاع و سداد الفهم، و قيد على «كتاب التسهيل» لأبي عبد الله بن مالك تقييدا جليلا و شرحا بديعا، قارب التمام. و شرع في تقييد على الخبر المسمّى ب «درر السيمط في خبر السبط». و محاسنه جمّة، و أغراضه بديعة.

شعره: و أما الشعر، فله فيه القدح المعلى، و الحظّ الأوفى، و الدرّجة العليا، طبقة وقته، و درجة عصره، و حجة زمانه، كلامه متكافئ في اللفظ و المعنى، صريح الدلالة، كريم الخيم، متحصّد الجبل، خالص السبّك، و أنا أثبت منه جزما خصّني به، سمّاه جهد المقل، اشتمل من حرّ الكلام، على ما لا كفاء له.

الحمد لله تردّده أخرى الليالي، فهو المسؤول أن يعصمنا من الزلّل، زلل القول، و زلل الأعمال. و الصلاة على سيدنا محمد خاتم الإرسال. هذه أوراق ضممتها جملة من بنات فكرى، و قطعا مما يحيش به في بعض الأحيان صدرى، و لو حزمت لأضربت عن كتبها كل الإضراب، و لزمت في دفنها و إخفائها دين الأعراب، لكنى آثرت على المحو الإثبات، و تمثلت بقولهم إن خير ما أوتيته العرب الأبيات. و إذا هي عرضت على ذلك المجد، و سألها كيف نجت من الواد، فقد أوتيتها من حرمكم إلى ظلّ ظليل، و أحللتها من بنائكم معرّسا و مقيل، و أهديتها علما بأن كرمكم بالإغضاء عن عيوبها جدّ كفيل، فاغتنم قلّة التهذئة منى، إن جهد المقلّ غير قليل، فحسبها شرفا أن تبوّأت في جنبك كنف، و كفأها مجدا و فخرا أن عقدت بينها و بين فكرك عقدا و جوارا و مما قلت في حرف الهزمة.

مولده: بسبته في السادس لشهر ربيع الأول من عام سبعة و تسعين و ستمائة.

وفاته: توفى قاضيا بغرناطة في أوائل شعبان من عام ستين و سبعمائة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١١٤

محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالى

قاضى الجماعة ببيضة الإسلام فاس، يكنى أبا عبد الله.

حاله: هذا الرجل له أبوة صالحة، و أصالة زاكية، قديم الطلب، ظاهر التخصّص، مفرط في الوقار، نابه البرّة و الركبة، كثير التهمة، يوهم به الفارّ، و صدر الصدور في الوثيقة و الأدب، فاضل النفس، ممحوض النصح، جميل العشرة لإخوانه، مجرى الصداقة نصحا و مشاركة و تنفيقا على سجيّة الأشراف و سنن الحسباء، مديد الباع في فن الأدب، شاعر مجيد، كاتب بليغ، عارف بالتحسين و التقييح، من أدركه، أدرك علما من أعلام المشيخة. قدّمه السلطان الكبير العالم أبو عنان فارس، قاضيا بحضرته، و اختصّه، و اشتمل عليه، فاتصل بعده سعده، و عرف حقّه. و تردّد إلى الأندلس في سبيل الرسالة عنه، فداع فضله، و علم قدره. و لما كان الإزعاج من الأندلس نحو التّبوة التي أصابت الدولة، بلوت من فضله و نصحه و تأنيسه، ما أكد الغبطة، و أوجب الثناء، و خاطبته بما نصه: [الكامل]

من ذا يعدّ فضائل الفشتالى و الدهر كاتب آيها و التالى

علم إذا التمسوا الفنون بعلمه مرعى المشيح و نجة المكنال

نال الذى لا فوقها من رفعة ما أمّلتها حيلة المحتال

و قضى قياس ترائه عن جدّه إن المقدم فيه عين التالى

قاضي الجماعة، بماذا أثنى على خلالك المرتضاة؟ أبقديمك الموجب لتقديمك؟ أم بحديثك الداعي لتحمل حديثك؟ و كلاهما غاية بعد مرماها، و تحامي المتصور حماها، و الضالع لا يسام سبقا، و المنبت لا أرضا قطع و لا ظهرا أبقى. و ما الظن بأصالة تعترف بها الآثار و تشهد، و أبوة صالحه كانت في غير ذات الحق تزهده، و في نيل الاتصال به تجهد، و معارف تقرر قواعد الحق و تمهد، و تهزم الشبه إذا تشهد. و قد علم الله أن جوارك لم يبق للدهر على جوارا، و لا حث من غصني ورقا و لا نورا. هذا و قد زار على أسد و حمل ثورا، فقد أصبحت في ظل الدولة التي وقف على سيدي اختيارها، و أظهر خلوص إبريزه معيارها، تحت كنف و عز مؤتلف، و جوار أبي دلف، و على ثقة من الله بحسن خلف. و ما منع من انتساب ما لديه من

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١١٥

الفضائل إلّا رحله لم يبرك بعد حملها، و لا قر عملها، و أوحال حال بيني و بين مسور البلد القديم مهلهما. و لو لا ذلك لا غتبت الزائد، و اقتنيت الفوائد، و الله يطيل بقاءه، حتى تتأكد القربة، التي تنسى بها الغربة، و تعظم الوسيلة، التي لا تذكر معها الفضيلة. و أما ما أشار به من تقييد القصيدة التي نفق سوقها استحسانه، و أنس باستظرافها إحسانه، فقد أعمل و ما أمهل، و القصور باد إذا تأمل، و الإغضاء أولى ما أميل، فإنما هي فكرة قد أخدمت نارها الأيام، و غيرت آثارها اللثام. و قد كان الحق إجلال مطالعة سيدي من خللها، و تنزيه رجليه عن تقبيل مرتجلها. لكن أمره ممثّل، و أتى من المجد أمرا لا مرد له مثل. و السلام على سيدي من معظم قدره، و ملتزم برّه، ابن الخطيب، و رحمه الله.

فكتب إليّ مراجعا، و هو المليء بالإحسان: [الكامل]

وافت يجرّ الزّهو فضله بردها حسناء قد أضحت نسيجه وحدها

لله أي قصيدة أهديت لويتهدي المعارض نحو غاية قصدها

لابن الخطيب بها محاسن جمّة قارعت عنه الخطوب ففلت من حدّها

سرّ البلاغة عنه أودع حافظا قد صانه حتى فشا من عندها

في غير عقد نفثته بسحرها فلذا أتى سلسا منظم عقدها

لم أدر ما فيها و قمت معاونا من طرسها أو معلما من بردها

حتى دفعت بها لأبعد غاية باعا تقصّر في البلوغ بحدّها

حدان من نظم و نثر إن من يلقاهما منها بذلّه عبدها

أولى يدا بيضاء موليتها فمالى مزيه من أن أقوم بحمدها

و رفضت تكذيب المنى متشيعا على مرآها يصادق وعدّها

فبذلت شعري رافعا من برّها و هزرت عطفى رافلا من بردها

خذها، أعزّ الله جنابك، و أدال للأنس على الوحشة اغترابك، كعبة الطائر المتجدد، و نهبه الثائر المستوفر، و مقه اللحظ، قليلة اللفظ،

قد جمعت من سوامها و انقحامها، بين نظم قيد، و صلود زند، و نوعت، فعلى إقدامها و انحجامها إلى قاصر

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١١٦

و معتد، و ليتنى إذا جادت سحابة ذلك الخاطر الماطر الودق، و انجاب العاني عن مزنة فكرتي، بتقاضى الجواب، انجياب الطوق، و أيقنت أنى قد سدّ على باب القول و أرتحج، و قلت: هذه السالفة الكلية فسدت لها الداعة من تكلم الإمرة و لم أنه إذ أعوزت المرّة بالحلوة، لكنى قلت: وجدّ المكثّر كجهد المقلّ، و الواجب قد يقلّ الامتثال فيه بالأقلّ. فبعثت بها على علّاتها، و أبلغتها عذرّها، في أن كتبت عن شوقها بلغاتها، و هى لا تعدم من سيدي في إغضاء كريم، و إرضاء سليم. و الله، عزّ و جلّ، يصل بالتأنيس الجبل، و يجمع الشمل.

و السلام الكريم يخص تلك السيادة، و رحمه الله و بركاته. من محمد بن أحمد الفشتالي.
و هو الآن قاض بفاس المذكورة، محمود السيرة، أبقاه، و أمتع به.

محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى ابن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي بن داود القرشي المقرئ

إشارة

يكنى أبا عبد الله، قاضي الجماعة بفاس و تلمسان.

أوليته: نقلت من خطه، قال: و كان الذي اتخذه من سلفنا قرارا بعد أن كانت لمن قبله مرارا، عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي المقرئ، صاحب أبي مدين، الذي دعا له و لذريته، بما ظهر فيهم من قبول و تبيين. و هو أبي الخامس؛ فأنا محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن، و كان هذا الشيخ عروى الصلاة، حتى أنه ربما امتحن بغير شيء فلم يؤنس منه التفات، و لا استشعر منه شعور، و يقال: إن هذا الحضور، مميا أدركه من مقامات شيخه أبي مدين. ثم اشتهرت ذريته على ما ذكر من طبقاتهم بالتجارة، فمهدوا طريق الصحراء

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١١٧

بحفر الآبار، و تأمين التجار، و اتخذوا طبل الرحيل، و رايه التتقدم عند المسير.

و كان ولد يحيى، الذي كان أحدهم أبو بكر، خمسة رجال، فعقدوا الشركة بينهم فيما ملكوه و فيما يملكونه على السواء بينهم و الاعتدال، و كان أبو بكر و محمد، و هما أرومتا نسبي من جميع جهات الأم و الأب بتلمسان، و عبد الرحمن و هو شقيقهما الأكبر بسجلماسة، و عبد الواحد و علي، و هما شقيقاهم الصغيران، بأى والأتن فاتخذوا هذه الأقطار و الحوايط و الديار، فتزوجوا النساء، و استولدوا الإمام. و كان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع. و يبعث إليه الصحراوي بالجلد و العاج و الجوز و التبر، و السجلماسي كلسان الميزان يعرفهما بقدر الرجحان و الخسران، و يكتابهما بأحوال التجار، و أخبار البلدان، حتى اتسعت أموالهم، و ارتفعت في الفخامة أحوالهم. و لما افتتح التكرور كورة أى والأتن و أعمالها، أصيبت أموالهم فيما أصيب من أموالها، بعد أن جمع من كان بها منهم إلى نفسه الرجال، و نصب دون ماله القتال. ثم اتصل بملكهم فأكرم مثواه، و مكّنه من التجارة بجميع بلاده، و خاطبه بالصدق الأحب، و الخلاصة الأقرب. ثم صار يكتاب من بتلمسان، يستقضى منهم مآربه، فيخاطبه بمثل تلك المخاطبة، و عندي من كتبه و كتب الملوك بالمغرب، ما ينبئ عن ذلك، فلما استوثقوا من الملوك، تذلّت لهم الأرض للسيلوك، فخرجت أموالهم عن الحد، و كادت تفوق الحصر و العد؛ لأن بلاد الصحراء، قبل أن يدخلها أهل مصر، كانت تجلب لها من المغرب ما لا بال له من السلع، فيعاوض عنه بماله بال من الثمن. ثم قال أبو مدين:

الدنيا ضمّ جنب أبو حمو، و شمل ثوباه. كان يقول: لو لا-الشناعة لم أزل في بلادى تاجرا من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السلع، و يأتون بالتبر الذي

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١١٨

كلّ أمر الدنيا له تبع، و من سواهم يحمل منها الذهب، و يأتي إليها بما يضمحلّ عن قريب و يذهب، إلى ما يغيّر من العوائد، و يجزّ السفهاء إلى المفاسد.

و لما هلك هؤلاء الأشياخ، جعل أبناءهم ينفقون مما تركوا لهم و لم يقوموا بأمر التثمير قيامهم، و صادفوا توالي الفتن، و لم يسلموا من جور السلطان، فلم تزل حالهم في نقصان إلى هذا الزمان، فها أنا ذا لم أدرك في ذلك إلا أثر نعمة اتخذنا فصوله عيشا، و أصوله حرمة. و من جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب، و أسباب كثيرة تعين على الطلب، فتفرغت بحول الله، عزّ و جلّ، للقراءة،

فاستوعبت أهل البلد لقاء، وأخذت عن بعضهم عرضاً وإلقاء، سواء المقيم القاطن، والوارد والظاعن.

حاله: هذا الرجل مشار إليه بالعدوة المغربية اجتهداً، ودؤوباً، وحفظاً وعناية، وإطلاعا، ونقلا ونزاهة، سليم الصدر، قريب الغور، صادق القول، مسلوب التصنع، كثير الهشّة، مفرط الخفة، ظاهر السذاجة، ذاهب أقصى مذاهب التخلق، محافظ على العمل، مثابر على الانقطاع، حريص على العبادة، مضايق في العقد والتوجه، يكابد من تحصيل التّية بالوجه واليدين مشقّة، ثم يغافض الوقت فيها، و يوقعها دفعة متبعا إياها زعقة التكبير، برجفة ينبو عنها سمع من لم يكن تأنس بها عادة، بما هو دليل على حسن المعاملة، وإرسال السجّية، قديم النعمة، متصل الخيرية، مكبّ على النظر والدرس والقراءة، معلوم الصيانة والعدالة، منصف في المذاكرة، حاسر الذراع عند المباحثة، راحب عن الصّيدر في وطيس المناقشة، غير مختار للقرن، ولا- ضانّ بالفائدة، كثير الالتفاف، متقلّب الحدقة، جهير بالحجّية، بعيد عن المراء والمباهتة، قائل بفضل أولى الفضل من الطلبة، يقوم أتمّ القيام على العربيّة والفقه والتفسير، ويحفظ الحديث، ويتهجّر بحفظ الأخبار والتاريخ والآداب، ويشارك مشاركة فاضلة في الأصلين والجدل والمنطق، ويكتب ويشعر الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١١٩

مصيبا في ذلك غرض الإجابة، ويتكلم في طريقه الصّوفية كلام أرباب المقال، ويعتنى بالتدوين فيها. شرّق وحجّ، ولقى جلة، و اضطن رحله مفيدة، ثم آب إلى بلده، فأقرأ به، وانقطع إلى خدمة العلم. فلما ولي ملك المغرب السلطان، محالف الصّنع ونشيدة الملك، وأثير الله من بين القرابة والإخوة أمير المسلمين أبو عنان فارس، اجتذبه وخلطه بنفسه، واشتمل عليه، وولاه قضاء الجماعة بمدينة فاس، فاستقلّ بذلك أعظم الاستقلال، وأنفذ الحكم، والأين الكلمة، و آثر التسديد، وحمل الكلّ، وخفض الجناح، فحسنت عنه القالة، وأحبته الخاصة والعامّة.

حضرت بعض مجالسه للحكم، فرأيت من صبره على اللدد، وتأنيّه للحجج ورفقه بالخصوم، ما قضيت منه العجب. دخوله غرناطة: ثم لما أحر عن القضاء، استعمل بعد لأي في الرّسالة، فوصل الأندلس، أوائل جمادى الثانية من عام ستّة وخمسين وسبعمائه. فلما قضى غرض الرسالة، وأبرم عقد وجهته، واحتلّ مالمقة في منصرفه، بدا له في نبذ الكلفة، وأطراح وظيفة الخدمة، وحلّ التّقيّد، إلى ملازمة الإمرة، فتقاعد، وشهر غرضه، وبّت في الانتقال، طمع من كان صحبته، وأقبل على شأنه، فخلّى بينه وبين همّه. وترك و ما انتحله من الانقطاع إلى ربّه. و طار الخبر إلى مرسله، فأنف من تخصيص إيالته بالهجرة، والعدول عنها، بقصد التّخلى والعبادة، وأنكر ما نحلّه غاية الإنكار، من إبطال عمل الرسالة، والانتقاض قبل الخروج عن العهد، فوغر صدره على صاحب الأمر، ولم يبعد حملة على الظنّة والمواطأة على التّفرة، وتجهّزت جملة من الخدام المجلّين في مآزق الشّبّهة، المضطلعين بإقامة الحجّة، مولين خطّة الملام، مخيّرين بين سحائب عاد من الإسلام، مظنّة إغلاق النعمة،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٢٠

و إيقاع المثلة، والإساءة بسبب القطيعة والمنابذة. وقد كان المترجم به لحق بغرناطة فتذمّم بمسجدها، وجأر بالانقطاع إلى الله، وتوعد من يجيره بنكير من يجير ولا يجار عليه سبحانه، فأهمّ أمره، وشغلت القلوب آبدته، وأمسك الرسل بخلال ما صدرت شفاعته اقتضت له رفع التّبعة، وتركه إلى تلك الوجهة.

ولما تحصّل ما تيسّر من ذلك، انصرف محفوفاً بعالمي القطر، قاضي الجماعة أبي القاسم الحسنى المترجم به قبله، والشيخ الخطيب أبي البركات بن الحاج، مستهلين لوروده، مشافهين للشفاعة في غرضه، فأقشعت الغمّة، وتنفست الكربة. و جرى أثناء هذا من المراسلة والمراجعة، ما تضمّنه الكتاب المسمّى ب «كناسة الدكان بعد انتقال السّكان» المجموع بسلا ما صورته:

«المقام الذي يحبّ الشّفاعه، ويرعى الوسيلة، وينجز العدّة، ويتمّ الفضيلة، ويضفى مجده المنن الجزيلة، ويعبى حمده الممدوح العريضة الطويلة، مقام محلّ والدنا الذي كرم مجده، ووضح سعده، وصحّ في الله تعالى عقده، وخلص في الأعمال الصالحة قصده، وأعجز الألسنة حمده، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا، أبقاه الله سبحانه لوسيلة يرعاها، وشفاعة يكرم مسعاها، و

أخلاق جميلة تجيب دعوة الطبع الكريم إذا دعاها، معظم سلطانه الكبير، و ممجد مقامه الشهير، المتشيع لأبوتاه الرفيعه قولاً باللسان و اعتقاداً بالضمير، المعتمد منه بعد الله على الملجأ الأحمى و الولي النصير. فلان . سلام كريم، طيب بر عميم، يخص مقامكم الأعلى، و أبوتكم الفضلى، و رحمته الله و بر كاته.

أما بعد حمد الله، الذى جعل الخلق الحميدة دليلاً على عنايته بمن حلاه، و ميز بها النفوس النفيسة، التى اختصها بكرامته و تولاه، حمداً يكون كفواً

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٢١

للنعم التى أولاهها، و أعادها و والاهها، و الصلاة و السلام على سيدنا و مولانا محمد عبده و رسوله، المترقى من درجات الاختصاص أرفعها و أعلاها، الممتاز من أنوار الهداية بأوضحها و أجلاها، مطلع آيات السعادة يروق مجتلاها، و الرضا عن آله و صحبه الذين خبر صدق ضمائرهم لما ابتلاها، و غسل ذكركم فى الأفواه فما أعذب أوصافهم على الألسن و أحلاها، و الدعاء لمقام أبوتكم حرس الله تعالى علاها، بالسعادة التى يقول الفتح: أنا طلاع الثنايا و ابن جلاها، و الصنائع التى تخترق المفاوز بركابها المبشرات فتفلى فلاها. فإننا كتبنا إليكم، كتب الله تعالى لكم عزة مشيدة البناء، و حشد على أعلام صنائعكم الكرام جيوش الثناء، و قلدكم قلائد مكارم الأخلاق، ما يشهد لذاتكم منه بسابقة الاعتناء. من حمراء غرناطة حرسها الله، و الود باهر السناء، مجد على الأناء، و التشيع رحب الدسيعة و الفناء.

و إلى هذا، وصل الله تعالى سعدكم، و حرس مجدكم! فإننا خاطبنا مقامكم الكريم، فى شأن الشيخ الفقيه الحافظ الصالح أبى عبد الله المقرئ، خار الله تعالى لنا و له، و بلغ الجميع من فضله العميم أمه، جواباً عما صدر من مثابكم فيه من الإشارة المتمثلة، و المآرب المعملة، و القضايا غير المهملة، نصادركم بالشفاعة التى مثلها بأبوابكم لا يرد، و ظمأها عن منهل قبولكم لا تجلى و لا تصد، حسبما سنه الأب الكريم و الجد، و القبيل الذى وضح منه فى المكارم الرسم و الحد. و لم نصدر الخطاب حتى ظهر لنا من أحواله صدق المخيلة، و تبلج صبح الزهاده و الفضيلة، و جود النفس الشحيحة بالعرض الأدنى البخيلة، و ظهر تخليه عن هذه الدار، و اختلاطه باللئيف و الغمار، و إقباله على ما يعنى مثله من صلة الأوراد، و مداومة الاستغفار.

و كنا لما تعرفنا إقامته بمالقة لهذا الغرض الذى شهره، و الفضل الذى أبرزه للعيان الإحاطة فى أخبار غرناطة؛ ج ٢؛ ص ١٢١

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٢٢

و أظهره، أمرنا أن يعتنى بأحواله، و يعان على فراغ باله، و يجرى عليه سيب من ديوان الأعشار الشرعية و صريح ماله، و قلنا: أما أتاك من غير مسألة مستند صحيح لاستدلاله، ففر من مالقة على ما تعرفنا لهذا السبب، و قعد بحضرتنا مستور المنتمى و المنتسب، و سكن بالمدرسة بعض الأماكن المعدة لسكنى المتسمين بالخير، و المحترفين ببضاعة الطلب، بحيث لم يتعرف و روده و وصوله إلا ممن لا يؤبه بتعريفه، و لم تتحقق زوائده و أصوله لقله تصريفه. ثم تلاحق إرسالكم الجلة. فوجبت حينئذ الشفاعة، و عرضت على سوق الحلم و الفضل من الاستلطاف و الاستعطاف البضاعة، و قررنا ما تحققنا من أمره، و انقباضه عن زيد الخلق و عمره، و استقباله الوجهة التى من ولى وجهه شطرها فقد أثر أثيراً، و من ابتاعها بمتاع الدنيا فقد نال فضلاً كبيراً و خيراً كثيراً، و سألنا منكم أن تبيحوه ذلك الغرض الذى رماه بعزمه، و قصر عليه أقصى همّه. فما أخلق مقامكم أن يفوز منه طالب الدنيا بسهمه، و يحصل منه طالب الآخرة على حظه الباقى و قسمه، و يتوسل الزاهد بزهده و العالم بعلمه، و يعول البرىء على فضله، و يثق المذنب بحلمه. فوصل الجواب الكريم بمجرد الأمان، و هو أرب من آراب، و فائدة من جراب، و وجه من وجوه إعراب، فرأينا أن المطل بعد جفاء، و الإعادة ليس يثقلها خفاء، و لمجدكم بما ضمنا عنه وفاء، و بادرنا الآن إلى العزم عليه فى ارتحاله، و أن يكون الانتقال عن رضا منه من صفة حاله، و أن يقتضى له ثمرة المقصد، و يبلغ طية الإسعاف فى الطريق إن قصد، إذ كان الأمان لمثله ممن تعلق بجناب الله من مثلكم حاصل، و الدين المتين بين نفسه و بين المخافة فاصلاً، و طالب كيمياء السعادة بإعانتكم واصل. و لما مدت اليد فى تسويغ حالة هديكم عليها أبداً يحرض، و

علمكم يصرح بمزيتها ولا يعرض، فكملوا أبقاكم الله ما لم تسعنا فيه مشاحة الكتاب، و ألقوا بالأصل حديث هذه الإباحة فهو أصح حديث في الباب، و وقوا غرضنا من مجدكم، و خلوا بينه و بين مراده من ترك الأسباب، و قصد غافر الذنب و قابل التوب بإخلاص المتاب، و التشمير ليوم العرض و موقف الحساب، و أظهروا عليه عناية الجناب، الذي تعلق به، أعلق الله به يدكم من جناب، و معاذ الله أن تعود شفاعتنا من لدنكم غير مكمله الآراب. و قد بعثنا من ينوب عنا في مشافهتكم بها أحمد المناب، و يقتضى خلاصها بالزغبة لا بالغلاب، و هما فلان و فلان. و لو لا الأعذار لكان في هذا الغرض إعمال الرقاب، بسبق أعلام الكتاب، و أنتم تولون هذا القصد من مكارمكم ما يوفّر الثناء الجميل، و يربى على التأميل، و يكتب على الود الصريح العقد وثيقه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٢٣

التسجيل. و هو سبحانه يقيمكم لتأييد المجد الأثيل، و إناله الرّفد الجزيل. و السلام الكريم يخصّ مقامكم الأعلى، و مثابتم الفضلى، و رحمة الله تعالى و بركاته. في الحادى و العشرين لجمادى الآخرة من عام سبعة و خمسين و سبعمائة، و الله ينفع بقصده، و ييسر علينا الرجعة إلى وجهه و فضله .

مشيخته: قال : فممن أخذت عنه، و استفدت منه علماها، يعنى تلمسان، الشامخان، و عالماها الراسخان: أبو زيد عبد الرحمن، و أبو موسى عيسى، ابنا محمد بن عبد الله بن الإمام ، و حافظها و مدرّسها و مفتيها أبو موسى عمران بن موسى بن يوسف المشدالى ، صهر شيخ المتأخرين أبى على ناصر الدين على ابنته، و مشكاة الأنوار التى يكاد زيتها يضىء و لو لم تمسه نار، الأستاذ أبو إسحاق إبراهيم بن حكيم الكنانى السيلوى، رحمه الله. و منهم القاضى أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور ، و الشيخ أبو عبد الله محمد بن الحسن البرونى، و أبو عمران موسى بومن المصمودى الشهير بالبخارى. قال: سمعت البرونى يقول: كان الشيخ أبو عمران يدرس البخارى ، و رفيق له يدرس صحيح مسلم، و كانا يعرفان بالبخارى و مسلم، فشهدا عند قاض، فطلب المشهود عليه بالإعذار فيهما، فقال له أبو عمران: أتمكّنه من الإعذار فى الصّحيحين البخارى و مسلم؟ فضحك القاضى، و أصلح بين الخصمين. ثم قال: و من شيوخى الصلحاء الذين لقيت بها، خطيبها الشيخ أبو عثمان سعيد بن إبراهيم بن على الخياط، أدرك أبا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٢٤

إسحاق الطيار. و منهم أبو عبد الله بن محمد الكرمونى، و كان بصيرا بتفسير الرؤيا، فمن عجائب شأنه، أنه كان فى سجن أبى يعقوب يوسف بن عبد الحق مع من كان فيه، من أهل تلمسان أيام محاصرته لها، فرأى أبا جمعة على التلالسى الجرايحى منهم، كأنه قائم على ساقية دائرة، و جميع أقداحها و أقواسها تصب فى نقيير فى وسطها، فجاء ليشرب، فاغترف الماء، فإذا فيه فرث و دم، فأرسله، و اغترف فإذا هو كذلك، ثلاثا أو أكثر، ثم عدل إلى خاصية ماء، فجاءها و شرب منها. ثم استيقظ، و هو النهار، فأخبره، فقال: إن صدقت الرؤيا، فنحن عن قليل خارجون من هذا السجن. قال: كيف؟ قال: الساقية الزمان، و التقيير السلطان، و أنت جرايحى، تدخل يدك فى جوفه فينالها الفرث و الدّم، و هذا ما لا يحتاج معه إلى دليل، فأخرج، فوجد السلطان مطعونا بخنجر، فأدخل يده فى جوفه، فناله الفرث و الدّم، فخاط جراحته و خرج، فرأى خاصية ماء، فغسل يده و شرب. و لم يلبث السلطان أن توفى، و سرّحوا من كان فى سجنه. و من أشياخه الإمام نسيح وحده، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد الأبلى التلمسانى، و هو رحله الوقت فى القيام على الفنون العقلية، و إدراكه و صحّة نظره.

حدّث قال: قدم على مدينة فاس، شيخنا أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلى، عرف بابن المسفر، رسولا من صاحب بجاية. و زاره الطلبة، فكان مما حدّثهم أنهم كانوا على زمان ناصر الدين، يستشكلون كلاما وقع فى تفسير سورة الفاتحة من كتب فخر الدين، و استشكله الشيخ معهم. و هذا نصه: ثبت فى بعض العلوم العقلية، أن المركّب مثل البسيط فى الجنس، و البسيط مثل المركّب فى الفصل، و أن الجنس أقوى من الفصل، فأخبروا بذلك الشيخ الأبلى لما رجعوا إليه، فتأمّله ثم قال: هذا كلام مصحف، و أصله أن المركّب قبل البسيط فى الحسّ، و البسيط قبل المركّب فى العقل، و أن الحسّ أقوى من العقل، فأخبروا ابن المسفر، فليجّ، فقال لهم

الشيخ: التمسوا النسخ، فوجدوا في لفظ بعضها كما قال الشيخ.

رحلته: رحل إلى بجاية مشرقاً، فلقى بها جلّة، منهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي، ابن المسفر. و منهم قاضيها أبو عبد الله محمد ابن الشيخ

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٢٥

أبي يوسف يعقوب الزواوي، فقيه ابن فقيه. و منهم أبو علي حسن بن حسن إمام المعقولات بعد ناصر الدين. و بتونس قاضي الجماعة و فقيها أبو عبد الله بن عبد السلام، و حضر دروسه، و قاضي المناكح أبو محمد اللخمي، و هو حافظ فقهاها في وقته، و الفقيه أبو عبد الله بن هارون شارح ابن الحاجب في الفقه و الأصول. ثم حجّ فلقى بمكة إمام الوقت أبا عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن التوزري، المعروف بخليل، و إمام المقام أبا العباس رضی الدين الشافعي، و غير واحد من الزائرین و المجاورين و أهل البلد. ثم دخل الشام، فلقى بدمشق شمس الدين بن قيم الجوزية، صاحب ابن تيمية، و صدر الدين الغماري المالكي، و أبا القاسم بن محمد اليماني الشافعي و غيرهم. و بيت القدس أبا عبد الله بن مثبت، و القاضي شمس الدين بن سالم، و الفقيه أبا عبد الله بن عثمان، و غيرهم.

تصانيفه: ألف كتابا يشتمل على أزيد من مائة مسألة فقهية، ضمّنها كل أصيل من الرأي و المباحث. و دون في التصوّف إقامة المريد، و رحلة المتبتّل، و كتاب الحقائق و الرقائق، و غير ذلك.

شعره: نقلت من ذلك قوله: هذه لمحّة العارض لتكملة ألفية ابن الفارض، سلب الدهر من فرائدها مائة و سبعة و سبعين، فاستعنت على ردّها بحول الله المعين.

من فصل الإقبال: [الطويل]

رفضت السوى و هو الطهارة عند ما تلّفت في مرط الهوى و هو زيتتى

و جئت الحمى و هو المصلّى ميمما بوجهه قلبى و جهها و هو قبلتى

و قمت و ما استفتحت إلّا بذكرها و أحرمت إحراما لغير تجلّة

فدينى إن لاحت ركوع و إن دنت سجود و إن لاهت قيام بحسرة

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٢٦ على أننا في القرب و البعد واحد توّلّفنا بالوصل عين التشتت

و كم من هجير خضت ظمآن طاويا إليها و ديجور طويت برحلة

و فيها لقيت الموت أحمر و العدا بزرقه أسنان الرّماح و حدّة

و بينى و بين العذل فيها منازل تنسيك أيام الفجار و مؤتة

و لما اقتسنا خطّينا فحامل فجار بلا أجر و حامل برة

خلا مسمعى من ذكرها فاستعدته فعاد ختام الأمر أصل القضية

و كم لى على حكم الهوى من تجلّد دليل على أنّ الهوى من سجيّتى

يقول سميرى و الأسا سالم الأسى و لا توضع الأوزار إلّا لمحنة

لو أنّ مجوسا بتّ موقد نارها لما ظلّ إلّا منها ذا شريعة

و لو كنت بحرا لم يكن فيه نضحة لعين إذا نار الغرام استحرّت

فلا ردم من نقب المعاول آمن و لا هدم إلّا منك شيد بقوة

فمّم تقول الأسطقسّات منك أوعلام مزاج ركبت أو طبيعة

فإن قام لم يثبت له منك قاعدو إلّا فأنت الدهر صاحب قعدة

فما أنت يا هذا الهوى؟ ماء أو هوأم النار أم دساس عرق الأمومة؟
وإني على صبري كما أنت واصف وحالي أقوى القائمين بحجّة
أقلّ الضنى أن عيج من جسمي الضنى وما شاكه معشار بعض شكيتي
وأيسر شوقي أنني ما ذكرتها ولم أنسها إلا احترقت بلوغة
وأخفي الجوى قرع الصواعق منك في جواي وأخفي الوجد صبر المودة
وأسهل ما ألقى من العذل أنني أحبّ أقلّي ذكرها وفضيحتي
وأوج حظوظي اليوم منها حضيضها بالأمس و سل حرّ الجفون الغزيرة
وأوجز أمرى أن دهرى كلّ كما شاءت الحسنة يوم الهزيمة
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٢٧ أروح و ما يلقي التأسف راحتي وأعدو ما يعدو التفجع خطتي
و كالبيض بيض الدهر و السمر سوده مساءتها في طي طيب المسرة
و شأن الهوى ما قد عرفت و لا تسل و حسبك أن لم يخبر الحبّ رؤيتي
سقام بلا براء، ضلال بلا هدى أوام بلا رى، دم لا بقيمة
و لا عتب فالأيام ليس لها رضاو إن ترض منها الصبر فهو تعتتي
ألا أيها اللّوام عنى قوضواركاب ملامى فهو أول محنتي
و لا تعذلوني فى البكاء و لا البكى و خلّوا سبيلى ما استطعتم و لوعتى
فما سلسلت بالدمع عيني إن جنت و لكن رأيت ذاك الجمال فجنت
تجلّى و أرجاء الرّجاء حوالك و رشدى غاو و العمايات عمّت
فلم يستبن حتى كآنى كاسف و راجعت إبصارى له و بصيرتى

و من فصل الاتصال : [الطويل]

و كم موقف لى فى الهوى خضت دونه عباب الرّدى بين الطّبا و الأسنة
فجاوزت فى حدّى مجاهدتى له مشاهدتى لّمّا سمت بى همّتى
و حلّ جمالى فى الجلال فلا أرى سوى صورة التّنزيه فى كلّ صورة
و غبت عن الأغيار فى تيه حالتى فلم أنتبه حتى امتحى اسمى و كنيّتى
و كاتب ناسوتى بأماره الهوى وعدت إلى اللاهوت بالمطمئنة
و علم يقينى صار عينا حقيقه و لم يبق دونى حاجب غير هيبتى
و بدلت بالتلوين تمكين عزة و من كلّ أحوالى مقامات رفعة
و قد غبت بعد الفرق و الجمع موقفى مع المحو و الإثبات عند تشبّتى
و كم جلت فى سمّ الخياط و ضاق بى لبسطى و قبضى بسط وجه البسيطة
و ما اخترت إلا دنّ بقراط زهدا و فى ملكوت النفس أكبر عبرة
و فقرى مع الصبر اصطفت على الغنى مع الشكر إذ لم يحظ فيه مثوبتى
و أكنتم حبّى ما كنى عنه أهله و أكنى إذا هم صرّحوا بالخبيّة
و إنى فى جنسى و منه لواحد كنوع، ففصل النوع علّة حصّتى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٢٨ تسببت في دعوى التوكل ذاهبا إلى أن أجدى حيلتي ترك حيلتي
 و آخر حرف صار منى أولامريدا و حرف في مقام العبودة
 تعرّفت يوم الوقف منزل قومها ببتّ بجمع سدّ خرق التثتت
 فأصبحت أفضى النفس منها منى الهوى و أفضى على قلبى برعى الرعيه
 فبايعتها بالنفس دارا سكنتها و بالقلب منه منزلا فيه حلّت
 فخلّص الاستحقاق نفسى من الهوى و أوجب الاسترقاق تسليم شفعة
 فيا نفس لا ترجع تقطّع بيننا و يا قلب لا تجزع ظفرت بوحده

و من فصل الإدلال : [الطويل]

تبدّت لعينى من جمالك لمحّة أبادت فؤداى من سناها بلفحة
 و مرّت بسمعى من حديثك ملحّة تبدّت لها فيك القران و قرّت
 ملامى ابن، عذرى استبن، وجدى استعن سماعى أعن، حالى ابن، قائلى اصمت
 فمن شاهدى سخط و من قاتلى رضا و تلوين أحوالى و تمكين رتبتي
 مراعى إشارات، مراعى تفكّر مراقى نهايات، مراسى تثبت
 و فى موقفى و الدار أقوت رسوما تقرب أشواقى تبعد حسرتى
 معانى أمارات، مغانى تذكّر مبانى بدايات، مثنى تلقت
 و بتّ غرام، و الحبيب بحضره و ردّ سلام و الرقيب بغفلة
 و مطلع بدر فى قضيب على نقافويق محلّ عاطل دون دجيه
 و مكمن سحر بابلى له بماحوت أضلعي فعل القنا السمهريه
 و منبت مسك من شقيق ابن منذر على سوسن غضّ بجته و جته
 و رصف اللالكى فى اليواقيت كلماتعلّ بصرف الرّاح فى كل سحرة
 سل السلسبيل العذب عن طعم ريقه و نكهته يخبرك عن علم خبره
 و رمان كافور عليه طواع من الندّ لم تحمل به بنت مزنة
 و لطف هواء بين خفق و بانئه و رقّه ماء فى قوارير فضّه
 لقد عزّ الصبر حتى كأنه سراقه لحظ منك للمتلفّ

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٢٩ و أنت و إن لم تبق منى صبا به منى النفس لم تقصد سواك بوجهه
 و كلّ فصيح منك يسرى لمسمعى و كلّ مليح منك يبدو لمقلتي
 تهون علىّ النفس فيك و إنها لتكرم أن تغشى سواك بنظرة
 فإن نظرينى بالرضا تشفّ علتى و إن تظفرينى باللقا تطفّ غلتى
 و إن تذكرينى و الحياه بقيدها عدلت لأمتى منيتى بميتتى
 و إن تذكرينى بعدما أسكن الثرى تجلّت دجاه عند ذاك و ولّت
 صلينى و إلّا جدّدى الوعد تدركى صبا به نفس أيقنت بتفلّت
 فما أمّ بو هالك بتنوفة أقيم لها خلف الحلاب فدرّت

فلما رآته لا ينازع خلفها إذا هي لم ترسل عليه و ضنت
بكت كلما راحت عليه و إنها إذا ذكرته آخر الليل حنت
بأكثر منى لوعه غير أننى رأيت وقار الصبر أحسن حليه
فرحت كما أغدو إذا ما ذكرتها أطامن أحشائي على ما أجتت
أهون ما ألقاه إلا من القلى هوى و نوى نيل الرضا منك بغيتى
أخوض الصلى أطفى العلا و العلو لأصل السلا أرى الخلى بين عبرتى
ألا قاتل الله الحمامة غدوة لقد أصلت الأحشاء نيران لوعه
و قاتل مغناها و موقف شجوها على الغصن ما ذا هيجت حين غنت
فغنت غناء أعجميا فهيجت غرامى من ذكرى عهد تولت
فأرسلت الأجفان سحبا و أوقدت جواى الذى كانت ضلوعى أكتت
نظرت بصحراء البريقين نظرة وصلت بها قلبى فصلى و صلت
فيا لهما قلبا شجيا و نظرة حجازية لو جن طرف لجنت
و وا عجا للقلب كيف اعترافه و كيف بدت أسراره خلف ستره
و للعين لما سوئلت كيف أخبرت و للنفس لما وطنت كيف دلت
و كنا سلطنا فى صعود من الهوى يسامى بأعلام العلا كل ربه
إلى مستوى ما فوqe فيه مستوى فلما توافينا ثبت و زلت
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٣٠ و كنا عقدنا عقده الوصل بيننا على نحر قربان لدى قبر شبيه
مؤكده بالتذر أيام عهده فلما تواتقنا اشتدت و حلت

و من فصل الاحتفال : [الطويل]

أزور اعتمارا أرضها بتنسك و أقصد حج بيتها بتحلّه
و فى نشأتى الأخرى ظهرت بما علت له نشأتى الأولى على كل فطره
و لولا خفاء الرمز لا و لن و لم تجدها لشملى مسلكا بتشتت
و لو لم يجدد عهدنا عقد خلّة قضيت و لم يقض المنى صدق توبه
بعثت إلى قلبى بشيرا بما رأت على قدم عيناي منه فكفت
فلم يعد أن شام البشارة شام ماجفا الشام من نور الصفات الكريمة
فيالك من نور لو أن التفاتة تعارض منه بالنفوس النفيسة
تحدث أنفاس الصبا أن طيبها بما حملته من حراقه حرقه
و تنبىء آصال الربيع عن الربا و أشجاره إن قد تجلت فجلت
و تخبر أصوات البلابل أنها تغنت بترجيى على كل أيكه
فهذا جمالى منك فى بعد حسرتى فكيف به إن قربتنى بخله
تبدى و ما زال الحجاب و لا دنا و غاب و لم يفقده شاهد حضرته
له كل غير فى تجليه مظهره لا غير إلا ما محت كف غيره

تجلى دليل و احتجاب تنزه و إثبات عرفان و محو تثبت
 فما شئت من شيء و آليت أنه هو الشيء لم تحمد فجار ألتى
 و فى كل خلق منه كل عجيبة و فى كل خلق منه كل لطيفة
 و فى كل خاف منه مكن حكمة و فى كل باد منه مظهر جلوة
 أراه بقلب القلب و اللغز كامناو فى الزجر و الفال الصحيح الأدلة
 و فى طي أوافق الحساب و سر ما يتم من الأعداد فابدأ بسنة
 و فى نفثات السحر فى العقد التى تطوع لها كل الطباع الأبية
 يصور شكلا مثل شكل و يعتلى عليه بأوهام النفوس الخبيثة
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٣١ و فى كل تصحيف و عضو بذاته اختلاج و فى التقويم مجلى لرؤية
 و فى خضرة الكمون تزجى شرابه مواعيد عرقوب على إثر صفرة
 و فى شجر قد خوفت قطع أصلها فبان بها حمل لأقرب مدة
 و فى النخل فى تلقيحه و اعتبر بما أتى فيه عن غير البرية و اسكت
 و فى الطابع السبى فى الأحرف التى يبين منها النظم كل خفية
 و فى صنعة الطلسم و الكيمياء و الكنوز و تغوير المياه المعينة
 و فى حرز أقسام المؤدب محرزو حزب أصيل الشاذلى و بكره
 و فى سيمياء الحاتمي و مذهب ابن سبعين إذ يعزى إلى شر بدعة
 و فى المثل الأولى و فى النحل الألى بها أوهموا لما تساموا بسنة
 و فى كل ما فى الكون من عجب و ماحوى الكون إلا ناطقا بعجيبة
 فلا سر إلا و هو فيه سريرة و لا جهر إلا و هو فيه كحلية
 سل الذكر عن أنصاف أصناف ما ابتنى عليه الكلام من حروف سليمة
 و عن وضعها فى بعضها و بلوغ ما أتت فيه أمضى عدها و تثبت
 فلا بد من رمز الكنوز لذى الحجاو لا ظلم إلا ظلم صاحب حكمة
 و لو لا سلام ساق للأمن خيفتى لعاجل مس البرد خوفى لميتتى
 و لو لم تداركنى و لكن بعطفها درجت رجائى أن نعتنى خيبتى
 و لو لم تؤانسنى عنا قبل لم و لم قضى العتب منى بغية بعد وحشتى
 و نعم أقامت أمر ملكى بشكرها كما هونت بالصبر كل بليته

و من فصل الاعتقال : [الطويل]

سرت بفؤادى إذ سرت فيه نظرتى و سارت و لم تن العنان بعطفه
 و ذلك لما أطلع الشمس فى الدجى محيا ابنه الحين فى خير ليلة
 يمانية لو أنجدت حين أنجدت لما أبصرت عيناك حيا كميته
 لأصحه فى نصحها قدم بنى لكل نجاشى بها حصن ذمه
 ألمت فحطت رحلها ثم لم يكن سوى وقفه التوديع حتى استقلت

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٣٢ فلو سمحت لي بالتفات و حل من مهاوى الهوى و الهون جدّ تفلّتى
و لكنها همّت بنا فتذكرت قضاء قضاء الحسن قدما فصّدت
أجلت خيالاً إننى لا أجلّه و لم أنتسب منه لغير تعلّه
على أننى كلّى و بعضى حقيقه و باطل أوصافى و حقّ حقيقتى
و جنسى و فصلى و العوارض كلّها و نوعى و شخصى و الهواء و صورتى
و جسمى و نفسى و الحشا و غرامه و عقلى و روحائيتى القدسيّه
و فى كلّ لفظ عنه ميل لمسمعى و فى كل معنى منه معنى للوعتى
و دهرى به عيد ليوم عروبه و أمرى أمرى و الورى تحت قبضتى
و وقتى شهود فى فناء شهدته و لا وقت لى إلّا مشاهد غيبه
أراه معى حسّاً و وهما و إنه مناط الثريا من مدارك رؤيتى
و أسمع من غير نطق كأنه يلقن سمعى ما توسوس مهجتى
ملاّت بأنوار المحبّه باطنى كأنك نور فى سرار سريرتى
و جلّيت بالإجلال أرجاء ظاهرى كأنك فى أفقى كواكب زينه
فأنت الذى أخفيه عند تسترى و أنت الذى أبديه فى حين شهرتى
فته أحتمل، و اقطع أصل و اعل استفل و مر أمتثل و املل أمل، و ارم أثبت
فقلبى إن عاتبته فيك لم أجد لعتبى فيه الدهر موقع نكنه
و نفسى تنبو عن سواك نفاسه فلا تنتمى إلّا إليك بمنّه
تعلّقت الآمال منك بفوق ما أرى دونه ما لا ينال بحيله
و حامت حواليتها و ما وافقت حمى سحائب يأس أمطرت ماء عبرتى
فلو فاتنى منك الرضى و لحقتنى بعفو بكيك الدهر فوت فضيله
و لو كنت فى أهل اليمين منعماً بكيك على ما كان من سبقيه
و كم من مقام قمت عنك مسائلاً أرى كلّ حىّ كلّ حىّ و ميّت
أتيت بفاراب أبا نصرها فلم أجد عنده علما يبرّد غلّتى
و لم يدر قولى ابن سيناء سائلاً فقل كيف أرجو عنده برء علّتى
فهل فى ابن رشد بعد هذين مرتجى و فى ابن طفيل لاحتثاث مطّيتى؟
لقد ضاع لو لا أن تداركنى حمى من الله سعى بينهم طول مدّتى
فقيض لى نهجا إلى الحقّ سالكا و أيقظنى من نوم جهلى و غفلتى
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٣٣ فحصّنت أنظار الجنيد جنيدها بترك فلى من رغبه ربح رهبه
و كسّرت عن رجل ابن أدهم أدهما و أنقذته من أسر حبّ الأسره
و عدت على حلّاج شكرى بصلبه و ألقيت بلعام التفاتى بهوّه
فقولى مشكور و رأى ناجح و فعلى محمود بكلّ محلّه
رضيت بعرفانى فأعليت للعلاو أجلسنى بعد الرضا فيه جلّتى
فعثت و لا ضيرا أخاف و لا قلى و صرت حبيبا فى ديار أحبّتى

فها أنا ذا أمسى و أصبح بينهم مبلغ نفسى منهم ما تمت
و أنشدنى قوله فى حال قبض و قيدتها عنه : [الطويل]
إليك بسطت الكفّ أستنزل الفضلا و منك قبضت الطرف أستشعر الدّلا
و ها أنا ذا قد قمت يقدمنى الرّجاو يحجمنى الخوف الذى خامر العقلا
أقدم رجلا إن يضىء برق مطمع و تظلم أرجائى فلا أنقل الرّجلا
ولى عثرات لست آمل أن هوت بنفسى ألا أستقل و أن أصلى
فإن تدرّكنى رحمة أنتعش بهاو إن تكن الأخرى فأولى بى الأولى
قال، و مما نظمته من الشعر : [مجزوء الكامل]

وجد تسعّره الضلوع و ما تبرّده المدامع
همّ تحرّكه الصّباة و المهابة لا تطاوع
أملى إذا وصل الرّجا أسبابه فالموت قاطع
بالله يا هذا الهوى ما أنت بالعشاق صانع؟

قال: و مما كتبت به لمن بلغنى عنه بعض الشىء : [الرملى]

نحن، إن تسأل بناس، معشر أهل ماء فجرّته الهمم
عرب من بيضهم أرزاقهم و من السمر الطوال الخيم
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٣٤ عرّضت أحسابهم أرواحهم دون نيل العرض و هى الكرم
أورثونا المجد حتى إنانترضى الموت و لا نزدحم
ما لنا فى الناس من ذنب سوى أننا نلوى إذا ما اقتحموا

قال: و مما قلته مذيلا به قول القاضى أبى بكر بن العربى : [مجزوء الوافر]

أما و المسجد الأقصى و ما يتلى به نصّا
لقد رقصت بنات الشوق بين جوانحى رقصا
قولى: [مجزوء الوافر]

فأقلع بى إليه هوى جناحا عزمه قصّا
أقلّ القلب و استعدى على الجثمان فاستعصى
فقلت أجول بينهما فلا أدنى و لا أقصى

قال: و مما قلته فى التورية بشأن راوى المدونة : [البسيط]

لا تعجبنّ لظبى قد دها أسدا فقد دها أسدا من قبل سحنون
قال: و مما قلته من الشعر : [البسيط]

أنبت عودا بنعماء بدأت بها فضلا و ألبستها بعد اللّحى الورقا
فظلّ مستشعرا مستدثرا أرجا ريان ذا بهجته يستوقف الحدقا
فلا تشنه بمكروه الجنى فلکم عودته من جميل من لدن خلقا
و انف القذى عنه و اثر الدهر منبته و غده برجا و اسقه غدقا
و احفظه من حادثات الدهر أجمعها ما جاء منها على ضوء و ما طرقا

و مما قَيِّدَت عنه أيام مجالسته و مقامه بغرناطة، و قد أجرى ذكر أبي زيد ابن الإمام، أنه شهد مجلسا بين يدي السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمّو،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٣٥

ذكر فيه أبو زيد المذكور، أن ابن القاسم مقيد بالنظر بأصول مالك، و نازعه أبو موسى عمران بن موسى المشدالي، و ادّعى أنه مطلق الاجتهاد، و احتج له بمخالفته لبعض ما يرويه أو يبلغه عنه لما ليس من قوله، و أتى من ذلك بنظائر كثيرة. قال: فلو تقيّد بمذهبه لم يخالفه لغيره، فاستظهر أبو زيد بنصّ لشرف الدين بن التلمساني، و مثل فيه الاجتهاد المخصوص باجتهاد ابن القاسم بالنظر إلى مذهب مالك، و المزني إلى الشافعي. فقال أبو موسى عمران: هذا مثال، و المثال لا يلزم صحته، فصاح به أبو زيد ابن الإمام و قال لأبي عبد الله بن أبي عمر: تكلم، فقال: لا أعرف ما قال هذا الفقيه، و الذي أذكره من كلام أهل العلم أنه لا يلزم من فساد المثال فساد الممثل به، فقال أبو موسى للسلطان: هذا كلام أصولي محقق، فقلت لهما يومئذ، و أنا حديث السن: ما أنصفهما الرجل، فإن المثل كما يؤخذ على جهة التحقيق، كذلك يؤخذ على جهة التقريب، و من ثم جاء ما قال هذا الشيخ، أعنى ابن أبي عمران، و كيف لا و هذا سيبويه يقول: و هذا مثال و لا يتكلم به، فإذا صحّ أن المثال قد يكون تقريبا، فلا يلزم صحة المثال، و لا فساد الممثل لفساده، فهذان القولان من أصل واحد.

و قال: شهدت مجلسا آخر عند هذا السلطان، قرىء فيه على أبي زيد ابن الإمام حديث: «لَقَنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، من صحيح مسلم، فقال له الأستاذ أبو إسحاق بن حكيم السلوي: هذا الملنّ محتضر حقيقة، ميت مجازا، فما وجه ترك محتضريكم إلى موتاكم، و الأصل الحقيقة؟ فأجابه أبو زيد بجواب لم يقنعه. و كنت قد قرأت على الأستاذ بعض «التنقيح»، فقلت: زعم القرافي أن المشتق إنما يكون حقيقة في الحال، مجازا في الاستقبال، مختلفا فيه في الماضي، إذا كان محكوما به.

و أمّا إذا كان متعلّق الحكم كما هنا، فهو حقيقة مطلقا إجماعا، و على هذا التقرير لا مجاز و لا سؤال. و لا يقال: إنه احتجّ على ذلك بما فيه نظر؛ لأننا نقول: إنه نقل الإجماع، و هو أحد الأربعة التي لا يطالب عنها بالدليل، كما ذكر أيضا. بل

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٣٦

نقول: إنه أساء حيث احتجّ في موضع الوفاق، كما أساء اللخمي و غيره في الاحتجاج على وجوب الطهارة و نحوها. بل هذا أشنع، لكونه مما علم كونه من الدين ضرورة. ثم إننا لو سلّمنا نفي الإجماع، فلنا أن نقول: إن ذلك إشارة إلى ظهور العلامات التي يعقبها الموت عادة؛ لأنّ تلقينه قبل ذلك، إن لم يدهش، فقد يوحش، فهو تنبيه على وقت التلقين: أي لقنوا من تحكّمون بأنه ميت. أو يقال: إنما عدل عن الاحتضار لما فيه من الإبهام، ألا ترى اختلافهم فيه: هل هو أخذ من حضور الملائكة أو حضور الأجل، أو حضور الجلّاس؟ و لا شك أن هذه حالة خفيّة يحتاج في نصّها إلى دليل الحكمة أو إلى وصف ظاهر يضبطها، و هو ما ذكرناه، أو من حضور الموت، و هو أيضا ممّا لا يعرف بنفسه، بل بالعلامات. فلما وجب اعتبارها، وجب كون تلك التسمية إشارة إليها، و الله أعلم.

و قال: و كان أبو زيد يقول، فيما جاء من الأحاديث: ما معنى قول ابن أبي زيد: «و إذا سلّم الإمام، فلا يلبث بعد سلامه و لينصرف»، و ذلك بعد أن ينتظر من يسلم من خلفه لئلا يمر بين يدي أحد، و قد ارتفع عنه حكمه، فيكون كالدخل مع المسبوق جمعا بين الأدلة.

و قلت: و هذا من ملح الفقيه. و قال: كان أبو زيد يعنى الإمام، يصحّف قول الخونجي في الجمل و المقارنات التي يمكن اجتماعه معها، فيقول: و «المفارقات»، و لعلّه في هذا كما قال أبو عمرو بن العلاء للأصمعي لما قرأ عليه: [مجزوء الكامل]

و غررتني و زعمت أنك لابن في الصّيف تامر

فقال: [مجزوء الكامل]

و غررتني و زعمت أنك لا تتى بالصّيف تامر

فقال: أنت في تصحيفك أشهر من الحطيئة، أو كما يحكى عن الشافعي أنه لما صلّى في رمضان بالخليفة، لم يكن يومئذ يحفظ

القرآن، فكان ينظر في

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٣٧

المصحف، وقرأ الآية «صنع الله أصيب بها من أساء. إنما المشركون نحس. وعدّها إياه، تقيّة لكم خير لكم. هذا أن دعوا للرحمن ولدا، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه» .

وقال : و ذكر أبو زيد ابن الإمام في مجلسه يوما أنه سئل بالمشرق عن هاتين الشريطين : وَ لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ (٢٣) ، فإنهما يستلزمان بحكم الإنتاج «و لو علم الله فيهم خيرا لتولوا و هم معرضون» و هو محال. ثم أراد أن يرى ما عند الحاضرين، فقال ابن حكم: قال الخونجي: و الإهمال بإطلاق لفظه، لو و أن في المتصلة، فهاتان القضيتان على هذا مهملتان، و المهملة في قوة الجزئية، و لا- قياس على جزئيتين. فلما اجتمعت ببجاية بأبي على حسين بن حسين، أخبرته بهذا، و بما أجاب به الزمخشري و غيره، ممّا يرجع إلى انتفاء أمر تكرار الوسط. فقال لي: الجوابان في المعنى سواء؛ لأن القياس على الجزئيتين إنما امتنع لانتفاء أمر تكرار الوسط. و أخبرت بذلك شيخنا أبا عبد الله الأبلّ، فقال: إنما يقوم القياس على الوسط، ثم يشترط فيه بعد ذلك أن لا يكون من جزئيتين و لا سالتين، إلى سائر ما يشترط، فقلت: ما المانع من كون هذه الشروط تفصيلا لمجمل ما ينبنى عليه الوسط و غيره، و إلا- فلا- مانع لما قاله ابن حسين. قال الأبلّ: و أجبت بجواب السيلوي، ثم رجعت إلى ما قاله الناس، لوجوب كون مهملات القرآن كلية؛ لأن الشرطية لا تنتج جزئية. فقلت: هذا فيما يساق منها للحجة مثل لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا. أما في مثل هذا فلا قلت . و كان يلزم السؤال الأول لو لم يكن للمتولى سبب تأخر، حسبما تبين في مسأله، لو لم يطع الله، فلينظر ذلك في اسم شيخنا أبي بكر يحيى بن هذيل رحمه الله.

و قال : لما ورد تلمسان الشيخ الأديب أبو الحسن بن فرحون، نزيل طيبة، على تربتها السلام، سأله ابن حكم عن معنى هذين البيتين: [الوافر]

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٣٨ رأت قمر السماء فأذكرتنى ليالى وصلنا بالزقمتين

كلانا ناظر قمرا ولكن رأيت بعينها ورأت بعيني

ففكر ثم قال: لعل هذا الرجل كان ينظر إليها، و هي تنظر إلى قمر السماء، فهي تنظر إلى القمر حقيقة، و هو لفرط الاستحسان يرى أنها الحقيقة. فقد رأى بعينها لأنها ناظرة الحقيقة. و أيضا و هو ينظر إلى قمر مجازا، و هو لإفراطه استحسانها يرى أن قمر السماء هو المجاز، فقد رأت بعينه؛ لأنها ناظرة المجاز.

قلت: و من هذا يعلم وجه الفاء في قوله تعالى: فَأَذْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ وَ الْفَاءُ فَأَذْكَرْتَنِي بِمِثَابَةِ قَوْلِكَ أَذْكَرْتَنِي، فتأمله، فإن بعض من لا يفهم كلام الأستاذ كل الفهم، ينشده: «و أذكرتنى». فالفاء في البيت الأول، متبته على الثانى، و هذا النحو يسمى «الإيدان في علم البيان».

و قال: سألتني ابن حكم عن نسب هذا المجيب في هذا البيت: [الكامل]

و مهفهف الأعطاف قلت له انتسب فأجاب ما قتل المحب حرام

ففكرت ثم قلت له : أراه تيمميا؛ لإلغائه «ما» النافية. فاستحسنه منى لصغر سننى يومئذ. و سأله ابن فرحون ابن حكم يوما : هل تجد فى

التنزيل ست فاءات مرتبة ترتيبها فى هذا البيت: [البسيط]

رأى فحب فرام الوصل فامتنعت فسام صبرا فأعيا نيله فقضى

ففكر ابن حكم، ثم قال: نعم قوله عزّ و جلّ: فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَ هُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا إِلَى آخِرِهَا، فممنعت له البناء فى فتنادوا.

فقال لابن فرحون: فهل عندك غيره؟ فقال: نعم، قوله عزّ و جلّ: فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) إلى آخرها، فممنعت لهم بناء

الآخرة لقراءة الواو. فقلت له: امنع و لا تسند، فيقال: إن المعاني قد تختلف باختلاف الحروف، و إن كان السند لا يسمع الكلام عليه. و أكثر ما وجدت الفاء تنتهي في كلامهم إلى هذا العدد، سواء بهذا الشرط و بدونه، كقول نوح عليه السلام: **فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ**

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٣٩

و شُرَكَاءَكُمْ . و كقول امرئ القيس: «غشيت ديار الحي بالبكرات، البيتين». لا- يقال قوله: فالحبّ سابع؛ لأننا نقول إنه عطف على «عاقل» المجرد منها، و لعلّ حكمه السبب أنها أول الأعداد التامة، كما قيل في حكمه خلق السماوات و الأرض فيها، و شأن اللسان عجيب.

و قال: سمعت ابن حكم يقول: كتب بعض أدباء فاس إلى صاحب له:

[المجتث]

ابعث إليّ بشيء مدار فاس عليه

و ليس عندك شيء مما أشير إليه

فبعث إليه ببطّة من مّرى شرب، يشير بذلك إلى الزياء.

و حدّث أن قاضيها أبا محمد عبد الله بن أحمد بن الملجوم دعى إلى وليمة، و كان كثير البلغم، فوضع بين يديه صهره أبو العباس بن الأشقر غضارا من اللوز المطبوخ بالمّرى، لمناسبة لمزاجه، فخاف أن يكون قد عرّض له بالرياء. و كان ابن الأشقر يذكر بالوقوع في الناس، فقدّم له القاضي غضار المقروض، فاستحسن الحاضرون فطنته.

و قال عند ذكر شيخه أبي محمد عبد الله بن عبد الواحد المجاصى: دخلت عليه بالفقيه أبي عبد الله السيطى في أيام عيد، فقدّم لنا طعاما، فقلت: لو أكلت معنا، فرجونا بذلك ما يرفع من حديث «من أكل مع مغفور له، غفر له» فتبسّم، و قال لى: دخلت على سيدي أبي عبد الله الفاسى بالإسكندرية، فقدّم

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٤٠

لنا طعاما، فسألته عن هذا الحديث فقال: وقع في نفسى شيء، فرأيت النبىّ صلى الله عليه و سلم فى المنام، فسألته عنه، فقال: لم أقله، و أرجو أن يكون كذلك. و صافحته بمصافحته الشيخ أبا عبد الله زيان، بمصافحته أبا سعيد عثمان بن عطية الصعدي، بمصافحته أبا العباس أحمد الملتّم، بمصافحته المعمر، بمصافحته رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و حدّث عن شيخه أبي محمد الدلاصى، أنه كان للملك العادل مملوك اسمه محمد، فكان يخصّه لدينه و عقله، بالنداء باسمه، و إنما كان ينطق بمماليكه: يا ساقى، يا طبّاخ، يا مزين. فناداه ذات يوم: يا فرّاش، فظنّ أن ذلك لموجده عليه. فلم ير أثر ذلك، و تصوّرت له به خلوة، فسأله عن مخالفته لعادته، فقال له: لا عليك، كنت يومئذ جنبا، فكرهت أن أذكر اسم رسول الله صلى الله عليه و سلم، على تلك الحالة. و قال: أنشدنى المجاصى، قال: أنشدنى الإمام نجم الدين الواسطى، قال: أنشدنى شرف الدين الدمياطى، قال: أنشدنى تاج الدين الأمدى، مؤلف «الحاصل»، قال: أنشدنى الإمام فخر الدين لنفسه:

[الطويل]

نهاية إقدام العقول عقال و أكثر سعى العالمين ضلال

و أرواحنا فى وحشة من جسومنا و حاصل دنيانا أذى و وبال

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٤١ و لم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل و قال

و كم من رجال قد رأينا و دولة فبادوا جميعا مسرعين و زالوا

و كم من جبال قد علت شرفاتها رجال فماتوا و الجبال جبال

وقال: وقد مرّ من ذكر الشريف القاضي أبي علي حسين بن يوسف بن يحيى الحسنى فى عداد شيوخه وقال: حدّثنى أبو العباس الرّندى عن القاضي أبي العباس بن الغمّاز، قال: لمّا قدم القاضي أبو العباس بن الغمّاز من بلنسية، نزل بجاية؛ فجلس بها فى الشهود مع عبد الحق بن ربيع، فجاء عبد الحق يوماً، و عليه برنس أبيض، و قد حسنت شارته، و كملت هيئته، فلمّا نظر إليه ابن الغمّاز أنشده:

[الخفيف]

لبس البرنس الفقيه فباهى ورأى أنه المليح فتأها

لو زليخا رأته حين تبدى لتمتته أن يكون فتأها

وقال أيضاً: إن ابن الغمّاز جلس لارتقاب الهلال بجامع الرّيتونة، فنزل الشهود من المئذنة وأخبروا أنهم لم يهلّوه. و جاء حفيد له صغير، فأخبره أنه أهله، فردّهم معه، فأراهم إياه، فقال: ما أشبه الليلة بالبارحة. و قد وقع لنا مثل هذا مع أبي الربيع بن سالم، فأنشدنا فيه: [الطويل]

توارى هلال الأفق عن أعين الورى وأرخى حجاب الغيم دون محيائه

فلما تصدى لارتقاب شقيقه تبدى له دون الأنام فحيائه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٤٢

و جرى فى ذكر أبي عبد الله بن النجار، الشيخ التعالمى من أهل تلمسان، فقال: ذكرت يوماً قول ابن الحاجب فيما يحرم من النساء بالقرابة، و هى «أصول و فصول، أول أصوله، و أول فصل من كل أصل و إن علا»، فقال: إن تركّب لفظ التسمية العرفية من الطرفين حلّت، و إلّا حرمت، فتأملته، فوجدته كما قال: لأن أقسام هذا الضابط أربعة: التّركيب من الطرفين، كابن العم و ابنه العم مقابله كالأب و البنت، و التّركيب من قبل الرجل كابنه الأخ و العمّ مقابله كابن الأخت و الخالة.

و ذكر الشيخ الرئيس أبا محمد عبد المهيم بن محمد الحضرمى. و قال:

كان ينكر إضافة الحول إلى الله عزّ و جلّ، فلا يجيز أن يقال: «بحول الله و قوته»، قال: لأنه لم يرد إطلاقه، و المعنى يقتضى امتناعه؛ لأنّ الحول كالحيلة، أو قريب منها.

و حكى عن شيخه أبي زيد عبد الرحمن الصّنهاجى، عن القاضي أبي زيد عبد الرحمن بن على الدّكالى، أنه اختصم عنده رجلان فى شاة، ادّعى أحدهما أنه أودعها الآخر، و ادّعى الآخر أنها ضاعت منه، فأوجب اليمين على المودع أنها ضاعت من غير تضييع، فقال: كيف أضيّع، و قد شغلتنى حراستها عن الصلاة، حتى خرج وقتها؟ فحكّم عليه بالغرم، فقيل له فى ذلك، فقال: تأوّلت قول عمر: و «من ضيّعها فهو لما سواها أضيّع».

و حكى عن الشيخ الفقيه رحله الوقت أبي عبد الله الآبلى، حكاية فى باب الضّرب، و قوة الإدراك، قال: كنت يوماً مع القاسم بن محمد الصّنهاجى، فوردت عليه طومارة من قبل القاضي أبي الحجاج الطرطوشى فيها: [السريع]

خيرات ما تحويه مبدولته و مطلبى تصحيف مقلوبها

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٤٣

فقال لى: ما مطلبه؟ فقلت: «نارنج». و دخل عليه و أنا عنده بتلمسان الشيخ الطيب أبو عبد الله الدبّاغ المالقى، فأخبرنا أن أديبا استجدى وزيراً بهذا الشّطر:

«ثمّ حبيب قلما ينصف» فأخذته و كتبتة، ثم قلبته و صحّفته، فإذا به: فصبتا ملفّ شحمى.

وقال: قال شيخنا الآبلى: لما نزلت تازة مع أبي الحسن بن برّى، و أبي عبد الله التّرجالى، فاحتجت إلى النوم، و كرهت قطعهما إلى الكلام، فاستكشفت منهما عن معنى هذا البيت للمعرى: [الطويل]

أقول لعبد الله لمّا سقاؤناو نحن بوادى عبد شمس و هاشم

فجعلاً يفكران فيه، فتمت حتى أصبحا، ولم يجدها، و سألوني عنه، فقلت:

معناه «أقول لعبد الله لَمَّا و هي سقاؤنا، و نحن بوادي عبد شمس: شم لنا برقا».

قلت: و فيه نظر . و إن استقصينا مثل هذا، خرجنا عن الغرض.

مولده: نقلت من خطه: كان مولدى بتلمسان أيام أبى حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيّان. و قد وقفت على تاريخ ذلك، و رأيت الصّيفح عنه؛ لأنّ أبا الحسن بن موسى سأل أبا الطاهر السلفى عن سنّه، فقال: أقبل على شأنك، فإنى سألت أبا الفتح بن زيّان بن مسعدة عن سنّه، فقال: أقبل على شأنك، فإنى سألت محمد بن على بن محمد اللبان عن سنّه فقال: أقبل على شأنك، فإنى سألت حمزة بن يوسف السّهمى عن سنّه، فقال: أقبل على شأنك، فإنى سألت أبا بكر محمد بن على النفزى عن سنّه، فقال: أقبل على شأنك، فإنى سألت بعض أصحاب الشافعى عن سنّه، فقال: أقبل على شأنك، فإنى سألت أبا إسماعيل الترمذى عن سنّه، فقال: أقبل على شأنك، فإنى سألت الشافعى عن

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٤٤

سنّه، فقال: أقبل على شأنك، فإنى سألت مالك بن أنس عن سنّه، فقال: أقبل على شأنك، ليس من المروءة إخبار الرجل عن سنّه . وفاته: توفى بمدينة فاس فى أخريات محرم من عام تسعة و خمسين و سبعمائة، و أراه توفى فى ذى حجة من العام قبله. و نقل إلى تربة سلفه بمدينة تلمسان حرسها الله.

محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى البحصي

من أهل سبتة، حفيد القاضى الإمام أبى الفضل عياض، يكنى أبا عبد الله.

حاله: قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: كان من عدول القضاء، و جله سراتهم، و أهل النزاهة فيهم، شديد التحرى فى الأحكام و الاحتياط، صابرا على الضعيف فيهم و الملهوف، شديد الوطأة على أهل الجاه و ذوى السّطوة، فاضلا، و قورا، حسن السّمت، يعرّفه كلامه أبدا، و يزينه ذلك لكثرة و قاره، محبّا فى العلم و أهله، مقرّبا لأصاغر الطلبة، و مكرّما لهم، و معتنيا بهم، معملا جهده فى الدّفع عنهم، لما عسى أن يسوءهم؛ ليحبّب إليهم العلم و أهله، ما رأينا بعده فى هذا مثله. سكن مالقه مع أبيه عند انتقال أبيه إليها، إلى أن مات أبوه سنة خمس و خمسين و ستمائة.

حدّثنى شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب، و جرى ذكر إعرابه لفظ من حديثه عن شيوخه، قال: دخلت على القاضى المذكور، فسأل أحدنا عن أبيه، فقال: ابن فلان.

و ذكر معرفة مشتركة بين تجار فاس، فقال: أيهما الذى ينحت فى الخشب، و الذى يعمل فى السلاح؟ فما فطن لقصده لسداجته. و حدّثنى عن ذكر جزالته أنها كانت تقع له مع السلطان مستقصيه، مع كونه مرهوبا، شديد السّطوة، و قانع تبنى عن تصميمه، و بعده عن الهوادة؛ منها أن السلطان أمر بإطلاق محبوس كان قد سجنه، فأنفذ بين يدى السلطان الأمر للسّجان بحبسه، و توّعه إن أطلقه. و منها إذاعة ثبوت العيد فى أخريات يوم كان قد أمل السلطان البروز إلى العيد فى صباحه، فنزل عن القلعة ينادى: عبد الله، يا ميمون، أخبر الناس عن عيدهم اليوم، و أمثال ذلك.

مشيخته: قرأ بسبته، و أسند بها، فأخذ عن أبى الصبر أيوب بن عبد الله الفهرى و غيره، و رحل إلى الجزيرة الخضراء، فأخذ بها كتاب سيبويه و غيره تفقيها على النحوى الجليل أبى القاسم عبد الرحمن بن القاسم القاضى المتفنن. و أخذ بها أيضا كتاب «إيضاح الفارسى» عن الأستاذ أبى الحجاج بن مغرور، و أخذ بإشبيلية و غيرها

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٤٥

عن آخرين. و قرأ على القاضى أبى القاسم بن بقى بن نافحة، و أجاز له. و كتب له من أهل المشرق جماعة كثيرة، منهم أبو جعفر

محمد بن أحمد بن نصر بن أبي الفتح الصّيدلاني، و أجاز له بأصبهان، و هو سبط حسن بن مندة، أجاز له في شوال سنة ثمان و تسعين و خمسمائة. و تحمل عن أبي علي الحداد، شيخ السلفي الحافظ عن محمود الصيرفي و نظائرهما، و جماعة من إصبهان كثيرة كتبوا له بالإجازة. و كتب له من غيرها من البلاد ثيف و ثمانون رجلا منهم أحد و ستون رجلا كتبوا له مع الشيخ المحدث أبي العباس المغربي، و القاضي أبي عبد الله الأزدي، و قد نصح على جميعهم في برنامجيهما، و استوفى أبو العباس الغربي نصوص الإسترعات، و فيها اسم القاضي أبو عبد الله بن عياض.

من روى عنه: قال الأستاذ أبو جعفر، رحمه الله: أجاز لي مرتين اثنتين .

و قال: حدّثني أبو عبد الله مشافهة بالإذن، أنبأنا أبو الطاهر بركات بن إبراهيم الخشوعي كتابة من دمشق، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الزّازي، المعروف بابن الحطّاب، بالحاء المهملة، أخبرنا محمد بن أحمد بن عبد الوهاب البغدادي بالفسطاط، أخبرنا موسى بن محمد بن عرفة السمسار ببغداد، قال أبو عمرو بن أحمد بن الفضل النّفزي: أخبرنا إسماعيل بن موسى، أخبرنا عمر بن شاعر عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «يأتي على الناس زمان، الصّابر منهم على دينه، كالقابض على الجمر». هذا الإسناد قريب يعزّ مثله في القرب لأمثالنا، ممن مولده بعد الستمئة، و إسماعيل بن موسى من شيوخ التّرمذی، قد خرّج عنه الحديث المذكور، لم يقع له في مصنّفه ثلاثي غيره.

مولده: بسبته سنة أربع و ثمانين و خمسمائة.

وفاته: توفي بغرناطة يوم الخميس الثامن و العشرين لجمادى الآخرة سنة أربع و خمسين و ستمئة.

محمد بن عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى ابن عياض اليحمبي

من أهل سبته، ولد الإمام أبي الفضل، يكنى أبا عبد الله.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٤٦

حاله: كان فقيها جليلا، أدبيا، كاملا. دخل الأندلس، و قرأ على ابن بشكوال كتاب الصّيلة، و ولي قضاء غرناطة. قال ابن الزّبير: وقفت على جزء ألفه في شيء من أخبار أبيه، و حاله في أخذه و علمه، و ما يرجع إلى هذا، أوقفني عليه حفدته بمالقة. وفاته: توفي سنة خمس و سبعين و خمسمائة.

محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن محمد بن مروان بن عبد السلام بن مروان ابن عبد السلام بن جبير الكناني

الواصل إلى الأندلس.

أولّيته: دخل جدّه عبد السلام بن جبير في طالعة بلج بن بشر بن عياض القشيري في محرم ثلاث و عشرين و مائة. و كان نزوله بكورة شدونة. و هو من ولد ضمرة بن كنانة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمه بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. بلنسي الأصل، ثم غرناطي الاستيطان. شرق، و غرب، و عاد إلى غرناطة.

حاله: كان أدبيا بارعا، شاعرا مجيدا، ستيّا فاضلا، نزيه المهمه، سرّي النفس، كريم الأخلاق، أنيق الطريقة في الخط. كتب بسبته عن أبي سعيد عثمان بن عبد المؤمن، و بغرناطة عن غيره من ذوى قرابته، و له فيهم أمداح كثيرة.

ثم نزع عن ذلك، و توجه إلى المشرق. و جرت بينه و بين طائفة من أدباء عصره، مخاطبات ظهرت فيها براعته و إجادته. و نظمه فائق، و نثره بديع. و كلامه المرسل، سهل حسن، و أغراضه جليلة، و محاسنه ضخمة، و ذكره شهير، و رحلته نسيجة وحدها، طارت كل مطار، رحمه الله.

رحلته: قال من عنى بخبره: رحل ثلاثا من الأندلس إلى المشرق، و حجّ في كل واحدة منها. فصل عن غرناطة أول ساعة من يوم الخميس لثمان خلون من شوال، ثمان و سبعين و خمسمائة، صحبه أبي جعفر بن حسان، ثم عاد إلى وطنه الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ٢؛ ص ١٤٦

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٤٧

غرناطة لثمان بقين من محرم واحد و ثمانين، و لقي بها أعلاما يأتي التعريف بهم في مشيخته، و صنّف الرحلة المشهورة، و ذكر مناقله فيها و ما شاهده من عجائب البلدان، و غرائب المشاهد، و بدائع الصّيناع، و هو كتاب مؤنس ممتع، مثير سواكن النفوس إلى الرّفاة على تلك المعالم المكرمة و المشاهد العظيمة.

و لما شاع الخبر المبهج بفتح بيت المقدس على يد السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي، قوى عزمه على عمل الرحلة الثانية، فتحرك إليها من غرناطة، يوم الخميس لتسع خلون من ربيع الأول من سنة خمس و ثمانين و خمسمائة، ثم آب إلى غرناطة يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من شعبان سبع و ثمانين. و سكن غرناطة، ثم مالقة، ثم سبتة، ثم فاس، منقطعا إلى إسماع الحديث و التصوّف، و تروية ما عنده. و فضله بديع، و ورعه يتحقق، و أعماله الصالحة تزكو. ثم رحل الثالثة من سبتة، بعد موت زوجته عاتكة أم المجد بنت الوزير أبي جعفر الوقشي، و كان كلفا بها، فعظم وجده عليها. فوصل مكة، و جاور بها طويلا، ثم بيت المقدس، ثم تجول بمصر و الإسكندرية، فأقام يحدث، و يؤخذ عنه إلى أن لحق بربه.

مشيخته: روى بالأندلس عن أبيه، و أبي الحسن بن محمد بن أبي العيش، و أبي عبد الله بن أحمد بن عروس، و ابن الأصيلي. و أخذ العربية عن أبي الحجاج بن يسعون. و بسبته عن أبي عبد الله بن عيسى التميمي السبتي. و أجاز له أبو الوليد بن سبكه، و إبراهيم بن إسحاق بن عبد الله الغساني التونسي، و أبو حفص عمر بن عبد المجيد بن عمر القرشي الميانيجي، نزيلا مكة، و أبو جعفر أحمد بن علي القرطبي الفنكي، و أبو الحجاج يوسف بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد البغدادي، و صدر الدين أبو محمد عبد اللطيف الحجري رئيس الشافعية بأصبهان.

و ببغداد العالم الحافظ المتبحر نادرة الفلك أبو الفرج، و كناه أبو الفضل ابن الجوزي.

و حضر بعض مجالسه الوعظية و قال فيه: «فشاهدنا رجلا ليس بعمر و لا زيد، و في جوف الفرا كلّ الصّيد»، و بدمشق أبو الحسن أحمد بن حمزة بن علي بن عبد الله بن عباس السلمي الجوارى، و أبو سعيد عبد الله بن محمد بن أبي عصرون، و أبو الطاهر الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٤٨

بركات الخشوعي، و سمع عليه، و عماد الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد الأصبهاني من أئمة الكتاب، و أخذ عنه بعض كلامه، و غيره، و أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسين بن الأخضر بن علي بن عساكر، و سمع عليه، و أبو الوليد إسماعيل بن علي بن إبراهيم و الحسين بن هبة الله بن محفوظ بن نصر الرّبيعي، و عبد الرحمن بن إسماعيل بن أبي سعيد الصّوفي، و أجازوا له، و بحرّان الصّوفي العارف أبو البركات حيان بن عبد العزيز، و ابنه الحاذي حذوه.

من أخذ عنه: قال ابن عبد الملك: أخذ عنه أبو إسحاق بن مهيب، و ابن الواعظ، و أبو تمام بن إسماعيل، و أبو الحسن بن نصر بن فاتح بن عبد الله البجائي، و أبو الحسن بن علي الشّادي، و أبو سليمان بن حوط الله، و أبو زكريا، و أبو بكر يحيى بن محمد بن أبي الغصن، و أبو عبد الله بن حسن بن مجبر، و أبو العباس بن عبد المؤمن البّاني، و أبو محمد بن حسن اللواتي، و ابن تامتيت، و ابن محمد الموروري، و أبو عمر بن سالم، و عثمان بن سفيان بن أشقر التميمي التونسي.

و ممّن أخذ عنه بالإسكندرية، رشيد الدين أبو محمد عبد الكريم بن عطاء الله، و بمصر رشيد الدين بن العطار، و فخر القضاة ابن الجيّاب، و ابنه جمال القضاة.

تصانيفه: منها نظمه. قال ابن عبد الملك: «وقفت منه على مجلد متوسط يكون على قدر ديوان أبي تمام حبيب بن أوس. و منه جزء

سماه «نتيجة وجد الجوانح في تأيين القرين الصالح» في مراثي زوجه أم المجد. و منه جزء سماه «نظم الجمان في التشكى من إخوان الزمان». «و له ترسيل بديع، و حكم مستجادة»، و كتاب رحلته. «و كان أبو الحسن الشّادى يقول: إنها ليست من تصانيفه، و إنما قيد معانى ما

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٤٩

تضمنته، فتولى ترتيبها، و تنضيد معانيها بعض الآخذين عنه، على ما تلقاه منه». و الله أعلم.

شعره: من ذلك القصيدة الشهيرة التي نظمها، و قد شارف المدينة المكرمة طيبة، على ساكنها من الله أفضل الصلوات، و أزكى التسليم: [المتقارب]

أقول و آنست بالليل نارالعلّ سراج الهدى قد أنارا
و إلّا فما بال أفق الدّجى كأنّ سنا البرق فيه استطارا
و نحن من الليل فى حدس فما باله قد تجلّى نهارا؟
و هذا التّسيم شذا المسك قد أغير أم المسك منه استعارا؟
و كانت رواحنا تشتكى و جاها فقد سابقتنا ابتدارا
و كنّا شكونا عناء السرى فعدنا نبارى سراع المهارى
أظنّ النفوس قد استشعرت بلوغ هوى تحذته شعارا
بشائر صبح السرى آذنت بأنّ الحبيب تدانى مزارا
جرى ذكر طيبة ما بيننا فلا قلب فى الركب إلّا و طارا
حيننا إلى أحمد المصطفى و شوقا يهيج الضلوع استعارا
و لاح لنا أحد مشرق بنور من الشّهداء استنارا
فمن أجل ذلك ظلّ الدّجى يحلّ عقود النجوم انتنارا
و من طرب الرّكب حتّ الخطا إليها و نادى البدار البدارا
و لمّا حللنا فناء الرسول نزلنا بأكرم مجد جوارا
و حين دنونا لفرض السلام قصرنا الخطا و لزمننا الوقارا
فما نرسل اللّحظ إلّا اختلاسا و لا نرجع الطّرف إلّا انكسارا
و لا نظهر الوجد إلّا اكتناما و لا نلفظ القول إلّا سرارا
سوى أننا لم نطق أعينا بأدمعها غلبتنا انفجارا
وقفنا بروضة دار السلام نعيد السلام عليها مرارا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٥٠ و لو لا مهابته فى النفوس لثمنا الثرى و التزمنا الجدارا

قضينا بزورته حجانا و بالعمرتين ختمنا اعتمارا
إليك إليك نبى الهدى ركب البحار و جبت القفارا
و فارقت أهلى و لا منّهُ و ربّ كلام يجزّ اعتذارا
و كيف نمّ على من به تؤمّل للسّيئات اغتفارا
دعانى إليك هوى كامن أثار من الشوق ما قد أثارا
فناديت لبيك داعى الهوى و ما كنت عنك أطيع اصطبارا

و وُطنت نفسى بحكم الهوى على و قلت رضيت اختيارا
أخوض الدجى و أروض الشرى و لا أطعم النوم إلّا غرارا
و لو كنت لا أستطيع السبيل لطرت و لو لم أصادف مطارا
و أجدر من نال منك الرضى محبّ ثراك على البعد زارا
عسى لحظة منك لى فى غد تمهد لى فى الجنان القرارا
فما ضلّ من بمسراك اهتدى و لا ذلّ من بذراك استجارا

و فى غبطة من منّ الله عليه لحجّ بيته، و زيارة قبره صلى الله عليه و سلم يقول: [المتقارب]
هنيئا لمن حجّ بيت الهدى و حطّ عن النفس أوزارها
و إنّ السعادة مضمونة لمن حجّ طيبة أوزارها
و فى مثل ذلك يقول: [المتقارب]

إذا بلغ المرء أرض الحجاز فقد نال أفضل ما أمّ له
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٥١ و إن زار قبر نبى الهدى فقد أكمل الله ما أمّله
و فى تفضيل المشرق: [الكامل]

لا يستوى شرق البلاد و غربها الشرق حاز الفضل باستحقاق
انظر جمال الشمس عند طلوعها زهراء تعجب بهجة الإشراق
و انظر إليها عند الغروب كثيئة صفراء تعقب ظلمة الآفاق
و كفى بيوم طلوعها من غربها أن تؤذن الدنيا بعزم فراق
و قال فى الوصايا: [الطويل]

عليك بكتمان المصائب و اصطبر عليها فما أبقي الزمان شفيقا
كفاك من الشكوى إلى الناس أنها تسرّ عدوا أو تسيء صديقا
و قال:

لصانع المعروف فلتنه عاقل إن لم تضعها فى محلّ عاقل
كالنفس فى شهواتها إن لم تكن وقفا لها عادت بضرّ عاجل

نثره: من حكمه قوله: إن شرف الإنسان فشر و إحسان، و إن فاق فتفضّل و إرفاق، ينبغى أن يحفظ الإنسان لسانه، كما يحفظ
الجفن إنسانه. فربّ كلمة تقال، تحدث عثرة لا تقال. كم كست فلتات الألسنة الحداد، من ورائها ملابس
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٥٢

حداد. نحن فى زمن لا يحظى فيه بنفاق، إلّا من عامل بنفاق. شغل الناس عن طريق الآخرة بزخارف الأغراض، فلجوا فى الصّدود عنها
و الإعراض، آثروا دنيا هى أضغاث أحلام، و كم هفت فى حبها من أحلام، أطالوا فيها آمالهم، و قصرُوا أعمالهم، ما بالهم، لم يتفرغ
لغيرها بالهم، ما لهم فى غير ميدانها استباق، و لا بسوى هواها اشتياق. تالّله لو كشفت الأسرار، لما كان هذا الإصرار، و لسهرت
العيون، و تفجرت من شؤونها الجفون. فلو أن عين البصيرة من سنتها هابئة، لرأت جميع ما فى الدنيا ريحا هابئة، و لكن استولى العمى
على البصائر، و لا يعلم الإنسان ما إليه صائر. أسأل الله هداية سبيله، و رحمة تورد نسيم الفردوس و سلسيله، إنه الحنان المنان لا ربّ
سواه.

و منها: فلتات الهبات، أشبه شىء بفلتات الشّهوات. منها نافع لا يعقب ندما، و منها ضارّ يبقى فى النفس ألما. فضرر الهبة وقوعها عند

من لا يعتقد لحقها أداء، وربما أثمرت عنده اعتداء. و ضرر الشهوة أن لا توافق ابتداء، فتصير لمبتعها داء، مثلها كمثل السِّكر يلتدُّ صاحبه بحلاوة جناه، فإذا صحا يعرف قدر ما جناه. عكس هذه القضية هي الحالة المرضية. مولده: ببلنسية سنة تسع و ثلاثين و خمسمائة، و قيل: بشاطبة سنة أربعين و خمسمائة. وفاته: توفى بالإسكندرية ليلة الأربعاء التاسع و العشرين لشعبان أربع عشرة و ستمائة.

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن شبرين

يكنى أبا بكر، شيخنا الفقيه القاضي المؤرخ الكاتب البار، رحمه الله عليه.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٥٣

أوليته: أصله من إشبيلية، من حصن شلب من كورة باجة، من غربي صقعها، يعرفون فيها بنى شبرين معرفة قديمة. ولَّى جدّه القضاء بإشبيلية، و كان من كبار أهل العلم، تشهد بذلك الصلاة. و انتقل أبوه منها عند تغلب العدو عليها عام ستّة و أربعين و ستمائة، فاحتل رندة ثم غرناطة، ثم انتقل إلى سكنى سبتة، و بها ولد شيخنا أبو بكر، و انتقل عند الحادثه إلى غرناطة، فارتسم بالكتابة السلطانية، و ولَّى القضاء بعدة جهات، و تأثّل مالا و شهرة، حتى جرى مجرى الأعيان من أهلها.

حاله: كان فريد دهره، و نسيح وحده في حسن السِّمت و الرّواء، و كمال الظرف و جمال الشّارة، و براعة الخطّ، و طيب المجالسة، خاصية، و قورا، تام الخلق، عظيم الأبته، عذب التلاوة لكتاب الله، من أهل الدين و الفضل و العدالة، تاريخيا، مقيدا، طلعة اختيار أصحابه، محققا لما ينقله، فكها مع وقاره، غزلا، لودعيا، على شأن الكتابة، جميل العشرة، أشدّ الناس على الشعر، ثم على المحافظة، ما يحفظه من الأبيات من غير اعتيام و لا تنقيح، يناغى الملكين في إثباتها، مقررة التواريخ، حتى عظم حجم ديوانه، تفردت أشعاره بما أبرّ على المكثرين، مليح الكتابة، سهلها، صانعا، سابقا في ميدانها، راجحا كفة المنثور. و كانت له رحلة إلى تونس، اتسع بها نطاق روايته. و تقلّب بين الكتابة و القضاء، منحوس الحظ في الاستعمال، مضيقا فيه، و إن كان وافر الجدّ، موسعا عليه.

و جرى ذكره في كتاب «التاج المحلّي» بما نصّه:

خاتمة المحسنين، و بقيه الفصحاء اللّسنين، ملأ العيون هديا و سمتا، و سلك من الوقار طريقة لا ترى فيها عوجا و لا أمتا، ما شئت من فضل ذات، و براعة أدوات. إن خطّ، نزل ابن مقلّة عن درجته و إن خطّ. و إن نظم أو نثر، تبعت البلغاء ذلك الأثر.

و إن تكلم أنصت الحفل لاستماعه، و شرع لدرره التّفيسه صدق أسماعه. وفد على الأندلس عند كائنه سبتة، و قد طرحت التّوى برحاله، و ظعن عن ربه بتوالي إمحاله، و مصرّف بلاده، و المستولى على طارفها و تالدها، أبو عبد الله بن الحكيم، قدس الله صدها، و سقى منتداه، فاهترز لقدمه اهتزاز الصّيرارم، و تلقاه تلقى الأكارم، و أنهض إلى لقائه آماله، و ألقى له قبل الوسادة ماله، و نظمه في سمط الكتاب، و أسلاه عن أعمال

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٥٤

الأقتاد، و نزل ذمامه تأكدا في هذه الدول، و قوفى له الآتية منها على الأول، فتصرّف في القضاء بجهاتها، و نادته السيادة هاك و هاتها، فجدد عهد حكاهم العدول من سلفه و قضاتها. و له الأدب الذي تحلّت بقلائده اللّبات و التّحور، و قصرت عن جواهره البحور. و سيمرّ من ذلك في تضاعيف هذا المجموع ما يشهد بسعة ذرعه، و يخبر بكرم عصره، و طيب نبعه.

مشيخته: قرأ على جدّه لأيمه الأستاذ الإمام أبي بكر بن عبيد الإشبيلي، و سمع على الرئيس أبي حاتم، و على أخيه أبي عبد الله الحسين، و على الأستاذ أبي إسحاق الغافقي، و على الشريف أبي علي بن أبي الشرف، و على الإمام أبي عبد الله بن حريث. و سمع على العدل أبي فارس عبد العزيز الجزيري. و سمع بحضرة غرناطة على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، و على العدل أبي الحسن بن مستقور، و على الوزير أبي محمد بن المؤذن، و على الخطيب أبي عبد الله بن رشيد.

و بمالقة على الخطيب ولي الله تعالى، أبي عبد الله الطنجالي، و على الوزير الصّيدر أبي عبد الله بن ربيع، و على القاضي العدل أبي عبد الله بن برطال. و بجاية على الإمام أبي علي ناصر الدين المشذالي، و على أبي العباس الغبريني. و بتونس على أبي علي بن علوان، و على قاضي الجماعة أبي إسحاق بن عبد الرّفيق، و سمع على الخطيب الصّوفي وليّ الله تعالى، أبي جعفر الزيات، و الصوفي أبي عبد الله بن برطال، و على الصدر أبي القاسم محمد بن قائد الكلاعي. و أجازة عالم كثير من أهل المشرق و المغرب.

شعره: و شعره متعدّد الأسفار، كثير الأغراض. و في الإكثار مجلّل الاختيار، فمنه قوله: [الطويل]

أخذت بكظم الرّوح يا ساعة النوى و أضمرت في طيّ الحشا لاجع الجوى

فمن مخبرى يا ليت شعري متى اللقاو هل تحسن الدنيا و هل يرجع الهوى؟

سلا كلّ مشتاق و أكثر وجده و عند النوى و جدى و فى ساكن الهوى

ولى نية ما عشت فى حفظ عهدهم إلى يوم ألقاهم و للمرء ما نوى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٥٥

و قال: [المنسرح]

باتوا فمن كان باكيا يبك هذى ركاب الشرى بلا شكّ

فمن ظهور الرّكاب معملة إلى بطون الرّبي إلى الفلك

تصدّع الشّمل مثلما انحدرت إلى صبوب جواهر السّلك

كن بالذى حدّثوا على ثقة ما فى حديث الفراق من إفك

من النوى قبل لم أزل حذرا هذا النوى جلّ مالك الملك

و قال: [السريع]

يا أيها المعرّض اللّاهى يسوؤنى هجرك و اللّهُ

يا ليت شعري كم أرى فيك لا أفكك عن وّيه و عزاه

و يحي مغيرى إلى باخل واه من ذا الذى رآه

من يرد اللّهُ فيه فتنة يشغله فى الدنيا بتياه

يا غصن البان ألا عطفة على معنى جسمه واه؟

أوسعنى بعدك ذلًا و قدرا يثنيا عندك ذا جاه

ذكرك لا ينفكك عن خاطرى و أنت عنى غافل ساه

يكفيك يا عثمان من جفونى لو كان ذنبى ذنب جهجاه

هيهات لا معترض لى على حكمك أنت الأمر النّاهى

قلت: جهجاه المشار إليه رجل من غفّار، قيل: إنه تناول عصا الخطبة من يد عثمان، رضى اللّهُ عنه، فكسرها على ركبته، ف وقعت فيها الأكلة فهلك.

و قال: [البيسط]

يا من أعاد صباحى فقد حلكا قتلت عبدك لكن لم تخف دركا

مصيبتى ليست كالمصائب لا و لا بكائى عليها مثل كلّ بكا

فمن أطالب فى شرع الهوى بدمى لحظى و لحظك فى قتلى قد اشتركا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٥٦

وقال، وقد سبقه إليه الرّصافي؛ وهو ظريف: [المنسرح]

أشكو إلى الله فرط بلبالي و لوعة لا تزال تذكي لي

بمهجتي حائك شغلت به حلو المعاني طرازه عالي

سألته لثم خاله فأبى و منّ ذا نخوة و إذلال

وقال حالي يصون خالي يدني فويحي بالحال و الخال

يقربني الآل من مواعده و أتقى منه سطوة الآل

لكن على ظلمه و قسوته فلست عنه الزّمان بالسالي

وقال أيضا مضمنا: [البسيط]

لي همّة كلّمّا حاولت أمسكها على المذلة في أرجاء أرضيها

قالت: أ لم تك أرض الله واسعة حتى يهاجر عبد مؤمن فيها

وقال مسترجعا من ذنبه، و مستوحشا من شبيهه: [السريع]

قد كان عيبي قبل في غيب فمذ بدا شبيبي بدا عيبي

لا عذر اليوم و لا حجة فضحتني و الله يا شبيبي

وقال: [الخفيف]

أثقلتني الذنوب ويحي و ويسى ليتني كنت زاهدا كأويس

و جرت بينه و بين السلطان ثالث الأمراء من بني نصر، بعد خلعه من ملكه، و انتشار سلكه، و استقراره بقصبه المنكب، غريبا من قومه،

معوّضا بالسهاد من نومه،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٥٧

قد فلّ الدهر سباته، و تركه يندب ما فاته، و القاضى المترجم به يومئذ مدبّر أحكامها، و علم أعلامها، و متولّى نقضها و إبرامها،

فارتاح يوما إلى إيناسه، و اجتلاب أدبه و التماسه، و طلب منه أن يعبر عن حاله ببيان، و ينوب في بته عن لسانه، فكتب إليه:

[الطويل]

قفا نفسا فالخطب فيها يهون و لا تعجلا إن الحديث شجون

علمنا الذي قد كان من صرف دهرنا و لسنا على علم بما سيكون

ذكرنا نعيما قد تقضى نعيمه فأقلقنا شوق له و حين

و بالأمس كنا كيف شئنا و للدناحراك على أحكامنا و سكون

و إذا بابنا مثنوى الفؤاد و نحونا تمدّ رقاب أو تشير عيون

فنغص من ذاك السرور مهناؤ كدر من ذاك التّعيم معين

و نبا عن الأوطان بين ضرورة و قد يقرب الإنسان ثم يبين

أيا معهد الإسعاد حييت معهدا و جادك من سكب الغمام هتون

تريد الليالي أن تهين مكاننا و يدك إن الخير ليس يهون

فإن تكن الأيام قد لعبت بنا و دارت علينا للخطوب فنون

فمن عادة الأيام ذلّ كرامها و لكنّ سبيل الصابرين مبين

لئن خاننا الدهر الذي كان عبدنا فلا عجب إن العبيد تخون

و ما غَضَّ منَّا مخبري غير أنه تضاعف إيمان و زاد يقين

و كتب إلى الحكم بن مسعود، و هو شاهد المواريث بهذه الدَّعابة التي تستخفُّ الوقور، و تلج السَّمع الموقور:

أطال الله بقاء أخى و سيدى، لأهل الفرائض يحسن الاحتيال فى مداراتهم، و للمتقلين إلى الدار الآخرة يأمر بالاحتياط فى أمواتهم، و دامت أقلامه مشرعه لصرم الأجل المنسأ، معدة لتحليل هذا الصِّيف المنسأ من الصِّلمصال و الحمأ. فمن مَيّت يغسل و آخر يقبر، و من أجل يطوى و كفن ينشر، و من رمس يفتح و باب يغلق، و من عاصب يحبس و نعش يطلق، فكلما خربت ساحه، نشأت فى الحانوت راحه، و كلما قامت فى شعب مناحه، اتسعت للرزق مساحه، فبإكر سيدى الحانوت و قد احتسى مرقته، و سهّل عنقفته، فيرى الصَّعبه بالمناصب شطرا، فيلحظ هذا برفق و ينظر إلى هذا شزرا، و يأمر بشقّ الجيوب تاره و البحث عن الأوساط أخرى. ثم يأخذ القلم أخذا رفيقا، و يقول و قد خامره السرور: رحم الله فلانا لقد كان لنا صديقا، و ربما أدبره بالانزعاج الحثيث، و قال مستريح منه كما جاء فى الحديث. و تختلف عند ذلك

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٥٨

المراتب، و تتبين الأصدقاء و الأجنب، فينصرف هذا، و حظه التهريب، و النظر الحديد، و ينفصل هذا و بين يديه المنذر الصِّيت و النعش الجديد. ثم يغشى دار الميت و يسأل عن الكيت و الكيت، و يقول: علىّ بما فى البيت. أين دعاء الثاغية و الرأغية؟ أين عقود الأملاذ بالبادية؟ و قد كانت لهذا الرجل حالا فى حال. و قد ذكر فى الأسماء الخمسة فليل: ذو مال. و عيون الأعوام ترنو من عل، و أعناقهم تشرئب إلى خلف الكلل، و أرجلهم تدبّ إلى الأسفاط ديبب الصَّقور إلى الحجل. و الموتى قد وجبت منهم الجنوب، و حضر الموروث و المكسوب، و قيد المطعوم و المشروب. و عدت الصحاح، و وزنت الأبطال و كملت الأقداح. و الشهود يغلطون على الورثة فى الألية، و يصونهم بالبتات فى النشأة الأولى. و الروائح حين تفعم الأرض طيبا، و تهدى الأرواح شذا يفعل فى إزعاجها على الأبدان فعلا عجيبا. و الدلال يقول: هذا مفتاح الباب، و السِّمسار يصيح: قام التدا فما تنتظرون بالثبات؟ و الشاهد يصيح فتعلو صيحته، و المشرف يشرب فتسقط سبخته. و المحتضر يهسّ ألا حتى فلا تسمعون، و يباهى لون العباء عليه الجواب رب أرجعون. ما هذا النسيج و الضجيج؟ متّ كلا لم أمت. و من حجّ له الحجيج، فترتفع له الأصوات، كى لا يفسح فيه الممات. و يقرب بطنه برغمه، و يحفر له بجانب أبيه و بحذا أمه. ثم يشرع فى نفسه الفرض، و لو أكفئت السماوات على الأرض. و يقال لأهل السِّهام: أحسنوا، فالإحسان ثالث مراتب الإسلام، و قد نصّ ابن القاسم على أجره القسيام. و سوغه أصبغ و سحنون، و لم يختلف فيه مطرف و ابن الماجشون. إن قيل إيصال الحقائق إلى أرجائها، حسن فجزاء الإحسان إحسان، و قيل إخراج النسب و الكسور كفايه، فللكاهنين حلوان. اللهم غفرا، و نستقبل الله من انبساط يجزّ غدرا، و نسأل الله حمدا يوجب المزيد من نعمائه و شكرا. و لو لا أن أغفل عن الخصم، و أثقل رحل الفقيه أبى النجم، لأستغلن المجلس شرحا، و لكان لنا فى بحر المباسطة سيح، و لأفضنا فى ذكر الوارث و الوراث، و بيننا العلة فى أقسام الشهود مع المشتغل بنسبة الذكور مع الإناث. و الله يصل عزّ أخى و مجده، و يهب له قوة تخصه بالفائدة و جدّه، و يزيده بصيرة يتبع بها الحقوق إلى أقصاها، و بصرا لا يغادر صغيرة و لا كبيرة إلّا أحصاها، و دام يحصى الخرايب و الفلوس و الأطمار، و يملأ الطوامر بأقلامه البديعة الصّنع، و يصل الطوامر بالطوامر و السلام.

و الشىء بالشىء يذكر، قلت: و من أظرف ما وقعت عليه فى هذا المعنى، قال بعض كتاب الدولة الحكيمية بمنورقه، و قد ولّاه خطّه المواريث، و كتب إليه راغبا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٥٩

فى الإعفاء: [الطويل]

و ما نلت من شغل المواريث رقعة سوى شرح نعش كلّما مات مَيّت

و أكتب للأموات صكّا كأنهم يخاف عليهم فى الجباب التفلّت

كأنى لعزرائيل صرت مناقضابما هو يمحو كل يوم و أثبت
و قال: فاستظرفها الرئيس أبو عثمان بن حكم و أعفاه.
مولده: في أواخر أربعة و سبعين و ستمائة.

وفاته: قال في العائد: و مضى لسبيله، شهابا من شهب هذا الأفق، و بقيه من بقايا حلبة السبق، رحمه الله، في ليلة السبت الثاني من شهر
شعبان المكرم عام سبعة و أربعين و سبعمائة، و تخلف و قرأ لم يشتمل على شيء من الكتب، لإيثاره اقتناء التقدين، و عين جرايه لمن
يتلو كتاب الله على قبره على حد من التعزرة و المحافظة على الإتقان. و دفن بباب إلبيرة في دار اتخذها لذلك.

محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي

من أهل غرناطة، يكنى أبا القاسم.

حاله: مجموع خلال بارعة، و أوصاف كاملة، حسن الخط، ذاكر للتاريخ و الأخبار، مستول على خصال حميدة من حسن رواء و سلامة
صدر، إلى نزاهة الهمة، و إرسال السجية، و البعد عن المصانعة، و التحلي بالوقار و الحشمة، شاعر، كاتب.
و مناقبه يقتصر عنها الكثير من أبناء جنسه، كالفروسيه، و التجند، و البساله، و الزمائية، و السباحه، و الشطرنج، متحمّد بحمل القنا، مع
البراعة، مديم على المروءه، مواس للمحاييح من معارفه. ارتسم في الديوان فظهر غناؤه، و انتقل إلى الكتابه، معززة بالخطط النبیهة
العلمية، و حاله الموصوفة متصلة إلى هذا العهد، و هو معدود من حسنات قطره.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٦٠

و ثبت في «التاج المحلى» بما نصّه: «سابق ركض المحلى، أتى من أدواته بالعجائب، و أصبح صدرا في الكتاب و شهما في الكتاب. و
كان أبوه، رحمه الله، بهذه البلدة، قطب أفلاكها، و واسطة أسلاكها، و مؤتمن رؤسائها و أملاكها، و صدر رجالها، و ولي أرباب
مجالها، فقد نثل ابنه سهامها، فخر عدالة و براعة و فهما، و ألقاه بينهم قاضيا شهما، فظهر منه نجيبا، و دعاه إلى الجهاد سميحا مجيبا،
فصحب السرايا الغربية المغيرة، و حضر على هذا العهد من الوقائع الصغيرة و الكبيرة، و على مصاحبة البعوث، و جوب السهول و
الوعوث، فما رفض البراعة للباتر، و لا ترك الدفاتر للزمان الفاتر.

شعره: و له أدب بارع المقاصد، قاعد للإجادة بالمراسد. و قال من الترويضات و ما في معناها: [الطويل]

دعيني و مطلول الرياض فإنني أنادم في بطحائها الآس و الورد

أعلل هذا بخضرة شارب و أحكى بهذا في تورده الخدا

و أزه غصّ البان رائد نسمة ذكرت به لين المعاطف و القدا

و قال: [الطويل]

و ليل أدرناها سلافا كأنها على كفّ ساقها تضرّم نار

غنينا عن المصباح في جنح ليلها بخدّ مدير لا بكأس عقار

و قال: [الرمّل]

يومنا يوم سرور فلتقم تصدع الهّم بكاسات المدام

إنما الدّنيا منام فلتكن مغرما فيها بأحلى المنام

و قال: [الطويل]

و بي منك ما لو كان للشرب ما صحاو بالهيم ما روت صداها المناهل

أحبك ما هبت من الروض نسمة و ما اهترّ غصن في الحديقة مائل

فإن شئت أن تهجر و إن شئت فلتقبل فإني لما حملتني اليوم حامل

و قال: [الكامل]

كم قلت للبدر المنير إذا بداهيته وجه فلانة تحكى لنا
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٦١ فأجابني بلسان حال و اعتنى لا الشمس تحكيها فأحكيها أنا
و صرفت وجهي نحو غصن أمدقد رام يشبه قدّها لما انثني
فضحكت هزءاً عند هزّ قوامها إذا رام أن يحكى قواما كالقنا
و كتبت إليه في غرض يظهر من الأبيات: [الطويل]
جوانحنا نحو اللقاء جوانح و مقدار ما بين الديار قريب
و تمضى الليالي و التزاور معوز على الرغم منّا إن ذا الغريب
فديتك عجلها لعيني زياره و لو مثل ما ردّ اللّحاظ مريب
و إن لقائي جلّ عن ضرب موعداً لكرم ما يهدى الأريب أريب
فراجعي بقوله، و التجنى شيمه: [الطويل]
لعمرك ما يومي إذا كنت حاضر اسوى يوم صبّ من عداه يغيب
أزور فلا ألفي لديك بشاشة فيبعد منّي الخطو و هو قريب
فلا ذنب للأيام في البعد بيننا فإني لداعى القرب منك مجيب
و إن لقاء جاء من غير موعداً ليحسن لكن مرّة و يطيب
و إحسانه كثير، و فيما ثبت كفاية لئلا نخرج عن غرض الاختصار.

محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي

يكنى محمد أبا بكر، أخو الذي قبله.

حاله: تولوه في الفضل و السراوة، و حسن الصورة، و نصاعة الطرف، مرب عليه بمزيد من البشاشة و التنزل، و بذل التودد، و التبريز في ميدان الانقطاع، متأخر عنه في بعض خلال غير هذا. ذكى الذهن، مليح الكتابة، سهلها، جيد العبارة، متأتى اليراع، مطلق اليد، حسن الخط، سريع بديهته المنتور، معّم، مخول في التخصّص و العدالة.
كتب الشّروط بين يدي أبيه، و نسخ كثيرا من أمّهات الفقه، و استظهر كتبا، من ذلك «المقامات الحريرية». و كتب بالدار السلطانية، و اختصّ بالمراجعة عمّن بها، و المفاتحة أيام حركات السلطان عنها إلى غيرها. حميد السيرة، حسن الوساطة، نجدى الجاه، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٦٢
مشكور التصرف، خفيف الوطأة. و ولى الخطابة العلية، مع الاستمساك بالكتابة. و لم يؤثر عنه الشعر، و لا عوّل عليه.

محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي

يكنى أبا بكر، و قد ذكرنا أباه و عمّه، و يأتى ذكر جدّه.

حاله: نبيل المقاصد في الفن الأدبي، مشغول به، مفتوح من الله عليه فيه، شاعر مطبوع، مكثراً، انقاد له مركب النظم، في سنّ المراهقة، و اشتهر بالإجادة، و أنشد السلطان، و أخذ الصلّة، و ارتسم لهذا العهد في الكتابة. و شرع في تأليف يشتمل على أدباء عصره.

شعره: و مما خاطب به أحد أصحابه: [الطويل]

إذا شمت من نحو الحمى في الدجا برقأبى الدمع إلا أن يسيل ولا يرقى
ومهما تذكّرت الزمان الذى مضى تقطعت الأحشاء من حرّ ما ألقى
خليلى، لا تجزع لمحل فادمعى تبادر سقيا فى الهوى لمن استسقى
وما ضرّ من أصبحت ملك يمينه إذا رقى لى يوما وقد حازنى رقًا
فبيت به عشقا وإن قال حاسد أضلّ الورى من مات فى هاجر شقا
تلهب قلبى من تلهب خده فى نعم ذاك الخدّ فاض بأن أشقى
ومنها:

و كم من صديق كنت أحسب أنه إذا كذبت أوها منا رفع الصدقا

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسى

ابن عمّ المذكورين قبله، يكنى أبا القاسم.

حاله: حسن الصورة، لازم القراءة على شيوخ بلده، و نظم الشعر على الحدائث، و ترشح للكتب بالدار السلطانية مع الجماعة، ممن هو فى نظمه.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٦٣

و من شعره، كتب إلى بما نصّه: [الكامل]

احسب و حدّه يوم رأسك ربما تعطى السلامة فى الصراع سلّما

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسى

أخو الفقيه أبى بكر بن القاسم بن محمد المذكور.

حاله: شاب حسن فاضل، دمث، متخلّق، جميل الصورة، حسن الشكل، أحمر الوجنتين. حفظ كتبنا من المبادئ النحوية، و كتب خطّا حسنا، و ارتسم فى ديوان الجند مثل والده، و هو الآن بحاله الموصوفه.

شعره: قيد أخوه لى من الشعر الذى زعم أنه من نظمه، قوله: [المتقارب]

حلفت بمن زاد عنى الكرى و أسهر جفنى ليلا طويلا

و ألبس جسمى ثياب النحول و عدّب بالهجر قلبى العليلا

ما حلت عن ودّه ساعة و لا اعتضت منه سواه بديلا

محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى ابن عبد الرحمن بن يوسف بن جزى الكلبى

من أهل غرناطة و أعيانها، يكنى أبا عبد الله.

أولّيته: تنظر فى اسم أبيه فى ترجمة المقرئين و العلماء.

حاله: من أعلام الشّهرة على الفتاوة، و انتشار الذكر على الحدائث، تبرزوا فى الأدب، و اضطلاعا بمعاناة الشعر، و إتقان الخطّ، و إيضاحا للأحاجى و الملغزات. نشأ بغرناطة فى كنف والده، رحمه الله، مقصور التّدريب عليه، مشارا إليه فى ثقبوب الذهن، و سعة الحفظ، ينطوى على نبل لا- يظهر أثره على التفاتة، و إدراك، تغطّى شعلته مخيلة غير صادقة، من تغافله. ثم جاش طبعه، و فهق حوضه، و تفجّرت يناعه، و توقّد إحسانه.

ولما فقد والده، رحمه الله، ارتسم في الكتابة، فبذل جلة الشعراء، إكثارا واقتدارا، ووفور مادة، مجيدا في الأمداح، عجيبا في الأوضاع، صديقا في النسيب، مطبوعا في المقطوعات، معتدلا في الكتابة، نشيط البنان، جلدا على العمل، سيال الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٦٤

المجاز، جموح عنان الدعابة، غزلا، مؤثرا للفكاهة. انتقل إلى المغرب لشغف خصله، على ما قد قسم الحظوظ. سبحانه من رزقه بهذه البلاد، فاستقر باب ملكه، مرعى الجناح، أثير الرتبة، مطلق الجراية، مقرّر السهّام، معتبا وطنه، راضيا عن جيرته، ديدن من يستند إلى قديم، و يتحيز إلى أصالة.

توالمفه: أخبرني عند لقائه إياي بمدينة فاس في غرض الرسالة؛ عام خمسة وخمسين وسبع مائة، أنه شرع في تأليف تاريخ غرناطة، ذاهبا هذا المذهب الذي انتدبت إليه، ووقفت على أجزاء منه تشهد باضطراره، وقيد بخطه من الأجزاء الحديثة والفوائد والأشعار ما يفوت الوصف، ويفوق الحد. و جرى ذكره في «التاج» بما نصه :

«شمس في سماء البلاغة بازغة، و حجة على بقاء الفطرة الغريزية في هذه البلاد المغربية بالغة، و فريدة وقت أصاب من فيها نادرة أو نابغة، من جذع بن علي القادح، و جرى من المعرفة كل بارح، لو تعلق الغوامض بالثرى لنالها، و قال أنا لها. و ربما غلبت الغفلة على ظاهره، و تنطبق أكامها على أزاهره، حتى إذا قدح في الأدب زنده، تقدّم المواكب بنده، إلى خطّ بارع، يعنو طوال الطويل منه إلى سرّ و براعة، كما ترضى المسك و الكافور عن طرس و حبر.

شعره: فمن غرامياته و ما في معناها قوله : [الطويل]

متى يتلاقى شائق و مشوق و يصبح عانى الحبّ و هو طليق

أما أنها أمتية عزّ نيلها و مرمى لعمرى في الرجاء سحيق

و لكنني خدعت قلبي تعلقة أخاف انصداع القلب فهو رقيق

و قد يرزق الإنسان من بعد يأسه و روض الرّبي بعد الذبول يروق

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٦٥ تباعدت لما زادني القرب لوعه لعلّ فؤادي من جواه يفيق

و رمت شفاء الداء بالداء مثله و إنى بالأأشفتى لحقيق

و تالله ما للصبّ في الحبّ راحة على كلّ حال إنه لمشوق

و يا ربّ قد ضاقت علىّ مسالكي فها أنا في بحر الغرام غريق

و لا سلوة ترجى و لا صبر ممكن و ليس إلى وصل الحبيب طريق

و لا الحبّ عن تعذيب قلبي ينشئ و لا القلب للتعذيب منه يطيق

شجون يضيق الصدر عن زفرتها و شوق نطاق الصبر عنه يضيق

نثرت عقود الدمع ثم نظمتها قريضا فذا درّ و ذاك عقيق

بكيت أسي حتى بكى حاسدى معى كأنّ عدولى عاد و هو صديق

و لو أنّ عند الناس بعض محبّتي لما كان يلفى في الأنام مفيق

أيا عين كفى الدمع ما بقى الكرى إذا منعوك التوم سوف تدوق

و يا نائما عن ناظرى أما ترى لشمسك من بعد الغروب شروق؟

رويدك رفقا بالفؤاد فإنه عليك و إن عاديته لشقيق

نقضت عهدى ظالما بعد عقدها ألا إنّ عهدى كيف كنت وثيق

كنتمك حبي يعلم الله مدّه و بين ضلوعى من هواك حريق

فما زلت بي حتى فضحت فإن أكن صبرت فبعد اليوم لست أطيع

و قال : [الكامل]

و مورّد الوجنات معسول اللّمي فتّاك لحظ العين في عشّاقه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٦٦ الخمر بين لثاته و الزّهر في و جناته و السّحر في أحداقه

ميّاد غصن البان في أثوابه و يلوح بدر التّم في أطواقه

من للهلال بثغره أو خدّه هب أنه يحكيه في إشراقه

و لقد تشبّهت الطّبّاء بشبهه من خلقه و عجزن عن أخلاقه

نادمته و سنا محيا الشمس قد ألقى على الآفاق فضل رواقه

في روضة ضحكت تغور أقاحهاو أسال فيها المزن من آماقه

أسقيه كأس سلافه كالمسك في نفحاته و الشهد عند مذاقه

صفراء لم يدر الفتى أكواسها إلّا تداعى همّه لفراقه

و لقد تلين الصّخر من سطواته فيعود للمعهود من إشفاقه

و أظّل أرشف من سلافه ثغره خمرا تداوى القلب من إحراقه

و لربما عطفته عندي نشوة تشفى الخبال بضّمه و عناقه

أرجو نداء إذا تبسّم ضاحكاو أخاف منه العتب في إطراقه

أشكو القساوة من هواى و قلبه و الضّعف من جلدى و من ميثاقه

يا هل لعهد قد مضى من عودة أم لا سبيل بحالة للحاقه

يا ليت لو كانت لذلك حيلة أو كان يعطى المرء باستحقاقه

فلقد يروق الغصن بعد ذبوله و يتم بدر التّم بعد محاقه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٦٧

و مما اشتهر عنه في هذا الغرض : [الكامل]

ذهبت حشاشه قلبى المصدوع بين السّلام و وقفه التوديع

ما أنصف الأحباب يوم وداعهم صبّا يحدث نفسه برجوع

أنجد بغيثك يا غمام فإننى لم أرض يوم البين فعل دموع

من كان يبكى الظاغنين بأدمع فأنا الذى أبكيهم بنجيع

إيه و بين الصّدر منى و الحشاشجن طويت على شجاه ضلوعى

هات الحديد عن الذين تحمّلواو اقدح بزند الذّكر نار ولوعى

عندى شجون فى التى جنت التّوى أشكو الغداة و هنّ فى توديع

من وصلى الموقوف أو من سهدى الموصول أو من نومي المقطوع

ليت الذى بينى و بين صبابتى بعد الذى بينى و بين هجوعى

يا قلب لا تجزع لما فعل التّوى فالحرّ ليس لحادث بجزوع

أفبعد ما غودرت فى أشراكه تبغى التّزوع؟ و لات حين نزوع

و مهفهف مهما هبت ريح الصّبأبدت له عطفاه عطف مطيع

جمع المحاسن و هو منفرد بها فاعجب لحسن مفرد مجموع
و الشمس لو لا إذنه ما آذنت خجلا و إجلالا له بطلوع
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٦٨ ما زلت أسقى خده من أدمعى حتى تفتح عن رياض ربيع
إن كان يرنو عن نواظر شادن فلرب ضرغام بهن صريع
عجبا لذاك الشعر زاد بفرقه حسنا كحسن الشعر بالتصريع
منع الكرى ظلما و قد منع الضنا فشقيت باليمنوح و الممنوع
جزدت ثوب العز عنى طائعا تراه يعطفه على خضوعى؟
لم أنتفع لبسا من الملبوس فى حبي و لا بعدارى المخلوع
بجماله استشفعت فى إجماله ليحوز أجر منعم و شفيع
يا خادعى عن سلوتى و تصبرى لو لا الهوى ما كنت بالمخدوع
أوسعتنى بعد الوصال تفرقا و أثبتنى سوءا لحسن صنيعى
أسرعت فيما ترتضى فجزيتنى بطويل هجران إلى سريع
أشرعت رمحا من قوامك ذابلا فمعت من ماء الرضاب شروعى
خذ من حديث تولعى و تولهى خبرا صحيحا ليس بالمصنوع
يرويه خدى مسندا عن أدمعى عن مقلتى عن قلبى المصدوع
كم من ليال فى هواك قطعتها و أنا لذ كراهن فى تقطيع
لا و الذى طبع الكرام على الهوى و يعز سلوان الهوى المطبوع
ما غيرتنى الحادثات و لم أكن بمذيع سر للعهود مضيع
لا خير فى الدنيا و ساكنها معان كان قلبى منك غير جميع
و قال فى غير ذلك فى غرض يظهر من الأبيات: [الطويل]
و قالوا عداك البخت و الحزم عند ما غدوت غريب الدار منزلك الفنت
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٦٩ أ لم يعلموا أن اغترابى حرامه و أن ارتحالى عن دارهم هو البخت؟
نعم لست أرى عن زمانى أو أرى تهادى السفن المواخر و البخت
لقد سئمت نفسى المقام ببلده بها العيشة النكراء و المكسب السحت
يدل بها الحر الشريف لعبده و يجفوه بين السمت من سنه ست
إذا اصطافها المرء اشكى من سموها أذى و يرى فيه أدا بيت
و لست كقوم فى تعصبهم عتوا يقولون بغداد لغرناطة أخت
رغبت بنفسى أن أساكن معشرا مقالهم زور و ودّهم مقت
يدسون فى لين الكلام دواهاهى السّم بالآل المشود لها لت
فلا درّ درّ القوم إلّا عصية إلى بإخلاص المودة قد متوا
و آثرت أقواما حمدت جوارهم مقالهم صدق و ودّهم بحت
لهم عن عيان الفاحشات إذا بدت تعام و عن ما ليس يعينهم صمت
فما ألفوا لهوا و لا عرفوا خنى و لا علموا أن الكروم لها بنت

به كل مرتاح إلى الضيف و الوغى إذا ما أتاه منهما النبا البغت
و أشعث ذى طمرين أغناه زهده فلم يتشوف للذى ضممه التخت
صبور على الإيذاء بغيض على العدامعين على ما يتقى جأشه الشئت
ولى صاحب مثلى يمان جعلته جليسى نهارا أو ضجيعى إذا بت
و أجرد جزار الأعتة فارح كميث و خير الخيل قدأحها الكمت
تسامت به الأعراق فى آل أعوج و لا أعوج فى الخلق منه و لا أمت
و حسبى لعضات النوائب منجدا عليها الكميث الهند و الصارم الصلت
قطعت زمانى خبره و بلوته فبالغدر و التخفيف عندى له نعت
و مارست أبناء الزمان مباحثا فأصبح جبلى منهم و هو منبت
و ذى صلف يمشى الهوينا ترفقا على نفسه كيلا يزايلها السمت
إذا غبت فهو المروء القوم عندهم له الصدر من ناديهم و له الدست
و إن ضمنى يوما و إياه مشهده المعجم السكيت و العمه الشخت
فحسبى عداتى أن طويت ما ربى على عزمهم حتى صفا لهم الوقت
و قلت لدنياهم إذا شئت فاغربى و كنت متى أعزم فقلبى هو البت
و أغضيت عن زلاتهم غير عاجز فماذا الذى يبغونه لهم الكبت؟

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٧٠

و قال: [الكامل] الإحاطة فى أخبار غرناطة؛ ج ٢؛ ص ١٧٠
لا تعد ضيفك إن ذهبت لصاحب تعتده لكن تخير و انتق
أو ما ترى الأشجار مهما ركبت إن خولفت أصنافها لم تغلق
و منه فى المقطوعات: [السريع]

و شادن تيمنى حبه حظى منه الدهر هجرانه
مورد الخدين حلو اللمى أحمر مضى الطرف و سنانه
لم تنطو الأغصان فى الروض بل ضلت له تسجد أغصانه
يا أيها الطيبى الذى قلبه تضرم فى القلب نيرانه
هل عطفه ترجى لصب شح ليس يرجى عنك سلوانه؟
يود أن لو زرتة فى الكرى لو متعت بالنوم أجفانه
قد رام أن يكتب ما نابو و الحب لا يمكن كتماناه
فأفضيت أسراره و استوى إسراره الآن و إعلانه

و قال: [مخلع البسيط]

نهار وجه و ليل شعريئهما الشوق يستثار
قد طلبا بالهوى فؤادى فأين لى عنهما الفرار؟
و كيف يبغى النجاة شىء يطلبه الليل و النهار؟
و قال فى الدوبيت:

زارت ليلا و أطلعت فجرها صبحا فجمعت بين صبح و ظلام
لما بصرت بالشمس قالت يا فتى جمع الإنسان بين الأختين حرام
و قال في غرض التورية: [الطويل]
أبح لي يا روض المحاسن نظرة إلى ورد ذاك الخد أروى به الصدى
و بالله لا تبخل عليّ بعطفه فإني رأيت الزوض يوصف بالتدى
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٧١
و قال: [السريع]
و عاشق صلي و محرابه وجه غزال ظلّ يهواه
قالوا تعبدت؟ فقلت نعم تعبدنا يفهم معناه
و قال و هو مليح جدًا: [الخفيف]
و صديق شكا بما حملوه من قضاء يقضى بطول العناء
قلت فاردد ما حملوك عليهم قال من يستطيع ردّ القضاء؟
و قال: [المتقارب]
لسانان هاجا من خصماه لسان الفتى و لسان القضا
إذا لم تحز واحدا منهما فلست أرى لك أن تنطقا
و قال: [الكامل]
تلك الذؤابة ذبت من شوقى لهاو اللحظ يحميها بأى سلاح
يا قلب فانجح لا إخالك ناجيا من فتنة الجعدى و السفاح
و إحسانه كثير. و يدل بعض الشيء على كله، و يحجر طلّ الغيث على وبله.
وفاته: اتصل بنا خبر وفاته بفاس مبطونا فى أوائل ثمانية و خمسين و سبعمائة.
ثم تحققت أن ذلك فى آخر شوال من العام قبله .
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٧٢

محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم ابن يحيى بن محمد بن الحكيم اللخمي

يكنى أبا القاسم.

حاله: من كتاب «عائد الصلة»: فرع دوحه الأصالة و الخصوصية، و العلم و الدين، و المكانة و الجلالة، مجلى بيته، و مجدد مآثره بزا، و مجاملة، و خيرية. نشأ بأطراف جملته من الفنون؛ من حساب و فريضة و أدب و قراءة و وثيقة، إلى خط حسن، و أدب تكفله، حتى انقاد له أو كاد. أعبط فى وقية الطاعون قاضيا ببعض الجهات، و كاتبا للدار السلطانية، فكانت فيه الفجعة عظيمة.
و جرى ذكره فى «التاج المحلى» بما نصه: «من فروع مجد و جلاله، و رث الفضل لا عن كلاله. أشرف، مجيد، معظم، مخول فى العشرة، و صل لباب المجد بفرائد الخلال الأثيرة، و أصبح طرفا فى الخير و العفاف، و اتصف من العدالة بأحسن اتصاف، و سلك من سنن سلفه، أثر هاد لا يزال يرشده و يدلّه، و يسدده فيما يعقده أو يحله، و اتسم بميسم الحياء، و الحياء خير كله، إلى نزاهة لا ترضى بالدون، و نجابة تتهالك فى صون الفنون، و طمح فى هذا العهد إلى نمط فى البلاغة رفيع، و جنح إلى مساجلة ما يستحسنه من مخترع و بديع، و صدرت منه طرف تستملح، و تستحلى إذا استحلى. و نحن نورد ما أمكن من آياته، و نجلى بعض غرره و شياته.

شعره: و من مقطوعات آياته: [الطويل]

وهبت فهزت عندما أن رأيت به الطلا مثل الطفل يرضع في المهد
و روض حباه المزن خلعه برقه و باتت رباه من حباه على وعد
يحدثنا عن كرمها ماء مزنها فتبدي ابتسام الزهر في لثمة الخد
عجبنا لما رأينا من برها بدور حباب الكأس تلعب بالترد
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٧٣

و قال: [الطويل]

شربنا و زنجي الدياجي موقدمصايح من زهر النجوم الطوالع
عقارا رأته حين أقبل حال الكافجاءت بمصفر من اللون فاقع
عجبت لها ترتاع منه و إنها لفي الفرقد قرت لدم المدامع
و قال: [الخفيف]

لاح في الدرّ و العقيق فحيأأم مزاج أداه صرف المحيأ؟
من بنات الكروم و الرّوم بكرأقبلت ترتدي حياء يهيا
خلتها و الحباب يطفو عليها شفقا فوقه نجوم الثريا
قهوة كالعروس في الكأس تجلى صاغ من لؤلئتها المزج حليا
و قال: [البسيط]

و يوم أنس صقيل الجوّ ذى نظر كأنه من و ميض البرق قد خلقا
ما زلت فيه لشمس الطست مصطحباو بالنجوم و بالأكواس مغتبقا
صفراء كالعسجد المسبوك إن شربت تبدي احمرارا على الخدين مؤتلقا
كذلك الشمس في أخرى عشيتها إذا توارت أثارت بعدها شفقا
و قال: [الطويل]

بنفسى حبيب صال عامل قدّه على و لّمّا يعطف و هو كالغصن
و يا عجبا منه متى صار ذابلا و نضرت له لم تنأ عن خوطه اللدن
و أعجب من ذا أن سيف لحاظه يمزق أفلاذ الحشا و هو في الجفن
و قال: [الكامل]

بأبى و غير أبى غزال نافرين الجوانح يغتدى و يروح
قمر تلاً و استنار جبينه غارت به بين الكواكب يوح
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٧٤ لم يرض غير القلب منزله فهل يا ليت شعري بالذراع يلوح
و مما نسب لنفسه و أنشدنيه: [الكامل]

ليل الشباب انجاب أول وهله عن صبح شيب لست عنه براض
إن سرتنى يوما سواد خضابه فنصوله عن ساقى بياض
هلا اختفى فهو الذى سرق الصباو القطع فى السرقات أمر ماض
فعليه ما اسطاع الظهور بلمتى و على أن ألقاه بالمقراض

وفاته: توفي، رحمه الله، بقرناطة في السابع عشر شهر ربيع الآخر عام خمسين و سبعمائة، في وقعة الطاعون، و دفن بباب البيرة رحمه الله عليه.

محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن علي ابن محمد اللوشي اليحصبي

يكنى أبا عبد الله، و يعرف باللوشي.

أوليته: من لوشة، و قرأ العلم بها، و تعرّف بالسلطان الغالب بالله محمد قبل تصير الملك له، و تقدم عنده. تضمن ذكره الكتاب المسمى ب «طرفة العصر في أخبار بني نصر»، و تقرر ذلك في حرف الحاء في اسم أبي عمر اللوشي، كاتب الدولة النصريّة، رحمه الله.

حاله: من كتاب «عائد الصلة»: كان، رحمه الله، من أهل الحسب و الأصالة، شاعرا، مدّاحا. نشأ مدّلا في حجور الدولة النصريّة، خفيفا على أبوابها، مفضّلا على مدّاحها. ثم تجنّى بآخرة، و لزم طورا من الخمول في غير تشكّ، أعرض به عن أرباب الدّنيا، و أعرض عنه، و اقتصر على تبليغ من علالة مؤمّل كان له خارج قرناطة، غير مساد من ثلمه، و لا- مصلح في خلله، أخذ نفسه بالتّقشّف، و سوء المسكن، و التهاون بالملبس، حملا عليها في غير أبواب الرياضة، مجانبا أرباب الخطط، و فيا لمن لحقته من السلطان موجدة، تختلف معاملته لمن يعرفه في اليوم مرّات، من إعراض عنه، و قبول عليه، و لصوق به، كل ذلك عن سلامة، و تهيب نفس. مليح الدّعابة، ذاكرة لفنون من الأناشيد، حسن الجّد، متجافيا عن الأعراض.

الإحاطة في أخبار قرناطة، ج ٢، ص: ١٧٥

و جرى ذكره في «التاج» بما نصّه: شاعر مفلق، و شهاب في أفق البلاغة متألق، طبّق مفاصل الكلام بحسام لسانه، و قدّ نحور الكلام ما يزرى بجواهر الملوك من إحسانه. و نشأ في حجور الدولة النصريّة مدّلا بمتاته، متقلبا في العزّ في أفانيه و أشتاته، إذ لسلفه الدّمام الذي صفت منه الحياض و الحمام، و الوداد الذي قصرت عنه الأنداد، و السابقة التي أزرى بخبرها العيان، و شهدت بها أرجونه و جيّان، محيّر ثمره الطيب. و له همّة عالية، بعيدة المرمى، كريمة المنتمى، حملته بآخرة على الانقباض و الازدراء و الزهد في الازدياد و الاستكثار، و الاقتصاد و الاقتصار، فعطف على انتجاع غلّته، و التزام محلّته، و مباشرة فلاحه صان بها وجهه؛ و وفّاه الدهر حقّه و نجمه، و احتجبت عقائل بيانه لهذا العهد و تقنّعت، و راودتها النفس فتمنّعت، و له فكاهاة و أنس الزمان مناجاة القينات، عند البيات، و أعذب من معاطة الزاح في الأفداح».

شعره: قال: و له أدب بلغ في الإجادة الغاية، و رفع للجبين من السيّن الزاية. و من مقطوعاته يودع شيخنا الفقيه القاضي أبا البركات بن الحجاج:

[الطويل]

رأوني و قد أغرقت في عبراتي و أحرقت في ناري لدى زفرا تي

فقالوا سلوه تعلموا كنه حاله فقلت سلوا عني أبا البركات

فمن قال إنني بالرحيل محدّث روت عنه أجناني غريب ثبات

و نادى فؤادي ركبته فأجابه ترخّل و كن في القوم بعض عدات

و من مقطوعاته البديعة من قصيدة مجازية: [الطويل]

سيخطب قسّ العزم في منبر السرى و هل في الدّنا يوم المسير أطيع؟

و أقطع زند الهجر و القطع حقّه فما زال طيب العمر عني يريق

مولده: في حدود ثمانية و سبعين و ستمائة.

وفاته: في الموفى عشرين من شهر ربيع الثاني من عام اثنين و خمسين و سبعمائة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٧٦

محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى ابن الحكيم اللخمي

يكنى أبا بكر.

أوليته: مَرَّت في اسم ذى الوزارتين.

حاله: من كتاب «عائد الصلة»: «كان صدر أبناء أصحاب النعم، و بقرية أعلام البيوت، ترف نشأة، و عزّ تربية، و كرم نفس، و طيب مجالسة، و إمتاع محاضرة، و صحة وفاء، و شياع مشاركة في جملة فاضلة، محدثا تاريخيا، كاتبا بليغا، حسن الخط، مليح الدعابة، ظريف التوقيع، متقدم الحيلة في باب التحسين و التنقيح، يقرض الشعر، و يفكّ المعنى، و يقوم على جمل الكتاب العزيز، حفظا و تجويدا، و إتقانا، و يسرد نتف التاريخ، و عيون الأخبار، إلى حسن الخلق، و كمال الأبهة، و حلاوة البساطة، و احتمال المناشئة، و المثابرة على حفظ المودة، و الاستقالة من الهفوة، و التمسك بالاستعتاب و المعذرة. كتب بالدار السلطانية أكثر عمره، و تصدّر بعد في قيادة المواضع النبيهة، محاربا ذا قدرة في ذلك، و مع ذلك فشاع المعروف، ذائع المشاركة. قيد الكثير، و دون و صنف، و حمل عن الجلة ممن يشقّ إحصاؤهم، و كان غزّة من غرر هذا القطر، و موكبا من مواكب هذا الأفق، لم يتخلف بعده مثله.

و جرى ذكره في «التاج المحلى» بما نصّه: «ماجد أقام رسم المجد بعد عفائه، فوقى الفضل حقّ وفائه. بيته في رندة أشهر في الأصالة من بيت امرئ القيس، و أرسى في بحبوحة الفخر من قواعد الرضوى و أبى قيس. استولى على الجود البديع البعيد المدى، و حجت إليه من كل فج طلب التدي، و عشت إلى ضوء ناره فوجدت على النار التقى و الهدى. ولى الوزارة النصيرية التي اعتصر منها طريفا بتالد، فأحيت مآثرها الخالدة مآثر يحيى بن خالد. و لما أدار عليها الدهر كأس التوائب، و خلص إليها سهمه الصائب، بين صحائف الكتب و صفائح الكتائب، تطلعت من خلالها الرائقة لباب الوجود، و بكتها بسيل أجفانها عين الباس و الجود، و طلع على

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٧٧

أعقاب هذه الفضائل محلى من صفحاتها، و أعاد لو ساعده الدهر من لمحاتها، و ارتقى من الكتابة إلى المحلّ النبيه، و استحقتّها من بعض ميراث أبيه، و بنى و شيّد، و دونّ فيها و قيد، و شهر في كتب الحديث و روايته، و جنى ثمرة رحلة أبيه، و هو في حجر ذؤابته، و أنشأ الفهارس، و أحيا الأثر الدارس، و ألف كتابه المسمى ب «الموارد المستعديّة و المقاصد المنتخبة» فسرّح الطرف، و روضه طيب الجنى و العرف. و له شعر أنيق الحلية، حاز في نمط العلية. و بينى و بين هذا الفاضل و داد صافى الحياض، و فكاهة كقطع الرياض، و دعابه سحبت الدالة أذيالها، و أدارت التّقة و المقّة جريالها.

و سيمّر في هذا الديوان كل رائق المحيّا، عاطر الرّيا.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبى جعفر الحريرى، و الأستاذ أبى الحسن القيحاظى، و الأستاذ إسحاق بن أبى العاصى. و أخذ عن الطّم و الرّم، من مشايخ المشرق و المغرب، فمنهم الولى الصالح فضل بن فضيلة المعافى، إلى العدد الكثير من أهل الأندلس، كالخطباء الصلحاء أبى عبد الله الطنجالى، و أبى جعفر الزيات، و أبى عبد الله بن الكماد، و غيرهم من الرّنديين و المالقيين و الغرناطين، حسبما تضمنه برنامجه.

تواليفه: ألف الكتاب المسمى، «الفوائد المنتخبة و الموارد المستعديّة». و كمل التاريخ المسمى ب «بميزان العمل» لابن رشيق. و دونّ كتابا في عبارة الرؤيا سمّاه «بشارة القلوب بما تخبره الرؤيا من الغيوب» و «الأخبار المذهبة» و «الإشارة الصوفية، و التّكت الأدبية». و اليهودج في الكتب. و الإشارة في ألف إنشاده.

شعره و كتابته: قال في التاريخ ما نصّه: «و تهادته إلى هذا العهد رتب الشيادة، و استعمل في نيهات القيادة؛ فوجه إلى معقل قرطمة من

كورة ربه و هو واليه، و بطاحه في مجرى جياده و صحر عواليه. و قد حلت مالمقه صحبه الركب السلطاني في بعض التوجهات، إلى تلك الجهات، في بعض ما أتحف من مقعده، المتصل المستمر، بهديه مشتملة على ضروب من البر فخاطبته مقيما لسوق الانبساط، و غير حائد على الوداد و الاغتباط، على ما عول عليه من حمل الإفراط، و الانتظام في هذا المعنى و الانخراط: [الطويل]

الأم على أخذ القليل و إنما عامل أقواما أقل من الذر

فإن أنا لم آخذه منهم فقدته و لا بد من شيء يعين على الدهر

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٧٨

سیدی، أطلق الله يدك بما تملك، و فتر عن منحك البخل لئلا تهلك. كنت قد هومت، و حذرنى القلق فتلومت. و لومى كما علمت سىء الخصال، عزيز الوصال. يمطل دينى، و يعاف طيره ورد عيني. فإذا الباب يدق بججر، فأنبأنى عن ضجر، و جار الجنب يؤخذ بالذنب، فممت مبادرا و جزعت، و إن كان الجزع منى نادرا. و استفهمت من وراء الغلق، عن سبب هذا القلق. فقالت امرأه من سكان البوادي: رابطة الفؤاد يا قوم، رسول خير، و ناعق طير، و قرع إذلال، لا- فرع إذلال. حطوا شعاع الحرب و الحرب، فقد ظفرتم ببلوغ الأرب، فتأخرت عن الإقدام، و أنهدت إليه، فحنّ عمر بن أبى ربيعة عنم كان بالدار من الخدام، فأسفرت الوقعة عن سلام و سلم، و لم يزن أحد منا بكلم. و نظرت إلى رجل قرطبي الطلعة و الأخلاق، خاو على الإطلاق، تنهّد قبل أن يسلم، و ارتمض لما ذهب من الشبيهة و تألم. شنشنة معروفة، و عين تلك الجهات معاذ الله مصروفة.

و قد حملته سيادتكم من المبرّة ضروبا شتى، و تجاوزت في المسرات غاية حتى.

و لم تضع عضوا من جسده، فضلا عن منكبه و يده، إلا علقته و عاء ثقيلًا، و ناطت به زنبيلًا. و استلقى كالمنى إذا ترك المعترك، و علت حوله تلك الأتقال، و تعاورها الانتقال، و كثر بالزقاق القيل و القال. فلما تخلّصت إلى الدار، و سترت معرفتها بالجدار، و تناولها الاختبار الفاضح، و بان قصورها الواضح، فتلاشت، بعد ما جاشت، و نظرت إلى قعب من اللبن الممزوق، الذى لا يستعمل فى البيوت و لا يباع فى السوق، فأذكرتنى قول الشاعر: [البسيط]

تلك المكارم لا قعبان من لبن شبيت بماء فعادت بعد أبو الـ

أما زبده فرفع، و أما جنبه فاقنيت به و انتفع، و أما من بعته من فضلاء الخدام فرفع، و كأنى به قد ألحّ و صفع، و التفت إلى قفه قد خيطت، و بعنق ذاك البائس قد نيطت، رمس فيها أفراخ الحمام، و قلّدت بجيده كما يتقلد بالتمائم، و شدّ حبلها بمخنقه، و ألزم منها فى العاجل طائره فى عنقه، هذا بعد ما ذبحت، و أما حشوها فربحت. و لو سلكتكم الطريقة المثلى، لحفظتم جنتها من العفن كما تحفظ جثة القتلى، و أظنكم لم تغفلوا هذا الغرض الأدنى، و لا أهملتم هذه الهمم التى غريزة فى المبنى. فإنى رميت منها اللّهُو رمى المختبر، فكلح من مرارة الصبر، و لما أخرجتها من كفن القفة، و استدعيت لمواراتها أهل الصفة، تمثّلت تمثّل اللبيب،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٧٩

بقول أبى تمام حبيب: [الكامل]

هنّ الحمام فإن كسرت عيافه من حائهنّ فإنهنّ حمام

و لو أن إحدى الدجاجتين لاحت عليها مخيلة سرّ، لكانت من بقايا مواطنى ديوك بنى مرّ، و بعث بها حلالك حلاله، و أهدى منها اجتهاد من أحسن. و لم يكن بالهدية ما يذكر، و لا- كانت مما ينكر، أستغفر الله، فلو لم تكن التحفة، إلا تلك الفكاهة العاطرة و الغمامة الماطرة، التى أحسبها الأمل الأقصى، و تجاوزت إلّا من التى لا تعدّ و لا تحصى، للزم الشكر و وجب، و برز من حرّ المدح ما تيسر و احتجب.

فالمكارم و إن تغيّرت أنسابها، و جهل انتسابها، و ادّعى إرثها و اكتسابها، إليكم تنشر يدها، و تسعى لأقدامها، و لبيتكم تميل بهواديهها، و بساحتكم يسيل واديهها، و على أرضكم تسخّ غواديهها. و مثلى أعزكم الله، لا يغضى من قدر تحفكم الحافلة، و لا يقدر من شكرها

على فريضة ولا نافله، ولكنها دعابة معتادة، و فكاهاه أصدرتها وداده. ولا شك أنكم بما جبلتم عليه قديما و حديثا، تغتفرون جفائي، الذي سيرتموه سمرا و حديثا في جنب وفائي، و تغضون و تحملون، و بقول الشاعر تتمثلون، و أسمع من الألفاظ اللغوية التي يسر بها سمعي، و إن ضمنت شتمي و وصفي: [الطويل]

بعثت بشيء كالجفاء و إنما بعثت بعذري كالمدل إلى غدر
و قلت لنفسي لا تردعي فإنه كما قيل شيء قد يعين على الدهر
و ما كان قدر الودّ و المجد مثله فخذة على قدر الحوادث أو قدرى
و إن كنت لم أحسن صنيعي فإنتى سأحسن في حسن القبول له شكرى
و قدرك قدر النيل عندي و إننى لدى قدرك العالى أدق من الدرّ
قنعت و حظى من زمانى و ودكم هباء و مثلى ليس يقنع بالتر
أتانى كتاب منك باه مبارك لقيت به الآمال باهته الثغر
جلا من بنات الفكر بكرا و زفها إلى ناظرى تختال فى حبر الحبر
فألفاظها كالزهر و الزهر يانع و قدر المعانى فى الأصالة كالزهر
نجوم معان فى سماء صحيفة و لكنها تسرى النجوم و لا تسرى
تضمّن من نوع الدعابة ما به رجوت الذى قد قيل فى نشوة الخمر
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٨٠ رعى الله مسراها الكريم فجلّ ماجلته من البشرى و أبدت من البشر
لعمري لقد أذكرتنى دولة الصبا و أهديت لى نوع الجلال من السحر
و لما أتت تلك الفكاهاه غدوة و جدت نشاطا سائر اليوم فى بشرى
و لا سيما إن كان ملحم بردها عميد أولى الألباب نادرة العصر
نشرت بها ما قد طويت بساطه زمانا و بى طى الأمور مع النشر
و نعم خليل الخير أنت محافظا على سنن الإخلاص فى السرّ و الجهر
و دونكها تلهو بها و تديرها سحيرية الأنفاس طيبة النثر
فراجعنى بقوله:

و قد منّ سيدى الجواب، محتويا على العجب العجاب، فيالك من فكاهاه كثرية المناهل، عنبرية المسائل، و لو لم يكن إلّا وصف القرطبي المستوى الطلعة، الشرطى الصّنع. و أما وصف اللبن و فراخ الحمام، فقد بسطتم فى المزاح القول. و امتنعت فى الكلام الفصل. و ذلك شيء يعجز عن مساجلتكم فيه أرباب البلاغة و البيان، فكيف بمثلى ممن له القول المهلهل النسيج الواهى البيان. و لا بدّ من عرض ذلك على سيدى القطب الكبير الإمام، و أستاذنا علم الأعلام، و كبير أئمة الإسلام، فيحكم بيننا بحكم الفصل، و ينصف بما لديه من الحق و العدل. و قد كنت أحميد عن مراجعتكم حيدة الجبان، و أميل عن ذلك ميله الكودن عن مجاراة السمر الهجان، و أعدل عن مساجلة أدبكم الهتان، عدول الأعزل عن مبارزة جيد السنان. إلى أن وثقت بالصفح، و عوّلت على ما لديكم من الإغضاء و السّمح، و وجهت حامله السرّ و الظروف، كى تتصل الهدايا و لا ينقطع المعروف. و أستقيل من انبساط يجزّ عذرا، و أسأله سبحانه و تعالى حمدا يوجب المزيد من إنعامه و شكرا. دام سيدى و آماله مساعدة، و الكلمة على فضله واحد.

و من شعره فى النّسك و اللّجإ إلى الله تعالى :

أيا من له الحكم فى خلقه و يا من بكربى له أشتكى

تولّ أمورى و لا تسلمنى و إن أنت أسلمتنى أهلك

تعاليت من مفضل منعم ونزهت من طالب مدرک

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٨١

و من ذلك و نقلته من خطه: [الطويل]

تصبر إذا ما أدركتك ملة فصنع إله العالمين عجب

و ما يدرك الإنسان عار بنكبة ينكب فيها صاحب و حبيب

ففى من مضى للمرء ذى العقل أسوء و عيش كرام الناس ليس يطيب

و يوشك أن تهمل سحائب نعمة فيخصب ربع للسرور جديب

إلهك يا هذا مجيب لمن دعاو كل الذى عند القريب قريب

مولده: عام خمسة و ستين و ستمائة.

وفاته: من «عائد الصلة»، قال: و ختم الله عمره بخير العمل من الإنابة و التهذج، و الترام الورد، و إن كان مستصحب الخيرية. و حل ببلد

ولايتهم رنده، فكانت بها تربته فى الثالث و العشرين لربيع الآخر عام خمسين و سبعمائة.

محمد بن محمد بن على بن العابد الأنصارى

ولد المذكور بعد، الكاتب بالدار السلطانية.

حاله: من كتاب طرفه العصر و غيره، قال: كان كاتباً مشهوراً، بليغاً، ذا معرفة، بارع الخط، أوحد زمانه فى ذلك، و قورا، معذب اللفظ،

منحطاً فى هوى نفسه، محارفاً بحرفة الأدب على جلاله قدره. و كتابته نقيّة، جانحة إلى الاختصار.

شعره: وثيق، ثقل فيه أرواح المعانى كشعر أبيه، و توشيحه فائق. تولى كتابة الإنشاء لثانى الملوك النصرين، و استمر قيامه بها على

حجر شديد من السلطان و محمل؛ لملازمته المعاقرة و انهماكه فى البطالة، و استعمال الخمر، حتى زعموا أنه قاء يوماً بين يديه، فأخره

عنها، و قدّم الوزير أبا عبد الله بن الحكيم. و فى ذلك

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٨٢

يقول: [الطويل]

أمن عادة الإنصاف و العدل أن أجدلأن زعموا أنى تحسيتها صرفاً؟

و أقام بقيته عمره تحت رقد و برّ.

وفاته: توفى فى حدود التسعين و ستمائة. و كان شيخنا ابن الجيّاب قد آثره بكتبه، و كانت نفسه أعلاها بخط أبيه، رحمه الله.

محمد بن مالك المرى الطغرى

من أهل غرناطة، من ذوى البيته و الحسب فيها. ذكره الأستاذ فى الكتاب المسمى بالصلة، و الغافقى، و غيرهما.

حاله: أديب نبيل، شاعر؛ على عهد الأمير عبد الله بن بلقين بن باديس، صاحب غرناطة. قال: و كان أولاً يميل إلى البطالة و الراحة. ثم

إنه استيقظ من غفلته، و أقلع عن راحته، و أجبّ فى توبته. و كان من أهل الفضل و الخير و العلم.

من تواليفه: كتابه الشهير فى الفلاحة، و هو بديع، سمّاه «زهرة البستان، و نزهة الأذهان»، عبرة فى الظرف. قال: و جرى له مع سماجة

خليفة عبد الله بن بلقين قصة. إذ فاجأه سماجة مع إخوان له، و لم يشعروا به، فأنشده ابن مالك ارتجالاً و قد أخذ بلجام دابته:

[الخفيف]

بينما نحن فى المصلّى نساو و جناح العشى فيه جنوح

إذ أتانا سماجةً يتلأ لأفردى الشمس من تجليه يوح
فطفقنا يقول بعض لبعض أغبوق شرابنا أم صبحوح؟
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٨٣

قال: فتكلم الوزير سماجةً باللسان البربرى مع عبيده، فرجعوا مسرعين، ووقف سماجةً مع الوزير ابن مالك، إلى أن أتاه عبيده، بوعاء فيه جملة كبيرة من الدراهم، تنيف على الثلاثمائة دينار. فقال: ادفعوها إليه، وانصرف. و أتاهم العبيد مع الدراهم، بطعام و شراب. قال ابن مالك: و ذلك أول مال تأثله.

شعره: و منه [السريع]

صَبَّ على قلبى هوى لاعج و دبّ فى جسمى ضنى دارج
فى شادن أحمر مستأنس لسان تذكارى به لاهج
ما قدر نعمان إذا ما مشى و ما عسى يفعله عالج؟
فقدّه من رقّة مائس و ردفه من ثقله مائج
عنوان ما فى ثوبه وجهه تشابه الداخل و الخارج
فلا تقيسوه ببدر الدجى ذا معلم الوجه و ذا ساذج
و قد نسبها بعض الناس لغيره.

وفاته: قال الأستاذ: كان حياً سنه ثمانين و أربعمائة. و أمر أن يكتب على قبره:

[الخفيف]

يا خليلى، عزّج على قبرى تجد أكله التّرب بين جنبى ضريح
خافت الصوت إن نطقت و لكن أى نطق إن اعتبرت فصيح؟
أبصرت عينى العجائب لكن فرق الموت بين جسمى و روحى

محمد بن على بن محمد بن عبد الله بن عبد الملك الأوسى

المدعو بالعقرب، من إقليم الآش .

حاله: كان حسن النظم و النثر، ذكياً من أهل المعرفة بالعربية و الأدب، موصوفاً بجودة القريحة، و النبل و الفطنة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٨٤

أدبه و شعره: ذكره الملاحى و قال: حدّثنى قاضى الأحكام بغرناطة، أبو القاسم الحسن بن قاسم، الهلالى صاحبنا، قال: كان الأستاذ أبو عبد الله العقرب جارنا، قد وقع بينه و بين زوجه زهرة بنت صاحب الأحكام، أبى الحسن على بن محمد تنازع، فرفعته إلى القاضى بغرناطة، أبى عبد الله بن السّماك العاملى، و كنت يومئذ كاتباً له، فرأى القاضى قوّته و قدرته على الكلام و ضعفها، و إخفاق نظمها، و شفق لحالها. و كان يرى أن النساء ضعاف، و أن الأغلب من الرجال يكون ظالمهن. و كان كثيراً ما يقول فى مجلسه: رويدك، رفقا بالقوارير، و حين رأى ما صدر عن القاضى من الجمل، فقلت له: و أين حلاوة شعرك و القاضى أديب يهتز إليه و يرتاح؟ فطلب منى قرطاساً، و جلس غير بعيد، ثم كتب على البديهة بما نصّه:

[الكامل]

لله حى، يا أميم، حواك و حمائم فوق الغصون حواك
غنين حتى خلتهنّ عينينى بغنائهنّ فنحت فى مغناك

ذُكرني ما كنت قد أنسيته بخطوب هذا الدهر من ذكراك
أشكو الزمان إلى الزمان و من شكى صرف الزمان إلى الزمان فشاكي
يا ابن السماك المستظلّ برمحه والعزل ترهب ذا السلاح الشاكي
راع الجوار فيننا في جوناحقّ السرى و السير في الأفلاك
و ابسط إلى الخلق المؤوب ببسطه ظرف الكرام بعفة التساك
و أنا ذاكر إن لم يفت من لم يمت فدارك ثم دارك ثم ذاك
ثم دفعها إلى القاضي، فكتب القاضي بخطه في ظهر الرقعة: لبيك، لبيك. ثم أرسلني أصلح بين العقب و زوجه، فإن وصل صلحهما
إلى خمسين ديناراً، فأنا أوذيها عنه من مالي، فجمعت بينهما، و أصلحت بينهما عن تراض منهما، رحمهما الله تعالى.

محمد بن علي بن عبد الله بن علي القيسي العرادي

من أهل غرناطة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٨٥

حاله: كان فتى حسن السمت، ظاهر السكون، بادي التصون و العفة، دمث الأخلاق، قليل الكلام، كثير الحياء، مليح الخط، ظريفه،
بادي التجابة. أبوه و جدّه من تجار سوق العطر، نهاء السوق. نظم الشعر، فجاء منه بعجب، استرسالا و سهولة، و اقتدارا، و نفوذا في
المطولات، فأنفت له من الإغفال، و جذبته إلى الدار السلطانية، و اشتدت براعته، فكاد يستولى على الأمر لو لا أن المنية اخترمته شابا،
فشكل منه الشعر، قريع إجاده، و بارع ثنية شهرة، لو انفسح له الأمد.
مولده: في ذى الحجة عام أحد و ثلاثين و سبعمائة.
وفاته: توفي مبطونا على أيام قريية من إسرعه بغرناطة، عن سنّ قريية من العشرين، في عام خمسة و خمسين و سبعمائة. و أبوه أمين
العطارين.

محمد بن علي بن العابد الأنصاري

يكنى أبا عبد الله، أصله من مدينة فاس.

حاله: من خطّ القاضي أبي جعفر بن مسعدة، علم كتاب دار الإمارة التصرية الغالية، الذي بنوره يستصبحون، و سراجهم الذي بإشراقه
و بهجته و نهج محدته يهتدون. رفع لواء الحمد، و ارتدى بالفهم و العلم و الحلم. كان، رحمه الله، إماما في الكتابة، و الأدب، و اللغة،
و الإعراب، و التاريخ و الفرائض و الحساب، و البرهان عليه، عارفا بالسجلات و التوثيق، أربى على الموثقين من الفحول المبرزين في
حفظ الشعر و نظمه، و نسبه إلى قائله حافظا مبرزا. درس الحديث، و حفظ الأحكام لعبد الحق الإشبيلي، و نسخ الدواوين الكبار، و
ضبط كتب اللغة، و قيد على كتب الحديث، و اختصر التفسير للزمخشري، و أزال عنه الاعتزال، لم يفتر قطّ من قراءة أو درس أو نسخ
أو مطالعة، ليله و نهاره. لم يكن في وقته مثله.

مشيخته: أخذ بفاس عن أبي العباس أحمد بن قاسم بن البقال الأصولي، و أبي عبد الله بن البيوت المقرّي، و عن الزاهد أبي الحسن
بن أبي الموالى، و غيرهم.

شعره: و منه قوله: [الكامل]

طرقت تتيه على الصباح الأبلج حسناء تختال اختيال تبرج
في ليله قد ألبست بظلامها ففاض برد بالنجوم مدّج

و شعره مدون كثير.

وفاته: توفي بحضرة غرناطة عام اثنين و ستين و سبعمائة في ذى القعدة منه.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٨٦

محمد بن هانى بن محمد بن سعدون الأزدي الإلبيري الغرناطي

من أهل قرية سكون، يكنى أبا القاسم، و يعرف بالأندلسي، و كأنها تفرقة بينه و بين الحكمي أبي نواس.

أوليته: قال غير واحد من المؤرخين : هو من ذرية يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة، و قيل: من ولد أخيه روح بن حاتم.

حاله: كان من فحول الشعراء، و أمثال النظم، و برهان البلاغة، لا يدرك شأوه، و لا يشقّ غباره، مع المشاركة في العلوم، و النفوذ في فكّ المعنى. خرج من الأندلس ابن سبع و عشرين سنه، فلقى جوهر المعروف بالكاتب مولى المعزّ بن المنصور العبيدي، صاحب المغرب، و امتدحه، و كان لثيما، فأعطاه مائتي درهم، فوجد لذلك، و قال: أهنا كريم يقصد؟ فقيل: بلى، جعفر بن يحيى بن علي بن فلاح بن أبي مروان، و أبو علي بن حمدون، فامتدحهما، ثم اختصّ بجعفر بن يحيى و أبي علي، فبالغا في إكرامه، و أفاض عليه من النعم و الإحسان ما لم يمرّ بباله، و سارت أشعاره فيهما، حتى أنشدت للمعزّ العبيدي، فوجهه جعفر بن علي إليه في جملة طرف و تحف بعث بها إليه، كان أبو القاسم أفضلها عنده، فامتدح المعزّ لدين الله، و بلغ المعزّ من إكرامه الغاية. ثم عاد إلى إفريقية، ثم توجه إلى مصر، فتوفي ببرقة.

و جرى ذكره في «تخليص الذهب» من تأليفنا بما نصّه: «العقاب الكاسرة، و الصّية مصامة الباترة، و الشّوارد التي تهدتها الآفاق، و الغايات التي أعجز عنها السّباق».

وصمته: و ذكره ابن شرف في مقاماته، قال: و أما ابن هانى محمد، فهو نجدى الكلام، سردى النظام، إلّا أنه إذا ظهرت معانيه، في جزالة مبانيه، رمى عن منجنيق،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٨٧

لا- يؤثر في النّفيق. و له غزل معزّي، لا- عذري، لا- يقنع بالطّيف، و لا يصفع بغير السيف، و قد قدّه به الذات، و عظم شأنه فاحتمل الثواب، و كان يقف دولته في أعلى منزلته، ناهيك من رجل يستعين على صلاح دنياه، بفساد أخراه، لرداءة دينه، و ضعف يقينه. و لو عقل ما ضاقت عليه معاني السّعر، حتى يستعين عليه بالكفر.

شعره: كان أول ما مدح به جعفر بن علي قوله: [الكامل]

أحب بيتاك القباب قبابا بالاحداة و لا الرّكاب ركابا

فيها قلوب العاشقين تخالها عنما بأيدي البيض و العنّابا

و قال يمدح جعفر بن علي من القصيدة الشهيرة: [الطويل]

أليتنا إذا أرسلت واردا و حفا و بانت لنا الجوزاء في أذنها شنفا

و بات لنا ساق يقوم على الدّجى بشمعه صبح لا تقطّ و لا تطفأ

أغنّ غضيض خفّ اللين قدّه و أثقلت الصّهباء أجفانه الوطفأ

و لم يبق إرعاش المدام له يداو لم يبق إعنات التّثني له عطفا

نزيف قضاه السّكر إلّا ارتجاجة إذا كلّ عنها الخصر حملها الرّدفأ

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٨٨ يقولون حقف فوّه خيزرانة أما يعرفون الخيزرانة و الحقفأ؟

جعلنا حشايانا ثياب مدامناو قدّت لنا الظّلماء من جلدها لحفا
 فمن كبد تدنى إلى كبد هوى و من شفة توحى إلى شفة رشفة
 بعيشك نبه كأسه و جفونه فقد نبه الإبريق من بعد ما أغفا
 و قد فكّت الظلماء بعض قيودناو قد قام جيش الليل للصبح فاصطفّا
 و ولّت نجوم للثريا كأنهاخواتيم تبدو فى بنان يد تخفى
 و مرّ على آثارها دبرانها كصاحب رء كمنت خيله خلفا
 و أقبلت الشعرى العبور ملّمة بمرزمها العيوب تجنبه طرفا
 و قد قبلتها أختها من ورائها لتخرق من ثنى مجرّتها سجفا
 تخاف زئير الليث قدّم نثره و بربر فى الظّلماء ينسفها نسفا
 كأنّ معلّى قطبها فارس له لواء ان مركزوزان قد كره الزّحفا
 كأن السّماكين اللذين تظاهرا على لبّيته ضامنان له الحتفا
 فذا رامح يهوى إليه سنانه و ذا أعزل قد عضّ أنمله لهفا
 كأنّ قدامى النّسر و النّسر واقع قصصن فلم تسم الخوافى له ضعفا
 كأن أخاه حين دوّم طائرا أتى دون نصف البدر فاخطف النّصفا
 كأن رقيب الليل أجدل مرّ يقبّ تحت الليل فى ريشه طرفا
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٨٩ كأنّ بنى نعش و نعش مطافل بوجرة قد أضلّن فى مهمه خشفا

كأنّ سهاها عاشق بين عودفآونه يبدو و آونه يخفى
 كأنّ سهيلا فى مطالع أفقه مفارق إلف لم يجد بعده إلفا
 كأنّ الهزيع الأبوسى موهنا سرى بالنسيج الخسروانى ملتفا
 كأن ظلام الليل إذ مال ميله صريع مدام بات يشربها صرفا
 كأن نجوم الصّبح خاقان معشر من التّرك نادى بالنّجاشى فاستخفى
 كأن لواء الشمس غرّة جعفر رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا
 و قد جاشت الظلماء بيضا صوارماو مركوزة سمرا و فضفاضة زعفا
 و جاءت عتاق الخيل تردى كأنها تخطّ لنا أقلام آذانها صحفا
 هنالك تلقى جعفرا خير جعفر و قد بدّلت يمناه من لينها عنفا
 و كائن تراه فى الكريهة جاعلا عزيمته برقا و صولته خطفا
 و شعره كثير مدوّن، و مقامه شهير. و فيما أوردناه كفاية. و هو من البيرة الأصيلة.
 وفاته: قالوا: لما توجه إلى مصر، شرب بركة و سكر و نام عريانا، و كان البرد شديدا فأفلج، و توفى فى سنة إحدى و ستين و ثلاثمائة ،
 و هو ابن

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٩٠
 اثنتين و أربعين سنة. و لما بلغت المعزّ وفاته، تأسف عليه و قال: هذا رجل كنا نطمع أن نفاخر به أهل المشرق.

يكنى أبا القاسم، من أهل غرناطة.

حاله: فاضل مجمع على فضله، صالح الأبوة، طاهر النشأة، بادي الصيانة والعفة، طرف في الخير والحشمة، صدر في الأدب، جم المشاركة، ثاقب الذهن، جميل العشرة، ممتع المجالسة، حسن الخط والشعر والكتابة، فذ في الانطباع، صنيع اليدين، يحكم على الكثير من الآلات العلمية، ويجيد تفسير الكتاب.

رحل إلى العدو، وتوسل إلى ملكها، مجدّد الرسم، ومقام الجلب، وعلم دست الشعر والكتابة، أمير المسلمين أبي عنان فارس، فاشتمل عليه، ونوه به، وملاً بالخير يده، فاقتنى جدّه و حظوة وشهرة و ذكرا، وانقبض مع استرسال الملك، وآثر الراحة، وجهد في التماس الرحلة الحجازية، ونبذ الكل، وسلا الخطّة، فأسعفه سلطانه بغرضه، وجعل حبله على غاربه، وأصحه رسالة إلى النبي الكريم من إنشائه، متصلة بقصيدة من نظمه، وكلاهما تعلن في الخلفاء بعد شأوه، ورسوخ قدم علمه، وعراقه البلاغة، في نسب خصله، حسبما تضمّنه الكتاب

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٩١

المسمى ب «مساجلة البيان». ولما هلك و ولّى ابنه، قدّمه قاضيا بمدينة ملكه، وضاعف التّويه به، فأجرى الخطّة، على سبيل من السّداد والنزاهة. ثم لما ولى السلطان أبو سالم عمّه، أجراه على الرسم المذكور، وهو الآن بحاله الموصوفة، مفخر من مفاخر ذلك الباب السلطاني على تعدّد مفاخره، يحظى بكل اعتبار.

شعره: ثبت في كتاب «نفاضة الجراب» من تأليفنا، عند ذكر المدعى الكبير بباب ملك المغرب، ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر من أنشد ليلتئذ من الشعراء ما نصّه:

وتلاه الفقيه الكاتب الحاج القاضي، جملة السّداجة، وكرم الخلق، وطيب النفس، و خدن العافية، وابن الصّلاح والعبادة، ونشأة القرآن، المتحيز إلى حزب السلامة، المنقبض عن الغمار، العزوف عن فضول القول والعمل، جامع المحاسن، من عقل رصين، و طلب ممتع، وأدب نقّاد، و يد صنّاع، أبو القاسم بن أبي زكريا البرجي، فأنشدت له على الرسم المذكور هذه القصيدة الفريدة: [البيسط]

أصغى إلى الوجد لما جدّ عاتبه صبّ له شغل عمّن يعاتبه

لم يعط للصبر من بعد الفراق يدافضلّ من ظلّ إرشادا يخاطبه

لو لا التّوى لم يبت حرّان مكتثبا يغالب الوجد كتما وهو غالبه

يستودع الليل أسرار الغرام و ماتمليه أشجانه فالدمع كاتبه

لله عصر بشرقى الحمى سمحت بالوصل أوقاته لو عاد ذاهبه

يا جيرة أودعوا إذ ودّعوا حرقايصلى بها من صميم القلب ذائبه

يا هل ترى تجمع الأيام فرقتنا كعهدنا أو يردّ القلب ساكبه؟

و يا أهيل ودادي، و التّوى قذف و القرب قد أبهمت دونى مذاهبه

هل ناقض العهد بعد البعد حافظه و صادع الشّمل يوم الشّعب شاعبه؟

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٩٢ و يا ربوع الحمى لا زلت ناعمة بيكى عهدك مضنى الجسم شاحبه

يا من لقلب مع الأهواء منعطف فى كل أوب له شوق يجاذبه

يسمو إلى طلب الباقي بهمته و النفس بالميل للفانى تطالبه

و فتنة المرء بالمألوف معضلة و الأنىس بالإلف نحو الإلف جاذبه

أبكى لعهد الصّبا و الشّيب يضحك بى يا للرجال سبت جدى ملاعبه

و لن ترى كالهوى أشجاه سالفه و لا كوعد المنى أحلاه كاذبه

و همّة المرء تغليه و ترخصه من عزّ نفسا لقد عزّت مطالبه
ما هان كسب المعالي أو تناولها بل هان في ذاك ما يلقاه طالبه
لو لا سرى الفلك السامى لما ظهرت آثاره و لما لاحت كواكبه
فى ذمّة الله ركب للعلا ركبواظهر السرى فأجابتهم نجائبه
يرمون عرض الفلا بالسير عن عرض طىّ السجّل إذا ما جدّ كاتبه
كأنهم فى فؤاد الليل سرّ هوى لو لا الضّرام لما خفت جوانبه
شدّوا على لهب الرّمضاء وطأتهم فغاص فى لجة الظّماء راسبه
و كلّفوا الليل من طول السرى شططا فخلّفوه و قد شابت ذوائبه
حتى إذا أبصروا الأعلام ماثلة بجانب الحرم المحمى جانبه
بحيث يأمن من مولاه خائفه من ذنبه و ينال القصد راغبه
فيها و فى طيبة الغراء لى أمل يصاحب القلب منه ما يصاحبه
لم أنس لا أنس أياما بظلمهما سقى ثراه عميم الغيث ساكبه
شوقى إليها و إن شطّ المزمار بهاشوق المقيم و قد سارت حبايبه
إن ردّها الدهر يوما بعد ما عبثت فى الشّمل منّا يدها لا نعاتبه
معاهد شرفت بالمصطفى فلها من فضله شرف تعلق مراتبه
محمد المجتبى الهادى الشّفيح إلى ربّ العباد أمين الوحي عاقبه
أوفى الورى ذمما، أسماهم همما أعلامهم كرما، جلّت مناقبه
هو المكمل فى خلق و فى خلق زكت حلاه كما طابت مناسبه
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٩٣ عناية قبل بدء الخلق سابقه من أجلها كان آتية و ذاهبه
جاءت تبشّرنا الرّسل الكرام به كالصبح تبدو تابشيرا كواكبه
أخباره سرّ علم الأولين و سل بدير تيماء ما أبداه راهبه
تطابق الكون فى البشرى بمولده و طبق الأرض أعلاما تجاوبه
فالجنّ تهتف إعلانا هواتفه و الجنّ تقذف إحراقا ثواقبه
و لم تزل عصمه التأييد تكنفه حتى انجلى الحقّ و انزاحت شوائبه
سرى و جنح ظلام الليل منسدل و النّجم لا يهتدى فى الأفق ساربه
يسمو لكلّ سماء منه منفرد عن الأنام و جبرائيل صاحبه
لمنتهى وقف الرّوح الأمين به و امتاز قربا فلا خلق يقاربه
لقاب قوسين أو أدنى فما علمت نفس بمقدار ما أولاه واهبه
أراه أسرار ما قد كان أودعه فى الخلق و الأمر باديه و غائبه
و آب و البدر فى بحر الدّجى غرق و الصّبح لَمّا يؤب للشرق آيبه
فأشرقت بسناه الأرض و اتّبع سبل النّجاة بما أبدت مذاهبه
و أقبل الرّشد و التاحت زواهره و أدبر الغىّ فانجابت غياهبه
و جاء بالذّكر آيات مفصّلة يهدى بها من صراط الله لا حبه

نور من الحكم لا تخبو سواطعه بحر من العلم لا تفنى عجائبه
له مقام الرضا المحمود شاهده في موقف الحشر إذ نابت نوائبه
و الرسل تحت لواء الحمد يقدمها محمد أحمد السامى مراتبه
له الشفاعات مقبولا و سائلها إذا دهى الأمر و اشتدت مصاعبه
و الحوض يروى الصدى من عذب مورده لا يشتكى غلة الظمان شاربه
محامد المصطفى لا ينتهى أبدأ تعدادها، هل يعد القطر حاسبه؟
فضل تكفل بالدارين يوسعها نعمى و رحمى فلا فضل يناسبه
حسى التوسل منها بالذى سمحت به القوافى و جلتها غرائبه
حياه من صلوات الله صوب حياتحدى إلى قبره الزاكي نجائبه
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٩٤ و خلد الله ملك المستعين به مؤيد الأمر منصورا كتابه
إمام عدل بتقوى الله مشتمل فى الأمر و النهى يرضيه يراقبه
مسدد الحكم ميمون نقيته مظفر العزم صدق الرأى صائبه
مشمر للتقى أذيال مجتهد جزار أذيال سحب الجود ساحبه
قد أوسعت أمل الزاجى مكارمه و أحسبت رغبة العافى رغبته
و فاز بالأمن محبورا مسالمه و باء بالخزى مقهورا محاربه
كم وافد أمل معهود نائله أثنى و أثنت بما أولى حقائبه
و مستجير بعز من مثابته عزت مراميه و انقادت مآربه
و جاءه الدهر يسترضيه معتذرا مستغفرا من وقوع الذنب تائبه
لو لا الخليفة إبراهيم لانبهت طرق المعالى و نال الملك غاصبه
سمت لنيل تراث المجد همته و الملك ميراث مجد و هو عاصبه
ينميه للعز و العلى أبو حسن سمح الخلاق محمود ضرائب الإحاطة فى أخبار غرناطة؛ ج ٢؛ ص ١٩٤
من آل يعقوب حسب الملك مفتخر ابواب عزهم السامى تعاقبه
أطواد حلم رسا بالأرض محتده و زاحمت منكب الجوزا مناكبه
تحفها من مرين أبحر زخرت أمواجها و غمام ثار صائبه
بكل نجم لدى الهيجاء ملتهب ينقض وسط سماء التقع ثاقبه
أكفهم فى دياجيه مطالعه و فى نحور أعاديهم مغاربه
يا خير من خلصت لله تيته فى الملك أو خطب العلىء خاطبه
جردت و الفتنة الشعواء ملبسه سيفا من العزم لا تنبو مضاربه
و خضتها غير هيب و لا وكل و قلما أدرك المطلوب هائبه
صبرت نفسا لعقبى الصبر حامدة و الصبر مذ كان محمود عواقبه
فليهن دين الهدى إذ كنت ناصره أمن يواليه أو خوف يجانبه
لا زال ملكك و التأيد يخدمه تقضى بخفض مناويه قواضيه
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٩٥ و دمت فى نعم تصفو ملابسها فى ظل عز علا تصفو مشاربه

ثم الصلاة على خير البرية مسارت إليه بمشاق ركائبه

و من شعره ما قيده لى بخطه صاحب قلم الإنشاء بالحضرة المرينية، الفقيه الرئيس الصدر المتفنن أبو زيد بن خلدون: [الطويل]

صحا القلب عما تعلمين فأقلعوا عطل من تلك المعاهد أربعا

و أصبح لا يلوى على حد منزل ولا يتبع الطرف الخلى المودعا

و أضحى من السلوان فى حرز معقل بعيد على الأيام أن يتضععا

يرد الجفان النجل عن شرفاته وإن لحظت عن كل أجد أتلعا

عزيز على داعى الغرام انقياده و كان إذا ناداه للوجد أهطعا

أهاب به للشيب أنصح واعظأصاخ له قلبا منيا و مسمعا

و سافر فى أفق التفكر و الحجاز واهره لا تبرح الدهر طلعا

لعمري لقد أنضيت عزمى تطلباو قضيت عمري رقيه و تطلعا

و خضت عباب البحر أخضر مزبداو دست أديم الأرض أغبر أسفعا

و من شعره حسبا قيده المذكور: [المتقارب]

نهاه التهى بعد طول التجارب و لاح له منهج الرشد لاحب

و خاطبه دهره ناصحا بالسنة الوعظ من كل جانب

فأضحى إلى نصحه واعياو ألغى حديث الأمانى الكواذب

و أصبح لا تستيبه الغوانى و لا تزدرية حظوظ المناصب

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٩٦

و إحسانه كثير فى النظم و النثر، و القصار و المطولات. و استعمل فى السفارة إلى ملك مصر و ملك قشتالة، و هو الآن قاضى مدينه

فاس، نسيج وحده فى السلامة و التخصيص ، و اجتناب فضول القول و العمل، كان الله له.

محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف ابن محمد الصريحى

يكنى أبا عبد الله، و يعرف بابن زمرك. أصله من شرق الأندلس، و سكن سلفه ربض البيازين من غرناطة، و به ولد و نشأ، و هو من مفاخره.

حاله: هذا الفاضل صدر من صدور طلبه الأندلس و أفراد نجائها، مختص ، مقبول، هس، خلوب، عذب الفكاهة، حلو المجالسة،

حسن التوقيع، خفيف الروح، عظيم الانطباع، شره المذاكرة، فطن بالمعاريف، حاضر الجواب، شعله من شعل الذكاء، تكاد تحتمد

جوانبه، كثير الرقة، فكه، غزل مع حياء و حشمة، جواد بما فى يده، مشارك لإخوانه. نشأ عفا، طاهرا، كلفا بالقراءة، عظيم الدؤوب،

ثاقب الذهن، أصيل الحفظ، ظاهر التبل، بعيد مدى الإدراك، جيد الفهم، فاشتهر فضله، و ذاع أرجه، و فشا خبره، و اضطلع بكثير من

الأغراض، و شارك فى جملة من الفنون، و أصبح متلقف كره البحث، و صارخ الحلقة، و سابق الحلبة، و مظنة الكمال. ثم ترقى فى

درج المعرفة و الاضطلاع، و خاض لجة الحفظ، و ركض قلم التقييد و التسيويد و التعليق، و نصب نفسه للناس، متكلمًا فوق الكرسى

المنسوب، و بين الحفل المجموع، مستظها بالفنون التى بعد فيها شأوه، من العربية و البيان و اللغه، و ما يقذف به فى لج النقل، من

الأخبار و التفسير. متشوقًا مع ذلك إلى السلوك، مصاحبا للصوفية، آخذا نفسه بارتياض و مجاهدة، ثم عانى الأدب، فكان

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٩٧

أملك به، و أعمل الرحلة فى طلب العلم و الازدياد، و ترقى إلى الكتابة عن ولد السلطان أمير المسلمين بالمغرب أبى سالم إبراهيم ابن

أمير المسلمين أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب، ثم عن السلطان، و عرف في باب الإجابة. ولما جرت الحادثة على السلطان صاحب الأمر بالأندلس، واستقرّ بالمغرب، أنس به، وانقطع إليه، و كثر صحبة ركابه إلى استرجاع حقه، فلفظ منه محله، و خصّيه بكتابة سرّه.

و ثابت الحال، و دالت الدولة، و كانت له الطائفة، فأقره على رسمه معروف الانقطاع و الصاغية، كثير الدالة، مضطلعا بالخطة خطأ و إنشاء و لسنا و نقدا، فحسن منابه، و اشتهر فضله، و ظهرت مشاركته، و حسنت و ساطته، و وسع الناس تخلقه، و أرضى للسلطان حمله، و امتدّ في ميدان النثر و النظم باعه، فصدر عنه من المنظوم في أمداحه قصائد بعيدة الشأو في مدى الإجابة، [حسبما يشهد بذلك، ما تضمّنه اسم السلطان، أيده الله، في أول حرف الميم، في الأغراض المتعددة من القصائد و الميلاديات، و غيرها]. و هو بحاله الموصوفة إلى الآن، أعانه الله تعالى و سدّده.

شيوخه: قرأ العربية على الأستاذ رحلة الوقت في فنّها أبي عبد الله بن الفخار ثم على إمامها القاضي الشريف، إمام الفنون اللسانية، أبي القاسم محمد بن أحمد الحسنى، و الفقه و العربية على الأستاذ المفتى أبي سعيد بن لب، و اختصّ بالفقيه الخطيب الصدر المحدث أبي عبد الله بن مرزوق فأخذ عنه كثيرا من الرواية، و لقي القاضي الحافظ أبا عبد الله المقرئ عندما قدم رسولا إلى الأندلس، و ذاكره، و قرأ الأصول الفقهية على أبي علي منصور الزواوى، و روى عن جملة، منهم القاضي أبو البركات ابن الحاج، و المحدث أبو الحسن ابن التلمساني، و الخطيب أبو عبد الله ابن اللوشى، و المقرئ أبو عبد الله ابن بيش. و قرأ بعض الفنون العقلية بمدينة فاس على الشريف الرحلة الشهير أبي عبد الله العلوى التلمساني، و اختصّ به اختصاصا لم يخل فيه من إفادة مران و حنكة في الصناعة .

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٩٨

شعره: و شعره مترام إلى نمط الإجابة، خفاجى النزعة، كلف بالمعاني البديعة، و الألفاظ الصّقيلة، غزير المادة. فمنه في غرض التّسيب :

رضيت بما تقضى علىّ و تحكم أهان فأقصى أم أضافى فأكرم
إذا كان قلبى فى يديك قياده فمالي عليك فى الهوى أتحمّم
على أن روحى فى يديك بقاؤه بوصلك يحيى أو بهجرىك يعدم
و أنت إلى المشتاق نار و جنة ببعدهك يشقى أو بقربك ينعم
ولى كبد تندى إذا ما ذكرتم و قلب بنيران الشوق يتصرّم
و لو كان ما بى منك بالبرق ما سرى و لا استصحب الأنواء تبكى و تبسم
أراعى نجوم الأفق فى الليل ما دجى و أقرب من عينى للنوم أنجم
و ما زلت أخفى الحبّ عن كل عادل و تشفى دموع الصّب ما هو يكتّم
كسانى الهوى ثوب السّقام و إنه متى صحّ حبّ المرء لا شىء يسقم
فيا من له العقل الجميل سجيئه و من جود يمناه الحيا يتعلّم
و عنه يروى الناس كلّ غريبة تخطّ على صفح الزمان و ترسم
إذا أنت لم ترحم خضوعى فى الهوى فمن ذا الذى يحنى علىّ و يرحم
و حلمك حلم لا يليق بمذنب فما بال ذنبى عند حلمك يعظم؟
و والله ما فى الحى حىّ و لم ينل رضاك و عمته أيا و أنعم
و من قبل ما طوّقتنى كلّ نعمة كأتى و إياها سوار و معصم
و فتحت لى باب القبول مع الرضى يغضّ الحىّ طرفى كأتى مجرم

و لو كان لي نفس تخونك في الهوى لفارقتها طوعا و ما كنت أندم
و أترك أهلي في رضاك إلى الأسي و أسلم نفسي في يديك و أسلم
أما و الذي أشقى فؤادي في الهوى و إن كان في تلك الشقاوة ينعم
لأنت من قلبي و نزهة خاطري و مورد آمالي و إن كنت أحرم
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ١٩٩

و من ذلك ما خاطبني به، و هي من أول نظمه، قصيدة مطلعها: [الطويل]
«أما و انصداع النور في مطلع الفجر»

و هي طويلة . و من بدائعه التي عقم عن مثلها قياس قيس، و اشتهرت بالإحسان اشتهاه الزهد بأويس ، و لم يحل مجاريه و مباريه إلا
بويح و ويس، قوله في إعدار الأمير ولد سلطانه، المنوّه بمكانه، و هي من الكلام الذي عنيت الإجابة بتذهيبه و تهذيبه، و ناسب
الحسن بين مديحه و نسيبه: [الطويل]

معاذ الهوى أن أصحب القلب سالياو أن يشغل اللؤام بالعدل باليا
دعاني أعط الحب فضل مقادتي و يقضى عليّ الوجد ما كان قاضيا
و دون الذي رام العواذل صبوّه رمت بي في شعب الغرام المراميا
و قلب إذا ما البرق أومض موهنا قدحت به زندا من الشوق و اريا
خليلتي إنني يوم طارقه النوى شقيت بمن لو شاء أنعم باليا
و بالخيف يوم التفري يا أم مالك تخلفت قلبي في جبالك عانيا
و ذى أشر عذب الثنايا مخصر يسقي به ماء النعيم الأفاحيا
أحوم عليه ما دجا الليل ساهراو أصبح دون الورد ظمآن صاديا
يضىء ظلام الليل ما بين أضلعي إذا البارق النجدى و هنا بدا ليا
أجبرتنا بالزمل و الزمل منزل مضى العيش فيه بالشيبه حاليا
و لم أر ربحا منه أفضى لبانه و أشجى حمامات و أحلى مجانيا
سقت طله الغر الغوادي و نظمت من القطر في جيد الغصون لآليا
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٠٠ أثبتم أني على النأي حافظد مام الهوى لو تحفظون ذماميا

أناشذك و الحرّ أوفى بعهدو لن يعدم الأحسان و الخير جازيا
و ورد على السلطان أبي سالم ملك المغرب، رحمه الله تعالى عليه، وفد الأحابيش بهديّة من ملك السودان، و من جملتها الحيوان
الغريب المسمّى بالزرافة ، فأمر من يعانى الشعر من الكتاب بالنظم في ذلك الغرض، فقال و هي من بدائعه:

[الكامل]

لو لا تألق بارق التذكار ما صاب واكف دمعى المدرار
لكنه مهما تعرّض خافقا قدحت يد الأشواق زندا أوارى
و على المشوق إذا تذكر معهدا أن يغرى الأجفان باستعبار
أ مذكري غرناطة حلت بها أيدي السحاب أزرة النوار؟
كيف التخلّص للحديث و بيننا عرض الفلاة و طافح زخار؟
و غريبة قطعت إليك على الونى ييدا تبيد بها هموم السارى

تنسيه طيته التي قد أمهاو الركب فيها ميّت الأخبار
 يقتادها من كلّ مشتمل الدجى و كأنما عيناه جذوة نار
 خاضوا بها لجاج الفلا فتخلصت منها خلوص البدر بعد سرار
 سلمت بسعدك من غوائل مثلهاو كفى بسعدك حاميا لذمار
 و أتتك يا ملك الزمان غريبة قيد التواظر نزهة الأبصار
 موشية الأعطاف رائقة الحلوى رقت بدائعها يد الأقدار
 راق العيون أديمها فكأنه روض تفتح عن شقيق بهار
 ما بين مبيض و أصفر فاقع سال اللجين به خلال نضار
 يحكى حدائق نرجس فى شاهق تنساب فيه أرقام الأنهار
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٠١

و أنشد السلطان فى ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه و سلم، عقب ما فرغ من البنية الشهيرة ببابه، رحمه الله تعالى: [الطويل]
 تأمل أطلال الهوى فتألمو سيما الجوى و السقم منها تعلمّا
 أخو زفرة هاجت له منه ذكرة فأنجد فى شعب الغرام و أتهما
 و أنشد السلطان فى وجهه للصيد أعملها، و أطلق أعنة الجياد فى ميادين ذلك الطراد و أرسلها قوله: [الكامل]
 حياك يا دار الهوى من دارنوء السماك بديمة مدرار
 و أعاد وجه رباك طلقا مشرقا متضاحكا بمباسم التوار
 أ مدكرى دار الصبابة و الهوى حيث الشباب يرف غصن نضار
 عاطيتنى عنها الحديث كأنما عاطيتنى عنها كؤوس عقار
 إيه و إن أذكيت نار صباتى و قدحت زند الشوق بالتذكار
 يا زاجر الأظعان و هى مشوقة أشبهتها فى زفرة و أوار
 حنت إلى نجد و ليست دارها و صبت إلى هندية و القار
 شاققت به برق الحمى و اعتادها طيف الكرى بمزارها المزوار
 و من شعره فى غير المطولات: [الطويل]

لقد زادنى وجدا و أغرى بى الجوى ذبال بأذيال الظلام قد التفا
 تشير وراء الليل منه بنانة مخضبة و الليل قد حجب الكفا
 تلوح سنانا حين لا تنفخ الصباو تبدو سوارا حين تشنى له العظفا
 قطعت به ليلا يطار حنى الجوى فأونه يبدو و آونه يخفى
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٠٢ إذا قلت لا يبدو أشال لسانه و إن قلت لا يخبو الصبابة إذ لقا

إلى أن أفاق الصبح من غمرة الدجى و أهدى نسيم الروض من طيبه عرفا
 لك الله يا مصباح أشبهت مهجتي و قد شفها من لوعه الحب ما شفا
 و مما ثبت له فى صدر رسالته: [الطويل]

أزور بقلبي معهد الأنس و الهوى و أنهب من أيدي النسيم رسائلنا
 و مهما سألت البرق يهفو من الحمى يبادره دمعى مجيبا و سائلا

فياليت شعري و الأمانى تَعَلَّلْ أ يرعى لى الحى الكرام الوسائلا؟
و هل جيرتى الأولى كما قد عهدتهم يوالون بالإحسان من جاء سائلا؟
و من أبياته الغراميات : [الوافر]

قيادى قد تملكه الغرام و جدى لا يطاق و لا يرام
و دمعى دونه صوب الغوادى و شجوى فوق ما يشدو الحمام
إذا ما الوجد لم يبرح فؤادى على الدنيا و ساكنها السلام
و فى غرض يظهر من الأبيات : [الطويل]
و مشتمل بالحسن أحوى مهفهف قضى رجع طرفى من محاسنه الوطر
فأبصرت أشباه الرياض محاسناو فى خده جرح بدا منه لى أثر
فقلت لجلأسى خذوا الحذر إنمابه و صب من أسهم الغنج و الحور
و يا وجنه قد جاورت سيف لحظه و من شأنها تدمى من اللّمح بالبصر
تخبّل للعنين جرحا و إنمابدا كلف منه على صفحة القمر
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٠٣

و ممّا يرجع إلى باب الفخر، و لعمري لقد صدق فى ذلك : [الطويل]
ألائمة فى الجود و الجود شيمتى جبلت على آثارها يوم مولدى
ذرينى فلو أتى أخلد بالغنى لكنت ضنينا بالذى ملكت يدى
و من مقطوعاته : [المتقارب]

لقد علم الله أنى امرؤ أجّر ثوب العفاف القشيب
فكم غمّض الدهر أجفانه و فازت قداحى بوصل الحبيب
و قيل رقيبك فى غفلة فقلت أخاف الإله الرقيب
و فى مدح كتاب «الشفا» طلبه الفقيه أبو عبد الله بن مرزوق عندما شرع فى شرحه : [الطويل]
و مسرى ركاب للصبأ قد ونت به نجائب سحب للتراب نزوعها
تسلّ سيوف البرق أيدى حداتها فتنهّل خوفا من سطاها دموعها
و منها:

و لا مثل تعريف الشفاء حقوقه فقد بان فيه للعقول جميعها
بمرآة حسن قد جلتها يد النهى فأوصافه يلتاح فيه بديعها
نجوم اهتداء، و المداد يجنّها و أسرار غيب و اليراع تديعها
لقد حزت فضلا يا أبا الفضل شاملا فيجزيك عن نصح البرايا شفيعها
و لله ممّن قد تصدّى لشرحه فلّباه من غرّ المعانى مطيعها
فكم مجمل فصلت منه و حكمه إذا كتم الإدماج منه تشيعها
محاسن و الإحسان يبدو خلالها كما افتّر عن زهر البطاح ربيعها
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٠٤ إذا ما أصول المرء طابت أرومة فلا عجب أن أشبهتها فروعها
بقيت لأعلام الزمان تنيلها هدى و لأحداث الخطوب تروعها

و مما امتزج فيه نثره و نظمه، و ظهر فيه أدبه و علمه، قوله يخاطبني جوابا عن رسالة خاطبت بها الأولاد، و هم مع مولانا أيده الله بالمنكب: [مخلع البسيط]

ما لي بحمل الهوى يدان من بعد ما أعوز التّداني

أصبحت أشكو إلى زمان ما بتّ منه على أمان

ما بال عينيك تسجمان و الدّمع يرفض كالجمان؟

ناداك و الإلف عنك وان و البعد من بعده كواني؟

يا شقّة النفس، من هوان لجج في أبحر الهوان

لم يثنني عن هواك ثان يا بغيّة القلب قد كفاني

يا جانحة الأصيل، أين يذهب قرصك المذهب، و قد ضاق بالشوق المذهب.

أمست شموس الأنس محجوبة عن عيني، و قد ضرب البعد الحجاب بينها و بيني.

و على كل حال، من إقامة و ارتحال. فما محلّك من قلبي محلا بينها. و ما كنت لأتفع من وجهك تخيلا و شبيها. و من أين انتظمت لك عقول التشبيه و اتّسقت، و من بعض المواقع و الشمس لو قطعت. صادق منذور، و أنت تتجمل بثوبي زور، و جيب الظلام على دينارك حتى الصباح مزور، و وراءك من الغروب غريم لا- يرحم، و مطالب تتقلّب منه في كفه المطالب. و يا برق الغمام من أي حجاب تبتسم، و بأي صبح ترتسم، و أي غفل من السحاب تسم. أليست مباسم الثغور، لا تنجد بأفقي و لا تغور؟

هذا و إن كانت مباسمك مساعدة، و الجوّ ملبس لها من الوجوم شعارا، فلطالما ضحكت فأبكت الغوادي، و عقت الرائح و الغادي. أعوذ بواشم البروق، بنواسم الطّفّل و الشروق، ذوات الزائرات المتعددة الطّروق، فهي التي قطعت و هادا و نجادا، و اهتدت بسيف الصباح من السحاب قرابا و من البروق نجادا، و اهتدت خبر الذين أحبّهم

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٠٥

مستظرفا مستجادا، فعالها و لعلها، و الله يصل في أرض الوجود نهلها و علّها، و أن يبيل ظعين الشوق بنسيمها البليل، و أن نعوضه من نار الغليل، بنار الخليل، و خير طبيب يداوى الناس و هو عليل. فشكواي إلى الله لا أشكو إلى أحد. هل هو إلّا فرد تسطو رياح الأشواق على ذبالتة، و عمر الشوق قد شبّ على الطّوق، و وهب الجمع للفرق و لم يقنع بالمشاهدة بالوصف دون الدّوق. و قلب تقسم أحشاؤه الوجد، و قسم باله الغور و التّجد. و هموم متى وردت قلب القلب، لم تبرح و لم تعد، فلله الأمر من قبل و من بعد.

أستغفر الله يا سيدي الذي يوقد أفكارى حلول لقاءه، و أنتنّم أرواح القبول من تلقائه، و أسأل الله أن يديم لى آمالي بدوام بقائه. إن بعد مداه، قربت منّا يده، و إن أخطأنا رفته أصبنا نداءه. فثمرات آدابه الزّهر تجيء إلينا، و سحائب بنانه الغرّ تصوّب دوالينا أو علينا، على شحط هواه، و بعد متواه. و لا كرسالة سيدي الذي عمّت فضائله و خصّصت، و تلت على أولياء نعمته أنباء الكمال و قصّصت، و آي قضى كل منها عجا، و نال من التّماح غرّتها و اجتلاء صفحتها أربا. فلقد كرمت عنه بالاشتراك في بنوّته الكريمة نسبا، و وصلت لى بالعناية منه سببا. تولّى سيدي خيرك من يتولّى خير المحسنين، و يجزل شكر المنعمين. أما ما تحدّث به من الأغراض البعيدة العذبية، و أخبر عنه من المعاني الفريدة العجيبة، و الأساليب المطيلة، فيعجز عن وصفه، و إحكام رصفه، القلم و اللسان، و يعترف لها بالإبداع المستولى على أمد الإحسان البديع و حسان. و لقد أجهدت جياذ الارتجال، في مجال الاستعجال، فما سمحت القريحة إلّا بتوقّع الآجال، و عادت من الإقدام إلى الكلال. فعلمت أن تلك الرسالة الكريمة، من الحق الواجب على من قرأها و تأملها، أن لا يجرى في لحيّة من ميادينها، و يديم يراع سيدي الإحسان كرينها، لكن على أن يفسح الرياض للقصى مدى، و يقتدى بأخلاق سيدي التي هي نور و هدى، فإنه و الله يقيه، و يقيه ممّا يتّقيه، بعد ما أعاد في شكوى البين و أبدى، و تظلم من البعد و استعدى، و رفع حكم العتاب عن ذرات التّسيم و الاقتعاب، و رعى وسيلة ذكرها في محكم الكتاب. و ولّى فضله ما تولّى، و صرف هواه إلى هوى المولى أن صور

السعادة على رأيه، أيده الله تجلّى، و ثمرة فكره المقدس، أيده الله تتحلّى. شكر الله له عن جميع نعمه التي أولى، و حفظ عليه مراتب الكمال التي هو الأحقّ بها والأولى. و قد طال الكلام، و جمحت الأقلام. و لسيدى و بركتى الفضل، أبقى الله بركته، و أعلى في الدارين درجته، و السلام الكريم يخصّكم، من مملوككم ابن زمرك، و رحمة الله و بركاته، في الخامس عشر لجمادى الأولى عام تسعة و ستين.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٠٦

و خاطبني كذلك، و هو من الكلام المرسل: أبو معارفى، و ولّى نعمتى، و معيد جاهى، و مقوم كمالى، و مورد آمالى، ممن توالى نعمه علىّ، و يتوفّر قسمه لى؛ و أبوء له بالعجز، عن شكر أياديه التي أحيت الأمل، و ملأت أكفّ الرغبة، و أنطقت الحداثق، فضلا عن اللسان، و أياديه البيض و إن تعددت، و منته العميمه و إن تجددت، تقصر عن إقطاع أسمى شرف المجلس في الروض الممطور بيانه. فماذا أقول، فيمن صار مؤثرا إلىّ بالتقديم، جاليا صورة تشريفى، بالانتساب إليه في أحسن التقويم ... و إنى ثالث اثنين أتشرف بخدمتها، و أسحب في أذيال نعمتها:

[الطويل]

خليلى، هل أبصرتما أو سمعتما بأكرم من تمشى إليه عبيد؟

اللهم، أوزعنى شكر هذا المنعم، الذى أثقلت نعمه ظهر الشكر، و أنهضت كمال الحمد، اللهم أدم بجميع حياته، و أمتع بدوام بقائه الإسلام و العباد، و أمسك يمين آرائه رمق ثغر الجهاد. يا أكرم مسئول، و أعزّ ناصر. تفضّل سيدى، و الفضل عادته، بالتعريف بما يقرّ عين التطلع و يقنع غلّة الشؤف. و لقد كان المماليك لما مثلنا بين يدى مولانا، أيده الله، لم يقدم عملا عن السؤال و لا عن الحال، إقامة لرسم الزيارة، و عملا بالواجب، فإننى أرى الديار بطرفى، فعلى أن أرى الديار بعينى، و على ذلك يكون العمل إن شاء الله. و إن سأل سيدى شكر الله احتفائه، و أبقى اهتمامه، عن حال المماليك، من تعب السفر، و كدّ الطريق، فهى بحمد الله دون ما يظنّ. فقد وصلنا المنكب تحت الحفظ و الكلاءة، محرزين شرف المساوقه، لمواكب المولى، يمن الله وجهته، و كتب عصمته، و استقرّ جميعنا بمحلّ القصبه، و تاج أهبتها، و مهبّ رياح أجزائها، تحت النعم الثرة، و الأانس الكامل الشامل. قرّب الله أمد لقائكم، و طلع على ما يسرّ من تلقائكم. و لما بلغنا هذه الطيّه، و أنخنا المطيّه، قمنا بواجب تعريفكم على الفور بالأدوار، و رفعنا مخاطبة المالك على الابتداء. و السلام.

مولده: فى الرابع عشر من شوال ثلاثه و ثلاثين و سبعمائه.

انتهى السفر السادس هنا، و الحمد لله ربّ العالمين

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٠٧

و من السفر السابع المفتتح بقوله و من الطارئين منهم فى هذا الباب

محمد بن أحمد بن محمد بن أبى خيشمة الجبائى

سكن غرناطة، يكنى أباه الحسن.

حاله: كان مبرزاً فى علوم اللسان نحواً و لغه و أدبا، متقدماً فى الكتابه و الفصاحه، جامعاً فنون الفضائل، على غفلة كانت فيه.

مشيخته: روى عن أبى الحسن بن سهل، و أبى بكر بن سابق، و أبى الحسن بن الباذش، و أبى على الغسانى و غيرهم. و صحب أبى الحسن بن سراج صحبه مواخاه.

تواليفه: صنّف فى شرح غريب البخارى مصنفاً مفيداً.

وفاته: توفى ليلة الثامن و العشرين من جمادى الأولى سنه أربعين و خمسمائة.

محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الإستجى الحميرى

من أهل مالقة، و أصله من إستجّة، انتقل سلفه إلى مالقة، يكتى أبا عبد الله.

حاله: كان من جملة حملة العلم، و الغالب عليه الأدب، و كان من أهل الجلالة، و من بيت علم و دين. أقرأ ببلده، و قعد بالجامع الكبير منه، يتكلم على صحيح البخارى، و انتقل فى آخر عمره إلى غرناطة.

و قال الأستاذ: كان من أبرع أهل زمانه فى الأدب نظما و نثرا.

شعره: منقولاً من خط الوزير الزاوية أبى محمد عبد المنعم بن سماك، و قد ذكر أشياخه فقال: الشيخ المتفنن الأديب، البارع، الشاعر المفلق، قرأ على أشياخها، و أقرأ و هو دون العشرين سنة. و كانت بينه و بين الأستاذ المقرئ الشهير أبى العباس، الملقب بالوزعى، قرابة، و له قصيدة أولها: [الكامل]

ما للنسيم لدى الأصيل عليلا و منها:

حتى النسيم إذا ألم بأرضهم خلعوا عليه رقة و نحولا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٠٨

و كان يقول: كان الأستاذ أبو العباس يستعدينى هذا البيت و يقول: نعم أنت قريبي. و قدم على غرناطة، أظن سنة تسع و ثلاثين و ستمائة.

محتته: قال الأستاذ: جرى له قصة، نقل بعض كلامه فيها، على بعض أحاديث الكتاب من جهة استشهاد أدبى عليه فيها، غالب أدبه، فأطلق عنان الكلام، و ما أكثر مما يطاق فيما يأنفه إدراكات تلك الأفهام، و لكل مقام مقال، و من الذى يسلم من قيل و قال. و كان ذلك سبب الانقطاع، و لم يؤت من قصر باع، و انتقل إلى غرناطة، فتوفى فى أثر انقطاعه و انتقاله.

شعره: من ذلك قوله فى غرض يظهر من الأبيات: [الطويل]

قضوا فى ربي نجد ففى القلب مرساهو غنوا إن أبصرتم ثم مغناه

أما هذه نجد أما ذلك الحمى؟ فهل عميت عيناه أم صم أذناه؟

دعوه يوفى ذكره باتشامه ديون هواه قبل أن يتوفاه

و لا تسألوه سلوة فمن العنارياضه من قد شاب فى الحب فوداه

أ يحسب من أصلى فؤادى بحبه بأنى سأسلو عنه، حاشاه حاشاه؟

متى غدر الصب الكريم وفى لهو إن أتلغ القلب الحزين تلافاه

و إن حجروا معناه و صرحوا به فإن معناه أحق بمعناه

و يا سابقا عيس الغرام سيوفه و كل إذا يخشاه فى الحب يخشاه

أرحها فقد ذابت من الوجد و السرى و لم يبق إلّا عظمها أو بقاياها

و يا صاحبى عجب بى على الخيف من منى و ما للتعنّى لى بأتى ألقاه

و عرج على وادى العقيق لعلنى أسائل عمّن كان بالأمس مأواه

و قل لليالى قد سلفن بعيشه و عمر على رغم العذول قطعناه

هل العود أرجوه أم العمر ينقضى فأفضى و لا يقضى الذى أتمناه؟

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٠٩

و من شعره أيضا، قوله، رحمه الله: [الطويل]

سرت من ربي نجد معطرة الرّيايموت لها قلبي و آونه يحيا
تمسح أعطاف الأراك بليئة و تنثر كافورا على التربة اللّميا
و ترتد في حجر الرياض مريضة فتحيى بطيب العرف من لم يكن يحيا
و بشرى بأنفاس الأخبئة سحره فيسرع دمع العين في إثرها جريا
سقى الله دهرا ذكره بنعيمه فكم لجفوني عند ذكراه من سقيا
نآنى محياه الأنيق و حسنه و من خلقى قد كنت لا أحمل النأيا
و بى رشاً من أهل غرناطة غداي جود بتعديبي و يبخل باللقيا
رمانى فصابنى بأول نظرة فيا عجا من علم الرّشأ الرّميا
و بدد جسمى نوره و كأنه أشعة شمس قابلت جسدى مليا
تصوّر لى من عالم الحسن خالصا فمن عجب أن كان من عالم الدنيا
و همّ بأن يرقى إلى الحور جسمه فتقلته كتبا و حمّلتة حليا
إذا ما اتنى أو لاح أو جاح أو رناسبا القصب و الأقمار و المسك و الضيا
رعى الله دهرا كان ينشر وصله بروود طواها البين فى صدره طيا
مشيخته: و مما يشتمل على أسماء شيوخه، و يدلّ على تبخّره فى الأدب و رسوخه، إجازته أبا الوليد إسماعيل بن تبر الأيادى، و عندها
يقال: أتى الوادى:

[الخفيف]

إنّ لى عند كلّ نفحة بستان من الورد أو من الياسمينا

نظرة و التفاتة أتمنى أن تكونى حللت فيما تلينا

ما هذه الأنوار اللاتحة، و التوار الفاتحة، إنى لأجد ربح الحكمة، و لا مفند، و أرد مورد النعمة، و لا منكذ، أمسك دارين يذهب، أم
المندل الرطب فى الغرام الملهب، أم نفحت أبواب الجنّة فراح نسيمها، و توضحت أسباب المنّة فلاح
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢١٠

و سيمها: [الطويل]

محيّاك أم نور الصباح تبسّماو رياك أم نور الأقاحى تنسّما

فمن شمّ من ذا نفحة رقى شيمه و من شام من ذا لمحّة راق مبسما؟

أجل خلق الإنسان من عجل. قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: لتفهّموا أسرار الحكم و تعوا، و إذا رأيتم رياض الجنّة فارتعوا، يعنى
مجالس الذّكر، و مأنس النظر و الفكر، و مطالع المناظرة، و مواضع المحاضرة، فهذه بتلك، و قد انتظمت الجواهر النبوية فى سلك، و
لهان حمى للعطارة و طيس، بين مسك المداد و كافور القراطيس. فى أيها المعلم الأوحد، و العالم الذى لا تنكر أمامته و لا تجحد،
حوّمت على علم الملوّك، و لزمت بحلم طريق الحكم المسلوك، فلم تعد أمل الحكماء، و لم تعد إلّما بعمل العلماء، و قد قال
حكيمهم الفاضل، و عظيمهم الذى لا- مناظر له و لا- مفاضل: إذا خدمت الأمراء فكن بين استلطاف و استعطاف، تجنّ المعارف و
العوارف دانية القطاف، فتعلّم منهم و كأنك تتعلّم منهم، و ترويهم و كأنك تروى عنهم، فأجريت الباب، و امترت من العلم اللّباب، ثم
لم تبعد، فقد فعل النحويون ذلك فى يكرم، و يعد، و يعزّ، و لا غرو أن تقرأ على من هو دونك، و تستجيز الإجازة عن القوم العظام
يقصدونك. فهذا رسول الله صلى الله عليه و سلم، قد أمره الله بأن يقرأ على أبى بن كعب، فهل فى حىّ الخواطر الذكيّة من حىّ؟
فقال له، رضى الله عنه: الله أمرك أن تقرأ علىّ، و العناية الرّبانية تنادى إلىّ إلىّ، و إذا قال لى: من أحبّ مولاي، و استعار لزيّنته

حلاي:

فما على الحبيب من اعتراض وللطيب تصرف في الأمراض

قد يرحل المرء لمطلوبه والسبب المطلوب في الزاحل

عجت متواضعا، فما أبرمت في معاجك، ولا- ظلمت في السؤال نعجته إلى نعاكك، فإنه سرّ الله، لا يحلّ فيه الإفشاء، و حكمه الله البالغه، و الله يؤتي الحكمة من يشاء، و إن لبست من التواضع شعارا، و لبست عن الترفع تنبيها على السر المكتوم و إشعارا، فهذه الثريا من العجائب إذا ارتفعت في أعلى صعودها، و أسمى راياتها الخافقه و بنودها، نهاية وجودها الحسي عدم، و غاية وصفها الشبهي أن تشبهه بقدم، فإذا همّت بالركوع، و شمت في المغرب ريح الوقوع، كان لها من السمو القدح

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢١١

المعلّى، و عادت قرطا تترين به الآذان و تتحلّى:

و في الشرق كأس و في مغاربها قرط و في وسط السماء قدم

هذه آثار التواضع متلوّة السور، مجلوّة الصور، و كان بعضهم إذا أعطى الصدقة، يعطيها و يده تحت يد السائل، و هكذا تفهم المسائل. فإنه لما سمع النبوة تقول: اليد العليا خير من اليد السفلى، أراد أن يؤثر المقام الأعلى. و لما أعطى أبو بكر، رضى الله عنه، ماله كله، أعطى عمر، رضى الله عنه، النصف من المال، لا- احتياطا على ماله، و لكن ليقف لأبي بكر في مقام القصور عن كماله، تفويضا و تسليمًا، و تنبيها لمن كان له قلب و تعليما. و رؤى الدارقطنى، رحمه الله عليه، يجلس أباه بركابه، فلا ينكر عليه، فقيل له في ذلك، فقال: رأيت يبادر إلى فضيله، فكرهت مخالفته: [البسيط]

فوق السماء و فوق الزهر ما طلبوا و هم إذا ما أرادوا غاية نزلوا

و إلى هذا وصل الله حفظك، و أجزك من الخيرات حظك، فإنه وصلتني الكراسه المباركه، الدالّه على التفنن في العلوم و المشاركة، فينما أنا أتلو الإجازة، و أريق صدور البيان و إعجازه، ألقى إلى كتاب كريم، إنه من أبي الوليد، و إنه بسم الله الرحمن الرحيم، فحرت، و وقفت كأنتى سحرت، و قلت: ساحران تظاهرا معا، و أحدهما قاتلى، فكيف إذا اجتماعا: [الطويل]

فلو كان رمحا واحدا لا تقيته و لكنه رمح و ثان و ثالث

و من لعبت بشيمته المتانى فأحرى أن تطير به المثالث

و طار بى الشوق كلّ مطار، و قرأت سماء فكرتى سورة الانفطار، و كدت أصعد إلى السماء توقدا، و اختلط بالهواء توددا: [الكامل]

كانت جواهرنا أوائل قبل ذان فالآن صارت بالتحول ثوان

وجدت وراء الحسن و هى كثيفة فوجودهن الآن فى الأذهان

و لم يكف أن بهرت بالحسن الخلوب، حتى أمرت أن أنظم على ذاك الأسلوب، و بالحرى لذلك النثر البديع، الحريرى أو البديع، و لذلك النظم العجيب، المتنبى أو حبيب، و لذلك التصوف الرقيق، الحارث بن أسد ذى التحقيق. و أما الحديث، فما لك تقطع تلك المسالك، إلا أن العربية ليس لأحد معه فيها دليل،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢١٢

أستغفر الله إلا للخليل، لكن أصول الدين مجريه، تركت تلك الميادين. هناك الله جمع كل منقبه جليله، فترى الفضيله لا ترد فضيله، فمر الرديف و قد ركب غضنفرًا، أو المدعى صفة فضل، و كلّ الصييد فى جوف الفرا. من يزحم البحر يغرق، و من يطعم الشجر يشرق. و هل يبارى التوحيد بعمل، أو يجارى البراق بجمل؟ ذلك انتهى إلى سدره المنتهى، و هل انبرى ليلطم خده فى الثرى؟ لا تقاس الملائكة بالحدادين، و لا حكماء يونان بالفدادين. أفى طريق الكواكب يسلك، و على الفلك الأثير يستملك؟ أين الغد من الأمس، و ظلمة الغسق من وضح الشمس؟ و لو لا ثقتى بغمام فضلك الصيب، لتمثلت لنفسى بقول أبى الطيب: [الطويل]

إذا شاء أن يلهو بلحية أحرق أراه غباري ثم قال له الحق

فإن رضيت أيها العلم، فما لجرح إذا أرضاكم. ألم تر كيف أجرى أعوج بمغرب أهوج و أجرى ذا العقال بجحش في عقال؟ ظهر بهذه الظلمة، ذلك الضياء، و بضدها تتبين الأشياء. و ما يزكو بياض العاج حتى يضاف إلى سواد الأبنوس. ألفاظ تذوب رقة، و أغراض تملك حبّ الكريم و رقة الزهر، و الزهر بين بنان و بيان، و الدرّ طوع لسان و إحسان: [الوافر]

و قالوا ذاك سحر باهلي فقلت و في مكان الهاء باء

و أما محاسن أبي الوليد، فيقصر عنها أبو تمام و ابن الوليد: [المتقارب]

معان لبسن ثياب الجمال و هزت لها الغانيات القدودا

كسون عبيدا ثياب عبيدو أضحي لبيد لديها بليدا

و كيف أعجب من إجرائك لهذه الجياد، و أياديك من إباد؟ أورت هذه البراعة المساعدة، عن قس بن ساعدة؟ أجدك أنت الذي وصف رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال: كأنى أنظر إليه في سوق عكاظ على جمل أورك، و هو يقول أيها الناس: مطر و نبات، و آباء و أمهات، إلى قوله: [مجزوء الكامل]

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢١٣ لما رأيت موارد للموت ليس لها مصادر

أيقنت أنى لا محالة حيث صار القوم صائر

إيه بغير تمويه. رجع الحديث الأول إلى ما عليه المعول. سألتنى، أيها السيد الذى يجب إسعافه، أن أرغم أنف القلم حتى يجرى رعافه، و أن أكتحل جفون الأوراق بمداد الأتقلام، و أن أجمع الطروس و الأمدّة، بين إصباح و إظلام، و أطرز بياض السوسن بخضرة الآس، و أبرز العلم الأبيض تحت رايه بنى العباس، فقلت مبادرا ممتثلا، و جلت في ميدان الموافقة ممتثلا: [البسيط]

لبيك لبيك أضعافا مضاعفة إنى أجت و لكن داعى الكرم

أتى من المجد أمر لا مردّ له أمشى على الرأس فيه لا على القدم

دعاء و الله مجاب؛ و نداء ليس دونه حجاب: [المتقارب]

كتبت و لو أنى أستطيع لإجلال قدرك بين البشر

قددت البراعة من أنملى كأنّ المداد سواد البصر

نعم أجزت، سيدى الفقيه الأجل، الخطيب الأكرم، العالم العلم، الأوحد الأكمل، الحسيب الأحفل الأطول، أبا الوليد بن الفقيه الأجل، المعظم الموقر، المكرم المبارك الأظهر، المرحوم أبى زكريا يحيى بن سعيد بن قترى الأيادى القرمونى، و نبيه السادات النجباء المباركين، أبا القاسم أحمد، و أبا إسحاق إبراهيم، و أبا الحسين بتريا. و نعمت الأغصان و الشجرة، و الأفتان و الثمرة، أقر الله بهم أعين المجد، و لا زالوا بدورا فى مطالع السعد، و لا برحوا فى مكارم يجنون نوارها، و يجتلون أنوارها، و تفيض عليهم يد العناية الإلهية، نهرها الكوثرى و نهارها، جميع ما رويته قراءة و سماعا، و إجازة و مناولة، من العلوم على اختلافها، و تباين أصنافها، بأى وجه رويته، و على أى وصف تقلدته و دريته، و كذلك أجزتهم جميع ما قلته و أقوله، من مسطور و مرسوم، و منشور و منظوم، و تصرّفت فيه من منقول و مفهوم، و قصائد المسماء بالزوحانيات، و معشراتى الحبيبات، و ما نظمته من الوتريات، و شرحى لشعر أبى الطيب المسمى ب «ظهور الإعجاز بين الصدور و الأعجاز»، و كتابى المسمى «شمس البيان فى لمس البنان»، و الزهرة الفاتحة فى الزهرة اللاتحة، و نفع

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢١٤

الكلمات فى شرح المقامات، و اقتراح المتعلمين فى اصطلاح المتكلمين، و كتاب التّصوّر و التصديق، فى التوطية لعلم التحقيق، و

رقم الحلل، في نظم الجمل، و مفتاح الإحسان، في إصلاح اللسان. و ما أنشأته من السلطانيات نظما و نثرا، و خطابة و شعرا. و الله تعالى يجعل أعمالنا خالصة لوجهه بمته و كرمه، فليقل الفقيه الأجل، و بنوه الأكرمون، رضى الله عنهم، أنبأنا و أخبرنا و حدّثنا، أو ما شاءوا من ألفاظ الرواية، بعد تحرى الشروط المرعية، في الإجازات الشرعية، و إن ذهبوا حفظ الله كمالهم، و أراهم في الدارين آمالهم، إلى تسمية من لى من المشايخ، قدس الله أرواحهم، و زحزح عن النار أشباحهم:

فمنهم الأستاذ الخطيب الكبير، العالم الفاضل الجليل، البقّية الصالحة، آخر الأدباء، و خاتمة الفضلاء، أبو جعفر أحمد بن يحيى بن إبراهيم الحميرى القرطبى الدار، رضى الله عنه. قرأت عليه بقرطبة شعر أبى الطيب قراءة فهم لمعانيه، و إعراب لألفاظه؛ و تحقيق للغته، و تنقيح عن بديعه. و كذلك قرأت عليه أكثر شعر أبى تمام.

و سمعت عليه كتاب الكامل لأبى العباس المبرّد، و مقامات التميمى، كان يرويها عن منشئها، و كانت عنده بخط أبى الطاهر. و تفقّهت عليه «تبصرة الضمى». و كان على شياخته، رحمه الله، ثابت الذهن، مقبل الخاطر، حافظ المعنى: [الوافر]

يروع ركانه و يذوب ظرفا تدرى أ شيخ أم غلام
نأته بمقاطع الشعر فيصلحها لنا. و يقف على ما نستحسنه منها، فنجده أثبت منّا، و لقد أنشدته يوما، فى فتى مفقود العين اليسرى:
[الكامل]

لم تزو إحدى زهرتية و لا انثت عن نورها و بديع ما تحويه
لكنه قد رام يغلق جفنه ليصيب بالسهم الذى يرميه
فاستفادهما و حفظهما، و لم يزل، رحمه الله، يعيدهما مستحسننا لهما، متى وقع ذكرى. و كان يروى عن الإمام المازرى بالإجازة، و عن القاضى أبى مروان بن مسرّة، و عن الأستاذ عباس، و عن أبى عبد الله بن أبى الخصال.
و منهم الفقيه الأجل العالم العدل، المحدث الأكمل، المتفنن، الخطيب، القاضى أبو محمد بن حوط الله. سمعت عليه كتبا كثيرة بمالقة، بقراءة الفقيه الأستاذ أبى العباس بن غالب، و لقيته بقرطبة أيضا، و هو قاضيها. و حدّثنى عن جدّى، و عن جملة شيوخ، و له برنامج كبير، و أخوه القاضى الفاضل أبو سليمان أيضا منهم.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢١٥

و منهم الفقيه الأجل، العالم العلم، الأوحى، الأديب المتفنن، أبو على عمر بن عبد المجيد الأزدي، قرأت عليه القرآن العزيز مفردات، و كتاب الجمل، و الإيضاح، و سيبويه تفقّها، و كذلك الأشعار السّيرة تفقّها، و ما زلت مواظبا له إلى أن توفى رحمه الله. و كان فريد عصره فى الذكاء و الزكا. و لم يكن فى حلبة الأستاذ أبى زيد السّهلى أنجب منه على كثرتهم. و قد قال الأستاذ أبو القاسم السّهلى للإمام المنصور، رضى الله: هو أقعد لكتاب سيبويه منّا. و قال لى يوما، و قد نظر إلى طالب يصغى بكليته إلى ثان، فقلت: ما ذا؟ فقال: إن حبّ الشئ يعمى و يصمّ، فقلت له:

و يعيد الصّبح ليلا مدلهمّ، فاستحسنه.

و منهم الفقيه الأجل، الأديب الأريب الكامل، اللغوى الشهير، أبو على ابن كسرى المورى، قريبي و معلّمى. و كان من طلبه أبى القاسم السّهلى، و ممن نبغ صغيرا. و هو الذى أنشد فى طفولته السيد أبا إسحاق الكبير بإشيلية: [الكامل]

قسما بحمص و إنه لعظيم فهى المقام و أنت إبراهيم

و كان بالحضرة الأستاذ أبو القاسم السّهلى، فقام عند إتمامه القصيدة، فقال: لمثل هذا كنت أحسيك الحسا، و لمثل هذا كنت أوصل فى تعليمك الإصباح و الإمساء. و قد أنشد هذا الأمير المؤمنين أبى يعقوب، رضى الله عنه:

[الطويل]

أ معشر أهل الأرض بالطول و العرض بهذا أنادى فى القيامة و العرض

فقد قال الله فيك ما أنت أهله فيقضى بحكم الله فيك بلا نقض
فإياك يعنى ذو الجلال بقوله كذلك مكنا ليوسف فى الأرض

و منهم الفقيه الأجل، العالم المحدث، الحافظ الفاضل المؤثر، السيد أبو محمد القرطبي، قرأت عليه القرآن بالروايات مفردات، و تفقّهت فى الجمل و الأشعار، و أجازنى جميع ما رواه. و كذلك فعل كل واحد ممن تقدّم ذكره. و كان، رحمه الله، آخر الناس علما و نزاهة و حسن خلق، و جمال سمت و أبهة و وقار، و إتقان و ضبط، و جودة و حفظ.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢١٦

و منهم الفقيه الأجل، الحاج الفاضل، الشهيد فى كائنة العقاب، المحدث الورع، الزاهد الطاهر، أبو عبد الله بن حسين بن صاحب الصلاة الأنصارى، و عليه كان ابتدائى للقراءة، و كان مبارك التعليم، حسن التفهيم، شديد التواضع.

و منهم الفقيه الأجل الفاضل الورع، المحدث، الحاج الملهم، المجاب الدعوة، الميمون النقيبة، الأواب، أبو الحجاج بن الشيخ، رضى الله عنه. و هذا الكتاب على الإطالة منى، و لكن القرطاس فنى، و السلام الأتم عليكم، و رحمه الله و بركاته. قال ذلك، و كتبه العبد المعترف بذنبه، الراجى رحمه ربّه، محمد بن عبد الله الحميرى ثم الإستجى، فى أواسط شعبان المكرم من عام أحد و أربعين و ستمائة.

وفاته: من خطّ الوزير أبى محمد عبد المنعم بن سماك، قال: قدم غرناطة، أظنّ سنة تسع و ثلاثين و ستمائة، و شكى علّة البطن مدة ثمانية أشهر بدار أبى، رحمه الله، مرّضناه الثلاثة الأخوة، إلى أن توفى، رحمه الله، و دفن بمدفنه، مغنى الأدب، بروضة الفقيه أبى الحسن سهل بن مالك.

محمد بن أحمد بن على الهوارى

يكنى أبا عبد الله، و يعرف بابن جابر، من أهل ألمرية.

حاله: رجل كفيف البصر، مدلّ على الشعر، عظيم الكفاية و المنة على زمانته. رحل إلى المشرق، و تظافر برجل من أصحابنا يعرف بأبى جعفر الإلبيرى، صارا روحين فى جسد، و وقع الشعر منهما بين لحيى أسد، و شمرا للكديّة، فكان وظيف الكفيف النظم، و وظيف البصير الكتب، و انقطع الآن

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢١٧

خبرهما. و جرى ذكره فى الإكليل بما نصّه: محسوب من طلبتها الجله، و معدود فيمن طلع بأفقهها من الأهلّة، رحل إلى المشرق، و قد أصيب ببصره، و استهان فى جنب الاستفادة بمشقة سفره، على بيان عذره، و وضوح ضرّه.

شعره: و شعره كثير، فمنه قوله: [الطويل]

سلو مسرّ ذاك الخال فى صفحة الخدمتى رقموا بالمسك فى ناعم الورد

و من هزّ غصن القدّ منها لفتنتى و أودعه رمّانتي ذلك النهد

و من متّع القضب اللدان بوصلها إلى أن أعرن الحسن من ذلك القدّ

فتاة تفتّ القلب منى بمقله له رقة الغزلان فى سطوة الأسد

تمنيت أن تهدى إلى نهودها فقلت رأيت البدر يهداه أو يهدى

فقلت و للزمان بدّ من الجنى فتاهت و قالت باللواظ لا الأيدى

فقلت أليس القلب عندك حاصلًا؟ فقلت قلوب الناس كلهم عندي

و قلت اجعلينى من عبيدك فى الهوى فقلت كفانى كم لحسنى من عبد

إذا شئت أن أرضاك عبدا فمت جوى ولا تشتكى واصبر على ألم الصّد
 أ لم تر النحل يحمل ضرّها لأجل الذى تجنيه من خالص الشهد؟
 كذلك بذل النفيس سهل لذى التهى لما يكسب الإنسان من شرف الحمد
 أ لست ترى كفّ ابن جانه طالما أضع كريم المال فى طلب المجد
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢١٨

و من شعره أيضا قوله : [الكامل]

عزّج على بان العذيب و نادو أنشد فديتك أين حلّ فؤادى
 و إذا مررت على المنازل بالحمى فاشرح هنالك لوعتى و سهادى
 إيه فديتك يا نسيمه خبرى أرب الأخبه و الحمى و الوادى
 يا سعد، قد بان العذيب و بانه فانزل فديتك قد بدا إسعادى
 خذ فى البشاره مهجتى يوما إذا بان العذيب و نور حسن سعاد
 قد صحّ عيدى يوم أبصر حسنها و كذا الهلال علامه الأعياد

و ممّا نقلناه من خبر قيده لصاحبنا الفقيه الأستاذ أبى على منصور الزواوى، و ممّا ادعاه لنفسه : [الوافر]

علّى لكلّ ذى كرم ذمام ولى بمدارك المجد اهتمام
 و أحسن ما لددى لقاء حرّو صحبه معشر بالمجد هاموا
 و إنى حين أنسب من أناس على قمم النجوم لها مقام
 يميل بهم إلى المجد ارتياح كما مالت بشاربها المدام
 هم لبسوا أديم الليل برداليسفر من مرادهم الظلام
 هم جعلوا متون العيس أرفامذ عزموا الرّحيل فقد أقاموا
 فمن كلّ البلاد لنا ارتحال و فى كلّ البلاد لنا مقام
 و حول موارد العلياء منها لنا مع كلّ ذى شرف زحام
 تصيب سهامنا غرض المعالى إذا ضلّت عن الغوص السّهام

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢١٩ و ليس لنا من المجد اقتناع و لو أنّ النجوم لنا خيام

نزّه عرضنا عن كل لوم فليس يشين سؤددنا ملام
 و نبذل لا نقول العام ما ذاسواء كان خصب أو حطام
 إذا ما المحل عمّ بلاد قوم أثبناها فجاد بنا الغمام
 و إن حضر الكرام ففى يدينا ملاك أمورهم و لنا الكلام
 و فىنا المستشار بكل علم و ممّا اللّيث و البطل الهمام
 فميدان الكلام لنا مدهاو ميدان الحروب بنا يقام
 كلا الأمرين ليس له بقوم سوانا يوم نازله تمام
 يريق دم المداد بكل طرس و ليس سوى اليراع لنا سهام
 و كتب بالمتفقه العوالى بحيث الطرس لبات و هام
 إذا عبست وجوه الدهر ممّا إليها فانتنت و لها انتقام

لقد علمت قلوب الرّوم أنا أناس ليس يعوزنا مرام
و ليس يضيرنا أنا قليل لعمر أيبك ما كثر الكرام
إذا ما الزاية الحمراء هزّت نعم فهناك للحرب ازدحام
و ما أحمرت سدى بل من دماء ليس على جوانبها انسجام
تظلل من بنى نصر ملوكا حلال التّوم عندهم حرام
فكم قطعوا الدّجى فى وصل مجدو كم سهروا إذا ما الناس ناموا
أبا الحجاج لم تأت الليالى بأكرم منك إن عدّ الكرام
و لا حملت ظهور الخيل أمضى و أشجع منه إن هزّ الحسام
و أتى جئت من شرق لغرب و رمت بى الزمان كما ترام
و جرّبت الملوك و كل شخص تحدّث عن مكارمه الأنام
فلم أر مثلكم يا آل نصر جمال الخلق و الخلق العظام
و منها:

لأندلس بكم شرف و ذكر توذّ بلوغ أدناه الشّام
سعى صوب الغمام بلاد قومهم فى كل مجدبة غمام
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٢٠ إليك بها مهدّبة المعانى يرينها ابتسام و انتظام
لها لجناب مجدكم انتظام طواف و فى أركان إسلام الإحاطة فى أخبار غرناطة؛ ج ٢؛ ص ٢٢٠
زت و ما كادت، و قد وطى الإيطاء صروحكم، و أعياء الإكثار حارثها و سروجها، و الله ولىّ التّجاوز بفضله.

محمد بن أحمد بن الحدّاد الوادى آشى

يكنى أبا عبد الله.

حاله: شاعر مفلق، و أديب شهير، مشار إليه فى التعاليم، منقطع القرين منها فى الموسيقى، مضطلع بفكّ المعنى. سكن ألمرية، و اشتهر
بمدح رؤسائها من بنى صمادح. و قال ابن بسّام: كان أبو عبد الله هذا شمس ظهيرة، و بحر خبر و سيرة، و ديوان تعاليم مشهورة،
وضح فى طريق المعارف و ضوح الصّبح المتهلّل، و ضرب فيها بقدرح ابن مقبل، إلى جلاله مقطع، و أصالة منزع، ترى العلم ينمّ على
أشعاره، و يتبين فى منازعه و آثاره.

تواليفه: ديوان شعر كبير معروف. و له فى العروض تصنيف، مزج فيه بين الأنحاء الموسيقية، و الآراء الجليّة.
بعض أخباره: حدّث بعض المؤرخين ممّا يدلّ على ظرفه أنه فقد سكنا عزيزا عليه، و أحوجت الحال إلى تكلف سلوة، فلما حضر
الندماء، و كان قد رصد الخسوف بالقمر، فلما حقّق أنه قد ابتداء، أخذ العود

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٢١

و غنى: [المتقارب]

شقيقك غيب فى لحدّه و تشرق يا بدر من بعده

فهلاً خسفت و كان الخسوف حدادا لبست على فقده؟

و جعل يردّدها، و يخاطب البدر، فلم يتمّ ذلك إلّا و اعترضه الخسوف، و عظم من الحاضرين التعجّب. قال: و كان منى فى صباه
بصبيّة من الرّوم، نصرانية، ذهبت بلبّه و هواه، تسمى نويرة، افتضح بها، و كثر نسيبه.

شعره: قال في الغرض المذكور: [الطويل]
 حديثك ما أحلى! فزیدی و حدّثی عن الرّشّ الفرد الجمال المثلث
 و لا تسأمی ذکراه فالذکر مؤنسی و إن بعث الأشواق من کلّ مبعث
 و بالله فارقی خبل نفسی بقوله و فی عقد و جدی بالإعادة فانفثی
 أ حقًا و قد صرّحت ما بی أنه تبسّم كاللاهی، بنا، المتعبّث
 و أقسم بالإنجیل إنی شابق و ناهیك دمعی من محقّ محنّث
 و لا بدّ من قصّی علی القسّ قصّتی عساه مغيث المذنف المتغوّث
 و لم یأتهم عیسی بدين قساوة فيقسو علی بّثی و يلهو بمكرث
 و قلبی من حلی التجلّد عاطل هوی فی غزال الوادین المرعّث
 سیصبح سرّی كالصباح مشهراو یمسی حدیثی عرضة المتحدّث
 و یغری بذکری بین کأس و روضه و یشدو بشعری فوق مثنی و مثلث
 الإحاطة فی أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٢٢

و من شعره فی الأمداح الصّماحية: [الطويل]
 لعلّك بالوادی المقدّس شاطیء و كالعنبر الهندی ما أنت واطیء
 و إنی فی ریّاك و اجد ریحهم فروح الجوی بین الجوانح ناشیء
 ولی فی السّری من نارهم و منارهم هداة حداة و النجوم طوافیء
 لذلك ما حتّ ركابی و حمحمت عرابی و أوحى سیرها المتباطیء
 فهل هاجها ما هاجنی؟ أو لعلّها إلی الوخد من نیران و جدی لواجیء
 رویدا فذا وادی لیینی و إنه لورد لباناتی و إنی لظامیء
 میادین تهیامی و مسرح ناظری فللشوق غایات لها و مبادیء
 و لا تحسبوا غیدا حمتها مقاصر فتلك قلوب ضمّتها جآجیء
 و منها:

محا ملّة السّلوان مبعث حسنه فكلّ إلی دین الصّباية صابیء
 فكیف أرفی كلم طرفك فی الحشاو لیس لتمزیق المهند رافیء؟
 و ما لی لا أسمو مرادا و همّة و قد كرمت نفس و طابت ضآضیء؟
 و ما أخرتني عن تناه مبادیء و لا قصّرت بی عن تباه مناشیء
 و لكنّه الدّهر المناقض فعله فذو الفضل منحطّ و ذو النقص نامیء
 كأنّ زمانی إذ رآنی جذيله یلابسنی منه عدوّ ممالیء
 فداریت إعتابا و دارأت عاتبوا لم یغنی أنى مدار مداریء
 فألقيت أعباء الزمان و أهله فما أنا إلّا بالحقائق عابیء
 و لازمت سمت الصّمت لاعن فدامة فلی منطق للسمع و القلب صابیء
 و لو لا علا الملك ابن معن محمدا برحت أصدافهنّ اللآلیء
 لآلیء إلا أنّ فکری غائص و علمی ذو ماء و نطقی شاطیء

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٢٣ تجاوز حدّ الوهم و اللّحظ و المنى و أعشى الحجا لألاؤه المتلاليء
فتنعكس الأبصار و هي حواسرو تنقلب الأفكار و هي خواسىء
و قال من أخرى: [الكامل]
أقبلن في الحبرات يقصرن الخطاويرين في حلال الوراشين القطا
سرب الجوى لا الجوى عود حسنه أن يرتعى حبّ القلوب و يلقطا
مالت معافهنّ من سكر الصباميليا يخيف قدودها أن تسقطا
و بمسقط العلمين أوضح معلم لمهفهف سكن الحشا و المسقطا
ما أخجل البدر المنير إذا مشى يختال و الخوط النصير إذا خطا
و منها في المدح:

يا وافدى شرق البلاد و غربها أكرمتما خيل الوفادة فاربطا
و رأيتما ملك البرية فاهنا و وردتما أرض المريئة فاحططا
يدمى نحور الدارين إذا ارتأى و يذلّ عزّ العالمين إذا سطا
و إحسانه كثير. دخل غرناطة، و من بنات عملها وطنه، رحمه الله.

محمد بن إبراهيم بن خيرة

يكنى أبا القاسم. و يعرف بابن المواعيني، حرفة أبيه، من أهل قرطبة.
و استدعاه السيد أبو سعيد الوالى بغرناطة إليه، فأقام عنده مدة من عامين فى جملة من الفضلاء مثله.
حاله: قال ابن عبد الملك: كان كاتباً بليغاً، شاعراً مجيداً، استكتبه أبو حفص بن عبد المؤمن، و حظى عنده حظوة عظيمة، لصهر كان
بينهما بوجه ما،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٢٤
و نال فيه جاها عظيماً، و ثروة واسعة. و كان حسن الخطّ رائقه، سلك فيه فى ابتدائه مسلك المتقن أبى بكر بن خيرة.
مشيخته: روى عن أبى بكر بن عبد العزيز، و ابن العربى، و أبى الحسن شريح، و يونس بن مغيث، و أبى عبد الله حفيد مكى، و ابن
أبى الخصال، و ابن بقى.
تواليفه: له تصانيف تاريخية و أدبية منها «ريحان الآداب»، و ريعان الشباب» - نظير له. و «الوشاح المفضل». و كتاب فى الأمثال
الساخرة. و كتاب فى الأدب نحا فيه منحى أبى عمر بن عبد البرّ فى «بهجة المجالس».
وفاته: توفى بمراكش سنة أربع و ستين و خمسمائة.

محمد بن إبراهيم بن على بن باق الأموى

مرسى الأصل، غرناطى النشأة، ملقى الإسكان، يكنى أبا عبد الله.
حاله: من عائد الصلة: كان، رحمه الله تعالى، كاتباً أديباً ذكياً، لودعياً، يجيد الخطّ، و يرسل النادرة، و يقوم على العمل، و يشارك
فى الفريضة.

و بدّد السبّاق فى الأدب الهزلى المستعمل بالأندلس. عمر زمانا من عمره، محارفاً للفاقة، يعالج بالأدب الكدية، ثم استقام له الميسم، و
أمكنه البخت من امتطاء غاربه، فأنشبت الحظوة فيه أناملها بين كاتب و شاهد و محاسب و مدير تجر، فأثرى و نما ماله، و عظمت

حاله، و عهد عندما شارف الرحيل بجملة تناهز الألف من العين، لتصرف في وجوه من البر، فتوهم أنها كانت زكاة امتسك بها.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٢٥

و جرى ذكره في التاج بما نصّه: مدير أكواس البيان المعتق، و لعوب بأطراف الكلام المشقق، انتحل لأول أمره الهزل من أصنافه، فأبرز درّ معانيه من أصدافه، و جنى ثمرة الإبداع لحين قطافه. ثم تجاوزه إلى المعرب و تخطاه، فأدار كأسه المترع و عاطاه، فأصبح لفتيه جامعا، و في فلكيه شهابا لامعا، و له ذكاء يطير شرره، و إدراك تبليج غرره، و ذهن يكشف الغوامض، و يسبق البارق الوامض، و على ذلاقة لسانه، و انفساح أمد إحسانه، فشديد الصبابة بشعره، مغل لسعره.

شعره: أخبرني الكاتب أبو عبد الله بن سلمة، أنه خاطبه بشعر أجابه عنه بقوله، في رويّه: [الخفيف]

أحرز الخصل من بنى سلمه كاتب تخدم الطباً قلمه

يحمل الطرس عن أنامله أثر الطرس كلما رقمه

و تمدّ البيان فكرته مرسلا حيث يمت ديمه

خصني متحفا بخمس إذابسم الرّوض ففن مبتسمه

قلت أهدي زهر الرّبا خضلا فإذا كلّ زهرة كلمه

أقسم الحسن لا يفارقها فأبرّ انتقاؤها قسمه

خطّ أسطارها و نمتها فأتت كالقعود منتظمه

كاسيا من حلاه لى حلال رسمها من بديع ما رسمه

طالباً عند عاطش نهلاولديه الغيوث منسجمه

يبتغي الشعر من أخى بله أحرص العمى و القصور فمه

أيها الفاضل الذي حمدت ألسن المدح و الثنا شيمه

لا تكلف أخاك مقترحانشر عار لديه قد كتبه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٢٦ وابق في عزّة و في دعه صافى العيش و اردا شيمه

ما ثنى العصن عطفه طرباوشدا الطير فوقه نغمه

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، و الخطيب أبي عثمان بن عيسى.

وفاته: توفي بمالقة في اليوم الثامن و العشرين لمحرم عام اثنين و خمسين و ستمائة، و أوصى بعد أن حفر قبره بين شيخيه الخطيبين

أبي عبد الله الطنجالي و أبي عثمان بن عيسى، أن يدفن به، و أن يكتب على قبره هذه الأبيات:

[الطويل]

ترحم على قبر ابن باق وحيه فمن حقّ ميت الحيّ تسليم حيه

و قل آمن الرحمن روعه خائف لتفريطه في الواجبات وغيه

قد اختار هذا القبر في الأرض راجيا من الله تخفيفا بقرب وليه

فقد يشفع الجار الكريم لجاره و يشمل بالمعروف أهل نديه

و إني بفضل الله أوثق واثق و حسبي و إن أذنت حبّ نبيّه

محمد بن إبراهيم بن سالم بن فضيلة المعافى

من أهل المريّة، يدعى بالبيو، و يكنى أبا عبد الله.

حاله: من الإكليل الزاهر: شيخ أخلاقه لينة، و نفسه كما قيل هينة، ينظم الشعر سهلا مساقه، محكما أتساقه، على فاقه ما لها من إفاقة.

أنشد السلطان

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٢٧

بظاهر بلده قوله: [الطويل]

سرت ريح نجد من ربي أرض بابل فهاجت إلى مسرى سراها بلابلى
و ذكرنى عرف النسيم الذى سرى معاهد أحباب سراة أفاضل
فأصبحت مشغوفا بذكرى منازل ألفت، فوا شوقى لتلك المنازل
فيا ريح هبى بالبطاح و بالزباو مرى على أغصان زهر الخمائل
و سيرى بجسمى للتى الروح عندها فروحى لديها من أجلّ الوسائل
و قولى لها عنى معنأك بالهوى له شوق معمود و عبرة ناكل
فيا بأبى هيفاء كالغصن تنثنى بقدّ يقدّ كاد ينقدّ مائل
فتاء براها الله من فتنه فمن رآها و لم يفتن فليس بعائل
لها منظر كالشمس فى رونق الصّحاو لحظ كحيل ساحر الطّرف بابلى
بطيب شذاها عطّرت كلّ عاطر كما بحلاها زينت كلّ عاطل
رمتنى بسهم من سهام جفونها فصادف ذاك السهم منى مقاتلى
فظلت غريقا فى بحار من الهوى و ما الحبّ إلّا لجة دون ساحل
فيا من سبت عقلى و أفنت تجلدى صلينى فإنّ البعد لا شكّ قاتلى
فلى كبد شوقى إليك تفطّرت و قلب بنيران الجوى فى مشاعلى
ولى أدمع تحكى ندا كف يوسف أمير العلى الأرضى الجميل الفضائل
إذا مدّ بالجود الأنامل لم تزل بحور الندى تهمنى بتلك الأنامل
و من شعره قوله من قصيدة: [الكامل]

بهرت كشمس فى غلاله عسجدو كبدر تمّ فى قضيب زبرجد

ثم انتنت كالغصن هزّته الصّباطر بافتزرى بالغصون الميّد

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٢٨ حوراء بارعة الجمال غريرة تزهى فتزرى بالقضيب الأملد

إن أدبرت لم تبق عقل مدبر أو أقبلت قتلت و لكن لا تدى

تواليفه: قال شيخنا أبو البركات: و ابتلى باختصار كتب الناس، فمن ذلك مختصره المسمّى ب «الدّر المنظومة الموسومة»، فى اشتقاق

حروف الهجا المرسومة، و كتاب فى حكايات تسمى «روضه الجنان»، و غير ذلك.

وفاته: توفى فى أواخر رمضان من عام تسعة و أربعين و سبعمائه، و دخل غرناطة غير مرة.

محمد بن إدريس بن على بن إبراهيم بن القاسم

إشارة

من أهل جزيرة شقر، يكنى أبا عبد الله، و يعرف بابن مرج الكحل.

حاله: كان شاعرا مقلقا غزلا، بارع التوليد، رقيق الغزل. و قال الأستاذ أبو جعفر: كان شاعرا مطبوعا، حسن الكفاية، ذا كرا للأدب، متصرفا فيه. قال ابن عبد الملك: و كانت بينه و بين طائفة من أدباء عصره مخاطبات، ظهرت فيها إجادته.

و كان مبتذلا للباس، على هيئة أهل البادية، و يقال إنه كان أميا.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٢٩

من أخذ عنه: روى عنه أبو جعفر بن عثمان الوزاد، و أبو الربيع بن سالم، و أبو عبد الله بن الأبار، و ابن عسكر، و ابن أبي البقاء، و أبو محمد بن عبد الرحمن بن برطلة، و أبو الحسن الرعيني.

شعره و دخوله غرناطة

قال في عشية بنهر الغداق، خارج بلدنا لوشة بنت الحضرة، و المحسوب من دخلها فقد دخل إلبيرة، و قد قيل: إن هذا النهر من أحواز برجة، و هذا الخلاف داع إلى ذكره: [الكامل]

عرج بمنعرج الكتيب الأعفر بين الفرات و بين شط الكوثر

و لنتبقتها قهوة ذهبيته من راحتي أحوى المرافش أحور

و عشية قد كنت أرقب وقتها سمحت بها الأيام بعد تعذر

نلنا بها آمالنا في روضة تهدي لناشقتها شميم العنبر

و الدهر من ندم يسفه رأيه فيما مضى منه بغير تكدر

و الورق تشدو و الأراكة تنشي و الشمس ترفل في قميص أصفر

و الزوض بين مفضض و مذهب و الزهر بين مدرهم و مدتر

و النهر مرقوم الأباطح و الرّبي بمصنل من زهره و معصفر

و كأنه و كأنّ خضرة شطه سيف يسل على بساط أخضر

و كأنما ذاك الحجاب فرنده مهما طفا في صفحة كالجوهر

و كأنه، و جهاته محفوفة بالآس و النعمان، خد معدر

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٣٠ نهر يهيم بحسنه من لم يهيم و يجيد فيه الشعر من لم يشعر

ما اصفر وجه الشمس عند غروبها إلا لفرقة حسن ذاك المنظر

و لا خفاء ببراعة هذا النظم . و قال منها :

أرأت جفونك مثله من منظر ظلّ و شمس مثل خد معدر

و هذا تتميم عجيب لم يسبق إليه. ثم قال منها:

و قرارة كالعشر بين خميلة سالت مذانها بها كالأسطر

فكأنها مشكولة بمصنل من يانع الأزهار أو بمعصفر

أمل بلغناه بهضب حديقة قد طرّزته يد الغمام الممطر

فكأنه و الزهر تاج فوقه ملك تجلى في بساط أخضر

راق التواظر منه رائق منظر يصف النضارة عن جنان الكوثر

كم قاد خاطر خاطر مستوفزو كم استفزّ جماله من مبصر

لولا لى فيما تقدّم لم أقل (عرج بمنعرج الكتيب الأعفر)

قال أبو الحسن الرعيني، و أنشدني لنفسه : [الكامل]
 و عشية كانت قنيسة فتية ألفوا من الأدب الصريح شيوخا
 فكأنما العنقاء قد نصبوا لها من الانحناء إلى الوقوع فخوخا
 شملتهم آدابهم فتجاذبوا سر السرور محدثا و مصيخا
 و الورق تقرأ سيرة الطرب التي ينسبك منها ناسخا منسوخا
 و النهر قد صفحت به نارنجة فتيمة من كان فيه منيخا
 فتخالهم حلل السماء كواكب اقد قارنت بسعودها المريخا
 خرق العوائد في السرور نهارهم فجعلت أبياتي لهم تاريخا
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٣١
 و من أبياته في البديهة : [الوافر]

و عندي من مرافقها حديث يخبر أن ريقها مدام
 و في أجفانها السكرى دليل و ما ذقنا و لا زعم الهمام
 تعالى الله ما أجرى دموعي إذا عنت لمقلتي الخيام
 و أشجاني إذا لاحت بروق و أطربني إذا عنت حمام
 و من قصيدة : [الطويل]

عذيري من الآمال خابت قصودها و نالت جزيل الحظ منها الأخابث
 و قالوا: ذكرنا بالغنى، فأجبتهم خمولا و ما ذكر مع البخل ما كث
 يهون علينا أن يبيد أثائنا و تبقى علينا المكرمات الأثاث
 و ما ضر أصلا طيبا عدم الغنى إذا لم يغيره من الدهر حادث
 و له يتشوق إلى أبي عمرو بن أبي غياث: [الوافر]
 أبا عمرو متى تقضى الليالي بلياقم و هن قصص ريشي
 أبت نفسى هوى إلّا شريشا و ما بعد الجزيرة من شريش
 و له من قصيدة : [الكامل]

طفل المساء و للنسيم تضرع و الأنس ينظم شملنا و يجمع
 و الزهر يضحك من بكاء غمامة ريعت لشيم سيوف برق تلمع
 و النهر من طرب يصفق موجه و الغصن يرقص و الحمامة تسجع
 فانعم أبا عمران و اله بروضة حسن المصيف بها و طاب المربع
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٣٢ يا شادن البان الذى دون النقاحيث التقى وادى الحمى و الأجرع
 الشمس يغرب نورها و لربما كسفت و نورك كل حين يسطع
 إن غاب نور الشمس بتنا نتقى بسناك ليل تفرق يتطلع
 أفلت فناب سناك عن إشراقها و جلا من الظلماء ما يتوقع
 فأمنت يا موسى الغروب و لم أقل «فوددت يا موسى لو أنك يوشع»
 و قال : [الطويل]

ألا بشروا بالصبح من كان باكياً أضرب به الليل الطويل مع البكا
ففى الصبح للصبّ المتيم راحة إذا الليل أجرى دمه و إذا شكا
و لا عجب أن يمسك الصبح عبرتى فلم يزل الكافور للدم ممسكا
و من بديع مقطوعاته قوله : [الرميل]

مثل الرزق الذى تطلبه مثل الظل الذى يمشى معك
أنت لا تدركه متبعا فإذا وليت عنه أتبعك
و قال : [الطويل]

دخلتم فأفسدتم قلوبا بملككم فأنتم على ما جاء فى سورة النمل
و بالعدل و الإحسان لم تتخلقوا فأنتم على ما جاء فى سورة النحل
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٣٣

و قال أبو بكر محمد بن محمد بن جهور: رأيت لابن مرج الكحل مرجا أحمر قد أجهد نفسه فى خدمته فلم ينبج، فقلت : [البسيط]
يا مرج كحل و من هذى المروج له ما كان أحوج هذا المرج للكحل
يا حمرة الأرض من طيب و من كرم فلا تكن طمعا فى رزقها العجل
فإن من شأنها إخلاف آملها فما تفارقها كيفية الخجل
فقال مجيبا بما نصّه : [البسيط]

يا قائلا إذ رأى مرجى و حمرة ما كان أحوج هذا المرج للكحل
هو احمرار دماء الرّوم سيّلهما بالبيض من مرّ من آبائى الأول
أحبته أن حكى من فتنت به فى حمرة الخدّ أو إخلافه أملى
وفاته: توفى ببلده يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة أربع و ثلاثين و ستمائة، و دفن فى اليوم بعده.

حمد بن محمد بن أحمد الأنصارى

من أهل مرسية، يكنى أبا عبد الله، و يعرف بابن الجنان .

حاله: كان محدثا راوية، ضابطا، كاتباً بليغا، شاعرا بارعا، رائق الخط، دينا فاضلا، خيرا، زكيا . استكتبه بعض أمراء الأندلس، فكان
يتبرّم من ذلك، و يقلق منه. ثم خلّصه الله تعالى منه. و كان من أعاجيب الزمان فى إفراط القماءة ، حتى يظنّ رائيه إذا استدبره أنه
طفل ابن ثمانية أعوام أو نحوها، متناسب الخلقة، لطيف الشمائل، و قورا. خرج من بلده حين تمكّن العدو من بيضته عام أربعين.
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٣٤

و ستمائة، فاستقرّ بأوريولة ، إلى أن استدعاه إلى سبته الرئيس بها ، أبو على بن خلاص ، فوفد عليه، فأجلّ وفادته، و أجزل إفادته، و
حظى عنده حظوة تامّة. ثم توجه إلى إفريقية، فاستقرّ ببجاية. و كانت بينه و بين كتاب عصره مكاتبات ظهرت فيها براعته.
مشيخته: روى ببلده و غيرها عن أبى بكر عزيز بن خطاب، و أبى الحسن سهل بن مالك، و ابن قطرال، و أبى الربيع بن سالم، و أبى
عيسى بن أبى السداد، و أبى على الشلوبين، و غيرهم.

من روى عنه: روى عنه صهره أبو القاسم بن نبيل، و أبو الحسن محمد بن رزيق.

شعره: قال القاضى أبو عبد الله بن عبد الملك: و كان له فى الزهد، و مدح النبى صلى الله عليه و سلم، بدائع، و نظم فى المواعظ
للمذكّرين كثيرا. فمن ذلك قوله فى توديع رمضان و ليلة القدر: [الطويل]

مضى رمضان كأن بك قد مضى و غاب سناه بعد ما كان أومضا
 فيا عهدة ما كان أكرم معهداو يا عصره أعزر على أن انقضا
 ألم بنا كالطيف في الصيف زائرافخيم فينا ساعة ثم قوضا
 فياليت شعري إذ نوى غربه الثوى أ بالسخط عنا قد تولى أم الرضا؟
 قضى الحق فينا بالفضيلة جاهدافأى فتى فينا له الحق قد قضا؟
 و كم من يد بيضاء أسدى لذي تقى بتوبته فيه الصحائف بيضا
 و كم حسن قد زاده حسنا و سنامحاه و بالإحسان و الحسن عوضا
 فله من شهر كريم تعرّضت مكارمه إلا لمن كان أعرضا
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٣٥ نفى بينه و بين شجوك معلماو في إثره أرسل جفونك فيضا
 وقف بثنيات الوداع فإنها تمحص مشتاقا إليها و تمحضا
 و إن قضيت قبل التفرق وقفه فمقضيها من ليلة القدر ما قضى
 فيا حسنها من ليلة جل قدرها و حض عليها الهاشمي و حرّضا
 لعل بقايا الشهر و هي كريمة تبين سزا للأواخر أغمضا
 و قد كان أضفى ورده كى يفيضه و لكن تلاحي من تلاحي فقيضا
 و قال اطلبوها تسعدوا بطلابها فحرّك أرباب القلوب و أنهضا
 جزى الله عنا أحمدا للجزاء على كرم أضفاه بردا و فضفضا
 و صلّى عليه من نبى مبارك رؤوف رحيم للرسالة مرتضى
 له عزّة أعلى من الشمس منزلا و عزمته أمضى من السيف منتضى
 له الذكر يهيم فض مسك ختامه تأرج من ريا فضائله الفضا
 عليه سلام الله ما انهل ساكب و ذهب موشى الرياض و فضضا
 و من ذلك قصيدة في الحج: [الطويل]

مذاكرة الذكرى تهيج اللواعجا فعالجن أشجانا يكاثرن عالجا
 ركابا سرت بين العذيب و بارق نوافيج في تلك الشعاب نواعجا
 تيممن من وادى الأراك منازل يطربنها في الأراك سجاسجا
 لهن من الأشواق حاد فإن ونت حداه يرجعن الحنين أهازجا
 الأباى تلك الركاب إذا سرت هوادى يملأن الفلاة هوادجا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٣٦ براهم سوامح أو سراهم فأصبحوارسوما على تلك الرسوم عوالجا
 لهم فى منى أسنى المنا ولدى الصفايرجون من أهل الصفاء المناهجا
 سما بهم طوف بيت طامح أراهم قبابا للعلى و معارجا
 فأبدوا من اللوعات ما كان كامناو أذروا دموعا بل قلوبا مناضجا
 و لما دنوا نودوا هتيا و أقبلوا إلى الركن من كل الفجاج أدراجا
 و قضا بتقبيل الجدار و لشمه حقوقا تقضى للنفوس حوائجا
 إذا اعتنقوا تلك المعالم خلتهم أساور فى إيمانها و جهالجا

فَلله ركب يَمَموا نحو مكة لقد كرموا قصدا و حلوا مناسجا
 أناخوا بأرجاء الرّجاء و عزّسوا فأصبح كلّ مايز القدح فالجا
 فبشرى لهم كم خوّلوا من كرامة فكانت لما قدّموه نتائج
 بفتحهم باب القبول و للرّضا و وفدهم أضحي على الباب و الجا
 تميز أهل السّبق لكنّ غيرهم غدا همجا بين الخليقة هامجا
 أ يلحق جلس للبيوت مداهم و لم يله في تلك المدارج دارجا؟
 ألا ليت شعري للضرورة هل أرى إلى الله و البيت المحجّب خارجا؟
 له الله من ذى كربة ليس يرتجى لمرتجها يوما سوى الله فارجا
 قد أسهمت شتى المسالك دونه فلا نهج يلقي فيه لله ناهجا
 يخوض بحار الدّنب ليس يهابها و يصعق ذعرا إن يرى البحر هائجا
 جبان إذا عنّ الهدى و إذا الهوى يعنّ له كان الجرىء المهارجا
 يتيه ضلالا في غيابه همّه فلا حجر تهديه لرشد و لا حجا
 فواحربا لاح الصباح لمبصرو قلبى لم يبصر سوى الليل إذ سجا
 لعلّ شفيعى أن يكون معاجلا لداء ذنوب بالشّفاء معالججا
 فينشقنى بيت الإله نوافحا و يعبق لى قبر النّبى نوافجا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٣٧ فما لى لإمالتى سوى حبّ أحمد و وصلت له من قرب قلبى و شائجا
 عليه سلام الله من ذى صبا به حليف شجا يكتى من البعد ناشجا
 و لو أنصفت أجفانه حقّ و جدده سفكت دما للدموع موازجا
 كتابته: و كتابته شهيرة، تضرب بذكره فيها الأمثال، و تطوى عليه الخناصر.

قالوا: لما عقد أمير المسلمين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود البيعة لابنه الواثق بالإمارة من بعده، تولّى إنشاءها، و جعل الحاء
 المهملة سجعا مردفا إياها بالألف، نحو «صباحا» و «صلاحا»، و ما أشبه ذلك، طال مجموعها فناهزت الأربعين، و طاب مسمعها،
 فأحرزت بغية المستمعين، فكتب إليه أبو المطرف ابن عميرة، رسالته الشهيرة، يداعبه فى ذلك، و هى التى أولها:
 «تحبيك الأقالم تحية كسرى، و تقف دون مداك كسرى»، و منها فى الغرض:

«و ما لك أمنت تغيير الحالات، فشنت غارتك على الحاءات، و نفضت عنها المهارق، و بعثت فى طلبها السوابق، و لفظتها من الأفواه،
 و طلبتها بين الشّفاء، حتى شهد أهل اللسان بتزحزحها عن ذلك المكان، و توارت بالحلوق، و لو تغلغت إلى العروق، لآثرتها جياذك،
 و اقتنصها قلمك و مدادك». و هى طويلة.

فراجع بقوله: «ما هذه التحية الكسروية؟ و ما هذا الرأى و ما هذه الروية؟

أ تنكيت من الأقالم؟ أم تنكيت من الأعلام؟ أم كلا الأمرين توجه القصد إليه، و هو الحق مصدقا لما بين يديه؟ و إلّا فعهدى بالقلم
 يتسامى عن عكسه، و يترامى إلى الغاية البعيدة بنفسه، فمتى لانت أنابيه للعاجم، و دانت أعاربه بدين الأعاجم؟
 و اعجبا لقد استنوق الجمل، و اختلف القول و العمل، لأمر ما جدع أنفه قصير، و ارتدّ على عقبه الأعمى أبو بصير. أمس أستسقى من
 سحابه فلا يسقيني، و أستشفى بأسمائه فلا يشفينى. و اليوم يحلنى محلّ أنو شروان، و يشكو منى شكوى اليزيدية

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٣٨

من بنى مروان، و يزعم أنى أبطلت سحره كما أبطل سحر بردوران، و يخفى فى نفسه ما الله مبديه، و يستجدى بالأثر ما عند

مستجديه. فمن أين جاءت هذه الطريقة المتبعة، والطريقة المبتدعة، أ يظن أن معناه لا يفك، وأنه لا يتجلى هذا الشك؟ هل هذا منه إلا إمحاض التيه، وإمحاض تفتيه، ونشوة من خمرة الهزل، ونخوة من ذى ولاية آمن العزل؟ تالله لو لا محلّه من القسم، وفضله فى تعليم التسم، لأسمعت ما ينقطع به صلفه، وأودعته ما ينصدع به صدفه، وأشدت بشرف المشرقى ومجده، وأشرت إلى تعاليه عن اللب بجده. ولكن هو القلم الأول، فقله على أحسن الوجوه يتأول، ومعدود فى تهذيبه، كل ما لسانه يهذى به. وما أنسانيه، إلا الشيطان أياديه، أن أذكرها، وأما أقول: [البسيط]

ليت التحية كانت لى فأشكرها ولا- عتب إلما على الحاء، المبرحة بالبرحاء، فهى التى قيمت قيامتى فى الأندية، وقامت على قيام المعتدية، يتظلم وهو عين الظالم، ويلين القول وتحتة سم الأرقام، ولعمر البراعة وما نصعت، والبراعة وما صنعت، ما خامرنى هواها، ولا- كلفت بها دون سواها. ولقد عرضت نفسها على مرارا، فأعرضت عنها ازورارا، ودفعتها عنى بكل وجه، تارة بلطف وأخرى بنجه،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٣٩

وخفت منها السامة، وقلت انكحى أسامة. فرضيت منها بأبى جهم وسوء سلكته، وابن أبى سفيان وصلكته، وكانت أسرع من أم خارجة للخطبة، وأسمح من سجاح فى استنجاح تلك الخطبة. ولقد كنت أخاف من انتقال الطباع فى عترتها، واستثقال الاجتماع من عترتها، وأرى من الغين والسفاه، أخذها وترك بنات الأفواه والسفاه، إذ هى أيسر مؤونة، وأكثر معونة، فغلطى فيها أن كانت بمنزل تتوارى صونا عن الشمس، ومن نسوة خفريات لا- ينطقن إلما بالهمس، ووجدتها أطوع من البنان للكف، والعنان للوكف، والمعنى للاسم، والمغنى للرسم، والظلل للشخص، والمستبدل للنص. فما عرفت منها إلما خيرا أراضاه، حتى حسبته من الحافظات للغيب بما حفظ الله، فعجبت لها الآن كيف زلت نعلها، ونشرت فنشرت ما استكتمها بعلمها، واضطربت فى رأيها اضطراب المختار بن أبى عبيد، وضربت فى الأرض تسعى على بكل مكر وكيد، وزعمت أن حرف الجيم خدعها، وألان أخدعها، وأخبرها أن سيبلغ بخبرها الخابور، وأحضرها لصاحبها كما أحضر بين يدي قيصر سابور، فقد جاءت إفكا وزورا، وكثرت من أمرها شزورا، وكانت كالقوس أرنت وقد أصمت القنيص، والمرادة قالت ما جزاء وهى التى قادت الإحاطة فى أخبار غرناطة؛ ج ٢، ص ٢٣٩

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٤٠

القنيص، وربما يظن بها الصدق، وظن الغيب ترجيم، ويقال: لقد خفضت الحاء بالمجاورة لهذا الأمر الجسيم، وتنتصر لها أختها التى خيتمت بين النرجسة والزيجانة، وختمت السورة باسم جعلت ثانيه أكرم نبي على الله سبحانه، فإن امتعضت لهذه المتظلمة، تلك التى سبقت بكلمتها بشاره المتكلمة، فأنا ألوذ بعدلها، وأعوذ بفضلها، وأسألها أن تقضى قضاء مثلها، وتعمل بمقتضى:

فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا عَلَى أَنْ هَذِهِ الَّتِي قَدْ أَبَدت مِينَهَا، وَنَسِيتَ الْفَضْلَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا، أَنْ قَالَ الْحَكَمَانُ: مِنْهَا كَانَ النَّشُوزُ، عَادت حُرُورِيَّةُ الْعَجُوزِ، وَقَالَتْ: التَّحَكُّمُ فِي دِينِ اللَّهِ لَا- يَجُوزُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَحْصَحِصُ الْحَقُّ، وَيَعْلَمُ مِنَ الْأُولَى بِالْحَكْمِ وَالْأَحَقُّ، وَيَصِيبُهَا مَا أَصَابَ أُرُوى، مِنْ دَعْوَةِ سَعِيدَةَ حِينَ الدَّعْوَى، وَيا وَيَحْجِها أَنْ أَرَادت أَنْ تَجْنِي عَلَى فِجْنَتِ لِي، وَأَنَاخْتِ لِي مَرْكَبَ السَّعَادَةِ وَمَا ابْتَغتَ إِلَّا خَتْلِي، فَأَتَى شَرَّها بِالْخَيْرِ، وَجاء النَّفْعُ مِنْ طَرِيقِ ذَلِكَ الضَّيْرِ. أ تراها علمت بما يثيره اعوجاجها، وينجلي عنه عجاجها؟ فقد أفادت عظيم الفوائد، ونظيم الفرائد، ونفس الفخر، ونفيس الذخر، وهى لا تنكر أن كانت من الأسباب، ولا تذكر إلما يوم الملاحاة والسباب. وإنما يستوجب الشكر جسيما، والثناء الذى يتضوع نسيما، الذى شرف إذ أهدى أشرف السحاعات، وعرف بما كان من انتحاء تلك الحاء المذمومة فى الحاءات، فإنه وإن ألم بالفكاهة، فما أملى من البداهة، وسمى باسم السابق السكيت، وكان من أمر مداعبته كيت وكيت، وتلاعب بالصفات، وتلاعب السيل بالصفاء، والصبا بالبانة، والصبا بالعاشق ذى اللبانة، فقد أغرب بفنونه، وأغرى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٤١

القلوب بفتونه، و نفت بجفنه الأطراف، و عبث من الكلام المشقق الأطراف ، و علم كيف يلخص البيان، و يخلص العقيان. فمن الحق أن أشكره على أياديه البيض، و أن آخذ لفظه من معناه في طرف النقيض. تالله أيها الإمام الأكبر، و الغمام المستمطر، و الخير الذي يشفى سائله، و البحر الذي لا- يرى ساحله، ما أنا المراد بهذا المسلك، و من أين حصل النور لهذا الحلوك؟ و صح أن يقاس بين الحداد و الملك؟ إنه لتواضع الأعزّة، و ما يكون للأكارم عند المكارم من العزّة، و تحريض الشيخ للتلميذ، في إجازة الضوء بالتبذ. و لو حضر الذي قضى له بجانب الغربي أمر البلاغة، و ارتضى ما له في هذه الصناعة، من حسن السبك لحليتها و الصياغة، و أطاعته فيما أطلعت طاعة القوافي الحسان، و أتبعته فيما جمعته لكن بغير إحسان، لأذعن كما أذعنت، و ظعن عن محلّ دعوى الإجازة كما ظعنت، و أتى يضاهاى الفرات المعين بالنغمة، و يباهى بالفلوس من أوتى من الكنوز ما أن مفاتحه لتنوء بالعصبة، و أى حظّ للكلالة في النّشب ، و قد اتصل للورثة عمود النسب. هيهات و الله بعد المطلب، و شتان الدّرّ و الخشلب، و قد سيم الغلب، و رجع إلى قيادة السّلب، و إن كنا ممن تقدّم لشدة الظم إلى المنهل، و كمن أقدم إلى عين تبوك بعد التّهي للعل و التّهل. فقد ظهرت بذلك المعجزة عيانا، و ملئ ما هناك جنانا، و ما تعرّضنا بإساءة الأدب و اللوم، و لكن علمنا أن آخر الشّرب ساقى القوم، و إن أسهبنا فما لنا رتبة ذلك الإيجاز، و إن أعرقنا فهوانا في الحجاز، فلکم قصيرات الحجال، و لنا قصيرات الخطا في هذا المجال، و إكثارنا في قلبه، و جارنا من الفقر في فقر و ذلّه. و من لنا بواحدة يشرق ضياؤها، و يخفى النجوم خجلها منها و حياؤها؟ إن لم تطل فلأنها للفروع كالأصل، و في المجموع كيلة الوصل. فلو سطع نورها الزاهر، و نورها الذي تطيب منه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٤٢

الأنوار الأزاهر، لسجدت الثيران ليوسف ذلك الجمال، و وجدت نفحات رياها في أعطاف الجنوب و الشمال، و أسرع نحوها النفوس إسراع الحجيج يوم الثفر، و سار خبرها و سرى فصار حديث المقيمين و السّفر. و ما أظن تلك الشاخرة في تدليها، إلّا السّاحرة بتجّيتها، إذ كانت ربيبتها، بل ربيبتها، هذه التي سبقتني لما سقتني بسينها، و وجدت ريحها، لما فصلت من مصرها غيرها و حين وصلت لم يدلني على سابقها إلّا عيرها، و كم رامت أن تستتر عنى بليل خبرها في هذه المغاني، فأغراني بهاؤها و كل مغرم مغرى بياض صبح الألفاظ و المعاني. و هل كان ينفعها تلفحها بمرطها و تلفّعها؟ إذ نادتها المودّة، فقد عرفناك يا سودة. فأقبلت على شمّ نشرها و عرفها، و لثم سطرها و حرفها، و قربتها الثناء الحافل، و قرأتها فزّينت بها المحاضر و المحافل . و رمت أمر الجواب، فغرّنتي في الخطاب، لكن رسمت هذه الرّقة التي هي لديكم بعجزى واشية، و إليكم منى على استحياء ماشية، و إن رقّ وجهها فما رقت لها حاشية، فمنا بقبولها على علّاتها، و انقعوا بماء سماحتكم حرّ غللها، فإنها وافدة من استقرّ قلبه عندكم و ثوى، و أفرّ بأنه يلقط في هذه الصناعة ما يلقي للمساكين من التّوى. بقيتم، سيدي الأعلى للفضل و الإغضاء، و دتم غرّة في جبين السّاحة البيضاء، و اقتضيتم السعادة المتصلة مدّة الاقتضاء، بيمين الله سبحانه. انتهى.

و محاسنه عديدة، و آماده بعيدة.

دخوله غرناطة: دخلها مع المتوكل مخدومه، أو وجده بها.

من روى عنه: روى عن أبي الحسن سهل بن مالك.

وفاته: قال الأستاذ في الصلّة: انتقل إلى بجاية فتوفى بها في عشر الخميس و ستمائة .

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٤٣

محمد بن محمد بن أحمد بن شلبطور الهاشمي

من أهل المريّة، يكنى أبا عبد الله، من وجوه بلده و أعيانه، نشأ نبيه البيت، ساحبا بنفسه و بماله ذيل الحظوة، متحلّيا بخصل من خطّ و أدب، و زيرا، متجنّدا، ظريفا، دربا على ركوب البحر و قيادة الأساطيل. ثم انحطّ في هواه انحطاطا أضع مروءته، و استهلك عقاره، و

هدّ بيته، و ألجأه أخيراً إلى اللّحاق بالعدوة فهلك بها.

و جرى ذكره في الإكليل بما نصّه: مجموع شعر و خطّ، و ذكاء عن درجة الظرفاء غير منحطّ، إلى مجادة أثيلة البيت، شهيرة الحيّ و الميت. نشأ في حجر الثّرف و النعمة، محفوفاً بالماليّة الجمّة، فلما غفل عن ذاته، و ترعرع بين لداته، أجرى خيول لذاته، فلم يدع منها ربعا إلّا أقفره، و لا عقارا إلّا عقره، حتى حطّ بساحلها، و استولى بسعر الإنفاق على جميع مراحلها، إلّا أنه خلص بنفس طيّبه، و سراوة سماؤها صبيّه، و تمتّع ما شاء من زير و بتمّ، و تأنس لا يعطى القيادة لهمّ. و في عفو الله سعة، و ليس مع التوكل على الله ضعفة.

شعره: من شعره قوله يمدح السلطان، و أنشدها إياه بالمضارب من وادي الغيران عند قدومه من ألمرية: [الطويل]

أ ثغرك أم سمط من الدّرّ ينظم؟ و ريقك أم مسك به الرّاح تختم؟

و وجهك أم باد من الصّبح تير؟ و فرعك أم داج من الليل مظلم؟

أعللّ منك النفس و الوجد متلفى و هل ينفع التعليل و الخطب أعظم؟

و أقنع من طيف الخيال يزورني لو أنّ جفوني بالمنام تنعم

حملت الهوى حيناً فلما علمته سلوت لأنى بالمكارم مغرم

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٤٤ ولى في أمير المسلمين محبّة فؤادى مشغوف بها و متيم

بلغت المنى لما لثمت يمينه فيها أنذا في جنّة الخلد أنعم

يصوغ قومي الشّعور في طيب ذكره و يحسن فيه النّظم من ليس ينظم

فاستمسك الدّين الحنيف زمانه و قام منار الحقّ و الشّرك مغرم

له نظر في المشكلات مؤيدو الله مهد إلى الرشد ملهم

و يستغرق طارحاً فيه و ابل جوده فمن فعله في جوده يتعلم

فلو أن أملاك البسيطة أنصفوا ألقوا إليه الأمر طوعاً و سلّموا

و في الدّين و الدنيا و في البأس و النّدى لكم يا بنى نصر مقام معظّم

و منها:

إليك أمير المسلمين اقتضيتها حائل شكر طيرها مترّم

تنمّ بعرف المسك أنفاسها إذا يفوه لراو في الندى بها فم

فباسمك سيّرت في المسامع ذكرها و يغزى في أقصى البلاد و يشمم

و لو أننى في المدح سحبان وائل و أنجدنى فيه حبيب و مسلم

لما كنت إلّا عن علاك مقصّرو من بعض ما نشدت و تولى و تنعم

بقيت ملاذاً للأنام و رحمته و ساعدك الإسعاد حيث يتمّم

و من شعره مذيلاً على البيت الأخير حسبما نسب إليه: [البسيط]

نامت جفونك يا سؤلى و لم أنم ما ذاك إلّا لفرط الوجد و الألم

أشكو إلى الله ما بى من محبتكم فهو العليم بما نلقى من السقم

«إن كان سفك دمي أقصى مرادكم فما غلت نظرة منكم بسفك دمي»

و ممّا نسب إليه كذلك: [السريع]

قف بى و ناد بين تلك الطلّول أين الألى كانوا عليها نزول

أين ليالينا بهم و المنى نجنيه غصًا بالرضا و القبول
لا حملوا بعض الذى حملوا يوم تولت بالقباب الحمول
إن غبتم يا أهل نجد ففى قلبى أنتم و ضلوعى حلول
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٤٥
و مما خاطبنى به: [الرجز]

تالله ما أورى زناد القلق سوى ريح لاح لى بالأبرق
أيقنت بالحين فلو لا نفحة نجدية منكم تلافى رمقى
لكنت أفضى بتلظى زفرة و حسرة بين الدموع تلتقى
فآه من هول التوى و ما جنى على القلوب موقف التفرق
يا حاكى الغصن اثنى متوجا بالبدر تحت لمة من غسق
الله فى نفس معنى أقصدت من لاعج الشوق بما لم تطق
أتى على أكثرها برح الأسى دع ما مضى منها و أدرك ما بقى
و لو بالمام خيال فى الكرى إن ساعد الجفن رقيب الأرق
فرب زور من خيال زائر أقر عينى و إن لم يصدق
شفيت من برح الأسى لو أن من أصبح رقى فى يديه معتقى
ففى معاناة الليالى عائق عن التصابى و فنون القلق
و فى ضمان ما يعانى المرء من نوائب الدهر مشيب المفرق
هذا لعمرى مع أنى لم أبت منها بشكوى روعه أو فرق
فقد أخذت من خطوط غدرها باين الخطيب الأمن مما أتقى
فخر الوزارة الذى ما مثله بدر علا فى مغرب أو مشرق
و مذ أرانيه زمانى لم أبل من صرفه من مرعد أو مبرق
لا سيما منذ حطت فى حمى جواره الأمتع رحل أينقى
أيقنت أنى فى رجائى لم أخب و أن مسعى بغيتى لم يخفق
ندب له فى كل حسن آية تناسبت فى الخلق أو فى الخلق

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٤٦ فى وجهه مسحة بشر إن بدت تبهرجت أنوار شمس الأفق
تعتبر الأبصار فى لألثها عليه من نور السّماح المشرق
كالدهر فى استينائه و بطشه كالسيف فى حدّ الطّب و الروتق
إن بخل الغيث استهلّت يده بوابل من غيث جود غدق
و إن وشت صفحة طرس انجلى ليل دجاها عن سنى مؤتلق
بمثلها من حبرات أخجلت حواشى الرّوض خدود المهرق
ما راق فى الآذان أشناف سوى ملتقطات لفظه المفترق
تودّ أجياد الغوانى أن يرى حلّيتها من درّ ذاك المنطق
فسل به هل آده الأمر الذى حمل فى شرخ الشباب المونق؟

إذا رأى الرأى فلا يخطئه يمن اختيار للطريق الأوفق
 إيه أبا عبد الإله هاكها عذراء تحثو في وجوه السبق
 خذها إليك بكر فكر يزدري لديك بالأعشى لدى المحلق
 لا زلت مرهوب الجناب مرتجى موصول عز في سعود ترتقى
 مبلغ الآمال فيما تبتغى مؤمن الأغراض فيما تتقى
 ناب في القيادة البحرية عن خاله القائد أبي على الرنداحي، وولى أسطول المنكب برهه. توفي بمراكش في عام خمسة وخمسين و
 سبعمائة رحمه الله.

محمد بن محمد بن جعفر بن مشتمل الأسلمي

من أهل المريّة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالبلياني.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٤٧

حاله: قال شيخنا أبو البركات: ناب عنى في بعض الأعمال بالمريّة، وخطب بنحانس من غربيها، ثم خطب بحمة مرشانه، وهو الآن
 بها، وعقد الشروط قبل بالمريّة. عفيف طاهر الذليل، نبيل الأغراض، مهذب الأخلاق، قيم على القراءات والنحو والأدب، جيد الشعر
 والكتابة..... من الضبط، وإجادة العبارة عن المعنى المراد.

توآليفه: قال: له رجز في علم الكلام جيد، ورجز آخر في ألفاظ فصيح ثعلب، عرى عن الحشو، على تعبير فيه يغتفر لما جمع من
 اقتصاره، و له تأليف في الوباء سماه بإصلاح التية في المسألة الطاعونية.
 مشيخته: قال: أخذ عنى وعن أبيه جملة من الدواوين، وعن غيرى من أهل بلده.

شعره: قال: و مما أنشدنى من شعره قوله: [الطويل]

هفا بى من بين المغانى عقيهاو من بينه انفضت لعينى عقيها

و مالت من البيداء عنها قباه و أشرقنى بالدمع منها شروقها

يهيج أنفاسى غراما نسيمهاو تقدح نار الشوق عندى بروقها

و من دون واديهما ظباء خوادل حكى لحظها ماضى الشفار رقيقها

فلو برزت للشمس منهنّ فى الضحى مخدرة أضحت كمالا تفوقها

نسيم الصبا، إن سيرت نحو الحمى تحيى الديار التازحات تشوقها

غريب كئيب مستهام متيم جريح الجفون الساهرات عريقها

فهل عطفة ترجى و هل أمل يرى بعودة أيام تقضى أنيقها؟

سقتنا و من أدمع الصب جودها و من ديم الغيث الملتات ريقها

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٤٨

قال: و أنشدنى أيضا، و قال: كلفت إجازة هذا البيت الأول من هذه القصيدة، إذ ليس لى: [الكامل]

من عادلى؟ من ناصرى أو منصفى؟ هذا دمي سفكته بنت المنصف

أو من يخلصنى و قد أوهى صحيح الجسم منى لحظ طرف مدنف

جفن تحير و الهوى يهديه لفؤاد كل من الهوى لم يالف

متناعس يهدى الشهاد و يصرع البطل الكمي بلحظه المتضعف

تبدو و تشدو للعيون و للمسامع فهي بين مكحل و مشنف
 ملكت بصنعتها عنان عنانها و عدت عليها كأنها لم تعرف
 تغنى إذا غنت بطيب صوتها عن أن يزود لحنها بالمعزف
 أما تغنت أو تثنت تهتف قمرى نغمتها و غص المعطف
 يأتي على تكرار ما غنت به صدقا بكل غريب مستطرف
 تهدى النفوس على اختلاف طباعها من نبلها ما تشتهي بتلطف
 كنا و جفن الدهر عنا ناعس من خلف ستر للأمان مسجف
 حتى وشى بالسر دهر حاسد كلف بتنغيص الكريم الأشرف
 و اخجلنا إن لم أمت يوم النوى لهفا و ما إن كنت بعد بمنصف
 لكننى مما نحل و ذبت لم يرنى الحمام فكنت عنه أختفى
 كم ذا أبيت و ليس لى من مسعد فى حالتى غير الدموع الذرف
 يا هل ترى هذا الزمان و صرفه هل يسمحان بعودة و تألف؟
 صبيرا أبا يعقوبهم فهي النوى لو لا همت شوقا للقىا يوسف
 قال: و أنشدنى أيضا لنفسه، و البيت الأخير لغيره: [البسيط]
 ما للأحبة فى أحكامهم جاروا؟ نأوا جميعا فلا خلّ و لا جار
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٤٩ كيف البقاء و قد بانت قبابهم و قد خلت منهم و أسفى الدار؟

حداة تمسهم بالقلب قد رحلوا ليتهم حملوا الجثمان إذ ساروا
 جار الزمان علينا فى فراقهم من قبل أن تنقضى للصب أوطار
 ساروا فخيتم الأشواق بعدهم ما لى عليها سوى الآماق أنصار
 تراك يا ربعهم ترجو رجوعهم؟ يا ليت لو ساعدت فى ذاك أقدار
 ودعت منهم شموسا ما مطالعها لآ من الوشى أطواق و أزرار
 أستودع الله من فاز الفراق بهم و خلفونا و دمع العين مدرار
 قلت: و لا خفاء بتخلف هذا النمط عن الإجادة، و الله يقبض و يبسط، و شافعنا عرض الإكثار.
 وفاته: توفى فى آخر أربعة و ستين و سبعمائة.

محمد بن محمد بن حزب الله

من أهل وادى آش، يكنى أبا عبد الله، و يعرف باسم جدّه.

حاله: دمث، متخلق، سهل الجانب، كثير الدعابة، خفيف الروح، له خط حسن، و وراقه بديعة، و إحكام لبعض العملية، و اقتدار على
 النظم. اتصل بباب السلطان ملك المغرب، و ارتسم كاتباً مع الجملة، فارتاش، و حسنت حاله.

و جرى ذكره فى الإكليل الزاهر بما نصّه: راقم و اشى، رقيق الجوانب و الحواشى، تزهى بخطه المهارق و الطروس، و تتجلى فى حلل
 بدائعها كما تتجلى العروس، إلى خلق كثير التجميل، و نفس عظيمة التحمل. و دود سهل الجانب، عذب المذانب. لما قضيت الوقية
 بطريف، أقال الله عثارها، و عجل ثارها، قذف به موج ذلك البحر، و تفلت إفلات الهدى المقرب إلى النحر، و رمى به إلى رندة
 القرار، و قد عرى من أثوابه كما عرى الغرار، فتعزف للحين بأديبها المفلق، و بارقها المتألق

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٥٠

أبي الحجاج المنتشافري، فراقه ببشر لقائه، ونهل على الظمأ في سقائه، وكانت بينهما مخاطبات، أنشدنيها بعد إياه، وأخبرني بما كان من ذهاب زاده و سلب ثيابه.

و خاطبني من شرح حاله في ارتحاله بما نصّه: و لما دخلت رندة الأنيقة البطاح، المحتوية على الأدب و السِّماح، و العلم و الصلاح، أبرز القدر أن لقيت بها شيخنا المعمر رئيس الأدباء، و قدوة الفقهاء، أبا الحجاج المنتشافري، و كنت لم أشاهده قبل هذا العيان، و لا سمح لي بقلائه صرف الزمان، و لم أزل أكلف بمقطوعاته العجيبة، و أولع بضرائبه الغريبة، و تأتي منه مخاطبات تزرى بالعقود بهجة، و تطير لها العقود لهجة. نظم كما تنفس الصبح عن تسيمة، و نثر كما تأسس الدر بتنظيمه، فأحلني منه محلّ الروح من الجسد، و شهد لي أني أعزّ من عليه ورد، و رآني قد ظهرت على مضاضة الاكتاب، لكوني قريب عهد بالإياب، مهزوما انهزام الأَحزاب، خالي الوطاب، نزر الثياب، فقال: فيم الجزع، ذهب بحول الله الخوف و أمن الفزع، فأجبتة عجلا، و قلت أخاطبه مرتجلا: [الكامل]

لا تجزعي، نفسي، لفقد معاشرى و ذهاب مالى فى سبيل القادر

يا رندة، ها أنت خير بلادهو بها أبو حجاج المنتشافري

سيريك حسن فرائد من نظمه فتزيل كل كآبه فى خاطر

فأجابني مرتجلا: [الكامل]

سراى، يا قلبى المشوق، و ناظرى، بمزار ذى الشرف السننى الطاهر

روض المعارف زهرها الزاهى أوصافه أعيت ثناء الشاكر

و لواد آش من فخار لم يزل من كابن حزب الله نور الناظر

وافى يشرف رندة بقدمه فغدت به أفقا لبدر زاهر

من روضه الأدباء أبدى زهرة قد أينعت عن فكر حبر ماهر

جمع المآثر بالسناء و بالسنا أعظم به من صانع لمآثر

ما زلت أسمع من ثناء مآثر اكانت لسامعها معا و الذّاكر

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٥١ حتى رأى بصرى حقائق وصفه فتنعمت كالأقمار نواظرى

لا زال محبوبا بكل مسرة تجرى له بالحظّ حكم مغادر

ثم خاطبه القاضى المنتشاقرى بعد انصرافه إلى وطنه بقوله: [المتقارب]

أبى الدّمع بعدك إلّا انفجار الدهر ببعذك فى الحكم جارا

أذاق اللقاء الحلو لو لم يصل به للنوى جرعات مرارا

رعى الله لمح ذاك اللقاء و إن يك أشواقنا قد أثارا

قصاراى شكواى طول النوى و فقدى أناه و صل قصارا

سقتنى القداح و من بعده فوادى القريح قد اذكت أوارا

ألا يا صبا، هبّ من أربعى إلى وادى آشى تحى الديارا

ألا خصّ من ربيعها منزلا بأربابه الأكرمين استنارا

و هم إلى حزب الإله الألى تساموا فخارا و طابوا نجارا

فأجابه بأبيات منها :

تألّق برق العلا و استنار فأجج إذ لاح فى القلب نارا

و ذكّرني وقت أنس مضى برنده حيث الجلال استشارا
و كانت لنفسى سنا فى حماهاطوالا فأصبحت لديها قصارا
فأجريت دمع العيون اشتياقا ففاضت لأجل فراقى بحارا
و قالت لى النفس من لم يجد نصيرا سوى الدمع قل انتصارا
قطعت المنى عندها لمحءو ودعتها و امتطيت القفارا
و ضيعت تلك المنى غفلة و وافيت أبغى المنى ديارا
و منها:

أرقت لذاك السنن ليلءو ما نومها ذقت إلّا غرارا
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٥٢ و جسمى أجلّ الجسوم التهابا و قلبى أشدّ القلوب انكسارا
إلى أن تجرعت كأس التوى و قلت زمانى على الشمل جارا
و صبرت نفسى لفقدانها هنالك بالرغم ليس اختيارا
و قال من قصيدة: [الطويل]

حننت لبرق لاح من سرحتى نجد حنين تهامى يحنّ إلى نجد
و قلت لعلّ القلب تبرا كلومه و من ذا يصدّ النار عن شيمه الوقد؟
لكن شاركنى فى المحبّة فرقة فها أنا فى وجدى و فى كلفى وحدى
و هو إلى هذا العهد بالحال الموصوفة.

محمد بن إبراهيم بن عيسى بن داود الحميرى

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله، و يعرف بابن عيسى.

حاله: كان أديبا، حسن الخط، جيّد النظم، متطرّفا، لودعيّا، مطبوعا، منحطا فى هواه، جامحا فى ميدان بطالته، معاقرا للنييد، على حفظ
للرسم، و اضطلاع بالخدمة، و إثثار للمروءة، و معرفة بمقادير الأمور، و تشبّث بأذيال الحظوة. كتب للرئاسة السعيدية بمالقة، و نظر
على ألقاب جبايتها، و انتفع الناس بجاهه و ماله، و وقع الثناء على حسن وساطته. ثم سافر عنها، و قد سمت مجادة السلطان فى غرض
انتقالها إلى العدو، معوضة بمدينه سلا من مالقة. و كان ما كان من معاجلة الأمر، و القبض على الرئيس، و قيام ولده بالأمر، فانبث
المذكور بالعدو، و كانت بها وفاته.

و جرى ذكره فى الإكليل الزاهر بما نصه: علم من أعلام هذا الفن،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٥٣

و مشعشى راح هذا الدن، بمجموع أدوات، و فارس يراعة و دواء، ظريف المنزع، أنيق المرأى و المسمع، اختصّ بالرئاسة و أدار
فلك إمارتها، و اتسم باسم كتابتها و وزارتها، ناهضا بالأعباء، راقيا فى درج التقريب و الاجتباء، مصانعا دهره فى راح و راحة، آويا
إلى فضل و سماحة، و خصب ساحة، كلما فرغ من شأن خدمته، و انصرف عن ربّ نعمته، عقد شربا، و أطفأ من الاهتمام بغير الأيام
حربا، و عكف على صوت يستعيده، و ظرف ييديه و يعيده. فلما تقلّبت بالرئاسة الحال، و قوّضت منها الرحال، استقرّ بالمغرب غربا،
يقلب طرفا مستريبا، و يلحظ الدنيا تبعه عليه و تريبا، و إن كان لم يعدم من أمرائها حظوة و تقريبا، و ما برح ييوح بشجنه، و يرتاح
إلى عهد وطنه.

شعره و كتابته: ممّا كتبه، و بين فيه أدبه قوله: [الكامل]

يا نازحين و لم أفارق منهم شوقا تأجج في الضلوع ضرامه
غيتيم عن ناظري و شخصكم حيث استقر من الضلوع مقامه
رمت التوى شملى فشئت نظمه و الين رام لا تطيش سهامه
و قد اعتدى فينا وجد مبالغاو جرت بمحكم جوره أحكامه
أ ترى الزمان مؤخرا في مدتي حتى أراه قد انقضت أيامه

تحملها يا نسيم نجدية التفحات، وجدية اللفحات، يؤدي عنى نغمها إلى الأحيه سلاما، و يورد عليهم لفحها بردا و سلاما، و لا تقل
كيف تحملنى نارا، و ترسل على الأحيه منى إعصارا، كلاً إذا أهديتهم تحية إيناسى، و آنسوا من جانب هبوبك نار ضرام أنفاسى، و
ارتاحوا إلى هبوبك، و اهتزوا فى كف مسرى جنوبك،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٥٤

و تعللوا بها تعليلًا، و أوسعوا آثار مهيبك تقبيلًا، أرسلها عليهم بليلا، و خاطبهم بلطافه تطفك تعليلًا. ألم ترونى كيف جتكم بما
حملنى عليلا: [الوافر]

كذاك تركته ملقى بأرض له فيها التعلل بالرياح
إذا هبت إليه صبا إليها إن جاءته من كل النواحي
تساعده الحمام حين يبكى فما ينفك موصول الرياح
يخاطبهن مهما طرن شوقاً ما فيكن واهبه الجناح؟

و لو لا تعلله بالأمانى، و تحدت نفسه بزمان التيدانى، لكان قد قضى نجه، و لم أبلغكم إلّا نعيه أو ندبه، لكنه يتعلل من الآمال بالوعد
الممطول، و يتطرح باقتراحاته على الزمن المجهول، و يحدث نفسه و قد قعت من بروق الآمال بالخلب، و وثقت بمواعيد الدهر
القلب، فيناجيه بوحي ضميره، و إيماء تصويره: كيف أجدك يوم الالتقاء بالأحباب، و التلخص من ربقه الاغتراب؟ أ بانه الحضور
أم بادية الاضطراب؟ كأتى بك و قد استفرك و له السرور، فصرفك عن مشاهدة الحضور، و عاقتك غشاوة الاستعبار للاستبشار، عن
اجتلاء محيا ذلك النهار: [البسيط]

يوم يداوى زماناتى من ازمانى أزال تنغيص أحيانى فأحيانى

جعلت لله نذرا صومه أبدأفى به و أوفى شرط إيمانى

إذا ارتفعنا و زال البعد و انقطعت أشطان دهر قد التفت بأشطانى

أعدّه خير أعياد الزمان إذا أوطانى السعد فيه ترب أوطانى

أ رأيت كيف ارتياحى إلى التذكار، و انقيادى إلى معللات توهمات الأفكار؟

كأن البعد باستغراقها قد طويت شقته، و ذهب عنى مشقته، و كأتى بالتخيل بين تلك

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٥٥

الخمائل أنتسم صباحها، و أنتسم رباها، و أجتنى أزهارها، و أجتلى أنوارها، و أجول فى خمائلها، و أنتعم ببكرها و أصائلها، و أطوف
بمعالمها، و أنتشق أزهار كرائمها، و أصيخ بأذن الشوق إلى سجع حرائمها، و قد داخلتنى الأفراح، و نالت منى نشوة الارتياح، و دنا
السرور لتوسم ذهاب الأتراح. فلمّا أفقت من غمرات سكرى، و وثبت من هفوات فكرى، وجدت مرارة ما شابه لى فى استغراق
دهرى، و كأتى من حينئذ عالجت وقفه الفراق، و ابتدأت منازعة الأشواق، و كأنما أغمضتنى للنوم، و سمح لى بتلك الفكرة اللحم:

[الكامل]

ذكر الديار فهاجه تذكاره و سرت به من حينه أفكاره

فاحتلّ منها حيث كان حلوله بالوهم فيها و استقرّ قراره

ما أقرب الآمال من غفواته لو أنها قضيت بها أوطاره

فإذا جئتها أيها القادم، والأصيل قد خلع عليها برداً مورساً، والربيع قد مدّ على القيعان منها سندساً، اتخذها فديتك معرّساً، واجرر ذيولك فيها متبختراً، وبتّ فيها من طيب نفحاتك عنبراً، وافثق عليها من نوافج أنفاسك مسكاً أذفراً، واعطف معاطف بانها، وأرقص قصب ريحانها، وصافح صفحات نهرها، وناضح صفحات زهرها. هذه كلّها أمارات، وعن أسرار مقاصد عبارات، هنالك تنتعش بها صبايات، تعالج صبايات، تتعلّل بإقبالك، وتعكف على لثم أذيالك، وتبدو لك في صفة الفاني المتهالك، لاطفها بلطفه الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٥٦

اعتلالك، وترفق بها ترفق أمثالك، فإذا مالت بهم إلى هواك الأشواق، ولووا إليك الأروس والأعناق، وسألوك عن اضطرابي في الآفاق، وتقلّبي بين الإشام والإعراق، فقل لهم: عرض له في أسفاره، ما يعرض للبدر في سراره، من سرّ السرار، وطاق المحاق، وقد تركته وهو يسامر الفرقدين، ويسائر الثّيرين، وينشد إذا راعه البين: [البسيط]

وقد نكون وما يخشى تفرّقنا اليوم نحن وما يرجي تلاقينا

لم يفارق وثناء الأسفار، ولا ألقى من يده عصا التسيار، يتهداه الغور والتجد، ويتداوله الإرقال والوخد، وقد لفحته الرّمضاء، وسمه الإنضاء.

فالجها تلفظه، والآكام تبهظه، تحمل همومه الرّواسم، وتحفى به التّواسم:

[البسيط]

لا يستقرّ بأرض حين يبلغها ولا له غير حدو العيس إيناس

ثم إذا استوفوا سؤالك عن حالي، وتقلّبي بين حلّى وترحالي، وبلغت القلوب منهم الحناجر، وملأت الدموع المحاجر، وابتلت ذيولك بمائها، لا بل تضرّجت بدمائها، فحيّهم عنّي تحيّة منفصل، ودّعهم وداع مرتحل. ثم اعطف عليهم ركابك، ومهّد لهم جنابك، وقل لهم إذا سألتني عن المنازل بعد سكانها، والرّبوع بعد ظعن أظعانها، بماذا أجيبه، وبماذا يسكن وجيبه. فسيقولون لك هي البلاقع المقفّرات، والمعارف التي أصبحت نكرات: [السريع]

صمّ صداها وعفا رسمها واستعجمت عن منطق السائل

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٥٧

قل لهم: كيف الرّوض وآسه؟ وعمّا إذا تتأرّج أنفاسه؟ عهدي به والحمام يردّد أسجاعه، والدّباب يغنى به هزجا فيحكّ بذراعه ذراعه، وغصونه تعتق، وأحشاء جداوله تصطفق، وأسحاره تنسّم وأصاله تغتبق، كما كانت بقيه نضرته، وكما عهدتها أنيقه خضرته، وكيف التفاتة عن أزرق نهره، وتأنقه في تكليل إكليله بيانع زهره. وهل رقّ نسيم أصائله، و صفت موارد جداوله؟ وكيف انفساح ساحاته، والتفاف دوحاته؟ وهل تمتدّ كما كانت مع العشيّ فينانه سرحاته؟

عهدي بها، المدينة الظلال، المزعفرة السّيربال، لم تحدّق الآن به عيون نرجسه، ولا صدّ بساط سندسه. وأين منه مجالس لذاتي، و معاهد غدواتي وروحاتي؟ إذ أباري في المجون لمن أباري، وأسابق إلى اللذات كلّ من يجارى. فسيقولون لك: ذوت أفنانه، وانقصت أغصانه، وتكدّرت غدرانه، وتغيّر ريحه وريحانه، وأقفرت معالمه، وأخرست حمائمها، واستحالت به حلل خمائلها، وتغيّرت وجوه بكره وأصائله، فإن صلصل حنين رعد فعن قلبي لفراقه خفق، وإن تلالأ برق فعن حرّ حشاي اثلق، وإن سحّت السحب فمساعدة لجفني، وإن طال بكاؤها فعنّي، حياها الله تعالى منازل، لم تزل بمنظوم الشّمل أوائل. وحين انتشرت نثرت أزهارها أسفا، ولم تن الرّيح من أغصانها معظفاً، أعاد الله تعالى الشّمل فيها إلى محكم نظامه، وجعل الدهر الذي فرّقه يتأقّ في أحكامه. وهو سبحانه يجبر الصّيدع، ويعجل الجمع، إنه بالإجابة جدير، وعلى ما يشاء قدير. إيه بنّي، كيف حال من استودعتهم أمانتك، وألزمهم

صونك و صيانتك، و ألبستهم نسبك، و مهّدت لهم حسبك؟ الله في حفظهم فهو اللائق بفعالك، و المناسب لشرف خلالك، اراع لهم الاغتراب لديك، و الانقطاع إليك، فهم أمانة الله تعالى في يديك، و هو سبحانه يحفظك بحفظهم، و يوالى بلحظك أسباب لحظهم، و إن ذهبتم إلى معرفة الأحوال، فنعم الله ممتدّة الظلال، و خيراته ضافية الشربال؛ لو لا الشوق الملازم، و الوجد الذي سكن الحيازم.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٥٨

و وقفت من شعره على قصيدة من جملة رسالته، أثبتها و هي: [الطويل]

أ للبرق يبدو تستطير الجوانح و للورق تشدو تستهلّ السوافح

و قلبى للبرق الخفوق مساعدو و جدى للورق الثكالى مطارح

إذا البرق أورى فى الظلام زنادى فلولجى فى زند الصبابة قادح

و كم وقفه لى حيث مال بى الهوى أغادى بها شكوى الجوى و أراوح

تنازعى منها الشجون فأشتكى و يكثر بئى عندها فأسامح

أبثّ شجونى و الحمام يصيخ لى و يسعدنى فيما تبيح التبارح

و تطرب أغصان الأراك فتنشى إلى صفحة النهر الصقيل تصافح

فتبتسم الأزهار منها تعجبا فتهدى إليها عرفها و تنافح

كذلك حتى ماد عطف مثقفى و طرفى أبدى هزة و هو مارح

فلما التظى و جدى ترتم صاهلا فقلت: أمثلى يشتكى الوجد نابح؟

صرفت عدوّ البيد أرخو عنانه و قلت له: شمّر فائى سابع

تهياً لقطع البيد و اعتسف السرى سيلقاك غيطان بها و ممايح

فحمحم لو يستطيع نطقا لقال له بمثلى تلقى هذه و تكافح

و حمّلتة عزمًا تعود مثله فقام به مستقبلا من يناطح

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٥٩ و يمتت بيذا لم أصحاب لجوها سوى جلد لا يتقى منه فاضح

و ماضى الغرارين استجدت مضاهه إذا جرّدت يوم الجلاذ الصّفائح

و مندمج صدق الأنايب نافذ به عند كرى فى الحروب أفتح

و سرت فلا ألقى سوى الوحش نافراو قد شردت عنى الطباء السوانح

تحّدق نحوى أعينا لم يلح لها هنالك إنسى و لا هو لائح

و قد زارت أسد تقحمت غيلها فقلت: تعاوت إنها لنوابح

و كم طاف بى للخبر من طائف بها فلم أصغ سمعا نحوها و هو صائح

و يعرض لى وجها دميما و منظر اشنيعا له تبدو عليه القبائح

فما راعنى منه تلون حاله بل يقظ عزمى فانتنى و هو كالح

فلما اكتست شمس العشى شحوبها و مالت إلى أفق الغروب تنازح

تسربلت للإدلاج جنح دجئة فها أنذا غرسى إلى القصد جانح

فخضت ظلام الليل و التّجم شاخص إلى بلحظ طرفه لى لامح

يردّده شزرا إلى كأنما على له حقد به لا يسامح

و راقب من شكل السّمَاك نظيره خلا أن شكلي أعزل و هو رامح
يخطّ و ميض البرق لي منه أسطرا على صفحة الظّلماء فهي لوائح
إذا خطّها ما بين عينيّ لم أزل أكلف دمعى نحوها فهو طامح
و ما زلت سرّا في حشا النبل كامنا إلى أن بدا من ناسم الصّبح فاتح
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٦٠ و هبّ نسيم الصّبح فانعطفت له قدود غصون قد رقتها صواح
تجاذبن من ذكرى أحاديث لم تزل يردها منها مجدّ و مازح
و ملت إلى التعريس لما انقضى السرى أروض له نفسى و عزمى جامع
و مال الكرى بي ميلة سكنت لها على نصب الوعاء منى الجوارح
كم أخذت منه الشّمول بثارها فبات يسقى و هو ريان طافح
و قربت الأحلام لي كلّ مأمل فأدنته منى و هو فى الحقّ نازح
أرتنى وجوها لو بذلت لقربها حياتى لمن بالقرب منه يسامح
لقلّ لها عمرى و ما ملكت يدي و حدثت نفسى أن تجرى رابح
و ما زلت أشكو بيننا غصص النوى و ما طوّحت بي فى الزمان الطوائح
فمنها ثغور للسّرور بواسم لقربه و منها للفراق نوائح
تقربها الأحلام منى و دونها مهامه فيها للهجير لوائح
و بحر طمت أمواجه و شآبيب و قفر به للسالكين جوامح الإحاطة فى أخبار غرناطة؛ ج ٢؛ ص ٢٦٠
قضيت حقوق الشوق فى زورة الكرى فإنّ زيارات الكرى لموانح
يقرّين آمالا تباعد بينها و تعبت فيها بالنفوس الطوامح
فلما تولّى عنى النوم أعقبت هموم أثارها الشّجون فوادح
و عدت إلى شكوى البلاء و لم أزل أرددها و العذر منى واضح
و ما بلغت عنى مشافهة الكرى تبلّغها عنى الرياح اللّواقح
و حسبك قلب فى إसार اشتياقه و قد أسلمته فى يديه الجوانح
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٦١
وفاته: قال شيخنا أبو بكر بن شبرين: توفى بسجلماسه فى صفر عام ستّ عشر و سبعمائة.

محمد بن محمد بن عبد الله بن مقاتل

من أهل مالقة، يكنى أبا بكر.

حاله: من كتاب الإكليل: نابعة مالقية، و خلف و بقیة، و مغربى الوطن، أخلاقه مشرقية. أزمع الرحيل إلى المشرق، مع اخضرار العود و سواد المفرق، فلما توسّطت السفينة اللّجج، و قارعت التّيج، مال عليها البحر فسقاها كأس الحمام، و أولدها قبل التمام، و كان فيمن اشتملت عليه أعودها، و انضمّ على نوره سوادها، جملة من الطلبة و الأدباء، و أبناء السراة الحسباء، أصبح كلّ منهم مطيعا، لداعى الرّدى و سميعا، و أحيوا فرادى و ماتوا جميعا، فأجروا الدموع حزنا، و أرسلوا العبرات عليهم مزنا. و كأنّ البحر لمّا طمس سبيل خلاصهم و سدّها، و أحال هضبة سفينتهم و هدّها، غار على نفوسهم النّفيسة و استردها. و الفقيه أبو بكر مع إكثاره، و انقياد نظامه و نثاره، لم أظفر من أدبه إلّا بالقليل التافه، بعد وداعه و انصرافه.

فمن ذلك قوله و قد أبصر فتى عاثرا : [الكامل]
 و مهفهف هافى المعاطف أحور فضحت أشعة نوره الأقمارا
 زلت له قدم فأصبح عاثرايين الأنام لعا لذاك عثارا
 لو كنت أعلم ما يكون فرشت فى ذاك المكان الخدّ و الأشفارا
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٦٢
 و قال متغزلا : [الطويل]

أيا لبنى الزفاء تنضى ظباؤهم جفون ظباهم و الفؤاد كليم
 لقد قطع الأحشاء منهم مهفهف له التبر خدّ و اللجين أديم
 يسدّد إذ يرمى قسى حواجب و أسهمها من مقلتيه تسوم
 و تسقمنى عيناه و هى سقيمه و من عجب سقم جناه سقيم
 و يذبل جسمى فى هواه صبابه و فى وصله للعاشقين نعيم
 وفاته: توفى فى حدود أخريات عام تسعة و ثلاثين و سبعمائه غريقا بأحواز الغبطة من ساحل المرية.

محمد بن أحمد بن أحمد بن صفوان القيسى

ولد الشيخ أبى الطاهر، من أهل مالقة.
 من كتاب الإكليل: نبيل فطن، متحرك ذهن، كان أبوه، رحمه الله، يتبرّم بجداله، و يخشى مواقع رشق نباله، و يشيم بأرقّ الاعتراض
 فى سؤاله، فيشفق من اختلال خلاله، إذ طريقه إنما هى أذواق لا تشرح، و أسرار لا تفضح. و كان ممن اخترم، وجدّ حبل أمله و صرم،
 فأقل عقب أبيه، و كان له أدب يخوض فيه.
 فمن ذلك، و قد أبصر فتى و سيما على ريحانه: [البسيط]
 بدر تجلى على غصن من الآس يبرى و يسقم فهو الممرض الآسى
 عادى المنازل إلّا القلب منزلة فما له و جميع الناس من ناس
 و قال:

يا عالما بالسّرّ و الجهر و ملجأى فى العسر و اليسر
 جد لى بما أملته منك مولاي و اجر بالرضا كسرى
 وفاته: فى عام خمسة و سبعمائه.

محمد بن محمد بن عبد الواحد بن محمد البلوى

من أهل المرية، يكنى أبا عبد الله، و يعرف بنسبه، و قد مرّ ذكر أبيه فى العمّال.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٦٣
 حاله: هذا الرجل من أبناء النعم، و ذوى البيوتات، كثير السكون و الحياء، آل به ذلك أخيرا للوثة لم يستفق منها، لطف الله به. حسن
 الخطّ، مطبوع الأدب، سيال الطبع، معينه. و ناب عن بعض القضاة، و هو الآن رهين ما ذكر، يتمنى أهله وفاته، و الله ولىّ المعافاة
 بفضله .

و جرى ذكره فى الإكليل بما نصّه : من أولى الخلال البارعة و الخصال، خطّا رائقا، و نظما بمثله لائقا، و دعابة يسترها تجهم، و سكوتا

في طيه إدراك و تفهم. عنى بالرواية و التقييد، و مال فى النظم إلى بعض التوليد، و له أصالة ثبتت فى السيرة و عروقتها، و تألفت فى سماء المجادة بروقتها، و تصرف بين النيابة فى الأحكام الشرعية، و بين الشهادات العملية المرعية. شعره: و من شعره فيما خاطبني به، مهنتا فى إعدار أولادى، أسعدهم الله، افتتح ذلك بأن قال:

قال يعتذر عن خدمة الإعدار، و يصل المدح و الثناء على بعد الدار، و ذلك بتاريخ الوسط من شعبان فى عام تسعة و أربعين و سبعمائة: [الكامل]

لا عذر لى عن خدمة الإعدار و لئن نأى وطنى و شطّ مزارى
أو عاقنى عنه الزمان و صرفه تقضى الأمانى عادة الأعصار
قد كنت أرغب أن أفوز بخدمتى و أحطّ رحلى عند باب الدار
بأدى المسرة بالصنيع و أهله متشمرًا فيه بفضل إزارى
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٦٤ من شاء أن يلقى الزمان و أهله و يرى جلا الإشعاع فى الأفكار
فليات حتى ابن الخطيب ملتيا فيفوز بالإعظام و الإكبار
كم ضمّ من صيد كرام فضلهم يسمو و يعلو فى ذوى الأقدار
إن جئت ناديه فنب عنى و قل نلت المنى بتلطف و وقار
يا من له الشرف القديم و من له الحسب الصميم العدّ يوم فخار
يهنيك ما قد نلت من أمل به فى الفرقدين التيرين لسارى
تجلاك قطبا كلّ تجر باذخ أملا من مرجوان فى الإعصار
عبد الإله و صنوه قمر العلافرعان من أصل زكا و نجار
ناهيك من قمرين فى أفق العلاينميها نور من الأنوار
زاكى الأرومة معرق فى مجده جمّ الفضائل طيب الأخبار
رقت طبائعه و راق جماله فكأنما خلقا من الأزهار
و حلت شمائل حسنه فكأنما خلعت عليه رقة الأسحار
فإذا تكلم قلت ظلّ ساقطاً وقع درّ من نحور جوارى
أو فتّ مسك الحبر فى قرطاسه بالروض غبّ الواكف المدرار
تتبسم الأقلام بين بنانه فتريك نظم الدرّ فى الأسطار
فتخال من تلك البنان كماء ظلت تفتح ناصر التّوار
تلقاه فياض الندى متهللاً يلقاك بالبشرى و الاستبشار

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٦٥ بحر البلاغة قسها و أياها سبحانه خبر من الأخبار
إن ناظر العلماء فهو إمامهم شرف المعارف، واحد النّظار
أربى على العلماء بالصّيت الذى قد طار فى الآفاق كل مطار
ما ضرّه إن لم يجىء متقدّمًا بالسبق يعرف آخر المضمار
إن كان آخره الزمان لحكمة ظهرت و ما خفيت كضوء نهار
الشمس تحجب و هى أعظم تير و ترى من الآفاق إثر درارى
يا ابن الخطيب خطبتها لعلاكم بكرًا تزفّ لكم من الأفكار

جاءتك من خجل على قدم الحياقد طيبت بثنائك المعطار
و أتت تؤدى بعض حقّ واجب عن نازح الأوطان و الأوطار
مدّت يد التّطفيل نحو علاكم فتوشّحت من جودكم بنضار
فابذل لها فى التّقد صفحك إنها تشكو من التّقصير فى الأشعار
لا زلت فى دعه و عزّ دائم و مسرّة ترى مع الأعمار
و من السلطانيات قوله من قصيده نسيها: [الطويل]
تبسم ثغر الدهر فى القضب الملد فأذكى الحياء خجلة و جنه الورد
و نبه وقع الطلّ الحاظ نرجس فمال إلى الوسنان، عاد إلى الشّهد
و ثم لسبر الروض فى مسكه الدّجى نسيم شذا الخير كالمسك و النّد
و غطى ظلام الليل حمرة أفته كما دار مسودّ العذار على الخدّ
و باتت قلوب الشّهب تخفق رقّة لما حلّ بالمشتاق من لوعه الوجد
و أهمل عليه الغيم أجفان مشفق يذكّره فاستمطر الدّمع للخدّ
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٦٦
و منها:

كأن لم أقف فى الحيّ وقفه عاشق غداة افترقنا و التوى رندها يعدى
و ناديت حادى العيس عزّج لعلى أبثك و جدى إن تمرّ على نجد
فقال أتند يا صالح ما لك ملجأ سوى الملك المنصور فى الرّفق و الرّفد
و ممّا خاطبني به قوله: [الخفيف]

عللوني و لو بوعد محال و حلوني و لو بطيف خيال
و اعلموا أننى أسير هواكم لست أنفكك إنما عن عقال
فدموعى من بينكم فى انسكاب و فؤادى من سحر كم فى اشتغال
يا أهيل الحمى كفانى غرامى حسبي ما قد جرّ ... ال
من مجيرى من لحظ ريم ظلوم حلّ الهجر بعد طيب الوصال
ناعس الطرف أسمر الجفن منى طال منه الجوى بطول الليالى
بابلى اللّحاظ أصمى فؤاده و رماه من غنجه بنبال
و كسا الجسم من هواه نحولا قصده فى التوى بذاك النحال
ما ابتدا فى الوصال يوما بعطف مذ روى فى الغرام باب اشتغال
ليس لى منه فى الهوى من مخبر غير تاج العلا و قطب الكمال
علم الدين عزّه و سناه ذروه المجد بدر أفق الجلال
هو غيث الندى و بحر العطايا هو شمس الهدى فريد المعالى
إن وشى فى الرقاع بالنقش قلنا صفحة الطرس حلّيت باللالى
أو دجا الخطب فهو فيه شهاب رايه الصبح فى ظلال الضلال
أو ينى العضب فهو فى الأمن ماض صادق العزم ضيق المجال

لست تلقى مثاله في زمان جلّ في الدهر يا أخى عن مثال
 قد نأى حبي ما له عن ديارى لا لجدوى و لا لنيل نوال
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٦٧ لكن اشتقت أن أرى منه وجهانوره فاضح لنور الهلال
 و كما همت فيه ألثم كفاقد أتت بالنوال قبل السؤال
 سأل ابن الخطيب عذرا أجابت تلثم النعل قبل شمع النعال
 و توفى حق الوزارة عمن هو ملك لها على كل حال

محمد بن محمد بن الشدید

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله.
 حاله: ذكر في الإكليل بما نصّه: شاعر مجيد حوك الكلام، و لا- يقصر فيه عن درجة الأعلام. رحل إلى الحجاز لأول أمره فطال
 بالبلاد المشرقية ثواؤه، و عميت أنباؤه، و على هذا العهد وقفت له على قصيدة بخطه غرضها نبيل، و مرعاها غير و بيل، تدلّ على نفس
 و نفس، و إضاءة قبس، و هى: [الوافر]
 لنا فى كلّ مكرمه مقام و من فوق النجوم لنا مقام
 روينا من مياه المجد لماوردناها و قد كثر الزحام
 و منها:

فحن هم و قل لى من سوانالنا التّقديم قدما و الكلام
 لنا الأيدى الطّوال بكلّ ضرب يهزّ به لدى الروع الحسام
 و نحن اللّابسون لكلّ درع يصيب السّمر منهمّ اثلام
 بأندلس لنا أيام حرب موافقهنّ فى الدنيا عظام
 ثوى منها قلوب الرّوم خوفا يخوّف منه فى المهد الغلام
 حمينا جانب الدين احتسابا بها هو لا يهان و لا يضام
 و تحت الراية الحمراء منّا كتائب لا تطاق و لا ترام
 بنو نصر و ما أدراك ما هم أسود الحرب و القوم الكرام
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٦٨ لهم فى حربهم فتكات عمرو فلأعمار عندهم انصرام
 يقول: عداتهم مهما ألموا أتونا ما من الموت اعتصام
 إذا شرعوا الأسنة يوم حرب فحقّق أنّ ذاك هو الحمام
 كأنّ رماحهم فيها نجوم إذا ما أشبه الليل الغمام
 أناس تخلف الأيام ميتا بحىّ منهم فلهم دوام
 رأينا من أبى الحجاج شخصاعلى تلك الصفات له قيام
 موقى العرض محمود السجاياء كريم الكفّ مقدم هام
 يجول بذهنه فى كلّ شىء فيدركه و إن عزّ المرام
 قويم الرأى فى نوب الليالى إذا ما الرأى فارقه القوام
 له فى كلّ معضلة مضاء مضاء الكفّ ساعده الحسام

رؤوف قادر يغضى و يعفوو إن عظم اجتناء و اجترام
تطوف بيت سؤدده القوافى كما قد طاف بالبيت الأنام
و تسجد فى مقام علاه شكراو نعم الركن ذلك و المقام
أفارسها إذا ما الحرب أختت على أبطالها و دنا الحمام
و ممطرها إذا ما السحب كفت و كف أخى الندى أبدا غمام
لك الذكر الجميل بكل قطرك الشرف الأصيل المستدام
لقد جبنا البلاد فحيث سرنارأينا أن ملكك لا يرام
فضلت ملوكها شرقا و غربا و بت لملكها يقظا و ناموا
فأنت لكل معلوة مدارو أنت لكل مكرمة إمام
جعلت بلاد أندلس إذا ما ذكرت تغار مصر و الشام
مكان أنت فيه مكان عزو أوطان حللت بها كرام
وهبتك من بنات الفكر بكرالها من حسن لقياك ابتسام
فنزّه طرف مجدك فى حلاها فللمجد الأصيل بها اهتمام
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٦٩

محمد بن مسعود بن خالصة بن فرج بن مجاهد ابن أبى الخصال النافقى

الإمام البليغ، المحدث الحجّة، يكنى أبا عبد الله. أصله من فرغليط من شقورة، من كورة جيان، و سكن قرطبة و غرناطة.
حاله: قال ابن الزبير عند ذكره: ذو الوزارتين، أبو عبد الله بن أبى الخصال.
كان من أهل المعارف الجمّة، و الإتقان لصناعة الحديث، و المعرفة برجاله، و التقييد لغريبه، و إتقان ضبطه، و المعرفة بالعربية و اللغة
و الأدب، و النسب و التاريخ، متقدما فى ذلك كله. و أما الكتابة و النظم، فهو إمامهما المتفق عليه، و المتحاكم فيهما إليه.
و لما ذكره أبو القاسم الملاحى بنحو ذلك قال: لم يكن فى عصره مثله، مع دين و فضل و ورع.
قال أبو عمرو ابن الإمام الإستجى فى سمط الجمان، لما ذكره: البحر الذى لا يمتاح و لا يشاطر، و الغيث الذى لا يساجل و لا يقاطر، و
الروض الذى لا يفواح و لا يعاطر، و الطود الذى لا يزاحم و لا يخاطر، الذى جمع أشتات المحاسن، على ماء غير ملح و لا آسن؛ و
كثرت فواضله، فأمنت المماثل و المحاسن، الذى قصرت البلاغة على محتده، و ألقيت أزمه الفصاحة فى يده، و تشرفت الخطابة و
الكتابة باعتزائهما إليه، فنثل كنانتها، و أرسل كمائنها، و أوضح أسرارها و دفائنها، فحسب الماهر التحرير، و الجهد العلامة البصير إذا
أبدع فى كلامه، و أنيع فى روض الإجابة نثاره و نظامه، و طالت فنى الخطبة الذبل أقلامه، أن يستنير بأنواره، و يقتضى بعض منهاجه
و آثاره، و ينثر على أثوابه مسك غباره، و ليعلم كيف يتفاضل الخبر و الإنشاء، و يتلو إن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء.
و عضه العقور أبو نصر فى قلائده، حيث قال: «هو و إن كان خامل المنشأ نازله، لم ينزله المجد منازل، و لا فرج للعلاء هضابا، و لا
ارتشف للسنا رضابا، فقد تميّز بنفسه، و تحيّر من أبناء جنسه، و ظهر بذاته، و فخر بأدواته».

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٧٠

مشيخته: قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير فى الصلة: روى عن الغسانى، و الصدى، و أبى الحسن بن الباذش، و أبى عمران بن تليد، و
أبى بحر الأسدى، و أبى عبد الله النفرى، و جماعة غيرهم.

توآلفه: قال الأستاذ: و أمّا كتبه و شعره و توآلفه الأدبية، فكل ذلك مشهور، متداول بأيدى الناس، و قلّ من يعلم بعده، أن يجتمع له

مثله، رحمه الله.

من روى عنه: روى عنه ابن بشكوال، و ابن حبيش، و ابن مضاء و غيرهم، و كل ذلك ذكره فى رحاله، و هو أعرف بتقدمه فى احتفاله.

شعره: و له شعر كثير، فمن إخوانياته ما خاطب به أبا إسحاق بن خفاجة:

[الكامل]

هَبَّ النسيم هبوب ذى إشفاق يذهبن الهوى بجناحه الخفاق
و كأنما صبح الغصون بنشوة باحت لها سرائر العشاق
و إذا تلاعبت الرياح بيانه لعب الغرام بمهجة المشتاق
مه يا نسيم فقد كبرت عن الصبالم يبق من تلك الصبابة باق
إن كنت ذاك فلست ذاك و لأنا قد أذنت مفارقي بفراق
و لقد عهدت سراك من عدد الهوى و الموت فى نظرى و فى استنشاق
أيام لو عن السلو لخاطرى قرّبتته هديا إلى أشواقى
الهوى إلفى و البطالة مركبى و الأمن ظلّى و الشباب رواقى
فى حيث قسّمت المدامة قسمة ضيزى لأن السكر من أخلاقى
لا ذنب للصبهاء أنى غاصب و لذاك قام السكر باستحقاق
و لقد صددت الكأس فانقبضت بهامن بعدها انبسطت يمين الساقى
و تركت فى وسط الندامى خلّة هامت بها الوسطى من الأعلاق
فاستسرفونى مذكرين و عندهم أنى أدين اللهو دين نفاق
و حبابها نفث الحباب و ربماسدكت يد الملسوع منه براق
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٧١ و كأنه لما توقّر فوقها نور تجسّم من ندى الأحداق
لو بارح نفع التوى فى روضة فأثارها و سرى عن الأحداق
و لقد جلوا و الله يدرأ كيدهم فتانة الأوصاف و الأعراق
أغوى بها إبليس قدما آدم و السرّ يرمى فى هواها الباقي
تالله أصرف نحوها وجد الرضالو شعشت برضا أبى إسحاق
و من نسيه: [المنسرح]

و ليلة عنبرية الأفق رويت فيها السرور من طرق
و كنت حرّان فاقتدحت بهانارا من الزّاح برّدت حرقى
وافت بها عاطلا و قد لبست غلالة فصلت من الحدق
فاجا بها الدهر من بنيه دجى لقيته كالإصباح فى نسق
قامت لنا فى المقام أوجههم و راحهم بالنجوم و الشفق
و أطلع البدر من ذرى غصن تهفو عليه القلوب كالورق
من عبد شمس بدا سناه و هل ذا النور إلّا لذلك الأفق
مدّ بحمراء من مدامته بيضاء كفّ مسكية العبق

فخلتها ورده منعمة تحمل من سوسن على طبق

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٧٢ يشرب في الراح حين يشربها ما غادرت مقلته من رمق

و قال: [المنسرح]

يا حبذا ليلة لنا سلفت أغرت بنفسى الهوى و ما عرفت

دارت بظلماتها المدام فكم نرجسه من بنفسج قطف

و قال فى مغن زار، بعده أغب و شط المزار: [الكامل]

وافى و قد عظمت على ذنوبه فى غيبة قبحت بها آثاره

فمحا إساءته لنا إحسانه و استغفرت لذنوبه أوتاره

و قال يعتذر عن استبطاء مكاتبه: [الطويل]

ألم تعلموا و القلب رهن لديكم يخبركم عنى بمضجره بعدى؟

فلو قلبتني الحادثات مكانكم لأنهبته و فرى و أوطأتها خدى

ألم تعلموا أنى و أهلى و واحد فداء و لا أرضى بتفديته وحدى؟

و من قوله فى غرض المدح يخاطب تاشفين بن على، و يذكر الوقعة بكركى، يقول فيها: [البيسط]

اللّه أعطاك فتحا غير مشترك و ردّ عزمك عن فوت إلى درك

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٧٣ أرسل عنان جواد أنت راكبه و اضمم يديك ودعه فى يد الملك

حتى يصير إلى الحسنى على ثقة يهدى سبيلك هاد غير مؤتعدك

قد كان بعدك للأعداء مملكة حتى استدرت عليهم كورة الفلك

سارت بك الجرد أو طار الفضاء بهاو الحين قد قيد الأعداء فى شرك

فما تركت كميا غير منعفرو لا تركت نجيعا غير منسفك

ناموا و ما نام موتور على حنق أسدى إذا فرصة ليست من السلوك

فصبحتهم جنود الله باطشه و الصبح من عبرات الفجر فى مسك

من كل مبتدر كالتجم منكدر تفيض أنفسهم غيظا من المسك

فطاعنوك بأرماع و ما طعنت و ضاربوك بأسياف و لم تحك

تعجل النحر فيهم قبل موسمهم و قدم الهدى منهم كل ذى نسك

فالطير عاكفه و الوحش واقفه قد أثقلتها لحوم القوم عن حرك

عدت على كل عاد منهم أسربعثن فى حنجر رحب و فى حنك

كلى هنيئا مريئا و اشكرى ملكاقرتك أسيافه فى كل معترك

فلو تنصدت الهامات إذ نشرت بالقاع للغيطان بالنبك

أبرح و طالب بياقى الدهر ماضيه فيوم بدر أقامه الفىء فى فدك

و كم مضى لك من يوم بنت له فى ماقط برماح الحظّ مشتبك

بالتقع مرتكم بالموت ملتئم بالبيض مشتمل بالشمر محتبك

فحص القباب إلى فحص الصعاب إلى أريولة مداسات إلى الشكك

و كم على حبر محمود و جارته للزوم من مرتكل غير مترك

وَقِيَتْ لِلصَّفْرِ حَتَّى قِيلَ قَدْ غَدِرُوا سَمَوْتَ تَطْلُبُ نَصْرَ اللَّهِ بِالذَّرْكَ
فَأَسْلَمْتَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ غَدَوْتَهُمْ وَأَذْهَبَ السَّيْفُ مَا بِالذَّنِّ مِنْ حَنْكَ
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّامِيُّ بِهَيْمَتِهِ إِلَى رِضَى اللَّهِ لَا تَعْدِمُ رِضَى الْمَلِكِ
مَا زِلْتَ تَسْمَعُهُ بَشْرِي وَتَطْلَعُهُ أُخْرَى كَدَّرَ عَلَى الْأَجْيَادِ مَسْلِكَ
يَبْضُ وَجْهَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِهَاوِ الْأَرْضِ مِنْ ظَلْمَةِ الْإِلْحَادِ فِي حَلْكَ
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٧٤ فاستشعر النصر و اهتزت منابره بذكر أروع للكفار محتتك
فأخلدك و لمن والاك طاعته خلود بز بتقوى الله ممتسك
وافيت و الغيث زاخر قد بكى طربالما ظفرت و كم بلله من الضحك
و تتم الله ما أنشأت من حسن بكل منسبك منه و متمك
و عن قريب تباهى الأرض من زهير سماها بها غضة الحبك
فعد و قد و اعتمد و احمد و سد و أبدو قل وصل و استطل و استول و انتهك
و حسبك الله فردا لا نظير له تغنيك نصرته عن كل مشترك
و من قوله في غرض الرثاء، يرثى الفقيد أبا الحسن بن مغيث: [البيسط]
الدهر ليس على حرّ بمؤتمن و أى علق تخطته يد الزمن
يأتى العفاء على الدنيا و ساكنها كأنه أدبر لم يسكن إلى سكن
يا باكيا فرقة الأحباب عن شحط هلا بكيت فراق الروح للبدن؟
نور تقيد فى طين إلى أجل و انحاز علوا و خلى الطين فى الكفن
كالطير فى شرك يسمو إلى درك حتى تخلص من سقم و من درن
إن لم يكن فى رضى الله اجتماعهما فى لها صفة تمت على غبن
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٧٥ يا شد ما افترقا من بعد ما اعتنقا أظنها محرقة كانت على دخن
و رب سار إلى وجه يسر به و افى و قد نبت المرعى على الدمن
أتى إلى الله لا سمع و لا بصريدعو إلى الرشد أو يهدى إلى السنن
فى كل يوم فراق لا بقاء له من صاحب كرم أو سيد قمن
أعيا أبا حسن فقد الذين مضوا فمنا لى بالذى أعيا أبا حسن
كأن البقية فى قوم قد انقرضوا فهاج ما شاء ذاك القرن من شجن
يعدّ فدا و فى أثوابه رمز من كل ذى خلق عمرو و ذى فطن
و إن من أوجدتنا كل مفتقد حياته لعزير فقد و الطعن
من للملوك إذا خفت حلومهم بما يقاوم ذاك الطيش من سكن
و منها:
يا يونس لا تسر أصبحنا لو حشتنا نشكو اغترابا و ما بنا عن الوطن
و يا مطاعا مطيعا لا عناد له فى كل أمر على الإسلام مؤتمن
كم خطت كارتجاج البحر مبهمه فرتجتها بحسام سل من لسن
طود المهابة فى الجلا و إن جذبت عنانه خلوة هزت ذرى و تر

أكرم به سببا تلقى الرسول به لخمس واردة في الفرض و السنن
 ناهيك من منهج سم القصور به هوى فمن قدر عال إلى فدن
 من كل وادى التقى يسقى الغمام به فيستهل شروق الصرع باللبن
 تجملت بك في أحسابها مضرو أصل مجدك في جرثومة اليمن
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٧٦ من دولة حولها الأنصار حاشده في طامح شامخ الأركان و القنن
 من الذين هم رووا و هم نصر وامن عيسه الذين لا من جذوة الفتن
 إن بيد مطلع منهم و مستمع فارغب بنفسك عن لحظ و عن أذن
 ما بعد منطق و شى و لا زهرو لا لأعلاق ذاك الدر من ثمن
 أقول و فينا فضل سؤدده أستغفر الله ملء السر و العن
 محمد و مغيث نعم ذا عوضاهما سلاله ذاك العارض الهتن
 تقتيلا هديه في كل صالحه نصر السوابق عن طبع و عن مرن
 ما حل حبوته إلا و قد عقدا حبا بما اختار من أيد و من منن
 عز الأحنه عند حسن عهدهما و إن يؤنس في الأثواب و الجنن
 علما و حلما و ترحيبا و تكرمه للزائرين و إغضاء على زكن
 يا و افد الغيث أوسع قبره نزل وروما حول ذاك الديق من تكن
 و طبق الأرض و بلا في شفاعته فنعم رائد ذاك الزيف و اليمن
 و أنت يا أرض كوني مره بأبى مثنوى كريم ليوم البعث مرتهن
 و إن تردت بترب فيك أعظمه فكم لها في جنان الخلد من ردن
 و من شعره قوله مخمسا، كتب بها، و قد أقام بمراكش يتشوق إلى قرطبه:

[الطويل]

بدت لهم بالغور و الشمل جامع بروق بأعلام العذيب لوامع
 فباحث بأسرار الضمير المدامع و رب غرام لم تنله المسامع
 أذاع بها من فيضها لا يصوب ألا في سبيل الشوق قلب مؤثربركب إذا شاء و البروق تحمل
 هو الموت إلا أننى أتحمّل إذا قلت هذا منهل عز منهل
 و راية برق نحوها القلب يجنب أبى الله إما كل بعد فتأبت و إما دنو الدار منهم ففأنت
 و لا يلفت البين المصمم لافت و يا رب حى البارق المتهافت
 غراب بتفريق الأحنه ينبع الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٧٧ خذوا بدمى ذاك الوسيق المضرجا و روضا بغيبض العاشقين تأرجا
 عفى الله عنه قاتلا ما تحرجاتمسى الردى في نشره و تدرجا
 و فى كل شىء للمنيه مذهب سقى الله عهدا قد تقلص ظلّه حيا قطره يحيى الربا مستهله
 و عى به شخصا كريما أجله يصح فؤادى تاره و يعلّه
 و يلّمه بالذكر طورا و يشعب رمانى على قرب بشرخ ذكائه فأعشت جفونى نظره من ذكائه
 و غصت بأذنى شعبه من سمائه شعابى و جاء البحر فى غلوائه
 فكلّ بقرب ردع خديه يركب ألم ياته أنى ركنت قعودا و أجمعت عن وفز الكلام قعودا

و لم أعتصر للدّكر بعدك عوداؤ أزهقنى هذا الزمان صعودا
 فربح الذى بين الجوانح سبب على تلك من حال دعوت سميعاؤ ذكّرت روضا بالعقاب مريعا
 و تملأ الشعب المذحجى جميعاؤ سربا بأكناف الرّصافه ريعا
 و أحداق عين بالحمام تقلّب و لم أنس ممشانا إلى القصر ذى النّخل بحيث تجافى الطود عن دمث سهل
 و أشرف لا عن عظم قدر و لا فضل و لكنه للملك قام على رجل
 يقيه تباريح الشمال و يحجب فكم و جع يتتابه برسيسه و يرتحل الفتى بأرجل عيسه
 أبق أمّ عمرو فى بقايا دريسه كسحق اليمانى معتليه نفيسه
 فرقته تسبى القلوب و تعجب و بيضاء للبيض البهليل تعتزى و تعتزّ بالبان جلالا و تنتزى
 سوى أنها بعد الصّنيع المطرّز كساها البلى و الثّكل أثواب معوز
 بيكى و تبكى للزائرين و تندب الإحاطه فى أخبار غرناطه، ج ٢، ص: ٢٧٨ و كم لك بالزّهراء من متردّد و وقفه متّسق المجامع مقصد
 يسكن من خفق الجوانح باليدو يهتك حجب النّاصر بن محمد
 و لا هيبه تخشى هنالك و ترهب لنعم مقام الخاشع المتسّك و كانت فى محلّ العبشمين المملّك
 متى يورد النّفس العزيزه يسفك و إن يسم نحو الأبلق الفرد يملك
 و أى مرام رامه يتصعّب قصور كان الماء يعشق ميناها فطورا يرى تاجا بمفرق أعلاها
 و طورا يرى خلخال أسوق سفلاها إذا زلّ و هنا عن ذوائب يهواها
 يقول هوى بدرا أو انقضّ كوكب أتاها على رغم الجبال الشّواهو و كلّ منيف للنجوم مراهق
 و كم دفعت فى الصّدر منه بعائق فأودع فى أحشائها و المفارق
 حسابا بأنفاس الرياح يذرب هى الخود من قرن إلى قدم حسنا تناصف أقصاها جمالا مع الأدنى
 و درج كأفلاك مبنى على مبنى توافقن فى الاتقان و اختلف المعنى
 و أسباب هذا الحسن قد تشعّب فأين الشّمس الكالقات بها ليلا و أين الغصون المائسات بها ميلا
 و أين الطّباء السابحات بها ذيلوا و أين الثرى رجلا و أين الحصا خيلا
 فوا عجبا لو أن من يتعجب كم احتضنت فيها القيان المزاهراؤ كم فاوحت فيها الرّياض المجامرا
 و كم ساهرت فيها الكواكب سامراؤ كم قد أجاب الطير فيها المزامرا
 عظيم من الدنيا شعاع مطّنب كأن لم يكن يقضى بها النّهى و الأمر و يجبى إلى خزائنها البرّ و البحر
 و يسفر مخفورا بذمتها الفخرو يصبح مختما بطينتها الدهر
 و أيامه تعزى إليها و تنسب

الإحاطة فى أخبار غرناطه؛ ج ٢؛ ص ٢٧٨

الإحاطة فى أخبار غرناطه، ج ٢، ص: ٢٧٩ و مالك عن ذات القسىّ التّواضح و ناصحه تعزى قديما لناصح
 و ذى أثر على الدهر واضح يخبر عن عهد هنالك صالح
 و يعمر ذكر الذاهبين و يخرب تلاقى عليه فيض نهر و جدول تصعّد من سفلى و أقبل من عل
 فهذا جنوبى و ذلك شمالى و ما اتفقا إلّا على خير منزل
 و إلّا فإن الفضل منه مجرّب كأنهما فى الطّيب كانا تنافرا فسارا إلى وصل القضاء و سافرا
 و لمّا تلاقى السابقان تناظرا فقال وليّ الحق مهلا تظافرا

فكلكما عذب المجاجه طيب ألم يعلما أن اللجاج هو المقت وأن الذي لا يقبل النصف منبت
و ما منكما إلا له عندنا وقت فلما استبان الحق واتجه السمت
تقشع من نور المودة غيب و إن لها بالعامرية لمظهاو مستشرفا يلهي العيون و منظرا
و روضنا على شطى خضاره أخضراو جوسق ملك قد علا و تجبرا
له ترة عند الكواكب تطلب أغثيره فى عنفوان المواردو أثبتة فى ملتقى كل وارد
و أبرزه للأريحي المجاهدو كل فتى عن حرمة الدين زايد
حفيظته فى صدره تنلهب تقدم عن قصر الخلافة فرسخاو أصحر بالأرض الفضاء ليصرخا
فحالته أرض الشرك فيها منوخا كذلك من جاس الديار و دوحا
فردعته فى القلب تسرى و تهرب أولئك قوم قد مضوا و تصدعوا قضاوا ما قضاوا من أمرهم ثم ودعوا
فهل لهم ركر يحس و يسمع؟ تأمل فهذا ظاهر الأرض بلقع
إلا أنهم فى بطنها حيث غيبوا الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٨٠ أ لست ترى أن المقام على شفاو أن يياض الصبح ليس بذى
خفا

و كم رسم دار للأجنة قد عفاو كأن حديثا للوفود معرفا
فأصبح وحش المنتدى يتجنب و لله فى الدارات ذات المصانع أخلأ صدق كالنجوم الطوالع
أشيع بينهم كل أبيض ناصع و أرجع حتى لست يوما براجع
فياليتنى فى قسمتى أتهيب أقرطبه لم يثنى عنك سلوان و لا بمثل إخوانى بمغناك إخوان
و إنى إذا لم أسق ماء ك ظمان و لكن عدانى عنك أمر له شان
و موطنى آثار تعد و تكتب لك الحق و الفضل الذى ليس يدفع و أنت لشمس الدين و العلم مطلع
و لولاك كان العلم يطوى و يرفع و كل التقى و الهدى و الخير أجمع
إليك تنهى و الحسود معذب ألم تك خصت باختيار الخلائف و دانت لهم فيها ملوك الطوائف
و عض ثقاف الملك كل مخالف بكل حسام مرهف الحد راعف
به تحقن الآجال طورا و تسكب إلى ملكها انقاد الملوك و سلمواو كعبتها ندا الوفود و يمموا
و فيها استفادوا شرحهم و تعلمواو عاذوا بها من دهرهم و تحرّموا
فنكب عنهم صرفه المتسحب علوت فما فى الحسن فوقك مرتقى هواؤك مختار و تربك منتقى
و جسرك للدنيا و للدين ملتقى و بيتك مربوع القواعد بالتقى
إلى فضله لأكباب تنضى و تضرب تولّى خيار التابعين بقاءه و خطوا بأطراف العوالى فناءه
و مدّوا طويلا صيته و ثناءه فلا زال مخلوع عليه سناءه
و لا زال سعى الكائدين يخيب الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٨١ و بالغ فيه كل أروع أصيد طويل المعالى و المكارم و اليد
و شادوا و جادوا سيّدا بعد سيّد فبادوا جميعا عن صنيع مخلّد
يقوم عليه الثناء و يخطب مصايحه مثل النجوم الشوابك تمزق أثواب النجوم الحوالك
و تحفظه من كل لاه و سالك أجادل تنقض انقضاى النيازك
فإبشارهم بالطببية تنهب أجدك لم تشهد بها ليلة القدر و قد جاش بز الناس منه إلى بحر
و قد أسرجت فيه جبال من الزهر فلو أن ذلك الثور يقبس من فجر

لأوشك نور الفجر يفنى و ينضب كأن للثريات أطواد نرجس ذوائبه تهفو بأدنى تنفس
و طيب دخان الند من كل معطس و أنفاسه في كل جسم و ملبس
و أذيله فوق الكواكب تسحب إلى أن تبدت راية الفجر ترحف و قد قضى منهما الذى لا يسوف
تولوا و أزهار المصايح تقطف و أبصارها صونا تغض و تطرف
كما تنصل الأرماع ثم تركب سلام على غيابها و حضورها سلام على أوطانها و قصورها
سلام على صخرائها و قبورها و لا زال سور الله من دون سورها
فحسن دفاع الله أحمى و أرب و فى ظهرها المعشوق كل مرفع و فى بطنها الممشوق كل مشفع
متى تأته شكوى الظلامه ترفع و كل بعيد المستغاث مدفع
من الله فى تلك المواطن يقرب و كم كربة ملء الجوانح و القلب طرقت و قد نام المواسون من صحب
بروعتها قبر الوالى لى و هب و ناديت فى التراب المقدس يا رب
فأبت بما يهوى الفؤاد و يرغب الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٨٢ فى صحبى حان قبلك مصرعى و كنت على عهد الوفا و
الرضا معى

فحط بضاحى ذلك السرى مضجعى و ذرنى فجار القوم غير مروع
فعندهم للجار أهل و مرحب رعى الله من يرعى العهود على التوى و يظهر بالقول المحبتر ما نوى
و لبيته من مستحکم الود و الهوى يرى كل واد غير واديه مجتوى
و أهدى سبيله الذى يتجرب كتابته: و كتابه ذى الوزارتين، رحمه الله، كالشمس شهرة، و البحر و القطر كثرة؛ و نحن ثبت له شيئا من
ذلك لئلا يخلو هذا الكتاب من شىء من بيانه. كتب يراجع الوزير أبا بكر بن عبد العزيز، من رساله كتب بها إليه مع حاج يضرب
القرعة:

أطال الله بقاء ولى و إمامى الذى له إكبارى و إعظامى، و فى سلكه اتسامى و انتظامى، و إلى ملكه انتسابى و اعتزائى، و بوذ
افتخارى و انتزائى، للفضائل مجيبا و مبديا، و للمحامد مشتملا و مرتديا، و بالغرائب متحفا و مهديا، و لا زال الرخاء و أزل، و جد من
المصافاة و هزل، و سحت من المراعاة و جزل. وصل كتابه صحبه عزاف اليمامة، و فخر نجد و تهامة، يقرظه و يزكيه، و يصفه بالخب
يفسره و يجليه، و الخفى يظهره و يبديه. و لعله رائد، لابن أبى صائد، أو هاد للمسيح الدجال قائد. أشهد شهادة إنصاف، أن عنده
لعضبا صاف، و لو كان هناك ناظر صادق طاف، و لله خفايا الألفاف، لقلت هو باد غير خاف، من بين كل ناعل و حاف. و
سأخبرك، أيديك الله، بما اتفق، و كيف طار و نعق، و توسد الكرامة و ارتفق، طرق له و صفك و نعتك، و ثقفه بريك و نحتك، و
رفعه للعيون جدك و بختك، و امتدت نحوه النواظر، و استشرفه الغائب و الحاضر، و تسابق إليه التابه و الخامل، و ازدحم عليه العاطل
و العامل. هذا يلتمس مزيدا، و ذاك يبتغى حظا جديدا، و هذا يطلب تقليدا، و ذلك يسئل إلى مغاليقه إقليدا.

فكلما حزب، و غل و جلب، حلب و استدر، و تلقاه و إن ساءه الغيب بما سز. و كنت واتغت جملة من الأعيان، و وافقت ثلثة من جلة
الإخوان، على تمشية أمره، و توشية ذكره؛ فلما صدقت تلك الفرقة، و استوت بهم تلك الفرقة، أحضرناه للسبار، و أقعدناه للنقد و
الاختيار، و أردنا أن نقف على جلايا تلك الأخبار، فأحضرنا طحنا و نطعا، و سرينا عنه من الوحشة قطعا، و قلنا له خذ عفوك، و لا
توردنا إلما صفوك، و لا تصانعا فى الكريهة التى نراها، و الحادثه تستفزع ذكراها؛ فما عندنا جهل، و ما منا إلما محتتك كهل، لا
يتكاده حزن و لا يستخفه سهل، فسكن جائش فوره، و ضرب بلحيته على زوره، ثم صعد فينا النظر و صوب، و استهل صارخا و ثوب،
و تحرج من الكذب

و تحوُّب، و قال: لست للعشرة خابطاً، و لا- للطرف غامضاً، و لا عن الصدق إذا صدع حائداً، و لا للغدر مَمَّن وقع منه ذائداً، و لا بمعجزات النبوة لاعبا، و لا لصريح الجَدِّ مداعبا، و لا تطيني مسألة و لا حلوان، و لا تستفزني نضائد كثيرة و لا ألوان. إنما هو رسم و خطّ، و رفع و خطّ، و نحس و سعد، و نقد و وعد، و يوم و غد. فقلنا له الآن صحّت الوفاة، و أينعت الإرادة. ثم نظر إلينا نظر المستقلّ، و اجتذب التّلع اجتذاب المدلّ، و نثّل الطّحن و هاله، و أداره حتى استدار هاله، ثم قال: يا أيها المملأ هذا المبتدأ، فأيكّم يبدأ. فرمقني القوم بأبصارهم و فغروا و كبروا، وليتهم عند ذلك صَفّروا، فقلت: يا قوم قد عضضت على ناجذى حلما، و قتلت شأني كلّه علما، و عقدت بيني و بين غد سلما، فكيف أستكشف عما أعرف، و أسبقهم عمّا لا يستبهم.

على الرحمن توكلت، و على الشيطان تركّلت، و من كسبي أكلت، و في مبرك السّلامه بركت، و جسيمات الأمور تركتني و تركت، و النفس المطمئنة رجوت، و لعلني قد نجوت، و أصبت فيما نحوت. فلحظتني عند هذه المقالة عينه، و طواني صدقه و مينه.

ثم صار القوم دوني أنجيه، و أعدّ له كل تورية و تعمية. فقال قائل منهم: تعالوا نشترك في ضمير، و نرمه بهذا الطاغية ابن رذمير، ففي كل قلب منه ندب كبير، و السؤال عنه دين و أدب، فإن أصابه استرحنا من التّصب و الشّدخوص، و حرنا من العموم إلى الخصوص، و إن أخطأه فهو لما سواه أخطأ، و لما يدعيه و يريده منه أبطأ. فقالوا: نعم ما عرضت، و أحسن بما رويت و فرضت. فلما رأيناه يثقل التعريض، و يحكم التقرير و التعويض، قلنا له: حقّ ضميرك كل التحقيق، و ضع مسبحتك في الدقيق. فابتدر ما أمر، و حسر عن ذراعه و شمّر، و مرت أصبعه في خطّه مَرّ الدّر المتهاكك، و وقعت وقع القطر المتدارك، لا تمس الطّحن إلّا تحليلاً، و غمزا كالوهم قليلاً، فطورا يستقيم سيلاً، و تارة يستدير إكليلاً، و آونة يأتي بالسما و نجومها قبلاً. فكان هنالك لنعش من بنات، و للثريا من أخوات، و طير قابضات، و صافّات و أسراب ناشرات خافقات.

فلما استوفى عدده، و بلغ أمده، و ختم طرائقه و قدده، و أعطى الأصول و فروعها، و تدبّر تفاريقها و جموعها، فجمع و تقبّض، و فتر ثم انتفض، و صعّد ذهنه و تسافه، و أخذ الطّحن فسافه؛ و زفر و شهق، و عَشّر و نهق، و ألصق بظهره حشاه، و كتم الرّبّو ثم أفشاه، و قال: هذا الذي كنت أخشاه، عميت الأثر، و كتتمت حقيقة الخبر، و عثرتم خاطي فما عثر، و نثرتم نظام الحدس فما انتثر. سألتكم عن روح شارد، و شيطان مارد، و صادر مع اللّحظات وارد، لا- يوطن دارا، و لا- يأوى قرارا، و لا يطعم التّوم إلّا غرارا. نعم أمره عندي مستقر، هو زنديق مستتر؛ و شهاب من شهب الكفر مستمر.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٨٤

ثم رجّع البصر و اختصر، و عاد إلى الحساب يتقرّاه، و الصواب يتحرّاه، و تتبع أديم الطّحن ففراه، و قال: أعوذ بالله من شرّ ما أراه. إلى كم أرى في غلاء و بلاء؟ كأني لست ذا أمرار و أحلاء، تالّله لو كانت قرعة رفعة و علاء؛ ما غاب عنى اللّحيانى ذو السّبله، و لواجها البياض ذو الغزّة المستقلّة مواجهة حسان لجله. النّحس على هذه الروح قد ربّ؛ و كتب عليه من الشقاء ما كتب، و أخرج النّصرة الداخلة من العتب.

ثم أشار إلى الحمرة، و كأنما وضع يده على جمرة، و قال: كوسج نعيّ، و سناط الوجه شقيّ، و ثقاف و طريق، و جماعة و تفريق، و قبض خارج، و منكوس مارج. ثم وضع عمامته، و لولب هامته، و أمال وجهه فجرا طلقاً، ثم عرضه مجنا مطرقاً، و عقد أنامله عضّاً، و آدمى صدره دغا و رضاً، و قطع بصره لمحا و غضّاً، و تكفّاً و تقلّع، و أدلع لسانه فاندلع. فقلنا: شرّ تأبطه، أو شيطان يتخبّطه، أو قرين يستنزله و يختله، أو رؤى في الذرة و الغاب يفتله. ثم تجاخط و تحاذر، و تضاءل و تنازر، و قال: و الذي أحيا عازر، و أخرج إبراهيم من آزر، و ملكك عنان الريح و أذعن له كل شيء بالسجود و التّسبيح، إنه لمن عبّاد المسيح، هيهات هيهات، لا أضعضع بظنّ، و لا يققع لى بشنّ، و لا أنازع من هذه الفنون فى فنّ. قد ركبت أثباج البحار، و قطعت نياط المفاوز و القفار. و شافهنى الحرم و البيت، و صافحنى الحجر الكميّ، و أحرمت و لبيت، و طفت و وفيت، و زرت المصطفى صلى الله عليه و سلم، و تحفّيت. ثم ملت على عدن، و انحدرت عن اليمن، و استسقيت كل راعده، و أتيت كل قاعدة؛ و رأيت صاحب الجمل قسّ بن ساعده، و وردت عكاظ، و صدّقت

الحفاظ، وقدت العصية بنسج، و مسحت الشامات بأخمس و تسع، و وقفت حيث وقف الحكمان، و شهدت زحف التركمان، و كيف تصاولت القروم، و غلبت الزوم، و هزم المدبر المقبل، و اكتسحت الجحاش الإبل. فقلنا: لله أنت، لقد جليت عن نفسك، و أربى يومك على أمسك، و لقد صدق مطريك، و وفيت صحيفه تزكيك، و ما كانت فراستنا لتخب فيك. فماذا تستقرى من اللوح، و ترى في ذلك الروح؟ بعيشك ألا- ما أمتعنا بالإفشاء و البوح! فرجع في البحث أدراجه، و طالع كواكبه و أبراجه، و ظل على مادة الطحن يرقم و يرمق، و يفتق و يرتق. ثم جعل يتسم، و قال: أحلف بالله و أقسم، لقد استقام التسم، و إنه لكما أرسم و أسم، و إني لا أجده إلا لاغبا مبهورا، و منكودا مقهورا، و لن يلبث إلا شهورا. قد أفل طالع جدّه، و فلّ حدّه، و أتى عليه نقى حدّه، و وصى لم يملك أبوه و ملك جدّه، فقلنا: صرّحت و أوضحت، و شهرت هذا المستور و فضحت، و إن ساعدك قدر، و كان لك عن هذا الورود صدر، فحظك مبتدر، و خطك صاف لا يشوبه كدر. فقال: هذا أمر قد آن أو كان، و سيأتيكم الخبر الآن، فانفصلنا و أصغينا الآذان، و جعلنا نتلقى الزكبان، فلم يرعنا إلا التعمى الناجمة، و البشرى الهاجمة، بما

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٨٥

بان، فأدنا في شأنه، و لم يكن يعاوده خوف طغيانه، فإذا الخبر لم يخط صماخه، و كأنما كان عودا وافي مناخه، أو طائرا أم أفراخه. فلم ينشب أن أقبل يصمد نحونا أى صمد، و يتعرضنا على عمد، تعرض الجوزاء للنجوم؛ و ينقض انقضا نيازك النجوم، و قال: أ لم يأن أن تدينوا لى بالإكبار، و تعلموا أنى من الجهابذة الكبار؟

فقلنا: منك الإسجاج، فقد ملكت و منك و لك النجاح، أية سلكت. فأطرق زهوا، و أعرض عنا لهوا، و قال: اعلموا أن القرعة لو طوت أسرارها، و منعتى أخبارها، لمزقت صدارها، و ذروت غبارها، و لكان لى عنها أوسع منتدح، و أنجد زناد يقدح، أين أنتم عن رصدى الأحلاك، و علمى بالأفلاك؟ أنا فى مرج الموج، و أوج الأوج، و المتفرد بعلم الفرد و الزوج، و مسترط الشيطان، و مستدير الدبران، و بائع المشتري بالميزان، و القابض بيوم الحساب و العمل، على روق الثور و ذنب الحمل، أعقد نصل العقرب، و أقيد الأبعد و الأقرب، لصيد أوابدها بالدقائق و الدرّج، حتى اضطرّ سارحها إلى الحرج، و أصبحها فى أضيّق منعرج، أنا استذكرت بالأنبار، فرحة الإقبال و ترحه الإدبار، و طالعت أقليدس فاستنبطته، و صارعت المجسطى فجسطنته، و ارتمطت إلى الأرتماطيقا، و أطقت الألوطيقا، و لحظت التحليل بحلّ ما عقده، و انتضيته ما مطل به الجهابذة فنّمّده. و عاينت زحل، حين استقلّ على بعيره و رحل، و ضايقتة فى ساحته، و حصرته فى مساحته، و حضرت قرانه، و شهدت تقدّمه و مرانه، و شاهدته شفرا بشفر، و ناجانى برقاً يعدّ فى الكفر، و تخريبه لملك الصّيفر، و تفريقه لبلاد اللّطينة، و إنجاز الوعد فى فتح قسنطينة. أنا عقدت رشا الدلو، و ذروت غبار الحوت للفلو. أنا اقتدحت سقط الجوزهر، فلاح بعد خفائه و ظهر. أنا استشرت الهلال من مكان سرره، و أخذت عليه ثانيا سفره، و قددت قلامته من ظفره، و دلت طير الصّاير على شجره، فجنيت المرّ من ثمره، أنا طرقت الزّهره فى خدرها، و صافحتها من الفكرة بيد لم تدرها. أنا أذكيت على ذكاء فظلت تلتهب، و أحرزتها من الوهم شطنا أجذبها به فتجذب. أنا أنعى للمعتبرين حياتها، فيشبهون الحسنه و يتحرّون أوقاتها، حتى تنتشر بعد الطّى حياتها، و تستقيل من العثار آياتها.

أنا انتضيت للشباب شرخا، و أضرمت للمزيخ عقارا و مرخا، حتى أتغانى بملاحم حروبه، و حوادث طلوعه و غروبه، و تلمّظه إلى التّجيع، و ولوغه فى مهجة البطل السّجيع. أنا أبرى من اللّم، و أشفى من الصّم، و أنقل العطس إلى الشّم. فقلنا: أمّا الأولى، فقد سلّمنا لك جميعها، و أمّا هذه الثلاثة فلن تستطيعها. قال: فلم تعجزون و لا تستخزون؟ فقلنا: من كان له علاج فبنفسه يبدأ، و نغب بغيره. و لسنا نريدك، و لكن تهترّ يدك. قال: أما من بينهم روى، و ألقى فى روعه ما ألقى فى روعى، فمثله كالصّارم، حسنه فى فرنده، لا غمده، و جماله فى حدّه لا فى حدّه،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٨٦

و المرء كما قيل بأصغريه، لا بمنخريه، و الشّان فى الحيزوم، لا فى الخيشوم، و فى الدّكرين، لا فى الأنثيين، و بعد، فهو كلام ظاهره

إجمال، و باطنه احتمال، و سأبئكم بغزارة سيله، و فجر ليله. أما الأفتس فيدلى الضغنة، و يتزوج في آل جفنة. فإن الله أتم، جاء الولد أتم، و إن نام عرق خاله، بقى الولد بحاله. و أما الأصم، فيخرج عن الغلام، و بلا فال، و يطلب في بنى السيمية بركة الاسمية و الفال، فإن الله أراد، ظفر بالمراد، و جاء ابنه أسمع من قراد. فأحس من بعض الحاضرين تمرىضا، و عاين طرفا غضىضا، فتعكر و تشذر، و طوف و حذر، و قال صاحب الشريعة، سمّاهم بنى السيمية، قوموا يا بنى اللكية، فقد قطعتم رزقى، و آذيتم طرقي، و أذلتم ضربى و طرقي، و سددم طوقى، و أخذتم على أفقى غربى و شرقى. ذرونى للتى هى للبيئة تجنى، ثم الوجد يعنى، لو شرب نواديه إثر تجنى. ثم نجا بعزته سمىلا، و أرسل بنات نعش ذىلا، و قد أفاد بما استصحب من ميامنك ليلا، كذبى أيدك الله عند نواه، و لم يطلعنى طلع ما نواه؛ و ما ذاك إلما لمطمع لواه، و مغنم هواه. فرفعت لى بعد وداعه نجوة، و رمتنى بشخصه فجوة، فقلت: ما أراك إلّا غائل، أورثت عنك الحباثل. فسراك سرى قين، و حديثك مين، ألم تعبر دجيلا، و يمت سهيلا؟ فقال: طربت إلى الأصفية الصغار، و شاقنى الشوق بين الطواغيت و الأصفار. فقلت له: هلم إلى خط نعيده، و حظ نستفيده. فقال: لو لا أن تقولوا الساعة متى، و تطالبونى بإحياء الموتى، لما أجمعت إلى الغرب غروبا، و لأريتكم من الحذق ضروبا. ثم قال: إن لى بالحضرة أفرأخا، و أمّا استصرخت عليها استصرأخا، و انسلخت منها انسلاخا، و أعيأ على أمره فلم أعلم له ظعنا و لا مناخا. فلبث كذلك أياما، ثم اعتم على أمره اعتياما، و لم أعرف له إنجادا و لا اهتماما، فإذا به و قد أضمرت عنه بأسا، و لم أطمع فيه رأسا، قد أشب لى شبابا، و لمعت صلعتة شهابا، تكتنفه صرة، و ييمناه قوصرة، و تؤود يسراه جرة. فقلت له: قاتلك الله، ما أشد فقداتك إلّا فقدتك، و ما أذكر وجداتك إلّا وجدتك، أين أفرأخك، و الأم التى جذبها استصرأخك؟ فقال: الصعلوك، لو أعلم مذاهبه، تحرّم مناهبه، و تحدم مراهبه. ذرنى و علاجى، أحاجى و أداجى، و أعاين و أناجى، و أتقلب فى بركة دعاء الباجى. فقلت له: مالك و للميت، و رحم الله من سميت. قال: لى أذن الله فالتمت السيمية، و تمزقت عنى المشيمة، هممت بالسرق، و لففت فى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٨٧

الخرق، و فارقت من الضيق منتداه، و أفلتتنى يده؛ فحنكنى السعد بتمر المدينة، و سقانى من ماء البلدة الأمانة، و عوذنى بدعوات متينة. فها أنا كما ترى أتهادى و أجتذب، و أستحلى و أستعذب. فقلنا: لعمرك إنه لفضل عميم، لو لا الصميم، و إنها لمنقبة، لو لا العقبة، و أثره ملتمة، لو لا العطسة، فقال: دعنا من زخاريفك، و أغضض من عنان تصاريفك. البازل لا يكون إلّا ذميما، و الليث لا يوجد إلّا شميما. ثم قام و حمل، و ابتدر و ارتجل: [مجزوء الخفيف]

عيشنا كله خدع فاترك اللوم عنك ودع

أنا كالليث و الليوث بأرسائها ترع

و لها الأوجه السيمه من يلحقها يرع

أى حسن لمازنى يد الدلّ يخترع؟

أنا كالسيف حدّه لا يبالي بما وقع

إنما الحسن للمهارة و للظبى يا لكع

فقلت: تريا لك سائر اليوم، إنك لتريش و تبرى، و تقدّ و تفرى، و تحاسن و تقابح، و تهاش و تنابح، و تحبّ و تتأمل، و تحسن و تغلغل، و تشاعر و تراجز، و تناطح و تناجز. و أنت على هذا كله مصرّ، ما جزاؤك إلّا ريح فيها صرّ، فما هو إلّا أن غفلت عنه لمحّة طرف، أو نفعه عرف، ثم التفتّ و إذا به قد أفلس، و كأنما كان برقا خلّس، و لم أدر أقام أو جلس.

و محاسنه القطر الذى لا يعدّ، و الأمر الذى يأخذه الحدّ. و كفى بهذه الرسالة دليلا على جلاله مقداره، و تدقق بحاره و فخاره؛ لما اشتملت عليه من بلاغة و بيان، و بساط حال أنت على خبره بعيان، و علوم ذات افتنان، خلّم الله عليه الرحمة، و ضاعف له المنّة و النعمة.

مولده: بأوائل ربيع الثاني عام خمسة وستين وأربعمائة .

وفاته: من خطّ الحافظ المحدث أبي القاسم بن بشكوال، رحمه الله: كان ممن أصيب أيام الهرج بقرطبة، فعظم المصاب به، الشيخ الأجلّ، ذو الوزارتين، السيد الكامل، الشهير الأثير، الأديب، اللغوي، السري، الكاتب البليغ، معجزة زمانه الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٨٨

و سابق أقرانه، ذو المحاسن الجمّة، الجليّة الباهرة، والأدوات الرفيعة الزكيّة، الطاهرة الكاملة، المجمع على تناهى نباهته، و حمد خصاله و فصاحته، من لا يشقّ غباره، و لا تلحق آثاره، معجزة زمانه في صناعة النثر و النظم، أبو عبد الله بن أبي الخصال، رحمه الله تعالى و رضى عنه و نضر وجهه. ألفى مقتولا قرب باب داره بالمدينة، و قد سلب ما كان عليه، بعد نهب داره، و استئصال حاله، و ذهاب ماله، و ذلك يوم السبت الثاني عشر من شهر ذي الحجة من سنة أربعين و خمسمائة. فاحتمل إلى الرّبض الشرقي بحومة الدرب، فغسل هنالك و كفن، و دفن بمقبرة ابن عباس عصر يوم الأحد بعده، و نعى إلى الناس و هم مشغولون بما كانوا بسبيله من الفتنة. فكثرت التّفجّع لفقده، و التأسف على مصاب مثله، و أجمعوا على أنه كان آخر رجال الأندلس علما و حلما، و فهما و معرفة، و ذكاء و حكمه و يقظة، و جلاله و نباهته، و تفننا في العلوم. و كان له، رحمه الله، اهتمام بها، و تقدم في معرفتها و إتقانها. و كان، رحمه الله، صاحب لغة و تاريخ و حديث، و خبر و سير، و معرفة برجال الحديث مضطلعا بها، و معرفة بوقائع العرب و أيام الناس، و بالنثر و النظم. و كان جزل القول، عذب اللفظ، حلو الكلام، عذب الفكاهة، فصيح اللسان، بارع الخطّ حسنه و متقنه. كان في ذلك كله واحد عصره، و نسيج وحده، يسلم إليه في ذلك كله، مع جمال منظره، و حسن خلقه، و كرم فعاله، و مشاركته لإخوانه. و كان مع ذلك كله جميل التواضع، حسن المعاشرة لأهل العلم، مسارعا لمهماتهم، نهاضا بتكاليفهم، حافظا لعهدهم، مكرما لنبھائهم، واسع الصدر، حسن المجالسة و المحادثة، كثير المذاكرة، جَمّ الإفادة. له تصانيف جليّة نبهته، ظهر فيها علمه و فهمه، أخذها الناس عنه مع سائر ما كان يحمله و يتقنه، عن أشياخه الذين أخذ عنهم، و سمع منهم، و قرأ عليهم.

و قال غيره: قتل بدر بن الفرعوني بقرب رحبة أبان، بداخل مدينة قرطبة، قرب باب عبد الجبار يوم دخلها النصارى مع أميرهم ملك طليطلة، يوم قيام ابن حمدين، و اقتتاله مع يحيى بن علي بن غانية المسوّفى المثلّم المرابطى يوم الأحد لثلاث عشرة مضت من ذي الحجة عام أربعين و خمسمائة. قتله بربر المصامدة رجالة أهل دولة اللثام لحسن ملبسه، و لم يعرفوه، و قتلوا معه ابن أخته عبد الله بن عبد العزيز بن مسعود، و كان أنكحه ابنته، فقتلا معا. و كان محمد خيرة الشيوخ، و عبد الله خيرة الأحداث، رحمهما الله تعالى.

محمد بن مفضل بن مهيب اللخمي

يكنى أبا بكر، من أهل شلب من العليا.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٨٩

حاله: قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: كان منقبضا عن الناس، أديبا، شاعرا، خمّس عشرينيات الفازازى، رحمه الله تعالى. و ذكره صاحب الذيل، و قال لى شيخنا أبو البركات، و هو جدّه، أبو أبيه، ما معناه: كان شريفا، عالى الهمة، عظيم الوقار، ألوفاء، صموتا، نحيف الجسم، آدم اللون، خفيف العارض، مقطب الوجه، دائم العبوس، شامخ الأنف، إلّا أنه كان رجلا عالما راسخا، عظيم النزاهة، حافظا للمروءة، شهير الذكر، خطيبا مصقعا، مهيبا كشهرته، قديم الرياسة، يعضد حديثه قديمه. و استقرّ بالمريّة، لمّا تغلب العدو على بلد سلفه.

و لمّا توفي شيخ المشايخ؛ أبو إسحاق بن الحجاج، تنافس الناس من البلدين، و غيرهم، في خطبة بنته. قال شيخنا أبو البركات: و من خطبه نقلت، و كان ابن مهيب واحدا منهم فى الإلحاح بالخطبة، متقدما فى حلبتهم، بجيوش الأشعار.

و رام غلبته ذوو اليسار، من حيث كان بحمراء جيش الإعسار، فأذلّهم بالمقابلة فى عقر الدار، فلم يراجعوا من الغنيمه إلّا بالفرار. قلت: و

جلب في هذا المعنى شعرا كثيرا، ناسب الغرض. و نال من المتغلب على المرئية، على عهده، حظوة، فاستظهر به تارة على معقل مرشائه، و تارة على الرسالة إلى الحضرة الحفصية بتونس. و لما آب من سفره إليها، سعى به لديه بما أوجب أن يحجر عليه التصرف، و سجنه بمنزله. فلما قصد ألمرية الغالب بالله، مستخلصا إياها من يد الرئيس أبي عبد الله بن الرمي، و نزل بمدينتها، و حاصر قصبته، وقع اختيار الحاصر و المحصور على تعيين ابن مهيب، بمحاولة الأمر، و عقد الصلح، رضى بدينه و أماته، فعقد الصلح بينهما على أن يسلم ابن الرمي القصبه، و يعان على ركوب البحر بماله و أهله و ولده، فتأتى ذلك و اكتسب عند الغالب بالله، ما شاء من عزه و تجله.

وقفنى شيخنا أبو البركات على ظهير سلطاني، صدر عن الأمير الغالب بالله، يدل على جلاله قدره، نصه:

هذا ظهير كريم، أظهر العناية الحافلة لمستوحياها و مستحقها، و أجراه من الرعاية الكاملة على الحب طرقتها. أمر بإحكام أحكامه، و التزام العمل بفصوله و أقسامه، الأمير أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر نصر الله أعلامه، و أدام لإقامة قسط العدل أيامه، لوليه العلى المكانة، و صفته الملىء بأثرى المعرفة

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٩٠

و الديانة، الحرى بما اختصه، أيده الله، من الحفظ لمرتبته السامية و الصيانة. للشيخ الفقيه، الجليل، العالم، الأوحد، العلم، الأتقى، الأزهر، الفاضل، الخطيب الأرفع، المحدث الثقة، الزاوية، الصالح، السني، الحافظ، الحافل، الماجد، السرى، الطاهر، المكرم، المبرور، الكامل، أبي بكر ابن الشيخ الوزير الأجل، الفقيه، الحسيب، الأصيل، الأمجد، المكرم، المبرور، الأفضل، المرحوم، أبي عمرو بن مهيب، أدام الله عزه جانبه، و وصل بالعلم و العمل ارتقاء مراتبه، أقام به الشواهد على اعتقاده، أنه أخلص أوليائه و دأ، و أفضلهم قصدا، و أكرمهم عهدا، حين ظهرت له، أيده الله، آثار آرائه الأصيلة، و بانت في الصلاح و الإصلاح ميامن مناقبه الجميلة، و وجب له من العناية و المزيات أتم ما توجهه معارفه، و تقتضيه مجادته، و زهادته، التي لا يفند في وصفها و اصف. و أعلن بأنه دام عزه، أحق من حفظت عليه مرتبة صدور العلماء الراسخين في العلم، و أبقيت مزية ما تميز به التقى و الورع الكافي و الحلم، و برع بصلة العناية بجانبه، لما أهلته إليه معرفته من نفع المتعلمين، و إرشاد من يسترشده في مسائل الدين من المسلمين، و أفصح بأنه أولى مخصوص بالتجلة و التوقير، و أجدر منصوص على أن قدره لديه معتمد بالتكريم و التكبير. و أمر، أعلى الله أمره، أن يستمر له و لزوجه الحرّة الأصبيلة الزكية، التقية الصالحة، المصونة المكرمة المبرورة، عائشة بنت الشيخ الفقيه الجليل العالم الصالح السني، الزاهد الفاضل، المرحوم المقدس، الأرضى، أبي إسحاق ابن الحاج؛ ما طردت به العادة لهما قديما و حديثا، و تضمنه الظهيران الكريمان، المؤرخ أحدهما بالآخر لشوال عام خمسة و ثلاثين و ستمائة، من صرف النظر في أعشارهما و زكواتهما إليهما، ليضعا ذلك في أحق الوجوه، و يؤديا فيه حق لله تعالى، ما مثلهما علما و دينا من يؤديه، موكولا ذلك لله، إلى ما لديهما، من نشر الأمانة، مصروفا إلى نظرها الجارى مع العلم و الديانة، و تجديد أحكام ما بأيديهما من الظواهر و الأوامر القديمة و الحديثة، المتضمنة تسويغ الأملاك، على اختلافها، و تباين أجناسها و أوصافها، لهما و لأعقاب أعقابهما، على التأييد و التخليد، و المحاشاة من اللوازم، و المعاوز و المغارم، و أن يطرد لشركائهما، و عمرة أملاكهما، و وكلائهما، و حواشيهما، و من اتصل بهما، جميل العناية، و حفيلى الرعاية، و موصول الحماية، الاستمرار الذى يطرد العمل به مدى الأيام، و تتوالى التمشية له من غير انصرام على الدوام، موفى بذلك، ما يحق لجانب الفقيه العالم، الأوحد الأسنى، أبي بكر، أدام الله عزته، من حظوظ الإجلال، منتهى فيه إلى أبعد آماذ العناية الشريفة، الفسيحة المجال، مقضى على حق ما انفرد به من العلم، و اتصف به من الديانة، اللذين أضفيا عليه ملابس البهاء و الجلال. فمن وقف على هذا الظهير الكريم من الولاة

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٩١

و العمال، و سائر ولاة الأشغال، و ليلقّه بغاية الائتمار و الامثال، إن شاء الله. و كتب في الثانى عشر من ذى الحجة عام ثلاثة و أربعين

و ستمائة.

مشيخته: أخذ عن أبي العباس أحمد بن منذر الإشبيلي، تلا عليه بإشبيلية، و على عباس بن عطية أبي عمرو. و روى عن أبي محمد عبد الكبير الإشبيلي، و صحب أبا الحسن بن زرقون، و تفقه عليه. و انتقل إلى المريّة، فصحب أبا إسحاق البليفيقي و أخذ عنه، و تزوج ابنته. و أجاز له أبو عبد الله بن هشام الشّواش و غيره. ثم انتقل آخر عمره إلى سبتة.

شعره: نقلت من خطّ شيخنا أبي البركات قوله في غرض الوصية: [الطويل]

أليل التّوى، هل من سبيل إلى فجر؟ و يا قلب، كم تأسى و يا دمع، كم تجرى

أبي القلب إلّا أن يهيم بحبّكم و أن تبرحوا إلّا القليل عن الفكر

رحلت عنكم لا بقلبي و إنما تركت لديكم حين ودّعتكم سرّى

أعود بدهر الوصل من حين هجركم و ربّ وصال مستعاد من الهجر

لتلعاب نفسى لست أنفق قربكم لزهدي فيكم بل حرصت على البرّ

تقطع أكباد عليكم صبا به فاصبر فإنّ الخير أجمع فى الصبر

و بالقلب من لا يصلح الصبر عنهم و إن كان خيرا فهو عنهم من الشّرّ

فلولا هم ما كنت أحسب ساعة فقدتكم فيها عيانا من العمر

ألا يا أخى فاسمع وصاتى فإنها أتتك، لعمرى، من أخ سالم الصّدر

يحبّك فى ذات الإله و يبتغى بحبّك عند الله مدّخر الأجر

ألا إنما التوفيق كنت من أهله مراعاة حقّ الله فى السّرّ و الجهر

بتوحيده فى ذاته و صفاته و أفعاله أيضا و فى التّد و الأمر

فتأبر على القرار و الأثر الذى يصحّ عن المختار و السّادة الغرّ

و عدّ لك الخيرات عما سواها و كن بها مستمسكا أبد الدهر

إذا يسلك الشيطان فجّا سوى الذى سلكت و لا يلفى سيلا إلى مكر

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٩٢ و فرّق من الأجناس حاشا تقيهم فقد ظهر الإفساد فى البرّ و البحر

و لا تنسنى و اذكر أخاك بدعوة فإنك منه يا أخى لعلى ذكر

قال شيخنا أبو البركات: و من شعره، و من خطّه نقلت: [الكامل]

للصالحين إلى الصلاح طريق رحبت بهم و غدت عليك تضيق

صرفوا النفوس من الهوى عن صوبها فغدت إلى طلب النّجاء تنوق

منها بعد أبيات:

يا قرّة العين استمع من ناصح فى صدره قلب عليك شفيق

أنت الشّقيق ولادة و لذلك لى روح لروحك فى الخلوص شقيق

لا تخدعك ترّهات أحدثت و خزعبلات للجهول تروق

و اعكف على القرآن دهر ك و اجتمع فالشّغل عنك لغيره تفريق

إنّ الحديث و فقهه و علومه هذا الذى للمؤمنين يليق

و اهجر بنى الدنيا فإنّ بهجرهم يتضاعف الإيمان و التصديق

و الحق بقوم قد عنوا بتجارة نفقت لهم يوم القيامة سوق

و احفظ لسانك عن أذيتك مسلم فسبابه قال الرسول فسوق
لا تبك همّ الرزق فهو مقدّرو العبد طول حياته مرزوق
و لترض بالرحمن ربّا حاكماودع الفضول فمنه ضلّ فريق
حلّوا عقال عقولهم و تحكّموا إنّ التحكم بالعقول مروق
و لقد أتتك نصيحتي و لشمسها في أفق حبّك يا حبيب شروق
فكن القريب مكانه من نفعها فمكان سدّتها إليك سحيق
و اصطد بباري العزم أطيّار الرضا فأخوك غاية بازه التّحليق
و لتجعل التّسبيح شأنك إنه في الصّعب ممن شأنه التّصفيق
و اقنع بعلم الوحي علما ثم لا يذهب بك التّشقيق و التوفيق
لا ترض فيه بالدنيّة و لتمت عطشا إذا لم تسق منه رحيق
ما كلّ علم يهتدى بحصوله منه الرّكيبك نعم و منه رقيق
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٩٣ كمدارك الأصوات منها طيّب تسلو النفوس به و منه نهيق
و عليكم منّي تحية من له قلب إليكم أجمعين مشوق
و قال: ألفت بخطه ما نصّه: و كان بعض السفهاء قد كتب إلى بيتين من شعر و هما: [الطويل]
إليك، أبا بكر، رفعت وسيلتي و مثلك من تلقى إليه الوسائل
غرقت ببحر الدّل يوما و ليس لي بأرضكم إلّا اهتمامك ساحل
و أساء المحاولة في دفعها، فصرفته، و لم أقف عليهما، فضرب عليهما، و كتب في ظهرهما: [الطويل]
حللت، أبا بكر، بموطن عزة فأنسيت ما قد كنت فيه من الدّل
و أصلك من كبر و كن متكبرا و كيف يطيب الفرع من ذلك الأصل؟
و كتبت إليه صحبة دراهم و جّعت بها إليه: [الطويل]
جفوت و ما زال الجفاء سجيّة لمثلك ما إن زال تبلى بها مثلي
و ما قلت في أصلي فكذبته فاجر رأى الفرع محمودا فعاب على الأصل
و بالإفك ما عثرت لا بحقيقة فما الكبر من شأنى و لا كنت في ذلّ
و ما زلت، و الله، الحميد مكرّما و في نائبات الدهر للعقد و الحلّ
و لو كنت من يتقى الله لم تكن تمرّ متى تسخط و عند الرضا تحلى
أما قلت أنى ساحل لك عند ما غرقت ببحر الدّل في زمن المحل؟
و كيف نسخت المدح بالذمّ قبل أن تبثّ لى الشكوى و تدلى بما تدلى
و لكنّ لؤم الطبع يحمل أهله على الصّعب من سبّ الكرام أو التّيل
إذا كان بعض الكبر نقصا فإنه عليك من الأوغاد يحسب في الفصل
و ما الدّل إلّا ما أتى بك نحو ناقيرا من التّقوى سليبا من العقل
و مطلوبك الدّنيا فخذها خسيسة توافى خسيس النّفس و القول و الفعل
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٩٤ و ما الجود إلّا ما أصبت مكانه و مهما فقدت الأصل لا عار في البخل
و مثلك من يجفى و يقلب خاسئا فلسّ لإسداء الصّنيعه بالأهل

و لكننى عودت نفسى عادةً من البذل لم أعدل بها قطّ عن نذل
فخذها، لحاك الله، غير مبارك لسعيك فيها يا ابن خانية النعل
و مثلى من يؤذى فيحتمل الأذى ولكنه قد يدرأ الجهل بالجهل
و قد قال من لا شكّ فى قوله من حكمه إنما القتل أذهب للقتل
فإن زدتنا زدنا و إن كنت نادما قبلناك أخذنا فى أمورك بالعدل
ففى كل شىء لست عنك مقصرا بما شئت من قطع و ما شئت من وصل

قال الشيخ: قول الهاجى: و أصلك من كبر، معناه التعريض يكون سلف أبى بكر بن مهيب، علوا فى أنفسهم و تكبروا، فثاروا بسبب
ذلك بطيرة و جهاتها، ثار منهم عبد الرحمن جدّ أبى بكر، ثم حسن، ثم عامر أخوه، و إلى هذا أشار أبو بكر بن مهيب بقوله فى
بعض شعره: [الكامل]

إن لم أكن ملكا فكنت رئيسا و أنشد فى الصلّة الزبيرية، قوله رحمه الله: [الكامل]
أملى من الدنيا المباحة كسرةً أبقى بها رمقى و دار ناييه
قد أضرب الزمان عن سكانها فكانها فى القفر دار خاليه
و من شعره فى المقطوعات: [الطويل]

ترحل صبرى و الولوع مقيم و صحّ اشتياقى و السلوّ سقيم
فياليت شعرى هل أفوز بعطف من زينت خدى وردا عليه أقوم ؟
و يا جنةً قد حيل بينى و بينها قلبى من شوقى إليك جحيم

دخوله غرناطة: قال الشيخ: دخل غرناطة مرتين، أخبرنى بذلك الشيخ القاضى أبو الحسن بن عبيدة، و هو بصير بأخباره، إذ هو من
أصحاب سلفه، و ممن رافق جدّه فى الكتب عن بعض الأمراء مدة، و فى الخطابة بالمرية أخرى.
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٩٥
وفاته: توفى بسبته أول ليلة من جمادى الآخرة عام خمسة و أربعين و ستمائة.

محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقى

حاله: من صلّة ابن الزبير: كان كاتباً بارعاً، شاعراً مجيداً، له مشاركة فى أصول الفقه و علم الكلام، و غير ذلك، مع نباهة و حسن فهم،
ذو فضل و تعقل، و حسن سمت. و ورد على غرناطة، و استعمل فى الكتابة السلطانية مدة، و كان معلوم القدر، معظماً عند الكافة. ثم
إنه رجع إلى مرسية، و قد ساءت أحوالها، فأقام بها مدة، ثم انفصل عنها، و قد اشتدت أحوالها، و استقر بالعدوة بعد مكابدة.
قلت: أخبرنى شيخنا أبو الحسن الجياب، رحمه الله، قال: كان شكس الأخلاق، متقاطبا، زاهيا بنفسه؛ ابتدأ يوماً كتاباً مصدراً بخطبته،
فقال فيه يصف صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم «عفوّة العفوّة»، و تركه لأمر عرض له، فنظر إليه الفقيه عمر اللوشى، و هو
كاتب المقام السلطانى، فظنّ لقصوره أنه وهم، و أراد «الصفوة» فأصلحه، فلمّا عاد و نظر إليه مرّقه، و كسر الآلة، و قال: لا أقيم بموضع
بلغ فيه الجهل إلى هذا القدر، و يتسوّر به الإصلاح على قلم يطمع بعد فى مقامه.
و انصرف، و استقرّ بتلمسان، كاتباً عن سلطانها أبى يحيى يغمراسن بن زيّان.

و زعموا أن المستنصر أبا عبد الله ابن الأمير أبى زكريا، استقدمه على عادته فى استدعاء الكتّاب المشاهير و العلماء، و بعث إليه ألف
دينار من الذهب العين، فاعتذر و ردّ عليه المال، و كانت أشقّ ما مرّ على المستنصر، و طهر له علوّ شأنه، و بعد همّته.
مشيخته: روى عن القاضيين أبى عيسى بن أبى السّداد، و أبى بكر بن محرز، و عن الأستاذ أبى بكر محمد بن محمد، المعروف

بالقرشى، وقرأ وسمع على هؤلاء ببلده، و أجاز له كتابة أبو الربيع بن سالم وغيره.

شعره: من ذلك قوله: [الكامل]

اقنع بما أوتيته تمل الغنى و إذا دهتك ملة فتصبر
و اعلم بأن الرزق مقسوم فلورنا زيادة ذرة لم نقدر
و الله أرحم بالعباد فلا تسل أحدا تعش عيش الكرام و توجر
و إذا سخط لبؤس حالك مرة و رأيت نفسك قد غوت فلتبصر
و انظر إلى من كان دونك تذكر لعظيم نعمته عليك و تشكر
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٩٦
و مما قاله في صباه: [الكامل]

يا دعوة شاك ما قد دهاه من لحاظ رشاك
ظبي تصدى للقلوب يصيدها من ناظريه فى سلاح شاك
و رمى و إن قالوا رنا عن فترساج عليه سيمه النساك
قد كنت أحذر بطشه لو أننى أبصرت منه مخايل الفتاك
أو ما عليه و لا عليه حاكم يحمى ثغورك أو يحوط حماك
أو ما لجارك ذمة مرعية أبدا يظل دم الغريب طلاك؟
إنى استنمت إلى ظلالك ضللة فإذا ظباؤك ماضيات ظباك
ما لى أخاطب بانه ما أن تعى قولاً و لا ترثى لدعوة باك؟
أكريمة الحنين، هل لمتيم رحى لديك فأرتجى رحماك؟
أصبتنى بعد المشيب و ليس من عذر لمن لم يصبه ثراك
لولاك ما جذبت عنانى لوعه و الله يشهد أننى لولاك
لما دعا داعى هواك أجبته من لا يجيب إذا دعت عيناك؟
أصليتنى نار الصدود و إننى راض بأن أصلى و لا أسلاك
و أبحث ما منع التشرع من دمي بالله من أفتاك قتل فتاك؟
و تركت قلبى طائرا متخبطا بشباك ختلك أو بطعن سباك
و منعت أجفانى لذيذ منماهاكى لا يتيح لى الكرى لقياك
و لقد عجبت و أنت جد بخيلة كأن أعرت الشمس بعض حلاك
إنى لأياس من وصلك تارة لكن أعلل مطعمى بعلاك
أسماك أنك قد خفضت مكانتى هلا خلعت على من سيماك؟
إنى معنأك المتيتم فليكن حظى لديك مناسبا مغناك
تثنى معاطفك الصبا خوطية و كذا الصبا فصباك مثل حماك
أبعدتنى منها بطعنة راح أ لذاك سمتك الورى بسماك؟
أ أموت من عطش و ثغرك مورديه الحياة استودعتها فاك؟
هلا تنى عن حلوة فلعله وضعت أداة النفى فى اسم لماك

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٩٧

و قال يجيب أبا عبد الله بن خميس، رحمه الله، عن قصيدة بعث بها إليه أولها:
[الكامل]

رد في حدائق مائها مرتاد قد لَّد مورود و طاب مراد
زرق الأسنه دون زرق حمامهاو ظبي كما رنت العيون حداد
هذه الأبيات: [الكامل]

نعم المراد لمن غدا يرتاد مرعى يرف نباته و مهاد
سالت على العافى جداوله كماصالت على العادى ظبي تناد
فشددت رحل مطيتى منه إلى حيث السيادة تبتنى و تشاد
و ركبت ناجية مبارية الصباخضراء فوق خضارة تعتاد
يغتادها سكانها قلب على من كان من سكانها استبداد
عجبا لهم أحلامهم عاديه تمضى عليهم حكمها أعواد
خبر تلمسانا بأنى جئتها لَمَّا دعانى نحوها الرّواد
و أعاقها سمعا و لم أر حسنهما إلا أناسا حدّثوا فأجادوا
و لربّ حسن لا ثواه ناظرو يراه لا يخفى عليه فؤاد
و دخلتها فدخلت منها جئها سكانها لا تخفى و لا حياذ
و رأيت فضلا باهرا و مكارما و علا تغاضر دونها التعداد
أهل الزوايه و الدرايه و الندى فى نورهم أبدا لنا استمداد
فهم إذا سلّوا بحار معارف ولدى السكينه و النهى أطواد
درجاتها ينحط عنها غيرهم و من الورى قتر و منه و هاد
فأجلهم و أحلهم من مهجتي بمكانه ما فوقها مزاد
و أودّ حين أخط أطيّب ذكرهم لو أنّ أسود مقلتي مداد
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٩٨

و قال يخاطبه و قد وقف على بعض قصيدة: [الكامل]
رقت حواشى طبعك ابن خميس فهفا قريضك بى و هاج ريسى
و لمثله يصبو الحليم و يمتري ما للشروق به و سير العيس
لك فى البلاغه و البلاغه بعض ماتحويه من أثر محلّ رئيسى
نظم و نثر لا تبارى فيهما مهدت ذاك و ذا بعلم الطوس
و قال عند وفاته و ربما نسبت لغيره: [الخفيف]

رب أنت الحليم فاغفر ذنوبى ليس يعفو عن الذنوب سواكا
رب ثبت عند السؤال لسانى و أقمنى على طريق هداكا
رب كن لى إذا وقفت ذليلانا كس الرأى أستحى أن أراكا
رب من لى و النار قد قربت لى و أنا قد أبحت عهد حماكا؟

ربّ مالي من عدّة لمآلي غير أني أعددت صدق رجاء
 ربّ أقررت أنني عبد سوء حلمك الجمّ غرّه فعصاكا
 ربّ أنت الجواد بالخير دوالم تزل راحما فهب لي رضاكا
 ربّ إن لم أكن لفضلك أهلا باجترائي فأنت أهل لذاكا
 نثره: و من نثره ما خاطب به صديقين له بمرسيه من مدينة إشبيلية:

كتبته، كتب الله لكما فوزا بالحسنى، و أجاكما من ثمرات إحسانه أكثر ما يجنى. من إشبيلية، و حالي بحمد الله حسنة، و نفسي بحبّ
 قربكما مرتهنه، و على بما لديكما من السراوة التي جبلتما على فطرتها، و امتزتما في الاجتلاء بغرّتها، علم لا يدخله الشكّ، و نسبتى
 إلى وذكما الذى لبسته معلما، و تعلّمته محرما، لا يعبر عن معناها إلّا بما لا يزال و لا ينفكّ. فلنشن عنان القلم عن مداده، و نأخذ في
 حديث سواه. وصلنا إشبيلية ضحوة يوم الثلاثاء خامس ربيع الآخر، و لقينا الإفانت على ميلين، و فرنا بما ظهر من بشره و اعتناؤه بقرار
 الخاطر، و قرّة العين، و نزلنا في الأحيه
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٢٩٩

خارج البلد، موضعا يعرف بالقب، قد تفجّر عيوننا، و جمع ماؤه و هواؤه من المحاسن فنونا، و عرض علينا النزول في الديار داخل
 المدينة، فرأينا المقام فيه أحد الأسباب المسعده على حفظ الصحة المعينه، و رغبتنا عن المدينة لحرّها الوهاج، و غبارها العجاج، و
 مائها الأجاج. و لما تاب من النشاط البارح، و استقلّ من المطى الرايح، طففت في خارجها و داخلها، و وقفت على مبانيها المشيده و
 منازلها، و رأيت انسياب أراقشها، و تقصيت آثار طريانتها و براقشها، فشاهدت من المباني العتيقه، و المنارة الأنيقه، ما يملأ أعين
 النظار، و يفسح فيه مجال الاعتبار، على أنى ما رأيتها إلّا بعد ما استولى عليها الخسف، و بان عنها الظرف، و نبا عنها الطرف، فلا ترى
 من مغانيها إلّا طللا دارسا، و لا تلمح من بدائعها إلا محيّا عابسا، لكن الرائي إذا قدر وضعها الأول، و ركب و همه من مبانيها ما تحلّل،
 و تخيل في ذهنه حسنها و تمثل، تصور حسنا يدعو إلى المجون، و يسلى عن الشجون، لو لا أنها عرضت لأشمط راهب، لما دان إلّا
 بدن و لا- تقرّب بغير قارب، و حسبي أن أصفها بما يقيها من القبول، و أقول إنها في البلاد بمنزلة الربيع من الفصول، و لو لا- أن
 خاطرى مقسم، و فكرى حدّه مثلم، لفضيت من الإطناب و طرا، و لم أدع من معاهدها عينا إلّا و صفتها و لا أثرا.
 وفاته: توفى بتلمسان يوم عاشوراء سنه ست و ثمانين و ستمائة.

محمد بن عبد الله بن محمد بن لب الأمي

يكنى أبا عبد الله، و يعرف بابن الصايغ، بالصاد المهملة، و الغين المعجمة، من أهل ألمريه.
 حاله: من خطّ شيخنا أبى البركات في «الكتاب المؤتمن على أبناء أبناء الزمن»: كان سهلا، سلس القياد، لذيذ العشرة، دمث الأخلاق،
 ميّالا إلى الدّعة، نفورا عن النّصب، يركن إلى فضل نباهه و ذكاء، يحاسب بها عند التحصيل و الدراسة و الدّؤوب على الطلب، من
 رجل يجرى من الألحان على مضمار لطيف،
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٠٠

و لم يكن له صوت رخيم، يساق انطباعه في التلحين، يخبر ذلك بالأوتار.
 و حاول من ذلك بيده مع أصحابه، ما لاذ به الظرفاء منهم. و استعمل بدار الأشراف بالمريه، فأحكم تلك الطريقة في أقرب زمان، و
 جاء زمامه يروق من ذلك العمل شأنه. ثم نهضت به همته إلى أرفع من ذلك، فسار إلى غرناطة، و قرأ بها العربية و غيرها، و انخرط
 في سلك نهاء الطلبة لأدنى مدة. ثم رحل إلى بلاد المشرق في حدود العشرين و سبعمائة، فلم يتجاوز القاهرة لموافقه هوائها علّة كان
 يشكوها، و أخذ في إقراء العربية بها، و عرف بها إلى أن صار يدعى بأبى عبد الله النحوى. قال شيخنا المذكور: و رأى في صغره فأرة

أنثى، فقال: هذه قرينته، فلَقَّبَ بذلك، و صار هذا اللقب أغلب عليه من اسمه و معرفته.

و جرى ذكره في التاج بما نصه: لَجَّ معرفة لا- يغيض، و صاحب فنون يأخذ فيها و يفيض. نشأ ببلده مشمراً عن ساعد اجتهاده، و شارك في قنن العلم و وهاده، حتى أئِنَع روضه، و فهِق حوضه. ثم أخذ في إراحة ذاته، و شام بارقة لذاته، ثم سار في البطالة سير الجموح، و واصل الغبوق بالصَّبوح، حتى قضى وطره، و سيم بطره، و ركب الفلك، و خاض اللجج الحلك، و استقر بمصر على النعمة العريضة، على شكك في قضائه الحجَّة العريضة، و هو اليوم بمدرستها الصالحة، نبيه المكانة، معدود في أهل العلم و الديانة.

مشيخته: قرأ بالمريَّة على المكتِّب أبي عبد الله الميرقي، و أخذ عن شيخ الجماعة أبي الحسن بن أبي العيش، و قرأ بالحضرة على الخطيب أبي الحسن القيحاطي و غيره. و أخذ بالقاهرة عن الأستاذ أبي حيان، و انتفع به و بجاهه.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٠١

شعره: قال شيخنا أبو البركات: و كان أخذ من قرض جيد الشعر بالحظ الوافر.

فمن شعره ما نقله إلينا الحاج الحافظ المكتِّب أبو جعفر بن غصن، حسبما قيده عنه بمصر: [الكامل]

بعد المزار ولوعة الأشواق حكما بفيض مدامع الآماق

و حقوق نجدى النسيم إذا سرى أذكى لهيب فوادى الخفَّاق

أ معللى إنَّ التَّواصل فى غدمن ذا الذى لغد فديتك باق؟

إنَّ الليالى سبقت قد أقبلت و إذا تولت لم تنل بلحاق

عج بالمطى على الحمى، سقى الحماصوب الغمام الواكف الزقراق

فيه لذى القلب السليم و داده قلب سليم يا له من راق

قلب غداة فراقهم فارقت لا كان فى الأيام يوم فراق

يا ساريا و الليل ساج عاكف يفرى الفلا بنجائب و نياق

عزج على مثنوى النبى محمدخير البرية ذى المحلِّ الراقى

و رسول ربِّ العالمين و من له حفظ العهود و صحَّة الميثاق

الظَّاهر الآيات قام دليلهاو الطَّاهر الأخلاق و الأعراق

بدر الهدى البادى الذى آياته و جبينه كالشمس فى الإشراق

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٠٢ الشافع المقبول من عمِّ الورى بالوجود و الإرقاد و الإرفاق

و الصَّادق المأمون أكرم مرسل سارت رسالته إلى الآفاق

أعلى الكرام ندى و أبسطهم يداقبضت عنان المجد باستحقاق

و أشدَّ خلق الله إقداما إذاحمى الوطيس و شمَّرت عن ساق

أمضاهم و الخيل تعثر فى القنا و تجول سبحا فى الدَّم المهرق

من صير الأديان دينا واحدا من بعد إشراك مضى و نفاق

و أحلنا من حرمة الإسلام فى ظلِّ ظليل وارف الأوراق

لو أنَّ للبدر المنير كماله ما ناله كسف و نكس محاق

لو أنَّ للبحرين جود يمينه أمن السفين غوائل الإغراق

لو أنَّ للآباء رحمة قلبه ذابت نفوسهم من الإشفاق

ذو العلم و الحلم الخفى المنجلى و الجاه و الشرف القديم الباقي

آياته شهب و غرّ بنانه سحب التّوال تدرّ بالأرزاق
 ماجت فتوح الأرض و هو غياثها و ربت ربي الإيمان و هو الساقى
 ذو رافة بالمؤمنين و رحمة و هدى و تأديب بحسن سياق
 و خصال مجد أفردت بالخصل فى مرمى الفخار و غاية السّباق
 ذو المعجزات الغرّ و الآى التى كم آية فقدت و هنّ بواقى
 ثنت المعارض حائرا لّمّا حكّت فلق الصّباح و كان ذا إفلاق
 يقظ الفؤاد سرى و قد هجع الورى لمقام صدق فوق ظهر براق
 و سما و أملاك السّماء تحفّه حتى تجاوزهنّ سبع طباق
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٠٣
 منها:

يا ذا الذى اتصل الرّجاء بحبله و انبتّ من هذا الورى بطلاق
 حبيّ إليك و سيلتى و ذخيرتى إني من الأعمال ذو إملاق
 و إليك أعملت الرّواحل ضمّراتختال بين الوخد و الإعناق
 نجبا إذا نشرت حلّى تلك العلا تطوى الفلا ممتدّة الأعناق
 يحدو بهنّ من التّحيب مردّدو تقودهنّ أزمنة الأشواق
 غرض إليه فوّقتنا أسهما و هى القسى برين كالأفواق
 و أنختها بفنائك الرّحب الذى وسع الورى بالنائل الدّفاق
 و قرى مؤمّلك الشّفاعه فى غدو كفى بها هبه من الرّزاق
 و عليك يا خير الأنام تحيّه نحى النفوس بنشرها الفتاق
 تتأرّج الأرجاء من نفحاتها أرج النّدى بمدحك المصدق
 منها :

قسما بطيب تراب طيبه إنه مسك الأنوف و إثمّد الأحداق
 و بشأن مسجدها الذى برحابه لمعامل الرّحمن أى نفاق
 لأجود فيه بأدمع أسلاكها منظومه بترائب و تراق
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٠٤ أغدو بتقيل على حصائه و على كرائم جدره بعناق
 و عليك ذا التّورين تسليم له نور يلوح بصفحة المهرق
 كفؤ النّبى و كفؤ أعلى جنّه حيزت له بشهادة و صدق
 و على أبى السّبتين من سبق الألى سبقوا إلى الإسلام أى سباق
 الطاهر الصّهر ابن عمّ المصطفى شرف على التّعميم و الإطلاق
 مبدى القضايا من وراء حجابها و مفتّح الأحكام عن إغلاق
 يغزو العداة بغلظة فيهدّهم بصوارم تفرى الفقار رفاق
 راياته لا شىء من عقبانها بمطار يوم و غى و لا بمطاق
 و على كرام ستّة عثرت بهم عند النظام لىالى النّساق

ما بين أروع ماجد نيرانه جنح الظلام تشب للطرّاق
 و أخى حروب صدّه رشف القناعما قدود مثلهنّ رفاق
 ما غرّدت شجوا مطوّقة و ماشقت كمام الرّوض عن أطواق
 و على القراية و الصّحابة كلّهم و التابعين لهم ليوم تلاق
 و لمّا سنى الله في الرّوم الوقعة المبيرة و الوقعة الشهيرة التي أجلت عن قتل مليكهم معركتها، و انتهت للفتح معركتها و حرّكتها، و
 عمّت الإسلام ياتعاس فلّ الكفر برّكتها، قدم مع الوفود من أهل بلده، و هنّا أمير المسلمين بفتحته ذلك، و طلوع
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٠٥
 ولده، فقال: [الكامل]

أ مليك أم بدر الدّجى الوضّاح و حسامه أم بارق لُمّاح؟
 أعلى المسالك ما بنته يد التّقى و عمادها الأعلام و الأرمّاح
 و أحقّ من يدعى خليفه ربّه ملك خلافته هدى و نجاح
 كأمر أندلس و ناصرها الذي أفنى العداة حسامه السّفاح
 أسمى الملوّك أبو الوليد المرتضى و أعزّ من شرفت به الأمداح
 هو دوحه الملك العليّ فروعها و براحتيه ترزق الأدواح
 و بمحو رسم عداته بلبانه نطق الكتاب و خطّ الألواح
 بدر الكمال لو أنّ بدرا مثله لم يبد خشية نوره الإصباح
 بحر التّوال لو أنّ بدرا مثله لارتاع خشية فيضه المّلاح
 و لمثله قاد الجياد عدوّه فخبا له قدح و خاب قداح
 أهواه شيطان الهوى في لجة إنّ الهوى بأليفه طّمّاح
 طمع الشّقى أضلّه و أذله كل المطالع للغبى فصّاح
 فأبادهم و ملوكهم فتح بداو بسعد جدك ربّنا فتّاح
 و فواصل تبرى بهنّ مفاصل و صفائح يفرى بهنّ صفّاح
 لم تفن كلّهم سيوف الهند بل لسيوف جودك في النفوس جراح
 ما زال حيّ عداك يحسد ميتهم و يحثّ فوتا عاجلا فيراح
 فاقتل كبيرهم و أحبي صغيرهم و اسب النساء فما عليك جناح
 تسبيح ما حاط العداة و ما حمواو حماك يا منصور ليس يباح
 يا أمّة الكفران تفنيدا و هل لجفون أعمى ينجلي مصباح؟
 أ تركتم بطرو و حيدا مفردا يشدو عليه الطائر الصّياح؟

و جوان يرتشف الندى فنديمه غربانه و وساده الصّفّاح الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ٢؛ ص ٣٠٥
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٠٦ و كذلك المطران جاد رسومه قطر المنايا الصّارم الطّفّاح
 أرؤوس تبيضّ النعام بمرجنا أصنافكم هذى أم الأشباح؟
 ما للمطامير اشتكت من ضيقها بالمال و الأسرى و هنّ فسّاح؟
 جارت بكم أبطالنا فكأنكم كشح و جيش المسلمين و شاح

تبا لرومي يهيم براحة أيرام عن خيل الإله براح؟
 قصت قوادمكم فما إقدامكم و الليل جنح الكفر تغيض جناح
 هذا فلا تستعجلوا ببلا دكم سترون كيف يكون الاستفتاح
 قد اثنت بطحاؤنا بحطامكم و نباتها الزيحان و التفاح
 تالله ما كنتم بأول عسكر أمل النجاح و حينه يجتاح
 القس غزكم ليهلك نسلكم بسيفنا إن إفكه لصراح
 كم ذا يسخركم و يسخر منكم غدرا و مكرأ إنه لوقاح
 منها:

و فوارس نشأوا لنهب فراس طلبوا انتشاء للذما لا الراح
 أربوا على الأسد الهزبر بسالة مع أنهم غز الوجوه صباح
 خاضوا بحار الحرب يطمو بحرها و طيسها حامى الصلى لفاح
 ما هم يبذل نفوسهم و نفيسهم و عن النوال أو التزال سجاح
 و إذا هم ذكروا بناد فانتشق مسكا تزوع عرفه النفاح
 فغدا و راح النصر يقدم جمعهم و يحققهم حيث اعتدوا أو راحوا
 سناك مولانا بسعد مقبل خلصاء قد عمتهم الأفراح
 و بنجلك البدر الذي آفاقه ملك و هالته هدى و صلاح
 بدر البدور فلا بدار عليه و بدا أنارت أربع و بطاح
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٠٧ فلکم عدو ما أقل بزوغه خسفت به الأوجال و الأتراح
 و هنا و نالك بالأمير تجدد كل بحبك نفسه تراتح
 قد جاء بعد العسر يسر شامل قد جاء بعد الشدة الإنجاح
 فالحمد لله الذي قد خصنا و لنا بحمدك بعده إفصاح
 و على المقام المولوي تحية كالزهر إذ تهدي شذاه رياح
 ما خط مدحك في الطروس محبرو محا دياجير الأصيل صباح
 و قال يرثي الخطيب ببلده، الشهير الفاضل، أبا الحسن بن شعيب، رحمه الله:

[الطويل]

بوادى لقد حملت ما ليس لقواه فراق و لا من شرف الأرض تقواه
 بليت هذا التفريق فاصبر فر بما بلغت بحسن الصبر ما تتمناه
 شجا كل نفس فقد أنفوس جوهر تعد و لا تحصي كرام سجايه
 بكى كلنا حزنا عليه كما بكى لفرقة محرابه و مصلاه
 فله خطب جليل لقد رمى أجل خطيب بالجلالة مصماه
 فلولاكم يغلب تأسينا الأسي و لم يشمل الشمم التفجع لولاه
 فلم يبق إلأ من جفا جفنه الكرى و من جانب وصل المضاجع جنباه
 و فاء المرى و في فوقه أجره و أصفى بإصفاء الإله و صافاه

أبي الحسن العدل الرضا المحسن الذي أتته بأضعاف الزيادة حسناه
خطيب جلا فصل الخطاب بيانه و أعدل قاض فاضل في قضاياه
و جسم الهدى الزحج السبيل و روحه و لفظ العلى الفخر الأصيل و معناه
مطيع رفيع خاضع متواضع كريم حلیم طاهر القلب أوّاه
متى يمش هونا ليس إلّا لمسجد تمد خجلا أرض بها حطّ نعلاه
تكلمه عرف و ذكر و حكمة تلذّب بها الأسماع ما كان أحلاه
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٠٨ كذا صمته خوف و فكر و خشية فما زال يخشى الله و الكلّ يخشاه
يصوم و قد طال النهار مهجّراو تبجر بالليل التغمّض عيناه
فكم دارس أحياء من أربع التّقاو كم غاسق من حندس الليل أحياء
فيا طبيبا أصلا و ذكرا و تربئه و منه استفاد الطّيب أطيب رياه
و فى حرقة تحنو و مرأى و باطنا و أمن سنا شمس الضحى من محياه
محيّا يروى الناظرين تهللا فتعرفه فى الصالحين بسيماه
بحبك هامت كلّ نفس منيئة كذا من أحبّ الله حبّيه الله
فما أنعم الأرض التى بك قدّست و آثر ذياك الضريح و أنداه
بشراك إنا قد شغلنا بحزنناو رضوان بشراه بذلك بشراه
عزا لأهليه الأهله أنهم لهم يعترى من بعده العزّ و الجاه
نال شعيب فى الزمان بدوره و لم تكن الشمس المنيرة إلاه
أعزى أولى الإيمان كلاً بفقده نعم و أسنيه بحبه مأواه
سقى الله و سمى الحيا ذلك الثرى و غاداه صوب الغاديات و مياه
كما قد سقاه ليلة الدفن ربّه من الغيث و كاف السحاب و أسخاه
ترضوا عن القاضى الإمام خطيبكم فقد رضى الرحمن عنه و أرضاه
و صلوا على هادى الأنام نبيكم صلاة بها يمحو المسىء خطاياهم
عليك سلام الله ما الروض فاح إنسرت سحرا ربح الصبا بخزاماه
وفاته: توفى، رحمه الله، فى رمضان، تحقيقا من سنة خمس على شكّ و سبعمائة، أخبرنى بذلك من يوثق به.

محمد بن عبد الله بن الحاج البضيعة

من أهل مالقة، و تردّد كثيرا على الحضرة، مسترفدا و منشدا، و فى غير ذلك من الأغراض، يكتنى أبا عبد الله.
حاله و شعره: من الإكليل: شاعر اتخذ النظم بضاعة، و ما ترك السعى فى مذاهبه ساعة، أجرى فى الملا، لا فى الخلا، و جعل ذكره
دلوه من الدلا، و ركض

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٠٩

فى حلبة النجبا النجائب، و رمى فى الخواطى بسهم صائب، فخرج بهرجه و نفق، و ارتفد بسببه و ارتفق. و هو الآن قد سالمته السنون،
و كأنما أمن المنون، من رجل مكفوف الأذى، حسن الحالة إلّا إذا، هذا قلت، ثبت هذا و المذكور حى، و قد مات، رحمه الله.

و من شعره: [الطويل]

رجائي في المولى العظيم عظيم غنيت به حيث الغناء مديم
و حسبى الرجا فيمن عليه معولى حديث حديث لم يزل و خديم
و ما عرفت نفسى سوى باب فضله على ثقة أن الكريم كريم
فإن قيل عني مذنب قلت سيد كفيل بغفران الذنوب رحيم
و ما اعتصم المملوك إلا بحبله فجانبه نعمى لنا و نعيم
رضاه سبيل للنجاة و حبه طريق لجنات النعيم قديم
و أنشد يوما الأمير ثالث الأمراء من بنى نصر يهنيه بالملك و يعزّيه :
[الوافر]

على من تنشر اليوم البنود؟ و تحت لواء من تسرى الجنود؟
و قال : على هذا الكذا، الذى بين يديك، فحجل، و عظم استظراف الحاضرين لذلك.
وفاته: توفى فى كذا و سبعمائة.

محمد بن عبد الله بن فطيس

يكنى أبا عبد الله، من أهل مالقة. و قال الأستاذ : من بيت فطيس الألبيريين.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣١٠

حاله: قال: طيب ماهر، و أديب شاعر؛ كان فى أيام بنى حسون، يخفّ عليهم، و له فيهم أمداح كثيرة. يذكر أنه دخل يوما على
القاضى أبى مروان بن حسون، بعد انقطاع عن زيارته، فعتبه القاضى، فاعتذر، ثم أنشد: [مخلع البسيط]
يا حاملا من علاه تاجاو من سنا وجهه سراجا
لو كان روى عديل ودى لكنت من بابك الزتاجا
إن لم يعرج عليك شخصى نفسى و روحى عليك عاجا
و ذكره ابن عسكر فى كتابه.

محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن فتوح بن محمد بن أيوب بن محمد بن الحكيم اللخمي ذو الوزارتين
يكنى أبا عبد الله، رندى النشاء، إشبيلية الأصل، يرجع بيته، و بيت بنى حجاج، و بيت بنى عباد، إلى جرثومة واحدة. و انتقل سلفه إلى
رندة فى دولة بنى عباد، و يحيى جدّ والده هو المعروف بالحكيم لطفه. و قدم ذو الوزارتين على حضرة غرناطة أيام السلطان أبى عبد
الله محمد بن محمد بن نصر، إثر قفوله من الحج فى رحلته التى رافق فيها العلامة أبا عبد الله بن رشيد الفهرى، فألحقه السلطان بكتابه،
و أقام يكتب له فى ديوان الإنشاء، إلى أن توفى هذا السلطان، و تقلد الملك بعده ولّى عهده أبو عبد الله المخلوع، فقلده الوزارة و
الكتابة، و أشرك معه فى الوزارة أبا سلطان عبد العزيز بن سلطان الدانى، فلما توفى أبو سلطان أفرده السلطان بالوزارة، و لقبه ذا
الوزارتين، و صار صاحب أمره، إلى أن توفى بحضرة غرناطة قتيلا، نفعه الله تعالى، غدوة يوم الفطر، مستهل شوال سنة ثمان و
سبعمائة، و ذلك لتاريخ خلع سلطانه، و خلافة أخيه أمير المسلمين، أبى الجيوش، مكانه.

حاله: كان، رحمه الله تعالى، علما فى الفضيلة و السراوة، و مكارم الأخلاق، كريم النفس، واسع الإيثار، متين الحرمة، على الهمة،
كاتباً بليغاً، أديباً،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣١١

شاعرا، حسن الخط، يكتب خطوطا على أنواع كلها جميلة الانطباع، خطيبا، فصيح القلم، زاكى الشيم، مؤثرا لأهل العلم و الأدب، بزا

بأهل الفضل و الحسب، نفقت بمدته للفضائل أسواق، و أشرفت بإمداده للفضائل آفاق . و من «عائد الصلة»:

كان ، رحمه الله، فريد دهره سماحةً، و بشاشةً، و لودعيةً، و انطباعاً، رقيق الحاشيةً، نافذ العزمةً، مهترًا للمديح، طلقاً للأمل، كهفا للغريب، برمكى المائدة، مهلبى الحلوى، ريان من الأدب، مضطلعا بالرواية، مستكثرًا من الفائدة. يقوم على المسائل الفقهية، و يتقدم الناس فى باب التحسين و التقييح، و رفع رايه الحديث و التحديث، نفق بضاعة الطلب، و أحيا معالم الأدب، و أكرم العلم و العلماء، و لم تشغله السياسة عن النظر، و لا عاقه تدبير الملك عن المطالعة و السماع و الإفراط فى اقتناء الكتب، حتى ضاقت قصوره عن خزائنها، و أثرت أنديته من ذخائرها. قام له الدهر على رجل ، و أخدمه صدور البيوتات، و أعلام الزياسات، و خوطب من البلاد النازحة، و أمّل من الآفاق النائية.

رحلته و نباهته: رحل إلى الحجاز الشريف من بلده، على فتاء سنّه، أول عام ثلاثة و ثمانين و ستمائة، فحجّ و زار، و تجول فى بلاد المشرق، منتجعاً عوالى الرواية فى مظانها، و منقراً عنها عند مسنى شيوخها، و قيد الأناشيد الغربية، و الأبيات المرقصة، و أقام بمكة شرفها الله، من شهر رمضان إلى انقضاء الموسم، فأخذ بها عن جماعه يأتى ذكرهم فى مشيخته. و انصرف إلى المدينة المشرفة، ثم قفل مع الزكب الشامى إلى دمشق، ثم كز إلى المغرب، لا- يمرّ بمجلس علم أو تعلم إلما روى أو روى. و احتل رنده، حرسها الله، أواخر عام خمسة و ثمانين و ستمائة، و أقام بها عينا فى قرابته، و علما فى أهله، معظماً عندهم ، إلى أن أوقع السلطان بالوزراء من بنى حبيب، الواقعة البرمكية . و ورد رنده فى أثر ذلك، فى شهر جمادى الآخرة من عام ستّه و ثمانين و ستمائة، فتعرض إليه، و مدحه ، و هنأه بقصيدة طويلة

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣١٢

من أوليات شعره، أولها: [الرمل]

هل إلى ردّ عشيات الوصال سبب أم ذاك من ضرب المحال؟

فلما أنشدها إياه، أعجب به، و بحسن خطّه و نصاعه طرفه، فأثنى عليه، و استدعاه إلى الوفادة على حضرته، فوفد إليها فى آخر العام المذكور، فأثبته فى خواص دولته، و أحظاه لديه، إلى أن رقاها إلى كتابة الإنشاء ببابه. و استمرت حاله، معظّم القدر، مخصوصاً بالمزية، إلى أن توفى السلطان، ثانى الملوك من بنى نصر، و تقلد الملك بعده، ولّى عهده أبو عبد الله، فزاد فى إحظائه و تقريبه، و جمع له بين الكتابة و الوزارة، و لقبه بذى الوزارتين؛ و أعطاه العلامة، و قلده الأمر، فبعد الصّيت، و طاب الذكر، إلى أن كان من الأمر ما يأتى به الذكر قريباً إنشاء الله تعالى.

مشيخته: قرأ برنده على الشيخ النحوى أبى الحسن على بن يوسف العبدرى السّفاح، القرآن العظيم بالروايات السّبع، و العربية و غير ذلك. و على الخطيب بها أبى القاسم بن الأيسر، و أخذ عن والده جميع مروياته. و استجاز له فى صغره أعلام ذلك الزمان، و أخذ فى رحلته عن الجلة من الجملة الذين يضيق عن أمثالهم الحصر.

فمنهم أبو اليمىن جار الله ابن عساكر، لقيه بالحرم الشّريف، و انتفع به، و استكثر من الرواية عنه. و منهم الشيخ أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم الحرّانى، المعروف بابن هبة الله الحرّانى. و منهم الشيخ الشريف أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عمر بن معطى ابن الإمام الجزائرى- جزائر المغرب- نزيل بغداد. و منهم الشيخ أبو الصفا خليل بن أبى بكر بن محمد المرادى الحنبلى، لقيه بالقاهرة. و منهم الشيخ رضى الدين القسطينى أبو بكر. و منهم الشيخ شرف الدين الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدّمياطى، إمام الديار المصرية، فى الحديث و مؤرخها و حافظها. و منهم عبد المنعم بن محمد بن يوسف بن أحمد الخيمى، شهاب الدين أبو عبد الله، نزيل مشهد الحسين بن على، قرأ عليه قصيدته البائية الفريدة التى أولها: [البيسط]

يا مطلباً ليس لى فى غيره أرب إليك آل التّقصى و انتهى الطلب

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣١٣

و منها البيت المشهور الذي وقع النزاع فيه :

يا بارقا بأعلى الرّقمتين بدالقد حكيت و لكن فاتك السّبب

و منهم عبد المولى يحيى بن حماد البعلبكي؛ مولده سنة إحدى عشرة و ستمائة. و منهم محمد بن بكر بن خلف بن أبي القاسم الصّيفار. و منهم الشيخ أبو الفضل الأديب جمال الدين بن أبي الخير بن علي بن عبد الله بن رواحة. و منهم محمد بن يحيى بن عبد الله القرشي جمال الدين أبو صادق، و من تخريجه «الأربعون المروية بالأسانيد المصرية»، و سمع الحلبيات من ابن عماد الحرّاني و الشيخ أبي الفضل عبد الرحيم خطيب الجزيرة، و مولده سنة ثمان و تسعين و خمسمائة. و منهم الشيخ محمد بن عباس الأشعري تقي الدين الحافظ أبو القاسم. و منهم الشيخ محمد بن إسماعيل بن عبد الله بن عبد المجيد الأنماطي. و منهم أبو البدر بن عبد الله بن أبي الزبير، الكاتب المصري. و منهم الشيخ عبد الرحيم بن عبد المنعم بن خلف التدميري. و من رؤساء شيوخه؛ الشيخ محيي الدين أبو الفضل. و منهم زينب بنت الإمام أبي محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي، تكنّى أم الفضل، و سمعت من أبيها. و منهم محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد الخراساني، أبو عبد الله موقر الدين، و ألبسه خرقة التصوف.

و منهم الشيخ محمد بن يحيى بن هبيرة الشيباني شرف الدين. و منهم الشيخ شهاب الدين أحمد بن عيسى بن عيسى بن يوسف بن إبراهيم بن إسماعيل السلفي. و منهم الشيخ علي بن عبد الكريم بن عبد الله الدمشقي، أبو الحسن؛ ولد سنة سبع و تسعين و خمسمائة. و منهم الشيخ غازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب الجلاوي.

و منهم الشيخ نور الدين علي بن محمد أبي البركات الأنصاري المقرئ بحرم الخليل، سمع من أبي الحسن علي بن شجاع. و منهم يوسف بن داود بن عيسى بن أيوب الحنفي.

و منهم الملك الأوحّد يعقوب بن الملك الناصر صلاح الدين داود بن الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب. و منهم عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم بن علي بن جعفر القرشي الزّهرى خطيب القدس. و منهم الشيخ عبد الحفيظ بن بدران، و يدعى عليّ الدين من أهل بانياس، سمع من ابن صيصري.

و منهم الشيخ علي بن عبد الرحمن بن عبد المنعم المقدّسي. و منهم الشيخ محمد بن

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣١٤

محمد بن سالم بن يوسف بن أسلم القرشي، جمال الدين. و منهم عبد الواسع بن عبد الكافي شمس الدين. و منهم الشيخ أحمد بن أحمد الزّجاجي البغدادي الإمام تقي الدين. و منهم عبد الجميل بن أحمد بن الزّجاج. و منهم فاطمة بنت إبراهيم بن محمود بن جوهر البعلبكي، الشّيخة الكاتبة الخيرة أم الخير. و منهم الشيخ يوسف ابن أبي ناصر السفاوي. و منهم الشيخ عبد السلام بن محمد بن مزروع، أبو محمد عفيف الدين. و منهم الشيخ أحمد بن عثمان بن محمد الشافعي البخاري شمس الدين. و منهم الشيخ عبد الله بن خير بن أبي محمد بن خلف القرشي. و منهم الشيخ محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الباقي بن علي الصّواف شرف الدين. و منهم الشيخ علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن زريق الكاتب، لقيه بتونس. و منهم الشيخ سليمان بن علي بن عبد الله الكاتب التلمساني عفيف الدين الصّوفي الأديب نزيل دمشق، و مولده بتلمسان. و منهم الشيخ محمد بن علي بن أحمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد الميموني البستي القسطلاني قطب الدين، الإمام المفتي شيخ دار الحديث الكاملية بالقاهرة المعزية. و منهم الشيخ عبد الكريم بن علي بن جعفر القرشي جمال الدين.

و منهم الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الظاهر جمال الدين. و منهم محمد بن محمد بن إبراهيم النجاشي. و منهم الشيخ عبد الله بن محمد بن محمد بن أبي بكر الطبري، إمام الروضة النبوية ثم الصخرة القدسية. و منهم الشيخ فخر الدين عثمان بن أبي محمد بن إسماعيل بن جندرة. و منهم الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلي بن أنسكرت فخر الدين. و منهم الشيخ ثابت بن علي بن عبد العزيز بن قاسم بن عبد الرازق، سمع على ابن المغير البغدادي. و منهم الشيخ أمين الدين أبو الهامات جبريل بن إسماعيل بن سيد

الأهل الغساني. و منهم الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الله الأندلسي الأصل شرف الدين، سمع من علم الدين الشيخونى وغيره. و منهم الشيخ محمد بن محمد الشامي الشافعي الدمشقي، إمام مسجد أبي بكر الصديق، رضى الله عنه، يدعى شمس الدين، سمع من الزبيدي. و منهم الشيخ يحيى بن الخضر بن حاتم الأنصاري، يعرف بابن عز الدولة.

و أجاز له جماعة، منهم ابن عماد الحزاني، و منهم ابن يحيى بن محمد بن محمد الهمداني كمال الدين، و سمع من ابن الزجاج و ابن رواح الحميري. و منهم الشيخ عبد الملك أبو المعالي بن مفضل الواسطي، عرف بابن الجوزي، سمع على جماعة، منهم شعيب الزعفراني. و منهم الشيخ محمد بن أحمد بن ياسر بن شاكر الحاكمي. و منهم الإمام مفتي المسلمين، رضى الله عنه. و منهم أبو عبد الله محمد بن

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣١٥

أبي بكر بن خليل العسقلاني المكي. و منهم الخطيب أبو عبد الله محمد بن صالح بن أحمد بن محمد بن رحيم الكناني، خطيب بجاية. و منهم قاضي القضاة ببلاد إفريقية أبو العباس ابن العزاز البلنسي، لقيه بتونس. و منهم الفقيه العلامة الوزير أبو القاسم محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزى الكلبي. و منهم الشيخ أبو محمد عبد الله بن يوسف الخلابي. و منهم الشيخ المغربي أبو محمد الحجاج بن يوسف بن إبراهيم بن عتاب، لقيه بتونس. و منهم الشيخ الفقيه أبو بكر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن يربوع السبتي. و منهم الإمام قدوة النحاة أبو الحسين عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن عبد الله بن أبي الربيع القرشي. و منهم الإمام أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد بن عبد الحق الزواوي المشدالي، من أهل بجاية. و منهم الخطيب القاضي أبو عمرو إسحاق بن أبي إسحاق بن عبد الوهاب الزندي، إلى طائفة كبيرة من أهل المشرق و المغرب.

محنته: أغرى به الأمير ولي العهد، بسبب أمور اختلف فيها، منها أبيات في هجو الدولة النصرية، الله أعلم بصحة نسبتها إليه، فأوقع به، و ناله بين يديه نكال كبير أفلت منه برفق، و اختفى مدة في المآذن المقفلة و الأماكن الخفية، حتى أصحى له جو سخطه، و قضى الله برد أمره إليه، و استيلائه على ما وراء بابه.

من روى عنه: أخذ عنه الخطيب الصالح أبو إسحاق بن أبي العاصي، و تدبج معه رفيقه عبد الله بن رشيد و غير واحد. و كان ممدوحا، و ممن مدحه الرئيس أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي، و الرئيس أبو الحسن بن الجياب، و ناهيكك بهما. و من بديع مدح ابن الجياب له، قصيدة رائية رائعة، يهئته فيها بعيد الفطر، منها في أولها: [البيط]

يا قادما عمّت الدنيا بشائره أهلا بمقدمك الميمون طائره

و مرحبا بك من عيد تحف به من السعادة أجناد تظاهره

قدمت فالخلق في نعمي و في جدل أبدى بك البشر باديه و حاضره

و الأرض قد لبست أثواب سندسهاو الزوض قد بسمت منه أزاهره

حاكت يد الغيث في ساحاته حلالما ساقها دراكا منك باكره

فلاح فيها من الأنوار باهرهاو فاح فيها من النور عاطره

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣١٦ و قام فيها خطيب الطير مرتجلاو الزهر قد رصعت منه منابره

موشى ثوب طواه الدهر آونةفها هو اليوم للأبصار ناشره

فالغصن من نشوة يثنى معاطفهو الطير من طرب تشدو مزاهره

و للكمام انشقاق عن أزاهرها كما بدت لك من خل ضمائره

لله يومك ما أذكى فضائله قامت لدين الهوى فيه شعائره

فكم سريره فضل فيك قد خبت و كم جمال بدا للناس ظاهره

فافخر بحق على الأيام قاطبة فما لفضلك من نَد يظاهاه
 فأنت فى عصرنا كابن الحكيم إذاقيست بفخر أولى العليا مفاخره
 يلتاح منه بأفق الملك نور هدى تضاءل الشمس مهما لاح زاهاه
 مجد صميم على عرش السماك سماطالت مبانيه واستعلت مظاهره
 وزاره الدين والعلم الذى رفعت أعلامه والندى الفياض زاخه
 و ليس هذا ببدع من مكارمه ساوت أوائله فيه أوأخه
 يلقي الأمور بصدر منه منشرح بحر و آراؤه العظمى جواهره
 راعى أمور الرعايا معملا نظرا كمثل عليه معدوما نظائره
 و الملك سير فى تدبيره حكما تنال ما عجزت عنه عساكره
 سياسة الحكم لا بطش يكدرها فهو المهيب و ما تخشى بواذره
 لا يصدر الملك إلا عن إشارته فالرشد لا تتعداه مصائره
 تجرى الأمور على أقصى إرادته كأنما دهره فيه يشاوره
 و كم مقام له فى كل مكرمة أنست مواردده فيها مصادرده
 ففضلها طبق الآفاق أجمعها كأنه مثل قد سار سائره
 فليس يجحده إلا أخو حسديرى الصباح فيعشى منه ناظره
 لا ملك أكبر من ملك يدبره لا ملك أسعد من ملك يؤازره
 يا عز أمر به اشتدت مضاربه يا حسن ملك به ازدانت محاضره
 تثنى البلاد و أهلوها بما عرفوا يشهد الدهر آتية و عابره
 بشرى لآمله الموصول مأملة تعسا لحاسده المقطوع دايره
 فالعلم قد أشرقت نورا مطالعه و الجود قد أسبلت سحا مواظره
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣١٧ و الناس فى بشر و الملك فى ظفر عال على كلّ عالى القدر قاهاه
 و الأرض قد ملئت أمانا جوانبها يمين من خلصت فيها سرائره
 و الى أياديه من مثنى و واحدة تساجل البحر إن فاضت زواخه
 فكلّ يوم تلقانا عوارفه كساه أمواله الطولى دفاتره
 فمن يؤدى لما أولاه من نعم شكرا و لو أن سبحانا يظاهاه
 يا أيها العبد بادر لثم راحتته فلثمها خير مأمول تبادره
 و افخر بأن قد لقيت ابن الحكيم على عصر يباريك أو دهر تفاخره
 ولى الصيام و قد عظمت حرمته فأجره لك و افيه و وافرده
 و أقبل العيد فاستقبل به جدلا و اهنأ به قادما عمّت بشائره
 و من مدح الرئيس أبى محمد عبد المهيمى الحضرمى له قوله: [الطويل]
 تراءى سحيرا و النسيم عليل و للنجم طرف بالصباح كليل
 و للفجر نهر خاضه الليل فاعتلت شوى أدهم الظلماء منه خجول
 بريق بأعلى الرقمتين كأنه طلائع شهب و السماء تجول

فمزق ساجي الليل منه شراره وخرق ستر الغيم منه نصول
تبسم ثغر الروض عند ابتسامه وفاضت عيون للغمام همول
و مالت غصون البان نشوى كأنها يدار عليها من صباه شمول
و غنت على تلك الغصون حمائم لهن حفيف فوقها و هديل
إذا سجعت في لحنها ثم قرقرت يطيح خفيف دونها و ثقيل
سقى الله ربعا لا يزال يشوقني إليه رسوم دونها و طول
و جاد رباه كلما ذر شارق من الودق هتان أجش هطول
و ما لي أستسقى الغمام و مدمعي سفوح على تلك العراض همول؟
و عاذلة باتت تلوم على السرى و تكثر من تعذالها و تطيل
تقول إلى كم ذا فراق و غربه و نأى على ما خيلت و رحيل
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣١٨ ذرني أسعى للتي تكسب العلاسنا و تبقى الذكر و هو جميل
فأما تريني من ممارسة الهوى نحيلاً فحد المشرفي نحيل
و فوق أنابيب اليراعة صفوة ترين و في قد القناة ذبول
و لو لا السرى لم يحتل البدر كاملا و لا بات منه للسعود نزيل
و لو لا اغتراب المرء في طلب العلالما كان نحو المجد منه وصول
و لو لا نوال ابن الحكيم محمداً أصبح ريع المجد و هو محيل
وزير سما فوق السماك جلاله و ليس له إلا نجوم قبيل
من القوم أما في الندى فإنهم هضاب و أما في الندى فسيول
حووا شرف العلياء إرثا و مكسبا و طابت فروع منهم و أصول
و ما جونه هطالة ذات هيدب مرتها شمول مرجف و قبول
لها زجل من رعداها و لوامع من البرق عنها للعيون كلول
كما هدرت وسط القلاص و أرسلت شقاشقها عند الهياج فحول
بأجود من كف الوزير محمداً إذا ما توالى للسنين محول
و لا روضة بالحسن طيبة الشداينم عليها أذخر و جليل
و قد أذكيت للزهر فيها مجامر تعطر منها للنسيم ذبول
و في مقل التوار للطل عبرة ترددها أجفانها و تحيل
بأطيب من أخلاقه الغر كلما تفاقم خطب للزمان يهول
حويت، أبا عبد الإله، مناقبات فوت يدي من رامها و تطول
فغرناطة مصر و أنت خصيها و نائل يمناك الكريمة نيل
فداك رجال حاولوا درك العلابيخ و هل نال العلاء بخيل؟
تخيرك المولى وزيرا و ناصحافكان له مما أراد حصول
و ألقى مقاليد الأمور مفضا إليك فلم يعدل يمينك سول
و قام بحفظ الملك منك مؤيد نهوض بما أعيأ سواك كفيل

وساس الرعايا منك أشوس باسل مييد العدا للمعتفين منيل

و أبلج وقاد الجبين كأنماعلى وجنتيه للنضار مسيل

تهيم به العلياء حتى كأنها بيئته في الحب و هو جميل

له عزمات لو أعير مضاًؤها حسام لما نالت ظباه فلول

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣١٩ سرى ذكره في الخافقين فأصبحت إليه قلوب العالمين تميل

و أعدي قريضي جوده و ثناؤه فأصبح في أقصى البلاد يجول

إليك أيا فخر الوزارة أركلت برحلى هوجاء الشجاء ذلول

فليت إلى لقياك ناصية الفلابأيدى ركاب سيرهنّ ذميل

تسدّنى سهما لكل تتيه ضوامر أشباه القسيّ نحول

و قد لفظتني الأرض حتى رمت إلى ذراك برحلى هوجل و هجول

فقيدت أفراسي به و ركائبى ولذّ مقام لى به و حلول

و قد كنت ذا نفس عزوف و همّة عليها لأحداث الزمان دحول

و تهوى العلا حظى و تغرى بضده لذاك اعترته رقة و نحول

و تأبى لى الأيام إلّا إداله فصونك لى أن الزمان مديل

فكل خضوع فى جنابك عزّه و كل اعتزاز قد عداك خمول

شعره: و بضاعته فى الشعر مزجاء، و إن كان أعلم الناس بنقده، و أشدهم تيقظا لمواقعه الحسنه و أضدادها. فمن ذلك قوله، و رفعه

إلى السلطان ببلده رنده، و هو إذا ذاك فتى يملأ العين أبهه، و يستميل القلوب لباقة، و هى، و من خطه نقلت :

[الرمل]

هل إلى ردّ عشيات الوصال سبب أم ذاك من ضرب المحال؟

حالة يسرى بها الوهم إلى أنها تثبت براء باعتلال

و ليال ما تبقى بعدها غير أشواقى إلى تلك الليالى

إذ مجال الوصل فيها مسرحى و نعيمى أمر فيها و وال

و لحالات التراضى جوله مزجت بين قبول و اقتبال

فبوادى الخيف خوفى مسعدو بأكناف منى أسنى نوال

لست أنسى الأنس فيها أبدا لا و لا بالعذل فى ذاك أبالى

و غزال قد بدا لى وجهه فرأيت البدر فى حال الكمال

ما أمال التيه من أعطافه لم يكن إلّا على فضل اعتدال

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٢٠ خصّ بالحسن فما أنت ترى بعده للناس حظا فى الجمال

من تسلّى عن هواه فأنا بسواه عن هواه غير سال

فلئن أتعبنى حتىّ له فكم نلت به أنعم حال

إذ لآلى جيده من قبلى و وشاحه يمينى و شمالى

خلف النوم لى الشهد به و ترامى الشخص لا طيف الخيال

فيداوى بلماه ظمئى مزجك الصهباء بالماء الزلال

أو إشارات بناء الملك الأوحى الأسمى الهمام المتعالى
ملك إن قلت فيه ملكالم تكن إلّا محققا في المقال
أيد الإسلام بالعدل فما أن ترى رسما لأصحاب الضلال
ذو أياد شملت كلّ الورى و معال يا لها خير معال
همّة هامت بأحوال التقى و صفات بالجلالات حوال
وقف النفس على إجهادها بين صوم و صلاة و نوال
و منها فى ذكر القوم الموقع بهم :

و فريق من عتاه عاندوا أمره فاستوجبوا سوء نكال
غزهم طول التجافى عنهم مع شيطان لهم كان موال
فلقد كانت بهم رندة أو أهلها فى سوء تدبير و حال
و لقد كان التفاف مذهبا فاشيا بين هاتيك التلال
ما يعود اليوم إلّا بادر و ابروا و نكيرات ثقال
طوّقوا التعمى فلما أنكروا طوّقوا العدل بذى البيض العوال
ماطل الدهر بهم غريمه فهو الآن و فى بعد المطال
و لقد كنت غريم الدهر إذ شدنى جورهم شدّ عقال
و لكم نافرته مجتهدا عندما ضاق بهم صدر احتمالى
أعقبوا جزاء ما قد أسلفوا فى الدنا و يعقبوه فى المآل
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٢١
و هى طويّلة و منها:

أيها المولى الذى نعمائوه أعجزت عن شكرها كنه المقال
ها أنا أنشدكم مهتئما من بديع النظم بالسحر الحلال
فأنا العبد الذى حبكم لم يزل و الله فى قلبى و بالى
أورقت روضة آمالى لكم و تولّاها الكبير المتعالى
و اقتنيت الجاه من خدمتكم فهو ما أذخره من كنز مال
و منها:

يا أمير المسلمين هذه خدمة تنبىء عن أصدق حال
هى بنت ساعة أو ليلة سهلت بالحبّ فى ذاك الجلال
ما عليها إذ أجادت مدحها من بعيد الفهم يلغياها و قال
فهى فى تأديّة الشكر لكم أبدا بين احتفاء و احتفال
و كتب، رحمه الله، يخاطب أهله من مدينة تونس :
حىّ حىّ بالله يا ريح نجدو تحمّل عظيم شوقى و وجدى
و إذا ما بثت حالى فبلغ من سلامى لهم على قدر ودّى
ما تناسيتهم و هل فى مغيبى هم نسونى على تطاول بعدى

بى شوق إليهم ليس يعزى لجميل و لا لسكان نجد
يا نسيم الصبا إذا جئت قوماملت أرضهم بشيح و رند
فتلطف عند المرور عليهم و حقوقا لهم على فأذ
قل لهم قد غدوت من و جدهم فى حال شوق لكل رند و زند
و إن استفسروا حديثى فإنى باعتناء الإله بلغت قصدى
فله الحمد إذ جابنى بلطف عنده قل كل شكر و حمد
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٢٢

قال شيخنا أبو بكر ولده: وجدت بخطه، رحمه الله عليه، رسالة خاطب بها أخاه أبا إسحاق إبراهيم افتتحها بقصيدة أولها: [الكامل]
ذكر اللوى شوقا إلى أقماره فقضى أسى أو كاد من تذكاره
و علا زفير حريق نار ضلوعه فرمى على وجناته بشراره
لو كنت تبصر خطه فى خده لقرأت سرّ الوجد من أسطاره
يا عاذليه أقصروا فلربما أفضى عتابكم إلى إضراره
إن لم تعينوه على برحائه لا تنكروا بالله خلع عذاره
ما كان أكتمه لأسرار الهوى لو أن جند الصبر من أنصاره
ما ذنبه و البين قطع قلبه أسفا و أذكى النار فى أعشاره
بخلّ اللوى بالساكنيه و طيفهم و حديثه و نسيمه و مزاره
يا برق خذ دمعى و عرج باللوى فاسفحه فى باناته و عراره
و إذا لقيت بها الذى ياخائه ألقى خطوب الدهر أو بجواره
فاقر السلام عليه قدر محبتى فيه و ترفيعى إلى مقداره
و المم بسائر إخوتى و قرابتى من لم أكن لجوارهم بالكاره
ما منهم إلا أخ أو سيدأبدا أرى دأبى على إكباره
فأثبت لذاك الحى أن أحاهم فى حفظ عهدهم على استبصاره
ما منزل اللذات فى أوطانه كلاً و لا السلوان من أوطاره
و قال، رحمه الله، فى غرض كلفه سلطانه القول فيه: [الوافر]
ألا و أصل مواصلة العقارودع عنك التخلق بالوقار
و قم و اخلع عذارك فى غزال يحقّ لمثله خلع العذار
قضيب مائس من فوق دعص تعمم بالدجى فوق النهار
و لاح بخده ألف و لام فصار معرّفا بين الدرارى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٢٣ رمانى قاسم و السين صادباشفار تنوب عن الشفار
و قد قسمت محاسن و جنتيه على ضدّين من ماء و نار
فذاك الماء من دمعى عليه و تلك النار من فرط استعارى
عجبت له أقام بربع قلبى على ما شبّ فيه من الأوار
ألقت الحبّ حتى صار طبعافما أحتاج فيه إلى اذكار

فما لي عن مذاهبه ذهاب و هذا فيه أشعاري شعاري
 و قال العلامة ابن رشيد في «ملء العيبة»: لما قدمنا المدينة سنة ٦٨٤ هـ، كان معي رفيقي الوزير أبو عبد الله بن أبي القاسم الحكيم، و كان أرمداً، فلما دخلنا ذا الحليفة أو نحوها، نزلنا عن الأكوار، و قوى الشوق لقرب المزار، فنزل و بادر إلى المشي على قدميه احتساباً لتلك الآثار، و إعظاماً لمن حلّ في تلك الديار، فأحسّ بالشفاء، فأنشده لنفسه في وصف الحال قوله: [الطويل]

و لما رأينا من ربوع حبيبينا يثرب أعلاماً أثرن لنا الحبا
 و بالترب منها إذ كحلنا جفوننا شفيها فلا بأساً نخاف و لا كرباً
 و حين تبدى للعيون جمالها و من بعدها عنّا أدبنا لنا قرباً
 نزلنا من الأكوار نمشي كرامة لمن حلّ فيها أن نلّم به ركبا
 نسحّ سجال الدمع في عرصاتها و نلثم من حبّ لواطئه التربا
 و إن بقائي دونه لخسارة و لو أنّ كفى تملأ الشرق و الغربا
 فيا عجباً ممن يحبّ بزعمه يقيم مع الدعوى و يستعمل الكتبا
 و زلات مثلي لا تعدّ كثيرة و بعدى عن المختار أعظمها ذنبا
 و من شعره قوله: [السريع]

ما أحسن العقل و آثاره لو لازم الإنسان إيثاره
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٢٤ يصون بالعقل الفتى نفسه كما يصون الحرّ أسراره
 لا سيما إن كان في غربه يحتاج أن يعرف مقداره
 و قوله رحمه الله: [البسيط]

إني لأعسر أحياناً فيلحقني يسر من الله إن العسر قد زال
 يقول خير الوري في سنّه ثبتت (أنفق و لا تخش من ذي العرش إقلالا)
 و هو من أحسن ما قاله رحمه الله.
 و من شعره قوله: [الطويل]

فقدت حياتي بالفراق و من غدابحال نوى عمّن يحبّ فقد فقد
 و من أجل بعدى من ديار ألفتها جحيم فؤادي قد تلظى و قد وقد
 و حكى أن ذا الوزارتين المترجم، لما اجتمع مع الفقيه الكاتب ابن أبي مدين، أنشده ابن أبي مدين: [الطويل]
 عشقتكم بالسمع قبل لقاكم و سمع الفتى يهوى لعمرى كطرفه
 و حبيبي ذكر المجلس إليكم فلما التقينا كنتم فوق وصفه
 فأنشده ذو الوزارتين ابن الحكيم قوله: [البسيط]

ما زلت أسمع عن عليك كلّ سنا أبهى من الشمس أو أجلى من القمر
 حتى رأى بصرى فوق الذي سمعت أذنى فوق بين السمع و البصر
 و من نظمه مما يكتب على قوس: [الكامل]

أنا عدّة للدين في يد من غدالله منتصراً على أعدائه
 أحكى الهلال و أسهمى في رجمها لمن اعتدى تحكى رجوم سمائه
 قد جاء في القرآن أنى عدّة إذ نصّ خير الخلق محكم آيه

و إذا العدو أصابه سهمى فقد سبق القضاء بهلكه و فئائه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٢٥

و من توقيعه ما نقلته من خط ولده أبى بكر فى كتابه المسمى ب «الموارد المستعذبة»، و كان بمدينة وادى آش الفقيه الكذا أبو عبد الله محمد بن غالب الطريفى، فكتب يوما إلى الشيخ خاصة والدى أبى جعفر بن داود، قصيدة طويلة على روى السنين، يشتكى فيها من جور مشرف بلدهم إذ ذاك أبى القاسم بن حسان، منها: [البسيط]

فيا صفى أبى العباس، كيف ترى و أنت كئيس من فيها من اكياس
ولوّه إن كان ممّن ترتضون به فقد دنا الفتح للأشراف فى فاس
و منها يستطر ذكر ذى الوزارتين، رحمه الله:

للشرق فضل منه أشرقت شهب من نورهم أقبسونا كل مقباس
فوقع عليها رحمة الله تعالى عليه و رضوانه: [البسيط]

إن أفرطت بابن حسان غوائله فالأمر يكسوه ثوب الذلّ و اليباس
و إن تزلّ به فى جوره قدم كان الجزء له ضربا على الرّاس
فقد أقامنى المولى بنعمته لبث أحكامه بالعدل فى الناس

كتابته: و هى مرتفعة عن نمط شعره، فمن ذلك رسالته كتبها عن سلطانه فى فتح مدينة قيجاطة :

من الأمير فلان، أيدته الله و نصره، و وقفه لما يجب حتى يكون ممن قام بفرض الجهاد و نشره. إلى ابنا الذى نمنحه الحبّ و الرضى، و نسأل الله أن يهبه الخلال التى تستحسن و الشيم التى ترتضى، الولد الأنجب، الأرضى، الأنجد، الأرشد، الأسعد، محمد، و إلى الله تعالى إيساعده، و تولى بالتوفيق و الإرشاد سداه،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٢٦

و أطلع عليه من أبناء الفتوح المبشرة بالنصر الممنوح ما يكمل من بغيته فى نصر دين الإسلام و يسنى مراده.

أما بعد حمد الله، الذى جعل الجهاد فى سبيله أفضل الأعمال، الذى يقربه إلى رضاه، و ندب إليه بما وعد من الثواب عليه، فقال: يا أيها النبى، حرّض المؤمنين على القتال، تنبيها على محل الثقة، بأن الفئة القليلة من أوليائه، تغلب الفئة الكثيرة من أعدائه، و تدارك دين الإسلام بإنجاز وعده فى قوله، و لينصرنّ الله من ينصره، على رغم أنف من ظن أنه خاذله، تعالى الله عن خذلان جنده. و الصلاة و السلام على نبىه و رسوله و مجتبايه، لهداية الخلق لسبيل الحق، و العمل بمقتضاه. قال تعالى فيما أنزل: قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ تَحْرِيسًا عَلَى أَنْ يَمْحُوا ظِلَامَ ضَلَالِهِمْ بنور هداه صلى الله عليه و سلم، و على آله الأبرار، و أصحابه الأشداء على الكفار، الذين جردوا فى نصره دينه صوارم العزم و أمضوا ظباه، و فتحوا ما زوى له من مشارق الأرض و مغاربها حتى عمّ الإسلام حدّ المعمور و منتهاه. فإننا كتبنا لكم، كتب الله لكم من سماع البشائر ما يعود بتحويل الأحوال، و أطلع عليكم من أبناء الفتوح ما يلوح بأفاق الآمال، مبشرا باليمن و الإقبال. من قيجاطة، و بركات ثقتنا بالله وحده، تظهر لنا عجائب مكنونات أطفاه، و تجنينا ثمار النصر فى إبان قطافه، و تسخر لنا ورد مشرع الفتح فترد عذب نطفاه، و الحمد لله الذى هدانا لأن نتقلد نجادها، و نمتطى جوادها، و نستورى زنادها، و نستفتح بها مغالق المآرب، و لطائف المطالب، حتى دخلت الملة الحنيفية فى هذه الجزيرة الأندلسية أغوارها و أنجادها. و قد تقرّر عند الخاص و العام، من أهل الإسلام، و اشتهر فى جميع الأقطار اشتهار الصبح فى سواد الظلام، أننا لم نزل نبذل جهدنا فى أن تكون كلمة الله هى العليا، و نسمح فى ذلك بالنفوس و الأموال رجاء ثواب الله لا لغرض دنيا. و أننا ما قصيرنا فى الاستنصار و الاستنفار، و لا قصرنا عن الاعتضاد لكلّ من أمّلنا معونته و الاستظهار، و لا اكتفينا بمطوّلات الرسائل و بنات الأفكار، حتى اقتحمنا بنفوسنا لجاج البحار، و سمحنا بالطّارف من أموالنا و التلاد، و أعطينا رجاء نصره الإسلام موفور الأموال و البلاد، و اشترينا بما أنعم الله به علينا ما فرض الله على كافة

أهل الإسلام من الجهاد، فلم

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٢٧

يكن بين تلبية المدعوّ وزهده، وبين قبوله و ردّه، إلّا كما يحسو الطائر ماء الثّمامد و يأبى الله أن يكل نصر هذه الجزيرة إلى سواه، و أن يجعل فيها سببا إلّا لمن أخلص لوجهه الكريم علانيته و نجواه. و لمّا أسلم الإسلام بهذه الجزيرة الغربية إلى مثاويه، و بقى المسلمون يتوقّعون حادثا ساءت ظنونهم لمباده، ألقينا إلى الثقة بالله تعالى وحده يد الاستسلام، و شمّرنا عن ساعد الجدّ و الاجتهاد في جهاد عبدة الأصنام، و أخذنا بمقتضى قوله تعالى: وَ أَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْخُذُ الْإِنْسَانَ بِالطُّغْيَانِ وَالْبَغْيِ نَسِيحًا، فأمدنا الله تعالى بتوالي البشائر، و نصرنا باللطاف أغنى فيها خلوص الضمائر عن قواد العساكر، و نقلنا على أيدي قوادنا و رجالنا من السّيايا و الغنائم ما عدّ ذكره في الآفاق كالمثل السائر و إن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا، و كيف يحصيها المحصى أو يحصرها الحاصر. و حين أبدت لنا العناية الرّبانيّة وجوه الفتوح سافرة المحيّا، و انتشقتنا نسيم التّصير الممنوح عقب الرّيا، استخرنا الله تعالى في الغزو بأنفسنا و نعم المستخار، و كتبنا إلى من قرب من عمّالنا بالحضّ على الجهاد و الاستنفار. و حين وافى من خفّ للجهاد من الأجناد و المطوّعين، و غدوا بحكم رغبتهم في الثواب على طاعة الله مجتمعين، خرجنا بهم و نصر الله تعالى أهدى دليل، و عناية الله بهذه الفئة المفردة من المسلمين، تقضى بتقريب البعيد من آماننا، و تكثير القليل. و نحن نسأل الله تعالى أن يحملنا على جادة الرّضا و القبول، و أن يرشدنا إلى طريق يفضى إلى بلوغ الأمنيّة و المأمول، إلى أن حللنا عشية يوم الأحد ثاني يوم خروجنا بمقربة حصن اللّوة فأدرنا به التّديبير، و استشرنا من أوليائنا من تحقّقنا نصحه فيما يشير، فاقضى الرأى المقترن بالرّشاد، المؤذن بالإسعاد، قصد قيحاطة لما رجى من تيسير فتحها، و أملا في إضاءة فجر الأمانى لديها، و بيان صبحها، فسرنا نحوها في جيش يجزّ على المجزّة ذيل النقع المثار، و يضيق عن كثرته واسع الأقطار، و يقر عين الإسلام بما اشتمل عليه من الحماة و الأنصار، تطير بهم تياتهم بأجنحة العزم إلى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٢٨

قبض أرواح الكفار. فلّمّا وصلنا إلى وادي على مقربة منها نزلنا به نريح الجياد، و نكمل التّأهب للقتال و الاستعداد، و بات المسلمون ليلتهم يسألون الله تعالى بأن يمنحهم الإعانة بتأييده و الإمداد. و حين فجر الفجر و أثار النهار، و قدحت به الأصباح زند الأنوار، ركبنا إليها و العساكر قد انتظمت عقودها، و السيوف قد كادت تلفظها غمودها، و بصائر الأولياء المجاهدين قد لاح من نصر الله تعالى معهودها. فلّمّا وصلناها وجدنا ناسنا قد سبقوا إليها بالبوس، و هتكوا ستر عصمتها المحروس، و أذن لها بزوال النعم و ذهاب النفوس، فعاجلها الأولياء بالقتال، و أهدوا إليها حمر المنيا من زرق التّصال، و رشقوا جنودها بالنبال، و جدّوا بنات الآجال، فلما رأوا ما لا طاقة لهم به لاذوا بالفرار من الأسوار، و ولّوا الأدبار، و ودّعا الديار و ما فيها من الآثار. و تسّم المسلمون ذروة البلد الأول فملكوه، و خرقوا حجاب الشتر المسدول عليه و هتكوه، و تسرعوا إلى البلد الثاني و قد ملأ النصرارى أسواره من حماة رجالهم، و انتقوهم من متخيري أبطالهم، ممن وثقوا بإقدامه في حماية ضلالهم، فحمل عليهم المسلمون حملة عزّفوهم بها كيف يكون اللّقاء، و صرفوهم إلى ما تنصرف إليه أرواحهم من الشّقاء، و أظهروا لهم من صدق العزائم ما علموا به أن لدين الإسلام أنصارا لا يرغبون بأنفسهم عن الدّبّ عنه و حماية راياته، و لا يصدرون إلا إلى طاعة الله ابتغاء مرضاته. و بادر جماعة إلى إضرام باب المدينة بالنيران، و عقدوا تحت سماء العجاج منها سماء الدّخان، و رموا النصرارى من النّبال بشهب تتبع منهم كل شيطان. فهزم الله النصرارى، و ولّوا أدبارهم، و قذف الله في قلوبهم الرعب، فأخلوا بروجهم و أسوارهم، و تسّمها المسلمون معلنين شعار الإسلام، رافعين من الرايات الحمر كواكب في سماء السّعادة تبشّر بتيسير كل مرام. و دخلوا المدينة فألقوا بها من القوت و العتاد، و المتاع الفاخر الذي يربو على التّعداد، ما ملأ كلّ يمين و شمال، و ظهرها عليها بعد بلوغ الأمانى على الكمال، و قتلوا بها من الحماة أعداء أبدوها في حماية ضلالهم ماضى الفنا و الاعترام، و أعملوا فيهم ماضى العوامل و شبا الإضرام. و ارتفع النصرارى إلى القصبّة لائذين بامتناعها، معتصمين بعلوّها و ارتفاعها، متخيلين لضلالهم، و عدم استبصارهم أن نور الهدى لا يحلّ بديارهم. فرأينا أن نرقى الرجال إلى أبراج البلد و أسواره، و أمرناهم أن يبيتوا

طول ليلتهم مضيقين على من اعتصم بالقصبة في حصاره، و عمدنا بالعسكر المظفر إلى موضع استيطانه من المحلة المنصورة و استقراره. فلما بدا ضوء الصباح بنور الإشراق، و لاح وجه الغزاة طارحا شعاعه على الآفاق، أمرنا بترتيب العساكر على القصبة للحصار، و عينا لكل جماعة منهم جهة يبادرون إلى منازلها بالقتال أشد البدار، فانهى المسلمون من ذلك إلى غاية لم تخطر الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٢٩

للكافرين ببال، و جرّوهم كؤوس المنايا، و أداروا بها بنات الحنايا، فأفضت السّجال و أظهر الكفار، مع وقوعهم في بحر الموت صبرا و طمعوا أن يقيموا بذلك لصلبانهم عذرا. فلما رأوا من عزمنا ما لم تتخيله ظنونهم و أوهامهم، و صابروهم المسلمون عند النزال مصابرة عظم فيها إقدامهم و ثبتت أقدامهم، ألقوا بأيديهم إلى التهلكة إلقاء من هاله لمعان الأسنة و اهتزاز ردينيات القنا، و لاذوا بطلب الأمان لياذ الغريق بالساحل بعد ما أشرف على الفناء، و هبط زعيمهم مقتحما خطر تلك المسالك، متضرعا تضرع من طمع في الحياة بعد ما أخذته أيدي المهالك، و شرط أن يملكنا القصبة، و يبقى خديما لنا بما بيده من البلاد الكثيرة و الكتيبة المنتخبة، فلم يظهر له عند ذلك قبولاً و لم نجعل له إلى تكميل ما رغب فيه سيلا، ففاده البأس الشديد إلى الإذعان، و رغب أن يكمل ما نريده على شرط الأمان. فأسعفنا رغبته على شروط، بعد عهد المسلمين بمثلها، و هيئت الأسباب بما نعتمده من الثقة بالله وحده في أمورنا كلها، و ذلك على كذا و كذا. و حين كملت الشروط حق التكميل، و ظهرت لنا منه أمارات الوفاء الجميل، دخلنا القصبة حماها الله، و قد أغنى يوم النصر عن شهر السلاح، كما أغنى ضوء الصبح عن نور المصباح، و رفعت على أبراجها حمر الأعلام، ناطقة عن الإسلام، بالتعريف و الإعلام. و في الحين وجهنا من يقبض تلك الحصون، و يزيل ما بها من جرم الكفر المأفون، أمناء رجالنا.

فالحمد لله على هذه النعمة التي أحدثت للقلوب استبشارا، و خفضت علم التلثيث و رفعت للتوحيد منارا، و أظهرت للملّة الحنيفية على أعدائها اعتلاء و استكبارا. و هذا القدر من الفتح و إن كان سامي الفخر، باقى الذكر بقاء الدهر، فإننا لندرجو من فضل الله أن يتبعه بما هو أعلى منه متاناً، و أعظم في قلوب أهل الإيمان موقعا و أعز مكانة، و أن يرغم بما يظهر على أيدينا من عز الإسلام، أنف من أظهر له عنادا و خذلانا. فاستبشروا بهذا الفتح العظيم و بشّروا، و اشكروا الله عليه، فواجب أن تشكروا. و قد كتبنا هذا، و نحن على عزمنا في غزو بلاد الكفار، و السعى الحميد إلى التنكيل بهم و الإضرار، و المسلمون أعزهم الله في أرضهم يشنون المغار، و يمتلكون الأنجاد منها و الأغوار، و يكثرون القتل و الأسار، و يحكمون أينما نزلوا السيف و النار، و السلام.

و من نثر آخر إجازة ما صورته :

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٣٠

و ها أنا أجرى منه على حسن معتقده، و أكله في هذا الغرض إلى ما رآه بمقتضى تودده، و أجزى له و لولديه، أقر الله بهما عينه، و جمع بينهما و بينه، رواية جميع ما نقلته و حملته، و حسن اطلاعه يفصيل من ذلك ما أجملته، فقد أطلقت لهم الإذن في جميعه، و أبحت لهم الحمل عنى و لهم الاختيار في تنويعه. و الله سبحانه و تعالى يخلص أعمالنا لذاته، و يجعلها في ابتغاء مرضاته. قال هذا محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم حامدا لله عزّ و جلّ، و مصليا و مسلما.

وفاته: قتل، رحمه الله، صبيحة عيد الفطر من عام ثمانية و سبعمائة، و ذلك لتاريخ خلع سلطانه. و استولت يد الغوغاء على منزله، شغلهم بها مدبر الفتنة خيفة من أن يعاجلوه قبل تمام أمره، فضع بها مال لا يكتب، و عروض لا يعلم لها قيمة من الكتب، و الذخيرة و الفرش و الآنية و السلاح و المتاع و الخرثي، و أخفرت ذمته، و تعدى به عدوة القتل إلى المثلة، و قانا الله مصارع السوء، فطيف بشلوه، و انتهب فضع و لم يقبر، و جرت فيه شناعة كبيرة، رحمه الله تعالى.

مولده: برنده ظهر يوم الاثنين الحادى و العشرين من ربيع الأول المبارك، من عام ستين و ستمائة. و ممّن رثاه شيخنا أبو بكر بن شبرين رحمه الله تعالى بقوله :

[الطويل]

سقى الله أشلاء كرم من على البلى و ما غصّ من مقدارها حادث البلا
و ممّا شجاني أن أهين مكانهاو أهمل قدر ما عهدناه مهملا
ألا اصنع بها يا دهر ما أنت صانع فما كنت إلّا عبدها المتدلّلا
سفكت و ما كان الرّقوء نواله لقد جتتها شعاء فاضحة الملا
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٣١ بكفى سبتي أزرق العين مطرق عدا فغدا في غيّه متوغّلا
لنعم قتيل القوم في يوم عيده قتيل تبيكه المكارم و العلا
ألا إنّ يوم ابن الحكيم لمثكل فؤادي، فما ينفكّ ما عشت مثكلا
فقدناه في يوم أغرّ محجّل ففي الحشر نلقاه أغرّ محجّلا
سمت نحوه الأيام و هو عميدها فلم تشكر النعمى و لم تحفظ الولا
تعاورت الأسياف منه ممدّحا كريما سما فوق السماكين منزلا
و خانته رجل في الطواف به سعت فناء بصدور للعلوم تحمّلا
و جدل لم يحضره في الحيّ ناصر فمن مبلغ الأحياء أنّ مهلهلا
يد الله في ذاك الأديم ممزّقا تبارك ما هبت جنوبا و شمّالا
و من حزني أن لست أعرف ملحداله فأرى للترب منه مقبلا الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ٢؛ ص ٣٣١
رويدك يا من قد غدا شامتا به فبالأمس ما كان العماد المؤمّلا
و كنّا نغادي أو نراوح بابه و قد ظلّ في أوج العلا متوقّلا
ذكرناه يوما فاستهلتّ جفوننا بدمع إذا ما أمحل العام أخضلا
و مازج منه الحزن طول اعتبارناو لم ندر ما ذا منهما كان أطولا
و هاج لنا شجوا تذكّر مجلس له كان يهدى الحيّ و الملاء الألى
به كانت الدنيا تؤخّر مدبرامن الناس حتما أو تقدّم مقبلا
لتبك عيون الباقيات على فتى كريم إذا ما أسبغ العرف أجزلا
على خادم الآثار تتلى صحائف على حامل القرآن يتلى مفضّلا
على عضد الملك الذي قد تضرّعت مكارمه في الأرض مسكا و مندلا
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٣٢ على قاسم الأموال فينا على الذي وضعنا لديه كلّ إصر على علا
و أنّى لنا من بعده متعلّل و ما كان في حاجاتنا متعلّلا
ألا يا قصير العمر يا كامل العلا يمينا لقد غادرت حزنا مؤثّلا
يسوء المصلّى أن هلكت و لم تقم عليك صلاة فيه يشهدا الملا
و ذاك لأنّ الأمر فيه شهادة و سنّتها محفوظة لن تبدّلا
فيا أيها الميت الكريم الذي قضى سعيدا حميدا فاضلا و مفضّلا
لتهنك من ربّ السماء شهادة تلاقى ببشرى وجهك المتهلّلا
رثيتك عن حبّ ثوى في جوانحي فما ودّع القلب العميد و ما قلا
و يا ربّ من أوليته منك نعمه و كنت له ذخرا عتيدا و موثّلا
تناساك حتى ما تمرّ بباله و لم يدّكر ذاك الندى و التفضّلا

يرابض فى مثواك كلّ عشيةً صفيّف شواء أو قديداً معجّلا
لحى الله من ينسى الأذمة رافضوا يذهل مهما أصبح الأمر مشكلا
حنانيك يا بدر الهدى فلشدّ ماتركت بدور الأفق بعدك أفلا
و كنت لآمالى حياةً هنيهةً فغادرت منى اليوم قلبا مقتلا
فلا و أيبك الخير ما أنا بالذى على البعد ينسى من ذمامك ما خلا
فأنت الذى آويتنى متغزّباو أنت الذى أكرمتنى متطفّلا
فإن لم أنل منك الذى كنت آملأما كنت إلّا المحسن المتفضّلا
فآليت لا ينفكّ قلبى مكمداعليّك و لا ينفكّ دمعى مسبلا

محمد بن عبد الرحمن العقيلي الجراوى

من أهل وادى آش، و سكن غرناطة.
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٣٣
حاله: فقيه أديب متطبّب، متفنن فى علوم جمه، شاعر مطبوع، يكتى أبا بكر.
مدح الأمير على بن يوسف اللاتونى بقوله: [مجزوء الكامل]
رحلوا الركائب موهنا فأذاع عرفهم السّنا
و الحلّى قد أغرى بهم لثما ترئم معلنا
كم حفّ حول حماهم من كلّ خطّار القنا
قال أبو جعفر بن الزبير، ينفك منها قصائد: [الكامل]
رحلوا الركاب موهّنا ليكتماظعن الحمول و هل توارى الأنجم؟
فأذاع سرّهم السّنا و رمى بهم فلّ الذميل شذاهم المتنسّم
كم حفّ حمل قباهم و ركابهم من ليث غاب فى برائنه الدم
من كل خطّار القنا ممّوه بين الرحيل نصبه يستسلم
و هى طويلة، خاطب بها أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين. و قال فى وصف القصيدة: [الطويل]
أيا ملكا يسمو بسعد مساعدا و قدر على علو الكواكب صاعد
نظمت قصيدا فى علاك مضمّنات ثلاث قواف فى ثلاث قصائد
إذا فصلت أغنى عن البعض بعضهاو إن وصلت كانت ككعب و ساعد
فأجازة بظهير كريم بتحرير ماله و تنويهه.

محمد بن عبد الرحمن المتأهل

من أهل وادى آش، يعرف بعمامتى.
حاله: من التاج: ناظم أبيات، و موضح غرر و شيات، و صاحب توقعات رفيفات، و إشارات ذوات شارات. و كان شاعرا مكثارا، و
جوادا لا يخاف عثارا.
أدخل على أمير بلده المخلوع عن ملكه، بعد انتشار سلّكه، و خروج الحضرة عن ملكه، و استقراره بوادى آش، مروع البال، معلّلا

بالآمال، و قد بلغه دخول طبرنش في طاعته، فأنشده من ساعته: [مجزوء الكامل]
 خذها إليك طبرنشا شفع بها وادي الأشا
 و الأم تتبع بنتهاو الله يفعل ما يشا
 و من نوادره العذبة يطلب خطة الحسبة: [الطويل]
 أنلني يا خير البرية خطة ترفعني قدرا و تكسبني عزًا
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٣٤ فاعتز في أهلي كما اعتز بيدق على سفرة الشطرنج لما انثنى فرزا
 فوقع الأمر بظهر رقعة ما ثبت في حرف النون عند ذكره، و الاحتجاج بفضله.
 وفاته: كان حيا بعد سنة سبع عشرة و سبعمائة. وفد على الحضرة مرات كثيرة.

محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي

إشارة

من أهل وادي آش، يكنى أبا بكر.
 حاله: كان عالما، صدرا، حكيما، فيلسوفا، عارفا بالمقالات و الآراء، كلفا بالحكمة المشرقية، محققا، متصوفا، طبيا ماهرا، فقيها، بارع
 الأدب، ناظما، ناثرا، مشاركا في جملة من الفنون.
 مشيخته: روى عن أبي محمد الرشاطي، و عبد الحق بن عطية و غيرهما.

حظوته و دخوله غرناطة:

اختصّ بالرئيس أبي جعفر، و أبي الحسن بن ملحان. قال ابن الأبار في تحفته : و كتب لوالى غرناطة وقتا.
 تواليفه: رسالة حى بن يقطان، و الأرجوزة الطيبة المجهولة، و غير ذلك.
 شعره: قال: و هو القائل من قصيدة في فتح قفصة سنة ست و سبعين ، و أنفذت إلى البلاد: [الطويل]
 و لما انقضى الفتح الذى كان يرتجى و أصبح حزب الله أغلب غالب
 و أنجزنا وعد من الله صادق كفيل بإبطال الظنون الكواذب
 و ساعدنا التوفيق حتى بينت مقاصدنا مشروحة بالعواقب
 و أذعن من عليا هلال بن عامر أبى و لئى الأمر كلّ مجانيب
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٣٥ وهبوا إذا هبّ النسيم كما سرى و لم يتركوا بالشرق علقه آئب
 يغصّ بهم عرض الفلا و هو واسع و قد زاحموا الآفاق من كل جانب
 كأنّ بسيط الأرض حلقة خاتم بهم و خضمّ البحر بعض المذانب
 و مدّ على حكم الصغار لسلمنا يديه عظيم الروم فى حال راغب
 يصرح بالرؤيا و بين ضلوعه نفس مذعور و نفره راهب
 وعى من لسان الحال أفصح خطبة و ما و ضحت عنه فصاح القواضب
 و أبصر متن الأرض كفة حامل عليه و إصره فى كفّ حالب
 أشرنا بأعناق الجياد إليكم و عجا عليكم من صدور الرّكائب

إلى بقعة قد بين الله فضلها بمن حلّ فيها من وليّ و صاحب
على الصّفوة الأذنين منّا تحية توافيهم بين الصّبا و الجنائب
و له أيضا : [الطويل]

ألّمت و قد نام الرقيب و هوّماو أسرت إلى وادي العقيق من الحمى
و راحت إلى نجد فرحت منجداو مرّت بنعمان فأضحى منّما
و جرّت على ترب المحصّب ذيلها فما زال ذاك التّرب نهبا مقسّما
تناقله أيدي التّجار لطيمة و يحمله الدارّي أيان يمّما
و لمّا رأت أن لا ظلام يجنّهاو أنّ سراها فيه لن يتكتما
سرت عذبات الرّيط عن حرّ وجهها فأبدت شعاعا يرفع اليوم مظلّما
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٣٦ فكانّ تجليها حجاب جمالها كشمس الصّحى يعشى بها الطّرف كلّما
و لمّا رأت زهر الكواكب أنهاهى التّير الأسمى و إن كان باسما
بكت أسفا أن لم تفرز بجوارهاو أسعدها صوب الغمام فأسجما
فجلّت يمّ القطر ريان بردها فتنفّضه كالدرّ فذّا و توأما
يضمّ علينا الماء فضل زكاتها كما بلّ سقط الطّلّ نورا مكّما
و يفتق نضح الغيث طيب عرفهانسيم الصّبا بين العرار منسّما
جلت عن ثناياها و أومض برقها فلم أدر من شقّ الدّجّنه منها
و ساعدنى جفن الغمام على البكافلم أدر و جدا أيّنا كان أسجما
و نظم سمطى ثغرها و وشاحها فأبصرت درّ الثغر أحلى و أنظما
تقول و قد ألّمت أطراف كتمها يدي و قد أنعلت أخصمها الفما
نشدتك لا يذهب بك الشوق مذهبا يسهّل صعبا أو يرخص مأثما
فأقصرت لا مستغنيا عن نوالهاو لكن رأيت الصّبر أوفى و أكرما
و قال : [الوافر]

أتذكر إذ مسحت بفيك عيني و قد حلّ البكا فيها عقوده
ذكرت بأن ريقك ماء و ردّ فقا بلت الحرارة بالبروده
و قال : [الوافر]

سألت من المليحة برء دائى برشف برودها العذب المزاج
فما زالت تقبل فى جفونى و تبهرنى بأصناف الحجاج
و قالت إنّ طرفك كان أصلا لدائك فليقدّم فى العلاج
وفاته: توفى بمراكش سنة إحدى و ثمانين و خمسمائة، و حضر السلطان جنازته.
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٣٧

محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبيد الله ابن عياش التجيبى البرشاني

من أهل حصن برشانة المحسوب في هذه العمالة، يكنى أبا عبد الله، كاتب الخلافة.

حاله: قال القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك: كان كاتباً بارعاً، فصيحاً، مشرفاً على علوم اللسان، حافظاً للغات والآداب، جزلاً، سرى الهمة، كبير المقدار، حسن الخلق، كريم الطباع، نفاعاً بجاهه وماله، كثير الاعتناء بطلبة العلم والسعي الجميل لهم، وإفاضة المعروف على قصاده، مستعينا على ذلك بما نال من الثروة والحظوة والجاه عند الأمراء من بني عبد المؤمن، إذ كان صاحب القلم الأعلى على عهد المنصور وابنه، رفيع المنزلة والمكانة لديهم، قاصدا الإعراب في كلامه، لا يخاطب أحداً في كلامه من الناس، على تفاريق أحوالهم، إلاً بكلام معرب، وربما استعمله في مخاطبة خدمته وأمه، من حوشى الألفاظ، ما لا يكاد يستعمله، ولا يفهمه إلاً حفاظ اللغة من أهل العلم، عادة ألفها واستمرت حاله عليها.

مشيخته: روى عن أبي عبد الله بن حميد، وابن أبي القاسم السهيلي، وابن حبيش، وروى عنه بنوه أبو جعفر، وأبو القاسم عبد الرحمن، وأبو جعفر بن عثمان، وأبو القاسم البلوي.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٣٨

تواليفه: له اختصار حسن في إصلاح المنطق، ورسائل مشهورة، تناقلها الناس، وشعر يحسن في بعضه.

جاهه: حدث الشيخ أبو القاسم البلوي، قال: كنت أخف إليه، وأشفع عنده في كبار المسائل، فيسرع في قضائها. ولقد عرضت لبعض أصحابي من أهل بلاد الأندلس حاجةً مهمّةً كبيرةً، وجب عليّ السعي فيها، والتماس قضائها وفاء لربّها، ولم يكن لها إلاً ما قدرته من حسن نظره فيها، ورجوته من جميل أثره في تيسير أمرها، وكان قد أصابه حينئذ التياث لزم من أجله داره، ودخلت عليه عائداً، فأطال السؤال عن حاله، وتبسّط معي في الكلام، مبالغاً في تأنيسي، فأجلت ذكر الحاجة، ورغبت منه في الشفاعة عند السلطان في شأنها، وكان مضطجعاً، فاستوى جالساً، وقال لي: جهل الناس قدرى، وكزرها ثلاثاً، في مثل هذا أشفع إلى أمير المؤمنين؟ هات الدواء والقرطاس، فناولته إياهما، فكتب برغبتي، ورفعني إلى السلطان، فصرف في الحين معلماً، فاستدعاني، ودفعه إليّ، وقال: يا أبا القاسم، لا أرضى منك أن تحجم عني في التماس قضاء حاجة تعرّضت لك خاصة، وإن كانت لأحد من معارفك عامة، كبرت أو صغرت، فألتزم قضاءها، وعليّ الوفاء، فإن لكل مكسب زكاه، وزكاه الجاه بذله.

وحدثني شيخى أبو الحسن بن الجيّاب، عن حدثه من أشياخه، قال: عرض أبو عبد الله بن عياش والكاتب ابن القالمي على المنصور كتابين، وهو في بعض الغزوات، في كلب البرد، وبين يديه كانون جمر. وكان ابن عياش بارع الخط، وابن القالمي ركيكه، ويفضله في البلاغة، أو بالعكس الشك منى. وقال المنصور: أى كتب لو كان بهذا الخط؟ وأى خط لو كان بهذا الكتب؟ فرضى ابن القالمي، وسخط ابن عياش. فانتزع الكتاب من يد المنصور، وطرحه في النار وانصرف. قال: فتغيّر وجه المنصور، وابتدر أحد الأشياخ، فقال: يا أمير المؤمنين، طعتم له في الوسيلة التي عرفته ببابكم، فعظمت غيرته لمعرفته بقدر السبب الموصل إليكم. فسرى عن المنصور، وقال لأحد خدامه: اذهب إلى السبي، فاختر أجمل نساء الأبقار؛ وأت بابن عياش؛ فقل له: هذه تطفىء من خلقك. قال ابن عياش يخاطب ولده، وقد حدث الحديث: هي أمك، يا محمد، أو فلان.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٣٩

بعض أخباره مع المنصور ومحاورته الدالة على جلالته قدره:

قال ابن خميس: حدثني خالى أبو عبد الله بن عسكر أن الكاتب أبا عبد الله بن عياش، كتب يوماً كتاباً ليهودى، فكتب فيه، ويحمل على البرّ والكرامة. فقال له المنصور: من أين لك أن تقول في كافر، ويحمل على البرّ والكرامة؟ فقال: ففكرت ساعة، وقد علمت أن الاعتراض يلزمنى، فقلت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أتاكم كريم قوم، فأكرموه، وهذا عام في الكافر، وغيره. فقال:

نعم هذه الكرامة، فالمبرة أين أخذتها؟ قال: فسكت ولم أجد جوابا. قال: فقرأ المنصور: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب الْمُقْسِطِينَ . قال: فشهدت بذلك، و شكرته.

شعره: من شعره: [الطويل]

بلنسية، بينى عن العليا سلوة فإنك روض لا أحزن لزهرك

و كيف يحب المرء دارا تقسمت على صارمى جوع و فتنه مشرك؟

و ذكره الأديب أبو بحر صفوان بن إدريس في «زاد المسافر» عند اسم ابن عياش، قال: اجتمعنا في ليلة بمراكش، فقال أبو عبد الله بن عياش: [البسيط]

و ليلة من ليالى الصّبح قد جمعت إخوان صدق و وصل للدهر مختلس

كانوا على سنّة الأيام قد بعدوا فألفت بينهم لو ساعد الغلس

و قال من قصيدة: [الكامل]

أشفارها أم صارم الحجاج؟ و جفونها أم فتنه الحلّاج؟

فإذا نظرت لأرضها و سمائها لم تلف غير أسنّة و زجاج

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٤٠

و قال فى المصحف الإمام، المنسوب إلى عثمان بن عفان، لما أمر المنصور بتحليلته بنفيس الدرّ من قصيدة:

و نفلته من كلّ ملك ذخيرة كأنهم كانوا برسم مكاسبه

فإن ورث الأملاك شرقا و غربا فكم قد أخلوا جاهلين بواجبه

و ألبسته الياقوت و الدرّ حليّة و غيرك قد رواه من دم صاحبه

كتابه: قال ابن سعيد فى المرقصات و المطربات: أبو عبد الله بن عياش، كاتب الناصر و غيره، من بنى عبد المؤمن، و واسطة عقد ترسيه، قوله فى رساله كتبها فى نزول الناصر على المهديّة بحرا و برا، و استرجاعها من أيدي الملتئمين:

و لما حللنا عرى السيفر، بأن حللنا حمى المهديّة، تفاءلنا بأن تكون لمن حلّ بساحتها هديّة، فأحدقنا بها إحداق الهدب بالعين، و أطرنا

لمختلس وصالها غربان البين، فبانّت بلبلة باسنيّة، و صابح يوما صافحته فيه يد المنيّة. و لما اجتلينا منها عروسا قد مدّ بين يديها بساط

الماء، و توجهت بالهلال و قرّطته بالثريا و وشجت بنجوم السماء، و السّحب تسحب عليها أردانها فترتديها تارة متلّثمة، و طورا سافرة، و

كأنما شرفاتها المشرفة أنامل مخضبة بالدياجى، مختتمة بالكواكب الزّاهرة، تضحى عن شنب لا تزال تقبله أفواه المجانيق، و تسمى

باسمة عن لعس لا تبرح ترشفه شفاه سهام الحريق، خطبناها فأرادت التّيبه على قدرها، و التّوفير فى إعلاء مهرها، و من خطب الحسناء

لم يغله المهر فتمنّعت تمنّع المقصورات فى الخيام، و أطالت إعمال العامل فى خدمتها و تجريد الحسام، إلى أن تحققت عظم موقعها

فى النفوس، و رأت كثرة ما ألقى لها من نثار الرّءوس، جنحت إلى الإحصان بعد النّشوز، و رأت اللّجاج فى الامتناع من قبول الإحسان

لا يجوز، فأمكنّت زمامها من يد خاطبها، بعد مطاوله خطبها و خطابها، و أمّتته على رغم رقيها بعناقها و رشف رضاها، فبانّت معرّسا

حيث لا حجال إلّا من البنود، و لا خلوق إلّا من دماء أبطال الجنود، فأصبح و قد تلالأت بهذه البشائر وجوه الأفكار؛ و طارت بمسارها

سوائح البرارى و سوانح البحار. فالحمد

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٤١

لله الذى أقرّ الحقّ فى نصابه، و استرجعه من أيدي غصّابه، حمدا يجمع شمل النّعم، و يلقحها كما تلقح الرياح الدّيم، فشنتفوا الأسماع

بهذه البشائر، و املثوا الصّيدور بما يرويه لكم من أحاديثها كل وارد و صادر، فهو الفتح الذى تفتّحت له أبواب السماء، و عمّ الخير و

اليمن به بسيطى الشرق و الماء؛ فشكر الله عليه، فرض، فى كل قطر من أقطار الأرض.
 دخل غرناطة، مرتادا، و متعلما، و مجتازا.
 مولده: ببرشانة بلده، عام خمسين و خمسمائة.
 وفاته: توفى بمراكش فى شهر رجب الفرد من عام ثمانية عشرة و ستمائة، رحمه الله.

محمد بن على بن محمد بن إبراهيم بن محمد الهمداني

من أهل وادى آش، يكنى أبا القاسم و يعرف بابن البراق .

حاله: قال ابن عبد الملك : كان محدثا حافظا، راوية مكثرا، ثقة ضابطا ، شهر بحفظ كتب كثيرة من الحديث و غيره، ذا نظر صالح فى الطب ، أديبا بارعا، كاتبا بليغا، مكثرا لجيده ، سريع البديهة فى النظم و النثر، و الأدب أغلب عليه. قال أبو القاسم ابن الموعينى: ما رأيت فى عباد الله أسرع ارتجالا منه.

مشيخته: روى عن أبى بحر يوسف بن أحمد بن أبى عيشون، و أبى بكر بن زرقون، و ابن قيد ، و ابن إبراهيم بن المل، و ابن النعمه و صحبه ، و لقيه بمراكش، و وليد بن موفق، و أبى عبد الله بن يوسف بن سعادة، و لازمه أزيد من ست سنين و أكثر عنه، و ابن العمرسى، و أبى العباس بن إدريس، و الخزوبى، و تلا عليه بالسبع،
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٤٢

و أكثر عنه، و عرض عليه من حفظه كثيرا، و ابن مضاء، و أبى على بن عرب ، و أبى القاسم بن حبيش، و ابن عبد الجبار، و أبى محمد بن سهل الضرير، و عاشر و قاسم بن دحمان، و أبى يوسف بن طلحة. و أجاز له أبو بكر بن العربى، و ابن خير، و ابن مندله ، و ابن تماره ، و أبو الحسن شريح، و ابن هذيل، و يونس بن مغيث، و أبو الجليل مفرج بن سلمه، و أبو عبد الله حفيد مكى، و أبو عبد الرحمن بن مساعد، و أبو عامر محمد بن أحمد السالمى، و أبو القاسم ابن بشكوال، و أبو محمد بن عبيد الله، و أبو مروان البيضاى، و ابن قرمان، و أبو الوليد بن حجاج.

من روى عنه: روى عنه ابنه أبو القاسم، و أبو الحسن بن محمد بن بقى الغسانى، و أبو عبد الله محمد بن يحيى السكرى، و أبو العباس النبأتى، و أبو عمرو بن عياد، و هو أسن منه، و أبو الكرم جودى.

تواليفه: صنف فى الأدب مصنفات منها «بهجة الأفكار، و فرجة التذكار، فى مختار الأشعار»، و «مباشرة ليله السيفح»، و مقاله فى الإخوان، خرّجها من شواهد الحكم، و مصنف فى أخبار معاوية، و «الدّر المنظم فى الاختيار المعظم»، و «مجموع فى الأغاز»، و «روضه الحدائق، فى تأليف الكلام الرائق»، مجموع نظمه و نثره، و ملقى السبل فى فضل رمضان، و قصيدته فى ذكر النبى صلى الله عليه و سلم، و خطرات الواجد فى رثاء الواحد، و رجوع الإنذار بهجوم العذار، إلى غير ذلك.

محتته: غرّبه الأمير ابن سعد من وطنه، و ألزمه سكنى مرسية، ثم بلنسية.

و لما مات ابن سعد آخر يوم من رجب سبع و ستين و خمسمائة، عاد إلى وطنه و استقرّ به يفيدة الدية، إلى آخر عمره.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٤٣

شعره: و شعره كثير. فمن ذلك القصيدة الشهيرة فى مدح رسول الله صلى الله عليه و سلم، و ذكر صحابته : [الكامل]

بالهضب هضب زرود أو تلعاتها شاقتك هاتفه على نعماتها

مصدورة تفتن فى ترجيعها فيبين نفث السحر فى نفتاتها

إن راقها راد الضحى أو راعها جنح الدجى سيان فى ذكراتها

هذا يمتعها و ذاك يشوقها الموت فى يقظاتها و سناتها

و لو التعلل بالكري يتتابهانضحت فزور الطيف برح شكاتها
لكن بين جفونها و منامها حربا تثير النهب في كراتها
و لئن نطقت لها به فتقول من للرياح بملقى هباتها؟
مطلولة الفرعين تلحفها الربي كفا و تلمها لمى زهراتها
و يسيغها ماء التخيلاء جرعة لغياضها من مجتنى نخلاتها
منها:

يا من تبلج نوره عن صاعد بالواضحات الغر من آياتها
يا شارعا في أمة جعلت به وسطا نالت مستدام حياتها

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٤٤ في دار خلد لا يشيب وليدها حيث الشباب يرف في جناتها
و تسّم الرضوان في أكنافها و تسّم الریحان من جناتها
يا مصطفاها يا مرفع قدرها يا كهفها يا منتهى غاياتها
يا منتقاها من أرومة هاشم يا هاشم الصلبان في نزاوتها
يا خاضدا للشرك شوكة حزبه يا يافعا للعرب في جمراتها
قلت: نقل الشيخ أزيد من ذلك أو ضعفه أو نحوه. إلى أن قال: و هي طويلة، قلت: و ثقيلة الروح. و لقد صدق في قوله.
و من شعره: [السريع]

يا بدر تم طالعا في الحشابرّح بي منك أوان المغيب
حظك من قلبي تعذيبه و حظّه منك الأسي و الوجيب
فمن يكن يزهي بلبس المنى فإن زهوى بلحاس النّحيب
في ساعة قصر أنيابها غيبته لى و حضور الرقيب
لعلّ من باعد ما بيننا يفرّج الكربة عمّا قريب
و قال: [الكامل]

رشوا القباب بأدمع مفضوضة ذوى للفراق و أكبد تتصرّم
فللتفس في تلك الربوع حبيبه و القلب في إثر الوداع مقسم
هل لى بهاتيک الظبا إلماعة؟ أم هل لذاک السرب شمل ينظم؟
حقا فقدت الذات عند فراقهم فالشخص يوجد و الحقيقة تعدم

وفاته: توفى ببلده لثلاث بقين من رمضان ست و تسعين و خمسمائة. قال أبو القاسم المواعيني: عثر في مشيه فسقط، فكان سبب منيته،
و دخل غرناطة في غير ما وجهه منها، راويا عن أبي القاسم بن الفرس، و مع ذلك فهو من أحوازاها و بيتياتها.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٤٥

محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد ابن خاتمة الأنصاري

من أهل المريّة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من كتاب الإكليل ما نصّه: ممن ثكلته اليراعة، و فقدته البراعة، تأدّب بأخيه، و تهذّب، و أراه في النظم المذهب، و كساه من
التفهم و التعليم البرد المذهب، فافتنى و اقتدى، و راح في الحلبة و اغتدى، حتى نبيل و شدا، و لو أمهله الدهر لبلغ المدى. و أما خطّه

فقد الأَبصار، و طرفه من طرف الأمصار، و اعتبط يانع الشبيبة، مخضّر الكتيبة.

شعره: [البسيط]

كفّوا الملام فلا أصغى إلى العذل عقلي و سمعي عن العَدَال في شغل
يقول في هذه القصيدة:

هزل المحبّة جدّ و الهوان هوى و الصّب يتلف بين الجدّ و الهزل
من مسعدى و فؤادى لا يساعدنى أو من شفيعى و ذلّى ليس يشفع لى
أعلّل النّفس بالآمال أطمعهاحتى وقعت من التّعليل فى علل
لئن كنت تجهل ما فى الحبّ من محن أنا الخبير فغيرى اليوم لا تسل
أنا الذى قد حلبت الحبّ أشطره فلم يفدنى لا حولى و لا حيل
لا أشرب الرّاح كى أحلو براحتها لکن لأدفع ما بالنّفس من كسل
و لا أجول بطرفى فى الرياض سوى ذكرى لأيامنا فى ظلّها الأول
أنا العهد مضى ما كان أعذبه لم يبق لى غير آيات من الخيل
كم فديتك يا قلبى و أنت على تلك الغواية لم تبرح و لم تزل
فاختر لنفسك إما أن تصاحبنى حلوا و إلّا فدعنى منك و ارتحل
فقد تبعتك حتى سرت من شغفى و لوعتى فى الهوى أعجوبة المثل
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٤٦

و من شعره: [الرمل]

و مض البرق فثار القلق و مضى النّوم و حلّ الأرق
و ينعانى من غرامى قد شكواو دموعى من ولوعى تنطق
و دليلى فى غليلى زفرتى و عذابى بانتحابى أصدق
و حسودى من وقودى رقّ لى ضمّنا فيها الحمى و الأبرق
و عشيات تقصّت باللّوى فى محيا الدهر منها رونق
إذ شبابى و التّصابى جمعاو رياض الأنس غصّ مونق
شّت يوم البين شملى ليت ماخلق البين لقلب يعشق
آه من يوم قضى لى فرقة شاب منى يوم حلّت مفرق
و من ذلك: [الطويل]

أيا جيرة الحى الممنّع جاره سقى ريقكم دمعى إذا بخل الوبل
متى غبتم عنى فأنتم بخاطرى و إن تقصدوا ذلّى فقد لذنى الدّل
عذابكم قرب و بخلكم ندى و إذلالكم عزّ و هجرانكم وصل
و أنتم نعيمى لا نعمت بغيركم و روضى لا ماء أريد و لا ظلّ
و من ظريف نزعاته قوله: [البسيط]

الرّفح نعتكم لا خانكم أمل و الخفض شيمه شأنى و الهوى دول
هل منكم لى عطف بعد بعدكم؟ إذ ليس لى منكم يا سادتى بدل

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٤٧
وفاته: اعتبط في الطاعون في أوائل ربيع الأول عام خمسين و سبعمائة. ورد إلى الحضرة غير ما مرة.

محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان الزهري

من أهل قرطبة، يكنى أبا بكر.

حاله: نسيج وحده أدبا و ظرفا و لوذعية و شهرة. قال ابن عبد الملك: كان أديبا بارعا، محسنا، شاعرا حلوا الكلام، مليح التندير، مبرزاً في نظم الطريقة الهزلية، بلسان عوام الأندلس، الملقب بالزجل. قلت: و هذه الطريقة بديعة يتحكم فيها ألقاب البديع، و تنفسخ لكثير مما يضيق سلوكه على الشاعر. و بلغ فيها أبو بكر مبلغا حجره الله عن سواه؛ فهو آيتها المعجزة، و حجتها البالغة، و فارسها العلم، و المبتدى فيها و المتمم، رحمه الله. و قال الفتح فيه: «مبرز في البيان، و محرز السبق عند تسابق الأعيان، اشتمل عليه المتوكل على الله اشتمالا رفاه إلى مجالس، و كساه ملابس، و اقتطع أسمى الرتب و تبوأها، و نال أسنى الخطط و ما تمالأها».

شعره: قال الفتح: و قد أثبت له ما يعلم به رفيع قدره، و يعرف كيف أساء الزمن بغيره، قوله: [الكامل]

ركبوا السيول من الخيول و ركبوا فوق العوالي السمر زرق نطاف

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٤٨ و تجلّلوا الغدران من ما ذئهم مرتجّة إلّا على الأكتاف

و كتب إليه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن أبي الخصال يستدعيه إلى مجلس أنس: [البيسط]

إني أهزك هز الصّارم الخدم و بيننا كلّ ما تدريه من ذم

ذا شاك من قطع أنس أنت و اصله بما لديك من الآداب و الحكم

و شتّ شمل كرام أنت ناظمه و ردّ دعوة أهل المجد و الكرم

و لو دعيت إلى أمثالها لسعت إليك سعى مشوق هائم قدم

و إن نشطت لتصريفى صرفت له وجهى و كنت من الأعوان و الخدم

و ما أريد سوى عفو تجود به و فى حديثك ما يشفى من الألم

أنت المقدم فى فخر و فى أدب فاطل علينا طلوع السيد العمم

فأجابه رحمه الله: [البيسط]

أتى من المجد أمر لا مردّ له نمشى على الرأس فيه لا على القدم

لبيك لبيك أضعافا مضاعفة إنى أجت و لكنّ داعى الكرم

لى همّة و لأهل العزّ مطمئحها لا زلت فى كلّ مجد مطمح الهمم

و إنّ حقّك معروف و ملتزم و كيف يوجد عندى غير ملتزم؟

زفن و رقص و ما أحببت من ملح عندى و أكثر ما تدريه من شيم

حتى يكون كلام الحاضرين بهاعند الصّباح و ما بالعهد من قدم

يا ليلة السّفح هلا عدت ثانية سقى زمانك هطال من الدّيم

و قال فى غرض التّسيب: [السريع]

يا ربّ يوم زارنى فيه من أطلع من غزته كوكبا

ذو شفة لمياء معسولة ينشع من خديه ماء الصّبا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٤٩ قلت له هب لى بها قبله فقال لى مبتسما: مرحبا

فدقت شيئاً لم أذق مثله لله ما أحلى و ما أعذبا
أسعدنى الله بإسعاده يا شقوتى يا شقوتى لو أبى
و قال: [المنسرح]

جئت لتوديعه و قد ذرفت عيناى من حسرة و عيناه
فى موكب البين باكيين و لأصعب من موقف و قفناه
معانقا جيده على حذر فمن رآنى مقبلا فاه
نغص توديعه لعاشقه ما كان من قبل قد تمنّاه
و قال يعتذر ارتجالا و أحسن ما أراد: [البسيط]
يا أهل ذا المجلس السامى سراوته ما ملت لكننى مالت بى الزاح
و إن أكن مطفئا مصباح بيتكم فكلّ من فيكم فى البيت مصباح
و قال يهنئ بعرس: [الكامل]

صرفت إليك و جوهها الأفراح و تكتفتك سعادة و نجاح
فاقص المآرب فى زمان صالح لا سدّ عنك من الزمان صلاح
إن كان كالشمس المنيرة حسنها فالبدر أنت و ما عليك جناح
لا فرق بينكما لرأى فاستوى زى النساء قلادة و وشاح
هل يوقد المصباح عند كما مهجاو كلاكما بهائه مصباح؟
أحرزت يا عبد العزيز محاسنا كثرت فلم تستوفها الأمداح
يا من له كفّ تجود و أضلع مطوى على حفظ الوداد سجاح
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٥٠ ما ألفت الحاجات دونى قفلها إلّا و يمن يمينك المفتاح
فى كل ما تنحو إليه ملاحه و كذاك أفعال المليح ملاح
و من حكمه قوله: [الوافر]

كثير المال تبدله فيبقى و لا يبقى مع البخل القليل
و من غرست يده ثمار جود ففى ظلّ الثناء له مقيل
و قال رحمه الله: [الوافر]

و عهدى بالشباب و حسن قدى حكى ألف ابن مقلّة فى الكتاب
فصرت اليوم منحنيا كأنى أفتش فى التراب على الشباب
و قال رحمه الله: [الرملى]

يمسك الفارس رمحا بيد و أنا أمسك فيها قصبه
و كلانا بطل فى حربته إن الاقلام رماح الكتبه

قال ابن عبد الملك: أنشدت على شيخنا أبى الحسن الرعيني، قال: أخبرنا الراوية أبو القاسم بن الطليسان، قال: سألته، يعنى أبا القاسم
أحمد بن أبى بكر هذا، أن ينشد شيئا من شعر أبيه المغرب، فأخرج لى قطعة بخط أبيه و أنشده. و قال:
أنشدنى أبى رحمه الله لنفسه: [المنسرح]
أحسن ما نيظ فى الدعاء لمن رتبّ فى خطّه من الخطط

خَلَصَكَ اللَّهُ من عوائقها ودمت في عصمة من الغلط

مقرَّباً منك ما تسرَّ به و كل مكروهه على شحط

الكلِّ بالعدل منك مغتبطو ليس في الناس غير مغتبط

و ليس يخليك من أنا لكها من عمل بالنجاة مرتبط

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٥١ فانفذ بعون لله مجتهدا بقلب صافي الضمير مرتبط

يا صاحب الأمر و الذي يده نائلها للعفاة غير بطي

رفعتم يا بني رفاة ما كان من المعلوات في هبط

و منبر الحق من سواه بكم فيها هو الآن غير مختلط

و انضبط الأمر و استقام لكم و لم يكن قبل ذا بمنضبط

أتيت في كل ما أتيت به فالغيث بعد الرجاء و القنط

جللت عمّن سواك منزلة فلست ممّن سواك في نمط

أنت من المجد و العلا طرف و كلهم في العلا من الوسط

كتابتة: وقفت من ذلك على أفانين. منها في استهلال شهر رمضان قوله:

سلام على أنس المجتهدين، و راحة المتجهّدين، و قرّة أعين المهتدين، و الذي زَيّن الله به الدّنيا و أعزّ به الدين. شَرَفَ الله به

الإسلام، و جعل أيامه رقوما في عواتق الأيام، و شهوره غررا في جباه الأعلام، و حلّ به عن رقاب الأمة قلائد الآثام، و نزه فيه الأسماع

عن المكاره و صان الأفواه من رفث الكلام. أشهد أن الله أثنى عليك، و أدخل من شاء الجنة على يديك، و خصّك من الفضائل بما

يمشى فيه التفسير حتى يكلّ، و يسأم ذلك اللسان و يملّ، و أبادت ذنوب الأمة بمثل ما أبادت الشمس الظلّ، ذلك الذي يتهلل

للسماء هلاله، و يهتّر العرش لجلاله، و ترتج الملائكة في حين إقباله، و تدخل الحور العين في زينتها تكريما، و تلتزم إجلاله و تعظيما،

و يهتدي فيه الناس إلى دينهم صراطا مستقيما، و تغلّ الشياطين على ما خيلت، و تذوق و بال ما كادت به و تخيلت، و يشمر التقيّ

لعبادة ربّه ذيلا، و تهبط الملائكة إلى سماء الدنيا ليلا، و ينتظم المتّقون في ديوانه انتظام السيلك، و يكون خلوف فم الصائم عند الله

أطيب من ريح المسك، و تفتح الجنة أبوابا، و يغفر لمن صامه إيمانا و احتسابا، جزاء من ربك عطاء حسابا، و بما فضّل لك الله على

سائر الشهور، و قضى لك بالشرف و الفضل المشهور. فرضك في كتابه، و مدحك في خطابه، حيث قال: شهر رمضان الذي أنزل فيه

القرآن، هدى للناس و بينات من الهدى و الفرقان، يعنى تكبير الناس

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٥٢

عليك، و تقلب أحداقهم بالنظر إليك، حين لثمت بالسحاب، و نظرت من تحت ذلك الثّقاب، و قد يمتاز الشّيب و إن استتر

بالخضاب، حتى إذا وقف الأئمة منك على الصّحيح، و صرّحوا برؤيتك كلّ التصريح، نظرت كل جماعة في اجتماعها، و تأهبت

القراء لإشفاعها، و اندفعت الأصوات باختلاف أنواعها، و تضرعت الأبواب، و طلبت المواقف أواخر الأعشار و الأحزاب، و ابتدئت ألم

ذلك الكتاب، عند ما أوقدت قناديل كأنما قد بدت من الصباح، و رقصت رقص النواهد عند هبوب الرياح، و الله نور السماوات و

الأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، فأملك المسلمون في سرّ و جهر، و حطّت أثقال السيئات عن كل ظهر، و التمت الليلة التي

هي خير من ألف شهر، فنشط الصالحون بك صوما، و هجر المتجهّدون في ليلك نوما، و أكملناك إن أذن الله ثلاثين يوما. فيا أيها

الذي رحل، رحل بعد مقامه، و قام للسّفر من مقامه، و رأى من قضى حقّه و من قصّر في صيامه، فمشى الناس إلى تشييعه، و بكوا

لفراقه و توديعه، و ندم المضيع على ما كان من تشييعه، و لم يثق بدوام العيش إلى وقت رجوعه، فعصّ على كفه ندما، و بكت عينه

ماء و كبده دما. رويدا حتى أمرح في ميدان فراقك، و أتضرع إلى حنانك و إشفاقك، و أتشفى من تقبيلك و عناقك، و أسأل منك

حاجة إن أراد الله قضاءها، و شاء نفوذها و إمضاءها، إذا أنت وقفت لرب العالمين، فقبلك من قوم و ردك في وجوه آخرين. إن تثنى جميلاً، فعسى يصفح لعهدده و إن أساء، فعلم الله أنى نويت التوبة أولاً و آخراً، و أملت الأداء باطنا و ظاهراً، و كنت على ذلك لو هدى الله قادراً، و إنما علم، من تقصير الإنسان ما علم، و للمرء ما قضى عليه به و حكم، و إن النفس لأثارة بالسوء إلا من رحم، فإن غفر فبطوله و إحسانه، و إن عاقب فيما قدّمت يد العبد من عصيانه، فيا وحشة لهذه الفرقة، و يا أسفا على بعد الشقة، و يا شد ما خلفته لنا بفراقك من الجهد و المشقة، و لطالما هجر الإنسان بك ذنبه، و راقب إعظاماً لكرمه، و شرحت إلى أعمال البرّ قلبه. و مع هذا أتراك ترجع و ترى، أم تضمّ علينا دونك أطباق الثرى؟ فيا ويلتا إن حلّ الأجل، و لم أقض دينك، و رجعت و قد حال الموت بيني و بينك، فأغرب، لا جعله الله آخر التوديع، و أى قلب يستطيع.

و قال في استهلال شوال:

و لكل مقام مقال. الله أكبر هذا هلال شوال قد طلع، و كز في منازل و قطع، و غاب أحد عشر شهراً ثم رجع. ما لى أراه رقيق الاستهلال، خفى الهلال، و روحاً تردّد في مثل انملا؟ ما باله أمسى الله رسمه، و صحّح جسمه، و رفع في شهور العام اسمه؟ على وجهه صفرة بيّنة، و نار إشراقه ليّنة، و أرى السحاب تعتمده و تقف،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٥٣

و تغشاه سويعة و تنصرف، ما أراه إلا بطول ذلك المقام، و توالى الأهوال العظام، أصابه مرض في فصل من فصول العام، فعادته كما يعاد المريض، و بكته الأيام الغرّ و الليالي البيض، و قلن: كلاك الله و كفاك، و حاطك و شفاك، و قل: كيف نجدك لا فضّ فاك، هذا على الظن لا على التحقيق، و مجاز لا يحكم التصديق. و ليعبد مثل هذا المقدار، أن يقدر فيه طول الغيب و تواتر الأسفار. أليس هو قد ألف مجالى الرياح، و سحب برد الصّباح، و شاهد الأهوية مع الغدو و الزّواح، و طواها بتجربته طىّ الوشاح؟ ما ذاك إلا أنّه رأى الشمس في بعض الأيام ماشية، و الحسن يأخذ منها وسطاً و حاشية، و دلائل شبابها ظاهرة فاشية، فوقع منها في نفسه ما وقع، و ثبت على قلبه من النّظر ما زرع، و وقع في شركها و حقّ له أن يقع. فرثت هي لحاله و أشفقت، و نهجت بوصالها و تأنّقت، و قطعت من معدن نيلها و أنفقت، و رأت أنها له شاكلة يبلغ أمّ لها، و تبلغ مأمّ لها، و لذلك ما مدّت لذيد السّباح، فتعزّضت بالعشى و ارتصدها في الصّباح، مع ما أيقنا به من الانقطاع، و يمينا من الاجتماع، كما نفذ القدر، و صدر الخبر، و قال: تعلن لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر، فوجد لذلك وجداً شديداً، و أذاقه مع الساعات شوقاً جديداً، و أصبح بها دنفاً، و أمسى عميداً، حتى سلب ذلك بهاءه، و أذهب سناه، و رده النحول كما شاه، و لقي منها مثل ما لقي غيلان من ميته، و جميل من بشنته، و حنّ إليها حنين عروّة إلى عفرأ، و موعدهما يوم وهب ناقته الصّيفراء. على رسلك أنى وهمت، و حسبت ذلك حقاً و توهمت، و الآن و قد فطنت، و أصبت الفصّ فيما ظننت، إنه لقي رمضان في إقباله، و ضمّه نقصان هلاله، و صامه فجأة و لم يك في باله، فأثر ذلك في وجهه الطلق، و أضعفه كما فعل بسائر الخلق، وها هو قد أقبل من سفره البعيد، فقل هو هلال الفطر أو قل هو هلال العيد، فلقه صباح مشى الناس فيه مشى الحجاب، و لبسوا أفضل الثياب، و برزوا إلى مصلاهم من كل باب، فارتفعت همّة الإسلام، و شرفت أمّة محمد عليه السلام، و خطب بالناس دعا للإمام، عندما طلعت الشمس بوجه كدور المرأة، و لون كصفا المهراة، و خرج لا ينسيها ريم الفلاة. و قضوا السنّة، و بذلوا الجهد في ذلك و المنّة، و سألوا من الله أن يدخلهم الجنّة، ثم خطبوا حمداً لله و شكراً، و ذكروه كذكرهم آباءهم أو أشدّ ذكراً، ثم انصرفوا راشدين، و افترقوا حامدين، و شبك الشيخ بيديه، و نظر الشّاب في كفيه، و رجعوا على غير الطريق الذى أتوا عليه، فلقد استشفى من الرّؤية ذو عينين، و تذكّر العاشق موقف البين، و شقّ المتنزّه بين الصّفين، فنقل عينيه من الوشى إلى الدّيباج، و وجوه كضوء السّراج، و عيون أقتل من سيف الحجاج، و نظرات لا يدفع داؤها بالعلاج، و قد زينت العيون بالكحيل، و الشعور بالترجيل، و كزّر الشواك على مواضع التّقبيل، و طوّقت الأعناق بالعقود، و ضرب الفكر في صفحات الخدود، و مدّ بالغالية

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٥٤

على مواضع السجود، وأقبلت صنعاء بأوشيتها، و عنت بأرديتها، و دخلت العروس في حليتها، و رقت الكفوف بالحناء، و أثنى على الحسن و هو أحقّ بالثناء، و طلقت التوبة ثلاثاً بعد البناء، و غصّ الدّراع بالسّوار، و تخمّم في اليمين و اليسار، و أمسكت الثياب بأيدي الأبيكار، و مشت الإماء أمام الأحرار، و تقدمت الدّيات بالأطفال الصّغار، و امتلأت الدّنيا سرورا، و انقلب الكلّ إلى أهله مسرورا. و بينما كانت الحال كما نصصت، و الحكاية كما قصصت، إذ تلالأت الدنيا برقاً، و امتدّ مع الأفقين غرباً و شرقاً، و ردّ لمعانه عيون الناظرين زرقاً، و لو لا أنه جرّب حتى يدرى، لقليل قد طلعت مع الشمس شمس أخرى، حتى أقبل من شرفت العرب بنسبه، و فخر الإسلام بسببه، من انتسب إلى زهرة و قصي، و ازدانت به آل غالب و آل لؤي، من إذا ذكر المجد فهو ممسك بعده، أو الفضل فهو لايس برده، أو الفخر فهو واسطة عقده، أو الحسن فهو نسيج وحده، الذي رفع لواء العليا، و عارضت مكارمه صوب الحيا، و حكت محاسنه زهرة الحيا الدنيا. فأما وجهه فكما شرقت الشمس و أشرقت، و غربت كواكب سمائها و شرقت، و تفتّحت أطواق الليل عن غرر مجده و تشقّقت.

و لو لا- حيا يغلب عليه، و خفر يصحبه إذا نظرت إليه، لاستحال النهار، و غارت لنوره كواكب الأسحار، و لكاد سنا برقه يذهب بالأبصار، لا يحفل بالصبح إذا انفلق، و لا بالفجر إذا عمّ آفاق الدّجا و طبّق، و لو بدا للمسافر في ليله لطرق، و قد عجم الأبنوس على العاج، و أدار جفنا كما عطف على أطفالها التّعاج، يضرب بها ضرب السيف، و يلتم بالفؤاد إمام الطّيف، و يتلقاها السّحر تلقى الكريم للضيف. لو جرّدها على الرّيم لوقف، أو على فرعون ما صرف من سحره ما صرف، أو على بسطام ابن قيس لألقى سلاحه و انصرف. و أما أدواته فكما انشقت الأرض عن نباتها، و أخذت زخرفها في إنباتها، و نفح عرف التّسيم في جنباتها، يتفنّن أفانين الزهر، و يتقلب تقلّب الدهر، و تطلع له نوادر كالنجوم الزهر، لو أبصره مطرّف ما شهر بخطّه، و لا جرّ من العجب ذيل مرطه، و لا كان المخبر معه من شرطه. و أما أنه لو قرىء على سحبان كتابه، و انحدر على نهره عبابه، و ملأت مسامعه أطنابه و أسبابه، ما قام في بيانه و لا قعد، و لنزل عن مقامه الذي إليه صعّد، و لا خلف من بلاغته ما وعد. لعمر ك ما كان بشر بن المعتمر يتفنّن للبلاغة فنونا، و لا يتقبلها بطونا و متونا، و لا أبو العتاهية ليشرطها كلاماً موزوناً، و لا نمق الحسن بن سهل الألفاظ، و لا رفع قسّ بن ساعدة صوته بعكاظ، و لا أغاظ زيد بن علي هشاماً بما أغاظ، و أما مكارمه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٥٥

فكما انسكب الغيث عن ظلاله، و خرج الودق من غلاله، فتدارك التّعمة عن فوتها، و أحيا الأرض بعد موتها، ذلك الشريف الأجلّ، الوزير الأفضل، أبو طالب ابن القرشى الزّهرى، أدام الله اعترازه، كما رقم في حلال الفخر طرازه، فاجتمعت به السيادة بعد افتراقها، و أشرق وجه الأرض لإشراقها، و التفتّ الثياب بالثياب، و ضمّ الرّكاب بالرّكاب، و لا عهد كأيام الشباب، فوصل القريب البعيد، و هتوه كما جرت العادة بالعيد، فوقف مع ركابه و سلّم، و جرت كلاماً و به تكلمت، فقلت: تقبل الله سعيك، و زكى عملك، و بلغك فيما توّده أملك، و لا تأملت وجهها من السّرور إلّا تأملك، و نفعك بما أوليت، و أجزل حظك على ما صمت و صلّيت، و وافقتك لعلّ و ساعدتك ليت، و هناك عيد الفطر و هنأته، و بدأك بالمسرات و بدأت، و تبرّأ لك الدهر مما تحسد و برّأته. و هكذا بحول الله أعياد و اعتياد، و عمر في دوام و عزّ في ازدياد، و السّنة تفصح بفضلك إفصاح الخطباء من إباد، و اقرأ عليك سلام الله ما أشرق الصّحى، و دام الفطر و الأضحى.

دخوله غرناطة: دخل غرناطة، و تردّد إليها غير ما مرة، و أقام بها، و امتدح ابن أضحى و ابن هانى، و ابن سعيد و غيرهم من أهلها. قال ابن سعيد في «طالعه»:

و قد وصف وصول ابن قزمان إلى غرناطة، و اجتماعه بجنته بقرية الزاوية من خارجها، بنزهون القليعية الأديبة، و ما جرى بينهما، و أنها قالت له بعقب ارتجال بديع، و كان لبس غفارة صفراء: أحسنت يا بقره بنى إسرائيل، إلّا أنّك لا تسرّ الناظرين، فقال لها: إن لم أسرّ الناظرين، فأنا أسرّ السامعين، و إنما يطلب سرور الناظرين منك، يا فاعله يا صانعه. و تمكّن السيكر من ابن قزمان، و آل الأمر إلى أن

تدافعوا معه حتى رموه في البركة، فما خرج منها إلّا و ثيابه تقطر، و قد شرب كثيرا من الماء، فقال:

اسمع يا وزير ثم أنشد: [السريع]

إيه أبا بكر و لا حول لي بدفع أعيان و أنذال

و ذات فرج واسع دافق بالماء يحكى حال أذيالي

غرقتني في الماء يا سيدى كفره بالتغريق في المال

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٥٦

فأمر بتجريدته، و خلع عليه ما يليق به، و لم يمرّ لهم بعد عهدهم بمثله.

و لم ينتقل ابن قزمان من غرناطة، إلّا بعد ما أجزل له من الإحسان، و مدحه بما هو في ديوان أزجاله.

محتته: جرت عليه بابن حمدين محنة كبيرة عظم لها نكاله، بسبب شكاسة أخلاق كان موصوفا بها، و حدة شقى بسببها. و قد ألم

الفتح في قلائده بذلك، و اختلت حاله بآخرة، و احتاج بعد انفصال أمر مخدومه الذى نوه به.

وفاته: توفى بقرطبة لليلة بقيت من رمضان سنة خمس و خمسين و خمسمائة، و الأمير ابن سعد يحاصر قرطبة رحمه الله.

محمد بن غالب الزصافي

يكنى أبا عبد الله، بلنسى الأصل، سكن غرناطة مدة، ثم مالقه.

حاله: قال الأستاذ: كان فحلا من فحول الشعراء، و رئيسا في الأدباء، عفيفا، ساكنا، و قورا، ذا سمت و عقل. و قال القاضي: كان شاعرا

مجيدا، رقيق الغزل، سلس الطبع، بارع التشبيهات، بديع الاستعارات، نبيل المقاصد و الأغراض، كاتبا بليغا، دينيا، و قورا، عفيفا، متفقا،

عالي الهمة، حسن الخلق و الخلق و السمت، تام العقل، مقبلا على ما يعنيه من التعيش بصناعة الزفى التى كان يعالجها بيده، لم يتدل

نفسه في خدمته، و لا تعرض لانتجاع بقافية، خلا وقت سكناه بغرناطة، فإنه امتدح و اليها حيثئذ، ثم نزع عن ذلك، راضيا بالخموم

حالا، و القناعة مالا، على شدة الرغبة فيه، و اغتنام ما يصدر عنه.

أخبار عقله و سكونه: قال الفقيه أبو الحسن شاکر بن الفخار المالقي، و كان خبيرا بأحواله: ما رأيت عمرى رجلا أحسن سمتا، و أطول

صمتا، من أبى عبد الله الرصافى. و قال غيره من أصحابه: كان رفاء، فما سمع له أحد من جيرانه كلمة في أحد. و قال أبو عمرو بن

سالم: كان صاحبا لأبى، و لقيته غير ما مرة، و كان له الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ٢؛ ص ٣٥٦

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٥٧

موضع يخرج إليه في فصل العصور، فكنت أجتاز عليه مع أبى فألثم يده، فرما قبل رأسى، و دعا لى، و كان أبى يسأله الدعاء فيخجل،

و يقول: أنا و الله أصغر من ذلك.

قال: و كان يازاته أبو جعفر البلنسى، و كان متوقفا للخاطر، فرما تكلم مع أحد التجار، فكان منه هفوة، فيقول له جلساؤه: شتان و الله

بينك و بين أبى عبيد الله فى العقل و الصمت، فرما طالبه بأشياء ليجابوه عليها، فما يزيد على التبسم. فلما كان أحد الأيام، جاء

البلنسى ليفتح دكانه، فتمم إلقاء الغلق من يده، فوقع على رأس أبى عبد الله، و هو مقبل على شغله، فسأل دمه، فما زاد على أن قام و

مسح الدم، ثم ربط رأسه، و عاد إلى شغله. فلما رأى ذلك منه أبو جعفر ترمى عليه، و جعل يقبل يديه، و يقول: و الله ما سمعت

برجل أصبر منك، و لا أعقل.

شعره: و شعره لا نهاية فوقه رونقا و مائيه، و حلاوة و طلاوة، و رقة ديباجه، و تمكن ألفاظ، و تأصل معنى. و كان، رحمه الله، قد خرج

صغيرا من وطنه، فكان أبدا يكثر الحنين إليه، و يقصر أكثر منظومه عليه. و محاسنه كثيرة فيه، فمن ذلك قوله: [الطويل]

خليلى، ما للبيد قد عبت نشرا؟ و ما لرؤوس الركب قد رنحت سكرًا؟

هل المسك مفتوقا بمدرجة الصبأأم القوم أجروا من بلنسية ذكرا؟
خليلى، عوجا بى قليلا فإنه حديث كبرد الماء فى الكبد الحزى
قفا غير مأمورين و لتتصديا على ثقة للمزن فاستسقىا القطرا
بجسر معان و الرصافه أنه على القطر أن يسقى الرصافه و الجسرا
بلادى التى ريشت قويدمتى بهافريخا و أورثنى قرارتها و كرا
مبادئ أنيق العيش فى ريق الصبأبى الله أن أنسى اغترارى بها غزا
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٥٨ لبسنا بها ثوب الشباب لباسهاو لكن عرينا من حلاه، و لم تعرا
أ منزلنا عصر الشيبية ما الذى طوى دوننا تلك الشيبية و العصرا؟
محل أغر العهد لم نبد ذكره على كبد إلا امترى أدمعا حمرا
أكل مكان كان فى الأرض مسقط الرأس الفتى يهواه ما عاش مضطرا
و لا مثل مدحو من المسك تربة تملى الصبا فيه حقيبتها عطرا
نبات كأن الخد يحمل نوره تخال لجينا فى أعاليه أو تبرا
و ماء كترصيع المجرة جللت نواحيه الأزهار و اشتبكت زهرا
أنيق كريان الحياة التى خلت طليق كريعان الشباب الذى مرّا
و قالوا: هل الفردوس ما قد وصفته؟ فقلت: و ما الفردوس فى الجنة الأخرى
بلنسية تلك الرمّدة التى تسيل عليها كل لؤلؤة نهرا
كأن عروسا أبداع الله حسنفاصير من شرح الشباب لها عمرا
توبد فيها شعشعائيه الضحى مضاحكة الشمس البحيرة و البحر
تراحم أنفاس الرياح بزهرها نجوما فلا شيطان يقربها ذعرا
و إن كان قد مدّت يد البين بيننا من الأرض ما يهوى المجدّ به شهرا
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٥٩ هى الدرّة البيضاء من حيث جثتها أضاءت و من للدرّ أن يشبه البدر؟
خليلى، أن أصدر لها فإنها هى الوطن المحبوب أو كله الصّدر
و لم أطو عنها الخطو هجرا لها إذا فلا لثمت نعلى مساكنها الخضرا
و لكنّ إجلالا لتربتها التى تضمّ فتاها الندب أو كهلها الحزى
أكارم، عاث الدهر ما شاء فيهم فبادت لياليهم فهل أشتكى الدهرا؟
هجوم بطن و ارض قد ضرب الردى عليهم قبيات فويق الثرى غيرا
تقضّوا فمن نجم سالك ساقط أبى الله أن يرعى السماك أو الثشرا
و من سابق هذا إذا شاء غايه و غير محمود جياذ العلا خضرا
أناس إذا لاقيت من شئت منهم تلقّوك لا غثّ الحديث و لا غمرا
و قد درجت أعمارهم فتطلّعوا هلال ثلاث لو شفا رقّ أو بدرا
ثلاثة أمجاد من النقر الألى زكوا خبرا بين الورى و زكوا خبرا
أثكلتهم ثكلا دهى العين و الحشافعجر ذا أمّا و سجّر ذا جمرا؟
كفى حزنا أنى تباعدت عنهم فلم ألق من سزى منها و لا سزا

و إلاً متى أسلو بهم كل راكب ليظهر لي خيرا تأبط لي شراً
أباحته عن صالحات عهدتها هناك فيسيني بما يقصم الظهر
محياً خليل غاض ماء حياته و ساكن قصر ضر مسكنه القبرا
و أزهراً كالإصباح قد كنت أجتلي سناء كما يستقبل الأرق الفجرا
فتي لم يكن خلوص الصفات من التدى و لم يتناس الجود أصرم أم أثرا
يصرف ما بين اليراعة و القنأنامله لا بل هواطله الغزا
طويل نجاد السيف لان كأنما تخطى به فى البرد خطية سمرا
سفته على ما فيك من أريحية خلأق هن الخمر أو تشبه الخمر
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٦٠ و نشر محياً للمكارم لو سرت حمياه فى وجه الأصيل لما اصفرأ
هل السعد إلاً حيث حط صعيده لمن بل فى شفرى ضريح له شفرأ؟
طوين الليالى طيهن و إنما أطوين عنى التجلد و الصبرا
فلا حرمت سقيه أدمع مزنة ترى مبسم النوار عنبر معتراً
و ما دعوتى للمزن عذرا لدعوتى إذا ما جعلت البعد عن قربه عذرا
و قال يرثى أبا محمد بن أبى العباس بمالقة: [الكامل]
أبنى البلاغة، فيم حفل النادى؟ هبها عكاظ، فأين قس إباد؟
أما البيان، فقد أجز لسانه فيكم بفتكته الحمام العادى
عرشت سماء علاكم ما أنتم من بعد ذلكم الشهاب الهادى
حطوا على عمد الطريق فقد خبا لألاء ذاك الكوكب الوقاد
ما فل لهذمه الصقيل و إنما نثرت كعوب قناكم المناد
إيه عميد الحى غير مدافع إيه فدى لك غابر الأمجاد
ما عذر سلكك كنت عقد نظامه إن لم يصبر بردا إلى الآباد؟
حسب الزمان عليك ثكلا أن يرى من طول ليل فى قميص حداد
يومي بأنجمه لما قلده من در أفاظ و بيض أباد
كثف الحجاب فما ترى متفضلا فى ساعة تصغى به و تنادى
ألمم بربعك غير مأمور فقد غصّ الفناء بأرجل القصاد
خبرا يبلغه إليك و دونه أمن العداة و راحة الحساد
قد طأطأ الجبل المنيف قداله للجار بعدك و اقشعر الوادى
أعد التفاتك نحونا و أظنه مثل الحديث لديك غير معاد
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٦١ و امسح لنا عن مقلتيك من الكرى نوما تكابد من بكا و سهاد
هذا الصباح و لا تهب إلى متى طال الرقاد و لات حين رقاد
و كأنما قال الردى نم و ادعاسقت إلى البشرى بحسن معاد
أموسدا تلك الرخام بمرقد أخشن به من مرقد و وساد
خصبت بقدرك حفرة فكأنها من جوفها فى مثل حرف الصاد

وثر لجنبك من أثار مخيم ترب الندى و صفائح أنضاد
يا ظاعنا ركب السرى فى ليله طار الدليل بها و حاد الحادى
أعزز علينا إن حططت بمنزل تبلى عن الزوار و العواد
جار الأفراد هنالكك جيرة سقيا لتلك الجيرة الأفراد!
الساكنين إلى المعاد، قباهم منشورة الأطناب و الأغماد
من كل ملقيه الجراب بمضرب ناب البلى فيه عن الأوتاد
بمعزس السفر الألى ركبوا السرى مجهولة الغايات و الآماد
سيان فيهم ليلة و نهارها ما أشبه التأويب بالإسناد
لحق البطون من اللعب على الطوى و على الزواحل عنفوان الزاد
لله هم فلشد ما نفصوا من امتعه الحياة حقائب الأجساد
يا ليت شعرى و المنى لك جتهو الحال مؤذنه بطول بعاد
هل للعلا بك بعدها من نهضة أم لانقضاء نواك من ميعاد؟
بأبى و قد ساروا بنعشك صارم كثر حمائله على الأكتاد
ذلت عواتق حامليك فإنهم شاموك فى غمد بغير نجاد
نعم الدماء البر ما قد غوروا جثمانه بالأبرق المنقاد
علياء خص بها الضريح و إيمانهم الغوير بأبوس الأنجاد
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٦٢ أبنى العباس، أى حلال سلبتكم الدنيا و أى مصاد
هل كان إلّا العين وافق سهمها قدرا فأقصد أيما إقصاد؟
أخلل بمجد لا يسد مكانه بالإخوة التجباء و الأولاد
و لكم يرى بك من هضاب لم يكن لولاك غير دكادك و وهاد
ما زلت تتعشها بسبيك قابضا منها على الأضباع و الأعضاد
حتى أراك أبا محمد الردى كيف انهداد بواذخ الأطواد
يا حرها من جمرة مشبوبة يلقى لها الأيدى على الأكتاد
كيف العزاء و إنها لرزية خرج الأسى فيها عن المعتاد
صدع النعاة بها فقلت لمدعى كيف انسكابك يا أبا الجواد؟
لك من دمي ما شئت غير منهنه صب كيف شئت معصفر الأبراد
بقصير مجتهد و حسبك غاية لو قد بلغت بها كبير مراد
أما الدموع فهن أضعف ناصر لكنهن كثيرة التعداد
ثم السلام و لا أغب قراره و أرتك صوب روائح و غواد
تسقيك ما سفحت عليك يراعه فى حد قرطاس دموع مداد
و من غرامياته و إخوانياته قوله من قصيدة: [البسيط]
عاد الحديث إلى ما جرّ أطيبه و الشىء يبعث ذكر الشىء عن سبب
إيه عن الكديّة البيضاء إن لها هوى بقلب أخيك الواله الوصب

راوح بها السهل من أكنافها و أرح ركابنا ليلنا هذا من التعب
و انضح نواحيها من مقلتيك و سل عن الكتيب الكريم العهد في الكتب
و قل لسرحته يا سرحه كرمت على أبي عامر: عزى عن الشحب
يا عذبة الماء و الظل أنعمى طفلاحييت ممسيه ميادة القضب
ما ذا على ظلك الألمي و قد قلصت أفاؤه لو ضفا شيئا لمغترب
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٦٣ أهكذا تنقضى نفسى لديك ظمالله في رمق من جارك الجنب
لولاك يا سرح لم يبق الفلا عطلا من السرى، و الدجى خفاقة الطنب
و لم نبت نتقاضى من مدامنادينا لتربك من رقراقها السرب
إننا إذا ما تصدى من هوى طلل عجنا عليه فحيناها عن كذب
مستعطفين سخيات الشؤون له حتى تحاك عليه نمرق العشب
سلى خميلتك الزيا بأية ما كانت ترف بها ريحانه الأدب
عن فتية نزلوا عليا سرارتها عفت محاسنهم إلا من الكتب
محافظين على العليا و ربتماهزوا السجيا قليلا بابنة العنب
حتى إذا ما قضوا من كأسها وطرا و ضاحكوها إلى حد من الطرب
راحوا رواحا و قد زيدت عمائمهم حلما و دارت على أبهى من الشهب
لا يظهر السكر حالا من ذوائبهم إلا التفاف الصبا في ألسن العذب
المنزilin القوافى من معاقلها و الخاضدين لديها شوكة العرب
و من مقطوعاته قوله: [الطويل]
دعاك خليل و الأصيل كأنه عليل يقضى مدة الزمن الباقي
إلى شط منساب كأنك ماؤه صفاء ضمير أو عذوبة أخلاق
و مهوى جناح للصبا يمسح الربي خفي الخوافى و القوادم خفاق
و فتیان صدق كالنجوم تألفوا على الثأى من شتى بروج و آفاق
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٦٤ على حين راح البرق فى الجو مغمداظباه و دمع المزن فى جفنه راق
و جالت بعينى فى الرياض التفاتة حبست بها كأسى قليلا عن الساقى
على سطر خيرى ذكرتك فانتنى يميل بأعناق و يرنو بأحداق
وقف وقفه المحبوب منه فإنها شمائل مشغوف بمرآك مشتاق
وصل زهرات منه صفر كأنها و قد خضلت قطرا محاجر عشاق
و قال، و كلفها فى حائك، و هو بديع: [البيسط]
قالوا و قد أكثروا فى حبه عدلى لو لم تهم بمذال القدر مبتذل
فقلت لو أن أمرى فى الصبا به لى لاخترت ذاك و لكن ليس ذلك لى
فى كل قلب عزيزات مذلة للحسن و الحسن ملك حيث جل و لى
علقتة حبيى الثغر عاطره درى لون المحيا أحوار المقل
إذا تأملتة أعطاك ملتفتا ما شئت من لحظات الشان الوجلى

هيئات أبغى به من غيره بدلاً أخرى الليالي و هل في الغير من بدل؟

غزِيل لم تزل في الغزل جائلةً بنانه جولان الفكر في الغزل

جدلان تلعب بالمحواك أنمله على السدى لعب الأيام بالأمل

ما إن يني تعب الأطراف مشتغلاً أفديه من تعب الأطراف مشتغل

ضرباً بكفيه أو فحفا بأخمصه تخبط الظبي في أشراك محتبل

و قال: [الكامل]

و مهفهف كالغصن إلا أنه سلب التثني النوم عن أثنائه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٦٥ أضحى ينام و قد تخدّد خدّه عرقاً فقلت الورد رشّ بمائه

و قال: [الوافر]

أدرها فالغمامة قد أجالت سيوف البرق في لمم البطاح

وراق الروض طاووساً بهياتهبّ عليه أنفاس الرياح

تقول و قد ثنى قرح عليه ثياب الغيم معلمة النواح

خذوا للصحو أهبتكم فإني أعرت المزن قادمي جناح

و قال: [الطويل]

أدرها على أمر فما ثم من باس و إن جدّدت آذانها ورق الآس

و ما هي إلا ضاحكات غمائم لواعب من و مض البروق بمقياس

و وفد رياح زعزع النهر مده كما وطئت درعا سنابك أفراس

و قال في وصف مغنّ محسن: [الكامل]

و مطارح ممّا تجسّ بنانه صوتاً أفاض عليه ماء وقاره

يشنى الحمام فلا يروح لو كره طرباً و رزق بنيه في منقاره

و قال يصف جدول ماء عليه سرحه، و لها حكاية معروفة: [الكامل]

و مهذل الشطين تحسب أنه متسيل من درة لصفائه

فأت عليه مع العشيّة سرحه صدئت لفيئتها صفيحة مائه

فتراه أزرق في غلاله سمره كالدرّاع استلقى بظلّ لوائه

نثره: قال من مقامه يصف القلم: [المتقارب]

قصير الأنابيب لكنه يطول مضاء طوال الرّماح

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٦٦ إذا عبّ للنفس في دامس و دبّ من الطرس فوق الصّفاح

تجلّت به مشكلات الأمور و لان له الصّعب بعد الجمّاح

فلو لا هو لغدت أغصان الاكتساب ذاوية، و بيوت الأموال خاوية، و أسرع إليها البوسى، و أصبحت كفؤاد أم موسى، فهو لا محالة

تجرها الأريج، و ميزانها الأرجح. به تدرّ ألبانها، و تثمر أفنانها، و تستمرّ أفضالها و إحسانها، و هو رأس مالها، و قطب عمّالها و أعمالها.

و صاحب القلم قد حوى المملكة بأسرها، و تحكّم في طيّها و نشرها، و هو قطب مدارها، و جهينة أخبارها، و سرّ اختيارها و اختبارها،

و مظهر مجدها و فخارها، يعقد الرّيات لكل وال، و يمنحهم من المبرّة كلّ صافية المقييل ضافية الشيربال، يطفى جمرة الحرب العوان،

و يكايد العدو بلا صارم و لا سنان، يقدّ المفاصل، و يتخلل الأباطح و المعائل، و يقمع الحواسد و العوذال.

وفاته: توفي بمالقة يوم الثلاثاء لإحدى عشرة بقيت من رمضان سنة اثنتين و سبعين و خمسمائة. وقبره مشهور بها.

محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي المالقي

من أهل مالقة، و سكن غرناطة و تردد إليها.

حاله: كان ليبياً لودعياً، جامعاً لخصال؛ من خطّ بارع، و كتابة، و نظم، و شطرنج، إلى نادر حار، و خاطر ذكي، و جرأه. توجه إلى العدو، و ارتسم بها طبيياً؛ و تولّى النظر على المارستان بفاس في ربيع الثاني من عام أربعة و خمسين و سبعمائة.

شعره: أنشدني بمدينة فاس عام ست و خمسين، في وجهتي رسولا إلى المغرب، قوله في رجل يقطع في الكاغد: [المجتث]

أبا عليّ حسينا أين الوفا منك أينا؟

قد بين الدمع وجدى و أنت تزداد بينا

بلت لحاظك قلبي تالله ما قلت مينا

قط المقص لهذا سبب الصب مينا

بقيت تفتت حسناو دمت تزداد زينا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٦٧

و قال أيضا: [البيسط]

فضل التجارات باد في الصناعات لو لا الذى هو فيها هاجر عات

حاز الجمال فأعيانى و أعجزنى و إن دعيت بوصاف و نعات

و كان شديد المغالطة، ذاهبا أقصى مذاهب القحة، يحرك من لا يتحرك، و يغضب من لا يغضب. عتب يوما جدته على طعام طبخته له، و لم يستطه، و كان بين يديه القط يصدعه بصياح طلبه، فقال له: ضجرا، خمسمائة سوط، فقالت له جدته: لم تعط هذه السياط للقط، إنما عنتني بها، و أعطيتها باسم القط، فقال لها:

حاش لله يا مولاتي، و بهذا البخل تدريني أو الزحام عليها، بل ذلك للقط حللا طيبا، و لك أنت ألف من طيبة قلب، فأرسلها مثلا، و ما زلنا نتفكه بذلك، و كان في هذا الباب لا يشق غباره.

مولده: بمالقة عام ثلاثة و سبعمائة.

وفاته: بعث إلى الفقيه أبو عبد الله الشّديد، يعرفني أنه توفي في أواسط عام سبعة و خمسين و سبعمائة.

محمد بن سليمان بن القصيرة

أبو بكر، كاتب الدولة اللّمتونية، و علم وقته.

حاله: قال ابن الصيرفي: الوزير الكاتب، الناظم، الناثر، القائم بعمود الكتابة، و الحامل لواء البلاغة، و السابق الذي لا يشق غباره، و لا تخمد أبدا أنواره. اجتمع له براعة النثر، و جزالة النظم، رقيق النسيج، حصيف المتن، رقته ما شئت في العين و اليد. قال ابن عبد الملك: و كان كاتباً مجيداً، بارع الخطّ، كتب عن يوسف بن تاشفين.

مشيخته: روى عن أبي الحجاج الأعلم، و أبي الحسن بن شريح، و روى عنه أبو الوليد هشام بن يوسف بن الملجوم، لقيه بمراكش.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٦٨

شعره: و هو عندي في نمط دون ما وصف به. فمن ذلك قوله من قصيدة أنحى فيها على ابن ذى التّون، و مدح ابن عباد، عند خلع ابن

جهور، أبي الوليد، و تصيير قرطبة إليه: [الطويل]

فسل عنه أحشاء ابن ذى النون هل سرى إليها سكون منذ زلزلها الدّعر؟
 و هل قدّرت مذ أوحشته طلائع الظهور عليه أنى تؤنسه الخمر؟
 ألم يجن يحيى من تعاطيك ظلّه سجا لك هيهات السّهى منك يا بدر
 لجاراك و استوفيت أبعده غايته و آخره عن شأوك الكفّ و العثر
 فأحرزت فضل السّبق عفوا و كفّه على رغمه مما توهمه صفر
 و يا شدّ ما أغرته قرطبه و قد أبشرتها خيلنا فكان لك الدّر
 و منها:

أنتك و قد أزرى ببهجة حسنهاو لا أنها من جور مالکها طمر
 فألبستها من سابغ العدل حلّة زهاها بها تيه و غازلها كبر
 و جاءتك متفالا فضمّخ حيهاو إزدانها من ذكرك المعتلى عطر
 و أجريت ماء الجود فى عرصاتها فروّض حتى كاد أن يورق الصّخر
 و طاب هواء أفقها فكانها تهبّ نسيمًا فيه أخلاقك الزّهر
 و ما أدركتهم فى هواك هوادة و ما ائتمروا إلّا لما أمر البرّ
 و ما قلّدوك الأمر إلّا لواجب و ما جئته فيه المجزّب و الغمر
 و بوّأهم فى ذروة المجد معقلا حرام على الأيام إمامه حجر
 و أوردهم من فضل سيبك موردا على كثرة الوارد مشرعه غمر
 فلولاك لم تفصل عرى الإصر عنهم و لا انفكّ من ربّ الأذى لهم أسر
 أعدت نهار ليلهم و لطالما أراهم نجوم الليل فى أفقه الظهر
 و لا زلت تؤويهم إلى ظلّ دوحه من العزّ فى أرحابها النعم الخضر
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٦٩

كتابته: و هى من قلّة التصنّع و الإخشوشان، بحيث لا يخفى غرضها، و لكل زمان رجاله. و هى مع ذلك تزينها السداجة، و تشفع لها الغضاضة. كتب عن الأمير يوسف بن تاشفين ولاية عهد لولده:

«هذا كتاب تولية عظيم جسيم، و توصية حميم كريم، مهدت على الرضا قواعده، و أكدت بيد التقوى مواعده و معاقده، و سدّدت إلى الحسنى مقاصده، و أبعدت عن الهوادة و الهوى مصادره و موارد. أنفذه أمير المسلمين، و ناصر الدين، أبو يعقوب يوسف بن تاشفين، أدام الله أمره، و أعزّ نصره، و أطال فيما يرضيه منه، و يرضى به عنه عمره، غير محاب، و لا تارك فى النصيحة لله و لرسوله و المسلمين موضع ارتياب لمرتاب، للأمير الأجل أبى الحسن علىّ ابنه، المتقبّل هممه و شيمه، المتأثّل حلمه و تحلّمه، الناشئ فى حجر تقويمه و تأديبه، المتصرّف بين يدي تخريجه و تدريبه، أدام الله عزّه و توفيقه، و نهج إلى كل صالح من الأعمال طريقه، و قد تهّم بمن تحت عصاه من المسلمين، و هدى فى انتقاء من يخلفه هدى المتّقين، و لم ير أن يتركهم بعد سدى غير مدينين، و اعتم فى التّصاب الرفيع و اختار و استنصح أولى الرأى و الدين، و استشار فلم يوقع بعد طول تأمل، و تراخى مدة، و تمثل اختياره، و اختبار من فاوضه فى ذلك من أولى التقوى و الحنكة و استشارة الأعلى، و لا صار بدونهم الارتياح و الاجتهاد إلّا إليه، و لا التقى رواد الرأى و التشاور إلّا لديه. فولّاه عن استحكام بصيرة، و بعد طول مشورة، عهد، و أفضى إليه الأمر و النهى، و القبض و البسط عنده بعده، و جعله خليفته السّياد فى رعاياه سيّده، و أوطأ عقبه جماهير الرجال، و ناط به مهمات الأمور و الأعمال، و عهد إليه أن يتقى الله ما استطاع، و لا يعدل عن سمت العدل و حكم الكتاب و السنّة فى أحد عصا أو أطاع، و لا ينام عن حماه الحيف و الخوف بالاضطجاع،

ولا يتلّين دون معلن شكوى، ولا يتصام عن مستصرخ لذي بلوى، وأن ينظم أقصى البلاد وأدناها في سلك تديره، ولا يكون بين القريب والبعيد بون في إحصائه وتقديره. ثم دعا، أدام الله تأييده، لمبايعته، أدام الله عزّه ونصره، من حضر ودنا من المسلمين، فلبثوا مسرعين، وأتوا مهطعين، وأعطوا صفقة إيمانهم متبرّعين متطوعين، وبايعوه على السمع والطاعة، والتزام سنن الجماعة، وبذل النصيحة جهد الاستطاعة، ومناصفة من ناصفه، ومحاربة من حاربه، ومكايده من كايده، ومعاندة من عانده، لا يدخرون في ذلك على حال المنشط مقدره، ولا يحتجون في حالتي الرضا والسخط إلى معذرة. ثم أمر بمخاطبة سائر أهل البلاد لمبايعته، كل طائفة منهم في بلدها، وتعطيه كما أعطاه من حضر صفقة يدها، حتى ينتظم في التزام طاعته القريب والبعيد، ويجتمع على الاعتصام بحبل دعوته الغائب

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٧٠

والشهاد، وتطمئن من أعلام الناس وخيارهم نفوس قلقه، وتنام عيون لم تزل مخافة إقذائها مورقة، ويشمل الناس كافة السرور والاستبشار، وتتمكن لديهم الدعة ويتمهد القرار، وتشأ لهم في الصلاح آمال، ويستقبلهم جد صالح وإقبال. والله يبارك لهم ببعه رضوان، وشفقة رجحان، ودعوة يمن وأمان، إنه على ما يشاء قدير، لا إله إلا هو، نعم المولى ونعم النصير. شهد على إلهاد أمير المسلمين بكل ما ذكر عنه فوق هذا من بيعته، ولقيه حملة عنه ممن التزم البيعة المنصوصة قبل، وأعطى صفقته طائعا متبرعا بها. والله التوفيق. وكتب بحضرة قرطبة في ذي الحجة سنة ست وتسعين وأربعمائة.

دخل غرناطة غير ما مرّه، وحده، وفي ركاب أميره.

وفاته: توفي في جمادى الآخرة من عام ثمانية وخمسمائة.

محمد بن يوسف بن عبد الله بن إبراهيم التميمي المازني

من أهل سرقسطة، ودخل غرناطة، وروى عن أبي الحسن بن الباذش بها، يكنى أبا الطاهر. وله المقامات اللزوميات المعروفة. حاله: كان كاتباً لغويا شاعرا، معتمدا في الأدب، فردا، متقدما في ذلك في وقته، وله المقامات المعروفة، وشعره كثير مدون. مشيخته: روى عن أبي علي الصّيدفي، وأبي محمد بن السيد، وأبي الحسن بن الأخضر، وأبي عبد الله بن سليمان، المعروف بابن أخت غانم، وأبي محمد بن عتاب، وأبي الحسن بن الباذش، وأبي محمد عبد الله بن محمد التّجيبى الدّكلى، وأبي القاسم بن صوابه، وأبي عمران بن أبي تليد، وغيرهم. أخذ عنه القاضي أبو العباس بن مضاء، أخذ عنه الكامل للمبرّد، قال: وعليه اعتمد في تقييده. وروى عنه المقرئ المسنّ الخطيب أبو جعفر بن يحيى الكتامي، وذكره هو وابن مضاء.

وفاته: توفي بقرطبة ظهر يوم الثلاثاء، الحادى والعشرين من جمادى الأولى، سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، بزمانه لازمته نحو من ثلاثة أعوام، نفعه الله.

شعره: [الوافر]

أيا قمر، أتطلع من وشاح على غض فاخر من كل راح؟

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٧١ أدار السّحر من عينيه خمرامعتة فأسكر كلّ صاح

و أهدي إذ تهادى كلّ طيب كخوط البان في أيدي الرياح

و أحيا حين حيّا نفس صبّ غدت في قبضة الحبّ المتاح

و سوّغ منه عتبي بعد عتب وعلّنى براح فوق راح

و أجناني الأمانى في أمان و جنح الليل مسدول الجناح

وقال أيضا: [الكامل]

و منعم الأعطاف معسول اللمى ما شئت من بدع المحاسن فيه
 لما ظفرت بلبلة من وصله و الصب غير الوصل لا يشفيه
 أنضحت ورده خده بنفسى وظللت أشرب ماءها من فيه
 و قال أيضا: [الكامل]

حكّت السلاف صفاته بحبابها من ثغره و مذاقها من رشفه
 و تورّدت فحكّت شقائق خده و تأرّجت فيسيمها من عرفه
 وصفت فوق أديمها فكأنها من حسن رونق و جنتيه و لطفه
 لعبت بألباب الرجال و غادرت أجسامهم صرعى كفعلة طرفه
 «و من الغرباء فى هذا الحرف»

محمد بن حسن العمرانى الشريف

من أهل فاس.

حاله: كان جهويا ساذجا، خشن البزّة، غير مرهف التّجند، ينظم الشعر، و يذكر كثيرا من مسائل الفروع، و معاناة الفرائض، يجعجج بها
 فى مجالس الدّروس، فشقى به المدرسون، على و تيرة من صحه السّجيه، و حسن العهد، و قلّه التصنّع.
 و جرى ذكره فى الإكليل: كريم الانتماء، مستظل بأغصان الشجرة الشّماء، من رجل سليم الضمير، ذى باطن أصفى من الماء التّمير، له
 فى الشعر طبع يشهد بعروبيه أصوله، و مضاء نصوله.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٧٢

فمن ذلك قوله يخاطب السلطان أمير المسلمين، و قد أمر له بكسوة:

[الطويل]

منحت منحت النّصر و العزّ و الرضا و لا زلت بالإحسان منها مقرّضا
 و لا زلت للعليا جنى و مكارما و للأمر، للملك العزيز، مقبّضا
 و لا زالت الأملاك باسمك تتقى و جيشك وفرا يملأ الأرض و الفضاء
 و لا زلت ميمون التّقيبة ظافرا مهيبا و وهابا و سيفك منتضى
 تقرّ به الدّين الحنيف و أهله و تقمّع جبارا و تهلك مبغضا
 وصلت شريف البيت من آل هاشم و خوّلته أسنى مراد و مقتضى
 وجدت بإعطاء اللّجين و كسوة ستكسى بها ثوبا من النور أيضا
 و ما زالت الأنصار تفعل هكذا فاعال علىّ فى الزمان الذى مضى
 هم نصروا الهادى و آووا و جدّوا بحدّ ذباب السيف من كان معرضا
 فخذ ذا أبا الحجاج من خير مادح لخير مليك فى البرية مرتضى
 فقد كان قبل اليوم غاض قريضه فلما رأى الإحسان منك تقيضا
 و نظم الفتى يسمو على قدر ما يرى من الجود مهما ينقضى نيله انقضى
 و من حكم القول اللّهى متح اللّهى و من مدح الأملاك يرجو التّعرضا
 فلا زال يهديك الشريف قصائد اينال بها منك المودة و الرضى

و قال يخاطب من أخلفته بوارق الأمل فيه، و خابت لديه وسائل قوافيه:

[البسيط]

الشعر أسنى كلام خصّ بالعرب و الجود فى كل صنف خير مكتسب
و أفضل الشعر أبيات يقدّمها فى صدر حاجته من كان ذا أدب
فما يوفى كريم حقّ مادحه لو كان أولاه ما يحويه من نشب
المال يفنى إذا طال الثواء به و المدح يبقى مدى الأزمان و الحقب
و قد مدحت لأقوام ذوى حسب فيما ظننت و ليسوا من ذوى حسب
الإحاطة فى أخبار غرناطه، ج ٢، ص: ٣٧٣ مدحتهم بكلام لو مدحت بهدهرى أمنت من الإملاق و النصب
فعاد مدحى لهم هجوا يصدّقه من لؤمهم عودتى عنهم بلا أرب
فكان ما قلت من مدحهم كذبا أستغفر الله من زور و من كذب
و قال فى غرض يظهر من الأبيات، يخاطب السلطان: [الكامل]
ما لى أرى تاج الملوك و حوله عبدان لا حلم و لا آداب
فكأنه البازى الصيود و حوله نغر يقلّب ريشه و غراب
يا أيها الملك الكرام جدوده أسنى المحافل غيرها أتراب
أبدلها بالبيض من صقيهما إن العبيد محلّها الأبواب
وفاته: توفى فى حدود ثمانية و أربعين و سبعمائة أو بعد ذلك .

محمد بن محمد بن إبراهيم بن المرادى ابن العشاب

قرطبى الأصل، تونسى الولادة و المنشأ، ابن نعمة و غذى جاه و حرمة.

حاله: كان حيا فاضلا كريما، سخيا. ورد على الأندلس، مفلتا من نكبة أبيه، و قد عركته عرك الرّحى لثقالها، على سنن من الوقار و
الدّيانة و الحما، يقوم على بعض الأعمال النبيهة.

و جرى ذكره فى الإكليل بما نصّه: جواد لا- يتعاطى طلقه، و صبح فضل لا يماثل فلقه. كانت لوالده، رحمه الله تعالى، من الدول
الحفصية منزلة لطيفة المحلّ، و مفاوضة فى العقد و الحلّ، و لم يزل تسمو به قدم النّجابه، من العمل إلى الحجابة. و نشأ ابنه هذا
مقضى الديون، مفدى بالأنفس و العيون. و الدهر ذو ألوان،

الإحاطة فى أخبار غرناطه، ج ٢، ص: ٣٧٤

و مارق حرب عوان، و الأيام كرات تتلقّف، و أهوال لا تتوقّف، فألوى بهم الدهر و أنحى، و أغام جوهم بعقب ما أصحى، فشملمهم
الاعتقال، و تعاورتهم التّوب الثقال، و استقرّت بالمشرق ركابه، و حطّت به أفتابه، فحجّ و اعتمر، و استوطن تلك المعاهد و عمر، و
عكف على كتاب الله تعالى فجود الحروف، و أحكم الخلف المعروف، و قيد و أسند، و تكرر إلى دور الحديث و تردّد، و قدم على
هذا الوطن قدوم التّسيم البليل، على كبد العليل. و لمّا استقرّ به قراره، و اشتمل على جفنه غراره، بادرت إلى مؤانسته، و تابرت على
مجالسته، فاجتليت للسرو شخصا، و طالعت ديوان الوفاء مستقصا.

شعره: و شعره ليس بحايد عن الإحسان، و لا غفل من النكت الحسان. فمن ذلك ما خاطبني به: [الطويل]

بيمن أبى عبد الإله محمد تيمّن هذا القطر و انسجم القطر

أفاض علينا من جزيل عطائه بحورا تديم المدّ ليس لها جزر

و أنسنا لَمَّا عدنا مغانيا إذا ذكرت في القلب من ذكرها عبر
 هنيئا بعيد الفطر يا خير ماجد كريم به تسمو السيادة و الفخر
 و دمت مدى الأيام في ظلّ نعمة تطيع لك الدنيا و يعنو لك الدهر
 و ممّا خاطب به سلطانه في حال الاعتقال: [البسيط]
 لعلّ عفوك بعد السخط يغشاني يوما فينعش قلب الوالد العاني
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٧٥ مولاي، رحماك، إني قد عهدتك ذاحلم و عفو و إشفاق و تحنان
 فاصرف حنانك ثم اعطف عليّ وجد برحمة منك تحيي جسمي الفاني
 فقد تناهى الأسي عندي و عدّ بني و شرّد النوم عن عيني و أعياني
 و حقّ آلائك الحسنى و ما لك من طول و فضل و إنعام و إحسان
 إني و لو حلّت البلوى على كبدى و أسكبت فوق خدّ دمعي القاني
 لوائق بحنان منك يطرقني عمّا قريب و عفو عاجل دان
 دامت سعودك في الدنيا مضاعفة تذلّ من دان طوعا كلّ سلطان

محمد بن محمد بن عبد الملك بن محمد بن سعيد الأنصاري الأوسي

يكنى أبا عبد الله، و يعرف بابن عبد الملك، من أهل مراكش، و سكن غرناطة.
 حاله: من عائد الصلّة: كان، رحمه الله، غريب المنزع، شديد الانقباض، محجوب المحاسن، تنبو العين عنه جهامة، و غرابة شكل، و
 وحشة ظاهر، في طي ذلك أدب غضّ، و نفس حرّة، و حديث ممتع، و أبوة كريمة، أحد الصابرين على الجهد، المتمسكين بأسباب
 الحشمة، الراضين بالخصاصة. و أبوه قاضي القضاء، نسيج وحده، الإمام العالم، التاريخي، المتبحر في الأدب، تقلّبت به أيدي الدهر
 بعد وفاته لتبعه سلّطت على نسبه، فاستقرّ بمالقة، متحارفا مقدورا عليه، لا يهتدى لمكان فضله، إلّا من عثر عليه جزافا.
 شعره: [السريع]

من لم يصن في أمل وجهه عنك فصن وجهك عن ردّه
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٧٦ و اعرف له الفضل و عرّف به حيث أحلّ النفس من قصده
 و ممّا خاطبني به قوله: [الوافر]

وليت ولاية أحسنت فيها يعلم أنها شرفت بقدرك
 و كم وال أساء فقيل فيه دنّي القدر ليس لها بمدرك
 و أنشدني في ذلك أيضا رحمة الله عليه: [الوافر]
 وليت فقيل أحسن خير وال ففاق مدى مداركها بفضله
 و كم وال أساء فقيل فيه دنا فمحا محاسنها بفعله
 و ممّا خاطب به السلطان يستعديه على من مطلقه من العمال، و عدّر عليه واجبه من الطعام و المال: [مخلع البسيط]
 مولاي نصرا، فكم يضام من ما له غيرك اعتصام
 أمرت لي بالخلاص فامرر لي عنده المال و الطعام
 فقال ما اعتاده جوابا و حسبي الله و الإمام
 هذا مقام و لا فعال بغير مولاي و السلام

وفاته: فقد في وقيعه على المسلمين من جيش مالقة بأحواز إستبته في ذي قعدة من عام ثلاثة و أربعين و سبعمائة.

محمد بن خميس بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد ابن خميس الحجري حجر ذي رعين التلمساني

يكنى أبا عبد الله، و يعرف بابن خميس .

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٧٧

حاله: من عائد الصلة : كان، رحمه الله، نسيج وحده زهدا و انقباضا، و أدبا و همية، حسن الشيبه، جميل الهيئه، سليم الصدر، قليل التصنع، بعيدا عن الرياء و الهوادة عاملا على السياحه و العزله، عالما بالمعارف القديمه، مضطلعا بتفاريق النحل، قائما على صناعة العريه و الأصلين، طبقه الوقت في الشعر، و فحل الأوان في النظم المطول، أقدر الناس على اجتلاب الغريب، و مزج الجزاله بالسلاسه، و وضع الألفاظ البيانيه مواضعها، شديد الانتقاء و الإرجاء، خامد نار الزويه، منافسا في الطريقه منافسه كبيره. كتب بتلمسان عن ملوكها من بنى زيان، ثم فر عنهم، و قد أوجس منهم خيفه، لبعض ما يجري بأبواب الملوك. و بعد ذلك بمدة، قدم غرناطه، فاهتر الوزير ابن الحكيم لتلقيه، و مت إليه بالوسيله العلميه، و اجتذبه بخطبه التلميذ، و استفزه بتأنيسه و بزه، و أقعده للإقراء بجواره. و كان يروم الرحله، و ينوى السفر، و القضاء يثبطه. حدثنى شيخنا الرئيس أبو الحسن بن الجياب، قال: بلغ الوزير أبا عبد الله الحكيم أنه يروم السفر، فشق ذلك عليه، و كلفنا تحريك الحديث بحضرته. و جرى ذلك، فقال الشيخ: أنا كالدّم بطبعي، أتحرّك في كل ربيع.

شعره: و شعره بديع، فمن ذلك قوله يمدح أبا سعيد بن عامر، و يذكر الوحشه الواقعة بينه و بين أبي بكر بن خطاب: [الوافر]

مشوق زار ربعك يا إماما محّا آثار دمنتها الثّامّا

تتبع ريقه الطّل ارتشافا فما نفعت و لا نعت أواما

و قبل خدّ وردتها جهارا و ما راعى لضرّتها ذما

و ما لحريم بيتك أن يداني و لا لعلّي قدرك أن يساما الإحاطة في أخبار غرناطه ؛ ج ٢ ؛ ص ٣٧٧

الإحاطة في أخبار غرناطه، ج ٢، ص: ٣٧٨ و لكن عاش في رسم لمغنى تجشمه سلاما و استلاما

تنفّس روضه المطلول و هنا فحنّ و شمّ رياه فهاما

تلقى طيب ب ... ته حديثاروت مسندا عنه النّعاما

فيا نفس الصّبا إن جئت ساحا و لم تعرف لساكنها مقاما

و أخطأت الطريق إلى حماها فردّتك العراة و الخزاما

فلا تبصر بسرحتها قضيبا و لا تدعر بمسرحها سواما

و عائق قربانتها ارتباطا و صافح كفّ سوسنها التراما

و نافح عرف زهرتها كبتعاطك ماء ريقتها مدا

و يا برقا أضواء على أوال يمانيا متى جئت الشّاما

أثغر إمامه أنت ابتساما أم الدرّ الأوامى انتظاما؟

خفقت بطن واديتها لو او لحت على نثيتها حساما

أمشبه قلبي المضنى احتداما على م ذدت عن عيني المناما؟

و لم أسهرتنى و طردت عنى خيالا كان يأتينى لماما؟

و أبلغ منه تأريقا لجفنى كلام أثخن الأحشا كلاما

تعرّض لى فأيقظت القوافى و لو ترك القطا يوما لنا

وقيل و ما أرى يومي كأسمى جدعت رواطبا و قلبت هاما
و جرّعت العدو سَمَا زعافافكان لحسد موتا زواما
دعوت زعيمهم ذاك ابتياساورعت خميسهم ذاك اللّماما
نزعت شواه كبشهم نطاحاو لم أترك لقرمهم سناما
أضام و في يدي قلبي لماذا أضام أبا سعيد أو علاما؟
به و بما أذلق من لسانى أفل الصارم العضب انهزاما
و غرام الوزير أبى سعيدأصرفه إذا شئت انتقاما
به و بنجله البرّ انتصارى لما أكلوه من لحمى حراما
أعثمن بن عامر لا تكنى لدهر علم الشخّ الغماما
وردت فلم أرد إلّا سراباو شمت فلم أشم إلّا جهاما

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٧٩ قطعت الأرض طولاً ثم عرضاً زور بنى ممالكها الكراما
و جاجانى على كرم ندهم و أعجلت الخوافى و القداما
و ذلّت المطاعم من إباثى و قبلت البراجم و السّلاما
و من أدبى نصبت لهم حبلاً أصيد بها النّعام و لا النّعامى
فلم أر مثل ربعى دار أنس و لم أر مثل عثمان إماما
و لا كأبيه أو كنى أبيه أبى يحيى غيوثا أو رهاما
كفانى بابن عامر خفض عيش و رفع مكاتبى إلّا أضاما
و إنى من ولائك فى يفاع أقابل منهم بدرهم التّماما
و من شعره، رحمه الله، قوله: [الطويل]

تراجع من دنياك ما أنت تارك و تسألها العتبي و ها هي فارك
تؤمّل بعد التّرك رجع و دادهاو شرّ و داد ما توّد التّرائك
حلا لك منها ما خلا لك فى الصّبا فأنت على حلوائه متها لك
تظاهر بالسّلوان عنها تجمّلا فقلبك محزون و ثغرك ضاحك
تنزّهت عنها نخوة لا زهادة و شعر عذارى أسود اللون حالك
ليالى تغرى بى و إن هي أعرضت زنانب من ضوّاتها و عواتك
غصون قدود فى حقاف روادف تمايل من ثقل بين الأرائك
تطاعنى منهن فى كل ملعب ثدى كأسنان الرماح فواتك
و كم كلّ فيها هتكت و دونها صدور العوالى و السيوف البواتك
و لا خدن إلّا ما أعدت ردينه لطالباها أو ما تحيّر هالك
تضلّ فواد المرء عن قصد رشده فواتر ألحاظ للظّبا الفواتك
و فى كل سنّ لابن آدم و إن تطل سنوه طباع جمّة و عوائك
و إلّا فما لى بعد ما شاب مفرقى و أعجز رأى عجزهن الرّكارك

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٨٠ أجوب إليها كلّ بيداء مملق ترافقنى فيها الرجال الحواتك

و أسترشد الشَّهب الشَّوابك جار إذا اشتبهت فيها على المسالك
نهازز أمثال الجياد تؤودة أغوارب أمثال الهضاب توامك
ظماء و ما غير السَّماوة موردو ينحى و ما دون الصَّاة مبارك
ذواهل عن عضّ الرجال ظهورها إذا ما اشتكت عضّ السروج الموارك
إذا ما نبا عن سنبك الأرض سنبك هلعن فلانت تحتهنّ السَّنابك
تقدّ بنا فى كل قاع و فدفدبوائكها و المنغيات الدِّراهِك
فأمامها رى كالسحاب موالع و أمامها ركا كالرياح بواشك
قلاص بأطواف الجدليل بوالع و جرد لأوساط الشِّكيم عوالك
ترامى بها نياقها كل مرتضى فهنّ نواح للردى أو هوالك
و كم منزل خليته لطلابها تعفيه تعدى السَّافيات السَّواهك
يمرّ به زواره و عفاته و ما إن به إلّا لصوق حبايك
و آثارنا تقادم عهدهم و هنّ عليه جاثيات بوارك
لوارب أفراس و نوى حذاة ثلاث أثاف كالحمام سوادك
تمرّ عليه نسمة الفجر مثلما تمرّ على طيب العروس المداوك
و أركب كالشهد ينفح برده لمجهول حسى ما له للدهر مبانك
و يطلبها منى غريم مماحك و يطلننى منها عديم مماعك
أحاول منها ما تعذر فى الصِّباو من دونه وقع الحمام المواشك
يسلى الفتى منها و إن راق حسنها حسائف لا تحصى هنا و مبارك
فمنها ملال دائم لا تملّه تزور إفك عن رضى الحق آفك
تهاون بالإفك الرجال جهالهُو ما أهلك الأحياء إلّا الأفايك
ترن طول تسهادى و قدرى تململى طوال الليالى و النجوم التَّوابك
تغير على الدهر منه جحافل كأن مدوم الرّجم فيها نيازك
فليت الذى سؤدت فيها معوض بما بيّضت منى دجاها الحوالك
ألا لا تذكرنى تلمسان و الهوى و ما دهكت منّا الخطوب الدَّواهك
فإنّ اذكار ما مضى من زمانها الجسمى و للصبّر الجميل لناهك
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٨١ و لا تصفن أمواها لى فإنها ليران أشواقى إليها محارك
و من حال عن عهد أو اخفر ذمّة فإنى على تلك العهود لرامك
سقى منزلى فيها و إن محّ رسمه عهد الغوادى و الدّموع السّوافك
و جادت ثرى قبر بمسجد صالح رواعدها و المدخمت الحواشك
و لا أقلعت عن دار يونس مزنة يروى صدها قطرها المتدارك
إلى أن يروق الناظرين رواؤها و يرضى الرّعاوى نبتها المتلاحك
و يصبح من حول الحيا فى عراضها زراق تحاكى بسطها و درانك
و لا برحت منه ملائكة الرّضى تصلى على ذاك الصّدى و تبارك

و طوبى لمن روى منازلها الحيوا بشرى لمن صلت عليه الملائك
 ألا ليت شعري هل تقضى لبانتى إذا ما انقضت عشر عليها دكادك
 و هل مكن الطيف المغب زيارة فيرقب أو تلقى إليه الزوامك
 و هل تغفل الأيام عنها بقدر ما تؤدى إليها بالعتاب الحالك
 و يا ليت شعري أى أرض تقلنى إذا كل عن رحلى الجلال اللكالك
 و أى غرار من صفاها يحثنى إذا فقدتنى مسها و الدكادك
 إذا جهل الناس الزمان فإننى بدونهم دون الأنام لحاتك
 تثبت إذا ما قمت تعمل خطوة فإن بقاع الأرض طرا شوائك
 و لا تبدلن وجهها لصاحب نعمه فما مثل بذل الوجه للستر هاتك
 تجشم إن استطعت و احذر أذاهم و لا تلقهم إلّا و هرّك شانك
 فكل على ما أنعم الله حاسدو كل إذا لم يعصم الله حاسك
 و لا تأس ريبه الزمان فإنه بمن فات منا لا محالة فاتك
 تمنى مصاب بربر و أعاره و ترضى ذكامى فارس و الهنادك
 و بدرت ليل الجون حوض لجاجها و تعرف إقدامى عليها المهالك
 فما أذعنت إلّا إلى عشارو لا أصفقت إلّا على الشكاشك
 و لا قصدت إلا فنائى وقودهاو لن أملت إلّا قتامى الضرارك
 به شرفت أذواؤها و ملوكها كما شرفت بالتويهار البرامك
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٨٢ فلا تدعون غيرى لدفع ملامة إذا ما دهى من حادث الدهر داهك
 فما إن لذاك الصوت غيرى سامع و ما إن لبيت المجد بعدى سامك
 يغص و يشجى نهشل و مجاشع بما أورثتنى حمير و السكاسك
 تفارقنى روحى التى لست غيرهاو طيب ثنائى لاصق بى صائك
 و ما ذا عسى ترجو لداتى و أرتجى و قد شمطت منا اللحا و الأفانك
 يعود لنا شرخ الشباب الذى مضى إذا عاد للدنيا عقيل و مالك
 و من شعره أيضا قوله: [الكامل]
 سحت بساحك يا محلّ الأدمع و تصرمت سقا عليك الأضلع
 و لطالما جادت ثرى الآمال من جاوى مؤملك الغيوث الهمع
 لله أيام بها قضيتها قد كنت أعلم أنها لا ترجع
 فلقد رشفت بها رضاب مدامه بنسيم أنفاس البديع تشعشع
 فى روضة يرضيك منها أنها مرعى لأفكار الندام و مشرع
 تجرى بها فقر سكنت رهانها أجدى بميدان الكلام و أسرع
 فقر كريغان الشباب و عهدنا بجنابها و هو الجناب الأمتع
 نفاثة الأنواء فى عقد الثرى و الثفت فى عقد الثرى لا يمنع
 حتى إذا حاك الربيع برودها و كسا رباها و شبه المتنوع

بدأت كمائم زهرها تبدى بهابدعا تفرق تارة و تجمع
قد صم منها ما تجمع معلق إذ بت منها ما تفرق مصقع
و كلاهما مهما أردت مسالم و محارب و مؤمن و مروء
كل له شرع البيان محلل و منكر في مثل هذا مدفع
حيث ازدهت أنوار كل حديقه أديبا ينظم تارة و يسجع
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٨٣ فمرجل من رقمها و مهلل و مسمط من نظمها و مصرع
أبدى البديع بها بدائع صنعه فمجس و مبدل و مرصع
و موشح و مرشح و مصدرو مكرر و مفرع و متبع
كل يروق بها بحسن روائه و إذا ترين به كلامك تبرع
و لقد غدوت بها و في و كنهاطير لها فوق الغصون ترجع
بمطهم الفكر الذي ما إن له إلّا بمستن الأدلة مرتع
قيد المطالب لا نزال نحبّه بين الجياد لعته أو يوضع
أرمي به الأمد البعيد و إنه حمل يضلّ به الدليل الأصم
من بعد ما عفت السوارى سبله و محت معالمه الزياح الأربع
لكنني جدت داثر رسمه فطريقه من بعد ذلك مهيع
أوضحت فهم حدوده و ضروبه و الكلّ في كلّ المسالك ينفع
حتى وردت من السماع موارد فيها لظمان المباحث مكرع
مع كل مصقول الذكاء فحدسه لذكاء أسرار الطبائع مطلع
يرتاد من نجع العناصر نجعة فيها مصيف للعقول و مربع
لا شيء أبدع من تجاوزها و ما يبدى بها ذاك التجاور أبدع
فإذا تشعشع مزجها أوري بهانار الحباحب مرجها المتشعشع
فمكين سرّ حياته بحبابها من بعد قدح زنادها مستودع
و هنا تفاض عليه صورته التي لبهاها شمّ الطبائع تخضع
من واهب الصور التي قد خصها بديع حكمته الحكيم المبدع
ربّ له في كل شيء حكمة يقضى بها البدعيّ و المتشرع
و حللت من أرض الرياضة أربعانفسى الفداء لها و هدى الأربع
قامت زواياها فما أتادها إلّا تقوم ما تقيم الأضلع
و تناسب أقدارها نسبا لها لو كنت تبصرها فروع فرع
فأجلّ ما قد سمته بحلولها من بارق لجناب رشدي يلمع
لا شك أنّ وراءه مطرا له في كل ضرب من قياسي موقع
بحر روي مترع ملاحه من فيضه هذا الزويّ المترع
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٨٤ لم لأضيع بها عهد مدامعيّ إنى إذا لعهودها لمضيع
خلّي، لو لم تسعداني في البكالقطعت من حليلكما ما يقطع

أ رأيتما نفسا تفارق جسمها و لا تنعمها و لا تتوَجّع؟
عظمت رزيتها و أى رزية ظلت لها أكبادنا تتصدّع
هذى حمامك، يا على، سواجع و أخالها أسفا عليها تسجع
إن طارحتنى ورقها فأضلعى شوق يطارحه اذكار موجع
آه على جسمى الذى فارقت لا كنت ممن جسمه لا يرجع
و من العجاف رجوع ما أودى به دهر بتشتيت الأحنه مولع
الجور منه إذا استمرّ طبيعته و العدل منه إذا استقام تطبع
هذى عقوبة زلّه سلفت بهامن أكل طعمته التى لا تشبع
قد كنت أمتع رسخ نفسى قبلها و اليوم أوجب أنه لا يمنح
لم لا و قد أصبحت بعد محلّه فيها السحاب بالرغائب تهمع؟
دار يدرّ الرزق من أخلاقها و لكم دعا داع بها من يوضع
و كأن مجلسها البهى بصدرها ملك بأعلى دسته مترّبع
و كأن مجمر عنبر بفنائها يذكى و ما قد سيف منه يسطع
و كأنها المتوكليه بهجه و على بن الجهم فيها يبدع
فى حجر ضبّ خافض بجواره من كان قبل له العوامل ترفع
يا نفثه المصدر كم لك قبلها من زفرة بين الجوانح تسفع
و عساک تنقع غلّه بك إنها بجحيم ما أسبلته لا تنقع
للّه أنت مذاعه أودعتهم من كل سرّ بالضمائر يودع
بدويّة فى لفظها و نظامها حصرية فيما به يترجع
لم لا تشفع فى الذى أشكو بها و مثالها فى مثله يتشفع؟
كملت و ما افتعرت فأى خريده لو كان يفرعها همام أروع
بارت على فأصبحت لحيائها منى بضافى مرطها تتلفّع
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٨٥

و من شعره قوله يمدح ذا الوزارتين أبا عبد الله بن الحكيم، و هى من مشاهير أمداحه: [الطويل]
سل الرّيح إن لم تسعد السفن أنواء فعند صباها من تلمسان أنباء
و فى خفقان البرق منها إشارة إليك بما تنمى إليها و إيماء
تمرّ الليالى ليله بعد ليله و للأذن إصغاء و للعين إكلاء
و إنى لأصبو للصبا كلما سرت و للنجم مهما كان للنجم إصباء
و أهدى إليها كل حين تحية و فى ردّ إهداء التحية إهداء
و أستجلب النوم الغرار و مضجعى قتاد كما شاءت نواها و سلّاء
لعلّ خيالاً من لدنها يمرّ بى ففى مرّه بى من جوى الشوق إبراء
و كيف خلوص الطيف منها و حولها عيون لها فى كل طالعه راء
و إنى لمشتاق إليها و منبى بعض اشتياقى لو تمكّن إنباء

و كم قائل تغنى غراما بحبها وقد أخلقت منها ملاء و أملاء
لعشرة أعوام عليها تجرمت إذا مضى قيظ بها جاء إهراء
يطنّب فيها عاثون و خرّب و يرحل عنها قاطنون و أحياء
كأنّ رماح الذاهبين لملكها قداح، و أموال المنازل أبداء
فلا تبغين فيها مناخا لراكب فقد قلّصت منها ظلال و أفياء
و من عجبي أن طال سقمى و نزعها و قسّم إضناء علينا و إطناء
و كم أرجفوا غيظا بها ثم أرجأوا فيكذب إرجاف و يصدق إرجاء
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٨٦ يردها عيناها الدهر مثلما يرده حرف الفاء في النطق فأفاء
فيا منزلا نال الردى منه ما انتهى ترى و هل لعمر الأناج بعدك إنساء؟
و هل للظى الحرب التي فيك تلتظي إذا ما انقضت أيام بوسك إطفاء؟
و هل لى زمان أرتجى فيه عودة إليك و وجه البشر أزهر و ضاء؟
فواسيى حالى إن هلكت و لم أقل لصحبي بها الغرّ الكرام ألا هاؤا
و لم أطرق الدّير الذى كنت طارقا كعادي و بدر الأفق أسلع مشناء
أطيف به حتى تهزّ كلابه و قد نام عساس و هوّم سبّاء
و لا صاحب إلّا حسام و لهدم و طرف لخدّ الليل مذ كان و طاء
و أسحم قارىّ كشعري حلكته تالّأ فيه من سنى الصبح أضواء
فما لشرابى فى سواك مرارة و لا لطعامى دون بابك إمراء
و يا دارى الأولى بدرج حلاوة و قد جدّ عيث فى بلاها و إرداء
أما آن أن يحمى حماك كعهده و تجتاز أحماش عليك و أحماء؟
أما آن أن يعشو لنارك طارق جنيب له رفع إليك و أداء؟
يرجى نوالا أو يؤمّل دعوة فما زال قار فى ذراك و قرّاء
أحنّ لها ما أطت الثيب حولها ما عاقها عن مورد الماء أظماء
فما فاتها منى نزع على التوى و لا فاتنى منها على القرب إجشاء
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٨٧ كذلك جدّى فى صحابى و أسرته و من لى به من أهل ودى إن فاؤوا
و لو لا جوار ابن الحكيم محمد لما فات نفسى من بنى الدهر إقماء
حمانى فلم تنتب محلى نوائب بسوء و لم ترزأ فؤادى أرزاء
و أكفاء بيتى فى كفالته جاهه فصاروا عبيدا لى و هم لى أكفاء
يؤمّون قصدى طاعة و محبة فما عفته عافوا و ما شتته شاءوا
دعانى إلى المجد لذي كنت آملا فلم يك لى عن دعوة المجد إبطاء
و بوأنى من هضبة العزّ تلعة يناعى السها منه صعود و طأطاء
يشيعنى منها إذا سرت حافظو يكلائنى منها إذا نمت كلاء
و لا مثل نومى فى كفالته غيره و للذئب إمام و للصلّ إماء
بغیضة لیث أن بمرقب خالب تندّ كسا فيه و تقطع أكساء

إذا كان لي من نائب الملك كافل ففى حيثما هومت كنّ و إدفاء
و إخوان صدق من صنایع جاهه يبادرنى منهم قيام و إيلاء
سراع لما يرجى من الخير عندهم و من كلّ ما يخشى من الشّرّ أبراء
إليك أبا عبد الإله صنعتها لزوميه فيها لوجدى إفشاء
مبراء مما يعيب لزومها إذا عاب إكفاء سواها و إيطاء
أذعت بها السرّ الذى كان قبلها عليه لأحناء الجوانح إضناء
و إن لم يكن كلّ الذى كنت آملأو أعوز إكلاء فما عاز إكماء
و من يتكلّف مفحما شكر منة فما لى إلى ذاك التكلّف إلباء
إذا منشد لم يكن عنك و منشئ فلا كان إنشاد و لا كان إنشاء
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٨٨

و من شعره قوله: [المتقارب]

أطار فؤادى برق ألاحاو قد ضمّ بعد لوكر جناحا
كأنّ تألقه فى الدّجى حسام جبان يهاب الكفاحا
أضواء و للعين إغفاء تلذّ إذا ما سنا الفجر لاحا
كمعنى خفىّ بدا بعضه و زيد بيانا فزاد اتّضاحا
كأنّ النجوم و قد غربت نواهل ماء صدرن قماحا
لواغب باتت تجدّ السرى فأدر كها الصبح روى طلاحا
و قد لبس الليل أسماله فمحت عليه بلا و انصباحا
و أيقظ روض الرّبا زهره فحيا نسيم صباه الصّباحا
كأنّ النهار و قد غالها مبيت مال حواه اجتياحا
أتى يستفيض دموى امتياحا و يلهب نار ضلوعى اقتداحا
فلم يلق دجن انتحابى شحيحا و لم يلف زند اشتياقى شحاحا
و لو لا توقّد نار الحشالأنفدت ماء جفونى امتياحا
و ممّا يشردّ عنى الكرى هديل حمام إذا نمت صاحا
ينوح علىّ و أبكى له فأقطع لىلى بكا أو نياحا
أعين، أريحى أطلت الأسى عليك و ما زدت إلّا انتراحا
دعيني أرد ماء دمعى فلم أرد بعد مائك ماء قراحا
أحنّ إليك إذا سفت ريحاو أبكى عليك إذا ذقت راحا
و أفنى التياحا إليك و كم أشحت بوجهى عنك اتّشاحا
و لو لا سخائم قوم أبوإياى ركبت إليك الرّياحا
أباحوا حماى و كم مره حميت حمى عرضهم أن يباحا
و دافعت عنهم بشعرى انتصارا فكان الجزاء جلاى المتاحا
أباعوا و دادى بخسا فسل أكان سماحهم بى رباحا؟

و أغروا بنفسى طلابها سرارا فجاءوا لقتلى صراحا
 و آلوا يمينا على أن ماتوهمت لم يك إلا مزاحا
 فشاورت نفسى فى ذا فمارأت لى بغير الفلاة فلاحا
 فبت أناغى نجوم الدجى نجاى فلم ألق إلا نجاها
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٨٩ أجوب الدياتير وحدى و لامؤانس إلا القطا و السراحا

و إلا الثعالب تحتس فى مبيتى فتملا سمعى صباحا
 أجوز الأفاحيص فىحا قفاراو أعرو الأداهى غيرا فساها
 فأعيبى شوارى هذى عداى و أعلو لواغى تلك صياها
 و جؤاب بدو إذا استنبجوا أجابوا عواى و أموا التباها
 يرون قتالى فى الحجر حلأ و إذهب نفسى فيه مباحا
 قصدت هناهم فلم أخطهم أعاجم شوس العيون قباها
 فسل كيف كان خلاصى من أ سارهم أسرى أم سراحا؟
 و لا مثل بيت تيمته فلم ألف إلا الغنا و السماها
 عياها ملاء و نيا سمانا و غيدا خدالا و عودا أقاها
 و إلا أعاريب شم الأنوف كرام الجدود فصاها صباحا
 و إلا يعافير سود العيون يرين فساد المحب صلاها
 يرذن فىنا لحاظا مراضا يمرضن منا القلوب الصاها
 و تحت الوجاح طلا ربرب لو أن القيان رفعن الوجاها
 أرانى محاسن منه فلم أطق عن حماه بقلبى براها
 محيا و سيما و فرعا أثناو قدا قويما و ردفا رداها
 و أبدى لعينى بدائع لم يدع لى عقلا بها حين راحا
 إذا لم يرد غير سفك دى فحل و بل له ما استباها
 و ما زلت سمحا بنفسى كذا متى ما رأيت الوجوه الملاحا
 و بابن رشيد تعوذت من هواه فقد زدت فيه افتضاها
 و قد ضاق صدرى عن كتبه و أودعته جفن عيني فباها

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٩٠ و بابن رشيد تعوذت من خطوب أجلن على القداها

ألخ الزمان بأحداثه فألقيت طوعا إليه السلاها
 أعاد شبابى مشيبا كما سمعت و صير نسكى طلاها
 و فرق بينى و بين الأهيل و لم ير ذا عليه جناها
 أخى و سمى، أصخ مسعد الشجو حزين إليك استراها
 فقد جب ظهرى على ضعفه كداما و أدهى شواتى نطاها
 و طوح بى عن تلمسان ماظنت فراقى لها أن يتاها
 و أعجل سبرى عنه و لم يدعنى أودع تلك البطاها

نأى بصديقك عن ربه فكان له النأى موتا صراحا
 و كان عزيزا على قومه إذا هاج خاضوا إليه الزمحا
 فها هو إن قال لم يلتفت إليه امتهاننا له و أطراحا
 عجبت لدهرى هذا و ما ألقى مساء به و صباحا
 لقد هدّ منى ركننا شديداو ذلّ منى حياء لقاحا
 وقيت الردى من أخ مخلص لو اسطعت طرت إليه ارتياحا
 و إنى على فيح ما بيننا لأتبع ذاك الشذا حيث فاحا
 أحنّ إليه حنين الفحول و نوح الحمام إذا هو ناحا
 و أسأل عنه هبوب التّسيم و خفق الوميض إذا ما ألأحا
 و إن شئت عرفان حالى و ما يعانىه جسمى ضنى أو صحاحا
 فقلب يذوب إليك اشتياقاو صدر يفاح إليك انشراحا
 و غرس و داد أصاب فضاء نديا و صادف أرضا براحا
 كراسخ مجد تأثنته فلم تخش بعد عليه امتصاحا
 و علياء بوّثتها لو بغى سموا إليها السماك لطاحا
 مكارم جمّعت أفذاذها فكانت لعطف علاك و شاحا
 و درس علوم تهيم بها عمرت الغدوّ به و الرّواحا
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٩١ نشأت عن الخير و اعتدته فلم تدر إلّا التقى و الصّلاحا
 و قمت لها أيما رحلة كسحت المعارف فيها اكتساحا
 بهرت رجال الحديث اقتداء و فتّ رجال الكمال اقتراحا
 فما إن جليس إذا قلت قال أو أنّ الخطيب إذا لحت لاحا
 و لو لم تحجّ بها مكة لحجّ الملائك عنك صراحا
 و أما أنا بعد نهى النهى فما زادنى الطّبع إلّا جماحا
 أدير كؤوس هواى اغتباقاو أشرب ماء دموى اصطباحا
 فبرّد جواى برّد جواب توّبخ فيه مشى الوقاحا
 و هنّ بّيات فكرى و قد أتيتك فاحفض لهنّ الجناحا
 و من شعره، رحمه الله، و له يمدح ذا الوزارتين المتقدم ذكره، و يذكر غفارة و جّهاها له مع هديّة: [الكامل]

كبت العدى، إنعامك البغت فلى الهناء و للعدى الكبت
 يا من إلى جدوى أنامله يزجى السفين و تزجر البخت
 لولاك لم يوصل بناحية و خد و لم يقطع بها دشت
 لولاك لم يطلع بها نشر منه و لم يهبط بها خبت
 خوّلتنى ما لم تسعه يدى فأصابنى من كثره غمت
 شتى أباد كلما عظمت عندى تلكا خاطرى الهتّ
 يعيا لسانى عن إذاعتهاو يضيق عن شكرى لها الوقت

و طأت لى الدنيا فلا عوج فيما أرى منها و لا أمت
أمكنتنى منها فما ليدى ردد و لا لمقاتلى عت
بالغت فى بزى و لا نسب أدلى إليك به و لا حسب
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٩٢ لكنّ حسبى إن متتّ به يوماً إليك ودادى البحت
بوركت من رجل برؤيته يوسى الضنى و يعالج الغتّ
لو سار فى بهماء مقفرة فى حيث لا ماء و لا نبت
لتفجر الماء النّيمير بهاو لأعشبت أرجاؤها المرت
لا تحسبنّ البخت نيل غنى نيل الرضا منه هو البخت
آلت جلالته و حقّ لها أن لا يحيط بكنهها نعت
أظهرت دين الله فى زمن ما زال يغلب حقّه البهت
شيدته و هددت ممتعضالضياعه ما شيد الجبت
أمنت أرض المسلمين فلاذب يخاف بها و لا لصت
و حفظتها من كل نائبة تخشى فأنت حفيظها الثبت
و نهجت سبل المكرمات فمالمؤمل عن غايه ألت
لم تبق غفلا من متالعها إلّا و فيه لحائر برت
هادن طغاة الكفر ما هدأت حتى يجىء نهارها المحت
دعها تودّع فى معاقلها ما لم تعدّ جفاتها العفت
كم ذدتها عنّا و قد هبرت لهراشنا أشداقها الهرت
بوقوف طرفك عند شدّته يبأى و يفخر ملكها الرّت
و الشكر ما أظهرت من كرم فى ذاك تفصح عجمها المرت
لك من ممالكها و إن رغمت ما جال فيه جوادك الحتّ
و لكلّ أصيد من بطارقها فى كلّ أرى له دعت
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٩٣ لو لا لباك البيض ما أرقّت للقائها أفراسنا الكمت
عندى لمن ينتابه مقه و لمن ينب لغيره مقت
و لو أنّ بيضك لم تسل لمأذلت أنوف طغاتها السلت
يا ابن الحكيم أمنت صرف ردى أبدا له فى أثلتى نحت
و بيمنه أنست من أملى ما لم يكن يوماً له عرت
مثنى الوزارة موئلى و له ما دمت أملك قدرتى أقت
و ببأسه أطفى شراره من يعثو و أقدح أنف من يعتو
عمّ الورى جودا و فضل غنى حتى تساوى العدّ و الغلت
و همى على عال و منخفض لم يبق فوق لا و لا تحت
ظلّ إذا نصطاف معتدل عطر الشّذا و حيا إذا نشتو
يتضاءل الصبح المنير إذا لاقى سناه جبينك الصّلت

حتى كأن شمس الضحى قمر و كأن ضوء شعاعها فخت
و غريبة في لطف صنعتها يمضى الزمان و ما لها أخت
ينأى الندى بها إذا لبست و يتيه إن طويت بها التخت
زنجية لكن لمحتدها في الزوم يعنو القس و الشنت
مثل العروس على منصتها من شأنها التزيين و الزت
لأكون أنحل ما أكون هدى فيها فيعبل جسمى الشخت
و بمثل شيبى فوق حلكتها يبدو الوقار و يحفظ السم
تظهرنى بلباسها و به عندى لها الإيثار ما عشت

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٩٤ لا زلت تؤثرنى بها أبدأو لا تف من يشقى بذا السلت
و بقيت تدرك ما تريد و ماتهورى بقاء ما له فت

و من شعره أيضا فى المدح قوله، رحمه الله، من قصيدة ثبتت فى ديوان مجموع من أمداحه منها قوله: [الكامل]
طرقتك و هنا أخت آل علاج و الزكب بين دكادك و حراج
فى ليلة ليلاء لم ينبح بها كلب و لم يصرخ أذنين دجاج
أنى اهتدت لمضللين توهنوا منها لهتك دياجر و دياج
متسرلى برد الظلام كأنهم فيه قداح فى رماية ساج
و ثقوا بمحمود السرى و تسلّموا المخارم مجهولة و فجاج
و منازل درس الرسوم بلاقع أخوين من هيج و من هجهاج
محت معالمهن غير مثلم كسوار تاج أو كدملج عاج
و موائل مثل الحمام جواثم ورق و أسمع دائم التشجاج
و مشجج ما زال منهل الحيايىكى صداه بدمعه الثجاج
حتى أعاد لعوده أوراقه خضر الظلال ذكئة الأراج
و كسا عراه عراضه من وشيه حللا تبور صنعة الديقاج
لا مثل ليلات مضين سريعه بردت حرارة قلبى المهتاج
أدركت منها فى صباى مطالبى و قضيت منها فى شبابى حاجى
كم ليلة مرت و لم يشعر بها غيرى و غير منادمى و سراجى
بتنا ندير إلى انبلاج صباحها كأس الهوى صرفا بغير مزاج
و تدير أعيننا حديث غرامنا بمرامز من فضها و أحاج
بمآرج التفحات من دارين أو بمدارج التسمات من دراج
و خلوص ود فى نقاء سريره كسلاف راح فى صفاء زجاج
أمحضته حظى من الزمن الذى أعيا مرامى أهله و علاجى
و اخترت قرب جواره لخلوصه و تركت كل مماذق مزاج
ما فى زمانك غيره فاخلص له غيبا و داهن من أردت و داج
لا تحفلن بغيره و استعفين بوقاره عن كل غمر ماج الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج ٢ ؛ ص ٣٩٤

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٩٥ اترك بني الدنيا و أعرض عنهم فعساك تطعم لذة الإثلاج
نزهت نفسى عنهم بنواله و حفظتها من جاهه بسياج
أصبحت من آلائه و ولائه في عزه ضحيا و عز داج
و لو اننى عجت الركاب ميمما أحدا سواه ما حمدت معاجي
طلق إذا احتلك الزمان أنار في ظلمائه كالكوكب الوهاج
طود الرصانة و الرزانه و الحجابحر الندى المتلاطم الأمواج
و غمامه الهامى على آماله من غير إرعاد و لا إرعاج
و هزير آجام القنا الضارى إذا سقطت عواتمها على الأزجاج
ضمن الإله له على أعدائه ما شاء من ظفر و من إفلاج
أبقى أبو عبد الإله محمدا شاد والده أبو الحجاج
و بنى أبو إسحاق قبل و صنوه ركنا الضعيف و معدنا المحتاج
و جرى على آثار أسلاف لهم درجوا و كلهم على منهاج
ما منهم إلا أعز مبارك مصباح ليل أو صباح عجاج
بيت بنوه من سراوة حمير في الدروة العلياء من صنهاج
كم كان في الماضين من أسلافهم من رب إكليل و صاحب تاج
أساس كل رئاسة و رؤوس كل سياسة و ليوث كل هياج
أعيت نجوم الليل من سهر و مأعيا أبو موسى من الإدلاج
حتى أصارته لرحمة ربه يوم العقاب و قيعه الأعلاج
و أقيم نجل أخيه بعد مقامه فيهم يطاعن مثله و يواج
فردا يلف كتائب بكتائب و يكب أفواجا على أفواج
حتى تجلى دجن كل عجاجه عنهم و أمسك رعد كل ضجاج
من مثل يوسف في قراع كتائب و لقاء أعداء و خوض لجاج؟
أو من يشق من الأنام غباره في رد آراء و نقض حجاج
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٩٦ إن خاض يوما في بيان حقيقة أنهى عن الثورى و الحلج
و إذا تكلم في الغريب و ضبطه لم يعبا بالعتبي و الزجاج
أنست قصائد جرول أشعاره و أراجز العجلى و العجاج
جمع الفصاحة و الصبحة و التقى و الجود في وجد و فى إخراج
تحشاه أسد الغاب فى أجماتها و الزوم فى الأسوار و الأبراج
إننا بنى قحطان لم نخلق لغير غياث ملهوف و منعه لاج
نبرى طلى الأعراب فى الهيجا و فى اللاواء سوف نمارى الأعرابي
بسيوفنا البيض اليمانية التى طبعت لحز غلاصم و وداج
تأبى لنا الإحجام عن أعدائنا يوم اللقاء طهارة الأمشاج
أنصار خير العالمين و حزبه و حماته فى الجحفل الزجاج

و فداته بنفوسهم و نفيسهم من غدر مغتال و سبّه هاج
هم صفوة الخلق التي اختيرت له و سواهم همج من الأهمج
إلا الألى سبقوا بباهر فضلهم من سائر الأصحاب و الأزواج
و كفى بحكمتنا إقامة حجّه و بركننا من كعبة الحجاج
و لنا مفاخر في القديم شهيرة كالصبح في وضح و في إبلاج
منا التبابعة الذين ببابهم كانت تنيخ جباة كلّ خراج
و لأمرهم كانت تدين ممالك الدنيا بلا قهر و لا إخراج
من يقتدح زندا فإنّ زنادهم في الجود واريه بلا إخراج
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٩٧ أبوابهم مفتوحة لضيوفهم أبدا بلا قفل و لا مزلاج
و مما اشتهر من شعره قوله: [السريع]

أرقّ عيني بارق من أثال كأنّه في جنح ليلي ذبال
أثار شوقا في ضمير الحشاو عبرتي في صحن خدى أسال
حكي فؤادي قلقا و اشتعال و جفن عيني أرقا و انهمال
جوانح تلفح نيرانها و أدمع تنهلّ مثل العزال
قولوا و شاء الحبّ ما شتتم ما لذّة الحبّ سوى أن يقال
عذرا للوأمى و لا عذر لي فزلة العالم ما إن تقال
قم نطرد الهمّ بمشمولة تقصّر الليل إذا الليل طال
و عاطها صفراء ذميمة تمنعها الذمّة من أن تنال
كالمسك ريحا و اللّمي مطعماو التبر لونا و الهوى في اعتدال
عقّها في الدنّ خمّارهاو البكر لا تعرف غير الحجال
لا تتقب المصباح لا و اسقني على سنى البرق و ضوء الهلال
فالعيش نوم و الردى يقظّه و المرء ما بينهما كالخيال
خذها على تنعيم مسطارها بين خوابيها و بين الدّوال
في روضه باكر و سميتها أحمّل دارين و أنسى أوال
كأنّ فأر المسك مغبوقه فيها إذا هبت صبا أو شمال
من كلّ ساجى الطرف ألحاطه مفوّقات أبدا للنضال
من عاذرى و الكلّ لي عاذل من حسن الوجه قبيح الفعال
من خلبيّ الوعد كذّابه لئان لا يعرف غير المطال

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٩٨ كأنه الدهر و أى امرئ يبقى على حال إذا الدهر حال
أما ترانى آخذنا ناقضا عليه ما سوغنى من محال؟
و لم أكن قطّ له عابئا كمثل ما عابته قبلى رجال
يأبى ثراء المال علمى، و هل يجتمع الضّدان: علم و مال؟
و تأنف الأرض مقامى بها حتى تهادانى ظهور الرجال

لو لا بنو زيان ما لدد لي العيش و لا هانت عليّ الليال
هم خوفوا الدهر و هم خففوا على بنى الدهر خطاه التّقال
ورثت من عامرهم سيدا عمر رداء الحمد عمر التّوال
و كعبة للجود منصوبة يسعى إليها الناس من كل حال
خذها أبا زيان من شاعر مستلمح التّزعة عذب المقال
يلتفظ الألفاظ لفظ التّوى و ينظم الآلاء نظم اللال
مجاريا مهيار في قوله (ما كنت لو لا طمعى في الخيال)

و مما قال أيضا، و اشتمل ذلك على شىء من نظمه و نثره، و هذا الرجل مغرب التّزعة، في شفوف نظمه على نثره: [الكامل]

عجبا لها أ يذوق طعم وصالها من ليس يطمع أن يمرّ ببالها؟
و أنا الفقير إلى تعلّ ساعة منها، و تمنعنى زكاة جمالها
كم زاد عن عيني الكرى متأنف يبدو و يخفى في خفىّ مطالها
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٣٩٩ يسمو لها بدر الدّجى متضائلا كتضائل الحساء في أسمالها
و ابن السبيل يجىء يقبس نارها ليلا فتمنحه عقيلة مالها
يعتادنى في النوم طيف خيالها فتصينى ألاحظها بنبالها
كم ليلة جادت به فكأنما زقت على ذكاء وقت زوالها
أسرى فعطّلها و عطّل شهبها بأبى شذا المعطار من معطّلها
و سواد طرّته كجرح ظلامها و بياض غرّته كضوء هلالها
دعنى أشم بالوهم أدنى لمحّ من ثغرها و أشم مسكها خالها
ما راد طرفى في حديقه خدّها إلّا لفتنته بحسن دلالتها
أ نسيب شعرى رقّ مثل نسيمها فشمول راحك مثل ريح شمالها
و انقل أحاديث الهوى و اشرح غريب لغاتها و اذكر ثقات رجالها
و إذا مررت برامه فتوقّ من أطلالها و تمشّ في أطلالها
و انصب لمغزلها حباله قانص ودع الكرى شركا لصيد غزالها
و أسل جداولها بفيض دموعها و انضح جوانحها بفضل سجالها
أنا من بقيّة معشر عركتهم هذى التّوى عرك الرّحى بثفالها
أكرم بها فئه أريق نجيعها بغيا فراق العين حسن جمالها
حلّت مدامه وصلها و حلت لهم فإن انتشوا فبحلوها و حلالها
بلغت بهرمس غايه ما نالها أحد و ناء بها لبعدها منالها
و عدت على سقراط صورة كأسها فهريق ما فى الدّن من جريالها
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤٠٠ و سرت إلى فاراب منها نفحة قدسيه جاءت بنخبه آلهها
ليصوغ من ألحانه فى حانها ما سوغ القسيس من أرمالها
و تعلقت فى سهرورد فأسهرت عينا يؤرّقها طروق خيالها
فخبا شهاب الدّين لّمّا أشرق و خبا فلم يثبت لنور جلالها

ما جرت مثل جنونه أحد ولا سمحت يد بيضا بمثل نوالها
و بدت على الشوذى منها نفحة ما لاح منها غير لمعة آله
بطلت حقيقته و حالت حاله فيما يعبر عن حقيقة حالها
هذى صبا بتهم ترق صبا به فيروق شاربها صفاء زلالها
اعلم أبا الفضل بن يحيى أننى من بعدها أجرى على آسالتها
فإذا رأيت مولها مثلى فخذنى عدله إن كنت من عدّها
لا تعجبن لما ترى من شأنها فى حلّها إن كان أو ترحالها
فصلاحها بفسادها و نعيمها بعدابها و رشادها بضلالها
و من العجائب أن أقيم ببلده يوماً و أسلم من أذى جهّالها
شغلوا بدنياهم أما شغلتهم عنى فكم ضيقت من أشغالها
حجبوا بجهلهم فإن لاح لهم شمس الهدى عبثوا بضوء ذبالها
و إن انتسبت فإننى من دوحه تتقيل الأقيال برد ظلالها
من حمير من ذى رعين من ذرى حجر من العظماء من أقيالها
و إذا رجعت لطيتى معنى فماسلسالهم بأرق من صلصالها
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤٠١ لله درك أى نجل كريمه ولدته فاس منك بعد حبالها
و لأنت لا عدمتك والد فخرها و سماك سؤدها و بدر كمالها
اغلظ على من عاث من أنذالها و اخشع لمن تلقاه من أبدالها
و البس بما أوليتها من نعمه حلل الشاء و جرّ من أذيالها
خذها أبا الفضل بن يحيى تحفة جاءتك لم ينسج على منوالها
ما جال فى مضمارها شعر و لاسمحت قريحه شاعر بمثالها
و أثل أبا البركات من بركاتها و ادفع محال شكوكه بمحالها

هذه، أمتع الله ببقائك، و أسعد بلقائك، و أراها بما تؤمّله من شريف اعتنائك، و تروجه من جميل احتفائك، ما تعرف به من
احتدائك، و تعترف له ببركة اعتفائك، كريمه الأحياء، و عقيله الأموات و الأحياء، بنت الأذواء و الأقيال، و مقصورة الأسره و
الحجال، بل أسيرة الأساوير و الأحجال، على أنها حليفه آلام و أوصاب، و أليفة أشجان و أطراب، صبا به أغراب من صبا به أعراب،
جاورت سيف بن ذى يزن فى رأس غمدان، و جاوزت مسلمة بن مخلد يوم جايبه الجولان، و ذلقت لسان ابن أخته حسان، فتضاءلت
لرقه حده جسم بنى عبد المدان، و قرّبه و ما شيم من غمده قيد ابن الإطنا به بين يدى التعمان، قربت بنى جفنه مزار جلق، و سعرت
لبنى تميم نار محلق، و مرّت على معتاد غالب فما أنست ناره، و طافت بيت عبد الله بن دارم فلم ترض جواره، و لو حلّت بفنائنه، و
استحلّت ما أحلّ لها من مبدول حبانّه، لاغتفر لها ما جنته بطن أواره، و لعلّت لها حبوتا مجاشع و زراره، مزقت على مزيقيا حلالا، و
أذهبت يوم حليمه مثلا، و أركبت عنزا شرّ يومها يجدها جملا، و ناطت بأذن ماريه قرطها، و جرّت على أثر الكندى مرطها، وقفها بين
الدخول فحومل فوقفت، و أنفها يوم دارة جلجل فأنفت منه و ما ألفت، عقر ناقته و انتهس عيبتها، و دخل خدر عزيزه و أمال غيبتها.
أغرّت أبا قابوس بزباد، و أسرجت للزيدي فرس أبى داود و نافرت بحاتم طى كعب إباد، و ساورت للمساور، بمثل جوده السائر. و
لئن بلت الجعفرى ليبدأ، فلقد استعبدت الأسدى عبيدا، و قطعت به فى أثر سليمان الأسيدي بيذا، أرتة المتيه على حربته هندها الملحوب،
و ما حال قريضه، دون جريضه، و أفر من أهله ملحوب، و ما زالت تخط فى شعاب الأنساب فترشد، و تنشذ ضالته اليمانية، فتنشذ:

[الكامل]

إن كنت من سيف بن ذى يزن فانزل بسيف البحر من عدن

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤٠٢ و ذر الشام و ما بناه به الرومى من قصر و من فدن

تعلف سيل العرم و تردغسان، و تمهد لها أهضام تباله فتقول: مرعى و لا كالسعدان ، تساجل عن سميحة بابن خرام، و تناضل بسمير يوم خزام، و تنسى قاتل ستة آلاف، و كاسى بيت الله الحرام ثلاثة الأفواف، فلو ساجلت بنبعها أبا كرب، و أرتة ضراعه خدّها الثرب، لساجلت به أخضر الجلدة فى بيت العرب، ماجدا يملأ الدلو إلى عقد الكرب، بل لو حطت بفناء بيتها الحجرى رحلها، و ساجلت بفناء جدّها ذى رعين لاستوفت سجلها. كم عاذت بسيفها اليزنى، فأدركت ذحلها، و لاذت بركنها اليمنى، فأجزل محلها، و لو استسقت بأوديتها لأذهبت محلها. كافحت عن دينها الحنيفى، فما كهم حسامها، و نافحت عن نبيها الأمى فأيدت بروح القدس سهامها. سدّت باب الدرب دون بنى الأصفر، و شدّت لموته ثوب موت أحمر، و ما شغلها كسر تاج كسرى عن قرع هامة قيصر. و لقد حلّت من سنام نسبها اليعربى باسمك ذروة، و تعلقت من ذمام نبيها العربى بأوثق عروة. تفرّد صاحب تيماء بأبلقه الفرد فعزّ، و تمرّد ربّ دومة الجندل لما كان من مارد فى حرز، فما ظنك، أعزك الله، بمن حلّ من قدسى عقله، بمعقل قدس، يطار إليه فلا يطار، و راد من فردوس أدبه فى جنّة لا- يضام رائدها و لا- يضار. زها بمجاورة الملك، فازدهى رؤساء الممالك، و شغف بمجاورة الملك، فاشتغل عن مطالعة المسالك، أيشقّ غباره، و على جبين المرزم مثاره، أو ينتهك ذماره، و قلب الأسد بيته و دار أخيه أسامة زاره. و لما قضت من أنديتها العريية أوطارها، و استوفت على أشرف منازلها الأديبة أطارها، و عطّرت بنوافح أنفاسها الذكية آثارها، و أطلعت فى ظلم أنفاسها اللّجوجية كواكبها الثيرة و أقمارها، عطفت على معقلتها الشاذلية فحلّت عقالها، و أمر لها فراق الوطن فلما استمرّ لها حلالها، استودعت بطنان تباله آلهها، و تركت أهضامها المخصبة و حلالها، أطلّت على دارات العرب فحيّت أطلالها، و دعت لزيارة أختها اليونانية أذواء حمير و أقيالها. أطمعتها بلعينة ألمعيتها الأعجمية، و مثلها يطمع، و جاء بها من قدماء الحكماء كلّ أوحدى الأحودية، فباتت تحبّ إليه و توضع، باحثه عن مركز دارتهم الفيثاغورية، آخذة فى إصلاح هيئتهم الإنكساغورية، مؤثرة لما تدلّ عليه دقائق حقائق بقايا علوم مقاييسهم البرهانية، و تشير إليه رموز كنوز و صايا علماء نواميسهم الكلدانية، من مأثور تأثير لاهوتية قواهم

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤٠٣

السيماوية، راغبة فيما يفاض على مادتها الجسمانية، و يطرأ على عاقليتها الهيولانية، من علويات آثار مواهبها الربانية، موافقة لمثلهم المفارقة أفضل موافقة، موافقة لما وافق من شوارد آرائهم الموقفة أحسن موافقة. و تحت هذه الأستار محذرات أسرار أضرب بها الإسرار، و طالما نكر معارفها الإنكار، و نقلت من صدور أولئك الصّدور إلى بطون هذه الأوراق، فى ظهور فوق دفاتر فلسفيات معانى علومهم الرّفاق. و فى تلك المغانى، أبكار معانى، سكن الجوانح و الصدور، بدل الأرائك و الخدور، و لحن فى دياجى، ظلم هذه الأحاجى، كأقمار فى أظمار بهرن و ما ظهرن، و سطعن و ما لمعن، فعشقن و ما رمقن، و استملحن و ما لمحن. أدرن خمور أجفانهن، على ماخوريات ألحانهن، فهيجت البلابل، نغم هذه البلابل، و استفرغته الأكياس، مترعات تلك الأكواس. ما سحر بابل، كخمر بابل، و لا منتقى أغانيهن الأوائل، كحمائكم الهوادل، إن وصلت هديلها بحفيف، وصلن ثقليلهن بخفيف. إيه أيها الشّمري المشمعل، دعنا من حديثك المضمحل، سر بنا أيها الفارس التّدىس، من حظيرة التّفس، إلى حضرة القدس، صرّح بإطلاق الجمال، و جل من عالميتك الملكوتية فى أفسح مجال، تمش بين مقاصر قصورها، و معاصر خمورها، رخيّ الببال، مرخيّ السربال، فما ينسج لك على منوال، نادم عليها من شغف دنّ سقراط، إن استحسنت لها حسان فما يصلح لك صالح بن علاط، بت صريع محيّاها فقد أوصت بمعالجة عقير معاقرة عقارها بقراط، لا- تخش صاحب شرطتها فلا شرط له عليك و لا اشتراط، ما لك غير مبيديك الأول، من قال امثل الأمر و ما عليك من أمر وال. على رسلك ما هذا العجل، لا خطأ تتوقعه و لا خطل، أمكره أنت فى هذه الكريهة، أم بطل. لو علم أنك ضبارية هذا الخميس، و خبعته ذلك الخميس، لما عانى اليمّ رسيس، شوقا إليك محمد بن خميس، على أن لا غالب اليوم

لأنى غالب، و لا طالب يدرك شأو هذا الطالب، فقه بلا تفهق، و حذق فى تحذلق. أقسم أبا الفضل بما لك على أبى البركات من الفضل، ذلك العراقى الأرومة، لا هذا الفارسى الجرثومة، و إن يك ذلك، إسرائيلى الأصل، و هذا إسماعيلى الجنس، علوى الفضل. فلتلك الذات، شرف تلك الأدوات. قدّم لى غالبنا المذكور، من بأسه الغرّ لأرفع و أسمى من مقعد رقوطينهم المشهور، من إغرناطة الحمراء، و من متبواً أبى أميتهم المرحوم من جنّات جزيرتهم الخضراء، فيما لنت أبا الفضل من هذه العربة، و ألوك، أ رأيت فى عمرك مثل هذا الصعلوك؟ لا و الله ما على ظهر هذه الغبرا، من يتظاهر بمثل هذه المعرفة فى بنى غربا. فأى الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤٠٤

شئ هذا المنزع؟ إيش، لا حال لنا معك و لا عيش، من يضحك على هذا الطيش. ما هذا الخبل، أ خمار بك أم ثمل؟ ارجع إلى ما كنت بصدده و قيت الزلل، خذ فى الجدد فما يليق بك الهزل، رقّ عن ذلك فحكك لنا منه أرقّ غزل، ما ذا أقول؟ و أى عقل يطاوعنى على هذا المعقول؟ أفحمتنى، و الله، عن مكالمتمك هذه المحن، و منعتنى من طلب مسالمتمك ما لكم على فى دنياكم هذه من الإحن. إن تكلمت كلمت، و إذا استعجمت عجمت. أما لهذه العلة آس، أم على هذه الفيلة مواس؟ ما حيلتى فى طبع بلدكم الجاسى؟ أما يلين لضعفى، أما يرقّ قلب زمانكم القاسى؟ ما هذه الدمن، يا بنى خضراوات الدمن، أظهرتم المحن، فقلب لكم ظهر المجنّ. إن مرّ بكم الولى حمّتموه، و إن زجركم العالم فجرتم عليه ففسيّتموه، و إذا نجم فيكم الحكيم غصصتم به، فكفّتموه و زندقتموه. كونوا فوضى، فما لكم اليوم مسرى سواه و اذهبوا من مراعيكم المستوبلة، حيث شتمتم، فقد أهملكم الرعاة. ضيعتم النص و الشرائع، و أظهرتم فى بدعكم العجائب و البدائع. نفّقتم التفاق، و أقمتم سوق الفسوق على ساق. استصغرتم الكبائر، و أبحتم الصغائر، أين غتكم الشاكر، يتفقد فقيركم الصابر؟ أين عالمكم الماهر، يرشد متعلّمكم الحائر. مات العلم بموت العلماء، و حكم الجهل بقطع دابر الحكماء. جرد لنا شريعتك يا أفضل الشّارعين، أتم فيها موعظتك يا أفصح التابعين. لا، و الله، ما يوقظكم من هذا الوسن، و عظ الحسن، و لا ينقذكم من فتن هذا الزمن، إلّا سيف معلّمه أبى الحسن، و السلام.

قدم غرناطة فى أواخر عام ثلاثة و سبعمائة. و توفى فى يوم مقتل صاحبه الوزير أبى عبد الله بن الحكيم؛ فرّ من دهليز جاره فيمن كان بها من الأعلام، بعد أن نهبت ثيابه، حسبما جرى على غيره من الحاضرين، و هو يقول: هكذا تقوم الساعة بغتة. و لقيه بعض قرابة السلطان، ممن كان الوزير قد وتره، فشرع الرّمح إليه، فتوسّل إليه برسول الله، فلم يقبل منه، و طعنه، فقتله يوم عيد الفطر عام ثمانية و سبعمائة، و آخر العهد به، مطّرحا بالعراء، خارج باب الفخارين، لا يعلم قبره؛ لمكان الهرج فى تلك الأيام، نسأل الله جميل ستره، و ساء بأثر قتله إياه حال ذلك الرجل و فسد فكره، و شرد نومه و أصابته علته رديّة، فكان يشب المرّة بعد الأخرى، يقول: ابن خميس يقتلنى، حتى مات لأيام من مقتل المذكور.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤٠٥

محمد بن عمر بن على بن إبراهيم المليكى

يكنى أبا عبد الله.

حاله: كان فاضلا، متخلقا، أدبيا، شاعرا، صوفيا، جميل العشرة، حسن الخلق، كريم العهد، طيب النفس. كتب عن الأمراء بإفريقية، و نال حظوة، ثم شرّق و حجّ، و لقي جلّة، و وصل الأندلس عام ثمانية عشر و سبعمائة، فلقى بغرناطة حفاية، و انسحبت بها عليه جراية، ثم انصرف إلى وطنه، و ناله به اعتقال، ثم تخلّص من التّكبة، و أقام به، يزجى وقته إلى آخر عمره.

و جرى ذكره فى «الإكليل الزاهر»: كاتب الخلافة، و مشعشع الأدب المزرى بالسّلافه، كان، يرحمه الله، بطل مجال، و ربّ رويّة و ارتجال، قدم على هذه البلاد و قد نبا به وطنه، و ضاق ببعض الحوادث عطنه، فتلوم بها تلوم النسيم بين الخمائيل، و حلّ بها محلّ الطّيف من الوشاح الجائل، و لبث مدة إقامته تحت جراية واسعة، و ميرة يانعة. ثم آثر قطره، فوّلّى وجهه شطره، و استقبله دهره بالإنابة،

وقلده خطة الكتابة، فاستقامت حاله، و حطت رحاله. وله شعر أنيق، و تصوّف و تحقيق، و رحلته إلى الحجاز سببها في الخبر وثيق، و نسبتها في الصالحات عريق.

شعره: نقلت من خطّ الوزير أبي بكر بن ذي الوزارتين، مما قيد عنه، و كان خبيراً بحاله : [الطويل]

رضى نلت ما ترضين من كلّ ما يهوى فلا توقفينى موقف الذلّ و الشكوى

و صفحا عن الجاني المسيء لنفسه كفاه الذي يلقاه من شدّة البلوى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤٠٦ بما بيننا من خلوة معنوية أرقّ من النجوى و أحلى من السلوى

قفى أتشكى لوعه البين ساعة و لا يك هذا آخر العهد بالنجوى

قفى ساعة في عرصه الدار و انظري إلى عاشق لا يستفيق من البلوى

و كم قد سألت الريح شوقا إليكم فما حنّ سراها إلى و لا ألوى

فيا ريح، حتى أنت ممّن يغار بي و يا نجد، حتى أنت تهوى الذي أهوى

خلقت ولي قلب جليد على التوى و لكن على فقد الأحبة لا يقوى

و حدّث بعض من عنى بأخباره، أيام مقامه بمالقته و استقراره، أنه لقي ليلة بباب الملعب من أبوابها ظبيّه من ظبيات الإنس، و فتنه من

فتن هذا الجنس، فخطب وصالها، و اتقى بفؤاده نصالها، حتى همّت بالانقياد، و انعطفت انعطاف الغصن الميّد، فأبقى على نفسه و

أمسك، و أنف من خلع العذار بعد ما تنسك، و قال :

[الكامل]

لم أنس و قفتنا بباب الملعب بين الرّجا و اليأس من متجنّب

و عدت فكنت مراقبا لحديثها يا ذلّ وقفه خائف مترقب

و تدلّلت فذللت بعد تعزّز يأتى الغرام بكلّ أمر معجب

بدويّة أبدى الجمال بوجهها ما شئت من حدّ شريق مذهب

تدنو و تبعد نفرة و تجنّيا فتكاد تحسبها مهاة الزّبرب

ورنت بلحظ فاتر لك فتن أنضى و أمضى من حسام المضرب

و أرتك بابل سحرها بجفونها فسبت، و حقّ لمثلها أن تستبي

و تضاحكت فحكّت بتير ثغرها المعان نور ضياء برق خلّب

بمنظّم فى عقد سمطى جوهر عن شبه نور الأفتحوان الأشنب

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤٠٧ و تمايلت كالغصن أخضله الندى ريان من ماء الشيبية مخصب

تشبه أرياح الصّباية و الصّبا فتراه بين مشرق و مغرب

أبت الزّوادف أن تميل بميله فرست و جال كأنه فى لولب

متوّجا بهلال وجه لاح فى خلل السجوف لحاجب و محجّب

يا من رأى فيها محبا مغرمالم ينقلب إلّا بقلب قلب

ما زال مذ ولى يحاول حيلة تدنيه من نيل المنى و المطلب

فأجال نار الفكر حتى أوقدت فى القلب نار تشوق و تلهّب

فتلاقت الأرواح قبل جسومها و كذا البسيط يكون قبل مرّك

و من مقطوعاته البديعة، مما سمع منه بغرناطة، حرسها الله، أيام مقامه بها قوله : [الطويل]

أرى لك يا قلبى بقلبي محبة بعثت بها سرى إليك رسولا
 فقابله بالبشرى و أقبل عشية فقد هب مسك للنسيم عليلا
 و لا تعتذر بالقطر أو بلل الندى فأحسن ما يأتى النسيم بليلا
 و نقلت من خط الفقيه القاضى أبى جعفر الزعيني، مما أملاه على بمنزله بغرناطة، قال: و حضرت فى عام ثلاثة عشر و سبعمائة، يوم
 إحرام الكعبة العتيبة، و ذلك فى شهر ذى القعدة على اصطلاحهم فى ذلك، و صفته أن يتزين سدة البيت من شيبه بأحسن زى، و
 يعمدوا إلى كرسى يصل فيه صاعده إلى ثلث الكسوة، و يقطعها من هنالك، و يبقى الثلثان إلى الموسم، و هو يوم مشهود عند سكان
 الحرم، يحتفل له، و يقوم المنشدون أدراج الكعبة ينشدون. فقلت فى ذلك: [الطويل]

ألم ترها قد شممت تطلب الجداو تخبر أن الأمر قد بلغ الحدا؟
 فجدا كما جدت إليها و شمّرعن الساعد الأقوى تمل عندها سعدا
 طوت بردها طوى السجل كناية لأمر خفى سره طوت البردا
 و أندت محياها فحيى جماله و قبل على صوت المقى ذلك الخدا
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤٠٨ فكم سترت سود البرود جمالها و غطته لكن عن سنها الرمدا
 و كم خال ذاك الخال عما مقصّر عن العلم بالأنساب لا يعرف الحدا
 لقد سمرت عن وجهها الكعبة التى لها الحجر المسنى فى حسنها المبدأ
 و قالت ألا أين مكلى، قصدوا إلى جمالى فقد أبدى الحجاب الذى أبدا
 فلبت لها العشاق من كل جانب يؤمونها يستقربون لها البعدا
 فمن ندف أشفى على تلف و من محب على قرب يهيم بها وجدا
 و من ساهر على النجوم و لم يذق بعينه طعم النور أو يبلغ القصد
 يسائل عن بدر و بدر تجاهه كذاك اشتراك اللفظ قد ينغص الخدا
 و من مستهام لا يقرّ قراره كأن به من حرّ أشواقه وقدا
 يقلب قلبا بين جنبيه موريا أوار الأسى فيه فتحسبه زندا
 إذا ما حدا حادى الركاب ركابه كأن قلوب الراكبين له نجدا
 أحاد بها إن أنت جئت بها منى و نلت المنى و الأمن فانزل ورد وردا
 و لا خوف هذا الخيف و التربة التى سرت بهما قد عين المصطفى عدا
 و فى عرفات فاعترف و انصرف إلى مشاعر فيها يرحم المالك العبد
 و إن كنت من أوفى العبيد جرائم فحسن نبيل العقد من ربك العقدا
 لئن صدقت فيك الوعيد جرائم ففعلوا جميل الصفح يصدقك الوعدا
 وعد مفضيا للبيت طف و استلم و قم بها للمقام الرحب و اسجد و كن عبدا
 ورد فى الثنا و الحمد و الشكر و اجتهد فمن عرف الإحسان زادته حمدا
 و عج نحو فرض الحب و اقض حقوقه و زر قبر من أولاك من هديه رشدا
 قال: و كنت فى زمن الحداثة، أفضل الأصيل على السحر، و أقول فيه رقة المودع و رقة المعتذر. فلما كان أوان الأسفار، و اتصلت
 ليالى السير إلى أوقات

الأسحار، رأيت أفق الشرق، و وجدت القائل بفضل السّحر أصدق، فابتدأت راكبا، فلما جئت لذكر الجنب العليّ النبوي، أتممت ماشيا، و أنا في رمله بين مصر و عقبه إليه، و قلت: [البسيط]

ما أحسن الأفق الشرقيّ إسفارافكم هذا في دجى الإدلاج أسفارا
إذا بدا سارت الأظعان هاديئه له و صارت به الظلماء أنوارا
يجلو غياهب ليل طالما سدلت على المحيين فى الظلماء أستارا
و نمّ منه نسيم ثم ذا بعد على أحاديث كانت ثم أسرارا
سرت سحيرا فيرت سرّ ذى سحرأهدت له ريح من يهواه معطارا
سرت بيانات أكناف اللوى فغدت كأنّ دارين قد أصبحت دارا
طابت بطيبة أرواح معطره بها فأصبح أفق الشوق عطارا
كأنما فلق الإصباح حين بداخذ و بهجه حسن الشمس قد وارى
حقى بدت و تبدت حسن صورتهافعمت الأرض أنجادا و أغوارا
كأنه دعوة المختار حين بدت دانت لها الخلق إعلانا و إصرارا
من نوره كل نور أنت تبصره و نوره زاد للأبصار إبصارا
هدا به الله أقواما به سعدا لولاه كانوا مع الكفر كفارا
هو الشّفيح الذى قالت شفاعته للموبقين ألا لا تدخلوا النارا
هو العفو عن الجانى و إن عظمت من المسىء ذنوب كان غفارا
هو الكريم الذى ما ردّ سائله يوما و لو كثر التسأل تكرارا
هو الحبيب الذى ألقى محبته فى كل قلب فقلبي نحوه طارا
أحبّه كلّ مخلوق و هام به حتى الجمادات أحجارا و أشجارا
و انشقّ بدر الدّجى من نور غرته و انهلت السّحب من كفيّه أنهارا
و من مقطوعاته، قال: و مما نظمته فى ليل السّرى، و تخيل طيف الكرى، مبدأ قصيد قصدته، أى معنى أردته، أشغل عنه ما بى منه:

[الخفيف]

منع الهجر من سليمى هجوعافانثنى طبعها يريد الرّجوعا
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤١٠ بعثته ليلا يعلّل قلبامستها بها محبّا ولوعا
لم يجد غير طرف جفن قريح شاخصا نحوها يذرّ الدّموعا
و كتب إلى صديقه شيخنا أبى بكر بن شبرين من بجايه، و هو معتقل بقصبتها، و قد امتحنه بذلك أبو عبد الله بن سيد الناس:

[الخفيف]

شرح حالى لمن يريد سؤالى إننى فى اعتقال مولى الموالى
مطلق الحمد و الثناء عليه و هو للعطف و الجميل موال
لا أرى للولاء فى احتكاما و لى مال على كل وال
أرتجى بالمصائب تكفير ذنبى حسبما جاء فى الصّحاح العوالى
لا تدوم الدّنا و لا الخير فيها و كذا الشّرّ ذا و ذا للزوال
فاغتنم ساعة الوصال و كم من محنة و هى منحة من نوال

فإذا غبت عنك فاحضر تجدها للجواب المفيد عن السؤال

فهى نور النهار و النور منها هو الأنس فى اللىالى الطوال

فاستدمها تدم و لا تضج منها و أدرها على اليمين و وال

فإن الكأس مجراها على اليمين، و مسراها لى الصبح المبين، تغنى عن الإصباح و المصباح، و تدنى لهم معنى النور المشرق فى الوجوه الصّباح، و تجرى فى الأشباح، فتسرى فى الأرواح. و هذه الرسالة طويلاً، فيها كل بديع من نظم و نثر.

فأجابه رحمه الله: [الخفيف]

أرغمن هذه القيود الثقال ربّ و دّ مصيره للتعالى

طال صبرى على الجديدين حتى كدت مما لقيت أن يشفقا لى

إنّ بعض الرضا لديه فسيح أى مدّ به و أىّ انتقال

حاش لله أن أكون لشيء شاده الصانع القديم بغال

إن عندى من الثناء عليه لأمانى لم يملهنّ القالى

يا إمامى الذى بوذى لو أمكن نصلى إليه أوار قال

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤١١ ارج دنياك و ارج مولاك و اعلم أنّ راجى سواه غير مقال

و ابتغاء الثواب من ربك اعمل فهو يجزى الأعمال بالمثقال

و اغتنم غيبة الرقيب ففيها القلوب الرجال أىّ صقال

و أحل فى الوجود فكر غنى عن ضروب الإنعام و الأحقال

و إذا الوقت ضاق وسّعه بالصبر و لا تنس من شهرير المقال

ربما تكره النفوس من الأمر له فرحه كحلّ العقال

لا غرو أن وقع توان، أو تلوم دهر ذو ألوان، فالأمر بين الكاف و النون، و من صبر لم ييؤ بصفقه المغبون، و للسعداء تخصيص، و مع

التقريب تمحيص، و ما عن القضاء محيص، و المتصرف فى ماله غير معتوب، و قديم الحقيقة إلى الحيف ليس بمنسوب. و قد ورد

خطاب عمادى أطاب الله محضره، و سدّد إلى المرامى العلية نظره، ناطقا بلسان التفويض، سارحا من الرضا فى القضاء العريض، لا ئذا

بالانقياد و التسليم، قائما على أسكفته باب الأدب لمثابه حكم الحكيم.

و منها: و الوقائع عافاكم الله و عياظ، و نحن هجود و فى الحى أيقاظ، و ما كل المعانى تؤديها الألفاظ. و هذا الفنا الذى نشأ عن

الوقت، هو إن شاء الله عين البقيا.

و إذا أحبّ الله عبدا حماه الدنيا، و ما هى إلّا فنون، و جنون فنون، و حديث كله مجون. و قد يجمع الله الشيتين، و لن يغلب عسر

يسرين و لا باس، و يا خطب لا مساس، و أبعد الله الياس، و إنما يوفى الأجر الصابرون، و لا ييأس من روح الله إلّا القوم الكافرون. و

هى طويلاً بديعة.

أسمع بحضرة غرناطة لما قدم عليها و ارتسم فى جملة الكتاب بها، و حدّث عن رضى الدين أبى أحمد إبراهيم الطهرى، بسماعه من

الشريف يونس بن يحيى الهاشمى، بسماعه من أبى الوقت طراد. و عن الإمام سراج الدين أبى حفص عمر بن طراد المعرى القاضى

بالحرم الشريف، و عن شرف الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الحميد الهمدانى، و عن الإمام بهاء الدين الخميرى عن أبى الطاهر

السلفى، و عن جماعة غيرهم، و كان وروده على الأندلس فى أوائل عام خمسة عشر و سبعمائة، و حضر بها غزوات، و لقى من كان

بها من الأعلام. ثم انصرف عنها فى أوائل عام ثمانية عشر، و أحلّ بسبته، فأكرم رئيسها أبو عمر يحيى بن أبى طالب العزفى قدومه، و

أنزله بدار جليلة كان بها علو مطلق على البحر، لم يتمكن من مفتاحه، لأمر اقتضى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤١٢

ذلك، فكتب إليه: [الكامل]

يا صاحب البلد المليح المشرق ما مثله في مغرب أو مشرق
منها:

و خفضت عيشي فيه فارفع منزلي حتى أرى الدنيا بطرف مطرق

و تجول في البلاد، و لقي من بها، و اتصل بالأمير أبي علي بسجلماسه، و مدحه بقصيدة حفظ له منها: [الطويل]

فيا يوسفى الحسن و الصفح و الرضاتصدق على الدنيا بسطانك العدل
ثم اتصل بوطنه.

وفاته: نقلت من خط شيخنا أبي بكر المذكور: و في عام أربعين و سبعمائة، توفي بتونس صاحبنا الحاج الفاضل المتصوف، الكاتب أبو عبد الله محمد بن علي المليكشى الشهير بابن عمر. صدر في الطلبة و الكتاب، شهير ذو تواضع و إثارة، و قبول حسن، رحمه الله.

محمد بن علي بن الحسن بن راجح الحسنى

من أهل تونس، يكنى أبا عبد الله.

حاله: هذا الرجل الفاضل، صاحب رواء و أبهة، نظيف البزة، فاره المركب، صدوف عن الملة، مقيم للرسم، مطقف في مكيا الإطراء، جموح في إيجاب الحقوق، مترام إلى أقصى آماذ التوغّل، سخى اللسان بالثناء لثرائه، فكه مطبوع، حسن الخلق، عذب الفكاهة، مخصوص حيث حلّ من الملوك و الأمراء بالأثرة، و مّمن دونهم بالمداخلة و الصّحبة، ينظم الشعر، و يحاضر بالأبيات، و يتقدّم في باب التحسين و التّقيح، و يقوم على تاريخ بلده، و يثابر على لقاء أهل المعرفة و الأخذ عن أولى الرواية. قدم على الأندلس في إحدى جمادين، عام خمسين و سبعمائة، مفلتا من الوقعة بالسلطان أبي الحسن بالجهات الشرقية، بأيدي بنى زيّان و أحلافهم،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤١٣

فمهد له سلطانها، رحمه الله، كنف برّه، و أواه إلى سعة رعيه، و تأكّدت بيني و بينه صحبة.

شعره: كتبت إليه لأول قدومه بما نصّه: أحذو حذو أبيات، ذكر أنّ شيخنا أبا محمد الحضرمي خاطبه بها: [الطويل]

أمن جانب الغربى نفضة بارح سرت منه أرواح الجوى فى الجوانح

قدحت بها زند الغرام و إنماتجافيت فى دين السلو لقادح

و ما هى إلا نسمة حاجريه رمى الشوق منها كل قلب بقادح

رجحنا لها من غير شك كأنها شمائل أخلاق الشريف ابن راجح

فتى هاشم سبقا إلى كل عليه و صبرا مغار الفتل فى كل فادح

أصيل العلاء، جمّ السيادة، ذكره طراز نضار فى برود المدائح

و فرقان مجد يصدع الشكّ نوره حبا الله منه كل صدر بشارح

و فارس ميدان البيان إذا انتضى صحائفه أنست مضاء الصفائح

رقيق كما راقتك نعمة ساجع و جزل كما راعتك صولة جارح

إذا ما احتبى مستحفا فى بلاغة و خيض خضمّ القول منه بسابح

و قد شرعت فى مجمع الحفل نحوه أسنة حرب للعيون اللوامح

فما ضععت منه لصوله صادح و لا ذهب منه بحكمة ناصح

تذكرت قسا قائما في عكاظه و قد غصّ بالشّم الأنوف الججاجح
 ليهنك شمس الدين ما حزت من علاخواتمها موصولة بالفواتح
 رعى الله ركبا أطلع الصبح مسفر المرآك من فوق الرّبي و الأباطح
 و منها:

أقول لقومي عندما حطّ كورها و ساعدها السعدان وسط المسارح
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤١٤ ذروها و أرض الله لا تعرضوا لها بمعرض سوء فهي ناقه صالح
 إذا ما أردنا القول فيها فمن لنا بطوع القوافي و انبعاث القرائح
 بقيت منى نفس و تحفة رائد و مورد ظمآن و كعبة مادح
 و لا زلت تلقى الرب و البرّ حيثما أرحت السرى من كلّ غاد و رائح
 فأجابني بما نصه: [الطويل]

أمن مطلع الأنوار لمحّة لامح تعار لمفقود عن الحيّ نازح؟
 و هل بالمنى من مورد الوصل يرتوى غليل عليل للتواصل جانح؟
 فيا فيض عين الدمع ما لك و الحمى و رند الحمى و الشّيح شيخ المشايح
 مراع آرامي و مورد ناقتي فسقيا لها سقيا لناقة صالح
 سقى الله ذاك الحيّ ودقا فإنه حمى لمحات العين عن لمح سامح
 و أبدى لنا حور الخيام تزفّ في حلى الحسن و الحسنى و حلى الملامح
 ترى حيّ تلك الحور للحور مهيع يدلّ، و هل حسم لداء التّبارح؟
 و يا دوحه الريحان هل لي عودة لعقر عقار الأنس بين الأباطح؟
 و هل أنت إلّا طلة حاتميه تغصّ نواديها بغاد و رائح
 أقام بها الفخر الخطيب مناير الترتيل آيات النّدى و المنائح
 و شفع بالإنجيل حمد مديحه و أوتر بالتّوراه شفع المدائح
 و فرق بالفرقان كلّ فريقة نأت عن رشاد فيه معنى النصائح
 و هل هو إلّا للبريه مرشد لكلّ هدى هاد لأرجح راجح
 فبشرى لسان الدين ساد بك الورى و أورى الهدى للرّشد أوضح واضح
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤١٥ متى قلت لم تترك مقالا لقائل فإن لم تقل لم يغن حمد لمادح
 فمن حام بالحيّ الذى أنت أهله و عام ببحر من عطائك طافح
 يحقّ له أن يشفع الحمد بالتّناو يغدو بذاك البحر أسبح سابح
 و يا فوز ملكك دمت صدر صدوره و بشرى له قد راح أربح راجح
 بآرائك التى تدلّ على الهدى و تبدى لمن خصصت سيل المناجح
 ملكت خصال السّبق فى كل غايه و ملكت من ملكت يا ابن الججاجح
 مطامح آمال لأشرف همّة أقلّ مراميهما أجلّ المطامح
 فدونكها يا مهدي المدح مدحه أحببت بها عن مدح أشرف مادح
 تهنيك بالعام الذى عمّ حمده مواهب هاتيك البحار الطوافح

فخذها سمى الفخر يا خير مسبل على الخلق إغضاء ستور التسامح

و دم خاطب العليا لها خير خاطب و أتوق تواق و أطمح طامح

و تلقانى بمالقة عند قدومى من الرسالة إلى المغرب، فى محرم عام ستته و خمسين و سبعمائه، و نظم لى هذه الأبيات، و لا حول و لا قوة إلا بالله: [الطويل]

قدومك ذا أبدى لذى الرأية الحمراءغور الرضى تعبر عن شنب البشرى

و أينع فجر الرشد من فلق الهدى و كونه نهرا و فجره فجرا

سرينا له كى يحمد السير و السرى و نرقب شمس الدين من فرعك الفجرا

و نصبح فى أحياء للمن نستلم مواطنكم شفعا و آثاركم و ترا

و نخطب ما، يا ابن الخطيب، تشاء من كرائم ذاك الحى إذ نهز الشعرى

فقابلت بالإقبال و البرّ و الرضى و أقرت من يقرا و أقرت من قرأ

فأبناء قدس الحمد حضرة قدسناو أقدامنا تملا و أمداحكم تقرا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤١٦ هتيا لنا نلنا و نلنا و لم نزل ننال و لكن هذه المنة الكبرا

رأينا وزير الملد و الملك و اللوى و حزب اللوى كل يشد به أزرا

سجدنا و كبرنا و قلنا: رسولنا أتى بالذى يرضى بشرى لنا بشرى

و يهنى الورى هذا الإياب فإنّ فى نتائجه للدهر ما يسهر الدهرا

أرانا سنا ذا اليوم أجمل منظرو جلّى لنا من وجهك الشمس و البدرا

أما و الذى أوليت من نعمه غدت تعلمنا للمنعم الحمد و الشكرا

لأنت لسان الدين للدين حجة تؤيده سراً و تعضده جهرا

بقيت لنا كتفا منيعا مشرفا و دمت له عضدا و دمت له نصرا

و دمتنا بكم فى كل أمن و مئة ندير المنى خمرا و نصلى العدا جمرا

و من أمثل ما مدح به السلطان لأول قدومه بالنسبة إلى غير ذلك من شعره:

[الطويل]

أما و العيون النجل ترمق عن سحرو ورد رياض الخدّ و الكأس و الخمر

و ريحانه و الرّاح و الطلّ و الطلى و نرجسه و الزهر و النور و النهار

و نور جبين الشمس فى رونق الضحى و هالة بدر التّم منتصف الشهر

لقد قلّدت آراء يوسف ملكه قلائد نصر لن تبديد مع الدهر

و قد أيد الإسلام منه بناصرنصير و خير النصر نصر بنى نصر

هم القوم أنصار النبى محمدبه عصبه الأعلام فى اليسر و العسر

و حسبك من قوم حموا سيد الورى و قاموا بنصر الحقّ فى السرّ و الجهر

سقى شرعه الإسلام و دق سيوفهم رحيق الأمانى طيب العرف و النّشر

فأصبح روض الرشد يعبق طيبه و دوح الهدى بالزهر أزهاره تزرى

فيا سائلى عنه و عن سطواته إذا لاح محفوفا براياته الحمر

و جزّ مع الإقدام جيشا عرمرماو شرّد بالتأييد شرذمة الكفر الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج ٢ ؛ ص ٤١٦

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤١٧ لخليلة تنيك عما وراءها ولا غرو فالإفصاح يعرف بالعجز
 فيا فوز من أدناه بالغنم والغنى ويا ويل من أقصاه للفقير والفقير
 يمينا بما اختارت يداك و أحرزت من الملك والتأييد والنهي والأمر
 لقد أصعدت مجدى مدائحك التي ومجدك والعليا مدحت بها شعري
 وحق لمثلي يشفع الحمد بالثناو يتلو معانيه مع الشفع والتر
 فأجنى ثمار الأنس من روضه المنى وأقطف زهر الحمد من شجر الشكر
 وأشرب ماء الفوز عذبا ختامه رحيق براح السمع في أكؤس البشر
 ولا برحت أمداحكم تعجز النهى وإلا فكم تنجني من العسر ليسر
 ولا زالت الأقدار تخدم رأيكم وراياتكم ما دام نجم للسرا يسرى
 وكتب إلي في غرض يظهر منه نص المراجعة، و حسبنا الله: [الطويل]
 أما والذى لى فى حلاك من الحمدو ما لك ملاكى على من الرّفد
 لقد أشعرتنى النفس أنك معرض عن المسرف اللائى لفطرك يستجدى
 فإن زلة منى بدت لك جهرة فصفحا فما والله إذ كنت عن عمد
 فراجعته بقولى: [الطويل]

أجلّك عن عتب يغض من الودو أكرم وجه العذر منك عن الرّد
 ولكننى أهدي إليك نصيحتى وإن كنت قد أهديتها ثم لم تجد
 إذا مقول الإنسان جاوز حدّه تحوّلت الأغراض منه إلى الضّد
 فأصبح منه الجدّ هزلا مذمّما وأصبح منه الهزل فى معرض الجدّ
 فما اسطعت فيضا للعنان فإنه أحقّ السجايا بالعلاء والمجد

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤١٨

توفى يوم الخميس الثالث لشعبان عام خمس و ستين و سبعمائة، و قد ناهز السبعين سنة، و دفن بروضتنا بباب البيرة، و أعفى شارب
 الشعر من نابى مقصه.
 و غير هذه الدعوى قرارها تجاوز القضية.

محمد بن على بن عمر العبدري

من أهل تونس، شاطبي الأصل، يكنى أبا عبد الله، صاحبنا.
 حاله: كان فاضلا من أبناء النعم، و أخلاق العافية، و لى أبوه الحجابة بتونس عن سلطانها برهه، ثم عدا عليه الدهر، و اضطر ولده هذا
 إلى اللحاق بالمشرق، فاتصل به سكناه و حج، و آب إلى هذه البلاد ظريف التزعة، حلو الصربية، كثير الانطباع، يكتب و يشعر، و
 يكلف بالأدب، ثم انصرف إلى وطنه. و خاطبنى إلى هذا العهد، يعرّفنى بتقلده خطه العلامة، و الحمد لله.

و جرى ذكره فى كتاب «الإكليل» بما نصه: غدى نعمة هامية، و قريع رتبة سامية، صرفت إلى سلفه الوجوه، و لم يبق يافريقية إلا من
 يخافه و يرجوه، و بلغ هو مدة ذلك الشرف، الغاية من الترف. ثم قلب الدهر له ظهر المجن، و اشتد به الخمار عند فراغ الدن، و لحق
 صاحبنا هذا بالمشرق بعد خطوط ميرة و شدة كبيرة، فامتزج بسكانه و قطّانه، و نال من اللّمذات ما لم ينله فى أوطانه؛ و اكتسب
 الشمائل العذاب، و كان كابن الجهم بعث إلى الرّصافة ليرقّ فذاب، ثم حوّم على وطنه تحويم الطائر، و ألمّ بهذه المدينة إمام الخيال

الزائر، فاغتنمت صفقه وده لحين وروده، وخطبت موالاته على انقباضه و شروده، فحصلت منه على درة تفتنى، و حديقه طيبة الجنى.

شعره: أنشدنى فى أصحاب له بمصر قاموا ببره : [الطويل]

لكل أناس مذهب و سجيئه و مذهب أولاد النظام المكارم

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤١٩ إذا كنت فيهم ثاويًا كنت سيّداً إن غبت عنهم لم تتلك المظالم

أولئك صبحى، لا عدت حياتهم ولا عدمو السعد الذى هو دائم!

أغنى بذكراهم و طيب حديثهم كما غرّدت فوق الغصون الحمام

و من شعره يشوق إلى تلك الديار، و يتعلل بالتذكار، قوله : [الوافر]

أحببتنا بمصر لو رأيتم بكائى عند أطراف النهار

لكنتم تشفقون لفرط وجدى و ما ألقاه من بعد المزار

و من شعره: [الطويل]

تغنى حمام الأيك يومًا بذكراهم فأطرب حتى كدت من ذكرهم أفنى

فقلت: حمام الأيك لا تبك جيرة نأوا و انقضت أيام وصلهم عنا

فقال و لم يردد جوابا لسائل ألا ليتنا كنا جميعا بذا حقنا

و من جيد شعره الذى أجهد فيه قريحته، قوله يمدح السلطان المعظم أبا الحسن فى ميلاد عام سبعة و أربعين و سبعمائة: [الطويل]

تقرّ ملوك الأرض أنّك مولاهو أنّ الدنا وقف عليك قضايها

و منها:

طلعت بأفق الأرض شمسا منيرةً أنار على كل البلاد محياها

حكيت لنا الفاروق حتى كأننا مضينا بعين لا نكذب رؤياها

و سرت على آثاره خير سيرة قطعنا بأنّ الله ربك يرضاها

إذا ذكرت سير الملوك بمحفل و نادى بها التادى و حسن دنياها

فجودك رؤاها و ملكك زانها و عدلك زانها و ذكرك حلّاها

و أنت لها كهف حصين و معقل تلوذ بها أولى الأمور و أخراها

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤٢٠

و منها بعد كثير:

و منكم ذوو التيجان و الهمم التى أناف على أعلى السماكين أدناها

إذا غاب منهم مالك قام مالك فجدد للبيت المقدس عليها

بناها على التقوى و أسس بيته أبو يوسف الزاكي و سير مبناها

و أورثها عثمان خير خليفه و أحلم من ساس الأنام و أندائها

و قام على بعده خير مالك و خير إمام فى الورى راقب الله

على بن عمر بن يعقوب ذو العلامديق الأعادى حيثما سار بلواها

أدام الله و أعطى الخلافة وقتها و نور أحلاك الخطوب و جلاها

و وصلنى كتاب منه مؤرخ فى التاسع عشر من شهر شعبان المكرم من عام أربعة و ستين و سبعمائة، جدّد عهدى من شعره بما نصّه:

[الطويل]

رحلنا فشرقنا وراحوا فغربوا ففاضت لروعات الفراق عيون
 فيا أدمعى منهله إثر بينهم كأن جفوني بالدموع عيون
 فيا معهدا قد بنت عنه مكلفا بديلي منه أنه وحنين
 سقتك غوادى المزن كز عشية و دادك محلول النطاق هتون
 فإن تكن الأيام لم تقض بيننا بوصول فما يقضى فسوف يكون
 يعز علينا أن نفارق ربعكم وأنا على أيدى الخطوب نهون
 و لو بلغتني العير عنكم رسالة و ساعد دهر باللقاء ضنين
 لكننا على ما تعلمون من الهوى و لكن لأحداث الزمان فنون
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤٢١

فهرس المحتويات

- محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج بن يوسف بن نصر الخزرجى ٣
 شيخ الغزاة و رئيس الجند الغربى لأول أمره ٥
 الأحداث فى أيامه ٩
 الحادثة التى جرت عليه ١١
 ترتيب الدولة الثانية السعيدة الدور إلى بيعة الكور ١٤
 ظرف السلطان و حسن توقيعه ١٨
 و من ملوك النصارى ٢١
 بعض مناقب الدولة لهذا العهد ٢٤
 الجهاد فى شعبان من عام سبعة و ستين و سبعمائه ٤٣
 الغزاة إلى حصن أشر ٤٥
 الغزاة المعملة إلى أطيريرة ٤٥
 الغزاة إلى فتح جيان ٤٦
 الغزاة إلى مدينة أبدء ٤٦
 مولده السعيد النسيئة، الميمون الطلوع و الجيئة ٥٠
 محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجى الأنصارى ٥١
 الملوك على عهده ٥٤
 محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبى عامر بن محمد بن أبى الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافرى، المنصور بن أبى
 عامر ٥٧
 غزواته و ظهوره على أعدائه ٥٨
 محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل ابن قريش بن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطف بن نعيم،
 لخمى النسب ٦١
 توقيعه و نشره فى البديهة ٦٦

محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مردنيش الجذامي ٧٠

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤٢٢

ما نقم عليه ووصم به ٧١

بعض الأحداث في أيامه، ونبذ من أخباره ٧٣

محمد بن يوسف بن هود الجذامي ٧٤

بعض الأحداث في أيامه ٧٥

محمد بن أحمد بن زيد بن أحمد بن زيد بن الحسن بن أيوب بن حامد بن زيد بن منخل الغافقي ٧٧

حاله و نباهته و محتته و وفاته ٧٧

خبر في وفاته و معرجه ٧٨

محمد بن أحمد بن محمد الأشعري ٧٩

محمد بن فتح بن علي الأنصاري ٨٠

محمد بن أحمد بن علي بن حسن بن علي بن الزيات الكلاعي ٨٠

محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن الحاج ٨١

محمد بن رضوان بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أرقم النميري ٨٢

محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن خلف بن محمد بن سليمان بن سوار بن أحمد بن حزب الله بن عامر

بن سعد الخير بن عياش ٨٣

محمد بن عبد الله بن منظور القيسي ١٠١

محمد بن علي بن الخضر بن هارون الغساني ١٠٣

محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن سعد الأشعري المالقي ١٠٦

محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد بن علي بن موسى بن إبراهيم بن محمد ابن ناصر بن

حيون بن القاسم بن الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ١١٠

محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي ١١٤

محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي بن داود القرشي المقرئ ١١٦

من فصل الإقبال ١٢٥

محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبي ١٤٤

محمد بن عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى بن عياض اليحصبي ١٤٥

محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن جبير بن محمد بن سعيد بن جبير بن محمد بن مروان بن عبد السلام بن مروان بن عبد السلام

بن جبير الكنانى ١٤٦

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن شبرين ١٥٢

محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي ١٥٩

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤٢٣

محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي ١٦١

محمد بن محمد بن محمد بن قطبة الدوسي ١٦٢

- محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسى ١٦٢
- محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسى ١٦٣
- محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى ابن عبد الرحمن بن يوسف بن جزى الكلبى ١٦٣
- محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن الحكيم اللخمي ١٧٢
- محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن علي بن محمد اللوشى
- اليحصبي ١٧٤
- محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن الحكيم اللخمي ١٧٦
- محمد بن محمد بن علي بن العابد الأنصارى ١٨١
- محمد بن مالك المرى الطغرى ١٨٢
- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن عبد الملك الأوسى ١٨٣
- محمد بن علي بن عبد الله بن علي القيسى العرادى ١٨٤
- محمد بن علي بن العابد الأنصارى ١٨٥
- محمد بن هانى بن محمد بن سعدون الأزدي الإلبيرى الغرناطى ١٨٦
- محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن علي بن إبراهيم بن علي الغسانى البرجى الغرناطى ١٩٠
- محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف بن محمد الصريحى ١٩٦
- و من السفر السابع المفتتح بقوله و من الطارئ منهنم فى هذا الباب ٢٠٧
- محمد بن أحمد بن محمد بن أبى خيثمة الجبائى ٢٠٧
- محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الإستجى الحميرى ٢٠٧
- محمد بن أحمد بن علي الهوارى ٢١٦
- محمد بن أحمد بن الحداد الوادى آشى ٢٢٠
- محمد بن إبراهيم بن خيرة ٢٢٣
- محمد بن إبراهيم بن علي بن باق الأموى ٢٢٤
- محمد بن إبراهيم بن سالم بن فضيلة المعافى ٢٢٦
- محمد بن إدريس بن علي بن إبراهيم بن القاسم ٢٢٨
- شعره و دخوله غرناطة ٢٢٩
- محمد بن محمد بن أحمد الأنصارى ٢٣٣
- محمد بن محمد بن أحمد بن شلبطور الهاشمى ٢٤٣
- محمد بن محمد بن جعفر بن مشتمل الأسلمى ٢٤٦
- محمد بن محمد بن حزب الله ٢٤٩
- محمد بن إبراهيم بن عيسى بن داود الحميرى ٢٥٢
- الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٢، ص: ٤٢٤
- محمد بن محمد بن عبد الله بن مقاتل ٢٦١
- محمد بن أحمد بن أحمد بن صفوان القيسى ٢٦٢

محمد بن محمد بن عبد الواحد بن محمد البلوى ٢٦٢

محمد بن محمد بن الشديد ٢٦٧

محمد بن مسعود بن خالصة بن فرج بن مجاهد بن أبى الخصال الغافقى ٢٦٩

محمد بن مفضل بن مهيب اللخمي ٢٨٨

محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقى ٢٩٥

محمد بن عبد الله بن محمد بن لب الأمي ٢٩٩

محمد بن عبد الله بن الحاج البضيعة ٣٠٨

محمد بن عبد الله بن فطيس ٣٠٩

محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن فتوح بن محمد بن أيوب بن محمد بن الحكيم اللخمي ذو الوزارتين ٣١٠

[جرأوى ٣٣٢]

محمد بن عبد الرحمن المتأهل ٣٣٣

محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي ٣٣٤

حظوته و دخوله غرناطة ٣٣٤

محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عياش التجيبى البرشاني ٣٣٧

بعض أخباره مع المنصور و محاورته الدالة على جلاله قدره ٣٣٩

محمد بن على بن محمد بن إبراهيم بن محمد الهمداني ٣٤١

محمد بن على بن محمد بن على بن محمد بن خاتمة الأنصاري ٣٤٥

محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان الزهرى ٣٤٧

محمد بن غالب الرصافي ٣٥٦

محمد بن قاسم بن أبى بكر القرشى الملقى ٣٦٦

محمد بن سليمان بن القصيرة ٣٦٧

محمد بن يوسف بن عبد الله بن إبراهيم التميمى المازنى ٣٧٠

«و من الغرباء فى هذا الحرف» محمد بن حسن العمرانى الشريف ٣٧١

محمد بن محمد بن إبراهيم بن المرادى ابن العشاب ٣٧٣

محمد بن محمد بن عبد الملك بن محمد بن سعيد الأنصاري الأوسى ٣٧٥

محمد بن خميس بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن خميس الحجري حجر ذى رعين التلمساني ٣٧٦

محمد بن عمر بن على بن إبراهيم المليكىشى ٤٠٥

محمد بن على بن الحسن بن راجح الحسنى ٤١٢

محمد بن على بن عمر العبدري ٤١٨

[المجلد الثالث]

[تنمة قسم الثانى]

إشارة

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم

محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد العزفي

من أهل سبتة، أبو القاسم بن أبي زكريا بن أبي طالب.

حاله: من أهل الطّرف و البراعة، و الطبع المعين، و الذكاء، رئيس سبتة، و ابن رؤسائها، و انتقل إلى غرناطة عند خلعه و انصرافه عن بلده. أقام بها تحت رعى حسن الزّواء، مألفا للظرفاء، و اشتهر بها أدبه، و نظر في الطّب و دوّن فيه، و برع في التّوشيح. ثم انتقل إلى العدو، انتقال غبطة و أثره، فاستعمل بها في خطط نبيّه، و كتب عن ملوكها، و هو الآن بالحالة الموصوفة.

و جرى ذكره في «الإكليل» بما نصّه: فرع تأوّد من الرئاسة في دوحه، و تردّد بين غدوة في المجد و روحه، نشأ و الرئاسة العزفية تعلّه و تنهله، و الدهر يسير أمله الأقصى و يسهله، حتى اتّسقت أسباب سعده، و انتهت إليه رياسة سلفه من بعده، فألقت إليه رحالها و حطّت، و متّعته بقربها بعدما شطّت. ثمّ كلع له الدهر بعد ما تبسّم، و عاد زعزعا نسيمه الذي كان يتنّسّم، و عاق هلاله عن تمّه، ما كان من تغلب ابن عمّه، و استقرّ بهذه البلاد نائي الدار بحكم الأقدار، و إن كان نبيه المكانة و المقدار، و جرت عليه جراية واسعة، و رعاية متتابعة، و له أدب كالزّوض باكرته

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤

الغمائم، و الزّهر تفتحت عنه الكمائم، رفع منه راية خافقه، و أقام له سوقا نافقه.

و على تدفق أنهاره، و كثرة نظمه و اشتهاره، فلم أظفر منه إلّا باليسير التافه بعد انصرافه.

شعره: قال: [مجزوء الرجز]

أفديك يا ريح الصّبا عوجى على تلك الرّبي

واحد التّعامى سحرا ترسل غماما صبّا

على ربي غرناطة لكى تقضى ما ربا

ثم ابلغى يا ريح عن صبّ سلاما طيّبا

و من منظومه أيضا في بعض القضاة الفاسيين، و هو من البديع، و ورى فيه بيايين من أبواب المدينة: [المتقارب]

و ليت بفاس أمور القضاء فأحدثت فيها أمورا شنيعة

فتحت لنفسك باب الفتوح و غلقت للناس باب الشريعة

فبادر مولى الورى فارس بعزلك عنها قبيل الذريعة

و قال: [الكامل]

دع عنك قول عواذل و وشاء و أدر كؤوسك يا أخا اللذات

و اخلع عذارك لاهيا في شربها و اقطع زمانك بين هاك و هات

خذها إليك بكفّ ساق أغيدلين المعاطف فاتر الحركات

قد قام من ألحاظه إنسانها مثبتا في فترة اللحظات

يسقيكها حمراء يسطع نورها في الكأس كالمصباح في المشكات

رقت وراقت في الزجاجة منظر المآ عدت تجلي على الزواجات
لا تمزجها في الأبارق إنها تبدو محاسنها لدى الكاسات
عجبا لها كالشمس تغرب في فم لكن مطالعها من الوجوات
نلنا بها ما نشتهي من المنى في جنه تزهى على الجنات
رقت عليها كل طل سجسج من كل غض يانع الثمرات
ما بين خضر حدائق و خمائل و جداول تفضى إلى دوحات
سرى النسيم بها يصفح زهره فيهب و هو مورج النفحات
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٥ و شدا لنا فيها مغن شادن حاز المدى سبقا إلى الغايات
طربت له القضب اللدان و بادرت رجعا له تختال في الحبرات
مرت عليه ركعا لكنها جعلت تحيتها لدى الركعات
قصرت صلاة الخوف منه فقربت قربانها و حفته بالزهرات
و العود مثناه يطابق زيبا فيها رذات على رذات
إن جس مثله بان بغنة في اليم منه ثقيلة النعمات
فكان ما غنت عليه الورق من ألعانها ألقاه للقيينات
عكفت على ألعانها تشدو لنا خلف الستائر باختلاف لغات
فكانها عجم تورات بالحجاب و رددت سورا من التورات
نطقت بأفصح نغمة في شدوها تتلو علينا هذه الآيات
و مما أنشده ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه و سلم: [المتقارب]
إذا لم أطق نحو نجد و صولا بعثت الفؤاد إليها رسولا
و كم حلّ قلبي رهينا بها غداة نوى الركب فيها النزولا
محل بها في الحلال التي ضحى أصبح القوم فيها حلولا
و كم بتّ فيها غداة التوى أسح من العين دمعا همولا
على شمس حسن سما ناظري إليها و عني توارت أفولا
وقفت بوادي الغضا ساعة لعلّي أندب فيها الطلولا
و في البان من أيكه ساجع يرجع بالقضب منها الهدिला
بحقّ الهوى يا حمام الحمى ترفق بقلبي المعنى قليلا
فقد هجت تالله أشواقه بذكرك إلفا ثنى أو خليلا
ألم تدر أن اذكاري الهوى يذيب و يعنى الفؤاد العليلا؟
رعى الله تلك المطايا التي إلى الحجّ و خدا سرت أو ذميلا
و يا عجبا كيف خفت بهم و حملت القلب حملا ثقيلا
و ودعني الصبر إذ ودعوا فما أن وجدت إليه سيلا
و آثرت، يا ويح نفسي، المقام و آثر أهل الوداد الرحيلا
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٦ و جادوا رجاء الرضى بالنفوس و كنت بنفسى ضنينا بخيلا

ندمت على السير إذ فاتني ولازمت حزني دهرًا طويلا
و فاز المخفون إذ يَمَموا منازل آثارها لن تزولا
و حجّوا و زاروا نبيّ الهدى محمدا الهاشمي الرسولا
و فازوا بإدراك ما أملوا و نالوا لديه الرضى و القبولا
و لو كنت في عزمهم مثلهم إذا لانصرفت إليه عجولا
و لكنني أثقلتني الذنوب و ما كنت للثقل منها حمولا
ركبت مطية جهل الصباو كانت أوان التصابي ذلولا
و مالت بي النفس نحو الهوى و قد وجدتني غزا جهولا
فطوبى لمن حلّ في طيبة و عرس بالسفح منها الحمولا
و نال المنى في منى عندما نوى بالمنازل منها نزولا
و أصفى الضمائر نحو الصفايؤمل للوصل فيه الوصولا
و جاء إلى البيت مستبشرا يطهر بالأمن فيه دخولا
و طاف و لبى بذاك الحمى و نال من الحجر قصدا و سولا
بلاد بها حلّ خير الورى فطوبى لمن نال فيها الحلولا
نبيّ كريم سما رفعه و قدرا جليلا و مجدا أصيلا
و كان لأئمة رحمة بفضل الشفاعة فيهم كفيلا
و كان رؤوفا رحيفا لهم عطوفا شفيعا عليهم و صولا
له يفزعون إذا ما رأوا لدى الحشر خسفا و أمرا مهولا
و إن جاء في ذنبهم شافعابدا الرّحب من ربّه و القبولا
له معجزات إذا عدّدت تفوت التّهى و تكلّ العقولا
و لن يبلغ القول معشارها و إن كان الوصف فيها مطيلا
و قسّ البيان و سحبانه يرى ذهنه في مداها كليلا
تخيّره الله في خلقه فكان الخبير لديه المثيلا
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٧ و لم ير في الناس ندّا له و لا في الخلائق منه بديلا
و أبقى له الحكم في أرضه فكان الأمين عليها الوكيلا
و كلّ ظلام و ظلم بهاعلى الفور لئما أتى قد أزيلا
و كانت كئنا لظى فتنة فعاتت من الأمن ظلّا ظليلا
و قد زان حسن الدّجى جيله إذا ذكر الدهر جيلا فجيلا
و أيّامه غرر قد بدت بوجه الدّنا و الليالى حجولا
رسول كريم إذا جئته و يمت مغناه تلقى القبولا
بمولده في زمان الربيع ربيع أانا يجزّ الدّيولا
فأهلا به الآن من زائر أانا بفضل يفوق الفضولا
و قام الإمام به المرتضى فنال ثوابا و أجرا جزيلا

هو المستعين أبو سالم مليك ترفع قدرا جليلا
و حاز من الصيت ذكرا أثيراو من كرم الخيم مجدا أثيلا
سليل على غمام الندى ألا أيد الله ذاك السليلا
فتى أوسع الناس من جوده عطاء جزيلا و بزا حفيلا
حلاه الوقار و لاقيه إذا ارتاح للوجود يلقى عجولا
و قد شاع عنه جميل الثناء و عم البسيطة عرضا و طولا
و ما من بالوعد إلا وفى فلم يك بالوعد يوما مطولا
و لا فى علاه مغال لمن يكتر فى الملك قالا و قيلا
تفرد بالفضل فى عصره و كان بعرف الأيادى كفيلا
أطاعت له حين وافى البلاد رضى عندما حل فيها حلولا
و جاء لطاعته أهلها سراعا يرومون فيها الدخولا
فتبه قدر الموالى بها و أكسف فيها المعادى خمولا
و مهد بالأمن أفكارها و أمن بالعدل فيها السبيلا
و كف أكف التعدى بها فلا يظلم الناس فيها فتिला
و عصر الكروب الذى قد مضى زمان المسرات منه أديلا
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٨ أتانا إلى الغرب فى شوكة بها عاد جمع الأعدى قليلا
و فوق رؤوس الطغاة انتضى حساما لسمع فيها صليلا
و جرد من عزمه مرهف الحسم أمور المناوى صقيلا
و كل كفور معاد له سيأخذه الله أخذا و بيلا
أعز الخلاق لئا ولى و نوه من كان منهم ذليلا
و راعى لمن جاءه داخلا حماه من القاصدين الدخيلا
فكان بأفعاله قصده إلى منهج الفضل قصدا جميلا
و صح انتعاش المعالى به و قد كان شخص المعالى عليلا
و شيد مبنى العلا بالندى و وثقه خشية أن يميلا
ينيل و يعطى جزيل العطاء فما زال أخرى الليالى منيلا
و دام مدى الدهر فى رفعة تثير من الحاسدين الغليلا
و لا برح السعد فى بابه يؤم به مربعا أو مقيلا

محمد المكودى

من أهل فاس، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من «الإكليل»: شاعر لا يتعاطى ميدانه، و مرعى بيان ورف عضاهه و أينع سعدانه، يدعو الكلام فيهطع لداعيه، و يسعى فى اجتلاب المعانى فتتجح مساعيه، غير أنه أفرط فى الانهماك، و هوى إلى السيمكة من أوج السيماك . و قدم على هذه البلاد مفلتا من رهق تلمسان حين الحصار، صفر اليمين و اليسار من اليسار، ملئ هوى أنحى على طريفه و تلاده، و أخرجه من بلاده.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٩

ولما جدّ به اليبين، وحلّ هذه البلاد بحال تقبحها العين، والسيف بهزّته، لا بحسن بزّته، دعوته إلى مجلس أعاره البدر هالته، وخلع عليه الأصيل غلالته، وروض تفتح كمامه، وهمي عليه غمامه، وكاس أنس تدور، فتتلقي نجومها البدور. فلما ذهبته الموانسة بخجله، وتذكر هواه ويوم نواه حتى خفنا حلول أجله، جذبنا للموانسة زمامه، واستقينا منها غمامه، فأمتع وأحسب، ونظر ونسب، وتكلم في المسائل، وحضر بطرف الأبيات وعيون الرسائل، حتى نشر الصباح رايته، وأطلع النهار آيته.

ومما أنشدنا ونسب لنفسه: [الوافر]

غرامى فيك جلّ عن القياس وقد أسقيتني بكل كاس
ولا أنسى هواك ولو جفاني عليك أقاربي طرا وناسي
ولا أدري لنفسى من كمال سوى أنى لعهدك غير ناس
وقال في غرض معروف: [الطويل]

بعثت بخمر فيه ماء وإنما بعثت بماء فيه رائحة الخمر

فقلّ عليه الشكر إذ قلّ سكرنا فنحن بلا سكر وأنت بلا شكر

ومما خاطبني به: [البسيط]

رحماك بى فلقد خلّدت فى خلدى هوى أكابد منه حرّة الكبد

حللت عقد سلوى فى فؤادى إذ حللت منه محلّ الروح فى جسدى

مرآك بدرى وذكراك التذاذ فمى ودين حبك إضمارى ومعتدى

ومن جمالك نور لاح فى بصرى ومن ودادك روح حلّ فى خلدى

لا تحسبن فؤادى عنك مصطبرا فقبل حبك كان الصبر طوع يدي

وهاك جسمى قد أودى النحول به فلو طلبت وجودا منه لم تجد

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٠ بما بطرفك من غنج و من حورو ما بثغرك من درّ و من برد

كن بين طرفى و قلبى منصفاً فلقد حابيت بعضهما فاعدل و لا تحد

فقال لى قد جعلت القلب لى وطناو قد قضيت على الأجفان بالشهد

و كيف تطلب عدلا و الهوى حكم و حكمه قطّ لم يعدل على أحد

من لى بأغيد لا يرثى إلى شجن و ليس يعرف ما يلقاه ذو كمد

ما كنت من قبل إذعانى لصولته إخال أن الرّشا يسطو على الأسد

إن جاد بالوعد لم تصدق مواعده فإن قنعت بزور الوعد لم يعد

شكوته علّتى منه فقال: ألا سر للطبيب فما برء الضنى بيدي

فقلت: إن شئت برئى أو شفا ألمى فبارتشاف لماك الكوثرى جد

و إن بخلت فلى مولى وجود على ضعفى و يبرئ ما أضنيت من جسدى

و خرج إلى المدح فأطال.

المقرئون و العلماء - الأصيلون منهم

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى ابن عبد الرحمن بن يوسف بن جزى الكلبى

يكنى أبا القاسم، من أهل غرناطة و ذوى الأصالة و النباهة فيها، شيخنا رحمه الله عليه.

أوليته: أصل سلفه من ولبة من حصون البراجلة، نزل بها أولهم عند

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١١

الفتح صحبة قريبهم أبى الخطار حسام بن ضرار الكلبي، و عند خلع دعوة المرابطين، و كانت لجدهم بجيان رئاسة و انفراد بالتدبير. حاله: كان، رحمه الله، على طريقة مثلى من العكوف على العلم، و الاقتصاد على الاقتيات من حرّ النَّشْب، و الاشتغال بالنظر و التقييد و التدوين، فقيها، حافظا، قائما على التدريس، مشاركا فى فنون من العربية، و الفقه، و الأصول، و القراءات، و الحديث، و الأدب، حفظة للتفسير، مستوعبا للأقوال، جماعة للكتب، ملوكى الخزائن، حسن المجلس، ممتع المحاضرة، قريب الغور، صحيح الباطن. تقدّم خطيبا بالمسجد الأعظم من بلده على حدائه سنّه، فاتفق على فضله، و جرى على سنن أصالته.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبى جعفر بن الزبير، و أخذ عنه العربية و الفقه و الحديث و القرآن. و روى عن أبى الحسن بن مستقور. و قرأ القرآن على الأستاذ المقرئ الزاوية المكثّر أبى عبد الله بن الكماد، و لازم الخطيب أبى عبد الله بن رشيد، و سمع على الشيخ الوزير أبى محمد عبد الله بن أحمد ابن المؤذن، و على الراوية المسن أبى الوليد الحضرمى. يروى عن سهل بن مالك و طبقته. و روى عن الشيخ الزاوية أبى زكريا البرشاني، و عن الزاوية الخطيب أبى عبد الله محمّد بن محمّد بن على الأنصارى، و القاضى أبى المجد بن أبى على بن أبى الأحوص، و القاضى أبى عبد الله بن برطال، و الشيخ الوزير ابن أبى عامر بن ربيع، و الخطيب الولي أبى عبد الله الطنجالى، و الأستاذ النظّار المتفّن أبى القاسم قاسم بن عبد الله بن الشّاط. و ألف الكثير فى فنون شتى.

توآليفه: منها كتاب «وسيلة المسلم فى تهذيب صحيح مسلم» و كتاب «الأنوار السنية فى الكلمات السنية» و كتاب «الدعوات و الأذكار، المخرجة من صحيح

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٢

الأخبار» و كتاب «القوانين الفقهية، فى تلخيص مذهب المالكية» و «التنبيه على مذهب الشافعية و الحنفية و الحنبليّة» و كتاب «تقريب الوصول إلى علم الأصول» و كتاب «النور المبين، فى قواعد عقائد الدين» و كتاب «المختصر البارع، فى قراءة نافع» و كتاب «أصول القراء الستة غير نافع»، و كتاب «الفوائد العامة، فى لحن العامة»، إلى غير ذلك مما قيده فى التفسير و القراءات و غير ذلك. و له فهرسة كبيرة اشتملت على جملة من أهل المشرق و المغرب.

شعره: قال فى الأبيات الغيتية ذاهبا مذهب الجماعة كأبى العلاء المعرى، و الرئيس أبى المظفر، و أبى الطاهر السيلفى، و أبى الحجاج ابن الشيخ، و أبى الربيع بن سالم، و أبى على بن أبى الأحوص، و غيرهم، كلهم نظم فى ذلك:

[الطويل]

لكلّ بنى الدنيا مراد و مقصد و إنّ مرادى صحّة و فراغ

لأبلغ فى علم الشريعة مبلغا يكون به لى للجنان بلاغ

و فى مثل هذا فلينافس أولو النهى و حسبى من الدنيا الغرور بلاغ

فما الفوز إلّا فى نعيم مؤبّده العيش رغد و الشّراب يساغ

و قال فى الجناب النبوى: [الطويل]

أروم امتداح المصطفى و يردّنى قصورى عن إدراك تلك المناقب

و من لى بحصر البحر و البحر زاخر؟ و من لى بإحصاء الحصى و الكواكب

و لو أنّ أعضائى غدت ألسنا إذالما بلغت فى المدح بعض ما ربى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٣ و لو أنّ كلّ العالمين تألفوا على مدحه لم يبلغوا بعض واجب فأمسكت عنه هيبه و تأدّباو خوفا و إعظاما لأرفع جانب و ربّ سكوت كان فيه بلاغه و ربّ كلام فيه عتب لعاتب و قال، رحمه الله، مشفقا من ذنبه: [البسيط]

يا ربّ إنّ ذنوبى اليوم قد كثرت فما أطيق لها حصرا و لا عددا و ليس لى بعداب النار من قبل و لا أطيق لها صبيرا و لا جلدا فانظر إلهى إلى ضعفى و مسكنتى و لا تديقننى حرّ الجحيم غدا و قال فى مذهب الفخر: [الوافر]

و كم من صفحة كالشمس تبدو فيسلى حسنها قلب الحزين غضضت الطرف عن نظرى إليها محافظه على عرضى و دينى وفاته: فقد و هو يشحذ الناس و يحرضهم، و يثبت بصائرهم، يوم الكائنة بطريف، ضحوه يوم الاثنين السابع لجمادى الأولى عام أحد و أربعين و سبعمائه، تقبل الله شهادته. و عقبه ظاهر بين القضاء و الكتابه.

محمد بن أحمد بن فتوح بن شقرال اللخمي

شرقى الأصل، من سكان غرناطة، يكنى أبا عبد الله، و يعرف بالطرسونى.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٤

حاله: نقلت من خطّ شيخنا أبى البركات بن الحاج: أمتع الله به، كنى نفسه أبا عبد الرحمن، و دعى بها وقتا، و كوتب بها. و كان له ابن سمّه عبد الرحيم، فقلنا له: سمّه عبد الرحمن، ليعضد لك الكنية التى اخترت، فأبى. كان هذا الرجل قيما على النحو و القراءات و اللغه، مجيدا فى ذلك، محكما لما يأخذ فيه منه، و كانت لديه مشاركة فى الأصلين و المنطق، طمح إليها بفضل نباهته و ذكائه، و شعوره بمراتب العلوم، دون شيخ أرشده إلى ذلك. يجمع إلى ما ذكر خطّا بارعا، و ظرفا و فكاهاه، و سخا نفس، و جميل مشاركة لأصحابه بأقصى ما يستطيع. و كان صنّاع اليدىن يرسم بالذهب، و يسفر، و يحكم عمل التراكيب الطيبه. و على الجملة، فالرجل من أجلّ نبلاء عصره، الذين قلّ أمثالهم.

مشيخته: أخذ القراءات عن الشيخ الأستاذ أبى الحسن ابن أبى العيش، و به تفقه ببلده ألمريه. و قرأ على الأستاذ أبى جعفر بن الزبير، و الخطيب أبى جعفر بن الزيات، و الراويه أبى الحسن بن مستقور، و الولى أبى عبد الله الطنجالى، و صهره الخطيب أبى تمام غالب بن حسن بن سيدبونه، و الخطيب أبى الحسن القيجاطى، و الخطيب المحدث أبى عبد الله بن رشيد، و غيرهم.

شعره: من شعره قوله: [الطويل]

إذا قذفت بى حيثما شاءت النوى ففى كل شعب لى إليك طريق

و إن أنا لم أبصر محيّاك باسمافإنسان عيني فى الدموع غريق

فإن لم تصل كفى بكفكك و افايا فأسمال أحبابى للى فوق

محنته: أحظاه وزير الدولة أبو عبد الله بن المحروق، و اختصه، و رتب له بالحمراء جرايه، و قلّد نظره خزانه الكتب السلطانية. ثم فسد ما بينهما، فاتهمه ببراءات كانت تطرح بمذامه بمسجد البيازين، و ترصد ما فيها، فزعم أنه هو الذى طرحها بمحراب المسجد، فقبض عليه و اعتقل، ثم جلّاه إلى إفريقيا.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٥

وفاته: و لمّا بلغتة بإفريقيه وفاه مخيفه، كّر راجعا إلى الأندلس، فتوفى فى طريقه ببونّة، من بلاد العنّاب أو بأحوازها فى أواخر عام ثلاثين، أو أقرب من الأواخر و سبعمائة.

محمد بن جابر بن يحيى بن محمد بن ذى النون التغلبى

و يعرف بابن الرمالية، من أهل غرناطة، و يعرف خلفه الآن، ببني مرزبنة، و لهم أصالة و قدم و جده. حاله: فقيه، نبيه، نبيل، ذكى، عنده معرفة بالفقه و الأدب و العربية، حسن المشاركة و المحاضرة، حاضر الذهن، ذاكر لما قرأه. مشيخته: روى عن الإمام أبى بكر بن العربى. قال أبو القاسم الملاحى: و حدّثنى سنه أربع و ستمائة، قال: حدّثنى الإمام أبو بكر بن العربى، رضى الله عنه، قال: حدّثنى محمد بن عبد الملك السبتي، قال: خرجت مع أبى الفضل الجزيرى مشيعين لقافلة الحاجّ من بغداد، و مودعين لها من الغد، و حين أصبحنا أثيرت الجمال، و فرض الناس الرّحال، و نحن بموضع يعرف بجبّ عميرة، إذا بفتى شاحب اللّون، حسن الوجه، يشيع الرّواحل، راحلة بعد أخرى، حتى فنيت، و مشى الحاجّ، و هو يقول فى أثناء تردّده و نظره إليها: [الطويل] أ حجاج بيت الله، فى أىّ هودج و فى أىّ بيت من بيوتكم حبى؟ أ أبقى رهين القلب فى أرض غربته و حاديكم يحدو فؤادى مع الرّكب؟ فوا أسفا لم أقض منكم لباتى و لم أتمّع بالسلام و بالقرب و فزق بينى بالرّحيل و بينكم فيها أنذا أقضى على إثركم نحى يقولون هذا آخر العهد منكم فقلت و هذا آخر العهد من قلبى قال: فلمّا كمل الحاجّ المشى، و انقطع رجاؤه، و جعل يخطو هائما، و هو ينشد، ثم رمى بنفسه إلى الأرض و قال: [المديد] خلّ دمع العين ينهمل بان من تهواه و ارتحل أىّ دمع صانه كلف فهو يوم البين ينهمل الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٦ قال: ثم مال على الأرض، فبادرنا إليه فوجدناه ميتا، فحفرنا له لحدا، و غسّلناه و كفّناه فى رداء و صلّينا عليه، و دفّناه. وفاته: وفاة المترجم به سنه خمسين و ستمائة.

محمد بن محمد بن محمد بن بيش العبدرى

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، و يعرف بابن بيش . حاله: كان خيرا، منقبضا، عفا، متصاونا، مشتغلا بما يعنيه، مضطلعا بالعربية، عاكفا عمره على تحقيق اللّغة، مشاركا فى الطّب، متعيشا من التّجارة فى الكتب، أثرى منها، و حسنت حاله. و انتقل إلى سكنى سبتة، إلى أن حطت بها رسولا فى عام اثنتين و خمسين و سبعمائة، فاستدعيته و نقلته إلى بلده، فقعد للإقراء به إلى أن توفى. و جرى ذكره فى بعض الموضوعات الأدبية بما نصّه: معلّم مدرّب، مسهل مقرب، له فى صنعة العربية باع مديد، و فى هدفها سهم سديد، و مشاركة فى الأدب لا يفارقها تسديد، خاصى المنازع مختصرها، مرتّب الأحوال مقرّرها، تميّز لأول وقته بالتّجارة فى الكتب فسلّطت عليها منه أرضه آكلة، و سهم أصاب من رميتها شاكلة، أترب بسببها و أثرى، و أغنى جهة و أفقر أخرى، و انتقل لهذا العهد الأخير إلى سكنى غرناطة مسقط رأسه، و منبت غرسه، و جرت عليه جراية من أحباسها، و وقع عليه قبول من ناسها، و بها تلاحق به

الحمام، فكان من ترابها البدايةً وإليه التمام. وله شعر لم يقصر فيه عن المدى، وأدب توشح بالإجادة وارتدى. مشيخته: قرأ على شيخ الجماعة ببلده أبي جعفر بن الزبير، و على الخطيب أبي عبد الله بن رشيد، و الوزير أبي محمد بن المؤذن المرادى، و الأستاذ عبد الله بن الكماد، و سمع على الوزير المسنّ أبي محمد عبد المنعم بن سماك. و قرأ بسبته على الأستاذ أبي إسحاق الغافقي.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٧

شعره: أنشدني بدار الصيّاعة السلطانية من سبته تاسع جمادى الأولى من عام اثنين و خمسين المذكور، عند توجّهي في غرض الرسالة إلى السلطان ملك المغرب، قوله يجيب عن الأبيات المشهورة، التي أكثر فيها الناس و هي: [مخلع البسيط]

يا ساكنا قلبي المعنى و ليس فيه سواك ثان

لأى معنى كسرت قلبي و ما التقى فيه ساكنا؟

فقال: [مخلع البسيط]

نحلتني طائعا فؤادافصار إذ حزته مكاني

لا غرو إذ كان لى مضافائى على الكسر فيه باني

و قال يخاطب أبا العباس عميد سبته، أعزه الله، و هي ممّا أنشدنيه فيه التاريخ المذكور، و قد أهدى إليه أقلاما: [الطويل]

أنا ملك الغرّ التي سيب جودها يفيض كفيض المزن بالصيّب القطر

أتنى منها تحفة مثل حدّها إذا انتضيت كانت كمرهفة السمر

هي الصفر لكن تعلم البيض أنها محكمه فيها على التّنع و الضّر

مهذبة الأوصال ممشوقة كما تصاغ سهام الرّمي من خالص التّبر

فقبلتها عشرا و مثلت أننى ظفرت بلثم فى أنا ملك العشر

و أنشدنى فى التاريخ المذكور فى ترتيب حروف الصحاح قوله: [الطويل]

أ ساجعة بالواديين تبوّئى ثمارا جنتها حاليات خواضب

دعى ذكر روض زاره سقى شربه صباح ضحى طير ظماء عصائب

غرام فؤادى قاذف كلّ ليلة متى ما نأى وهنا هواه يراقب

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٨

و من مطولاته ما رفعه على يدى السلطان و هو قوله: [الوافر]

ديار خطّها مجد قديم و شاد بناءها شرف صميم

و حلّ جنابها الأعلى علاء يقصر عنه رضوى أو شميم

سقى نجدا بها و هضاب نجد عهدا ثرة و حيا عميم

و لا عدت ربا رباب مزن يغادى روضهنّ و يستديم

فيصبح زهرها يحكى شذاه فتيت المسك يذكيه التّسيم

و تنشره الصّبا فتريك درّانثرا خانه عقد نظيم

و ظلّت فى ظلال الأيك تشدو مطوّقة لها صوت رخيم

ترجع فى الغصون فنون سجع بالحان لها يصبو الحليم

أهيم بملتقى الوادى بنجدو ليس سواه فى واد أهيم

و كنت صرفت عنه النفس كرها و ما برحت على نجد تحوم
و ما ينفك لي و لها نزاع إلى مغنى به ملك كريم
له بيت سما فوق الثريا و عز لا يخيم و لا يريم
تبوأ من بنى نصر علاها و أنصار النبي له أروم
أفاض على الورى نيلا و عدلا سواء فيه مثر أو عديم
ملاذ للملوك إذا ألمت صروف الدهر أو خطب جسيم
تؤمله فتأمن في ذراه و تدنو من علاه فيستقيم
و يبدو في ندى الملك بدراتحف به الملوك و هم نجوم
بوجه يوسفى الحسن طلق يضىء بنوره الليل البهيم
و تلقاه العفاء له ابتسام و منه للعدى أخذ أليم

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٩ فيا شرف الملوك لك انقطاعى و إنى في محلکم خديم
و آمالى أملت إليك حتى و رددن على نداك و هن هيم
فلا ظمأ و وردك خير و ردمير ماؤه عذب جميم
و لا أضحى و فى مغناك ظل ظليل حين تحتم السوموم
ركبت البحر نحوك و المطايا تسير لها ذميل أو رسيم
و إن علاك إن عطفت بلحظعلى فذلك العز المقيم
فوا أسفى على عمر تقضى بدار ليس لى فيها حميم
سوى ثمر للفؤاد ذهبت عنه و بين جوانحى منه كلوم
و دون لقاءها عرض الفيافى و نجد موجه طود عظيم
لعل الله ينعم باجتماع و ينظم شملنا البر الرحيم
بقيت بغبطة و قرار عين بملك سعه أبدأ يدوم
كما دامت حلى الأنصار تتلى يشيد بذكرها الذكر الحكيم
عليك تحية عطر شذاها كعرف الرّوض جادته الغيوم
مولده: بغرناطة فى رجب ثمانين و ستمائة. و توفى عام ثلاثه و خمسين و سبعمائة، و دفن بباب البيرة، و تبعه من الناس ثناء حسن،
رحمه الله.

محمد بن محمد النمرى الصّير

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، و يعرفه بنسبه.
حاله: من عائد الصلة: كان حافظا للقرآن، طيب النعمة به، طرفا فى ذلك، من أهل المشاركة فى العلم، واعظا بليغا، أستاذا يقوم على
العربية قيام تحقيق، و يستحضر الشواهد من كتاب الله و خطب العرب و أشعارها، بعيد القرين فى ذلك، آخذا فى الأدب، حفظة
للأنشيد و المطولات، بقيته حسنة ممتعة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٠

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبى عبد الله بن الفخار الأركشى، و به تأذب، و لازمه كثيرا، فانتفع به.

شعره: مما صدر به رسالة لزوجته و هو نازح عنها ببعض البلاد. فقال:

[الطويل]

سلام كرشف الظل في مبسم الورد و سيل نسيم الريح بالقضب الملد
سلام كما ارتاح المشوق مبشراً برؤية من يهواه من دون ما وعد
سلام كما يرضى المحب حبيبه من الجد في الإخلاص و الصدق في الوعد
سلام و تكريم و برّ و رحمة بقدر مزيد الشوق أو منتهى الود
على ظيئه في الأنس مرتعها الحشافتأوى إليه لا لشيخ و لا رند
و من أطلع البدر التمام جبينها يرى تحت ليل من دجى الشعر مسود
و نعر أقاح زانه سمط لؤلؤ يجب به المرجان في أحكم التضد
يجول به سلسال راح معق حمته ظبا الألاحظ صونا عن الورد
فلله عينا من رأى بدر أسعد و روضة أزهار علت غصن القد
و بشرى لصب فاز منها بلمحة من القرب بشراه بمستكمل السعد
و أضحى هواها كامنا بين أضلعي كمنز خفي النار في باطن الزند
و راحت فراح الروح إثر رحيلها و ودعت صبرى حين ودّعها كبدى
و صارت لى الأيام تبدو ليالياو قد كان ليل الوصل صباحا بها يبدى
فساعاتها كالدهر طولا و طالما حكى الدهر ساعات بها قصرا عندي
و منها:

ترى قلبها هل هام منى بمثل ماقلبي من الحب الملازم و الوجد؟

و هل هى ترعى ذمتى و مودتى كما أنا أرهاها على القرب و البعد؟

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢١ إليك خطابى و الحديث لغائب كنيته بلفظى عن مغيبك بالعمد

عليك سلامى إننى متشوق للقياك لى أو من جوابك بالرد

وفاته: توفى بغرناطة تحت جريئه من أمرائها؛ لاختصاصه بقراءة القرآن على قبورهم، فى التاسع عشر من شعبان عام ستّه و ثلاثين و سبعمائة.

محمد بن عبد الولي الزعيني

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، و يعرف بالعواد.

حاله: من «عائد الصلة»: الشيخ المكتب، الأستاذ الصالح، سابق الميدان، و علم أعلام القرآن، فى إتقان تجويده، و المعرفة بطرق روايته، و الاضطلاع بفنونه، لا- يشق غباره، و لا- يتعاطى طلقه، و لا- تأتى الأيام بمثله، تستقصر بين يديه مدارك الأعلام، و تظهر سقطات الأئمة، مهتديا إلى مكان الحجج على المسائل، مصروف عنان الأشغال إليه، مستندا إلى نعمة رحيمة، و إتقان غير متكلف، و حفظ غزير.

و طلب إلى التصدر للإقراء، فأبى لشدة انقباضه، فبتهت بالباب السلطاني على وجوب نصبه للناس، فكان ذلك فى شهر شعبان من عام وفاته، فانتفع به، و كان أدب الناس على سنّه، و أزمهم لميقات ورد، يجعل جيرانه حركته إلى ذلك ليلا، ميقاتا لا يختلف و لا يكذب، فى ترحيل الليل، شديد الطرب، مليح الترتيب، لا تمرّ به ساعة ضياعا إلّا و قد عمرها بشأن دينى أو دنيوى ضرورى مما

يسوّغه الورع.

يلازم المكتب ناصح التعليم، مسوّيا بين أبناء النعم، و حلفاء الحاجة، شامخ الأنف على أهل الدنيا، تغصّ السيّكك عند ترنّمه بالقرآن، مساوقا لتلاوة التجويد، و مباشرة أيام الأخمسة و الأثنين العمل في موئل كان له، على طريقة القدماء من الإخشيشان عند المهن و نقل آلة الخدمة، غير مفارق للظرف و الخصوصية. و يقرأ أيام الجمع ككتب الوعظ و الرقائق على أهله، فيصغى إليه الجيران عادة لا تختلف. و كان له لكل عمل ثوب، و لكل مهنة زى، ما رأيت أحسن ترتيبا منه. و هو أستاذى و جارى الألق، لم أتعلّم الكتاب العزيز إلّا في مكتبه، رحمه الله عليه.

مشيخته: قرأ على بقیة المقرئين الأستاذ أبى جعفر بن الزبير، و لازمه و انتفع به، و على الأستاذ أبى جعفر الجزيرى الضيرى، و أخذ عن الخطيب المحدث أبى عبد الله بن رشيد.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٢

مولده: فى حدود عام ثمانين و ستمائة.

وفاته: توفى رحمه الله عليه فى ... الموفى ثلاثين لذى قعدة من عام خمسين و سبعمائة.

محمد بن على بن أحمد الخولانى

يكنى أبا عبد الله، أصله من مجلقر، و يعرف بابن الفخار و بالبيري، شيخنا رحمه الله.

حاله: من «عائد الصلة»: أستاذ الجماعة، و علم الصناعة، و سيبويه العصر، و آخر الطبقة من أهل هذا الفن. كان، رحمه الله، فاضلا، تقيا، منقبضا، عاكفا على العلم، ملازما للتدريس، إمام الأئمة من غير مدافع، مبرزاً أمام أعلام البصريين من النحاة، منتشر الذكر، بعيد الصييت، عظيم الشهرة، مستبحر الحفظ، يتفجر بالعربية تفجر البحر، و يسترسل استرسال القطر، قد خالطت دمه و لحمه، لا يشكل عليه منها مشكل، و لا يعوزه توجيه، و لا تشد عنه حجة. جدّد بالأندلس ما كان قد درس من لسان العرب، من لدن وفاة أبى على الشلوبين، مقيم السوق على عهده. و كانت له مشاركة فى غير صناعة العربية من قراءات وفقه، و عروض، و تفسير. و تقدم خطيبا بالجامع الأعظم، و قعد للتدريس بالمدرسة النصرية، و قلّ فى الأندلس من لم يأخذ عنه من الطلبة. و استعمل فى السفارة إلى العدو، مع مثله من الفقهاء، فكانت له حيث حلّ الشهرة و عليه الازدحام و الغاشية، و خرّج، و درّب، و أقرأ، و أجاز، لا- يأخذ على ذلك أجرا و خصوصا فيما دون البداية، إلّا الجراية المعروفة، مقتصدا فى أحواله، و قورا، مفرط الطول، نحيفا، سريع الخطو، قليل الالتفات و التعرّيج، متوسط الزى، متبذلا فى معالجة ما يتملكه بخارج البلد، قليل الدهاء و التصنّع، غريب التزعة، جامعا بين الحرص و القناعة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٣

مشيخته: قرأ بسبته على الشيخ الإمام أبى إسحاق الغافقى، و لازمه كثيرا، و أخذ عنه، و أكثر عليه. و قرأ على الإمام الصالح أبى عبد الله بن حريث، و المقرئ الشريف الفاضل أبى العباس الحسنى، و الشيخ الأستاذ النظّار أبى القاسم بن الشاط، و أخذ عن الخطيب المحدث أبى عبد الله بن رشيد، و القاضى أبى عبد الله بن القرطبي و غيرهم. و هو أستاذى، قرأت عليه القرآن، و كتابى الجمل و الإيضاح، و حضرت عليه دولا من الكتاب، و لازمته مدة، و عاشرتة، و توجه صحبتي فى الرسالة إلى المغرب.

وفاته: توفى بغرناطة ليلة الاثنين الثانى عشر من رجب عام أربعة و خمسين و سبعمائة، و كانت جنازته حافلة. و خدمت قرائح الآخذين عنه، ممن يدلى دلو أدب، فيأتى بماء أو حمأة، على كثرتهم، تقصيرا عن الحق، و قدحا فى نسب الوفاء، إلّا ما كان من بعض من تأخر أخذه عنه، و هو محمد بن عبد الله اللوشى، فإنه قال: و عين هذه الأبيات قرارها: [الطويل]

و يوم نعى الناعى شهاب المحامد تغيرت الدنيا لمصرع واحد

فلا عذر للعينين إن لم تسامحا بدمع يحاكي الويل يشفى لواجد

مضى من بنى الفخار أفضل ماجد جميل المساعي للعلاج جد شاهد

طواه الردى ما كل حتى يهابه و ما ورده عارا يشين لوارد

لقد غيبت منه المكارم فى الثرى غداة ثوى و انسد باب الفوائد

فيا حاملى أعواده، ما علمتم بسؤدده الجم الكريم المحاتد؟

و يا حفرة خطت له اليوم مضجعا، سقتك الغواذى الصادقات الزواعد

ألا يا حمام الأيك ساعدن بالبكا على علم الدنيا و زين المشاهد

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٤ على أن لو اسطعت الفداء فديته بأنفس مال من طريف و تالد

محمد، ما النعمى لموتك غضة تروق و لا ماء الحياة ببارد

و كيف و باب العلم بعدك مغلق و مورده المتروك بين الموارد

أستاذنا كنت الرجاء لآمل فأصبحت مهجور الفناء لقاصد

فلا تبعدن شيخ المعارف و الحجا أليس الذى تحت التراب بباعد؟

لتبك العلوم بعدك اليوم شجوها و يقفر لها ريع العلا و المعاهد

لييك عليك الجود و الدين و التقى و حسب البكا أن صرت ملحود لاحد

أمولاي، من للمشكلات بينها فيجلى عمى كل القلوب الشواهد

و من ذا يحل المقفلات صعباها؟ و من ذا الذى يهدى السبيل لحائد

فيا راحلا عنا فزنا لفقدته لقد أونست منك القبور بوافد

و يا كوكبا غال النهار ضياءه و شيكا، و هل هذا الزمان بخالد؟

سأبكيك ما لاحت بروق لشائم و أركاك ما كان الغمام بعائد

عليك سلام الله ما دامت الصباتهت بغصن فى الأراكة مائد

قلت : العجب من الشيخ ابن الخطيب، كيف قال: و خمدت قرائح الآخذين عنه، و هو من أجل من أخذ عنه، حسبما قرره آنفا، بل

أخص من ذلك المعاشرة

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٥

و السفارة للعدوة. و هو مع ذلك أقدرهم على هذا الشأن، و أسخاهم قريحه فى هذا الميدان، و إن أتى غيره بماء أو حماء، أتى هو

بالبحر الذى لا ساحل له. و لعمري لو قام هو بما يجب من ذلك، لزال القدح فى نسب و فاء الغير، فعين ما نسبه من التقصير عن الحق

فى ذلك، متوجه عليه، و لا حق له، و لا يبعد عنده أن يكون وقع بينهما ما أوجب إعراضه مما يقع فى الأزمان، و لا سيما من أهل هذ

الشان، فيكون ذلك سببا فى إعراض الغير مشيا فى غرضه، و مساعدة له. و الله أعلم بحقيقة ذلك كله.

محمد بن على بن محمد البنسى

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: طالب هتس، حسن اللقاء، عفيف النشأة، مكب على العلم، حريص على استفادته، مع زمانه أصابت يمنى يديه، نفعه الله. قيد

بأختها و انتسخ، قائم على العربية و البيان، ذاكر الكثير من المسائل، حافظ متقن، على نزعة عربية من التجاذع فى المشى و قلة الالتفات

إلا بجملته، و جمهورية الصوت، متحل بسداجه، حسن الإلقاء و التقرير، مت للتعلم على الدولة بضع أفاده جاها و استعمالا فى خطه

السوق، ثم اصطناعا فى الرسالة إلى ملك المغرب، جر عليه آخرا النكبة، و قاد المحنة، فأرصد له السلطان أبو عبد الله فى أخرياتهما

رجالا بعثهم في رندة، فأسروه في طريقه، و قدموا به سليبا قدوم الشهرة و المثلة، موقنا بالقتل. ثم عطف عليه حيننا إلى حسن تلاوته في محبسه ليلا، فانتاشه لذلك من هفوة بعيدة و نكبة مبيرة. و لما عاد لملكه، أعاده للإقراء.

مشيخته: جل انتفاعه بشيخ الجماعة أبي عبد الله بن الفخار، لازمه و انتفع به، و أعاد دول تدريسه، و قرأ على غيره. و ألف كتابا في تفسير القرآن، متعدد الأسفار، و استدرك على السهيلي في أعلام القرآن كتابا نبيلًا، رفعه على يدي للسلطان. و هو من فضلاء جنسه، أعانه الله و سدده.

محمد بن سعد بن محمد بن لب بن حسن بن حسن ابن عبد الرحمن بن بقي

يكنى أبا عبد الله، و يعرف باسم جدّه.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٦

أوليته: كان القاضي العدل أبو عبد الله بن هشام، قاضي الجماعة بالأندلس، يجلس سلفه، و ينسبه إلى بقي بن مخلد، قاضي الخلافة بقرطبة، و ابن هشام ممن يحتج به.

حاله: هذا الرجل فاضل، حسن الخلق، جميل العشرة، كريم الصحبة، مبذول المشاركة، معروف الذكاء و العفة، مبسوط الكنف مع الانقباض، فكه مع الحشمة، تسع الطوائف أكناف خلقه، و يعم المتضادين رحب ذرعه، طالب محصل، حصيف العقل، حسن المشاركة في فنون؛ من فقه، و قراءات، و نحو، و غير ذلك. تكلم للناس بجامع الرّبض ثم بمسجد البكري المجاور للزاوية و التربة اللتين أقمتهما بأخبارش من داخل الحضرة، و حلق به لتعليم العلم، فاثال عليه المتعلم و المستفيد و السامع، لإجادة بيانه، و حسن تفهيمه.

مشيخته: قرأ القرآن بجرف نافع، على أبيه، و على الشيخ الخطيب المكتب أبي عبد الله بن طرفه، و الخطيب أبي عبد الله بن عامور. و قرأ العربية على إمام الجماعة الأستاذ أبي عبد الله بن الفخار، و جود عليه القرآن بالقراءات السبع، و قرأ على الأستاذ أبي سعيد بن لب. شعره: أنشدني من ذلك قوله بعد الانصراف من مواراة جنازة: [الرمل]

كم أرى مدمن لهو و دعه لست أخلى ساعه من تبعه
كان لي عذر لدى عهد الصباو أنا آمل في العمر سعه
أو ما يوقظنا من كلنا أنفا لقبره قد شيعة
سيما إذ قد بدا في مفرقي ما إخال الموت قد جاء معه
فدعوني ساعة أبكى على عمر أمسيت ممن ضييعه
و من شعره في النوم، و هو كثيرا ما يطرقه: [الوافر]

أباد البين أجناد التلاقي و حالت بيننا خيل الفراق
فجودوا و ارحموا و ارثوا و رقواعلى من جفنه سكب المآقى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٧

و من ذلك ما أنشد في التوم على لسان رجل من أصحابه: [مخلع البسيط] الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ٣؛ ص ٢٧

يا صاحبى، قفا المطاياو أشفقا فالعبيد عبده
إذا انتهى و انقضى زمان هل يرسل الله من يرده؟
مولده: في الثاني عشر لصفر من عام اثنين و عشرين و سبعمائة.

محمد بن سعيد بن علي بن يوسف الأنصاري

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، و يعرف بالطراز.

حاله: من صلة ابن الزبير: كان، رحمه الله، مقرئاً جليلاً، ومحدثاً حافلاً، به ختم بالمغرب هذا الباب البتة. وكان ضابطاً متقناً، ومقيداً حافلاً بارع الخط، حسن الوراق، عارفاً بالأسانيد والطرق والرجال وطبقاتهم، مقرئاً، عارفاً بالأسانيد والقراءات، ماهراً في صناعة التجويد، مشاركاً في علم العربية والفقه الأصول وغير ذلك، كاتباً نبيلاً، مجموعاً فاضلاً متخلفاً، ثقة فيما روى، عدلاً ممن يرجع إليه فيما قيد و ضبط، لإتقانه و حذقه. كتب بخطه كثيراً، و ترك أمهات حديثية، اعتمدها الناس بعده، و عولوا عليها. و تجرد آخر عمره، إلى كتاب «مشارك الأنوار» تأليف القاضي أبي الفضل عياض، و كان قد تركه في مبيضة، في أنهي درجات النسخ و الإدماج و الإشكال و إهمال الحروف حتى احترمت منفعتها، حتى استوفى ما نقل منه المؤلف، و جمع عليها أصولاً حافلة و أمهات جامعة من الأغرية و كتب اللغة، فتخلص الكتاب على أتم وجه و أحسنه، و كمل من غير أن يسقط منه حرف و لا كلمة. و الكتاب في ذاته لم يؤلف مثله.

مشيخته: روى عن القاضي أبي القاسم بن سمحون، و القاضي ابن الطباع، و عن أبي جعفر بن شراحيل، و أبي عبد الله بن صاحب الأحكام و المتكلم، و أبي محمد بن عبد الصمد بن أبي رجا، و أبي القاسم الملاحى، و أبي محمد الكوَّاب و غيرهم، أخذ عن هؤلاء كلهم ببلده، و بقرطبة عن جماعة، و بمالقة كذلك، و بسبته. و بإشبيلية عن أبي الحسن بن زرقون، و ابن عبد النور. و بفاس و بمرسية عن جماعة.

قلت: هذه الترجمة في الأصل المختصر منه هذا طويله، و اختصرتها لطولها.

وفاته: توفي بغرناطة ثالث شوال عام خمسة و أربعين و ستمائة، و كانت جنازته من أحفل جنازة، إذ كان الله قد وضع له ودّاً في قلوب المؤمنين.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٨

محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزي

من أهل غرناطة، يكنى أبا حيان، و يلقب من الألقاب المشرقية بأثير الدين.

حاله: كان نسيح وحده في ثقبو الذهن، و صحّة الإدراك و الحفظ، و الاضطلاع بعلم العربية، و التفسير و طريق الرواية، إمام النحاة في زمانه غير مدافع، نشأ ببلده غرناطة، مشاراً إليه في التبريز بميدان الإدراك، و تغيير السوابق في مضممار التحصيل. و نالته نبوة لحق بسببها بالمشرق، و استقرّ بمصر، فنال ما شاء من عزّ و شهرة، و تأثّل وبرّ و حظوة، و أضحى لمن حلّ بساحته من المغاربة ملجأ و عدّة. و كان شديد البسط، مهيباً، جهورياً، مع الدعابة و الغزل، و طرح السيمت، شاعراً مكثراً، مليح الحديث، لا يملّ و إن أطال، و أسنّ جدّاً، و انتفع به. قال بعض أصحابنا: دخلت عليه، و هو يتوضّأ، و قد استقرّ على إحدى رجله لغسل الأخرى، كما تفعل البرك و الإوزّ، فقال: لو كنت اليوم جار شلير، ما تركنى لهذا العمل في هذا السن.

مشيخته: قرأ ببلده على الأستاذ حائر الرياسة أبي جعفر بن الزبير و لازمه، و انتسب إليه، و انتفع به، و شاد له بالمشرق ذكراً كبيراً. و يقال إنه نادى في الناس عندما بلغه نعيه، و صلّى عليه بالقاهرة، و له إليه مخاطبات أدبية اختصرتها، و على الأستاذ الخطيب أبي جعفر على بن محمد الرعيني الطباع، و الخطيب الصالح وليّ الله أبي الحسن فضل بن محمد بن علي بن إبراهيم بن فضيلة المعافري. و روى عن القاضي المحدث أبي علي الحسين بن عبد العزيز بن أبي الأحوص الفهري،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٩

والمكتب أبي سهل اليسر بن عبد الله بن محمد بن خلف بن اليسر القشيري، والأستاذ أبي الحسن بن الصايغ، والأديب الكاتب أبي محمد عبد الله بن هارون الطائي بتونس، وعلی المسند صفی الدین أبي محمد عبد الوهاب بن حسن بن إسماعيل بن مظفر بن الفرات الحسنی بالإسكندرية، والمسند الأصولی وجیه الدین أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عمران الأنصاري بالثغر، والمحدث نجيب الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الهمداني بالقاهرة، وغيرهم ممن يشق إحصارهم، كالإمام بهاء الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر بن النحاس الشافعي. قرأ عليه جميع كتاب سيبويه في سنة ثمان وثمانين وستمائة، وقال له عند ختمه: لم يقرأه على أحد غيره.

توآلفه: و توآلفه كثيرة، منها شرحه كتاب «تسهيل الفوائد لابن مالك». و هو بديع، و قد وقفت على بعضه بغرناطة في عام سبعة و خمسين و سبعمائة. و كتابه في تفسير الكتاب العزيز، و هو المسمى ب «البحر المحيط» تسمية، زعموا، موافقة للغرض.

و ألف كتابا في نحو اللسان التركي، حدثنا عنه الجملة الكثيرة من أصحابنا، كالحاج أبي يزيد خالد بن عيسى، و المقرئ الخطيب أبي جعفر الشقوري، و الشريف أبي عبد الله بن راجح، و شيخنا الخطيب أبي عبد الله بن مرزوق. و قال: حدثنا شيخنا أثير الدين في الجملة سنة خمس و ثلاثين و سبعمائة بالمدرسة الصالحة بين القصرين بمنزلة منها. قال: حدثنا الأستاذ العلامة المتفنن أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير، سماعا من لفظه، و كتبنا من خطه بغرناطة، عن الكاتب أبي إسحاق بن عامر الهمداني الطوسي بفتح الطاء، حدثنا أبو عبد الله بن محمد العنسي القرطبي، و هو آخر من حدث عنه، أخبرنا أبو علي الحسن بن محمد الحافظ الجبائي، أنبأنا حكم بن محمد، أنبأنا أبو بكر بن المهندس، أنبأنا عبد الله بن محمد، أنبأنا طلوت بن عياد بن بصال بن جعفر، سمعت أبا أمامة الباهلي يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم، يقول: اكفلوا لي بست أكفل لكم في

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٠

الجنة، إذا حدث أحدكم بلا كذب، و إذا ائتمن فلا يخن، و إذا وعد فلا يخلف.

غصوا أبصاركم، و كفوا أيديكم، و احفظوا فروجكم.

و قال: أنشدنا الخطيب أبو جعفر الطباع، قال: أنشدنا ابن خلفون، قال: أنشدنا أبو عبد الله محمد بن سعيد، قال: أنشدنا أبو عمران موسى بن أبي تليد لنفسه:

[المنسرح]

حالي مع الدهر في تقلبه كطائر ضمّ رجله الشرك

فهّمه في خلاص مهجته يروم تخليصها فيشتبك

و من ملحه: قال: قدم علينا الشيخ المحدث أبو العلاء محمد بن أبي بكر البخاري الفرضي بالقاهرة في طلب الحديث، و كان رجلا حسنا طيب الأخلاق، لطيف المزاج، فكنا نسايره في طلب الحديث، فإذا رأى صورة حسنة قال: هذا حديث على شرط البخاري، فنظمت هذه الأبيات: [الطويل]

بدا كهلال العيد وقت طلوعه و ماس كغصن الخيزران المنعم

غزال رقيم الدلّ وافي مواصلا موافقة منه على رغم لوم

مليح غريب الحسن أصبح معلما بحمرة خدّ بالمحاسن معلم

و قالوا: على شرط البخاريّ قد أتى فقلنا: على شرط البخاريّ و مسلم

فقال البخاري: فمن هو مسلم؟ فقلت له: أنت البخاري و مسلم

محنته: حملته حدة الشبية على التعريض للأستاذ أبي جعفر الطباع، و قد وقعت بينه و بين أستاذه ابن الزبير الوحشة فنال منه، و تصدّى للتأليف في الرد عليه، و تكذيب روايته، فرفع أمره إلى السلطان، فامتعض له، و نفذ الأمر بتكليه، فاخفى، ثم أجاز البحر مختفيا، و

لحق بالمشرق يلتفت خلفه.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣١

شعره: و شعره كثير بحيث يتصف بالإجادة و ضدّها. فمن مطوّلاته، رحمه الله، قوله: [البسيط]

لا تعذلاه فما ذو الحبّ معذول العقل مختبل و القلب متبول
هزّت له أسمرًا من خوط قامتها فما اتنى الصّبّ إلّا و هو مقتول
جميلة فصل الحسن البديع لها فكم لها جمل منه و تفصيل
فالتحر مرمره و النّشر عنبره و الثّغر جوهره و الرّيق معسول
و الطّرف ذو غنج و العرف ذو أرج و الخصر مختطف، و العنق مجدول
هيفاء ينبس في الخصر الوشاح لهادرماء تخرس في الساق الخلاخيل
من اللواتي غداهنّ النّعيم فما يشقن، آباؤها الصّيد البهاليل
نزر الكلام غمّيات الجواب إذا يسلمن بعد الصّحاح حصر مكاسيل
من حليها و سناها مونس و هدى فليس يلحقها دعر و تضليل
حلّت بمنعقد الزّوراء زارة شوسا غيارى فعقد الصّبر محلول
فصدّ عن ذكر ليلي إنّ ذكراها على التّنائى لتعذيب و تعليل
أتاك منك نذير فأندرن به و بادر التّوب إنّ التّوب مقبول
و أمل العفو و اسلك مهمها قدفا إلى رضى الله إنّ العفو مأمول
إنّ الجهاد و حجّ البيت مختتما بزورة المصطفى للعفو تأميل
فشقّ حيزوم هذا الليل ممتطيا أخا حرام به قد يبلغ السّول
أقبّ أعوج يعزى للوجيه له وجه أغرّ و فى الرجلين تحجيل
جفر حوافره، معر قوائمه ضمّر أياطله، و للذيل عثكول

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٢ إذا توجه أصغى و هو ملتفت مساعر أعتقا فيهنّ تأليل

و إن تعارض به هوجاء هاج له جرى يرى البرق عنه و هو مخذول
يحمى به حوزة الإسلام ملتقيا كتابا غصّ منها العرض و الطّول
كتائبًا قد عموا عن كل واضحة من الكتاب و غرّتهم أباطيل
فى ما قط ضرب الموت الزّوام به سرادقا فعليهم منه تخيل
هيجاء يشرف فيها المشرفى على هام العدو و يصحى التّنع تضليل
تدير كأس شعوب فى شعوبهم فكلّهم منهل بالموت معلول
و إذ قضيت غزاة فالتفت عملا للحجّ فالحجّ للإسلام تكميل
واصل بسرّ معدّ يا ابن أندلس و الطّرف أدهم بالأشطان مغلول
يلاطم الريح منه أبيض نفق له من السحب المزيد إكليل
يعلو حضارين منه شامخ جلال سام طفا و هو بالنكباء محمول
كأنّما هو فى طخياء لجنّه أيم يعرو أديم السّيل شمليل
ما زالت الموج تعلية و تخفضه حتّى بدا من منار الثّغر قنديل

و كبر الناس أعلاه الرنيم و كلهم طرفه بالشهد مكحول
و صافحوا البيد بعد اليم و ابتدروا سبلا بها لجناب الله توصيل
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٣ على نجائب تتلوه أجنابها خيل بها الخير معقود و معقول
في موكب تزحف الأرض الفضاء به أضحت و موحشها بالناس مأمول
يطارد الوحش منه فيلق لجب حتى لقد ذعرت في بيدها الغول
سيوفهم طرب نحو الحجاز فهم ذوو ارتياح على أكوارها ميل
شعث رؤوسهم، يبس شفاههم خوص عيونهم، غرب مهازيل
حتى إذا لاح من بيت الإله لهم نور إذا هم على الغبرا أراحيل
يعفرون وجوها طالما سمّت باكين حتى أديم الأرض مبلول
حقوا بكعبه مولا هم فكعبهم عال بها لهم طوف و تقبيل
و بالصفا وقتهم صاف بسعيهم و في منى لمناهم كان تنويل
تعرفوا عرفات واقفين بهالهم إلى الله تكبير و تهليل
لما قضينا من الغراء منكسنا ثرنا و كل بنار الشوق مشمول
شدنا إلى الشدقميات التي سكنت أبدانهم و أفناهم تنقيل
إلى الرسول تزجي كل تعلمه أجل من نجوة تزجي المراسيل
من أنزلت فيه آيات مطهرة و أورثت فيه تورا و إنجيل
و عطرت من شذاه كل ناحية كأنما المسك في الأرجاء محلول
سر من العالم العلوي ضمّنه جسم من الجوهر الأرضي محمول
نور تمثّل في أبصارنا بشراعلى الملائك من سيماه تمثيل
لقد تسامى و جبريل مصاميه إلى مقام رخي في جبريل
أوحى إليه الذي أوحاه من كتب فالقلب واع بسرّ الله مشغول
يتلو كتابا من الرحمن جاء به مطهرا طاهر منه و تأويل
جار على منهج الأعراب أعجزهم باق مع الدهر لا يأتيه تبديل
بلاغه عندها كعّ البليغ فلم ينطق و في هديه صاحت أضاليل
و منها:

و طولبوا أن يجيبوا حين رابهم بسورة مثله فاستعجز القليل
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٤ لا ذوا بدوبان خطّي و بتر ظبي يوم الوغى و اعتراهم منه تنكيل
فمونف في جبال الوهد منحدر و موثق في حبال الغد مكبول
ما زال بالعضب هتكا سوا بغهم حتى اثنتى العصب منهم و هو مفلول
و قد تحطّم في نحر العدا قصد صمّ الوشيج و خانتها العواميل
من لا يعدّله القران كان له من الصّفا و بيض البتر تعديل
و كم له معجزا غير القران أتى فيه من الحقّ منقول و معقول
فلرسول انشقاق البدر نشهده كما لموسى انفلاق البحر منقول

و نبع ماء فرات من أنامله كالعين ثرت فجا الهتان ما النيل
رووا الخميس و هم زهاء سبع مى مع الرّكاب فمشروب و محمول
و مى عين بكفّ جاء يحملهاقتاده و له شكوى و تعويل
فكان أحسن عينيه و لا عجب مسّت أنامل فيها اليمن مجعول
و الجذع حنّ إليه حين فارقه حنين ولهى لها للزّوم مثكول
و أشيع الكثر من قلّ الطعام و لم يكن ليعوزه بالكثير تقليل
و فى جراب و لا هنّ عجائب كم يمتار منه فمبذول و مأكول
و فى ارتواء إلى ذرء بززم مايكفى تبدّن منه و هو مهزول
و العنكبوت بباب الغار قد نسجت حتى كأنّ رداء منه مسدول
و فرخت فى حماه الورق ساجعةً تبكى و ما دمعها فى الخدّ مطلول
هذا و كم معجزات للرسول أتت لها من الله أمداد و تأصيل
غدت من الكثر أعداد النجوم فمايحصى لها عددا كتب و لا قيل
قد انقضت معجزات الرّسل منذ قضاوانحبا و أعجم منها ذلك الجيل
و معجزات رسول الله باقية محفوفة ما لها فى الدّهر تحويل
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٥ تكفل الله هذا الدّكر يحفظه و هل يضيع الذى بالله مكفول؟
هذى المفاخر لا يحظى الملوّك بهالملك منقطع و الوحي موصول

و من مطولاته فى غرض يظهر منها: [الطويل]

هو العلم لا كالعلم شىء تراوده لقد فاز باغيه و أنجح قاصده
و ما فضل الإنسان إلّا بعلمه و ما امتاز إلّا ثاقب الدّهن واقده
و قد قصرت أعمارنا و علومنا يطول علينا حصرها و نكابه
و فى كلّها خير و لكنّ أصلها هو التّحو فاحذر من جهول يعانده
به يعرف القرآن و السنّة التى هما أصل دين الله ذو أنت عابده
و ناهيك من علم علىّ مشيدمبانيه أعزز بالذى هو شائده
لقد حاز فى الدنيا فخارا و سؤددا أبو الأسود الديلى فليلجّر سانه
هو استنبط العلم الذى جلّ قدره و طار به للعرب ذكر نعاوده
و ساد عطا نجله و ابن هرمزو يحيى و نصر ثم ميمون ماهده
و عنبسة قد كان أبرع صحبه فقد قلّدت جيد المعالى قلائده
و ما زال هذا العلم تنميه سادة جهابذة تبلى به و تعاضده
إلى أن أتى الدّهر العقيم بواحد من الأزد تنميه إليه فرائده
إمام الورى ذاك الخليل بن أحمد أقرّ له بالسبق فى العلم حاسده
و بالبصرة الغراء قد لاح فجره فنارت أدانيه و ضاءت أباعه
ذكى الورى ذهنا و أصدق لهجة إذا ظنّ أمرا قلت ما هو شاهده
و ما أن يروى بل جميع علومه بدائه أعت كلّ حبر تجالده

هو الواضع الثاني الذي فاق أولوا ولا ثالث في الناس تصمى قواصده
فقد كان رباني أهل زمانه صويم قويم راعع الليل ساجده
يقيم منه دهره في مثوبه وثوقا بأن الله حقاً مواعده
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٦ فعام إلى حج و عام لغزوة فيعرفه البيت العتيق و وافده
و لم يثنه يوماً عن العلم و التقى كواعب حسن تنثنى و نواهد
و أكثر سكناه بقفر بحيث لا تناغيه إلا عفوه و أوابده
و ما قوته إلا شعير يسيغه بماء قراح ليس تغشى مواعده
عزوبا عن الدنيا و عن زهراتها و شوقا إلى المولى و ما هو واعده
و لما رأى من سيويه نجابه و أيقن أن الحين أدناه باعده
تخيره إذ كان وارث علمه و لطفه حتى كأن هو والده
و علمه شيئا فشيئا علومه إلى أن بدت سيماه و اشتد ساعده
فإذ ذاك وافاه من الله و عدوه راح و حيد العصر إذ جاء واحده
أتى سيويه ناشرا لعلومه فلولا أنه أضحى النحو عطلا شواهد
و أبدى كتابا كان فخرا وجوده لقحطان إذ كعب بن عمرو محاتده
و جمع فيه ما تفرق في الوري فطارفه يعزى إليه و تالده
بعمرو بن عثمان بن قنبر الرضا أطاعت عواصيه و تابت شوارده
عليك قران النحو نحو ابن قنبر فآياته مشهودة و شواهد
كتاب أبي بشر فلا تك قارئاسواه فكل ذاهب الحسن فاقده
هم خلج بالعلم مدّت فعندما تئات غدت تزهى و ليست تشاهده
و لا تعد عمّا حازه إنه الفراء في جوفه كل الذي أنت صائده
إذا كنت يوما محكما في كتابه فإنك فينا نابه القدر ماجده
و لست تبالي إن فككت رموزه أعضك دهر أم عرتك ثرائده
هو العضب إن تلق الهياج شهرته و إن لا تصب حربا فإنك غامده
تلقاه كل بالقبول و بالرّضى فذو الفهم من تبدو إليه مقاصده
و لم يعترض فيه سوى ابن طراوة و كان طريا لم تقادم معاهده
و جسره طعن المبرد قبله و إن الثمالي بارد الذهن خامده
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٧ هما ما صارا مدى الدهر ضحكة يزيف ما قالا و تبدو مفاصده
تكون صحيح العقل حتى إذا ترى تبارى أبا بشر، إذا أنت فاسده
يقول امرؤ قد خامر الكبر رأسه و قد ظن أن النحو سهل مقاصده
و لم يشتغل إلا بنزر مسائل من الفقه في أوراقه هو راصده
و قد نال بين الناس جاها و رتبة و ألهاك عن نيل المعالي و لابده
و ما ذاق للآداب طعما و لم يبت يعنى بمنظوم و نثر يجاوده
فينكح أبقار المعانى و يبتغى لها الكفو من لفظ بها هو عاقده

رأى سيويه فيه بعض نكاده و عجمه لفظ لا تحلّ معاقده
فقلت: أما أتى ما أنت أهل لفهمه و ما أنت إلا غائض الفكر راكده
لعمرك ما ذو لحيه و تسمت و إطراق رأس و الجهات تساعده
فيمشى على الأرض الهوينا كأنما إلى الملا الأعلى تناهت مراصده
و إيها مك الجهال أنك عالم و أنك فرد في الوجود و زاهده
بأجلب للنحو الذي أنت هاجر من الدرس بالليل الذي أنت هاجده
أصاح، تجنب من غويّ مخذل و خذ في طريق النحو أنك راشده
لك الخير فادأب ساهرا في علومه فلم تشم إلا ساهر الطرف ساهده
و لا ترج في الدنيا ثوبا فإنما لدى الله حقا أنت لا شك واجده
ذوو النحو في الدنيا قليل حظوظهم و ذو الجهل فيها وافر الحظ زائده
لهم أسوء فيها على لاغد مضى و لم يلق في الدنيا صديقا يساعده
مضى بعده عنها الخليل فلم ينل كفافا و لم يعدم حسودا يناكده
و لاقى أبا بشر خليل سفيها غداة تمالت في ضلال يمادده
أتى نحو هارون يناظر شيخه فنفتحته حتى تبدت مناكده
فأطرق شيئا ثم أبدى جوابه بحق و لكن أنكر الحق جاحده
و كاد على عمرا إذا صار حاكما و قدما على كان عمرو يكايده
سقاها بكأس لم يفق من خمارها و أورده الأمر الذي هو وارده
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٨ و لابن زياد شركة في مراده و لابن رشيد شرك القلب رائده
هما جزعا إلى على و قنبر أفويق سم لم تنجد أساوده
أبكي على عمرو و لا عمر مثله إذا مشكل أعي و أعور ناقده
قضى نجه شرخ الشيبه لم يرع بشيب و لم تعلق بذا معاقده
لقد كان للناس اعتناء بعلمه بشرق و غرب تستنار فوائده
و الآن فلا شخص على الأرض قارىء كتاب أبي بشر و لا هو رائده
سوى معشر بالغرب فيهم تلفت إليه و شوق ليس يخبو مواقده
و ما زال منا أهل أندلس له جهابذ تبدى فضله و تناجده
و إني في مصر على ضعف ناصري لناصره ما دمت حيا و عاضده
أثار أثير الغرب للنحو كامنا و عالجه حتى تبدت قواعده
و أحيا أبو حيان ميت علومه فأصبح علم النحو ينفق كاسده
إذا مغربي حطّ بالثغر رحله تيئن أن النحو أخفاه لاحده
منينا بقوم صدروا في مجالس لإقراء علم ضلّ عنهم مراشده
لقد أحرّ التصدير عن مستحقّه و قدّم غمر خامد الذهن جامده
و سوف يلاقى من سعى في جلوسهم جزاء و عقبي أكنّت عقائده
علا عقله فيهم هواه فما درى بأنّ هوى الإنسان للنار قائده

أقمنا بمصر نحو عشرين حجة يشاهدنا ذو أمرهم و نشاهده
فلما نزل منهم مدى الدهر طائلاو لَمَا نجد فيهم صديقا نواده
لنا سلوة فيمن سردنا حديثهم و قد يتسلى بالذى قال سارده
أخى إن تصل يوما و بلغت سالمالغرناطة فانفذ لما أنا عاهده
و قبل ثرى أرض بها حلّ ملكناو سلطاننا الشّهم الجميل عوائده
مبيد العدا قتلا و قد عمّ شرّهم و محبى الندى فضلا و قد رمّ هامده
أفاض على الإسلام جودا و نجدة فعزّ مواليه و ذلّ معانده
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٩ و عمّ بها إخواننا بتحية و خصّ بها الأستاذ لا عاش كائده
جزى الله عنّا شيخنا و إمامنا أستاذنا الحبر الذى عمّ فائده
لقد أطلعت جيان أوحد عصره فللغرب فخر أعجز الشرق خالده
مؤرخه نحوية و إمامه محدّثه جلت و صحّت مسانده
جاه عظيم من ثقيف و إمامه استوثقت منه العرى و مساعده
و ما أنسى لا أنسى سهادى ببابه بسبق و غيرى نائم الليل راقده
فيجلو بنور العلم ظلمة جهلناو يفتح علما مغلقات رصائده
و إنى و إن شطّ بنا غربة النوى لشاكر له فى كل وقت و حامده
بغرناطة روحى و فى مصر جتتى ترى هل يثنى الفرد من هو فارده؟
أبا جعفر، خذها قوافى من فتى تته على عزّ القوافى قصائده
يسير بلا إذن إلى الأذن حسنها فيرتاح سماع لها و مناشده
غريبة شكل كم حوت من غرائب مجيدة أصل أنتجتها أماجده
فلولاك يا مولاي ما فاه مقولى بمصر و لا حبرت ما أنا قاصده
لهذبنتى حتّى أحوك مفوقامن النظم لا يبلى مدى الدهر آبده
و أذكيت فكرى بعد ما كان خامداو قيد شعرى بعد ما ندّ شارده
جعلت ختاماً فيه ذكرك إنه هو المسك بل أعلى و إن عزّ ناشده
و مما دون من المطولات قوله رحمه الله : [الطويل]
تفرّدت لَمَا أن جمعت بذاتى و أسكنت لما أن بدت حركاتى
فلم أر فى الأكوان غيرا لأننى أزحت عن الأغيار روح حياتى
و قدّستها عن رتبة لو تعيّنت لها دائما دامت لها حسراتى
فها أنا قد أصعدتها عن حضيضها إلى رتبة تقضى لها بثبات
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٠ تشهد معنى روضه أذهب العناو أيقظنى للحقّ بعد سنات
أقامت زمانا فى حجاب فعندما ترحزح عنها رامت الخلوات
لنقضى بها ما فات من طيب أنسابها و ننال الجمع بعد شتات
و من النسيب قوله : [الكامل]
كنتم اللسان و مدمعى قد باحاو ثوى الأسى عندى و أنسى راحا

إني لصبّ طي ما نشر الهوى نشرا و ما زال الهوى إفصاحا
 و مهجتي من لا أصرّح باسمه و من الإشارة ما يكون صراحا
 ريم أروم حنوّه و جنوحه و يروم عنى جفوة و جماحا
 أبدى لنا من شعره و جبينه ضدّين ذا ليلا و ذاك صباحا
 عجبا له يأسو الجسوم بطّبه و لكم بأرواح أثار جراحا
 فبلفظه برء الأخيد و لحظه أخذ البرىّ فما يطيق براحا
 ناديته فى ليلة لا ثالث إلّا أخوه البدر غار فلاحا
 يا حسنّها من ليلة لو أنهادامت و مدّت للوصال جناحا
 و قال: [الكامل]

نور بخدّك أم توقّد نار؟ و ضنى بجفّنك أم فتور عقار؟
 و شذا بريقك أم تأرّج مسكّة؟ و سنى بثغرك أم شعاع درارى؟
 جمعت معانى الحسن فيك فقد غدت قيد القلوب و فتنة الأبصار
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤١ متصاون خفر إذا ناطقته أغضى حياء فى سكون وقار
 فى وجهه زهرات لفظ تجتلى من نرجس مع وردة و بهار
 خاف اقتطاف الورد من جنباتها فأدار من أسر سياج عذار
 و تسلّلت نمل العذار بخدّه ليردن شهدة ريقه المعطار
 و بخدّه ورد حمتها وردها فوقفن بين الورد و الإصدار
 كم ذا أوارى فى هواه محبّتى و لقد وشى بى فيه فرط أوارى
 و من نظمه من المقطوعات فى شتى الأغراض قوله رحمه الله: [البسيط]
 أزحت نفسى من الإيناس بالناس لئما غنيت عن الأكياس بالياس
 و صرت فى البيت وحدى لا أرى أحدا بنات فكرى و كتبى هنّ جلاسى
 و قال: [الطويل]

و زهدنى فى جمعى المال أنه إذا ما انتهى عند الفتى فارق العمرا
 فلا روحه يوما أراح من العناو لم يكتسب حمدا و لم يدّخر أجرا
 و قال: [الطويل]

سعت حيّة من شعره نحو صدغه و ما انفصلت من خدّه إنّ ذا عجب
 و أعجب من ذا أنّ سلسال ريقه برود و لكن شبّ فى قلبى اللهب
 و قال: [السريع]

راض حيبى عارض قد بدايا حسنه من عارض رائض
 و ظنّ قوم أنّ قلبى سلاو الأصل لا يعتدّ بالعارض
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٢
 و قال: [الخفيف]

سال فى الخدّ للحبيب عذارو هو لا شكّ سائل مرحوم

و سألت الثامه فتجنى فأنا اليوم سائل محروم

و قال: [الطويل]

جنت بها سوداء لون و ناظرو يا طالما كان الجنون بسوداء
وجدت بها برد النعيم و إن فؤادى منها فى جحيم و لأواء

و قال فى فتى يسمى مظلوم : [الطويل]

و ما كنت أدرى أن مالك مهجتي يسمى بمظلوم و ظلم جفاؤه
إلى أن دعانى للصبأ فأجبتة و من يك مظلوما أجيب دعاؤه

و قال : [الخفيف]

جنّ غيرى بعارض فترجى أهله أن يفيق عمّا قريب
و فؤادى بعارضين مصاب فهو داء أعيا دواء الطبيب

و قال : [الطويل]

شكا الخصر منه ما يلقى بردفه و أضعف غصن البان جرّ كتيب
إذا كان منه البعض يظلم بعضه فما حال مشتط المزار غريب

و قال : [الطويل]

و ذى شفة لمياء زينت بشامه من المسك فى رشافها يذهب التسك
ظمئت إليها ريقه كوثرية بمثل لآلى ثغرها ينظم السلك

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٣ تعلّ بمعسول كأنّ رضابه مدام من الفردوس خاتمه مسك

و قال: [الطويل]

أجلّ شفيح ليس يمكن رده دراهم بيض للجروح مراهم

تصير صعب الأمر أسهل ما ترى و يقضى لبانات الفتى و هو نائم

و قال : [مخلع البسيط]

نعيد ودّ قريب ضلّ كبير عتب، قليل عتبي

كالشمس ظرفا، كالمسك عرفا كالخشف طرفا، كالصخر قلبا

و قال : [الطويل]

عداتي لهم فضل علىّ و منة فلا أذهب الرحمن عنى الأعاديا

هم بحثوا عن زلتى فاجتبتها و هم نافسونى فاكسبت المعاليا

مولده: ولد بقرناطة عام اثنين و خمسين و ستمائة .

وفاته: أخبرنى الحاج الخطيب الفاضل أبو جعفر الشقورى، رحمه الله، قال:

توفى عام خمس و أربعين و سبعمائة بمصر، و دفن بالقرافة. و كانت جنازته حافلة.

و من الطارئین علیها فی هذا الحرف

محمد بن أحمد بن داود بن موسى بن مالك اللخمي اليكى

من أهل بلش، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن الكماد.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٤

حاله: من «عائد الصلة»: كان من جلة صدور الفقهاء الفضلاء، زهدا وقناعة وانقباضا، إلى دماثة الخلق، و لين الجانب، و حسن اللقاء، و السداجة المموهة بالغفلة، و العمل على التقشّف و العزلة، قديم السماع و الرحلة، إماما مشهورا في القراءات، يرحل إليه، و يعول عليه، إتقانا و معرفة منها بالأصول، كثير المحافظة و الضبط، محدثا ثبنا، بليغ التحرز، شديد الثقة، فقيها متصرفا في المسائل، أعرف الناس بعقد الشروط، ذا حظ من العربية و اللغة و الأدب. رحل إلى العدو، و تجول في بلاد الأندلس، فأخذ عن كثير من الأعلام، و روى و قيد و صنّف و أفاد، و تصدّر للإقراء بغرناطة و بلش و غيرهما، و تخرّج بين يديه جملة وافرة من العلماء و الطلبة، و انتفعوا به.

مشيخته: قرأ ببلده مرسية على الأستاذ أبي الحسن علي بن محمد بن لب بن أحمد بن أبي بكر الرقوي، و المقرئ أبي الحسن بن خلف الرشاطي، و المحدّث الجليل أبي عمرو محمد بن علي بن عيشون اللخمي، و علي الشيخ الفقيه الكاتب أبي محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي المرسى. و ممن أجازته الفقيه أبو عثمان سعيد بن عمرو البطرني، و القاضي أبو علي بن أبي الأحوص، لقيه ببلش مالقة و بسطة، فروى عنه الكثير، و الأستاذ أبو القاسم بن الأصهر الحارثي، لقيه بالمرية.

و لقي بغرناطة الأستاذ أبا جعفر الطيّاع، و الوزير الراوية أبا القاسم محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن جزى الكلبي، روى عنه و أجازته. و كتب له بالإجازة جماعة كبيرة من أهل المشرق و المغرب، حسبما تضمنه برنامجه.

توليفه: اختصر كتاب «المقنع» في القراءات اختصارا بديعا، و سماه كتاب «الممتع في تهذيب المقنع» و غير ذلك.

شعره: من ذلك و قد وقف على أبيات أبي القاسم بن الصقر في فضل الحديث: [الطويل]

لقد حاز أصحاب الحديث و أهله شأوا و ثيرا و مجدا مخلدا

و صحت لهم بين الأنام مزية أبانت لهم عزّا و مجدا و سؤددا

بدعوة خير الخلق أفضل مرسل محمد المبعوث بالنور و الهدى

فهم دونوا علم الحديث و أتقنوا نصوا بتبيين صحيحا و مسندا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٥ و جاءوا بأخبار الرسول و صحبه على وجهها لفظا و رسما مقيدا

و هم نقلوا الآثار و السنن التي من أصبح ذا أخذ بها فقد اهتدى

و ما قصرُوا فيها بفقهِه و لا ونابل التزموا حدّا و حزما مؤكّدا

و هم أوضحو من بعدهم باجتهدهم و تبينهم سبل الهدى لمن اقتدى

جزاهم إله العرش عنا بنصحهم بأحسن ما جازى نصيحا و مرشدا

و نسأله سبحانه نهج هديهم و سعيّا إلى التقوى سبيلا و مقصدا

و من شعره، رحمه الله، قوله: [السريع]

عليك بالصبر و كن راضيا بما قضاه الله تلقى النجاح

و اسلك طريق المجد و الهج به فهو الذي يرضاه أهل الصلاح

و قد ألف شيخنا أبو البركات بن الحاج، جزءا سماه «شعر من لا شعر له»، فيه من شعر هذا الرجل الفاضل و مثله كثير.

مولده: قبل الأربعين و ستمائة. و توفي ثاني شهر الله المحرم عام اثني عشر و سبعمائة.

انتهى ما اختصر من السير السابع من كتاب «الإحاطة في تاريخ غرناطة» يتلوه في السفر الثامن بعده إن شاء الله و من السفر الثامن من

ترجمة المقرئين و العلماء رحمهم الله***

و من السفر الثامن من ترجمة المقرئين و العلماء

محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغساني

من أهل مالقة، يكنى أبا القاسم، و يعرف بابن حفيد الأمين.

حاله: كان من أهل العلم و الفضل و الدين المتين، و الدؤوب على تدريس كتب الفقه. استظهر كتاب «الجواهر» لابن شاس، و اضطلع بها، فكان مجلسه من مجالس الحفاظ، حفاظ المذهب، و انتفع به الناس، و كان معظما فيهم، متبركا به، على سنن الصالحين من الزهد و الانقباض و عدم المبالاة بالملبس و المطعم. و قال صاحبنا الفقيه الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٦

أبو الحسن الثباهي في تذييله لتاريخ مالقة: كان رجلا سادجا، مخشوشنا، سنّي المنازع، شديد الإنكار على أهل البدع. جلس للتّحقيق العام بالمسجد الجامع، و أقرأ به الفقه و العربية و الفرائض.

مشيخته: قال: منهم أبو علي بن أبي الأحوص، و أبو جعفر بن الزبير، و أبو محمد بن أبي السّداد، و القاضي أبو القاسم ابن السيّكوت. قال: و أنشد للزاهد أبي إسحاق بن قشوم، قوله: [الطويل]
يروكك يوم العيد حسن ملابس و نعمة أجسام و لين قدود
أجل لحظات الفكر منك فلا ترى سوى خرق تبلى و طعمة دود
و أنشد لأبي عمرو الزاهد: [السريع]

تختبر الدّنير في ميدق و الدّرهـم الزايف إذ يبهـم
و المرء إن رمت اختبارا له ميذقه الدّنير و الدّرهـم
من عفّ عن هذا و هذا معافهو التّقيّ الورع المسلم
تواليفه: له تقييد حسن في الفرائض، و جزء في تفضيل التّين على التّمـر، و كلام على نوازل الفقه.
وفاته: و توفي في الكائنـة العظمى بطريف .

محمد بن أحمد بن علي بن قاسم المذحجي

من أهل ملتماس ، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من «العائد»: كان، رحمه الله، من سراء بلده و أعيانهم، أستاذا متفتنا مقرئا لكتاب الله، كاتباً بليغا، شديد العناية بالكتب، كثير المغالاة في قيمها و أثمانها، حتى صار له من أعلقها و ذخائرها ما عجز عن تحصيله كثير من أهل بلده. كتب بخطه، و قيّد كثيرا من كتب العلم. و كان مقرئا مجودا، عارفا بالقراءات، بصيرا بالعربية، ثقة ضابطا، مبرزاً في العدالة، حريصا على العلم استفادة ثم إفادة، لا يأنف من حملة عن أقرانه، و انتفع به أهل بلده، و الغرباء أكثر.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٧

مشيخته: أخذ عن طائفة من أهل العلم، منهم الشّيخان الرّحلتان؛ أبو عبد الله بن الكمّاد، و أبو جعفر بن الزيات، عظيما بلده، و الخطيب ولى الله أبو عبد الله الطنجالي، و القاضي أبو عبد الله بن بكر. و روى عن الشّيخ الوزير أبي عبد الله بن ربيع، و ابنه الرّاوية أبي عامر، و الخطيب الصّالح أبي إسحاق بن أبي العاصي. و روى عن الشّيخ الرّاوية الرّحال أبي عبد الله بن عامر الوادي آشي و غيرهم، و دخل غرناطة.

مولده: ولد ببّـلش عام ثمانية و ثمانين و ستمائة.

وفاته: توفي ببّـلش عاشر شهر شعبان من عام أربعة و ثلاثين و سبعمائة.

محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغساني

من أهل مالقة، يكنى أبا الحكم، و يعرف بابن حفيد الأمين.

حاله: من «العائد»: كان هذا الشيخ من أهل العلم و الدّين المتين، و الجرى على سنن الفقهاء المتقدمين، عقد الشروط بمالقة مدة طويلة في العدول المبرزين، و جلس للتّحليق في المسجد الأعظم من مالقة، بعد فقد أخيه أبي القاسم، و خطب بمسجد مالقة الأعظم. ثم أّخر عن الخطبة لمشاحنة وقعت بينه و بين بعض الولاة، أثمرت في إحنته. و لم يزل على ما كان عليه من الاجتهاد في العبادة، و التقييد للعلم، و الاشتغال به، و العناية بأهله، إلى أن توفي على خير عمل.

مشيخته: قرأ على الأستاذ الخطيب أبي محمد الباهلي، و روى عن جلّة من الشيوخ مثل صهره الخطيب الولي أبي عبد الله الطنجالي، و شاركه في أكثر شيوخه، و الأديب الحاج الصالح أبي القاسم القبتوري و غيرهم. مولده: ولد بمالقة عام ثلاثه و سبعين و ستمائة.

وفاته: توفي بمالقة يوم الأربعاء الثامن عشر لذي حجة من عام تسعة و أربعين و سبعمائة. و دخل غرناطة غير ما مرّة مع الوفود من أهل بلده و في أغراضه الخاصة. الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ٣؛ ص ٤٧ الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٨

محمد بن أحمد الزقوطي المرسي

يكنى أبا بكر.

حاله: كان طرفا في المعرفة بالفنون القديمة؛ المنطق و الهندسة و العدد و الموسيقى و الطّب، فيلسوفا، طبيبا ماهرا، آية الله في المعرفة بالألسن، يقرئ الأسمم بألسنتهم فنونهم التي يرغبون في تعلمها، شديد البأو، مترفعا، متعاطيا. عرف طاغية الروم حقّه، لما تغلب على مرسية، فبنى له مدرسة يقرئ فيها المسلمين و النصارى و اليهود، و لم يزل معظما عنده. و مما يحكى من ملحه معه، أنه قال له يوما، و قد أدنى منزلته، و أشاد بفضله: لو تنصّرت و حصّلت الكمال، كان عندي لك كذا و كذا، و كنت كذا، فأجابه بما أقنعه. و لما خرج من عنده، قال لأصحابه: أنا الآن أعبد واحدا، و قد عجزت عما يجب له، فكيف حالي لو كنت أعبد ثلاثة كما أراد مني.

و طلبه سلطان المسلمين، ثاني الملوك من بني نصر، و استقدمه، و تلمذ له، و أسكنه في أعدل البقع من حضرته. و كان الطلبة يغشون منزله المعروف له، و هو بيدي الآن، فتعلّم عليه الطب و التعاليم و غيرها، إذ كان لا يجارى في ذلك. و كان قوى العارضة، مضطلعا بالجدل، و كان السلطان يجمع بينه و بين متناهي حضرته، ممن يقدم منتحلا صناعة أو علما، فيظهر عليهم، لتمكنه و دالته، حسبما يأتي في اسم أبي الحسن الأيدي، و أبي القاسم بن خلعون، إن شاء الله. و كان يركب إلى باب السلطان، عظيم التّؤدة، معار البغلة، رائق البرّة، رفيق المشى، إلى أن توفي بها، سمح الله له.

محمد بن إبراهيم بن المفرج الأوسي

المعروف بابن الدبّاغ الإشبيلي.

حاله: كان واحد عصره في حفظ مذهب مالك، و في عقد الوثائق، و معرفة عللها، عارفا بالنحو و اللغة و الأدب و الكتابة و الشعر و التاريخ. و كان كثير البشاشة، عظيم الانقباض، طيب النفس، جميل المعاشرة، كثير المشاركة، شديد التّواضع، صبورا على المطالعة، سهل الألفاظ في تعليمه و إقرائه. أقرأ بجامعة غرناطة لأكابر علمائها الفقه و أصوله، و أقرأ به الفروع و العقائد للعامّة مدة. و أقرأ بجامعة

باب الفخارين، و بمسجد ابن عزرة و غيره.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٩

مشيخته: قرأ على والده الأستاذ أبى إسحاق إبراهيم، و على الأستاذ أبى الحسن الدباج، و على القاضى أبى الوليد محمد بن الحاج التجيبى القرطبى، و على القاضى أبى عبد الله بن عياض.

وفاته: توفى برنءه يوم الجمعة أول يوم من شوال عند انصراف الناس من صلاة الجمعة من عام ثمانية و ستين و ستمائة.

محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسى

من أهل مرسية، نزيل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، و يعرف بابن الرقام، الشيخ الأستاذ المتفنن.

حاله: كان نسيج وحده، و فريد دهره، علما بالحساب و الهندسة و الطب و الهيئة، و غير ذلك، مديد الباع، أصيل المعرفة، مضطعا، متبحرا لا يشق غبارة، أقرأ التعاليم و الطب و الأصول بغرناطة لما استقدمه السلطان ثانى الملوك من بنى نصر من مدينة بجاية، فانتفع الناس به، و أوضح المشكلات، و سئل من الأقطار النازحة فى الأوهام العارضة، و دون فى هذه الفنون كلها، و لخص، و لم يفتر من تقييد و شرح و تلخيص و تدوين.

توالمفه: و توالمفه كثيرة، منها كتابه الكبير على طريقة كتاب «الشفاء»، و الزيج القويم الغريب المرصد، المبتية رسائله على جداول ابن إسحاق، و عدل مناخ الأهلة، و عليه كان العمل، و قيد أبقار الأفكار فى الأصول، و لخص المباحث، و كتاب الحيوان و الخواص. و مقالاته كثيرة جدا، و دواوينه عديدة.

وفاته: توفى عن سن عالية بغرناطة فى الحادى و العشرين لصف من عام خمسة عشر و سبعمائة.

محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حميد ابن مأمون الأنصارى

و نسبه أبو محمد القرطبى أمويا من صريحهم، بلنسى الأصل، يكنى أبا عبد الله.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٥٠

حاله: كان صدرا فى متقنى القرآن العظيم، و أتمية تجويده، مبرز فى النحو، إماما معتمدا عليه، بارع الأدب، وافر الحظ من البلاغة، و التصرف البديع فى الكتابة، طيب الإمتاع بما يورده من الفنون، كريم الأخلاق، حسن السمت، كثير البشر، و قورا، ديننا، عارفا، ورعا، وافر الحظ من رواية الحديث.

مشيخته: روى عن أبى إسحاق بن صالح، و أبى بكر بن أبى ركب، و أبى جعفر بن ثعبان، و أبى الحجاج القفال، و أبى الحسن شريح، و أبى محمد عبد الحق بن عطية، و أبى الحسن بن ثابت، و أبى الحسن بن هذيل، و تلا عليه بالشيخ، و أبو عبد الله بن عبد الرحمن المذحجى الغرناطى، و ابن فرح القيسى، و أبى القاسم خلف بن فرتون، و لم يذكر أنهم أجازوا له. و كتب له أبو بكر عبد العزيز بن سدير، و ابن العزفى، و ابن قتدلة، فأبو الحسن طارق بن موسى، و ابن موهب، و يونس بن مغيث، و أبو جعفر بن أيوب، و أبو الحكم عبد الرحمن بن غشيان، و أبو عبد الله الجيانى، المعروف بالبغدادى. و ذكر أبو عبد الله بن يربوع أن له راوية عن أبى الحسن بن الطراوة.

من روى عنه: روى عنه أبو بحر صفوان بن إدريس، و أبو بكر بن عتيق الأزدي، و ابن قترال، و أبو جعفر الجيار، و الذهبي، و ابن عميرة الشهيد، و أبو الحسن بن عزمون، و ابن عبد الرزاق، و أبو الحسن عبيد الله بن عاصم الدارى، و أبو الربيع بن سالم، و أبو زكريا الجعفرى، و أبو سليمان بن حوط الله، و أبو عبد الله الأندرشى، و ابن الحسين بن محبر، و ابن إبراهيم الريسى، و ابن صلتان،

و ابن عبد الحق التلمسيني، و ابن يربوع، و أبو العباس العزفي، و أبو عثمان سعد الحفّار، و أبو علي عمر بن جميع، و أبو عمران بن إسحاق، و أبو

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٥١

القاسم الطيب بن هرقال، و عبد الرحيم بن إبراهيم بن قريش الملاحى، و أبو محمد بن دلف بن اليسر، و أبو الوليد بن الحجاج .
تواليفه: له شرح على «إيضاح الفارسي»، و آخر على «جمل الزّجاجي». مولده: ببلنسية سنة ثلاث عشرة و خمسمائة.

وفاته: توفى بمرسية إثر صدوره عن غرناطة عشى يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من جمادى الأولى سنة ست و ثمانين و خمسمائة.

محمد بن حكم بن محمد بن أحمد بن باق الجذامى

من أهل سرقسطة. سكن غرناطة ثم فاس، يكنى أبا جعفر.

حاله: كان مقرنا مجوداً، محققاً بعلم الكلام و أصول الفقه، محصياً لاهما، متقدماً فى النحو، حافظاً للغة، حاضر الذّكر لأقوال تلك العلوم، جريد النظر، متوقّد الذهن، ذكى القلب، فصيح اللسان . ولى أحكام فاس، و أفتى فيها، و درّس بها العربية: كتاب سيبويه و غير ذلك.

مشيخته: روى عن أبى الأصمغ بن سهل، و أبوى الحسن الحضرمى، و ابن سابق، و أبى جعفر بن جرّاح، و أبى طالب السّرقسطى، الأديبين، و أبوى عبد الله بن نصر، و ابن يحيى بن هشام المحدث، و أبى العباس الدلائى، و أبى عبيد الله البكرى، و أبى عمر أحمد بن مروان القيروانى، و أبى محمد بن قورش، و أبى مروان بن سراج. و أجاز له أبو الوليد الباجى، رحمه الله.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٥٢

من روى عنه: روى عنه أبو إسحاق بن قرقول، و أبو الحسن صالح بن خلف، و أبو عبد الله بن حسن السّيبى، و أبو الحسن الأبندى، و توفى قبله، و ابن خلف بن الأيسر، و التّميرى، و أبو العباس بن عبد الرحمن بن الصّيقر، و أبو على حسن بن الجّزار، و أبو الفضل بن هارون الأزدي، و أبوا محمد: عبد الحق بن بونه، و قاسم بن دحمان، و أبو مروان بن الصّقيل الوقشى .

تواليفه: شرح «إيضاح الفارسي»، و كان قيماً على كتابه، و صنّف فى الجدل مصنّفين، كبيراً و صغيراً. و له عقيدة جيدة. وفاته: توفى بفاس، و قيل بتلمسان، سنة ثلاث و ثلاثين و خمسمائة.

محمد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن خلف ابن يوسف بن خلف الأنصارى

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله، و يعرف بابن الحاج، و بابن صاحب الصلاة.

حاله: كان مقرنا صدرا فى أئمة التّجويد، محدثاً متقناً ضابطاً، نبيل الخطّ و التقيد، ديناً، فاضلاً. و صنّف فى الحديث، و خطب بجامع بلده. و أمّ فى الفريضة زماناً، و استمرّت حاله كذلك، من نشر العلم و بثّه إلى أن كرمه الله بالشهادة فى وقعة العقاب .

دخوله غرناطة، راويا عن ابن الفرس، و ابن عروس، و غيرهما.

مشيخته: روى بالأندلس عن الحجاج ابن الشيخ، و أبى الحسن بن كوثر، و أبى خالد يزيد بن رفاعه، و أكثر عنه، و أبوى عبد الله بن عروس، و ابن الفخّار، و أبى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٥٣

محمد بن حوط الله، و عبد الحق بن بونه، و عبد الصّيمد بن يعيش، و عبد المنعم بن الفرس، و أجازوا له. و تلا القرآن على أبى عبد

الله الإستجى. و روى الحديث عن أبي جعفر الحصار. و حج في نحو سنة ثمانين و خمسمائة، و أخذ عن جماعة من أهل المشرق، كأبي الطاهر الخشوعي و غيره.

وفاته: توفى شهيدا محرضا صابرا يوم الاثنين منتصف صفر عام تسعة و ستمائة.

محمد بن محمد بن أحمد بن علي الأنصاري

يكنى أبا عبد الله، و يعرف بابن قرال، من أهل مالقة.

حاله: طالب عفيف مجتهد خير. قرأ بغرناطة، و قام على فنّ العربية قياما بالغا، و شارك في غيره، و انتسخ الكثير من الدواوين بخط بالغ أقصى مبالغ الإجادة و الحسن، و انتقل إلى مالقة فأقرأ بها العربية، و اقتدى بصهره الصالح أبي عبد الله القطان، فكان من أهل الصلاح و الفضل. و توفى في محرم عام خمسين و سبعمائة.

محمد بن محمد بن إدريس بن مالك بن عبد الواحد ابن عبد الملك بن محمد بن سعيد بن عبد الواحد ابن أحمد بن عبد الله القضاي

من أهل إسطنبول، يكنى أبا بكر، و يعرف بالقللوسى.

حاله: كان، رحمه الله، إماما في العربية و العروض و القوافي، موصوفا بذلك، منسوباً إليه، يحفظ الكثير من كتاب سيبويه، و لا يفارقه بياض يومه، شديد التعصب له، مع خفة و طيش يحمله على التوغل في ذلك. حدّثني شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب، رحمه الله، قال: وقف أبو بكر القللوسى يوما على القاضى أبي عمرو بن الزندون، و كان شديد الوقار، مهيبا، و تكلم في مسألة من العربية، نقلها عن سيبويه، فقال القاضى أبو عمرو: أخطأ سيبويه، فأصاب أبا بكر القللوسى قلقى كاد يلبط به الأرض، و لم يقدر على جوابه بما يشفى به صدره لمكان رتبته. قال: فكان يدور بالمسجد، و الدموع تنحدر على وجهه، و هو يقول: أخطأ من خطأه، يكررها، و القاضى أبو عمرو يتغافل عنه، و يزرى عليه. و كان، مع ذلك، مشاركا في فنون، من

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٥٤

فقه و قراءات و فرائض، من أعلام الحفاظ للغة، حجة في العروض و القوافي، يخطط بالقافية عند ذكره في الكتب. و له في ذلك تواليف بديعة. و ولّى الخطابة ببلده مدة، و قعد للتدريس به، و ائثال عليه الناس و أخذوا عنه. و نسخ بيده الكثير و قيد، و كان بقطره علما من أعلام الفضل و الإيثار و المشاركة.

تواليفه: نظم رجزا شهيرا في الفرائض علما و عملا، و نظم في العروض و القوافي، و ألف كتاب «الدرة المكنونة في محاسن إسطنبول»، و ألف تأليفا حسنا في ترحيل الشمس، و سوسطات الفجر، و معرفة الأوقات، و نظم أرجوزة في شرح ملاحن ابن دريد، و أرجوزة في شرح كتاب «الفصيح». و رفع للوزير ابن الحكيم كتابا في الخواص و صنعة الأمدّة و التطبّع الشاب، غريبا في معناه.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي الحسن بن أبي الربيع، و لازمه، و أخذ عنه، و عن أبي القاسم بن الحصار الضرير السبتي، و على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير بغرناطة، و غيرهم.

شعره: من شعره قوله من قصيدة يمدح ابن الحكيم: [الطويل]

علاه رياض أورقت بمحامد تنور بالجدوى و تثمر بالأمل

تسخ عليها من نداء غمامة تروى ثرى المعروف بالعلّ و التيل

و هل هو إلّا الشمس نفسا و رفعة فيغرب بالجدوى و يبعد بالأمل؟

تعم أياديه البرية كلفادان وقاص جود كفيه قد شمل

و هي طويلة. و نقلت من خطّ صاحبنا أبي الحسن النَّباهي، قال يمدح أبا عبد الله الرَّنداحي: [الكامل]
 أطلع بأفق الرَّاح كأس الرَّاح وصل الزّمان مساءه بصباح
 خذها على رغم العذول مدامة تنفي الهموم و تأت بالأفراح
 و الأرض قد لبست برود أزاهرو تمنطقت من نهرها بوشاح
 و الجوّ إذ يبكي بدمع غمامة ضحك الربيع له بثغر أقاح
 و الرّوض مرقوم بوشى أزاهرو الطّير يفصح أيما إفصاح
 و الغصن من طرب يميل كأنما سقيت بكفّ الرّيح كأس الرّاح
 و الورد منتظم على أغصانه يبدو فتحسبه حدود ملاح
 و كأنّ عرف الرّيح من زهر الرّبي عرف امتداح القائد الرّنداح
 وفاته: ببلده عصر يوم الجمعة الثامن عشر لرجب الفرد سنه سبع و سبعمائة.
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٥٥

محمد بن محمد بن محارب الصّريحي

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله، و يعرف بابن أبي الجيش.
 حاله و أوليته: أصل سلفه من حصن يسر من عمل مرسية، من بيت حسب و أصالة، و لخولته بالجهه التاكروتية ثورة.
 و قلت فيه في «عائد الصلة»: كان من صدور المقرئين، و أعلام المتصدّرين تفنّنا و اضطلاعا و إدراكا و نظرا، إماما في الفرائض و الحساب، قائما على العربية، مشاركاً في الفقه و الأصول و كثير من العلوم العقلية.
 قعد للإقراء بمالقة، و خطب بجامع الرّبض.

مشيخته: قرأ على الأستاذ القاضي المتفّن أبي عبد الله بن بكر، و لازمه. ثم ساء ما بينهما في مسألة وقعت بمالقة، و هي تجويز الخلف في وعد الله، شنع فيها على شيخنا المذكور. و نسبه إلى أن قال: وعد الله ليس بلازم الصّدق، بل يجوز فيه الخلف، إذ الأشياء في حقه متساوية. و كتب في ذلك أسئلة للعلماء بالمغرب، فقاطعه و هجره. و لما ولى القاضي أبو عبد الله بن بكر القضاء، خافه، فوجه عنه إثر ولايته، فلم يشكّ في الشّرّ، فلما دخل عليه، رحب به، و أظهر له القبول عليه، و العفو عنه، و استأنف موّدته، فكانت تعدّ في مآثر القاضي، رحمه الله.

و رحل المذكور إلى سبته، فقرأ بها على الأستاذ أبي إسحاق الغافقي، و من عاصره، ثم عاد إلى مالقة، فالتزم التدريس بها إلى حين وفاته.

دخوله غرناطة: دخل غرناطة مرات، متعلّما، و طالب حاج. و دعى إلى الإقراء بمدرستها الصّرية، عام تسعة و أربعين و سبعمائة، فقدم على الباب السّليطاني، و اعتذر بما قبل فيه عذره. و كان قد شرع في تقييد مفيد على كتاب «التسهيل» لابن مالك، في غاية النبل و الاستيفاء و الحصر و التّوجيه، عاقته المنية عن إتمامه.

وفاته: توفي بمالقة في كائنة الطاعون الأعظم في أخريات ربيع الآخر من عام خمسين و سبعمائة، بعد أن تصدّق بمال كثير، و عهد بربع مجد لطلبة العلم، و حبس عليهم كتبه.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٥٦

محمد بن محمد بن لب الكناني

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن لب.

حاله: كان ذا كرا للعلوم القديمة، معتنيا بها، عاكفا عليها، متقدما في علمها على أهل وقته، لم يكن يشاركه أحد في معرفتها، من الرياضيات والطبيعات والإلهيات، ذا كرا لمذاهب القدماء، و ما أخذهم في ذلك، حافظا جدا، ذا كرا لمذاهب المتكلمين من الأشعرية وغيرهم، إلبا أنه يؤثر ما غلب عليه من ما أخذ خصومهم، و كان نفوذه في فهمه دون نفوذه في حفظه، فكان معتمده على حفظه في إيراده و مناظرته، و كان ذا كرا مع ذلك لأصول الفقه و فروعه، عجا في ذلك؛ إذا وردت مسألة، أورد ما للناس فيها من المذاهب. و عزم عليه آخر عمره، فقعد بجامع مالقة، يتكلم على الموطأ، و ما كان من قبل تهيا لذلك، إلبا أنه ستر عليه حفظه، و تعظيم أهل بلده له. قال ابن الزبير: و كانت فيه لوثة، و اخشيشان، و كان له أرب في التطواف، و خصوصا بأرض النصارى، يتكلم مع الأساقفة في الدّين، فيظهر عليهم، و كانت أموره غريبة، من امتزاج اليقظة بالغفلة، و خلط السداجة بالدعابة. يحكى عنه أنه كانت له شجرة تين بداره بمالقة، فباع ما عليها من أحد أهل السوق، فلما هم بجمعها، ذهب ليمهد للتين بالورق في الوعاء، فمنعه من ذلك، و قال له: إنما اشترت التين، و لم تدخل الورق في البيع، فتعب ذلك المشتري ما شاء الله، و جلب ورقا من غيرها، حتى انقضى الأمر، و عزم على معاملته في السنة الثانية، فأول ما اشترط الورق، فلما فرغ من الغلة، دعاه فقال له: احمل ورقك، فإنه يؤذيني، فأصابه من المشقة في جمعه من أطراف الغصون ما لم يكن يحسب، و لم تأت السنة الثالثة، إلبا و الرجل فقيه، اشترط مقدار الكفاية من الورق، فسامحه و رفق به.

دخل غرناطة و غيرها، و أخباره عجيبة. قال أبو جعفر بن الزبير: عرض لى بمالقة مسائل، يرجع بعضها إلى الطريقة البيانية، و المآخذ الأدبية؛ و ضحت ضرورة إلى الأخذ معه فيها، و في آيات من الكتاب العزيز، فاستدعيته إلى منزلي، و كان فيه تخلق، و حسن ملاقاه، مع خفته الطبيعية و تشتت منازعه، فأجاب، و أخذت معه في ذلك، فألفيته صائما عن ذلك جملة. و صمته: قال: و كان القاضي الجليل أبو القاسم بن ربيع و أخوه أبو الحسن ينافران على الإطلاق، و يحذران منه، و هو كان الظاهر من حاله. قال: و استدعاني في مرض اشتد به، قبل خروجي من مالقة على انفراد، فتنصل لي مما كان يذنب به، و أكثر البكاء، حتى رثيت له.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٥٧

وفاته: توفي بمالقة، و وصي قبل موته بوصايا من ماله، في صدقات و أشباهها، و حبس داره و طائفه من كتبه على الجامع الكبير بمالقة.

محمد بن محمد البدوي

الخطيب بالربض من بلش، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من «العائد»: كان، رحمه الله، حسن التلاوة لكتاب الله، ذا قدم في الفقه، له معرفة بالأصلين، شاعرا مجيدا، بصيرا، بليغا في خطبته، حسن الوعظ، سريع الدّمة. حجّ و لقي جلة. و أقرأ ببلش زمانا، و انتفع به، و لقي شادايد أصلها الحسد. مشيخته: قرأ العلم على الشيخين المقرئين، الحجّتين، أبي جعفر بن الزيات، و أبي عبد الله بن الكماد، و قرأ العربية و الأصلين على الأستاذ أبي عمرو بن منظور، و لازمه و انتفع به، و قرأ الفقه على الشيخ القاضي أبي عبد الله بن عبد السلام بمدينة تونس.

شعره: من شعره قوله في غرض النسيب: [السريع]

خال على خدك أم عنبر؟ ولؤلؤ ثغرك أم جوهر؟

أوريت نار الوجد طي الحشافصارت النار به تسعر

لو جدت لي منك برشف اللمالقلت: خمر عسل سكر
دعني في الحب أذب حسره سفك دم العاشق لا ينكر
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٥٨
و قال: [البسيط]

عيناى تفهم من عينيك أسرار او ورد خدك يذكي فى الحشا نارا
ملكيت قلب محب فيك مكتئب قد أثر الدمع فى خديه آثارا
رضاب ثغرك يروى حر غلته يا ليت نفسى تقضى منه أوطارا
أنعم بطيف خيال منك ألمحه ما ذا عليك بطيف منك لو زارا
نفسى فداؤك من ظبي به كلف يصبو له القلب مضطرا و مختارا
و قال: [مجزوء الرمل]

أيها الظبي ترفق بكئيب قد هلك
الذنب تتجنى أم لشيء يوصلك؟
إن روى لك ملك و كذا قلبى لك
إنما أنت هلال فلك القلب فلك

و من مجموع نظمه و نثره ما خاطبنى به، و قد طلبت من أدبه لبعض ما صدر عنى من المجموعات: «يا سيدى، أبقاك الله بهجة
للأعيان الفضلاء، و حجة لأعلام العلاء، و لا زلت تسير فوق التسر، و تجرى فى الفضائل على كرم النجر. ذكر لى فلان أنكم أردتم أن
يرد على كمالكم، بعض الهذيان الصادر عن معظم جلالكم، فأكبرت ذلك، و رأيتنى لست هنالك، و عجت أن ينظم مع الدرّ
السبيح، أو يضارع العمش الدعج. بيد أن ننظم الدرّ صنّاع، و الحديث قد يذاع، و لا يضاع، و حين اعتذرت له فلم يعذرني، و انتظرته
فلم ينظرني، بعد أن استعفيته فأبى، و استنهضت جواد الإجابة فكبى، و سلك غير طريقي، و لم يبلغنى ريقى، و فئت الغرض، و قضيت
من إجابته الحق المفترض، و رددت عن تعذاله النصيح، و أثبت هنا ما معناه صحيح، و لفظه غير فصيح: [السريع]

بريت من حولى و من قوتى بحول من لا حول إلا له
و ثقّت بالخالق فهو الذى يدبر العبد و أفعاله

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٥٩

و قلت بالحرم عند الملتزم من المنظوم فى مثل ذلك: [المتقارب]

أمولاي بالباب ذو فاقه و هذا يحط خطايا الأمم

فجد لى بعفوك عن زلتى وجود الكريم بقدر الكرم

و مما أعدده للوفادة على خير من عقدت عليه ألوية الشيادة: [الكامل]

حمدت إليك مع الصباح سراها و أتتك تطلب من نداك قراها

و سرت إليك مع التسيم يمينها شوقا يسابق فى السرى يسراها

و لو لا العجر لوصلت، و العذر لأطلت، لكن ثنيت عنانى لثنائك، لحسن اعتنائك، و قلت معذرا من الصورة لمجدكم، و تاليا سورة

حمدكم: [البسيط]

المجد يخبر عن صدق ماثره و ناظم المجد فى العلياء ناثره

و الجود إن جد جد المرء ينجده و قلما ثم فى الأيام ذاكره

من نال ما نلت من مجد و من شرف؟ فليس في الناس من شخص يناظره
يا سيدا طاب في العلياء محتده دم ماجدا رسخت فيه أو اصره
سريت في الفضل مستنًا على سنن الفضل مآربه حقا و سامره
ورثته عن كبير أوحد علم كذاك يحمله أيضا أكابره
مبارك الوجه وضاح الجبين له نور ينير أغرّ التور باهره
موفق بكفيل من عنايته مرفّع العذر سامي الذّكر طاهره
رعيت في الفضل حقّ الفضل مجتهدا مفهوما مجدك هذا الحكم ظاهره
علوت كالشمس إشراقا و منزله فأنت كالغيث يحيي الأرض ماطره
ينمّ بالفضل منك الفضل مشتهدا كما ينمّ بزهر الرّوض عاطره
دم و ابق للمجد كهفا و العلا وزرا فإنما المجد شخص أنت ناظره
مؤمّلا منك خيرا أنت صانعه و صانع الخير عند الله شاكره
و ما وليت و ما أوليت من حسن للناس و العالم العلوي ذاكره
بقيت تكسب من والاك مكرمه و ناصرا أبدا من قلّ ناصره
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٦٠ عذرا لك الفضل عمّا جئت من خطأ أن يخط مثلى يوما أنت عاذره
ثم السلام على عليك من رجل تهدي الذي أبدا تخفى ضمائره
دخوله غرناطة: دخلها غير ما مرّة، و لقيته بها لتقصي بعض أغراض باب السلطان، مما يليق بمثله.
مولده:
وفاته: توفي ببلش في أخريات عام خمسين و سبعمائة.

محمد بن عبد الله بن ميمون بن إدريس بن محمد ابن عبد الله العبدري

قرطبي، استوطن مدينه مراكش، يكنى أبا بكر.
حاله: كان عالما بالقراءات، ذاكرا للتفسير، حافظا للفقاه و اللغات و الأدب، شاعرا محسنا، كاتبنا بليغا، مبرزنا في النحو، جميل العشرة،
حسن الخلق، متواضعا، فكه المحاضرة، مليح المداعبة. و صنّف في غير ما فنّ من العلم، و كلامه كثير مدوّن، نظما و نثرا.
مشيخته: روى عن أبي بكر بن العربي، و أبي الحسن شريح، و عبد الرحمن بن بقي، و ابن البادش، و يونس بن مغيث، و أبي عبد الله
بن الحاج، و أبي محمد بن عتاب، و أبي الوليد بن رشد، و لازمه عشرين سنه. قرأ عليهم و سمع، و أجازوا له، و سمع أبا بحر الأسدي،
و أبوي بكر عيّاش بن عبد الملك، و ابن أبي ركب، و أبا جعفر بن شانجه، و أبا الحسن عبد الجليل، و أبا عبد الله بن خلف
الأيسري، و ابن المناصف، و ابن أخت غانم، و لم يذكر أنهم أجازوا له، و روى أيضا عن أبوي عبد الله مكّي، و ابن المعمر، و أبي
الوليد بن طريف.
من روى عنه: روى عنه أبو البقاء يعيش بن القديم، و أبو الحسن بن مؤمن، و أبو زكريا المرجعي، و أبو يحيى أبو بكر الضرير و
اختصّ به.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٦١

توالياه: من مصنفاته «مشاهد الأفكار في مآخذ النظار» و شرحاه الكبير و الصغير على «جمل الزجّاجي»، و شرح أبيات الإيضاح
العضدي، و «مقامات الحريري»، و شرح معشّراته الغزليّة، و مكفّراته الزهديّة، إلى غير ذلك، و هما مما أبان عن وفور علمه، و غزارة

مادته، و اتساع معارفه، و حسن تصرفه.

دخل غرناطة راويا عن الحسن بن الباذش و مثله.

محنته: كان يحضر مجلس عبد المؤمن مع أكابر من يحضره من العلماء، فيشرف على أكثرهم بما كان لديه من التحقيق بالمعارف، إلى أن أنشد أبا محمد عبد المؤمن أبياتا كان نظمها في أبي القاسم عبد المنعم بن محمد بن تست، و هي:

[المتقارب]

أبا قاسم و الهوى جنه و ها أنا من مسها لم أفق
تقحمت جامع نار الضلوع كما خضت بحر دموع الحدق
أكنت الخليل، أكنت الكلیم؟ أمنت الحريق، أمنت الغرق
فهجره عبد المؤمن، و منعه من الحضور بمجلسه، و صرف بنيه عن القراءة عليه، و سرى ذلك في أكثر من كان يقرأ عليه، و يتردد إليه، على أنه كان في الطبقة العليا من الطهارة و العفاف.
شعره: قال في أبي القاسم المذكور: و كان أزرق، و قد دخل عليه و معه أبو عبد الله محمد بن أحمد الشاطبي، و أبو عثمان سعيد بن قوسرة، فقال ابن قوسرة:

[الكامل]

عابوه بالزرق الذي يجفونه و الماء أزرق و العيون كذلك
فقال أبو عبد الله الشاطبي: [الكامل]

الماء يهدى للنفوس حياتها و الرّمح يشرع للمنون مسالك
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٦٢

فقال أبو بكر بن ميمون المترجم به: [الكامل]

و كذاك في أجفانه سبب الردى لكن أرى طيب الحياة هنالك
و مما استفاض من شعره قوله في زمن الصبا، عفا الله عنه: [الكامل]
لا تكثر بفراق أوطان الصبافعى تنال بغيرهنّ سعودا
و الدرّ ينظم عند فقد بحاره بجميل أجياد الحسان عقودا
و من مشهور شعره: [الطويل]

توسلت يا ربى بأنى مؤمن و ما قلت أنى سامع و مطيع
أ يصلى بحرّ النار عاص موحدو أنت كريم و الرسول شفيع؟
و قال في مرضه: [مخلع البسيط]

أ يرتجى العيش من عليه دلائل للردى جليته؟
أولها مخبر بثان ذاك أمان و ذا منيته؟

وفاته: توفى بمراكش يوم الثلاثاء اثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة سبع و ستين و خمسمائة، و دفن بمقبرة تاغزوت داخل مراكش، و قد قارب السبعين سنة.

محمد بن عبد الله بن عبد العظيم بن أرقم النّميرى

من أهل وادى آش، يكنى أبا عامر.

حاله: كان أحد شيوخ بلده و طلبته ، مشاركاً في فنون، من فقه و أدب و عريية، و هي أغلب الفنون عليه، مطرح السِّمت، مخشوشن الزّي، قليل المبالاة بنفسه، مختصراً في كافة شؤونه، مليح الدّعاء، شديد الحمل، كثير التواضع، و بيته معمور بالعلماء أولى الأصالة و التعيين. تصدّر ببلده للفتيا و التدريس و الإسماع.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٦٣

مشيخته: قرأ على الأستاذ القاضي أبي خالد بن أرقم، و الأستاذ أبي العباس بن عبد التّور. و روى عن أبيه مديح رسول الله صلى الله عليه و سلم، و عن الوزير العالم أبي عبد الله بن ربيع، و القاضي أبي جعفر بن مسعدة، و الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، و ولي الله الحسن بن فضيلة.

و رحل إلى العدو، فأخذ بسبته عن الأستاذ أبي بكر بن عبيدة، و الإمام الزاهد أبي عبد الله بن حريث، و أبي عبد الله بن الخضار، و أبي القاسم بن الشّاط، و غيرهم.

شعره: و هو من الجزء المسمى بـ «شعر من لا- شعر له» و الحمد لله. فمن ذلك قوله يمدح أبا زكريا العزفي بسبته، و يذكر ظفره بالأسطول من قصيدة أولها :

[الكامل]

أما الوصال فإنه كالعيد عذر المتيم واضح في الغيد

وفاته: توفي ببلده عام أربعين و سبعمائة. و دخل غرناطة راوياً و متعلماً، و غير ذلك.

محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن فرج ابن الجد الفهري

الحافظ الجليل، يكنى أبا بكر، جليل إشبيلية، و زعيم وقته في الحفظ. لبلى الأصل، إشبيلي، استدعاه الشّيد أبو سعيد والي غرناطة، فأقام بها عنده في جملة من الفضلاء مثله سنين. ذكر ذلك صاحب كتاب «ثورة المريرين» .

حاله: كان في حفظ الفقه بحرا يغرف من محيط. يقال: إنه ما طالع شيئاً من الكتب فنسيه، إلى الجلالة و الأصالة، و بعد الصّيت، و اشتهاه المحلّ. و كان مع هذا يتكلّم عند الملوّك، و يخطب بين يديها، و يأتي بعجاب، و في كتاب «الإعلام» شيء من خبره، قال ابن الزبير.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٦٤

مشيخته: روى عن أبي الحسن بن الأخضر، أخذ عنه كتاب سيبويه و غير ذلك، و عن أبي محمد بن عتاب، و سمع عليه بعض الموطّأ، و عن أبي بحر الأسدي، و أبي الوليد بن طريف، و أبي القاسم بن منظور القاضي، و سمع عليه صحيح البخاري كله، و شريح بن محمد، و أبي الوليد بن رشد، و ناوله كتاب «البيان و التحصيل». و كتاب «المقدمات». لقي هؤلاء كلهم، و أجازوا له عامه. و أخذ أيضاً عن مالك بن وهيب.

من حدّث عنه: أبو الحسن بن زرقون، و أبو محمد القرطبي الحافظ، و ابنا حوط الله، و غيرهم. و عليه من ختمت به المائة السادسة كأبي محمد بن جمهور، و أبي العباس بن خليل، و إخوته الثلاثة أبي محمد عبد الله، و أبي زيد عبد الرحمن، و أبي محمد عبد الحق. قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: حدّثني عنه ابن خليل و أبو القاسم الجيّاني، و أبو الحسن بن السّراج.

مولده: ببلده في ربيع الأول سنة ست و تسعين و أربعمائة.

وفاته: و توفي بإشبيلية في شوال سنة ست و ثمانين و خمسمائة. ذكره ابن الملجوم، و أبو الربيع بن سالم، و ابن فرتون.

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن الفخار الجذامي

يكنى أبا بكر، أركشى المولد و المنشأ، ملقى الاستيطان، شريشى التدرّب و القراءة.

حاله: من «عائد الصيلة»: كان، رحمه الله، خيرا صالحا، شديد الانقباض، مغرقا في باب الورع، سليم الباطن، كثير العكوف على العلم و الملازمة، قليل الرياء و التصنع. خرج من بلده أركش عند استيلاء العدو على قصبته، و كان يصفها، و ينشد فيها من شعر أستاذه الأديب أبي الحسن الكرمانى: [المجتث]

أكرم بأركش داراتها على البدر قدرا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٦٥ يخاطب المجد عنها للقلب تدنى شكرا

و استوطن مدينة شريش، و قرأ بها، و روى بها عن علمائها، و أقرأ بها، و لما استولى العدو عليها لحق بالجزيرة الخضراء، فدرّس بها، ثم عبر البحر إلى سبتة، فقرأ بها و روى. ثم كثر إلى الأندلس، فقصده غرناطة، و أخذ عن أهلها. ثم استوطن مالقة، و تصدّر للإقراء بها؛ مفيد التعليم، متفنه، من فقه و عريية و قراءات و أدب و حديث، عظيم الصبر، مستغرق الوقت. يدرس من لدن صلاة الصبح إلى الزوال. ثم يسند ظهره إلى طاق المسجد بعد ذلك، فيقرىء، و تأتبه النساء من خلفه للفتيا، فيفتيهنّ على حال سؤالاتهنّ إلى نصف ما بين العصر و العشاء الأولى. ثم يأتى المسجد الأعظم بعد الغروب، فيقعد للفتيا إلى العشاء الآخرة، من غير أن يقبل من أحد شيئا. و من أخذ منه بعد تحكيم الورع، أتابه بمثله، ما رئى في وقته أروع منه. و كان يتخذ روميّة مملوكه، لا يشتمل منزله على سواها، فإذا أنس منها الضجر للحصر و تمادى الحجاب، أعتقها، و أصحبها إلى أرضها.

و نشأت بينه و بين فقهاء بلده خصومة في أمور عدّوها عليه، مما ارتكبتها اجتهاده في مناط الفتوى، و عقد لهم أمير المسلمين بالأندلس مجلسا أجلي عن ظهوره فيه، و بقاء رسمه، فكانت محنة، و خلّصه الله منها. و بلغ من تعظيم الناس إياه، و انحياسهم إليه، مبلغا لم ينله مثله، و انتفع بتعليمه، و استفيد منه الأدب على نسكه و سداجته.

مشيخته: قرأ ببلده شريش على المكتّب الحاج أبي محمد عبد الله بن أبي بكر بن داود القيسى، و على الأستاذ أبي بكر محمد بن محمد بن الزياح، و على الأستاذ أبي الحسن على بن إبراهيم بن حكيم السّكونى الكرمانى؛ أخذ عنه العريية و الأدب، و على الحافظ أبي الحسن على بن عيسى، المعروف بابن متيوان، و على الأصولى الكاتب أبي الحسن هلال بن أبي سنان الأزدى المرّاكشى، و على الخطيب أبي العرب إسماعيل بن إبراهيم الأنصارى، و على الفقيه أبي عبد الله الجنيدى، المعروف بالغراق، و على الفقيه العدى أبي عبد الله محمد بن على بن يوسف، المعروف بابن الكاتب المكناسى. و قرأ بالجزيرة الخضراء على الخطيب الصالح أبي محمد الرّكبي، و روى عنه، و قرأ بها على الخطيب أبي عبيد الله بن خميس، و على الأصولى أبي أمية. و قرأ بسبتة على الأستاذ الفرضى إمام النحاء أبي الحسن بن أبي الربيع، و على أبي يعقوب المحبسانى، و على المحدث أبي عمرو عثمان بن عبد الله

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٦٦

العبدري، و على الفقيه المالكى الحافظ أبي الحسن المتيوى، و الأصولى أبي الحسن البصرى، و الفقيه المعمر الراوية أبي عبد الله محمد الأزدى، و المحدث الحافظ أبي محمد بن الكماد، و على الأستاذ العروضى الكفيف أبي الحسن بن الخضار التلمسانى. و لقى بغرناطة قاضى الجماعة أبا القاسم بن أبي عامر بن ربيع، و الأستاذ أبا جعفر الطباع، و أبا الوليد إسماعيل بن عيسى بن أبي الوليد الأزدى، و الأستاذ أبا الحسن بن الصّانغ. و لقى بمالقة الخطيب الصالح أبا محمد عبد العظيم ابن الشيخ، و الرّواية أبا عبد الله محمد بن على بن الحسن الجذامى السّهلى. و سمع على الرّواية أبي عمرو بن حوط الله، و على الأستاذ أبي عبد الله بن عباس القرطبى.

توآليفه: كان، رحمه الله، مغزى بالتأليف، فألف نحو الثلاثين تأليفا في فنون مختلفة، منها كتاب «تجوير نظم الجمان، في تفسير أم القرآن»، و «انتفاع الطلبة النبهاء، في اجتماع السبعة القراء». و «الأحاديث الأربعون، بما ينتفع به القارئون و السامعون»، و كتاب «منظوم الدرر، في شرح كتاب المختصر»، و «كتاب نصح المقالة، في شرح الرسالة»، و كتاب «الجواب المختصر المروم، في تحريم سكنى المسلمين ببلاد الرّوم»، و كتاب «استواء النهج، في تحريم اللعب بالشرطنج»، و كتاب «الفصل المنتضى المهزوز، في الرد على من أنكر

صيام يوم النيروز»، وكتاب «جواب البيان، على مصارمة أهل الزمان»، وكتاب «تفضيل صلاة الصبح للجماعة في آخر الوقت المختار، على صلاة الصبح للمنفرد في أول وقتها بالابتدأ»، وكتاب «إرشاد السالك، في بيان إسناد زياد عن مالك»، وكتاب «الجوابات المجتمعة، عن السؤالات المنوعة»، وكتاب «إملاء فوائد الدول، في ابتداء مقاصد الجمل»، وكتاب «أجوبة الإفتاح والإحساب، في مشكلات مسائل الكتاب»، وكتاب «منهج الصواب المقسمة، في شرح قوانين المقدمة»، وكتاب «التوجيه الأوضح الأسمى، في حذف التنوين من حديث أسما»، وكتاب «التكلمة والتبرئة، في إعراب البسملة والتصلية»، وكتاب «سح مزنة الانتخاب، في شرح خطبة الكتاب». ومنها اللوائح المعتمد عليه، في الرد على من رفع الخبر بلا إلى سيويه، وغير ذلك من مجيد ومقصر.

شعره: وشعره كثير، غريب النزعة، دال على السذاجة، وعدم الاسترابة والشعور، والغفلة المعربة عن السلامة، من ارتكاب الحوشى، واقتحام الضرار، واستعمال الألفاظ المشتركة التي تشببت بها أطراف الملاحين والمعارضين، ولع كثير من أهل زمانه بالرد عليه، والتملح بما يصدر عنه، منهم القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٦٧

و من منتخب شعره قوله: [الكامل]

انظر إلى ورد الرياض كأنه ديباج خد في بنان زبرجد

قد فتحت نضارة فبدا له في القلب رونق صفرة كالعسجد

حكّت الجوانب خد حب ناعم و القلب يحكى خد صب مكمّد

حدّث الفقيه العدل أبو جعفر أحمد بن مفضل المالقي، قال: قال لى يوما الشيخ الأستاذ أبو بكر بن الفخار: خرجت ذات يوم وأنا شاب من حلقة الأستاذ بشرى، أعادها الله للإسلام، فى جملة من الطلبة، وكان يقابل باب المسجد حانوت سراج، وإذا فتى وسيم فى الحانوت يرقم جلدا كان فى يده، فقالوا لى: لا تجاوز هذا الباب، حتى تصنع لنا شعرا فى هذا الفتى. فقلت: [الوافر]

و ربّ معذّر للحبّ داع يروق بهاء منظره البهيج

و شى فى وجنتيه الحسن و شياكوشى يديه فى آدم السروج

مولده: بحصن أركش بلده، و كان لا يخبر به، فى ما بين الثلاثين والأربعين و ستمائة.

وفاته: توفى بمالقة فى عام ثلاثة و عشرين و سبعمائة، و كانت جنازته بمالقة مشهورة.

محمد بن على بن عمر بن يحيى بن العربى الفستانى

من أهل الحمة من عمل المريّة، يكنى أبا عبد الله، و يعرف بابن العربى، و ينتمى فى بنى أسود من أعيانها.

حاله: من «العائد»: كان، رحمه الله، من أهل العلم والدين والفضل، طلق الوجه، حسن السير، كثير الحياء، كأنك إذا كلمته تخاطب البكر العذراء، لا تلقاه إلا مبتسما، فى حسن سمت، و فضل هوى، و جميل وقار، كثير الخشوع، و خصوصا عند الدخول فى الصلاة، تلوح عليه بذلك، عند تلاوته سيما الحضور، و حلاوة الإقبال. و كان له تحقّق بضبط القراءات، و القيام عليها، و عناية بعلم العربية، مع مشاركة فى غير ذلك من الفنون السنية، و العلوم الدينية. انتصب للإقراء و التدريس

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٦٨

بالحمة المذكورة، فقرب التّجعة على أهل الحصون و القرى الشّرقية، فصار مجتمعا لأرباب الطّلب من أهل تلك الجهات و مرتفقاتهم. و كان رجلا صالحا، مبارك التّية، حسن التّعليم، نفع الله به من هنالك، و تخرّج على يديه جمع وافر من الطّلبة، عمرت بهم سائر الحصون. و كان له منزل رحب للقاصدين، و متدى عذب للواردين. تجول فى آخرة بالأندلس و العدو، و أخذ عمن لقي بها من العلماء، و أقام مدة بسبته مكبا على قراءة القرآن و العربية. و بعد عوده من تجواله لزم التصدّر للإقراء بحيث ذكر، و قد كانت الحواضر

فقيرة لمثله، غير أنه أثر الوطن، واختار الاقتصاد.

مشيخته: أخذ بالمرية عن شيخها أبي الحسن بن أبي العيش، و بقرناطة عن الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، والعدل أبي الحسن بن مستقور. و ببلش عن الأستاذ أبي عبد الله بن الكماد، والخطيب أبي جعفر بن الزيات. و بمالقة عن الأستاذ أبي عبد الله بن الفخار، و الشيخ أبي عبد الله محمد بن يحيى بن ربيع الأشعري.

و بالجزيرة عن خطيبها أبي العباس بن خميس. و بسبته عن الأستاذ أبي إسحاق الغافقي، والخطيب أبي عبد الله بن رشيد، والإمام الصالح أبي عبد الله محمد بن محمد بن حريث، والقاضي أبي عبد الله القرطبي، والزاهد أبي عبد الله بن معلّى، والشيخ الخطيب أبي عبد الله الغماري. و بمكناسة من القاضي و ارياش. و بفاس من الحاج الخطيب أبي الربيع سليمان بن مفتاح اللجائي، والأستاذ أبي الحسن بن سليمان، والأستاذ أبي عبد الله بن أجروم الصنهاجي، والحاج أبي القاسم بن رجا بن محمد بن علي و غيرهم، و كل من ذكر أجاز له عامه، إلا قاضي مكناسة أبي عبد الله محمد بن علي الكلبي الشهير بوارياش.

مولده: في أول عام اثنين و ثمانين و ستمائة.

وفاته: توفي بالحمّة ليلة الاثنين الثامن عشر لشهر محرّم عام ثمانية و أربعين و سبعمائة.

محمد بن علي بن محمد العبدري

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله، و يعرف باليتيم.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٦٩

حاله: كان، رحمه الله، أحد الظرفاء من أهل بلده، مليح الشكل، حسن الشبيبة، لودعيا في وقار، رشيق النظم و النثر، غزلا مع الصون، كثير الدعابة من غير إفحاش، غزير الأدب، حسن الصوت، رائق الخط، بديع الوراق، معسول الألفاظ، ممتع المجالسة، طيب العشرة، أدب الصبيان مدة، و عقد الشروط أخرى، و كان يقرأ كتب الحديث و التفسير و الرقائق للعامّة بالمسجد الأعظم، بأعذب نغمة، و أمثل طريقة، مذ أزيد من ثلاثين سنة، لم يخل منها وقتا إلا ليلتين، إحداهما بسبب امتساكنا به في نزهة برياض بعض الطلبة، لم يخلف مثله بعده. و خطب بقصبة مالقة، و مال أخيرا إلى نظر الطب، فكان الناس يميلون إليه، و ينتفعون به لسياغ مشاركته، و عموم انقياده، و برّه، و عمله على التودّد و التجمّل.

و جرى ذكره في «التاج المحلّي» بما نصّه: مجموع أدوات حسان، من خطّ و نغمة و لسان، أوراقه روض تتضوّع نسّماته، و بشره صبح تتألّق قسّماته، و لا تخفى سمّاته. يقرطس أغراض الدعابة و يصميها، و يفوق سهام الفكاهة إلى مراميتها، فكلما صدرت في عصره قصيدة هازلة، أو أبيات منحة عن الإجادة نازلة، خمّس أبياتها و ذيلها، و صرف معانيها و سهلها، و تركها سمر التّدمان، و أضحوكة الزمان. و هو الآن خطيب المسجد الأعلى من مالقة، متحلّ بوقار و سكينه، حالّ من أهلها بمكانة مكيّنة، لسهولة جانبه، و اتّصاح مقاصده في الخير و مذهب. و اشتغل لأوّل أمره بالتعليم و التّكريب، و بلغ الغاية في الوقار و التّرتيب، و الشّباب لم ينصل خضابه، و لا سلّت للمشيبي عضابه، و نفسه بالمحاسن كلفة صبيّة، و شأنه كله هوى و محبّة، و لذلك ما خاطبه به بعض أودّائه، و كلاهما رمى أهله بدائه، حسبما يأتي خلال هذا القول و في أثناؤه، بحول الله.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٧٠

شعره: كتبت إليه أسأل منه ما أثبت في كتاب «التاج» من شعره، فكتب إليّ: [البسيط]

أمّا الغرام فلم أخلل بمذهبه فلم حرمت فؤادي نيل مطلبه؟

يا معرضا عن فؤاد لم يزل كلفابحبه ذا حذار من تجنّبه

قطعت عنه الذي عودته فغداو حظّه من رضاه برق خلبه

أيام وصلك مبذول، و برّك بى مجدّد، قد صفا لى عذب مشربه
و سمع ودك عن إفك العواذل فى شغل و بدر الدّجى ناس لمغربه
لا أنت تمنعنى نيل الرّضا كرماو لا فؤادى بوان فى تطّبه
للّه عرفك ما أذكى تنسّمه لو كنت تمنحنى استنشاق طيّبه
أنت الحبيب الذى لم أتخذ بدلامنه و حاش لقلبى من تقّله
يا ابن الخطيب الذى قد فقت كلّ سنا أزال عن ناظرى إظلام غيبه
محمد الحسن فى خلق و فى خلق أكملت باسمك معنى الحسن فازه به
نأيت أو غبت ما لى عن هواك غنى لا ينقص البدر حسنا فى تغّييه
سيان حال التّدانى و البعاد، و هل لمبصر البدر نيل فى ترقيّه؟
يا من أحسن ظنّى فى رضاه و ماينفكّ يبدى قبيحا من تغضّبه
إن كان ذنبى الهوى فالقلب متّى لا يصغى لسمع ملام من مؤّبه
فأجبتة بهذه الرساله، و هى ظريفه فى معناها :

«يا سيدى الذى إذا رفعت رايه ثنائته تلقّيتها باليدىن ، و إذا قسّمت سهام وداده

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٧١

على ذوى اعتقاده كنت صاحب الفريضة و الدّين، دام بقاؤك لطفه تبديها، و غريبه تردفها بأخرى تليها، و عقيله بيان تجليها، و نفس
أخذ الحزن بكظمها، و كلف الدهر بشتّ نظمها، تؤنسها و تسليها، لم أزل أعزّك اللّه، أشدّ على بدائعها يد الصّنين ، و أقتنى درر
كلامك، و نفثات أقلامك، اقتناء الدّر الثمين، و الأيام بلقياك تعد، و لا تسعد، و فى هذه الأيام انثالت على سماوك بعد قحط، و
توالت على الآوك على شحط ، و زارتنى من عقائل بيانك كلّ فاتنه الطّرف، عاطره العرف، رافله فى حلل البيان و الطّرف، لو
ضربت بيوتها بالحجاز، لأقرّت لنا العرب العاربه بالإعجاز، ما شئت من رصف المبنى، و مطاوعه اللفظ لغرض المعنى، و طيب
الأسلوب، و التّشبّث بالقلوب، غير أن سيدى أفرط فى التّنزل، و خلط المخاطبه بالتّعزّل، و راجع الالتفات، و رام استدراك ما فات.
يرحم اللّه شاعر المعزّه، فلقد أجاد فى قوله، و أنكر مناجاة الشّوق بعد انصرام حوله، فقال: [البسيط]

أبعد حول تناجى الشّوق ناجيه هلا و نحن على عشر من العشر

و قد تجاوزت فى الأمد، و أنسيت أخبار صاحبك عبد الصّمد، فأقسم بألفات القدود، و همزات الجفون السّود، و حاملى الأرواح مع
الألواح، بالعدوّ و الرّواح، لو لا- بعد مزارك، ما أمنت غائله ما تحت إزارك. ثمّ إنى حققت الغرض، و بحثت عن المشكل الذى
عرض، فقلت: للخواطر انتقال، و لكلّ مقام مقال، و تختلف الحوائج باختلاف الأوقات، ثم رفع اللبس خبر الثّقات.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٧٢

و منها: و تعرّفت ما كان من مراجعه سيدى لحرفه التّكثير و التّعليم، و الحنين إلى العهد القديم، فسرتت باستقامه حاله، و فضل ماله،
و إن لا- حظ الملاحظ، ما قال الجاحظ، فاعتراض لا يردّ، و قياس لا يضطرد، حيّذا و اللّه عيش أهل التّأديب، فلا بالصّنك و لا
بالجديب، معاهده الإحسان، و مشاهده الصّور الحسان، يمينا إنّ المعلمين، لساده المسلمين، و إنى لأنظر منهم كلما خطرت على
المكاتب، أمراء فوق المراتب، من كل مسيطر الدّره، متقطّب الأسره، متمر للوارد تنمر الهره، يغدو إلى مكتبه، كالأمير فى موكبه،
حتى إذا استقلّ فى فرشه، و استولى على عرشه، و ترنم بتلاوه قالونه و ورشه، أظهر للخلق احتقاراه، و أزرى بالجبال وقاراه، و رفعت إليه
الخصوم، و وقف بين يديه الظّالم و المظلوم، فتقول: كسرى فى إيوانه، و الرّشيد فى زمانه، و الحجاج بين أعوانه. و إذا استولى على
البدر السّيرار، و تبين للشّهر الغرار، تحرّك إلى الخرج، تحرّك العود إلى الفرج، أستغفر اللّه مما يشقّ على سيدى سماعه، و تسمّتر

من ذكره طباعه، شيم اللسان، خلط الإساءة بالإحسان، والغفلة من صفات الإنسان. فأى عيش هذا العيش، وكيف حال أمير هذا الجيش؟ طاعة معروفة، ووجه إليه مصروفة، فإن أشار بالإنصات، تتحقق الغصات، فكأنما طمس الأفواه، ولأم بين الشفاه، وإن أمر بالإفصاح، وتلاوة الألواح، علا الضجيج والعجيج، وحف به كما حف بالبيت الحجيج. وكم بين ذلك من رشوة تدس، وغمزة لا تحس، و وعد يستنجز، وحاجة تستعجل وتحفز. هنا الله سيدي ما خوله، وأنساه بطيب آخره أوله. وقد بعثت

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٧٣

بدعابتي هذه مع إجلال قدره، والثقة بسعة صدره، فليتلقها بيمينه، ويفسح لها في المرتبة بينه وبين خدينه، ويفرغ لمراجعتها وقتا من أوقاته عملا بمقتضى دينه، وفضل يقينه، والسلام.

و من شعره ما كتب به إليّ: [الكامل]

آيات حسنك حجة للقال في الحب قائمة على العذال
يا من سبى طوعا عقول ذوى النهى ببلاغة قد أيدت بجمال
يستعبد الأبصار والأسماع ما يجلو ويتلو من سنن مقال
وعليك أهواء النفوس بأسرها وقفت فغيرك لا يمر بيال
رفعت لديك في البلاغة راية لما احتلت بها وحيد كمال
وغدت تباهى منك بالبدر الذى تعنو البدور لنوره المتلالى
ما ذا ترى يا ابن الخطيب لخطاب ودأ ينافس فيك كل مغال؟
جذبتة نحو هواك غر محاسن مشفوعة أفرادها بمعال
وشمائل رقت لرقه طبعها فزالها يزرى بكل زلال
وحلى آداب بمثل نفيسها تزهو الحلى ويجل قدر الحالى
تستخدم الياقوت عند نظامها فمقصر من قاسها بلاك
سبق الأخير الأولين بفضلها فغدا المقدم تابعا للتالى
شغفى ببكر من عقائلها إذا تبدو تصان من الحجى بحجال
فابعث بها بنت المنى مهمورة طيب الثناء لنقدها والكالى
لا زلت شمسا فى الفضائل يهتدى بسناك فى الأفعال والأقوال
ثم السلام عليك يترى ما تلت بكر الزمان روادف الآصال
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٧٤

و من الدعابة، وقد وقعت إليها الإشارة من قبل، ما كتب به إليه صديقه الملاطف أبو على بن عبد السلام: [الوافر]

أبا عبد الله نداء خلّ و فيّ جاء يمنحك النصيحة

إلى كم تألف الشبان غياو خذلانا، أما تخشى الفضيحة؟

فأجابه رحمه الله: [الوافر]

فديتك، صاحب السمّة المليحه و من طابت أرومته الصريحه

و من قلبى وضعت له محلا فما عنه يحل بأن أزيحه

نأيت فدمع عيني فى انسكاب و أكباد لفرقتكم قريحه

و طرفى لا يتاح له رقادو هل نوم لأجفان جريحه؟

و زاد تشوّقى آيات شعرات منكم بالفاظ فصيح
و لم تقصد بها جدًا، و لكن قصدت بها مداعبة قبيحه
فقلت: أتألف الشبان غياو خذلانا، أما تخشى الفضيحة؟
و فيهم حرفتى و قوام عيشى و أحوالى بخلطتهم نجيح
و أمرى فيهم أمر مطاع و أوجههم مصايح صبيحه
و تعلم أنّى رجل حصور و تعرف ذاك معرفة صحيحه

قال فى «التاج»: و لما اشتهر المشيب بعارضه و لمتّه، و خفر الدهر لعمود صباه و أذمتّه، أفلح و استرجع، و تألم لما فرط و توجع، و هو الآن من جلّة الخطباء طاهر العرض و الثوب، خالص من الثوب، باد عليه قبول قابل التوب.
وفاته رحمه الله: فى آخر صفر من عام خمسين و سبعمائة فى وقعة الطاعون العام، و دخل غرناطة.
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٧٥

و من الغباء فى هذا الباب

محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسى

من أهل تلمسان، يكنى أبا عبد الله، و يلقب من الألقاب المشرقية بشمس الدين.
حاله: هذا الرجل من طرف دهره ظرفا و خصوصية و لطافة، مليح التوشل، حسن اللقاء، مبذول البشر، كثير التودد، نطيف البرّة، لطيف التأنى، خير البيت، طلق الوجه، خلوب اللسان، طيب الحديث، مقدر الألفاظ، عارف بالأبواب، درب على صحبة الملوك و الأشراف، متفاض لإيثار السلاطين و الأمراء، يسحرهم بخلافة لفظه، و يفتلهم فى الذروة و الغارب بتزله، و يهتدى إلى أغراضهم الكمينه بحذقه، و يصنع غاشيتهم بتلطفه، ممزوج الدعابة بالوقار، و الفكاهة بالنسك، و الحشمة بالبسط، عظيم المشاركة لأهل وده، و التعصّب لإخوانه، إلف مألوف، كثير الأنباغ و العلق، مسخر الزقاع فى سبيل الوساطة، مجدى الجاه، غاص المنزل بالطلبه، منقاد الدعوة، بارع الخط أنيقه، عذب التلاوة، متسع الرّواية، مشارك فى فنون من أصول و فروع و تفسير، يكتب و يشعر و يقيد و يؤلف، فلا يعدو السداد فى ذلك، فارس منبر، غير جزوع و لا هيابة. رحل إلى المشرق فى كنف حشمة من جناب والده، رحمه الله، فحجّ و جاور، و لقي الجلة، ثم فارقه، و قد عرف بالمشرق حقه، و صرف وجهه إلى المغرب، فاشتمل عليه السلطان أبو الحسن أميره اشتمالا خلطه بنفسه، و جعله مفضى سرّه، و إمام جمعته، و خطيب منبره، و أمين رسالته، فقدم فى غرضها على الأندلس فى أواخر عام ثمانية و أربعين و سبعمائة، فاجتذبه سلطانها، رحمه الله، و أجراه على تلك الوتيرة، فقلده الخطبة بمسجده فى السادس لصفّر عام ثلاثه و خمسين و سبعمائة، و أفعده للإقراء بالمدرسة من حضرته. و فى أخريات عام أربعة

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٧٦

و خمسين بعده أطف عنه جفن برّه، فى أسلوب طماح، و دالّه، و سبيل هوى و قحة، فاغتنم العبرة، و انتهب الفرصة، و أنفذ فى الرّحيل العزّة، و انصرف عزيز الرّحلة، مغبوط المنقلب، فى أوائل شعبان عام أربعة و خمسين و سبعمائة، فاستقرّ بباب ملك المغرب، أمير المؤمنين أبى عنان فارس فى محلّ تجلّه، و بساط قرب، مشترك الجاه، مجدى التوسط، ناجع الشفاعة، و الله يتولاه و يزيده من فضله.
مشيخته: من كتابه المسمى «عجاله المستوفز المستجاز فى ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز، من أئمة المغرب و الشّام و الحجاز»: فممن لقيه بالمدينة المشرفة على ساكنها الصلاة و السلام، الإمام العلامة عزّ الدين محمد أبو الحسن بن على بن إسماعيل الواسطى، صاحب خطّتى الإمامة و الخطابة بالمسجد النبوى الكريم، و أفرد جزءا فى مناقبه. و منهم الشيخ الإمام جمال الدين أبو عبد

الله محمد بن أحمد بن خلف بن عيسى الخزرجي السَّعدي العبادي، تحمّل عن عفيف الدين أبي محمد عبد السلام بن مزروع و أبي اليمن وغيره. و الشيخ الإمام خادم الوقت بالمسجد الكريم، و نائب الإمامة و الخطابة به، و منشد الأمداح النبوية هنالك و بمكة، شرفها الله، الشيخ المعمر الثَّقة شرف الدين أبو عبد الله عيسى بن عبد الله الحجى المكيّ. و الشيخ الصالح شرف الدين خضر بن عبد الرحمن العجمي.

و الشيخ مقرئ الحرم برهان الدين إبراهيم بن مسعود بن إبراهيم الأبلى المصرى.
و الشيخ الإمام الصالح أبو محمد عبد الله بن أسعد الشافعي الحنَّفيّ، انتهت إليه الرئاسة العلمية و الخطط الشرعية بالحرم. و الشيخ قاضي القضاة و خطيب الخطباء عز الدين أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن جماعة الكنانى، قاضى القضاة بمصر.

و بمصر الشيخ علاء الدين القونوى. و التقي السعدى، و قاضى القضاة القزوينى، و الشرف أفضى القضاة الإخميمى، و كثيرون غيرهم. و سمع من عدد عديد آخر من أعلام القضاة و الحفاظ و العلماء بتونس، و بجاية، و الزَّاب، و تلمسان.

محنته: اقتضى الخوض الواقع بين يدي تأميل الأمير أبي الحسن، رحمه الله، و توقّع عودة الأمر إليه، و قد ألقاه اليمّ بالساحل بمدينة الجزائر، أن قبض

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٧٧

عليه بتلمسان أمراؤها المتوثبون عليها في هذه الفترة من بنى زيّان، إرضاء لقبيلهم المتهم بمداخلته، و قد رحل عنهم دسيسا من أميرهم عثمان بن يحيى بن عبد الرحمن بن يغمراسن، فصرف مأخوذا عليه طريقه، منتها رحله، منتهكة حرمة، و أسكن قرارة مطبق عميق القعر، مقفل المسلك، حريز القفل، ثانی اثنين. و لأيام قتل ثانيه ذبحا بمقربة من شفى تلك الرُّكبة، و انقطع لشدة الثَّفاف أثره، و أيقن الناس بفوات الأمر فيه. و لزمان من محنته ظهرت عليه بركة سلفه فى خبر ينظر بطرفه إلى الكرامة، فنجا و لا تسل كيف، و خلّصه الله خلاصا جميلا، و قدم على الأندلس، و الله ينفعه بمحنته.

شعره، و ما وقع من المكاتبه بينى و بينه: ركب مع السلطان خارج الحمراء، أيام ضربت اللوز قبابها البيض، و زينت الفحص العريض، و الرّوض الأريض، فارتجل فى ذلك: [الكامل]

انظر إلى التّوار فى أغصانه يحكى النجوم إذا تبدّت فى الحلک
حيا أمير المسلمين و قال: قد عميت بصيرة من غيرك مثلك
يا يوسف حزت الجمال بأسره فمحاسن الأيام تومى هيت لك
أنت الذى صعدت به أو صافه فيقال فيه: ذا مليك أو ملك

و لما قدمت على مدينة فاس فى غرض الرسالة، خاطبنى بمنزل الشاطبي على مرحلة منها بما نصه: [الكامل]

يا قادما وافى بكلّ نجاح أبشر بما تلقاه من أفراح

هذى ذرى ملك الملوك فلذ بهاتل المنى و تفر بكلّ سماح

مغنى الإمام أبى عنان يَمَن تظفر ببحر فى العلى طَفّاح

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٧٨ من قاس جود أبى عنان ذى الندى بسواه قاس البحر بالصّحاح

ملك فيفيض على العفاة نواله قبل السّؤال و قبل بسطة راح

فلجود كعب و ابن سعدى فى الندى ذكر محاه من نداه ماح

ما أن رأيت و لا سمعت بمثله من أريحيّ للندى مرتاح

بسط الأمان على الأنام فأصبحوا قد ألحفوا منه بظّل جناح

و همى على العافين سيب نواله حتى حكى سخّ الغمام الساحى

فواله و جلاله و فعاله فاقت و أعيت ألسن المدّاح
و به الدّنا أضحت تروق و أصبحت كلّ المنى تنقاد بعد جماح
من كان ذا ترح فرؤيه وجهه متلافه الأحزان و الأتراح
فانهض أبا عبد الإله تفز بما تبغيه من أمل و نيل نجاح
لا زلت ترتشف الأمانى راحة من راحة المولى بكلّ صباح
و الحمد لله يا سيدى و أخى على نعمه التى لا تحصى، حمدا يؤمّ به جميعنا المقصد الأسنى، فيبلغ الأمد الأقصى، فطالما كان معظّم
سيدى للأسى فى خبال، و للأسف بين اشتغال بال، و اشتغال بلبال . و لقدومكم على هذا المقام العلى فى ارتقاب، و لمواعدكم
بذلك فى تحقّق وقوعه من غير شكّ و لا ارتياب، فما أنت تجتلى، من هذا المقام العلى، لتشيّعك وجوه المسرّات صباحا، و تتلقّى
أحاديث مكارمه و مواهبه مسنده صباحا، بحول الله. و لسيدى الفضل فى قبول مركوبه الواصل إليه بسرجه و لجامه، فهو من بعض ما
لدى المحب من إحسان مولاى و إنعامه. و لعمري لقد كان وافدا على سيدى فى مستقرّه مع غيره. فالحمد لله الذى يسّر فى إيصاله،
على أفضل أحواله.

فراجعت بقولى : [الكامل]

راحت تذكّرني كؤوس الرّاح و القرب يخفض للجروح جناحى الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج ٣ ؛ ص ٧٨
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٧٩ و سرت تدلّ على القبول كأنمادلّ النسيم على انبلاج صباح

حسنا قد غنيت بحسن صفاتها عن دملج و قلادة و وشاح
أمست تحضّ على اللياذ بمن جرت بسعوده الأرقام فى الأفراح
بخليفة الله المؤيد فارس شمس المعالى الأزهر الوضاح
ما شئت من همم و من شيم غدت كالزهر أو كالزهر فى الأدواح
فضل الملوك فليس يدرك شأوه أنى يقاس الغمر بالضّحاح؟
أسنى بنى عباسهم بلوائه المنصور أو بحسامه السّفاح
و غدت مغانى الملك لما حلّها تزهى ببدر هدى و بحر سماح
و حياة من أهداك تحفة قادم فى العرف منها راحة الأرواح
ما زلت أجعل ذكره و ثناءه روى و ريحانى الأريج و راحى
و لقد تمازج حبّه بجوارحى كتمازج الأجسام بالأرواح
و لو أننى أبصرت يوما فى يدى أمرى لطرت إليه دون جناح
فالآن ساعدنى الزّمان و أيقنت من قربه نفسى بفوز قداحى
إيه أبا عبد الإله و إنه لنداء و دّ فى علاك صراح
أما إذا استنجدتنى من بعد ماركدت لما خبت الخطوب رياحى
فإليها مهزولة و أنا امرؤ قررت عجزى و أطرحت سلاحى

سيدى ، أبقاك الله لعهد تحفظه، و ولّى بعين الولاء تلحظه، و صلتنى رقتك التى ابتدعت ، و بالحق من مدح المولى الخليفة
صدعت، و ألفتنى و قد سطت بى الأحوال ، حتى كادت تتلف الرّحال، و الحاجة إلى الغذاء قد شمّرت كشح البطين، و ثانية
العجاوين قد توقع فوات وقتها و إن كانت صلاتها صلاة الطّين، و الفكر قد غاض معينه، و ضعف و على الله جزاء المولى الذى
يعينه، فغزتنى بكتيبة بيان أسدها هصور، و علمها منصور، و ألفاظها ليس فيها قصور، و معانيها عليها الحسن مقصور، و اعتراف متلى

بالعجز في المضايق حول و منة، و قول «لا أدري» للعالم فكيف لغيره

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٨٠

جنه، لكنها بشرتني بما يقل لمهديه بذل النفوس و إن جلت، و أطلعتني من السراء على وجه تحسده الشمس إذا تجلت، بما أعلمت به من جميل اعتقاد مولانا أمير المؤمنين أيده الله، في عبده، و صدق المخيلة في كرم مجده. و هذا هو الجود المحض، و الفضل الذي شكره هو الفرض. و تلك الخلافة المولوية تتصف بصفه من يبدأ بالتوال، من قبل الضراعة و السؤال، من غير اعتبار للأسباب و لا مجازاة للأعمال. نسأل الله أن يبقى منها على الإسلام أوفى الظلال، و يبلغها من فضله أقصى الآمال. و وصل ما بعثه سيدي صحبتها من الهدية، و التحفة الودية، و قبلتها امتثالاً، و استجلت منها عتقا و جمالا. و سيدي في الوقت أنسب إلى اتخاذ ذلك الجنس، و أقدر على الاستكثار من إناث البهم و الإنس. و أنا ضعيف القدرة، غير مستطيع لذلك إلا في التدره، فلو رأى سيدي، و رأى سداد، و قصده فضل و وداد، أن ينقل القضية إلى باب العارية من باب الهبة، مع وجوب الحقوق المترتبة، لبسط خاطري و جمعه، و عمل في رفع المؤنة على شاكلة حالي معه، و قد استصحتت مركوبا يشق علي هجره، و يناسب مقامى شكله و نجره، و سيدي في الإسعاف على الله أجره، و هذا أمر عرض، و فرض فرض، و على نظره المعول، و اعتماد إغضائه هو المعقول الأول. و السلام على سيدي من معظم قدره، و ملتزم بزه، ابن الخطيب، في ليلة الأحد السابع و العشرين لذي قعدة سنة خمس و خمسين و سبعمائة، و السماء قد جادت بمطر سهرت منه الأجفان، و ظن أنه طوفان، و اللحاف في غد بالباب المولوي، مؤمل بحول الله.

و من الشعر المنسوب إلى محاسنه، ما أنشد عنه، و بين يديه، في ليلة الميلاد المعظم، من عام ثلاثة و ستين و سبعمائة بمدينة فاس

المحروسة: [مجزوء الرجز]

أيا نسيم السحربالله بلغ خبري

إن أنت يوما بالحمى جرت فضل المثرر

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٨١ ثم حثت الخطو من فوق الكتيب الأعفر

مستقر يا في عشه خفي و طء المطر

تروى عن الصحاك في الروض حديث الزهر

مخلق الأذيال بالعبير أو بالعنبر

وصف لجيران الحمى و جدى بهم و سهري

و حقهم ما غيرت و دى صروف الغير

لله عهد فيه قضيت حميد الأثر

أيامه هي التي أحسبها من عمري

و بالليل فيه ما عيب بغير القصر

العمر فينان و وجه الدهر طلق الغرر

و الشمل بالأحباب منظوم كنظم الدرر

صفو من العيش بلاشائبة من كدر

ما بين أهل تقطف الأنس جنى الثمر

و بين آمال تبيح القرب صافى الغدر

يا شجرات الحي حتى اك الحيا من شجر

إذا أجال الشوق في تلك المغاني فكري

خرّجت من خدى حديث الدمع فوق الطّور
 وقلت يا خدّ أرو من دمعى صحاح الجوهرى
 عهدى بحادى الرّكب كالورقاء عند الشّحر
 والعيس تجتاب الفلاو اليعملات تنبرى
 تخبط بالأخفاف مظلوم البرى و هو برى
 قد عطفت عن ميدو التفتت عن حور
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٨٢ قسى سير ما سوى العزم لها من وتر
 حتى إذا الأعلام حللت لحفى البشر
 واستبشر النازح بالقرب و نيل الوطر
 وعين الميقات للس فر نجاح السّفر
 والناس بين محرم بالحجّ أو معتمر
 ليبيك ليبيك إله الخلق بارى الصّور
 ولاحت الكعبة بيت الله ذات الأثر
 مقام إبراهيم والمأمن عند الدّعر
 و اغتنم القوم طواف القادم المبتدر
 و أعقبوا ركعتى السّعى استلام الحجر
 و عزّفوا فى عرفات كلّ عرف أذفر
 ثم أفاض الناس سعيًا فى غد للمشعر
 فوقفوا و كبروا قبل الصباح المسفر
 و فى منى نالوا المنى و أيقنوا بالظّفر
 و بعد رمى الجمرات كان خلق الشّعر
 أكرم بذاك الصّحب والله و ذاك التّففر
 يا فوزه من موقف يا ربحه من متجر
 حتى إذا كان الوداع و طواف الصّدر
 فأى صبر لم يخن أو جلد لم يغدر
 و أى وجد لم يصل و سلوة لم تهجر
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٨٣ ما أفجع البين لقلب الواله المستغفر
 ثم ثنوا نحو رسول الله سير الصّمّر
 فعابنوا فى طيبة لألاء نور نير
 زاروا رسول الله و استشفعوا بلثم الجدر
 نالوا به ما أملوا و عزّجوا فى الأثر
 على الصّجيعين أبى بكر الرّضا و عمر
 زيارة الهادى الشّفيح جنّه فى المحشر

فأحسن الله عزاء قاصد لم يزر
 ربع ترى مستنزل الآى به و السور
 و ملتقى جبريل بالهادى الزكى العنصر
 و روضة الجنه بين روضة و منبر
 منتخب الله و مختار الورى من مضر
 و المنتقى و الكون من ملابس الخلق عرى
 إذ لم يكن فى أفق من زحل أو مشرى
 ذو المعجزات العز أمثال النجوم الزهر
 يشهد بالصدق له منها انشقاق القمر
 و الضب و الطبى إلى نطق الحصى و الشجر
 من أطمع الألف بصاع فى صحيح الخبر
 و الجيش رواه بماء الرأحة المنهمر
 يا نكتة الكون التى فانت منال الفكر
 يا حجة الله على الرائح و المبتكر
 يا أكرم الرسل على الله و خير البشر
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٨٤ يا من له التقدّم الحق على التأخر
 يا من لدى مولده المقدس المطهر
 إيوان كسرى ارتجّ إذ ضاقت قصور قيصر
 و موقد النار طفا كأنها لم تسعر
 يا عمدتى يا ملجئى يا مفرعى يا وزرى
 يا من له اللواء و الحوض و ورد الكوثر
 يا منقذ الغرقى و هم رهن العذاب الأكبر
 إن لم تحقّق أملى بؤت بسعى المخسر
 صلّى عليك الله يا نور الدجا المعتكر
 يا ويح نفسى كم أرى من غفلتى فى غمر
 وا حسرتا من قلة الزاد و بعد السفر
 يحجنى و الله بالبرهان و عظ المنبر
 يا حسنهما من خطب لو حرّكت من نظرى
 يا حسنهما من شجر لو أورقت من ثمر
 أو ملّ الأوبه و الأمر بكفّ القدر
 أ سوف العزم بها من شهر لشهر
 من صفر لرجب من رجب لصفر
 ضيّعت فى الكبره ما أعددتة فى صغرى

و ليس ما مرّ من الأيام بالمنتظر
و قلّ ما أن حمدت سلامة في غرر
ولى غريم لا ينى عن طلب المنكسر
يا نفس جدّى قد بدا الصبح ألا فاعتبرى
و اتعظى بمن مضى و ارتدعى و ازدجرى
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٨٥ ما بعد شيب الفود من مرتقب فشمرى
أنت و إن طال المدى في قلعة أو سفر
و ليس من عذر يقيم حجة المعتذر
يا ليت شعرى و المنى تسرق طيب العمر
هل أرتجى من عودة أو رجعة أو صدر
فأبرد الغلة من ذاك الزلال الخصر ؟
مقتديا بمن مضى من سلف و معشر
نالوا جوار الله و هو الفخر للمفتخر
أرجو بإبراهيم مولانا بلوغ الوطر
فوعده لا يمتري في الصدق منه الممتري
فهو الإمام المرتضى و الخير ابن الخير
أكرم من نال المنى بالمرهفات البتر
ممهد الملك و سيف الحق و الليث الجرى
خليفة الله الذى فاق بحسن السير
و كان منه الخير فى العلياء وفق الخبر
فصدّق التصديق من مرآه للتصور
و مستعين الله فى ورد له و صدر
فاق الملوكة الصيدا بالمجد الرفيع الخطر
فأصبحت ألقابهم منسيّة لم تذكر
و حاز منهم أوجد وصف العديد الأكثر
برأيه المأمون أو عسكره المظفر
بسيفه الشفاح أو بعزمه المقتدر
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٨٦ بالعلم المنصور أو بالذابل المستنصر
بابن الإمام الطاهر البرّ الرّكى السير
مدحك قد علم نظم الشعر من لم يشعر
جهد المقلّ اليوم من مثلى كوسع المكتر
فإن يقصّر ظاهرى فلم يقصّر مضمرى

و وردت على باب السلطان الكبير العالم أبى عنان، فبلوت من مشاركته، و حميد سعيه ما يليق بمثله. و لما نكبه لم أفصّر عن ممكن

حيلة في أمره.

ولما هلك السلطان أبو عنان، رحمه الله، و صار الأمر لأخيه المتلاحق من الأندلس أبي سالم بعد الولد المسمى بالسعيد، كان ممن دمث له الطاعة، و أناخ راحلة الملك، و حلب ضرع الدعوة، و خطب عروس الموهبة، فأنشبت ظفره في متات معقود من لدن الأب، مشدود من لدن القربة، فاستحكم عن قرب، و استغلظ عن كذب، فاستولى على أمره، و خلطه بنفسه، و لم يستأثر عنه بيته، و لا انفرد بما سوى بضع أهله، بحيث لا- يقطع في شيء إلا عن رأيه، و لا يمحو و يثبت إلا واقفا عند حدّه، فغشيت بابه الوفود، و صرفت إليه الوجوه، و وقفت عليه الآمال، و خدمته الأشراف و جلبت إلى سدّته بضائع العقول و الأموال، و هادته الملوكة، فلا تحدو الحداءة إلا إليه، و لا تحطّ الرّجال إلا لديه. إن حضر أجرى الرسم، و أنفذ الأمر و النهي، لحظا أو سرارا أو مكاتبه، و إن غاب، تردّدت الرّقاع، و اختلفت الرّسل. ثم انفرد أخيرا ببيت الخلوّة، و منتبذ المناجاة، من دونه مصطفىّ الوزراء، و غايات الحجاب، فإذا انصرف تبعته الدّنيا، و سارت بين يديه الوزراء، و وقفت ببابه الأمراء، قد وسع الكلّ لحظه، و شملهم بحسب الرّتب و الأموال رعيه، و وسم أفضاذهم تسويده، و عقدت بنان عليتهم بنانه. لكن رضى الناس غاية لا تدرّك، و الحقد بين بنى آدم قديم، و قبيل الملك مابين لمثله، فطويت الجوانح منه على سل،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٨٧

و حنيت الضّلوع على بثّ، و أغضمت الجفون على قذى، إلى أن كان من نكبته ما هو معروف، جعلها الله له طهورا. و لما جرت الحادثة على السلطان بالأندلس، و كان لحاق جميعنا بالمغرب، جنيت ثمرة ما أسلفته في ودّه، فوقّى كيل الوفا، و أشرك في الجاه، و أدّر الرّزق، و رفع المجلس بعد التّسبيب في الخلاص و السّعي في الجبر، جبره الله تعالى، و كان له أحوج ما يكون إلى ذلك، يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩). و لما انقضى أمر سلطانه، رحمه الله، و قذف به بحر التّمحيص إلى شطّه، و أضحى جوّ التّكبّة بعد انطباقه، آثر التّشريق بأهله و جملته، و استقرّ بتونس خطيب الخلافة، مقيما على رسمه من التّجلّسه، ذائع الفضل هنالك و المشاركة، و هو بحاله الموصوفة إلى الآن، كان الله له.

و كنت أحسست منه في بعض الكتب الواردة صاغية إلى الدّنيا، و حيننا لما فارق من غرورها، فحملنى الطّور الذى ارتكبه في هذا الأيام، بتوفيق الله، على أن خاطبته بهذه الرسالة، و حقّها أن يجعلها خدمة الملوكة ممّن ينسب إلى نبل، أو يلتم بمعرفة، مصحفا يدرسه، و شعارا يلتزمه، و هى :

سيدى الذى يده البيضاء لم تذهب بشهرتها المكافأة، و لم تختلف فى مدحها الأفعال و لا تغايرت فى حمدها الصّيفات، و لا تزال تعترف بها العظام الرّفات، أطلقك الله من أسر الكون كما أطلقك من أسر بعضه، و رشّدك فى سمائه العالية و أرضه، و حقّر الحظّ فى عين بصيرتك بما يحملك على رفضه. اتّصل بى الخبر السّيار من تركك لشانك، و إجناء الله إياك ثمرة إحسانك، و انجياب ظلام

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٨٨

الشّدة الحالك، عن أفق حالك، فكبرت لانتشاق عفو الله العطر، و استعبرت لتضاؤل الشّدة بين يدي الفرج لا بسوى ذلك من رضى مخلوق يؤمر فيأتمر، و يدعوه القضاء فيبتدر، إنما هو فىء، و ظلّ ليس له من الأمر شيء، و نسأله جلّ و تعالى أن يجعلها آخر عهدك بالدّنيا و بنيتها، و أوّل معارج نفسك التى تقربها من الحقّ و تدنيها، و كأنتى و الله أحسّ بثقل هذه الدعوة على سمعك، و مضادّتها و لا- حول و لا- قوة إلّا بالله لطبعك، و أنا أنافرك إلى العقل الذى هو قسطاس الله فى عالم الإنسان، و الآلة لبثّ العدل و الإحسان، و الملك الذى يبين عنه ترجمان اللّسان، فأقول: ليت شعرى ما الذى غبط سيدى بالدّنيا، و إن بلغ من زبرجها الرّتبة العليا، و أفرض المثال لحالة إقبالها، و وصل جبالها، و ضراعة سبالها، و خشوع جبالها.

التوقع المكروه صباح مسا، وارتقاب الحوالة التي تدل من التعميم البأساء، ولزوم المنافسة التي تعادى الأشراف والرؤسا؟ أ لترتب العتب، حتى على التقصير في الكتب، و ضعينة جار الجنب، و ولوع الصديق بإحصاء الذنب؟ أ لنسبة وقائع الدولة إليك و أنت برى، و تطويقك الموبقات و أنت منها عرى؟ أ لاستهدافك للمضار التي تنتجها غيره الفروج، و الأحقاد التي تضطربها ركة الشروج و سرحه المروج، و نجوم السّما ذات البروج؟ أ لتقليدك التقصير فيما ضاقت عنه طاقتك، و صحت إليه فاقتك، من حاجة لا يقتضى قضاءها الوجود، و لا يكتفيها الرّكوع للملك و السّجود؟ أ لقطع الزّمان بين سلطان يعبد، و سهام للغيوب تكبد، و عجاجة شرّ تلبد، و أقبوحه تخلد و تويد؟ أ لوزير يصانع و يدارى، و ذى حجة صحيحة يجادل فى مرضاة السّليطان و يمارى، و عورة لا توارى؟ أ لمباكرة كلّ عائب حاسد، و عدوّ مستأسد، و سوق للإنصاف و الشّفقة كاسد، و حال فاسد؟ أ للوفود تتراحم بسدّتك،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٨٩

مكلفه لك غير ما فى طوقك، فإن لم تمل أغراضها قلبت عليك السّماء من فوقك؟ أ لجلساء بابك، لا يقطعون زمن رجوعك و إيابك، إلّا بقبیح اغتيابك؟

فالتصرّفات تمقت، و القواطع التّجوميّات توقّت، و الألاقى تبثّ، و السعايات تحثّ، و المساجد يشتكى فيها البثّ، يعتقدون أن السلطان فى يدك بمنزلة الحمار المدبور، و اليتيم المحجور، و الأسير المأمور، ليس له شهوة و لا غضب، و لا أمل فى الملك و لا أرب، و لا موجدة لأحد كامنه، و للشّر ضامنه، و ليس فى نفسه عن رأى نفرة، و لا يازاء ما لا يقبله نزوة و طفرة، إنما هو جارحة لصيدك، و عان فى قيدك، و آله لتصرّف كيدك، و أنك عله حيفه، و مسلّط سيفه: الشّرار يسملون عيون الناس باسمك، ثم يمزقون بالغيبه مزق جسمك، قد تتخلّهم الوجود أخبث ما فيه، و اختارهم السّفيه فالسّفيه، إذ الخير يسره الله عن الدّول و يخفيه، و يقنعه بالقليل فيكفيه، فهم يمتاحون بك و يولونك الملامه، و يقتحمون عليك أبواب القول و يسدّون طرق السّلامه، و ليس لك فى أثناء هذه إلّا ما يعوزك مع ارتفاعه، و لا يفوتك مع انقشاعه، و ذهاب صداعه، من غذاء يشبع، و ثوب يقنع، و فراش ينيم، و خديم يقعد و يقيم. و ما الفائدة فى فرش تحتها جمر الغضا، و مال من ورائه سوء القضا، و جاه يحلق عليه سيف منتضى؟ و إذا بلغت النّفس إلى اللّتناذ بما لا تملك، و اللّجاج حول المسقط الذى تعلم أنها فيه تهلك، فكيف تنسب إلى نبل، أو تسير مع السّعادة فى سبيل؟ و إن وجدت فى القعود بمجلس التّحيه، بعض الأريحيه، فليت شعرى أى شىء زادها، أو معنى أفادها، إلّا مباكره وجه الحاسد، و ذى القلب الفاسد، و مواجهه العدوّ المستأسد؟ أو شعرت ببعض الإيناس، فى الركوب بين الناس. هل التّذت إلّا بحلم كاذب، أو جذبها غير الغرور مجاذب؟ إنما الحليه و افتك من يحدّق إلى البرّه، و يستطيل مدّه العزّه، و يرتاب إذا حدّث

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٩٠

بخبرك، و يتبع بالنقد و التّجسس مواقع نظرك، و يمنعك من مسايرة أنيسك، و يحتال على فراغ كيسك، و يضمّر الشّر لك و لرئيسك. و أى راحة لمن لا يباشر قصده، و يسير متى شاء وحده؟ و لو صحّ فى هذه الحال لله حظّ، و هبه زهيدا، أو عين للرّشد عملا حميدا، لساغ الصّاب، و خفت الأوصاب، و سهل المصاب. لكن الوقت أشغل، و الفكر أوغل، و الزّمن قد غمرته الحصص الوهميه، و استنفدت منه الكميه، أما ليله ففكر أو نوم، و عتب يجزّ الصّراس و لوم، و أمّا يومه فتديبر، و قبيل و دبير، و أمور يعيا بها ثبير، و بلاء مبير، و لغط لا يدخل فيه حكيم كبير، و أنا بمثل ذلك خبير. و والله يا سيّدى، و من فلق الحبّ و أخرج الأبّ، و ذرأ من مشى و من دبّ، و سمى نفسه الربّ، لو تعلقّ المال الذى يجده هذا الكدح، و يورى سقيطه هذا القدح، بأذيال الكواكب، و زاحمت البدر بدره بالمناكب، لما ورثه عقب، و لا خلص به محتقب، و لا فاز به سافر و لا منتقب. و الشّاهد الدّول و المشائيم الأول: فأين الرّباع المقتناه؟ و أين الدّيار المبتناه؟ و أين الحدائق المغترسات، و أين الدّخائر المختلسات؟ و أين الودائع المؤمّله، و أين الأمانات المحمّله؟ تأذن الله بتببيرها، و إدناء نار التّبار من دنانيرها، فقلّما تلقى أعقابهم إلّا أعراء الظّهور، مترمّقين بجرايات الشّهور، متعلّلين بالهباء المنثور، يطردون من الأبواب التى حجب عندها آباؤهم، و عرف

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٩١

منها إباؤهم، و شَم من مقاصيرها عنبرهم و كباؤهم، لم تسامحهم الأيام إلما في إرث محرّر، أو حلال مقرّر، و ربما محقه الحرام، و تعذر منه المرام. هذه، أعزك الله، حال قبولها و مالها مع الترفيه، و على فرض أن يستوفى العمر في العزّ مستوفيه. و أما ضده من عدوّ يتحكّم و ينتقم، و حوت بغى يبتلع و يلتقم، و طبق يحجب الهواء، و يطيل في التراب التواء، و ثعبان قيد يعصّ الساق، و شؤبوب عذاب يمزّق الأبخار الرقاق، و غيلة يهديها الواقب الغاسق، و يجرعها العدو الفاسق، [فصرف السوق، و سلعته المعتادة الطروق]، مع الأفول و الشروق. فهل في شىء من هذا مغتبط لنفس حرّة، أو ما يساوى جرعه حال مرّة؟ و احسرتاه للأحلام ضلّت، و للأقدام زلّت، و يا لها مصيبة جلّت! و لسيدى أن يقول: حكمت علىّ باستئصال الموعظة و استجفائها، و مراودة الدّنيا بين خلّانها و أكفائها، و تناسى عدم وفائها، فأقول: الطيب بالعلل أدرى، و الشّفيق بسوء الظّن مغرى، و كيف لا- و أنا أقف على السيّئات بخطّ يد سيدى من مطارح الاعتقال، و مناقف التّوب الثّقال، و خلوات الاستعداد للقاء الخطوب الشّداد، و نوح الأسنّة الحداد، و حيث يجمل بمثله إلّا يصرف في غير الخضوع لله بنانا، و لا يثنى لمخلوق عنانا.

و أتعرف أنها قد ملأت الجوّ و الدوّ، و قصدت الجماد و البوّ، تقتحم أكفّ أولى الشّمات، و حفظة المذمّات، و أعوان التّوب الملمّات، زيادة في الشّقاء، و قصدا بريّا من الاختيار و الانتقاء، مشتملة من التّجاوز على أغرب من العنقاء، و من التّناق على أشهر من البلقاء. فهذا يوصف بالإمامة، [و هذا ينسب في الجود إلى كعب بن مامة]، و هذا يجعل من أهل الكرامة، و هذا يكلف الدّعاء و ليس من أهله، و هذا يطلب منه لقاء الصّالحين و ليسوا من شكله، إلى ما أحفظنى و الله من البحث عن

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٩٢

السّموم، و كتب النجوم، و المذموم من المعلوم، هلّا كان من ينظر في ذلك قد قوطع بتاتا، و اعتقد أنّ الله قد جعل لزمان الخير و الشّر ميقاتا، و أنا لا نملك موتا و لا نشورا و لا حياتا، و أنّ اللّوح قد حصر الأشياء محوا و إثباتا، فكيف نرجو لما منع منالا أو نستطيع مما قدر إفلاتا؟ أفيدونا ما يرحح العقيدة المقررة نتحوّل إليه، و بينوا لنا الحقّ نعول عليه. الله الله يا سيدى فى النّفس المرشحة، و الذّات المحلّمة بالفضائل الموشحة، و السّلف الشهير الخير، و العمر المشرف على الرّحلة بعد حثّ السّير، و دع الدنيا لأهلها فما أو كس حظوظهم، و أحسّ لحوظهم، و أقلّ متاعهم، و أعجل إسراعهم، و أكثر عناءهم، و أقصر آناءهم:

[مجزوء الكامل]

ما ثمّ إلّا ما رأيت، و ربما تعبى السّلامه

و الناس إمّا جائر أو حائر يشكو ظلامه

و الله ما احتقب الحريص سوى الذّنوب أو الملامه

هل ثمّ شكّ فى المعاد الحقّ أو يوم القيامة

قولوا لنا ما عندكم أهل الخطابة و الإمامه

و إن رميت بأحجارى، و أوجرت المرّ من أشجارى، فو الله ما تلبّست منها اليوم بشىء قديم و لا حديث، و لا استأثرت بطيب فضلا عن خبيث. و ما أنا إلّا عابر سبيل، و هاجر مرعى و بيل، و مرتقب وعد قدر فيه الإنجاز، و عاكف على حقيقة لا تعرف المجاز، قد فررت من الدنيا كما يفرّ من الأسد، و حاولت المقاطعة حتى بين روحى و الجسد، و غسل الله قلبى، و لله الحمد، من الطّمع و الحسد، فلم أبق عادة إلّا قطعها، و لا جنة للصّبر إلّا أدعتها، أمّا اللباس فالصّوف، و أما الرّهد فيما فى أيدي الناس فمعروف، و أما المال الغيظ فعلى الصّدقة مصروف. و و الله

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٩٣

لو علمت أنّ حالى هذه تتصل، و عراها لا تنفصل، و أن ترتبى هذا يدوم، و لا يحيرنى الوعد المحتوم، و الوقت المعلوم، لمّت أسفا، و

حسبى الله و كفى. و مع هذا يا سيدى، فالموعظة تتلقى من لسان الوجود، و الحكمة ضالة المؤمن يطلبها ببذل المجهود، و يأخذها من غير اعتبار بمحلها المذموم أو المحمود. و لقد أعملت نظرى فيما يكافىء عنى بعض يدك، أو ينتهى فى الفضل إلى أمدك، فلم أر لك الدنيا كفاء هذا لو كنت صاحب دنيا، و ألفت بذل النفس قليلا لك من غير شرط و لا ثنيا، فلما ألهمنى الله لمخاطبتك بهذه النصيحة المفرغة فى قالب الجفا، لمن لا يثبت عين الصفا، و لا يشيم بارقة الوفا، و لا يعرف قاذورة الدنيا معرفة مثلى من المتدسسين بها المنهمكين، و ينظر عوارها القادح بعين اليقين، و يعلم أنها المومسة التى حسننها زور، و عاشقها مغرور، و سرورها شرور، تبين لى أنى قد كافيت صنيعتك المتقدمة، و خرجت عن عهدتك الملتزمة، و أمحضت لك النصح الذى يعزّ بعزّ الله ذاتك، و يطيب حياتك، و يحيى مواتك، و يريح جوارحك من الوصب، و قلبك من النصب، و يحقرّ الدنيا و أهلها فى عينك إذا اعتبرت، و يلاشى عظامها لديك إذا اخترت. كل من تقع عليه عينك حقير قليل، و فقير ذليل، لا يفضلك بشئ إلا باقتفاء رشد أو ترك غي، أثوابه التبيهة يجردّها الغاسل، و عروة عزّه يفضيّلها الفاصل، و ماله الحاضر الحاصل، يعيث فيه الحسام الفاصل، و الله ما تعين للخلف إلا ما تعين للسلف، و لا- مصير المجموع إلّا إلى التلف، و لا- صحّ من الهياط و المياط، و الصّياح و العياط، و جمع القيراط إلى القيراط، و الاستظهار بالوزعة و الأشراف، و الخبط و الخباط، و الاستكثار و الاغتباط،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٩٤

و الغلّو و الاشتطاط، و بنا الصّيرح و عمل السّاباط، و رفع العماد و إدارة الفسطاط، إلّا ألم يذهب القوة، و ينسى الآمال المرجوة، ثم نفس يصعد، و سكرات تتردد، و حسرات لفراق الدنيا تتجدد، و لسان يثقل، و عين تبصر الفراق الحقّ و تمقل قل هو نَبأ عَظِيم (٦٧) أُنْتَم عَنْهُ مُعْرُضُونَ (٦٨). ثم القبر و ما بعده، و الله منجز وعيده و وعده، فالإضراب الإضراب، و التراب التراب. و إن اعتذر سيدى بقلة الجلد، لكثرة الولد، فهو ابن مرزوق لا ابن رزاق، و بيده من التّسبب ما يتكفل بإمساك أرقام، أين النسخ الذى يتبلغ الإنسان بأجرته، فى كن حجرته؟ لا- بل السؤال الذى لا عار عند الحاجة بمعزته؟ السؤال و الله أقوم طريقا، و أكرم فريقا، من يد تمتد إلى حرام، لا يقوم بمرام، و لا- يؤمن من ضرام، أحرقت فيه الحلل، و قلبت الأديان و الملل، و ضربت الأبشار، و نحرت العشار، و لم يصل منه على يدى واسطة السوء المعشار.

ثم طلب عند الشّدة ففضح، و بان سومه و وضح، اللهم طهر منها أيدينا و قلوبنا، و بلغنا من الانصراف إليك مطلوبنا، و عرّفنا بمن لا يعرف غيرك، و لا يسترفد إلّا خيرك، يا الله. و حقيق على الفضلاء إن جنح سيدى منها إلى إشارة، أو أعمل فى احتلابها إضبارة، أو لبس منها شارة، أو تشوّف إلى خدمة إمارة، ألا يحسنوا ظنونهم بعدها بابن ناس، و لا يغتروا بسمة و لا خلق و لا لباس، فما عدا، عمّا بدا؟ تقضى العمر فى سجن و قيد، و عمرو و زيد، و ضرّ و كيد، و طراد صيد، و سعد و سعيد، و عبد و عبيد، فمتى تظهر الأفكار، و يقّرّ القرار، و تلازم الأذكار، و تشام الأنوار، و تتجلى الأسرار؟ ثم يقع الشّهود الذى تذهب معه الأفكار، ثم يحقّ الوصول الذى إليه من كل ما سواه الفرار، و عليه المدار. و حقّ الحقّ الذى ما سواه فباطل، و الفيض الرّحمانى الذى رباه الأبد هاطل، ما شابت

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٩٥

مخاطبتى لك شائبة تريب، و لقد محضت لك ما يمحصه الحبيب إلى الحبيب، فيحمل جفاء فى الذى حملت عليه غيره، و لا تظنّ بى غيره. و إن أقدر قدرى فى مكاشفة سيادتك بهذا البثّ، فى الأسلوب الرّث، فالحقّ أقدم، و بناؤه لا يهدم، و شأنى معروف فى مواجهة الجابرة على حين يدى إلى ردهم ممدودة، و نفسى فى النفوس المتهافته عليهم معدودة، و شبابى فاحم، و على الشّهوات مزاحم، فكيف بى اليوم مع الشّيب، و نصح الجيب، و استكشاف العيب؟ إنما أنا اليوم على كل من عرفنى كلّ ثقيل، و سيف العذل فى كفى صقيل، أعذل أهل الهوى، و ليست النفوس فى القبول سوا، و لا لكلّ مرض دوا، و قد شفيت صدرى، و إن جهلت قدرى، فاحملنى، حملك الله، على الجادة الواضحة، و سحب عليك ستر الأبوة الصّالحة، و السلام.

و لَمّا شرح كتاب «الشّفا» للقاضى أبى الفضل عياض بن موسى بن عياض، رحمه الله، و استبحر فيه، طلب أهل العدوتين بنظم

مقطوعات تتضمن الثناء على الكتاب المذكور، وإطراء مؤلفه، فائصال عليه من ذلك الطم و الرّم، بما تعددت منه الأوراق، و اختلفت في الإجابة و غيرها الأرزاق، إثارا لغرضه، و مبادرة من أهل الجهات لإسعاف أربه، و طلب منى أن ألم في ذلك بشىء، فكتبت في ذلك:

[الطويل]

شفاء عياض للصدور شفاء و ليس بفضل قد حواه خفاء
 هديّة برّ لم يكن لجزيلا سوى الأجر و الذّكر الجميل كفاء
 و في لنبى الله حقّ و فائه و أكرم أوصاف الكرام و فاء
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٩٦ و جاء به بحرا يقول بفضلله على البحر طعم طيب و صفاء
 و حقّ رسول الله بعد وفاته رعاها، و إغفال الحقوق جفاء
 هو الذّخر يغنى في الحياة عتاده و يترك منه لليقين رفاء
 هو الأثر المحمود ليس يناله دنور و لا يخشى عليه عفاء
 حرصت على الإطناب في نشر فضله و تمجيده لو ساعدتني فاء
 و استتراد من هذا الغرض الذى لم يقنع منه بالقليل، فبعثت إليه من محلّ انتقالى بمدينه سلا حرسها الله: [مجزوء الرمل]
 أ أزاهير رياض أم شفاء لعياض
 جدل الباطل للحقّ بأسياف مواض
 و جلا الأنوار برهانا بحقّ و افتراض
 و شفى من يشتكى الغلّة في زرق الحياض
 أى بنیان معار آمن فوق انقضاض
 أى عهد ليس يرمى بانتكاث و انتقاض
 و معان في سطور كأسود في غياض
 و شفاء لصدور من ضنى الجهل مراض
 حرّ القصد فما شين بنقد و اعتراض
 يا أبا الفضل أدر أن الله عن سعيك راض
 فاز عبد أقرض الله برجحان القراض
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٩٧ و جبت عزّ المزايامن طوال و عراض
 لك يا أصدق راو لك يا أعدل قاض
 لرسول الله وقيت بجدّ و انتهاض
 خير خلق الله في حال و في آت و ماض
 سدّد الله ابن مرزوق إلى تلك المراضى
 زبده العرفان معنى كلّ نسك و ارتياض
 فتولّى بسط ما أجملت من غير انقباض
 ساهر لم يدر في استخلاصه طعم اغتماض
 إن يكن دينا على الأيام قد حان التقاضى

دام في علوّ و من عاداه يهوى في انخفاض
 ما وشى الصّبح الدّياجي في سواد بياض
 ثم نظمت له أيضا في الغرض المذكور، و الإكثار من هذا النمط، في هذا الموضوع، ليس على سبيل التّبجّح بغرابتة و إجادته ، و لكن
 على سبيل الإشادة بالشّرح المشار إليه، فهو بالغ غاية الاستبحار : [السريع]
 حيّيت يا مختطّ سبت بن نوح بكلّ مزن يغتدى أو يروح
 و حمل الزّيحان ريح الصّبا أمانة فيك إلى كلّ روح
 دار أبي الفضل عياض الذي أضحت برياه رياضا تفوح
 يا ناقل الآثار يعنى بهاو واصلا في العلم جرى الجموح
 طرفك في الفخر بعيد المدى طرفك للمجد شديد الطّموح
 كفاك إعجازا كتاب الشّفاو الصّبح لا ينكر عند الوضوح
 لله ما أجزلت فينا به من منحة تقصر عنها المنوح
 روض من العلم همى فوقه من صيّب الفكر الغمام السّفوح
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٩٨ فمن بيان الحقّ زهر ند و من لسان الصّدق طير صدوح
 تأرّج العرف و طاب الجنى و كيف لا يثمر أو لا يفوح
 و حلّة من طيب خير الورى في الجيب و الأعطاف منها نضوح
 و معلم للدين شيدته فهذه الأعلام منه تلوح
 فقل لها مان كذا أو فلايا من أضلّ الرّشد تبنى الصّروح
 في أحسن التّقويم أنشأته خلقا جديدا بين جسم و روح
 فعمره المكتوب لا ينقضى إذا تقضى عمر سام و نوح
 كأنه في الحفل ريح الصّباو كلّ عطف فهو غضّ مروح
 ما عذر مشغوف بخير الورى إن هاج منه الذّكر أن لا يبوح
 عجبت من أكباد أهل الهوى و قد سطا البعد و طال التّزوح
 إن ذكر المحبوب سالت دما ما هنّ أكباد و لكن جروح
 يا سيّد الأوضاع يا من له بسيد الإرسال فضل الرّجوح
 يا من له الفخر على غيره و الشّهب تخفى عند إشراق يوح
 يا خير مشروح و فى و اكتفى منه ابن مرزوق بخير الشّروح
 فتح من الله حباه بهو من جناب الله تأتي الفتوح
 مولده: بتلمسان عام أحد عشر و سبعمائة.

محمد بن عبد الرحمن بن سعد التّميمي التّسلي الكرسوطي

من أهل فاس، نزيل مالقة، يكنى أبا عبد الله.
 حاله: الشيخ الفقيه المتكلم أبو عبد الله، غزير الحفظ، متبحر الذّكر، عديم القرين، عظيم الاطلاع، عارف بأسماء الأوضاع، ينال منه
 على المسائل كتيب مهيل، ينقل الفقه منسوباً إلى أمانة، و منوطاً برجاله، و الحديث بأسانيده و متونه،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٩٩

خوار العنان، وساع الخطو، بعيد الشأو، يفيض من حديث إلى فقه، و من أدب إلى حكاية، و يتعدى ذلك إلى غرائب المنظومات، ممّا يختصّ بنظمه أولو الشّطارة و الحرفه من المغاربة، و يستظهر مطوّلات القصاص، و طوابع الوعاط، و مساطير أهل الكديه، في أسلوب وقاح يفضحه الإعراب، حسن الخلق، جمّ الاحتمال، مطرّح الوقار، رافض التصنّع، متبدّل اللبسه، رحيب أكناف المرارة لأهل الولايات، يلقي بمعاطنهم البرك، و ينوط بهم الوسائل، كثير المشاركة لوصلائه، مخصب على أهل بيته، حذب على بنيه. قدم على الأندلس عام اثنين و عشرين و سبعمائة، فأقام بالجزيرة مقرّناً بمسجد الصّواع منها، و مسجد الزايات، ثم قدم على مالقة و أقرأ بها، ثم قدم على غرناطة عام خمسة و عشرين و سبعمائة، فتعرف على أرباب الأمر، بما نجحت حيلته، و خفّ به موقعه، فلم يعد صلّه، و لا فقد مرفقه، حتى ارتاش و تأثّل بمحل سكناه من مالقة، مدره مغلّمة، و عقارا مفيدا. و طال قعوده لسرد الفقه بمسجدها الجامع، نمير في الركب، مهجور الحلقة، حملا من الخاصه و العامه، لتلبسه بالعرض الأدنى. و هو الآن خطيب مسجد القصبه بها، و محلّه من الشهرة، بالحفظ و الاستظهار لفروع الفقه، كبير.

مشيخته: قرأ القرآن على الجماعة بالمغرب و الأندلس، منهم أبوه، و الأستاذ أبو الحسن القيجاطي البلوي، و أبو إسحاق الحريري، و أبو الحسن بن سليمان، و أبو عبد الله بن أجروم. و قرأ الفقه على أبي زيد الجزولي، و عبد الرحمن بن عفّان، و أبي الحسن الصغير، و عبد المؤمن الجاناتي، و قرأ الكتاب بين يديه مدة، ثم عزله، و لذلك حكاية. حدّثنى الشيخ أبو عبد الله الكرسوطي، المترجم به، قال: قرأت بين يديه، في قول أبي سعيد في التهذيب، و الدجاج و الأوز المخلات، فقال: انظر، هل يقال الدجاج أو الجدّاد، لغة القرآن أفصح، قال الله تعالى: و جدد بيض، و حمر مختلف ألوانها، و غرابيب سود. فأزرى به، و نقل إليه إزاره، فعزله. و قعد بعد ذلك للإقراء بفاس، كذا حدث. و أخذ عن أبي إسحاق الزناتي، و عن خلف الله المجاصي، و أبي عبد الله بن عبد الرحمن الجزولي، و أبي الحسين المزدغي، و أبي الفضل ابنه، و أبي العباس بن راشد العمراني، و أبي عبد الله بن رشيد. و روى الحديث بسبته عن أبي عبد الله الغماري، و أبي عبد الله بن هاني، و ذاكر أبا الحسن بن وشّاش. و بمالقة عن الخطيب الصالح الطنجالي، و أبي عمرو بن منظور.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٠٠

و بغرناطة عن أبي الحسن القيجاطي، و أبي إسحاق بن أبي العاص. و ببلش عن أبي جعفر الزيات. تواليفه: منها «الغرر في تكميل الطّر»، طرر أبي إبراهيم الأعرج. ثم «الدّر في اختصار الطّر» المذكور. و تقييدان على الرسالة، كبير و صغير.

و لخصّ «التهذيب» لابن بشير، و حذف أسانيد المصنّفات الثلاثة، البخاري، و الترمذي، و مسلم، و التزم إسقاط التكرار، و استدراك الصّحاح الواقعة في التهذيب على مسلم و البخاري. و قيد على مختصر الطّليطي، و شرع في تقييد على قواعد الإمام أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض، برسم ولدي، أسعده الله.

شعره: أنشدني، و أنا أحاول بمالقة لوث العمامة، و أستعين بالغير على إصلاح العمل، و إحكام الليأته: [الكامل]

أ معّمّا قمرا تكامل حسنه أربى على الشمس المنيرة في البها

لا تلتمس ممّن لديك زيادة فالبدر لا يمتار من نور السها

و يصدر منه الشعر مصدّرا، لا تكنفه العناية.

محنته: أسر ببحر الزّقاق، قادما على الأندلس في جملة من الفضلاء، منهم والده. و استقرّ بطريف عام ستّه و عشرين و سبعمائة، و لقي بها شدّه و نكالا، ثم سرّح والده، لمحاولة فكاك نفسه، و فكّ ابنه، و يسّر الله عليه، فتخلّصا من تلك المحنة في سبيل كديه، و أفلت من بين أنياب مشقة. الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ٣؛ ص ١٠٠

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٠١

بعض أخباره: قال: لقيت الشيخ ولي الله أبا يعقوب بساحل بادس، قاصدا الأخذ عنه، والتبرك به، ولم يكن رآني قط، وألقت بين يديه عند دخولي عليه، رجلا يقرأ عليه القرآن، فلما فرغ أراد أن يقرأ عليه أسطرا من الرسالة، فقال له: اقرأها على هذا الفقيه، وأشار إلي، ورأيت في عرصه له أصول خصص، فتمنيت الأكل منها، وكان رباعها غير حاضر، فقام عن سرعه، واقتلع منها أصولا ثلاثه، ودفعها إلي، وقال: كل. فقلت في نفسي، تصرف في الخضرة قبل حضور رباعها، فقال لي: إذا أردت الأكل من هذه الخضرة، فكل من هذا القسم، فإنه لي. قلت: وخبرت من اضطلاع هذا المترجم به بعبارة الرؤيا ما قضيت منه العجب في غير ما شيء جزبه. وهو الآن بحاله الموصوفة. وأصابه لهذا العهد جلاء عن وطنه؛ لتوفر الحمل عليه من الخاص والعام، بما طال به نكده. ثم آلت حاله إلى بعض صلاح، والله يتولاه. مولده: بمدينة فاس عام تسعين و ستمائة.

محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن عبد المنعم، من أهل سبتة، الأستاذ الحافظ. حاله: من «العائد»: كان، رحمه الله، رجل صدق، طيب اللهجه، سليم الصدر، تام الزجولة، صالحا، عابدا، كثير القرب والأوراد في آخر حاله، صادق اللسان. قرأ كثيرا، وسنه تنيف على سبع وعشرين، ففات أهل الدؤب والسابقة، وكان من صدور الحقاظ، لم يستظهر أحد في زمانه من اللغة ما استظهره، فكاد يستظهر كتاب التاج للجوهري وغيره، آية تتلى، ومثلا يضرب، قائما على كتاب سيبويه، يسرده بلفظه. اختبره الفاسيون في ذلك غير ما مرة. طبقه في الشطرنج، يلعبها محجوبا، مشاركا في الأصول، آخذا في العلوم العقلية، مع الملازمة للسنة، يعرب أبدا كلامه ويزينه. مشيخته: أخذ ببلده عن الأستاذ أبي إسحاق الغافقي، ولزم أبا القاسم بن الشاط و انتفع به وبغيره من العلماء. الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٠٢ دخوله غرناطة: قدم غرناطة مع الوفد من أهل بلده عندما صارت إلى إيالة الملوك من بني نصر، لما وصلوا بالبيعة. وفاته: كان من الوفد الذين استأصلهم الموتان عند منصرفهم عن باب السلطان ملك المغرب، بأحواز تيزي، حسبما وقع التنبه على بعضهم.

محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن إدريس ابن سعيد بن مسعود بن حسن بن محمد بن عمر ابن رشيد الفهري

من أهل سبتة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن رشيد. حاله: من «عائد الصلة»: الخطيب المحدث، المتبحر في علوم الرواية والإسناد. كان، رحمه الله، فريد دهره عدالة وجلالة، وحفظا وأدبا، وسمتا وهديا، واسع الأسمعة، عالي الإسناد، صحيح النقل، أصيل الضبط، تام العناية بصناعة الحديث، قيما عليها، بصيرا بها، محققا فيها، ذاكرا فيها الرجال، جماعة للكتب، محافظا على الطريقة، مضطعا بغيرها من العربية واللغة والعروض، فقيها أصيل النظر، ذاكرا للتفسير، ريان من الأدب، حافظا للأخبار والتواريخ، مشاركا في الأصلين، عارفا بالقراءات، عظيم الوقار والسكينة، بارع الخط، حسن الخلق، كثير التواضع، رقيق الوجه، متجملا كلف الخاصة والعامة، مبذول الجاه والشفاعة، كهفا لأصناف الطلبة. قدم على غرناطة في وزارة صديقه، ورفيق طريقه، في حجه وتشريقه، أبي عبد الله بن الحكيم، فلقى بزا، وتقدم للخطابة بالمسجد الأعظم، ونفع الله لديه بشفاعته المبذولة طائفة من خلقه، وانصرف إثر مقتله إلى العدو، فاستقر بمدينة فاس، معظما عند الملوك والخاصة، معروف القدر عندهم.

مشيخته: قرأ ببلده سبته على الأستاذ إمام النحاة أبي الحسن بن أبي الربيع كتاب سبويه. وقيد على ذلك تقييدا مفيدا، وأخذ عنه القراءات. وأخذ أيضا عن الأستاذ أبي الحسن بن الخطار. ورحل من بلده سبته لأداء الفريضة. حج ولقى الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٠٣

المشايخ عام ثمانية وثمانين وستمائة، فوافى في طريقه الحاج المحدث الزاوية، ذا الوزارتين بعد، أبا عبد الله الحكيم، وأخذ عن الجلبه الذين يشق إحصاؤهم، فممن لقي بإفريقية الزاوية العدل أبا محمد عبد الله بن هارون، يروي عن ابن بقتي، والأديب المتبحر أبا الحسن حازم بن محمد القرطاجني. وروى بالمشرق عن العدد الكثير كالإمام جار الله أبي اليمن بن عساكر، لقيه بباب الصفا تجاه الكعبة المعظمة، وهو موضع جلوسه للسجام، غرة شوال عام أربعة وثمانين وستمائة، وعن غيره، كأبي العز عبد الرحمن بن عبد المنعم بن علي بن نصر بن منظور بن هبة الله، وغيرهم ممن ثبت في اسم مرافقه في السجام والرحلة أبي عبد الله بن الحكيم، رحمه الله، فلينظر هنالك.

تواليفه: ألف فوائد رحلته في كتاب سماه «ملء العيبة، فيما جمع بطول الغيبة، في الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطيبة». قال شيخنا أبو بكر بن شبرين: وقفت على مسودته، ورأيت فيه فنونا وضروبا من الفوائد العلمية والتاريخ، و طرفا من الأخبار الحسان، والمسندات العوالي والأناشيد. وهو ديوان كبير، ولم يسبق إلى مثله. قلت: ورأيت شيئا من مختصره بسبته.

دخوله غرناطة: ورد على الأندلس في عام اثنين وتسعين وستمائة، فعقد مجالس للخاص والعام، يقرئ بها فنونا من العلم. وتقدم خطيبا وإماما بالمسجد الأعظم منها. حدثني بعض شيوخنا، قال: قعد يوما على المنبر، وظن أن المؤذن الثالث قد فرغ، فقام يخطب والمؤذن قد رفع صوته بأذانه، فاستعظم ذلك بعض الحاضرين، وهم آخر بإشعاره وتبنيه، وكلمه آخر، فلم يثنه ذلك عما شرع فيه، وقال بديهته: أيها الناس، رحمكم الله، إن الواجب لا يبطله المندوب، وأن الأذان الذي بعد الأول غير مشروع الوجوب، فتأهبوا لطلب العلم، وانتبهوا، وتذكروا قوله، عز وجل: وما أتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا، وقد روينا عنه صلى الله عليه وسلم، أنه قال: من قال لأخيه والإمام يخطب، اصمت، فقد لغا، ومن لغا فلا جمعة له. جعلنا الله وإياكم ممن علم فعمل، وعمل فقبل، وأخلص فتخلص. وكان ذلك مما استدلل به على قوة جنانه، وانقياد لسانه لبيانه.

شعره: وله شعر يتكلفه، إذ كان لا يزن أعاريضه إلا بميزان العروض، فمن ذلك ما حدث به، قال: لما حلت بدمشق، ودخلت دار الحديث الأشرفية، برسم رؤية النعل الكريمة، نعل المصطفى، صلوات الله عليه، ولثمتها، حضرتني هذه الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٠٤

الآيات: [الطويل]

هنيئا لعيني أن رأيت نعل أحمد فيا سعد، جدى قد ظفرت بأسعد
وقبلتها أشفى الغليل فزادني فيا عجا زاد الظما عند مورد
فله ذاك اللثم فهو اللد من لمى شفة لميا وخد مورّد
ولله ذاك اليوم عيدا ومعلما بتاريخه أرخت مولد أسعد
عليه صلاة نشرها طيب كما يحب ويرضى ربنا لمحمد

وقال: وقلت في موسم عام ستة وثمانين وستمائة، بغير سبته حرسها الله تعالى: [الطويل]

أقول إذا هبّ النسيم المعطر لعلّ بشيرا باللقاء يبشّر

وعالي الصبا مرّت على ربع جيرتي فعن طيبهم عرف النسيم يعبر
وأذكر أوقاتي بسلمى وبالحمى فتذكو لظي في أضلعي حين أذكر
ربوع يودّ المسك طيب ترابها ويهوى حصي فيها عقيق وجوهر

بها جيرة لا يخفرون بدمهم لمواليهم جمال و مفخر
 إذا ما اجتلت زهر النجوم جمالهم تغار لباهى نورهم فتغور
 و من جود جدواهم يرى الليث يعمر و من خوف عدواهم يرى الليث يذعر
 و من سيب يمناهم يرى الرّوض يزهر و من فيض نعماهم يرى البحر يزخر
 رعى الله عهدا بالمصلّى عهدته و روض المنى غصّ يرقّ و ينضر
 زمانا نعمنا فيه و الظلّ وارف بجنّات عدن تحتها العذب يخضر
 و لله أيام المصلّى و طيبها و أنفسنا بالقرب و الأانس تجبر
 بحيث يرى بدر الكمال و شمسو و روضته فردوس حوض و منبر
 أروم دنوا من بهاء جمالها و لثما فتأبى هيبه و توقّر
 خضعت و ذلّى للحبیب تعزّز فطر في مغضوض و خدى معفر
 و وجه سرورى سافر متهلّل و حالى بهم حلّ و عيشى أخضر
 فطوبى لمن أضحى بطيبه ثا و يا يجزّ بأذيال الفخار و ينشر
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٠٥ و إذ فات عيني أن تراهم فرددوا على مسمعى ذكر المصلّى و كزروا
 وردت فيا طيب الورود بطيبه صدرت فواحنى فلا كان مصدر
 رمانى زمانى بالفراق فغرنى على مثل من فارقت عزّ التّصبر
 و أضمرت أشجانى و دمعى مظهر و أسررت هجرانى و حالى تخبر
 فمن أدمعى ماء يفيض و يهمر و من أضلعى نار تفور و تسعر
 فجسمى مصفرّ و فودى أبيض و عيشى مغبرّ و دمعى أحمر
 و حين دنا التّوديع ممّن أحبّه و حان الذى ما زلت منه أحذر
 و نادى صحابى بالرحيل و أزمعوا و سارت مطاياهم و ظلت أفهقر
 و ألوى إليه الجيد حتى وجعته و ظلّ فوادى لوعه يتفطر
 و قفت لأقضى زفرة و صبابه و لا أنثنى فالموت أجدى و أجدر
 و لو أننى بعث الحياة بنظرة لأبت و حظّى فيه أوفى و أوفر
 و ما باختيارى إنما قدر جرى رضيت بما يقضى الإله و يقدر
 حنينى إلى مغنى الجمال مواصل و شوقى إلى معنى الجمال موفر
 و غير جميل أن يرى عن جمالها فوادى صبورا و المسير ميسر
 أ يصبر ظمان يغال بغله و فى روضه الرّضوان شهد و كوثر؟
 فيا عينها الرّقاء إن عيونها من الحزن فيض بالتّجيع تفجر
 سأقطع ليلى بالسرى أو أزورها و أحمى الكرى عينا لبعذك يظهر
 و أنضى المطايا أو أوفى ربعها فتجدنى طورا و طورا تغور
 حظرت على نفسى الحذار من الرّدى أتحدّر نفس الحبيب تسير؟
 أ ينكر تغرير المشوق بنفسه و قد علموا أنّ المحبّ مغرّر؟
 و قفت على فتوى المحبّين كلهم فلم أجد التّغدير فى الوصل ينكر

و إني إذا ما خطرۃً خطرۃً قضت بهمتي و عزمي هممةً لا توطر
أقيم فألقى بين عيني هممتي و سيرى في سبل العلا ليس ينكر
إذا ما بدت للعين أعلام طيبه و لاحت قباب كالكواكب تزه
و للقبۃ الزهراء سمك سما علاوراق سني كالشمس بل هو أزه
لها منظر قيد التواظر و التهي لها ساكن من نوره البدر بيدر
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٠٦ فأعرجوا على أهل الكمال و سلموا سلمتم و بلغت منكم فأبشروا
بنفسى لا بالمال أرضى بشاره إذا لاح نور فى سناها مبشر
و ما قدر نفسى أن تكون كفاء و لكنها جهد المقل فأعذر
أقول إذا أوفيت أكرم مرسل قرأى عليكم أن ذنبى يغفر
و أحظى بتقريب الجوار مكرما و أصفح عن جور البعاد و أعذر
و أرتع فى ظل الجنان منعموا أمنى بقرب من حماك و أجبر
هناك هناك القرب فانعم بنيله بحيث ثوى جسم كريم مطهر
و دع عنك تطواف البلاد و خيم بطيبة طابت فهى مسك و عنبر
فخرت بمدحى للنبي محمداً من مدحه المداح يزهى و يفخر
أطلت و إني فى المديح مقصّر فكلّ طويل فى معاليك يقصر
ما بلغت كفّ امرئ متناول بها المجد إلّا و الذى نلت أكبر
و ما بلغ المهدون فى القول مدحه و إن أطبوا إلّا الذى فيك أفخر
عليك صلاة الله ما مرّ سبق إليك و ما هبّ التّسيم المعطر
و قال يرثى ابنا نجيبا ثكله بغرناطة: [الطويل]
شباب ثوى شابت عليه المفارق و غصن ذوى تاقا إليه الحدائق
على حين راق الناظرين بسوقه رمته سهام للعيون رواشق
فما أخطأت منه الفؤاد بعمداه فلا أبصرت تلك العيون الزوانق
و حين تدانى للكمال هلاله ألمّ به نقص و جدت مواحق
إلى الله أشكو فهو يشكى نوازعا عظاما سطاها للعظام عوارق
و لا مثل فقدان النبيّ فجيعه و إن طال ما لجت و جلت بوائق
محمد إن الصبر صبر و علقم على أنه حلو المثوبة سابق
فإن جزعا فالله للعبد عاذرو إن جلدا فالوعد لله صادق
و تالله ما لى بعد عيشك لذّة و لا راقنى مرأى لعيني رائق
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٠٧ فأنى به و المذكرات عديدة فنبل و هم للعوائد خارق
فإن ألتفت فالشخص للعين مائل و إن أستمع فالصوت للأذن طارق
و إن أذع شخصا باسمه لضرورة فإن أسمك المحبوب للنطق سابق
و إن تفرع الأبواب راحة قارع يطر عندها قلب لذكرك خافق
و كلّ كتاب قد حوت فمذكرو آثاره كلّ إليك تواتق

سبقت كهولا في الطفولة لا تنى وأرهقت أشياخا و أنت مراهق
فلو لم يغلك الموت دمت مجلياو أقبل سكتيا و جيئا و لاحق
على مهل أحرزت ما شئت ثانياعنانك لا تجهد و أنت مسابق
رأتك المنيا سابقا فأغرتهافجدّ طلابا إنهن لواحق
لئن سلبت منى نفيس ذخائر فأتى بمدخور الأجور لواتق
وقد كان ظنى أننى لك سابق فقد صار علمى أننى بك لاحق
غريبين كنا فرق البين بيننا فأبرح ما يلقي الغريب المفارق
فبين و بعد بالغريب توكلأقد رعى بما حملت و الله ضائق
عسى وطن يدنو فتدنو له منى و أى الأمانى و الخطوب عواتق؟
فلولا الأسى ذاب الفؤاد من الأسى و لو لا البكا لم يحمل الحزن طائق
فخطّ الأسى خطا تروق سطوره و تمحو البكا فالدمع ماح و ساحق
فيا واحدا قد كان للعين نورها عليك ضياء بعد بعدك غاسق
عليك سلام الله ما جنّ ساجع و ما طلعت شمس و ما ذرّ شارق
و ما همعت سحب غواد روائح و ما لمعت تحدو الزعود بوارق
و جاد على مثواك غيث مروّض عباد لرضوان الإله موافق
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٠٨

محنته: تعرّض إليه قوم يوم قتل صديقه أبى عبد الله الحكيم بإذاعة قبيحه، و أسمع كل شارق من القول على ألسنة زعانفه فجر و ترهم
القتيل، فتخلص و لا تسل كيف، و أزمع الرّحيل فلم يلبث بعد ذلك.
وفاته: كانت وفاته بمدينة فاس، فى اليوم الثامن من شهر المحرم مفتح عام أحد و عشرين و سبعمائة. و دفن فى الجبانه التى بخارج
باب الفتوح بالروضة المعروفة بمطرح الجنة، التى اشتملت على العلماء و الصلحاء و الفضلاء، من الغرباء الواردين مدينة فاس، و كان
مولده بسبته عام سبعة و خمسين و ستمائة.

محمد بن على بن هانى اللخمي السبتي

يكنى أبا عبد الله، و يعرف باسم جدّه، أصلهم من إشبيلية.
حاله: كان، رحمه الله، فريد دهره فى سموّ الهمة، و إثثار الاقتصاد و التّحلى بالقناعة، و شموخ الأنف على أهل الرّئاسة، مقتصرًا على
فائدة ربع له ببلده، يتبّع مع الاستقامة، مع الصّبر و العمل على حفظ المروءة، و صون ماء الوجه، إماما فى علم العربيّة، مبرزًا متقدّمًا فيه،
حافظًا للأقوال، مستوعبا لطريق الخلاف، مستحضرا لحجج التّوجيه، لا يشقّ فى ذلك غباره، ريان من الأدب، بارع الخطّ، سهل مقادة
الكلام، مشاركا فى الأصليين، قائما على القراءات، حسن المجلس، رائق البزّة، بارع المحاضرة، فائق التّرسيل، متوسط النّظم، كثير
الاجتهاد و العكوف، مليح الخلق، ظاهر الخشوع، قريب الدّمع، بيته شهير الحسب و الجلالة.
و جرى ذكره فى «الإكليل الزاهر» بما نصّه: علم تشير إليه الأكفّ، و يعمل إلى لقائه الحافر و الخفّ، رفع للعربيّة ببلده رايه لا تتأخّر،
و مرج منها لجة تزخر، فانفسح مجال درسه، و أثمرت أدواح غرسه، فركض بما شاء و برّح، و دوّن و شرح، إلى شمائل تملك الظّرف
زمامها، و دعاية راشّت الحلاوة سهامها.
ولما أخذ المسلمون فى منازل الجبل و حصاره، و أصابوا الكفر منه بجارحة

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٠٩

أبصاره، ورموا بالثكل فيه نازح أمصاره، كان ممن انتدب و تطوع، و سماع النداء فأهطع، فلازمه إلى أن نفذ لأهله القوت، و بلغ من فسحة الأجل الموقوت، فأقام الصيلة بمحاربه، و قد غير محياه طول اغترابه، و بادره الطاغية قبل أن يستقر نصل الإسلام في قرابه، أو يعلق أصل الدين في ترابه. و انتدب إلى الحصار به و تبرع، و دعاه أجله فلبى و أسرع. و لمّا هدر عليه الفنيق، و ركعت إلى قبلته المجانيق، أصيب بحجر دوّم عليه كالجارح المحلّق، و انقضّ إليه انقضاض البارق المتألّق، فاقتنصه و اختطفه، و عمد إلى زهره فقطفه، فمضى إلى الله طوع نيته، و صحبته غرابه المنازع حتى في ميته .

مشيخته: قرأ على الأستاذ العلامة أبي إسحاق الغافقي، و على الأستاذ النحوي أبي بكر بن عبيدة، و اعتمد عليه، و قرأ على الإمام الصالح أبي عبد الله بن حريث.

تواليفه: ألف كتباً، منها كتاب «شرح التسهيل لابن مالك»، و هو أجلّ كتبه، أبداع فيه، و تنافس الناس فيه. و منها «الغرة الطالعة في شعراء المائة السابعة»، و منها «إنشاد الصّوال، و إرشاد السّوال في لحن العامه»، و هو كتاب مفيد، و «قوت المقيم». و دوّن ترسل رئيس الكتاب أبي المطرف بن عميرة و ضمّه في سفرين. و له رجز في الفرائض مفيد.

شعره: حدّثنا شيخنا القاضي الشّريف، نسيح وحده، أبو القاسم الحسنی، قال: خاطبت الأستاذ أبا عبد الله بن هانيء، رحمه الله، بقصيدة من نظمي أولها :

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١١٠

[البسيط]

هات الحديث عن الركب الذي شخصا

فأجابني عن ذلك بقصيدة في رويها :

لو لا مشيب بفودي للفؤاد عصي نصيت في مهمه التّشيب لي قلصا

و استوقفت عبراتي و هي جارية و كفاء توهم ربعا للحبيب قصا

مسائلا عن لياليه التي انتهزت أيدي الأمانى بها ما شئتة فرصا

و كنت جاريت فيها من جرى طلقامن الإجادة لم يحجم و لا نكصا

أصاب شاكلة المرمى حين رمى من الشّوارد ما لولاه ما اقتنصا

و من أعدّ مكان التّبل نبل حجالم يرض إلّا بأبكار النّهي قنصا

ثم انثنى ثانيا عطف التّسبب إلى مدح به قد غلا ما كان قد رخصا

فظلت أرفل فيها لبسة شرفت ذاتا و منتسبا أعزز به قمصا

يقول فيها و قد خولت منحتهاو جزع الكاشح المغرى بها غصصا

هدى عقائل واف منك ذا شرف لو لا أياديه بيع الحمد مرتخصا

فقلت: هلّا عكست القول منك له و لم يكن قابلا من مدحه الرّخصا؟

و قلت: ذى بكر فكر من أخى شرف يردى و يرضى بها الحساد و الخلصا

لها حلّى حسيتيات على حلل حسيتية تستبى من حلّ أو شخصا

خولتها و قد اعتزّت ملابسها بالبخت ينقاد للإنسان ما عوصا

خذها أبا قاسم منى نتيجة ذى و دّ إذا شئت و دّا للورى خلصا

جاءت تجاوب عمّا قد بعثت به إن كنت تأخذ من درّ النّحور حصا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١١١

وهي طويلة. ومما ينسب إليه، وهو مليح في معناه: [الكامل]

ما للتوى مدّت لغير ضرورة ولقبل ما عهدى بها مقصوره

إنّ الخليل وإن دعت ضروره لم يرض ذاك فكيف دون ضروره

وقال مضمّنًا: [الرمل]

لا يلمنى عاذلى حتى يرى وجه من أهوى فلومى مستحيل

لو رأى وجه حبيبي عاذلى لتفارقنا على وجه جميل

وقال في الفخر: [الكامل]

قل للموالى: عش بغبطة حامدو للمعادي: بت بضغنة حاسد

المزن كفى و الثريا همتي و ذكاء ذكرى و السعود مقاصدى

وقال في غير ذلك: [البسيط]

غنيت بي دون غيرى الدهر عن مثل بعضى لبعضى أضحي يضرب المثلا

ظهرى انحنى لمشيب لاح وا عجاغضّ إذا أينعت أزهاره ذبلا

أذاك أم زهر لاحت تخبر أن يوم الصبا و التصابي آنس الطفلا

ومما جمع فيه بين نظمه ونثره، ما راجع به شيخنا القاضى الشريف أبا القاسم الحسنى، عن القصيدة الهمزية التى ثبتت فى اسمه :

[الكامل]

يا أوحدا الأدياء أو يا أوحدا الفضلاء أو يا أوحدا الشرفاء

من ذا تراه أحقّ منك إذا التوت طرق الحجاج بأن يجب ندائى

أدب أرقّ من الهواء وإن تشافمن الهواء والماء والصهباء

و ألدّ من ظلم الحبيب و ظلمه بالظاء مفتوحا و ضمّ الظاء

ما السحر إلّا ما تصوغ بنانه و لسانه من حلية الإنشاء

[و الفضل ما حليته و حبيته و حبوتنى منه بخير حباء

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١١٢ أبقار فكرك قد زفت بمدحتى تمشى روائعها على استحياء

لا من قصور بل لتقصيها من حيث لم يظفرن بالإرفاء

لكن جبرن و قد جبلن على الرضا فالجبر للأبكار للآباء

هذا إلى الشرف الذى قد فزت عليها بالعزة القعساء

شرف السليل من الرسول وسيلة قامت بابن سنا و ابن سناء

حسن أبو حسن و فاطمة ابنة الهادى البرية خاتم النبلاء

شرف على شرف إلى شرفين من حائر ما حزت من علياء

هدى ثلاث أنت واحد فخرها فاشمخ لها شرفا بأنف علاء

من رام رتبك السنية فليقف دون المرام مواقف الإقصاء

هدى ما أثر قد شأوت بصيتها من كان من آب لها أو شاء

و الليث يرهب زاره فى موطن ما كان من نقد به أو شاء

يكفيك من نكد المعاند أن يرى متقلد الأعضاء بالبغضاء

السِّنّ يفنى بالأنامل قرعه أو عضه متوقد الأحشاء

أتحفتني بقصيدة همزية مقصورة ممدودة الآراء

كم بين تلك و هذه لكنّها غطى على هذى ذهاب فتاى

ذو الشيب يعذره الشّباب فما لهم بدكاء نبل أو نبل ذكاء

من قارب الخمسين خطوا سنّه فمحاله مستوجب الإبطاء

أبنّى، إنك أنت أسدى من به يتعاضم الآباء بالأبناء]

لله نفثه سحر ما قد شدت لى من نفث سحر ك فى مشاد ثناء

عارضت صفوانا بها فأريت ما يستعظم الزاوى له و الزائى

لو راء لؤلؤك المنظم لم يفزى نظم لؤلؤه بغير عناء

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١١٣ بؤأتنى منها أجلّ ميوافلاً خمصى مستوطن الجوزاء

و سما بها اسمى سائرا فأنا بما أسديت ذو الأسماء فى الأسماء

و أشدت ذكرى فى البلاد فلى بهاطول الثناء و إن أطلت ثوائى

و لقومى الفخر المشيد بنيته يا حسن تشييد و حسن بناء

فليهن هانيهم يد بيضاء ما إن مثلها لك من يد بيضاء

حليت أبياتا لهم لخمية تجلى على مضرية غراء

فليشمخوا أنفا بما أوليتهم يا محرز الآلاء بالإيلاء

هذا، بنى، وصل الله سبحانه لك ولى بك علو المقدار، و أجرى وفق أو فوق إرادتك أو إرادتى لك جاريات الأقدار! ما سمح به

الذهن الكليل، و اللسان الفليل، فى مراجعة قصيدتك الغراء، الجالية السراء، الآخذة بمجامع القلوب، الآتية بجوامع المطلوب، الحسنه

المهيح و الأسلوب، المتحلية بالحلى السئية، العريقة المنتسب فى العلى الحسنية، الجالية صدأ قلوب ران عليها الكسل، و خانها

المسعدان السؤل و الأمل، فمتى حامت المعانى حولها، و لو أقامت حولها، شكت ويلها و عولها، و حرمت من فريضة الفضيلة عولها، و

عهدى بها و الزمان زمان، و أحكامه الماضيه أمانى مقضىه و أمان، تتوارد ألافها، و يجمع إجماعها و خلافها، و يساعدها من الألفاظ

كل سهل ممتع، مفترق مجمع، مستأنس غريب، بعيد الغور قريب، فاضح الحلا، واضح العلا، وضاح الغرة و الجبين، رافع عمود الصبح

المبين، أيد من الفصاحة بأيد، فلم يحفل بصاحبى طى و إيد، و كسى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١١٤

بضاعه البلاغه، فلم يعبا بهتيم و ابن المراغه . شفاء المحزون، و علم السير المخزون، ما بين منشوره و الموزون. و الآن لا ملهج و لا

مبهج، و لا مرشد و لا منهج، عكست القضايا فلم تنتج، فتبلد القلب الذكى، و لم يرشح القلب البكى، و عم الإفحام، و عم الإحجام،

و تمكّن الإكداء و الإجمال، و كورت الشمس و سيرت الجبال، و علت سامة، و غلبت ندامه، و ارتفعت ملامه، و قامت لنوعى الأدب

قيامه. حتى إذا ورد ذلك المهرق، و فرغ غصنه المورق، تغنى به الحمام الأورق، و أحاط بعداد عاداته الغصص و الشرق، و أمن من

الغصب و السرق، و أقبل الأمن و ذهب بإقباله الفرق، نفخ فى صور أهل المنظوم و المنثور، و بعثر ما فى القبور، و حصّل ما فى

الصدور، و تراءت للأدب صور، و عمرت للبلاغه كور، و همت للبراعة درر، و نظمت للبراعة درر، و عندها يتبين أنك واحد حلبة

البيان، و السابق فى ذلك الميدان، يوم الزهان، فكان لك القدم، و أقر لك مع التأخر السابق الأقدم، فوحق نضاعه ألفاظ أجدتها،

حين أوردتها، و أرسلتها حين أرسلتها، و أزنتها حين وزنتها، و براعة معان سلكتها حين ملكتها، و أرويتها حين رواتها و أرويتها، و

أصلتها حين فصّلتها ووصلتها، و نظام جعلته لجسد البيان قلبا، و لمعصمه قلبا، و هصرت حدائقه غلبا، و ارتكبت رويّه صعبا، و نثار أتبعته له خديما، و صيرته لمدير كأسه نديما، و لحفظ ذمامه المدامي أو مدامه الدمامي مديما، لقد فتننتي حين أتنتي، و سبتني حين نصبتني، فذهبت خفتها بوقاري، و لم يرعها بعد شيب عذاري، بل دعت للتصابي فقلت مرحبا، و حللت لفتنتها الحبا، و لم أحفل بشيب، و ألفت ما ردّ نصابي نصيب، و إن كُنّا فرسي رهان، و سابقي حلبة ميدان، غير أنّ الجلدة الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١١٥

بيضاء، و المرجو الإغضاء، بل الإرضاء. بنى، كيف رأيت للبيان هذا الطوع، و الخروج فيه من نوع إلى نوع؟ أين صفوان بن إدريس، و محلّ دعواه بين رحله و تعريس؟ كم بين ثغاء بقر هذا الفلا و بين زئير ليث العريس؟ كما أني أقطع علما، و أعلم قطعا، و أحكم مضاء و أمضى حكما، أنه لو نظر إلى قصيدتك الزائقة، و فريدتك الحالية الفائقة، المعارضة بها قصيدته، المنتسخة بها فريدته، لذهب عرضا و طولا، ثم اعتقد لك اليد الطولى، و أقرّ بارتفاع النزاع، و ذهبت له تلك العلالات و الأطماع، و نسي كلمته اللؤلؤية، و رجع عن دعواه الأدبية، و استغفر الله ربّه من تلك الإلهية. بنى، و هذا من ذلك، من الجرى في تلك المسالك، و التبسط في تلك المآخذ و المتارك، أيتزع غيري هذا المنزع؟ أم المرء بشعره و ابنه مولع؟ حيا الله الأدب و بنيه، و أعاد علينا من أيامه و سنه! ما أعلى منازعه، و أكبا منازعه، و أجل مأخذه، و أجهل تاركة و أعلم آخذه، و أرقّ طباعه، و أحقّ أشياعه و أتباعه، و أبعد طريقه، و أسعد فريقه، و أقوم نهجه، و أوثق نسجه، و أسمح ألفاظه، و أفصح عكاظه، و أصدق معانيه و ألفاظه، و أحمد نظامه و نثاره، و أغنى شعاره و دثاره، فعائبه مطرود، و عاتبه مصفود، و جاهله محصود، و عالمه محسود، غير أن الإحسان فيه قليل، و لطريق الإصابة فيه علم و دليل، من ظفر بهما وصل، و على الغاية القصوى منهما حصل، و من نكب عن الطريق، لم يعدّ من ذلك الفريق، فليهنك أيها الابن الذكي، البرّ الزكي، الحبيب الحفي، الصيقي الوفي، أنك حامل رايته، و واصل غايته، ليس أولوه و آخروه لذلك بمنكرين، و لا تجد أكثرهم شاكرين. و لو لا أن يطول الكتاب، و ينحرف الشعراء و الكتاب، لفاضت ينابيع هذا الفصل فيضا، و خرجت إلى نوع آخر من البلاغة أيضا، قرّت عيون أودائك، و ملئت غيظا صدور أعدائك، و رقيت درج الآمال، و وقيت عين الكمال، و حفظ منصبك العالي، بفضل ربك الكبير المتعالي. و السلام

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١١٦

الأتم الأكمل الأعم، يخصك به من طال في مدحه إرقالك و إغذاذك، و راد روض حمده طلك و رذاذك، و غدت مصالح سعيه في سعي مصالحك، و سينفعك بحول الله و قوته و فضله و منته معاذك، و وسمت نفسك بتلميذه فسمت نفسه بأنه أستاذك، ابن هانيء، و رحمة الله و بركاته.

دخوله غرناطة: دخل غرناطة مع الوفد من أهل بلده عند تصيرها إلى الإيالة التصرية، حسبما ثبت في موضعه.

وفاته: توفي بجبل الفتح، و العدو يحاصره، أصابه حجر المنجنيق في رأسه، فذهب به، تقبل الله شهادته و نفعه، في أواخر ذي قعدة، من عام ثلاثه و ثلاثين و سبعمائة.

و ممّن رثاه قاضي الجماعة شيخنا القاضي أبو القاسم الحسنی، و هي القصيدة التي أولها: [الطويل]

سقى الله بالخضراء أشلاء سؤددتضمّنهنّ التّرب صوب الغمام

و قد ثبت في «جهد المقل» في اسم المذكور، فلينظر هنالك.

و ممّن رثاه شيخنا القاضي أبو بكر بن شبرين، رحمه الله بقوله: [مجزوء الكامل]

قد كان ما قال اليزيد فاصبر فحزنك لا يفيد

أودي ابن هانيء الوضافاعتادني للشكل عيد

بحر العلوم و صدرها و عميدها إذ لا عميد

قد كان زينا للوجود ففيه قد فجع الوجود
 العلم و التّحقيق و التوفيق و الحسب التّليد
 تندى خلائقه فقل فيها: هي الرّوض الموجد
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١١٧ مغض عن الإخوان لاجهم اللقاء و لا كنود
 أودى شهيدا باذلا مجهوده نعم الشّهد
 لم أنسه حين المعارف باسمه فينا تشيد
 و له صبوب في طلاب العلم يتلوه صعود
 لله وقت كان ينظمننا كما نظم الفريد
 أيام نغدو أو نروح و سعيانا السّعى الحميد
 و إذا المشيخة جثم هضبات حلم لا تبيد
 و مرادنا جثم التّبات و عيشنا خضر برود
 لهفى على الإخوان و الأتراب كلّهم فقيد
 لو جئت أو طاني لأنكرنى التّهائم و النّجود
 و لراع نفسى شيب من غادرته و هو الوليد
 و لطفت ما بين اللّحود و قد تكاثرت اللّحود
 سرعان ما عاث الحمام و نحن أيقاظ هجود
 كم رمت إعمال المسير فقيدت عزمى قيود
 و الآن أخلفت الوعود و أخلقت تلك البرود
 ما للفتى ما يبتغى و الله يفعل ما يريد
 أعلى القديم الملك ياويلاه يعترض العبيد
 يا بين، قد طال المدى أرعد و أبرق يا يزيد
 و لكل شىء غايء و لربما لان الحديد
 إيه أبا عبد الإله و دوننا مرمى بعيد
 أين الرسائل منك تأتينا كما نظم العقود؟
 أين الرّسوم الصالحات؟ تصرّمت، أين العهود؟
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١١٨ أنعم مساء لا تخطّتك البشائر و السّعود
 و أقدم على دار الرّضاحيث الإقامة و الخلود
 و التّقى الأحبّه حيث دار الملك و القصر المشيد
 حتى الشّهادة لم تفتك فنجمك النّجم السّعيد
 لا تبعدن وعدا لو أن الميت فى الدنيا يعود
 و لئن بليت فإنّ ذكرك فى الدّنا غصّ جديد
 تالله لا تنساك أنديء العلى ما اخضرّ عود
 و إذا تسومح فى الحقوق فحقّك الحقّ الأكيد

جادت صداك غمامة يروي بها ذاك الصّعيد
و تعهدتك من المهيمن رحمة أبدا وجود

محمد بن يحيى العبدري

من أهل فاس، يكنى أبا عبد الله، و يعرف بالصّدفي.

حاله: قال الأستاذ في «صلته»: إمام في العربية، ذاكر للغات والآداب، متكلم، أصولي مفيد، متفنّن، حافظ، ماهر، عالم، زاهد، ورع، فاضل. أخذ علم العربية والآداب عن النّحوي أبي الحسن بن خروف، و عن النّحوي الأديب الصّابط أبي ذرّ الخشني، و أكثر عنهما، و أكمل الكتاب على ابن خروف، تفقّها و تقييدا و ضبطا. و كان حسن الإقراء، جيّد العبارة، متين المعارف و الدّين، شديد الورع، متواضعا جليلا، عالما عاملا، من أجلّ من لقيته، و أجمعهم لفنون المعارف، و ضروب الأعمال، و كان الحفظ أغلب عليه، و كان سريع القلم إذا كتب أو قيد، و سمعته يقول: ما سمعت شيئا من أحد من أشياخي، من نكت العلم، و تفسير مشكل، و ما يرجع إلى ذلك، إلّا و قيده، و لا قيدت بخطّي شيئا إلّا حفظته، و لا حفظت شيئا فنسيته. هذا ما سمعت منه.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١١٩

مشيخته: أخذ العربية عن الأستاذ أبي الحسن بن خروف، و عن النّحوي الأديب الصّابط أبي ذرّ الخشني، و أكثر عنه، و أخذ معهما عن أبي محمد بن زيدان، و لازم ثلاثتهم، و سمع و قرأ على الفقيه الصالح أبي محمد صالح، و أخذ عن غير من ذكر. دخوله غرناطة: قال: دخل الأندلس مرارا بيسير بضاعة كانت لديه، يتجر فيها، و دخل إشبيلية، و تردّد آخر عمره إلى غرناطة و مالقة إلى حين وفاته.

وفاته: توفي، رحمه الله، شهيدا بمرسى جبل الفتح. دخل عليهم العدو فيه، فقاتل حين قتل، و ذلك سنة إحدى و خمسين و ستمائة. و سمعته يتوسل إلى الله، و يسأله الشهادة.

المحدّثون و الفقهاء و الطلبة النجباء و أولا الأصليون

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الزبير

من أهل غرناطة، ولد الأستاذ الكبير أبي جعفر بن الزبير، يكنى أبا عمرو.

حاله: هذا الشيخ سكّيت حلبة، ولد أبيه في علوّ النّباهة، إلّا أنه لو ذعى فكه، حسن الحديث، رافض للتصنّع، ركض طرف الشّيبية في ميدان الراحة، منكبا عن سنن أبيه و قومه، مع شغوف إدراك، و جودة حفظ، كانا يطمعان والده في نجابته، فلم يعدم قادحا. و رحل إلى العدو، و شرّق و نال حظوة، و جرت عليه خطوب. ثم عاد إلى الأندلس على معروف رسمه يتكوّر بها، و هو الآن قد نال منه الكبر، يزجي الوقت بمالقة، متعلّلا بوقف من بعض الخدم المخزنية، لطف الله به.

مشيخته: استجاز له والده الطّم و الرّم، من أهل المغرب و المشرق، و وقف عليه منهم في الصّغر وقفا لم يغتبط به عمره، و أذكره الآن بعد أمة، عندما نقر عنه لديه، فأثرت به يده من علوّ روايته، و توفّر سبب مبرّة، و داعية إلى إقاله عشرة، و ستر

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٢٠

هيبه شيبه. فمن ذلك الشيخ الإمام أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد المشدالي، إجازة ثم لقاء و سماعا، و الشيخ الخطيب الرّاوية أبو عبد الله بن غريون. و أجازه الأستاذ أبو إسحاق الغافقي، و أبو القاسم بن الشّاط، و الشّريف أبو العباس أحمد الحسني، و الأستاذ الإمام أبو الحسين عبد الله بن أبي الربيع القرشي، نزيل سبتة.

و محمد بن صالح بن أحمد بن محمد الكتاني الشاطبي بجاية، و الإمام أبو اليمن بن عساكر بالمسجد الحرام، و ابن دقيق العيد و غيرهم. و من أهل الأندلس أبو محمد بن أبي السداد، و أبو جعفر بن الزيات، و أبو عبد الله بن الكتّاد، و أبو عبد الله بن ربيع الأشعري، و أبو عبد الله بن برطال، و أبو محمد عبد المنعم بن سماك، و العدل أبو الحسن بن مستقور. و أجازته من أهل المشرق و المغرب عالم كبير.

شعره: و بضاعته فيه مزجاء، فمن ذلك ما خاطبني به عند إياي من العدو في غرض الرسالة عن السلطان: [الوافر]

نوالى الشكر للرحمن فرضاعلم نعم كست طولاً و عرضاً

و كم لله من لطف خفي لنا منه الذي قد شا و أمضى

بمقدمك السعيد أتت سعودننال بها نعيم الدهر محضاً

فيا بشرى لأندلس بما قدبه والاك بارينا و أرضى

و يا لله من سفر سعيدقد أقرضت المهيمن فيه قرضاً

نهضت بتيه أخلصت فيها فابت بكل ما يبغي و يرضى

و ثبت لنصرة الإسلام لماعلمت بأن الأمر إليك أفضى

لقد أحييت بالتقوى رسوما كما أرضيت بالتمهيد أرضاً

و قمت بسنة المختار فينا تمهد سنة و تقيم فرضاً

و رضت من العلوم الصعب حتى جنيت ثمارها رطباً و غصاً

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٢١ فرأيتك ناجح فيما تراهو عزمك من مواضى الهند أمضى

تدبر أمر مولانا فيلقى المسىء لديك إشفاقاً و إغصاً

فأعقبنا شفاء و انبساطاً و قد كانت قلوب الناس مرضى

و من أضحى على ظمياً و أمسى يرد إن شاء من نعماك حوضاً

أبا عبد الإله إليك أشكوزمانى حين زاد الفقر عصاً

و من نعماك أستجدي لباسا يفيض به على الجاه فيضاً

بقيت مؤملاً ترجى و تخشى و متلك من إذا ما جاد أرضى

وفاته: توفى في التاسع لمحررم من عام خمسة و ستين و سبعمائة.

محمد بن أحمد بن خلف بن عبد الملك ابن غالب الغساني

من أهل غرناطة، يكنى أبا أبكر، و يعرف بالقليعي ،

أوليته: قد جرى من ذكره و ذكر بيته في الطبقات ما فيه كفاية .

حاله: كان نبيه البيت، رفيع القدر، عالى الصيت، من أهل العلم و الفضل و الحسب و الدين، و أجمع على استقصائه أهل بلده بعد أبي

محمد بن سمحون سنة ثمان و خمسمائة.

وفاته: توفى بغرناطة أوائل صفر عشرة و خمسمائة، و دفن في روضه أبيه. ذكره ابن الصيرفي و أطنب.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٢٢

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله و يعرف بابن قطبة.

حاله: من «عائد الصلة»: كان، رحمه الله، شيخ الفقهاء و الموثقين، صدر أرباب الشورى، نسيج وحده في الفضل و التخلق و العدالة، طرفا في الخير، محببا إلى الكافة، مجبولا على المشاركة، مطبوعا على الفضيلة، كهفا للغرباء و القادمين، مألفا للمتعلمين، ثمالا للأسرى و العائنين، تخلص منهم على يديه أمم؛ لقصد الناس إياه بالصدقة، مقصودا في الشفاعات، معتمدا بالأمانات، لا يسدل دونه ستر، و لا تحجب عنه حرمة، فقيها حافظا، أخباريا محدثا ممتعا، متقدما في صناعة التوثيق، حسن المشاركة في غيرها، كثير الحض على الصدقة في المحول و الأزمان، يقوم في ذلك مقامات حميدة، ينفع الله بها الضعفاء، و ينقاد الناس لموعظته، و يؤثر في القلوب بصدقه. فقد بفقدانه رسم من رسوم البر و الصدقة.

مشيخته: قرأ على الأستاذ الكبير أبي جعفر بن الزبير، و الخطيب ولي الله أبي الحسن بن فضيلة، و روى عن الشيخ الوزير المسنّ المحدّث أبي محمد عبد المنعم بن سماك، و أبي القاسم بن السيّكوت المالقي، و الخطيب أبي عبد الله بن رشيد، و القاضي أبي يحيى بن مسعود، و العدل أبي علي البجلي، و أبي محمد عبد المؤمن الخولاني. و أجازه جماعة من أهل المشرق و المغرب، و ناب عن بعض القضاة بغرناطة. ولد عام تسعة و ستين و ستمائة، و توفي في الثالث لربيع الأول من عام ثمانية و ثلاثين و سبعمائة. و كانت جنازته مشهودة.

محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن يوسف بن روييل الأنصاري

من أهل غرناطة، و يكنى أبا عبد الله، و يعرف بابن السراج. طليطلى الأصل، طيب الدار السلطانية.

حاله: من «العائد»: كان، رحمه الله، من أهل التّفنّ و المعرفة، متناهي الأبهة و الحظوة، جميل الصورة، مليح المجالسة، كثير الدّابة و المؤانسة، ذا كرا للأخبار و الطّرف، صاحب حظّ من العربية و الأدب و التفسير، قارضا للشعر، حسن الخط، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٢٣

ظريف الوراق، طرفا في المعرفة بالعشب، و تمييز أعيان الثّبات، ستيّا، محافظا، محبّا في الصالحين، ملازما لهم، معتنيا بأخبارهم، متلمذا لهم. انحاش إلى الولي أبي عبد الله التونسي، و انقطع إليه مدة حياته، و دون أحواله و كراماته. و عيّن ريع ما يستفيدة في الطّب صدقة على يديه، أجرى ذلك بعد موته لبنيه. و نال حظا عريضا من جاه السلطان، فاطّرح حظّ نفسه مع المساكين و المحتاجين، فكان على بأوه على أهل الدنيا، يؤثر ذوى الحاجة، و يخفّ إلى زيارتهم، و يرفدهم، و يعينهم على معالجة علمهم.

مشيخته: قرأ الطّب على الشيخ الطيب، نسج وحده أبي جعفر الكزني، رئيس الصناعة في وقته، و لقي فيه الأستاذ إمام التعاليم و المعارف أبا عبد الله الرقوتي المرسى و غيره. و قرأ القرآن على المقرئ الشهير أبي جعفر الطّباع بالروايات السّبع، و العربية على الأستاذ أبي الحسن بن الصائغ الإشبيلي، و أكثر القراءة على شيخ الجماعة العلامة أبي جعفر بن الزبير.

تواليفه: ألف كتبا كثيرة، منها في الثّبات و الرؤيا، و منها كتاب سمّاه، «السّرّ المداع، في تفضيل غرناطة على كثير من البقاع».

شعره: من ذلك قوله ملغزا في المطر: [الطويل]

و ما زائر مهما أتى ابتهجت به نفوس و عمّ الخلق جودا و إحسانا

يقيم فيشكو الخلق منه مقامه و يكرههم طرا إذا عنهم بانا

يسرّ إذا وافى و يكره إن نأى و يكره منه الوصل إن زار أحيانا

و أعجب شىء هجر حبّ مواصل به لم يطل هواه إن لم يطل خانا

محنته: ذكر أنه لما توفي السلطان ثاني الملوك من بنى نصر فجاءه، و هو يصلّى المغرب، و باكر الطبيب بابه غداة ليلة موته، سأل عن

الطعام القريب عهد موته بتناوله، فأخبر أنه تناول كعكا وصله من وليّ عهده، فقال كلاما أوجب نكبته، فامتحن بالسّجن الطويل، و التمسّت الأسباب الموصلة إلى هلاكه، ثم أجلى إلى العدوّة. ثم دالت الأيام، فعاد إلى وطنه مستأنفا ما عهده من البرّ و فقدته من التّجلّة. ميلاده: بغرناطة عام أربعة و خمسين و ستمائة. الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٢٤ وفاته: ليلة الخميس التاسع من شهر ربيع الأول من عام ثلاثين و سبعمائة.

محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي زنين المرّي

يكنى أبا عبد الله، و بيته معلوم. حاله: كان من أهل المعرفة و النّبل و الذكاء. مشيخته: قرأ القرآن على أبي بكر بن النّفيس، و أبي عبد الله بن شهيد المرّي المقرئ بطخشارش من غرناطة. و درس الفقه عند المشاور أبي عبد الله بن مالك المقرئ، و أبي الحسن علي بن عمر بن أضحي، و علي غيرهما من شيوخ غرناطة. وفاته: توفي سنه أربعين و خمسمائة. قلت: و إنما ذكرت هذا المترجم به مع كوني اشتربت صدر خطبته ألا أذكر هذا النمط لمكان مصاهرتي في هذا البيت. و لعلّ حافد هذا المترجم به من ولدي يطّلع على تعدادهم و ذكرهم في هذا التّأليف و تردادهم، فيكون ذلك محرّضا له على التّجابه، محرّضا للإجابة، جعلنا الله ممّن انتمى للعلم و أهله، و اقتفى من سننه واضح سبله.

محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم ابن حسان القيسي

الواد آشي الأصل و المعرفة، التّونسي الاستيطان، يكنى أبا عبد الله، و يعرف بابن جابر. حاله: من «عائد الصلّة»: نشأ بتونس، و جال في البلاد المشرقية و المغربية، و استكثر من الرّواية و نقّب عن المشايخ، و قيّد الكثير، حتى أصبح جماعه المغرب، و راويه الوقت. ثم قدم الأندلس ظريف التّزعة، عظيم الوقار، قويم السّمت، يأوى في الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٢٥ فضل التّعيش إلى فضل ما كان بيده، يصرفه في مصارف التجارة. و قعد للإسماع و الرّواية، و انتقل إلى بلش، فقرأ بها القرآن العظيم و الروايات السّبيع، على الخطيب أبي جعفر بن الزيات. ثم رحل إلى المغرب، ثم أعاد الرّحلة الحجازية، و أعرق، فلقى أمّه من العلماء و المحدّثين، و أصبح بهم شيخ وحده، انفساح روايه، و علوّ إسناد. مشيخته: من شيوخه قاضي الجماعة بتونس أبو العباس بن الغمّاز الخزرجي البلسي، و قاضي الجماعة بها أبو إسحاق بن عبد الرّفيح، و قاضي قضاء الدّيار المصريه بدر الدين بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن صخر الكناني. و قاضي الجماعة ببجاية أبو العباس الغبريني، و سراج الدين أبو جعفر عمر بن الخضر بن طاهر بن طراد بن إبراهيم بن محمد بن منصور الأصبحي، و أبو محمد عبد الغفار بن محمد السّعدى المصرى، و رضيّ الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الخليلي الجعفري، و شرف الدين أبو عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن الحافظ عبد الغنى بن عبد الواحد بن سرور المقدسي، و أبو الفضل أبو القاسم بن حماد بن أبي بكر بن عبد الواحد الحضرمي اللبيد، و عبد الله بن يوسف بن موسى الخلاسي، و عبد الله بن محمد بن هارون، و إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحاج التّجيبى، و أحمد بن يوسف بن يعقوب بن علي الفهري اللبلى، و ولده جابر بن محمد بن قاسم معين الدين، و عزّ الدين أبو القاسم بن محمد بن الخطيب، و جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن الصّيقار، و أبو بكر بن عبد

الكريم بن صدقة العزفي، و محمد بن إبراهيم بن أحمد التجيبي، و أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن عقاب الجذامي الشاطبي، و عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري الأسدي القيرواني، و أبو القاسم خلف بن عبد العزيز القبتوري، و علي بن محمد بن أبي القاسم بن رزين التجيبي، و أحمد بن موسى بن عيسى البطرني، و غرّ القضاء فخر الدين أبو محمد عبد الواحد بن منصور بن محمد بن المنير، و تقي الدين محمد بن أحمد بن عبد الخالق المصري، و صدر النحاء أبو حيان، و ظهير الدين أبو محمد بن عبد الخالق المخزومي المقدسي الدلاصي، و رضی

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٢٦

الدين بن إبراهيم بن أبي بكر الطبري، و المعمر بهاء الدين أبو محمد القاسم بن مظفر بن محمود بن هبة الله بن عساكر الدمشقي. و أما من كتب إليه فنحو مائة و ثمانين من أهل المشرق و المغرب.

قدم غرناطة في أول عام ستته و عشرين و سبعمائة، فهو باعتبار أصله أصلي، و باعتبار قدومه طارئة و غريب. توألفه: له توأليف حديثه جملة، منها أربعون حديثا، أغرب فيها بما دلّ على سعة خطوه و انفساح رحله. وفاته: كان حيا سنة أربعين و سبعمائة، و بلغنى أنه توفي عام سبعة بعدها.

محمد بن خلف بن موسى الأنصاري الأوسي

من أهل البيرة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: كان متكلمًا، واقفا على مذاهب المتكلمين، متحققا برأي الأشعرية، ذا كرا لكتب الأصول و الاعتقادات، مشاركا في الأدب، مقدما في الطب.

مشيخته: روى عن أبي جعفر بن محمد بن حكيم بن باق، و أبي جعفر بن خلف بن الهيثم، و أبوي الحسن بن خلف العنسي، و ابن محمد بن عبد العزيز بن أحمد بن حمدين، و أبوي عبد الله بن عبد العزيز الموري، و ابن فرج مولى الطلاع، و أبي العباس بن محمد الجذامي، و أبي علي الغساني، و أبي عمرو زياد بن الصيفار، و أبي القاسم أحمد بن عمر. و أخذ علم الكلام عن أبي بكر بن الحسن المرادي، و أبي جعفر بن محمد بن باق، و أبي الحجاج بن موسى الكلبی.

و تأدّب في بعض مسائل النحو بأبي القاسم بن خلف بن يوسف بن فرتون بن الأبرش.

من روى عنه: روى عنه أبو إسحاق بن قرقول، و أبو خالد المرواني، و أبو زيد بن نزار، و أبو عبد الله بن الصيّقل المرسى، و أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن سمعان، و أبو الوليد بن خيرة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٢٧

توألفه: من توألفه: «النكت و الأمالي، في الرد على الغزالي»، و «الإيضاح و البيان، في الكلام على القرآن»، و «الأصول، إلى معرفة الله و نبوة الرسول» و رسالته «الاقتصار، على مذاهب الأئمة الأخيار»، و رسالته «البيان، في حقيقة الإيمان»، و الرد على أبي الوليد بن رشد في مسألة الاستواء الواقعة له في الجزء الأول من مقدّماته، و «شرح مشكل ما وقع في الموطأ و صحيح البخاري»، و قد كان شرع في تصنيفه عام ثمانية عشر و خمسمائة في شوال منه، و بلغ في الكلام فيه إلى النكتة الرابعة و الخمسين، و قطعت به قواطع المرض، و شرع في معالجة العين لرؤيا رآها، يقال له: ألفت في نور البصيرة، فألف في نور البصر تنفع و تنتفع، فأقبل على تأليفه في مداواة العين، و هو كتاب جمّ الإفادة، ثم أكمل النكت.

شعره: و كان له حظّ من قرص الشعر، فمن ذلك ما مدح به إمام الحرمين أبا المعالي الجويني: [الخفيف]

حبّ حبر يكنى أبا للمعالي هو ديني ففيه لا تعدلوني

أنا والله مغرم في هواه علّوني بذكره علّوني

مولده: ولد يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة سبع و خمسين و خمسمائة .

محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الخولاني

غرناطي، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالشريشي . الإحاطة في أخبار غرناطة ؛ ج ٣ ؛ ص ١٢٧

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٢٨

حاله: من أهل التصاون والحشمه والوقار، معرق في بيت الخيريّة والعصه، و كان والده صاحبنا، رحمه الله، آية في الدؤوب والصبر على انتساح الدواوين العلمية والأجزاء، بحيث لا مظنة معرفة أو حجرة طلب تخلو عن شيء من خطه إلا ما يقل، على سكون و عدالة و انقباض و صبر و قناعة. و أكتب للصبيان في بعض أطواره، و نشأ ابنه المذكور ظاهر التبل و الخصوصية، مشاركاً في فنون؛ من عريية و أدب و حساب و فريضة. و تصرّف في الشهادة المخزنية برهه، ثم نزع عنها انقيادا لداعي التزاهه، و هو الآن بحاله الموصوفة.

شعره: و شعره من نمط الإجادة، فمن ذلك قوله: [السريع]

بي شادن أهيف مهما انثني يحكي تشيه القضيب الرطيب

ذو غزه كالبدر قد أطلعت فوق قضيب نابت في كثيب

خضت حشا الظلماء من حبه أختلس الوصل حذار الرقيب

فبتّ و الوصل لنا ثالث يضمننا ثوب عفاف قشيب

حتى إذا ما الليل ولى و قد مالت نجوم الأفق نحو الغروب

ودّعه و القلب ذو لوعة أسبل من ماء جفوني غروب

فلست أدري حين ودّعه قلب بأضلاعي غدا أم قليب؟

و من ذلك في النسب: [السريع]

يا أجمل الناس و يا من غدت غرّته تمحو سنا الشمس

أنعم على عبدك يا مالكي دون اشتراء و منى نفسي

بأن ترى وسطى لعقدى و أن تعيد ربعي كامل الأنس

فإن تفضّلت بما أرتجى أبقيتني في عالم الإنس

و إن تكن ترجعني خائباً فإني أدرج في رمسى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٢٩

و قال في فضل العلم: [السريع]

يا طالب العلم اجتهد إنه خير من التالد و الطارف

فالعلم يذكو قدر إنفاقه و المال إن أنفقته تالف

و ترقى إلى هذا العهد بإشارتي إلى التي لا فوقها من تعليم ولد السلطان، و الرئاسة القرآنية بباب الإمارة، و الإمامة بالمسجد الجامع من القلعة، حميد الطريقة في ذلك كله، معروف الحق، تولاه الله.

مولده: عام ثمانية عشر و سبعمائة.

محمد بن محمد بن علي بن سودة المرّي

يكنى أبا القاسم.

أوليته: من نهاء بيوتات الأندلس و أعيانها، سكن سلفه البشارّة، بشارّة بنى حسان، و ولى جدّه الأشغال، حميد السيرة، معروف الإدانة. حاله: هذا الفتى من أهل الخصوصية و السكون و الحياء، المانع عن كثير من الأغراض. مال إلى العلوم العقلية، فاستظهر على المماسّة في بعض أغراضها بالدؤوب و العكوف، المورين تأثير جبل الرّكيّة في جحرها، فتصدّر للعلاج، و عانى الشّعور، و أرسم في الكتابة، و عدّ من الفضلاء، و ظهرت على عباراته اصطلاحات الحكماء، و تشوّف إلى العهد للرّحلة الحجازية، و الله يبسرّ قصده.

مشيخته: قرأ الطبّ و التعديل على الحبر طيب الدّار السّليطانية، فارس دينك الفّنين، إبراهيم بن زرزار اليهودى، و رحل إلى العدوّة، فقرأ على الشّريف العالم الشهير، رحلة الوقت في المغرب، أبى عبد الله العلوى، و بلقائه نجح.

شعره: أنشد السلطان قوله: [الكامل]

جاد الحمى صوب الغمام هتونه تزجى البروق سحابه فتعيه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٣٠ و سقى ديار العامرية بعد ما وافي بجرعاء الكتيب معينه

يندى بأفنان الأراك كأنه عقد تناثر بالعقيق ثمينه

و محى الكتيب سكوبه فكأنه خطّ تطلّس ميمه أو نونه

حتى إذا الأرواح هبت بالضّحى مسحت عليه بالجنّاح تبينه

و كأنه و الرعد يحدو خلفه صبّ يطول إلى اللقاء حنيه

أو سخّ دمعى فوق أكناف اللوى جادت بلؤلؤة النفيس عيونه

و البرق في حلق السحاب كأنه مكنون سرّ لم يذع مضمونه

أو ثوب ضافية الملابس كاعب عمدت بحاشية النّصار تزينه

هنّ الديار برامة لا دهرها سلس القياد و لا العتاب يلينه

و لقد وقفت برسمها فكأنتى من ناحل الأطلال فيه أكونه

قلبي بذاك اللوى خلّفته ألوى بمزدلف الرّفاق طعيه

لا تسأل العذال عنى فالهوى هذا يخامر بالصلّوع دفيه

إن يخف عن شرحى حديث زميرتى فعلى الفنون فريضة تبينه

عجبا لدمعى لا يكفّ كأنما جدوى أبى عبد الإله هتونه

محى المكارم بعد ما أودى بهاز من تقلّب بالكرام خوونه

مولى الملوك عميد كلّ فضيلة علق الزمان ثمينه و مكينه

يضى إلى داعى الندى فيهزه و بملتقى الجمعين طال سكونه

من ذا يسابق فضله لوجوده و يلجّ فيض البحر فاض يمينه

إن تلقه تلق الجمال و قاره و الحلم طبع و السّماحة دينه

غمر الأنام نواله و محا الضلال رشاده و جلا الظلام جيينه

أحيا رسوم الدين و هى دوارس و لطالما صدع الشكوك يقينه

شمس الهدى حتف العدا محى النّدا بحر الجدا طول المدى تمكينه

ليث الشرى غوث الورى قمر السرى سنّ القرى عمّ القرى تأمينه

فلبأسه يوم الوغى و لعزمه جاش الهزبر إذا الهزبر يخونه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٣١ لا تسأل الهيجاء عنه إنه يصل المراد كما تحب ظنونه لو كان يشغله المنام عن العلاهجر المنام و باعدته جفونه و إذا تطاولت الملوك بماجد بمحمد دون الأنام يكونه يا ابن الألى نصروا الرسول و من بهم نطق الكتاب فصيحه و مبينه خصّوا بيعته و حاموا دونه نهج الرضا حتى تقاوم دينه أ معاضد الإسلام أنت عميده و خليفه الرحمن أنت أمينه لم يبق إلّا من بسيفك طاع الفنش فى أقصى البلاد رهينه و بجيشك المنصور لو لاقته أدرى بمشجر الزّماح طعيه و لو اصطنعت إلى العدو إدالة طاعت إليك بلاده و حصونه خذها إليك قصيدة من شاعر حلوا الكلام مهذب تبينه جعل القوافى للمعالى سلّمافجنى القريض كما اقتضته فنونه غطى هواه عقله و اقتاده يحصى النجوم جهالة تزيينه و لو أخذته أيدى التحرير و التقد، لرجى أن يكون شاعرا، و بالجملة فالرجل معدود من السّراء بيتا و تخصّصا.

محمد بن عبد العزيز بن سالم بن خلف القيسى

منكبي، الأصل، يكنى أبا عبد الله، طيب الدار السلطانية.

حاله: من «عائد الصلة»: كان، رحمه الله، فدا في الانطباع و اللّوذية، حسن المشاركة فى الطب، مليح المحاضرة، حفظة، طلعة، مستحضرا للأدب، ذا كرا لصناعة الطب، أخذها عن إمام وقته أبى جعفر الكزنى، و انتصب للعلاج، ثم انتقل إلى الخدمة بصناعته بالباب السلطاني، و ولى الحسبة، و من شعره يخاطب السلطان على ألسنة أصحابنا الأطباء الذين جمعتمهم الخدمة ببابه يومئذ، و هم أبو الأصبح بن سعادة، و أبو تمام غالب الشقورى: [الخفيف]

قد جمعنا بيا بكم سطر علم لبلوغ المنى و نيل الإرادة

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٣٢ و من أسمائنا لكم حسن فالغالب ثم سالم و سعادة وفاته: توفى فى شهر رجب من عام سبعة عشر و سبعمائة.

محمد بن عبد الله بن أبى زمنين

من أهل البيرة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من الملاحى، قال: ولى الأحكام، و كان فقيها نبيا.

وفاته: توفى بغرناطة فى عشر السنين و أربعمائه.

قلت: قد تقدم اعتذارى عن إثبات مثله فى هذا المختصر، فلينظر هناك إن شاء الله.

محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبى زمنين عدنان بن بشير بن كثير المزي

حاله: كان من كبار المحدّثين و العلماء الراسخين، و أجلّ وقته قدرا في العلم و الرواية و الحفظ للرأى و التمييز للحديث، و المعرفة باختلاف العلماء، متفنّنا في العلم، مضطلعا بالأدب، قارضا للشعر، متصرفا في حفظ المعانى و الأخبار، مع النّسك و الزّهد، و الأخذ بسنن الصالحين، و التخلّق بأخلاقهم. لم يزل أمة في الخير، قانتا لله، منييا له، عالما زاهدا صالحا خيرا متقشفا، كثير التّبتّل و التّزلف بالخيرات، مسارعا إلى الصالحات، دائم الصلاة و البكاء، واعظا، مذكرا بالله، داعيا إليه، و رعا، ملتبى الصدقة، معينا على النّائبة، مواسيا بجاهه و ماله، ذا لسان و بيان، تصغى إليه الأفتدة فصيحاً، بهيّا، عربيّا، شريفا، أبى النفس، على الهمة، طيب المجالسة، أنيس المشاهدة، ذكيا، راسخا في كل جمّ من العلوم، صيرفيا جهبذا، ما رؤى، قبله و لا بعده، مثله.

مشيخته: سكن قرطبة، و سمع بها من أحمد بن مطرف، و وهب بن مسرة الحجارى، و عن أبان بن عيسى بن محمد بن دثير، و عن والده عبيد الله بن عيسى.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٣٣

من روى عنه: روى عنه الزاهد أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود الإلبيرى و غيره.

تواليفه: ألف كتاب المغرب في اختصار «المدونة» ثلاثين جزءا، ليس في المختصرات مثله بإجماع، و المهذب في تفسير «الموطأ»، و المشتمل في أصول الوثائق، و حياة القلوب، و أنس الفريد، و منتخب الأحكام، و النصائح المنظومة، و تفسير القرآن. مولده: في المحرم سنة أربع و عشرين و ثلاثمائة.

وفاته: توفى في شهر ربيع الثانى عام ثمانية و تسعين و ثلاثمائة بحاضرة إلبيرة، رحمه الله و نفع به.

محمد بن عبد الرحمن بن الحسن بن قاسم بن مشرف ابن قاسم بن محمد بن هانى اللخمي القاضى

يكنى أبا الحسن.

حاله: كان وزيرا جليلا، فقيها رفيعا، جوادا، أدبيا، جيّد الشعر، عارفا بصناعة النّحو و العروض، و اللّغة و الأدب و الطب، من أهل الرواية و الدّراية.

مشيخته: روى عن الحافظ أبى بكر بن عطية، و أبى محمد بن عتاب، و أبى الوليد بن رشد القاضى الإمام، و القاضى أبى محمد عبد الله بن على بن سمجون.

شعره: من شعره قوله: [السريع]

يا حرقة البين كويت الحشاحتى أذبت القلب فى أضلعه

أذكيت فيه النار حتى غداينساب ذاك الذّوب من مدمعه

يا سؤل هذا القلب حتى متى يؤسى برشف الرّيق من منبعه؟

فإنّ فى الشّهد شفاء الورى لا سيما إن مصّ من مكرعه

و الله يدنى منكم عاجلا و يبلغ القلب إلى مطمعه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٣٤

مولده: ولد فى الثلث الأخير من ليلة الجمعة لثلاث بقين لذى حجة سنة ثمان و تسعين و أربعمائه.

وفاته: توفى فى آخر جمادى الأخرى سنة ست و تسعين و خمسمائه.

محمد بن عبد الرحمن بن عبد السلام بن أحمد ابن يوسف بن أحمد الغسانى

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: كان محدثًا نبيلًا حاذقًا ذكيًا، وله شرح جليل على كتاب «الشهاب»، واختصار حسن في «اقتباس الأنوار» للرشاطي. و كان كاتبًا وافر الحظ من الأدب، يقرض شعرا لا بأس به.

من شعره في ذكر أنساب طبقات العرب: [الكامل]
الشعب ثم قبيلة و عمارة بطن و فخذ و الفصييلة تابعه
فالشعب يجمع للقبائل كلها ثم القبيلة للعماراة جامعه
و البطن تجمعه العمائر فاعلمن و الفخذ تجمعه البطون الواسعه
و الفخذ يجمع للفصائل كلها جاءت على نسق لها متتابعه
فخزيمه شعب و إن كنانة لقبيلة عنها الفصائل شائعه
و قريشها تسمى العماراة يا فتى و قصي بطن للأعادي قامعه
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٣٥ ذا هاشم فخذ و ذا عباسها إلّا الفصييلة لا تناط بسابعه
مولده: ولد بغرناطة سنة ثمان و ستين و خمسمائة.
وفاته: بمرسية في رمضان تسع عشرة و ستمائة.

محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم بن مفرج بن أحمد بن عبد الواحد بن حريث بن جعفر بن سعيد بن محمد بن حقل الغافقي

من ولد مروان بن حقل النازل بقرية الملاحه من قنب قيس من عمل إلبيرة، يكنى أبا القاسم و يعرف بالملاحى. و قد نقلنا عنه الكثير، و هو من المفخر الغرناطية.

حاله: كان محدثًا راوية معتنيا، أديبا، مؤرخا، فاضلا جليلا. قال الأستاذ في «الصلة»: كان من أفضل الناس، و أحسنهم عشرة، و أليهم كلمة، و أكثرهم مروءة، و أحسنهم خلقا و خلقا، ما رأيت مثله، قدس الله تربته. و ذكره صاحب «الذيل» الأستاذ أبو عبد الله بن عبد الملك، و أظن فيه، و ذكره المحدث أبو عبد الله الطنجالي، و ذكره ابن عساكر في تاريخه.

مشيخته: روى عن أبيه أبي محمد، و أبي القاسم بن بشكوال، و أبي العباس بن اليتيم، و عالم كثير من غير بلده، و من أهل بلده سوى أبيه، و عن أبي سليمان داود بن يزيد بن عبد الله السعدي القلعي، لازمه مدة. و عن أبي خالد بن رفاعه اللخمي، و أبي محمد عبد الحق بن يزيد العبدري، و أبي جعفر عبد الرحمن بن

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٣٦

الحسن بن القصير، و أبي بكر بن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، و أبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم، و أبي جعفر بن حكم الحصار، و أبي عبد الله بن عروس، و أبي الحسن بن كوثر، و أبي بكر الكتندى، و أبي إسحاق بن الجلاء، و أبي بكر بن أبي زمين، و أبي القاسم بن سمجون، و أبي محمد عبد الصمد بن محمد بن يعيش الغساني. و كان من المكثرين في باب الرواية، أهل الضبط و التقييد و الإتقان، بارع الخط، حسن الوراقه، أديبا بارعا ذا كرا للتاريخ و الرجال، عارفا بالأنساب، نقادا حافظا للأسانيد، ثقة عدلا، مشاركا في فنون، سياسيا. و روى عنه الأستاذ، و اعتنى بالرواية عنه. و قال الأستاذ: حدثني عنه من شيوخى جماعة، منهم القاضى العدل أبو بكر بن المرابط.

تواليفه: ألف كتابه في «تاريخ علماء إلبيرة»، و احتفل فيه. و ألف كتاب «الشجرة في الأنساب»، و «كتاب الأربعين حديثا»، و «كتاب فضائل القرآن»، و «برنامج روايته» و غير ذلك.

مولده: سنة تسع و أربعين و خمسمائة.

وفاته: توفي في شعبان سنة تسع عشرة و ستمائة ببلده .

محمد بن علي بن عبد الله اللخمي

يكنى أبا عبد الله، و يعرف بالشقوري، منسوباً إلى مدينة شقورة و منها أهله، صاحبنا طيب دار الإمارة، حفظه الله. حاله: هذا الرجل طرف في الخير و الأمانة، فذ في حسن المشاركة، نقي في حب الصالحين، كثير الهوى إلى أهل التقوى، حذر من التفريط، حريص على التعلق بجناب الله، نشأ سايب رداء العقمة، كثيف جلباب الصيانة، متصدراً للعلاج في زمن المراهقة، معماً، مخولاً في الصيانة، بادی الوقار في سن الحشمة. ثم نظر و اجتهد، فأحرز الشهرة بدينه، و يمن نقيته، و كثرة حيطته، و لطيف علاجه، و نجح تجربته. ثم كلف بصحبة الصالحين، و خاض في السلوك، و أخذ نفسه بالارتياض و المجاهدة، حتى ظهرت عليه آثار ذلك. و استدعاه السلطان لعلاج نفسه، فاغبط به، و شد اليد

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٣٧

عليه، و ظهر له فضله، و هو لهذا العهد باباه، حميد السيرة، قويم الطريقة، صحيح العقد، حسن التدبير، عظيم المشاركة للناس، أشد الخلق حرصاً على سعادة من صحبه، و أكثرهم ثناء عليه، و أصرحهم نصيحة له، نبيل الأغراض، فطن المقاصد، قائم على الصنعة، مبين العبارة، معتدل في البحث و المذاكرة، متكلم في طريقة الصوفية، عديم النظر في الفضل، و كرم النفس.

شيوخه: قرأ على جدّه للأب، و على الحكيم الوزير خالد بن خالد من شيوخ غرناطة، و على شيخنا الحكيم الفاضل أبي زكريا بن هذيل، و لانزمه، و انتفع به، و سلك بالشيخ الصوفي أبي مهذب عيسى الزيات ثم بأخيه الصالح الفاضل أبي جعفر الزيات، و التزم طريقته، و ظهرت عليه بركته.

تأليفه: ألف كتاباً نبيلة، منها «تحفة المتوصل في صنعة الطب» و كتاباً أسماه «الجهاد الأكبر»، و آخر سمّاه «قمع اليهودي عن تعدّي الحدود» أحسن فيه ما شاء.

شعره: أنشدني بعد ممانعة و اعتذار، إذ هذا الغرض ليس من شأنه: [الطويل]

سألت ركاب العز أين ركابي فأبدي عنادا ثم ردّ جوابي
ركابك مع سيرى يسير بسيره بغير حلول مذ حلت جنابي
فلا تلتفت سيرا لذاتك إنماتسير بها سيرا لغير ذهاب
و هي متعددة.

مولده: ولد في عام سبعة و عشرين و سبعمائة.

محمد بن علي بن فرج القربلياني

يكنى أبا عبد الله و يعرف بالشفرة.

حاله: كان رجلاً ساذجاً، مشتغلاً بصناعة الطب، عاكفا عليها عمره، محققاً لكثير من أعيان النبات، كلفا به، متعيشاً من عشبه أول أمره، و ارتاد المنابت، و سرح بالجبال، ثم تصدّر للعلاج، و رأس به، و حفظ الكثير من أقوال أهله، و نسخ جملة من كتاباته على ركاكة خطه، و عالج السلطان نصر المستقرّ بوادي آش، و قد طرق من بها مرض وافد حمل علاجه المشاقحة لأجله، و عظم الهلاك فيمن اختصّ بتدبيره، فطوّف

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٣٨

القلب المبارك بمبراه. ثم رحل إلى العدو، و أقام بمراكش سنين عدّة، ثم كثر إلى غرناطة في عام أحد و ستين، و بها هلك على أثر وصوله.

مشيخته: زعم أنه قرأ على أبيه ببلده من قربليان بلد الدّجن، و أخذ الجراحة عن فوج من محسنى صناعه عمل اليد من الرّوح. و قرأ على الطيب عبد الله بن سراج و غيره.
تواليفه: ألف كتابا في الثّبات.
وفاته: في السابع عشر لربيع الأول عام أحد و ستين و سبعمائة.

محمد بن علي بن يوسف بن محمد الشكوني

يكنى أبا عبد الله و يعرف بابن اللؤلؤة، أصله من جهة قمارش .
حاله: رحل في فتائه، بعد أن شدا شيئا من الطلب، و كلف بالرواية و التقييد فلقى مشيخته، و أخذ عن جلّة، و قدم على بلده حسن الحالّة، مستقيم الطريقة، ظاهر الانقباض و العفة، و أدخل الأندلس فوائد و قصائد، و كان ممن ينتفع به لو أمهلت المنية.
شعره: مما نسبه إلى نفسه من الشعر قوله: [المجتث]
يا من عليه اعتمادى فى قلّ أمرى و كثره
سهل على ارتحالى إلى التّبيّ و قبره
فذاك أقصى مرادى من الوجود بأسره
و ليس ذا بعزى عليك فامنن بيسره
و من ذلك: [الطويل]
أمن بعد ما لاح المشيب بمفرقى أميل لزور بالغرور مصاغ
و أرتاح للذّات و الشّيب منذر بما ليس عنه للأنام مراغ
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٣٩ و من لم يمت قبل المشيب فإنه يراع بهول بعده و يراغ
فيا ربّ وقنى إلى ما يكون لى به للذى أرجوه منك بلاغ
وفاته: توفى معتبطا فى وقية الطاعون عام خمسين و سبعمائة، خطيبا بحصن قمارش.

محمد بن سوّد بن إبراهيم بن سوّد المرى

أصله من بشرّة غرناطة، يكنى أبا عبد الله.
حاله: من بعض التواريخ المتأخّرة: كان شيخا جليلا، كاتبا مجيدا، بارع الأدب، رائق الشعر، سيال القريحة، سريع البديهة، عارفا بالتّحو و اللّغة و التاريخ، ذا كرا الأيام السّلف، طيب المحاضرة، مليح الشّيبه، حسن الهيئه، مع الدّين و الفضل، و الطّهاره و الوقار و الصّمت.
مشيخته: قرأ بغرناطة على الحافظ أبى محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم بن الفرس، و غيره من شيوخ غرناطة. و بمالقة على الأستاذ أبى القاسم السّهلى، و بجيان على ابن يربوع، و بإشبيلية على الحسن بن زرقون و غيره من نظرائه.
أدبه: قال الغافقى: كانت بينه و بين الشيخ الفقيه واحد عصره أبى الحسن سهل بن مالك، مكاتبات و مراجعات، ظهرت فيها براعته، و شهدت له بالتقدم يراعته.
محنته: أصابته فى آخر عمره نكبة ثقيله، أسر هو و أولاده، فكانت وفاته أسفا لما جرى عليهم، نفعه الله. توفى فى حدود سبعة و

ثلاثين و ستمائة.

محمد بن يزيد بن رفاعه الأموي البيري

أصله من قرية طرش .

حاله: طلب العلم و عنى بسمعه، و نسخ أكثر كتبه بخطه، و كان لغويًا شاعرا، من الفقهاء المشاورين الموتقين، و ولي الصلاة بالحاضرة، و عزل، و سرد الصوم عن نذر لزمه عمره.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٤٠

مشيخته: سمع من شيوخ البيرة؛ محمد بن فطيس، و ابن عمريل، و هاشم بن خالد، و عثمان بن جهير، و حفص بن نجيح، و بقرطبة من عبيد الله بن يحيى بن يحيى و غيره.

من حكاياته: قال المؤرخ: من غريب ما جرى لأبي على البغدادى، فى مقدمه إلى قرطبة، أن الخليفة الحكم أمر ابن الرماحس عامله على كورتى البيرة و بجانة، أن يجيء مع أبى على فى وفد من وجوه رعيتة، و كانوا يتذاكرون الأدب فى طريقهم، إلى أن تجاروا يوما، و هم سائرون، أدب عبد الملك بن مروان، و مساءلته جلساءه عن أفضل المناديل، و إنشاده بيت عبده بن الطبيب: [البسيط]

ثمت قمنا إلى جرد مسومة أعرافهن لا يدينا مناديل

و كان الذّاكر للحكاية أبو على، فأنشد الكلمة فى البيت: أعرافها، فلوى ابن رفاعه عنانه منصرفا، و قال: مع هذا يوفد على أمير المؤمنين، و تتجشم الرّحلة العظيمة، و هو لا يقيم وزن بيت مشهور فى الناس، لا يغلط فيه الصّبيان، و الله لا تبعته خطوة، و انصرف عن الجماعة، و ندبه أميره ابن الرماحس، و رامه بأن لا يفعل، فلم يجد فيه حيلة، فكتب إلى الخليفة يعرفه بـابن رفاعه، و يصف ما جرى معه، فأجابه الحكم على ظهر كتابه: الحمد لله الذى جعل فى بادية من بوادينا من يخطئ وفد أهل العراق، و ابن رفاعه بالرّضا أولى منه بالشّخط، فدعه لشأنه، و أقدام الرّجل غير منتقص من تكريمه، فسوف يعليه الاختبار أو يحطه. وفاته: توفى سنة ثلاث أو أربع و أربعمائة.

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن على ابن بكر بن خميس الأنصارى

من أهل الجزيرة الخضراء.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٤١

حاله: كان فاضلا و قورا، مشاركا، خطيبا، فقيها، مجودا للقرآن، قديم الطّلب، شهير البيت، معروف التّعين، نبيه السّلف فى القضاء، و الخطابة و الإقراء، مضى عمره خطيبا بمسجد بلده الجزيرة الخضراء، إلى أن تغلب العدو عليها، و باشر الحصار بها عشرين شهرا، نفعه الله. ثم انتقل إلى مدينة سبتة، فاستقرّ خطيبا بها إلى حين وفاته.

مشيخته: قرأ على والده، رحمه الله، و على شيخه، و شيخ أبيه أبو عمر، و عباس بن الطّليل، الشهير بابن عزيمة، و على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، و الخطيب أبو عبد الله بن رشيد بـغرناطة عند قدومه عليها، و القاضي أبو المجد بن أبي الأحوص، قاضى بلده، و كتب له بالإجازة الوزير أبو عبد الله بن أبي عامر بن ربيع، و أجازته الخطباء الثلاثة أبو عبد الله الطنجالى، و أبو محمد الباهلى، و أبو عثمان بن سعيد. و أخذ عن القاضي بسبته أبو عبد الله الحضرمى، و الإمام الصالح أبو عبد الله بن حريث، و المحدث أبو القاسم التّجيبى، و الأستاذ أبو عبد الله بن عبد المنعم، و الأخوين أبو عبد الله و أبو إبراهيم، ابني يربوع. قال: و كلّهم لقيته و سمعت منه. و أجاز لى إجازة عامة ما عدا الإمام ابن حريث فإنه أجاز لى، و لقيته و لم أسمع عليه شيئا، و أجاز لى غيرهم كناصر الدين المشدالى، و

الخطيب ابن عزمون وغيرهما، ممن تضمنه برنامجه.

تواليفه: قال: و كان أحد بلغاء عصره، و له مصنّفات منها: «النّفحة الأرجية، في الغزوة المرجية»، و دخل غرناطة مع مثله من مشيخة بلده في البيعات، أظن ذلك.

وفاته: توفى في الطاعون بسبته آخر جمادى الآخرة من عام خمسين و سبعمائة.

محمد بن أحمد بن عبد الله العطار

من أهل المريّة.

حاله: من بعض التقييدات، كان فتي و سيما، و قورا، صيّبا، متعففا، نجيبا، ذكيا. كتب عن شيخنا أبي البركات بن الحاج، و ناب عنه في القضاء، و انتقل بانتقاله إلى غرناطة، فكتب بها. و كان ينظم نظما مترفعا عن الوسط. و جرى ذكره في «الإكليل» بما نصّه: ممّن نبغ و نجب، و خلق له البرّ بذاته و وجب، تحلّى بوقار، و شعشع للأدب كأس عقار، إلّا أنه اخترم في اقتبال، و أصيب الأجل بنبال.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٤٢

و من شعره قوله من قصيدة: [الطويل]

دعاني على طول البعاد هواهاو قد سدّ أبواب اللّقاء نواها
و قد شمت برقا للقاء مبشّراو قد نفحت ريح الصّبا بشذاها
و جنّ دجى ليل بخيل بصبحة كما بخلت ليلي بطيف سراها
و قاد زمانى قائد الحبّ قاصداربوعا ثوت ليلي بطول قناها
و ناديت و الأشواق بالوجد برّحت و دمعى أجرى سابغا للقاها
أيا كعبة الحسن التى النفس ترتجى رضاها و حاشى أن يخيب رجاها
أحبك يا ليلي على البعد و النوى و بى منك أشواق تشبّ لظاها
لئن حجبت ليلي عن العين إننى بعين فؤادى لا أزال أراها
إلى أن بدا الصبح المشتّ شملناو ما بلغت نفس المشوق مناها
فمدّت يمينا للوداع و دمعا يكفكه خوف الرقيب سراها
و قالت: وداعا لا وداع تفرّق لعلّ الليالى أن تدليل نواها
تذكّرنا ليلي معاهد باللّوى رعى الله ليلاى اللّوى و رعاها
وفاته: توفى في الطاعون الأعظم عام خمسين و سبعمائة.

محمد بن أحمد بن المراكشى

من أهل المريّة، يكنى أبا عبد الله، و يعرف بالمراكشى.

حاله: كان فتي جميل الرّؤيا، سكوتا، مطبوعا على المغافصة و الغمز، مهتديا إلى خفى الحيلة، قادرا على المباحثه، ذكيا، متسوّرا على الكلام فى الصّينائع و الألقاب، من غير تدربّ و لا حنكة، دمث الأخلاق، لّين العريكة، انتحل الطب، و تصدّر للعلاج و المداواة، و اضطنب أغلوطة صارت له بها شهرة، و هى رقّ يشتمل على أعداد و خطوط و زايرجه، و جداول غريبة الأشكال، تحتها علامات فيها اصطلاحات الصّنائع و العلوم، و يتصل بها قصيدة رويها لام الألف أولها، و هى منسوبة لأبى العباس السبتي: [الطويل]

يقول لسبتي و يحمد ربّه مصلّ على هاد إلى الناس أرسلنا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٤٣

و أنها مدخل للزيرجة، ذكر أنه عثر عليها في مظنة غريبة، و ظفر برسالة العمل بها، و تحرى بالإعلام بالكنائيات، و الإخبار بالخفي و تقدمه المعرفة، و الإنذار بالوقائع، حتى استهوى بذلك جماعة من المشيخة، ممن كان يركن إلى رجحان نظره، و سلامة فطرته، و استغلت الشهادة له بالإصابة سجيئة النفوس في حرصها على إثبات دعاوى المتحرّفين. أخبرني بعضهم أنه خبأ له عظما صغيرا، يكون في أطراف أجنحة الطير، أخذه من جناح ديك، و زعم أرباب الخواص أنه يزيل الإعياء إذا علّق، فتصرّف على عاداته من الدخول في تلك الجداول، و أخذ الأعداد الكثيرة، يضربها آونة، و يقسمها أخرى، و يستخرج من تلك الجداول جيوبا و سهاما، و يأخذ جذورا، و ينتج له العمل آخر حروفا مقطعة، يقيها الطرح، يؤلف منها كلاما تقتنص منه الفائدة، فكان في ذلك بيت شعر: [الطويل]

و في يدكم عظم صغير مدوريزيل به الإعياء من كان في السفر

و أخبرني آخرون أنه سئل في نازله فقهية لم يلق فيها نص، فأخبر أن النص فيها موجود بمالقة، فكان كذلك. و عارض ذلك كله جلّه من أشياخنا، فذكرني الشيخ نسيج وحده أبو الحسن بن الجياب أن سامره يخرج خبيته سواد ليله، فتأمل ما يصنعه، فلم يأت بشيء، و لا ذهب إلى عمل يتعقل، و ظاهر الأمر أن تلك الحال كانت مبيته على تخيل و تخمين، تختلف فيه الإصابة و ضدها، بحسب الحالة و القائل، لتصرّف الحيلة فيه، فاقضى ذلك تأميل طائفة من أهل الدول إياه، و انتسخوا نظائر من تلك الزيرجة الموهة، ممطولين منه بطريق التصرف فيها إلى اليوم، و اتصل بالسلطان، فأرسم ببابه، و تعدّى الإنس إلى طبّ الجن، فافتضح أمره، و همّ به، فنجا مفلتا. و لم تزل حاله مضطربة، إلى أن دعى من العدو و سلطانها، منازل مدينة تلمسان، و وصلت الكتب عنه، فتوجه في جفن هتي له، و لم ينشب أن توفي بالمحلة في أوائل عام سبعة و ثلاثين و سبعمائة.

محمد بن بكر بن حزب الله

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من أهل الخصوصية و الفضل، ظاهر الاقتصاد، كثير التخلّق، حسن اللقاء، دائم الطريقة، مختصر الملبس و المأكّل، على سنن الفضلاء و أخلاق الجلة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٤٤

انتظم لهذا العهد في نمط من يستجاز و يجيز. و كان غفلا فأقام رسما محمودا، و لم يقصّر عن غاية الاستعداد.

مشيخته: منهم الأستاذ، مولى النعمة على أهل بلده، أبو محمد عبد الواحد بن أبي السداد الباهلي، قرأ عليه القرآن العظيم أربع عشرة ختمه قراءة تجويد و إتقان بالأحرف السبعة، و سمع عليه كتبا كثيرة، و قال عند ذكره في بعض الاستدعاءات: و لازمته، رضى الله عنه و أرضاه، إلى حين وفاته، و نلت من عظيم بركاته و خالص دعواته ما هو عندي من أجلّ الوسائل، و أعظم الذخيرة، و أفضل ما أعدده لهذه الدار و الدار الآخرة. و كان في صدر هذا الشيخ الفاضل كثير من علم اليقين. و هو علم يجعله الله في قلب العبد إذا أحبّه؛ لأنه يؤول بأهله إلى احتمال المكروه، و التزام الصبر، و مجاهدة الهوى، و محاسبة النفس، و مراعاة خواطر القلب، و المراقبة لله، و الحياء من الله، و صحّة المعاملة له، و دوام الإقبال عليه، و صحّة التّبة، و استشعار الخشية. قال الله تعالى: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ فكفى بخشية الله علما، و بالإقبال عليه عزا. قلت: و إنما نقلت هذا؛ لأنّ مثله لا يصدر إلّا عن ذي حركة، و مضطبن بركة، و منهم الشيخ الخطيب الفاضل ولي الله أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الطنجالي.

دخل غرناطة راويا، و في غير ذلك في شؤونه، و هو الآن ببلده مالقة يخطب ببعض المساجد الجامعة بها على الحال الموصوفة.

محمد بن الحسن بن أحمد بن يحيى الأنصاري الخرجي

الميورقي الأصل، سكن غرناطة.

حاله: كان محدثاً، عالي الرواية، عارفاً بالحديث وعلله، وأسماء رجاله، مشهوراً بالإتقان والضبط، ثقةً فيما نقل وروى، ديناً، زكياً، متحاملاً، فاضلاً، خيراً، متقللاً من الدنيا، ظاهرى المذهب داوديه، يغلب عليه الزهد والفضل.

مشيخته: روى بالأندلس عن أبي بكر بن عبد الباقي بن محمد الحجاري، وأبي علي الصدفي الغساني، وأبي مروان الباجي، ورحل إلى المشرق وحج، وأخذ

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٤٥

بمكة، كرمها الله، عن أبي ثابت وأبي الفتح عبد الله بن محمد البيضاوي وأبي نصر عبد الملك بن أبي مسلم العمراني. قلت: وغيرهم اختصرتهم لطولهم، وقفل إلى الأندلس فحدث بغير بلده منها؛ لتجواله فيها.

من روى عنه: روى عنه أبو بكر بن رزق، وأبو جعفر بن الغاسل، وغيرهما.

محتته: امتحن من قبل علي بن يوسف بن تاشفين، فحمل إليه صحبة أبي الحكم بن يوجان، وأبي العباس بن العريف، وضرب بالسوط عن أمره، وسجنه وقتاً، ثم سرحه وعاد إلى الأندلس، وأقام بها يسيراً، ثم انصرف إلى المشرق، فتوقف بالجزائر، وتوفى بها في شهر رمضان سنة سبع وثلاثين وخمسمائة.

محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري الساحلي

يكنى أبا عبد الله، ويعرف ببلده مالمعّم.

حاله: كان طبقة من طبقات الكفاة، ظرفاً ورواءً وعارضاً وترتياً، تجلّ بفضل شهرة أبيه، وجعل بعض المترفين من وزراء الدول بالمغرب أيام وجهته إليه صحبة الشيخ الصالح أبيه في غرض السفارة، مالا عريضاً لينفقه في سبيل البر، فبنى المدرسة غربى المسجد الأعظم، ووقف عليها الرباع، وابتنى غيرها من المساجد، فحصلت الشهرة، ونبه الذكر وتطور، ورام العروج في مدارج السيلوك، وانقطع إلى الخلوة، فنصت الصبغة، وغلبت الطبيعة، وتأثّل له مال جمّ اختلف في سبب اقتنائه، وأظهر التجر المرهف الجوانب بالجاء العريض، والحرص الشديد، والمسامحة في باب الورع، فتبتك به نعيماً من ملبس ومطعم وطيب وترّفه، طارد به اللذة ما شاء في باب النكاح استمتاعاً وذوقاً يتبع رائد الطرف، ويقلم شاهد السمع، حتى نعى عليه، وولى الخطابة بالمسجد الأعظم بعد أبيه، فأقام الرسم، وأوسع المنبر ما شاء من جهورية وعارضه، وتسور على أعراض، وألفاظ في أسلوب ناب عن الخشوع، عريق في نسب القحة. ثم رحل إلى المشرق مرة ثانية، وكّر إلى بلده، مليح الشيبه، بادي الوقار، نبهه الرتبة، فتولى الخطابة إلى حين وفاته.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٤٦

مشيخته: حسبما قيده من خطّ ولده أبي الحسن، وارثه في كثير من خلاله، وأغلبها الكفاية. فمنهم والده، رحمه الله، قرأ عليه وتأدّب به، ودون في طريقه، حسبما يتقرر ذلك، ومنهم الأستاذ أبو محمد بن أبي السداد الباهلي، ومنهم الشيخ الزاوية أبو عبد الله بن عياش، والخطيب الصالح أبو عبد الله الطنجالي، والخطيب الصالح أبو جعفر بن الزيات، والأستاذ ابن الفخار الأركشي، والقاضي أبو عمرو بن منظور، والأستاذ ابن الزبير وغيرهم، كابن رشيد، وابن خميس، وابن برطال، وابن مسعدة، وابن ربيع، وبالمشرق جماعة اختصرتهم لطولهم.

تواليفه: وتسور على التأليف، بفرط كفايته، فمما ينسب إليه كتاب: «التجر الزبيح، في شرح الجامع الصحيح». قال: منه ما جرّده من المبيضة، ومنه ما لم يسمح الدهر بإتمامه، وكتاب «بهجة الأنوار»، وكتاب «الأسرار»، وكتاب «إرشاد السائل، لنهج الوسائل»، وكتاب

«بغية السالك، في أشرف المسالك» في التصوف، وكتاب «أشعة الأنوار، في الكشف عن ثمرات الأذكار». وكتاب «النفحة القدسية»، وكتاب «غنية الخطيب، بالاختصار و التقريب» في خطب الجمع و الأعياد، وكتاب «غرائب التجب، في رغائب الشعب»، شعب الإيمان، وكتاب «في مناسك الحج»، وكتاب «نظم سلك الجواهر، في جيد معارف الصدور و الأكابر»، فهرسة تحتوى على فوائد من العلم و ما يتعلق بالرواية، و تسمية الشيوخ و تحرير الأسانيد.

دخوله غرناطة: دخلها مرات تشد عن الإحصاء. ولد عام ثمانية و سبعين و ستمائة، و توفي بمالقة في صبيحة ليلة النصف من شعبان عام أربعة و خمسين و سبعمائة.

محمد بن محمد بن يوسف بن عمر الهاشمي

يكنى أبا بكر، و يعرف بالطنجالي، ولد الشيخ الولي أبي عبد الله.

حاله: من ذيل تاريخ مالقة للقاضي أبي الحسن بن الحسن، قال: كان هذا العالم الفاضل ممن جمع بين الدراية و الرواية و التراث و الاكتساب، و علو الانتساب، و هو من القوم الذين وصلوا الأصالة بالصول، و طول الألسنة بالطول، و هدوا إلى الطيب من القول، أثر الشموخ ببرق من أنفه، و نسيم الرسوخ يعبق من عرفه، و زاجر الصلاح يومي بطرفه، فتخاله من خوف الله ذا لمم، و في خلقه دماثة و في عرنيه شمم. و وصفه بكثير من هذا النمط.

و من «العائد»: كان من أهل العلم و التفنن في المعارف و التهمم بطلبها، جمع بين الرواية و الدراية و الصلاح. و كانت فيه خفة، لفرط صحته و سذاجة و فضل رجولة

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٤٧

به، بارع الخط، حسن التقييد، مهيبا جزلا، مع ما كان عليه من التواضع، يحبه الناس و يعظمونه، خطب بالمسجد الأعظم من مالقة، و أقرأ به العلم.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي محمد الباهلي، و أبيه الولي الخطيب، رحمه الله. و روى عن جدّه أبي جعفر، و عن الرواية الأستاذ الكبير أبي جعفر بن الزبير، و الرواية أبي عبد الله بن عياش، و القاضي أبي القاسم بن السكوت، و غيرهم ممن يطول ذكره، من أهل المشرق و المغرب.

وفاته: توفي بمالقة في أول صفر من عام ثلاثة و ثلاثين و سبعمائة، و كان عمره نحو من تسع و خمسين سنة.

محمد بن محمد بن ميمون الخزرجي

يكنى أبا عبد الله، و يعرف بلا أسلم؛ لكثرة صدور هذه اللفظة عنه، مرسى الأصل، و سكن غرناطة و وادي آش و ألمرية.

حاله: من كتاب «المؤتمن»: كان دمث الأخلاق قبل أن يحرجه شيء من مضيقات الصّيدور، يشارك في العريية، و الشعر النازل عن الدرجة الوسطى لا يخلو بعضه عن لحن. و كان يتعش من صناعة الطب. و جرت له شهرة بالمعرفة نرفع به بتلك الصّيناعة على حدّ شهرة ترك النصيحة فيها، فكانت شهرته بالمعرفة ترفع به. و شهرته بترك النصيحة تنزله، فيمر بين الحاليتين بشظف العيش، و مقت الكافة إياه.

قلت: كان لا أسلم، طرفا في المعرفة بطرق العلاج، فسيح التجربة، يشارك في فنون، على حال غريبة من قلّة الظرف، و جفاء الآلات، و خشن الظاهر، و الإزراء بنفسه و بالناس، متقدّم في المعرفة بالخصوم، يقصد في ذلك. و له في الحرب و الحيل حكايات، قال صاحبنا أبو الحسن بن الحسن: كانت للحكيم لا أسلم خمر مختبأة، في كرم كان له بالمرية، عثر عليها بعض الدّعة، فسرقها له. قال: فعمد إلى

جزءه و ملأها بخمر أخرى، و دفنها بالجهة، و جعل فيها شيئاً من العقاقير المسهلات، و أشاع أن الخمر العتيقة التي كانت له لم تسرق، و إنما باقية بموضع كذا، فعمد إليها أولئك الدعة، و أخذوا في استعمالها، فعادت عليهم بالاستطلاق القبيح المهلك، فقصدوا الحكيم المذكور، و عرضوا عليه ما أصابهم، فقال لهم: إيه، أدوا إلي ثمن الشريية،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٤٨

و حينئذ أشرع لكم في الدواء، و يقع الشفاء بحول الله، فجمعوا له أضعاف ما كان يساويه خمره، و عالجهم حتى شفوا بعد مشقة. و أخباره كثيرة.

وفاته: توفي عقب إقلاع الطاغية ملك برجلونه عن المريية عام تسعة و سبعمائة . و خلفه ابن كان له يسمى إبراهيم، و يعرف بالحكيم، و جرى له من الشهرة ما جرى لأبيه، مرت عليه ببخت و قبول، و توفي بعد عام خمسين و سبعمائة.

محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري

جيانى الأصل مالقيه، يكنى أبا عبد الله و يعرف بالشديد على بنية التصغير، و هو كثير التردد و المقام بحضرة غرناطة. حاله: من أهل الطلب و الذكاء و الظرف و الخصوصية، مجموع خلال من خط حسن و اضطلاع بحمل كتاب الله. بلبل دوح السبع المثاني، و ماشطة عروس أبى الفرج الجوزى، و آية صقعه فى الصوت، و طيب النعمة، اقتحم لذلك دسوت الملوكة، و توصل إلى صحبة الأشراف، و جرّ أذيال الشهرة. قرأ القرآن و العشر بين يدي السلطان، أمير المسلمين بالعدوة، و دنا منه محلّه، لو لا إثارة مسقط رأسه. و تقرب بمثل ذلك إلى ملوك وطنه، و صلى التراويح بمسجد قصر الحمراء، غريب المنزع، عذب الفكاهة، ظريف المجالسة، قادر على الحكايات، متسور حمى الوقار، ملب داعى الانبساط، على استرجاع و استقامة، مبرور الوفاة، منوه الإنزال، قلند شهادة الديوان بالمالقة، معولاً عليه فى ذلك، فكان مغار جبل الأمانة، صليب العود، شامخا، صادق النزاهة، لوحا للألقاب، محرزا للعمل.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٤٩

و ولى الحسبة بمالقة، حرسها الله تعالى، فخاطبته فى ذلك أداعبه، و أشير إلى قوم من أجداده، و أولى الحمل عليه بما نصّه: [السريع] يا أيها المحتسب الجزل و من لديه الجدّ و الهزل تهنيك و الشكر لمولى الورى ولاية ليس لها عزل

كتبت أيها المحتسب، المنتمى إلى النزاهة المنتسب، أهنيك ببلوغ تمنيك، و أحذررك من طمع نفس بالغرور تمنيك، فكأنى و قد طافت بركابك الباعة، و لزم لأمرك السمع و الطاعة، و ارتفعت فى مصانعتك الطماعة، و أخذت أهل الزيب بغته كما تقوم الساعة، و نهضت تقعد و تقيم، و سكوتك الريح العقيم، و بين يديك القسطاس المستقيم، و لا بدّ من شرك ينصب، و جماعة على ذى جاه تعصب، و حالة كيت بها الجناب الأخصب، فإن غضضت طرفك، أمنت عن الولاية صرفك، و إن ملأت ظرفك، رحلت عنها حرفك، و إن كفت فيها كفك، حفك العزّ فيمن حفك. فكن لقالى المجنّب قاليا، و لحوت السيلة ساليا. و أبد لدقيق الحوارى زهد حوارى، و ازهد فيما بأيدي الناس من العوارى، و سر فى اجتناب الحلواء، على السبيل السواء، و ارفض فى الشواء، دواعى الأهواء، و كن على الهراس، و صاحب ثريد الراس، شديد المراس، و ثب على بائع طبيخ الأعراس، ليثا مرهوب الافتراس، و أدب أطفال الفسوق، فى السوق، سيما من

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٥٠

كان قبل البلوغ و السبوق، و صمّم فى استخراج الحقوق، و الناس أصناف، فمنهم خسيس يطمع منك فى أكله، و مستعد عليك بوكزة أو ركلة. و حاسد فى مطية تركب، و عطية تسكب، فاخض للحاسد جناحك، و سدّد إلى حربه رماحك، و أشبع الخسيس منهم مرقة دسمة فإنه حنق، و دسّ له فيها عظما لعله يختنق، و احفر لشريهم حفرة عميقة، فإنه العدو حقيقه، حتى إذا حصل، و علمت

أن وقت الانتصار قد وصل ، فأوقع و أوجع ، و لا- ترجع ، و أولياء من حزب الشيطان فأفجع ، و الحق أقوى ، و إن تعفو أقرب للتقوى . سدّدك الله تعالى إلى غرض التّوفيق ، و أعلقك من الحقّ بالسّبب الوثيق ، و جعل قدومك مقرونا برخص اللحم و الزيت و الدّقيق ، بمنّه و فضله .

مشيخته: قرأ القرآن على والده المكتّب التصوح ، رحمه الله ، و حفظ كتباً كرسالة أبي محمد بن أبي زيد ، و شهاب القضاء ، و فصيح ثعلب ، و عرض الرسالة على ولي الله أبي عبد الله الطنجالي ، و أجازه . ثم على ولده الخطيب أبي بكر ، و قرأ عليه من القرآن ، و جود بحرف نافع على شيخنا أبي البركات . و تلا على شيخنا أبي القاسم بن جزى . ثم رحل إلى المغرب ، فلقى الشيخ الأستاذ الأوحى في التلاوة ، أبا جعفر الدرّاج ، و أخذ عن الشّريف المقرئ أبي العباس الحسنى بسبته ، و أدرك أبا القاسم التّجيبى ، و تلا على الأستاذ أبي عبد الله بن عبد المنعم و لآزمه ، و اختصّ بالأستاذ ابن هانى السّبتى ، و لقي بفاس جماعة كالفقيه أبي زيد الجزولى ، و خلف الله المجاصى ، و الشيخ أبا العباس المكناسى ، و الشيخ البقية أبا عبد الله بن عبد الرّازق ، و قرأ على المقرئ الفدّ الشهير فى التّرمّم بالحان القرآن أبا العباس الزّواوى سبع ختمات ، و جمع عليه السّبع ، و المقرئ أبا العباس بن حزب الله ، و اختصّ بالشيخ الرئيس أبا محمد عبد المهيمن الحضرمى .

شعره: من شعره ما كتب به إلى وزير الدولة المغرّيبه فى غرض الاستلطاف:

[الكامل]

يا من به أبدا عرفت و من أنالولاه لى دامت علاه و داما

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٥١ لا تأخذنك فى الشّديد لومه فشيخى نشأته بفضلك قاما

رّبّيته علمته أدّبه قدّمته للفرض منك إماما

فجزاك ربّ الخلق خير جزائه عنى و بوأك الجنان مقاما

و هو الآن بالحالة الموصوفة ، مستوطنا حضرة غرناطة ، و تاليا الأعراس القرآنية ، بين يدي السلطان ، أعزّه الله ، مرّع الجانب ، معزّز الجراية بولايته أحباس المدرسة ، أطروفة عصره ، لو لا طرش نقص الأنس به ، نفعه الله .

مولده: ولد بمالقة فى عاشر ربيع الأول من عام عشرة و سبعمائة .

و من الغرّاء فى هذا الاسم

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التلمسانى الأنصارى

السبّتى الدّار ، الغرناطى الاستيطان ، يكنى أبا الحسين ، و يعرف بالتلمسانى .

حاله: طرف فى الخير و السلامة ، معرق فى بيت الصّون و الفضيلة ، معّم تحوّل فى العدالة ، قديم الطّلب و الاستعمال ، معروف الحقّ ، مليح البسط ، حلو الفكاهة ، خفيف إلى هية الدّعابة ، على سمت و وقار ، غزل ، لودعى ، مع استرجاع و امتسك ، مترف ، عريق فى الحضارة ، مؤثر للراحة ، قليل التّجلمد ، نافر عن الكدّ ، متّصل الاستعمال ، عريض السعادة فى باب الولاية ، محمول على كند المبرّة ، جار على سنن شيوخ الطّلبة و المقتاتين من الأرزاق المقدّرة ، أولى الخصوصية و الضّبط من التّظاهر بالجاه على الكفاية . قدم على الأندلس ثمانية عشر و سبعمائة ، فمهد كنف القبول و الاستعمال ، فولّى الحسبة بغرناطة ، ثم قلّد تنفيذ الأرزاق و هى الخطّة الشرعية و الولاية المجدية ، فاتّصلت بها ولايته . و ناب عنى فى العرض و الجواب بمجلس السلطان ، حميد المنأى فى ذلك كله ، يقوم على كتاب الله حفظا و تجويدا ، طيب النّعمة ، راويا محدّثا ، أخباريا ، مرتاحا للأدب ، ضاربا فيه بسهم يقوم على كتب السيرة النبوية ، فدأ فى ذلك . قرأه بالمسجد الجامع للجمهور ، عند لحاقه بغرناطة ، معربا به عن نفسه ، متبها على مكانه ، فزعموا أن رجلا فاضت نفسه و جدا لشجو نغمته ،

و حسن إلقائه. و قرأ التراويح بمسجد قصر السلطان إماما به، و اتسم بمجلسه بالسلامة و الخير، فلم تؤثر عنه في أحد وقية، و لا بدرت له في الحمل على أحد بنت شفه.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٥٢

مشيخته: منهم الشّريف أبو علي الحسن بن الشريف أبي التّقى طاهر بن أبي الشّرف ربيع بن علي بن أحمد بن علي بن أبي الطاهر بن حسن بن موهوب بن أحمد بن محمد بن طاهر بن أبي الشرف الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب. و منهم والده المترجم به، و منهم أبوه و جدّه، و منهم الأمير الصالح أبو حاتم أحمد بن الأمير أبي القاسم محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد بن العزفي، و المقرئ أبو القاسم بن الطيب، و إمام الفريضة أبو عبد الله محمد بن محمد بن حريث، و الأستاذ ملحق الأبناء بالأباء أبو إسحاق الغافقي، و الكاتب النّاسك أبو القاسم خلف بن عبد العزيز القبتوري، و الأستاذ المعمر أبو عبد الله بن الخضار، و الخطيب المحدث أبو عبد الله بن رشيد، و الخطيب الأديب أبو عبد الله الغماري، و الأستاذ أبو البركات الفضل بن أحمد القنطري، و الوزير العابد أبو القاسم محمد بن محمد بن سهل بن مالك، و الولي الصالح أبو عبد الله الطنجالي، و الخطيب الصالح أبو جعفر بن الزيات، و القاضي الأعدل أبو عبد الله بن برطال، و الشيخ الوزير المعمر أبو عبد الله بن ربيع، و الصّوفي الفاضل أبو عبد الله بن قطرال، و الأستاذ الحسّابي أبو إسحاق البرغواطي، هؤلاء لقيهم و قرأ و سمع عليهم. و ممن كتب له بالإجازة، و هم خلق كثير، كخال أبيه، الشيخ الأديب أبي الحكم مالك بن المرحّل، و الخطيب أبي الحسن فضل ابن فضيلة، و الأستاذ الخاتمة أبي جعفر بن الزبير، و العدل أبي الحسن بن مستقور، و الوزير المعمر أبي محمد بن سماك، و الخطيب أبي محمد مولى الرئيس أبي عثمان بن حكم، و الشيخ الصالح أبي محمد الحلاسي، و القاضي أبي العباس بن الغمّاز، و الشيخ أبي القاسم الحضرمي اللبدي، و العدل المعمر الراوية أبي عبد الله بن هارون، و المحدث الراوية أبي الحسن القرافي، و أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد المحسن بن هبة الله بن أبي المنصور، و الإمام شرف الدين أبي محمد الدميّاطي، و بهاء الدين بن النّحاس، و قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد، و ضياء الدين أبي مهدي عيسى بن يحيى بن أحمد، و كتب في الإجازة له: [الطويل]

ولدت لعام من ثلاث و عشرة و ستّ مئتين هجرة لمحمد

تطوّفت قدما بالحجاز و إنني بمصر هو المربي و سبتة مولدي

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٥٣

إلى عالم كثير من أهل المشرق، يشقّ إحصاؤهم، قد ثبت معظمهم في اسم صاحبه أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي، رحمه الله. محنته: نالته محنة بجرى الأمور الاشتغالية و تبعاتها، قال الله فيها لعشرته لغا، فاستقلّ من النكبة، و عاد إلى الرّتبة. ثم عفت عليه بآخرة، فهلك تحت برکها بعد مناهزة التسعين سنة، نفعه الله.

مولده: ولد عام ستّة و سبعين و ستمائة، و توفي في شهر محرم من أربعة و ستين و سبعمائه.

محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن يوسف ابن قطرال الأنصاري

من أهل مراكش، يكنى أبا عبد الله و يعرف بابن قطرال.

حاله: من «العائد»: كان، رحمه الله، فاضلا صوفيا، عارفا، متحدثا، فقيها، زاهدا، تجرد عن ثروة معروفة، و اقتصر على الزهد و التخلّي، و ملازمة العبادة، و الغروب عن الدنيا. و له نظم رائق، و خطّ بارع، و نثر بليغ، و كلام على طريقة القوم، رفيع الدرجه، عالي القدر. شرح قصيدة الإسرائيلي بما يشهد برسوخ قدمه، و تجول في لقاء الأكابر على حال جميلة من إثارة الصّمت و الانقباض و الحشمة. ثم رحل إلى المشرق حاجا صدر سنة ثلاث و سبعمائه.

مشيخته: من شيوخه القاضى العالم أبو عبد الله محمد بن على، و الحافظ أبو بكر بن محمد المرادى، و الفقيه أبو فارس الجروى، و العلامه أبو الحسين بن أبى الربيع، و العدل أبو محمد بن عبيد الله، و الحاج أبو عبد الله بن الخضار، و أبو إسحاق التلمسانى، و أبو عبد الله بن خميس، و أبو القاسم بن السيكوت، و أبو عبد الله بن عتيّاش، و أبو الحسن بن فضيله، و أبو جعفر بن الزبير، و أبو القاسم بن خير. هؤلاء كلهم لقيهم، و أخذ عنهم. و كتب له بالإجازة جملة، كالقاضى أبى على بن الأحوص، و أبى القاسم العزفى، و أبى جعفر الطنجالى، و صالح بن شريف، و أبى عمرو الدارى، و أبى محمد بن الحجام، و أبى بكر بن حبيش، و أبى يعقوب بن عقاب، و عز الدين الجداى، و فخر الدين بن البخارى، و ابن طرخان، و ابن البواب، و أمين الدين بن عساكر، و قطب الدين بن القسطلانى، و غيرهم.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٥٤

شعره: و أما شعره فكثير بديع. قال شيخنا القاضى أبو بكر بن شبرين: كتبت إليه: [المنسرح]

يا معمل السير أىّ إعمال سلّم على الفاضل ابن قطرال

من أبيات راجعنى عنها بأبيات منها: [المنسرح]

زارت فأزرت بمسك دارين تفتنّ للحسن فى أفانين

و مثلها فى شتى محاسنها ليست ببدع من ابن شبرين

وفاته: توفى بحرم الله عاكفا على الخير و صالح الأعمال، معرضا عن زهرة الحياة الدنيا، إلى أن اتصل خبر وفاته، و فيه حكاية، عام تسعة و سبعمائة.

و دخل غرناطة برسم لقاء الخطيب الصالح أبى الحسن بن فضيله. و غير ذلك.

العمال فى هذا الاسم و أولا الأصيلون

محمد بن أحمد بن محمد بن الأكل

يكنى أبا يحيى.

حاله: شيخ حسن الشّيبه، شامل البياض، بعيد مدى الدّقن، خدوع الظاهر، خلوب اللفظ، شديد الهوى إلى الصّوفية، و الكلف بإطراء الخيرية، سيما عند فقدان شكر الولاية، و جماع الحظوة، من بيت صون و حشمة، ميين عن نفسه فى الأغراض، متقدّم فى معرفة الأمور العملية، خائض مع الخائضين فى غمار طريق التّصوّف، و انتحال كيمياء السّعادة، راكب متن دعوى عريضة فى مقام التّوحيد، تكذبها أحواله الرّاهنة جملة، و لا تسلّم له منها نبذة، لمعاصاة خلقه على الرياضة و استيلاء الشّره، و غلب سلطان الشّهوة، فلم يجن من جعجاعه المبرم فيها إلّا استغراق الوقت فى القواطع عن الحق، و الأسف على ما رزته الأيام من متاع الزّور، و قنيه الغرور، و المشاحة أيام الولاية، و الشّباب الشاهد بالشّره، و الحلف المتصل بياض اليوم، فى ثمن الخردلة باليمين التى تجرّ فساد الأنكحة، و الغضب الذى يقلب

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٥٥

العين، و البذا الذى يصاحب الشّنين، مغلوب عليه فى ذلك، ناله بسببه ضيق و اعتقال، و تقويت جدّه، و إطباق روع، و قيد للعذاب، فألقت عليه ردائى، و نفّس الله عنه بسببى، محوا للسينة بالحسنه، و توسلا إلى الله بترك الحظوظ، و المنة لله جلّ جلاله على ذلك.

شعره: خاطبنى بين يدي نكبته أو خلفها بما نصّه، و لم أكن أظنّ الشّعر مما تلوكه جحفلته، و لكن الرجل من أهل الكفاية: [الطويل]

رجوتك بعد الله يا خير منجد و أكرم مأمول و أعظم مرفد

و أفضل من أملت للحادث الذى فقدت به صبرى و ما ملكت يدي

و حاشا و كلاً أن يخيب مؤملي و قد علقت بابن الخطيب محمد
و ما أنا إلا عبد أنعمه التي عهدت بها يمني و إنجاز مقصدي
و أشرف من حضّ الملوك على التقى و أبدى لهم نصحا وصية مرشد
و ساس الرعايا الآن خير سياسة مباركة في كل غيب و مشهد
و أعرض عن دنياه زهدا و إنها المظهرة طوعا له عن تودد
و ما هو إلا اللث و الغيث إن أتى له خائف أو جاء مغناه مجتدي
و بحر علوم درّه كلماته إذا رددت في الحفل أي تردّد
صقيل مرآئي الفكر ربّ لطائف محاسنها تجلي بحسن تعبد
بديع عروج النفس للملا الذي تجلت به الأسرار في كلّ مصعد
شفيق رقيق دائم الحلم راحم و أيّ جميل للجميل معود
صفوح عن الجاني على حين قدره يواصل تقوى الله في اليوم و الغد
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٥٦ أيا سيدي يا عمدتي عند شدّتي و يا مشربي متى ظمّنت و موردى
حنانيك و أطف بي و كن لى راحما و رفقا على شيخ ضعيف منكّد
رجاك رجاء للذي أنت أهله و و افاك يهدى للثناء المجدّد
و أمك مضطرا للرحماتك شاكيا بحال كحزّ الجمر حين توقّد
و عندي افتقار لا يزال مواصلا لأكرم مولى حاز أجرا و سيّد
ترفق بأولاد صغار بكاؤهم يزيد لوقع الحادث المتريد
و ليس لهم إلا إليك تطلع إذا مسهم ضرّ أليم التّعهد
أنلهم أيا مولاي نظرة مشفق وجد بالرضا و انظر لشمّل مبدّد
و قابل أبا الكره الشديدي برحمته و أسعف بغفران الذنوب و أبعده
و لا تنظرن إلا لفضلك، لا إلى جريمه شيخ عن محلك مبعده
و إن كنت قد أذنبت إني تائب فعاود لى الفعل الجميل و جدّد
بقيت بخير لا يزال و عزّه و عيش هنيء كيف شئت و أسعد
و سخرّك الرحمن للعبد، إنّه لمثن و داع للمحلّ المجدّد
و قد ولى خططا نبيهه، منها خطة الاشتغال على عهد الغادر المكاييد للدولة، إذ كان من أولياء شيطانه و ممدّيه فى غيّه، و سما سير
شعوذته، فلم يزل من مسيطرى ديوان الأعمال، على تهوّر و اقتحام كبيرة، و خطّ لا غاية وراءه فى الركاكة، كما قال المعزى: [الوافر]
تمشّت فوقه حمر المنايا و لكن بعد ما مسخت نمالا
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٥٧
استحضرته يوما بين يدي السلطان، و هو غفل لفكّ ما أشكل من معمياته فى الأعمال عند المطالعة، فوصل بحال سيئه، و لما أعتب
بسببه و نعت عليه هجته، أحسن الصّيدر عن ذلك الورد، و نذر فى نفسه و قال: حيا الله رداءه الخطّ إذا كانت ذريعة إلى دخول هذا
المجلس الكريم، فاستحسن ذلك، لطف الله بنا أجمعين.
وفاته: توفى عام سبعة و ستين و سبعمائه.

محمد بن الحسن بن زيد بن أيوب بن حامد الغافقى

يكنى أبا الوليد.

أوليته: أصله من طليطلة، انتقل منها جدّ أبيه، و سكنوا غرناطة، و عدّوا فى أهلها. حاله: كان أبو الوليد طالبا نبيلًا، نبيا، سريًا، ذكيًا، ذا خطّ بارع، و معرفة بالأدب و الحساب، و نزع إلى العمل فكان محمود السيرة، مشكور الفعل. و ولى الإشراف فى غير ما موضع. قلت: و آثاره فى الأملاك المنسوبة إليه، التى من جملة المستخلص السلطانى بغرناطة و غيرها، مما يدل على قدم و تعمّة أصيلة. وفاته: توفى بمدينة إشبيلية سنة ثمان و ثمانين و خمسمائة، و سنّه دون الخمسين.

محمد بن محمد بن حسان الغافقى

إشبيلي الأصل، غرناطى المنشأ، يكنى أبا عبد الله، و يعرف بابن حسان.

حاله: من «العائد»: كان من أهل السّرو و الظرف و المروءة، و حسن الخلق، تولى الإشراف بغرناطة، و خطّة الأشغال، فحسن الثناء عليه. و له أدب و مشاركة.

حدّثنى بعض أسياخنا، قال: كنت على مائدة الوزير ابن الحكيم، و قد تحدّث بصرف ابن حسان عن عمل كان بيده، و إذا رقعة قد انتهت إليه أحفظ منها: [مخلع البسيط]

لكم أياد لكم أياد كزرتها إنها كثيرة

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٥٨ فإن عزمتم على انتقالى ربه أبغى أو الجزيره

و إن أبيتم إلى مقامى فنعمة منكم كبيرة

و قال لى بعضهم: جرى بين ابن حسان هذا، و بين أحد بنى علاق، و هم أعيان، كلام و ملاحه، فقال ابن حسان: إنما كان جدّكم مولى بنى أضحى، و جدّ بنى مشرف، فاستعدى عليه، و رفعه إلى الوزير ابن الحكيم فيما أظن، فلما استفهمه عن قوله، قال: أعزّك الله، كنت بالكتيبين، و عرض علىّ كتاب قديم فى ظهره أبيات حفظتها و هى: [البسيط]

أضحى الزمان بأضحى و هو مبتسم لنوره فى سماء المجد إشراق

فلم يزل ينتمى للمجد كل فتى تطيب منه مواليد و أعراق

فإن ترد شرفا يمم مشرفه و إن ترد علق مجد فهو علاق

فعلم الوزير أن ذلك من نظمه، و نتيجة بديهته، فعجب من كفايته، و ترصّى خصمه، و صرفهما بخير. و توفى فى شهر رجب ثلاثة عشر و سبعمائة.

محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحاق بن أحمد ابن أسد بن قاسم التّميرى، المدعو بابن الحاج

يكنى أبا عمرو، و قد مرّ ذكر أخيه.

حاله: تولى خطّة الإشراف بلوشة و أندرش و مالقة. و ولى النظر فى مختص المرية، و الأعمار الرومية بغرناطة. و كان له خط حسن، و جودة كامله، و حسن خلق، و وطأة أكناف تشهد له بجلالة قدره، و رفيع خطره. و ظاهر فى أعيان كالوزير أبى عبد الله بن أبى الحسن، فاضل، سرى، متخلّق، حسن الضريبه، متميّز بخصال متعدده، من خطّ بديع، و نظم، و مشاركة فى فنون، من طبّ و تعديل، و

ارتياض سماع، و ذكر التاريخ. حجّ و جال في البلاد، و لقي جلة. و تولّى بالمغرب خططا نبيهة عليه. ثم كثر إلى الأندلس عام ستين و سبعمائة، فأجرى من الاستعمال على رسمه.

ثم اقتضت له العناية السلطانية بإشارتي، أن يوجه في غرض الرسالة إلى تونس و صاحب مصر، لما تقدّم من مرانه على تلك البلاد، و جولاته في أقطارها، و تعرّفه بملوكها و الجلة من أهلها، فأب بعد أعوام، مشكور التصرفات، جاريا على سنن الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٥٩

الفضلاء، مضطلعا بالأحوال التي أسندت إليه من ذلك. فلم يزل معتنى به، مرشحا إلى الخطط التي تطمح إليها نفس مثله، مسندا النظر في زمام العسكر الغربي إلى ولده الذي يخلفه عند رحلته نائبا عنه، معززا ذلك بالمرتببات و الإحسان، تولاه الله و أعانه. شعره: مدح السلطان، و أنشد له في المواليذ النبوية. و رفع إلى السلطان بحضرتي هذه الأبيات: [البيسط]

مولاي، يا خير أعلام السلاطين و من له الفضل في الدنيا و في الدّين
و من له سير ناهيك من سيرواقت بأكرم تحسين و تحصيل
شرفت عبدك تشريفا له رتب فوق النجوم التي للأفق تعليني
و كان لي موعد مولاي أنجزه و زاد في العز بعد الرتبة الدون
و الله ما الشكر منى قاضيا و طرى و لو أتيت به حيننا على حين
و لا الثناء موفّ حقّ أنعمه و لو ملأت به كل الدواوين
لكن دعائي و حبي قد رضيتهما كفاء أفعاله الغر الميامين
و عند عبدك إخلاص يواصله في خدمة لم يزل للخير تدنيني
و سوف أنصح كل النصيح مغتنامرضى إمام له فضل يرّجيني
جوزيت عنى أمير المسلمين بما ترضاه للملك من نصر و تمكين
و أنت أكرم من ساس الأنام و من عمّ البلاد بتسكين و تهدين
و من كمثل أبي عبد الإله إذا أضحى الفخار لنا رحب الميادين
محمد بن أبي الحجّاج خيرة من أهدى له مدحا بالسعد يحظيني
وجه جميل و أفعال تناسبه و دولة دولة المأمون تنسيني
لا زال في السعد و الإسعاد ما سجعت ورق الحمام على قضب البساتين

محمد بن عبد الرحمن الكاتب

يكنى أبا عبد الله، من أهل غرناطة، أصله من وادي آس. الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ٣؛ ص ١٥٩
حاله: كان طالبا نبيها كاتب جليلا، جيّد الكتابة. كتب عن بعض أبناء الخليفة أبي يعقوب، و اختصّ بالسيد أبي زيد بغرناطة، و بشرق الأندلس، و كان أثيرا عنده

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٦٠

مكزّما. و كان، رحمه الله، شاعرا، مطبوعا، ذا معرفة جيدة بالعدد و المساحة، ثم نزع عن الكتابة، و اشتغل بالعمل، فراش فيه، و ولى إشراف بنيات غرناطة. ثم ولى إشراف غرناطة، فكفّ يده، و ظهرت نصيحته. ثم نقل إلى حضرة مراكش، فولى إشرافها مدة، ثم صرف عنها إلى غرناطة، و قدّم على النظر في المستخلص إلى أن توفي.

مناقبه: أشهد لما قربت وفاته، أنه كان قد أخرج في صحّته و جوازه، أربعة آلاف دينار من صميم ماله لتتيمم القنطرة التي بنيت على

وادي شنجيل بخارج غرناطة. و كان قبل ذلك قد بنى مسجد دار القضاء من ماله، و تأتق في بنائه، و أصلح مساجد عدة، و فعل خيرا، نفعه الله.

شعره: و من شعره ما كتب به إلى الشيخ أبي يحيى بن أبي عمران، وزير الخلافة، و هو بحال شكايه أصابته: [الطويل]
شكوت فأضنى المجد برح شكاته و فارق وجه الشمس حسن آياته
و عادت ببعديك الزمان زمانة تعدت إلى عواده و أساته
و غيض ما للبشر لما تبسطت يد السقم في ساحات كافي كفاته
فكيف بمقصود وصلت جناحه و أدهم قد سربلته بشاته؟
و ممتحن لولاك أذعن خيرة و هان على الأيام غمز قناته
أ معلق أمالي و مطمح همتي و واهب نفسي في عداد مباته
سأستقبل التعمى ببرك غضه و يصغر ذنب الدهر في حسناته
و تسطو عين الحق منك بمرهف تراخ الخطوب الجور من فتكاته
و تطلع في أفق الخلافة تيراتالاعنا الأقمار من قسماته
حرام على الشكوى اعتياد مطهر حياة الدنا و الدين طي حياته
فما عرضت في قصده بمساءة و لكن ترجت أن ترى في عفاته
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٦١
مشيخته: قال الغافقي: قرأ بمالقة على الأستاذ أبي زيد السهيلي، رحمه الله.
وفاته: و توفي بغرناطة سنة سبع و ستمائة، و دفن بداره بجهة قنطرة القاضي منها على ضفة الوادي.

محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد ابن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد ابن عمار بن ياسر

أوليته: قد وقع التنبيه عليها و يقع بحول الله.
حاله: كان وزيرا جليلا بعيد الصيت، عالي الذكر، رفيع الهمة، كثير الأمل .
نباهته: ذكره ابن صاحب الصلاة في تاريخه في الموحددين، فتبه على مكانة محمد بن عبد الملك منهم في الرأي و الحظوة، و الأخذ
عنه في أمور الأندلس، و أثنى عليه. و ذكره أبو زيد السهيلي في «شرح السيرة الكريمة»، حتى انتهى إلى حديث كتاب رسول الله
صلى الله عليه و سلم، الموجه إلى هرقل، و أن محمد بن عبد الملك عاينه عند أذفونش، مكرما، مفتخرا به. و القضية مشهورة. و أما
محلّه من أمداح الشعراء، فهو الذي مدحه الأديب أبو عبد الله الرّصافي بقوله: [الكامل]
أيذا تفيض و خاطرا متوقّدا؟ دعها تبت قبسا على علم الندى
و فيه يقول أبو عبد الله بن شرف من قصيدة: [البيسط]
يا رحمة الله للزاجي و نغمته لكل باغ طغى عن خيرة الرّسل
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٦٢ لم تبق منهم كفورا دون مراقبة مطالعا منك حتفا غير منفصل
كما بزاتك لم تترك بأرضهم و حشا يفز و لا طيرا بلا و جل
و كان كثير الصيد، و متردد الغارات.

مناقبه في الدين: قالوا: لما أنشده أبو عبد الله الرّصافي في القصيدة التي مطلعها: [الكامل]
لمحلّك الترفيع و التعظيم و لوجهك التقديس و التّكريم

حلف ألا يسمعها، وقال: عليّ جائزتك، لكنّ طباعى لا تحتمل مثل هذا، فقال الرّصافي: و من مثلك؟ و من يستحق ذلك في الوقت غيرك؟ فقال له: دعنى من خداعك أنا و ما أعلمه عن نفسى.

شعره: أنشده صاحب «الطالع»، و لا يذكر له غيره: [الطويل]
فلا تظهرن ما كان فى الصدر كامناو لا تركبن بالغيظ فى مركب و عر
و لا تبحنن فى عذر من جاء تائبافليس كريما من يباحث فى عذر
و ولى من الأعمال للموحدين كثيرا، كمختص حضرة مراکش، و دار السلاح، و سلا، و إشبيلية، و غرناطة، و اتصلت ولايته على
أعمال غرناطة، و كان من شيوخها و أعيانها.

محتته: و عمل فيه عقد بأن بداره من أصناف الحلّى، ما لا يكون إلا عند الملوک، و أنه إذا ركب فى صلاة الصبح، من دار الرّخام
التي يجرى الماء فيها، فى اثنى عشر مكانا، شوّش الناس فى الصلاة، دوىّ الجلاجل بالبزاة، و مناداة الصيادين، و نباح الكلاب، فأمر
المنصور بالقبض عليه، و على ابن عمّه، صاحب أعمال إفريقية، أبى الحسين، فى سنة ثلاث و سبعين و خمسمائة. ثم رضى عنهما، و
أمر محمد بن عبد الملك أن يكتب بخطه كلّ ما أخذ له، فصرفه عليه، و لم ينقصه منه شىء، و غرم ما فات له.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٦٣

ولد سنة أربع عشرة و خمسمائة، و توفى بغرناطة سنة تسع و ثمانين و خمسمائة.

محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن عمار ابن ياسر العنسى

يكنى أبا بكر، و قد تقدّم التعريف بأوليته.

حاله: قال فى «الطالع»: ساد فى دولة المثلّمين، و وّوه بغرناطة الأعمال، و كانت له دار الرّخام المشهورة بإزاء الجامع الأعظم بغرناطة.
قال الغافقى فيه: شيخ جليل، فقيه نبيه من أهل قلعة يحصب. كان فى عداد الفقهاء، ثم نزع إلى العمل، و وّلى إشراف غرناطة فى إمارة
أبى سعيد الميمون بن بدر اللمتونى. و قال صاحب «المسهب»: و حسب القلعة كون هذا الفاضل الكامل منها، و قد رقم برد مجده
بالأدب، و نال منه بالاجتهاد و السجّية القابلة أعلى سبب، و له من المكارم ما يغيّر فى وجه كعب و حاتم، لذلك ما قصده الأدباء، و
تهافتت فى مدحه الشعراء، و فيه أقول:

[الطويل]

و كان أبو بكر من الكفر عصمه و ردّ به الله الغواة إلى الحقّ
و قام بأمر الله حافظ أهله بلين و سبط فى المبرّة و الخلق
و هذا أبو بكر سليل ابن ياسر بغرناطة ناغاه فى الرّأى و الصدق
فهذا لنا بالغرب يعنى معالمتابهى الذى أحيا الدّيانة بالشرق
و قد جرى من ذكره عند ذكر أبى بكر بن قزمان، و يجرى عند ذكر نزهون بنت القلاعى ما فيه كفاية، إذ كان مفتونا بها، و بحمده و
زينب، بنتى زياد المؤدّب من أهل وادى آش، و فيهما يقول: [المجث]

ما بين زينب عمرى أحثّ كأسى و حمده

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٦٤ و كل نظم و نثر و حكمه مستجدة

و ليس إلّا عفاف يبلغ المرء قصده

و لذلك ما سعى به المخزومى الأعمى، و قد سها عن رسم تفقده، فكتب إلى عليّ بن يوسف فى شأنه بما كان سبب عزله و نكته:

[الطويل]

إليك، أمير المؤمنين، نصيحة يجوز بها البحر المجمع شاعر
بغرناطة وليت فى الناس عاملاو لكن بما تحويه منه المآزر
و أنت أما تخفى عليك خفيه؟فسل أهلها فالأمر للناس ظاهر
و ما لإلاه العرش تفنيه حمده و زينب و الكأس الذى هو دائر
شعره: من ذلك قوله: [المجتث]

يا هذه، لا ترومى خداع من ضاق ذرعه
تبكى و قد قتلتنى كالسيف يقطر دمعه
و قال عفى الله عنه: [الطويل]

لقد صدعت قلبى حمامة أيكه أثارت غراما ما أجل و أكرما
و رق نسيم الرّيح من نحو أرضكم و لطف حتى كاد أن يتكلّم
و قال فى مذهب الفخر: [الخفيف]

فخرنا بالحديث بعد القديم من معال توارث كالنجوم
نحن فى الحرب أجبل راسيات و لنا فى الندى لطف التّسيم
ولادته: ولد فى سنة ثلاث و ثمانين و أربعمائة، و توفى سنة تسع و ثلاثين و خمسمائة.

و من الطارئين فى هذا الاسم من العمال

محمد بن أحمد بن المتأهل البدرى

من أهل وادى آش، يكنى أبا عبد الله.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٦٥

حاله: كان رجلا شديد الأدمة، أعين، كثر اللحية، طرفا فى الأمانة، شديد الاستراية بجليسه، مخينا لرفيقه، سىء الظن بصديقه، قليل
المداخلة، كثير الانقباض، مختصر الملبس و المطعم، عظيم المحافظة على التّفير و القطمير، مستوعب للحصر و التّقيد، أسير محيى و
عابد زمام، و جنب أمانة، و جلس سقيفة، و رقيب مشرف، لا يقبل هواده، و لا يلبس رشوة، كثير الالتفات، متفقدًا للآله، متمما
للعمل.

جرى ذكره فى بعض الموضوعات الأدبية بسبب شعر خامل نسب إليه بما نصه: رجل غليظ الحاشية، معدود فى جنس السائمة و
الماشية، تليت على العمال به سورة الغاشية، ولى الأشغال السلطانية، فذعرت الجبأة لولايته، و أيقنوا بقيام قيامتهم لطلوع آيته، و قنطوا
كل القنوط، و قالوا: جاءت الدائية تكلمنا و هى إحدى الشروط، من رجل صائم الحسوة، بعيد عن المصانعة و الرّشوة، يتجنب الناس،
و يقول عند المخالطة لهم: لا مساس، عهدى به فى الأعمال يخط و يتبر، و هو يهّل و يكبر، و يحسن و يقبح، و هو يسبح، انتهى.
قلت: و لى الأشغال السلطانية، فضمّ النّشر، و أوصد باب الحيلة، و بت أسباب الصّياح، و ترصد ليلا و أصيب بجراحة أخطأته، ثم
عاجلته الوفاء، فنفس عن أقتاله المختق.

شعره: قال يخاطب بعض أثراء الدولة قبل نباهته: [الطويل]

عمادى، ملاذى، مؤلى، و مؤملى ألا أنعم بما ترضاه للمتأهل
و حقق بنيل القصد منك رجاءه على نحو ما يرضيك يا ذا التّفصل

فأنت الذي في العلم يعرف قدره بخير زمان فيه لا زلت تعلى
فهنت يا مغنى الكمال برتبة تقرّ لكم بالسبق في كل محفل
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٦٦

وفاته: توفى عام ثلاثه و أربعين بغرناطة أو قبل ذلك بيسير، و له خط حسن، و ممارسه في الطب، و قد توسط المعترك.

محمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوي

من أهل المريّة، يكنى أبا بكر.

أوليته: من كتاب «المؤتمن» قال: يشهر بنسبه و أصل سلفه من جهه بيرة، إما من بجانه، و إما من البريج، و استوعب سبب انتقالهم.
حاله: من «عائد الصلة»: كان أحد الشيوخ من طبقته، و صدر الوزراء من نمطه ببلده، سراوة و سماحة، و مبرّة و أدبا و لودعيّة و دعاية،
رافع راية الانطباع، و حائز قصب السبق في ميدان التخلق، مبدول البرّ، شائع المشاركة.

و قال في «المؤتمن»: كان رجلا عاقلا، عارفا بأقوال الناس، حافظا لمراتبهم، منزلا لهم منازلهم، ساعيا في حوائجهم، لا يصدرون عنه
إلا عن رضى بجميل مداراته. التفت إلى نفسه، فلم ينس نصيبه من الدّلّ، و لا أغفل من كان يألفه في المنزل الخشن، و اصلا لرحمه،
حاملا لوطأة من يجفوه منهم، في ماله حظّ للمساكين، و في جاهه رفق للمضطرين، شيخا ذكى المجالسة، تستطيب معاملته، على يقين
أنه يخفى خلاف ما يظهر، من الرجال الذين يصلحون الدنيا، و لا يعلق بهم أهل الآخرة، لعروه عن التّخوة و البطر، رحمه الله. تكرّرت
له الولاية بالديوان غير ما مرّة، و ورد على غرناطة، و افدا و مادحا و معزيا.

مشيخته و ما صدر عنه: قرأ على ابن عبد النور، و تأدّب به، و تلا على القاضي أبي علي بن أبي الأحوص أيام قضائه ببسطة، و نظم
رجزا في الفرائض.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٦٧

شعره: قال الشيخ في «المؤتمن»: كانت له مشاركة في نظم الشعر الوسط، و كان شعر تلك الحلبه الآخذة عن ابن عبد النور، كأنه
مصوغ من شعر شيخهم المذكور، و محدوّ عليه، في ضعف المعاني، و مهنة الألفاظ. تنظر إلى شعره، و شعر عبد الله بن الصّائغ، و شعر
ابن شعبه، و ابن رشيد، و ابن عبيد، فتقول: ذرّية بعضها من بعض.

فمن ذلك ما نظمه في ليلة سماع و اجتماع بسبب قدوم أخيه أبي الحسن من الحجاز: [الطويل]

إلهي، أجرني إني لك تائب و إني من ذنبي إليك لهارب

عصيتك جهلا ثم جئتك نادما مقرا و قد سدّت عليّ المذاهب

مضى زمن بي في البطالة لاهياشبابي قد ولى و عمرى ذاهب

فخذ بيدي و اقبل بفضلك توبتي و حقّق رجائي في الذي أنا راغب

أخاف على نفسي ذنوبا جنتها و حاشاك أن أشقى و أنت المحاسب

و إني لأخشى في القيامة موقفا و يوما عظيما أنت فيه المطالب

و قد وضع الميزان بالقسط حاكما و جاء شهيد عند ذاك و كاتب

و طاشت عقول الخلق و اشتدّ خوفهم و فرّ عن الإنسان خلّ و صاحب

فما ثمّ من يرجي سواك تفضلا و إن الذي يرجو سواك لخائب

و من ذا الذي يعطى إذا أنت لم تجد؟ و من هو ذو منع إذا أنت واهب؟

عبيدك، يا مولاي، يدعوك رغبة و ما زلت غفارا لمن هو تائب

دعوتك مضطرا و عفوك واسع فأنت المجازى لى و أنت المعاقب
 فهب لى من رحماك ما قد رجوته و بالجدود يا مولاي ترجى المواهب
 توسلت بالمختار من آل هاشم و من نحوه قصدا تحث الركائب
 شفيح الورى يوم القيامة جاهه و منقذ من فى النار و الحق واجب
 و مما بلغ فيه أقصى مبالغ الإجادة، قوله من قصيدة هتأ فيها سلطاننا أبا الحجاج بن نصر ، لما وفد هو و جملة أعيان البلاد أولها:
 [الكامل]

يهنى الخلافة فتحت لك بابها فدخل على اسم الله يمنا غابها
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٦٨
 منها، و هو بديع، استظرف يومئذ:

يا يوسفيا باسمه و بوجهه اصعد لمنبرها و صن محرابها
 فى الأرض مكنك الإله كيوسف و لتملكن بربها أربابها
 بلغت بكم آرابها من بعد ما قالت لذلك نسوة ما رابها
 كانت تراود كفوها حتى إذا ظفرت بيوسف غلقت أبوابها

قلت : ما ذكره المؤلف ابن الخطيب، رحمه الله، فى هذا المترجم به، من أنه ينظم الشعر الوسط، ظهر خلافه، لذا أثبت له هذه
 المقطوعة الأخيرة. و لقد أبدع فيها و أتى بأقصى مبالغ الإجادة كما قال، و حاز بها نمطا أعلى مما وصفه به. و أما القصيدة الأولى، فلا
 خفاء أنها سهل المأخذ، قريية المنزع، بعيدة من الجزالة، و لعل ذلك كان مقصودا من ناظمها رحمه الله.
 وفاته: توفى ببلده عن سنّ عالية فى شهر ربيع الآخر عام ثمانية و ثلاثين و سبعمائة.

و رثاه شيخنا أبو بكر بن شبرين، رحمه الله، بقوله: [البسيط]

يا عين، سحى بدمع و اكف سرب لحامل الفضل و الأخلاق و الأدب
 بكيت، إذ ذكر الموتى، على رجل إلى بلى من الأحياء منتسب
 على الفقيه أبى بكر تضمّنه رسمس و أعمل سيرا ثم لم يؤب
 قد كان بى منه و دّ طاب مشرعه ما كان عن رغب كلاً و لا رهب
 لكن ولاء على الرحمن محتسبافى طاعة الله لم يمدق و لم يشب
 فاليوم أصبح فى الأجداث مرتها ما ضرت الريح أملودا من الغضب
 إننا إلى الله من فقد الأحبة ما أشدّ لذعا لقلب التاكل الوصب
 من للفضائل يسديها و يلحمها؟ من للعلى بين موروث و مكتسب؟

قل فيه ما تصف ركنا لمنتبذروض، لمنتجع أنس، لمغترب؟

باق على العهد لا تشنيه ثانية عن المكارم فى ورد و لا قرب

سهل الخليفة بادی البشر منبسطلقى الغريب بوجه الوالد الحذب

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٦٩ كم غير الدهر من حال فقلبيهاو حال إخلاصه ممتدة الطنب

سامى المكانة معروف تقدّمه و قدره فى ذوى الأقدار و الرّتب

أكرم به من سجايا كان يحملهاو كلّها حسن تنييك عن حسب

ما كان إلّا من الناس الألى درجواعقلا و حلما و جودا هامى السحب

أمسى ضجيج الثرى فى جنب بلقعة لكن محامده تبقى على الحقب
ليست صباية نفسى بعده عجاو وإنما صبرها من أعجب العجب
أجاب دمعى إذ نادى النعى به لو غير منعه نادى الدمع لم يجب
ما أغفل المرء عما قد أريد به فى كل يوم تناديه الردى اقترب
يا ويح نفسى أنفاس مضت هدرابين البطالة و التسوييف و اللّعب
ظننت أنى بالأيام ذو هزء غلظت بل كانت الأيام تهزأ بى
أشكو إلى الله فقرى من معاملة لله أنجو بها فى موقف العطب
ما المال إلا من الله فأفلح من جاء القيامة ذا مال و ذا نشب
اسمع أبا بكر الأرضى نداء أخباك عليك مدى الأيام مكتئب
أهلا بقدمتك الميمون ظاهرها على محل الرضى و السهل و الرّحب
نم فى الكرامة فالأسباب وافرء و ربما نيلت الحسنى بلا سبب
لله لله و الآجال قاطعة ما بيننا من خطابات و من خطب
و من فرائد آداب يحبرها فيودع الشهب أفلاكا من الكتب
أما الحياة فقد ملّيت مدتها ففوض الله منها خير منقلب
لو لا قواطع لى أشراكها نصبت لزرت قبرك لا أشكو من النّصب
و قلّ ما شفيت نفس بزورة من حلّ البقيع و لكن جهد ذى أرب
يا نخبة ضمها ترب و لا عجب إن التراب قديما مدفن النّخب
كيف السبيل إلى اللّقا و قد ضربوا بينى و بينك ما بقى من الحجب؟
عليك منى سلام الله يتبعه حسن الثناء و ما حثيت من كذب
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٧٠

محمد بن محمد بن شعبة الغسانى

من أهل المريّة، يكنى أبا عبد الله.
حاله: قال شيخنا أبو البركات فى الكتاب «المؤتمن»: من أهل المريّة و وجوها، لا حظّ له فى الأدب، و بضاعته فى الطلب مزجاء. قطع
عمره فى الأشغال المخزنيّة، و هو على ذلك حتى الآن. قلت: هذا الرجل أحد فرسان الطريقة العمليّة، ماض على لين، متحرك فى
سكون، كاسد سوق المروءة، ضان بما يملكك من جدّة، منحطّ فى هوة اللّذة، غير معرج على ريع الهمة، لطيف التّيانى، متنزل فى
المعاملة، دمث الأخلاق، مليح العمل، صحيح الحساب، منجب الولد.
مشيخته: قرأ على ابن عبد النّور، و القدر الذى يحسّ به عنه أخذه.
شعره: من شعره يخاطب أبا الحسن بن كماشة: [البسيط]
وافى البشير فوافى الأنس و الجذل و أقبل السّعد و التوفيق و الأمل
وراقت الأرض حسنا زاهرا و سنى و اخضّر منها الرّبى و السهل و الجبل
و لاح وجه علىّ بعد ذا فغداله شعاع كضوء الشّمس متّصل
مذ غاب أظلمت الدنيا لنا و غدت أحشاؤنا بلهيب الشّوق تشتعل

و حين أشرقت الدنيا بغرته عاد الظلام ضياء و انتفى الخبل
إيه أبا حسن أنت الرجاء لنا مهما اعترت شدة أو ضاقت الحيل
و أنت كهف منيع من نحاك فقد نال المنى و بدا عيش له خضل
يا سيدا قد غدا في المجد ذا رتب مشيدة قد بنتها السادة الأول
بنو كماشة أهل الفضل قد شهروا باهت بهم في قديم الأعصر الدول
السالكون هدى السابقون مدى و الباذلون ندى و الناس قد بخلوا
أنت الأخير زمانا و القديم علاو السيد المرتجي و الفارس البطل
إن كنت جئت أخيرا فارسا فلقد أضحى بجود يديك يضرب المثل
حزت المآثر لا تحصى لكثرة ما من رام إحصاءها سدت له السبل
جزت البدور سنى و الفرقدين علاو أنت تجر الندى و الوابل الهطل
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٧١ من جاء يطلب منك السلم قابله وجه طليق و لفظ كله عسل

و من يرد غير ذا تبا له وردى لقد ترفع في برج له زحل
هناك ربك ما أولاك من نعم و عشت في عزة تترى و تتصل
و لا عدمت مدى الأيام منزلة من دونها رفعة في الأبرج الحمل
و خذه بعد سلاما عاطرا أرجا يدوم ما دامت الأسحار و الأصل
من خادم لعلاكم مخلص لكم من حبكم لا يرى ما عاش ينتقل
تقبيل كفك أعلى ما يؤمله فجد به فشا الهائم القبل
وفاته: في أول عام أربعة و ستين و سبعمائة.

محمد بن محمد بن العراقي

وادي آشي، يكنى أبا عبد الله.

حاله: فاضل الأبوة، معروف الصون و العفة، بادي الاستقامة، دمث الأخلاق، حسن الأدوات، ينظم و ينثر، و يجيد الخط، تولى أعمالا
نبيهة، ثم علفت به الحرفة، فلقى ضغطا و فقد نشبا، و اضطر إلى التحول عن وطنه إلى بَرِّ العدو عام ست و خمسين و سبعمائة، و تعرف
لهذا العهد أنه تولى الأشغال بقسنطينة الهوا من عمل إفريقية.

شعره: كتب إلي و قد أبى عملا عرض عليه: [الطويل]

أ أصمت ألفا ثم أنطق بالخلف و أفقد إلفا ثم أنس بالجلف؟

و أمسك دهرى ثم أنطق علقماو يمحق بدرى ثم ألحق بالخسف؟

و عزكم لا كنت بالذل عاملاو لو أن ضعفى ينتمى بى إلى حتف

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٧٢ فإن تعملونى فى تصرف عزة و عدل و إلّا فاحسموا علة الصرف

بقيت و سحب العطف منكم تظلنى و عطف ثنائى دائما ثنائى العطف

محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله ابن محمد بن عبد الله بن فرتون الأنصارى

من أهل مالقة، يكنى أبا القاسم، و يعرف بالهنا.

أوليته: ينسب إلى القاضى ببطليوس، قاضى القضاء، رحمه الله. و بمالقة دور تنسب إلى سلفه تدل على نباهة، و قد قيل غير ذلك. و

النص الجلي أولى من القياس.

حاله: من «عائد الصلة»: الشيخ الحاج المحدث صاحب الأشغال بالدار السلطانية. صدر نمطه، و فريد فنه رجولة و جزالة و اضطلاعا و إدراكا و تجلدا و صبرا.

نشأ بمالقة معدودا في أهل الطلب و الخصوصية، و رحل إلى الحجاز الشريف في فتائه، فاستكثر من الرواية، و أخذ عن أكابر من أهل المشرق و المغرب، حسبما يشهد بذلك برنامجه.

و كان على سنن من السرو و الحشمة، فذا في الكفاية، جريا، مقداما، مهيبا، ظريف الشارة، فاره المركب، مليح الشية، حسن الحديث، وقّاد الذهن، صابرا على الوظائف، يخلط الخوض في الأمور الدنيوية بعبادة باهظة، و أوراد ثقيلة، و يجمع ضحك الفاتك و بكاء الناسك في حالة واحدة، هشا، مفرط الحدّة، يشرّد عليه مجل لسانه في المجالس السلطانية بما تعروه المندمة بسببه، قائما على حفظ القرآن و تجويده و تلاوته، ذا خصال حميدة، صنّاع اليد، مقتدرا على العمليات من نسخ و مقابلة و حساب، معدودا من صدور الوقت و أعلام القطر و رجال الكمال.

مشيخته: أخذ عن الجلة من أهل بلده كالأستاذ أبي محمد بن أبي السداد الباهلي؛ لازمه و انتفع به، و الخطيب أبي عثمان بن عيسى؛ أخذ عنه، و الولي أبي عبد الله الطنجالي، و غيرهم مما يطول ذكرهم من العدوّة و الأندلس و المشاركة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٧٣

محنته: لقي نصبا في الخدمة السلطانية، و غضا من الدهر لبأوه، بتعنته و عدم مبالاته مرّات، ضيق لها سجنه، و عرض عليه النكال، و نيل منه بالإهانة كلّ منال، و أغرم مالا أجحف بمحتجته، و عرض للأيدى نفائس كتبه، و على ذلك فلم يدع سرّيه، و لا أضعفت النكبة جأشه.

ولادته: ولد عام ثلاثة و سبعين و ستمائة. و مات ميتة حسنة. صلى الجمعة ظهرا، و قد لزم الفراش. و نفث دم الطاعون، و مات مستقبل القبلة، على أتمّ وجوه التأهب، سابع شوال من عام خمسين و سبعمائة.

محمد بن عبد الله بن محمد بن مقاتل

من أهل مالقة، يكنى أبا القاسم، أزدى النسب، إشبيلي الأصل، من بيت نزاهة و نباهة.

حاله: كان فاضلا وقورا سمحا، مليح الدّعاية، عذب الفكاهة، حلو النادرة، يكتب و يشعر، طرفا في الانطباع و اللوذعية، آية في خلط الجدّ بالهزل. ولى الإشراف بمدينة مالقة، و تقلّب في الشهادة المخزنية عمره.

شعره: من شعره يخاطب ذا الوزارتين أبا عبد الله بن الحكيم، رحمه الله:

[الطويل]

فؤادى من خطب الزمان سقيم وفيه لسهم الحادثات كلوم

و لم أشك دائى فى البرية لامرئ أشكو به و ابن الحكيم حكيم؟

وفاته: توفى بمالقة يوم الخميس عاشر شهر رمضان من عام تسعة و ثلاثين و سبعمائة.

محمد بن على بن عبد ربه التجيبى

من أهل مالقة، يكنى أبا عمرو.

حاله: كان راوية ثقة، بارع الأدب، بليغ الكتابة، طيب النفس، كامل المروءة، حسن الخلق، جميل العشرة، تلبس بالأعمال السلطانية

دهرا، و ولى إشراف غرناطة و غيرها، إلى أن قعد لشكاية منعه من القيام و التصرف فعكف على النظر، فانتفع به. مشيخته: كانت له رحلة سمع فيها بالإسكندرية على أبي عبد الله بن منصور و غيره، و روى عنه الأخوان سالم و عبد الرحمن، ابنا صالح بن سالم.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٧٤

تواليفه: له اختصار حسن في «أغاني الأصبهاني»، و رد جيد على ابن غرسيه في رسالته الشعوبية، لم يقصر فيها عن إجادة. وفاته: و توفي لسبع خلون من محرم من عام اثنين و ستمائة.

الزهاد و الصلحاء و الصوفية و الفقراء و أولا الأصليون

محمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد الأنصاري

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، و يعرف بالصنّاع.

حاله: من «عائد الصلة»: الشيخ الصوفي، الكثير الأتباع، الفذ الطريقة، المحبب إلى أهل الثغور من البادية. كان، رحمه الله، شيخا حسن السمّت، كثير الذكر و المداومة، يقود من المخشوشين عدد ربيعه و مضر، يعمل الرحلة إلى حصونهم، فيتألفون عليه تألف التحل على أمرائها و يعاسيها، معلنين بالذكر، مهرولين، يغشون مثواه بأقواتهم على حالها، و يتناغون في التماس القرب منه، و يباشرون العمل في فلاحه كانت له بما يعود عليه بوفر و إعانة. و كان من الصالحين، و على سنن الخيار الفضلاء من المسلمين، و له حظ من الطلب و مشاركة، يقوم على ما يحتاج إليه من وظائف دينه، و يتكلم في طريق المتصوفة على مذهب أبي عبد الله الشياحلي شيخه، كلاما جهوريا، قريب الغمر. و كان له طمع في صناعة الكيمياء تهافت على دفايرها و أهل منتحليها؛ ليستعين بها بزعم على آماله الخيرية، فلم يحل بطائل.

مشيخته: قرأ على أستاذ الجماعة أبي جعفر بن الزبير، و كانت له في حاله فراسة. حدّثني بذلك شيخنا أبو عبد الله بن عبد الولي، رحمه الله. و سلك على الشيخ الصالح أبي عبد الله الساحلي.

وفاته: و توفي ليلة الاثنين السابع من شهر شوال عام تسعة و أربعين و سبعمائة، و كانت جنازته آخذة في الاحتفال، قدم لها العهد، و نفر لها الناس من كل أوب، و جرى بسريه، تلوح عليه العناية، و تحفّه الأتباع المقتاتون من حلّ أموالهم و أيديهم من شيوخ البادية، فتولّوا مواراته، تعلقوا الأصوات حوله، ببعض أذكاره.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٧٥

محمد بن أحمد الأنصاري

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، و يعرف بالمواق.

حاله: كان معلما لكتاب الله تعالى، خطيبا بمسجد روض الفخارين، طرفا في الخير و لين العريكة و السداجة المشفوعة بالاختصار و إثارة الخمول، مستقيما في طريقته، خافتا في خطبته، عاكفا على وظيفته، مقصودا بالتماس الدعاء، مظنة الصلاح و البركة.

وفاته: توفي بغرناطة قبل سنة خمسين و سبعمائة بيسير، و كلف الناس بقبوره بعد موته، فأولوا حجارته من التعظيم و جلب أواني المياه للمداواة، ما لم يولوه معشاره أيام حياته.

محمد بن حسون الحميري

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: كان فاضلا صالحا، مشهور الولاية و الكرامة، يقصده الناس في الشدائد، فيسألون بركه دعائه. و من إماء الشيخ أبي بكر بن عتيق بن مقدم، قال: أصله من بياسة، و كان عمه من المقرئين المحدثين بها، و سكن هو مرسية، و نشأ بها، و قرأ على أسيانها، و حفظ «كتاب التحرير» في علم أسماء الله الحسنى للإمام أبي القاسم القشيري، ثم انتقل إلى غرناطة، فسكن فيها بالقصبه القديمة، و أم الناس في المسجد المنسوب إليه الآن. و كان يعمل بيده في الحلفاء، و يتقوت من ذلك.

وفاته: توفي عام خمسة و سبعمائة بغرناطة، و هو من عدد الزهاد.

و من مناقبه: ذكروا أنه سمع يوما بعض الصبيان يقول لصبي آخر: مرّ للحبس، فقال: أنا المخاطب بهذا، فانصرف إلى السجن، فدخله، و قعد مع أهله، و بلغ ذلك السلطان، فوجه وزيره، فأخرجه، و أخرج معه أهل السجن كلهم، و كانت من كراماته.

محمد بن محمد البكري

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، و يعرف بابن الحاج.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٧٦

كان، رحمه الله، شيخا صالحا، جهوريا، بعيدا عن المصانعة، متساوي الظاهر و الباطن، مغلظا لأهل الدنيا، شديدا عليهم، غير مبال في الله بغيره، يلبس خرقه الصوفية من غير التزام لاصطلاح، و لا- منقاد لرقو، و لا- مؤثر لسماع، مشارك للناس، ناصحا لهم، ساعيا في حوائجهم. خدم الصالح الكبير أبا العباس بن مكنون، و سلك به، و كان من بيت القيادة و التجديد، فرفض زيّه، و لبس المسوح و الأسمال. و كان ذا حظ من المعرفة، يتكلم للناس. قال شيخنا أبو الحسن بن الجيآب: سمعته ينشد في بعض مجالسه: [الرجز]

يا غاديا في غفلة و رائحا إلى متى تستحسن القبائحا؟

و كم إلى كم لا تخاف موقفا يستنطق الله به الجوارحا؟

يا عجا منك و أنت مبصر كيف تجنب الطريق الواضحا؟

كيف تكون حين تقرا في غد صحيفة قد ملئت فضائحا؟

أم كيف ترضى أن تكون خاسرا يوم يفوز من يكون رابحا؟

و لما حاصر الطاغية مدينة ألمرية و أشرفت على التلف، تبرع بالخروج منها و لحاقه بباب السلطان؛ لبث حالها، و استنفر المسلمين إلى نصرها، فيسر له من ستر غرضه، و تسهيل قصده، ما يشهد بولايته.

وفاته: توفي بالمريّة محلّ سكناه، في حدود عام خمسة عشر و سبعمائة.

محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري

غرناطي، قيجاطي الأصل، يعرف بالسّواس.

قال في «المؤتمن» في حاله: رجل متطّيب، سهل الخلق، حسن اللقاء، رحل من بلده، و حجّ، و فاوض بالمشرق الأطباء في طريقته، و عاد فتصدّر للطب، ثم عاد إلى بلاد المشرق. قلت: و عظم صيته، و شهر فضله، و قدّم أمينا على أحباس

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٧٧

مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم، بالمدينة الطاهرة و صدقاته، و ذكر عنه أنه اضطره أمر إلى أن خصى نفسه، و سقطت لذلك لحيته.

قال شيخنا أبو البركات: أنشدنا بدّ كأنه برحبه المسجد الأعظم، من حضرة غرناطة، قال: أنشدنا أبو عبد الله المراكشي بالإسكندرية، قال: أنشدنا مالك بن المرخل لنفسه:

أرى الكلاب بستم الناس قد ظلمت و الكلب أحفظ مخلوق لإحسان
فإن غضبت على شخص لتشتمه فقل له: أنت إنسان ابن إنسان
وفاته: كان حيًا عام خمسين و سبعمائة فيما أظن.

و من الطائرين عليها في هذا الاسم

محمد بن أحمد بن جعفر بن عبد الحق بن محمد بن جعفر ابن محمد بن أحمد بن مروان بن الحسن بن نصر بن نزار ابن عمرو بن زيد بن عامر بن نصر بن حفاف السلمى

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن جعفر، ويشهر في الأخير بالقونجى، منسوباً إلى قرية بالإقليم، و كان من أهل غرناطة. حاله: من خطّ شيخنا أبي البركات بن الحاج: كان هذا الرجل رجلاً صالحاً فاضلاً متخلّقاً، سمحاً، جميل اللقاء على قدم الإيثار على رقة حاله، ممّن وضع الله له القبول في قلوب عباده، فكانت الخاصّة تبهّره و لا تنتفده، و العامة تودّه و تعتفده، و تترادف على زيارته، فنة بعد فنة، فلا تنقلب عنه إلّا راضية، و كان جارياً على طريقة الشيخ أبي الحسن الشاذلى، إذ كان قد لقي بالمشرق الشيخ الإمام تاج الدين بن عطاء الله، و لازمه و انتفع به، كما لقي و لازم تاج الدين أبا العباس المرسى، كما لازم أبو العباس أبا الحسن الشاذلى. قال: و لقيه بعد هذا الشيخ أبي عبد الله جماعات في أقطار شتى، ينتسبون إليه، و يعجرون من ملازمته الأذكار في أوقات معينة على طريقته، و له رسائل منه إليهم طوال و قصار، يوصيهم فيها بمكارم الأخلاق، و ملازمة الوظائف، و خرج عنه إليهم على طريقة التّيدوين كتاب سمّاه ب «الأنوار في المخاطبات و الأسرار» مضمّنه جملة من كلام شيخهم تاج الدين،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٧٨

و كلام أبي الحسن الشاذلى، و مخاطبات خوطب بها في سرّه، و كلام صاحبه أبي بكر الرندى، و حقائق الطريق، و بعض كرامات غير من ذكر من الأولياء، و ذكر الموت، و بعض فضائل القرآن.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي الحسن البلوطى و أجازته، و على أبي الحسن بن فضيلة و أجازته كذلك، و على أبي جعفر بن الزبير و أجازته، ثم رحل فحجّ و دخل الشام، و عاش مدّة من حراسة البساتين، و اعتنى بلقاء المعروفين بالزهد و العبادة، و كان مليّاً بأخبار من لقي منهم، فمنهم الشيخ أبو الفضل تاج الدين بن عطاء الله، و صاحبه أبو بكر بن محمد الرندى.

مناقبه: قال: دخلت معه إلى من خفّ على قلبى الوصول إلى منزله لَمّا قدم ألمريّة، و هو رجل يعرف بالحاج رحيب، كان من أهل العافية، و رقت حاله، و لم يكن ذلك يظهر عليه؛ لمحافظة على ستر ذلك لعلّو همته، و لم يكن أيضاً أثر ذلك يظهر على منزله، بل أثاث العافية باق فيه من فرش و ماعون. فسأعه و صول هذا الشيخ، قال: الله يجبر حالك، فحسبتها فراسه من هذا الشيخ. قال: و خاطبته

عند لقائى إياه بهذه الأبيات: [البسيط]

أشكو إليك بقلب لست أملكه ما لم يرد من سبيل فهو يسلكه

له تعاقب أهواء فيقلقه هذا و يأخذه هذا و يتركه

طوراً يؤمّنه طوراً يخوّفه طوراً ييقّنه طوراً يشكّكه

حيناً يوحّشه حيناً يؤنّسه حيناً يسكّنه حيناً يحزّكه

عسى الذى يمسك السبع الطّباق على يديك يا مطلع الأنوار يمسكه

فيه سقام من الدنيا و زخرفها متهما أبيضه بالذكر تشركه
عسى الذي شأنه الشتر الجميل كما غطى عليه زمانا ليس يهتكه
فلما قرأ منها: «فيه سقام من الدنيا و زخرفها»، قال: هذه عنتي.
مولده: سألته عنه، فقال لي: عام ثمانية و ستين بقرية الجيط من قرى الإقليم.

وفاته: بقرية قنجة خطيبا بها، يوم الاثنين عشرين من شهر شعبان المكرم عام خمسين و سبعمائة، في الوباء العام، و دفن بقرية قنجة،
رحمة الله عليه و رضوانه.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٧٩

محمد بن أحمد بن حسين بن يحيى بن الحسين بن محمد بن أحمد بن صفوان القيسي

و بيته شهير بمالقة، يكنى أبا الطاهر، و يعرف بابن صفوان.

حاله: كان مفتوحا عليه في طريق القوم، ملهما لرموزهم، مصنوعا له في ذلك، مع المحافظة على السنة و العمل بها آخر الرعيل، و
كوكب السحر، و فذلكه الحساب ببلده، اقتداء و تخلقا و خشوعا و صلاحا و عبادة و نصحا. رحل فحج، و قفل إلى بلده، مؤثرا
الاقتصار على ما لديه، فإذا تكلم في شيء من تلك الثلثة، يأتي بالعجائب، و يفك كل غامض من الإشارات. و عنى بالجزء المنسوب
إلى شيخ الإسلام أبي إسماعيل الروبي المسمى ب «منازل الساري إلى الله» فقام على تدرسه، و اضطلع بأعبائه، و قيّد عليه ما لا
يدركه إلا أولو العناية، و لازمته الجملة من أولى الفضل و الصلاح، فانتفعوا به، و كانوا في الناس قدوة. و ولي الخطابة بالمسجد الجامع
من الرّيبض الشّرقى، و به كان يقعد، فيقصده الناس، و يتبركون به، و كان له مشاركة في الفقه، و قيام على كتاب الله.

تواليفه: ألف بإشارة السلطان على عهده، أمير المسلمين أبي الحجاج، رحمه الله، كتابا في التّصوّف و الكلام على اصطلاح القوم،
كتب عليه شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب بظهره، لما وقع عليه، هذه الأبيات: [الكامل]

أيام مولاي الخليفة يوسف جاءت بهذا العالم المتصوّف

فكفى بما أسدى من الحكم التي أبدى من سرّ الطريقة ما خفى

و حقائق رفع الحجاب بهنّ عن نور الجمال فلاح غير مكيف

كالشمس لكن هذه أبدى سنال الحسن و المعنى لعين المنصف

فيه حياة قلوبنا و دواؤها فمن استغاث بجرعه منها شفى

إن ابن صفوان إمام هداية صافى فصوفى فهو صوفى صفى

و إن اختبرت فإنه صفو ابن صفو ظاهر فى طيه صفو خفى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٨٠ علم توارثه و حال قد خلت ذوقا فنعم المقتدى و المقتفى

فليهنك المولى سعود إيالة فيها سراج نوره لا ينطفى

جلّى و جوه شريعة و حقيقة صبحا سناه باهر لا يختفى

لا زلت تسلك كل نهج واضح منها و تحيي كل سعى مزلف

و من تواليفه: «جرّ الحرّ» فى التوحيد، و علق على الجزء المنسوب لأبي إسماعيل الهروى.

من أخذ عنه: أخذ عنه ببلده و تبرّك به جلّة، و كان يحضر مجلسه عالم، منهم شيخ الشيوخ الأعلام أبو القاسم الكسكلان، و أبو
الحسين الكوّاب، و الأستاذ الصالح أبو عبد الله القطان، و صهره الأستاذ أبو عبد الله بن قرال، و العاقد الناسك أبو الحسين الأحمر و
غيرهم.

شعره: رأيت من الشعر المنسوب إليه، وقد رواه عنه جماعة من أصحابنا، يذيل قول أبي زيد، رضى الله عنه: [الطويل]
رأيتك يدنيني إليك تباعدى فأبعدت نفسى لابتغاء التقرب
فقال: [الطويل]

هربت به منى إليه فلم يكن بى البعد فى بعدى فصح به قبرى
فكان به سمعى كما بصرى به و كان به لا بى لسانى مع القلب
فقربى به قرب بغير تباعدو قربى فى بعدى فلا شىء من قربى
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٨١

وفاته: سافر من بلده إلى غرناطة فى بعض وجهاته إليها، و ذهب سحرا يرتاد ماء لوضوئه، فتردى فى حفرة ترديا أو هن قواه، و ذلك بخارج بلش، فرد إلى مالقة، فكانت بها وفاته قبل الفجر من ليلة يوم الجمعة الرابع عشر لشعبان عام تسعة و أربعين و سبعمائة.

محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصارى

يكنى أبا عبد الله، و يعرف بالساحلى.

حاله: من «عائد الصلة»: المثل السائر فى عمران أوقاته كلها بالعبادة، و صبره على المجاهدة. قطع عمره فى التبتل و التهجد، لا يفتر لسانه عن ذكر الله و الصلاة على نبيه، صلى الله عليه و سلم. خرج عن متروك والده، و اقتصر على التعيش من حرفة الخياطة. ثم تعداها إلى النسخ و التعليم، و سلك على الشيخ أبى القاسم المرید، نفع الله به، حتى ظهرت عليه سيما الصالحين، و أقام عمره مستوعبا ضروب الخير، و أنواع القرب من صوم و أذان و ذكر و نسخ و قراءة و ملازمة خلوة، ذا حظ من الفصاحة، و جرأة على الوعظ فى صوت جهير و عارضة صليبة. اقتدى به طوائف من أصناف الناس على تباعد الديار، و ألزمهم الأذكار، و حوّلهم للسلوك، فأصبح كثير الأتباع، بعيد الصيت.

و ولّى الخطابة بالمسجد الجامع من بلده، و نقل إلى الخطابة بجامع غرناطة فى نبوة عرضت له بسبب ذنابى ذرية طرقوا الكدر إلى سربه، ثم عاد إلى بلده متين ظهر الحظوة، و ثيق أساس المبرّة.

مشيخته: قرأ ببلده مالقة على الخطيب أبى محمد بن عبد العظيم بن الشيخ، و أبى عبد الله بن لب، و أبى جعفر الحرّار، و أبى عبد الله بن الحلوة، و الخطيب أبى عبد الله بن الأعور.

محنته: ابتلى بعد السبعين من عمره بفقد بصره، فظهر منه من الصبر و الشكر و الرضا بقضاء الله ما يظهر من مثله. و أخبرنى بعض أصحابه أنه كان يقول: سألت الله أن يكفّ بصرى خوفا من الفتنة. و فى هذا الخبر نظر لمكان المعارضة فى أمره، صلى الله عليه و سلم، بسؤال العافية و الإمتاع بالإسراع و الإبصار.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٨٢

شهرته: و جعل الله له فى قلوب كثير من الخلق، الملوك فمن دونهم، من تعظيمه ما لا شىء فوقه، حتى أن الشيخ المعمر الحجّة الرحلة أبا على ناصر الدين المشدالى كتب إليه من بجاية بما نصه: يا أيها العزيز، مسنا و أهلنا الصّر، و جئنا ببضاعة مزجاة، فأوف لنا الكيل، و تصدّق علينا، إن الله يجزى المتصدّقين. و بعده:

من العبد الأصغر و المحبّ الأكبر فلان، إلى سيد العارفين، و إمام المحققين، فى ألفاظ تناسب هذا المعنى.

حدّثنى شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب، و كان من أعلام تلاميذه، و صدور السالكين على يديه، قال: قصدت منه خلوة، فقلت: يا سيدى، أصحابنا يزعمون أنك ترى رسول الله صلى الله عليه و سلم، فأخبرنى و اشف صدرى، هل هذه الرؤيا عينية أو قلبية؟ قال: فأفكر ساعة، ثم قال: عندى شك فى رؤية ابن الجيّاب الساعة و محادثته، فقلت: لا، فقال: كذلك الحال، قلت: و هذا أمر غريب،

و لا يصح إلّا رؤية القلب، و لكن غلبت عليه حتى تخيل في الحسّ الصورة الكريمة، إذ وجود جوهر واحد في محلّين اثنين محال. شعره: نظم الكثير من شعر منحطّ لا يصلح للكتب و لا للزوايا، ابتلى به، رحمه الله، فمن لبابه قوله، و هو من الوسط: [الكامل] إن كنت تأمل أن تنال وصالهم فامح الهوى في القيل و الأفعال و اصبر على مرّ الدواء فإنه يأتيك بعد بخالص السلسال تواليفه: ألف كتابا سماه «إعلان الحجّة، في بيان رسوم المحجّة». وفاته: توفى يوم الجمعة الرابع و العشرين لشوال عام خمسة و ثلاثين و سبعمائة، و كانت جنازته مشهودة، تراحم الناس على نعشه، و تناولوه تمزيقا على عادتهم من ارتكاب القحّة الباردة في مسلاخ حسن الظنّ.

محمد بن أحمد بن قاسم الأمي

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله، و يعرف بالقطن، الفقيه الأواب المتكلم المجتهد. حاله: من «العائد»: كان هذا الرجل غريب المنزع، عجيب التصوّف. قرأ و عقد الشروط، و تصدّر للعدالة، ثم تجرّد، و صدق في معاملته لله، و عوّل عليه،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٨٣

و اضطلع بشروط التوبة، فتحلّل من أهل بلده، و استفاد و استرحم، و استغفر، و نفّض يديه من الدّنيا، و التزم عبادة كبيرة، فأصبح يشار إليه في الزهد و الورع، لا- تراه إلّا متبسّما، ملازما لذكر الله، متواضعا لأصاغر عباده، محبّا في الضّعفاء و المساكين، جميل التخلّق، مغضيا عن الهنات، صابرا على الإفادة. و جلس للجمهور بمجلس مالقة، يتكلم في فنون من العلم، يعظ الناس، و يرشدهم، و يزهدهم، و يحملهم على الإيثار، في أسلوب من الاستتفار و الاسترسال و الدلالة و الفصاحة و الحفظ، كثير التأثير في القلوب، يخبر بالهام و إعانه، فمال الخلق إليه، و تراحموا على مجلسه، و أعلنوا بالتوبة، و بادر مترفوههم إلى الإقلاع عن إجابة الشهوات، و الاستقالة من الزلّات، و دهم الوباء، فبذلوا من الأموال في أبواب البرّ و الصدقة، ما لا يأخذه الحصر و لا يدركه الإحصاء، و لو لا أن الأجل طرقه، لعظم صيته، و انتشر نفعه.

وفاته: توفى شهيد الطّاعون عصر يوم الأربعاء الرابع لصفّر من عام خمسين و سبعمائة، و دفن بجبانة جبل فاره، ضحى يوم الخميس الثاني من يوم وفاته، و صلّى عليه خارج باب قنتالة، و ألحده في قبره الخطيب القاضي الصالح أبو عبد الله الطنجالي، رحم الله جميعهم.

و ممّن رثاه الشيخ الأديب أبو الحسن الوراد فقال: [الطويل]

أبعد ولىّ الله دمعى يسجم و غمار قلبى من كلوم تترجم؟

فؤادى مكلوم بحزنى لفقده لذاك جفونى دمعتها كلّ دم

و ما ذا عسى يغنى التفجّع و البكاو ما ذا عسى يجدى الأسى و التبرّم؟

سأصبر للبلوى و إن جلّ خطبها فصبر الفتى عند الشّدائد يعلم

كذا العلم بالسيف الصّقل لى الوغى فويق الذى من حسنه لا يوسم

على قدر صبر المرء تصغر عنده خطوب من الدنيا على الناس تعظم

ألا إنها الدّنيا تعلّة باطل و محمض أحلام لمن بات يحلم

تجنّبها أهل العقول فأقصر و أو أغرق فيها الجاهلون و أشأموا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٨٤ أعد نظرا فيها تجبّك براحة و إنس بما تقضى عليك و تحكم

أعدّ لها درياق صبرك إنها من البؤس و التلويين و الله أرقم
تلقت إلى تعذيبها لمحبتها ما ذا بها يلقي كئيب و مغرم
يظنّ بها ريحانة و هي سدره و لا منتهى إلا الردى و التندم
عجبت لها تخفى علينا عيوبها و ذاك لأننا في الحقيقة نؤم
أليس عجيبا أن يعول عاقل على عاجل من وصلها يتصرّم؟
و ما وصلها معشار عشر صدورها و لكنه صرف و للدهر أدوم
إذا ابتسمت يوما ترقّب عبوسها فما إن لنا منها يدوم التّبسم
ضحى كان وجه الدهر سبر بشره فلم يمس حتى بان منه التّجهّم
ذرينا بعقد من وليّ مكانه مكين لدى العلياء سام معظّم
هوى مثل ما هوى من الأفق كوكب فجّللنا ليل من الخطب مظلم
تساوى لديه صيدها و عبيدها و عالمها التّحرير و المتعلّم
هو الموت لا ينفكّ للخلق طالبا يروح و يغدو كلّ حين عليهم
و ما هو إلا الداء عزّ دواؤه فليس لشيء في البسيطة يحسم
دها كل مخلوق فما منه سيّدله الجاه عند الله ينجو و يسلم
و لو كان ذا كان النّبىّ محمد تجنّبه، صلّوا عليه و سلّموا
تعنى به موسى و يوسف قبله و نوح و إدريس و شيث و آدم
به باد بهرام و تبر بهرم و كسر من كسرى سوار و معصم
و كم من عظيم الشّان حلّ بربعه فإن تختبره فهو ربّ و أعظم
و لكننا ننسى و نأبى حديثه و نجد في الإعراض عنه و نتهم
فحتّى إذا حلّ ساحه ماجدنطلّ بها من حسرة نتكلّم
نسينا حديث الموت جهلا بغدره فألهمنا إذ هزّنا منه ملهم
وفاء و رمى في التراب موسدو آثاره فوق السماك تخيم
خبا ضوء نادى فأقفر ربعه من العلم و التّعليم ربع و معلم
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٨٥ تردى فأردى فقدمه أهل رية فما منهم إلا كئيب و مغرم
غدا أهلها من فجعة بمصابه و عيشهم صاب قطع و علقم
و هل كان إلا والد مات عنهم؟ فيا من لقوم يتموا حين أيّموا
قضى نجه الأستاذ واحد عصره فكاد الأسي يقضى إلى الكلّ منهم
قضى نجه القطان فالحزن قاطن مقيم بأحناء الصّلوع محكم
و هل كان إلا روضة رفّ ظلّها أتيح له قيظ من الجون صيلم؟
و هل كان إلا رحمة عاد فقدّها علامة فقد العلم و الله أعلم؟
سل التائبين العاكفين على الهدى لكم منّ أسدى و أهدى إليهم
أفادهم من كلّ علم لبابه و فهمهم أسرارهم فتفهموا
جزى الله ربّ الناس خير جزائه دليلا بهم نحو الهدى حيث يتموا

أبان لهم طرق الرّشاد فأقدموا وحذرهم عن كل غي فأحجموا
 وجاء من التّعليم للخير كله بأبين من يأتي به من يعلم
 فصاحة ألفاظ و حسن عبارة مضي كما يمضي الحسام المصمّم
 يصيب فلا يخطئ إذا مقصداو من يجيب فلا يبطل ولا يتلعم
 يحدث في الآفاق شرقا و مغربا فأخبره أضحت تخطّ و ترسم
 سرى في الوري ذكر له و مدائح يكاد بها طير العلى يترنّم
 لعمر ك ما يأتي الزمان بمثله و ما ضرّنى لو كنت بالله أقسم
 فقيه نزيه زاهد متواضع رؤوف عطوف مشفق مترحم
 يودّ لو أنّ الناس أترى جميعهم فلم يبق مسكين و لم يبق معدم
 يودّ لو أنّ الله تاب على الوري فتابوا فما يبقى من الكلّ مجرم
 عليه من الرّحمن أوسع رحمة فقد كان فينا الدهر يحنو و يرحم
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٨٦

محمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن عمر بن يوسف بن علي ابن خالد بن عبد الرحمن بن حميد الهاشمي الطنجالي

لوشى الأصل، مالقى النشأة و الاستيطان.

أوليته: بيتهم نبيه إلى هاشمية النّب، و هم ببلدنا لوشة أشرف، و كانت لهم فيها ثروة و ثورة اجتثها الدهر ببعض طوارقه في أبواب المغالبات. و يمّت سلفنا إليهم بصحبة و مصاهرة في حديث يستدعى طولاً، و انتقل خلفهم إلى مالقة.
 حاله: من «عائذ الصلّة»: كان هذا الولي الفاضل، المجمع على ولايته و فضله، سهل اللقاء، رفيقا بالخلق، عطوفا على الضعفاء، سالكا سنن الصّالح من السّلف سمتا و هديا، بصره مغضوض، و لسانه صامت إلّا من ذكر الله، و علمه نافع، و ثوبه خشن، و طعمته قد نفدها الورع الشّديد حتى اصطفاها مختارة، إذا أبصرت بها العين، سبقتها العبرة. بلغ من الخلق الملوك فمن دونهم الغايه، فكان يلجأ إليه المضطرّ، و تمدّ إلى عنايته الأيدي، و تحطّ بفنائها الوسائل، فلا يرتفع عن كلف الناس و لا حوائجهم، و لا ينقبض عن الشّفاعه لهم، و إصلاح ذات بينهم؛ له في ذلك كلّ أخبار طريفة. و استعمل في السّفارة بين ملكى العدو و الأندلس في أحوال المسلمين، فما فارق هيئته، و ركوب حماره و استصحاب زاده، و ليس الخشن من ثوبه. و كان له حظّ رغب من فقه و حديث، و تفسير، و فريضة. و لى الخطابة ببلده مالقة، و استسقى في المحول، فسقى الناس.

حدّثنى بعض أشياخنا، قال: حضرت مقامه مستسقىا، و قد امتنع الغيث، و قحط الناس، فما زاد عند قيامنا أن قال: أستغفر الله، فضجّ الخلق بالبكاء و العجيج، و لم يبرحوا حتى سقوا. و كراماته كثيرة، ذائعه من غير خلاف و لا نزاع.
 حدّث بعض أشياخنا عن الخطيب الصّالح أبى جعفر الزيات، قال: رأيت في التّوم قائلا- يقول: فقد الليلة من يعمر بيت الإخلاص بالأندلس، فما انتصف النهار من تلك الليلة حتى ورد الخبر بموته.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٨٧

مشيخته: من شيوخه الذين قرأ عليهم و أسند إليهم الرواية والده، رحمه الله، و أبو عمرو بن حوط الله، و الخطيب ابن أبى ريحانة المربلّى، و القاضي أبو على بن أبى الأحوص، و الراوية أبو الوليد بن العطار، و الراوية المحدّث أبو بكر بن مشليون، و المقرئ أبو عبد الله بن مستقور الطائي، و الأستاذ أبو جعفر الطبايع، و أبو الحسين بن أبى الربيع، و المحدّث أبو عبد الله بن عياش، و الأستاذ أبو الحسن السّفاج الرّندى، و الخطيب بالمرية أبو الحسن الغزال. و قرأ على الأستاذ أبى جعفر بن الزبير.

و أجازته من أهل المشرق جماعة منهم أبو عبد الله بن رزيق الشافعي، و العباس أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري، و أبو اليمن عبد الصمد بن أبي الحسن عبد الوهاب بن أبي البركات، المعروف بالنجم، و الحسن بن هبة الله بن عساكر، و إبراهيم بن محمد الطبري، إمام الخليل، و محمد بن محمد بن أحمد بن عبد ربه الطبري، و محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، و أبو الفتح تقي الدين بن أبي الحسن فخر الدين، و عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري المكي الشافعي و غيرهم.
ميلاده: بمالقة في رجب سنة أربعين و ستمائة.

وفاته: بمالقة في يوم الخميس الثامن لجمادى الأولى من عام أربعة و عشرين و سبعمائة، و قد ناهز الثمانين سنة، لم ينتقص شيء من أعماله المقربة إلى الله، من الصوم و الصلاة، و حضور الجماعات، و ملازمة الإقراء و الرواية، و الصبر على الإفادة.
حدّث من يوثق به أنّ ولده الفقيه أبا بكر دخل عليه، و هو في حال الترع، و المتيّة تحشرج في صدره، فقال: يا والدي، أوصني، فقال: و عيناه تدمعان: يا ولدي، اتق الله حيث كنت و اتبع السيئة بالحسنة تمحها، و خالق الناس بخلق حسن.

محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البليقي ابن الحاج

والد شيخنا أبي البركات. و قد مرّ في ذكر النسب المتصل بعباس بن مرداس، و الأوليّة التّبيهة ما يغني عن الإعادة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٨٨

حاله: من خطّ ولده شيخنا على الاختصار، قال يخاطبني في بعض ما كتب به إلني: ذكر أبي، و هو ممن طلبتم ذكره إلى في أخباره جزءا من نحو سبعين ورقة في المقسوم، لخصت لك من ميّضته ما يذكر:

نشأ، رحمه الله، بسبته على طهارة تامّة، و عفة بالغة و صون ظاهر، كان بذلك علما لشبان مكتبه. قرأ القرآن بالقراءات السبع، و حفظ ما يذكر من المبادئ، و اتّسم بالطلب. ثم تآقت نفسه إلى الاعتلاق بالعروة الوثقى التي اعتلق بها سلفه، فنبذ الدّنيا، و أقبل على الآخرة، و جرى على سنن المتّقين، آخذا بالأشدّ من ذلك و الأقوى، طامحا بهمته إلى أقصى ما يؤمّله السالكون، فرفض زى الطّلبة، و لبس الخشنيّة، و ترك ملابسة الخلق بالجملة، و بالغ في الانقباض عنهم، و انقطع إلى الله برباطات سبته و جبالها، و خصوصا بمينائها، و عكف على ذلك سنين، ثم سافر إلى المغرب، سائحا في الأرض، على زى الفقهاء للقاء العبّاد و أهل العلم، فأحرز من ذلك ما شاء. ثم أجاز البحر إلى جزيرة الأندلس، و ورد ألمريّة، مستقرّ سلفه، و أخذ في إثارة بقايا أملاك بقيت لأسلافه بها، على ما كان عليه من التّبيل و الإخبارات. و كان على ما تلقينا من أصحابه و خدّانه، صوّاما، قوّاما، خاشعا، ذاكرا، تاليا، قوّالا للحق، و إن كان مرّا كبيرا في إسقاط التّصنّع و المباهاة، لا يضاهاى في ذلك، و لا يشقّ غباره. و قدم على غرناطة، و دخل على أمير المسلمين، و قال له الوزير: يقول لك السلطان ما حاجتك؟ فقال: بهذا الرسم رحلت، ثم ظهر لى أن أنزل حاجتى بالله، فعار على من انتسب إليه أن يقصد غيره. ثم أجاز البحر و قد اشتدّت أحوال أهل الأندلس بسبب عدوّهم، و قدم على ملكه، و وعظه موعظة أعنف عليه فيها، فانفعل لموعظته، و أجاز البحر بسببه إلى جزيرة الأندلس، و غزا بها، و أقام بها ما شاء الله، و تأدب الروم لو تمّ المراد، قال: و أخبره السلطان أبو يوسف ملك المغرب، قال: كل رجل صالح دخل علىّ كانت يده ترعد في يدي، إلّا هذا الرجل، فإن يدي كانت ترعد في يده عند مصافحته. كراماته: و جلب له كرامات عدّة، فقال في بعضها: و من ذلك ما حدّثني الشيخ المعلم الثّقة أبو محمد قاسم الحضار، و كان من الملازمين له، المنقطعين إلى خدمته، و السّيفر معه إلى البادية، فقال: إنني لأحفظ لأبيك أشياء من الأحوال العظيمة، منها ما أذكره، و منها ما لا أستطيع ذكره. ثم قال: حدّثني أهل وادي الزّرجون، و هو حشّ من أعمال سبته، قالوا: انصرف السيد أبو عبد الله من هنا، هذا لفظه، فلما استقرّ في

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٨٩

رأس العقبة المشرفة على الوادي، صاح عليه أهل القرى، إذ كانوا قد رأوا أسدا كبيرا جدا قد تعرّض في الطريق، ما نجا قط من صادفه

مثله، فلما سمع الصباح قال: ما هذا؟ فقيل له: أهل القرى يصيحون عليه خيفة من السَّيِّع، قال: فأعرض عنهم بيده، و رفع حاجبه كالمتكبر على ذلك، و أسكتهم، و أخذ في الطَّريق حتى وصل إلى الأسد، فأشار عليه بالقضيب، و قال له: من ههنا، من ههنا، اخرج عن الطريق، فخرج بإذن الله عن الطريق، و لم يوجد هنالك بعد. و أمثال ذلك كثيرة.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي الحسين بن أبي الربيع القرشي، و أجازته والده أبو إسحاق إجازة عامة. و من شيوخه القاضي المسنَّ أبو عبد الله الأزدي، و المحدث أبو بكر بن مشليون، و أبو عبد الله بن جوهر، و أبو الحسين بن السراج، و أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخزرجي، و أبو عبد الله بن الأبار، و أبو الوليد بن العطار، و أبو العباس بن عبد الملك، و أبو إسحاق بن عياش، و أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عطية، و أبو بكر القرطبي حميد، و أبو إبراهيم الطرسى، و القاضي أبو عبد الله بن عياض، و الكاتب أبو الحسن الرعيني، و أبو الحسن الشَّارِي، و أبو يحيى بن الفرس، و أبو إسحاق بن عبيد الله، و أبو الحسن الغزَّال، و جماعة من الأندلس غير هؤلاء. و من أهل العدو كأبي يعقوب المحاسبي، و ابن فرتون، و غيرهما .

محنته: نَمى عنه إلى السلطان بالأندلس، أنه أغرى به ملك المغرب، و تخلَّص بعد لأى فى خبر طويل، و انتهب السلطان ماله، و ألحق أملاكه بالمختص، و استمرَّ، و ذلك إلى دولة والده، و امتحن السَّاعون به، فعجلَّ الله عقوبتهم.

مولده: قال شيخنا: نقلت من خطِّ أبيه ما نصّه: ولد ابني أبو بكر محمد، أسعده الله و وقَّه، فى النصف الأول من ليلة يوم الاثنين الحادى و العشرين لذي قعدة من سنه ست و أربعين و ستمائة.

وفاته: قال: ألفت بخط القاضي الأديب الكاتب أبى بكر بن شبرين، و كان ممن حضر جنازته بسبته، و كانت وفاة الفقيه النَّاسِك السَّالِك الصَّالِح أبى بكر محمد بن الشيخ الفقيه المحدث أبى إسحاق السلمى البلفيقى فى العشر الأواخر من رمضان أربعة و تسعين و ستمائة، بمحروسة سبته، و دفن إثر صلاة العصر بجبانة الخزَّوبه من منارتها بمقبره من قبر ريحان الأسود العبد الصَّالِح، نفع الله به. و صلَّى عليه الإمام أبو عبد الله بن حريث. الإحاطة فى أخبار غرناطة؛ ج ٣؛ ص ١٩٠ الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٩٠

محمد بن يحيى بن إبراهيم بن أحمد بن مالك ابن إبراهيم بن يحيى بن عبَّاد النَّفَرِي

من أهل رندة، يكنى أبا عمرو، و يعرف بابن عبَّاد، الحاجِّ الصَّوفى. حاله: نشأ ببلده رندة، و هو من ذوى البيوتات الأصيله بها، ثم رحل إلى المشرق، و لقي العلماء و الصَّوفية، و حضر عند المشيخة، ثم كثر إلى الأندلس، فتصوف، و جال فى النَّواحى، و أطرح السِّيموت، و فوّت ما كان بيده من متاع الدُّنيا، و كان له مال له خطر، و ألقى التَّصنُّع لأهله رأساً. و كان فيه تولّه و حدّه، و له ذهن ثاقب، يتكلم فى المعقولات و المنقولات، على طريقة الحكماء و الصَّوفية، و يأتى بكل عبارة غريبة، و آثاره هائلة من غير تمكّن علم، و لا وثاقه إدراك، غير أنك لا تسمع منه إلَّا حسناً، و هو مع ذلك طوَّاف على البلاد، زوَّار للربط، صَّبار على المجاهدة طوعاً و ضرورة، و لا يسأل ثياباً البتة إلَّا بذلة من ثوب أو غيره، صدقه واحد فى وقته.

محنته و فضله و شعره: نَمى عنه كلام بين يدي صاحب المغرب، أسف به مدبر الدولة يومئذ، فأشخص عند إبابه إلى رندة و سجن بسجن أرباب الجرائم، فكتب إلى ولي الأمر: [الطويل]

تركت لكم عزَّ الغنى فأبيتم و أن تتركوني للمدلة و الفقر

و نازعتموني فى الخمول و إنه لذى مهجتي أحلى من البنى و الأمر

ثم قال: يا من رمانى بسهمه الغرب، قد ردَّ عليك مخضوبا بالدم. قال: فو الله ما مرّت ثلاثه، حتى نفذ حكم الله فيمن عدا عليه.

و شعره حسن يدلُّ على طبع معين، فمن ذلك: [الكامل]

سرى يسرَّ إلىَّ أنك تاركى نفسى للفداء للطفك المتدارك

يا مالكي ولى الفخار بأننى لك فى الهوى ملك و أنك مالكي
 التّرك هلك فاعفنى منه وعدبالوصل تحيى ذا محبّ هالك
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٩١ و أعد جميلا فى الهوى عودتنى إن لم تعده إلى من للهالك؟
 يا منية القلب الذى بجماله فتن الورى من فاتك أو ناسك
 آتية دونك أو أحرار و فى سنى ذاك الجمال جلا الظلام الحالك؟
 و لكم سلكت إليك لكن حين لم تكن الدليل اختلّ قصد السالك
 و لقد عرفت بستر سزى فى الهوى فهجرتنى فكسيت ثوب الهاتك
 ما السّتر إلا ما يحوك رضاك لا ما حاكه للبتر كفّ الحائك
 ما الفضل إلا ما حكمت به فصن و اهتك و صل إن شئت أو كن تاركى
 ما لى سوى حبيك يا حبي فدع تركى فهلك الملك ترك المالك
 و قال أيضا: [الكامل]

هذا العقيق فسل معاطف بانه هل نسمة عادته من نعمانه؟
 و اسأله إن زارته ما ذا أخبرت عن أجمع العلمين أو سكّانه
 و أصخ لحسن حديثها و أعده للمضنى ففيه البرء من أشجانه
 يا حنّذا ذاك الحديث و حنّذا من قد رواه و حنّذا بيانه
 و سقى الإله زمانه و مكانه و يعزّ قدر زمانه و مكانه
 يا سعد، ساعد مستهما فيه لاذقت الهوى و نجوت من عدوانه
 و أصخ لما يتلو الوجود عليك من أنبائهم بلسان حال كيانه
 و أبنه لى و اقبل ذمامى بشاره و يقلّ بذل ذماى فى تبيانه
 و سل التّسيم يهبّ من واديهم بشذا خزاماه و طيب ليانه
 ارحم بروح منه روحى تحيه و بسقمه سقمى فديتك عانه
 و بنشره انشر نفس مشتاق قضت شوقا لنفحة نسمة من بانه
 يا سعد، حدّثنى فكلّ مخبّر عن خسر من أهواه أو إحسانه
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٩٢ يا سعد، حدّثنى حديثا عنهم و يجلّ قدر الحبّ عن نسيانه
 يا سعد، طارحنيه و املا مسمعى من سرّه إن شئت أو إعلانه
 أنا فى الغرام أخوك حقا و الفتى لا يكتّم الأسرار عن إخوانه
 قل كيف وادى ودّ سكّان الحمى و منى أمانيه و روض لسانه؟
 هل قلّصت أيدى التّوى من ظلّه؟ أو ما جرى هل عاث فى جريانه؟
 و هل الربوع أو اهل بحمى لهم فسقى الربوع الودق من هتّانه؟
 و هل التّقى بان على عهد التّوى و هل اللّوى يلوى بعود زمانه؟
 فبروض أنسهم عهدت نضارة نزهت منها الطّرف فى بستانه
 و أرى هجير الهجر أذبل يانعامه و أذوى الغصّ من ريحانه
 و أحال حال الأنس فيه و حشّه و طوى بساط الأنس فى هجرانه

آها و والهفي و ويحي أن مضى عهد عرفت الأنس في أزمانه
و بأجرع العلمين من شرقيه حبّ غذاني حبه بلبانه
حاز المحاسن كلّها فجمعن لي كلّ الهوى فحملت كلّ هوانه
و زها عليّ بعزّة فبواجب أز هو بذليّ في يدي سلطانه
و قضى بأن أقضى و ليت بما قضى يرضى فطيب العيش في رضوانه
و اختار لي أن لا أميل لسلوّة عن حبه فسلوت عن سلوانه
يا عاذليّ أو ناصحيّ أو لائميّ تبغي السلوّ ولات حين أوانه
غلب الغرام و عزّ سلطان الهوى فالكلّ فيه عليّ من أعوانه
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٩٣ فعلام تعتب مستهما، كلّ ما في الكون عاذره علي هيمانه
دع عنك لوميّ إنني لك ناصح أبدى الجمال العذر عن هيمانه
و إذا الفتى قام الجمال بعذره في الحبّ فاتركه و ثنى عنانه
من سام قلبي في هواه سلوة قد سامه ما ليس في إمكانه
و قال في الغرض المذكور: [البسيط]
يا للرجال، ألا حبّ يساعدني في ذا الغرام فأبكيه و يبكييني؟
غلبت فيه و ما أجدت مغالبتى و هنت و الصّبّ أولى الناس بالهون
ركبت لجتته و حدى فأدهشني و متّ في يده فردا فدلّوني
واضيعة العمر و البلوى مضاعفة ما بين يأس و آمال ترجيني
و الهف نفسي إن أودت و ما ظفرت في ذا الهوى بتمنّ أو بتأمين
فليت شعري و عمري ينقضى طمعافى ذا الهوى بين مغلوب و مغبون
هل الألى ملكوا رقيّ و قد علموا بذلتى و افتقارى أن يواسوني؟
فكم أكفكف دمعى بعدهم و أرى مجددا نار يأسى و هي تبليني
و كم أمرّ عليّ الأطلال أندبهاو بالمنازل من خيف و دارين
و في الفؤاد لهم ما ليس يعلمه هم، علمهم بالحال يكفيني
أهمى المدامع كي أروى فتعطشني و ألزم الذّكر للسّلوى فيشجيني
و كلّ من لمحت عيني أسأله عنهم فيغري بهم قلبي و يغريني
يا أهل نجد و فخرى أن أحبكم لا أطلب الوصل عزّ الحبّ يغنيني
هل للهوى من سبيل للمنى فلقد عزّت أمانيه في الدّنيا و في الدّين
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٩٤

محمد بن يوسف بن خلصون

يكنى أبا القاسم، روطي الأصل، لوشيه، سكن لوشة و غرناطة و مالقة.

حاله: كان من جلة المشيخة و أعلام الحكمة، فاضلا، منقطع القرين في المعرفة بالعلوم العقلية، متبحرا في الإلهيات، إماما في طريقة الصّوفية، من أهل المقامات و الأحوال، كاتباً بليغاً، شاعراً مجيداً، كثير الحلاوة و الطلاوة، قائماً على القرآن، فقيها أصولياً، عظيم

التخلّق، جميل العشرة. انتقل من حصن روطه إلى الخطابة والإمامة بلوشه، كثير الدؤوب على النظر والخلو، مقصودا من منتحلي ما لديه ضرورة. لم يتزوج، و تملأت عليه طائفة ممن شأنها الغص من مثله، فانزعج من لوشه إلى مالقه، فتحرف بها بصناعة الطب، إلى حين وفاته.

حدثنى والدى، و كان خبيراً بأحواله، و هو من أصحاب أبيه، قال: أصابت الناس شدة قحط، و كانت طائفة من أصداده تقول كلاما مسجعا، معناه: إنكم إن أخرجتم ابن خلعون من بينكم، مطرتم. قال: فانزعج عنها، و لما كان على أميال نزل الغيث الرغد، قال: فسجد بموضعه ذلك، و هو معروف، و قال: سيدى، و أساوى عندك هذا المقدار، و أوجب شكرانا. و قدم غرناطة، و بها الأستاذ أبو عبد الله الرقوى، و له استيلاء على الحظوة السلطانية، و شأنه اختبار من يرد على الحضرة ممن يحمل فنا، و للسلطان على ابن خلعون موجدة، لمدحه في حديثه أحد الثوار عليه بقمارش، بقصيدة شهيرة. فلما حضر، سأله الأستاذ: ما صناعتك، فقال:

التصوّف، فالتفت إلى السلطان و قال: هذا رجل ضعيف لا شيء لديه، بحيث لا يفرق بين الصنعة و غيرها، فصرفه رحمه الله. تواليغه: و تواليغه كثيرة، تدل على جلالته و أصله معرفته، تنطق علما و حكمه، و تروق أدبا و ظرفا. فمن ذلك كتابه في «المحبة»، و قفت عليه بخط جدى الأقرب سعيد، و هو نهاية. و كتاب «وصف السلوك، إلى ملك الملوك»، عارض به معراج الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٩٥

الحاتمي، فبان له الفضل، و وجبت المزية، و رساله «الفتق و الرّوق، في أسرار حكمه الشرق».

شعره: من ذلك قوله: [الكامل]

هل تعلمون مصارع العشاق عند الوداع بلوعة الأشواق؟
و البين يكتب من نجيع دمائهم إن الشهيد لمن يمت بفراق
لو كنت شاهد حالهم يوم التوى لرأيت ما يلقون غير مطاق
منهم كئيب لا يملّ بكأؤه قد أغرقته مدامع الآماق
و محرّق الأحشاء أشعل ناره طول الوجيب بقلبه الخفّاق
و مولّه لا يستطيع كلامه مما يقاسى فى الهوى و يلاقى
خرس اللسان فما يطبق عبارة ألم المرور و ما له من راق؟
ما للمحبّ من المنون وقاية إن لم يغتنه حبيبه بتلاق
مولاي، عبدك ذاهب بغرامه فادرك بوصلك من دماه الباقي
إنى إليك بذلتى متوسّل فاعطف بلطف منك أو إشفاق
و من شعره أيضا: [الكامل]

أعد الحديث إذا وصفت جماله فبه تهيج للمحبّ خياله
يا واصلف المحبوب كرّر ذكره و أدر على عشاقه جرياله
فبذكر من أهوى و شرح صفاته لذّ الحديث لمسمعى و خلاله
طاب السماع بوصفه لمسامعى و قررت عينا مذ لمحت هلاله
قلبي يلدّ ملامه فى حبّه و يرى رشادا فى هواه ضلاله
يا عاذلى أو ما ترقّ لسامرسمع الظلام أنينه فرثا له؟
و من شعره أيضا: [الكامل]

إن كنت تزعم حبنا و هوانا فلتحملنّ مذلة و هوانا

فاسجر لنفسك إن أردت وصالناو اغضب عليها إن طلبت رضانا
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٩٦ و اخلع فؤادك في طلاب و دادناو اسمح بموتك إن هويت لقانا
فإذا فنيت عن الوجود حقيقةً و عن الفناء فعند ذاك ترانا
أو ما علمت الحبّ فيه عبرة فاخلص لنا عن غيرنا و سوانا
و ابذل لبابك إن وقفت ببابناو اترك حماك إذا فقدت حمانا
ما لعل ما حاجر ما رامه ما ريم أنس يسحر الأذهانا
إنّ الجمال مخيم بقابناو ظباؤه محجوبة بظبانا
نحن الأحبة من يلد بفنائنا نجمع له مع حسننا إحسانا
نحن الموالى فاخضعن لعزنا إننا لندفع في الهوى من هانا
إنّ التذلل للتدلل سحر فاخلد إلينا عاشقا و مهانا
و اصبر على ذلّ المحبّة و الهوى و اسمع مقالة هائم قد لانا
نون الهوان من الهوى مسروقة فإذا هويت فقد لقيت هوانا
و من لطيف كلامه و رقيق شعره: [الرمل]
لو خيال من حيبى طرقالم يدع دمعى بخدى طرفا
و نسيم الريح منه لو سرى بشذاه لأزال الحرقا
و متى هبت عليلات الصباصح جسمى فهى لى نفث رقا
عجبا يشكو فؤادى فى الهوى لهب النار و جفنى الفرقا
يا أهيل الحى، لى فيكم رشالم يدع لى رمقا مذ رمقا
بدر تمّ طالع أثمره غصن بان تحته دعص نقا
راق حسنا و جمالا مثلمارق قلبى فى هواه ورقا
أنس الشمس ضياه ذهبوا كسا البدر سناه ورقا
حلل الحسن عليه خلعت فارتداها و لها قد خلقا
و من شعره: [البسيط]
دعوت من شفتى رفقا على كبدى فقال لى: خلق الإنسان فى كبد
قلت الخيال و لو فى النوم يقنعنى فقال: قد كحلت عيناك بالسهد
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٩٧ فقلت: حسبى بقلبي فى تذكره فقال: لى القلب و الأفكار ملك يدي
قلت الوصال حياتى منك يا أملى قال الوصال فراق الروح للجسد
فقلت: أهلا بما يرضى الحبيب به فإنّ قلبى لا يلوى على أحد
و من أقواله الصوفية، و كلها تشير إلى ذلك المعنى: [الطويل]
ركبنا مطايا شوقنا نبتغى السرى و للنجم قنديل يضىء لمن سرى
و عين الدجى قد نام لم يدر ما بناو أجفاننا بالسهد لم تطعم الكرى
إلى أن رأينا الليل شاب قذاله و لاح عمود الفجر غصنا منورا
لمحنا برأس البعد نارا منيرة فسرنا لها نبغى الكرامة و القرا

و أفضى بنا السير الحثيث بسحرة لحناءة دير بالنواقس دورا
فلما حللنا حبوة السير عنده و أبصرنا القسيس قام مكبرا
و حرّك ناقوسا له أعجم الصّدا فأفصح بالشر الذي شاء مخبرا
و قال لنا: حطّوا حمدتم مسيركم و عند الصّباح يحمد القوم السرى
نعتم صباحا ما الذي قد أتى بكم فقلنا له: إنا أتيناك زورا
و راحتنا في الزاح إن كنت بائعا فإنّ لدينا فيه أربح مشترى
فقال لكم: عندي مدام عتيقة مخلّدة من قبل آدم أعصرا
مشعشعة كالشمس لكن تروحت و جلت عن التجسيم قدما فلا ترى
و حلّ لنا في الحين ختم فدامها فأسدى لنا مسكا فتيقا و عنبرا
و قلنا: من الساقى فلاح بوجهه فأدهش ألباب الأنام و حيرا
و أشغلنا عن خمرة بجماله و غيّبنا سكرنا فلم ندر ما جرى
و من شعره في المعنى: [البسيط]

يا نائما يطلب الأسرار إسرارافيك العيان و نبغى بعد آثارا
أرجع إليك فبيك الملك مجتمع و الفلك و الفلك العلوى قد دارا
أنت المثال و كرسى الصّفات فته على العوالم إعلانا و إسرارا
و الطور و الدّرّ منثورا و قد كتبت أقلام قدرته في اللوح آثارا
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٩٨ و البيت يعمره سرّ الملائك في مشكاة قلبك قد أسرجن أنوارا
و رفع الله سقفا أنت تسكنه سماؤه أطلعت شهبأ و أقمارا
و بحر فكرك مسجور بجوهره فغص به مخرجا للدّرّ إسرارا
فإن رأيت بوادى القدس نار هدى فاثبت فنورك فيها مازج النّارا
و اخلع لسمع النّدا نعليك مفتقرا إلى المنادى تنل عزّا و إكبارا
و غب عن الكون بالأسماء متّصفا و اطلب من الكلّ ربّ الدار لا الدّارا
و من ذلك في هذا المعنى: [الطويل]

أطالب ما فى الرّوح من غامض السّرّ و قارع باب العلم من عالم الأمر
عرضت لعلم أبهم الشّرع بابه لكلّ جهول للحقائق لا يدرى
و لكنّ خبيراً قد سألت محقّقاً فدونك فانظّم ما نثرت من الدّرّ
و بين يدي نجواك قدّم وسيلة تقى الله و اكتنم ما فهمت من السّرّ
و لا تلتفت جسما و لا ما يخصّه من الحسّ و التخيل و الوهم و الفكر
و خذ صورة كليه جوهرية تجلّ عن التمييز بالعكس و السّبر
و لكن بمرآة اليقين تولّدت و ليست بذاتى إن سألت و لا غير
كذلك لم تحدث و ليست قديمة و ما وصفت يوما بشفع و لا وتر
و لكن بذات الدّات كان ظهورها إذا ما تبدّت فى الدّجى غرّة الفجر
و من هذا الغرض قوله: [الطويل]

مشاهدتي مغناك، يا غايتي، وقت فما أشتكى بعدا وحبك لي نعت
مقامي بقائي عاكفا بجمالكم فكلّ مقام في الحقيقة لي تحت
لئن حالت الأحوال دون لقائكم فإني على حكم المحبّة ما حلت
و إن كان غيري في الهوى خان عهده فإني و أيم الله عهدي ما خنت
و ما لي رجاء غير نيل وصالكم و لا خوف إلّا أن يكون له فوت
نعم إن بدا من جانب الأنس بارق يحركني بسط به نحوكم طرت
و مهما تذكّرت العتاب يهزني لهيبتكم قبض يغيب به النعت
تواجدت حتى صار لي الوجد مشربا و لاح وجود للحقيقة إذ غبت
فها أنا بين الصّحو و المحو دائر أقول: فلا حرف هناك و لا صوت
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ١٩٩ قصودي إليكم و الورود عليكم و منكم سهودي و الوجود إذا عدت
و في غيبتى عنّي حضوري لديكم و عند امتحان الرّسم و المحو أثبت
و في فرقتي الباني بحق جمعنتني و في جمع جمعي في الحقيقة فرقت
تجلّيت لي حتى دهشت مهابة و لما رددت اللّحظ بالسّر لي عشت
موارد حقّ بل مواهب غاية إذا ما بدت تلك البداءة لي تهت
لوائح أنوار تلوح و تختفي و لكن و ميض البرق ليس له ثبت
و مهما بدت تلك الطّوالع أدهشت و إن غيّبت تلك اللّوامع أظلمت
و هيهات هيهات الجلال تردّني و عند التجلّي لا محالة دكدكت
نسفن جبالي فهي قاع و صفصف و ليس يرى فيهنّ زيع و لا أمت
ولي أدمع أجبجن نار جوانحي ولي نفس لولاه من حبكم ذبت
ألا فانظروا قلب العيان حقيقة فنائي وجودي و الحياة إذا متّ
مراتب في التّلوين نلت جميعها و في عالم التّمكين عن كلّها بنت
و عند قيامي عن فنائي وجدتكم فلا رتبة علويّة فوق ما نلت
ورود و شرب ثم لا رى بعده لئن كنت أروى من شرابك لا كنت
شربت كناس الوجود مدامه فلست أجلى عن ورود متى شئت
و كيف و أقداح العوالم كلّها و لكنني من صاحب الدّير أسكرت
تعلّق قوم بالأواني و إنني جمال المعاني لا المغاني علّمت
و أروضت كأسا لم تدنّس بمزجها و قد نلتها صرفا لعمرى ما وضعت
شراب بها الأبرار طاب مزاجهم و أروضتها صرفا لأنّي قرّبت
بها آدم نال الخلافة عندما تبدّت له شمسا لها نحوه سمت
و نجت لنوح حين فرّ لفلكه و من بان عن أسرارها لي عمد الموت
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٠٠ و قد أخدمت نار الخليل بنورها و كان لموسى عن أشعتها بهت
و هبت لروح الله روح نسيمها فأبصره الأعمى و كلمه الميت
و سار بها المختار سيرى لربه إلى حيث لا فوق هناك و لا تحت

هنيئا لمن قد أسكرته بعرفها لقد نال ما ينبغي و ساعده البخت

و من نثر الأستاذ الجليل أبي القاسم بن خلصون المترجم به، قوله من رسالته:

وصلني أيها الابن النجيب، المخلص الحبيب، كتابك الناطق بخلوص ودك، و رسوخ عهدك، و تلك سجيته لائقة بمجدك، و ششنته تعرف من والدك و جدك، وصل الله أسباب سعدك، و أنهض عزم جدك، بتوفيق جدك، و بلغك من مأمولك أقصى قصدك. فلتعلم أيها الحبيب أن جناني، ينطوي لكم أكثر مما ينشره لساني، فإني مغرى بشكركم و إن أعجبت، و مفصح بجميل ذكركم و إن جمجت، لا- جرم أن الوقت حكم بما حكم، و استولى الهرج فاستحكم، حتى انقطعت المسالك، و عدم الوارد و السالك، و ذلك تمحيص من الله جار على قضيه قسطه، و تقلب لقلوب عباده بين إصبعي قبضه و بسطه، حين مد على الخليفة ظلّ التلويين، و لو شاء لجعله ساكنا، ثم جعل شمس المعرفة لأهل التمكين، عليه دليلا باطنا، ثم قبض كل الفرق عن خاصيته قبضا يسيرا، حتى أطلع عليهم من الأنس بدرا منيرا. و إلى ذلك يا بني، فإني أحمد الله تعالى إليك على تشويقه إياك إلى مطالعة كتب المعارف، و تعطشك للورود على بحر اللطائف. و إن الإمام أبا حامد، رحمه الله، لممن أحرز خصلها، و أحكم فرعها و أصلها، لا ينكر ذلك إلّا حاسدا، و لا ياباه إلّا متعسف جاحد. هذا وصفه، رحمه الله، فيما يخصه في ذاته. و أما تعليمه في تواليه، و طريقه التي سلكها في كافه تصانيفه؛ فمن علمائنا، رضى الله عنهم، من قال: إنه خلط النهاية بالبداية، فصارت كتبه أقرب إلى التضييل منها إلى الهداية، و إن كان لم يقصد فيها إلّا التفع فيما أمه من الغرض، فوجد في كتبه الضرر بالعرض، و ممن قال بهذا الفقيه الحكيم أبو بكر بن الطّيفيل، قال: و أما أبو حامد، فإنه مضطرب التأليف، يربط في موضع، و يحلّ في آخر، و يتمذهب بأشياء، و يكفر بها، مثل أنه كفر الفلاسفة باعتقادهم أن المعاد

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٠١

روحاني، و إنكارهم حشر الأجساد. و قد لوح هو بأن ذلك مذهبه في آخر كتاب «الجواهر و الأربعين»، و خرّج بأنه معتقد كبار الصوفية، في كتاب آخر، و قال: إن معتقده كمعتقدهم، و أنه وقع على ذلك بعد بحث طويل و عناء شديد. قال: و إنما كلامه في كتبه على نحو تعليم الجمهور. و قد اعتذر أبو حامد نفسه عن ذلك في آخر كتاب «ميزان العمل»، على أغلب ظني، فإن لي من مطالعة الكتب مدّة. قال: و لو لم يكن في هذه الألفاظ إلّا ما يشكك في اعتقادك الموروث، يعني التقليد، فإنه من لم يشك لم ينظر، و من لم ينظر لم يبصر، و من لم يبصر ففي العمى و الحيرة. ثم تمثّل بقول الشاعر: [البيسط]

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به في طلعه الشمس ما يغنيك عن زحل

و ذلك أنه قسم آراءه إلى ثلاثة: رأى يجاب به كلّ مسترشد سائل بحسب سؤاله و على مقدار فهمه. و رأى يجاب به الخاصية و لا يصرّح به للعامّة. و رأى بين الإنسان و بين نفسه، لا يطلع عليه إلّا من شريكه في اعتقاده. و أما الفقيه الفاضل أبو الوليد بن رشد، رحمه الله، فإنه بالغ في ذلك مبالغ عظيمة، و ذلك في كتابه الذي وصف فيه مناهج أدلة المتكلمين، فإنه لما تكلم على طرق الأشعرية و المعتزلة و الفلاسفة و الصوفية و الحشوية و ما أحدثه المتكلمون من الضرر في الشريعة بتواليهم، انعطف فقال: و أما أبو حامد، فإنه طمّ الوادي على القرى، و لم يلتزم طريقة في كتبه، فنراه مع الأشعرية أشعريا، و مع المعتزلة معتزليا، و مع الفلاسفة فيلسوفا، و مع الصوفية صوفيا، حتى كأنى به: [البيسط]

يوما يمان إذا لاقيت ذا يمن و إن لقيت معديا فعدنان

ثم قال: و الذي يجب على أهل العلم، أن ينهوا الجمهور عن كتبه، فإن الضرر فيها بالذات، و المنفعة بالعرض. قال: و إنما ذلك لأنه صرّح في كتبه بنتائج الحكمة دون مقدماتها، و أفصح بالتأويلات التي لا- يطلع عليها إلا العلماء الراسخون في العلم، و هي التي لا يجوز أن تؤوّل للجمهور، و لا أن تذكر في غير كتب البرهان. و أنا أقول: إن كتبه في الأصلين، أعنى أصول الدين و أصول الفقه، في غاية التبل و التباهة، و بسط اللفظ، و حسن الترتيب و التقسيم، و قرب المسائل.

وكذلك كتبه الفقهية والخلافية والمذهبية، التي ألفها على مذهب الشافعي، فإنه كان شافعي المذهب في الفروع. و أما كتبه التي ذهب فيها مذهب التصوف، فهي التي يوجد فيها ما ذكر من الضرر بالعرض. وذلك أنه بنى الأكثر من الاعتقادات فيها على ما تأدى إلى فهمه من مذاهب الفلاسفة، ونسبها إلى المتصوفة. وقد نبه على

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٠٢

ذلك الفقيه الجليل أبو بكر الطرطوشي في كتابه الذي سماه ب «مراقى العارفين».

قال: وقد دخل على السالكين ضرر عظيم من كتب هذا الرجل الطوسي، فإنه تشبه بالصفوية ولم يلحق بمذاهبهم، و خلط مذاهب الفلاسفة بمذاهبهم، حتى غلط الناس فيها. على أنني أقول: إن باعه في الفلسفة كان قصيرا، وإنه حذا حذو الشيخ أبي علي بن سينا في فلسفته التي نقلها في المقاصد، و منطقها الذي نقله في معيار العلم، لكن قصر عنه. و تلك الاعتقادات، منها حق و منها باطل، و تلخيصه لا يتأتى إلا لصنفين من الناس، أعنى أهل البرهان و أهل المكاشفة، فبحسب ذلك تحتاج كتبه إلى مقدمة علوم البرهان، أو رياضة أهل المكاشفة. و لذلك صنف هو معيار العلم؛ ليكون الناظر في كتبه يتقدم، فيتعلم منه أصناف البراهين، فيلحق بأهل البرهان. و قدّم أيضا تصنيف «ميزان العمل» ليكون المرتاض فيه، و به يلحق بأهل المكاشفة، و حينئذ ينظر في سائر كتبه. و هذه الرسالة طويلة، تكلم فيها على كتب أبي حامد الغزالي، رحمه الله، بما يدل على تفننه، و على اضطلاع، رحمه الله.

و من الغرباء في هذا الاسم

محمد بن أحمد بن أمين بن معاذ بن إبراهيم بن جميل بن يوسف العراقي

ثم الخلاطى، ثم الأقرشى الفارسى، و ينعت من النعوت المشرقية بجلال الدين، من بلاد فارس. حاله: كان من الصفوية المتجردين من المال و العيال، ذا وقار و تودة، و سكون و محافظة على ظاهره. أكثر في بلاد المشرق من الأخذ عن الشيوخ المحذّثين و المتصوفين، ثم قدم المغرب، فاستوطن بعض بلاده، ثم أجاز البحر إلى الأندلس عام أربعة و سبعمائة، و أخذ عن بها من الشيوخ، و دخل غرناطة. و كان شافعي المذهب، يشارك في قرض الشعر.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٠٣

مشيخته: أخذ عن أبي مروان عبد الملك الشريشى بفاس، و عن أبي بكر محمد بن محمد بن قسى الموميانى، و لبس الخرقة الصفوية من جماعة بالمشرق و بالمغرب، منهم الإمام أبو إبراهيم الماجرى، عن أبي محمد صالح، عن أبي مدين.

تواليفه: أخذ عنه تأليفه في نحو اللغة الفارسية و شرح ألفاظها. قال شيخنا الوزير أبو بكر بن الحكيم: كتب إلى والدى ببابه، و قد أحس بغض من الشيخ الإمام أبي عبد الله بن خميس، عميد مجلس الوزارة الحكيمية: [المتقارب]

عبيد بباب العلى واقف أ يقبله المجد أم ينصرف؟

فإن قبل المجد نلت المنى وإلا فقدرى ما أعرف

ثم كتب على لفظه: ما من، و صححه، قال: فأذن له، و استظرف منزعه.

محمد بن أحمد بن شاطر الجمحى المرآشى

يكنى أبا عبد الله، و يعرف بابن شاطر.

حاله: فقير متجرد، يلبس أحسن أطوار الخرقة، و يؤثر الاصطلاح، مليح الشيبية، جميل الصورة، مستظرف الشكل، ملازم للمسجد، مساكن بالمدارس، محبب إلى الخواص، كثير الذكر، متردد التأوه، شارد اللسان، كثير الفلتات، مطرح في أكثر الأحيان للسيمت، ينزع

إلى هدف تائه، تشم عليه القحّة و المجانّة، مقتحم حمى الحشمة في باب إيهام التلبيس، يزلق سوء الاعتقاد عن صفاته، و إن قارب الانهماك، و غير مبال بناقد، و لا حافل بدام، و لا حامد. كلما أتبع انفراد، و مهمى استقام شرد، تطيب النفس به على غزّة، و يحسن الظن بباطنه على سوء ظاهره، مليح الحديث، كثير الاعتبار، دائم الاسترجاع و الاستغفار، فعّال الموعظة، عجيب الانتزاع من الحديث و القرآن، مع عدم الحفظ، مستشهد بالأبيات الغريبة على الأحوال. قال شيخنا القاضي أبو عبد الله بن المقرئ: لقيت فيمن لقيت بتلمسان رجلين، أحدهما عالم الدنيا، و الآخر نادرتهما. أما العالم، فشيخنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري الآبلي، و أما النادرة، فأبو عبد الله بن شاطر. ثم قال: صحب أبا زيد الهزميري كثيرا، و أبا عبد الله بن تجلات، و أبا العباس بن البناء و إخوانهم من الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٠٤

المراكشين و من جاورهم، و اختصّ بأبي زيد الهزميري، و آثره و تبناه، و كان يقول له: و ألقيت عليك محبة منى، فيظهر أثر ذلك عليه، من ستر الهنات، و وضع القبول، فلا تجد من يستثقله من راض عنه أو ساخط. دخل الأندلس، و قدم على غرناطة، و تلوّم بها أياما. نبذ من أقواله: فمن ذلك أنه إذا سئل عن نفسه يقول: أنا وليّ مفسود، و في هذا من التصفه، و خفة الروح ما لا خفاء به. قال بعض شيوخنا: قلت له يوما:

كيف أنت؟ فقال: كيف أنا محبوس في الدم. و من حكمه: الليل و النهار حرسيتان، أحدهما أسود، و الآخر أبيض، و قد أخذ بمجامع الخلق إلى يوم القيامة، و إنّ مردنا إلى الله. و مرّ يوما بأبي العباس بن شعيب الكاتب و هو جالس في جامع الجزيرة، و قد ذهبت به الفكرة، فصاح به، فلمّا رفع رأسه، قال، و له نعش خاطر: انظر إلى مركب عزرائيل، قد رفع شرّاعه، و النّيدا عليه، اركبوا يا عزا. قال شيخنا أبو عبد الله المقرئ: وجدته يوما في المسجد ذاكرة، فقلت له: كيف أنت؟ فقال: مهيم في روضة يجبرون، فهمت بالانصراف، فقال:

أين تذهب من روضة من رياض الجنة، يقام فيها على رأسك بهذا التاج؟ و أشار إلى المنار، مملوءا بالله أكبر. قال: و أنشدني أبو العباس بن البناء، و كتبها عنه:

[الوافر]

قصدت إلى الوجازة في كلامي لعلمي بالصواب في الاختصار

و لم أحذر فهم ما دون فهمي و لكن خفت إزراء الكبار

فشان فحولة العلماء شأني و شأن البسط تعليم الصغار

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٠٥

قال: و أخبار ابن شاطر تحتمل كراسه، قلت: رأيت به فباس في أخريات عام خمسة و خمسين، و هو الآن بحاله الموصوفة، قد أربى على السبعين.

محمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمي ابن الحلفاوى

من أهل تونس، يكنى أبا عبد الله، نزيل غرناطة، و يعرف بالتونسي و بابن المؤذن ببلده.

حاله: من «العائد»: قال: وليّ الله المجاب الدعوة، الظاهر الكرامة، المشهود له بالولاية. ورد الأندلس في جملة من تجار بلده، و بيده مال كبير بذله في معاملة ربّه، إلى أن استأصله بالصدق، و أنفق في سبيل الله ابتغاء مرضاته، و تجرّد عن الدنيا، و أخذ نفسه بالصلاة و الصوم و التلاوة و كثرة السجود و التطارح على ذلك، محفوظا في ذلك كله حفظه الأولياء، مذكرا بمن سلفه من الزهاد، عازبا عن الدنيا، أخذ نفسه بسلوك الإيتاب عنها، رحمة للخلق، و تمالاً للمساكين، يقصده الناس بصدقاتهم، فيثبها في ذوى الحاجات، فيتألف

في باب مسجده آلاف من رجالهم و نساءهم و صبيانهم، حتى يعتمهم الرّفد، و تسعهم الصدقة. و كان غريب الأحوال؛ إذا وصل وقت الصلاة يظهر عليه البشر و الشّرور، و يدخل مسجده الذي ابتناه و احتفل فيه، فيخلو بنفسه آخذاً في تعبدات كثيرة غريبة شاملة لجميع أركان المسجد، و يزدحم الناس حول المسجد، و أكثرهم أهل الفاقة، فإذا تمكّن الوقت أذن أذانا مؤثراً في القلوب، جدى و صدقا و قارا، كان صدره ينصدع عند قول: لا إله إلاّ الله. ثم يعبد التّعبد و السّجود في الصّومعة و أدراجها، حتى يفتح باب المسجد، و ينتقل إلى صدر المحراب، فيصلّى ركعات خفيفة، فإذا أقام الصلاة، و وقف عند المحراب، ظهر عليه من الخوف و الكآبة و الحزن و الانكسار و التضرّع و التملّق و الرّغبة، ما لا تفي العبارة بوصفه، كأن موقفه موقف أهل الجرائم بين أيدي الملوّك الجبابرة. فإذا أتم الصلاة على أتم هيئاتها، ترى كأن الغبار على وجهه، أو كأنه حشر من قبر، فإذا شرع في الدّعاء بأثر الصلاة، يتلوه بترداد الصلاة على النّبىّ صلى الله عليه و سلم، في كل دعوة، و يتوسّل به، و تظهر عليه أحوال من الحضور و المراقبة، و ينجلي عن وجهه ما كان به. و كان يختم القرآن في شهر رمضان مائة ختمه، فما من ليلة إلاّ و يحيى اللّيل كلّها فيها بمسجده. هذا ترتيبه، و لو تتبعنا ما شوهد من كراماته و أحواله، لخرجنا عن الغرض.

ولادته: ولد بتونس في حدود الأربعين و ستمائة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٠٦

وفاته: توفى شهر ربيع الثاني عام خمسة عشر و سبعمائة. و كان الحفل في جنازته عظيماً، استوعب الناس كافة، و حضر السلطان فمن دونه، و كانت تتمّ، زعموا، على نعشه و قبره رائحة المسك. و تبرّك الناس بجنازته، و قصد قبره المرضى و أهل الحاجات، و بقي القراء يقرءون القرآن عليه مدة طويلة، و تصدّق على قبره بجملة من مال، ففدى به طائفه من الأسرى. و قبره بباب البيرة عن يمين الخارج إلى مقبرة العسال، معروف هنالك.

محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن يوسف اللواتي

من أهل طنجة، يكنى أبا عبد الله، و يعرف بابن بطوطة .

حاله: من خطّ شيخنا أبي البركات، قال: هذا رجل لديه مشاركة يسيرة في الطّلب، رحل من بلاده إلى بلاد المشرق يوم الخميس الثاني من رجب عام خمسة و عشرين و سبعمائة، فدخل بلاد مصر و الشام و العراق، و عراق العجم، و بلاد الهند و السّند، و الصين، و صين الصّين، و بلاد اليمن. و حج عام ستّة و عشرين و سبعمائة. و لقي من الملوّك و المشايخ عالماً، و جاور بمكة. و استقرّ عند ملك الهند، فحظى لديه، و ولّاه القضاء، و أفاده مالا جسيماً. و كانت رحلته على رسم الصّوفية زياً و سحّية، ثم قفل إلى بلاد المغرب، و دخل جزيرة الأندلس، فحكى بها أحوال المشرق، و ما استفاد من أهله، فكذب. و قال: لقيته بغرناطة، و بتنا معه ببستان أبي القاسم ابن عاصم بقرية نبله، و حدثنا في تلك الليلة، و في اليوم قبلها عن البلاد المشرقية و غيرها، فأخبر أنّه دخل الكنيسة العظمى بالقسطنطينية العظمى، و هي على قدر مدينة مسقّفة كلها، و فيها اثنا عشر ألف أسقف. قلت: و أحاديثه في الغرابة أبعث من هذا. و انتقل إلى العدو، فدخل بلاد السودان. ثم تعرّف أن ملك المغرب استدعاه، فلحق بيابه، و أمر بتدوين رحلته.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٠٧

سائر الأسماء في حرف الميم الملوّك و الأمراء و ما منهم إلاّ طاريء علينا أو غريب

مزدلي بن تيولتان بن حمى بن محمد بن ترقوت بن ورباطن ابن منصور بن نصاله بن أمية بن وابان الصنهاجي اللّتموني

حاله: كان الأمير مزدلي عضد القائم بالدولة اللّتمونية يوسف بن تاشفين، و قريبه لالتقائهما في ترقوت، راش به و برى، و جزّ و فرى،

فهو شيخ الدولة اللّتونية، و كبير العصابة الصّنهاجية، بطلا ثبنا، بهمة من البهم، بعيد الصّيت، عظيم الجلد، شهير الذّكر، أصيل الرّأى، مستحکم الحنكة. طال عمره، و حمدت مواقعه، و بعدت غاراته، و عظمت فى العدوّ وقائعه، و شكرت عن سلطانه نيابته. من مناقبه: استرجاع مدينة بلنسية من أيدي الرّوم بسعيه، و ردّه إلى ملكة الإسلام بحميد غنائه فى منتصف رجب عام خمس و خمسمائة.

دخوله غرناطة: ولى قرطبة و غرناطة و ما إليهما من قبل يوسف بن تاشفين سنة خمس و خمسمائة. قال ابن الصّيرفى: توفى ليلة الثلاثاء السابع عشر من شوال عام ثمانية و خمسمائة، غازيا على مقربة من حصن قسطنية، طرق به إلى قرطبة، فوصل يوم الأربعاء ثانى يوم وفاته، و صلّى عليه إثر صلاة العصر الفقيه القاضى بقرطبة أبو القاسم بن حمدين، و دفنه قرب أبيه، و بنيت عليه روضة حسنة. و كان، نصر الله وجهه، البقية الصالحة على نهج أمير المسلمين يوسف.

موسى بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن بن على الهتاني

السيد أبو عمران.

حاله: بيته معروف. و كان أدبيا شاعرا، جوادا، و اختصّ بالعدل، فجلّ قدره فى دولته، و أمله الناس بإشيبلية فى حوائجهم لمحلّه منهم. و لما انصرف عنها العدل إلى طلب الخلافة، قدّمه عليها، فبلغ الغاية. و فى شوال من عام اثنين و عشرين و ستمائة، كانت على جيشه الواقعة، أوقعها به السيد أبو محمد البياسى، و أخباره شهيرة. وفاته: و توفى تغريفا فى البحر بعد أن ولى بجاية، رحمه الله و عفا عنه.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٠٨

شعره: قال: و كان أبو المطرف بن عميرة، ينشد له، يخاطب الفقيه الأديب أبا الحسن بن حريق يستحثّه على نظم الشعر فى عروض الخب: [المتدارك]

خذ فى الأشعار على الخب فقصورك عنه من العجب

هذا و بنو الآداب قضا بعلوّ مجدّك فى الرّتب

فنظم له أبو الحسن القصيدة المشهورة، منها: [المتدارك أو الخب]

أ بعيد الشّيب هوى و صبا؟ كلّا لا لهوا و لا لعبا

ذرت السّتون برادتها فى مسك عذارك فاشتها

و منها:

يا نفس أحيى أحيى تصلى أملا عيشى روحيا تروى عجا

و خذى فى شكر الكبرة ملاح الإصباح و ما ذها

فيها أحرزت معارف ما أبلت بجدّته الحقا

و الخمر إذا أعتقت و صفت أعلى ثمنا منها عبا

و بقية عمر المرء له إن كان بها طبنا دربا

هبنى فيها بإنابته ما هدّمه أيام صبا

دخل غرناطة، فوجب ذكره مع مثله.

منديل بن يعقوب بن عبد الحق بن محبو الأمير أبو زيّان

حاله: كان فاضلا عاقلا جوادا، عيّنهُ أبوه أمير المسلمين أبو يوسف بن عبد الحقّ، للضّرب على أحواز مالقة عند الفتنة، فاضطرب المحلة تجاه سهيل، وضيّق على تلك الأحواز، وبرز إليه الجيش لنظر موسى بن رحو من قرابته النّازعين عن إيالة المغرب من بنى رحو. و كان اللقاء، فوقعت به الدّبرة، و انهزم جيشه، و قبض عليه، و سيق إلى السلطان، فتلقاه بالبرّ، و رعى ما لبيته الكبير من الحقّ، و أسكنه مجاورا لقصره بحمرائه، مرّفها عليه، محجوزا عن التصرف، إلى أن كان الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٠٩

ما تلاحق بهذه الحال من وفاة أبيه السلطان أبي يوسف بالجزيرة الخضراء، و تصيّر الأمر إلى ولده السلطان أمير المسلمين أبي يعقوب يوسف. و تجددت الألفه و تأكّدت المودة، و ارتفعت الإحنة، فكان ما هو معروف من التقائهما على تعبئة إجازة ملك المغرب أبي يعقوب البحر على ظاهر مرّبه، و صرف الأمير أبو زيان محبّوا بما يليق به.

حدّثني شيخنا أبو زكريا بن هذيل، رحمه الله، قال: نصب للسلطان أبي يعقوب خباء احتفل في اتخاذه له أمير سبته، فبلغ الغاية التي تستطيعها الملوك، سموّ عماد، و امتداد ظلّ، و انفساح ساحة، إلى إحكام الصّنع، و الإعياء في الرّخف. و قعد فيه السلطان ملك المغرب، و أجلس السلطان أمير المسلمين أبا عبد الله بن الغالب بالله، عن يمينه، و أخاه الأمير أبا زيان عن يساره، و قرأ عشاره المعروف بالوقاد، آية الله في حسن الصّوت، و بعد مدى السّمع، و طيب النّغمه، قوله عزّ و جلّ: يا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَ أَهْلَنَا الضُّرُّ وَ جِئْنَا بِبِضَاعِيهِ مُزْجَاهٍ فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلُ وَ تَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَ أَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أ إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَ هَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَ يَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَ إِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١) قَالَ لَا- تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢). فكان مقاما مبهتا. كان السلطان، رحمه الله، يقول: لشّد ما جنى على عدوّ الله بقحته، و الله لقد كان يشير بيده إلى السلطان و أخيه عند قوله: أنا يوسف و هذا أخي. ثم أجاز للعدوة، فطاح بها لعهد غير بعيد.

و كان الإيقاع بجيش الأمير أبي زيان في أخريات ذي الحجة عام أربعة و ثمانين و ستمائة، فاتصل بذلك موت والد أمير المسلمين أبي يوسف بالخضراء في شهر محرم عام خمسة و ثمانين بعده، و كان لقاء السّيلطانيين بالخضراء في شهر محرم عام خمسة و ثمانين هذه، و كان اللّقاء، كما ذكر، في شهر ربيع الآخر من العام المذكور.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢١٠

و من الطارئين

المطرّف بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية

حاله: كان المطرّف، ولد الخليفة عبد الله أمير المسلمين بالأندلس، شجاعا مقداما، جريّا، صرفه والده الخليفة في الغزوات وقود العساكر، و هو الذي بنى حصن لوشة، و وقم كثيرا من الخوارج على والده.

دخوله غرناطة: قال ابن حيان: غزا المطرّف ببشر بسبب ابن حفصون، إذ كان صالح الأمير عبد الله، و دفع رهينة ابنه، فلما امتحن الطفل وجد غير ابنه، فنهض إليه المطرّف، و كان القائد على العسكر قبله عبد الملك بن أمية، فنهض صحبته، و نازل المطرّف ابن حفصون، فهتك حوزته، و تقدّم إلى بنية كان ابتناها بموضع يعرف باللّويات، فشرع في خرابها، و خرج ابن حفصون و من معه من النّصرانية يدافع عنها، و عن كنيسة كانت بقربها، فغلب ابن حفصون، و هدمت الكنيسة، و قتل في هذه الحرب حفص بن المرّة، قائده و وجوه رجاله، و عند الفراغ من ذلك انصرف المطرّف، فدخل كورة إلبيرة، و بنا لوشة، و تقدّم منها إلى إلبيرة و دخلها، ثم طاف بتلك الجهات و الحصون، ثم انصرف.

ذكر إيقاعه بعبد الملك بن أمية و سبب الإحنة بينه و بين أبيه.

قال : و في هذه الحركة أوقع بعبد الملك بن أمية؛ لما كان في نفسه لصرف والده عن عقد البيعة له و تمزيق العهد في خبر يطول. و كان والده قد أخذ عليه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢١١

الميثاق عند خروجه إلى شذونة ألاً يعرض إليه بمكرهه، و أقسم له بالأيمان، لئن نال منه شيئاً ليعاقبته بمثله، فلما قتله، عقد الوثائق عليه، و أخذ الشهادات فيها بالظلم و الشؤم خوفاً من أبيه، و كتب إليه يعتذر له، و يحكمه في نفسه.

مقتل المطرف: قال : و ظهرت عليه فعال قبيحة، من أذى جيرانه بما أكد غائلة أبيه عليه، و أعان عليه معاوية بن هشام، لما ذكروا أن المطرف كان قد خلا به، فذكروا أنه نزل يوماً عنده بمنزله، و أخذوا في حديث الأبناء، و كان المطرف عقيماً، فدعا معاوية بصبي يكلف به، فجات و برأسه ذؤابتان، فلما نظر إليه المطرف حسده، و قال: يا معاوية، أ تشبه بأبناء الخلفاء في بنيتهم؟ و تناول السيف فحز به الذؤابة، و كان معاوية حيئذ قريش دهاء و مكر، فأظهر الاستحسان لصنعه و انبسط معه في الأناج، و هو مضطغن، فلما خرج كتب إلى الخليفة يسأله اتصاله إليه، فلما أوصله كاشفه في أمر المطرف بما أزعجه، و أقام على ذلك ليلاً أحكم أمره عند الخليفة بلطف حيلته، فأصاب مقتله سهم سعائته. قال ابن الفتيان: بعث الأمير عبد الله إلى دار ولده المطرف عسكرياً للقبض عليه، مع ابن مضر، فقوتل في داره حتى أخذ، و جرى به إليه، فتشاور الوزراء في قتله، فأشار عليه بعضهم أن لا يقتله، و قال بعضهم: إن لم تقتله قتلك، فأمر ابن مضر بصرفه إلى داره، و قتله فيها، و أن يدفنه تحت الزيحانة التي كان يشرب الخمر تحتها، و هو ابن سبع و عشرين و سنة، و ذلك في يوم الأحد ضحى لعشر خلون من رمضان سنة اثنتين و ثمانين و مائتين.

منذر بن يحيى التجيبي

أمير الثغر، المنتزى بعد الجماعة بقاعدة سرقسطة، يكنى أبا الحكم، و يلقب بالحاج المنصور، و ذى الرياستين. حاله: قال أبو مروان : و كان أبو الحكم رجلاً من عرض الجند، و ترقى إلى القيادة آخر دولة ابن أبي عامر، و تنهى أمره في الفتنة إلى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢١٢

الإمارة . و كان أبوه من الفرسان غير التبهاء. فأما ابنه منذر، فكان فارساً نقي الفروسية، خارجاً عن مدى الجهل، يتمسك بطرف من الكتابة الساذجة. و كان على غدره، كريماً، و هب قصاده مالا عظيماً، فوفدوا عليه، و عمرت لذلك حضرته سرقسطة، فحسنت أيامه، و هتف المداح بذكره.

و فيه يقول أبو عمرو بن دراج القسطلي قصيدته المشهورة، حين صرف إليه وجهه، و قدم عليه في سنة ثمان و عشرين و أربعمئة :

[الكامل]

بشراك من طول الترحل و السرى صبح بروح السفر لاح فأسفرا
من حاجب الشمس الذي حجب الدجى فجرا بأنهار الدرى متفجرا
نادى بحى على الندى ثم اعتلى سبل العفاة مهلاً و مكبرا
لبيك أسمعنا نداك و دونانوء الكواكب مخويا أو مطرا
من كل طارق ليل هم ينتحى وجهى بوجه من لقائك أزها
سار ليعدل عن سمائك أنجمى و قد ازدهاها عن سناك محيرا
فكأنما أعدته أسباب النوى قدرا لبعدى عن يديك مقدرا

أو غار من هممي فأنحي شأوها فللك البروج مغرّبا و مغوّرا
حتى علقت التّيرين فأعلقامشني يدي ملك الملوك التّيرا
فسريت في حرم الأهلّة مظلموا و رفلت في خلع السّموم مهجّرا
و شعبت أفلاذ الفؤاد و لم أكدفحذوت من حذو الثّريا منظرا
ستّ تسرّاها الجلاء مغرّباو حدا بها حادي التّجاء مشمّرا
لا يستفيق الصّبح منها ما بدافلقا و لا جدى الفراقدا ما سرى
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢١٣ ظعن ألفن القفر في غول الدّجى و تركن مألوف المعاهد مقفرا
يطلبين لّج البحر حيث تقاذفت أمواجه و البرّ حيث تنكّرا
هيم و ما يبيغين دونك موردا أبدا و لا عن بحر جودك مصدرا
من كلّ نضو الآل محبوبك المنى يزجيه نحوك كلّ محبوبك القرا
بدن فدت مئا دماء نحوها بيبغائها في كلّ أفق منحرا
نحرت بنا صدر الدّبور فأنبطت فلق المضاجع تحت جوّ أكذرا
و صببت إلى نحو الصّبا فاستخلصت سكن الليالي و التّهار المبصرا
خصوص نفخن بنا البرى حتى انثنت أشلاؤهن كمثّل أنصاف البرا
ندرت لنا أن لا تلاقى راحة مما تلاقى أو تلاقى منذرا
و تقاسمت أن لا تسبغ حياتها دون ابن يحيى أو تموت فتعذرا
لله أى أهله بلغت بنا يميناك يا بدر السماء المقمرا
بل أى غصن في ذراك هصرته فجرى فأورق في يديك و أثمررا
فلئن صفا ماء الحياة لديك لى فيما شرقت إليك بالماء الصّرى
و لئن خلعت على بردا أخضرا فلقد لبست إليك عيشا أغبرا
و لئن مددت على ظلّا باردا فلکم صليت إليك جوّا مسعرا
و كفى لمن جعل الحياة بضاعه و رأى رضاك بها رخيصا فاشترى
فمن المبلّغ عن غريب نازح قلبا يكاد على أن يتفطّرا
لهفان لا يرتدّ طرف جفونه إلّا تذكّر عبرتى فاستعبرا
أ بنى، لا تذهب بنفسك حسره عن غول رحلى منجدا أو مغورا
فلئن تركت الليل فوقى داجيا فلقد لقيت الصّبح بعدك أزهررا
و لقد وردت مياه مأرب حفّلا و أسمت خيلى وسط جئّه عبقرا
و نظمت للغيد الحسان فلاندا من تاج كسرى ذى البهاء و قيصررا
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢١٤ و حللت أرضا بدلت حصبا وهاذها يرفّ لناظرى و جوهررا
و ليعلم الأملاك أنى بعدهم ألفت كلّ الصّيد فى جوف الفرا
و رمى على رداءه من دونهم ملك تخيّر للعلا فتخيّرا
ضربوا قداحهم على ففاز بى من كان بالقدح المعلى أجدررا
من فكّ طرفى من تكاليف الفلاو أجار طرفى من تباريح الشرى

و كفى عتابي من الألام معذراو تدممي ممن تجمل معذرا
و مسائل عني الرفاق و ودهلو تنبذ الساحات رحلي بالعرا
و بقيت في لجاج الأسي متضللاو عدلت عن سبل الهدى متخيرا
كلّا و قد آنست من هود هدى و لقيت يعرب في القيول و حميرا
و أصبت في سبيا مورث ملكه يسبي الملوك و لا يدب لها الضرا
فكأنما تابعت تبع رافعاأعلامه ملكا يدين له الوري
و الحارث الجفني ممنوع الحمي بالخيل و الآساد مبذول القرى
و حططت رحلي بين ناري حاتم أيام يقري موسرا أو معسرا
و لقيت زيد الخيل تحت عجاجة تكسو غلائلها الجياد الضمرا
و عقدت في يمن موثق ذمة مشدودة الأسباب موثقة العرى
و أتيت بحدل و هو يرفع منبر اللدين و الدنيا و يخفض منبرا
و حططت بين جفانها و جفونها حرما أبت حرماته أن تخفرا
تلك البحور تتابعت و خلفتها سعيا فكنت الجواهر المتخيرا
و لقد نموك ولادة و سيادة و كسوك عزّا و ابتنوا لك مفخرا
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢١٥ فممرت بالأمال أكرم أكرم ملكا ورثت علاه أكبر أكبرا
و شمائل عقبته بها سبل الهدى و ذرت على الآفاق مسكا أذفرا
أهدى إلى شغف القلوب من الهوى و ألد في الأجفان من طعم الكرى
و مشاهد لك لم تكن أيامها ظنا يريب و لا حديثا يفترى
لاقيت فيها الموت أسود أدهما فذعرته بالسيف أبيض أحمر
و لو اجتلي في زى قرنك معلما لركته تحت العجاج معفرا
يا من تكبر بالتكرم قدره حتى تكرم أن يرى متكبرا
و المنذر الأعداء بالبشرى لنا صدقت صفاتك منذرا و مبشرا
ما صور الإيمان في قلب امرئ حتى يراك الله فيه مصورا
فارفع لها علم الهدى فلمثلها رفعتك أعلام السيادة في الذرى
و انصر نصرت من السماء فإنما ناسبت أنصار النبي لتنصرا
و اسلم و لا وجدوا لجوك منسافي النائبات و لا لبحرك معبرا
سيرته: قال : و ساس لأول ولايته عظيم الفرنجة ، فحفظت أطرافه، و بلغ من استمالته طوائف النصرانية، أن جرى على يديه بحضرته
عقد مصاهرة بعضهم ، فقرفته الألسنة لسعيه في نظام سلك النصارى. و عمر به الثغر إلى أن ألوت به المتيه.
و قد اعترف له الناس بالرأى و السياسة.

كتابه: و استكتب عدة كتاب كابن مدور، و ابن أزرق، و ابن واجب، و غيرهم.
و صوله إلى غرناطة: وصل غرناطة صحبة الأمير المرتضى الآتي ذكره، و كان ممن انهزم بانهزامه. و ذكروا أنه مرّ بسليمان بن هود، و
هو مثبت للإفرنج الذين كانوا في المحلة لا يريم موقفه، فصاح به النجاة: يا ابن الفاعلة، فلست أفف عليك، فقال له سليمان: جئت و
الله بها صلعا، و فضحت أهل الأندلس، ثم انقلع وراءه.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢١٦

وفاته: و كانت على يدى رجل من أبناء عمّه يدعى عبد الله بن حكم، كان مقدّما فى قوّاده، أضمر غدره، فدخل عليه، و هو غافل فى غلاله، ليس عنده إلّا نفر من خواصّ خدمه الصّقلب، قد أكبّ على كتاب يقرؤه، فعلاه بسكين أجهز به عليه.
و أجفل الخدم إلّا شهيم منهم أكبّ عليه فمات معه. و ملك سرقسطه، و تمسك بها أياما، ثم فرّ عنها، و ملكها ابن هود. و كان الإيقاع به غرة ذى حجة سنة ثلاثين و أربعمائه، رحمه الله عليه.

موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى ابن يغمراسن بن زيان

الأمير بتلمسان، يكنى أبا حمّو.

أوليته: أوليته معروفة تنظر فيما سلف من الأسماء.

حاله: هذا السلطان مجمع على حزمه، و ضمّه لأطراف ملكه، و اضطلاع به بأعباء ملك و طنه، و صبره لدولة قومه، و طلوعه بسعادة قبيله. عاقل، حازم، حصيف، ثابت الجأش، و قور مهيب، جماعه للمال، مباشر للأمر، هاجر للذات، يقظ، متشمّر. قام بالأمر غرة ربيع الأول فى عام ستين، مرتاش الجناح بالأحلاف من عرب القبلة، معولا عليهم عند قصد عدوّه، و حلب ضرع الجباية، فأثرى بيت ماله، و نبهت دولته، و اتقته جيرته، فهو اليوم ممن يشار إليه بالسداد.

أدبه و شعره: و وجه لهذا العهد فى جملة هدايا و دية، و مقاصد سنية، نسخة من كتابه المسمى ب «واسطه السيلوك»، فى سياسة الملوك، افتتحه بقوله:

«الحمد لله الذى جعل نعمته على الخلق، بما ألفتهم عليه من الحقّ، شاملة شائعة، و يسّر طوائف من عباده لليسرى فأنت إليها مساعدة مسارعة، و حصّهم على الأخذ بالحسنى و لا أحسن من نفوس أرشدت فأقبلت لإرثها طالبة و لرّبها طائعة، و لا أسمى من همم نظرت بحسن السياسة فى تدبير الرياسة التى هى لأشتات الملك

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢١٧

جامعه، و لأسباب الملك مانعه، و أظهرت من معادنها درر الحكم و غرر الكلم لائحة لامعه، فاجتلت أقمارها طالعه، و اجتنت أزهارها يانعه. و صلى الله على سيدنا محمد الكريم المبعوث بالآيات الينيات ساطية ساطعه، و المعجزات المعجمات قاصمة لظهور الجاحدين قاطعه، الذى زويت له الأرض فتدانت أفكارها و هى نايبة شاسعة، و اشتاقت له المياه فبرزت بين أصابعه يانعه، و امثلت السحاب أمره فسح باستسقائه دررا هامية هامة، و حنّ الجذع له و كان حينه لهذه الآيات الثلاث آية رابعة، إلى ما لا يحصى مما أتت به متواترات الأخبار و صيحات الآثار ناصرة لنبوته ساطعه، صلى الله عليه و على آله و صحبه و عترته التى أجابت داعى الله خاشية خاشعه، و أذعنت لأوامر رسول الله صلى الله عليه و سلم فكانت من الاستبداد خالية و للأنداد خالعه، صلاة ديمتها دائمة متتابعة، و سلم كثيرا».

جمع فيه الكثير من أخبار الملوك و سيرهم، و خصّ به ولده و ولّى عهده، فجاء مجموعا يستظرف من مثله، و يدلّ على مكانه من الأدب و محلّه.

و ثبت فيه الكثير من شعره، فمن ذلك قصيدة أجاب فيها أحد رؤوس القبائل، و قد طلب منه الرجوع إلى طاعته، و الانتظام فى سلك جماعته، و هى:

[الطويل] الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ٣؛ ص ٢١٧

تذكرت أطلال الربوع الطواسم و ما قد مضى من عهدها المتقادم

وقفت بها من بعد بعد أنيسها بصبر مناف أو بشوق ملازم

تهيم بمغناهم و تندب ربهم و أى فؤاد بعدهم غير هائم؟

تحنّ إلى سلمى و من سكن الحمى و ما حبّ سلمى للفتى بمسالم
فلا تندب الأطلال و اسل عن الهوى و لا تقل في تذكّار تلك المعالم
فإن الهوى لا يستفرّ ذوى النهى و لا يستبى إلّا الضّعيف العزائم
صبور على البلوى طهور من الهوى قريب من التقوى بعيد المآثم
و من يبغ درك المعلوات و نيلها يساق بخلق الشّهد مرّ العلاقم
و لائمة لما ركبنا إلى العلابحار الردى فى لجّها المتلاحم
تقول يا شفاق: أنتسى هوى الدّماو تنثر درّا من دموع سواجم؟
إليك فإنّا لا يرّد اعتزامنا مقالة باك أو ملامة لائم
ألم تدر أنّ اللوم لوم و أننا لنجتنب اللوم اجتناب المحارم؟
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢١٨ فما بسوى العلياء همنا جلاله إذا هام قوم بالحسان النّواعم
بروق السيوف المشرفيات و القنأحبّ إلينا من بروق المباسم
و أمّا صميل السّابحات لذى الوغى فأشجى لدينا من غناء الحمام
و أحسن من قدّ الفتاة و خدّها قدود العوالى أو حدود الصوارم
إذا نحن جرّدنا الصوارم لم تعد إلى غمدها إلّا بجزّ الغلاصم
نواصل بين الهندوانى الطّلاء بتفريق ما بين الطّلى و الجمائم
فيرغب منّا السّلم كلّ محارب و يرهب منّا الحرب كلّ مسالم
نقود إلى الهيجاء كلّ مضمر و نقدم إقدام الأسود الضّراغم
و ما كلّ من قاد الجيوش إلى العدايعود إلى أوطانه بالغنائم
و ننصر مظلوما و نمنع ظالما إذا شيك مظلوم بشوكة ظالم
و يأوى إلينا المستجير و يلتجى و يحميه منّا كلّ ليت ضبارم
ألم تر إذ جاء السّبيعى قاصدا إلى بابنا يبغى التماس المكارم؟
و ذلك لما أن جفاه صحابه و كلّ خليل وده غير دائم
و أزمع إرسالنا رسالة يا خلاص و دّ واجب غير واجم
و كان رأى أنّ المهامه بيننا فخلّى لذات الخفّ ذات المناسم
و قال ألا سل من عليم مجرّب أبثّ له ما تحت طىّ الحيازم
فيبلغ عنه الآن خير رسالة تؤدّى إلى خير الملوك الأعظم
على ناقة و جناء كالخرف ضامر تخيرها بين القلاص الرّواسم
من اللائى يظلمن الظلم إذا عدى و يشبهه فى جيده و القوائم
إذا أتلت فوق السّحاب جوابها تخيلتها بعض السحاب الرّواكم
و إن هملجت بالسّير فى وسط مهمه نزلت كمثل البرق لاح لشائم
و لم يأمن الخلّان بعد اختلالهم فأمسى و فى أكبادها أىّ جاحم
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢١٩ فقالوا فحملها الحمام قال لالبعد المدى أو خوف صيد الحمام
و ما القصد إلّا فى الوصول بسرعة فقالوا: فحملها أكفّ النواسم

فقال: لنعم المرسلات و إنمائها ألسن مشهورة بالتّمائم
فلم يلف فيها للأمانة موضعاو كلّ امرئ للسّر ليس بكتام
فحيثئذ وافى إلينا بنفسه فكان لدينا خير واف و قادم
يجوب إلى البيداء قصدا و بشرنا يضىء له الظّلماء فى كلّ عاتم
طلاب العلا تسرى مع الوحش فى الفلاو يصحب منها كلّ باغ و باغم
على سلهب ذى صورتين مطعم من المغربات الصّافنات الصّلام
إذا شاء أى الوحش أدركه به فتحسبه فى اليد بعض التّعائم
و يقدمه طوعا إلينا رجاؤه حمايتنا إياه من كلّ ظالم
ألا أيها الآتى لظلّ حناننازلت برحب فى عراض المكارم
و قوبلت منّا بالذى أنت أهله و فاض عليك الجود فيض الغمائم
كذا دأبنا للقادمين محلناحمى و ندى ينسى به جود حاتم
و هذا جواب عن نظامك إننابعثنا به كاللؤلؤ المتناظم
و نحن ذوو التيجان من آل حمير لعمر ك من التيجان غير العمائم
بهمتنا العليا سمونا إلى العلاو كم دون إدراك العلا من ملاحم
شددنا لها أزرا و شدنا بناءهاو كم مكثت دهرا بغير دعائم
نظمنا شتيت المجد بعد افتراقه و كم بات نهبا شمله دون ناظم
و رضنا جياذ الملك بعد جماحها فذلت و قد كانت صعب الشكائم
مناقب زياتية موسوية يذلّ لها عزّ الملوك القماقم
يقصّر عن إدراكها كلّ مبتغ و يعجز عن إحصائها كلّ ناظم
فله منّا الحمد و الشكر دائماو صلّى على المختار من آل هاشم
و نختصكم منّا السلام الأثير ماتضحك روض عن بكاء الغمائم
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٢٠

قلت: و لَمّا تعرّفت كلفه بالأدب و الإمام بمجاورته، عزمت على لقائه، و تشوّقت عند العزم على الرّحلة الحجازية، إلى زيارته، و
لذلك كنت أخاطبه بكلمة منها: [الطويل]

على قدر قد جئت قومك يا موسى فجئت بك التّعمى و زالت بك البوسى
فحالت دون ذلك الأحوال، و هو بحاله الموصوفة إلى هذا العهد، و فقه الله، و سائر من تولّى أمرا من أمور المسلمين.

و جرى ذكره فى رجز الدول من نظمي: [الرجز]

بادرها المفدى الهمام موسى فأذهب الرحمن عنها البوسى

جدد فيها الملك لَمّا أخلقوا بعث السّعد و قد كان لقا

و رتب الرّتب و الرّسوماو أطلع الشّمس و النّجوم

و احتجن المال بها و العدهو هو بها باق لهذى المدّة

ولادته: ولد بمدينه غرناطة حسبما وقعت عليه بخط الثّقة من ناسه، فى أول عام ثلاثه و عشرين و سبعمائة .

مبارك و مظفر الأ미ران موليا المنصور بن أبي عامر

حاليهما: قال أبو مروان: ترقيا إلى تملك بلنسية من وكالة الساقية، و ظهر من سياستها و تعاوضهما صحه الألفه طول حياتهما، ما فاتا به في معانها أشقاء الأخواه و عشاق الأحياء، إذ نزلا معا بقصر الإمارة مختلطين، تجمعهما مائدة واحدة من غير تميز في شيء، إلا الحرم خاصية. و كان التقدّم لمبارك في المخاطبة، و حفظ رسوم الإمارة، أفضل صرامه و ذكرا، قصر عنهما مظفر، لدماثة خلقه، و انحطاطه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٢١

لصاحبه في سائر أمره، على نحلته بكتابة ساذجة و فروسه، فبلغا الغاية من اقتناء الأسلحة و الآلات الملوكية، و الخيل المغربات، و نفيس الحلبي و الحللي، و إشادة البناء للقصور. و اشتمل هذا الرأي على جميع أصحابهما، و من تعلق بهما من وزرائهما و كتابهما، و لم يعرض لهما عارض إنفاق بتلك الآفاق، فانغمسا في النعيم إلى قمم رؤوسهما حتى انقضى أمرهما.

قال: و كان موت مبارك أنه ركب يوما من قصر بلنسية، و قد تعرض أهلها مستغيثين من مال افترضه عليهم، فقال لهم: إن كنت لا أريد إنفاقه فيما يعم المسلمين نفعه فلا- تؤخر عقوبتي يومي هذا. و ركب إثر ذلك، فلما أتى القنطرة، و كانت من خشب، خرجت رجل فرسه من حدها فرمى به أسفلها، و اعترضته خشبة ناتئة شرخت وجهه، و سقط الفرس عليه، ففاضت نفسه، و كفاهم الله أمره يومئذ.

و في مبارك و مظفر يقول أبو عمرو بن دراج القسطلي، رحمه الله: [الطويل]

أنورك أم أوقدت بالليل نارك لباغ قراك أو لباغ جوارك؟

و رياك أم عرف المجامر أشعلت بعود الكباء و الألوّة نارك؟

و مبسمك الوضاح أم ضوء بارق حداه دعائي أن وجود ديارك؟

و خلخالك استنضيت أم قمر بدا؟ و شمس تبدت أم ألحت سوارك؟

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٢٢ و طرة صبح أم جينك سافرا أعت الصباح نوره أم أعارك؟

و أنت هجرت الليل إذ هزم الضحي كتابه و الصبح لما استجارك

فللصبح فيما بين قرطيك مطلع و قد سكن الليل البهيم خمارك

فيا لنهار لا يغيض ظلامه و يا لظلام لا يغيض نهارك

و نجم الثريا أم لآل تقسّمت يمينك إذ ضمّختها أم يسارك؟

لسلطان حسن في بديع محاسن يصيد القلوب التافرات نفارك

و جند غرام في دروع صباة تقلدن أقدار الهوى و اقتدارك

هو الملك لا بليقيس أدرك شأوهامداك و لا الزبّاء شقت غبارك

و قادحة الجوزاء راعيت موهنا بحرّ هواك أم ترسّمت دارك؟

و طيفك أسرى فاستثار تشوّقي إلى العهد أم شوقي إليك استثارك؟

و موقد أنفاسي إليك استطارني أم الزّوج لما ردّني استطارك؟

فكم جزت من بحر إلى و مهمه يكاد ينسى المستهام اذكارك

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٢٣ أذو الحظ من علم الكتاب حداك لي؟ أم الفلك الدّوار نحوى أدارك؟

و كيف كتمت الليل وجهك مظلما أشعرك أعشيت السنّا أم شعارك؟

و كيف اعتسفت البيد لا في طعائن و لا شجر الخطي حفّ شجارك ؟
و لا أذن الحيّ الجميع برحلة أراح لها راعي المخاض عشارك
و لا أرزمت خوص المهاري مجيبة صهيل جياذ يكتنفن قطارك
و لا أذكت الركب ان عنك عيونها حذار عيون لا ينمن حذارك
و كيف رضيت الليل ملبس طارق و ما ذرّ قرن الشمس إلّا استنارك؟
و كم دون رحلى من بروج مشيدة تحرم من قرب المزار مزارك
و قد زارت حولي أسود تهاومت لها الأسد أن كفى عن السمع زارك
و أرضى سيول من خيول مظفرو ليلي نجوم من سماء مبارك
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٢٤ بحيث وجدت الأمن يهتف بالمنى هلمى إلى عينين جادا سرارك
هلمى إلى بحرین قد مرج الندى عبايهما لا يسأمان انتظارك
هلمى إلى سيفين و الحدّ واحد يجيران من صرف الحوادث جارك
هلمى إلى طرفى رهان تقدما إلى الأمد الجالى عليك اختيارك
هلمى إلى قطبي نجوم كتائب تنادى نجوم التمس غورى مغارك
و حبي على دوحين جاد نداهما ظلالك و استدنى إليك ثمارك
و بشراك قد فازت قداحك بالعلا و أعطيت من هذا الأنام خيارك
شريكان فى صدق المنى و كلاهما إذا قارن الأقران غير مشارك
هما سمعا دعواك يا دعوة الهدى و قد أوثق الدهر الخون إسارك
و سلا سيوفا لم تزل تلتظى أسى بئارك حتى أدركا لك ثارك
و يهنيك يا دار الخلافة منهما هلالان لاحا يرفعان منارك
كلا القمرين بين عينيه غرة أنارت كسوفيك و جلّت سرارك
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٢٥ فقاد إليك الخيل شعنا شوازيابلين بالنصر العزيز انتصارك
سوابق هيجاء كأنّ صهيلها يجاب تحت الخافقات شعارك
بكلّ سرى العتق سرى عن الهدى و كل حمى الأنف أحمى ذمارك
تحلوا من المنصور نصرا و غرة فأبلوك فى يوم البلاء اختيارك
إذا انتسبوا يوم الطعان لعامر فعمرك يا هام العدى لا عمارك!
يقودهم منهم سراجا كتائب يقولان للدنيا: أجدى افتخارك
إذا افترت الرايات عن غرتيهما فى العدى أضللت منهم فرارك
و إن أشرق النادى بنور سناهما بشرى الأمانى: عينك لا ضمارك
و كم كسفا من كربة بعد كربة تقول لها النيران: كفى أوارك
و كم لبيا من دعوة و تدار كاشفى رمق ما كان بالمتدارك
و يا نفس غاو، كم أقرأ نفارك و يا رجل هاو، كم أقالا عثارك
و لست ببدع حين قلت لهمتى ألقى لإعتاب الزمان انتظارك
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٢٦ فله صدق العزم أية غرة إذا لم تطيعى فى «لعل» اغترارك

فإن غالت البيد اصطبارك و السرى فما غال ضيم الكاشحين اصطبارك
 و يا خلّة التسويف، قومي فأغدفي قناعك من دوني و شدّي إزارك
 و حسبك بي يا خلّة الناي خاطرى بنفسى إلى الحظّ النفيس حطارك
 فقد آن إعطاء التوى صفقه الهوى و قولك للأيام: جورى مجارك
 و يا ستر البيض التواعم، أعلنى إلى اليغمات و الرّحال بدارك
 نواجى و استودعتهنّ نواجياحفاظك يا هذى بذى و ازدهارك
 و دونك أفلاذ الفؤاد فشمرى و دونك يا عين اللبيب اعتبارك
 صرفت الكرى عنها بمغتبك السرى و قلت: أديرى و النجوم عقارك
 فإن وجبت للمغربين جنوبها فداوى بقرق السراب خمارك
 فأورى بزنى سدفة و دجنّه إذا كانتا لى مرخك و عفارك

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٢٧ و إن خلع الليل الأصائل فاخلى إلى الملكين الأكرمين عذارك
 بلنسيه مثنى الأمانى فاطلبى كنوزك فى أقطارها و ادخارك
 سينيكي زجرى عن بلاء نسيته إذا أصبحت تلك القصور قصارك
 و أظفر سعى بالرضا من مظفرو بورك لى فى حسن رأى مبارك
 قصى المنى قد شام بارقه الحيا و أنشقت يا ظئر الرّجاء حوارك
 و حمدا يمينى قد تملأت بالمنى و شكرا يسارى قد حويت يسارك
 و قل لسماء المزن: إن شئت أقلعى و يا أرضها إن شئت غيضى بحارك
 و لا توحشى يا دوله العزّ و المنى مساءك من نوريهما و ابتكارك
 وصولهما إلى غرناطة: و صلا مع أمثالهما من أمراء الشرق صحبه المرتضى، و كان من انهزام الجميع بظاها، و إيقاع الصناهجه بهم
 ما هو معلوم حسبما مرّ و يأتى بحول الله.
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٢٨

و من ترجمه الأعيان و الوزراء بل و من ترجمه الطارئين و الغرباء منها

منصور بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محبو

يكنى أبا على.

أوليته: معروفه، قد مرّت عند ذكر إخوته و قومه.

حاله: كان، رحمه الله، فتى القوم، لسنا، مفوها، مدركا، متعاطيا للأدب و التاريخ، مخالطا للنبله، متسورا خلق العلماء، غزلا، كلفا
 بالدعابه، طرفه من طرف أهل بيته، قوى الشكيمه، جوادا بما فى وسعه، متناها فى البدانه. دخل غرناطة فى الجملة من إخوانه و بنى
 عمه، مغربين عن مقرّ الملوك بالمغرب، و أقام بها إلى شهر ربيع الأول من عام ثلاثه و ستين و سبعمائه. و ركب البحر فى الخامس و
 العشرين منه، عندما لحق أخوه عبد الحكيم بالمغرب. و بايعه الناس، و لاحت له بارقه لم تكد تقدر حتى خبت، فبادر إلى مظاهرتة فى
 جفن غزوى من أسطول الأندلس، و صحبه قوم ممن يخطب الخطط، و يتندر رفق الدول، و هال عليهم البحر، فطرح الجفن بأحواز
 غشاسه، و قد عادتها ملكه عدوهم، فتقبض عليه، و أدخل مدينة فاس فى الثانى لربيع الآخر من العام، مشهور المركب على الظهر،

يضرب بين يديه طبل للشهرة، و ناقور المثلة، و أجلس بين يدي السلطان، فأبلى بما راق الحاضرين من بيانه من العذر للخروج بالاستمالة حتى لرجى خلاصه، و استقرّ مثقفاً تتعلّق به الأراجيف، و يحوم حول مطرحة الاختبار إلى حين وفاته. شعره: أنشدني الفقيه الأديب أبو بكر بن أبي القاسم بن قطبة من شعره، و كان صاحبه في الرحلة، و مزامله في أسطول المنحسة، و ذلك قوله: [مخلع البسيط]

سوف ننال المنى و نرقى مراقى العزّ و المعالى

إذا حططنا بأرض فاس و حكمت في العدى العوالى

فأنت عندى بها حقيق يا حائز الفضل و الكمال

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٢٩

وفاته: فى وسط جمادى الأولى من العام ، دخل عليه فى بيت معتقله فقتل، و دفن ببعض مدافنهم، رحمه الله عليه.

مقاتل بن عطية البرزالي

يكنى أبا حرب، و قال فيه أبو القاسم الغافقى: من أهل غرناطة، و يلقب بذي الوزارتين، و يعرف بالرّية لحمرة كانت فى وجهه. حاله: كان من الفرسان الشجعان، لا يصطلى بناره، و كان معه من قومه نحو من ثلاث مائة فارس من بنى برزال. و ولّاه الأمير عبد الله بن بلقين بن باديس مدينة أليسانة، و التقى به ابن عباد و أخذ بمخنقتها، و كان عبد الله يحذره. و عندما تحقّق حركة اللّمتونيين إليه، صرفه عن جهته، فقلّ لذلك ناصره، و أسرع ذهاب أمره.

شجاعته: قال: و حضر مقاتل مع عبد الله بن بلقين، أمير غرناطة، و قيعه النّيبلى فى صدر سنة ثمان و سبعين و أربعمائة، فأبلى فيها بلاء عظيماً، و جرح و وجهه، و مزّق درعه بالطّعن و الضّرب. و ذكر من حضرها و نجا منها، قال: كنت قد سقط الرمح من يدي و لم أشعر، و حملت الترس و لم أعلم به، و حملنى الله إلى طريق منجاة فركبها، مرّة أقع و مرّة أقوم، فأدركت فارساً على فرس أدهم و رمحه على عاتقه، و درفته على فخذ، و درعه مهتكة بالطّعن، و به جرح فى وجهه يشعب دما تحت مغفره، و هو مع ذلك ينهض على رسله، فرجعت إلى نفسى فوجدت ثقلاً، فتذكرت الترس، فأخرجت حمالته عن عاتقى، و ألقيته عنى، فوجدت خفة، و عدت إلى العدو، فصاح ذلك الفارس: خذ الترس، قلت: لا حاجة لى به، فقال: خذه، فتركته و وليت مسرعاً، فهمز فرسه و وضع سنان رمحه بين كتفى، و قال: خذ الترس، و إلّا أخرجته بين كتفيك فى صدرك، فرأيت الموت الذى فررت منه، و رجعت إلى الترس فأخذته، و أنا أدعو عليه، و أسرع عدوا، فقال لى: «على ما كنت فليكن عدوك»، فاستعدت

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٣٠

و قلت: ما بعثه الله إلّا لهلاكى، و إذا قطعته من خيل الروم قد بصرت به، فوقع فى نفسه أنه يسرع الجرى فيسلم و أقتل، فلمّا ضاق الطلق ما بينه و بين أقربهم منه، عطف عليه كالعقاب، و طعنه ففطره، و تخلّص الرمح منه، ثم حمل على آخر فطعنه، و مال على الثالث فانهزم منه، فرجع إلىّ، و قد بهت من فعله، و رشاش دم الجرح يتطاير من قناع المغفر لشدة نفسه، و قال لى: يا فاعل، يا صانع، أتلقى الرمح و معك مقاتل الرّية؟

انتهى اختصار السفر الثامن و الحمد لله رب العالمين يتلوه فى اختصار التاسع بعده و من ترجمة القضاة مؤمل بن رجا بن عكرمة بن رجا العقيلي من البيرة*** و من السفر التاسع من ترجمة القضاة

مؤمل بن رجا بن عكرمة بن رجا العقيلي

من إلبيرة.

حاله: كان شيخاً مضعوفاً يغلب عليه البله، من أهل التّعين والحسب والأصالة، عريقاً في القضاء، قاض ابن قاض ابن قاض. ولّى قضاء إلبيرة للأمير محمد.

من حكاياته: رفعت إليه امرأه كتاب صداقها، فقال: الصّدّاق مفسوخ، و أنتما على حرام، فافترقا، فزق الله بينكما. ثم رمى بالصّدّاق إلى من حوله، وقال: عجباً لمن يدّعى فقهاً ولا يعلمه، أو يزعم أنه يوثق ولا يتقنه، مثل أبي فلان وهو في المجلس يكتب هذا الصّدّاق، وهو مفسوخ، ما أحقّه أن يغزّم ما فيه. فدار الصّدّاق على يدي كل من حضر، وكل يقول: ما أرى موضع فسوخ، فقال: أنتم أجهل من كاتبه، لكنني أعذرکم؛ لأن كل واحد منكم يستر على صاحبه خطأه، انظروا و أمنحکم اليوم، فنظروا فلم يجدوا شيئاً يوجب فسوخاً. فدنا منه محمد بن فطيس الفقيه، فقال: أصلح الله القاضي، إن الله منحك من العلم والفهم ما نحن مقرون بالعجز عنه، فأفدنا هذه الفائدة، فقال: ادن، فدنا منه، فقال: أو ليس في الصّدّاق:

«و لا يمنعها زيارة ذوى محارمها، و لا يمنعهم زيارتها بالمعروف»؟ و لو لا معرفتى بمحبّتك ما أعلمتک. فشكره الشيخ، و أخذ بطرف لحيته يجرّه إليه حتى قبلها، و كان عظيم اللحية طويلها، شيمه أهل هذه الطّبقة. قال ابن فطيس: أنا المخصوص بالفائدة، و لا أعرف بها إلّا من تأذن بتعريفه إياها، فتبسّم القاضي معجباً بما رأى،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٣١

و شفّعوا إليه أن لا يفسخ الصّدّاق، و قيل للزوجين: لا تطلبا به عنده شيئاً. و ولّى قضاء جيان.

و من الطارئين و الغرباء

المهلب بن أحمد بن أبي صفرة الأسدی

من أهل المرية، يكنى أبا القاسم.

حاله: كان من أدهى الناس و أفصحهم، و من أهل التّعين و العناية التامة، و استقضى بالمرية.

مشيخته: سمع من أبي محمد الأصبهاني، و رحل و روى عن أبي ذرّ الهروي.

تواليفه: ألف كتاباً في «شرح البخاري»، أخذه الناس عنه.

وفاته: توفي سنة ست و ثلاثين و أربعمائه، و قيل سنة ...

و من ترجمة الكتاب و الشعراء و هم الأصليون

مالك بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن الفرّج ابن أزرق بن سعد بن سالم بن الفرّج

المنزل بوادي الحجاره بمدينة الفرّج المنسوبة إليه الآن.

قال ابن عبد الملك: كذا كتب لي بخطه بسبته، و هو مصمودى ثم شصّادى مولى بنى مخزوم، مالقى، سكن سبته طويلاً ثم مدينة فاس، ثم عاد إلى سبته مرة أخرى، و بأخرة فاس، يكنى أبا الحكم و أبا المجد، و الأولى أشهر، و يعرف بابن المرّحل، و وصف جرى على جدّه علي بن عبد الرحمن لمّا رحل من شتتريّة، حين إسلامها للروم عام خمس و ستين و خمسمائة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٣٢

حاله: قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: شاعر رقيق مطبوع، متقدّم، سريع البديهة، رشيق الأغراض، ذاكر للأدب و اللغة. تحرّف مدّة

بصناعة التوثيق ببلده، وولى القضاء مرات بجهات غرناطة وغيرها. وكان حسن الكتابة إذا كتب، والشعر أغلب عليه. وذكره ابن خلد، وابن عبد الملك، فأما ابن عبد الملك، فلم يستوف له ما استوفى لغيره، وأما ابن خلد، فقصر به، إذ قال: كانت نشأته بمالقة بلده، وقرارة مولده في ناسها ووسط أجناسها، لم يتميز بحسب، ولم يتقدم في ميدان نسب، وإنما أنهضه أدبه وشعره، وعوضه بالظهور من الخمول نظمه ونثره، فطلع في جبين زمانه غرة منيرة، ونصع في سلك فصحاء أوانه درة خطيرة، وحاز من جيله رتبة التقديم، وامتاز في رعيه بإدراك كل معنى وسيم. والإنصاف فيه ما ثبت لى في بعض التقييدات، وهو الشيخ المسن المعمر الفقيه، شاعر المغرب، وأديب صقعه، وحامل الزاية، المعلم بالشهرة، المثل في الإكثار، الجامع بين سهولة اللفظ، وسلاسة المعنى، وإفادة التوليد، وإحكام الاختراع، وانقياد القريحة، واسترسال الطبع، والنفاذ في الأغراض. استعان على ذلك بالعلم، بالمقاصد اللسانية لغه وبيانا وعربية وعروضا، وحفظا واضطلاحا، إلى نفوذ الذهن، وشدّة الإدراك، وقوة العارضة، والتبريز في ميدان اللوذعية، والقحة والمجانة، المؤيد ذلك بخفة الروح، وذكاء الطبع، وحرارة النادرة، وحلاوة الدعابة، يقوم على الأغرّة والأخبار، ويشارك في الفقه، ويتقدم في حفظ اللغة، ويقوم على الفرائض. وتولى القضاء.

وكتب عن الأمراء، وخدم واسترفد، وكان مقصودا من رواة العلم والشعر، وطلب الملح، وملتسى الفوائد، لسعة الذرع وانفساح المعرفة، وعلو السن، وطيب المجالسة، مهيا مخطوب السّلامه، مرهوبا على الأعراض، في شذقه شفرته و ناره، فلا يتعرض إليه أحد بنقد، أو أشار إلى فنائه بغمز، إلا وناط به آبد، تركته في المثالات، ولذلك بخس وزنه، واقتحم حماه، وساءت بمحاسنه القالة، رحمه الله وتجاوز عنه.

مشيخته: تلا بالسبع على أبي جعفر بن علي الفخار، وأخذ عنه بمالقة وعن غيره. وصحب و جالس من أهلها أبا بكر عبد الرحمن بن علي بن دحمان، وأبا عبد الله الإستجى، وابن عسكر، وأبا عمرو بن سالم، وأبا النعيم رضوان بن خالد، وانتفع بهم في الطريقة، و بفاس أبا زيد اليرناسنى الفقيه. ولقى بإشبيلية أبا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٣٣

الحسن بن الدباغ، وأبا علي الشلوين، وأبا القاسم بن بقى، وأجازوا له. وروى عنه أبو جعفر بن الزبير، والقاضى أبو عبد الله بن عبد الملك، وجماعة.

دخوله غرناطة: قال ابن الزبير: تكرر قدومه علينا بغرناطة، و آخر انفصالاته عنها آخر سنة أربع وسبعين و ستمائة. وقال لى حفيده أبو الحسين التلمسانى من شيوخنا: أنشد السلطان الغالب بالله، بمجلسه للناس من المقصورة بإزاء الحمراء، قبل بناء الحمراء. وقال غيره: أقام بغرناطة، وعقد بها الشروط مدة. وقال لى شيخنا أبو الحسن الجياب: ولى القضاء بجهات من البشارات، وشكى للسلطان بضعف الولاية، فأضاف إليه حصن أشكر، يا متشو، وأمر أن يهمل هذا الاسم ولا يشكل، فقال أبو الحكم، رحمه الله، عند وقوفه عليه: قال لى السلطان فى تصحيف هذا الاسم، «أشكر يا تيس» وهى من المقاصد النبيلة.

تواليفه: وهى كثيرة متعدّدة، منها شعره، والذى دون منه أنواع، فمنه مختاره، وسمّاه بالجولات، ومنه الصدور والمطالع. وله العشریات و النبویات على حروف المعجم، والتزام افتتاح بيوتها بحرف الروى، وسمّاه، «الوسيلة الكبرى المرجو نفعها فى الدنيا والأخرى». وعشرياته الزهدية، وأرجوزته المسماة «سلك المنخل، لمالك بن المرخل» نظم فيها منخل أبى القاسم بن المغربى، والقصيدة الطويلة المسماة بالواضح، والأرجوزة المسماة «اللؤلؤ والمرجان» والموظاة لمالك.

والأرجوزة فى العروض. و كتابه فى كان ما ذا، المسمى «بالرمى بالحصا»، إلى ما يشقّ إحصاره، من الأغراض النبيلة، والمقاصد الأدبية.

شعره: قال القاضى أبو عبد الله بن عبد الملك: كان مكثرا من النظم، مجيدا، سريع البديهة، مستغرق الفكرة فى قرضه، لا يفتري عنه حيناً من ليل أو نهار. شاهدت ذلك، وأخبرنى أنّه دأبه، وأنه لا يقدر على صرفه من خاطره، وإخلاء باله من الخوض فيه، حتى كان من

كلامه في ذلك، أنه مرض من الأمراض المزمنة. و اشتهر نظمه، و ذاع شعره، فكلفت به ألسنة الخاصية و العامية، و صار رأس مال المستمعين

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٣٤

و المعنيين، و هجير الصيادين و الواردين، و وسيلة المكدين، و طراز أوراود المؤذنين و بطائفة البطالين، و نحن نجترئ منه بنبذ من بعض الأغراض تدل على ما وراءها، إن شاء الله. فمن ذلك في غرض التسيب: [الكامل]

دنف تستر بالغرام طويلا حتى تغير رقة و نحولا
 بسط الوصال فما تمكن جالس حتى أقيم على البساط دليلا
 يا سادتي، ما ذا الجزاء فديتكم الفضل لو غير الفتى ما قिला
 قالوا تعاطى الصبر عن أحبابه لو كان يصبر للصدود قليلا
 ما ذاق إلّا شربة من هجرناو كأنه شرب الفرات شمولا
 أ يقول: عشت و قد تملكه الهوى؟ لو قال متّ لكان أقوم قيلا
 حلف الغرام بحبنا و جمالنا إن لم يدعه ميتا فعليلا
 إن الجفون هي السيوف و إنما قطعت فلم تسمع لهن صليلا
 قل للحبيب و لا أصرح باسمه ما ذا الملال و ما عهدت ملولا
 بيني و بينك ذمة مرعية أتراك تقطع حبها الموصولا؟
 و لكم شربت صفاء و دك خالصا و لبست ظلّا من رضاك ظليلا
 يا غصن بان بان عني ظلّه عند الهجير فما وجدت مقيلا
 اعطف على المضنى الذى أحرقتة فى نار هجرك لوعة و غليلا
 فارقته فتقطعت أفلاذه شوقا و ما ألقى إليك سيلا
 لو لم يكن منك التغير لم يسأل بالناس لو حشروا إليه قيلا
 يا راحلا عني بقلب مغضب أ يطيق قلبى غضبه و رحىلا؟
 قل للصبا: هتجت أشجان الصبا فوجدت يا ريح القبول قبولا
 هل لى رسول فى الرياح؟ فإذا من فارقته بعث النسيم رسولا؟
 يا ليت شعرى، أين قرّ قراره؟ يا قلب، و يكأ أما وجدت دليلا؟
 إن لم يعد ذاك الوصال كعهدنا نكلت عيني بالبكا تنكيلا
 و قال نسيبا و مدحا: [الكامل]

أعدى على هواه خصم جفونه ما لى به قبل و لا بفنونه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٣٥ إن لم تجرنى منه رحمة قلبه من ذا يجير عليه ملك يمينه؟

صاب من الأتراك أصبى مهجتي فعبدت نور الحسن فوق جبينه

متمكن فى الحسن نون صدغه فتبين التمكين فى تنوينه

تنساب عقرب صدغه فى جنه لم يجن منها الصب غير منونه

و لوى ضفيرته فولّى مدبر فعل الكلم ارتاع من تبينه

قد أطمعنتى فيه رقة خده لو أمكنتنى فيه رقة دينه

و رجوت لين قوامه لو لم يكن كالزرمح شدة طعنه في لينة
شاكى السلاح و ما الذى فى جفنه أعدى على من الذى بجفونه
ناديته لما ندت لى سينه و شعرت من لفظ السلام بسينه
رحماك فى دنف غدا و حياته مماته و حراكه كسكونه
إن لم تمنّ علىّ منّهُ راحم فمناه أن يلقاه ريب منونه
و لذا أبيت سوى سمات عدوّه فأمانه من ذاك ظهر أمونه
سنينها فى باب أروع ماجد فيرى محلّ الفصل حقّ يقينه
حيث المعارف و العوارف و العلافى حدّ مجد جامع لفنونه
بدر و فى الحسن بن أحمد التقت نجب مررن على العطا بر كوبه
تبغى منها فى منها عنده و تطوف بالحاجات عند حجونه
فرع من الأصل اليمانى طيب ورث البيان و زاد فى تبينه
بيدى البشاشه فى أسره و وجهه طوراً و يحمى العزّ فى عرينه
بسطة شمائله الزمان كمثل ما بسط الغناء نفوسنا بلحونه
يشنى عليه كلّ فعل سائر كالمسك إذ يثنى على دارينه
و من التسيب قوله: [البسيط]

هو الحبيب قضى بالجور أم عدلا لئبى الخيار و أمّا فى هواه فلا
تالله ما قصر العذال فى عدلى لكن أبت أذنى أن تسمع العذلا
أمّا السلو فشىء لست أعرفه كفى بخلك غدرا أن يقال سلا
جفون غيرى أصحت بعدما قطرت و قلب غيرى صحا من بعد ما ثملا
و غصن بان تثنى من معاففه سقيته الدمع حتى أثمر العذلا
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٣٦ أثرته و نسيم الشعر آونه فكلما مال من أعطافه اعتدلا
أملت و الهمة العليا طامحه و ليس فى الناس إلّا أمل أملا
و قال: إيها طفيلى و مقترح أ لست عبدى و مملوكى؟ فقلت: بلى
يا من تحدّث عن حسنى و عن كلفى بحسنه و بحبى فاضرب المثلا
تيطت خدى خوف القبض من ملكه إذا أشار بأذنى لحظه قتلا
تقبل الأرض أعضائى و تخدمه إذا تجلّى بظهر الغيب و اتصلا
يا من له دولة فى الحسن باهرة مثلى و مثل فؤادى يخدم الدولا
و من نظمه فى عروض يخرج من دويتى مجزوا، مقصرا قوله و ملحه فى اختراع الأعاريض كثيرة:
الصّب إلى الجمال مائل و الحبّ لصدقه دلائل
و الدّمع لسائلى جواب إن روجع سائل بسائل
و الحسن على القلوب وال و القلب إلى الحبيب وابل
لو ساعد من أحبّ سعدا ما حال من الحبيب حائل
يا عادلى، إليك عنى لا تقرب ساحتى العواذل

ما نازلنى كمثل ظبى يشفى بلحظة المنازل
 ما بين دفونه حسام مخارقه له حمائل
 و السيف بيت ثم ينبو واللحظ يطبق المفاصل
 و السهم يصيب ثم يخطى و اللحظ يمر فى المقاتل
 مهلا فدمى له حلال ما أقبل فيه قول قائل
 إن صدنى فذاك قصدى أو جدلنى فلا أجادل
 يا حسن طلوعه عليناو السكر بمعطفيه مائل
 ظمان مخفف الأعالى ريان مثقل الأسافل
 قد نم به شذا الغوالى إذ هب و نمت الغلائل
 و الطيب متبه عليه من كان عن العيان غافل
 و الغنج محرّك إليه من كان مسكن البلابل
 و السحر رسول مقلتيه ما أقرب عهده بيابل!
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٣٧ و الروض يعير و جنتيه وردا كهواى غير حائل
 و اللين يهز معطفيه كالغصن تهزه الشمائل
 و الكأس تلوح فى يديه كالتجم بأسعد المنازل
 يسقيك بريقه مداما ما أملح ساقيا مواصل
 يسبيك برقة الحواشى عشقا و لكافة الشمائل
 ما أحسن ما وجدت خذا إذ نجم صباى غير آفل
 و من مستحسن نزعاته: [البسيط]
 يا راحلين و بى من قربهم أمل لو أغنت الحليتان القول و العمل
 سرتم و سار اشتياقى بعدكم مثلامن دونه السامران الشعر و المثل
 و ظلّ يعذلنى فى حبكم نفرلا كانت المحتتان الحبّ و العذل
 عطفنا علينا و لا تبغوا بنا بدلا فما استوى التابعان العطف و العمل
 قد ذقت فضلكم دهرا فلا و أبى ما طاب لى الأحمران الخمر و العسل
 و قد هرمت أسى من هجركم و جوى و شبّ منى اثنتان الحرص و الأمل
 غدرتم أو مللتم يا ذوى ثقتى لبتكم الخصلتان الغدر و الملل
 قالوا: كبرت و لم تبرح كذا غزلا أزرى بك الفاضحان الشيب و الغزل
 لم أنس يوم تنادوا للرحيل ضحى و قرب المركبان الطرف و الجمل
 و أشرقت بهواديهم هوادجهم و لاحت الزبنتان الحلى و الحلل
 و ودعوني بأجفان ممرضة تغضها الرقبتان الخوف و الخجل
 كم عفرؤا بين أيدي العيس من بطل أصابه المضنيان الغنج و الكحل
 دارت عليهم كؤوس الحبّ مترعة و ما أبى المسكران الخمر و المقل
 و آخريين اشتفوا منهم بضمتهم يا حنذا الشافيان الضم و القبل

كأنما الرّوض منهم روضة أنف يزهي بها المبتتان السهل و الجبل
 من مسترق الرّوايى و الوهاد بهم ما راقه المعجبان الخصر و الكفل
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٣٨ يا حادى العيس خذنى مأخذا حسنا لا يستوى الضاديان الرّيث و العجل
 لم يبق لى غير ذكر أو بكا طلل لو ينفع الباقيان الذّكر و الطلل
 يا ليت شعرى و لا أنس و لا جذل هل يرفع الطّيبان الأنس و الجذل؟
 و من قوله على لسان ألثغ ينطق بالسّين ثاء و يقرأ بالرّويين: [مخلع البسيط]
 عمرت ربع الهوى بقلب لقوة الحبّ غير ناكس ث
 لبثت فيه أجر ذيل النّ حول أحب به للابس ث
 إن متّ شوقا فلى غرام نباته بالسّقام وادس ث
 أمّا حديث الهوى فحقّ يصرف بلواه كلّ حادس ث
 تعبت بالشّوق فى حبيب أنا به ما حييت يائس ث
 يخال كالغصن ماس فيه طرف فأزرى بكلّ مائس ث
 دنيا تبدّت لكلّ و أى فهو لدنياه أىّ حارس ث
 يلعب بالعاشقين طراو الكلّ راضون و هو عابس ث
 و من شعره فى الزهد يصف الدنيا بالغرور و الكذب و الرّور: [الكامل]
 يا خاطب الدنيا، طلبت غرورا و قبلت من تلك المحاسن زورا
 دنياك إمّا فتنة أو محنة و أراك فى كليهما مقهورا
 و أرى السنين تمرّ عنك سريعة حتى لأحسبهنّ صرن شهورا
 بينا تريك أهلة فى أفقها أبصرتها فى إثر ذاك بدورا
 كانت قسيّا ثم صرن دوائرالا بدّ أن ترمى الورى و تدورا
 يأتى الظلام فما يسود رقعة حتى ترى مسطورها منشورا
 فإذا الصباح أتى و مدّ رداءه نفض المساء رداءه المنشورا
 يتعاقبان عليك، هذا ناشر مسكا و هذا ناشر كافورا
 ما المسك و الكافور إلّا أن ترى من فعلك الإمساك و التّكبير
 أمسى على فوديك من لونهما سمة تسوم كأبة و بسورا
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٣٩ حتى متى لا ترعوى و إلى متى؟ أو ما لقيت من المشيب نذيرا؟
 أخشى عليك من الذّنوب فربما تلقى الصّغير من الذّنوب كبيرا
 فانظر لنفسك إننى لك ناصح و استغفر المولى تجده غفورا
 من قبل ضجعتك التى تلقى لهاخذ الصّغار على التراب حقيرا
 و الهول ثم الهول فى اليوم الذى تجد الذى قدّمته مسطورا
 و قال فى المعنى المذكور: [الوافر]
 و أشفى الوجد ما أبكى العيوننا و أشفى الدّمع ما نكأ الجفونا
 فى ابن الأربعين اركب سفينا من التّقوى فقد عمّرت حينا

و نَحْ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَصْحَابِ نُوحٍ لَكِي تَنْجُو نَجَاءَ الْأَرْبَعِينَا
بَدَا لِلشَّيْبِ فِي فُودِيكَ رَقْمٌ فِيَا أَهْلَ الرَّقِيمِ، أَ تَسْمَعُونَا؟
لَأَنْتُمْ أَهْلُ كَهْفٍ قَدْ ضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِيهِ سِنِينَا
رَأَيْتَ الشَّيْبَ يَجْرِي فِي سَوَادِيَا ضَا لَا كَعَقْلِ الْكَاتِبِينَا
وَقَدْ يَجْرِي السَّوَادُ عَلَى بِيَاضِ فَكَانَ الْحَسَنُ فِيهِ مُسْتَبِينَا
فَهَذَا الْعَكْسُ يُؤْذِنُ بَانْعِكَاسٍ وَ قَدْ أَشْعَرْتُمْ لَوْ تَشْعُرُونَا
نَبَاتٌ هَاجَ ثُمَّ يَرَى حَطَامَا وَ هَذَا اللَّحْظُ قَدْ شَمَلَ الْعِيُونَا
نَذِيرٌ جَاءَ كُمْ عَرِيَانٌ يَعْذُو وَ أَنْتُمْ تَضْحَكُونَ وَ تَلْعَبُونَا
أَخِي، فِإِلَى مَتَى هَذَا التَّصَابِي؟ جَنَّتْ بِهَذِهِ الدُّنْيَا جُنُونَا
هِيَ الدُّنْيَا وَ إِنْ وَصَلْتَ وَ بَرَّتْ فَكُمُ قَطَعْتَ وَ كُمْ تَرَكْتَ بِنِينَا!
فَلَا تَخْذَعُكَ أَيَّامُ تَلِيهَا لِيَالٍ وَ اخْشَهَا بِيَاضًا وَ جُونَا
فَذَاكَ إِذَا نَظَرْتَ سِلَاحَ دُنْيَا تَعِيدُ حَرَآكَ سَاكِنَهَا سَكُونَا
وَ بَيْنَ يَدَيْكَ يَوْمَ أَيْ يَوْمِ يَدِينُكَ فِيهِ رَبُّ النَّاسِ دِينَا
فَإِمَّا دَارُ عَزٍّ لَيْسَ يَفْنَى وَ إِمَّا دَارُ هَوْنٍ لَنْ يَهُونَا
فَطُوبَى فِي غَدٍ لِلْمُتَّقِينَا وَ يَلُ فِي غَدٍ لِلْمُجْرِمِينَا
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٤٠ و آه ثم آه ثم آه على نفسى أكررها مئينا
أَخِي، سَمِعْتَ هَذَا الْوَعْظَ أَمْ لَا؟ أَلَا يَا لَيْتَنِي فِي السَّامِعِينَا
إِذَا مَا الْوَعْظُ لَمْ يُورِدْ بِصَدَقٍ فَلَا خَسْرَ كَخَسْرِ الْوَاعِظِينَا
وَ قَالَ يَتَشَوَّقُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَ يَمْدَحُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: [البسيط]
شَوْقٌ كَمَا رَفَعْتَ نَارَ عَلِيٍّ عَلِمَ تَشَبُّهُ بَيْنَ فُرُوعِ الضَّالِّ وَ السَّلْمِ
أَلْفَهُ بَضْلُوعِي وَ هُوَ يَحْرِقُهَا حَتَّى يِرَانِي بَرِيَا لَيْسَ بِالْقَلَمِ
مَنْ يَشْتَرِينِي بِالْبَشْرِي وَ يَمْلِكُنِي عَبْدَا إِذَا نَظَرْتَ عَيْنِي إِلَى الْحَرَمِ؟
دَعِ لِلْحَبِيبِ ذِمَامِي وَ احْتَمِلْ رَمْقِي فَلَيْسَ ذَا قَدَمٍ مِنْ لَيْسَ ذَا قَدَمٍ
يَا أَهْلَ طَبِيبَةٍ، طَابَ الْعَيْشُ عِنْدَكُمْ جَاوَرْتُمْ خَيْرَ مَبْعُوثٍ إِلَى الْأُمَمِ
عَايَنْتُمْ جَنَّةَ الْفَرْدُوسِ مِنْ كُتُبٍ فِي مَهْبَطِ الْوَحْيِ وَ الْآيَاتِ وَ الْحَكْمِ
لَتُرَكَّنَ بِهَا الْأَوْطَانُ خَالِيَةً وَ نَسَلَكُنَّ لَهَا الْبَيْدَاءَ فِي الظُّلْمِ
رُكَابِنَا تَحْمِلُ الْأَوْزَارَ مَثْقَلَةً إِلَى مَحَطِّ خَطَايَا الْعَرَبِ وَ الْعَجَمِ
ذُنُوبِنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ كَثُرَتْ وَ قَدْ أَتَيْنَاكَ فَاسْتَغْفِرْ لِمُجْتَرَمِ
ذَنْبٍ يَلِيهِ عَلَى تَكَرُّرِهِ نَدَمٌ فَقَدْ مَضَى الْعَمْرُ فِي ذَنْبٍ وَ فِي نَدَمِ
نَبِكِي فَتَشْغَلُنَا الدُّنْيَا فَتَضْحَكُنَا وَ لَوْ صَدَقْنَا الْبِكَا شَبْنَا دَمَا بَدَمِ
يَا رُكْبَ مِصْرَ، رُوِيْدَا يَلْتَحِقُ بِكُمْ قَوْمٌ مَغَارِبَةٌ لَحْمٌ عَلَى وَضْمِ
فِيهِمْ عَيْيدٌ تَسُوقُ الْعَيْسُ زَفْرَتَهُ لَمْ يَلِقْ مَوْلَاهُ قَدْ نَادَاهُ فِي التَّسْمِ
يَبْغِي إِلَيْهِ شَفِيعَا لَا نُظِيرُ لَهُ فِي الْفَضْلِ وَ الْمَجْدِ وَ الْعِلْيَاءِ وَ الْكِرْمِ

ذاك الحبيب الذي ترجى شفاعته محمد خير خلق الله كلهم
صلى عليه إله الخلق ما طلعت شمس و ما رفعت نار على علم
و من مقطوعاته العجيبة في شتى الأغراض، و هي نقطة من قطر، و بلالة من بحر، قوله مما يكتب على حمالة سيف، و قد كلف بذلك
غيره من الشعراء بسبته، فلما رآها أخفى كل منظومه، و زعم أنه لم يأت بشيء، و هو المخترع المرقص:
[البيسط]

جماله كرياض جاورت نهراً فأنبتت شجراً راقت أزهارها
كحياة الماء عامت فيه و انصرفت فغاب أولها فيه و آخرها
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٤١
و قوله، و قد تناول الرئيس ابن خلاص بيده مقصاً فأدمى يده فأنشده:
[الوافر]

عداوة لا لكفك من قد نَمَ فلا تعجب لقراض لئيم
لئن أدماك فهو لها شبيه و قد يسطو اللئيم على الكريم
و قوله في الخضاب: [الطويل]
سترت مشيبي بالخضاب تعللاً فلم يحظ شيبي و راب خضابي
كأنى و قد زورت لونا على الصبا أعنون طرسا ليس فيه كتابي
غراب خضاب لم يقف من حذاره و أغرب شيء في الحذار غرابي
و قوله و هو من البديع المخترع: [الكامل]
لا بد من ميل إلى جهة فلا تنكر على الرجل الكريم مميلاً
إن الفؤاد و إن توسط في الحشاليميل في جهة الشمال قليلاً
و قوله و هو معنى قد قيل فيه: [الكامل]
لا تعجبوا للمرء يجهل قدره أبداً و يعرف غيره فيصبر
فالعين تبصر غيرها مع بعده لكن بؤبو نفسها لا تبصر
و قوله: [الوافر]

أرى المتعلمين عليك أعدا إذا أعلمتهم من كل عاد
فما عند الصغير سوى عقوق و لا عند الكبير سوى عناد
و قوله في وصفه ذى الجاه: [الخفيف]
يضع الناس صاحب الجاه فيهم كل يوم في كفة الميزان
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٤٢ إن رأوه يوماً ترجح وزناضاعفوا البر فهو ذو رجحان
أو رأوا منه نقص حبة وزن ما كسوه في حبة الجلجلان
و أنشدنا عنه غير واحد من شيوخنا و قد بلغ الثمانين: [السريع]
يا أيها الشيخ الذي عمره قد زاد عشراً بعد سبعيناً
سكرت من أكؤس خمر الصبا فحدك الدهر ثمانيناً
و قال: هيهات! ما أظنه يكملها، و قال في الكبرة: [الكامل]

يا من لشيخ قد أسنّ و قد عفا مذ جاوز السبعين أضحي مدنفا
 خانته بعد وفائها أعضاؤه فغدا قعيدا لا يطيق تصرفا
 هرما غربيا ما لديه مؤانس إلّا حديث محمد و المصطفى
 و كتب إلى القاضي أبي الحجاج الطرسوني في مراجعته: [السريع] الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ٣؛ ص ٢٤٢
 يا سيدي، شاكركم مالكم قد صيرت ميم اسمه هاء
 و من يعيش خمسا و تسعين قد أنهت التعمير إنهاء
 و من نظمه في عرس صنعها بسبته على طريقه في المجانة: [الكامل]
 الله أكبر في منار الجامع من سبته تأذين عبد خاشع
 الله أكبر للصلاة أقيما بين الصفوف من البلاط الواسع
 الله أكبر محرما و موجهادبري إلى ربّي بقلب خاضع
 الحمد لله السلام عليكم آمين لا تفتح لكل مخادع
 إن النساء خدعنني و مكرن بي و ملأن من ذكر النساء مسامعي
 حتى وقعت و ما وقعت بجانب لكن على رأس لأمر واقع
 و الله ما كانت إليه ضرورة لكن أمر الله دون مدافع
 فخطبن لي في بيت حسن قلن لي و كذبن لي في بنت قبح شانع
 بكر زعمن صغيرة في سنّها حسناء تسفر عن جمال بارع
 خودا لها شعر أثيث حالك كالليل تجلي عن صباح ساطع
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٤٣ حوراء يرتاع الغزال إذا رنت بجفون خشف في الخمائل رافع
 تتلو الكتاب بغنة و فصاحة فيميل نحو الذكر قلب السامع
 بسامة عن لؤلؤ متناسق في ثغرها في نظمه متتابع
 أنفاسها كالزّاح فضّ ختامها من بعد ما ختمت بمسك رائع
 شماء دون تفاوت عربيّة ببسالة و شجاعه و منازع
 غيداء كالغصن الرّطيب إذا مشت ناءت بردف للتعجل مانع
 تخطو على رجلى حمامة أيكه مخضوبه تسبي فؤاد السامع
 و وصفن لي من حسنهما و جمالهما البعض منه يقيم عذر الخالع
 فدنوت و استأمنت بعد توخشي و أطاع قلب لم يكن بمطاوع
 فحملنني نحو الولي و جئنني بالشّاهدين و جلد كبش واسع
 و بعرفه من نافع لتعادل و الله عزّ و جلّ ليس بنافع
 فشرطن أشرطا علىّ كثيرة ما كنت في حملي لها بمطاوع
 ثم انفصلت و قد علمت بأنني أوثقت في عنقي لها بجوامع
 و تركنني يوما و عدن و قلن لي خذ في البناء و لكن بمرافع
 و اصنع لها عرسا و لا تحوج إلى قاض عليك و لا وكيل رافع
 و قرعت سني عند ذاك ندامة ما كنت لو لا أن خدعت بقارع

و لزمتمنى حتى انفصلت بموعد بعد اليمين إلى النهار الرابع
فلو أننى طلّقت كنت موقّقاو نفضت من ذاك النكاح أصابعى
لكن طمعت بأن أرى الحسن الذى زورن لى فدممت سوء مطامعى
فنظرت فى أمر البناء معجّلاو صنعت عرسا يا لها من صانع!
و طمعت أن تجلى و يبصر وجههاو يقرّ عينى بالهلال الطالع
و ظننت ذاك كما ذكرن و لم يكن و حصلت أيضا فى مقام الفازع
و حملتنى ليلا إلى دار لها فى موضع عن كل خير سامع
دار خراب فى مكان توخّش ما بين آثار هناك بلاقع
فقعدت فى بيت صغير مظلم و لا شىء فيه سوى حصير الجامع
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٤٤ فسمعت حسّا عن شمالي منكر او تنحنح يحكى نقيق ضفادع
فأردت أن أنجو بنفسى هارباو وثبت عند الباب وثبّه جازع
فلقيتهنّ و قد أتين بجذوة فرددننى و حبسننى بمجامع
و دخلن بى فى البيت و استجلسننى فجلست كالمضروور يوم زعازع
و أشرن لى نحو السماء و قلن لى هذى زويبعه و بنت زوابع
هذى خليلتك التى زوّجتها فاجلس هنا معها ليوم سابع
بتنا من التعمى التى خوّلتها فلقد حصلت على رياض يانع
فنظرت نحو خليلتى متأملا فوجدتها محجوبه ببراقع
و أتيتها و أردت نزع خمارها فعدت تدافعنى بجذّ وازع
فوجلتها فى صدرها و حدوته و كشفت هامتها بغيط صارع
فوجدتها قرعاء تحسب أنّها مقرّعة فى رأسها بمقارع
حولاء تنظر فوقها فى ساقها فتخالها مبهوته فى الشارع
فطساء تحسب أنّ روثه أنّها قاطعت فلا شلت يمين القاطع
صمّاء تدعى بالبريح و تاره بالطبل أو يؤتى لها بمقامع
بكماء إن رامت كلاما صوّتت تصويت معزى نحو جدى راضع
فقماء إن ما تلتقى أسنانها تفسو إذا نطقت فساء الشابع
عرجاء إن قامت تعالج مشيها أبصرت مشيه ضالع أو خامع
فلقيتها و جعلت أبصق نحوها و أفرّ نحو دجى و غيث هامع
حيران أغدو فى الرّقاق كأننى لصّ أحسّ بطالب أو تابع
حتى إذا لاح الصباح و فتحو أبواب المدينة كنت أول كاسع
و الله ما لى بعد ذاك بأمرها علم و لا بأمر بيتى الضائع
نثره: و فضّل الناس نظمه على نثره، و نحن نسلم ذلك من باب الكثرة، لا من باب الإجادة. و هذه الرسالة معلّمة بالشهادة بحول الله.
كتب إلى الشيخين الفقيهين الأديبين البليغين أبى بكر بن يوسف بن الفخّار، و أبى القاسم خلف بن عبد العزيز القبتورى:
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٤٥

«لله درّكما حليفي صفاء، و أليفى وفاء، يتنازعان كأس المودّة تنازع الأكفاء، و يتهاديان ريحان التحيّة تهادى الظرفاء. قسىمى نسب، و قريعى حسب، يتجاوزان بمطبوع من الأدب و مكتسب، و يتواردان على علم من الظرف و نسب، رضيعى لبنان، ذريعى لبنان، يحرزان ميراث قسّ و سحبان، و بيرزان من الدّكاء ما بان على أبان، قسىمى مجال، فصيحى رويّة و ارتجال، يترعان فى أشطان البلاغّة سجالا بعد سجال، و يصرعان فى ميدان الفصاحه رجالا على رجال. ما بالكما؟ لا حرمت حبالكما و لا قصمت نبالكما، لم تسمحا لى من عقود كما بدرّة، و لم ترشّحاني من نقودكما بدرّة، و لم تفسحا لى بحلوة و لا مرّة. لقد ابتليت من أدبكما بنهر أقربه و لا أشربه، و ما أردّه و لا أتبرّده. و لو كنت من أصحاب طالوت لا فسحت لى غرفه، و أتيت لى ترفه. بل لو كنت من الإبل ذوات الأظماء، ما جلّيت بعد الظمّ على الماء، و لا- دخلت بالإشفاق مدخل العجماء. كيف و أنا و لا فخر فى صورة إنسان، ناطق بلسان، أفترق بين الإساءة و الإحسان. و إن قلت إنّ باعى فى النّظم قصير، و ما لى على الثّر و لى و لا- نصير، و صنعهُ النحو عنى بمعزل، و منزل الفقيه ليس لى بمنزل، و لم أقدم على العلم القديم، و لا استأثرت من أهله بنديم. فأنا و الحمد لله غنّى بصنعهُ الجفر، و أقتنى اليراع كأنها شبابيك التّير، و أبرى البريّة التى تنيف على الشّبر، و أزين حدود الأسطار المستويّة، بعقارب اللّامات الملتويّة، و لا- أقول كأنها، فلا- ينكر السيدان أعزّهما الله أنّها نعم بعود أزعام، و بمثل شكسى تحضر الملاحم. فما هذا الازدراء و الاجتراف فى هذا الأمر مرّ المواقير. تالّله لقد ظلمتاني على علم، و استندتما إلى غير حلم، أما رهبتما شبابى، أما رغبتما فى حسابى، أما رفعتما بين نفع صبابى، و لفتح صبابى. لعمرى لقد ركبتما خطرا، و هجتما الأسد بطرا، و أبحتما حمى محتضرا، و لم تمعنا فى هذا الأمر نظرا: [الطويل]

أعد نظرا يا عبد قيس لعلمأضاء لك النّار الحمار المقيدا

و نفسى عين الحمار، فى هذا المضمار، لا أعرف قبلا من دبير، و لا أفترق بحسى بين صغير و كبير، و لا أعهد أنّ حصاة الرّمى أخفّ من ثبير، أليس فى ذوى كبد رطبة أجر، و فى معاملهُ أهل التّقوى و المغفرة تجر؟ و إذا خوّلتمانى نعمه أو نفلتمانى نفلا، فاليد العليا خير من اليد السّفلى، و ما نقص مال من صدقه، و لا جمال من لمح حدقه، و العلم يزيد بالإنفاق، و كتبه حرام باتفاق، فإن قلتما لى إنّ فهمك سقيم، و عوجك على الرّياضه لا يستقيم، فلعلّ الذى نصب قامتى، يمنّ

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٤٦

باستقامتى، و عسى الذى يشقّ سمعى و بصرى، أن يزيل عيىّ و حصرى، فأعى ما تقصّان، و أجتلى ما تنصّان، و أجنى ثمار تلك الأغصان، فقد شاهدتما كثيرا من الحيوان، يناغى فيتعلّم، و يلقّن فيتكلّم. هذا و الجنس غير الجنس، فكيف المشارك فى نوعيّة الإنس؟ فإن قلنا إنّ ذلك يشقّ، فأين الحقّ الذى يحقّ، و المشقّة أخت المرؤه، و ينعكس مساق هذه الأخوه، فيقال المرؤه أخت المشقّة، و الحجيج يصبر على بعد الشّقّة، و لو لا المشقّة كثر السّاده، و قلتّ الحساده، فما ضرّكما أيها السيّدان أن تحسبا تحويجى، و تكتسبا الأجر فى تدريجى؟ فإنكما إنّ فعلتما ذلك نسبت إلى و لائكما، كما حسبت على علائكما، و أضفت إلى نديكما، كما عزّفت بمنتداكما.

ألم تعلمنا أنّ المرء يعرف بخليله، و يقاس به فى كثيره و قليله؟ و لعلّى أمتحن فى مرام، و يعجم عودى رام، فيقول هذا العود من تلك الأعواد، و ما فى الحلبه من جواد، فأكسوكما عارا، و أكون عليكم شعارا. على أنى إذا دعيت باسمكما استريت من الادّعاء، فلا أستجيب لهذا الدّعاء، و لكن أقول كما قال ابن أبى سفيان حين عرف الإدارة، و أنكر الإمارة، نعم أخوتى أصحّ، و أنّها بها أشحّ، إلا أنّ غيرى نظم فى السّيلك، و أسهم فى الملك، و أنا بينكما كالمحجوب بين طلباب، يشاركهم فى البكا لا فى التراب، إن حضرت فكنتم فى الإقحام، أو لمقعد فى زحام، و إن غبت فيقضى الأمر، و قد سطر زيد و عمرو. ناشدتكما الله فى الإنصاف أن تريعا بواد من أودية الشّحر، فى ناد من أنديّة الشّعر بل السّحر، حيث تندرّج الأنهار، و تتأرّج الأزهار، و يتبرّج الليل و النهار، و يقرأ الطير صحفا منتشرة، و يجلو النور ثغورا مؤشّره، و يغازل عيون التّرجس الوجل، حدود الورد الخجل، و تتمايل أعطاف البان، على أرداف الكثبان، فيرقد النسيم العليل، فى حجر الرّوض و هو بليل، و تبرز هودج الرّاح، على الرّاح، و قد هديت بأقمار، و حديت بأزهار و مزمار، و

ركبتها الصّيبا و الكميت في ذلك المضمار، و لم تزالا في طيب، و عيش رطيب، من قباب و خدور، و شمس و بدور، تصلان الليالي و الأيام أعجازا بصدور، و أنا الطريد منبوذ بالعراء، موقوذ في جهة الورا، لا يدنى محلى، و لا يعتنى بعقدى و لا حلى، و لا أدرج من الحرور إلى الظل، و لا أخرج من الحرام إلى الحل، و لا يبعث إلى مع التّسيم هبة، و لا يتاح لى من الآتى عبة. قد هلك لغوا، و لم تقيما لى صفوا، و متّ كمداء، و لم تبعثا لبعثى أمدا. أ تراه خلفتاني جرضا، و أقيمتاني جرضا؟ كم أستسقى فلا أسقى، و أسترقى فلا أرقى، لا ماء أشربه، و لا عمل فى وصلكما

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٤٧

أدرّبه. لم يبق لى حيلة إلّا الدّعاء المجاب، فعسى الكرب أن ينجاب. اللهم كما أمددت هذين السيّدين بالعلم الذى هو جمال، و سدّدتهما إلى العمل الذى هو كمال، و جمعت فيهما الفضائل و المكارم، و ختمت بهما الأفاضل و المكارم، و جعلت الأدب الصّيرح أقلّ خصالهما، و النّظر الصحيح أقلّ نصالهما، فاجعل اللهم لى فى قلوبهما رحمة و حنانا، و ابسط لى منهما وجهها و اشرح لى جناها، و اجعلنى اللهم ممّن اقتدى بهما، و تعلق بأهدابهما، و كان دأبه فى الصّالحات كدأبهما، حتى أكون بهما ثالث القميرين فى الآيات، و ثالث العمرين فى عمل البرّ و طول الحياة، اللهم آمين، و صلّى الله على محمد خاتم النبيين. و كأنى أنظر إلى سيديّ عزّهما الله إذا وقفا على هذا الخطاب، و نظرا إلى هذا الاحتطاب، كيف يديران رمزا، و يسيران غمزا؟ و يقال: استتبّ الفصال، و تعاطى البيذق ما تفعل النّصال، و حنّ جذع ليس منها، و خذ عجفاءك و سمّنها، فأقول و طرفى غضيض، و محلى الحضيض، مثلى كمثل الفروج أو ثانى البروج، و ما تقاس الأكفّ بالسروج، فأضربا عنى أيها الفاضلان، ما أنا ممّن تناضلان، و السلام».

مولده: قال شيخنا الفقيه أبو عبد الله ابن القاضى المتبحّر العالم أبى عبد الله بن عبد الملك: سألته عن مولده فأشدنى: [الرجز]

يا سائلى عن مولدى كى أذكره ولدت يوم سبعة و عشره

من المحرم افتتاح أربع من بعد ستمائة مفسرة

وفاته: فى التاسع عشر لرجب عام تسعة و تسعين و ستمائة، و دفن بمقبرة فاس، و أمر أن يكتب على قبره: [مجزوء الخفيف]

زر غريبا بمقره نازحا ما له ولى

تركوه موسدايين ترب و جندل

و لتقل عند قبره بلسان التّدل

يرحم الله عبده مالك بن المرّحل

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٤٨

و من طارئى المقرئين و العلماء

منصور بن على بن عبد الله الزواوى

صاحبنا، يكنى أبا على.

حاله: هذا الرجل طرف فى الخير و السلامة، و حسن العهد، و الصّون و الطهارة و العفة، قليل التصنّع، مؤثر للاقتصاد، منقبض عن الناس، مكفوف اللسان و اليد، مشغل بشأنه، عاكف على ما يعنيه، مستقيم الظاهر، ساذج الباطن، منصف فى المذاكرة، موجب لحقّ الخصم، حريص على الإفادة و الاستفادة، مثابر على تعلّم العلم و تعليمه، غير أنف عن حملة عمّن دونه، جملة من جمل السّداجة و الرّجولة و حسن المعاملة، صدر من صدور الطّلبة، له مشاركة حسنة فى كثير من العلوم العقليّة و النّقليّة، و اطلاع و تقييد، و نظر فى الأصول و المنطق و علم الكلام، و دعوى فى الحساب و الهندسة و الآلات. يكتب الشّعرا فلا يعدو الإجابة و السّداد.

قدم الأندلس في عام ثلاثه و خمسين و سبعمائه، فلقى رحبا، و عرف قدره، فتقدم مقرئا بالمدرسة تحت جراية نبيهه، و حلق للناس متكلمًا على الفروع الفقهية و التفسير، و تصدّر للفتيا، و حضر بالدار السلطانية مع مثله. جرّبه و صحبته، فبلوت منه دينا و نصفه، و حسن عشره.

محنته: امتحن في هذا العهد الأخير بمطالبة شرعيه، لمتوقف صدر عنه لما جمع الفقهاء للنظر في ثبوت عقد على رجل نال من جانب الله و النبوة، و شكّ في القول بتكفيره، فقال القوم بإشراكه في التكفير و لطحه بالعباب الكبير، إذ كان كثير المشاخره لجماعتهم، فأجلت الحال عن صرفه عن الأندلس في أواخر شعبان عام خمسة و ستين و سبعمائه.

مشيخته: طلبت منه تقييد مشيخته، فكتب مما يدل على جودة القريحه ما نصه:

«يتفضّل سيدى الأعلى الذى أهتدى بمصباحه، و أعشو إلى غرره و أوضاحه، جامع أشتات العلوم، و فاتق رتق الفهوم، حامل رايه البديع، و صاحب آيات التوريه فيه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٤٩

و الترصيع، نخبه البلغاء، و فخر الجهابذه العلماء، قائد جياذ البلاغه من نواصيها، و سائق شوارد الحكم من أقاصيها، أبو عبد الله بن الخطيب أبقاه الله للقرىض يقطف زهره، و يجتنى غرره، و للبديع يطلع قمره، و ينظم درره، و للأدب يحوك حلله، و يجمع تفاصيله و جملة، و للمعانى يجوس بجيوش البراعة خلالها، و يفتتح بعوامل البراعة أفعالها، و للأسجاع يقترط الأسماع بفرائدها، و يحلّى النحور بقلائدها، و للنظم يورد جياذه أحلى الموارد، و يجيلها في مضمار البلاغه من غير معاند، و للنثر يفترع أبكاره، و يودعها أسرارها، و لسائر العلوم يصوغها في مفرق الآداب تاجا، و يضعها في أسطر الطروس سراجا، و لا زال ذا القلم الأعلى، و بدر الوزارة الأوضح الأجل، ببقاء هذه الدولة المولوية و الإمامة المحمدية كعبة لملوك الإسلام، و مقصدا للعلماء الأعلام، و رضى عنهم خلفا و سلفا، و بورك لنا فيهم وسطا و طرفا، و لا زالت آمالنا بعلائهم منوطه، و فى جاههم العريض مبسوطه، بقبول ما تبّه عليه، من كتب شيوخي المشاهير إليه، فما أنا أذكر ما تيسر لى من ذلك بالاختصار، إذ لا تفى بذكرهم و حلاهم المجلدات الكبار.

فمنهم مولاى الوالد على بن عبد الله لقاءه الله الرّوح و الريحان، و أوسع الرضا و الغفران. قرأت عليه القرآن و بعض ما يتعلق به من الإعراب و الضبط. ثم بعثنى إلى شيخنا المجتهد الإمام علم العلماء، و قطب الفقهاء، قدوة النظار، و إمام الأمصار، منصور بن أحمد المشدالى، رحمه الله و قدس روحه، فوجدته قد بلغ السنّ به غاية أوجبت جلوسه فى داره، إلّا أنه يفيد بفوائده بعض زوّاره، فقرأت من أوائل ابن الحاجب عليه لإشارة والدى بذلك إليه، و ذلك أول محرم عام سبعة و عشرين و سبعمائه. و اشتدّ الحصار ببجاية لسماعنا أن السلطان العبد الوادى ينزل علينا بنفسه، فأمرنى بالخروج، رحمه الله، فعاقنى عائق عن الرجوع إليه؛ لأتمم قراءة ابن الحاجب عليه. ثم مات، رحمه الله، عام أحد و ثلاثين و سبعمائه، فخصّ مصابه البلاد و عمّ، و لفّ سائر الطلبة و ضمّ، إلّا أنه ملأ ببجاية و أنظارها بالعلوم النظرية و قساها، و أنظارها بالفهوم النقليّة و العقليّة فصار من طلبته شيخنا المعظم، و مفيدنا المقدم، أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلى المعروف بالمفتير، رحمه الله، بالطريقة الحاجبية، و الكتابة الشرعية و الأدبية، مع فضل السنّ و تقرير حسن، إلى معارف تحلاها،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٥٠

و محاسن اشتمل حلاها. و استمرّ فى ذكر شيوخره على هذه الوتيرة من التزام السّجع، و تقرير الحلّى، فأجاد، و تجاوز المعتاد، فذكر منهم محمد بن يحيى الباهلى المذكور، و أنه أخذ عنه جملة من العلوم، فأفرده بقراءة الإرشاد؛ و الأستاذ أبا على بن حسن البجلي، و قرأ عليه جملة من الحاصل، و جملة من المعالم الدينية و الفقهية، و الكتب المنطقية، كالخونجى، و الآيات البيّنات؛ و القاضى أبا عبد الله محمد بن أبى يوسف، قاضى الجماعة ببجاية؛ و أبا العباس أحمد بن عمران الساوى اليايولى. قال:

ثم ثبيت العنان بتوجهى إلى تلمسان، راغبا فى علوم العربية، و الفهوم الهندسية و الحسابية، فأول من لقيت شيخنا الذى علمت فى الدنيا

جلالته وإمامته، و عرفت في أقاصى البلاد سيادته و زعامته، و ذكر رئيس الكتّاب العالم الفاضل أبا محمد عبد المهيمن الحضرمي، و المحدث البقّية أبا العباس بن يربوع، و القاضي أبا إسحاق بن أبي يحيى، و قرأ شيئاً من مبادئ العربية على الأستاذ أبي عبد الله الرّندي. و لقي بالأندلس جله؛ فمّن قرأ عليه إمام الصنعة العربية شيخنا أبو عبد الله بن الفخّار الشهير بالبيري، و لازمه إلى حين وفاته، و كتب له بالإجازة و الإذن له في التّحليق بموضع قعوده من المدرسة بعده. و قاضى الجماعة الشريف أبو القاسم محمد بن أحمد الحسيني، نسيح وحده، و لازمه، و أخذ عنه تواليفه، و قرأ عليه تسهيل الفوائد لابن مالك، و قيد عليه، و روى عن شيخنا إمام البقية أبي البركات ابن الحاج، و عن الخطيب المحدث أبي جعفر الطنجالي، و هو الآن بالحال الموصوفه. أعانه الله و أمتع به.

شعره: زرنا معا و الشيخ القاضي المتفّن أبو عبد الله المقرئ، عند قدومه إلى الأندلس، رباط العقاب . و استنشدت القاضي، و كتب لي يومئذ بخطه: استنشدني الفقيه الوجيه الكامل ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب، أطال الله بقاه كما أطال ثناه، و حفظ مهجته، كما أحسن بهجته، فأنشدته لنفسى: [البسيط]

لما رأيناك بعد الشّيب يا رجل لا تستقيم و أمر النفس تمتثل
زدنا يقينا بما كنّا نصدّقه عند المشيب يشبّ الحرص و الأمل
و كان ذلك بمسجد رابطة العقاب، عقب صلاة الظهر من يوم الأحد التاسع و العشرين لشهر ربيع الآخر من عام سبعة و خمسين و سبعمائة. و كتب الشيخ الأستاذ أبو علي يقول: منصور بن علي الرّواوي، في رابطة العقاب في كذا، أجزت صاحبنا الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٥١

الفقيه المعظم، أبا عبد الله بن الخطيب و أولاده الثلاثة عبد الله، و محمداً، و علياً، أسعدهم الله، جميع ما يجوز لي و عني روايته، و أنشدته قولي أخاطب بعض أصحابنا:
[الطويل]

يحييك عن بعض المنازل صاحب صديق غدت تهدي إليك رسائله
مقدّمه حفظ الوداد وسيلة و لا ودّ أن تصحّ و سائله
يسائل عنك الدارسين و لم يكن تغيب لبعد الدار عنك مسائله
و كتبت له قبل هذا مما أنشدته عند قدومي على غرناطة: [المجتث]

يا من وجدناه لفظاً حقيقه في المعالي
مقدّمات علاكم أنتجن كلّ كمال
و كل نظم قياس خلوت منه فخال
و هو من لدن أزعج عن الأندلس، كما تقدّم ذكره، مقيم بتلمسان، على ما كان عليه من الإقراء و التدريس.

مسلم بن سعيد التّملي

حاله: كان غير نبيه الأبوّة. ظهر في دولة السلطان أمير المسلمين، ثاني الملوك من بني نصر، بمزيد كفاية، فقلّده خطّة الحفازة، و هي تعميم النظر في المجابى، و ضمّ الأموال، و إيقاع التّكير في محلّ التّقصير، و مظانّ الريب، فنمت حاله، و عظم جاهه، و رهبت سطوته، و خيف إيقاعه، و قربت من السلطان وسيلته، فتقدّم الخدام، و استوعب أطراف الحظوة، و اكتسب العقار، و صاهر في نبيه البيوتات، و أورث عنه أخباراً تشهد له بالجود و علوّ الهمة، و شرف النفس، إلى أن قضى على هذه الوتيرة.

ذكروا أن شخصاً جلب سلعة نفيسة مما يطمع في إخفائها، حيدة عن وظيفه المغرم الباهظة في مثل جنسه، فبينما هو يروم المحاولة، إذ

بصر بنبيه المركب و البزة،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٥٢

ينفض في زوايا الفحص عن مثل مضطبه، فظنه رئيسا من رؤساء الجند، فقصدته و رغب منه إجازة خبيثته بباب المدينة، و قرّر لتخوفه من ظلم الحافظ الكذا مسلم، فأخذها منه و خبأها تحت ثيابه، و وكل به. و لم يذهب المسكين إلّا يسيرا، حتى سأل عن الرجل، فأخبر أنه الذي فرّ عنه، فسقط في يده. ثم تحامل، فألفاه ينظره في داخل السور، فدفع إليه أمانته، و قال: سر في حفظ الله، فقد عصمها الله من ذلك الرجل الظالم. فخرج الرجل، و انصرف متعجبا. و أخباره في السراوة و نجح الوسيلة كثيرة. وفاته: توفي في عام ثمانية و تسعين و ستمائة، و شهد أميره دفنه، و كان قد أسفّ ولى العهد بأمر صانعه فيها من باب خدمة والده، فكان يتلّظ لنكبته، و نصب لثاته لأكله، فعاجله الحمام قبل إيقاع نغمته به. و لما تصيّر إليه الأمر، نبش قبره، و أخرج شلوه، فأحرق بالنار، إغراقا في شهوة التشفى، رحمه الله عليه.

و من العمال الأثراء

مؤمل، مولى باديس بن حبوس

حاله و محنته: قال ابن الصّيرفي: و قد ذكر عبد الله بن بلقين، حفيد باديس، و استشارته عن أمره، لما بلغه حركة يوسف بن تاشفين إلى خلعه. و كان في الجملة من أحبابه، رجل من عبيد جدّه اسمه مؤمل، و له سنّ، و عنده دهاء و فطنة، و رأى و نظر. و قال في موضع آخر: و لم يكن في وزراء مملكته و أخبار دولته، أصيل الرأي، جزل الكلمة، إلّا ابن أبي خيثمة من كتبته، و مؤمل من عبيد جدّه، و جعفر من فتيانه. رجع، قال: فألطف له مؤمل في القول، و أعلمه برفق، و حسن أدب، أن ذلك غير صواب، و أشار إليه بالخروج إلى أمير المسلمين إذا قرب، و التّطرح عليه، فإنه لا تمكنه مدافعتة، و لا تطاق حربه، و الاستجداء له أحمد عاقبة و أيمن مغتية. و تابعه على ذلك نظراؤه من أهل السنّ و الحنكة، و دافع في صدّ رأيه الغلظة و الأغمار، فاستشاز غيظا على مؤمل و من نحا نحوه، و همّ بهم، فخرجوا،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٥٣

و قد سلّ بهم فرقا منه. فلما جنّهم الليل فزوا إلى لوشة، و بها من أبناء عبيد باديس قائدها، فملكوها و ثاروا فيها، بدعوة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين. و بادر مؤمل بالخطاب إلى أمير المسلمين المذكور و قد كان سفر إليه عن سلطانه، فأعجبه عقلا و نبلا، فاهتزّ إليه، و كان أقوى الأسباب على حركته. و بادر حفيد باديس الأمر، فأشخص الجيش لنظر صهره، فتغلب عليهم، و سبق مؤمل و من كان معه شرّ سوق في الحديد، و أركبوا على دواب هجن، و كشفت رؤوسهم، و أردف وراء كلّ رجل من يصفعه. و تقدّم الأمر في نصب الجذوع و إحضار الرّماء. و تلّظف جعفر في أمرهم، و قال للأمير عبد الله: إن قتلهم الآذن، أطفأت غضبك، و أذهبت ملكك، فاستخرج المال، و أنت من وراء الانتقام، فتقفهم، و أطمعوا في أنفسهم ريثما شغله الأمر، و أنفذ إليه يوسف بن تاشفين في حلّ اعتقالهم، فلم تسعه مخالفته و أطلقهم.

و لما ملك غرناطة على تفيئة تلك الحال، قدّم مؤملا على مستخلصه و جعل بيده مفاتيح قصره، فنال ما شاء من مال و حظوة، و اقتنى ما أراد من صامت و ذخيرة.

و نسبت إليه بغرناطة آثار، منها السّقاية بباب الفخارين، و الحوز المعروف بحوز مؤمل، أدركتها و هي بحالها.

وفاته: قال ابن الصّيرفي: و في ربيع الأول من هذا العام، و هو عام اثنين و تسعين و أربعمائه، توفي بغرناطة مؤمل مولى باديس بن حبوس، عبد أمير المسلمين، و جابى مستخلصه، و كان له دهاء و صبر، و لم يكن بقارئ و لا كاتب. رزقه الله عند أمير المسلمين، أيام

حياته، منزلة لطيفة ودرجة رفيعة. ولما أشرف على المنيّة، أحضر ما كان عنده من مال المستخلص، و أشهد الحاضرين على دفعه إلى من استوثقه على حملة، ثم أبرأ جميع عماله و كتابه. و أنفذ رجلا من صنائعه إلى أمير المسلمين بجمله من مال نفسه، يريه أن ذلك جميع ما اكتسبه في دولته، أيام خدمته، و أن بيت المال أولى به، و رغب في ستر أهله و ولده، فلما وصل إليه، أظهر الأسف عليه، و أمضى تقديم صنيعته. ثم ذكر ما كشف البحث عنه من محتججه، و شقاء من خلفه بسببه، و عدّد مالا و ذخيرة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٥٤

حرف النون الملوكة و الأمراء

نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر بن أحمد ابن محمد بن خميس بن عقيل الخرجي الأنصاري

أمير المسلمين بالأندلس، بعد أبيه و جدّه و أخيه، يكنى أبا الجيوش، و قد تقدم من أوليئه هؤلاء الملوكة ما يغني عن الإعادة. حاله: من كتاب «طرفه العصر في أخبار الملوكة من بني نصر» من تصنيفنا، قال: كان فتى يملأ العيون حسنا و تمام صورة، دمث الأخلاق، لئین العريكة، عفيفا، مجبولا على طلب الهدنة و حبّ الخير، مغمّد السيف، قليل الشر، نافرا للبطر و إراقة الدماء، محبّا في العلم و أهله، آخذا من صناعة التعديل بحظّ رغب، يخطّ التقاويم الصّحيحة، و يصنع الآلات الطريفة بيده، اختصّ في ذلك الشيخ الإمام أبا عبد الله بن الرّقام، و حيد عصره، فجا و احد دهره ظرفا و إحكاما. و كان حسن العهد، كثير الوفاء. حملة الوفاء على اللّجاج في أمر وزيره المطلوب بعزله، على الاستهداف للنّخل.

تقدّم يوم خلع أخيه، و هو يوم عيد الفطر من عام ثمانية و سبعمائة، و سنّه ثلاث و عشرون سنّه، فكان من تمام الخلق، و جمال الصّورة، و التّيانق في ملوكي اللّباس، آية من آيات الله خالقه. و اقتدى برسوم أبيه و أخيه، و أجرى الألقاب و العوائد لأول دولته. و كانت أيامه، كما شاء الله، أيام نحس مستمرّ، شملت المسلمين فيها الأزمة، و أحاط بهم الدّعر، و كلب العدو. و سيمّر من ذلك ما فيه كفاية. و كان فتى أيّ فتى، لو ساعده الجدّ، و الأمر لله من قبل و من بعد.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٥٥

وزراء دولته: وزر له مقيم أمره و محكم التّديير على أخيه، أبو بكر عتيق بن محمد بن المول. و بيت بنى مول بقربية بيت له ذكر و أصالة. و لما تغلّب عليها ابن هود اختفى بها أبوه أياما عدة. و لما تملكها السلطان الغالب بالله تلك البرهة، خرج إليه و صحبه إلى غرناطة، فاتّصلت قرباه بعقده على بنت للرئيس أبي جعفر المعروف بالعجل بن عمّ السلطان. و اشتدّ عضده، ثم تأكّدت القربى بعقد مول أخى هذا الوزير على بنت الرئيس أبي الوليد أخت الرئيس أبي سعيد، منجب هؤلاء الملوكة الكرام، فقام بأمره، و اضطلع بأعباء سلطانه، إلى أن كان من تغلّب أهل الدولة عليه، و إخافة سلطانه منه، ما أوجب صرفه إلى المغرب في غرض الرسالة، و أشير عليه في طريقه بإقامته بالمغرب، فكان صرفا حسنا. و تولّى الوزارة محمد بن علي بن عبد الله بن الحاج، المسير لخلعه، و اجتثاث أصله و فرعه، و كان خبا داهية، أعلم الناس بأخبار الرّوم و سيرهم و آثارهم. فحدثت بين السلطان و بين أهل حضرته الوحشة بسببه.

قضاته: أقرّ على خطة القضاء بحضرته قاضى أخيه الشيخ الفقيه أبا جعفر القرشى المنبذ باین فركون، و قد تقدم التعريف به مستوفى بحول الله.

كتابه: شيخنا الصدر الوجيه، نسيح وحده أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان بن الجيّاب إلى آخر مدته.

من كان على عهده من الملوكة: بالمغرب، السلطان أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن أبي يعقوب يوسف بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق. تصير الأمر إليه بعد وفاة أخيه السلطان أبي ثابت عامر بأحوار طنجة، في صفر عام ثمانية و سبعمائة.

و كان مشكورا، مبخت الولاية. و في دولته عادت سبته إلى الإيالة المريّية. ثم توفي بتازى في مستهل رجب من عام عشرة و سبعمائة. و تولّى الملك بعده عمّ

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٥٦

أبيه السلطان الجليل الكبير، خدن العافية، و وليّ السلامة، و ممهّد الدولة أبو سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق. و استمرت ولايته إلى تمام أيام هذا الأمير، و كثيرا من أيام من بعده. و قد تقدّم من ذكر السلطان أبي يوسف في اسم من تقدم من الملوك ما فيه كفاية.

و بتلمسان، الأمير أبو حمّو موسى بن عثمان بن يغمراسن، [سلطان بنى عبد الواد، مذلل الصّقع]، و المثل السائر في الحزم و التيقّظ، و صلابة الوجه، زعموا، و إحكام القحّة، و الإغراب في خبث السيرة. و استمرت ولايته إلى عام ثمانية عشر و سبعمائة، إلى أن سطا به ولده عبد الرحمن أبو تاشفين.

و بتونس، الأمير الخليفة أبو عبد الله محمد بن الواثق يحيى بن المستنصر محمد بن الأمير أبي زكريا بن أبي حفص. ثم توفي في ربيع الآخر عام تسعة و سبعمائة. فولى الأمر قريبه الأمير أبو بكر عبد الرحمن بن الأمير أبي يحيى زكريا ابن الأمير [أبي إسحاق بن الأمير] أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص. و نهض إليه من بجاية قريبه السلطان أبو البقاء خالد ابن الأمير أبي زكريا ابن الأمير أبي إسحاق ابن الأمير أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص، فالتقى بأرض تونس، فهزم أبو بكر، و نجا بنفسه، فدخل بستانا لبعض أهل الخدمة، مختفيا فيه، فسعى به إلى أبي البقاء، فجىء به إليه، فأمر بعض القرابة بقتله صبيرا، نفعه الله. و تمّ الأمر لأبي البقاء في رابع جمادى الأولى منه، إلى أن وفد الشيخ المعظم أبو يحيى زكريا الشهرير

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٥٧

باللحياني، قافلا من بلاد المشرق، و هو كبير آل أبي حفص نسبا و قدرا، فأقام بإطرابلس، و أنفذ إلى تونس خاصيته الشيخ الفقيه أبا عبد الله المرادوى محاربا لأبي البقاء، و طالبا للأمر. فتمّ الأمر، و خلع أبو البقاء تاسع جمادى الأولى عام أحد عشر و سبعمائة. و تمّ الأمير للشيخ أبي يحيى. و اعتقل أبو البقاء، فلم يزل معتقلا إلى أن توفي في شوال عام ثلاثة عشر و سبعمائة، و دفن بالجبانة المعروفة لهم بالزلّاج، فصرّحه فيما تعرّفنا بإزاء ضريح قتيله المظلوم أبي بكر، لا فاصل بينهما. و عند الله تجتمع الخصوم. و اتّصلت أيام الأمير أبي يحيى، إلى أن انقرضت مدة الأمير أبي الجيوش. و قد تضمّن الإلماع بذلك الرّجز المسمّى ب «قطع السلوك» من نظمى. فمن ذلك فيما يختصّ بملوك المغرب قولى في ذكر السلطان أبي يعقوب: [الرجز]

ثم تقضى معظم الزمان مواصلا حصر بنى زيّان

حتى أتى أهل تلمسان الفرج و نشقوا من جانب اللّطف الأرج

لما ترقى درج السعد درج فانفضّ ضيق الحصر عنها و انفرج

و ابن ابنه و هو المسمّى عامرا أصبح بعد ناهيا و آمرا

و كان ليثا دامى المخالب تغلب الأمر بجداً غالب

أباح بالسيف نفوسا عدّه فلم تطل في الملك منه المدّة

و مات حتف أنفه و اخترمائم سليمان عليها قدّما

أبو الربيع دهره ربيع يثنى على سيرته الجميع

حتى إذا الملك سليمان قضى تصير الملك لعثمان الرضا

فلاح نور السعد فيها و أضاو نسي العهد الذى كان مضى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٥٨

و فيما يختصّ بنى زيّان، بعد ذكر أبي زيّان: [الرجز]

حتى إذا استوفى زمان سعدة قام أبو حمّو بها من بعده

و هو الذى سطا عليه ولده حتى انتهى على يديه أمده
 و فيما يختص بآل أبى حفص بعد ذكر جملة منهم: [الرجز]
 ثم الشهيد و الأمير خالد هيهات ما فى الدهر حتى خالد
 و زكرياء بها بعد ثوى ثم نوى الرحلة عنها و النوى
 و حل بالشرق و بالشرق ثوى و ربما فاز امرؤ بما نوى

و من ملوك النصارى بقشتاله: هرانده بن شانجه بن ألنشيه بن هرانده بن شانجه. و نازل على عهده الجزيرة الخضراء، ثم أقلع عنها عن
 ضريبة و شروط، ثم نازل فى أخريات أمره حصن القبداق، و أدركه ألم الموت بظاهرة، فاحتمل من المحلة إلى جيان، و بقيت المحلة
 منيخة على الحصن، إلى أن تملكك بعد موت الطاغية بأيام ثلاثة، كتموا فيها موته. و لسبب هلاكه حكاية ظريفة، تضمنتها «طرفة
 العصر، فى تاريخ دولة بنى نصر». و قام بعده بأمر النصرانية ولده ألنشيه، و استمرت أيامه إلى عام خمسين و سبعمائة.
 بعض الأحداث فى أيامه: نازل على أول أمره طاغية قشتالة الجزيرة الخضراء فى الحادى و العشرين من عام تسعة و سبعمائة، و أقام
 عليها إلى أخريات شعبان من العام المذكور، و أقلع عنها بعد ظهوره على الجبل و فوز قداحه به. و نازل
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٥٩

صاحب برجلونه مدينة ألمرية غرة ربيع الأول من هذا العام، و أخذ بمخنفها، و تفرقت الطبا على الخراش، و وقعت على جيش
 المسلمين الناهد إليه وقعة كبيرة، و استمرت المطاولة إلى أخريات شعبان، و نفّس الله الحصر، و فرج الكرب. و ما كاد أهل الأندلس
 يستنشقون ريح العافية، حتى نشأ نجم الفتنة، و نشأت ریح الخلاف، و استفسد وزير الدولة ضمائر أهلها، و استهدف إلى رعيتها بإيثار
 النصارى و الصاغية إلى العدو، و أظهر الرئيس ابن عم الأب صاحب مالقة أبو سعيد فرج بن إسماعيل، صنو الغالب بالله ابن نصر،
 الامتسك بما كان بيده، و الدعاء لنفسه، و قدم ولده الدائل إلى طلب الملك. و ثار أهل غرناطة، يوم الخامس و العشرين لرمضان من
 العام، و أعلن منهم من أعلن بالخلاف ثم خانهم التدبير، و خبطوا العشواء، و نزل الحشم، فلاذ الناس منهم بديارهم، و برز السلطان
 إلى باب القلعة، متقدما بالعفة عن الناس، و فر الحاسرون عن القناع، فلحقوا بالسلطان أبى الوليد بمالقة، فاستنهضوه إلى الحركة، و
 قصد الحضرة، فأجابهم و تحرّك، فأطاعته الحصون بطريقه، و احتل خارج غرناطة صبيحة يوم الخميس السابع و العشرين لشوال منه،
 فابتدره الناس من صائح و مشير بثوبه، و متطرح بنفسه، فدخل البلد من ناحية ربح البيازين، و استقر بالقصبه، كما تقدم فى اسمه. و
 فى ظهر يوم السبت التاسع و العشرين من الشهر، نزل الحمراء دار الملك، و انفصل السلطان المترجم به، موفى له شرط عقده من
 انتقاله إلى وادى آش، مستبدا بها، و تعيين مال مخصوص، و غير ذلك. و رحل ليلة الثلاثاء الثالث لذي قعدة من العام. و استمرت
 الحال، بين حرب و مهادنة، و جرت بسبب ذلك أمور صعبة إلى حين وفاته.
 رحمه الله.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٦٠

مولده: ولد فى رمضان عام ستة و ثمانين و ستمائة. و كانت سنه ستا و ثلاثين سنة و ثلاثة أشهر، و دولته الجامعة خمس سنين و شهرا
 واحدا، و مقامه بوادى آش تسعة أعوام و ثلاثة أيام.

وفاته: توفى، رحمه الله، ليلة الأربعاء سادس ذى قعدة من عام اثنين و عشرين و سبعمائة بوادى آش، و دفن بجامع القصبه منها، ثم
 نقل فى أوائل ذى الحجة منه إلى الحضرة، فكان وصوله يوم الخميس السادس منه، و برز إليه السلطان، و الجمع الكثير من الناس، و
 وضع سريره بالمصلّى العيدى، و صلّى عليه إثر صلاة العصر، و دفن بمقبرة سلفه بالسبيكة، و كان يوما من الأيام المشهودة، و على قبره
 مكتوب فى الرخام:

«هذا قبر السلطان المرفّع المقدار، الكريم البيت العظيم التجار، سلالة الملوك الأعلام الأخيار، الصيرح النسب فى صميم الأنصار،

الملك الأوحى الذى له السيف العالى المنار، فى الملك المنيع الذمار، رابع ملوك بنى نصر أنصار دين المصطفى المختار، المجاهدين فى سبيل الملك الغفار، الباذلين فى رضاه كرائم الأموال و نفائس الأعمار، المعظم المقدس المرحوم أبى الجيوش نصر ابن السلطان الأعلى، الهمام الأسمى، المجاهد الأحمى، الملك العادل، الطاهر الشّمائل، ناصر دين الإسلام، و مبيد عبدة الأصنام، المؤيد المنصور، المقدس، المرحوم أمير المسلمين أبى عبد الله ابن السلطان الجليل، الملك الشهير، مؤسس قواعد الملك على التقوى و الرضوان، و حافظ كلمة الإسلام و ناصر دين الإيمان، الغالب بالله، المنصور بفضل الله، المقدس المرحوم، أمير المسلمين أبى عبد الله بن نصر، تغمده الله برحمته و غفرانه، و بؤاه منازل إحسانه، و كتبه فى أهل رضوانه، و كان مولده فى يوم الاثنين الرابع و العشرين لشهر رمضان المعظم عام ست و ثمانين و ستمائة. و بويج يوم الجمعة غرة شوال عام ثمانية و سبعمائه، و توفى، رحمه الله، ليلة يوم الأربعاء

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٦١

السادس لشهر ذى قعدة عام اثنين و عشرين و سبعمائه، فسبحان الملك الحق المبين، وارث الأرض و من عليها، و هو خير الوارثين. و فى جهة: [الكامل]

يا قير، جاد تراك صوب غمام يهمنى عليك برحمة و سلام
بوركت لحدنا فيه أى وديعة ملك كريم من نجار كرام
ما شئت من حلم و من خلق رضى و زكاء أعراق و مجد سام
فاسعد بنصر رابع الأملاك من أبناء نصر ناصرى الإسلام
من خزرج الفخر الذين مقامهم فى نصر خير الخلق خير مقام
يا أيها المولى المؤسس بيته فى معدن الأحساب و الأحلام
ما للميتة و الشباب مساعد قد أقصدتك بصائبات سهام
عجلت على ذاك الجمال فغادرت ربع المحاسن طامس الأعلام
فمحي الردى من حسن وجهك آية نحو النهار لسدفة الإظلام
ما كنت إلّا بدر تم باهرا أحنى الخسوف عليك عند تمام
فعلى ضريح أبى الجيوش تحية كالمسك عرفا عند فض ختام
و تغمده رحمة الله التى ترضيه من عدن بدار مقام

و من الأعيان و الوزراء

نصر بن إبراهيم بن أبى الفتح الفهرى

يكنى أبا الفتح، أصلهم من حصن أريول من عمل مرسية، و لهم فى الدولة النصيرية مزية خصّوا لها بأعظم رتب القيادة، و استعمل بعضهم فى ولاية السلطان.

حاله: نقلت من خط شيخنا أبى بكر بن شبرين، قال: و فى السادس عشر لذي قعدة منه، يعنى عام عشرة و سبعمائه، توفى بغرناطة القائد المبارك أبو الفتح، أحد الولاة و الأعيان الذاكرين لله تعالى، أولى النزاهة و الوفاء.

نصر بن إبراهيم بن أبى الفتح بن نصر بن إبراهيم ابن نصر الفهرى

يكنى أبا الفتح، حفيد المذكور معه في هذا الباب.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٦٢

حاله: من كتاب «طرفه العصر»: نسيج وحده في الخير والعفاف، ولين العريكة، ودمائه الأخلاق، إلى بعد الهمة، وجمال الأبهة، و ضخامة التجند، واستجادة المركب والعدّة، وارتباط العبادة. استعان على ذلك بالنعمة العريضة بين مناديه إليه بميراث، ومكتسب من جزاء المتغلب على الدولة صهره ابن المحروق معياشه لبنته. و نمت حال هذا الشهم التجد، و شمت رتبته حتى خطب للوزارة في أخريات أيامه، و عاق عن تمام المراد به إلحاح السيقم على بدنه و ملازمة الضنا لجثمانه، فمضى لسبيله، عزيز الفقد عند الخاصة، ذائع الثناء، نقى العرض، صدرا في الولاية، و علما في القواد الحماة.

وفاته: توفي بغرناطة ليلة الجمعة الثامن والعشرين لجمادى الآخرة عام خمسة وأربعين وسبعمائه. و كانت جنازته آخذة نهاية الاحتفال، ركب إليها السلطان، و وقف بإزاء لحدده، إلى أن وري، تنويها بقدره، و إشادة ببقاء الحرمة على خلفه. و حمل سريره الجملة من فرسانه و أبناء نعمته.

و من الكتاب والشعراء

نزهون بنت القليعي

قال ابن الأثير: و هو فيما أحسب أبو بكر محمد بن أحمد بن خلف بن عبد الملك بن غالب الغساني، غرناطية .
حالتها: كانت أديبة شاعرة، سريعة الجواب، صاحبة فكاهاة و دعابة. و قد جرى شيء من ذلك في اسم أبي بكر بن قزمان ، و المخزومي الأعمى ، و أبي بكر بن سعيد .

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٦٣

شعرها: دخل الأديب أبو بكر الكتندى الشاعر، و هي تقرأ على المخزومي الأعمى، فلما نظر إليها، قال: أجز يا أستاذ: [الكامل]
لو كنت تبصر من تكلمه

فأفحم المخزومي زامعا، فقالت: [الكامل]

..... لغدوت أحرص من خلاخله

ثم زادت:

البدر يطلع من أزرتة والغصن يمرح في غلائله

و لا خفاء ببراعة هذه الإجازة و رفاعه هذا الأدب.

و كتب إليها أبو بكر بن سعيد، و قد بلغه أنها تخالط غيره من الأدباء الأعيان :

[المجتث]

يا من له ألف خلّ من عاشق و عشيق

أراك خلّيت للناس سدّ ذاك الطريق

فأجابته بقولها: [الطويل]

حللت أبا بكر محلاً منعه سواك، و هل غير الرفيع له صدرى؟

و إن كان لى كم من حبيب فإنما يقدّم أهل الحقّ فضل أبى بكر

و هذه غاية في الحسن بعيدة. و محاسنها شهيرة، و كانت من غرر المفاخر الغرناطية.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٦٤

حرف الصاد

من الأعيان و الوزراء

الصمّيل بن حاتم بن عمر بن جذع بن شمر بن ذى الجوشن الضبابى الكلبى

و هو من أشرف عرب الكوفة.

أوليته: قال صاحب الكتاب «الخزائنى»: جدّه أحد قتله الحسين بن على و الذى قدم برأسه على يزيد بن معاوية، فلمّا قام المختار نائرا بالحسين فرّ عنه شمر و لحق بالشام فأقام بها فى عزّ و منعة. و لمّا خرج كلثوم بن عياض غازيا إلى المغرب، كان الصمّيل ممن ضرب عليه البعث فى أشرف أهل الشام. و دخل الأندلس فى طالعة بلج بن بشر القشيري، فشرف ببدنه إلى شرف تقدّم له، و ردّ ابن حيان هذا. و قال فى كتاب «بهجة الأنفس، و روضة الأنس»: كان الصمّيل بن حاتم هذا جدّه شمر قاتل الحسين، رضى الله عنه، من أهل الكوفة، فلمّا قتله، تمكّن منه المختار فقتله، و هدم داره، فارتحل ولده من الكوفة، فرأس بالأندلس، وفاق أقرانه بالنجدة و السخاء. حاله: قال: كان شجاعا، نجدا، جوادا، كريما، إلّا أنه كان رجلا أمّيا لا يقرأ و لا يكتب، و كان له فى قلب الدول و تدبير الحروب، أخبار مشهورة.

من أخباره: حكى ابن القوطية، قال: مرّ الصمّيل بمعلم يتلو: وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا يَبِينُ النَّاسِ، فوقف يسمع، و نادى بالمعلم: يا هناه، كذا نزلت

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٦٥

هذه الآية؟ فقال: نعم، فقال: أرى و الله أن سيشركنا فى هذا الأمر العبيد و الأراذل و السفلة.

خبره فى الجود: قال: كان أبو الأجرى الشاعر وقفا على أمداح الصمّيل، و هو القائل: [الوافر]

بنى لك حاتم بيتا رفيعا رأينا على عمد طوال

و قد كان ابنتى شمر و عمرو بيوتا غير ضاحية الظلال

فأنت ابن الأكارم من معدّ تلج للأباطح و الرمال

و قارضه بإجزاله لعطائه و انتمائته فى ثوابه، بأن أغلظ القسم على نفسه بأن لا يراه إلّا أعطاه ما حضره، فكان أبو الأجرى قد اعتمد اجتنابه فى اللقاء حياء منه و إبقاء على ماله، فكان لا يزوره إلّا فى العيدين قاضيا لحقه. و قد لقيه يوما مواجهه ببعض الطريق، و الصمّيل راكب، و معه ابناه، فلم يحضره ما يعطيه، فأرجل أحد ابنيه، و أعطاه دابته، فضرب فى صنعه، و فيه يقول من قصيده:

[الكامل]

دون الصمّيل شريعة مورودة لا يستطيع لها العدو و رودا

فتّ الورى و جمعت أشتات العلاو حويت مجدا لا ينال وجودا

فإذا هلكت فلا تحمّل فارس سيفا و لا حمل النساء و ليدا

و كان صاحب أمره و له الأندلس قبل الأمويين؛ لهم الأسماء و له معنى الإمرة، و كان مظفر الحروب، سديد الرأى، شهير الموقف،

عظيم الصبر. و أوقع باليمانية وقائع كثيرة، منها وقية شقنדה، و لم يكن بالأندلس مثلها، أثنى فيها القتل باليمانية.

أنفته: قال: و كان أبا للضميم، محاميا عن العشيرة، كلمّ أبا الخطار الأمير فى رجل من قومه انتصر به، فأفجمه، و ردّ عليه، فأمر به، فتتبع

و مالت عمامته، فلمّا خرج قال له بعض من على باب الأمير: يا أبا الجوشن، ما باب عمامتك مائلة؟

فقال: إن كان لي قوم فسيقومونها، و خرج من ليلته، فأفسد ملكه.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٦٦

وفاؤه: و خبر وفائه مشهور، فيما كان من جوابه لرسولى عبد الرحمن بن معاوية إليه، بما قطع به رجاء الهوادة في أمر أميره يوسف بن عبد الرحمن الفهرى، و التستّر مع ذلك عليهما، فلينظر في كتاب «المقتبس».

دخوله غرناطة: و لما صار الأمر إلى عبد الرحمن بن معاوية، صقر بنى أمية، و قهر الأمير يوسف الفهرى و وزيره الصّميل، إذ عزله الناس، و رجع معه يوسف الفهرى و الصّميل إلى قرطبة، و لم يلبثا أن نكثا، و لحقا فحصر غرناطة، و نازلها الأمير عبد الرحمن بن معاوية في خبر طويل، و استنزلهما عن عهد، و عاد الجميع إلى قرطبة، و كان يوسف و الصّميل يركبان إلى القصر كل جمعة إلى أن مضيا لسيلهما. و كان عبد الرحمن بن معاوية يسترجع و يقول: ما رأيت مثله رجلا. لقد صحبني من البيرة إلى قرطبة، فما مسّت ركبتي ركبته، و لا خرجت دابّته عن دابّتي.

و من الكتاب و الشعراء

صفوان بن إدريس بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى ابن إدريس التجيبي

من أهل مرسية، يكنى أبا بجر .

حاله: كان أديبا، حسيبا جليلا، أصيلا، ممتعا من الطّرف، ريان من الأدب، حافظا، حسن الخطّ، سريع البديهة، ترف النّشأة، على تصاون و عفاف، جميلا سريّا، سمحا ذكيا، مليح العشرة، طيب النفس، ممّن تساوى حظّه في النظم و النثر، على تباين الناس في ذلك.

مشيخته: روى عن أبيه و خاله، ابن عمّ أبيه القاضي أبي القاسم بن إدريس، و أبي بكر بن مغاور، و أبي الحسن بن القاسم، و أبي رجال بن غلبون، و أبي عبد الله بن حميد، و أبي العباس بن مضاء، و أبي القاسم بن حبيش، و أبي محمد الحجري، و ابن حوط اللّه، و أبي الوليد بن رشد، و أجاز له أبو القاسم بن بشكوال.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٦٧

من روى عنه: أبو إسحاق اليابرى، و أبو الربيع بن سالم، و أبو عبد الله بن أبي البقاء، و أبو عمرو بن سالم، و محمد بن محمد بن عيشون.

توالمفه: له توالمفه أدبيّة منها، «زاد المسافر»، و كتاب «الرحلة»، و كتاب «العجالة» سفران يتضمنان من نظمه و نثره أدبا لا كفاء له. و انفرد من تأيين الحسين، رضى اللّه عنه، و بكاء أهل البيت، بما ظهرت عليه بركته في حكايات كثيرة.

شعره: ثبتّ من ذلك في العجالة قوله: [الكامل]

جاد الزمان بأنّه الجرعاء توقان من دمعى و غيث سماء

فالدّمع يقضى عندها حقّ الهوى و الغيم حقّ البانة الغيناء

خلت الصّدور من القلوب كما خلّت تلك المقاصر من مها و ظباء

و لقد أقول لصاحبى و إنما ذخر الصّديق لأمجد الأشياء

يا صاحبى، و لا أقلّ إذا أنا ناديت من أن تصغيا لندائى

عوجا بحار الغيم فى سقى الحماحتى ترى كيف انسكاب الماء

و نسنّ فى سقى المنازل سنّة نمضى بها حكما على الطّرفاء

يا منزلا نشطت إليه عبرتى حتى تبسم زهره لبكائى

ما كنت قبل مزار ربعك عالماً أنّ المدامع أصدق الأنواء
يا ليت شعري و الزّمان تنقل و الدهر ناسخ شدّة برحاء
هل نلتقى في روضة موشية خفاقة الأغصان و الأفياء؟
و ننال فيها من تألفنا و لوما فيه سخمة أعين الرّقاء؟
في حيث أتلت الغصون سوا الفاقد قلّدت بلائى الأنداء
و جرت ثغور الياسمين فقبت عني عذار الآسه الميساء
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٦٨ و الورد في شطّ الخليج كأنه رمد ألم بمقلّة زرقاء
و كأنّ غصن الزّهر في خضر الزّبي زهر النجوم تلوح بالخضراء
و كأنما جاء التّسيم مبشّر اللّروض يخبره بطول بقاء
فكساه خلعه طيبه و رمى له بدراهم الأزهار رمى سخاء
و كأنما احتقر الصّنيع فبادرت بالعدر عنه نعمة الورقاء
و الغصن يرقص في حلى أوراقه كالخود في موشية خضراء
و افتّر ثغر الأقحوان بما رأى طربا و قهقه منه جرى الماء
أفديه من أنس تصرّم فانقضى فكأنه قد كان في الإغفاء
لم يبق منه غير ذكر أو منى و كلاهما سبب لطول عناء
أو رقعته من صاحب هي تحفة إنّ الرّقاع لتحفة التّبهاء
كبطاقة الوسميّ إذ حيا بها إنّ الكتاب تحية الظّرفاء
و هي طويّلة . و قال مراجعا عن كتاب أيضا: [الوافر]
ألا سمح الزمان به كتابا ذرى بوروده أنسى قبا
فلا أدري أكانا تحت وعد دعا بهما لبرئى فاستجابا؟
و قد ظفرت يدي بالغنم منه فليت الدهر سنّى لى إيابا
فلو لم أستفد شيئا سواه قنعت بمثله علقا لبابا
إذا أحرزت هذا فى اغترابى فدعنى أقطع العمر اغترابا
رجمت بأنسه شيطان همى فهل و جهت طرسا أم شهابا؟
رشت به رضاب الودّ عذبا يذكّرنى شمائلك العذابا
و كدت أجزّ أذيا لى نشاطا و لكن خلت قولهم تصابا
فضضت ختامه عني كأنى فتحت بفضّه للروض بابا
فكدت أبته فى جفن عيني لكى أستودع الزّهر السّحابا
و كنت أصونه فى القلب لكن خشيت عليه أن يفنى التّهابا
و لو أنّ الليالى سامحتنى لكنت على كتابكم الجوابا
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٦٩ فأبلى عندكم بالشّكر عذرا و أجزل من ثنائكم الثّوابا
و لكنّ الليالى قيدتنى و قيدتني إلّا الخطابا
فما تلقانى الأحباب إلّا سلّاما أو منا ما أو كتابا

لأمر ما يقصّ الدهر ريشى لأنّ السهم مهما ريش صابا
 وعاذلة تقول و لست أصغى و لو أصغيت لم أرفع جوابا
 تخوفنى الدواهى و هى عندى أقل من أن أضيق بها جنابا
 إذا طرقت أعدّها قراها و قارا و احتسابا و اصطبارا
 و ما مثلى يخوف بالدواهى عرين الليث لا يخشى الذبابا
 تعاتبنى فلا يرتدّ طرفى و هل تسترقص الرّيح الهضابا؟
 و لو أنّ العتاب يفيد شيئا ملأت مسامع الدنيا عتابا
 و قد وصّيتها بالصّمت عنى فما صمتت و لا قالت صوابا
 تعفنى على تركى بلاد اعهدت بها القرارة و الشّبابا
 تقول: و هل يضرّ السيف إلّا إذا ما فارق السيف القرابا
 فقلت: و هل يضرّ السيف فلّ إذا قطّ الجماجم و الرّقابا؟
 بخوض الهول تكتسب المعالى يحلّ السهل من ركب الصّعبا
 فليث الغاب يفترس الأناسى و ليث البيت يفترس الذّبابا
 و لو كان انقضاض الطّير سهلا لكانت كلّ طائره عقابا
 دعينى و النهار أسير فيه أسير عزائم تفرى الصّلابا
 أغازل من غزالته فتاة تبيّض فودها هرما و شابا
 إذا شاءت مواصلى تجلّت و إن ملّت توارت لى احتجابا
 و أسرى اللّيل لا ألوى عنانا و لو نيل الأمانى ما أصابا
 أطارح من كواكبه كما ما و أزجر من دجنته غرابا
 و أركب أشهبها غيرا كباعى و خضرا مثل خاطرى انسيابا
 و آخذ من بنات الدّهر حقّى جهاز البيت استلب استلابا
 و لست أذيل بالمدح القوافى و لا أرضى بخطتها اكتسابا
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٧٠ أ أمده من به أهجو مديحى إذا طيّبت بالمسك الكلاما
 سأخزنها عن الأسماع حتى أردّ الصّمت بينهما حجابا
 فلست بمادح ما عشت إلّا سيوفا أو جيادا أو صحابا
 أبا موسى، و إنّى ذو و داد أناجى لو سمعت إذا أجابا
 و لكن دون ذلك مهمه لو طوته الرّيح لم ترج الإيابا
 أخى، برّ المودّة كلّ برّ إذا برّ الأشقا الانتسابا
 بعثت إليك من نظمى بدر شققت عليه من فكرى عبابا
 عدانى الدهر أن يلقاك شخصى فأغنى الشّعر عن شخصى و نابا

و قال فى الغرض الذى نظم فيه الرّصافى من وصف بلده، و ذكر إخوانه و معاهده، مساجلا فى العروض و الرّوى، عقب رسالة سماها
 «رسالة طراد الجياد فى الميدان، و تنازع اللدان و الإخوان، فى تنفيق مرسية على غيرها من البلدان»:

[الطويل]

لعلّ رسول البرق يغتتم الأجرافينثر عنى ماء عبرته نثرا!
معامله أربو بها غير مذنب فأفضيه دمع العين من نقطه بحرا
ليسقى من تدمير قطرا محببا يقرب عين القطر أن تشرب القطرا
و يقرضه ذوب اللجين و إنما توفيه عيني من مدامعها تبرا
و ما ذاك تقصيرا بها غير أنه سجيئه ماء البحر أن يذوى الزهرا
خليلى، قوما فاحبسا طرق الصبا مخافه أن تحمى بزفرتى الحرى
فإنّ الصبا ريح على كريمة بأية ما تسرى من الجنة الصغرى
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٧١ خليلي، أعنى أرض مرسية المنى و لو لا توخى الصدق سميتها الكبرى
محلى بل جوى الذى عبقت به نواسم آدابی معطرة نشرا
و وكرى الذى منه درجت فليتنى فجعت بريش العزم كى ألزم الوكرا
و ما روضة الخضراء قد مثلت بهامجرتها نهرا و أنجمها زهرا
بأبهج منها و الخليج مجرة و قد فضحت أزهار ساحتها الزهرا
و قد أسكرت أزهار أغصانها الصبا و ما كنت أعتد الصبا قبلها حمرا
هنالك بين الغصن و القطر و الصبا و زهر الربى و لدت آدابی الغزا
إذا نظم الغصن الحيا قال خاطرى تعلم نظام الثر من ههنا شعرا
و إن نثرت ريح الصبا زهر الربى تعلمت حل الشعر أسبكه نثرا
فوائد أسحار هناك اقتبستها و لم أر روضا غيره يقرئ السحرا
كأن هزير الريح يمدح روضها فتملا فاه من أزهارها درّا
أيا زنقات الحسن، هل فيك نظرة من الجرف الأعلى إلى السكة الغزا؟
فأنظر من هذى لتلك كأنما أغير إذ غازلتها أختها الأخرى
هى الكاعب الحسناء تتم حسنها و قدت لها أوراقها حللا خضرا الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ٣؛ ص ٢٧١
إذا خطبت أعطت دراهم زهرا و ما عادة الحسناء أن تنقد المهرا
و قامت بعرس الأنس قينة أيكه أغاريدها تسترقص الغصن النضرا
فقل فى خليج يلبس الحوت درعه و لكنه لا يستطيع بها قصرا
إذا ما بدا فيها الهلال رأيت كصفحة سيف و سمها قبة صفرا
و إن لاح فيها البدر شبتت منه بسطر لجين ضم من ذهب عشرا
و فى جرفى روض هناك تجافى النهر يود الأفق لو زاره فجرا
كأنهما خلا صفاء تعاتبوا قد بكيا من رقة ذلك النهر
و كم لى بالباب الجديد عشية من الأنس ما فيه سوى أنه مرّا
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٧٢ عشيا كأن الدهر غص بحسناها فجلت سيات البرق أفراسها الشقرا
عليهن أجرى خيل دمعى بوجنتى إذا ركبت حمرا ميادينها الصفرا
أعهدى بالفرس المنعم دوحه سقتك دموعى إنها مزنة شكرى
فكم فيك من يوم أغرّ محجل تقصت أمانيه فخلدتها ذكرا

على مذنب كالنحر من فرط حسنه توذ الثريا أن تكون له نحرا
سقت أدمعى و القطر أيهما انبرى نقا الزملة البيضاء فالنهر فالجسرا
و إخوان صدق لو قضيت حقوقهم لما فارقت عيني وجوههم الزهرا
و لو كنت أفضى حق نفسي و لم أكن لما بت أستحلى فراقهم المرآ
و ما اخترت هذا البعد إلّا ضروره و هل تستجير العين أن تفقد الشفرا؟
قضى الله أن ينأى بى الدهر عنهم أراد بذاك الله أن أعتب الدهرا
و و الله لو نلت المنى ما حمدتها و ما عادة المشغوف أن يحمد الهجرا
أ يأنس باللذات قلبى و دونهم مرام يجد الركب فى طيها شهرا؟
و يصحب هادى الليل راء و حرفه و صاد و نونا قد تقوس و اصفرآ
فديتهم بانوا و ضنوا بكتبهم فلا خبرا منهم لقيت و لا خبرا
و لو لا علا هماتهم لعبتهم و لكن عراب الخيل لا تحمل الزجرا
ضربت غبار البيد فى مهرق السرى بحيث جعلت الليل فى ضربه جبرا
و حققت ذاك الضرب جمعا و عدّه و طرحا و تجميلا فأخرج لى صفرا
كأنّ زمانى حاسب متعسف يطارحنى كسرا، أما يحسن الجبرا؟
فكم عارف بى و هو يحسب رتبتى فيمدحنى سرا و يشتمنى جهرا
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٧٣ لذلك ما أعطيت نفسى حقها و قلت لسرب الشعر: لا ترم الفكر
فما برحت فكرى عذارى قصائدى و من خلق العذراء أن تألف الخدرا
و لست و إن طاشت سهامى بآيس فإنّ مع العذر الذى يتقى يسرا
و من مقطوعاته: [السريع]
يا قمرا مطلعاه أضلعي له سواد القلب منها غسق
و ربّما استوقد نار الهوى فتاب فيها لونها عن شفق
ملكنتى فى دولة من صبا و صدتنى فى شرك من حدق
عندى من حبك ما لو سرت فى البحر منه شعله لا حرق
و من مقطوعاته أيضا: [الكامل]
قد كان لى قلب فلما فارقوا سوى جناحا للغرام و طارا
و جرت سحاب بالدموع فأوقدت بين الجوانح لوعة و أوارا
و من العجائب أن فيض مدامعى ماء و يثمر فى ضلوعى نارا
و شعره الزمل و القطر كثرة، فلنختم له المقطوعات بقوله: [المنسرح]
قالوا و قد طال بى مدى خطئى و لم أزل فى تجرّ مى ساهى
أ عددت شيئا ترجو النجاة به؟ فقلت: أعددت رحمة الله
نثره: كتب يهنئ قاضى الجماعة أبا القاسم بن بقى من رساله: لأن قدره دام عمره، و امثل نهيه الشرعى و أمره، أعلى رتبة و أكرم
محلا، من أن

يتحلّى بخطّة هي به تتحلّى. كيف يهنا بالقعود لسماع دعوة الباطل، و لمعاناة الإنصاف الممطول من الماطل، و التّعب في المعادلة، بين ذوى المجادلة. أما لو علم المتشوّقون إلى خطّة الأحكام، المستشرفون إلى ما لها من التّبسط و الاحتكام، ما يجب لها من اللّوازم، و الشروط الجواز، كبسط الكنف، و رفع الجنف، و المساواة بين العدوّ و ذى الدّنب، و الصاحب بالجنب، و تقديم ابن السبيل، على ذى الرّحم و القليل، و إثارة الغريب، على القريب، و التوسّع في الأخلاق، حتى لمن ليس له من خلاق، إلى غير ذلك ممّا علم قاضى الجماعة أحصاه، و استعمل لخلقه الفاضل أدناه و أقصاه، لجعلوا خمولهم مأمولهم، و أضربوا عن ظهورهم ، فنبذوه وراء ظهورهم ، اللهمّ إلّا من أوتى بسطة في العلم، و رسا طودا في ساحة الحلم، و تساوى ميزانه في الحرب و السّلم، و كان كقاضى الجماعة ، في المماثلة بين أجناس الناس، فقصاراه أن يتقلّد الأحكام للأجر، لا- للتّعسف و الزّجر، و يتولّها للثواب، لا للغلظة في ردّ الجواب، و يأخذها لحسن الجزاء، لا لقبح الاستهزاء، و يلتزمها لجزيل الدّخر، لا للإزراء و السّخر. فإذا كان كذلك، و سلك المتولّى هذا السالك ، و كان كقاضى الجماعة و لا- مثل له، و نفع الحقّ به علله، و نفع غلله، فيومئذ تهنأ به خطّة القضاء، و يعرف ما لله عليه من اليد البيضاء.

و محاسنه في النثر أيضا جمّة.

و من أخباره أنه رحل إلى مرّاكش متسببا في جهاز بنت بلغت الترويح، و قصد دار الإمارة مادحا، فما تيسر له شيء من أمله، ففكر في خيبة قصده، و قال:

لو كنت تأملت جهة الله، و مدحت المصطفى صلى الله عليه و سلم، و آل بيته الطاهرين، لبلغت أملى بمحمود عملى. ثم استغفر الله فى توجهه الأول، و علم أن ليس على غير الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٧٥

الثانى من معول، فلم يكن إلّا أن صوّب نحو هذا القصد سهمه، و أمضى فيه عزمه، و إذا به قد وجّه عنه، و أدخل على الخليفة، فسأله عن مقصده، فأخبره مفصحا به، فأنفذه و زاده عليه، و أخبره أن ذلك لرؤيا رسول الله صلى الله عليه و سلم، فى النوم يأمره بقضاء حاجته. فانفصل موّفى الأغراض، و استمرّ فى مدح أهل البيت حتى اشتهر فى ذلك .

وفاته: سنة ثمان و تسعين و خمسمائة، و سنّه دون الأربعين سنة، و صلّى عليه أبوه، فإنه كان بمكان من الدّين و الفضل، رحمة الله عليه، و تلقى من جهات أنه دخل غرناطة، لما امتدح القائد أبا عبد الله بن صناديد بمدينة جيان، حسبما يظهر من عجالته، من غير تحقيق لذلك.

صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبى القاسم ابن على بن شريف النّفى

من أهل رندة، يكنى أبا الطّيب.

حاله: قال ابن الزبير: شاعر مجيد فى المدح و الغزل، و غير ذلك. و عنده مشاركة فى الحساب و الفرائض. نظم فى ذلك. و له تواليف أدبية، و قصائد زهدية، و جزء على حديث جبريل عليه السلام، و غير ذلك مما روى عنه. و كان فى الجملة معدودا فى أهل الخير، و ذوى الفضل و الدّين. تكرر لقائى إياه، و قد أقام بمالقة أشهر، أيام إقرائى. و كان لا يفارق مجالس إقرائى، و أنشدنى كثيرا من شعره. و قال ابن عبد الملك: كان خاتمة الأدباء بالأندلس، بارع التصرف فى منظوم الكلام و منثور، فقيها حافظا، فرضيا، متفنا فى معارف شتى ، نبيل المقاصد ، متواضعا، مقتصدا فى أحواله. و له مقامات بديعة فى أغراض شتى، و كلامه، نظما و نثرا، مدون.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٧٦

مشيخته: روى عن آباء الحسن: أبيه، و الدباج، و ابن الفخار الشريشى، و ابن قطرال، و أبى الحسن بن زرقون، و أبى القاسم ابن الجدّ . تواليفه: ألف جزءا على حديث جبريل، و تصنيفا فى الفرائض و أعمالها، و آخر فى العروض، و آخر فى صنعة الشعر سماه «الوافى ،

في علم القوافي».

وله كتاب كبير سماه «روضه الأنس، و نزهة النفس».

دخوله غرناطة: و كان كثير الوفادة على غرناطة، و التردد إليها، يسترفد ملوكها، و ينشد أمراءها، و القصيدة التي أولها: «أواصلت يوماً و هاجرتي ألفاً»، أخبرني شيخنا أبو عبد الله اللّوشى أنه نظمها باقتراح السلطان، رحمه الله، و قد أوعز إليه ألا يخرج عن بعض بساتين الملك حتى يكملها في معارضة محمد بن هانى الإلبيرى.

شعره: و هو كثير، سهل المأخذ، عذب اللفظ، رائق المعنى، غير مؤثر للجزالة. فمن ذلك قوله، رحمه الله، في عرض المدح من

السلطانيات: [الوافر]

سرى و الحبّ أمر لا يرام و قد أغرى به الشّوق الغرام

و أغفى أهلها إلا و شاء إذا نام الحوادث لا تنام

و ما أخفاه بين القوم إلّا ضنى و لربما نفع الشّقام

فنال بها على قدر مناهو بين القبض و البسط القوام

و أشهى الوصل ما كان اختلاساو خير الحبّ ما فيه اختتام

و ما أحلى الوصال لو أنّ شيئا من الدّنيا لذّته دوام

بكيّت من الفراق بغير أرضى و قد يبكى الغريب المستهام

أعادلتى، و قد فارقت إلفى أمثلى فى صبا بته يلام؟

أ أفقده فلا أبكى عليه؟ يكون أرقّ من قلبى الحمام

أ أنساه فأحسبه كصبرى و هل ينسى لمحبوب ذمام؟

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٧٧ رويدا، إنّ بعض اللّوم لوم و مثلى لا ينهنه الملام

و يوم نوى وضعت الكفّ فيه على قلب يطير به الهيام

و لو لا أن سفحت به جفوناتيض دما لأحرقها الصّرام

و ليل بتّه كالدهر طولاً تنكر لى و عرفه التّمام

كأنّ سماءه زهر تجلّى بزهر الزّهر و الشّرق الكمام

كأنّ البدر تحت الغيم وجهه عليه من ملاحظته لثام

كأنّ الكوكب الدّرى كأس و قد رقّ الزّجاجه و المدام

كأنّ سطور أفلاك الدّراى قسى و الرّجوم لها سهام

كأنّ مدار قطب بنات نعش ندى و النجوم به ندام

كأنّ بناته الكبرى جوار جوار و السّهى فيها غلام

كأنّ بناته الصّغرى جمان على لبّاتها منها نظام

كواكب بتّ أراعهنّ حتى كأننى عاشق و هى الذّمام

إلى أن مزّقت كفّ الثّرياجيوب الأفق و انجاب الظلام

فما خلت انصداع الفجر إلّا قرابا ينتضى منه حسام

و ما شبّهت وجه الشمس إلّا لوجهك أيها الملك الهمام

و إن شبّهته بالبدر يوماً فللبدر الملاحه و التّمام

تهلّل منه حسن الدهر حتى كأنّك في محيّاه ابتسام
 وعرف ما تنكّر من معال كأنّك لاسمها ألف و لام
 و ملء العين منك جلال مولى صنائعه كغزّته و سام
 إذا ما قيل في يده غمام فقد بخست و قد خدع الغمام
 و حشو الدرع أروع غالبى يراع بذكره الجيش اللّهام
 إذا ما سلّ سيف العزم يوماعلى أمر فسلمّ يا سلام
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٧٨ تناهى مجده كرما و بأسافما يدرى أمحيا أم حمام

نمّته للمكارم و المعالى سراة من بنى نصر كرام
 هم الأنصار هم نصرورا و آوواو لو لا المسك ما طاب الختام
 و هم قادوا الجيوش لكلّ فتح و لو لا الجدّ ما قطع الحسام
 و هم منحوا الجزيرة من حماهم جوارا لا يذمّ و لا يضام
 فمن حرب تشيب له التّواصى و سلم تحيّته سلام
 بسعدك، يا محمد، عزّ دين له بعد الإله بك اعتصام
 و باسمك تمّ للإسلام سلم و غبّ السّلم نصر مستدام
 و كان مرامه صعبا و لكن بحمد الله قد سهل المرام
 أدام الله أمرك من أميرففيه لكلّ مكرمه دوام
 و أنت العروة الوثقى تماما ما للعروة الوثقى انفصام
 و روح أنت و الجسم المعالى و معنى أنت و اللفظ الأنام
 إذا ما ضاقت الدنيا بحرّكفاه لثم كّفكك و السلام
 و من شعره أيضا: [الطويل]

أواصلتى يوما و هاجرتى ألفاوصالك ما أحلى و هجرك ما أجفا!
 و من عجب للطّيف أن جاء و اهتدى فعاد عليلا عاد كالطّيف أم أخفى
 فيا سائرا، لولا التخيّل ما سرى و يا شاهدا، لو لا التعلّل ما أغفى
 ألمّ فأحيانى و ولى فراعنى و لم أر أجفى منك طبعا و لا أشفى
 بعينى شكواى للغرام و تيهه إلى أن تثنى عطفه فانثنى عطفها
 فعانقته شوقا و قبلته هوى و لا قبله تكفى و لا لوعه تطفها
 و من نزعاته العجيبة قوله، و قد سبق إلى غرضه غيره: [البسيط]
 يا طلعه الشمس إلّا أنه قمرأما هواك فلا يبقى و لا يذر
 كيف التخلّص من عينيك لى و متى و فيهما القاتلان الغنج و الحور
 و كيف يسلى فؤادى عن صبابته و لو نهى النّاهيان الشّيب و الكبير
 أنت المنى و المنايا فيك قد جمعت و عندك الحالان النّفع و الضّرر
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٧٩ ولى من الشّوق ما لا دواء له و منك لى الشّافيان القرب و النّظر
 و فى وصالك ما أبقى به رمقى لو ساعد المسعدان الذّكر و القدر

و كان طيف خيال منك يقنعني لو يذهب المانعان الدّمع و السّهر
يا نايبا، لم يكن إلّا ليملكني من بعده المهلكان الغمّ و الغير
ما غبت إلّا و غاب الجنس أجمعه و استوحش المؤمنان السّمع و البصر
بما تكنّ ضلوعي في هواك بمن يعنو له السّاجدان النّجم و الشجر
أدرك بقيّة نفس لست مدركها إذا مضى الهاديان العين و الأثر
و دلّ حيرة مهجور بلا سبب يبكي له القاسيان الدّهر و الحجر
و إن أبيت فلي من ليس يسلمني إذا نبا المذهبان الورد و الصّدر
مؤيدا لملك بالأراء يحكمها في ضمنها المبهجان اليمن و الظّفر
من كالأمير أبي عبد الإله إذا ما خانت القدمان البيض و السّمر
الواهب الخيل آلافا و فارسها إذا استوى المهطعان الصّبر و الصّبر
و المشبه اللّيث في بأس و في خطر و نعمت الحلّيتان البأس و الخفر
تأمن الناس في أيامه و مشوا كما مشى الصّاحبان الشّاء و النّمر
و زال ما كان من خوف و من حذر فما يرى الدّايان الخوف و الحذر
رأيت منه الذي كنت أسمع و حبذا الطّيبان الخير و الخير
ما شئت من شيم عليا و من شيم كأنها الرّائقان الظّلّ و الزّهر
و ما أردت من إحسان و من كرم ينسى به الأجودان البحر و المطر
و غرّة يتلألأ من سماحتها كأنها التّهران الشمس و القمر
إيه، فلو لا دواع من محبته لم يسهل الأصعبان البين و الخطر
نأيت عنه اضطرارا ثم عدت له كما اقتضى المبرمان الحلّ و السّفر
فإن قضى الله أن يقضى به أملى فحسبى المحسبان الظّلّ و الثّمر
و لست أبعده إذ و الحال متّسع أن يبلغ الغائبان السّؤل و الوطر
و من شعره في أغراض متعدّدة، قال في الليل و السّهر: [مجزوء السريع]

أطال ليلى الكمد فالدهر عندي سرمد

و ما أظنّ أنه ليلة الهجر غد

يا نائما عن لوعتي عوفيت ممّا أجد

ارقد هتيا إنني لا أستطيع أرقد

لواعج ما تنطفئ و أدمع تضطرد

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٨٠ و كبدى كبد الهوى و أين منى الكبد؟

و لا تسل عن جلدي و الله ما لي جلد

و من شعره أيضا في المقطوعات: [السريع]

و ليلة قصّر من طولها بزورة من رشا نافر

استوفر الدهر بها غالطا فأدغم الأوّل و الآخر

و قال من قصيدة مغرّبة في الإحسان: [السريع]

و ليلةً تَبَّهت أجفانهاو الفجر قد فَجَّر نهر النهار
و الليل كالمهزوم يوم الوغاو الشَّهْب مثل الشَّهْب عند الفرار
كأنما استخفى الشَّهْب خيفةً و طولب النَّجْم بتأر فتار
لذاك ما شابت نواصي الدَّجى و طارح النَّسْر أخاه فطار
و فى الثَّرِيَّا قمر سافر عن غَزَّة غيَّر منها الشَّفار
كأنَّ عنقودا بها مائل إذ صار كالعرجون عند السَّرار
كأنها تسبك دينارها و كَفَّها تفتل منه سوار
كأنما الظَّلماء مظلومة تحكَّم الفجر عليها فجار
كأنما الصُّبْح لمشتاقه إقبال دنيا بعد ذلَّ افتقار
كأنما الشمس و قد أشرقت وجهه أبى عبد الإله استنار
و فى وصف البحر و الأنهار و ما فى معنى ذلك: [البسيط]
البحر أعظم مما أنت تحسبه من لم ير البحر يوماً ما رأى عجبا
طام له حيب طاف على زورق مثل السماء إذا ما ملئت شهباً
و قال فى وصف نهر: [الطويل]
و أزرق محفوف بزهر كأنه نجوم بأكناف المجرة تزهـر
يسيل على مثل الجمان مسلسلا كما سلَّ عن غمد حسام مجوهر
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٨١ و قد صافح الأدواح من صفحاته و حتى حباب بالنسيم مكسـر
فما كان فى عطف الخليج قلامه و ما كان فى وجه الغدير فمغفر
و فى العقل و التَّغَرَّب: [السريع]
ما أحسن العقل و آثاره لو لازم الإنسان إيثاره
يصون بالعقل الفتى نفسه كما يصوم الحرُّ أسرارها
لا سيما إن كان فى غربه يحتاج أن يعرف مقدارها
و من وصفه الجيش و السلاح: [الكامل]
و كتبه بالدارعين كثيفة جرت ديول الجحفل الجزار
روض المنايا بينها القضب التى زفت بها الزايات كالأزهار
فيها الكماء بنو الكماء كأنهم أسد الشرى بين القنا الخطار
متهللين لدى اللقاء كأنهم خلقت وجوههم من الأعمار
من كلِّ ليث فوق برق خاطف بيمينه قدر من الأقدار
من كلِّ ماض قد تقلد مثله فيصبَّ آجالاً على الأعمار
لبسوا القلوب على الدروع و أسرعوا الأكتفهم نارا لأهل النار
و تقدّموا و لهم على أعدائهم حنق العدا و حمية الأنصار
فارتاع ناقوس بخلع لسانه و بكى الصليب لذلة الكفار
ثم انتشوا عنه و عن عباده وقد أصبحوا خبيرا من الأخبار

و في السيف: [البسيط]

و أبيض صبيغ من ماء و من لهب على اعتدال فلم يخمد و لم يسئل
ماضى الغرار يهاب العمر صولته كأنما هو مطبوع من الأجل
أبهى من الوصل بعد الهجر منظره حسنا و أقطع من دين على ملل
و أسمر ظن أن ما كل سابعه فخاض كالأيم يستشفى من النهل
هام الكماء به حبا و لا عجب من لوعه بمليح القد معتدل
إذا الطعين تلقاه و أرفعه حسبه عاشقا يبكى على طلل
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٨٢

و من ذلك قوله في وصف قوس: [الوافر]

تنكبها كحاجبه و سوى بأهداب الجفون لها نبالا
فلم أر قبله بدرا منيراتحمل فوق عاتقه هلالا
و من ذلك في وصف قلم: [المتقارب]

و أصفر كالصّب في رونق تظنّ به الحبّ ممن نحل
بديع الصفات حديد السّبات يطول الرّماح و إن لم يطل
يعبر عمّا وراء الضمير و يفعل فعل الطّبا و الذّبل
و من ذلك قوله فيما يظهر منها: [البسيط]

تفاخر السّيف فيما قيل و القلم و الفصل بينهما لا شكّ منفيهم
كلاهما شرف لله درهما و حبّ الخطّتان الحكم و الحكم
و من ذلك قوله في سكّين الدّواة: [الخفيف]
أنا صمصامة الكتابة ما لي من شبيه في المرهفات الرّفاق
فكأني في الحسن يوم وصال و كأني في القطع يوم فراق
و من ذلك قوله في المقصّ: [الوافر]

و معتنين ما اشتها بعشوق إن و صفا بضمّ و اعتناق
لعمر أبيك ما اعتنقا لمعنى سوى معنى القطيعة و الفراق
و من ذلك قوله في الورد: [مخلع البسيط]

الورد سلطان كلّ زهرلو أنّه دائم الورد
بعد حدود الملاح شىء ما أشبه الورد بالخدود
و من ذلك قوله في الخيريّ: [السريع]

و أزرق كمثل السماء فيه لمن ينظر سرّ عجيب
شخّ مع الصّبح بأنفاسه كأنما الصّبح عليه رقيب
و باح بالليل بأسراره لّمّا رأى اللّيل نهار الأريب
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٨٣

و من ذلك قوله في الرّيحان: [الوافر]

و أخضر فستقى اللون غصّ يروق بحسن منظره العيون
 أغار على الترنج و قد حكاها و زاد على اسمه ألفا و نونا
 و قال من جملة قصائده المطولات التي تفنن فيها، رحمه الله: [الطويل]
 و غانية يغنى عن العود صوتها و جارية تسقى و ساقية تجرى
 بحيث يجزّ النهر ذيل مجرّه يرفّ على حافاتهما الزهر كالزهر
 و قد هزّت الأرواح خصر كتائب بالوية بيض على أسل سمر
 رمى قرح نبلا إليها فجزدت سيوف سواقيها على دارع النهر
 و هبت صبا نجد فجزت غلائلا تجفّف دمع الطلّ عن وجنة الزهر
 كأنّ بصفح الرّوض و شى صحيفه و كالألفات القضب و الطرس كالتبر
 كأنّ به الأقحوان خواتما مفضضة فيها فصوص من التبر
 كأنّ به الترجس الغصّ أعياتر قرق فى أجفانها أدمع القطر
 كأنّ شذا الخيرى زورة عاشق يرى أنّ جنح الليل أكتم للسرّ
 و قال فى وصف الزمان: [البيسط]

لله رمانة قد راق منظرها فمثلها بديع الحسن منعوت
 القشر حقّ لها قد ضمّ داخله و الشحم قطن لها و الحبّ ياقوت
 و من ذلك قوله فى الجزر: [البيسط]

انظر إلى جزر فى اللون مختلف البعض من سبج و البعض من ذهب
 إن قلت: قصب فقل: قصب بلا زهراً أو قلت: شمع فقل: شمع بلا لهب
 و فى الاغتراب و ما يتعلّق به مما يقرب من المطولات: [الوافر]

غريب كلّما يلقي غريب فلا وطن لديه و لا حبيب
 تذكر أصله فبكى اشتياقا و ليس غريبا أن يبكى غريب
 و مما هاج أشواقى حديث جرى فجرى له الدمع السكوب
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٨٤ ذكرت به الشباب فشقّ قلبى ألم تر كيف تنشقّ القلوب؟

على زمن الصبا فليبك مثلى فما زمن الصبا إلّا عجب
 جهلت شبيبتى حتى تولّت و قدر الشىء يعرف إذ يغيب
 ألا ذكر الإله بكل خير بلادا لا يضيع بها أديب
 بلاد ماؤها عذب زلال و ريح هوائها مسك رطيب
 بها قلبى الذى قلبى المعنى يكاد من الحنين له يدوب
 رزقت الصبر بلين أبى و أمى كلانا بعد صاحبه كتيب
 ألا فتوحّ بعدى من أواخى و دع ما لا يريب لما يريب
 و لا تحكم بأول ما تراه فإنّ الفجر أوله كذوب
 ألا إنا خلقنا فى زمان يشيب بهوله من لا يشيب
 و قد لذّ الحمام و طاب عندى و عيشى لا يلدّ و لا يطيب

لحي الله الضرورة فهي بلوى تهين الحرّ و البلوى ضروب
 رأيت المال يستر كلّ عيب و لا تخفى مع الفقر العيوب
 و فقد المال في التحقيق عندي كفقّد الزوج ذا من ذا قريب
 و قد أجهدت نفسي في اجتهاد و ما أن كلّ مجتهد مصيب
 و قد تجرى الأمور على قياس و لو تجرى لعاش بها اللبيب
 كأنّ العقل للدنيا عدوّ فما يقضى بها أربا أريب
 إذا لم يرزق الإنسان بختا فما حسناته إلّا ذنوب
 و من نسيبه قوله في بادرة من حمّام: [الكامل]
 برزت من الحمّام تمسح وجهها عن مثل ماء الورد بالعنّاب
 و الماء يقطر من ذوائب شعرها كالطلّ يسقط من جناح غراب
 فكأنها الشمس المنيرة في الضّحى طلعت علينا من خلال سحب
 و من مقطوعاته أيضا قوله: [الكامل]
 و متيم لو كان صوّر نفسه ما زادها شيئا سوى الإشفاق
 ما كان يرضى بالصدود و إنّما كثرت عليه مسائل العشاق
 و قال: [مخلع البسيط]
 وافي و قد زانه جمال فيه لعشّاقه اعتذار
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٨٥ ثلاثة ما لها مثال: الوجه و الخدّ و العذار
 فمن رآه رأى رياضاً: الورد و الآس و البهار
 و من ذلك قوله في ذمّ إخوة السوء: [الكامل]
 ليس الأخوة باللسان أخوة فإذا تراد أخوتى لا تنفع
 لا أنت في الدنيا تفرّج كربه عنّي و لا يوم القيامة تشفع
 و قال كذلك: [الكامل]
 و لقد عرفت الدهر حين خبرته و بلوت بالحاجات أهل زمان
 فإذا الأخوة باللسان كثيرة و إذا الدّراهم ملىق الإخوان
 و من ذلك قوله في ثقليل: [المتقارب]
 تزلزلت الأرض زلزالها فقلت لسكانها: ما لها؟
 فقالوا: أانا أبو عامر فأخرجت الأرض أثقالها
 و من ذلك قوله في الصّبر: [السريع]
 الدهر لا يبقى على حالة لكنه يقبل أو يدبر
 فإن تلقاك بمكروهه فاصبر فإنّ الدهر لا يصبر
 و من ذلك قوله في الموت: [السريع]
 الموت سرّ الله في خلقه و حكمه دلّت على قهره
 ما أصعب الموت و ما بعده لو فكّر الإنسان في أمره

أيام طاعات الفتى وحدها هي التي تحسب من عمره
لا تلهك الدنيا ولذاتها عن نهى مولاك ولا أمره
وانظر إلى من ملك الأرض هل صح له منها سوى قبره؟
نثره: قال في كتاب «روضه الأنس» ما نصه:

«ويتعلق بهذا الباب ما خاطبني به الفقيه الكاتب الجليل أبو بكر البرذعي، من أهل بلدنا، أعزه الله: أخبرك بعجاب، إذ لا سرّ دونك ولا حجاب، بعد أن أتقدم إليك أن لا تعجل باللوم إليّ، قبل علم ما لديّ، فإنّ الدهر أخذع من كفه الحابل، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٨٦

و قلب الإنسان للآفات قابل. مشيت يوما إلى سوق الرقيق، لأخذ حقّ فؤاد عتيق، فرأيت بها جارية عسجديه اللون، حديثه عهد بالصون، متمائلة القدّ، قائمه النهدي، بلحظ قد أوتى من السّحر أوفر حظّ، وفم كشرطه رشحت بدم، داخله سمطان لولا هما ما عرف النّظم، ولا حكم على الدّر للعظم، في صدغها لآمان ما خطّ شكلهما قلم، ولا قصّ مثلهما حلم. لها جيد تتمناه الغيد، و خصر هو قبضة الكفّ في الحصر، و ردف يظلمه من يشبه به بالحقف، و يدان خلقا للوشى، و قدما أهلتا للثم لا للمشى، فتطاوت إليه الأعناق، و بذلت فيها الأعلاق، و المياسير عليها مغرم في القوم، و تسوّم أهل السّوم، و كل فيها يزيد، ليبلغ ما يريد، إلى أن جاء فتى صادق في حبه، لا يبالي بفساد ماله في صلاح قلبه، فعّد المال عدّا، و لم يجد غيره من التسليم بدّا. فلما فاتتني، تركت الأشواق و أتتني، و انتقضت عزائم صبري فما أتتني، فالله الله، تدارك أخاك سرّيعا، قبل أن تلفيه من الوجد صرّيعا، و استنزله خادما، قبل أن تصبح عليه نادما، و لن أحتاج أن أصفها إليك، مع ما قصصته عليك، و قد أهديتها دررا، فخذها على جهة الفكاهة و الدّعابة: [الوافر]

و لا تطلع أبا جهل عليها فمن لم يدر قدر الشيء عابه

فأجبت: نعم نعم، أنعم الله بالك، و سنى آمالك، أنا بحول الله أرتاد لك من نحو هاتيك، ما يسليك و يؤاتيك، و إلما فيضا كاللجين، هل القلب و العين، زهرة غصن في روضه حسن، ذات ذوائب، كأنها الليل على نهار، أو بنفسج في بهار. لها وجه أبهى من الغنا، و أشهى من نيل المنى، فيه حاجبان كأنهما قوس صنعت من السّبح، و رصّعت بعاج من البلح، على عينين ساحرتين، بالعقل ساخرتين، بهما تصاب الكبود، و تشقّ القلوب قبل الجلود، إلى فم كأنه ختام مسك، على نظام سلك، سقاه الحسن رحيقه، فأنبت درره و عقيقه، و جيد في الحسن و حيد على صدر كأنه من مرمر، فيه حقّتا عاج طوقتا بعنبر، قد خلقتا للعضّ، في جسم غصّ، له خصر مدمج، و ردفه يتموّج، و أطراف كالعنم، رقمت رقم القلم، من اللائى شهدن ابن المؤمل، و قال في مثلها الأول، إن هي تاهت فمثلها تاهها، أو هي باهت فمثلها باها، من أين للغصن مثل قامتها أو أين للبدر مثل مرآها، ما فعلت في العقول صابيه ما فعلت في العقول عيناها، تملكني بالهوى و أملكها، فهأنا عبدها و مولاها، فأيهما لست بذلت فيه الجهد، و أرقيت للمجد و الودّ إن شاء الله تعالى.

و أنا فيما عرض لسيدى، حفظه الله، على ما يحبّ، أعذره و لا أعذله، و أنصره و لا أخذله، لكني أقول كما قال بعض الحكماء: لا ينبغي لمن قلبه رقيق، أن يدخل سوق الرقيق، إلّا أن يكون قد جمع بين المال، و الجمال يتنافس في العالى، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٨٧

و يسترخص بالثمن الغالى، و لا يبالي بما قال الأئمة، إذا وجد من يلائمه، كما قال الشاعر: [الخفيف]

ما انتفاع المحبّ بالمال إذ لم يتوصّل به لوصل الحبيب

إنما ينبغي بحكم الهوى أن ينفق المال في صلاح القلوب

و السلام على سيدى، ما كانت الفكاهة من شأن الوفاء، و المداعبة من شيم الطّرفاء، و رحمة الله و بر كاته.

مولده: ولد في محرم سنة إحدى و ستمائة.

وفاته: توفي في عام أربعة وثمانين وستمائة.

نقلت من خط صاحبنا الفقيه المؤرخ أبي الحسن بن الحسن، قال: أنشدني الشيخ الزاوية الأديب القاضي الفاضل أبو الحجاج يوسف بن موسى بن سليمان المنتشافي، قال: أنشدني القاضي الفاضل أبو القاسم ابن الوزير أبي الحجاج ابن الحقاله، قال: أنشدني الأديب أبو الطيب صالح بن أبي خالد يزيد بن صالح بن شريف الرندي لنفسه، ليكتب على قبره: [الطويل]

خليلي، بالود الذي بيننا اجعلنا إذا متّ قبري عرضة للترحم
عسى مسلم يدنو فيدعو برحمة فإني محتاج لدعوة مسلم
حرف العين من ترجمة الملوكة والأمراء

عبد الله بن إبراهيم بن علي بن محمد التجيبي الرئيس أبو محمد بن إشقيولة

أوليته: قد مرّ شيء من ذلك في اسم الرئيس أبي إسحاق أبيه.

حاله: كان أميراً شهماً، مضطرباً بالقضية، شهير المواقف، أبي النفس، عالي العمة. انتزى على خاله أمير المسلمين الغالب بالله، و كان أملك لما بيده من مدينة وادي آش و ما إليها، معزّزاً بأخيه الرئيس أبي الحسن مظاهره في الأمر، و مشاركته في الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٨٨

السلطان. و استمرت الحال مدة حياة خاله السلطان، و لما صار الأمر إلى مخيفه ولى العهد، استشرى الداء، و أعضل الأمر، و عمت الفتنة، و زاحمه السلطان بالمنكب؛ انفجرت، و اعتوره بالحيلة، حتى تحيف أطرافه، و كان ما هو معلوم من إجازة أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق البحر إلى الجهاد، و مال الحال بينه و بين السلطان أمير المسلمين أبي عبد الله بن نصر إلى التقاطع، و تصيرت مألقة إلى الإيالة المغربية، ثم عادت إلى السلطان.

و في أخريات هذه الأحوال، أحكم السلطان مع طاغية الزوم السلم، و صرف وجهه إلى مطالبة الرئيس أبي محمد، صاحب وادي آش، فألجأه الحال إلى أن صرف الدعوة بوادي آش إلى السلطان بالمغرب و رفع شعاره، فأقعد عنه. و وقعت مراسلات أجلت عن انتقال الرئيس أبي محمد إلى المغرب، معوضاً عن مدينة وادي آش بقصر كتامة، و ذلك في عام تسعة و ثمانين و ستمائة.

وفاته: دخلت قصر كتامة يوم الثلاثاء الثاني و العشرين من ذي قعدة عام خمسة و خمسين و سبعمائة في غرض الرسالة، و زرت مقبرة الرؤساء بني إشقيولة بظاهرها، و في قبة ضخمة البناء رحيبة الفناء، نسيجه و حدها بذلك البلد بين منازل البلى و ديار الفناء، و بها قبر الرئيس أبي محمد هذا، عن يسار الداخل، بينه و بين جدار القبلة قبر، و سنامه رخام مكتوب عليه: [المجث]

قبر عزيز علينا أن من فيه يفدى

أسكنت قرّة عيني و قطعة القلب لحدا

ما زال حكما عليه و ما القضاء تعدى

فألصبر أحسن ثوب به العزيز تردى

و عند رأس السنّام الرخامي، مهد مائل من الرخام فيه:

«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، صلّى الله على سيدنا محمد و آله، و سلّم تسليمًا. هذا قبر الرئيس الجليل، الأعلى الهمام، الأوحده،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٨٩

الأسعد، المبارك، الأسنى، الأسمى، الأحفل، الأكمل، المجاهد، المقدس، المرحوم، أبي محمد عبد الله، ابن الرئيس الجليل، الهمام، الأوحده، الأسعد، المبارك، الأمضى، الأسنى، الأسمى، المعظم، المرفّع، المجاهد، الأرضى، المقدس، المرحوم أبي إسحاق إبراهيم بن

إشقيولة، رحمه الله و عفا عنه و أسكنه جنته. ظهر، عفا الله عنه، بوادي آش، أمّنها الله، قاعدة من قواعد الأندلس، و تسلطن، و نشرت علامات سلطنته، و ضربت الطبول. و جاهد منها العدو، قصمه الله، و ظهر على خاله سلطان الأندلس، و أقام في سلطنته نحوًا من ثلاث و عشرين سنة. ثم قام بدعوة الملك الأعلى، السلطان المؤيد المنصور، أمير المسلمين، المؤيد بالله أبي يعقوب، أيده الله بنصره، و أمده بمعونته و يسره، و أمره، أيده الله، أن يتخلّى عن وادي آش المذكورة، و يصل للمغرب، فتتخى عن الأندلس للمغرب، آنسه الله، في جمادى الأولى من عام ستته و ثمانين و ستمائة، فأعطاه، أيده الله، قصر عبد الكريم، أمّنه الله، و أنعم عليه، فأقام به مدة من ثمانية أعوام، و جاز منه إلى الأندلس، أمّنها الله، و جاهد بها مرتين، ثم رجع إلى قصر عبد الكريم المذكور، و توفي، شرف الله روحه الطيبة المجاهدة، عشى يوم السبت العاشر من شهر محرم سنة خمس و تسعين و ستمائة.

عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبّوس بن ماكسن ابن زيري بن مناد الصنهاجي

أمير غرناطة.

أوليته: قد مرّ من ذلك في اسم جدّه ما فيه كفاية.

حاله: لقبه المظفر بالله، الناصر لدين الله. ولى بعد جدّه باديس في شوال سنة خمس و ستين و أربعمائه، و صحبه سماجة الصنهاجي تسع سنين. قال الغافقي: و كان قد حاز حظًا وافرًا من البلاغة و المعرفة، شاعرا جيّد الشعر، مطبوعه، حسن الخطّ.

كانت بغرناطة ربعة مصحف بخطه في نهاية الصنعة و الإتقان. و وصفه ابن الصيرفي

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٩٠

فقال: كان جبانًا معمد السيف، قلقًا، لا يثبت على الظّهر، عزهاة لا أرب له في النساء، هيباء، مفرط الجزع، يخلد إلى الزّاحات، و يستوزر الأعمار.

خلعه: قال: و في عام ثلاثة و ثمانين و أربعمائه، تحرّك أمير المسلمين، يوسف بن تاشفين، لخلع رؤساء الأندلس، فأجاز البحر، و يمم قرطبة، و تواترت الأنباء عن حفيد باديس صاحب غرناطة، بما يغبطه و يحقده، حسبما تقدم في اسم مؤمّل مولى باديس. و قدّم إلى غرناطة أربع محلّات، فنزلت بمقربة منها، و لم تمتد يد إلى شيء يوجد، فسّر الناس و استبشروا، و أمّنت البادية، و تمايل أهل الحضرة إلى القوى. و أسرع حفيد باديس في المال، و ألحق السّوقه و الحاكة، و استكثر من اللّيف، و ألحّ بالكتب على أذفونش بما يطمعه. و تحقّق يوسف بن تاشفين استشراف الحضرة إلى مقدمه، فتحرك. و في ليلة الأحد لثلاث عشرة خلت من رجب، اجتمع إلى حفيد باديس صنائعه، فخوفوه من عاقبة التبرّص، و حملوه على الخروج إليه، فركب و ركبت أمّه و تركا القصر على حاله، و لقي أمير المسلمين على فرسخين من المدينة، فترجّل، و سأله العفو، فعفا عنه، و وقف عليه، و أمره بالركوب، فركب، و أقبل حتى نزل ب «المشايع» من خارج الحضرة. و اضطربت المحلّات، و أمر مؤملا بثقافه في القصر، فتولّى ذلك، و خرج الجمّ من أهل المدينة، فبايعوا أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، فلقبهم، و أنسهم، و سكّن جأشهم، فاطمأنوا. و سهّل مؤمّل إليه دخول الأعيان، فأمر بكتب الصّيكوك، و رفع أنواع القبالات و الخراج، إلّا زكاة العين، و صدقة الماشية، و عشر الزّرع. و استقصى ما كان بالقصر، فظهر على ما يحول الناظر، و يروع خاطر، من الأعلاق و الدّخيرة، و الحلّى، و نفيس الجوهر، و أحجار الياقوت، و قصب الزّمرّد، و آنية الدّهب و الفضة، و أطباق البلور المحكم، و الجرداذنات، و العراقيات، و الثّياب الرّفيعة، و الأنماط، و الكلل، و السّتائر، و أوطية الدّيباج، مما كان في ادّخار باديس و اكتسابه. و أقبلت دوابّ الظّهر من المنكب

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٩١

بأحمال السّبيك و المسبوك، و اختلفت أمّ عبد الله لاستخراج ما أودع بطن الأرض، حتى لم يبق إلّا الخرثي و الثّقل و السّقط. و زع ذلك الأمير على قواده، و لم يستأثر منه بشيء. قال: و رغب إليه مؤمّل في دخول القصر، فركب إليه، و كثر استحسانه إياه، و أمر

بحفظه. و تفقد أوضاعه و أفنيته. و نقل عبد الله إلى مراكش، و سنه يوم خلع، خمس و ثلاثون سنة و سبعة أشهر، فاستقر بها هو و أخوه تميم، و حلّ اعتقالهما، و رفّعهنهما، و أجرى المرتب و المساهمة عليهما. و أحسن عبد الله أداء الطاعة، مع لين الكلمة، فقضيت مآربه، و أسعفت رغباته، و خفّ على الدولة، و استراح و استريح منه، و رزق الولد في الخمول، فعاش له ابنان و بنت، جمع لهم المال. فلما توفي ترك مالا جماً.

مولده: ولد عبد الله سنة سبع و أربعين و أربعمئة.

عبد الله بن علي بن محمد التجيبي، الرئيس أبو محمد ابن إشقيلولة

حاله: كان رئيساً شجاعاً، بهمة، حازماً، أيّداً، جلداً. تولى مدينة مالقة عقب وفاة الرئيس واليها أبي الوليد بن أبي الحجاج بن نصر، صنو أمير المسلمين، الغالب بالله، في أوائل عام خمس و خمسين و ستمائة. و كان صهر السلطان على إحدى بناته، و له منه محلّ كبير، و مكان قريب، و له من ملكه حظّ رغب.

و استمرت حاله إلى عام أربع و ستين و ستمائة، و فسد ما بينه و بين وليّ العهد، الأمير أبي عبد الله محمد ابن أمير المسلمين أبي عبد الله الغالب بالله، إذ وغر له صدره، و لا بنى أخيه الرئيسين، أبي محمد و أبي الحسن، ابني الرئيس أبي إسحاق بن إشقيلولة المتأمرين بوادي آش، فضايقهم و أخافهم بما أذاهم إلى الامتناع و الدّعاء لأنفسهم و الاستمساك بما بأيديهم. و عمّت المسلمين الفتنة المنسوبة إليهم، فانتزى هذا الرئيس بمدينة مالقة، و كان أملك لما بيده، و استعان بالنصري، و شمّر عن ساعد الجدّ، فأباد الكثير من أعيان البلدة في باب توسّم التهم و تطرّق السعايات، و استولى على أموالهم. و استمرت الحال بين حرب أجلت فيها غلبة الأمير مخيفه، ولي العهد، بجيش النصري، و نازل مالقة أربعين يوماً، و شعث الكثير بظاهرها، و تسمى بعلم الأمير عند أهل مالقة، و ما بين سلم و مهادنة. و في عام

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٩٢

ستين و ستمائة، نازله السلطان الغالب بالله صهره، و أعيا عليه أمر مالقة، لاضطلاع هذا الرئيس بأمره، و ضبط من نظره، و استمساكه بعروة حزمه.

و في بعض الأيام ركب السلطان في ثلاثة من مماليكه، متخفياً، كاتما غرضه، و قعد بباب المدينة، فلما بصر به الرجال القائمون به، هالهم الأمر، و أدهشتهم الهيبة، فأفرجوا له، موقرين لجلاله، آنسين لقلّة أتباعه، فدخل، و قصد القصبه، و قد نذر به الرئيس أبو محمد، فبادر إليه راجلاً، متبذلاً، مهرولاً، حافياً. و لما دنا منه ترامى على رجليه يقبلهما، إظهاراً لحقّ أبوته، و تعظيماً لقدره، و دخل معه إلى بنته و حفدته، فترامى الجميع على أطرافه يلثمونها، و يتعلّقون بأذياله و أدرانه، و هو يبكي إظهاراً للشّفقة و المودّة و تكلم الجميل. و أقام معهم بياض يومه، ثم انصرف إلى محلّته، و أتبعه الرئيس، فأمره بالاستمساك بقصبته و ملازمة محلّ إمرته، و ما لبث أن شرع في الارتحال عن أطاف و مهادات، و تقدير جرايات، و إحكام هديّة، و تقرير إمارة، إلى أن توفي السلطان، رحمه الله، فعادت الفتنة جزعه، و والى ولده أمير المسلمين بعده الضرب على مالقة، إلى أن هلك الرئيس أبو محمد، و استقرّ بالأمر ولده المذكور في المحمدين، و كان من الأمر ما ينظره في مكانه من أراد استيفاءه، بحول الله.

عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد العزفي

يكنى أبا طالب، الرئيس الفقيه، الكبير الشّهير، صاحب الأمر و الرّئاسة و الإمارة بسبته، نيابة عن أخيه الرئيس الصّالح أبي حاتم، بحكم الاستقلال في ذلك، و الاستبداد التّام، من غير مطالعة لأخيه و لا رجوع إليه في شيء من الأمور، و لا تشوّف من أخيه إلى ذلك،

لخروجه البتة عنه، و إيثاره العزلة، و اشتغاله بنفسه.

حاله: قد تقدم من ذكر أوليته ما فيه كفاية. و كان من أهل الجلالة و الصيانة، و طهارة النشأة، حافظاً للحديث، ملازماً لتلاوة كتاب الله، عارفاً بالتاريخ، عظيم الهيبة، كبير القدر و الصيت، عالي الهمة، شديد البأ، معظماً عند الملوك، جميل الشارة، ممثلاً للإشارة لديهم، عجيب السكينة و الوقار، بعيد المرمى، شديد الانقباض، مطاع السلطان بموضعه، مرهوب الجانب، من غير إيقاع بأحد، و لا هتك حرمة، محافظاً على إقامة الرسوم الحسينية و الدينية.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي الحسين بن أبي الربيع و غيره.

نكبته: تغلب على بلده أيام إمارته، و ثار أهله إليه في السيلاح و العدة؛ ليحيطوا بمن في القصبه، فخرج إليهم، و شكر مساعيتهم، و قال:

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: كن

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٩٣

عبد الله المقتول، و لا تكن عبد الله القاتل، فانصرفوا، و دخل منزله ملقياً بيده، و مسلماً لقضاء الله سبحانه في كسره، إلى أن قبض عليه و على سائر بنيه و قومه، عند ارتفاع النهار و انتشار المتغلبين على القصبه، فنقفوا متحرّجين من دماء المسلمين، و صرفوا إلى الأندلس، في ضحو يوم الخميس الثاني عشر من ذي قعدة عام خمسة و سبعمائة، بعد انقضاء خمسة عشر يوماً من تملك بلدهم، فاستقرت بغرناطة تحت ستر و احترام و جراية فيها كفاف. ثم لما خرجت سبتة عن طاعة أمير المسلمين، انصرف القوم إلى فاس، فتوفى بها.

وفاته: في شعبان المكرم من عام ثلاثة عشر و سبعمائة.

عبد الله بن الجبير بن عثمان بن عيسى بن الجبير اليحصبي

من أهل لوشة، و هو محسوب من الغرناطين. قال الأستاذ: من أعيانها ذوى الشرف و الجلالة. قلت: ينسب إليه بها معاهد تدل على قدم و أصالة.

حاله: قال أبو القاسم الملاحى: كان أدبياً بارع الأدب، كاتباً، بليغاً، شاعراً مطبوعاً، لسناً مفوّهاً، عارفاً بالنحو و الأدب و اللغات، و قد مال في عنفوان شببته إلى الجندية لشهامته و عزة نفسه، فكان في عسكر المأمون بن عباد، و اشتمل عليه المأمون، و كان من أطرف الناس، و أملحهم شبيبة، و أحسنهم شارة، و أتمهم معرفة.

مشيخته: أخذ عن أشياخ بلده غرناطة، و أخذ بمالقة عن غانم الأديب، و بقرطبة عن ابن سراج.

شعره: و له في إنشاده لدى المأمون مجال رحب، فمن ذلك قوله:

[البسيط]

يا هاجر، أضلّ الله سعيكم كم تهجرون محبيكم بلا سبب

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٩٤ و يا مسرّين للإخوان غائلة و مظهرين وجوه البرّ و الزحّ

ما كان ضرّكم الإخلاص لو طبعت تلك النفوس على علياء أو أدب

أشبهتم الدهر لما كان والدكم فأنتم شرّ أبناء لشرّ أب

عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد ابن علي السلماني

والد المؤلف، رضى الله عنه، يكنى أبا محمد، غرناطى الولادة و الاستيطان، لوشى الأصل، ثم طليطيه، ثم قرطبيّه.

أوليته: كان سلفه يعرفون بقرطبة بنى وزير، و هم بها أهل نباهة، و بيتهم بيت فقه و خيرية و مالئية، و نجارهم نجار فرسان يمانية. و لما حدث على الحكم بن هشام الواقعة الربضية، و كان له الفلج، و بأهل الرّبض الدّبرة، كان أعلام هذا البيت من الجالية أمام الحكم، حسبما امتحن به الكثير من أعلام المشيخة بها، كالفقيه طالوت، و يحيى بن يحيى، و غيرهما، و لحقوا بطليطلة، فاستقروا بها، و نبا بهم ووطنهم، ثم حوّموا على سكنى الموسيطه، و آب إلى قرطبة قبلهم بعد عهد متقدم، و منهم خلف و عبد الرحمن، و قد مرّ له ذكر في هذا الكتاب. و ولى القضاء بالكورة. و منهم قوم من قرابتهم تملّكوا منتفريد، الحصن المعروف الآن بالمنعة و الخصب، و تمدّن فيهم، و بنيت به القلعة السّامية، و نسب إليه ذلك المجد، فهم يعرفون ببلدنا ببني المنتفريدين. و استقرّ منهم جدنا الأعلى بلوشة خطيبا و قاضيا بالقيّق و مشاورا، و هو المضاف إلى اسمه التّسويد بلوشة عرفا كأنه اسم مركّب، فلا يقول أحد منهم في القديم إلّا سيدي سعيد. كذا تعرّفنا من المشيخة، و إليه التّسبة اليوم، و به يعرف خلفه بنى الخطيب، و كان صالحا فاضلا، من أهل العلم و العمل. حدّثني الشيخ المسنّ أبو الحكم المنتفريدي، و قد وقفني على جدار برج ببعض أملاكنا بها، على الطّريق الآتية من غرناطة إلى لوشة، ثم إلى غيرها، كإشبيلية و سواها، فقال: كان جدّك يسكن بهذا البرج كذا من فصول العام، و يتلو القرآن ليلا، فلا يتمالك المازون على الطّريق، أن يقربوا إصغاء لحسن تلاوته

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٩٥

و خشوعا. و كان ولده عبد الله بعده، على وتيرة حسنة من الخير و النّباهة و طيب الطّعمة، ثم جدّه الأقرب سعيد على سننه، مرب عليه بمزيد المعرفة، و حسن الخطّ.

و لما وقع بلوشة بلده، ما هو معروف من ثورة أصهارهم من بنى الطّنجالي، و كان بينهم ما يكون بين الفحول في الهجمات من التّشاجر، فرّ عنهم خيفة على نفسه، و على ذلك فناله اعتقال طويل، عدا به عليه عن تلك الثورة. ثم بان عذره، و برّت ساحته، و استظهر به السلطان، و أقام بغرناطة، مكرّما، مؤثرا، مؤتمنا، و صاهر في أشرف بيوتاتها، فكانت عنده بنت الوزير أبي العلى أضحى بن أضحى الهمداني، و توفيت تحته، فأنجز له بسببها الحظّ في الحّمّام الأعظم المنسوب إلى جدّها اليوم.

ثم تزوج بنت القائد أبي جعفر أحمد بن محمد الجعدالة السّلمى، أم الأب المترجم به، و لها إلى السلطان ثانى ملوك بنى نصر و عظيمهم متات ببنوة الخوولة من جهة القواد الأصلاء القرطيين بنى دحون، فوضح القصد، و تأكّدت الحظوة. و قد وقعت الإشارة إلى ذلك كله في محلّه. ثم رسخت لولده أبى، القدم فى الخدمة و العناية، حسبما يتقرّر فى موضعه.

حاله: كان، رحمه الله، فذا فى حسن الشكل و الأبهة، و طلاقة اللسان، و نصاعة الطّرف، و حضور الجواب، و طيب المجالسة، و ثقب الفهم، مشارا إليه فى الحلاوة و عدوبة الفكاهة، و استرسال الانبساط، مغيبا فى ميدان الدّعابة، جزلا، مهيبا، صارما، متجنّدا، رائق الخصل ركضا و ثقافة، و عدوا و سباحة و شطرنجا، حافظا للمثل و اللّغة، أخباريا، مضطعا بالتاريخ، ناظما نائرا، جميل البزّة، فاره المركب، مليح الشّبية. نشأ بغرناطة تحت ترف و نعمة، من جهة أمّه و أبيه، و قرأ على أبى إسحاق بن زرقال، و أبى الحسن البلوطى، ثم على أستاذ الجماعة أبى جعفر بن الزبير، ظاهرة عليه مخيلة النّجابه و الإدراك. ثم أقصر لعدم الحامل على الدّووب، و انتقل إلى بلد سلفه، متحيّفا الكثير من الأصول فى باب البذل و قرى الصّيوف، و مداومة الصّيد، و إيتار الراحة، معتمدا بالتّجّله، مقصود الحلمة، مخطوب المداخله، من أبناء أشرف الدولة، منتجعا لأولى الكدية. و لما قام بالأمر السلطان، أمير المسلمين أبو الوليد، و أمّه بنت السلطان ثانى الملوك من بنى نصر، جزم ما تقدّم من المتات و الوسيلة، استنهضه للإعانة على أمره، و جعل طريقه على بلده، فحطب فى حبله، و تمسّك بدعوته، و اعتمده بنزله و ضيافته، و كان أعظم الأسباب فى حصول الأمر بيده، و دخوله

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٩٦

فى حكمه، و انتقل إلى حضرة الملك بانتقاله، فال ما شاء من اصطناعه و حظوته، و جرى له هذا الرّسم فى أيام من خلفه من ولده إلى يوم الواقعة الكبرى بطريف تاريخ فقده.

و جرى ذكره في كتاب «الإكليل» بما نصه : إن طال الكلام، و جمحت الأرقام، كنت كما قيل: مادح نفسه يقرئك السلام، و إن أحجمت، فما أسديت في الثناء و لا- ألحمت، و أضعت الحقوق، و خفت و معاذ الله العقوق. هذا، و لو أتى زجرت طير البيان من أوكاره، و جتته بعيون الإحسان و أبكاره، لما قضيت حقه بعد، و لا قلت إلا التي علمت سعد . فقد كان، رحمه الله، ذمر عزم، و رجل رخاء و أزم، تروق أنوار خلاله الباهرة، و تضيء مجالس الملوك من صورتيه الباطنة و الظاهرة، ذكاء يتوقّد، و طلاقه يحسد نورها الفرقد. فقدته بكائنه طريف ، جبر الله عثارها، و عجل ثارها.

حدّث خطيب المسجد الأعظم، و هو ما هو، من وفور العقل، و صحّة النّقل، قال: مررت بأبيك بعد ما تمت الكسرة، و خذلت تلك الأسرة، و قد كبا بأخيك الطّرف، و عرض عليه الحمام للصّيرف، و الشيخ رحمه الله لم تزلّ قدمه، و لا راعه الموقف و عظمه. و لما آيس من الخلاص و طلبابه، صرفني و قال: أنا أولى به، فقضى سعيدا شهيدا، لم يستنفره الهول، و لم يثنه و لا رضى عار الفرار عن ابنه. شعره: قال في «الإكليل»: و كان له في الأدب فريضة، و في النّادرة العذبة منادح عريضة. تكلمت يوما بين يديه، في مسائل من الطب، و أنشدته أبياتا من شعري ، و قرأت عليه رقاعا من إنشائي، فسرّ و تهلّل، و عبّر عما أمل، و ما برح أن

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٩٧

ارتجل قوله رحمه الله عليه: [مخلع البسيط]

الطبّ و الشعر و الكتابه سماتنا في بني النّجابه

هنّ ثلاث مبلّغات مراتبا بعضها الحجابه

و وقع لي يوما بخطّه على ظهر أبيات، بعثتها إليه، أعرض عليه نمطها: [الكامل]

وردت كما ورد النسيم بسحره عن روضة جاد الغمام رباها

فكأنما هاروت أودع سحره فيها و آثرها به و حباها

مصقولة الألفاظ يبهر حسنهابمثلها افتخر البليغ و باهي

فقررت عينا عند رؤية حسنهابني أبوك و كنت أنت أباها الإحاطة في أخبار غرناطة ؛ ج ٣؛ ص ٢٩٧

من شعره قوله: [الوافر]

و قالوا قد نأوا: فاصبر ستشفى فترياق الهوى بعد الدّيار

فقلت: هبوا بأنّ الحقّ هذا قلبي يّمموا فيم اصطباري ؟

و من قوله مما يجرى مجرى الحكم و الأمثال : [السريع]

عليك بالصمت فكم ناطق كلامه أدّى إلى كلمه

إنّ لسان المرء أهدي إلى غرّته و الله من خصمه

يرى صغير الجرم مستضعفاو جرمه أكبر من جرمه

و قال و هو من المستحسن في التّجنيس : [الخفيف]

أنا بالدّهر، يا بنّي، خبير فإذا شئت علمه فتعالى

كم مليك قد ارتغى منه روضالم يدافع عنه الردى ما ارتغى لا

كلّ شيء تراه يفنى و يبقى ربّنا الله ذو الجلال تعالى

أنشدني هاتين المقطوعتين.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٩٨

مولده: ولد بحضرة غرناطة في جمادى الأولى من عام اثنين و سبعين و ستمائة.

وفاته: بعد يوم الوقعة الكبرى على المسلمين بظاهر طريف يوم الاثنين السابع لجمادى الأولى عام واحد و أربعين و سبعمائة.

من رثاه: قلت في رثائه من قصيدة أولها: [الطويل]

سهام المنايا لا تطيش ولا تخطى وللدهر كف تستردّ الذى تعطى
و إنا و إن كنا على ثبح الدنا فلا بدّ يوما أن نحلّ على الشطّ
و سياتن ذلّ الفقر أو عزّة الغنى و من أسرع السّير الحثيث و من يبطل
تساوى على ورد الرّدى كلّ و ارد فلم يغن ربّ السّيف عن ربّه القرط
و قال شيخنا أبو زكريا بن هذيل من قصيدة يرثيه بها: [الطويل]
إذا أنا لم أرث الصديق فما عذرى إذا قلت أبياتا حسانا من الشعر؟
و لو كان شعرى لم يكن غير ندبه و أجريت دمعى لليراع عن الحبر
لما كنت أقضى حقّ صحبته التى توخّيتها عونا على نوب الدّهر
رمانى عبد الله يوم وداعه بداهية دهياء قاصمة الظّهر
قطعت رجائى حين صحّ حديثه فإن لم يوف دمعى فقد خاننى صبرى
و هل مؤنس كابن الخطيب لو حشّتى أثبت له همى و أودعه سرى؟

عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن جزى

من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، و قد مرّ ذكر أبيه شيخنا و أخويه، و تقرّرت نباهة بيتهم.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٢٩٩

حاله: هذا الفاضل قريع بيت نبيه، و سلف شهير، و أبوة خيرة، و أخوة بليغة، و خؤولة تميزت من السلطات بحظوة. أديب حافظ، قام على فنّ العربيّة، مشارك فى فنون لسائبة سواه، طرف فى الإدراك، جيد النظم، مطواع القريحة، باطنه نبل، و ظاهره غفلة. قعد للإقراء ببلده غرناطة، معيدا و مستقلا، ثم تقدّم للقضاء بجهات نبيه، على زمن الحداثة، و هو لهذا العهد مخطوب رتبة، و جار إلى غاية، و عين من أعيان البلدة.

مشيخته: أخذ عن والده الأستاذ الشهير أبى القاسم حديث الرّحمة بشرطه، و سمع عليه على صغر السن، أبعاضا من كتب عدة فى فنون مختلفة، كبعض صحيح مسلم، و بعض صحيح البخارى، و بعض الجامع للترمذى، و بعض السّين للنسائى، و بعض سنن أبى داود، و بعض موطأ مالك بن أنس، و بعض الشّفاء لعياض، و بعض الشّمائل للترمذى، و بعض الأعلام للتميرى، و بعض المشرع السّلس فى الحديث المسلسل لابن أبى الأحوص، و بعض كتاب التّيسير لأبى عمرو الدّانى، و بعض كتاب التّبصرة للمكّى، و بعض الكافى لابن شريح، و بعض الهداية للمهدى، و بعض التّليخيص للطبرى، و بعض كتاب الدّلالة فى إثبات النبوة و الرسالة لأبى عامر بن ربيع، و بعض كتاب حلبة الأسانيد و بغية التلاميذ لابن الكماد، و بعض كتاب وسيلة المسلم فى تهذيب صحيح مسلم من تواليف والده، و بعض القوانين الفقهية، و بعض كتاب الدّعوات و الأذكار، و بعض كتاب النّور المبين فى قواعد عقائد الدين من تأليفه، و بعض تقريب الوصول إلى علم الأصول، و بعض كتاب الصلاة، و بعض كتاب الأنوار السّنية فى الكلمات السّنية، و بعض كتاب برنامج. كل ذلك من تأليف والده، رحمه الله. و أجاز له رواية الكتب المذكورة عنه، مع رواية جميع مروياته و تواليفه و تقييداته، إجازة عامة. و لقّنه فى صغره جملة من الأحاديث النبوية و المسائل الفقهية، و المقطوعات الشعرية.

و منهم قاضى الجماعة أبو البركات بن الحاج، حدّثه بالمريّة حديث الرّحمة بشرطه، و سمع عليه بها و بغرناطة عدّة من أبعاض كتب، و أجازة عامة، و أنشده من شعره، و شعر غيره. و منهم قاضى الجماعة الشريف أبو القاسم، لازمه مدة القراءة عليه، و استفاد منه، و

تفقه عليه بقراءة غيره في كثير من النصف الثاني من كتاب سيبويه، وفي كثير من النصف الثاني من كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي، وفي

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٠٠

كثير من كتاب التسهيل لابن مالك، وفي القصيدة الخزرجية في العروض، وسمع من لفظه الرّبع الواحد أو نحوه من تأليفه شرح مقصورة حازم، وتفقه عليه فيه، وأنشده كثيرا من شعره وشعر غيره. ومنهم الأستاذ أبو عبد الله البياني، لازمه مدة القراءة عليه، وتفقه عليه بقراءته في كتاب التسهيل البديع في اختصار التفرّيع إلما يسيرا منه، وتفقه عليه بقراءة غيره في أبعاض من كتب فقهية وغيرها، ككتاب التهذيب، وكتاب الجواهر الثمينة، وكتاب التفرّيع، وكتاب الرسالة لابن أبي زيد، وكتاب الأحكام لابن العربي، وكتاب شرح العمدة لابن دقيق العيد، وغير ذلك مما يطول ذكره. ومنهم الأستاذ الأعراف الشهير أبو سعيد بن لب، تفقه عليه بقراءته في جميع النصف الثاني من كتاب الإيضاح للفارسي، وفي كثير من النصف الأول من كتاب سيبويه، وتفقه عليه بقراءة غيره في أبعاض من كتب عدة، في فنون مختلفة، كالمدونة والجواهر، وكتاب ابن الحاجب، وكتاب التلقين، وكتاب الجمل، وكتاب التسهيل والتنقيح، والشاطبية، وكتاب العمدة في الحديث وغير ذلك. ومنهم الشيخ المقرئ المحدث أبو عبد الله محمد بن بيش، سمع عليه بقراءة أخيه الكاتب أبي عبد الله محمد، جميع كتاب الموطأ، وكتاب الشفا إلما يسيرا منه، وأجازة روايتهما عنه، ورواية جميع مروياته، إجازة عامة، وأنشده جملة من شعره وشعر غيره. ومن أجازة عامة، رئيس الكتاب أبو الحسن بن الجباب، وقاضي الجماعة أبو عبد الله بن يحيى بن بكر الأشعري، والخطيب أبو علي القرشي، والأستاذ أبو محمد بن سلمون، والحاج الراوية أبو جعفر بن جابر، والشيخ القاضي أبو جعفر أحمد بن عتيق الشاطبي الأزدي، والقاضي الكاتب البارع أبو بكر بن شبرين، والقاضي الخطيب الأستاذ الراوية أبو بكر بن الشيخ الخطيب الصالح أبي جعفر بن الزيات، والقاضي الخطيب أبو محمد بن محمد بن الصّابع. ومن كتب له بالإجازة من المشايخ، شيخ المشايخ أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان، وقاضي الجماعة بفاس محمد بن محمد بن أحمد المقرئ، ورئيس الكتاب أبو محمد الحضرمي، وجماعة سوى من ذكر من أهل المشرق والمغرب.

شعره: وشعره نبيل الأغراض، حسن المقاصد. فمن ذلك قوله: [الطويل]

سنى الليلة الغراء وافتك بالبشرى وأبدى بها وجه القبول لك البشرى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٠١ تهلل وجه الكون من طرب بها وأشرق الدنيا بغيرتها الغرا

لها المنّة العظمى بميلاد أحمد لها الرتبة العليا لها العزة الكبرا

طوى سرّه في صدره الدهر مدّة فوافي ربيعا ناشرا ذلك السّرا

حوى شهرة الفضل الشهير وفضله فأحسن به فضلا وأعظم به شهرا

لقد كان ليل الكفر في الليل قد جفافأطلع منه في سمة الهدى فجرا

و في ليلة الميلاد لاحت شواهد قضت أن دين الكفر قد أبطل الكفرا

لقد أخدمت أنوارها نار فارس وأرجت كما ارتج إيوانه كسرى

له معجزات يعجز القلب كنهها ويحصر إن رام اللسان لها حصرا

معال يكلّ الشعر عن نيل وصفها وتقصر عن إدراك مصعده الشعري

به بشر الرّسل الكرام ولم تزل شمائله تتلى وآياته تترى

ففي الصّحف الأولى مناقبه العلى وفي الذكر آيات خصّت له قدرا

لقد خصّه مولاه بالقرب والرضى وحسبك ما قد نصّ في النجم والإسرا

وردد عليه الشمس بعد غروبها وشقّ على رغم العداة له البدرا

و كان له في مائه و طعامه لطائف ربانية تبهر الفكر
غدا الماء من بين الأصابع نابعاو عاد قليل الزاد من يمينه كثيرا
و كم نائل أولى و كم سائل حباو كم مشتك أشفى و كم مدنفا أبرى!
كفى شاهدا أن رد عين قتادة فكان لها الفضل المبين على الأخرى
و حن إليه الجذع عند فراقه و لا حنت الخنساء إذ فارت صخرا
و حق له إذ بان عنه حبيبه و من ذاق طعم الوصل لم يحمل الهجرا
خليلى، و الدنيا تجدد للفقر ضروبا من الأشواق لو تنفع الذكرى
بعيشكما هل لى إلى أرض طيبة سبيل؟ فأما الصبر عنها فلا صبرا
منى النفس من تلك المعاهد زورة أثبت بها شكوى و أشكو بها وزرا
و تعفير خدى فى عروق ترابها ليمحو لى ذنبا و يثبت لى أجرا
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٠٢ تعلقنى نفسى بإدراكها المنى و ما أجهدت عيشا و لا ملكت قفرا
و من كانت الآمال أقصى اجتهاده غدت كفه ممّا تأمله صفرا
و كم زجرتها واعظات زمانها فما سمعت وعظا و لا قبلت زجرا
و كنت لها عصر الشيبه عاذرا سقاها الحيا ما كان أقصره عصرا
و أما و قد ولت ثلاثون حجة فليست أرى للنفس من بعدها عذرا
إذا أنت لم تترك سوى النفس طائعا فلا بد بعد الشيب من تركه قسرا
و لم أذخر إلا شفاعه أحمد لتخفيف وزر شد ما أوثق الظهرا
لقد علق كفى الرجاء بحمله لعل كسير القلب يقلبه برا
هو المرتضى الداعى إلى منهج الرضا هو المصطفى الهادى الميسر ليسرى
هو الحاسر الماحى الضلالة بالهدى هو الشافع الواقى إذا شهر الحشرا
بأى كلام يبلغ المرء وصف من مكارمه تستغرق النظم و النثرا
خلال إذا الأفكار جاست خلالها تكتر على الأعقاب خاسئه خسرا
لقد غض طرف النجم باهرها سنى و أرغم أنف الروض عاطرها نشرا
سقى ليله حيت به و اكف الحيا فنعماؤها ما إن يحيط بها شكرا
لقد خصها سند الإله برحمة فعمت بها الدنيا و سكاها طرا
أقمت أمير المسلمين حقوقها بأفعال بر أضحكت للهدى ثغرا
لقد سرت فيها إذ أتتك بسرّه أقرت لها عينا و سرت لها صدرا
عرفت بها حق الذى عرفت به فأحسنتها شكرا و أوليتها برا
و أصحابتها الإخلاص لله و التقى و أعقبها الإحسان و النائل الغمرا
لدى مصنع ملا العيون محاسنات جسم فيه السحر حتى بدا قصرا
منها بعد أبيات فى المدح للسلطان:
روى عن أبى الحجاج غر شمائل أعاد لنا دهم الليالى بها غرا
و من كبنى نصر جلاله منصب بهم نصر الرحمن دين الهدى نصرا

هم ما هم إن تلقهم في مهمّة لقيت الجناب السهل و المعقل الوعرا
 سلاله أنصار النبي محمد فسل أحدا ينيك عنهم و سل بدرا
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٠٣
 و من شعره في المقطوعات، قال في التورية العروضية: [الوافر]
 لقد قطعت قلبي يا خليلي بهجر طال منك على العليل
 و لكن ما عجيب منك هذا إذ التقطع من شأن الخليل
 و قال في التورية النحوية: [الطويل]
 لقد كنت موصولا فأبدل وصلكم بهجر و ما مثلي على الهجر يصبر
 فما بالكم غيرتم عبدكم و عهدى بالمحجوب ليس يغير
 و قال في التورية مداعبا بعض المقرئين للعدد و هو بديع: [الكامل]
 يا ناصبا علم الحساب حباله لقناص ظبي ساحر الأبواب
 إن كنت ترجو بالحساب وصاله فالبدر يرزقنا بغير حساب
 و قال في التورية العروضية: [المتقارب]
 لقد كمل الود ما بيننا و دنا على فرح شامل
 فإن دخل القطع في وصلنا فقد يدخل القطع في الكامل
 و قال في تضمين مثل: [الوافر]
 ألا أكنتم حب من أحببت و اصبر فإن الهجر يحدثه الكلام
 و إن أبداه دمع أو نحول فمن بعد اجتهادى لا تلام
 و قال: [السريع]
 و أشنب الثغر له و جنة تعدت التحل على و ردها
 ما ذاك إلا حسد إذ رأته رضابه أعذب من شهدها
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٠٤
 و قال في التورية بأسماء كتب فقهية جوابا غير معمى: [الطويل]
 لك الله من خلّ حبانى برقعته حبتنى من أبياتها بالنواد
 رسالة رمز فى الجمال نهاية و خيرة نظم أتحتفت بالجواهر
 و قال فى التورية أيضا: [الطويل]
 إلى الله أشكو غدر آل توددى إلى فلما لاح سرى لهم حالوا
 لقد خدعوني إذ أرونى مودّه و لكنّه لا غرو أن يخدع الآل
 و قال يخاطب رجلا من أصحابه: [الطويل]
 أبا حسن إن شئت الدهر شملنا فليس لودّ فى الفؤاد شتات
 و إن حلت عن عهد الإخاء فلم يزل لقلبي على حفظ العهود ثبات
 و هبنى سرت منى إليك إساءة لم تتقدّم قبلها حسنات؟
 و قال فى التسيب: [الطويل]

لئن كان باب القرب قد سدّ بينناو لم يبق لى فى نيل وصلك مطمع
و أخفرت عهدى دون ذنب جنيته و أصبح ودّى فيك و هو مضيع
و لم ترث لى عمّا ألقى من الأسى و صرت أنادى منك من ليس يسمع
و ضاقت بى الأحوال عن كلّ وجهه فما أرتجى من رحمة الله أوسع
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٠٥

و ممّا نظمه فى التّضمين مخاطبا بعض المنتحلين للشّعر قوله: [الطويل]
لقد صرت فى غضب القصائد ما هرفما أسم جميع الشعر عندك غير لى
و لم تبق شعرا لامرىء متقدّم و لم تبق شعرا يا ابن بشت لأول
فشعر جرير قد غضبت و رؤبه و شعر ابن مرج الكحل و ابن المرّحل
و إن دام هذا الأمر أصبحت تدعى (قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل)

و من المقرئين و العلماء

عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن مجاهد البدرى الكوّاب

من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، الخطيب، المقرئ.

حاله: من «الصّيلة»: كان، رحمه الله، أتقن أهل زمانه فى تجويد كتاب الله العزيز، و أبرعهم فى ذلك، و أنفعهم للمتعلم، نفع الله به كل من قرأ عليه، و ترك بعده جملة يرجع إليهم فى ذلك، و يعمل على ما عندهم. و كان مع ذلك نبه الأعراض، فى جميع ما يحتاج إليه فى علمه، ذاكرا للاختيارات التى تنسب للمقرئين، من يرحح و يعلم، و يختار و يردّ، موفقا فى ذلك، صابرا على التعليم، دابئا عليه نهاره و ليله، ذاكرا لخلاف السّبعة. رحل الناس إليه من كل مكان، خاصّتهم و عامّهم، و ملأ بلده تجويدا و إتقانا، و كان مع هذا فاضلا و رعا جليلا. خطب بجامع غرناطة و أمّ به مدة طويلة إلى حين وفاته.

مشيخته: أخذ القراءات عن الحاج أبى الحسين بن كوثر، و أبى خالد بن رفاعه، و أبى عبد الله بن عروس. و رحل إلى بياسة فأخذ بها القراءات عن أبى بكر بن حسون، و أخذ مع هؤلاء عن جعفر بن حكم، و أبى جعفر بن عبد الرحيم،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٠٦

و أبى الحسن الصّدفى الفاسى، و سمع عليه كثيرا من كتاب سيويه تفقّها، و أجاز له كتابه القاضى أبو بكر بن أبى جمره مع آخرين ممن أخذوا عنه.

من أخذ عنه: روى عن الناس أهل بلده و غيرهم، منهم ابن أبى الأحوص، و أبو عبد الله بن إبراهيم المقرئ.

وفاته: توفى فى سنة ثلاث و ثلاثين و ستمائة، و دفن بمقبرة باب البيرة.

عبد الله بن على بن عبد الله بن على بن سلمون الكنانى

من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، و يعرف بابن سلمون.

حاله: كان، رحمه الله، نسيج وحده، دينا و فضلا، و تخلقا و دماثة، و لين جانب، حسن اللّقاء، سليم الباطن، مغرقا فى الخير، عظيم الهشّة و القبول، كريم الطّويّة، عظيم الانقياد، طيب اللهجة، متهاككا فى التماس الصّالحين، يتقلّب فى ذلك بين الخطأ و الإصاّبة، صدرا فى أهل الشّورى. قرأ ببلده و سمع و أسمع و أقرأ، و كتب الشروط مدة، مأثور العدالة، معروف التّزاهة، مثلا فى ذلك، و يقوم على

العربية و الفقه، خصوصا باب البيوع، و يتقدم السِّبَاق في معرفة القراءات، منقطع القرين في ذلك، أشد الناس خفوفاً في الحوائج، و أسرعهم إلى المشاركة.

مشيخته: قرأ على الأستاذ الكبير أبي جعفر بن الزبير بغرناطة، و لآزمه، فانتفع به دراية و رواية. و قرأ على الخطيب أبي الحسن بن فضيلة، و المكتب أبي الحسن البلوطي، و أبي محمد النفزي، و الخطيب أبي جعفر الكحيلي. و بمالقة على الأستاذ أبي محمد الباهلي. و بسبته على الأستاذ المقرئ رحلة و قته أبي القاسم بن الطيب، و سمع عليه الكثير. و على الأستاذ أبي عبد الله الدراج، و لازم مجلس إقرائه، و على الشيخ المعمر أبي عبد الله بن الخطار الكامي، و هو أعلى من لقيه من تلك الحلية.

و أخذ بالإجازة عن العدل أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن التولي، و روايته عالية.

لقي أبا الربيع بن سالم، و لقي بسبته الشريف الزاوية أبا علي الحسن بن أبي الشرف ربيع، و الأديب الكاتب أبا علي الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق. و بفاس الفقيه أبا غالب محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغيلي. و قرأ على الخطيب المحدث أبي عبد الله بن رشيد. و سمع على ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم. و لقي الأديب المعمر مالك بن المرحل. و أجازته أبو عمران موسى بن الخطيب أبي الحسن

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٠٧

الدّاري برنده. و أجازته من أهل المشرق كثير، منهم عز الدين أحمد بن محمد الحسنى بقيّة الأشراف بالديار المصرية، و جمال الدين أحمد بن محمد بن عبد الله الظاهري، و نجم الدين أحمد بن حمدان الحرّاني، و جمال الدين أحمد بن أبي الفتح الشّيباني، و أحمد بن عبد المنعم الصّوفي، و مولده عام أحد و ستمائة، و أحمد بن سلمان بن أحمد المقدسي، و أحمد بن عبد الحميد بن عبد الهادي، و شمس الدين إبراهيم بن سرور المقدسي، و الخطيب بالمسجد الأعظم ببجاية أبو عبد الله بن صالح الكناني، و أبو عبد الله محمد بن أبي خمسة محمد بن البكري بن أبي بكر، و أبو عبد الله محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري، و ابن دقيق العيد تقي الدين، و أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد بن جماعة، و الشّيخة الصالحة أم محمد عائشة بنت أبي الخطاب محمد بن أحمد بن خليل السّكوني. و أجازته نحو من المائتين من أهل المشرق و المغرب. و لقي بفاس الشّيخة الأديبة الطيبة الشاعرة سارة بنت أحمد بن عثمان بن الصلاح الحليّة و أجازته، و ألبسته خرقة التصوّف.

قال: و أنشدتني قصيدة أجابت بها الخطيب المحدث أبا عبد الله بن رشيد، أولها يعنى قصيدة ابن رشيد: [السرّيع]

سرى نسيم من حمى سارة عاد به كلّ نسيم عاطرا

و جال أفكار الدّنا ذكرها فسار فيها مثلاً سائرا

دائرة و المجد قطب لها دارت عليه فلكا دائرا

فقلت:

وافى قريض منكم مذ غدا البعض أوصافكم ذاكرا

أطلع من أنفاسه حجوا و من شذاه نفسا عاطرا

أعاد ميت الفكر من خاطري من بعد دفن في الثرى ناشرا

يبهر طرفي حسن منظره أحب به نظما غدا باهرا

فقلت لَمّا هالني حسنه أ شاعرا أصبح أم ساحرا؟

أم روضة هذى التي قد نوى؟ أم بدر تمّ قد بدا زاهرا؟

أم ضرب من فمه سائل؟ أم جوهر أضحي لنا ناثرا؟

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٠٨ لله ما أعذب ألفاظه و أنور الباطن و الظاهر!

يا ابن رشيد، بل أبا الرشد، من لم يزل طيّ العلا ناشرا
خذ ما فدتك النفس يا سيدي وكن لمن نظمها عاذرا
ما تصل الأنتى بتقصيرها لأن تبارى ذكرا ماهرا
لا زلت تحيي من رسوم العلاما كان منها دارسا داثرا

تصانيفه: الكتاب المسمى ب «الشافى فى تجربة ما وقع من الخلاف بين التيسير و التبصرة و الكافى» لا نظير له.

مولده: ولد بغرناطة ببلده فى الثانى و العشرين لذى قعدة من عام تسعة و ستين و ستمائة.

وفاته: فقد فى الوقعة العظمى بطريف يوم الاثنين السابع لجمادى الأولى من عام أحد و أربعين و سبعمائة. حدث بعض الجند أنه رآه يتحامل، و جرح بصدرة يثغب دما، و هو رابط الجأش، فكان آخر العهد به، تقبل الله شهادته.

عبد الله بن سهل الغرناطى

يكنى أبا محمد، و يبرز بوجه نافخ.

حاله: من كتاب ابن حمامة، قال: عنى بعلم القرآن و النحو و الحديث عناية تامه، و بهذا كنت أسمع الثناء عليه من الأشياخ فى حال طفولتى بغرناطة، ثم شهر بعد ذلك بعلم المنطق، و العلوم الرياضية، و سائر العلوم القديمة، و عظم بسببها، و امتد صيته من أجلها، و أجمع المسلمون و اليهود و النصارى أن ليس فى زمانه مثله، و لا فى كثير ممن تقدمه، و بين هذه الملل الثلاثة من التحاسد ما عرف. و كانت النصارى تقصده من طليطلة، تتعلم منه أيام كان ببياسة، و له مع قسيسهم مجالس فى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٠٩

التناظر، حاز فيها قصب السبق. قال: ثم خرج عن بياسة، و سار إلى نظر ابن همشك عند خروج النصارى عن بياسة. و له تواليف. و هو الآن بحاله.

قلت: تاريخ هذا القول، عام ثلاثة و خمسين و خمسمائة.

عبد الله بن أيوب الأنصارى

يكنى أبا محمد، و يعرف بابن خدوج، من أهل قلعة أيوب.

حاله: فقيه حافظ لمذهب مالك. استوطن غرناطة و سكنها.

تواليفه: ألف فى الفقه كتابا مفيدا سماه «المنوطة على مذهب مالك»، فى ثمانية أسفار، أتقن فيها كل الإتيان.

وفاته: توفى بها سنة اثنتين و ستين و خمسمائة، و قد قارب المائة.

عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى ابن عبد الله الأنصارى

مالقى، قرطبى الأصل، يكنى أبا محمد، و يعرف بالقرطبى، و قرأ بغرناطة.

حاله: كان فى وقته ببلده كامل المعارف، صدرا فى المقرئين و المجودين، رئيس المحدثين و إمامهم، واسع المعرفة، مكثرا، ثقة، عدلا، أمينا، مكين الرواية، رائق الحط، نبيل التقييد و الضبط، ناقد، ذا كرا أسماء رجال الحديث و طبقاتهم و تواريخهم، و ما حلوا به من جرح و تعديل، لا يدانيه أحد فى ذلك، عزيز النظر،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣١٠

متيقظاً، متوقِّد الذهن، كريم الخلال، حميد العشرة، دمثاً، متواضعاً، حسن الخلق، محبباً إلى الناس، نزيه النفس، جميل الهيئة، وقوراً، معظماً عند الخاصة والعامة، ديناً، زاهداً، ورعاً، فاضلاً، نحوياً ماهراً، رياناً من الأدب، قائلاً الجيد من الشعر، مقصداً ومقطعاً. وكان له بجامع مالقة الأعظم مجلس عام، سوى مجلس تدريسه، يتكلم فيه على الحديث، إسناداً و متناً، بطريقة عجز عنها الكثير من أكابر أهل زمانه. و تصدر للإقراء ابن عشرين سنة .

من أخباره في العلم والذكاء: قالوا: قرىء عليه يوماً باب الابتداء بالكلم التي يلفظ بها في إيضاح الفارسي، وكان أحسن الناس قياماً عليه، فتكلم على المسألة الواقعة في ذلك الباب، المتعلقة بعلم العروض، وكان في الحاضرين من أحسن صناعته، فجاذبه الكلام، و ضايقه في المباحثة، حتى أحسَّ الأستاذ من نفسه التَّقْصِير، إذ لم يكن له قبل كبير نظر في العروض، فكفَّ عن الخوض في المسألة، و انصرف إلى منزله، و عكف سائر اليوم على تصفُّح علم العروض حتى فهم أغراضه، و حصل تواليفه، و صنَّف فيه مختصراً نبيلاً لخص في صدره ضروره، و أبدع فيه بنظم مثله، و جاء به من الغد، معجزاً من رآه أو سمع به، فبهت الحاضرون و قضوا العجب من اقتداره و ذكائه، و نفوذ فهمه، و سمو همته.

و من أخباره في الدين: قال أبو أحمد جعفر بن زعرور العاملي المالقي، تلميذه الأخصَّ به: بتَّ معه ليلة في دويرته التي كانت له بجبل فاره للإقراء و المطالعة، فقام ساعة كنت فيها يقظاناً، و هو ضاحك مسرور، يشدُّ يده كأنه ظفر بشيء نغيس، فسألته فقال: رأيت كأن الناس قد حشروا في العرض على الله، و أتى بالمحدثين، و كنت أرى أبا عبد الله التميمي يؤتى به، فيوقف بين يدي الله تعالى، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣١١

فيعطى براءته من النار، ثم يؤتى بي، فأوقفت بين يدي ربي، فأعطاني براءتي من النار، فاستيقظت، و أنا أشدَّ عليها يدي اغتباطاً بها و فرحاً، و الحمد لله.

مشيخته: تلا بمالقة على أبيه، و أبي زيد السهيلي، و القاسم بن دحمان، و روى عنهم، و عن أبي الحجاج بن الشيخ، و أبوي عبد الله بن الفخار، و ابن نوح، و ابن اليتيم، و ابن كامل، و ابن جابر، و ابن بونه. و بالمنكب عن عبد الوهاب الصدي. و حضر بمالقة مجلس أبي إسحاق بن قرقول. و ياشبيلية عن أبي بكر بن الجد، و ابن صاف، و أبي جعفر بن مضاء، و أبوي الحسن عبد الرحمن بن مسلمة، و أبي عبد الله بن زرقون، و أبي القاسم بن عبد الرازق، و أبي محمد بن جمهور.

و بغرناطة عن أبوي جعفر بن حكم الحصياري، و ابن شراحيل، و أبي عبد الله بن عروس، و أبوي محمد عبد الحق التوالشي، و عبد المنعم بن الفرس. و بمرسية عن أبي عبد الله بن حميد، و أبي القاسم بن حبيش. و بسبته عن أبي محمد الحجري.

و أجاز له من الأندلس ابن محرز، و ابن حسيون، و ابن خيرة، و الأركشي، و ابن حفص، و ابن سعادة، و يحيى المجريطي، و ابن بشكوال، و ابن قرمان. و من أهل المشرق جماعة كبيرة.

شعره و تصانيفه: ألَّف في العروض مجموعات نبيلة، و في قراءة نافع. و لخص أسانيد الموطأ. و له المبدى، لخطأ الزندي. و دخل يوماً بمجلس أقرأ به أبو الفضل عياض، و كان أفتى منه، غير أن الشيب جار عليه، و تأخر شيب الأستاذ، فقال: يا أستاذ، شبنو ما شبتهم، قال: فأنشده ارتجالاً: [الطويل]

و هل نافع أن أخطأ الشيب مفرقي و قد شاب أترابي و شاب لداتي؟

لئن كان خطب الشيب يوجد حسه بتربي فمعناه يقوم بذاتي

و من شعره في التجنيس: [الطويل]

لعمر ك، ما الدنيا و سرعة سيرها بسكانها إلَّا طريق مجاز

حقيقتها أن المقام بغيرها و لكنهم قد أولعوا بمجاز

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣١٢

و مما يؤثر أيضا من شعره قوله : [الخفيف]
 سهرت أعين و نامت عيون لأمر تكون أو لا تكون
 فاطرد الهَمّ ما استطعت عن النَّفس فحملاتك الهموم جنون
 إنَّ ربّا كفاك بالأمس ما كان سيكفيك فى غد ما يكون
 مولده: ولد أبو محمد قريب ظهر يوم الاثنين لثمان بقين من ذى القعدة عام ستّ و خمسين و خمسمائة.
 وفاته: سحر ليلة السبت أو سحر يومها، و دفن إثر صلاة العصر من اليوم السابع لربيع الآخر سنة إحدى عشرة و ستمائة.
 من رثاه: رثاه الأديب أبو محمد عبد الله بن حسون البرجى من قصيدة حسنة طويلة: [الطويل]
 خليلي، هبنا ساعداني بعبرة و قولاً لمن بالرى: و يحكم هبوا
 نبكّ العلا و المجد و العلم و التقى فماتم أحزاني نوائحه الصّحب
 فقد سلب الدين الحنيفى روحه ففى كلّ سرّ من نباهته نهب
 و قد طمست أنوار سنّه أحمدو قد خلت الدنيا و قد ظعن الرّكب
 مضى الكوكب الوقاد و المرهف الذى يصحّح فى نصّ الحديث فما ينبو
 تمنى علاه التيران و نوره و قالاً يزعم: إنّه لهما ترب
 أ أسلو و بحر العلم غيضت مياهه و محيى رسوم العلم يحجبه التّرب؟
 عزيز على الإسلام أن يودع الثرى مسدده الأسرى و عالمه التّذب
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣١٣ بكى العالم العلوى و السبع حسرة أولئك حزب الله ما فوقهم حزب
 على القرطبى الحبر أستاذنا الذى على أهل هذا العصر فضله الرّب
 فقد كان فيما قد مضى من زمانه به تحسن الدّنيا و يلتئم الشعب
 و يجمع سرب الأنس روض جنابه فقد جفّ ذاك الرّوض و افترق السّرب
 فسحقا لدنيا خادعتنا بمكرها إذا عاقدت سلما فمقصدها حرب
 ركبنا بها السّهل الدّلول فقادنا إلى كلّ ما فى طيه مركب صعب
 و نغفل عنها و الرّدى يستفرّنا كفى واعظا بالموت لو كان لى لبّ

عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عيسى بن أحمد ابن إسماعيل بن سماك العاملى

يكنى أبا محمد، مالمقى الأصل.
 حاله: كان فقيها أديبا، بارع الأدب، شاعرا مطبوعا، كثير النّادر، حلو الشّمايل، أدرك شيوخا جلّه، و ولى قضاء غرناطة مدّة.
 مشيخته: روى عن جدّه لأمه، و ابن عمّ أبيه أبى عمر أحمد بن إسماعيل، و أبى على الغسانى، و أبى الحسن على بن عبيد الرحمن بن
 سمحون، و المرسانى الأديب.
 شعره: [الكامل]

الروض مخضّر الرّبى متجمل للناظرين بأجمل الألوان
 و كأنما بسطت هناك سوارها خود زهت بقلائد العقيان
 و كأنما فتقت هناك نوافح من مسكّه عجتت بعرف البان
 و الطير يسجع فى الغصون كأنما تقرأ القيان فيه على العيدان

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣١٤ و الماء مطرد يسيل عبايه كسلاسل من فضة و جمان بهجات حسن أكملت فكأنهاحسن اليقين و بهجة الإيمان و كتب إلى الكاتب أبي نصر الفتح بن عبيد الله في أثناء رسالة :
[الوافر]

تفتحت الكتابه عن نسيم نسيم المسك في خلق الكريم
أبا نصر، رسمت لها رسوماتخال رسومها وضح النجوم
و قد كانت عفت فأنرت منهاسراجا لاح في الليل البهيم
فتحت من الصنائة كل باب فصار في طريق مستقيم
فكتاب الزمان و لست منهم إذا راموا مرامك في هموم
فما قس بأبدع منك لفظا و لا سحبان مثلك في العلوم
وفاته: في السابع و العشرين من رمضان المعظم سنة أربعين و خمسمائة، و هو ابن أربع و ثمانين سنة.

و من ترجمة القضاة

عبد الله بن أحمد بن محمد بن سعيد بن أيوب بن الحسن ابن منخل بن زيد الغافقي

من أهل غرناطة و أعيانها، يكنى أبا محمد، و ينسب إلى غافق بن الشاهد بن عك بن عدنان، لا إلى حصن غافق.
حاله: من «العائد: كان رجلا صحيح المذهب، سليم الصدر، قليل المصانعة، كثير الحركة و الهشة و الجدة، ملازم الاجتهاد و العكوف، لا يفتر عن النسخ و التقييد و المطالعة، على حال الكبر، قديم التعين و الأصالة، ولى القضاء عمره بمواضع كثيرة، منها بيرة و رندة ثم مالقة، مضافا إلى الخطابة بها.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣١٥

مشيخته: حج في حدود سبعة و ثمانين و ستمائة، و روى عن جلة من أهل المشرق، كالإمام تقي الدين بن دقيق العيد، و الحافظ أبي محمد عبد المؤمن الدمياطي، و شمس الدين المصنف أبي عبد الله بن عبد السلام. و أجازه من أهل المغرب شيخ الجماعة بالأندلس أبو جعفر بن الزبير، و القاضي ابن أبي الأحوص، و الخطيب أبو الحسن بن فضيلة، و الأستاذ أبو الحسن ابن الصيانع الإشبيلي، و أبو جعفر الطباع، و غيرهم.

تواليفه: ألف كتابا سماه ب «المنهاج، في ترتيب مسائل الفقيه المشاور أبي عبد الله ابن الحاج».

مولده: ولد بغرناطة في حدود ستين و ستمائة.

وفاته: توفي بغرناطة يوم عاشوراء من عام أحد و ثلاثين و سبعمائة.

عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن أبي زنين المرّي

يكنى أبا خالد.

حاله: كان فقيها جليلا، و لى القضاء ببعض جهات غرناطة.

مشيخته: أخذ الفقه عن أبي جعفر بن هلال، و أبي محمد بن سماك القاضي.

و العربية عن الخضر بن رضوان العبدري. و الحديث عن الحافظ أبي بكر بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية، و الإمام أبي الحسن على

بن أحمد، والقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض أيام قضائه بغرناطة.

مولده: ولد سنة سبع و تسعين و أربعمائه.

وفاته: توفي في ذى قعدة سنة أربع و أربعين و خمسمائه.

عبد الله بن يحيى بن محمد بن أحمد بن زكريا بن عيسى ابن محمد بن يحيى بن زكريا الأنصاري

يكنى أبا محمد، من أهل غرناطة، شرقى الأصل، مرسية، من بيوتاته النبيهة، وقد مر ذكر أخيه.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣١٦

حاله: كان على طريقة حسنة من دماء الأخلاق، و سلامة السجية، و التزام الحشمة، و الاشتغال بما يعنى. ولى القضاء دون العشرين سنة، و تصرف فيه عمره بالجهات الأندلسية، فأظهر فيه عدلا و نزاهة، و لم يختلف عليه اثنان مدة حياته من أهل المعرفة بالأحكام، و التقدّم فى عقد الشروط، و صناعة الفرائض، علما و عملا، ثاقب الذهن، نافذا فى صنع العدد.

مشيخته: قرأ على أبيه القاضي أبي بكر بن زكريا، و له رواية عالية من أعلام من أهل المشرق و المغرب. و قرأ على أبي الحسن بن فضيلة الولي الصالح، و القاضي أبي عبد الله بن هشام الألسي، و الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، و الحاج أبي محمد بن جابر، و أبي بكر القلوسى. و قرأ العدد و ما أشبهه على الأستاذ التعلیمی أبي عبد الله الرقام، و لازمه، و أجازة طائفة كبيرة. أخبرنى ولده الفاضل أبو بكر، قال: ورد سؤال من تونس مع تاجر وصل فى مركب إلى مدينة المنكب أيام قضائه بها، فى رجل فرط فى إخراج زكاة ماله سنين متعدّدة، سميت فى السؤال مع نسبة قدر المال، و طلب فى السؤال أن يكون عملها بالأربعة الأعداد المتناسبة، إذ عملها بذلك أصعب من عملها بالجبر و المقابلة، فعملها و أخرجها بالعملين، و عبر عنها بعبارة حسنة، و كتبها فى بطاقة بخط جميل، فذكر التاجر أنه لم يبق بتونس فقيه إلّا و نسخ منها نسخة و استحسناها.

مولده: ولد يوم الخميس السابع عشر لجمادى الآخرة عام خمسة و سبعين و ستمائة.

وفاته: توفى قاضيا ببسطة فى التاسع عشر من رمضان عام خمسة و أربعين و سبعمائه.

عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الملك ابن أبي جمرة الأزدي

من أهل مرسية، نزيل غرناطة، يكنى أبا محمد، و بيته بمرسية من أعلام بيوتاتها، شهر التعين و الأصالة، ينكح فيه الأمراء.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣١٧

حاله: كان من أعلام وقته فضلا و عدالة و صلاحا و وقارا، طاهر النشأة، عفّ الطعمة، كثير الحياء، مليح التخلق. نشأ بمرسية، ثم انتقل إلى غرناطة فتولّى القضاء ببيرة و جهاتها، ثم جاز إلى سبتة، و انعقدت بينه و بين رؤسائها المصاهرة فى بعض بناته. ثم آب إلى غرناطة عند رجوع إياله سبتة إلى أميرها، فتقدّم خطيبا بها.

مشيخته: روى بالإجازة عن الخطيب الحافظ أبي الربيع بن سالم و أمثاله.

وفاته: الغريبة المستحسنة، قال بعض شيوخنا: كنت أسمع عند سجوده و تبّله و ضراسته إلى الله يقول: اللهم، أمتنى ميتة حسنة، و يكرّر ذلك. فأجاب الله دعاءه، و توفاه على أتمّ وجوه التائب طهارة و خشوعا و خضوعا و تأهبا، و زمانا و مكانا، عندما صعد أوّل درج من أدراج المنبر، يوم الجمعة الثالث و العشرين لشوال من عام أحد عشر و سبعمائه، فكان يوما مشهودا لا عهد بمثله، ما رثى أكثر باكيا منه، و أكثر الناس من الثناء عليه.

عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان ابن عمر بن حوط الله الأنصاري الحارثي الأزدي

يكنى أبا محمد.

حاله: من «الصيِّلة»: قال: القاضي المحدث الجليل العالم، كان فقيها جليلا أصوليا، نحويا، كاتباً، أديبا، شاعرا، متفنا في العلوم، و رعا، ديناً، حافظاً، ثبثاً، فاضلاً. و كان يدرّس كتاب سيويه، و مستصفي أبي حامد، و يميل إلى الاجتهاد في نظره، و يغلب طريقة الظاهرية، مشهورا بالعقل و الفضل، معظماً، عند الملوك، معلوم القدر لديهم، يخطب في مجالس الأمراء و المحافل الجمهوريّة، مقدّما في ذلك، بلاغةً و فصاحةً إلى أبعد مضمار. و لملوك الموحدّين به اعتناء كبير.

و هو كان أستاذ الناصر و إخوته، و كان له عند المنصور والدهم، بذلك أكرم أثره، مع ما كان مشهورا به من العلم و الدين و الفضل. ولى القضاء بإشبيلية و قرطبة

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣١٨

و مرسية و سبتة و سلا و ميورقة، فتظاهر بالعدل، و عرف بما أبطن من الدين و الفضل، و كان من العلماء العاملين، سنياً، مجانبا لأهل البدع و الأهواء، بارع الخطّ، حسن التقييد.

مشيخته: تردّد في طلب العلم، فسمع ببلنسية و شاطبة و مرسية و ألمرية و قرطبة و إشبيلية و مالقة، و غيرها من البلاد الأندلسية، و تحصّل له سماع جمّ لم يشاركه فيه أحد من أهل المغرب. قرأ القرآن على أبيه، و على أبي محمد عبد الصمد الغساني، و أخذ عن ابن حميد كتاب سيويه تفقها، و عن غيره، و سمع عن ابن بشكوال، و قرأ أكثر من ستين تأليفا بين كبار و صغار، و كمل له على أبي محمد بن عبد الله، بين قراءة و سماع، نحو من ستّة و ثلاثين تأليفا، منها الصحيحان، و أكثر عن ابن حبيش، و السهيلي، و ابن الفخار و غيرهم. و استيفاء مشيخته يشقّ.

شعره: قال الأستاذ: أنشدني ابنه أبو القاسم، و نقلت من خطه: [الوافر]

أ تدرى أنك الخطاء حقّوا أنك بالذي تدرى رهين؟

و تغتاب الألى فعلوا و قالواو ذاك الظنّ و الإفك المبين

مولده: في محرم سنة ثمان و أربعين و خمسمائة .

وفاته: كان آخر عمره قد أعيد إلى مرسية، قصدتها من الحضرة، فمات بغرناطة سحر يوم الخميس الثاني لربيع الأول اثنتي عشرة و ستمائة، و نقل منها في تابوته الذي أُلحِد فيه، يوم السبت التاسع عشر لشعبان من السنة إلى مالقة، فدفن بها.

عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد ابن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري

من أهل قرطبة، يكنى أبا القاسم، و يعرف بابن ربيع.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣١٩

حاله: كان، رحمه الله، أديبا، كاتباً، شاعرا، نحويا، فقيها أصوليا، مشاركا في علوم، محبا في القراءة، و طيا عند المناطرة، متناصفا، سنيا، أشعري المذهب و النسب، مصمما على طريقة الأشعرية، ملترما لمذهب أهل السنة المالكي، من بقايا الناس و عليتهم، و من آخر طلبه الأندلس المشاركين الجلة، المصممين على مذهب أهل السنة، المنافرين للمذاهب الفلسفية و المبتدعة، و الزّيف. ولى قضاء مواضع من الأندلس، منها مدينة شريش و رندة و مالقة، و أمّ و خطب بجامعها. ثم ولى قضاء الجماعة بحضرة غرناطة، و عقد بها مجلسا للإقراء، فانتفع به طلبتها، و استمرّ على ذلك، و كانت ولايته غرناطة نحو من سبعة أعوام.

مشيخته: أخذ عن أبيه أبي عامر و تفقه به، و عن الخطيب أبي جعفر بن يحيى الحميري، و تلا- عليه، و تأدّب به، و عن الأستاذ أبي الحسن بن خروف، و روى مع هؤلاء عن القاضي أبي القاسم بن بقي، و أبي محمد بن حوط الله، و أبي عبد الله بن أصبغ، و غيرهم.

و أجاز له الشيخ المسنّ أبو الحسن علي بن أحمد بن علي الغافقي الشَّقورِي، و له به علوٌ، و بالأستاذ الخطيب المسنّ أبي جعفر بن يحيى المتقدم.

وفاته: توفي في السابع عشر لشوال سنة ست و ستين و ستمائة، و لم يخلف بعده مثله، و لا من يقاربه.

عبد الله بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن ابن الحسين الثقفى العاصمى

من ولد عاصم بن مسلم، الداخلى فى طلعة بلج الملقب بالعريان، أخو الأستاذ أبى جعفر بن الزبير، شقيقه، يكنى أبا محمد. حاله: كان طبيبا ماهرا، كاتباً شاعراً، ذا كرا للغة، صنع اليدىن، متقدماً فى أقرانه نباهة و فصاحة، معدوم النظر فى الشجاعة و الإقدام، يحضر الغزوات، فارساً و رجلاً و لقى بفحص غرناطة ليلاً- نصرانيا يتجسس، فأسرته و جزه، و أدخله البلد، و لم يلتفت إلى ثمنه استكتاماً لتلك الفعله.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٢٠

مشيخته: أخذ القرآن عن الأستاذ أبى عبد الله بن مستقور، و روى عن أبى يحيى بن عبد الرحيم، و أبى الوليد العطار، و أبى القاسم بن ربيع، و أبى الخطار بن خليل، و أخذ عن أبى عمر بن حوط الله بمالقة، و ابن أبى ريحانة. و بسبته على أبى بكر بن مشليون. و أجاز له أبو بكر بن محرز، و أبو الحسن الشَّارى. و أخذ عن الأستاذ الناقد أبى الحسن على بن محمد الكنانى.

مولده: ولد بغرناطة لسبع عشرة ليلة خلت من ذى قعدة سنة ثلاث و أربعين و ستمائة.

وفاته: توفي بها سحر أول يوم من ذى قعدة سنة ثلاث و ثمانين و ستمائة.

عبد الله بن موسى بن عبد الرحمن بن حماد الصنهاجى

يكنى أبا يحيى.

حاله: طالب نبيل فاضل، و رع زاهد، مؤثر فى الدنيا بما تملكه، تال لكتاب الله فى جميع الأوقات. أخباره فى الإيثار: وجه له السيد أبو إسحاق ابن الخليفة أبى يعقوب خمسمائة دينار ليصلح بها من شأنه، فصرف جميعها على أهل الستر فى أقل من شهر. و مرّ بفتى فى إشبيلية، و أعوان القاضى يحملونه إلى السجن، و هو يبكى، فسأله، فقال: أنا غريب، و طولبت بخمسين ديناراً، و بيدي عقود، و طولبت بضامن فلم أجده، فقال: له الله، قال: نعم، قال: فدفعت له خمسين ديناراً، قال: أشهد لك بها، فضجر و قال: إن الله إذا أعطى عبده شيئاً لم يشهد به عليه، و تركه و انصرف لشأنه، و كانت عنده معرفة و أدب. مولده: بغرناطة فى سنة إحدى و عشرين و خمسمائة.

و من ترجمة الكتاب و الشعراء بين أصلى و طارىء

عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأزدي

من أهل بلش، يكنى أبا محمد، و يعرف بابن المربع.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٢١

حاله: من نبهاء أدباء البادية، خشن الظاهر، منطو على لودعية متوارية فى مظهر جفوة، كثير الانطباع عند الخبرة، قادر على النظم و النثر، متوسط الطبقة فيهما، مسترفد بالشعر، سيال القريحة، مرهوب الهجاء، مشهور المكان ببلده، يعيش من الخدم المخزنية، بين خارص و

شاهد، و جدّ بذلك وقته، يوسط رقاوته، فتنجح الوسيلة، و يتمشى له بين الرضا و السخط الغرض.

و جرى ذكره في «التاج» بما نصّه: «طويل القوادم و الخوافي، كلف على كبر سنّه بعقائل القوافي، شاب في الأدب و شبّ، و نشق ريح البيان ليّما هبّ، فحاول رفيفه و جزله، و أجاد جدّه، و أحكم هزله. فإن مدح صدح، و إن وصف أنصف، و إن عصف قصف، و إن أنشأ و دوّن، و تقلّب في أفانين البلاغة و تلوّن، أفسد ما شاء الله و كوّن، فهو شيخ الطريقة الأدبية و فتاها، و خطيب حفلها كلّما أتاها، لا- يتوقّف عليه من أغراضها غرض، و لا يضيع لديه منها مفترض. و لم تزل بروقه تتألّق، و معانيه بأذيال الإحسان تتعلّق، حتى برز في أبطال الكلام و فرسانه، و ذعرت القلوب لسطوة لسانه، و ألقّت إليه الصّناعة زمامها، و وقفت عليه أحكامها. و عبر البحر منتجعا بسعره، و منفقا في سوق الكساد من شعره، فأبرق و أردد، و حدّر و توعدّ، و بلغ جهد إمكانه، في التعريف بمكانه، فما حرّك و لا هزّ، و ذلّ في طلب الرّفد و قد عزّ، و ما برح أن يرجع إلى وطنه الذي اعتاده، رجوع الحديث إلى قتاده.

شعره: قال في «التاج»: و قد أثبتّ من نزعاته، و بعض مخترعاته، ما يدلّ على سعة باعه، و نهضة ذراعه. فمن النسيب قوله: [البسيط]

ما للمحبّ دواء يذهب الألماعنه سوى لمم فيه ارتشاف لمي

و لا يردّ عليه نوم مقلته إلّا الدنوّ إلى من شفّه سقما

يا حاكما و الهوى فينا يؤيده هواك فيّ بما ترضاه قد حكما

أشغلتنى بك شغلا شاغلا فلم تناسي، فديتك، عنّي بعد ذاك لما؟

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٢٢ ملكت روحى فأرفق قد علمت بما يلقي و لا حجة تبقى لمن علما

ما غبت عنّي إلّا غاب عن بصري بدرا إذا لاح يجلى نوره الظلما

ما لحت لى فدنا طرفى لغيرك يامولى لحا فيه جفنى النوم قد حرما

طوعا لطيعك لا أعصيك فافض بما ترضاه أرضى بما ترضى و لا جرما

إنّ الهوى يقتضى ذلّا لغيرك لو أفادنى فيك قريبا يبرّد الألما

سلمت من كل عيب يا محمد لاكن قلب صبيك من عينيك ما سلما

و من مخاطباته الأدبية، ما كتب به إلى شيخ الصّوفية ببلده مع طالع من ولده:

[الطويل]

مما ليكم قد زاد فيكم مرابع من الأفق الكونى باليمن طالع

بأنواركم يهدى إلى سبل الهدى و يسمو لما تسمو إليه المطالع

فواسوه منكم بالدعاء فإنه مجاب بفضل الله للخلق نافع

أفاض عليه الله من بركاتكم و أبقاكم ذو العرش ما جنّ ساجع

فوقّ له الشيخ المخاطب بها، أبو جعفر بن الزيات، رحمه الله، بما نصّه:

[الطويل]

عسى الله يؤتية من العلم حصّة تصوّب على الأبواب منها ينباع

و يجعله طرفا لكلّ سجيّة مطهّرة للناس فيها منافع

و يلحقه فى الصالحات بجدّه فيثنى عليه الكلّ دان و شاسع

و ذو العرش جلّ أسما عميم نواله و خير الورى فى نصّ ما قلت شافع

فما أنت دونى يا أباه مهتّابه فالسرور الكلّ بانك جامع

و له يستدعى إلى الباكور: [الوافر]

بدار بدار قد آن البدار إلى أكواس باكور تدار
تبدت رافلات في مسوح له لون الدياجي مستعار
وقد رقت بياضا في سواد كأن الليل خالطه النهار
وقد نضجت و ما طبخت بنارو هل يحتاج للباكور نار؟
ولا تحتاج مضغالا و ليس عجيب لا يشق له غبار
فقل للخلق قل للصرس دعنى ففى البلع اكتفاء و اقتصار
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٢٣

و مما وقع له أثناء مقامات تشهد باقتداره، مقطوعة سهلة و هى: [المتقارب]
رعى الله عهدا حوى ما حوى لأهل الوداد و أهل الهوى
أراهم أمورا حلا و ردها و أعطاهم السؤل كيف نوى
و لما حلا الوصل صالوا له و راموه مأوى و ماء روى
و أوردهم سر أسرارهم و ردّ إلى كلّ داء دوا
و ما أمل طال إلّا و هى و لا أمل صال إلّا هوى

و قال يرثى ديكا فقده، و يصف الوجد الذى وجدته، و يبكى من عدم أذانه، إلى غير ذلك من مستطرف شأنه: [البسيط]
أودى به الحنف لما جاءه الأجل ديكا فلا عوض منه و لا بدل
قد كان لى أمل فى أن يعيش فلم يثبت مع الحنف فى بغيا لها أمل
فقدته فلعمري إنها عظه و بالمواعظ تدرى دمعها المقل
كأن مطرف وشى فوق ملبسه عليه من كلّ حسن باهر حل
كأن إكليل كسرى فوق مفرقه و تاجه فهو عالى الشكل محتفل
مؤقت لم يكن يحزى له خطأ فيما يرتب من ورد و لا حطل

كأن زرقيل فيما مرّ علمه علم المواقيت فيما رتب الأول الإحاطة فى أخبار غرناطة؛ ج ٣؛ ص ٣٢٤
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٢٤ يرخل الليل يحيى بالصراخ فما يصدّه كلل عنه و لا ملل
رأيته قد وهت منه القوى فهوى للأرض فعلا يريه الشارب الثمل
لو يفتدى بديوك الأرض قلّ له ذاك الفداء و لكن فاجأ الأجل
قالوا الدواء فلم يغن الدواء و لم ينفعه من ذاك ما قالوا و ما فعلوا
أملت فيه ثوبا أجر محتسب إن قلت ذلك صحّ القول و العمل

و أمره السلطان أبو عبد الله سادس الملوك النصريين فى بعض أسفاره، و قد نظر إلى شلير، و تردى بالتلج و تعمّم، و كمل ما أراد
من برّته و تمّم، أن ينظم أبياتا فى وصفه، فقال بديهة: [الطويل]
و شيخ جليل القدر قد طال عمره و ما عنده علم بطول و لا قصر
عليه لباس أبيض باهر السنو ليس بثوب أحكمته يد البشر
و طورا تراه كلّه كاسيا به و كسوته فيها لأهل النهى عبر
و طورا تراه عاريا ليس يشتكى لحرّ و لا برد من الشمس و القمر
و كم مرّت الأيام و هو كما ترى على حاله لم يشك ضعفا و لا كبر

فذاك شلير شيخ غرناطة التي لبهجتها في الأرض ذكر قد انتشر بها ملك سامي المراقى أطاعه كبار ملوك الأرض في حالة الصغر تولاه ربّ العرش منه بعصمة تقيه مدى الأيام من كلّ ما ضرر

نثره: ونثره كثير ما بين مخاطبات، وخطب، ومقطعات، ولعب، وزرديات شأنها عجب. فمن ذلك ما خاطب به الرئيس أبا سعيد بن نصر يستجدي أضحياً:

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٢٥

يقول شاكر الأيادي: وذاكر فخر كل نادي، وناشر غرر الغرر للعاكف والبادي، والرائح والغادي، اسمعوا مني حديثاً تلذّذ الأسماع، ويستطرفه الاستماع، ويشهد بحسنه الإجماع، ويجب عليه الاجتماع، وهو من الأحاديث التي لم تتفق إلّا لمثلي، ولا ذكرت عن أحد قبلي، وذلك يا معشر الألباء، والخلصاء الأحناء، أني دخلت في هذه الأيام داري، في بعض أدواري، لأقضى من أخذ الغذاء أوطاري، على حسب أطواري، فقالت لي ربّية البيت: لم جئت، وبما أتيت؟ قلت: جئت لكذا وكذا، فهات الغذاء، فقالت: لا غذا لك عندي اليوم، ولو أودى بك الصوم، حتى تسأل الاستخارة، وتفعل كما فعل زوج الجارة، طيب الله نجاره، وملاً بالأرزاق وجاره.

قلت: وما فعل قريني، وأرنى من العلامة ما أحببت أن تريني. قالت: إنه فكر في العيد، ونظر في أسباب التّعييد، وفعل في ذلك ما يستحسنه القريب والبعيد، وأنت قد نسيت ذكره ومحوته من بالك، ولم تنظر إليه نظرة بعين اهتبالك، وعيد الأضحى في اليد، والنّظر في شراء الأضحى اليوم أوفق من الغد. قلت: صدقت، وبالحقّ نطقت، بارك الله فيك، وشكر جميل تحفيك، فلقد نبهت بعلك لإقامة السنّة، ورفعت عنه من الغفلة مئة. والآن أسير لأبحث عمّا ذكرت، وأنظر في إحضار ما إليه أشرت، ويتأتّى ذلك إن شاء الله بسعدك، وتالين فيه من بلوغ الأمر غاية قصدك، والجدّ ليس من الهزل، والأضحى للمرأة وللرجل الغزل. قالت: دعني من الخرافات، وأخبار الزّرافات، فإنّك حلو اللسان، قليل الإحسان، اتخذت الغربه صحبتك إلى ساسان، فتهاونت بالنساء، وأسأت فيمن أساء، وعودت أكل خبزك في غير مندبل، وإيقاد الفتيل دون قندبل، وسكنى الخان، وعدم ارتفاع الدّخان، فما تقيم موسماً، ولا تعرف له ميسماً، وأخذت معي في ذلك بطويل وعريض، وكلانا في طرفي نقيض، إلى أن قلت لها: إزارك وردائي، فقد تفاقم بك أمر دائي، وما أظنّك إلّا بعض أعدائي، قالت: ما لك والإزار، شطّ بك المزاري؟ لعلك تريد إرهانه في الأضحى والأبزار، اخرج عنى يا مقيت، لا- عمرت معك ولا بقيت، أو عدمت الدّين، وأخذ الورق بالعين. يلزمني صوم سنّة، لا أغفيت معك سنّة، إلّا إن رجعت بمثل ما رجع به زوج جارتى، وأرى لك الرّبح في تجارتي. فقامت عنها وقد لوت رأسها ولولت، وابتدرت وهرولت، وجالت في العتاب وصولت، وضمت بنتها ولدها، وقامت باللّجج والانتصار بالحجج أودها، فلم يسعني إلّا أن عدوت أطوف السّكك والشوارع، وأبادر لما غدوت بسيله وأسارح، وأجوب الآفاق، وأسأل الرّفاق، وأخترق الأسواق، وأقتحم زريبة بعد زريبة، وأختبر منها البعيدة والقريبة، فما استرخصته استنقصته، وما استغلّيته استعلّيته، وما وافق غرضي، اعترضني دونه عدم عرضي، حتى انقضى ثلثا يومي، وقد عيبت بدوراني وهومي، وأنا لم أتحصل من

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٢٦

الابتياح على فائدة، ولا عادت عليّ فيه من قضاء الأرب عائدة، فأومأت الإياب، وأنا أجد من خوفها ما يجد صغار الغنم من الذّئاب، إلى أن مررت بقصّاب يقصب في مجزره، قد شدّ في وسطه مئزره، وقصّير أثوابه حتى كشف عن ساقيه، وشمر عن ساعديه حتى أبدى مرفقيه، وبين يديه عنز قد شدّ يديه في رقبتة وهو يجذبه فيبرك، ويجزّه فما يتحرّك، ويروم سيره فيرجع القهقري، ويعود إلى ورا، والقصاب يشدّ على إزاره، خيفة من فراره، وهو يقول: اقتله من جان باغ، وشيطان طاغ، ما أشده، وما ألده، وما أصده، وما أجده، وما أكثره بشحم، وما أطيبه بلحم، الطّلاق يلزمه إن كان عاين تيسا مثله، أو أضحى تشبهه قبله، أضحى حفيلاً، ومنحه جليلاً. هنياً الله من رزقها، وأخلف عليها رزقها. فافتحمت المزدم أنظر مع من نظر، وأختبر فيمن اختبر. وأنا والله لا أعرف في التّقليب و

التَّخمين، و لا أفزق بين العجف و السِّمين، غير أنى رأيت صورة دون البغل و فوق الحمار، و هيكلًا يخبرك عن صورة العمار، فقلت للقصاب: كم طلبك فيه، على أن تمهل الثمن حتى أوفيه؟ فقال: ابغنى فيه أجيرا، و كن له الآن من الذَّبَح مجيرا، و خذه بما يرضى، لأول التقصّي. قلت:

استمع الصوت، و لا تخف الفوت. قال: ابتعه منى نسيئه، و خذه هديئه، قلت: نعم، فشقّ لى الضمير، و عاكسنى فيه بالتقير و القطمير، قال: تضمن لى فيه عشرين دينارا، أقبضها منك لانقضاء الحول دثيرا دثيرا، قلت: إن هذا لكثير، فاسمح منه بإحاطة اليسير. قال: و الذى فلق الحبة، و برأ النسمه، لا أنقصك من هذا، و ما قلت لك سمسمة، اللهم إن شئت السِّعة فى الأجل، فأقضى لك ذلك دون أجل، فجلبنى للابتياح منه الإنساء فى الأمد، و غلبنى بذلك فلم أفتقر منه لرأى والد و لا ولد، و لا أحوجت نفسى فى ذلك لمشورة أحد، و قلت: قد اشتريته منك فضع البركة، ليصحّ النّجح فى الحركة. فقال: فقيه بارك الله فيه قد بعته لك، فاقبض متاعك، و ثبت ابتياحك، و ها هو فى قبضك فاشدد وثاقه، و هلمّ لنعقد عليك الوثاقه. فانحدرت معه لدكان التوثيق، و ابتدرت من السِّعة إلى الصّيق، و أوثقتنى بالشاّدة تحت عقد وثيق، و حملنى من ركوب الدّين و لحاق السّين فى أوعر طريق. ثم قال لى: هذا تيسك فشأنك و إياه، و ما أظنّك إلما تعصياه، و أت بحمّالين أربعة فإنك لا تقدر أن ترفعه، و لا يتأتى لك أن يتبعك و لا أن تتبعه، و لم يبق لك من الكلفه إلّا أن يحصل فى محلّك، فيكمل سرور أهللك. و انطلقت للحمّال و قلت: هلمّ إلّى، و قم الآن بين يديّ، حتى انتهينا إلى مجزرة القصاب، و العنز يطلب فلا يصاب، فقلت: أين التيس، يا أبا أويس؟ قال: إنه قد فرّ، و لا أعلم حيث استقرّ. قلت: أتضيع علىّ مالى، لتخب آمالى، و الله لا يحزنك بالعصا، كمن عصا، و لا رفعتك إلى الحكّام، تجرى عليك منهم الأحكام. قال: ما لى علم به، و لا بمنقلبه، لعله فرّ لأمه و أبيه، و صاحبه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٢٧

و بنيه، فعليك بالبريح. فاتجهت أنادى بالأسواق، و جيران الرّقاق، من ثقف لى تيسا فله البشارة، بعد ما أتى بالأماره، و إذا برجل قد خرج من دهليز، و له هدير و هزيز، و هو يقول: من صاحب العنز المشوم؟ لا عدم به الشّوم، إن وقعت عليه عينى، يرتفع الكلام بينه و بينى. قلت: أنا صاحبه فما الذى دهاك منى، أو بلغك عنى. قال: إن عنزك حين شرد، خرج مثل الأسد، و أوقع الزّهج فى البلد، و أضرب بكل أحد، و دخل فى دهليز الفخّارة فقام فيه و قعد، و كان العمل فيه مطبوخا و نيا، فلم يترك منه شيئا، و منه كانت معيشتى، و به استقامت عيشتى، و أنت ضامن مالى، فارتفع معى إلى الوالى، و العنز مع هذا يدور وسط الجمهور، و يكرّ كزة العفريت المزجور، و يأتى بالكسر على ما بقى فى الدهليز من الطّواجن و القدور، و الخلق قد انحسروا للضجيج، و كثر العياط و العجيج، و أنت تعرف عفرطة الباعة، و ما يحوون من الوضاعه، و أنا أحاول من أخذه ما أستطيع، و أروم الإطاعة من غير مطيع، و الباعة قد أكسبته من الحماقه، ما لم يكن لى به طاقة. و رجل يقول: المحتسب، و اعرف ما تكتسب، و إلى من تنتسب، فقد كثر عنده بك التّشكى، و صاحب الدهليز قبالتة ييكى، و قد وجد عنده عليك وجد الشكوى، و أيقن أنك كسرت الدّعى، و أمر بإحضارك، و هو فى انتظارك، فشدّ وسطك، و احفظ إبطك، و إنك تقوم على من فتح باعه للحكم على الباعة و نصب لأرباب البراهين، على أرباب الشّواهين، و رفع على طبقه، ليملاً طبقه، ثم أمسكنى باليمين، حتى أوصلنى للأمين، فقال لى: أرسلت التيس للفساد، كأنك فى نعم الله من الحساد. قلت: إنه شرد، و لم أدر حيث ورد. قال: و لم لا أخذت ميثاقه، و لم تشدّد وثاقه، يا شرطى طرّده، و اطرح يدك فيه و جرّده. قلت: أتجرّدنى الساعه، و لست من الباعة؟ قال: لا بدّ من ذاك، أو تضمن ما أفسده هناك؟ قلت:

الضّمان الضّمان، الأمان الأمان. قال: قد أمنت، إن ضمنت، و عليك الثّفاف، حتى يقع الإنصاف، أو ضامن كاف، فابتدر أحد إخوانى، و بعض جيرانى، فأدّى عنى ما ظهر بالتقدير، و آلت الحال للتكدير. ثم أردت الانصراف بالتيس، لا كان كيانه، و لا كوّن مكانه، و إذا بالشرطى قد دار حولى، و قال لى: كلف فعلى بأداء جعلى، فقد عطّلت من أجلك شغلى، فلم يك عندى بما تكسر سورته، و لا بما تطفى جمرته، فاسترهن مثرى فى بيته ليأخذ مايته. و توجّهت لدارى، و قد تقدّمت أخبارى، و قدمت بغبارى، و تغير صغارى و

كبارى، والتيس على كاهل الحمال يرغو كالبعير، ويزأر كالأسد إذا فصلت العير، فلقت للحمال: أنزله على مهل، فهلال التعييد قد استهل، فحين طرحه في الأسطوان، كثر إلى العدوان، وصرخ كالشيطان، وهم أن يقفز الحيطان، و علا فوق الجدار، وأقام الزهجة في الدار، ولم تبق في الزقاق عجوز إلا وصلت لتراه، و تسأل عما اعتراه، و تقول: بكم اشتراه، و الأولاد قد دارت به الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٢٨

و أرهاقهم لهفه، و دخل قلوبهم خوفه، فابتدرت رية البيت، و قالت: كيت و كيت، لا خلّ و لا زيت، و لا حيّ و لا ميت، و لا موسم و لا عيد، و لا قريب و لا بعيد، سقت العفريت إلى المنزل، و رجعت بمعزل، و من قال لك اشتراه، ما لم تره، و من قال لك سقه، حتى توثقه، و متى تفرح زوجتك، و العنز أضحيتك، و متى تطبخ القدور، و ولدك منه معذور، و بأيّ قلب تأكل الشوية، و لم تخلص لك فيه التية، و لقلمة سعدها، و أخلف وعدها، و الله لو كان العنز، يخرج الكنز، ما عمر لى دارا، و لا قرب لى جوارا، اخرج عنى يا لكع، فعل الله بك و صنع، و ما حبسك عن الكباش السيمان، و الضان الرفيعه الأثمان، يا قليل التحصيل، يا من لا يعرف الخياطة و لا التفصيل، أدلك على كبش سمين، واسع الصدر و الجبين، أكحل عجيب، أقرن مثل كبش الخطيب، يعبق من أوداكه كلّ طيب، يغلب شحمه على لحمه، و يسيل الودك من عظمه، قد علف بالشعير، و دبّر عليه أحسن تدبير، لا بالصغير و لا بالكبير، تصلح منه الألوان، و يستطرف شواه فى كل أوان، و يستحسن ثريده و قديده فى سائر الأحيان، قلت: بينى لى قولك، لأتعرف فعلك، و أين توجد هذه الصيفة، يا قليلة المعرفة. قالت: عند مولانا، و كهفنا و مأوانا، الرئيس الأعلى، الشهاب الأجلى، القمر الزاهر، الملك الظاهر، الذى أعزّ المسلمين بنعمته، و أذلّ المشركين بنقمته. و استرسل فى المدح فأطال و فيما ثبت كفاية. وفاته: فى كائنه الطاعون ببلده بلش فى أواخر عام خمسين و سبعمائة، و دفن بها.

عبد الله بن إبراهيم بن زمر الحجارى الصنهاجى

الأديب المصنّف، يكنى أبا محمد. حاله و أوليته: أبوه أديب مدينة الفرج بوادى الحجاره، المصنّف للمأمون بن ذى النون كتاب «مغنياس الأفكار، فيما تحتوى عليه مدينة الفرج من النظم و النثر الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٢٩

و الأخبار». و كان أبو محمد هذا ماهرا، كاتباً، شاعراً، رحالاً. سكن مدينة شلب بعد استيلاء العدو على بلاده بالشغر. و له فى التحوّل أشعار و أخبار. قدم غرناطة و قصد عبد الملك بن سعيد، صاحب القلعة من بيتاتها، و استأذن عليه فى زىّ موحش، و استخفّ به القاعدون ببابه، إلى أن لطف بعضهم، و سأله أن يعرّف به القائد، فلما بلغ عنه، أمر بإدخاله، فأنشده قصيدة مطلعها: [الوافر]

عليك أحوالى الذّكر الجميل فجئت و من ثنائك لى دليل

أتيت و لم أقدم من رسول لأنّ القلب كان هو الرسول

منها فى وصف زيّه البدوى المستقل و ما فى طيّه:

و مثلى بدنّ فيه خمر يخفّ بها و منظره ثقيل

فأكرم نرله، و أحسن إليه، و أقام عنده سنه، حتى أّلف بالقلعة كتاب «المسهب، فى غرائب المغرب»، و فيه التنبيه على الحلى البلادية و العبادية. و انصرف إلى قصد ابن هود بروطه، بعد أن عدله عن التحوّل عنه، فقال: النفس تواقه، و ما لى بالتعزّب طاقة، ثم أفكر و قال:

[الطويل]

يقولون لى: ما ذا الملال تقيم فى محلّ فعند الأنس تذهب راحلا

فقلت لهم: مثل الحمام إذا شداعلى غصن أمسى بأخر نازلا

نكته: قال علي بن موسى بن سعيد : و لما قصد الحجاري روطه، و حلّ لدى أميرها المستنصر بن عماد الدولة بن هود ، و تحرّك لغزو من قصده من

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٣٠

البشكنس، فهزم جيشه، كان الحجاري أحد من أسرف في تلك الوقعة، فاستقرّ ببسقاية، و بقي بها مدّة، يحرك ابن هود بالأشعار و يحثّه على خلاصه من الإسار، فلم يجد عنده ذمامه، و لا تحرّك له اهتمامه، فخاطب عبد الملك بن سعيد بقوله:
[السريع]

أصبحت في بسقاية مسلماً إلى الأعدى لا أرى مسلماً

مكلّفا ما ليس في طاقتي مصفدا منتها مرغما

أطلب بالخدمة، وا حسرتي! و حالتى تقضى بأن أهدما

فهل كريم يرتجى للأسيريفك، أكرم به متمى

و قوله: [الخفيف]

أ رئيس الزمان أغفلت أمرى و تلذذت تاركاً لى بأسر؟

ما كذا يعمل الكرام و لكن قد جرى على المعوّد دهرى

فاجتهد فى فدائه، و لم يمرّ شهر إلّا و قد تخلص من أسره، و استقرّ لديه، فكان طليق آل سعيد، و فيهم يقول :

وجدنا سعيداً منجبا خير عصبههم فى بنى أعصارهم كالمواسم

مشنّفه أسماعهم بمدائح مسورة أيمانهم بالصّورم

فكم لهم فى الحرب من فضل ناثر! و كم لهم فى السّلم من فضل ناظم

تواليفه: و تواليف الحجاري بديعة، منها «الحديقة» فى البديع، و هو كتاب مشهور، و منها «المسهب فى غرائب المغرب»، و افتتح خطبته بقوله: «الحمد لله الذى جعل العباد، من البلاد بمنزلة الأرواح من الأجساد، و الأسياف من الأعماد». و هو فى ستة مجلدات.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٣١

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله ابن سعيد بن الخطيب السلماني

يكنى أبا محمد.

أولّيته: تنظر فى اسم جدّه.

حاله: حسن الشّكل، جيّد الفهم، يغطّى منه رماد السّكون جمرة حركة، منقبض عن الناس، قليل البشاشة، حسن الخطّ، وسط التّظّم. كتب عن الأمراء بالمغرب، و أنشدهم، و اقتضى خلعهم و صكوكهم بالإقطاع و الإحسان. ثم لما كانت الفتنة كتب عن سلطان وطنه، معزّز الخطّة بالقيادة، و أنشدهم.

مشيخته: قرأ على قاضى الجماعة، الشيخ الأستاذ الخطيب أبى القاسم الحسنى، و الأستاذ الخطيب أبى سعيد فرج بن لب التّغلبى، و استظهر بعض المبادئ فى العربية، و استجيز له من أدركه ميلاده من أهل المشرق و المغرب.

شعره: و شعره مترفع عن الوسط إلى الإجابة، بما يكفله عذر الحدائث.

و قد ثبت فى اسم السلطان لهذا العهد، أبى عبد الله بن نصر، أيده الله، ما يدلّ على جودة قريحته، و ذكاء طبعه. و ممّا دوّن الذى ثبت له حيث ذكر قوله :

لمن طلل بالرقمتين محيل عفت دمنتيه شمال و قبول

يلوح كباقي الوشم غيره البلى و جادت عليه السحب و هى همول
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٣٢ فيا سعد، مهلا بالزكاب لعلنا نسائل ربعا فالمحب سؤول
قف العيس نظر نظرة تذهب الأسي و يشفى بها بين الصلوع غليل
و عرج على الوادى المقدس بالحمى فطاب لديه مربع و مقيل
فيا حبذا تلك الديار و حبذا حديث بها للعاشقين طويل
دعوت لها سقى الحمى عندما سرى و ميض و عرف للنسيم عليل
و أرسلت دمعى للغمام مساجلا فسال على الخدين منه مسيل
فأصبح ذاك الزبع من بعد محله رياضها بها الغصن المروح يميل
لئن حال رسم الدار عما عهدته فعهد الهوى فى القلب ليس يحول
و مما شجاني بعد ما سكن الهوى بكاء حمامات لهن هديل
توسدن فرع البان و النجم مائل و قد آن من جيش الظلام رحيل
فيا صاحبي، دع عنك لومى فإنه كلام على سمع المحب ثقيل
تقول اصطبارا عن معاهدك الألى و هيهات صبرى ما إليه سبيل
فله عينا من رآنى و للأسى غداة استقلت بالخليط حمول
يطاول ليل التم منى مسهدو قد بان عنى منزل و خليل
فياليت شعرى هل يعودن ما مضى؟ و هل يسمحن الدهر و هو بخيل؟

نثره: أجباني لما خاطبت الجملة من الكتاب، و السلطان، رضى الله عنه، بالمنكب، فى رحلة أعمالها بما نصه:

«لله من فذة المعانى، حيث مشوق الفؤاد عانى، لما أنارت بها المغانى، غنين عن مطرب الأغانى، يا صاحب الإذعان، أجب بالله من دعانى، إذا صرت من كثرة الأمانى، بالشوق و الوجد مثل مانى. وردت سحات سيدى التى أنشأت لغمام الرحمة عند اشتداد الأزمه رياحا، و ملأت العيون محاسنا و الصدور انشراحا، و أصبح رحيب قرطاسها و عميم فضلها و نوالها و أيناها لفرسان البلاغة مغدى و مراحا. فلم أدر أ صحيفه نسخت مسطورة، أم روضه نفحت ممطورة، أطيب من المسك منتشقا، و أحسن من السلك متسقا، فملكته مقاده خاطرى، و أودعتها سواد قلبى و ناظرى، و طلعت على طلوع الصبح على عقب السرى، و خلصت خلوص الخيال مع سنه الكرى. فله ما جلبت من أنس، و أذهبت لطائفه الشيطان من مس، و هاجت من

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٣٣

الشوق، الذى شب عمره عن الطوق، و الوجد الذى أصبح وارى الزند. فأقسم بيارى التسم، و واهب الحظوظ و القسم، لو أعطيت للنفس مقادتها، و سوغتها إرادتها، ما قنعت بنيايه القرطاس و المداد، عن مباشرة الأرواح و الأجساد، و إن أعرضت عقبه للشعير و رأس المزاد، و شمع بأنفه و زاد، و ما بين ذلك من علم باذخ، و طود شامخ، قد أذكرت العقاب عقابه، و صافحت النجوم هضابه، قد طمح بطرفه، و شمع بأنفه، و سال الوقار على عطفه: [الكامل]

ملكك عنان الزبح راحتها فجيادها من تحته تجرى

و أما الحمل الهائج، و البحر المتمايج، و الطلل المائل، و الذنب الشائل، فمساجله مولاى فى ذلك المجال، من المحال، إذ العبد قصاراه ألفاظ مركبة، غير مرتبة: [الخفيف]

هو جهد المقل و افاك منى إن جهد المقل غير قليل

و أقرأ على مولاى، أبقاه الله، سلاما عميما، تنسم روضه نسيمًا، و رف نظره و عقب شميما، و الأوفر الأذكى منه عليه معادا، ما سخ

السحاب إرعادا، و أبرق الغمام رعدا و الحسام أبعادا، و رحمۃ اللّٰه و بركاته. من عبده الشّيق لوجهه، عبد اللّٰه بن الخطيب، في الخامس عشر لجمادى الأولى عام تسعة و ستين و سبعمائة. مولده: بحضرة غرناطة، يوم السبت سابع عشر صفر عام ثلاثة و أربعين و سبعمائة.

عبد الله بن محمد بن سارة البكري

شنتريني ، سكن ألمرية و غرناطة، و تردّد مادحا و منتجعا شرقا و مغربا، و يضرب في كثير من البلاد.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٣٤

حاله: كان ذا حظّ صالح من النحو و اللغة، و حفظ الأشعار، أديبا ماهرا، شاعرا مجيدا، مطبوع الاختراع و التوليد. تجوّل في شرق الأندلس و غربها معلّما للنحو، و مادحا ولاتها، و كتب عن بعضهم، و تعيّن بالوراقة زمانا، و كان حسن الخطّ، جيّد النقل و الضبط. مشيخته: روى عن أبي الحسن بن الأخضر.

من روى عنه: روى عنه أبو بكر بن مسعود، و أبو جعفر بن الباذش، و أبو عثمان بن هارون، و أبو الطاهر التميمي، و أبو العباس بن علي اللص، و أبو العلاء بن الجنان، و أبو محمد بن يوسف القضاعي، و إبراهيم بن محمد السبتي.

شعره: و شعره كثير جيد شهير. منه في حرفة الوراقة قوله: [الكامل]

أما الوراقة فهي أيكّة حرفة أغصانها و ثمارها الحرمان

شبهت صاحبها بإبرة خائطيكسو العراة و ظهره عريان

و قال في نجم الرّحيم، و هو من التّشبيه العقيم: [البسيط]

و كوكب أبصر العفريت مسترقافانقضّ يذكي سريعا خلفه لهبه

كفارس حلّ إحصار عمامته فجرّها كلّها من خلفه عذبه

و قال منه في المواعظ: [البسيط]

يا من يصيخ إلى داعي السّفاه و قدنادى به النّاعيان: الشّيب و الكبر

إن كنت لا تسمع الذّكري ففيم ثوى في رأسك الواعيان: السّمع و البصر؟

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٣٥ ليس الأعمى و لا الأعمى سوى رجل لم يهده الهاديان: العين و الأثر

لا الدهر يبقى على حال و لا الفلك الأعلى و لا التّيران: الشمس و القمر

لأرحلنّ عن الدنيا و لو كرّها فراقها الثاويان: البدو و الحضر

و قال في موت ابنه له: [الوافر]

ألا يا موت، كنت بنا رؤوفاجدّدت السّرور لنا بزوره

حمدنا سعيك المشكور لّمّا كفيت مؤنة و سترت عوره

فأنكحنا الضّريح بلا صداق و جهّزنا العروس بغير شوره

وفاته: توفي عبد الله بن سارة سنة تسع عشرة و خمسمائة .

عبد الله بن محمد الشراط

يكنى أبا محمد، من أهل مالقة.

حاله: طالب جليل، ذكي، مدرّك، ظريف، كثير الصّلف والخترانة و الإزراء بمن دونه، حادّ النّادرة، مرسل عنان الدّعابة، شاعر مكثر، يقوم على الأدب و العربية، و له تقدّم في الحساب، و البرهان على مسائله. استدعى إلى الكتابة بالبّاب السلطاني، و اختصّ بولي العهد، و نيظ به من العمل، و وظيف نبيه، و كاد ينمو عشبه و يتأشّب جاهه، لو أن الليالي أمهلته، فاعتبط لأمد قريب من ظهوره، و كانت بينه و بين الوزير أبي عبد الله بن الحكيم، إحنه، تخلّصه الحمام لأجلها، من كفّ انتقامه.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٣٦

شعره: و شعره كثير، لكنى لم أظفر منه إلّا باليسير. نقلت من خطّ صاحبنا القاضي المؤرخ أبي الحسن بن الحسن، من نظم أبي محمد الشراط، في معنى كان أدباء عصره قد كلفوا بالنظم فيه، يظهر من هذه الأبيات في شمعة:

[الوافر]

و كنت ألفت قبل اليوم إلفاً نادى مرة فيجيب ألفا
و كنّا مثل وصل العهد وصلوا و كنّا مثل وصف الشّهد وصفنا
ففرّق بيننا صرف الليالي و سوّغنا كؤوس البين صرفا
فصرت غداة يوم البين شمعاو سار فصار كالعسل المصفا
فدمعى لا يتم أسى و جسمى يغص بنار و جدى ليس يطفأ
ثم فى المعنى أيضا: [البسيط]

حالى و حالك أضحت آية عجباً إن كنت مغترباً أو كنت مقرباً
إذا دنوت فإنى مشعر طرباً و إن نأيت فإنى مشعل لهباً
كذاك الشّمع لا تنفكّ حالته إلّا إلى الناس مهما فارق الضّرباً
و من ذلك أيضا: [الطويل]

رحلتهم و خلّفتهم مشوفكم نسيارهم هيام لا يموت و لا يحيا
فضاقت على الأرض و اعتاص مذهبي و ما زلت فى قومي و لا ضاقت الدنيا
و ما باختيار شئت الدهر بينناو هل يملك الإنسان من أمره شيئاً؟
فذا أضلعي لم تخب من أجلكم جوى و ذا أدمعى لم تأل من بعدكم جريا
كأنتى شمع فى فؤاد و أدمع و قد فارقت من وصلكم رياً
و ذكر لى أن هذا صدر عنه فى مجلس أنس مع الوزير أبى عبد الله بن عيسى بمالقة، بحضرة طائفة من ظرفاء الأدباء.
وفاته: كان حياً سنه سبعمائة، و توفى بغرناطة، و هو على حاله من الكتابة، رحمه الله.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٣٧

عبد الله بن يوسف بن رضوان بن يوسف ابن رضوان التجارى

يكنى أبا القاسم، و يعرف باسم جدّه، من أهل مالقة، و صاحب القلم الأعلى لهذا العهد بالمغرب.
حاله: هذا الفاضل نسيج وحده، فهما و انطبعا، و لودعيّة، مع الدّين و الصّون، معّم، مخول فى الخير، مستول على خصال حميدة، من خطّ و أدب و حفظ، مشارك فى معارف جملة. كتب ببلده عدلا رضى، و أنشد السلطان عند حلوله ببلده. و رحل عن بلده إلى المغرب، فارتسم فى كتابة الإنشاء بالبّاب السلطاني، ثم بان فضله، و نبه قدره، و لطف محلّه، و عاد إلى الأندلس، لما جرت على سلطانه الهزيمة بالقيروان، و لم ينتشله الدهر بعدها مع جملة من خواصّه. فلمّا استأثر الله بالسلطان المذكور، موسوم التّمحيص، و صير

أمره إلى ولده بعده، جنح إليه، و لحق ببابه، مقترن الوفادة، ييمن الطائر، و سعادة النّصبة، مظنة الاصطناع، فحصل على الحظوة، و أصبح في الأمد القريب، محلا للبتّ و جليسا في الخلوّة، و مؤتمنا على خطّة العلامة، من رجل ناهض بالكلّ، جلد على العمل، حذر من الدّكر، متقلّص ذيل الجاه، متهيّب، غزير المشاركة، مطّقف في حقوق الدّول عند انخفاض الأسعار، جالب لسوق الملك ما ينفق فيها، حارّ النّادرة، مليح التّندير، حلو الفكاهة، غزل مع العفة، حافظ للعيون، مقدّم في باب التحسين و التّقيح، لم ينشب الملك أن أنس منه بهذه الحال، فشدّ عليه يد الغبطة، و أنشب فيه براثن الأثرة، و رمى إليه بمقاليد الخدمة، فسمما مكانه، و علا كعبه، و نما عشه. و هو الآن بحاله الموصوفة، من مفاخر قطره، و مناقب وطنه، كثر الله مثله.

مشيخته: قرأ ببلده على المقرئ أبي محمد بن أيوب، و المقرئ الصالح أبي عبد الله المهندس، و الأستاذ أبي عبد الله بن أبي الجيش، و القاضي أبي جعفر بن عبد الحق. و روى عن الخطيب المحدث أبي جعفر الطنجالي، و القاضي أبي الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٣٨

بكر بن منظور. و بغرناطة عن جلّه؛ منهم شيخنا رئيس الكتاب أبو الحسن ابن الجيّاب، و قاضي الجماعة أبو القاسم بن أحمد الحسني، و لازم بالمغرب الرئيس أبا محمد عبد المهيمن الحضرمي، و القاضي أبا إسحاق إبراهيم بن أبي يحيى، و أبا العباس بن يربوع السبتي. و بتلمسان عن أبي عبد الله الأبلّي، و أبي عبد الله بن النّجار، و غيرهما. و بتونس عن قاضي الجماعة أبي عبد الله بن عبد السلام، و عن جماعة غيرهم.

شعره: و نظمه و نثره متجاريان لهذا العهد في ميدان الإجادة. أما شعره، فمتناسب الوضع، سهل المأخذ، ظاهر التّواء، محكم الإمرّة للتّقيح. و أما نثره، فطريف السّجع، كثير الدّالة، مطيع لدعوة البديهة، و ربما استعمل الكلام المرسل، فجرى يراعه في ميدانه ملء عنانه.

و جرى ذكره في «التاج» أيام لم يفهق حوضه، و لا أزهر روضه، و لا تباينت سماؤه و لا أرضه، بما نصه: أديب أحسن ما شاء، و فتح قلبه فملاً الدّلو و بلّ الرّشاء، و عانى على حدائته الشعر و الإنشاء، و له ببلده بيت معمور بفضل و أمانه، و مجد و ديانه. و نشأ هذا الفاضل على أتمّ العفاف و الصّون، فما مال إلى فساد بعد الكون. و له خطّ بارع، و فهم إلى الغوامض مسارع. و قد أثبتّ من كلامه، و نفثات أقلامه، كلّ محكم العقود، زاريا بنت العنقود. فمن ذلك قصيدة أنشدها للسلطان أمير المسلمين، مهتئا بهلاك الأسطول الحربى بالزّقاق الغربى، أجاد أغراضها، و سبك المعانى و راضها، و هى قوله: [الطويل]

لعلّكما أن ترعيا لى و سائلا فبالله عوجا بالزّكاب و سائلا

بأوطان أوطار قفا و مآربى و بالحبّ خصّا بالسلام المنازلا

ألا فانشدا بين القباب من الحمى فؤاد شج أضحى عن الجسم راحلا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٣٩ و بتا صبا بات هنالك و اشرحالهم من أحاديثى عريضا و طائلا

رعى الله متواكّم على القرب و التّوى و لا زال هامى السّحب فى الرّبع هاملا

و هل لزمان باللّوى قد سقى اللّوى مآرب فما ألقى مدى الدّهر حائلا؟

فحظّى بعيد الدّار منه بقربه و يورد فيه من مناه مناها

لقد جار دهرى أن نأى بمطالبي و ظلّ بما أبقى من القرب ماطلا

و حمّلى من صرفه ما يؤدنى و مكن منى الخطوب شواغلا

عتبت عليه فاغتندى لى عاتباو قال: أصخ لى لا تكن لى عاذلا

أتعتبنى إذ قد أددتك موقفالى أعظم الأملاك حلما و نائلا؟

مليك حباه الله بالخلق الرّضا و أعلى له فى المكرمات المنازلا

مليك علا فوق السماك فطرفه غدا كهلال الأفق يبصرنا علا
إذا ما دجا ليل الخطوب فبشره صباح و بدر لا يرى الدهر آفلا
نماه من الأنصار غز أكابر لهم شيم ملء الفضاء فضائلا
تلوا سور التعماء فى حزبهم كماجلوا صور الأيام غزا جلائلا
تسامت لهم فى المعلوات مراتب يرى زحل دون المراتب زاحلا
عصابه نصر الله طابت أو احرأ كما قد زكت أصلا و طابت أو أثلا
لقد كان ربع المجد من قبل خالياو من آل نصر عاد يبصر أهلا
إذا يوسف منهم تلوح يمينه تقول سحاب الجود و البأس هاطلا
كتابه فى الفتح تكتب أسطراتبين من الأنفال فيها المسائلا
عوامله بالحذف تحكم فى العدا كما حكموا فى حذف جزم عواملا
بيد جمع الكفر رعبا و هيبه كما بددت منه اليمين التوافلا
و منها فى وصفه الأسطول و اللقاء:

ولما استقامت بالزقاق أساطيل ثم استقلت للسعود محافلا
رآها عدو الله فانفض جمعوه أبصر أمواج البحار أساطلا
و من دهش ظن السواحل أبحراو من رعب خال البحار سواحلا
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٤٠ و من جندكم هبت عليه عواصف تدمر أذناها الصلاب الجنادلا
تفرقهم أيدى سبا و تبيدهم فقد خلفت فيهم حساما و ذابلا
و عهدى بمرّ الريح للنار موقدا فقد أطفأت تلك الحروب المشاعلا
و كان لهم برد العذاب و لم يكن سلاما و ما كادوه قد عاد باطلا
حداهم هواهم للإسار و للنفامنا أفلتوا من ذا و ذاك حباثلا
فهم بين عان فى القيود مصفدو فان عليه السيف أصبح صائلا
ستهلك ما بالبرّ منهم جنودكم كما أهلكت من كان بالبحر عاجلا
و قال أيضا يمدحه: [الطويل]

نشرت لواء النصر و اليمن و السعدو أطلعت وجه اليسر و الأمن و الرّفد
أعدت لنا الدنيا نعيما و لذّة ألا للمعالى ما تعيد و ما تبدى
بنوركم و الله يكلأ نوركم تبدت لنا سبيل السعادة و الرّشد
تحلّى لكم بالملك نحر و لئب فراق كذاك الجيد يزدان بالعقد
مآثركم قد سطرّها يد العلاعلى صفحات الفخر أو مفرق الحمد
بمدحك القرآن أننى منزلا و قد حزتم مجدا بجدّكم سعد
كفاكم فخارا أنه لكم أب و من فخره إن أنت تدعوه بالجدّ
ثناؤكم هذا أم المسك نافع؟ و ذكركم أم عاطر العنبر الورد؟
أجل ذكركم أركى و أذكى لناشقا كما أنكم أجلى و أعلى لمشهد
طلعت على الآفاق نورا و بهجة فما أنت إلّا البدر فى طالع السعد

و في جملة الأملاك عزّ و رفعة و دم في خلود الملك و النصر و السعد
و لو أننى فقت سبحان وائل و أريت في شعري على الشاعر الكندي
لما قمت بالمعشار من بعض ما لكم من الجود و الأفضال و البذل و الزهد
و قال في شيخه أبى بكر بن منظور، رحمه الله: [الطويل]
جلالك أولى بالاعلا للمخلد و ذكرك أعلى الذكر في كلّ مشهد
لمجدك كان العزّ يذخر و العلى و أنك للأولى بأرفع سؤدد
أبى الله إلا أن تكون مشرفاً بمقعد خير العالمين محمد
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٤١ فهنئت بالفخر السنّى محلّه و هنئت بالمجد الرفيع المجدد
شهدت بما أوليتنى من عوارف و خوّلت من نعمى و أسديت من يد
و ما حزت من مجد كريم نجاره و ما لك من مجد و رفعة محتد
لقد نبأتنى بالزّواح لعزّكم مخايل إسعاد تروح و تغتدى
تحدّثنى نفسى و إنى لصادق بأن سوف تلقى كاملاً كلّ مقصد
دليلى بهذا أنك الماجد الذى تسامى علواً فوق كلّ ممجد
ليفخر أولو الفخر المنيف بأنكم لهم علم أعلى، به الكلّ مقتدى
إمام علوم معتلى القدر لم يزل رداء المعالى و العوارف يرتدى
و قاض إذا الأحكام أشكل أمرها جلالى برأى الحقيقة مرشدى
إذا الحقّ أبدى نوره عند حكمه رأيت له حدّ الحسام المهتد
و إنّ جميع الخلق فى الحقّ عنده سواسية ما بين دان و سيّد
هتيا لنا بل للقضاء و فضله بقاض حلیم فى القضاء مسدّد
أما به الرحمن كلّ ضلاله و أحيما بأواه شرعة أحمد
و كائن تراه لا يزال ملازماً بالأمر بعرف أو لزام بمسجد
و ما زال قدما للحقيقة حاميا و للشرعة البيضاء يهدى و يهتدى
و يمنح أفضالا و يولى أياديا و إحسانه للمعتفين بمرصد
يقيد أحرارا بمنطق جوده فما إن ينى عن مطلق أو مقيد
نعم إن يكن للفضل شخص فإنما بشيمته الغراء فى الفضل بيتدى
أيا ناثرا أسنى المعارف و الغناو يا طارقا يطوى السرى كلّ فدقد
ألا الق عصا التسيار و اعش لئاره تجد خير نار عندها خير موقد
و من مقطوعاته قوله: [الطويل]
تبرأت من حولى إليك و أيقنت برحماك آمالى فصحّ يقينى
فلا أهرب الأيام إذ كنت ملجأى و حسبى يقينى باليقين يقينى
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٤٢
و من شعره لهذا العهد منقولاً من خطّه، قال مما نظمه فلان، يعنى نفسه فى كتاب الشّفا، نفع الله به: [الكامل]
سل بالعلی و سنى المعارف يبهرهل زانها إلا الأئمة معشر؟

و هل المفاخر غير ما شهدت به آى الكتاب و خارتها الأعصر؟

هم ما هم شرفا و نيل مراتب يوم القيام إذا يهول المحشر
ورثوا الهدى عن خير مبعوث به فخرا هديهم النعيم الأكبر
و عياض الأعلى قداحا فى العلى منهم و حوله الفخار الأظهر
بشفائه تشفى الصدور و إنه لرشاد نار بالشهاب التير
هو للتوالف روح صورتها و قل هو تاج مفرقها البهى الأنور
أفت محاسنه المدائح مثل مالمعيده بعد الثناء الأعطر
و له اليد البيضاء فى تأليفه عند الجميع ففضلها لا ينكر
هو مورد الهيم العطاش هفت بهم أشواقهم فاعتاض منه المصدر
فبه ننال من الرضى ما نبتغى و بكونه فينا نعاث و نمطر
انظر إليه تيممه من كل ماتخشى من الخطب المهول و تحذر
لكأنتى بك يا عياض مهناً بالفوز و الملاء العلى مبشر
لكأنتى بك يا عياض منعماً بجوار أحمد يعتلى بك مظهر
لكأنتى بك يا عياض متوجاتاج الكرامه عند ربك تخبر
لكأنتى بك راويا من حوضه إذ لا صدى ترويه إلا الكوثر
فعلى محبته طويت ضمائرنا وضحت شواهدنا بكتبك تؤثر
ها إنهن لشرعه الهادى الرضا صدف يسان بهن منها جوهر
فجزاك رب العالمين تحية يهب النعيم سريرها و المنبر
و سقى هزيم الودق مضجعك الذى ما زال بالترحمى يؤم و يعمر
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٤٣

و قال فى محمل الكتب: [الطويل]

أنا الحبر فى حمل العلوم و إن تقل بأنى حلى عن حلاهّن تعدل
أقيد ضروب العلم ما دمت قائما و إن لم أقم فالعلم عنى بمعزل
خدمت بتقوى الله خير خليفة فبؤانى من قربه خير منزل
أبا سالم لا زال فى الدهر سالما يسوغ من شرب المنى كل منهل

و كان قد رأى ليلة الاثنين الثانية لجمادى الأولى عام ستين و سبعمائة فى النوم، كأن الوزير أبا على بن عمر بن يخلف بن عمران
الفدودى، يأمره أن يجيب عن كلام من كتب إليه، فأجاب عنه بأبيات نظمها فى النوم، و لم يحفظ منها غير هذين البيتين:

[المتقارب]

و إنى لأجزى بما قد أتاه صديقى احتمالا لفعل الحفاء
بتمكين و د و إثبات عهدو إجزال حمد و بذل حياء
و من نظمه فى التورية: [الخفيف]

و بخيل لما دعوه لسكنى منزل بالجنان ضنّ بذلك
قال لى مخزن بدارى فيه جلّ مالى فلست للدار تارك

لا تعرّج على الجنان بسكنى و لتكن ساكنا بمخزن مالك

و من ذلك أيضا: [الكامل]

يا ربّ منشأه عجبت لشأنهاو قد احتوت في البحر أعجب شان

سكنت بجنيها عصابة شدة حلت محلّ الروح في الجثمان

فتحرّكت بإرادة مع أنها في جنسها ليست من الحيوان

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٤٤ و جرت كما قد شاءه سكانها فعملت أنّ السرّ في السكان

و من ذلك أيضا قوله: [الوافر]

و ذى خدع دعوه لاشتغال و ما عرفوه غثا من سمين

فأظهر زهده و غنى بمال و جيش الحرص منه في كمين

و أقسم لا فعلت يمين خبّ فيا عجبا لحلاف مهين

يقدّ بسيره و يمين حلف ليأكل اليسار و باليمين

شياء من نثره خاطبته من مدينه سلا بما نصه، حسبما يظهر من غرضه: [الطويل]

مرضت فأيتامى لذاك مريضه و برؤك مقرون ببرئى اعتلالها

فما راع ذاك الدّات للصرّ رائع و لا وسمت بالسقم غرّ خلالها

و ينظر باقى الرسالة في خبر التعريف بمؤلف الكتاب.

فراجعنى عن ذلك بما نصه: [الطويل]

متى شئت ألقى من علائك كل ما ينيل من الآمال خير منالها

كبير اعتلال من دعائك زارنى و عادات برّ لم ترم عن وصالها

أبقى الله ذلك الجلال الأعلى متطوّلا بتأكيد البرّ، متفضّلا بموجبات الحمد و الشكر. و ردتنى سمات سيدى المشتملة على معهود

تشريفه، و فضله الغنى عن تعريفه، متحفيا في السؤال عن شرح الحال، و معلنا ما تحلّى به من كرم الخلال، و الشرف العال، و المعظم

على ما يسرّ ذلك الجلال، الوزارى، الرئاسى، أجراه الله على أفضل ما عوّده، كما أعلى في كل مكرمه يده، ذلك ببركه دعائه

الصالح، و حبه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٤٥

المخيم بين الجوانح. و الله سبحانه المحمود على نعمه، و مواهب لطفه و كرمه، و هو سبحانه المسؤول أنّ يسنى لسيدى قرار الخاطر،

على ما يسره في الباطن و الظاهر، بمنّ الله و فضله، و السلام على جلاله الأعلى و رحمة الله و بركاته. كتبه المعظم الشاكر، الداعى

المحبّ، ابن رضوان وفقه الله.

و مما خاطبني به، و قد جرت بينى و بين المتغلب على دولتهم، رقاع، فيها سلم و إيقاع، ما نصه:

يا سيدى الذى علا مجده قدرا و خطرا، و سما ذكره في الأندية الحافلة ثناء و شكرا، و سما فخره في المراتب الديتية و الدنيوية حمدا

و أجرا، أبقاك الله جميل السّعى، أصيل الرأى، سديد الرمى، رشيد الأمر و النهى، ممدوحا من بلغاء زمانك، بما يقصر بالتوايح و

العشى، مفتوحا لك باب القبول، عند الواحد الحقّ. و صلنى كتابك الذى هو للإعجاز آية، و للإحسان غاية، و لشاهد الحسن تبريز، و

لثوب الأدب تطريز، و فى التقدّ إبريز، و قفت منه على ما لا تفى العبارة بعجائبه، و لا يحيد الفضل كله عن مذاهبه، من كل أسلوب طار

فى الجو إعرابا و إغرابا، و ملكك من سحر البيان خطابا، و حمد ثناء مطالا و حديثا مطابا، شأن من قصر عن شأو البلغاء، بعد الإغياء، و

وقف دون سباق البديع بعد الإغياء، فلم يشقّ غباره، و لا اقتفيت إلّا بالوهم آثاره، فله من سيدى إتحاف سرّ ما شاء، و أحكم الإنشاء،

و برّ الأكاير و الإنشاء، فما شئت من إفصاح و كتابة، و برّ و رعاية، و فهم و إفهام، و تخصيص و إبهام، و كبح لطف النفس و قمع، و حفص في الجواب و رفع، و تحرّج و تورّع، و ترقّص و توسّع، و جماع و أصحاب، و عتب و إعتاب، و إدلال على أحباب، إلى غير ذلك من أنواع الأغراض، و المقاصد السالمة جواهرها من الأعراض، جملة جمعت المحاسن، و أمتعت السامع و المعين، و حلت من امتناعها مع السهولة الحرم، إلّا من زاد الله تلك المعارف ظهوراً، و جعلها في شرع المكارم هدى و نورا. و أما شكر الجنب الوزاري، أسماه الله، بحكم الثيابة عن جلالكم، فقد أبلغت فيه حمدي، و بذلت ما عندي، و ودّي لكم ودي، و وردى لكم من المخالصة لكم وردى، و كل حالات ذلك الكمال، مجمع على تفضيله، معتمد من الثناء العاطر بإجماله و تفصيله. و أما مؤذيه إليكم أخي و سيدي الفقيه المعظم، قاضي الحضرة و خطيبها، أبو الحسن، أدام الله عزّته، و حفظ أخوّته، فقد قرّر من أوصاف كمالاتكم، ما لا تفي بتقريره الأمثلة من أولى العلم بتلك السجيا الغزّ، و الشسيم الزهر، و ما تحلّيتم به من التقوى و البرّ، و العدل و الفضل، و الصبر و الشكر، و لحمل المتاعب في أمور الجهاد، و ترك الملاذ و الدعة في مرضاة

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٤٦

ربّ العباد، و الإيعراض عن الفانية، و الإقبال على الباقية، فيا لها من صفات خلعت السعادة عليكم مطارفها، و أجزلت عوارفها، و جمعت لكم تالدها و طارفها، زكى الله ثوابها و جدّد أثوابها، و وصل بالقبول أسبابها. و ذكر لي أيضا من حسناتكم، المنقبة الكبيرة، و القربة الأثيرة، في إقامة المارستان بالحضرة، و التسيّب في إنشاء تلك المكرمة المبتكرة، التي هي من مهمّات المسلمين بالمحلّ الأعلى، و من ضروريات الدين بالمزية الفضلى، و ما ذخره القدر لكم من الأجر في ذلك السعي المشكور، و العمل المبرور، فسرنى لتلك المجادة إحراز ذلك الفضل العظيم، و الفوز بثوابه الكريم، و فخره العميم. و معلوم، أبقاكم الله، ما تقدّم من ضياع الغباء و الضعفاء من المضى فيما سلف هنالك، و قبل ما قدر لهم من المرتفق العظيم و بذلك، حتى أن من حفظ قول عمر، رضى الله عنه، و الله لو ضاعت نخلة بشاطئ الفرات لخفت أن يسأل الله عنها عمر. لا شك في أن من تقدّم من أهل الأمر هنالك، لا بدّ من سؤاله عمّن ضاع لعدم القيام بهذا الواجب المغفل. و الحمد لله على ما خصّكم به من مزية قوله صلى الله عليه و سلم: إذا أراد الله بخليفة خيرا، جعل له وزيرا صالحا، إن نسي ذكره، و إن ذكر أعانه.

و أما «كتاب المحبة»، فقد وقف المعظم على ما وجهتهم منه، و قوفا ظهر بمزية التأمل، و علم منه ما ترك للآخر الأول، و لم يشك في أنّ الفضل للحاكي، و شتان بين الباكي و المتباكي. حقّا لقد فاق التأليف جمعا و ترتيبا، و ذهب في الطرق الصوفية مذهبا عجيبا. و لقد بهرت معانيه كالعرائس المجلوة حسنا و نضارة، و برعت بدائعه و روائعه سنى و إنارة، و ألفاظا مختارة، و كؤوسا مدارة، و غيوثا من البركات مدارة، أحسن بما أدته تلك الغرر السافرة، و الأمثال السائرة، و الخمائل الناظرة، و اللاكئ المفاخرة، و النجوم الزاهرة. أما إنه لكتاب تضمّن زبدة العلوم، و ثمرة الفهوم، و إن موضوعه للباب اللباب، و خلاصة الألباب، و فذلكة الحساب، و فتح الملك الوهاب، سنى الله لكم و لنا كماله، و بلغ الجميع منا آماله، و جعل السعى فيه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٤٧

خالصا لوجهه، و كفيلا بمعرفته بمنّه و كرمه، و هو سبحانه يبقى بركتكم، و يكلاً ذاتكم الكريمة و حوزتكم، بفضله و طوله و قوته، و السلام الكريم يخصّكم به كثيرا أثيرا، معظّم مقداركم، و ملتزم إجلالكم و إكباركم، ابن رضوان، و فقه الله، و كتب في الثامن و العشرين لرجب من عام سبعة و ستين و سبعمائة.

و هو الآن بحاله الموصوفة، أعانه الله. و له تردّد إلى حضرة غرناطة، و اجتياز و إمام.

عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد ابن خلف بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن ابن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر

غرناطى، قلعي الأصل، سكن مالقة.

حاله: قال صاحب «الطالع»: هو المشهور باليربطول، زاد على أخيه بخمئة الروح، وطيب النوادر، واختار سكنى مالقة، فما زال بها يمشى على كواهل ما تعاقب فيها من الدول، ويقلب طرفه مما نال من ولاياتها بين الخيل والخول، حتى أن ابن عسكر، قاضى مالقة و عالمها، كان من جملة من مدحه، وتوسل بها إلى بلوغ أغراضه عند القوم، وصنّف له شجرة الأنساب السعيدية. وكان قبيح المنظر، مع كونه من رياحين الفضل والأدب. فمن الحكايات المتعلقة بذلك، أنه دخل يوماً على الوالى بغرناطة، السيد أبى إبراهيم، وجعل يساره، وكان مختصاً به، واقتضى ذلك أن ردّ ظهره للشيخ الفقيه الجليل، عميد البلدة، أبى الحسن سهل بن مالك، ثم التفت فردّ وجهه إليه، وقال: أعتذر لكم بأمر ضرورى، فقال أبو الحسن: إنما تعتذر لسيدنا، فانقلب المجلس ضحكا. ومنها أنه خرج إلى سوق الدواب مع ابن يحيى الحضرمى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٤٨

المشهور أيضا بخمئة الروح، وكان مسلطاً على بنى سعيد، فبينما هو واقف، إذ النّحاس ينادى على فرس: فم يشرب من القادوس، و عين تحصد بالمنجل، فقال له:

يا قائد، أبا محمد، سر بنا من هنا لئلا تؤخذ من يدي، ولا أقدر لك بحيلة، فعلم مقصده، ولم يخف عليه أنّ تلك صورته، فقال: سل جارتك عنها، فمضى لأمه، وأوقع بينها وبينه، فحلف أن لا يدخل عليها الدار. قال أبو عمران بن سعيد: واتفق أن جرت بدار أمّ الحضرمى، فرأيته إلى ناحية، وهو كئيب منكسر، فقلت له: ما خبرك يا أبا يحيى؟ فقال لى عن أمه و عن نفسه: النساء يرمين أبناء الرّنا صغارا، و هذه العجوز الفاعلة الصّانعة، ترمينى ابن خمسين سنة، فقلت له: و ما سبب ذلك؟ فقال: ابن عمّك يوسف الجمال، لا أخذ الله له بيد، فما زلت حتى أصلحت بينها وبينه.

و من نوادر أجوبته المسكتة، أنّه كان كثير الخلطة بمراكش لأحد السّادة، لا يفارقه، إلى أن ولى ذلك السّيد، و تمول، و اشتغل بديناه عنه، فقيل له: نرى السيد فلانا أضرب عن صحبتك و منادمتك، فقال: كان يحتاج إلى وقتنا كان يتبخّر بى، و أمّا اليوم، فإنه يتبخّر بالعود و النّدّ و العنبر. و قال له شخص كان يلقب ب «فسيوات» فى مجلس خاص: أى فائدة فى «اليربطول»؟ و فيم ذا يحتاج إليه؟ فقال له: لا- تقل هذا، فإنه يقطع رائحة الفسا، فودّ أنه لم ينطق. و تكلم شخص من المترفين فقال: أمس بعنا الباذنجان التى بدار خالتى، بعشرين مثقالا، فقال: لو بعتم الكريز التى فيها لساوى أكثر من مائة.

و أخباره شهيرة؛ قال أبو الحسن على بن موسى: وقعت فى رسائل الكاتب الجليل، شيخ الكتاب أبى زيد الفازازى، على رسائل فى حق أبى محمد اليربطول، و منه إليه، فمنها فى رسالة عن السّيد أبى العلاء، صاحب قرطبة، إلى أخيه أبى موسى صاحب مالقة، و يصلكم به إن شاء الله، القائل الأجلّ الأكرم، الحسيب الأمجد الأنجد، أبو محمد أدام الله كرامته، و كتب سلامته، و هو الأكيد الحرمه، القديم الخدمة، المرعى المائة و الدّمّة، المستحق البرّ فى وجوه كثيرة، و لمعان أثيره، منها أنه من عقب عمّار بن ياسر، رضوان الله عليه، و حسبكم هذا مجدا مؤثلا، و شرفا موثلا، و منها تعين بيته و سلفه، و اختصاصهم من النّجابه و الظهور، بأنوه الاسم و أشرفه، و كونهم بين معتكف على مضجعه، أو مجاهد بمرهفه و مثقفه، و منها سبقهم إلى هذا الأمر العزيز، و تميّزهم بأثرة الشّفوف و التّمييز، و منها الانقطاع إلى أخيكم، ممدّ مورده و مصدره، و كرم مغيبه و محضره، و هذه وسائل شتى، و أذمة قلّ ما تتأتى لغيره.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٤٩

وفاته: كانت وفاته بمالقة بعد عشرين و ستمائة؛ قال الرئيس أبو عمر بن حكم:

شاهدته قد وصل إلى السيد أبى محمد البياسى أيام ثورته، و هو بشتلية مع وفد مالقة بالبيعة سنة ثنتين و عشرين و ستمائة.

عبد الله بن عبد البر بن سليمان بن محمد بن محمد ابن أشعث الزعيني

من أهل أرجدونه من كورة رية، يكنى أبا محمد، و يعرف بابن أبي المجد.

حاله: كان من أعلام الكور سلفا، و ترتبا، و صلاحا، و إنابة، و تية في الصالحين، متسع الذرع للوارد، كثير الإيثار بما تيسر، مليح التخلق، حسن السمت، طيب النفس، حسن الظن، له حظ من الطلب، من فقه و قراءات و فريضة، و خوض في طريقة الصوفية، و أدب لا بأس به، قطع عمره خطيبا و قاضيا ببلده، و وزيرا، و كتب بالدار السلطانية، في كل ذلك لم يفارق السداد.

مشيخته: قرأ على الأستاذ الجليل أبي جعفر بن الزبير؛ رحل إليه من وطنه عام اثنين و تسعين و ستمائة، و لازمه و انتفع به، أخذ عنه الكتاب العزيز و العربية، و سمع عليه الكثير من الحديث، و على الخطيب الصوفى المحقق أبي الحسن فضل بن محمد بن فضيلة المعافى، و على الخطيب المحدث أبي عبد الله محمد بن عمر بن رشيد، و سمع على الشيخ القاضى الراوية أبي محمد التبعدي، و الوزير المعمر

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٥٠

المحدث الحسين بن محمد عبد المنعم بن سماك العاملى، و العدل الراوية أبي الحسن بن مستقور. و قرأ بمالقة على الأستاذ أبي بكر بن الفخار، و أجازته من أهل المشرق طائفة.

شعره: ميا حدثني ابن أخته صاحبنا أبو عثمان بن سعيد، قال: نظم الفقيه القاضى الكاتب أبو بكر بن شبرين بيت الكتاب مألّف الجملة، رحمهم الله، هذين البيتين: [الطويل]

ألا يا محب المصطفى، زد صبا به و ضمخ لسان الذكر منه بطيه

و لا تعبان بالمبطلين فإنما علامه حب الله حب حبيبه

فأخذ الأصحاب في تذييل ذلك. فقال الشيخ أبو الحسن بن الجيّاب، رحمه الله: [الطويل]

فمن يعمر الأوقات طرا بذكره فليس نصيب في الهدى كنصيبه

و من كان عنه معرضا طول دهره فكيف يرجيه شفيع ذنوبه؟

و قال أبو القاسم بن أبي القاسم بن أبي العافية: [الطويل]

أليس الذى جلى دجى الجهل هديه بنور أقمنا بعده نهتدى به؟

و من لم يكن من دأبه شكر منعم فمشهده فى الناس مثل مغيبه

و قال أبو بكر بن أرقم: [الطويل]

نبى هدانا من ضلال و حيرة إلى مرتقى سامى المحل خصيبه

فهل يذكر الملهوف فضل مجيره و يغمط شاكى الداء شكر طبيبه؟

و انتهى القول إلى الخطيب أبي محمد بن أبي المجد، فقال، رحمه الله، مذيلا كذلك: [الطويل]

و من قال مغرورا: حجابك ذكره فذلك مغمور طريد عيوبه

و ذكر رسول الله فرض مؤكّد و كلّ محقّ قائل بوجوبه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٥١

و قال يوما شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب هذين البيتين على عادة الأدباء فى اختبار الأذهان: [الخفيف]

جاهد النفس جاهدا فإذا ما فنيت عنك فهي عين الوجود

و ليكن حكمك المسدّد فيها حكم سعد فى قتله لليهود

قال: فأجابه أبو محمد بن أبي المجد: [الخفيف]
أيها العارف المعبر ذوقا عن معان غزيرة في الوجود
إنّ حال الفناء عن كلّ غير كمقام المراد غير المرید
كيف لي بالجهاد غير معان و عدوى مظاهر بجنود؟
و لو أتى حكمت فيمن ذكرتم حكم سعد لكنت جدّ سعيد
فأراها صباية بي فتوناو أراني في حبّها كيزيد
سوف أسلو بحبكم عن سواهاو لو أبدت فعل المحبّ الودود
ليس شيء سوى إلهك يبقى و اعتبر صدق ذا بقول ليبد
وفاته: توفي، رحمه الله، ليلة النصف من شعبان المكرم عام تسعة و ثلاثين و سبعمائة. و كان يجمع الفقراء و يحضر طائفتهم، و تظهر
عليه حال لا يتمالك معها، و ربما أوحشت من لا يعرفه بها.

عبد الله بن فارس بن زيان

من بنى عبد الوادي، تلمساني، يكنى أبا محمد، و ينتمي إلى بنى زيان من بيت أمرائهم.
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٥٢
كذا نقلت من خط صاحبنا الفقيه القاضي أبي الطاهر ... قاضي الجماعة أبي جعفر بن فركون، و له بأحواله عناية، و له إليه تردّد كثير و
زيارة. قال: ورد الأندلس مع أبيه، و هو طفل صغير، و استقرّ بقتورية في ديوان غزانيا. و لما توفي أبوه سلك مسلكه برهه، و رفض
ذلك، و جعل يتردد بين الولد، و انقطع لشأنه.
حاله: هذا الرجل غريب النزعة في الانقطاع عن الخلق، ينقطع ببعض جبال بنى مشرف، و اتخذ فيها كهوفا و بيوتا من الشجر أزيد من
أربعين عاما، و هلمّ جزءا منفردا، لا يداخل أحدا، و لا يلبسه من العرب، و يجعل الحلفاء في عنقه ... اختلف فيه، فمن ناسب ذلك
إلى التليس و إلى لوثة تأتيه، و ربما أتاب بشيء، و يطلبون دعاءه و مكالمته، فرما أفهم، و ربما أبهم.
محتته: ذكروا أنه ورث عن أخ له مالا غنيا، و قدم مالمقه، و قد سرق تاجر بها ذهابا عينا، فاتهم بها، فجرت عليه محنة كبيرة من الضرب
الوجيع، ثم ظهرت براءته، و طلب الحاكم الجائر منه العفو، فعفا عنه، و قال: لله عندى حقوق و ذنوب، لعلّ بهذا أكفرها، و صرف عليه
المال فأباه، و قال: لا حاجة لي به فهو مال سوء، و تركه و انصرف، و كان من أمر انقطاعه ما ذكر.
شيء من أخباره: استفاض عنه بالجهة المذكورة شفاء المرضى، و تفريج الكربات ... ، إلى غير ذلك من أخبار لا تحصى كثيرة. و هو
إلى هذا العهد بحاله الموصوفه، و هو عام سبعين و سبعمائة.
مولده: بتلمسان عام تسعين و ستمائة. و دخل غرناطة غير ما مرة.

عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي

يعرف بابن العسال، و يكنى أبا محمد، طليطلى الأصل. سكن غرناطة و استوطنها، الصالح المقصود التريه، المبرور البقعة، المنفزع لأهل
المدينة عند الشدة.
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٥٣
حاله: قال ابن الصيرفي: كان، رحمه الله، فدا في وقته، غريب الجود، طرفا في الخير و الزهد و الورع، له في كل جو متنفس، يضرب

في كل علم بسهم، وله في الوعظ تواليف كبيرة، وأشعاره في الزهد مشهورة، جارية على ألسنة الناس، أكثرها كالأمثال جيدة الرصعة، صحيحة المباني والمعاني. وكان يحلق في الفقه، ويجلس للوعظ. وقال الغافقي: كان فقيها جليلا، زاهدا، متفنا، فصيحا لسنا، الأغلب عليه حفظ الحديث والآداب والنحو، حافظا، عارفا بالتفسير، شاعرا مطبوعا. كان له مجلس، يقرأ عليه فيه الحفظ والتفسير، ويتكلم عليه، ويقص من حفظه أحاديث.

و ألف في أنواع من العلوم، وكان يعظ الناس بجامع غرناطة، غريبا في قوته، فذا في دهره، عزيز الوجود. مشيخته: روى عن أبي محمد مكي بن أبي طالب، وأبي عمرو المقرئ الداني، وأبي عمر بن عبد البر، وأبي إسحاق إبراهيم بن مسعود الإلبيري الزاهد، وعن أبيه فرج، وعن أبي زيد الحشاء القاضي، وعن القاضي أبي الوليد الباجي. شعره: وشعره كثير، ومن أمثل ما روى منه قوله: [مخلع البسيط]

لست وجيها لدى إلهي في مبدأ الأمر والمعاد

لو كنت وجها لما براني في عالم الكون والفساد

وفاته: توفي، رحمه الله، يوم الاثنين لعشر خلون من رمضان عام سبعة وثمانين وأربعمائة، وأحد ضحى يوم الثلاثاء بعده بمقبرة باب البيرة بين الجبانتين. ويعرف المكان إلى الآن بمقبرة العسال. وكان له يوم مشهود، وقد تيف على الثمانين، رحمه الله، ونفع به.

ومن الملوك والأمراء والأعيان والوزراء

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله [بن محمد] ابن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن ابن معاوية، أمير المؤمنين، الناصر لدين الله

الخليفة الممتع، المجدود، المظفر، البعيد الذكر، الشهير الصيت. الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ٣؛ ص ٣٥٣

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٥٤

حاله: كان أبيض، أشهل، حسن الوجه، عظيم الجسم، قصير الساقين. أول من تسمى أمير المؤمنين، ولي الخلافة فعلا جدّه، وبعد صيته، وتوطأ ملكه، وكان خلافته كانت شمسا نافية للظلمات، فبايعه أجداده وأعمامه وأهل بيته، على حداثة السن، و جدّه العمر، فجدّد الخلافة، وأحيا الدعوة، وزين الملك، ووطد الدولة، وأجرى الله له من السعد ما يعظم عنه الوصف ويجلّ عن الذكر، وهيا له استنزال الثوار والمنافقين واجتثاث جراثيمهم.

بنوه: أحد عشر، منهم الحكم الخليفة بعده، والمنذر، وعبد الله، وعبد الجبار.

حجابه: بدر مولاه، وموسى بن حدير.

قضاته: جملة، منهم: أسلم بن عبد العزيز، وأحمد بن بقى، ومنذر بن سعيد البلوطي.

نقش خاتمه: «عبد الرحمن بقضاء الله راض».

أمّه: أم ولد تسمى مزنة. وبيع له في ربيع الأول من سنة تسع وتسعين ومائتين.

دخوله إلبيرة: قال المؤرخ: أول غزوة غزاها بعد أن استحجب بدرا مولاه، وخرج إليها يوم الخميس رابع عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ثلاثمائة، مفوضا إليه، ومستعديا نصره، واستتلاف الساردنين، وتأمين الخائفين، إلى ناحية كورة جيان، وحصن المنتلون، فاستنزل منه سعيد بن هذيل، وأتاب إليه من كان نافرا عن الطاعة، مثل ابن اللبانه، وابن مسرة، ودحون الأعمى. وانصرف إلى قرطبة، وقد تجول، وأنزل كل من بحصن من حصون كورة جيان، وبسطه، وناجرة، وإلبيرة، وبجانه،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٥٥

و البشرة، و غيرها، بعد أن عرض نفسه عليها. و على عهده توفي ابن حفصون .
و جرت عليه هزيمة الخندق في سنة سبع و عشرين و ثلاثمائة ، و طال عمره، فملك نيفا و خمسين سنة، و وجد بخطه: أيام السرور
التي صفت لي دون كدر يوم كذا و يوم كذا، فعُدت، فوجدت أربعة عشر يوما.
وفاته: في أول رمضان من سنة خمسين و ثلاثمائة .

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية

يكنى أبا المطرف، و يلقب بالمرتضى.
حاله و صفته: كان أبيض أشقر أقي، مخفف البدن، مدور اللحية، خيرا، فاضلا، من أهل الصلاح و التقى، قام بدولته خيران العامري،
بعد أن كثر السؤال عن بني أمية، فلم يجد فيهم أسدى للخلافة منه، بورعه و عفافه و وقاره، و خاطب في شأنه ملوك الطوائف على
عهده، فاستجاب الكل إلى الطاعة بعد أن أجمع الفقهاء و الشيوخ و جعلوها شورى، و انصرفوا يريدون قرطبة، و بدأوا بصنهاجة
بالتقال، فكان نزوله بجبل شقشتر على محجة واط.
وفاته: يوم لثلاث خلون من جمادى الأولى سنة تسع و أربعمائه. و كانت الهزيمة على عساكر المرتضى، فتركوا المحلات و هربوا، و
فشى فيهم القتل، و ظفرت صنهاجة من المتاع و الأموال بما يأخذه الوصف، و قتل المرتضى في تلك الهزيمة، فلم يوقع له على أثر، و
قد بلغ سنه نحو أربعين.
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٥٦

عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ابن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس

يكنى أبا المطرف، و قيل: أبا زيد، و قيل: أبا سليمان، و هو الداخل إلى الأندلس، و المجدد للخلافة بها لذريته، و الملقب بصقر بني
أمية .
حاله: قال ابن مفرج: كان الأمير عبد الرحمن بن معاوية راجح العقل، راسخ العلم، ثابت الفهم، كثير الحزم، فد العزم، بريئا من العجز،
مستخفا للثقل، سريع النهضة، متصل الحركة، لا يخلد إلى راحته، و لا يسكن إلى دعة، و لا يكل الأمور إلى غيره، ثم لا ينفرد بإبرامها
برأيه. و على ذلك فكان شجاعا، مقداما، بعيد الغور، شديد الحذر، قليل الطمأنينة، بليغا، مفوها، شاعرا محسنا، سمحا، سخيا، طلق
اللسان، فاضل البنان، يلبس البياض، و يعتّم به و يؤثره. و كان أعطى هيبه من وليه و عدوه لم يعطها واحد من الملوك في زمانه. و قال
غيره: و ألقى الأمير عبد الرحمن الأندلس ثغرا من أنأى الثغور القاصية، غفلا من سمة الملك، عاطلا من حلية الإمامة، فأرهب أهله
بالطاعة السلطانية، و حرّكهم بالسيرة الملوكية، و رفعهم بالأداب الوسطية، فألبسهم عما قريب المودة، و أقامهم على الطريقة. و بدأ
يدون الدواوين، و أقام القوانين، و رفع الأواوين، و فرض الأعطية، و أنفذ الأفضية، و عقد الألوية، و جند الأجناد، و رفع العماد، و أوثق
الأوتاد، فأقام للملك آله، و أخذ للسلطان عدته.

نبذة من أوليته: لمّا ظهر بنو العباس بالمشرق، و نجا فيمن نجا من بني أمية، معروفًا بصفته عندهم، خرج يؤمّ المغرب لأمر كان في
نفسه، من ملك الأندلس، اقتضاه حدثان، فسار حتى نزل القيروان، و معه بدر مولا، ثم سار حتى لحق بأخواله من نفزة، ثم سار
بساحل العدو في كنف قوم من زناتة، و بعث إلى الأندلس بدرا، فداخل له بها من يوثق به، و أجاز البحر إلى المنكب، و سأل عنها،
فقال: نكبوا عنها، و نزل بشاط من أحوازها، و قدم إليه أولو دعوته، و عقد اللوا،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٥٧

وقصد قرطبة في خبر يطول، و حروب مبيرة، و هزم يوسف الفهري، و استولى على قرطبة، فبوع له بها يوم عيد الأضحى من سنة ثمان و ثلاثين و مائة، و هو ابن خمس و عشرين سنة.

دخوله البيرة: قالوا: و لما انهزم الأمير يوسف بن عبد الرحمن الفهري، لحق بالبيرة، فامتنع بحصن غرناطة، و حاصره الأمير عبد الرحمن بن معاوية، و أحاط به، فتل على صلح، و انعقد بينهما عقد، و رهنه يوسف ابنه؛ أبا زيد و أبا الأسود، و شهد في الأمان وجوه العسكر، منهم أمية بن حمزة الفهري، و حبيب بن عبد الملك المرواني، و مالك بن عبد الله القرشي، و يحيى بن يحيى اليحصبي، و رزق بن النعمان الغسالي، و جدار بن سلامة المذحجي، و عمر بن عبد الحميد العبدري، و ثعلبة بن عبيد الجذامي، و الحريش بن حوار السلمي، و عتاب بن علقمة اللخمي، و طالوت بن عمر اليحصبي، و الجراح بن حبيب الأسدي، و موسى بن خالد، و الحصين بن العقيلي، و عبد الرحمن بن منعم الكلبي، إلى آخرين سواهم، بتاريخ يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة تسع و ثلاثين و مائة. نقلت أسماء من شهد، لكونهم ممن دخل البلدة، و وجب ذكره، فاجترأت بذلك، فرارا من الإطالة، إذ هذا الأمر بعيد الأمد، و الإحاطة لله.

بلاغته و نثره و شعره: قال الرازي: قام بين يديه رجل من جند قنسرين، يستنجد به، و قال له: يا ابن الخلائف الراشدين و السادات الأكرمين، إليك فرنا، و بك عدت من زمن ظلوم، و دهر غشوم قلل المال، و ذهب الحال، و صير إلى بذاك المنال، فأنت ولي الحمد، و ربي المجد، و المرجو للرفد. فقال له ابن معاوية مسرعا: قد سمعنا مقاتلك، فلا تعودن و لا سواك لمثله، من إراقة وجهك، بتصريح المسألة، و الإلحاف في الطلبة، و إذا ألم بك خطب أو دهاك أمر، أو أحرقتك حاجة فارفعه إلينا في رقعة لا تعدو ذكيا، تستر عليك خلتك، و تكف شماتة العدو بك، بعد رفعها إلى مالكننا و مالكنها عن وجهه، بإخلاص الدعاء، و حسن النية. و أمر له بجائزة حسنة. و خرج الناس يعجبون من حسن منطقه، و براعة أدبه.

و من شعره: قوله، و قد نظر إلى نخلة بمنية الرصافة، مفردة، هاجت شجنه إلى تذكر بلاد المشرق: [الطويل]

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٥٨ فقلت: شبيه في التغرب و النوى و طول التنائى عن بنى و عن أهلى

نشأت بأرض أنت فيها غريبة فمثلك في الإقصاء و المنتأى مثلى

سقتك غوادي المزن من صوبها الذى يسخ و يستمرى السماكين بالويل

وفاته: توفى بقرطبة يوم الثلاثاء الرابع و العشرين لربيع الآخر سنة اثنتين و سبعين و مائة، و هو ابن تسعة و خمسين عاما، و أربعة أشهر، و كانت مدة ملكه ثلاثا و ثلاثين سنة و أربعة أشهر، و أخباره شهيرة.

و جرى ذكره في الرجز المسمى بقطع السلوك، فى ذكر هذين من بنى أمية، قولى فى ذكر الداخل: [الرجز]

و غمر الهول كقطع الليل بفتنة الفهري و الصميل

و جلت الفتنة فى أندلس فأصبحت فريسة المفترس

فأسرع السير إليها و ابتدرو كل شىء بقضاء و قدر

صقر قريش عابد الرحمن بانى المعالى لبني مروان

جدد عهد الخلفاء فيها و أسس الملك لمترفيها

ثم أجاب داعى الحمام و خلف الأمر إلى هشام

و قام بالأمر الحفيد الناصرو الناس محصور بها و حاصر

فأقبل السعد و جاء الناصرو أشرق الأمن و ضاء القصر

و عادت الأيام فى شباب و أصبح العدو فى تباب

سطا و أعطى و تغاضى و وفاو كلما أقدره الله عفا
 فعاد من خالف فيها و انتزى و حارب الكفار دأبا و غزا
 و أوقع الروم به فى الخندق فانقلب الملك بسعى مخفق
 و اتصلت من بعد ذا فتوح تغدو على مثنوا أو تروح
 فاغتموا السلم لهذا الحين و وصلت إرسال قسطنطين
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٥٩ و ساعد السعد فنال و اقتنى ثم بنى الزهرا فيما قد بنى
 حتى إذا ما كملت أيامه سبحانه من لا ينقضى دوامه

عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن سعيد ابن محمد اللخمي

من أهل رندة و أعيانها، يكنى أبا القاسم، و يعرف بابن الحكيم، و جدّه يحيى، هو المعروف بابن الحكيم، و قد تقدم ذكر جملة من هذا البيت.

حاله: كان، رحمه الله، عين بلده المشار إليه، كثير الانقباض و العزلة، مجانبا لأهل الدنيا، نشأ على طهارة و عفة، مرضى الحال، معدودا فى أهل النزاهة و العدالة، و أفرط فى باب الصدقة بما انقطع عنه أهل الإثراء من المتصدقين، و وقفوا دون شأوه.
 و من شهير ما يروى من مناقبه فى هذا الباب، أنه أعتق بكل عضو من أعضائه رقبة، و فى ذلك يقول بعض أدباء عصره:
 أعتق بكل عضو منه رقبة و اعتدّ ذلك ذخرا ليوم العقبة

لا أجد منقبة مثل هذه المنقبة مشيخته: روى عن القاضى الجليل أبى الحسن بن قطرال، و عن أبى محمد بن عبد الله بن عبد العظيم الزهرى، و أبى البركات بن مودود الفارسى، و أبى الحسن الدباج، سمع من هؤلاء و أجازوا له. و أجاز له أبو أمية بن سعد السعود بن عفير، و أبو العباس بن مكنون الزاهد. قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: و كان شيخنا القاضى العالم الجليل أبو الخطاب بن خليل، يطنب فى الثناء عليه، و وقفت على ما خاطبه به معربا عن ذلك.

شعره: منقولاً من «طرفه العصر» من قصيدة يردها المؤذنون منها:

[البسيط]

كم ذا أعلل بالتسويق و الأمل قلبا تغلب بين الوجد و الوجل
 و كم أجرد أذيال الصبا مرحافى مسرح اللهو و فى ملعب الغزل
 و كم أماطل نفسى بالمتاب و لاعزم فيوضح لى عن واضح السبل
 ضللت و الحق لا تخفى معالمه شتان بين طريق الجدّ و الهزل
 وفاته: يوم الاثنين التاسع و العشرين لجمادى الأولى عام ثلاثة و سبعين و ستمائة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٦٠

عبد الرحيم بن إبراهيم بن عبد الرحيم الخزرجى

يكنى أبا القاسم، و يعرف بابن الفرس، و يلقب بالمهر، من أعيان غرناطة.

حاله: كان فقيها جليل القدر، رفيع الذكر، عارفا بالنحو و اللغة و الأدب، ماهر الكتابة، رائق الشعر، بديع التوشيح، سريع البديهة، جاريا على أخلاق الملوك فى مركبه و ملبسه و زيّه. قال ابن مسعدة: و طىء من درجات العزّ و المجد أعلاها، و فرع من الأصالة متمهاها.

ثم علت همته إلى طلب الرئاسة و الملك، فارتحل إلى بلاد العدو، و دعا إلى نفسه، فأجابه إلى ذلك الخلق الكثير، و الجَم الغفير، و دعوه باسم الخليفة، و حيوه بتحية الملك. ثم خانت الأقدار، و الدهر بالإنسان غدار، فأحاطت به جيوش الناصر بن المنصور، و هو في جيش عظيم من البربر، فقطع رأسه، و هزم جيشه، و سيق إلى باب الخليفة، فعلق على باب مراكش، في شبكة حديد، و بقي به مدة من عشرين سنة .

قال أبو جعفر بن الزبير: كان أحد نهاء وقته لو لا حدة كانت فيه أدت به إلى ما حدثني به بعض شيوخى من صحبه. قال: خرجنا معه يوما على باب من أبواب مراكش برسم الفرجة، فلما كان عند الرجوع نظرنا إلى رؤوس معلقة، و تعوذنا بالله من الشر و أهله، و سألناه سبحانه العافية. قال: فأخذ يتعجب منا، و قال: هذا خور طريقه و خساسة همة، و الله ما الشرف و الهمة إلا في تلك، يعنى فى طلب الملك، و إن أدى الاجتهاد فيه إلى الموت دونه على تلك الصفة. قال: فما برحت الليالى و الأيام، حتى شرع فى ذلك، و رام الثورة، و سيق رأسه إلى مراكش، فعلق فى جملة تلك الرؤوس، و كتب عليه، أو قيل الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٦١

فيه: [الطويل]

لقد طمّح المهر الجموح لغاية فقطع أعناق الجياد السوابق

جرى و جرت رجلاه لكن رأسه أتى سابقا و الجسم ليس سابق

و كانت ثورته ببعض جهات درعه من بلاد السوس.

مشيخته: أخذ عن صهره القاضى أبى محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم، و عن غيره من أهل بلده، و تفقه بهم، و بهر فى العقليات و العلوم القديمة، و قرأ على القاضى المحدث أبى بكر بن أبى زمين، و تلا على الأستاذ الخطيب أبى عبد الله بن عروس، و الأدب و النحو على الأستاذ الوزير أبى يحيى بن مسعدة. و أجازه الأستاذ الخطيب أبو جعفر العطار. و من شعره فى الثورة: [البسيط]

قولوا لأولاد عبد المؤمن بن على تأهبوا لوقوع الحادث الجلل

قد جاء فارس قحطان و سيدها و وارث الملك و الغلاب للدول

و من شعره القصيدة الشهيرة و هى: [الكامل]

الله حسبي لا أريد سواه هل فى الوجود الحق إلا الله؟

ذات الإله بها تقوم دولتنا هل كان يوجد غيره لولاه؟

يا من يلوذ بذاته أنت الذى لا تطمع الأبصار فى مرآه

لا غرو أنا قد رأينا بهافالحق يظهر ذاته و تراه

يا من له و جب الكمال بذاته فالكل غاية فوزهم لقيه

أنت الذى لما تعالى جدّه قصرت خطا الأبواب دون حماه

أنت الذى امتلأ الوجود بحمده لما غدا ملآن من نعماه

أنت الذى اخترع الوجود بأسره ما بين أعلاه إلى أدناه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٦٢ أنت الذى خصصتنا بوجودنا أنت الذى عزفتنا معناه

أنت الذى لو لم تلخ أنواره لم تعرف الأضداد و الأشباه

لم أفس ما أودعتنيه إنه ما صان سرّ الحق من أفساه

عجز الأنام عن امتداحك إنه تتضاءل الأفكار دون مداه

من كان يعلم أنك الحق الذى بهر العقول فحسبه و كفاه

لم ينقطع أحد إليك مجبةً إلّا و أصبح حامدا عقباه
و هي طويلة

..... من أهل غرناطة، يكنى أبا ورد، و يعرف بابن القصبة.

عديم رواء الحسن، قريب العهد بالنجعة، فاروق وطنه و عيصه، و استقبل المغرب ... الوفادة، و قدم على الأندلس في أخريات دولة الثاني من الملوك النصرين، فمهد جانب البر له، و قرب مجلسه، و رعى و سئلته، و كان على عمل بر من صوم و اعتكاف و جهاد. نباهته: و وقف بى ولده الشريف أبو زيد عبد الرحيم، على رساله كتب بها أمير مكة على عهده إلى سلطان الأندلس ثاني الملوك النصرين، رحمهم الله، و عتبر فيها عن نفسه: من عبد الله، المؤيد بالله، محمد بن سعد الحرسنى، فى غرض المواصلة و المودة و المراجعة عن بر صدر عن السلطان، رحمه الله، من فصولها: «ثم أنكم، رضى الله عنكم، بالغنم فى الإحسان للسيد الشريف أبى القاسم الذى انتسب إلينا، و أويتموه من أجلنا، و أكرمتموه، و رفعتموه احتراماً لبيتته الشريف، جعل الله عملكم معه وسيلة بين يدي جدنا عليه السلام». و هي طويلة و تحميدها طريف، من شنشنة أحوال تلك الببال بمكة المباركة.

وفاته: توفى شهيدا فى الواقعة بين المسلمين و النصارى بظاهر ألمرية عندما وقع الصريح لإنجاده، و رفع العدو البرجلونى عنها فى السادس و العشرين من شهر ربيع الأول عام عشرة و سبعمائة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٦٣

و من ترجمة المقرئين و العلماء و الطلبة النجباء من ترجمة الطارئين منهم

عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبى الحسن أصبغ بن حسن بن سعدون بن رضوان بن فتوح الخنمى

مالقى، يكنى أبا زيد، و أبى القاسم، و أبى الحسين، و هي قليلة، شهر بالسهيلى.

حاله: كان مقرئاً مجوداً، متحققاً بمعرفة التفسير، غواصاً على المعانى البديعة، ظريف التهدى إلى المقاصد الغريبة، محدثاً، واسع الرواية، ضابطاً لما يحدث به، حافظاً متقدماً، ذاكرة للأدب و التواريخ و الأشعار و الأنساب، مبرزاً فى الفهم، ذكياً، أدبياً، كاتباً بليغاً، شاعراً مجيداً، نحوياً، عارفاً، بارعاً، يقظاً، يغلب عليه علم العربية و الأدب. استدعى آخراً إلى التدريس بمراكش، فانتقل إليها من مالقة، محلل إقرائه، و متبوعاً إفادته، فأخذ بها الناس عنه، إلى حين وفاته.

مشيخته: تلامذته بالحرمين على خال أبيه الخطيب أبى الحسن بن عباس، و بالسَّيِّع على أبى داود بن يحيى، و على أبى على منصور بن علاء، و أبى العباس بن خلف بن رضى، و روى عن أبى بكر بن طاهر، و ابن العربى، و ابن قندله، و أبى الحسن شريح، و ابن عيسى، و يونس بن مغيث، و أبى الحسن بن الطراوة، و أكثر عنه فى علوم اللسان، و أبى عبد الله حفيد مكى، و ابن أخت غانم، و ابن معمر، و ابن نجاح، و أبى العباس بن يوسف بن يمن الله، و أبوى القاسم ابن الأبرش، و ابن الزمك، و أبوى محمد بن رشد، و القاسم بن دحمان، و أبوى مروان بن بونة، و أبى عبد الله بن بحر. و ناظر فى «المدونة» على ابن هشام. و أجاز له و لم يلقه أبو العباس عبّاد بن سرحان، و أبو القاسم بن ورد.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٦٤

من روى عنه: روى عنه أبو إسحاق الزوالى، و أبو إسحاق الجانى، و أبو أمية بن عفير، و أبو بكر بن دحمان، و ابن قنتوال، و المحمدون ابن طلحة، و ابن عبد العزيز، و ابن على جو يحمات، و أبو جعفر بن عبد المجيد، و الحفّار و سهل بن مالك، و ابن العفّاص، و ابن أبى العافية، و أبو الحسن السَّيراج، و أبو سليمان بن حوط الله، و السَّمائى، و ابن عياش الأندرشى، و ابن عطية، و ابن يربوع، و ابن رشيد، و ابن ناجح، و ابن جمهور، و أبو عبد الله بن عياش الكاتب، و ابن الجذع، و أبو على الشلوين، و سالم بن صالح،

و أبو القاسم بن بقي، و أبو القاسم بن الطَّيِّلسان، و عبد الرحيم بن الفرس، و ابن الملجوم، و أبو الكرم جودي، و أبو محمد بن حوط الله، إلى جملة لا يحصرها الحدّ.

دخل غرناطة، و كان كثير التأميل و المدح لأبي الحسن بن أضحي، قاضيها و رئيسها، و له في مدحه أشعار كثيرة، و ذكر لي من أرخ في الغرناطين، و أخبرني بذلك صاحبنا القاضي أبو الحسن بن الحسن كتابة عمّن يتق به.

توالمفه: منها كتاب «الشريف و الإعلام»، بما أبهم في القرآن من أسماء الأعلام». و منها شرح آية الوصية، و منها «الزّوض الأنف و المشرع الزّوا»، فيما اشتمل عليه كتاب السيرة و احتوى». و ابتدأ إملاءه في محرم سنة تسع و ستين و خمسمائة، و فرغ منه في جمادى منها. و منها «حلية النبيل، في معارضة ما في السبيل». إلى غير ذلك.

شعره: قال أبو عبد الله بن عبد الملك: أنشدني أبو محمد القطان، قال:

أنشدني أبو علي الزندي، قال: أنشدني أبو القاسم السهيلي لنفسه: [الطويل]

أسائل عن جيرانه من لقيته و أعرض عن ذكره و الحال تنطق

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٦٥ و ما لي إلى جيرانه من صباؤه و لكنّ قلبي عن صبح يوقّق

و نقلت من خطّ الفقيه القاضي أبي الحسن بن الحسن، من شعر أبي القاسم السهيلي، مذيلا بيت أبي العافية في قطعة لزومية: [الطويل]

و لما رأيت الدهر تسطو خطوبه بكل جليد في الوري أو هداني

و لم أر من حرز ألوذ بظله و لا من له بالحادثات يداني

فزعت إلى من ملك الدهر كفه و من ليس ذو ملك له بمران

و أعرضت عن ذكر الوري متبرّما إلى الرّب من قاص هناك و دان

و ناديته سراً ليرحم عبرتي و قلت: رجائي قاذني و هداني

و لم أدعه حتى تناول مفضلا علىّ بالهام الدعاء و عان

و قلت: أرجي عطفه متمثلا بيت لعبد صائل بردان

تغطّيت من دهري بظلّ جناحه عسى أن ترى دهري و ليس يراني

قلت: و ما ضرّه، غفر الله له، لو سلمت أبياته من «بردان»، و لكن أبت صناعة النحو إلّا أن تخرج أعناقها.

و من شعره قوله: [المتقارب]

تواضع إذا كنت تبغي العلاء و كن راسيا عند صفو الغضب

فخفض الفتى نفسه رفعة له و اعتبر برسوب الذهب

و شعره كثير، و كتابته كذلك، و كلاهما من نمط يقصر عن الإجادة.

و قال ملغزا في محمل الكتب، و هو مما استحسّن من مقاصده: [الخفيف]

حامل للعلوم غير فقيه ليس يرجو أمرا و لا يتّقيه

يحمل العلم فاتحا قدميه فإذا انضمتا فلا علم فيه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٦٦

و من ذلك قوله في المجينات: [الكامل]

شغف الفؤاد نواعم أبقار بردت فؤاد الصّب و هي حرار

أذكي من المسك الفتيق لناشق و ألدّ من صهباء حين تدار

و كأّن من صافي اللّجين بطونها و كأّنما ألوانهنّ نضار

صفت البواطن و الظواهر كلها لكن حكت ألوانها الأزهار
عجبا لها و هي النعيم تصوغهانار، و أين من النعيم النار؟
و من شعره و ثبت في الصلة: [المتقارب]
إذا قلت يوما: سلام عليك ففيها شفاء و فيها سقام
شفا إذ قلتها مقبلا و إن قلتها مدبرا فالحمام
فاعجب لحال اختلافيهما و هذا سلام و هذا سلام
مولده: عام سبعة أو ثمانية و خمسمائة .

وفاته: و توفي في مراكش سحر ليلة الخامس و العشرين من شعبان أحد و ثمانين و خمسمائة، و دفن لظهره بجبانة الشيوخ خارج
مراكش، و كان قد عمى سبعة عشر عاما من عمره.

عبد الرحمن بن هانيء اللخمي

يكنى أبا المطرف، من أهل فرقد من قرى إقليم غرناطة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٦٧

حاله: كان فقيها فاضلا، و تجول في بلاد المشرق. قال: أنشدني إمام الجامع بالبصرة: [الوافر]

بلاء ليس يشبهه بلاء عداوة غير ذي حسب و دين

ينيلك منه عرضا لم يصنه و يرتع منك في عرض مصون

عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد بن محمد الأزدي

من أهل غرناطة، يكنى أبا جعفر، و يعرف بابن القصير .

حاله: كان فقيها [مشاورا، رفيع القدر جليلا]، بارع الأدب، عارفا بالوثيقة، نقادا لها، صاحب رواية و دراية، تقلب ببلاد الأندلس، و

أخذ الناس عنه بمرسية و غيرها. و رحل إلى مدينة فاس، و إفريقيه، و أخذ بها، و ولي القضاء بتقرش من بلاد الجريد.

مشيخته: روى عن أبيه القاضي أبي الحسن بن أحمد، و عن عمه أبي مروان، و عن أبوي الحسن بن دري، و ابن الباذش، و أبي الوليد

بن رشد، و أبي إسحاق بن رشيق الطليطلي، نزيل وادي آش، و أبي بكر بن العربي، و أبي الحسن بن وهب، و أبي محمد عبد الحق

بن عطية، و أبي عبد الله بن أبي الخصال، و أبي الحسن يونس بن مغيث، و أبي القاسم بن ورد، و أبي بكر بن مسعود الخشني، و أبي

القاسم بن بقي، و أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض، و غيرهم.

تواليفه: له تواليف و خطب و رسائل و مقامات، و جمع مناقب من أدركه من أهل عصره، و اختصر كتاب الجمل لابن خاقان

الأصبهاني، و غير ذلك، و ألف برنامجا يضم رواياته.

من روى عنه: روى عنه ابن الملجوم، و استوفى خبره.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٦٨

وفاته: ركب البحر قاصدا الحج، فتوفي شهيدا في البحر؛ قتله الروم بمرسى تونس مع جماعة من المسلمين، صباح يوم الأحد، في العشر

الوسط من شهر ربيع الآخر سنة ست و سبعين و خمسمائة .

عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الأنصاري

يكنى أبا بكر، و يعرف بابن الفضال.

حاله: هذا الرجل فاضل عريق في العدالة، ذكي، نبيل، مختصر الجرم، شعله من شعل الإدراك، مليح المحاوره، عظيم الكفاية، طالب متقن. قرأ على مشيخة بلده، و اختص منهم بمولى النعمة على أبناء جنسه، أبي سعيد ابن لب، و استظهر من حفظه كتباً كثيرة، منها كتاب التفريع في الفروع، و ارتسم في العدول، و تعاطى لهذا العهد الأدب، فبرز في فنه.

أدبه: مما جمع فيه بين نظمه و نثره، قوله يخاطب الكتاب، و يسحر ببراعته الألباب: [الطويل]

لعل نسيم الريح يسرى عليه فأهدى صحيح الود طي سقيم

لتحملها عني و أزكى تحية لقيت ككهف مانع و رقيم

و يذكر ما بين الجوانح من جوى و شوق إليهم مقعد و مقيم

يا كتياب المحلل السامي، و الإمام المتسامي، و واكف الأدب البسامي، أناشدكم بانتظامي، في محبتكم و ارتسامي، و أقسم بحقكم علي و حيا إقسامي، ألا ما أمددتم بأذهانكم الثاقبة، و أسعدتم بأفكاركم الثيرة الواقة، على إخراج هذا المسمى، و شرح ما أبهمه المعنى، فلعمري لقد أحرق مزاجي، و فزق امتزاجي، و أظلم به وهاجى، و غطى على مرآة ابتهاجى، فأعينوني بقوة ما استطعتم، و أقطعوني من مددكم ما قطعتم، و آتونى بذلك كله إعانه و سدا و إلّا فها هو بين يديكم ففكوا غلقه، و اسردوا خلقه، و اجمعوا مضغه المتبانية و علقه، حتى يستقيم جسدا قائما بذاته، متصفا بصفاته المذكورة و لذاته، قائلا بتسلييه أسلوبا، مصحفا كان أو مقلوبا. و إن تأبى عليكم و تمتع، و أدركه الحياء فتستّر و تقنع، و ضرب على آذان الشهداء، و ربط على قلوبهم من الإرشاد له و الاهتداء، فابعثوا أحدكم إلى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٦٩

المدينة، ليسأل عنه خدينه: [المتقارب]

أحاجى ذوى العلم و الحلم ممن ترى شعله الفهم من زنده

عن اسم هو الموت مهما دناو إن بات يبكى على فقده

لذيذ و ليس بذي طعم و يؤمر بالغسل من بعده

و أطيب ما يجتنيه الفتى لدى ربه الحسن أو عبده

مضجعه عشر الثلث في حساب المصحف من خده

و إن شئت قل: مطعم ذمه الرسول و حض على بعده

و قد جاء فى الذكر إخراجهم لقوم نبى على عهده

و تصحيف ضد له آخر يبارك للتحل فى شهده

و تصحيف مقلوبه ربه تردد من قبل فى رده

فهاكم معانيه قد بدت كنار الكريم على نجده

و كتب للولد، أسعده الله، يتوسل إليه، و يروم قضاء حاجته: [الخفيف]

أيها السيد العزيز، تصدق فى المقام العلى لى بالوسيلة

عند ربّ الوزارتين أطل الله أيامه حسانا جميلة

عله أن يجيرنى من زمان مسنى الضر من خطاه الثقيلة

و استطالت على بالتهب جورا من يديه الخفيفة المستطيلة

لم تدع لى بضاعة غير مزجاة و نزر أهون به من قليله
و إذا ما وقى لى الكيل يوما حشفا ما يكيهه سوء كييه
فشفى بى غليله لا شفى بى دون أبنائه الجميع غليله
من لهذا الزمان مذ نال منى ليس لى بالزمان و الله حيله
غير أن يشفع الوزير و يدعو عبده أو خديمه أو خليله
دمت يا ابن الوزير فى عزك السامى و دامت به الليالى كفيله

سيدى الذى بعزة جاهه أصول، و بتوسلى بعنائه أبلغ المأمول و الشول، و أروم لما أنا أحوم عليه الوصول، بركة المشفوع إليه و
الرسول، المرغوب من مجدك السامى الصريح، و المؤمل من ذلك الوجه السنى الصبيح، أن تقوم بين يدي نجوى الشفاعة، هذه
الزقاعة، و تعين بذاتك الفاضلة النفاة، من لسانك مصقاعة، حتى
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٧٠

ينجلى حالى عن بلج، و أتتسم من مهبات القبول طيب الأرج، و تتطلع مستبشرات فرحتى من ثيات الفرج، فإن سيد الجماعة الأعلى، و
ملاذ هذه البسيطة و فحلها الأجل، فسح الله تعالى فى ميدان هذا الوجود بوجوده، و أضفى على هذا القطر ملابس الستر برأيه السيد
و سعوده، و بلغه فى جميعكم غاية أمله و مقصوده، قلما تضيع عنده شفاعه الأكبر من ولده، أو يخيب لديه من توسل إليه بأزكى قطع
كبهه، و بحقك ألا ما أمرت هذه الزقاعة، بالمشول بين يدي ذلك الزكى الذات الطاهر البقعة، و قل لها قبل الحلول بين يدي هذا
المولى الكريم، و الموثل الرحيم، بعظيم التوقير و التبجيل، و اعلمى يا أيتها السائل، أن هذا الرجل هو المؤمل، بعد الله تعالى فى هذا
الجيل، و الحجية البالغة فى تبليغ راجيه أقصى ما يؤملونه بالتعجيل، و خاتمة كلام البلاغة و تمام الفصاحة الموقف عليه ذلك كله
بالتسجيل، و عزه صفح دين الإسلام المؤيدة بالتسجيل. و هذا هو مدبر فلك الخلافة العالیه بإيالته، و حافظ بدر سمائها السامية بهالته،
فقرى بالمشول بين يديه عينا، و لقد قضيت على الأيام بذلك دينا، و إذا قيل ما وسيلة مؤملك، و حاجه متوسلك، فوسيلته تشيعه فى
أهل ذلك المعنى، و حاجته يتكفل بها مجدكم الصميم و يعنى، و ليست تكون بحرمة جاهكم من العرض الأدنى، و تمنّ فإن للإنسان
هنالك ما تمنى، و تولى تكليف مرسلى بحسب ما وسعكم، و أنتم الأعلون و الله معكم. ثم اثن العنان، و الله المستعان، و أعيدي
السلام، ثم عودى بسلام.

و خاطب قاضى الحضرة، و قد أنكر عليه لباس ثوب أصفر:

أبقى الله المثابة العلية و مثلها أعلى، و قدحها فى المعلوات المعلى، ما لها أمرت لا زالت بركاتنا تنثال، و لأمر ما يجب الامتثال، بتغيير
ثوبى الفاقع اللون، و إحالته عن معتاده فى الكون، و إلحاقه بالأسود الجون أصبغه حدادا و أيام سيدى أيام سرور، و بنو الزمان بعدله
ضاحك و مسرور، ما هكذا شيمه البرور، بل لو استطعنا أن نزهو له كالميلاد، و نترتيا فى أيامه بزى الأعياد، و نرفل من المشروع فى
محبر و موروس، و نتجلى فى حلال العروس، حتى تقر عين سيدى بكتيبة دفاعه، و قيمة نوافله و إشفاعه، ففى علم سيدى الذى به
الاهتداء، و بفضل الاقتداء، تفضيل الأصفر الفاقع، حيثما وقع من المواقع، فهو مهما حضر نزهة الحاضرين، و كفاه فاقع لونها تسر
الناظرين.

و لقد اعتمه جبريل عليه السلام، و به تطرز المحبرات و الأعلام، و إنه لزى الظرفاء، و شارة أهل الرفاء، اللهم إلا إن كان سيدى دام له
البقاء، و ساعده الارتقاء، ينهى أهل التبريز، عن مقاربه لون الذهب الإبريز، خيفة أن تميل له منهم ضريبة، فيزنوا بريه، فنعم إذا و نعمى
عين، و سمعا و طاعة لهذا الأمر الهين اللين، أتبعك لا زيدا و عمرا،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٧١

و لا أعصى لك أمرا، ثم لا ألبس بعدها إلّا طمرا، و أتجرد لطاعتك تجريدا، و أسلك إليك فقيرا و مزيدا، و لا أتعرض للسخط بلبس

شفيق أستنشق هباه، و ألبس عباه، و أبرأ من لباس زى ينشئ عتابا، يلقي على لسان مثل هذا كتابا، و أتوب منه متابا، و لو لا أنى الليلة صفر اليدين، و معتقل الدين، لباكرت به من حانوت صبّاغ رأس خابية، وقاع مظلمة جابية، فأصيره حالكا، و لا ألبسه حتى أستفتى فيه مالكا، و لعلى أجد فأرضى سيدى بالتزيى بشارته، و العمل بمقتضى إشارته، و الله تعالى يبقيه للحسنات يتبه عليها، و يومى بعمله و حظّه إليها، و السلام.

و خاطبنى و قد قدم فى شهادة المواريث بحضرة غرناطة: [السريع]

يا منتهى الغايات دامت لناغايتهك القصى بلا فوت
طلبت إحيائى بكم فانتهى من قبله حالى إلى الموت
و حقّ ذاك الجاه جاه العلالا متّ إلّا أن أتى وقتى

مولاي الذى أتأذى من جور الزمان بدمام جلاله، و أتعوذ من نقص شهادة المواريث بتمام كماله، شهادة يابها المعسر و الحى، و يوّد أن لا- يوافيه أجله عليها الحى، مناقضة لما العبد بسيله، غير مريح قطميرها من قليله، فإن ظهر لمولاي إعفاء عبده، فمن عنده، و الله تعالى يمتّع الجميع بدوام سعده، و السلام الكريم يختص بالطاهر من ذاته و مجده، و رحمة الله و بركاته. من عبد إنعامكم ابن الفضال لطف الله به: [البسيط]

قد كنت أسترزق الأحياء ما رزقوا شيئا و لا ما وفونى بعض أقوات
فكيف حالى لما أن شكوتهم رجعت أطلب قوتى عند أمواتى
و السلام يعود على جناب مولاي، و رحمة الله و بركاته.

و خاطب أحد أصحابه، و قد استخفى لأمر قرف به، برسالة افتتحها بأبيات على حرف الصاد، أجابه المذكور عن ذلك بما نصّه، و فيه إشارة لغلط وقع فى الإعراب:

[البسيط]

يا شعله من ذكاء أرسلت شررا إلى قريب من الأرجاء بعد قص
و شبهة حملت دعوى السّفاح على فحل يليق به مضمونها و خص

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٧٢ رحماك بى فلقد جرّعتنى غصصا أثار تعريضها المكتوم من غصّ
بليتنى بنكاه القرح فى كبدى كمثّل مرتجف المجذوم بالبرص

أيها الأخ الذى رقى و مسح، ثم فصح، و غشّ و نصح، و مزّق ثم نصح، و تلاهب بأطراف الكلام المشقّق فما أفصح، ما لسحاتك ذات الجيد المنصوص، توهم سمه الودّ المرصوص، ثم تعدل إلى التأويلات عن النصوص، و تؤنس على العموم، و توحش على الخصوص، لا- درّ درّه من باب برّ ضاع مفتاحه، و تأنيس حرّ سبق بالسجن استفتاحه، و من الذى أنهى إلى أخى خبر ثقافى، و وثيقة تحببسى و إيقافى، و قد أبى ذلك سعد فرعه باسق، و عزّ عقده متناسق. يا أيّها الذين آمنوا إنّ جاءكم فاسق بنبأ، بل المثوى و الحمد لله جنّات و غرف، و المنتهى مجد و شرف، فإن كان وليى مكرثا فيحقّ له السرور، أو شامتا فلى الظّل و له الحرور. أنا لا أزنّ و الحمد لله بها من هناء، و لما أدين بها من عزى و مناه، و لا تمرّ لى ببال فلست بذى سيف و لست بنكال نفسى أرقّ شيمه، و أكرم مشيمه، و عيني أغزر ديمه، لو كان يسأل لسان عن إنسان، أو مجاولته بملعبه خوان، أو قفنى إخوان لا بمأزق عدوان، لارتسمت منه بديوان، لا يغنى فى حرب عوان. عين هذا الشكل و الحمد لله فراره، و عنوان هذا الحدّ غراره. و أما كونى من جملة الصّفرة، و ممن أجهز سيدى الفقار على ذى الفقرة، فأقسم لو ضرب القتيل ببعض البقرة، لتعين مقدار تلك الغفرة.

اللهم لو كنت مثل سيدى ممن تتضاءل النخلة السيحوق لقامته، و يعترف عوج لديه بقمائه و دمامته، مقبل الظنّ كالبدور فى سحاب الخدور، و خليفة السيد الذى بلغت سراويله تندوة العدو الأيّد، لطلت بباع مديد، و ساعدنى الخلق بساعد شديد، و أنا لى جسم

شحت، يحف به بخت، وحسب مثلى أن يعلم في ميدان هوى تسلّ فيه سيوف اللّحاظ، على ذوى الحفاظ، وتشرع سيوف القدود، إلى شكاة الصّدد، وتسطو أولو الجفون السّود بالأسود، فكيف أخشى تبعه تزلّ عن صفاتي، و تنافى صفاتي، ولا تطمع أسبابها في التفاتي، ولا تستعمل في حربها قنا ألفتاى. والله يشكر سيدى على اهتباله، ويحلّ كريم سباله، على ما ظهر لأجلى من شغف باله، إذ رفع ما ينصب، وغير ما لو غيرّه الحجاج لكان مع الهيبة يحصب، ونكت بأن نفقت بالخط سوقى، و ظهر لأجله فسوقى، و يا حيداً هو من شفيح رفيع و وسيلة لا يخالفها الرّعى، و لا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٧٣

يخيب لها السّعى. والله درّ القائل: [الكامل]

لله بالإنسان فى تعليمه بوساطة القلم الكريم عناية

فالخطّ خطّ و الكتابة لم تزل فى الدهر عن معنى الكمال كناية

و ما أقرب، يا سيدى، هذه الدعوى لشهامتك، و كبر هامتك: [الكامل]

لو كنت حاضرهم بخندق بلج و لحمل ما قد أبرموه فصال

لخصت بالدعوى التى عمّوا بها و لقيت: فصل جلاه الفصل

و تركت فرعون بن موسى عبرة تتقدّ منه بسيفه الأوصال

فاحمد الله الذى نجاك من حضور وليمتها، و لم تشهد يوم حليمتها. و أما اعتذارك عما يقلّ من تفقد الكنز، و منتطح العنز، فورع فى سيدى أتمّ من أن يتهم بغيته، و لسانه أعفّ من أن ينسب إلى ربيته، لما اتّصل به من فضل ضريبته، و مقاصد فى الخير غريبته، إنما يستخفّ سيدى أفرط التّهم، رمى العوامل بالتّهم، فيجرى أصحّ مجرى أختها، و يلبسها ثياب تحتها، بحيث لا إثم يترتب، و لا هو ممن تعبت، و على الرجال فجانيته عذبة الجنا، و مقاصده مستطرفة لفضح أو كنى. أبقاه الله رب نفاضة و جراده، و لا أخلى مبرده القاطع من برادة، و عوّده الخير عادة، و لا أعدمه بركة و سعادة، بفضل الله. و السلام عليه من وليه المستزيد من ورش و ليه، لا بل من قلائد حليه، محمد بن فركون القرشى، و رحمة الله و بركاته.

فراجعه المترجم بما نصه، و قد اتّهم أن ذلك من إملائي: [البسيط]

يا ملبس النّصح ثوب الغشّ متهم يلوى النّصيحة عنه غير منتكص

و جاهلا باتخاذ الهزل مادبة أشدّ ما يتوقّى محمل الرّخص

نصحته فقصانى فانقلبت إلى حال يغصّ بها من جملة الغصص

بالأمس أنكرت آيات القصاص له و اليوم يسمع فيه سورة القصص

ممن استعرت يا بابلى هذا السّحر، و لم تسكن بناصية السّحر، و لا أعملت إلى بابل هاروت امتطاء ظهر، و من أين جئت بقلائد ذلك التّحر؟ أمن البحر، أو مما وراء النهر؟ ما لمثل هذه الأريحية الفاتقة، استنشقتنا مهيبك و لا قبل هذه البارقة الفاتقة، استكثرتنا غيبك، يا أيها الساحر ادع لنا ربك. أ أضغاث أحلام ما تريبه الأقلام، أم فى لحظة تلد الأيام فراند الأعلام؟ لقد عهدت بربك محسن دعابه، ما فرعت شعابه، أو

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٧٤

مصيبا فى صبابه، ما قرعت بابيه، و لا- استرجعت قبل أن أعبر عبابه. اللهم إلما أن تكون تلك الآيات البيّنات من بنات يراعتك، لا براعتك، و مغترس تلك الزّهر، الطالعة كالكوكب الزّهر، مختلس يد استطاعتك، لا زراعتك، و إلّا فنطرح مصائد التعليم و الإنشاء، و ننتظر معنى قوله عزّ و جلّ يؤتى الحكمة من يشاء، أو تتوسّل فى مقام الإلحاح و الإلحاف، أن ننقل من غائلة الحسد إلى الإنصاف، و حسبي أن أطلعت بالحديقة الأنيقة، و وقفت من مثلى تلك الطّريقة على حقيقة، فألفت بها بيانا، قد وضح تبيانا أو أطلق عنانا، و

محاسن و جدت إحسانا، فتمثلت إنسانا، سرح لسانا، و أجهد بنانا، إلما أن صادح أيكتهما يتململ في قيظ، و يكاد يتميز من الغيظ، فيفيض و يعيظ، و يهيض و ينهض ثم يهيض، و يأخذ في طويل و عريض، بتسيب و تعريض، و يتناهض في ذلك بغير مهيض، و فاتن كمائهما تسأل عن الصادح، و يتلقف عصا استعجاله ما يفك المادح، و يحرق بناره زند القادح، و يتعاطى من نفسه بالإعجاب، و يكاد ينادى من وراء حجاب، إن هذا لشيء عجاب. إيه بغير تمويه رجع الحديث الأول، إلى ما عليه المعول، لا درّ درّها من نصيحة غير صحيحة، و وصية مودة صريحة، تعلقت بغير ذي قريحة، فهي استعجلتني بداهية كاتب، و استطالة ظالم عاتب، قد سلّ مرهفه، و استنجد مترفه، و جهّزها نحو كتيبه تسفر عن تحجيل، بغير تبجيل، و سحابة سجلّ ترمي بسجيل، ما كان إلّا أن استقلت، و رمتني بدائها و انسلت، و ألت ما فيها و تخلت، فحسبي الله تغلب على فهمي، و رميت بسهمي، و قتلت بسلاحى، و أسكرت براحى، برئت برئت، مما به دهيت، أنت أبقاك الله لم تدن بها منى منالا- و عزّاء، فكيف بها تنسب إلى بعدك و تعزى؟ نفسى التى هى أرقّ و أجدر بالمعالى و أحقّ، و شكلى أخفّ على القلوب و أدقّ، و شمائلى أملك فلا تسترق، و لسانى هو الذى يسأل فلا يفلّ، و قدرى يعزّ و يجلّ، عما فخرت أنت به من ملعب مائدة، و مجال رقاب متمaide، فحاشى سيدى أن يقع منه بذلك مفخر، إلا أن يكون يلهو و يسخر، و موج بحره بالطيب و الخبيث تزخر، و عين شكلى هى بحمد الله عين الظرف، المشار إليه بالبنان و الطرف. و أما تعريض سيدى بصغر القامة، و تكبيره لغير إقامة، فمطرد قول، و مدامه غول، و فريضة نشأ فيها عول، إذ لا مبالاة تجسم كائنا ما كان، أو ما سمعت أن السير فى السيكان، و إنما الجسد للروح مكان، و لم يبق إليه فقد يروح، و قد قال و يسألونك عن الروح، و المرء بقلبه و لسانه، لا بمستظهر عيانه، و لله درّ القائل: [الكامل]

لم يرضنى أنى بجسم هائل و الروح ما وقت له أغراضه
و لقد رضيت بأنّ جسمى ناكل و الروح سابغة به فضفاضه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٧٥

و لما وقع سيدى بمكتوبى على المرفوع و المنسوب، و ظفرت يده بالمغضوب، و الباحث المعصوب، لم يقلها زلّة عالم، و إنى و قد وجدتها منية حالم، فعدّد و أعاد، و شدّد و أشاد. هلا عقل ما قال، و علم أن المقييل سيكون مقال، و زلّة العالم لا تقال، و أن الحرب سجال، و قبضة غيره هو المتلاعب فى الحجال؟ و بالجمله فللك الفضل يا سيدى ما اعتنى بمعناك، و ارتفع بين مغانى الكرام مغناك، فمده ركوبك الحمران لا تجارى، و لا يشقّ أحد لك غبارا. أبقاك الله تحفظ عرى هذا الوداد، و يشمل الجميع بركة ذلك الناد، و السلام عليك من ابن الفضال، و رحمه الله و بركاته.

و جعلنا إلى التحكيم، و فوّضا لنظرى التفضيل فكتبت: [البسيط]

بارك عليها بذكر الله من قصص و اذكر لها ما أتى فى سورة القصص
حيث اغتدى السحر يلهو بالعقول و قدأحال بين حؤول كيده و عصى
عقائل العقل و السحر الحلال قوت من كافل الصّون بعد الكون جحر وصى
و أقبلت تنهادى كالبذور إذا بسحر من فلك النّذور فى حصص
من اللبذور و ربّات الخدور بها المثل غير مطيع و المثل عصى
ما قرصة البدر و الشّمس المنيرة أنقيست بمن قاسها من جملة القرض
تالله ما حكمها يوما بمنتقص كلّا و لا بدرها يوما بمنتقص
إن قال حكى فيها بالسّواد فقدأمنت ما يحذر القاضى من الغصص

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٧٦ أو كنت أرخصت فى التّرجيح مجتهدالم يقبل الورع الفتيا مع الرّخص

يا مدلج ليل التّرجيح، قف فقد خفيت الكواكب، و يا قاضى طرف التّحسين و التّقييح، تسامت و الحمد لله المناكب، و يا مستوكف

خير الوقعة من وراء أقتام القيعه تصالحت المواكب. حصص الحق فارتفع اللجاج، و تعارضت الأدله فسقط الاحتجاج، و وضعت الحرب أوزارها فسكن العجاج، و طاب نحل الأقلام بأزهار الأحلام فطاب المجاج، و قلّ لفرعون البيان و إن تأله، و بلمد العقول و بله، و ولى بالغرور و دله. أوسع الكنائن نثلا، و دونك أيدا شثلا، و شحرا حثلا، لا خطما و لا أثلا. إن هذان لساحران إلى قوله: و يذهبا بطريقتكم المثلى و إن أثرت أدب الحليم، مع قصيه الكليم، فقل لمجمل جياذ التعاليم، و واضح جغرافيا الأقاليم، أندلسا ما علمت بلد الأجم، لا سود العجم، و مداحض السيقوط، على شوك قتاد القوط، و لم يذر إن محل ذات العجائب و الأسرار التي تضرب إليها أباط النجاب في غير الإقليم الأول، و هذا الوطن بشهادة القلب الحوّل، إنما هو رسم دارس ليس عليه من معول. فهنالكَ يتكلم الحق فيفصح و يعجم، و يرد المدد على النفوس الجريئة من مطالع الأضواء فيحدّث و يلهم، و وجود خازن الأمداد، على المتوسّل بوسيلة الاستعداد، فيقطع و يسهم. و أما إقليمنا الرابع و الخامس، بعد أن تكافأت المناظر و الملامس، و تناصف الليل الدّامس و اليوم الشّامس، باعتدال ربيعي، و مجرى طبيعي، و ذكيّ بليد، و معاش و توليد، و طريف في البداوة و تليد، ليس به برباه و لا هرم، يخدم بها درب محترم، و يشبّ لقرياته حرم، فيفيد روحانيا يتصرف، و رئيسا يتعرّض و يتعرّف، كلما استنزل صاب، و أعمل الانتصاب، و جلب المآرب و أذهب الأوصاب، و علم الجواب، و فهم الصواب. و لو فرضنا هذه المدارك ذوات أمثال، أو مسبوقة بمثال، لتلقينا منشور القضاء بامثال، لكننا نخاف أن نميل بعض الميل، فنجنى بذلك أبخس الجرى و إرضاء الدّميل، و نجرّ تنازع الفهري مع الصّميل. فمن خير مّيز، و من حكم أزرى به و تهكّم، و ما سلّ سيوف الخوارج، في الزمن الدّارج، إلّا التحكيم، حتى جهل الحكيم، و خلع الخطام و نزع الشّكيم، و أضرّ بالخلق نافع، و ذهب الطفل لجراه و اليافع، و ذم الدّمام و ردّ الشّافع، و قطر سيف قطري، بكل نجيع طرى، و زار الشّيب الأسد الهصور، و صلّت الغزاة بمسجد الثّقفي و هو محصور، و انتهت المقاصير و القصور، إلّا أن مستأهل الوظيفة الشّرعية عند الضرورة يجبر، و المنتدب للبرّ محيي عند الله و يجبر، و اجعلني على خزائن الأرض و هو الأوضح و الأشهر، فيها به يستظهر. و أنا فإن حكمت على التعجيل،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٧٧

فغير مشهد على نفسى بالتسجيل، إنما هو تليق يرضى و تطفيل، يعتب عليه من تصدّع بالحق و يمضى، إلّا أن يغضى، و رأيي فيها المراضاة و الاستصلاح، و إلّا فالسّلاح و الرّكاب الطّلاح، و الصّالح خير، و ما استدفع بمثل التّسامح ضير. و من وقف عليه، و اعتبر ما لديه، فليعلم أنى صدعت و قطعت، و الحقّ أطعت، و إن أريد إلّا الإصلاح ما استطعت، و السلام.

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن ابن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد ابن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي

من ذرية عثمان أخى كريب المذكور في نبهاء ثوار الأندلس. و ينتسب سلفهم إلى وائل بن حجر، و حاله عند القدوم على رسول الله صلى الله عليه و سلم، معروف .

أوليته: قد ذكر بعض منها. و انتقل سلفه من مدينة إشبيلية عن نباهة و تعين و شهرة عند الحادثة بها، أو قبل ذلك، و استقرّ بتونس منهم ثالث المحمدين؛ محمد بن الحسن، و تناسلوا على سراوة و حشمة و رسوم حسنة، و تصرّف جدّ المترجم به لملوكها في القيادة. حاله: هذا الرجل الفاضل حسن الخلق، جمّ الفضائل باهر الخصل، رفيع القدر، ظاهر الحياء، أصيل المجد، وقور المجلس، خاصّي الرّي، عالي الهمة، عزوف عن الصّميم، صعب المقادة، قوى الجأش، طامح لقتن الرئاسة، خاطب للحظّ، متقدّم في فنون عقلية و نقلية، متعدّد المزايا، سديد البحث، كثير الحفظ، صحيح التّصوّر، بارع الخطّ، مغرى بالتجّلة، جواد الكفّ، حسن العشرة، مبذول

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٧٨

المشاركة، مقيم لرسوم التعين، عاكف على رعى خلال الأصالة، مفخرة من مفاخر التّخوم المغربيّة.

مشيخته: قرأ القرآن ببلده على المكتّب ابن برال، و العربيّة على المقرئ الزواوي، و ابن العربي، و تأدّب بأبيه، و أخذ عن المحدث أبي

عبد الله بن جابر الوادى آشى. و حضر مجلس القاضى أبى عبد الله بن عبد السلام، و روى عن الحافظ عبد الله السطى، و الرئيس أبى محمد عبد المهيمن الحضرمى، و لازم العالم الشهير أبى عبد الله الأبلى، و انتفع به.

توجهه إلى المغرب: انصرف عن إفريقية منشئه، بعد أن تعلق بالخدمة السلطانية على الحداثة و إقامته لرسم العلامة بحكم الاستنابة عام ثلاثة و خمسين و سبعمائة. و عرف فضله، و خطبه السلطان منفق سوق العلم و الأدب أبو عنان فارس بن على بن عثمان، و استقدمه، و استحضره بمجلس المذاكرة، و عرف حقه، و أوجب فضله، و استعمله فى الكتابة أوائل عام ستة و خمسين، ثم عظم عليه حمل الخاصية من طلبه الحضرة لبعده عن حسن التأتى، و شغوفه بثقوب الفهم، و جودة الإدراك، فأغروا به السلطان إغراء عضده ما جيل عليه عندئذ من إغفال التحفظ، مما يريب لديه، فأصابته شدة تخلصه منها أجله؛ كانت مغربة فى جفاء ذلك الملك، و هناة جواره، و إحدى العواذل لأولى الهوى فى القول بفضله، [و استأثر به الاعتقال باقى أيام دولته على سنن الأشراف من الصبر] و عدم الخشوع، و إهمال التوسل، و إبادة المكسوب فى سبيل التفقه، و الإرضاخ على زمن المحنة، و جار المنزل الخشن، إلى أن أفضى الأمر إلى السعيد ولده، فأعته قيم الملك لحينه، و أعاده إلى رسمه. و دالت الدولة إلى السلطان أبى سالم، و كان له به الاتصال، قبل تسوغ المحنة، بما أكد حظوته، فقلده ديوان الإنشاء مطلق الجرايات، محرر السهام، نبيه الرتبة، إلى آخر أيامه. و لما ألفت الدولة مقادها بعده إلى الوزير عمر بن عبد الله، مدبر الأمر، و له إليه قبل ذلك وسيلة، و فى حليه شركة، و عنده حق، رابه تقصيره عما ارتمى إليه أمه، فساء ما بينهما إلى أن آل إلى انفصاله عن الباب المرينى.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٧٩

دخوله غرناطة: ورد على الأندلس فى أوائل شهر ربيع الأول من عام أربعة و ستين و سبعمائة، و اهتز له السلطان، و أركب خاصيته لتلقيه، و أكرم وفادته، و خلع عليه، و أجلسه بمجلسه الخاص، و لم يدخر عنه برا و مؤاكله و مطايبه و فكاهاة. و خاطبنى لما حلّ بظاهر الحضرة مخاطبة لم تحضرنى الآن، فأجبتة عنها بقولى: [الطويل]

حللت حلول الغيث فى البلد المحل على الطائر الميمون و الرّحب و السّهل

يمينا بمن تعنو الوجوه لوجهه من الشّيح و الطفل المهديّ و الكهل

لقد نشأت عندى للقياك غبطة تنسى اغتباطى بالشّيبه و الأهل

أقسمت بمن حجّت قريش لبيتها، و قبر صرفت أزمنة الأحياء لميته، [و نور ضربت الأمثال بمشكاته و زيته، لو خيرت أيها الحبيب] الذى زيارته الأمانة السّيبية، و العارفة الوارفة، و اللطيفة المطيفة، بين رجع الشّباب يقطر ماء، و يرفّ نماء، و يغازل عيون الكواكب، فضلا عن الكواعب، إشارة و إيما، بحيث لا الوخط يلّم بسياج لمتها، أو يقدح ذبالة فى ظلمتها، أو يقوم حواريه فى ملتها، من الأحابش و أمته، و زمانه روح و راح، و مغدى فى النّعيم و مراح، و قصف صراح، [و رقى و جراح،] و انتحاب و اقتراح، و صدور ما بها إلّا انشراح، و مسرات تردفها أفرح. و بين قدومك خليع الرّسن، ممتعا و الحمد

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٨٠

لله باليقظة و الوسن، محكما فى نسك الجنيد أو فتك الحسن، ممتعا بظرف المعارف، مالنا أكف الصّيارف، ماحيا بأنوار البراهين شبه الرّخارف- لما اخترت الشّباب و إن شاقنى زمنه، و أعيانى ثمنه، و أجرت سحاب دمعى دمنه. فالحمد لله الذى رقى جنون اغترابى، و ملكنى أزمنة آرابى، و غبطنى بمائى و ترابى، [و مألّف أترابى،] و قد أعصّنى بلديذ شرابى، و وقّع على سطور المعبرة إضرابى، و عجّلت هذه مغبطة بمناخ المطية، و منتهى الطّية، و ملتقى السّعود غير البطية، و تهنى الآمال الوثيرة الوطية، فما شئت من نفوس عاطشة إلى ريك، متجملة بزيك، عاقلة خطى مهريك، و مولى مكارمه نشيدة أمثالك، و مظانّ مثالك، و سيصدق الخبر ما هنالك، و يسع فضل مجدك فى التخلف عن الإصحار، لا بل اللقاء من وراء البحار، و السلام.

و لما استقرّ بالحضرة، جرت بينى و بينه مكاتبات أقطعها الطّرف جانبه، و أوضح الأدب فيها مذاهبه. فمن ذلك ما خاطبته به، و قد

تسرى جارية رومية اسمها هند صبيحة الابتداء بها: [السريع]

أوصيك بالشيخ أبي بكره لا تأمن في حاله مكره

و اجتنب الشك إذا جئته جنبك الرحمن ما تكره

سیدی، لا- زلت تتصف بالوالج، بين الخلاخل و الدمالج ، و تركض فوقها ركض الهمالج أخبرني كيف كانت الحال، و هل حطت بالقاع من خير البقاع الرّحال، و أحكم بمرود المراودة الاكتحال، و ارتفع بالسقيا الإمحال، و صحّ

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٨١

الانتحال، و حصص الحقّ و ذهب المحال، و قد طولعت بكل بشرى و بشر، و زفت هند منك إلى بشر، فله من عشيّة تمتعت من الربيع بفرش موشية، و ابتذلت منها أي و ساد وحشية، و قد أقبل ظبي الكناس، من الدّيماس، و مطوق الحمام، من الحمام، و قد حسّنت الوجه الجميل التّطرية، و أزيلت عن الفرع الأثيث الإبرية، و صقلت الخدود فهي كأنها الأمرية، و سلط الدّلك على الجلود، و أغريت الثّورة بالشعر المولود، و عادت الأعضاء يزلق عنها اللّمس، و لا تنالها البنان الخمس، و السّحنة يجول في صفحتها الفضيّة ماء النعيم، و المسواك يلبي من ثبّة التّنعيم و القلب يرمى من الكفّ الرّقيم بالمقعد المقيم، و ينظر إلى نجوم الوشوم، فيقول: إني سقيم. و قد فتّح ورد الخفر، و حكم لزنجي الظّفيرة بالظّفر، و اتّصف أمير الحسن بالصّيدود المغتفر، و رشّ بماء الطّيب، ثم أعلق بباله دخان العود الرّطيب. و أقبلت الغادة، يهديها اليمن و تزفّها السعادة، فهي تمشى على استحياء و قد ذاع طيب الرّيا، و راق حسن المحيّا، حتى إذا نزع الخفّ، و قبلت الأكفّ، و صخب المزمار و تجاوب الدّف، و ذاع الأرج، و ارتفع الحرج، و تجوّز اللّوا و المنعرج، و نزل على بشر بزيارة هند الفرّج، اهترّت الأرض و ربت، و عوصيت الطّباع البشرية فأبت. و لله درّ القائل: [المتقارب]

و مرّت فقالت: متى نلتقى؟ فهشّ اشتياقا إليها الخبيث

و كاد يمزّق سرباله فقلت: إليك يساق الحديث

فلما انسدل جنح الظلام، و انتصفت من غريم العشاء الأخيرة فريضة الإسلام، و خاطت خيوط المنام، عيون الأنام، تأتي دنوّ الجلسة، و مسارقة الخلسة، ثم عصّة النهّد، و قبلة الفم و الخدّ، و إرسال اليد من التّجد إلى الوهد،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٨٢

و كانت الإمالة القليلة قبل المدّ، ثم الإفاضة فيما يغبط و يرغب، ثم الإماطة لما يشوش و يشغب، ثم إعمال المسير، إلى السّيرير: [الطويل]

و صرنا إلى الحسنى و رقّ كلامنا و رضت فذلت صعبة أي إذلال

هذا بعد منازعة للأطواق يسيرة، يراها الغيد من حسن السيرة، ثم شرع في حلّ التّكة، و نزع الشّكة، و تهيئة الأرض العزاز عمل الشّكة، ثم كان الوحي و الاستعجال، و حمى الوطيس و المجال، و علا الجزء الخفيف، و تضافرت الخصور الهيف، و تشاطر الطّبع العفيف، و تواتر التّقبيل، و كان الأخذ الوبيل، و امتاز الأنوك من التّبيل، و منها جائر و على الله قصد السّبيل، فيا لها من نعم متداركة، و نفوس في سبيل القحّة متهالكة، و نفس يقطّع حروف الحلق، و سبحان الذي يزيد في الخلق، و عظمت الممانعة، و كثرت باليد المصانعة، و طال التّراوغ و التّراور، و شكى التجاور، و هنالك تختلف الأحوال، و تعظم الأهوال، و تخسر أو تريح الأموال، فمن عصا تنقلب ثعبانا مبينا، و نونه تصير تينا، و بطل لم يهله المعترك الهائل، و الوهم الزائل، و لا حال بينه و بين قرّته الحائل، فتعدّى فتكة السّليك إلى فتكة البرّاض، و تقلّد مذهب الأزارقة من الخوارج في الاعتراض، ثم شقّ الصّفّ، و قد خضب الكفّ، بعد أن كاد يصيب البرّي بطعنته، و يبوء بمقت الله و لعنته: [الطويل]

طعنت ابن عبد الله طعنة تآثر لها نفذ لو لا الشعاع أضءها

و هناك هدا القتال، و سكن الخبال، و وقع المتوقّع فاستراح البال، و تشوّف إلى مذهب الثنوية من لم يكن للتوحيد بمبال، و كثر

السؤال عن البال، بما بال، و جعل الجريح يقول: و قد نظر إلى دمه، يسيل على قدمه: [البسيط]

إنني له عن دمي المسفوك معتذراً أقول: حملته في سفكه تعباً

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٨٣

و من سنان عاد عنانا، و شجاع صار هدانا جباناً، كلما شابهته شائبة ربيته، أدخل يده في جيبه، فانجحرت الحية، و ماتت الغريزة الحية، و هناك يزيغ البصر، و يخذل المنتصر، و يسلم الأسر، و يغلب الحصر، و يجفّ اللباب، و يظهر العاب، و يخفق الفؤاد، و يكبو الجواد، و يسيل العرق، و يشتد الكرب و الأرق، و ينشأ في محل الأمن الفرق، و يدرك فرعون الغرق، و يقوى اللجاج و يعظم الخرق. فلا تزيد الحال إلا شدة، و لا تعرف تلك الجارحة المؤمنة إلا ردة: [الطويل]

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجنى عليه اجتهاده

فكم مغرى بطول اللبث، و هو من الخبث، يؤمل الكزة، ليزيل المعزة، و يستنصر الخيال، و يعمل باليد الاحتياي: [الرجز]

إنك لا تشكو إلى مصمت فاصبر على الحمل الثقيل أو مت

و معتذر بمرض أصابه، جرّعه أوصابه، و وجع طرفه، جلب أرقه، و خطيب أرتج عليه أحيانا، فقال: سيحدث الله بعد عسر يسرا و بعد عى بيانا، اللهم إنا نعوذ بك من فضائح الفروج إذا استغلقت أفعالها، و لم تسم بالنجيع أغفاله، و من معرات الأقدار، و النكول عن الأبخار، و من النزول عن البطون و السرر، و الجوارح الحسنه الغرر، قبل ثقب الدرر، و لا تجعلنا ممن يستحى من البكر بالغداة، و تعلم منه كلال الأداة، و هو مجال فضحت فيه رجال، و فراش شكيت فيه أوجال، و أعملت روية و ارتجال. فمن قائل: [السريع]

أرفعه طورا على إصبعي و رأسه مضطرب أسفله

كالحنش المقتول يلقي على عود لكى يطرح فى مزبله

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٨٤

أو قائل: [السريع]

عدمت من أيرى قوى حسه يا حسرة المرء على نفسه

تراه قد مال على أصله كحائط خرّ على أسه

و قائل: [الطويل]

أ يحسدنى إبليس داءين أصبحا برجلي و رأسى دملاً و زكاما؟

فليتهما كانا به و أزيدة رخاوة أير لا يريد قياما

و قائل: [الطويل]

أقول لأيرى و هو يرقب فتكه به: خبت من أير و عالتك داهيه

إذا لم يك للأير بخت تعذرت عليه وجوه النيك من كل ناحيه

و قائل: [الطويل]

تعقّف فوق الخصيتين كأنه رشاء إلى جنب الركيه ملتفّ

كفرخ ابن ذى يومين يرفع رأسه إلى أبويه ثم يدركه الضعف

و قائل: [الطويل]

تكرّش أيرى بعدما كان أملساو كان غتيا من قواه فأفلسا

و صار جوابى للمها أن مررن بى «مضى الوصل إلا منية تبعث الأسى»

و قائل: [الطويل]

بنفسى من حبيته فاستخفّ بى و لم يخطر الهجران منه على بالى
و قابلنى بالغور و التجد بعدما حطت به رحلى و جردت سر بالى
و ما أرتجى من موسر فوق دكة عرضت له شيئا من الحشف البالى
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٨٥

علل لا تزال تبكى، و علل على الدهر تشكى، و أحاديث تقصّ و تحكى، فإن كنت أعزك الله من التمت الأول، و لم تقل: [الطويل]
و هل عند رسم دارس من معول فقد جنيت الثمر، و استطبت السمر، فاستدع الأبواق من أقصى المدينة، و اخرج على قومك فى ثياب
الزينة، و استبشر بالوفود، و عزف المسمع عازفة الجود، و تبخّج بصلافة العود، و إنجاز الوعود، و اجن رميان التهود، من أغصان
القدود، و اقطف ببنان اللثم أقاح الثغور و ورد الخدود، و إن كانت الأخرى، فأخف الكمد، و ارض التمد، و انتظر الأمد، و أكذب
التوسم، و استعمل التّبسم، و استكنم التّسوة، و أفص فيهنّ الرّشوة، و تقلّد المغالطة و ارتكب، و جىء على قميصك بدم كذب، و
استنجد الرحمن، و استعن على أمورك بالكتمان:
[الكامل]

لا تظهرنّ لعاذل أو عاذر حاليك فى السّراء و الضّراء
فلرحمة المتفجّعين حرارة فى القلب مثل شماتة الأعداء
و انتشق الأرج، و ارتقب الفرج، فكم غمام طبّق و ما همى، و ما رميت إذ رميت و لكنّ الله رمى، و املك بعدها عنان نفسك حتى
تمكّنك الفرصة، و ترفع إليك القصّة، و لا تشتريه إلى عمل لا تفىء منه بتمام، و خذ عن إمام، و لله درّ عروة بن حزام: [الكامل]
الله يعلم ما تركت قتالهم حتى رموا مهري بأشقر مزبد
و علمت أنى إن أقاتل دونهم أقتل و لم يضرر عدوى مشهدى
ففررت منهم و الأحيّة فيهم طمعا لهم بعقاب يوم مفسد
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٨٦

و اللبانات تلين و تجمع، و المآرب تدنو و تنزح، و تحرن ثم تسمح، و كم من شجاع خام، و يقظ نام، و دليل أخطأ الطريق، و أضلّ
الفریق، و الله عزّ و جلّ يجعلها خلّة موصولة، و شملا أكنافه بالخير مشموله، و بنية أركانها لركاب اليمن مأمولة، حتى يكتر خدم
سیدی و جواریه، و أسرته و سراریه، و تفضو عليه نعمه باریه، ما طورد قنيص، و اقتحم عیص، و أدرك مرّام عویص، و أعطى زاهد
و حرم حریص، و السّلام.

تواليفه: شرح القصيدة المسماة بالبردة شرحا بديعا، دلّ فيه على انفساح ذرعه، و تفنن إدراكه، و غزارة حفظه. و لخص كثيرا من كتب
ابن رشد.

و علّق للسلطان أيام نظره فى العلوم العقلية تقييدا مفيدا فى المنطق، و لخص محصل الإمام فخر الدين ابن الخطيب الرازى. و بذلك
داعبته أول لقيه لقيته [ببعض منازل الأشراف، فى سبيل المبرّة بمدينة فاس،] فقلت له:

لى عليك مطالبة، فإنك لخصت «محصى لى». و ألف كتابا فى الحساب. و شرع فى هذه الأيام فى شرح الرّجز الصادر عنى فى أصول
الفقه، بشىء لا غاية وراءه فى الكمال. و أما نشره و سلطانياته، مرسلها و مسجعها، فخلج بلاغة، و رياض فنون، و معادن إبداع، يفرغ
عنها يراعه الجرىء، شبيهة البداءات بالخواتم، فى نداوة الحروف، و قرب العهد بجريه المداد، و نفوذ أمر القريحة، و استرسال الطبع.
و أما نظمه، فنهض لهذا العهد قدما فى ميدان الشعر، و أغرى نقده باعتبار أساليبه؛ فانثال عليه جوّه، و هان عليه صعبه، فأتى منه بكل
غريبة. من ذلك قوله يخاطب السلطان ملك المغرب ليلة الميلاد الكريم عام اثنين و ستين و سبعمائة الإحاطة فى أخبار غرناطة؛ ج ٣؛

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٨٧

بقصيدة طويلة: [الكامل]

أسرفن في هجرى و فى تعذيبى و أطلن موقف عبرتى و تحيى
و أبين يوم البين موقف ساعة لوداع مشغوف الفؤاد كئيب
للّه عهد الظّاعنين و غادروا قلبى رهين صبابه و وجيب
غربت ركائبهم و دمعى سافح فشرقت بعدهم بماء غروبى
يا ناقعا بالعتب غلّه شوقهم رحماك فى عدلى و فى تأنيبى
يستعذب الصّبّ الملام و إننى ماء الملام لدى غير شريب
ما هاجنى طرب و لا اعتاد الجوى لو لا تذكّر منزل و حبيب
أهفو إلى الأطلال كانت مطلعاً للبدر منهم أو كناس ريب
عبثت بها أيدى البلى و ترددت فى عطفها للدهر آى خطوب
تبلى معاهدها و إنّ عهدها ليجدّها و صفى و حسن نسيبى
و إذا الديار تعرّضت لمتميم هزّته ذكرها إلى التشيب
إيه على الصّبر الجميل فإنه ألوى بدين فؤادى المنهوب
لم أنسها و الدهر يثنى صرفه و يغضّ طرفى حاسد و رقيب
و الدار موقنة محاسنها بمالبت من الأيام كلّ قشيب
يا سائق الأظعان تعتسف الفلاو تواصل الإسآد بالتأويب
متهافتا عن رحل كلّ مذلل نشوان من أين و مسّ لغوب
تتجاذب النّفحات فضل رداؤه فى ملتقاها من صبا و جنوب

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٨٨ إن هام من ظمأ الصّبابه صحبه نهلوا بمورد دمعهم المسكوب
فى كلّ شعب منيه من دونها هجر الأمانى أو لقاء شعوب
هلاً عطفت صدورهنّ إلى التى فيها لبانه أعين و قلوب
فتؤم من أكناف يثرب ما منا كيفيك ما تخشاه من تثريب
حيث النبوة آيها مجلوة تلو من الآثار كلّ غريب
سرّ غريب لم تحجبه الثرى ما كان سرّ الله بالمحجوب
يا سيد الرّسل الكرام ضراعة تقضى منى نفسى و تذهب حوبى
عاقبت ذنوبى عن جنابك و المنى فيها تعلّنى بكلّ كذوب
لا كالألى صرفوا العزائم للتقى فاستأثروا منها بخير نصيب
لم يخلصوا لله حتى فرّقوا فى الله بين مضاجع و جنوب
هب لى شفاعتك التى أرجو بها صفحا جميلا عن قبيح ذنوبى
إنّ النجاه و إن أتيحت لامرئى فبفضل جاهك ليس بالتسيب
إنى دعوتك واثقا يا جابتى يا خير مدعوّ و خير مجيب
قصرت فى مدحى فإن يك طيبا فما لذكرك من أريج الطيب

ما ذا عسى يبغى المطيل و قد حوى في مدحك القرآن كل مطيب
يا هل تبلغنى الليالى زورة تدنى إلى الفوز بالمرغوب؟
أمحو خطيئاتي بإخلاصي بهاو أخط أوزارى و إصر ذنوبى
فى فتية هجروا المنى و تعودوا إنضاء كل نجيبه و نجيب
يطوى صحائف ليلهم فوق الفلاما شئت من خب و من تقرب
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٨٩ إن رثم الحادى بذكر ك رددوا أنفاس مشتاق إليك طروب
أو غرد الركب الخلى بطيبة حنوا لمغناها حنين النيب
ورثوا اعتساف البيد عن آباؤهم إرث الخلافة فى بنى يعقوب
الطاعنون الخيل و هى عوابس يغشى مثار النقع كل سبب
و الواهبون المقربات هواتنا من كل خوَار العنان لعوب
و المانعون الجار حتى عرضهم فى منتدى الأعداء غير معيب
تخشى بوادرهم و يرجى حلمهم و العز شيمه مرتجى و مهيب
و منها بعد كثير :

سائل به طامى العباب و قد سرى تزجى بريح العزم ذات هبوب
تهديه شهب أسنه و عزائم يصد عن ليل الحادث المرهوب
حتى انجلت ظلم الضلال بسعيه و سطا الهدى بفريقها المغلوب
يا ابن الألى شادوا الخلافة بالتقى و استأثروك بتاجها المعصوب
جمعوا بحفظ الدين آى مناقب كرموا بها فى مشهد و مغيب
لله مجدك طارفا أو تالدا فلقد شهدنا منه كل عجب
كم رهبة أو رغبة لك و العلاقتاد بالترغيب و الترهيب
لا زلت مسرورا بأشرف دولة يبدو الهدى من أفقها المرقوب
تحى المعالى غاديا أو رائحا و جديد سعدك ضامن المطلوب

و قال من قصيدة خاطبه بها عند وصول هديته ملك السودان ، و فيها الحيوان الغريب المسمى بالزرافة : [الكامل]
قدحت يد الأشواق من زندي و هفت بقلبي زفرة الوجد
و نبذت سلوانى على ثقة بالقرب فاستبدلت بالبعد
و لرب وصل كنت آمله فاعتضت منه مؤلم الصدد
لا عهد عند الصبر أطلبه إن الغرام أضاع من عهدى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٩٠ يلحى العذول فما أعفوه أقول: ضل فابتغى رشدى
و أعارض التفحات أسألها برد الجوى فتريد فى الوجد
يهدى الغرام إلى مسالكها تعللى بضعيف ما تهدى
يا سائق الوجناء معتسفاطى الفلاة لطية الوجد
أرح الركاب فى الصبا نبأ يغنى عن المستنة الجرد
و سل الزبوع برامة خبرا عن ساكنى نجد و عن نجد

ما لى تلام على الهوى خلقى و هى التى تأبى سوى الحمد
 لأبيت إلّا الرّشد مذ وضحت بالمستعين معالم الرّشد
 نعم الخليفة فى هدى و تقى و بناء عزّ شامخ الطّود
 نجل السّراه العزّ شأنهم كسب العلا بمواهب الوجد
 و منها فى ذكر خلوصه إليه، و ما ارتكبه فيه :
 لله منى إذ تأوّننى ذكراه و هو بشاهق فرد
 شهم يفلّ بواترا قضاو جموع أقيال أولى أيد
 أوريت زند العزم فى طلبى و قضيت حقّ المجد من قصدى
 و وردت عن ظمأ مناهلة فرويت من عزّ و من رفد
 هى جنّة المأوى لمن كلفت آماله بمطالب المجد
 لو لم أعلّ بورد كوثرها ما قلت: هذى جنّة الخلد
 من مبلغ قومى و دونهم قذف النّوى و تنوفه البعد
 أنى أنفت على رجائهم و ملكت عزّ جميعهم و حدى
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٩١
 و منها:

و رقيمه الأعطاف حاليه موشية بوشائح البرد
 و حشية الأنساب ما أنست فى موحش البيداء بالقود
 تسمو بجيد بالغ صعدا شرف الصّروح بغير ما جهد
 طالت رؤوس الشامخات بهو لربما قصرت عن الوهد
 قطعت إليك تائفا وصلت آسأدا بالنّصّ و الوحد
 تخدى على استصعابها ذلاو تبيت طوع القنّ و القدّ
 بسعودك اللائى ضمّن لناطول الحياة بعيشه رغد
 جاء تك فى وفد الأحابش لا يرجون غيرك مكرم الوفد
 وافوك أنضاء تقلّبهم أيدى السّرى بالغور و النّجد
 كالطّيف يستقرى مضاجعه أو كالحسام يسلّ من غمد
 يشنون بالحسنى التى سبقت من غير إنكار و لا جحد
 و يرون لحظك من وفادتهم فخرا على الأتراك و الهند
 يا مستعينا جلّ فى شرف عن رتبة المنصور و المهدي
 جازاك ربّك عن خليقته خير الجزاء فنعم ما يسدى
 و بقيت للدنيا و ساكنها فى عزّة أبدا و فى سعد
 و قال يخاطب صدر الدولة فيما يظهر من غرض المنظوم: [الكامل]
 يا سيّد الفضلاء دعوة مشفق نادى لشكوى البتّ خير سميع
 ما لى و للإقصاء بعد تعلّ بالقرب كنت لها أجلّ شفيع

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٩٢ و أرى الليالي رنقت لى صافيا منها فأصبح فى الأجاج شروعى
و لقد خلصت إليك بالقرب التى ليس الزمان لشملمها بصدوع
و وثقت منك بأى وعد صادق إنى المصون و أنت غير مضيع
و سما بنفسى للخليفة طاعه دون الأنام هواك قبل نزوع
حتى انتحانى الكاشحون بسعيهم فصددتهم عنى و كنت منيعى
رغمت نفوسهم بنجح وسائلى و تقطعت أنفاسهم بصنيعى
و بغوا بما نعموا علىّ خلائقى حسدا فرامونى بكلّ شنيع
لا تظمعتهم ببذل فى التى قد صنتها عنهم بفضل قنوعى
أنى أضام و فى يدى القلم الذى ما كان طيعه لهم بمطيع
ولى الخصائص ليس تأبى رتبة حسبى بعلمك ذاك من تفريعى
قسما بمجدك و هو خير أئيه أعتدها لفؤادى المصدوع
إنى لتصطحب الهموم بمضجعى فتحول ما بينى و بين هجوعى
عظفا علىّ بوحدتى عن معشر نث الإباء صدودهم فى روعى
أغدو إذا باكرتهم متجلداو أروح أعر فى فضول دموعى
حيران أوجس عند نفسى خيفة فتسرّ فى الأوهام كلّ مروع
أطوى على الزفرات قلبا إده حمل الهموم تجول بين ضلوعى
و لقد أقول لصرف دهر رابنى بحوادث جاءت على تنوع
مهلا عليك فليس خطبك ضائرى فلقد لبست له أجنّ دروع
إنى ظفرت بعصمه من أوحدهدّ الجميع بفضلها المجموع

و أنشد السلطان أمير المسلمين أبا عبد الله ابن أمير المسلمين أبا الحجاج، لأول قدومه ليله الميلاد الكريم، من عام أربعة و ستين و
سبعمائه: [البسيط]

حىّ المعاهد كانت قبل تحيينى بواكف الدمع يرويهما و يظمينى
إن الألى نرحت دارى و دارهم تحمّلوا القلب فى آثارهم دونى
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٩٣ و قفت أنشد صبيرا ضاع بعدهم فيهم و أسأل رسما لا ينجينى
أمثل الرّبع من شوق و ألثمه و كيف و الفكر يدينه و يقصينى
و ينهب الوجد منى كلّ لؤلؤة ما زال جفنى عليها غير مأمون
سقت جفونى مغانى الرّبع بعدهم فالدمع وقف على أطلاله الجون
قد كان للقلب عن داعى الهوى شغل لو أنّ قلبى إلى السلوان يدعونى
أحبابنا، هل لعهد الوصل مدّك منكم و هل نسمة منكم تحيينى؟
ما لى و للطف لا يعتاد زائره و للنسيم عليلا لا يداوينى
يا أهل نجد، و ما نجد و ساكنها حسنا سوى جنة الفردوس و العين
أعندكم أننى ما مرّ ذكركم إلّا اثنتيت كأنّ الرّاح تشينى
أصبو إلى البرق من أنحاء أرضكم شوقا، و لولاكم ما كان يصبينى

يا نازحا و المنى تدنيه من خلدي حتى لأحسبه قريبا يناجيني
أسلى هواك فؤادي عن سواك و ماسواك يوما بحال عنك يسلييني
تري الليالي أنستك اذكارى يامن لم يكن ذكره الأيام تنسيني
و منها فى ذكر التفریط:

أبعد مرّ الثلاثين التى ذهبت أولى الشّباب بإحسانى و تحسينى
أضعت فيها نفيسا ما وردت به إلا سراب غرور ليس يروينى
وا حسرتا من أمان كلّها خدع تريش غيى و مرّ الدهر ييرينى
و منها فى وصف المشور المبتنى لهذا العهد:

يا مصنعا شيدت منه السّعود حمى لا يطرق الدهر مبناه بتوهين
صرح يحار لديه الطّرف مفتنفا يروقك من شكل و تلوين

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٩٤ بعدا لإيوان كسرى إن مشورك السّامى لأعظم من تلك الأووين

و دع دمشق و مغناها فقصر ك ذا «أشهى إلى القلب من أبواب جيرون»

و منها فى التعريض بالوزير الذى كان انصرافه من المغرب لأجله :

من مبلغ عنى الصّحب الألى جهلواوذى و ضاع حماهم إذ أضاعونى

أنى أويت من العليا إلى حرم كادت مغانيه بالبشرى تحيينى

و إننى ظاعن لم ألق بعدهم دهرا أشاكى و لا خصما يشاكينى

لا كالتى أخفرت عهدى لىالى إذ قلب الطّرف بين الخوف و الهون

سقىا و رعىا لأيامى التى ظفرت يداى منها بحظّ غير مغبون

أرتاد منها مليا لا يماطنى وعدا و أرجو كريما لا يعنينى

و هاك منها قواف طيها حكم مثل الأزاهر فى طى الرياحين

تلوح إن جليت درّاء، و إن تليت تشنى عليك بأنفاس البساتين

عانيت منها بجهدى كلّ شاردة لو لا سعودك ما كانت تواتينى

يمانع الفكر عنها ما تقسمه من كلّ حزن بطى الصّدر مكنون

لكن بسعدك ذلت لى شواردها فرضت منها بتحبير و تزيين

بقيت دهر ك فى أمن و فى دعه و دام ملكك فى نصر و تمكين

و هو الآن قد بدا له فى التّحول طوع أمل ثاب له فى الأمير أبى عبد الله ابن الأمير أبى زكريا بن أبى حفص، لما عاد إليه ملك بجاية،

و طار إليه بجناح شراع تفتيا ظلّه، و صكّ من لدنه رآه مستقرّا عنده، يدعم ذلك بدعوى تقصير خفى أحسّ به، و جعله علّة منقلبه، و

تجرّ سار منه فى مذهبه و ذلك فى ... من عام ثمانية و ستين و سبعمائة. و لما بلغ بجاية صدق رأيه، و نجحت مخيلته، فاشتمل عليه

أميرها، و ولّاه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٩٥

الحجابه بها. و لم ينشب أن ظهر عليه ابن عمّه الأمير أبو العباس صاحب قسنطينة، و تملك البلدة بعد مهلكه، و أجرى المترجم به على

رسمه بما طرق إليه الطّنة بمدخلته فى الواقع. ثم ساء ما بينه و بين الأمير أبى العباس، و انصرف عنه، و استوطن بسكرة، متحوّلا إلى

جوار رئيسها أبى العباس بن مزنى، متعلّلا برفده إلى هذا العهد.

و خاطبته برسالة فى هذه الأيام، تنظر فى اسم المؤلف فى آخر الديوان.
مولده: بمدينة تونس بلده، حرسها الله، فى شهر رمضان من عام اثنين و ثلاثين و سبعمائة .

عبد الرحمن بن الحاج بن القمى الإلبىرى

حاله: كان شاعرا مجيدا، هجا القاضى أبا الحسن بن توبه، قاضى غرناطة، و من نصره من الفقهاء، فضربه القاضى ضربا و جيعا، و طيف به على الأسواق بغرناطة، فقال فيه الكاتب أبو إسحاق الإلبىرى الزاهد، و كان يومئذ كاتباً للقاضى المذكور، الأبيات الشهيرة: [البيسط] السوط أبلغ من قول و من قيل و من نباح سفيه بالأباطيل من الدار كحرّ النار أبراه يعقل التقاضى أى تعقيل

عبد الرحمن بن يخلتن بن أحمد بن تفلت الفازى

يكنى أبا زيد.

حاله: كان حافظا، نظارا، ذكيا، ذا حظّ وافر من معرفة أصول الفقه و علم الكلام، و عناية بشأن الرواية، متبدّلا فى هيئته و لباسه، قلما يرى راكبا فى حضر إلا لضررة، فاضلا، سنيا، شديد الإنكار و الإنحاء على أهل البدع، مبالغا فى التحذير منهم، عامر الإتياء، يطلب العلم شغفا به و انطبعا إليه و حبا فيه و حرصا عليه، آية من آيات الله فى سرعة البديهة، و ارتجال النظم و التثر، و فور مادّة، و موالاة استعمال، لا يكاد يقيد، و لا يصرفه عنه إلا نسخ أو مطالعة علم، أو مذاكرة فيه، حتى صار له الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٩٦

ملكته. لا يتكلف معها الإنشاء، مع الإجادة و تمكّن البراعة. و كان متلبسا بالكتابة عن الولاة و الأمراء، ملتزما بذلك، كارها له، حريصا على الانقطاع عنه، و اختصّ بالسيد أبى إسحاق بن المنصور، و بأخيه أبى العلاء، و بملازمتهما الذّكر فيمن دخل غرناطة، إذ عدّ ممّن دخلها من الأمراء.

مشيخته: روى عن أبيه أبى سعيد، و أبى الحسن جابر بن أحمد، و ابن عتيق بن مون، و أبى الحسن بن الصائغ، و أبى زيد الشهلبي، و أبى عبد الله التّجيبى، و أبى عبد الله بن الفخّار، و أبى محمد بن عبيد الله، و أبى المعالى محمود الخراسانى، و أبى الوليد بن يزيد بن بقى و غيرهم. و روى عنه ابنه أبو عبد الله، و أبو بكر بن سيّد الناس، و ابن مهدي، و أبو جعفر بن على بن غالب، و أبو العباس بن على بن مروان، و أبو عمرو بن سالم، و أبو القاسم عبد الرحيم بن سالم، و ابنه عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن سالم، و أبو القاسم عبد الكريم بن عمران، و أبو يحيى بن سليمان بن حوط الله، و أبو محمد بن قاسم الحرار، و أبو الحسن الرّعينى، و أبو على الماقرى.

تواليفه و منظوماته: له المعشّرات الزّهدية التى ترجمها بقوله: «المعشّرات الزّهدية، و المذكرات الحقيقية الجدّية، ناطقةً بألسنة الوجلين المشفقين، شائقةً إلى مناهج السّالكين المستبقيين، نظمها متبرّكا بعبادتهم، متيمنا بأغراضهم و إشاراتهم، قابضا عنان الدّعوى عن مداناتهم و مجاراتهم، مهتديا إهداء السّنن الخمس بالأشعة الواضحة من إشاراتهم، مخلّدا دون أفقهم العالى إلى حضيضه، جامعا لحسن أقواله و قبح أفعاله بين الشّىء و نقيضيه عبد الرحمن». و له «المعشّرات الحبيّة، و ترجمتها التّفحات القلبية، و اللّفحات الشّوقية، منظومة على ألسنة الذاهيين وجداء الدّائنين كمدا و جهدا، الذين غربوا و بقيت أنوارهم، و احتجوا و ظهرت آثارهم، و نطقوا و صمتت أخبارهم، و وقوا العبودية حقّها، و محضوا المحبّة مستحقّها، نظم من نسج على منوالهم، و لم يشاركهم إلا فى أقوالهم فلان». و القصائد، فى مدح النبى صلى الله عليه و سلم، التى كل قصيدة منها عشرون بيتا، و ترجمتها الوسائل المتقبلة، و الآثار المسلمة المقبلّة، مودعة فى العشرين النبوية، و الحقائق اللّفظية و المعنوية، نظم من اعتقدها من أزكى الأعمال، و أعدّها لما يستقبله من مدهش

الأهوال، و فرع خاطره لها على توالى القواطع و تتابع الأشغال، و رجال بركة خاتم الرسالة، و غاية السؤدد و الجلالة، محو ما

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٩٧

لسلفه من خطأ فى الفعل، و زلل فى المقال، و الله سبحانه و لى القبول للتوبة، و المنان بتسويغ هذه المنية المطلوبة، فذلك يسير فى جنب قدرته، و معهود رحمته الواسعة و مغفرته.

شعره: و شعره كثير جدا، و نثره مشهور و موجود. فمن شعره فى غرض الشكر لله عزّ و جلّ، على غيث جاء بعد قحط: [الكامل]

نعم الإله بشكره تتقيد فالله يشكر فى التوال و يحمد

مدت إليه أكفنا محتاجة فأنالها من جوده ما نعهد

و أغائنا بغمائم و كافة بالبشر تشرق و البشائر ترعد

حملت إلى ظم البسيطة رية فلها عليه منة لا تجحد

فالجو براق و الشعاع مفضض و الماء فياض الأثير معسجد

و الأرض فى حلى الأتى كأنما نطف الغمام و لؤلؤ و زبرجد

و الزروض مطلول الخمائل باسم و القضب لينة الحمائل ميد

تاقت عقول الناس فى حركاتها لشكرها أم سكرها تتأود؟

فيقول أرباب البطالة تشنى و يقول أرباب الحقيقة تسجد

و إذا اهتديت إلى الصواب فإنها فى شكر خالقها تقوم و تقعد

هذا هو الفضل الذى لا ينقضى هذا هو الجود الذى لا ينفد

احضر فؤادك للقيام بشكره إن كنت تعلم قدر ما تتقلد

و انفض يدك من العباد فكلهم عجز الحلّ و أنت جهلا تعقد

و إذا افتقرت إلى سواه فإنما اللذى بخاطرك المجال الأبعد

نعم الإله كما تشاهد حجة و الغائبات أجل مما يشهد

فانظر إلى آثار رحمته التى لا يمتري فيها و لا يتردد

يا ليت شعري و الدليل مبلغ من أى وجه يستريب الملحد

من ذا الذى يرتاب أن إلهه أحد و ألسنة الجماد توحد

كل يصرح حاله و مقاله أن ليس إلا الله رب يعبد

و من شعره أيضا قوله: [الكامل]

عجبا لمن ترك الحقيقة جانبا و غدا لأرباب الصواب مجانبا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٩٨ و ابتاع بالحق المصحح حاضر اما شاء للزور المعلل عائبا

من بعد ما قد صار أنفذ أسهما و أشد عادية و أمضى قاضبا

لا تخدعك سوابق من سابق حتى ترى الإحضار منه عواقبا

فلربما اشتد الخيال و عاقه دون الصواب هوى و أصبح غالبا

و لكم إمام قد أضرب بفهمه كتب تعب من الضلال كتائبا

فانحرف بأفلاطون و أرسطاليس و دونهما تسلك طريقا لاحبا

و دع الفلاسفة الدميم جميعهم و مقالهم تأتي الأحق الواجبا

يا طالب البرهان في أوضاعهم أعزز عليّ بأن تعمّر جانباً
 أعرضت عن شطّ النّجاة ملججاً في بحر هلك ليس ينجي عاطباً
 و صفا الدليل فما نفعت بصفوه حتى جعلت له اللّجين شائباً
 فانظر بعقلك هل ترى متفلسفاً فمن ترى إلّا دعياً كاذباً؟
 أعيته أعباء الشريعة شدة فارتدّ مسلوباً و يحسب سالباً
 و الله أسأل عصمه و كفايته من أن أكون عن المحجّة ناكباً
 و من شعره: [الطويل]

إليك مددت الكفّ في كلّ شدّة و منك وجدت اللطف في كل نائب
 و أنت ملاذ و الأنام بمعزل و هل مستحيل في الرّجا كزآيب؟
 فحقّق رجائي فيك يا ربّ و اكفني شمات عدوّ أو إساءة صاحب
 و من أين أخشى من عدوّ إساءة و سترك ضاف من جميع الجوانب؟
 و كم كربة نجّيتني من غمارها و كانت شجا بين الحشا و الترائب
 فلا قوة عندي و لا لي حيلة سوى حسن ظنيّ بالجميل المواهب
 فيا منجى المضطرّ عند دعائه أغثنى فقد سدّت عليّ مذاهبي
 رجاؤك رأس المال عندي و ربحه و زهده في المخلوق أسنى المواهب

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٣٩٩ إذا عجزوا عن نفعهم في نفوسهم فتأمّلهم بعض الظنون الكواذب
 فيا محسناً فيما مضى أنت قادر على اللطف في حالي و حسن العواقب
 و إنّي لأرجو منك ما أنت أهله و إن كنت حطّاً في كثير المعايب
 فصلّ على المختار من آل هاشم إمام الوري عند اشتداد النوائب
 و قال في مدعى قراءة الخطّ دون نظر: [الطويل]

و أدور ميثاس العواطف أصبحت محاسنه في الناس كالنوع في الجنس
 يدير على القرطاس أنمل كفه فيدرك أخفى الخطّ في أيسر اللّمس
 فقال فريق: سحر بابل عنده و قال فريق: ليس هذا من الإنس
 فقلت لهم لم تفهموا سرّ دركه على أنه للعقل أجلى من الشمس
 ستكفه حبّ القلوب فأصبحت مداركها أجفان أنمله الخمس

وفاته: استقدمه المأمون على حال وحشّه، كانت بينه و بينه، فورد و رود الرضا على مراكش في شعبان سنة سبع و عشرين و ستمائة. و
 توفي في ذي قعدة بعده، و دفن بجبانة الشيوخ مع أخيه عبد الله و قرنائهما، رحم الله جميعهم.
 انتهى السفر التاسع بحمد الله

*** و من السفر العاشر العمال الأثر في هذا الحرف

عبد الرحمن بن أسباط

الكاتب المنجب، كاتب أمير المسلمين، يوسف بن تاشفين.

حاله: لحق به بالعدوة، فاتصل بخدمته، و أغراه بالاندلس، إذ ألقى إليه أموراً على صورتها، حتى كان ما فرغ الله، عزّ و جلّ، من

استيلائه على ممالكها، و خلعه لرؤسائها. و كان عبد الرحمن، قبل اتصاله به، مقدورا عليه في رزقه، يتحرّف بالنسخ، و لم يكن حسن الخطّ، و لا معرّب اللفظ، إلى أن تسيّر للكتابة في باب

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٠٠

الدّيون بالمرية، و رأى خلال ذلك، في نومه، شخصا يوقظه، و يقول له: قم يا صاحب ربح الدّنيا، و قصّ رؤياه على صاحب له بمثواه، فبشّره، فطلب من ذلك الحين السّموّ بنفسه، فأجاز البحر، و تعلّق بحاشية الحرّة العليا زينب، فاستكتبته، فلمّا توفّيت الحرّة، أقرّه أمير المسلمين كاتباً، فنال ما شاء مما ترمى إليه الهمم جاها و مالا و شهرة. و كان رجلا حصيفا، سكونا، عاقلا، مجدى العجا، حسن الوساطة، شهير المكانة.

وفاته: توفى فجأة بمدينة سبتة، في عام سبعة و ثمانين و أربعمائة. و تقلّد الكتابة بعده أبو بكر بن القصيرة. ذكره ابن الصّيرفي.

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مالك المعافى

و تكرر مالك في نسبه.

أوليته: قالوا: من ولد عقبه بن نعيم الداخل إلى الأندلس، من جند دمشق، نزيل قرية سكنب من إقليم تاجرة الجمل من عمل بلدنا لوشة، غرناطى، يكنى أبا محمد.

حاله: كان أبو محمد هذا أحد وزراء الأندلس، كثير الصّينائع، جزل المواهب، عظيم المكارم، على سنن عظماء الملوك، و أخلاق السادة الكرام. لم ير بعده مثله في رجال الأندلس، ذاكرا للفقّه و الحديث، بارعا في الأدب، شاعرا مجيدا و كاتباً بليغا، حلوا الكتابة و الشعر، هشّا مع وقار، لينا على مضاء، على الهمة، كثير الخدم و الأهل.

من آثاره الماثلة إلى اليوم الحّمّام، بجوفى الجامع الأعظم من غرناطة. بدأ بناءه أول يوم من جمادى الأولى سنة تسع و خمسمائة. و شرع في الزيادة في سقف

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٠١

الجامع من صحنه سنة ست عشرة، و عوّض أرجل قسيه أعمدة الرخام، و جلب الرّءوس و الموائد من قرطبة، و فرش صحنه بكّدان الصّبخيرة. و من مكارمه أنه لمّا ولى مستخلص غرناطة و إشبيلية، و جهه أميره على بن يوسف بن تاشفين إلى طرطوشة برسم بنائها، و إصلاح خللها، فلمّا استوفى الغاية فيها قلده، و استصحب جملة من ماله لمؤنثه المختصة به، فلما احتلّها سأل قاضيها، فكتب إليه جملة من أهلها ممن ضعف حاله و قلّ تصرفه من ذوى البيوتات، فاستعملهم أمناء في كل وجه جميل، و وسّع أرزاقهم، حتى كمل له ما أراد من عمله. و من عجز أن يستعمله وصله من ماله. و صدر عنها و قد أنعش خلقا كثيرا.

شعره: من قوله في مجلس أطربه سماعه، و بسطه احتشاد الأّنس فيه و اجتماعه: [الخفيف]

لا تلمنى إذا طربت لشجو يبعث الأّنس فالكريم طروب

ليس شقّ الجيوب حقّا علينا إنما الحقّ أن تشقّ القلوب

و قال، و قد قطف غلام من غلمانة نواره، و مدّ بها يده إلى أبى نصر الفتح بن عبيد الله، فقال أبو نصر: [الطويل]

و بدر بدا و الطّرف مطلع حسنه و فى كّفه من رائق النّور كوكب

يروح لتعذيب النفوس و يغتدى و يطلع فى أفق الجمال و يغرب

فقال أبو محمد بن مالك: [الطويل]

و يحسد منه الغصن أى مهفهف يجىء على مثل الكئيب و يذهب

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٠٢

نثره: قال أبو نصر: كتبت إليه مودّعا، فكتب إليّ مستدعيا، وأخبرني رسوله أنه لما قرأ الكتاب وضعه، و ما سوى ولا فُكر ولا روى: يا سيدى، جرت الأيام بجمع افتراقك، و كان الله جارك فى انطلاقك، فغيرك روع بالظعن، و أوقد للوداع جاحم الشجن، فأنت من أبناء هذا الزمن، خليفة الخضر لا يستقرّ على وطن، كأنك و الله يختار لك ما تأتبه و ما تدعه، موكل بفضاء الأرض تدرعه، فحسب من نوى بعشرتك الاستمتاع، أن يعدّك من العوارى السريعة الارتجاع، فلا يأسف على قلّة الثّوا، و ينشد:

[الطويل]

و فارقت حتى ما أبالى من الثّوى وفاته: اعتلّ بإشبيلية فانتقل إلى غرناطة، فزادت علته بها، و توفى، رحمه الله، بها فى غرّة شعبان سنه ثمانى عشرة و خمسمائة، و دفن إثر صلاة الظهر من يوم الجمعة المذكورة بمقبرة باب إلبيرة، و حضر جنازته الخاصّة و العامّة. من رثاه: رثاه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن أبى الخصال، رحمه الله، فقال:

[الكامل]

إن كنت تشفق من نروح نواه فهناك مقبرة و ذا مثواه
قسّم زمانك عبرة أو عبرة و أحل تشوّقه على ذكراه
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٠٣ و أعدده ما امتدّت حياتك غائبا أو عاتبا إن لم تزر زرنانه
أو نائما غلبت عليه رقدة لمسه لم تغتمض عيناه
أو كوكبا سرت الرّكاب بنوره فمضى و بلّغنا المحلّ سنه
فمتى تبعد و النفوس تزوره و متى تغيب و القلوب تراه
يا واحدا عدل الجميع و أصلحت دنيا الجميع و دينهم دنياه
طالت أذاتك بالحياء كرامه و الله يكرم عبده بأذاه
لشهادة التّوحيد بين لسانه و جنانه نور يرى مسراه
و بوجهه سيما أغرّ محجّل مهما بدا لم تلتبس سيماه
و كأنما هو فى الحياة سكينه لو لا اهتزاز فى النّدى يغشاه
و كأنه لحظ العفاهة توجّعفتلازمت فوق الفؤاد يداه
أبدى رضى الرحمن عنك ثناؤهم إنّ الثّناء علامة لرضاه
يا ذا الذى شغف القلوب به و ذا لا ترتجيه و ذاك لا تخشاه
ما ذاك إلّا أنه فرع زكاوسع الجميع بظله و حناه
فالיום أودى كلّ من أحبته و نعى إلى النفس من ينعه
ما ذا يؤمل فى دمشق مسهدقد كنت ناظره و كنت تراه؟
يعتاد قبرك للبكا أسفا بماقد كان أضحكه الذى أبكاه
يا تربه حلّ الوزير ضريحها سقاك بل صلّى عليك الله
و سرى إليك و منك ذكر ساطع كالمسك عاطرة به الأفواه

عبد الرحمن بن عبد الملك الينشى

يكنى أبا بكر، أصله من مدينة باغة، و نشأ بلوشة، و هو محسوب من الغرناطين. حاله: كان شيخا يبدو على مخيلته الثّبل و الدّهاء، مع قصور أدواته. ينتحل النّظم و النثر فى أراجيز يتوصّل بها إلى غرضه من التصرف

في العمل.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٠٤

و جرى ذكره «في التاج المحلّي» وغيره بما نصه: قارض هاج، مداهن مداج، أخبث من نظر من طرف خفى، و أغدر من تلبس بشعار و في، إلى مكيدة مبنوثة الجبائل، و إغراء يقطع بين الشعوب و القبائل، من شيوخ طريقه العمل، المتقلّبين من أحوالها بين الصّبح و الثّمل، المتعلّلين برسومها حين اختلط المرعى و الهمل . و هو ناظم أرجاز، و مستعمل حقيقة و مجاز. نظم مختصر السّيرة، في الألفاظ اليسيرة، و نظم رجزا في الرّجز و الفال، تبه به تلك الطريقة بعد الإغفال. فمن نظمه ما خاطبني به مستدعيا إلى إعدار ولده: [البسيط] أريد من سيدى الأعلى تكلفه على الوصول إلى دارى صباح غد يزيدينى شرفا منه و يبصر لى صناعة القاطع الحجاج فى ولدى فأجبتة: [البسيط]

يا سيدى الأوحد الأسمى و معتمدى و ذا الوسيلة من أهل و من بلد دعوت فى يوم الاثنين الصّحاب ضحى و فيه ما ليس فى بيت و لا أحد يوم السّلام على المولى و خدمته فاصفح و إن عثرت رجلى فخذ بيدي و العذر أوضح من نار على علم فعّد إن غبت عن لوم و عن فند بقيت فى ظلّ عيش لا نفاد له مصاحبا غير محصور إلى أمد و منه أيضا: [الكامل]

قل لابن سيّد والديه: لقد علاو تجاوز المقدار فيما يفخر

ما ساد والده فيحمد أمره إلّا صغير العنز حتى يكبر

و صدرت عنه مقطوعات فى غير هذا المعنى، ممّا عذب به المجنى، منها قوله: [الكامل]

إنّ الولاية رفعة لكنها أبدا إذا حققتها تتقلّ

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٠٥ فانظر فضائل من مضى من أهلها تجد الفضائل كلّها لا تعزل و قال: [الطويل]

هتيا أبا إسحاق دمت موقّاسعيدا قرير العين بالعرس و العرس

فأنت كمثل البدر فى الحسن و التى تملكها فى الحسن أسنى من الشمس

و قالوا: عجيب نور بدرين ظاهر فقلت: نعم إنّ ألف الجنس للجنس

و كتب إلى: [الطويل]

إذا ضاق ذرعى بالزّمان شكوته لمولاي من آل الخطيب فينفرج

هو العدة العظمى هو السيّد الذى بأوصافه الحسنى المكارم تبتهج

وزير علا ذاتا و قدرا و منصبا فمن دونه أعلا الكواكب يندرج

و فى بابيه نلت الأمانى و قادنى دليل رشادى حيث رافقنى الفرج

فلا زال فى سعد و عزّ و نعمة تصان به الأموال و الأهل و المهج

وفاته: توفى فى الطاعون عام خمسين و سبعمائة بغرناطة.

و فى سائر الأسماء التى بمعنى عبد الله و عبد الرحمن، و أولاد الأمراء:

عبد الأعلى بن موسى بن نصير مولى لخم

أوليته: أبوه المنسوب إليه فتح الأندلس، و محلّه من الدّين و الشهرة و عظم الصّيت معروف. حاله: كان عبد الأعلى أميراً على سنن أبيه في الفضل و الدين، و هو الذي باشر فتح غرناطة و مالمقه، و استحقّ الذكر لذلك. قال الرّازي: و كان موسى بن نصير قد أخرج ابنه عبد الأعلى فيمن ربّته من الرجال إلى البيرة و تدمير؛ لفتحها، و مضى إلى البيرة ففتحها، و ضمّ بها إلى غرناطة اليهود مستظها بهم على النّصر، ثم مضى إلى كورة ريه، ففتحها. الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٠٦

عبد الحليم بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ابن محبو

يكنى أبا محمد، أوليته معروفة. و فسد ما بين أبيه و بين جدّه، أمير المسلمين، بما أوجب انتباده إلى سكنى مدينه سجلماسة، معزّزة له ألقاب السلطان بها، مدوّخا ما بأحوازها من أماكن الرئاسة، منسوبة إليه بها الآثار، كالسيدّ الكبير الشهير، و قصور الملك. فلمّا نزل عنها على حكم أخيه أمير المسلمين أبي الحسن، و أمضى قتلته بالفصاد، نشأ ولده، و هم عدّة بباب عمّهم، يسعهم رفته، و يقودهم ولده، ثم جلاهم إلى الأندلس ابنه السلطان أبو عنان، عندما تصيّر الأمر إليه، فاستقروا بغرناطة تحت برّ و جراية، قلّقا بمكانهم من جلاهم و من بعده، لإشارة عيون الترشيح إليهم، مغالزلة من كتب، و قعودهم بحيث تعثر فيهم المظنّة، إلى أن كان من أمرهم ما هو معروف. حاله: هذا الرجل من أهل الخير و العفاف و الصّيانة و دمث الخلق و حسن المداراة، يألف أهل الفضل، خاطب للرتبة بكل جهد و حيلة، و سدّ عنه باب الأطماع. حدّر من كان له الأمر بالأندلس من لدن وصوله؛ كى لا تختلف أحوال هذا الوطن في صرف و جوه أهله إلى غزو عدو الملة، و محوّل القبله، و إعراضهم عن الإغماض في الفتنة المسلمة، و ربما يميم عنهم الحركات و الهوم، فتقفوا من فيها عليهم، إلى أن تبرأ ساحتهم و يظن به السكون. فلمّا دالت الدولة، و كانت للأخابث الكثرة، و استقرت بيد الرئيس الغادر الكثرة، و كان ما تقدّم الإلماع به من عمل السلطان أبي سالم، ملك المغرب، على إجازة السلطان، ولّى ملك الأندلس، المزعج عنها بعلّة البغي، ذهب الدّائل الأخرق إلى المقارضة، فعندما استقرّ السلطان أبو عبد الله بجبل الفتح، حاول إجازة الأمير عبد الحليم إلى تلمسان بعد مفاوضة، فكان ذلك في أخريات ذى قعدة، و قد قضى الأمر في السلطان أبي سالم، و انحلت العقدة، و انتكشت الميررة، و ولّى الناس الرجل المعتوه، وفد إلى تلمسان من لم يرض محلّه من الإدالة، و لا قويت نفسه على العوض، و لا صابرت غضّ المخافة، و حرّك ذلك من عزمه، و قد أنجده السلطان مستدعيه بما في طوقه. و لما اتصل خبره بالقائم بالأمر بفاس، و معمل التدبير على سلطانه، أعمل النظر فيهم؛ زعموا بتسليم الأمر، ثم حدّر من لحق به من أضداده، فصمّم على الحصار، و استراب بالقبيل المريني، و أكثف الحجاب دونهم بما يحرك أنفتهم، فنفروا عنه بواحدة أول عام ثلاثة و ستين و سبعمائه، و اتفق رأيهم على الأمير عبد الحليم، فتوجّهت إليه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٠٧

وجوههم اتّفاقا، و اثنالوا عليه اضطرارا، و نازل البلد الجديد، دار الملك من مدينه فاس، يوم السبت السادس لشهر المحرم من العام. و اضطربت المحلّات بظاهره، و خرج إليه أهل المدينه القدمى، فأخذ بيعتهم، و خاطب الجهات، فألقت إليه قواعدها باليد، و وصلت إليه مخاطباتها.

و من ذلك ما خوطب به من مدينه سلا، و أنا يومئذ بها: [الخفيف]

يا إمام الهدى، و أىّ إمام أوضح الحقّ بعد إخفاء رسمه

أنت عبد الحليم حلمك نرجو فالمسمى له نصيب من اسمه

وسلك مسلكا حسنا في الناس، وفسح الآمال، وأجمل اللقاء، وتحمل الجفاء، واستفز الخاصة بجميل التأتي وأخذ العفو، والتظاهر بإقامة رسوم الديانة، وحارب البلد المحصور في يوم السبت الثالث عشر لشهر الله المحرم المذكور، كانت الملاقاة التي برز فيها وزير الملك ومدير رحاه بمن اشتملت عليه البلدة من الزوم والجند الرحل، واستكثر من آليات الظهور وعدد التهويل، فكانت بين الفريقين حرب مرّة تولّى كبرها الناشئة، فأرسلت على القوم حواصب التبل، غارت لها الخيل، واقشعرت الوجوه، وتقهرت المواكب. وعندها برز السلطان المعتوه، مصاحبه له نسمة الإقدام، وتهوّر الشجاعة عند مفارقة الخلال الصّحيّة، وتوالت الشدات، وتكالت الطائفة المحصورة، فتمرّست بأختها، وقعت الهزيمة ضحوّة اليوم المذكور على قبيل بني مرين ومن لف لفهم، فصرفوا الوجوه إلى مدينة تازى، واستقرّ بها سلطانهم، ودخلت مكناسة في أمرهم، وضاق ذرع فاس للملك بهم، إلى أن وصل الأمير المستدعي، طية الصبر، وأجدى دفع الدّين، ودخل البلد في يوم الاثنين الثاني والعشرين لصفّر من العام. وكان اللقاء بين جيش السلطان، لنظر الوزير، مطعم الإمهال وموّد الصّنع. وبين جيش بني مرين، لنظر الأخ عبد المؤمن ابن السلطان أبي علي، فرحل القوم من مكناسة، وفر عنهم الكثير من الأولياء، وأخلوا العرصه، واستقرّوا أخيرا ببلد أبيهم سجلماسة، فكانت بين القوم مهادنة.

وعلى أثرها تعصّب للأخ عبد المؤمن معظم عرب الجهة، وقد برز إليهم في شأن استخلاص الجباية، فرجعوا به إلى سجلماسة. وخرج لمدافعتهم الأمير عبد الحليم، بمن معه من أشياخ قبيله والعرب أولى مظاهر، فكانت بينهم حرب أجلت عن هزيمة الأمير عبد الحليم، واستلحم للسييف جملة من المشاهير، كالشيخ الخاطب في حبله، خدن النكر وقادح زند الفتنة، الدّارين بالحمل على الدول على التفصيل والجملة، المعتمد بالمغرب بالرأى والمشورة، يحيى بن رحو بن مسطى وغيره.

وأذن عبد الحليم بعدها للخلع، وخرج عن الأمر لأخيه، وأبقى عليه، وتحرّج من

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٠٨

قتله، وتعرّف لهذا الوقت صرفه عنه إلى الأرض الحجازية على صحراء القبلة، فأنتهى أمره إلى هذه الغاية.

دخوله غرناطة: قدم على الحضرة مع الجملة من إخوته وبنى عمّه في ...

جلاهم السلطان أبو عنان عندما تصير له الأمر، فاستقرّوا بها، يناهز عبد الحليم منهم بلوغ أشده.

وفاته: وتوفى ... وستين وسبع مائة.

عبد المؤمن بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ابن محبو

أخو الأمير عبد الحليم، يكنى أبا محمد.

حاله: كان رجلا وقورا، سكونا، نحيفا، آية الله في جمود الكفّ، وإيثار المسك، قليل المداخله للناس، مشتغلا بما يغنيه من خويصة نفسه، موصوفا ببسالة وإقدام، حسن الهيئة. دخل الأندلس مع أخيه، وعلى رسمه، وتحرك معه وابن أخ لهما، فتولّى كثيرا من أمره، ولقى الهول دونه. ولما استقرّوا بسجلماسة، كان ما تقرّر من توبته على أمره، والعمل على خلعه، معتذرا، زعموا إليه، موفيا حقّه، موجبا تجلّته إلى حين انصرافه، وصل الأندلس خطابه يعرّف بذلك بما نصّه في المدرجة.

ولم ينشب أن أحسّ بحركة جيش السلطان بفاس إليه، فخاطب عميد الهساكره، عامر بن محمد الهنتاتي، و عرض نفسه عليه، فاستدعاه، وبذل له أمانا.

ولما تحصّل عنده، قبض عليه وثقّفه، وشدّ عليه يده، وحصل على طلبه دهية من التّوعيد بمكانه، واتخاذ اليد عند السلطان بكفّ عاديته إلى هذا التاريخ.

و من الأفراد أيضا في هذا الحرف و هم طارؤون

عبد الحق بن علي بن عثمان بن أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحق

الأمير المخاف بعد أبيه أمير المسلمين أبي الحسن بمدينة الجزائر، بعد ما توجه إلى المغرب، و جرت عليه الهزيمة من بني زيّان.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٠٩

حاله: كان صبيا ظاهر السكون و الأدب، في سنّ المراهقة، لم ينشب أن نازله جيش عدوّه. و ماله أهل البلد، و أخذ من معه لأنفسهم و له الأمان، فنزل عنها و لحق بالأندلس. قال في كتاب «طرفه العصر»: و في ليلة العاشر من شهر ربيع الأول اثنين و خمسين و سبعمائة، اتّصل الخبر من جهة الساحل، بنزول الأمير عبد الحق ابن أمير المسلمين أبي الحسن و من معه، بساحل شلوبانية، مفلتين من دهق الشّدة، بما كان من منازل جيش بني زيّان مدينة الجزائر، و قيام أهلها بدعوتهم، لما سموه من المطاولة، و نهكهم من الفتنة، و امتنع الأمير و من معه بقصبتها، و أخذوا لأنفسهم عهدا، فنزلوا و ركبوا البحر، فرافقتهم السيّلام، و شملهم ستر العصمة. و لحين اتصل بالسلطان خبره، بادر إليه بمركبين ثقبلي الحليّة، و ما يناسب ذلك من بزّة، و عجل من خدامه بمن يقوم بيزّه، و أصحبه إلى منزل كرامته. و لرابع يوم من وصوله كان قدومه، و برز له السلطان بروزا فخما، و نزل له، قارضا إياه أحسن القرض؛ بما أسلفه من يد، و أسداه من طول. و أقام ضيفا في جواره، إلى أن استدعاه أخوه ملك المغرب، فانصرف عن رضى منه، و لم ينشب أن هلك مغتالا في جملة أرداهم الترشيح.

عبد الواحد بن زكريا بن أحمد اللجاني

يكنى أبا ملك. و بيته في الموحدّين الملوك بتونس. و أبوه سلطان إفريقية، المترقى إليها من رتبة الشياخة الموحدية. حاله: كان رجلا طوالا نحيفا، فاضلا حسيبا، مقيما للرسوم الحسينية، حسن العشرة، معتدل الطريقة. نشأ بالبلاد الشرقية، ثم اتصل بوطنه إفريقية، و تقلّد الإمارة بها برهه يسيرة، ثم فر عنها و لحق بالمغرب، و جاز إلى الأندلس، و قدم على سلطانها، فرحب به، و قابله بالبر، و نوه محلّه، و أطلق جراته، ثم ارتحل أدراجه إلى العدو، و وقعت بيني و بينه صحبة، و أنشدته عند وداعه: [المتقارب]

أبا ملك، أنت نجل الملوك غيوث الندى و ليوث النزال

و مثلك يرتاح للمكرات و ما لك بين الورى من مثال

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤١٠ عزيز بأنفسنا أن نرى ركابك مؤذنة بارتحال

و قد خبرت منك خلقا كريما أناف على درجات الكمال

و فازت لديك بساعات أنس كما زار في النوم طيف الخيال

فلو لا تعللنا أنانزورك فوق بساط الجلال

و نبلغ فيك الذى نشتهى و ذاك على الله سهل المنال

لما فترت أنفس من أسى و لا برحت أدمع فى انهمال

تلقتك حيث احتلت السعدود كان لك الله فى كلّ حال

و من ترجمة الأعيان و الوزراء و الأماثل و الكبرا

عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق بن محيو

يكنى أبا إدريس، شيخ الغزاة بالأندلس.

حاله: كان شجاعاً عفيفاً تقيماً، وقوراً جلدًا، معروف الحق، بعيد الصديت. نازع الأمر قومه بالمغرب، وانتزى بمدينة تازى، على السلطان أبى الزبيع، وأخذ بها البيعة لنفسه. ثم ضاق ذرعه، فعبر فيمن معه إلى تلمسان. ولما هلك أبو الربيع، وولى السلطان أبو سعيد، قدم للكتب فى شأنه إلى سلطان الأندلس، وقد تعرّف عزمه على اللحاق، ولم ينشب أن لحق بالمريّة من تلمسان، فتقف بها؛ قضاء لحق من خاطب فى شأنه. ثم بدا للسلطان فى أمره، فأوعز لرقبائه فى الغفلة عنه، وفرّ فالحق ببلاد النصرى فأقام بها، إلى أن كانت الوقعة بالسلطان بغرناطة، بأحواز قرية العطشا على يد طالب الملك أمير المسلمين أبى الوليد، وأسر يومئذ شيخ الغزاة حمّو بن عبد الحق، و ترجح الرأى فى إطلاقه و صرفه، إعلانا للتهديد، فنجحت الحيلة، و عزل عن الخطّة، و استدعى عبد الحق هذا إليها، فوصل غرناطة، و قدّم شيخا على الغزاة.

و لما تغلب السلطان أبو الوليد على الأمر، و استوسق له، و كان ممن شمله أمانه، فأقرّه مرعوسا بالشيخ أبى سعيد عثمان بن أبى العلاء برهه. ثم لحق بأمره المخلوع الإحاطة فى أخبار غرناطة؛ ج ٣؛ ص ٤١١
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤١١

نصر، المستقرّ موادعا بوادى آش، و أوقع بجيش المسلمين مظاهر الطاغية، الوقعة الشنيعة بقرمونه، و أقام لديه مدّة. ثم لحق بأرض النصرى، و أجاز البحر إلى سبتة، مظاهرا لأمرها أبى عمرو يحيى بن أبى طالب العزفى، و قد كشف القناع فى منابذة طاعة السلطان، ملك المغرب، و كان أملك لما بيده، و أتيح له ظفر عظيم على الجيش المضيق على سبتة، فييته و هزمه. و تخلّص له ولده، الكائن بمضرب أمير الجيش فى بيت من الخشب رهينة، فصرف عليه، فما شئت من ذباغ شهرة، و بعد صيت، و كرم أحدىثة. ثم بدا له فى التّحول إلى تلمسان، فانتقل إليها، و أقام فى إيالة ملكها عبد الرحمن بن موسى بن تاشفين إلى آخر عمره.

وفاته: توفى يوم دخول مدينة تلمسان عنوة، و هو يوم عيد الفطر من عام ثمانية و ثلاثين و سبعمائة، قتل على باب منزله، يدافع عن نفسه، و على ذلك فلم يشهر عنه يومئذ كبير غناء، و كور و استلحم، و حزّ رأسه. و كان أسوة أميرها فى المحيا و الممات، رحم الله جميعهم، فانتقل بانتقاله و قتل بمقتله. و كان أيضا علما من أعلام الحروب، و مثالا فى الأبطال، و ليثا من ليوث النّزال.

عبد الملك بن على بن هذيل الفزاري و عبد الله أخوه

حالهما: قال ابن مسعدة: أبو محمد و أبو مروان توليا خطّة الوزارة فى الدولة الحبوسية، ثم توليا القيادة بثغور الأندلس، و قهرا ما جاورهما من العدو، و غلباه، و سقيه كأس المنايا، و جرّعا. و لم يزالا قائمين على ذلك، ظاهرين علمين، إلى أن استشهدا، رحمهما الله.

عبد القهار بن مفرج بن عبد القهار بن هذيل الفزاري

حاله: قال ابن مسعدة: كان بارع الأدب، شاعرا، نحويا، لغويا، كاتباً متوقّداً الذهن، عنده معرفة بالطّب، ثم اعتزل الناس، و انقبض، و قصد سكنى البشارات؛ لينفرد بها، و يخفى نفسه؛ فرارا من الخدمة، فتهياً له المراد.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤١٢

شعره: و كان شاعرا جيّد القريحة سريع خاطر، و من شعره: [السريع]

يا صاح، لا تعرض لزوجة كلّ البلا من أجلها يعترى

الفقر و الدّلّ و طول الأسى لست بما أذكره مفترى

ما في فم المرأة شيء سوى اشتر لي و اشتر لي و اشتر

القضاء الفضلاء و أول الأصيلون

عبد الحق بن غالب بن عطية بن عبد الرحمن بن غالب ابن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد ابن عطية بن خالد بن خفاف بن أسلم بن مكتوم المحاربي

أوليته: من ولد زيد بن محارب بن عطية، نزل جدّه عطية بن خفاف بقريه قسلة من زاوية غرناطة، فأنسل كثيرا ممن له خطر، وفيه فضل.

حاله: كان عبد الحق فقيها، عالما بالتفسير و الأحكام و الحديث و الفقه، و النحو و الأدب و اللغة، مقيدا حسن التقييد، له نظم و نثر، ولى القضاء بمدينة ألمرية في المحرم سنة تسع و عشرين و خمسمائة، و كان غاية في الذكاء و الذكاء، و التهمم بالعلم، سرى الهمة في اقتناء الكتب. توخى الحق، و عدل في الحكم، و أعز الخطه.

مشيخته: روى عن الحافظ أبيه، و أبوى على الغسانی و الصدفي، و أبى عبد الله محمد بن فرج مولى الطلاع، و أبى المطرف الشعبي، و أبى الحسين بن البيان، و أبى القاسم بن الحضار المقرى، و غيرهم. توألفه: ألف كتابه المسمى ب «الوجيز في التفسير» فأحسن فيه و أبدع، و طار بحسن تيته كل مطار. و ألف برنامجا ضمنه مروياته، و أسماء شيوخه، و جرز و أجاد.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤١٣

شعره: قال الملاحى: ما حدثني به غير واحد من أشياخه عنه، قوله:

[البيسط]

و ليلة جبت فيها الجزع مرتديا بالسيف أسحب أذبالا من الظلم
و النجم حيران فى بحر الدجا غرق و البدر فى طيلسان الليل كالعلم
كأنما الليل زنجى بكاهله جرح فيثعب أحيانا له بدم

و قال يندب عهد شبابه: [البيسط]

سقى لعهد شباب ظلت أمرح فى ريعانه و ليالى العيش أسحار
أيام روض الصبا لم تذو أغصنه و روتق العمر غض و الهوى جار
و النفس تركض فى تضمين ترتها طرفا له فى زمان اللهو إحضار
عهدا كريما لبسنا منه أودية كانت عيوننا و مّحت فهى آثار

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤١٤ مضى و أبقى بقلبي منه نار أسى كوني سلاما و بردا فيه يا نار

أبعد أن نعمت نفسى و أصبح فى ليل الشباب لصبح الشيب إسفار
و نازعتنى الليالى و انشت كسرا عن ضيغم ما له ناب و أظفار
إلا سلاح خلال أخلصت فلها فى منهل المجد إيراد و إصدار
أصبو إلى روض عيش روضه خضل أو ينثنى بى عن اللقاء إقصار
إذا فطّلت كفى من شبا قلم آثاره فى رياض العلم أزهار

من روى عنه: روى عنه أبو بكر بن أبى جمرة، و أبو محمد بن عبد الله، و أبو القاسم بن حبيش، و أبو جعفر بن مضاء، و أبو محمد

عبد المنعم، و أبو جعفر بن حكم، وغيرهم.

مولده: ولد سنة إحدى وثمانين و أربعمائة.

وفاته: توفي في الخامس و العشرين لشهر رمضان سنة ست و أربعين و خمسمائة بمدينة لورقة . قصد مرسية يتولى قضاءها، فصد عنها، و صرف منها إلى لورقة، اعتداء عليه.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤١٥

عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن فرج الخزرجي

من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، و يعرف بابن الفرس، و قد تقدم ذكر طائفة من أهل بيته.

حاله: كان حافظا جليلا، فقيها، عارفا بالنحو و اللغة، كاتباً بارعا، شاعرا مطبوعا، شهير الذكر، عالي الصيت. ولى القضاء بمدينة شقر، ثم بمدينة وادي آش، ثم بجيان، ثم بغرناطة، ثم عزل عنها، ثم وليها الولاية التي كان من مضمن ظهيره بها قول المنصور له: أقول لك ما قاله موسى، عليه السلام، لأخيه هارون:

اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَ أَصْلِحْ وَ لَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ، و جعل إليه النظر في الحسبة، و الشرط، و غير ذلك، فكان إليه النظر في الدماء فما دونها، و لم يكن يقطع أمر دونه ببلده و ما يرجع إليه.

و قال ابن عبد الملك: كان من بيت علم و جلاله، مستبحرا في فنون المعارف على تفاريقها، متحققا بها، نافذا فيها، ذكي القلب، حافظا للفقهاء. استظهر أو ان طلبه الكتابين: المدونة، و كتاب سيويه و غيرهما، و عنى به أبوه و جدّه عناية تامة. و قال أبو الربيع بن سالم: سمعت أبا بكر بن الجدد، و حسبك به شاهدا، يقول غير ما مرة: ما أعلم بالأندلس أحفظ لمذهب مالك من عبد المنعم بن الفرس، بعد أبي عبد الله بن زرقون.

مشيخته: روى عن أبيه الحافظ أبي عبد الله، و عن جدّه أبي القاسم، سمع عليهما و قرأ، و عن أبي بكر بن النّيس، و أبي الحسن بن هذيل، و أبي عبد الله بن سعادة، و أبي محمد عبد الجبار بن موسى الجذامي، و أبي عامر محمد بن أحمد

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤١٦

السّليبي، و أبي العباس أحمد و أخيه أبي الحسن، ابني زيادة الله. هذه جملة من لقي من الشيوخ و شافهه و سمع منه، و أجاز له من غير لقاء، و بعضهم باللقاء من غير قراءة؛ ابن ورد، و ابن بقي، و أبو عبد الله بن سليمان التونسي، و أبو جعفر بن قبلال، و أبو الحسن بن الباذش، و يونس بن مغيث، و ابن معمر، و شريح، و ابن الوحيد، و أبو عبد الله بن صاف، و الرّشاطي، و الحميري، و ابن وضّاح، و ابن موهب، و أبو مروان الباجي، و أبو العباس بن خلف بن عيشون، و أبو بكر بن طاهر، و جعفر بن مكّي، و ابن العربي، و مساعد بن أحمد بن مساعد، و عبد الحق بن عطية، و أبو مروان بن قرمان، و ابن أبي الخصال، و عياض بن موسى، و المازري، و غيرهم.

توآلفه: ألف عدة توآليف، منها «كتاب الأحكام»، ألفه و هو ابن خمسة و عشرين عاما، فاستوفى و وقى، و اختصر الأحكام السلطانية، و كتاب النسب لأبي عبيد بن سلام، و ناسخ القرآن و منسوخه لابن شاهين، و كتاب المحتسب لابن جني.

و ألف كتابا في المسائل التي اختلف فيها النحويون من أهل البصرة و الكوفة، و كتابا في صناعة الجدل، و ردّ على ابن غرسية في رسالته في تفضيل العجم على العرب.

و كتب بخطه من كتب العربية و اللغة و الأدب و الطب و غير ذلك.

من روى عنه: حدّث عنه الحافظ أبو محمد القرطبي، و أبو علي الرّندي، و ابنا حوط الله، و أبو الربيع بن سالم، و الجمّ الغفير.

شعره: [الطويل]

أبي ما بقلبي اليوم أن يتكّتماو حسبك بالدمع السّفوح مترجما

و أعجب به من أخرس بات مفصحايبين للواشين ما كان مبهما
فكم عبرة في نهر شقر بعثتها سباقا فأمسى النهر مختضبا دما
يرجع ترجيع الأئين اضطراره كشكوى الجريح للجريح تألما
كملن بصحبي فوقه الدمع ناثر شقائق نعمان على متن أرقما
ولله ليل قد لبست ظلامه رداء بأنوار النجوم منمنما
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤١٧ أناوح فيه الورق فوق غصونها فكم أورك منهن قد باب معجما
وما لى إلّا الفرقدين مصاحبو يا بعد حالى فى الصباة منهما
أبيت شتيت الشمل و الشمل فيهما جميع كما أبصرت عقدا منظما
فيا قاصدا تدمير، عرج مصافحنا سائلك رسما بالعقيق و معلما
و أعلم بأبواب السلام صبايتى كما كان عرف المسك بالمسك علما
و إن طفت فى تلك الأجارع لا تضع بحق هواها إن تلم مسلما
و ما ضرها لو جاذبت ظبية التفافصول رداء قد تغشته معلما
فيشى قضيبا أثمر البدر مائسا بحقف مسيل لفة السيل مظلما
و ما كنت إلّا البدر وافى غمامة فما لاح حتى غاب فيها مغيما
و ما ذاك من هجر و لكن لشقوة أبت أن يكون الوصل منها متمما
فيا ليتنى أصبحت فى الشعر لفظة ترددى مهما أردت تفهما
ولله ما أذكى نسيماك نفحة أنت أعرت الروض طيبا تنسما؟
ولله ما أشفى لقاءك للجوى كأنك قد أصبحت عيسى ابن مريما
و ما الزاح بالماء القراح مشوبة بأطيب من ذكراك إن خامرت فما
فما لى و للأيام قد كان شملنا جميعا فأضحى فى يديها مقسما
ولما جنيت الطيب من شهد وصلها جنيت من التبديد للوصل علقما
و قد ذقت طعم البين حتى كأننى لألفه من أهواه ما ذقت مطعما
فمن لفؤاد شطره حازه الهوى و شطر لإحراز الثواب مسلما
و يا ليت أن الدار حان مزارها فلو صح قرب الدار أدركت مغنما
و لو صح قرب الدار لى لجعلته إلى مرتقى السلوان و الصبر سلما
فقد طال ما ناديت سراً و جهرة عسى وطن يدنو بهم و لعلما؟
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤١٨

و من شعره: [الطويل]

سلام على من شفى بعد داره و أصبحت مشغوفاً بقرب مزاره
و من هو فى عينى ألد من الكرى و فى النفس أشهى من أمان المكاره
سلام عليه كلما ذر شارق ينم كعرف الزهر غب فطاره
لعمر ك ما أخشى غداة و داعناو قد سعرت فى القلب شعله ناره
و سال على الخدين دمع كأنه بقيه ظل الروض فى جلناره

و عانقت منه غصن بان منعموا لا حظت منه الصبح عند اشتهاه
و أصبحت في أرض و قلبى بغيرهاو ما حال مسلوب الفؤاد مكاره
نأى وجه من أهوى فأظلم أفاقه و قد غاب عن عينيه شمس نهاره
سل البرق عن شوقى يخبرك بالذى ألاقه من برح الهوى و أواره
و هل هو إلّا نار و جدى و كلما تنفست عمّ الجوّ ضوء شراره
و من شعره أيضا رحمة الله عليه: [مخلع البسيط]
اقرأ على شنجل سلاما طيب من عرفه نسима
من مغرم القلب ليس ينسى منظره الراق الوسيما
إذا رأى منظرا سواه عاف الجنى منه و الشّميما
و إن أتى مشربا حميدا كان و إن راقه ذميما
وقف بنجد و قوف صبّ يستذكر الخدن و الحميما
و اندب أراكا بشعب رضوى قد رجعت بعدنا مشيما
و اذكر شبا با مضى سريعا أصبحت من بعده سقيما
هيها تولى و جاء شيب و كيف للقلب أن يهيما؟
ما يصلح الشّيب غير تقوى تحجب عن وجهه الجحيما
فى كل يوم له ارتحال أعجب به ظاعنا مقيما
ما العمر إلّا لديه دين قد آن أن يقضى الغريما
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤١٩ فعد إلى توبه نصح و ارج إليها بنا رحيمًا
قد سبق الوعد منه حتى أطمع ذا الشّقوة النّعيما
مولده: فى سنه أربع و عشرين و خمسمائة.

وفاته: عصر يوم الأحد الرابع من جمادى الآخرة سنة سبع و تسعين و خمسمائة . و شهد دفنه بباب إلبيرة الجّم الغفير، و ازدحم الناس
على نعشه حتى حملوه على أكفهم و مزّقوه. و أمر أن يكتب على قبره: [الطويل]
عليك سلام الله يا من يسلم و رحمته ما زرتنى تترحم
أ تحسبنى وحدى نقلت إلى هنا؟ ستلحق بى عمّا قريب فتعلم
الأقل لمن يمسى لدنياه مؤثرا و يهمل أخراه ستشقى و تندم
فلا تفرحن إلّا بتقديم طاعة فذاك الذى ينجى غدا و يسلم

و من غير الأصليين

عبد الحكيم بن الحسين بن عبد الملك بن يحيى ابن باسيو بن نادررت التّنمالي البدرازينى ثم الواغدينى

أصله من تينمائل ، من نظر مراكش، و انتقل جدّه عبد الملك مع الخليفة عبد المؤمن بن على إلى إقليم بجاية. و نشأ عبد الملك
بجاية، و انتقل إلى تونس فى حدود خمسة و ثمانين. و ورد أبو محمد الأندلس فى حدود سبعمائة.
حاله: من تعريف شيخنا أبى البركات: كان من أهل المعرفة بالفقه و أصوله على طريقة المتأخرين. و كان مع ذلك، رجلا كريم

النفس، صادق اللّهجة، سليم الصدر، منصفا في المذاكرة. قلت: يجمع هذا الرجل إلى ما وصفه به، الأصاله ببلده إفريقية. وثبت اسمه في «عائد الصلة» بما نصّه: الشيخ الأستاذ القاضي، يكنى أبا محمد. كان، رحمه الله، من أهل العلم بالفقه، والقيام على الأصلين، صحيح

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٢٠

الباطن، سليم الصدر، من أهل الدين والعدالة والأصاله. بث في الأندلس علم أصول الفقه، وانتفع به. و تصرّف في القضاء في جهات.

مشيخته: منقولاً من خطّ ولده الفقيه أبي عبد الله صاحبنا، الكاتب بالدار السلطانية: قرأ ببلده على الفقيه الصدر أبي علي بن عنوان، و الشيخ أبي الطاهر بن سرور، و الإمام أبي علي ناصر الدين المشدالي، و الشيخ أبي الشّمل جماعة الحلبي، و الشيخ أبي الحجاج بن قسوم وغيرهم. و من خط المحدث أبي بكر بن الزيات:

يحمل عن أبي الطاهر بن سرور، و عن أبي إسحاق بن عبد الرّبيع.

توالياه: من توالياه: «المعاني المبتكرة الفكرية، في ترتيب المعالم الفقهية»، «الإيجاز، في دلالة المجاز»، و نصره الحق، و ردّ الباغي في مسألة الصدقة ببعض الأضحى، و الكرّاس الموسوم ب «المباحث البديعة، في مقتضى الأمر من الشريعة».

مولده: ببجاية في أحد لجمادى الأولى من عام ثلاثة و ستين و ستمائة.

وفاته: و توفي قاضيا بشالاش يوم الجمعة، و هو الرابع عشر لجمادى الأولى من عام ثلاثة و عشرين و سبعمائة. و دفن بجبانة باب إلبيرة بمقربة من قبر ولي الله أبي عبد الله التونسي. و كانت جنازته مشهورة.

و من المقرّين و العلماء

عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جلهمة ابن العباس بن مرداس السلمى

أصله من قرية قورت، و قيل: حصن واط من خارج غرناطة، و بها نشأ و قرأ.

حاله: قال ابن عبد البر: كان جماعاً للعلم، كثير الكتب، طويل اللسان، فقيها، نحوياً، عروضياً، شاعراً، نساباً، أخبارياً. و كان أكثر من يختلف إليه الملوک

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٢١

و أبناؤهم. قال ابن مخلوف: كان يأتي إلى معالى الأمور. و قال غيره: رأيت يخرج من الجامع، و خلفه نحو من ثلاثمائة، بين طالب حديث، و فرائض، و فقه، و إعراب. و قد رتب الدول عليه، كل يوم ثلاثين دولة، لا يقرأ عليه فيها شيء إلّا توالياه و موطاً مالک. و كان يلبس الخزّ و السّعيد. قال ابن نمير: و إنما كان يفعله إجلالاً للعلم، و توقيراً له. و كان يلبس إلى جسمه ثوب شعر، و كان صواماً قواماً. و قال المغامى: لو رأيت ما كان على باب ابن حبيب، لآذريت غيره. و زعم الزّبيدي أنه نعى إلى سحنون فاسترجع، و قال: مات عالم الأندلس. قال ابن الفرضى:

جمع إلى إمامته في الفقه التبحيح في الأدب، و التفنن في ضروب العلوم، و كان فقيها مفتياً. قال ابن خلف أبو القاسم الغافقى: كان له أرض و زيتون بقرية بيرة من طوق غرناطة، حبس جميع ذلك على مسجد قرطبة. و له بيرة مسجد ينسب إليه.

و كان يهبط من قرية قورت يوم الاثنين و الخميس إلى مسجده بيرة، فيقرأ عليه، و ينصرف إلى قريته.

مشيخته: روى عن صعصعة بن سلّام، و الغازى بن قيس، و زياد بن عبد الرحمن. و رحل إلى المشرق سنة ثمان و مائتين، و هو ابن ثلاث و ثلاثين سنة، و كانت رحلته من قريته بفحص غرناطة، و سمع فيها من عبد الملك بن الماجشون، و مطرف بن عبد الله، و

أصبح بن الفرّج، و ابنه موسى، و جماعة سواهم. و أقام في رحلته ثلاثة أعوام و شهورا. و عاد إلى البيرة، إلى أن رحله عبد الرحمن بن الحكم إلى قرطبة، في رمضان سنة ثمانى عشرة و مائتين.

من روى عنه: سمع منه ابنه محمد و عبد الله، و سعيد بن نمر، و أحمد بن راشد، و إبراهيم بن خالد، و إبراهيم بن شعيب، و محمد بن فطيس. و روى عنه من

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٢٢

عظماء القرطبيين، مطرف بن عيسى، و بقى بن مخلد، و محمد بن وضاح، و المقامى في جماعة.

توآلفه: قال أبو الفضل عياض بن موسى، في كتابه في أصحاب مالك :

قال بعضهم: قلت لعبد الملك بن حبيب: كم كتبك التى ألفت؟ قال: ألف كتاب و خمسون كتابا. قال عبد الأعلى: منها كتب المواعظ سبعة، و كتب الفضائل سبعة، و كتب أجواد قريش و أخبارها و أنسابها خمسة عشر كتابا، و كتب السلطان و سيره الإمام ثمانية كتب، و كتب الباه و النساء ثمانية، و غير ذلك. و من كتب سماعته في الحديث و الفقه، و توآلفه في الطب، و تفسير القرآن، سنون كتابا. و كتاب المغازى، و التأسخ و المنسوخ، و رغائب القرآن، و كتاب الزهون و الحدان، خمسة و تسعون كتابا. و كتاب مقام رسول الله صلى الله عليه و سلم، اثنان و عشرون كتابا، و كتاب في النسب، و فى النجوم، و كتاب الجامع، و هى كتب فيها مناسك النبى، و كتاب الرغائب، و كتاب الورع فى المال، و كتاب الرّبا، و كتاب الحكم و العدل بالجوارح. و من المشهورات الكتاب المسمى بالواضح. و من توآلفه كتاب إعراب القرآن، و كتاب الحسبة فى الأمراض، و كتاب الفرائض، و كتاب السّخاء و اصطناع المعروف، و كتاب كراهية الغناء.

شعره: أنشد ابن الفرضى ممّا كتب بها إلى أهله من المشرق سنة عشر و مائتين: [الطويل]

أحبّ بلاد الغرب و الغرب موطنى ألا كلّ غربىّ إلىّ حبيب

فيا جسدا أضناه شوق كأنه إذا انتضيت عنه الثياب قضيب

و يا كبدا عادت زمانا كأنما يلدغها بالكاويات طيب

بليت و أبلانى اغترابى و نأيه و طول مقامى بالحجاز أجوب

و أهلى بأقصى مغرب الشمس دارهم و من دونهم بحر أجشّ مهيب

و هول كرية ليله كنهاره و سير حثيث للركاب دؤوب

فما الداء إلّا أن تكون بغربه و حسبك داء أن يقال غريب

فيا ليت شعرى هل أبيتّ ليلة بأكناف نهر الثلج حين يصب

و حولى أصحابى و بنتى و أمهاو معشر أهلى و الرؤوف مجيب

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٢٣

و كتب إلى الأمير عبد الرحمن فى ليلة عاشوراء: [البسيط]

لا تنس لا ينسك الرحمن عاشورا و اذكره لا زلت فى الأحياء مذكورا

قال الرسول ، صلاة الله تشمله، قولاً وجدنا عليه الحقّ و التورا

من بات فى ليل عاشوراء ذا سعة يكن بعيشه فى الحول محبورا

فارغب، فديتك، فيما فيه رغبتنا خير الورى كلّهم حيا و مقبورا

وفاته: توفى فى ذى الحجة سنة ثمان و ثلاثين، و قيل: تسع و ثلاثين و مائتين. قال ابن خلف: كان يقول فى دعائه: إن كنت يا ربّ

راضيا عنى، فاقبضنى إليك قبل انقضاء سنة ثمان و ثلاثين، فقبضه الله فى أحبّ الشهور إليه، رمضان من عام ثمانية و ثلاثين، و هو

ابن أربع و ستين سنة، و صَلَّى عليه ولده محمد، و دفن بمقبرة أم سلمة بقبلى محراب مسجد الضيافة من قرطبة. قالوا: و الخبر متصل، إنه وجد جسده و كفنه وافرین لم يتغيرا بعد وفاته، بتسع و أربعين سنة، و قطعت من كفنه قطعة رفعت إلى الأمير عبد الله، و ذلك عندما دفن محمد بن وضح إلى جنبه، رحمهم الله. و رثاه أبو عبد الله الرشاش و غيره، فقال: [الطويل]

لئن أخذت من المنايا مهذباً و قد قلّ فيها من يقال المهذب
لقد طاب فيه الموت و الموت غبطة لمن هو مغموم الفؤاد معذب
و لأحمد بن ساهى فيه: [البسيط]

ما ذا تضمّن قبر أنت ساكنه من التقى و الندى يا خير مفقود
عجبت للأرض في أن غيبتك و قد ملأتها حكماً في البيض و السود
قلت: فلو لم يكن من المفخر الغرناطية إلا هذا الحبر لكفى.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٢٤

و من الطارئين عليها

عبد الواحد بن محمد بن علي بن أبي السداد الأموي المالقي، الشهير بالباهلي

حاله: كان، رحمه الله، بعيد المدى، منقطع القرين في الدين المتين و الصلاح، و سكون النفس، و لين الجانب، و التواضع، و حسن الخلق، إلى وسامة الصورة، و ملاحه الشيبية، و طيب القراءة، مولى النعمة على الطلبة من أهل بلده، أستاذاً حافلاً، متفنناً، مضطلعاً، إماماً في القراءات، حائزاً خصل السباق إتقاناً، و أداء، و معرفة، و رواية، و تحقيقاً، ماهراً في صناعة النحو، فقيهاً، أصولياً، حسن التعليم، مستمرّ القراءة، فسيح التخليق، نافعاً، متحّباً، مقسوم الأزمنة على العلم و أهله، كثير الخضوع و الخشوع، قريب الدمعة. أقرأ عمره، و خطب بالمسجد الأعظم من مالقة، و أخذ عنه الكثير من أهل الأندلس.

مشيخته: قرأ على الأستاذ الإمام أبي جعفر بن الزبير، و كان من مفاخره، و على القاضي أبي علي بن أبي الأحوص، و على المقرئ الضرير أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن سالم بن خلف السهيلي، و الراوية أبي الحجاج ابن أبي ريحانة المربلي. و كتب له بالإجازة العامة الراوية أبو الوليد العطار، و الإمام أبو عبد الله بن سمعون الطائي. و سمع على الراوية أبي عمر عبد الرحمن بن حوط الله الأنصاري. و قرأ على القاضي أبي القاسم، قاسم بن أحمد بن حسن الحجري، الشهير بالسكوت المالقي، و أخذ عن الشيخ الصالح أبي جعفر أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي، و غيرهم ممن يطول ذكرهم. و يحمل عن خاله ولي الله أبي محمد عبد العظيم ابن ولي الله محمد بن أبي الحجاج ابن الشيخ، رحمه الله.

توابعه: شرح التيسير في القراءات. و له توابع غيره في القرآن و الفقه.

شعره: حدّث الشيخ الفقيه القاضي أبو الحجاج المنتشافي، قال: رأيت في النوم أبا محمد الباهلي أيام قراءته عليه بمالقة في المسجد الجامع بها، و هو قائم يذكر الناس و يعظهم، فعقلت من قوله: أ تحسبونني غنياً فقيراً، أنا فقير، أنا.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٢٥

فاستيقظت و قصصتها عليه، فاستغفر الله، و قال: يا بنّي، حقاً ما رأيت. ثم رفع إلى ثاني يوم تعريفه رقعة فيها مكتوب: [المتقارب]

لئن ظنّ قوم من أهل الدنيا بأنّ لهم قوّة أو غنا
لقد غلطوا جمع مالهم فتأهوا عقولاً، عموا أعينا
فلا تحسبونني أرى رأيهم فإنّي ضعيف فقير أنا

و ليس افتقارى و فقري معالى الخلق ما عند خلق غنى

و لكن إلى خالقي وحده و فى ذاك عزّ و نيل المنى

فمن ذلّ للحقّ يرقى العلاو من ذلّ للخلق يلقى العنا

وفاته: ببلده مالقة، رضى الله عنه، و نفع به، فى خامس ذى القعدة من عام خمسة و سبعمائة. و كان الحفل فى جنازته عظيما، و حفّ الناس بنعشه، و حملة الطلبة و أهل العلم على رؤوسهم. سكن غرناطة و أقرأ بها.

و من الكتاب و الشعراء فى هذا الحرف

عبد الحق بن محمد بن عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة ابن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربى

صاحبنا الكاتب للدولة الغادرة.

حاله: كان هذا الرجل فى حال الدعة التى استصحبها، و قبل أن تبعته أيدي الفضول، بعفاف و طهارة، إلى خصل خطّ، نشط البنان، جلد على العمل. و نظمه وسط، و نثره جمهورى عامى، مبين عن الأغراض. و ولى ببلده الخطابة و القضاء ... فى الحداثة. ثم انتقل إلى غرناطة، فجاأت به الكتابة السلطانية

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٢٦

باختيارى، مستظهرة منه ببطل كفاية، و باذل حمل كلفه، فانتقل رئيسا فى غرض إعانتى و انتشالى من الكلفة، على الضعف و إمام المرض، و الترفع عن الابتدال، و الأنفة من الاستخدام، فرفع الكلّ، و لطف من الدولة محلّه. ثم لثيا حال الأمر، و حتم التّمحيص، و تسوّرت القلعة، و انتثر النّظم، و استأثر به الاصطناع، كشفت الخبرة منه عن سوءة لا توارى، و عورة لا يرتاب فى أشنوعتها و لا يتمارى، فسبحان من علم النفس فجورها و تقواها، إذ لصق بالدائل الفاسق، فكان آله انتقامه، و جارحة صيده، و أحبولة كيده، فسفك الدماء، و هتك الأستار، و مزق الأسباب، و بدّل الأرض غير الأرض، و هو يزقه فى أذنه، فيؤمّ النصيحة، و ينحله لقب الهداية، و يبلغ فى شدّ أزره إلى الغاية: «عنوان عقل الفتى اختياره، يجرى فى جميل دعوته»، طوالا، أخرج، يسىء السمع، و ينسى الإجابة، بدوينا، قحيا، جهوريا، ذاهلا عن عواقب الدنيا و الآخرة، طرفا فى سوء العهد، و قلّة الوفاء، مردودا فى الحافزة، منسلخا من آية السّعادة، تشهد عليه بالجهل يده، و يقيم عليه الحجج شرهه، و تبوّئه هفوات الندم جهالته. ثم أسلم المحروم مصطنعه، أحوج ما كان إليه، و تبرأ منه، و لحقته بعده مطالبة مائية، لقى لأجلها ضغطا. و هو الآن بحال خزى، و احتقاب تبعات، خلصنا الله من ورطات الدنيا و الآخرة. أوليته و شيوخه: و بسط كثير من مجمل حاله حسبما نقلت من خطه.

قال يخاطبني بما نصّه: [البسيط]

يا سيّدا، فاق فى مجد و فى شرف وفات سبقا بفضل الذات و السلف

و فاضلا عن سبيل الذّمّ منحرفا و عن سبيل المعالى غير منحرف

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٢٧ و تحفة الزمن الآتى به فلقد أربى بما حازه منها على التحف

و معدنا لنفيس الدرّ فهو لما حواه منه لدى التشبيه كالصّدف

و بحر علم جميع الناس مغترف منه، و نيل المعالى حظّ مغترف

و سابقا بدّ أهل العصر قاطبة فالكلّ فى ذاك منهم غير مختلف

من ذا يخالف فى نار على علم أو يجحد الشمس نورا و هو غير خفى؟

ما أنت إلّا وحيد العصر فى شيم و فى ذكاء و فى علم و فى ظرف

لله من منتم للمجد منتسب بالفضل متّسم، بالعلم متّصف
 لله من حسب عد و من كرم قد شاده السلف الأخيار للخلف
 إيه أيا من به تبأى الوزارة إذ كنت الأحقّ بها فى الذّات و الشرف
 يا صاحب القلم الأعلى الذى جمعت فيه المعالى ببعض البعض لم أصف
 يا من يقصّر وصفى فى علاه و لو أنسى مديح حبيب فى أبى دلف
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٢٨ شرفتنى عندما استدعيت من قبلى نظما تدوّنه فى أبدع الصّحف
 وربما راق ثغر فى مباسمه حتى إذا ناله إمام مرشف
 أجلّ قدرك أن ترضى لمنتجع بسوء كيلته حظّا مع الحشف
 هذا، و لو أننى فيما أتيت به نافحت فى الطيب زهر الرّوضة الأنف
 لكنت أفضى إلى التّقصير من خجل أخليت ببعض ممّا تستحقّ أفى
 فحسبى العجز عمّا قد أشرت به و العجز حتما قصارى كلّ معترف
 لكن أجبت إلى المطلوب ممثلاو إن غدوت بمرمى القوم كالهدف
 فانظر إليها بعين الصّفح عن زلل و اجعل تصفّحها من جملة الكلف
 بقيت للدهر تطويه و تنشره تسمو من العزّ باسم غير منصرف

جنتك ، أعزّك الله، ببضاعه مزجاء، و أعلقت رجائى من قبولك بأمنيه مرتجاء، و ما مثلك يعامل بسقط المتاع، و لا يرضى له
 بالحشف مع بخس المدّ و الصّاع. لكن فضلك يغضى عن التّقصير و يسمح، و يتجاوز عن الخطأ و يصفح، و أنت فى كل حال إلى
 الأدنى من الله أجنح. و لو لا- أن إشارتك واجبه الامثال، و المسارعة إليها مقدّمه على سائر الأعمال، لما أتيت بها تمشى على
 استحياء، و لا عزّزت نفسى أن أقف

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٢٩

موقف حشمة و حياء، فما مثلى فيما أعرضه عليك، أو أقدمه من هذا الهذر بين يديك، إلّا مثل من أهدى الخرز لجالب الدرّ، أو
 عارض للوشل موج البحر، أو كاثر بالحصى عدد الأنجم الزّهر، على أنى لو نظمت الشّعرى شعرا، و جنتك بالسّحر الحلال نظما و نثرا،
 و نافحتك بمثل تلك الرّوضة الأدبية التى تعبق أزهارها نثرا، لما وصفتك ببعض البعض من نفائس حلاك، و لا وقّيت ما يجب من
 نشر ما أثر علاك.

فما عسى أن أقول فى تلك المآثر العلمية، و الذّات الموسومة باسم التعريف و العلميّة، أو أعبّر عنه فى وصف تلك المحاسن الأدبية،
 و المفاخر الحسيّة. إن وصفت ما لك من شرف الذات، ملت إلى الاختصار و قلت: آية من الآيات، و إن ذهبت إلى ذكر مفاخر ك
 الباهرة الآيات، بلغت فى مدى الفخر و الحسب إلى أبعد الغايات، و إن حلّيتك ببعض الحلى و الصّيفات، سلبت محاسن الرّوض
 الأريج التّفحات. فكم لك من التّصانيف الرائقة، و البدائع الفائقة، و الآداب البارعة، و المحاسن الجامعة. فما شئت من حدائق ذات
 بهجة كأنما جادتها سحب نيسان، و جنّات ثمراتها صنوان و غير صنوان، تترى ببدائع بديع الزّمان، و تخجل الرّوض كما يخجل الورد
 ابتسام الأفحوان. نظم كما انثر الدرّ، و نثر تتمنى الجوزاء أن تتقلّده و الأنجم الزّهر، و معان أرقّ من نسيم الأسحار، تهبّ على صفحات
 الأزهار. فأهلا بك يا روضة الآداب، و ربّ البلاغة التى شمس آياتها لا تتوارى بالحجاب، فما أنت إلّا حسنة الزّمان، و مالك أزمنة
 البيان، و سباق غايات الحسن و الإحسان. و قد وجدت مكان القول ذا سعة فى أوصافك، و ما فى تحليّك بالفضائل و اتّصافك.
 لكنى رأيت أنى لو مددت فى ذلك باع الإطناب، و أتيت فيه بالعجب العجاب، فليس لى إلّا تقصير عن المطاولة و إمساك، و العجز
 عن درك الإدراك إدراك. إيه أيها السيّد الأعلى، و الفاضل الذى له فى قدام الفخر القدح المعلى، فإنك أمرت أن أعرض عليك

لتعريف بنفسى و مولدى، و ذكر أشياخى الذين بأنوارهم أقتدى، فعلمت أن هذا إنما هو تهتم منك بشانى، و جرى على معتاد الفضل الذى يقصر عنه لسانى، و فضل جميل لا- أزال أجرى فى الثناء عليه ملء عنانى. و إلا فمن أنا فى الناس حتى أنسب، أو من يذهب إلا أنت هذا المذهب؟

أما التعريف بنفسى، فأبدأ فيه باسم أبى: هو أبو القاسم محمد بن عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربى. و جدى عطية هو الداخلى إلى الأندلس عام الفتح، نزل بإلبيرة، و بها تفرع من تفرع من عقبه، إلى أن انتقلوا إلى غرناطة، فتأثرت بها حالهم، و استمر بها الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٣٠

استيطانهم، إلى حدود المائة السابعة، فتسبب فى الانتقال من بقى منهم، و هو جدى الأقرب الأنساب، و قضى ارتحاله إلى مدينة وادى آش، و لكل أجل كتاب، و ذلك أنه استقضى بنظر ما فى دولة أمير المسلمين الغالب بالله، أول ملوك هذه الدولة النصرىة، نصر الله خلفها، و رحم سلفها، فاتخذ فيها صهرا و نسبا، و كان ذلك لاستيطانه بها سببا، و استمر مقامه بها إلى أن ارتحل إلى المشرق لأداء الفريضة فكان إلى أشرف الحالات مرتحله، و قضى فى إيباه من الحج أمه. و استمرت به الاستيطان، و تعذرت بعوده إلى غرناطة بعدما نبت فيها الأوطان. على أنه لم يعدم من الله الستر الجميل، و لا حظ من عنايته بإيصال النعمة كليل، فإنه سبحانه حفظ من سلف فيمن خلف، و جعلهم فى حال الاغتراب فيمن اشتهر بنباهة الحال و اتصف، و قيص لمصاهرتهم من خيار المجد و الشرف، و بذلك حفظ الله بيتهم، و شمل باتصال النعمة حيتهم و ميتهم. فالحمد لله، بجميع محامده، على جميل عوائده. و تخلف بوادى آش أبى و أعمامى، تغمدهم الله و إياى برحمته، و جمع شملنا فى جنته.

و أما التعريف بهم، فأنت أبقاك الله، بمن سلف قديما منهم أعلم، و سبيلك فى معرفتهم أجدى و أقوم، بما وهبكم الله من عوارف المعارف، و جعل لكم من الإحاطة بالتالد منها و الطارف. و أما من لم يقع به تعريف، ممن بعدهم، فمن اقتفى رسمهم فى الطريقة العلمىة، و لم يتجاوز جدّهم، و هو جدى أبو بكر عبد الله بن طلحة و رابع أجدادى. كان، رحمه الله، ممن جرى على سنن آباءه، و قام بالعلم أحسن قيام و نهض بأعبائه. ألف كتابا فى «الرقائق»، ففات فى شأوه سبق السابق، و تصدّر ببلده للفتيا، و انتفع به الناس، و كان شيخهم المقدم. و لم أقف على تاريخ مولده و لا وفاته، غير أنه توفى فى حدود المائة الخامسة، رحمه الله. و أما من بينى و بينه من الآباء، كجدى الأقرب و أبىه و من خلفه من بنيه، فما منهم من بلغ رتبة السابق، و لا قصر أيضا عن درجة اللّاحق، و إنما أخذ فى الطلب بنصيب، و رمى فيه بسهم مصيب.

و أما مولدى، فبوادى آش، فى أواخر عام تسعة و سبعمائة. و فى عام ثلاثة و عشرين، ابتدأت القراءة على الأستاذ أبى عبد الله الطرسونى و غيره ممن يأتى ذكره.

ثم كتبت بعد ستة أعوام على من وليها من القضاء، أولى العدالة و السير المرتضاء،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٣١

و لم يطل العهد حتى تقدّمت فى جامعها الأعظم خطيبا و إماما، و ارتسمت فى هذه الخطّة التى ما زالت على من أحسن تماما، و ذلك فى أواخر عام ثمانية و ثلاثين. ثم وليت القضاء بها، و بما يرجع إليها من النظر، فى شهر ربيع الأول من عام ثلاثة و أربعين، و استمرت الولاية إلى حين انتقالى للحضرة، آخر رجب من عام ستة و خمسين، أسأل الله الإقالة و الصّفح عما اقترفت من خطأ أو زلل، أو ارتكبت من عمد و سهو، فى قول أو عمل، بمنّه.

و أما أشياخى، فإنى قرأت بالحضرة على الأستاذ الخطيب أبى الحسن القيجاطى، و الأستاذ الخطيب أبى القاسم بن جزى. و بمالقة على الأستاذ القاضى أبى عمرو بن منظور. و بالمريّة على الأستاذ القاضى أبى الحسن بن أبى العيش، و سيدي القاضى أبى البركات ابن الحاج، و الأستاذ أبى عثمان بن ليون، و بوادى آش على الأستاذ القاضى أبى عبد الله بن غالب، و الأستاذ أبى عامر بن عبد العظيم.

على كل هؤلاء قرأت قراءة تفقه، و عرضت على أكثرهم جملة كتب في النحو و الفقه و الأدب، أكبرها كتاب المقامات للحري، و أما من لقيته من المشايخ و استفدت، منهم أبو الحسن بن الجيّاب بالحضرة، و بمالقة القاضي أبو عبد الله بن بكر، و القاضي أبو عبد الله بن عياش، و الأستاذ أبو عبد الله بن حفيد الأمين. و من لقيته لقاء بترك، سيدى أبو جعفر بن الزيات ببلس. و بمالقة الخطيب أبو عبد الله الشياحلى، و الصيوفي أبو الطاهر بن صفوان، و المقرئ أبو القاسم بن درهم. و بالمريّة الخطيب أبو القاسم بن شعيب، و الخطيب ابن فرحون. و لقيت أيضا القاضي أبا جعفر بن فركون القرشى، و القاضي الخطيب أبا محمد بن الصايغ. و ممن رأيت بوادى آس، و أنا إذ ذاك فى المكتب، و أخذت بحظّ من التبرّك به، سيدى أبو عبد الله الطنجالى نفع الله به. و الحمد لله ربّ العالمين.

شعره: من مطولاته قوله: و من خطّه نقلت: [الطويل]

ألا أيها الليل البطيء الكواكب متى ينجلى صبح بنيل المآرب؟

و حتى متى أرعى النجوم مراقبا فمن طالع منها على إثر غارب

أحدت نفسى أن أرى الرّكب سائرا و ذنبي يقصيني بأقصى المغارب

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٣٢ فلا فزت من نيل الأمانى بطائل و لا قمت فى حقّ الحبيب بواجب

و كم حدّثنى النفس أن أبلغ المنى و كم علّنتى بالأمانى الكواذب

و ما قصّرت بى عن زيارة قبره معاهد أنس من وصال الكواعب

و لا حبّ أوطان نبت بى ربوعها و لا ذكر خلّ حلّ فيها و صاحب

و لكن ذنوب أثقلتنى فيها أنا من الوجد قد ضاقت على مذاهبى

إليك، رسول الله، شوقى مجدّدا فى ليتنى يمتّ صدر الركائب

و أعملت فى تلك الأباطح و الرّبى سراى مجدّدا بين تلك السبابس

و قضيت من لثم البقيع لبانتى و جيت الفلا ما بين ماش و راكب

و روّيت من ماء زمزم غلّتى فله ما أشهاه يوما لشارب!

حبيى شفيعى منتهى غايتى التى أرجى و من يرجوه ليس بخائب

محمد المختار و الحاشر الذى بأحمد حاز الحمد من كل جانب

رؤوف رحيم خصّه الله باسمه و أعظم لاج فى الثناء و عاقب

رسول كريم رفعّ الله قدره و أعلى له قدرا رفيع الجوانب

و شرّفه أصلا و فرعا و محتدا يزاحم آفاق السهى بالمناكب

سراج الهدى ذو الجاه و المجد و العلاو خير الورى الهادى الكريم المناسب

هو المصطفى المختار من آل هاشم و ذو الحسب العدل الرفيع المناصب

هو الأمد الأقصى هو الملجأ الذى ينال به مرغوبه كلّ راغب

إمام التّبيين الكرام، و إنه لكالبدر فيهم بين تلك المواكب

بشير نذير مفضل متطوّل سراج منير بدّ نور الكواكب

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٣٣ شريف منيف باهر الفضل كامل نفيس المعالى و الحلى و المناقب

عظيم المزايا ما له من تماثل كريم الشجايا ما له من مناسب

ملاذ منيع ملجأ عاصم لمن يلوذ به من بين آت و ذاهب

حليم جميل الخلق و الخلق ما له نظير، و وصف الله حجّة غالب

و ناهيك من فرع نمته أصوله إلى خير مجد من لؤي بن غالب
أولى الحسب العَدِّ الرفيع جنبابه بدور الدياجي أو بدور الركائب
له معجزات ما لها من معارض و آيات صدق ما لها من مغالب
تحلّى بهنّ الخلق شرقا و مغربا و ما ذاك عمّن حاد عنها بغائب
فدونكها كالأنجم الزهر عدّه و نور سنا لا يختفى للمراقب
فإحصارها مهما تتبعت معوزو هل بعد نور الشمس نور لطالب؟
لقد شرف الله الوجود بمرسل له في مقام الرّسل أعلى المراتب
و شرف شهرا فيه مولده الذي جلا نوره الأسنى دياجي الغياهب
فشهر ربيع في الشهور مقدّم فلا غرو أنّ الفخر ضربه لازب
فلله منه ليلة قد تلالأت بنور شهاب تير الأفق ثاقب
ليهن أمير المسلمين بها المنى و أن نال من مولاه أسنى الرّغائب
على حين أحيها بذكر حبيبه و ذكر الكرام الطاهرين الأطايب
و ألف شملا للمحبتين فيهم فسار على نهج من الرشد لاحب
فسوف يجازى عن كريم صنيعه بتخليد سلطان و حسن عواقب
و سوف يريه الله في لهم دينه غرائب صنع فوق كلّ الغرائب
فيحمى حمى الإسلام عمّن يرومه بسمر العوالى أو ببيض القواضب
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٣٤ و يعتزّ دين الله شرقا و مغربا بما سوف يبقى ذكره في المعجائب
إلهي، ما لى بعد رحماك مطلب أراه بعين الرّشد أسنى المطالب
سوى زورة القبر الشريف و إنها لموهبة فاتت جميع المواهب
عليه سلام الله ما لاح كوكب و ما فارق الأظعان حادى الرّكائب
و قال في غرض المدح و التهنئة بعرض الجيش، و تضمّن ذلك وصف حاله في انتقاله إلى الحضرة: [البسيط]
يا قاطع البید يطوى السهل و الجبل و منضيا في الفيافي الخيل و الإبل
يبكى بأفاق أرض لا يؤانسه إلّا تذكّر عهد للحبيب خلا
أو ظبيّه أذكرت عهد التواصل تحكى للّحاظ التي عاهدت و المقلا
أستغفر الله في تلك اللّحاظ فقد أربى بها الحسن عن ضرب المها مثلا
أو هادل فوق غصن البان تحسبه صبا لفقد حبيب بان قد ثكلا
أو لامع البرق إذ تحكى إنارته كفا خضيبا مشيرا بالذى عدلا
ما ذا عسى أن تقصّي من زمانك في قطع المهامه ترجو أن تنال علا؟
و كم معالم أرض أو مجاهلها قطعتها لا تملّ الرّيث و العجلا
إن كنت تأمل عزّا لا نظير له و تبتغى السؤل فيما شئت و الأملا
فالعزّ مرسى بعيد لا ينال سوى بعزم من شدّ عزم البين و ارتحلا
و الدّرّ في صدف قلّت نفاسته و لم بين فخره إلّا إذا انتقلا
فأربأ بنفسك عن أهل و عن وطن.....

و انس الديار التي منها نأى وطنى و عهد أنس به قلب المحبّ سلا
و عدّ عن ذكر محبوب شغفت به و لا تلمّ به مدحا و لا غزلا
و اقصد إلى الحضرة العليا و حطّ بهارحلا و لا تبغ عن أرجائها حولا
غرناطة لا عفا رسم بها أبدأو لا سلا قلب من يبغى بها بدلا
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٣٥ فهى التى شرف الله الأنام بمن فى مقعد الملك من حمرائها نزلا
خليفة الله مولانا و موئلناو خير من آمن الأرجاء و السبلا
محمد بن أبى الحجاج أفضل من قد قام فينا بحقّ الله إذ عدلا
من آل نصر أولى الملك الذى بهرت علاه كالشمس لما حلت الحملا
هو الذى شرف الله البلاد و من فيها بدولته إذ فاقت الدولا
أقام عدلا و رفقا فى رعيتته و كان أرحم من آوى و من كفلا
فهو المجار به من لا مجير له لم يخش إحن الليالى فادحا جلا
إنّ المدائح طرا لا تفى أبدا ببعض ما قد تحلّا من نفيس علا
بالحزم و الفهم و الإقدام شيمته و الجود ممّا على أوصافه اشتملا
إن قال أجمل فى قول و أبدعه و الفعل أجمل منه كلّما فعلا
يولى الجميل و يعطى عزّ نائله من قد رجاه و لا استجدى و لا سألا
من سائلى عن بنى نصر فما أحد منهم بأبلغ منهم كلّما سئلا
هم الذين إذا ما استمنحوا منحوا أسنى العطاء و أبدوا بعده الخجلا
هم الألى مهّدوا أرجاء أندلس إذ حكّموا فى الأعادى البيض و الأملا
فإن تسل عنهم يوم الزّهان فلم يعدل بأحدتهم فى سنّه بطلا
من ذا يجاريهم فى كل مكرمة أ يشبه البحر فى تمثيله الوشلا؟
مولاي، يا خير من للنصر قد رفعت راياته و لواء الفخر قد حملا
لله عيني لّمّا أبصرتك و قد أعددت بين يديك الخيل و الخولا
و أنت فى قبّه يسمو بها عمد أقام منّا لأمر الدّين فاعتدلا
و الجيش يعشى عيون الخلق منظره لما اكتسى منك نور الحقّ مكتملا
لا غرو أنّ شعاع الشمس يشمل ما أضحى عليه إذا ما لاح منسدلا
و راية النصر و التأييد خافقه قد أسبل الله منها النصر فانسدلا
و الخيل قد كسيت أثواب زينتها فمن براقها قد ألبست حللا
ترى الحماة عليها يوم عرضهم يمشون من فرط زهو مشية الخيلا
فمن رماة قسى العرب عدّتها تحكى الأهلّة مهما نورها اكتملا
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٣٦ و من كماء شداد البأس شأنهم أن يعملوا البيض و الخطيّة الذّبلا
بسعدك انتظمت تلك الجيوش لأن أسهمت فى نظمها أسلافك الأولا
و خلّد الله ملكا أنت ناصرهما عاقبت بكر من دهرنا الأصلا
لا زلت تزداد بى نعمى مضاعفة لتملأ الأرض منها السهل و الجبلا

و من ذلك قوله: [البيسط]

يا عاذلى فى الهوى، أقصر عن العذل و عن حديثى مع المحبوب لا تسل
فكيف أصغى إلى عدل العذول و قد تقلص القلب منى صائد المقل؟
تملكته كما شاءت بنظرتها فتأنة الطرف و الألاحظ تنهدل
معبرة عن نفيس الدر فاضحة بقدها الغص الميأس فى الميل
من نور غزتها شمس تروق سنى تحتل منها محلّ الشمس فى الحمل
يا حبذا عهدنا و الشمّل منتظم بجانب الغور فى أيامنا الأول
أيام أعين هذا الدهر نائمة عنا و أحداثه منا على و جل
و حبذا أربع قد طال ما نظمت عقد التوصل فى عيش بها خضل
قضيت منها أمانى النفس فى دعه من الزمان موفى الأنس و الجذل
سطا الغمام رباها كل منهمرو كم سبطها دموى كل منهمل
و جادها من سماء الجود صوب حيا بالعارض الهطل ابن العارض الهطل
خليفة الله و الماحى بسيرته رسم الضلال و محبى واضح السبل
محمد بن أبى الحجاج أفضل من سارت أحاديث عليه سرى المثل
و الباعث الجيش فى سهل و فى جبل حتى تغص نواحي الشهل و الجبل
من آل نصر أولى الفخر الذين لهم مزية أورثت من خاتم الرسل
مهما أردت غناء فى الأمور به شاهدت منه جميع الخلق فى رجل
لن يستظل بعلياه أخو أمل إلا غدا تحت ظلّ منه منسدل
و لا استجار به من لا مجير له إلا كفاه انتياب الحادث الجلل
ينمى إلى معشر شاد الإله لهم ملكا على سالف الأعصار لم يزل
بملكهم قد تحلى الدهر فهو به و الله واليه لا يخشى من العطل
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٣٧ هم الألى نصرُوا أرجاء أندلس بالمشرفيات و الخطيئة الذّبل
هم الألى مهّدوا دين الهدى فسمت فى الخلق ملته العليا على الملل
من أمّهم صادى الآمال نال بهم جودا كفيلا له بالمعل و التهل
أو أمّهم ضاحيا أضحى يجزّر من فضل النّوال ذبول الوشى و الحلل
إنّ الفضائل أضحى لاسمه تبعاً كالتعت و العطف و التأكيد و البدل
مولاي، خذها تروق السامعين لها بما أجادته من مدح و من غزل
لكننى باعتبار عظم ملكك لم أجد لعمرى فى مدحى و لم أطل
فإن خبرت كذاك الخلق أجمعهم سيان محتفل أو غير محتفل
لا زلت فخر ملوك الأرض كلهم تسمو بك الدولة العليا على الدول
و دمت للدهر تطويه و تنشره مبلّغا كلما تبغى من الأمل
و من ذلك ما نظمه لينقش فى بعض المباني التى أنشأتها: [الطويل]
أنا مصنع قد فاق كل المصانع فما منزل يزهى بمثل بدائعى

فرسمى، إذا حَقَّقته و اعتبرته لكل المعاني، جامع أى جامع
فقد جمع الله المحاسن كلها لدى، فيا لله إبداع صانع !
كما جمعت كل الفضائل فى الذى بسكنائى قد وافاه أيمن طالع
وزير أمير المسلمين و حسبته مزية فخر ما لها من مدافع
و ذو القلم الأعلى الذى فعله لمن يؤمله مثل السيوف القواطع
و مطلع آيات البيان لمبصر كشمس الضحى حلت بأسنى المطالع
و إنسان عين الدهر قرّت لنا به عيون و طابت منه ذكرى المسامع
هو ابن الخطيب السيد المنتمى إلى كرام سموا ما بين كهل و يافع
لقد كنت لو لا عطفه من حنانه أعدّ زمانا فى الرسوم البلاقع
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٣٨ فصيرنى مغنى كريما و مربعا لشمل بآنس من حبيبي جامع
فها أنا ذو روض يروق نسيمه كما رقّ طبعا ما له من منازع
و قد جمعنا نسبة الطبع عندما وقعت لمرآه بأسنى المواقع
فأشبه إزهارى بطيب ثنائه و فضل هوائى باعتدال الطبائع الإحاطة فى أخبار غرناطة؛ ج ٣؛ ص ٤٣٨
فلا زلت معمورا به فى مسرة معدّا لأفراح و سعد مطالع
و لا زال من قد حلّنى أو يحلّنى موفى الأمانى من جميل الصنائع
و دام لمولانا المؤيد سعده فمن نوره يبدو لنا كل ساطع
و فى التهنته بإبلال من مرض: [البسيط]
الآن قد قامت الدنيا على قدم لما استقلّ رئيس السيف و القلم
و الآن قد عادت الدنيا لبهجتها منذ أنست برءه من طارق الألم
و الآن قد عمت البشرى براحته فلم تزل للورى من أعظم النعم
لا سيما عند مثلى ممن اتّضحت منه دلائل صدق غير متهم
فكيف لى و أياذى فضله ملكت رقى بما أجزلت من وافر القسم
و صيرتنى فى أهلى و فى وطنى و بين أهل النهى نارا على علم
و أحسبت أملى الأقصى لغايته إذ صرت من جاهه المأمول فى حرم
ما ذا عسى أن أوفى من ثنائى أو أنهى إلى مجده من فاضل الشيم
و لو ملكت زمام الفضل طوع يدى قصرت فى ضمن منثور و منتظم
يهنيك بشرى قد استبشرت مذ وردت بها لعمر ك و هو البرّ فى الضيم
و مذ دعت هذه البشرى بتهنته فنحن أولى و محض العهد و الكرم
لا زلت للعزة القعساء ممتطيا مستصحا لعلاء غير منصرم
و دمت بدر سنى تهدي إنارته فى حيث يعضل خطب أو يحار عم
و لا عدت بفضل الله عافية تستصحب النعم المنهلة الديم
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٣٩

و ليس لهذا العهد للرجل انتحال لغير الشعر و الكتابة. و غير هذا للشعر فراره، فقل أن ينتهى الشعر فى الصعّة و الاستبدال إلى ما دون

هذا النمط، فهو بعير ثان، شعرا وشكلا وبلدا، لطف الله به. وهو لهذا العهد، على ما تقدم من النكبة، واتصال السخط من الدولة، تغمدنا الله وإياه بلطفه، ولا نكص عنا ظل عناية وستره. مولده: حسبما تقدم من بسط حاله مما قيده بخطه في عام تسعة و سبعمائة.

عبد الرزاق بن يوسف بن عبد الرزاق الأشعري

من أهل قرية الأنجرون من إقليم غرناطة، أبو محمد. حاله: فقيه أديب كاتب سرى، موصوف بكرم نفس، و حسن خلق. لقي أشياخا و أخذ عنهم. شعره: [السريع]

يا منعما ما زال من أمة يرفل في السابغ من أمته
يا حساما جرّده العلافيرج صرف الدهر من سكتته
عبدك قد ساءت هنا حاله شوقا لمن خلف من إخوته
شوقا يبتّ الجمر في قلبه و يخلع الشهد على مقلته
فسكن المؤلم من شوقه و انسين المقلق من وحشته
و امنن عليه ببلوغ المنى في علمكم من مقتضى بغيته
و هاكها نفثه ذى خجلة تفهم ما يلقيه من نفثته
إذا شدا مداحكم ساجعا يحسده الطيار في نغمته
وفاته: سنه إحدى و سبعين و خمسمائة، عن سنّ عالية.
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٤٠

عبد الملك بن سعيد بن خلف العنسي

من أهل قلعة يحصب من عمل البيرة. حاله و نسبه: هو عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمّار بن ياسر، صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم. و كان عينا من أعيان الأندلس، مشارا إليه في البيت و الرأي، و الجزالة و الفضل. علقت به الآمال، و رفعت إليه الممادح، و حطت لديه الرّحال. و كان من أولى الجلالة و النباهة، و الطّلب و الكتابة الحسنّة، و الخطّ البارع. و اشتمل على حظوة الأمير يحيى بن غانية اللّمتوني، و كتب عنه. بلده قلعة بني سعيد، فتقفها، و جعل بها أكبر بنيه عبد الرحمن ضابطا لها و حارسا، فحصىنها أبو مروان و مهدها بالعمارة، فكانت في الفتنة مثابة و أمنا، و حرزا له و لبنيه، فانجلت الناس إليها من كل مكان. و لما قبض ابن غانية على القمط مرين و أصحابه النصارى عندما وصلوا لاستنجاز الوعد في الخروج عن جيّان، و تحصّلوا بيده بإشارة عبد الملك بن سعيد، حسبما ثبت في اسم الأمير يحيى، ثقّفهم بالقلعة بيد ثقته المذكور و أمينه أبي مروان، فتحصلوا في معقل حريز، عند أمير وافر العقل، سديد الرأي. و مات ابن غانية بغرناطة لأيام قلائل، و اختلف قومه، فنظر أبو مروان لنفسه، و عاهد القمط مرين و من معه من الزعماء على عهود، أخذها عليهم و على سلطانهم، أن يكون تحت أمن و حفظ طول مدّته، فأجريت القلعة في الأمن و الحماية، و كفّ أيدي التّعدي مجرى ما لملك النّصرى من البلاد، فشمل أهلها الأمن، و اتسعت فيها العمارة، و تنكبتها النّكبات، و

تحاشتها الغارات. ولم يزل أبو مروان بها إلى أن دخل في أمر الموحدين. و وصل هو و ابنه إلى السيد أبي سعيد بغرناطة، و حضر معه غزوة ألمرية، ثم دخل بجملته، فكمل له الأمن، و أقر على القلعة، و أمر بسكنى غرناطة بولده. ثم وصل ثانية إلى مراکش صحبة السيد أبي سعيد، و لقي من البرّ و لطف المكانة عاداته، و استكتب ابنه أحمد بن أبي مروان الخليفة في هذه الوجهة، و انتظم في جملة الكتّاب و الأصحاب.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٤١

محنته: و عاد أبو مروان و بنوه إلى غرناطة صحبة واليها السيد أبي سعيد، فبقى في جملة العسكر عند دخول ابن مردنيش و صهره غرناطة، و قد اضطربت الفتنة، و فسد ما بين السيد و بين أبي جعفر بن أبي مروان منهم، بما تقدّم في اسمه من حديث حفصة . و لما ظهرت دلائل التغيير، و خافوا على أنفسهم، أداروا الرأي في الانحياز إلى خدمة ابن مردنيش، و نهاهم والدهم أبو مروان، و أشار عليهم بمصابرة الأمر، فلحق عبد الرحمن بالقلعة، و فرّ أحمد لما انكشف الأمر، و عثر عليه بجهة مالقة، فقتل، و انجرت بسبب ذلك النكبة على عبد الملك و ابنه محمد، فبقيا بغرناطة، و من يشار إليه من أهل بيتهما، و استصفت أموالهما، و استخلصت ضياعهما، إلى أن ورد كتاب الخليفة أبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن بن علي بإطلاقهم و ردّ أموالهم، بما اقتضته السياسة من استماله من نزع منهم عن الطاعة، و أمر عبد الملك باستيلاف نافرهم. و لما هلك ابن مردنيش، و ردّ من اتصل به صحبة المستأمنين من أولاد الأمير الهالك، فقدموا على رحب و سعة، و ثاب جاه أبي مروان، و اتصل عزّه، و اتسعت حظوته، إلى أن هلك بعد أن ولى بمراكش النظر في العدة و الأسلحة، و القيام على دار الصنعة.

وفاته: بغرناطة سنة ستين و خمسمائة.

عبد العزيز بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن عبد العزيز بن يست

من أهل غرناطة، يكنى أبا سلطان.

حاله: فاضل ، حيي، حسن الصورة، بادی الحشمة، فاضل البيت سريه.

كتب في ديوان الأعمال ، و ترقى إلى الكتب مع الجملة بالدار السلطانية، و سفر في بعض الأغراض الغربية، و لازم الشيخ أبا بكر بن عتيق بن مقدّم، من شيوخ الصوفية بالحضرة، فظهرت عليه آثار ذلك في نظمه و مقاصده الأدبية .

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٤٢

شعره: و شعره لا بأس به، و من أمثله قوله ما أنشد له في ليلة الميلاد الأعظم: [الكامل]

القلب يعشق و المدامع تنطق برح الخفاء فكلّ عضو منطق

[قلت: قد ذكرها ابن الخطيب في جملة ما أنشد في الميلاد الأعظم في السفر الخامس، فلا فائدة في تكرارها هنا].

و مما خاطبني به: [البسيط]

أطلت عتب زمان فلّ من أمل و سمته الذّم في حلّ و مرتحل

عابته ليلين للعتب جانبه فما تراجع عن مطل و لا بخل

فعدت أمنحه العتبي ليشفق بي فقال لي: إنّ سمعي عنك في شغل

فالعتب عندي و العتبي فلست أرى أصغى لمدحك إذ لم أصغ للعذل

فقلت للنفس: كفى عن معاتبه لا تنقضى و جواب صيغ من وجل

من يعتلق بالدنا بابن الخطيب فقد سما عن الدلّ و استولى على الجدل

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٤٣ فقلت: من لي بتقريبى لخدمته فقد أجاب قريبا من جوابك لي

قد اشتغلت عن الدنيا بآخرتي و كان ما كان في أيامي الأول
و قد رعيت و ما أهملت من منح فكيف يختلط المرعى بالهمل؟
و لست أرجع للدنيا و زخرفها من بعد شيب غدا في الرأس مشتعل
ألست تبصر أطمارى و بعدى عن نيل الحظوظ و إعداد إلى أجل
فقال : ذلك قول صحّ مجمله لكنّ من شأنه التفصيل للجمل
ما أنت طالب أمر تستعين به على المظالم فى حال و مقتبل
و لا تحلّ حراما أو تحرّم ما أحلّ ربك فى قول و لا عمل
و لا تبع آجل الدنيا بعاجلها كما الولاة تبع اليمّ بالوشل
و أين عنك الرّشا إن كنت تطلبها هذا لعمرى أمر غير منفعل
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٤٤ هل أنت تطلب إلّا أن تعود إلى كتب المقام الرّفيح القدر فى الدول؟
فما لأوحد أهل الكون قاطبه و أسمح الخلق من حاف و منتعل
لم يلتفت نحو ما تبغيه من وطرو لم يسدّ الذى قد بان من خلل
إن لم تقع نظرة منه عليك فما يصبو لديك الذى أملت من أمل
فدونك السيّد الأعلى فمطلبكم قد نيط منه بفضل غير منفضل
فقد خبرت بنى الدنيا بأجمعهم من عالم و حكيم عارف و ولى
فما رأيت له فى الناس من شبه قلّ التّظير له عندى فلا تسل
فقد قصدتك يا أسمى الورى نسبا و ليس لى عن حمى عليك من حول
فما سواك لما أملت من أمل و ليس لى عنك من زيغ و لا ميل
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٤٥ فانظر لحالى فقد رقّ الحسود لها و احسم زمانه ما قد ساء من علل
قدّم لنا و لدين الله ترفعه ما أعقت بكر الإصباح بالأصل
لا زلت معتليا عن كلّ حادثة كما علت ملّة الإسلام فى الملل

عبد البر بن فرسان بن إبراهيم بن عبد الله ابن عبد الرحمن الغسانى

و ادى آشى الأصل، يكنى أبا محمد.
حاله: كان من جلة الأدباء، و فحول الشعراء، و برعه الكتاب. كتب عن الأمير أبى زكريا يحيى بن إسحاق بن محمد بن على المسوقى
الميورقى، الثائر على منصور بنى عبد المؤمن، ثم على من بعده من ذريته إلى أيام الرّشيد منهم، و انقطع إليه و صحبه فى حر كاته، و
كان آية فى بعد الهمة، و الذهاب بنفسه،
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٤٦
و العناء، و مواقف الحرب، فإنه دهم فى المثل، أشبه امرءا يعرض برّه، فقد كان أليق الناس بصحبة الميورقى، و أنسبهم إلى خدمته.
مشيخته: روى عن أبى زيد بن السّهلى .

بعض أخباره فى البأ و الصيرامة: حدّثنا شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب عن حدّثه من أشياخه، قال : وجّه الميورقى فى عشية يوم من
أيام حروبه إلى المأزق، و قد طال العراك، و كاد يكّل الناس عن الحرب، إلى أن يباكروها من الغد، فنقد لما أمر به. و لما بلغ الصّدر
اشتدّ على الناس، و دعر أرباب الحفيظة، و أنهى إليهم العزم من أميرهم فى الحملة، فانهمز عدوّهم شرّ هزيمة، و لم يعد أبو محمد إلّا

في آخر الليل بالأسلاب والغنيمة، وقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال له: الذي عملت هو شأني، وإذا أردت من يصرف الناس عن الحرب و يذهب ريحهم، فانظر غيري.

و حدّثني كذلك أنّ ولدا له صغيرا تشاجر مع ترب له من أولاد أميره أبي زكريا، فنال منه ولد الأمير، وقال: و ما قدر أبيك؟ ولما بلغ ذلك أباه خرج مغضبا لحينه، و لقي ولد الأمير المخاطب لولده، فقال: حفظك الله! لست أشكّ في أنّي خديم أبيك، و لكنني أحبّ أن أعزّفك بمقداري و مقداره، اعلم إنّ أباك و جّهنى رسولا إلى الخليفة ببغداد بكتاب عن نفسه، فلما بلغت بغداد نزلت في دار اكترت لي بسبعة دراهم في الشهر، و أجرى عليّ سبعة دراهم في اليوم، و طولع بكتابي، و قيل: من الميورقي الذي و جّهبه؟ فقال بعض الحاضرين: هو رجل مغربي نائر على أستاذه. و أقمت شهرا، ثم استدعيت إلى الانصراف، و لما دخلت دار الخلافة و تكلمت مع من بها من الفضلاء، أرباب المعارف و الآداب، اعتذروا لي، و قالوا للخليفة: هذا رجل جهل مقداره، فأعدت إلى محلّ اكترى لي بسبعين درهما، و أجرى عليّ مثلها في اليوم، ثم استدعيت، فودعت الخليفة، و اقتضيت ما تيسّر من جوابه، و صدر لي شيء له حظّ من صلته. و انصرفت إلى أبيك.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٤٧

و المعاملة الأولى كانت على قدر أبيك عند من يعرف الأقدار، و الثانية كانت على قدرى و المنّة لله. و أخبار ابن فرسان كثيرة.

شعره: و قد تعمّم الأمير بعمامة بيضاء، و ليس غفارة حمراء على جبّة خضراء، فقال: [الطويل]

فديتك بالنفس التي قد ملكتها بما أنت موليتها من الكرم الغضّ
تودّدت للحسن الحقيقيّ بهجة فصار بها الكليّ في ذاك كالبعض
و لما تلالا نور غزّتك التي تقسم في طول البلاد و في العرض
تلقفتها خضراء أحسن ناظرتك عنك إجلالا و ذاك من الفرض
و أسدلت حمر الملابس فوقها بمفرق تاج المجد و الشرف المحض
و أصبحت بدرا طالعا في غمامة على شفق دان إلى خضرة الأرض
و من شعره، و لا خفاء ببراعته: [الطويل]

ندى مخضلا ذاك الجناح المنمنما و سقيا و إن لم تشك يا ساجعا ضما
أعدهنّ ألحانا على سمع معرب يطرح مرتاحا على القضب معجما
و طر غير مقصوص الجناح مرفها مسوّغ أشتات الجوب منعمّا
و قال أيضا رحمه الله: [الطويل]

كفى حزنا أنّ الرماح صقيلة و أنّ الشبا رهن الصدى بدمائه
و أنّ بياذيق الجوانب فرزنت و لم يعد رخّ الدست بيت بنائه
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٤٨

عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني

جلياني، من أهل وادي آش، و تردّد إلى غرناطة، يكنى أبا محمد، و أبا الفضل.

حاله: تجوّل ببلاد المشرق سائحا، و حجّ و نزل القاهرة، و كان أدبيا، بارعا حكيما، ناظما ناثرا.

توالياه: و له مصنّفات منها «جامع أنماط السائل، في العروض و الخطب و الرسائل»، أكثر كلامه فيه نظما و نثرا.

مشيخته و من روى عنه: روى عنه أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الرحيم الخطيب بضريح الخليل، و أبو عبد الله بن يحيى

المرسى.

شعره: قال من شعره: [الطويل]

ألا إنّما الدّنيا بحار تلاطمت فما أكثر الغرقى على الجنبات
و أكثر من لاقيت يغرق إلفه و قلّ فتى ينجى من الغمرات
وفاته: سنه ثلاث و ستمائة .

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٤٩

فهرس المحتويات

محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد الغزفي ٣

محمد المكودي ٨

المقرئون و العلماء-الأصليون منهم ١٠

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزى الكلبى ١٠

محمد بن أحمد بن قنوح بن شقرال اللخمي ١٣

محمد بن جابر بن يحيى بن محمد بن ذى النون التغلبى ١٥

محمد بن محمد بن محمد بن بيش العبدري ١٦

محمد بن محمد التمرى الضّير ١٩

محمد بن عبد الولي الرّعيني ٢١

محمد بن علي بن أحمد الخولاني ٢٢

محمد بن علي بن محمد البلنسى ٢٥

محمد بن سعد بن محمد بن لب بن حسن بن حسن بن عبد الرحمن بن بقى ٢٥

محمد بن سعيد بن علي بن يوسف الأنصارى ٢٧

محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النّفزى ٢٨

و من الطارئين عليها فى هذا الحرف ٤٣

محمد بن أحمد بن داود بن موسى بن مالك اللّخمي اليكى ٤٣

و من السفر الثامن من ترجمه المقرئين و العلماء ٤٥

محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغشاني ٤٥

محمد بن أحمد بن علي بن قاسم المذحجى ٤٦

محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغشاني ٤٧

محمد بن أحمد الرّقوطى المرسى ٤٨

محمد بن إبراهيم بن المفزج الأوسى ٤٨

محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسى ٤٩

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٥٠

محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حميد ابن مأمون الأنصارى ٤٩

محمد بن حكم بن محمد بن أحمد بن باق الجذامي ٥١

محمد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن خلف بن يوسف بن خلف الأنصاري ٥٢

محمد بن محمد بن أحمد بن علي الأنصاري ٥٣

محمد بن محمد بن إدريس بن مالك بن عبد الواحد بن عبد الملك بن محمد بن سعيد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله
القضاعي ٥٣

محمد بن محمد بن محارب الصريحي ٥٥

محمد بن محمد بن لب الكناني ٥٦

محمد بن محمد البدوي ٥٧

محمد بن عبد الله بن ميمون بن إدريس بن محمد بن عبد الله العبدري ٦٠

محمد بن عبد الله بن عبد العظيم بن أرقم التميمي ٦٢

محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن فرج ابن الجذ الفهري ٦٣

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن الفخار الجذامي ٦٤

محمد بن علي بن عمر بن يحيى بن العربي الغستاني ٦٧

محمد بن علي بن محمد العبدري ٦٨

و من الغرباء في هذا الباب ٧٥

محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي ٧٥

محمد بن عبد الرحمن بن سعد التميمي التسلي الكرسوطي ٩٨

محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري ١٠١

محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن سعيد بن مسعود بن حسن بن محمد بن عمر بن رشيد الفهري ١٠٢

محمد بن علي بن هاني اللخمي السبتي ١٠٨

محمد بن يحيى العبدري ١١٨

المحدثون و الفقهاء و الطلبة النجباء و أولا الأصيليون ١١٩

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الزبير ١١٩

محمد بن أحمد بن خلف بن عبد الملك بن غالب الغساني ١٢١

محمد بن أحمد بن محمد الدوسي ١٢٢

محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن يوسف بن روييل الأنصاري ١٢٢

محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي زمين المرّي ١٢٤

محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم بن حسان القيسي ١٢٤

محمد بن خلف بن موسى الأنصاري الأوسي ١٢٤

محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الخولاني ١٢٧

محمد بن محمد بن علي بن سودة المرّي ١٢٩

محمد بن عبد العزيز بن سالم بن خلف القيسي ١٣١

محمد بن عبد الله بن أبي زمين ١٣٢

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٥١

محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي زمنين عدنان بن بشير بن كثير المزي ١٣٢

محمد بن عبد الرحمن بن الحسن بن قاسم بن مشرف بن قاسم بن محمد بن هاني اللخمي القائمي ١٣٣

محمد بن عبد الرحمن بن عبد السلام بن أحمد بن يوسف بن أحمد الغساني ١٣٤

محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم بن مفرج بن أحمد بن عبد الواحد بن حريث بن جعفر بن سعيد بن محمد بن حقل الغافقي ١٣٥

محمد بن علي بن عبد الله اللخمي ١٣٦

محمد بن علي بن فرج القربلياني ١٣٧

محمد بن علي بن يوسف بن محمد الشكوني ١٣٨

محمد بن سوذة بن إبراهيم بن سوذة المزي ١٣٩

محمد بن يزيد بن رفاعة الأموي البيري ١٣٩

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي بكر بن خميس الأنصاري ١٤٠

محمد بن أحمد بن عبد الله العطار ١٤١

محمد بن أحمد بن المراكشي ١٤٢

محمد بن بكرون بن حزب الله ١٤٣

محمد بن الحسن بن أحمد بن يحيى الأنصاري الخزرجي ١٤٤

محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري الساحلي ١٤٥

محمد بن محمد بن يوسف بن عمر الهاشمي ١٤٦

محمد بن محمد بن ميمون الخزرجي ١٤٧

محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري ١٤٨

و من الغرباء في هذا الاسم ١٥١

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التلمساني الأنصاري ١٥١

محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن يوسف بن قطرال الأنصاري ١٥٣

العمال في هذا الاسم و أولا الأصليون ١٥٤

محمد بن أحمد بن محمد بن الأكل ١٥٤

محمد بن الحسن بن زيد بن أيوب بن حامد الغافقي ١٥٧

محمد بن محمد بن حسان الغافقي ١٥٧

محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحاق بن أحمد بن أسد بن قاسم

التميري، المدعو بابن الحاج ١٥٨

محمد بن عبد الرحمن الكاتب ١٥٩

محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر ١٦١

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٥٢

محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن عمار بن ياسر العنسي ١٦٣

- و من الطارئین فی هذا الاسم من العمال ١٦٤
 محمد بن أحمد بن المتأهل العبدري ١٦٤
 محمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوي ١٦٦
 محمد بن محمد بن شعبة الغسانی ١٧٠
 محمد بن محمد بن العراقي ١٧١
 محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن فرتون الأنصاري ١٧٢
 محمد بن عبد الله بن محمد بن مقاتل ١٧٣
 محمد بن علي بن عبد ربه التجيبي ١٧٣
 الزهاد و الصلحاء و الصوفية و الفقراء و أولا الأصليون ١٧٤
 محمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد الأنصاري ١٧٤
 محمد بن أحمد الأنصاري ١٧٥
 محمد بن حسنون الحميري ١٧٥
 محمد بن محمد البكري ١٧٥
 محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٧٦
 و من الطارئین عليها في هذا الاسم ١٧٧
 محمد بن أحمد بن جعفر بن عبد الحق بن محمد بن جعفر بن محمد بن أحمد بن مروان بن الحسن بن نصر بن نزار بن عمرو بن زيد
 بن عامر بن نصر بن حفاف السلمي ١٧٧
 محمد بن أحمد بن حسين بن يحيى بن الحسين بن محمد بن أحمد بن صفوان القيسي ١٧٩
 محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري ١٨١
 محمد بن أحمد بن قاسم الأمي ١٨٢
 محمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن عمر بن يوسف بن علي بن خالد بن عبد الرحمن بن حميد الهاشمي الطنجالي ١٨٦
 محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البلفيقي بن الحاج ١٨٧
 محمد بن يحيى بن إبراهيم بن أحمد بن مالك بن إبراهيم بن يحيى بن عبّاد النَّفزي ١٩٠
 محمد بن يوسف بن خلصون ١٩٤
 و من الغرباء في هذا الاسم ٢٠٢
 محمد بن أحمد بن أمين بن معاذ بن إبراهيم بن جميل بن يوسف العراقي ٢٠٢
 محمد بن أحمد بن شاطر الجمحي المراكشي ٢٠٣
 محمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمي بن الحلفاوي ٢٠٥
 محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يوسف اللواتي ٢٠٦
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٥٣
 سائر الأسماء في حرف الميم الملوك و الأمراء و ما منهم إلّا طاريء علينا أو غريب ٢٠٧
 مزدلي بن تيولتكان بن حمنى بن محمد بن ترقوت بن و رباطن بن منصور بن نصاله بن أمية بن و اباتن الصنهاجي اللثموني ٢٠٧
 موسى بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الهنتاني ٢٠٧

منديل بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو الأمير أبو زيان ٢٠٨

و من الطارئين ٢١٠

المطرّف بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية ٢١٠

منذر بن يحيى التجيبي ٢١١

موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان ٢١٦

مبارك و مظفرّ الأميران موليا المنصور بن أبي عامر ٢٢٠

و من ترجمة الأعيان و الوزراء بل و من ترجمة الطارئين و الغرباء منها ٢٢٨

منصور بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو ٢٢٨

مقاتل بن عطية البرزالي ٢٢٩

و من السفر التاسع من ترجمة القضاء ٢٣٠

موئل بن رجاء بن عكرمة بن رجاء العقيلي ٢٣٠

و من الطارئين و الغرباء ٢٣١

المهلب بن أحمد بن أبي صفرة الأسدى ٢٣١

و من ترجمة الكتاب و الشعراء و هم الأصليون ٢٣١

مالك بن عبد الرحمن بن على بن عبد الرحمن بن الفرّج بن أزرق بن سعد بن سالم بن الفرّج ٢٣١

و من طارئى المقرئين و العلماء ٢٤٨

منصور بن على بن عبد الله الزواوى ٢٤٨

مسلم بن سعيد التّملى ٢٥١

و من العمال الأثراء ٢٥٢

مؤمل، مولى باديس بن حبّوس ٢٥٢

حرف النون الملوك و الأمراء نصر بن محمد بن يوسف بن نصر بن أحمد بن محمد بن خميس بن عقيل الخزرجى

الأنصارى ٢٥٤

و من الأعيان و الوزراء ٢٦١

نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح الفهرى ٢٦١

نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح بن نصر بن إبراهيم بن نصر الفهرى ٢٦١

و من الكتاب و الشعراء ٢٦٢

زهون بنت القليعى ٢٦٢

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٥٤

حرف الصاد من الأعيان و الوزراء الصّميل بن حاتم بن عمر بن جذع بن شمر بن ذى الجوشن الضّبابى الكلبى ٢٦٤

و من الكتاب و الشعراء ٢٦٦

صفوان بن إدريس بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى بن إدريس التجيبي ٢٦٦

صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن على بن شريف النّفزى ٢٧٥

حرف العين من ترجمة الملوك و الأمراء عبد الله بن إبراهيم بن على بن محمد التجيبي الرئيس أبو محمد بن إشقيلوله ٢٨٧

عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي ٢٨٩

عبد الله بن علي بن محمد التجيبي، الرئيس أبو محمد بن إشقيولة ٢٩١

عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد العزفي ٢٩٢

عبد الله بن الجبير بن عثمان بن عيسى بن الجبير اليحصبي ٢٩٣

عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد بن علي السلماني ٢٩٤

عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن جزى ٢٩٨

و من المقرئين و العلماء ٣٠٥

عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن مجاهد العبدري الكواب ٣٠٥

عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن سلمون الكناني ٣٠٦

عبد الله بن سهل الغرناطي ٣٠٨

عبد الله بن أيوب الأنصاري ٣٠٩

عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الأنصاري ٣٠٩

عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عيسى بن أحمد بن إسماعيل بن سماك العاملي ٣١٣

و من ترجمة القضاة ٣١٤

عبد الله بن أحمد بن محمد بن سعيد بن أيوب بن الحسن بن منخل بن زيد الغافقي ٣١٤

عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن أبي زمنين المرّي ٣١٥

عبد الله بن يحيى بن محمد بن أحمد بن زكريا بن عيسى بن محمد بن يحيى بن زكريا الأنصاري ٣١٥

عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الملك بن أبي جمره الأزدي ٣١٦

عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن حوط الله الأنصاري الحارثي الأزدي ٣١٧

عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري ٣١٨

عبد الله بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن بن الحسين الثقفي العاصمي ٣١٩

عبد الله بن موسى بن عبد الرحمن بن حماد الصنهاجي ٣٢٠

و من ترجمة الكتاب و الشعراء بين أصلي و طاريء ٣٢٠

عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأزدي ٣٢٠

عبد الله بن إبراهيم بن و زمر الحجاري الصنهاجي ٣٢٨

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٥٥

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب السلماني ٣٣١

عبد الله بن محمد بن سارة البكري ٣٣٣

عبد الله بن محمد الشراط ٣٣٥

عبد الله بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان التجاري ٣٣٧

عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله

بن سعيد بن عمار بن ياسر ٣٤٧

و من الصوفية و الفقراء ٣٤٩

عبد الله بن عبد البر بن سليمان بن محمد بن محمد بن أشعث الرعيني ٣٤٩

عبد الله بن فارس بن زيان ٣٥١

عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي ٣٥٢

و من الملوك و الأمراء و الأعيان و الوزراء ٣٥٣

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله [بن محمد] بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معوية، أمير المؤمنين، الناصر

لدين الله ٣٥٣

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية ٣٥٥

عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس ٣٥٦

عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن سعيد بن محمد اللخمي ٣٥٩

عبد الرحيم بن إبراهيم بن عبد الرحيم الخزرجي ٣٦٠

و من ترجمة المقرئين و العلماء و الطلبة النجباء من ترجمة الطارئین منهم ٣٦٣

عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن أصبغ بن حسن بن سعدون بن رضوان بن فتوح الخثعمي ٣٦٣

عبد الرحمن بن هانيء اللخمي ٣٦٦

عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد بن محمد الأزدي ٣٦٧

عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الأنصاري ٣٦٨

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن خلدون

الحضرمي ٣٧٧

عبد الرحمن بن الحاج بن القمي الإلبيري ٣٩٥

عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد بن تفلت الفازازي ٣٩٥

و من السفر العاشر العمال الأثر في هذا الحرف ٣٩٩

عبد الرحمن بن أسباط ٣٩٩

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مالك المعافري ٤٠٠

عبد الرحمن بن عبد الملك الينشتي ٤٠٣

و في سائر الأسماء التي بمعنى عبد الله و عبد الرحمن، و أولاد الأمراء ٤٠٥

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص: ٤٥٦

عبد الأعلى بن موسى بن نصير مولى لخم ٤٠٥

عبد الحليم بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو ٤٠٦

عبد المؤمن بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو ٤٠٨

و من الأفراد أيضا في هذا الحرف و هم طاروون ٤٠٨

عبد الحق بن علي بن عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ٤٠٨

عبد الواحد بن زكريا بن أحمد اللحياني ٤٠٩

و من ترجمة الأعيان و الوزراء و الأماثل و الكبرا ٤١٠

عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق بن محيو ٤١٠

عبد الملك بن على بن هذيل الفزارى و عبد الله أخوه ٤١١

عبد القهار بن مفرج بن عبد القهار بن هذيل الفزارى ٤١١

القضاء الفضلاء و أولا الأصليون ٤١٢

عبد الحق بن غالب بن عطية بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية بن

خالد بن خفاف بن أسلم بن مكتوم المحاربى ٤١٢

عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن فرج الخزرجى ٤١٥

و من غير الأصليين ٤١٩

عبد الحكيم بن الحسين بن عبد الملك بن يحيى بن باسيو بن تادرت التّمالي اليدرّازتيني ثم الواغدينى ٤١٩

و من المقرئين و العلماء ٤٢٠

عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جلهمة بن العباس بن مرداس السلمى ٤٢٠

و من الطارئین عليها ٤٢٤

عبد الواحد بن محمد بن على بن أبى السّداد الأموى الملقى، الشهير بالباهلى ٤٢٤

و من الكتاب و الشعراء فى هذا الحر

و من الكتاب و الشعراء فى هذا الحر ٤٢٥

عبد الحق بن محمد بن عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربى ٤٢٥

عبد الرزاق بن يوسف بن عبد الرزاق الأشعري ٤٣٩

عبد الملك بن سعيد بن خلف العنسى ٤٤٠

عبد العزيز بن على بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز بن يست ٤٤١

عبد البر بن فرسان بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الغسانى ٤٤٥

عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغسانى ٤٤٨

[المجلد الرابع]

[تتمة قسم الثانى]

إشارة

بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم

و من الغرباء

عبد المهيم بن محمد بن عبد المهيم بن محمد ابن على بن محمد بن عبد الله بن محمد الحضرمى

يكنى أبا محمد، شيخنا الرئيس، صاحب القلم الأعلى بالمغرب.

حاله: من «عائد الصلوة»: كان، رحمه الله، خاتمة الصّيدور، ذاتا و سلفا و تربية و جلاله. له القدح المعلى في علم العربية، و المشاركة الحسنه في الأصلين، و الإمامه في الحديث، و التبريز في الأدب و التاريخ و اللغة، و العروض و المماسه في غير ذلك. نشأ فارس الحلبه، و عروس الوليمه، و صدر المجلس، و بيت القصيد، إلى طيب الأبوة، و قدم الأصالة، و فضل الطعمه، و وفور الجاه، و الإغراق في التعمه، كثير الاجتهاد و الملازمه، و التفنن و المطالعه، مقصور الأوقات على الإفاده و الاستفاده، إلى أن دعتة الدوله المريتية بالمغرب إلى كتابه الإنشاء، فاشتملت عليه اشتمالا، لم يفضل عنه من أوقاته ما يلتمس فيه ما لديه. و استمرت حاله، موصوفا بالنزاهه و الصدق، رفيع الرتبة، مشيد الحظوه، مشاركا للضيف فاضلا، مختصر الطعمه و الحليه، يغلب عليه ضجر يكاد يخل به، متصل الاجتهاد و التقييد، لا يفتر له قلم، إلى أن مضى بسيله.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤

و جرى ذكره في «الإكليل الزاهر» من تأليفنا بما نصه: تاج المفرق، و فخر المغرب على المشرق، أطلع منه نورا أضاءت الآفاق، و أثرى منه بذخيره حملت أحاديثها الرّفاق. ما شئت من مجد سامى المصاعد و المراقب، عزيز عن لحاق المجد الثاقب، و سلف زينت سماؤه بنجوم المناقب. نشأ بسبته بين علم يفيد، و فخر يشيده، و طهاره يلتحف مطارفها، و رياسه يتفتأ وارفها، و أبوه رحمه الله قطب مدارها، و مقام حجها و اعتمارها، فسلك الوعوث من المعارف و السهول، و بدّ على حدائنه سنّه الكهول، فلما تحلّى من الفوائد العلميه بما تحلّى، و اشتهر اشتهار الصباح إذا تجلّى، تنافست فيه همم الملوك الأخير، و استأثرت به الدول على عاداتها فى الاستثثار بالدخائر، فاستقلت بالسياسة ذراع، و أخدم الذوابل و السيوف يراع، و كان عين الملك التى بها يبصر، و لسانه الذى به يسهب أو يختصر. و قد تقدّمت له إلى هذه البلاد الوفاده، و جلّت به عليها الإفاده، و كتب عن بعض ملوكها، و انتظم فى عقودها الرفيعه و سلوكها، و له فى الأدب الزايه الخافقه، و العقود المتناسقه.

مشيخته: قرأ ببلده سبته على الأستاذ الإمام أبى إسحاق الغافقى المديونى، و على الأستاذ المقرئ أبى القاسم محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن الطيب، و الأستاذ النحوى أبى بكر بن عبيده الإشبيلي، و على الأستاذ العارف أبى عبد الله محمد بن عمر بن الدراج التلمسانى، و على ابن خال أبيه الأمير الصالح أبى حاتم العزفى، و العدل الرضا أبى فارس عبد الرحمن بن إبراهيم الجزيرى. و قرأ بغرناطة على الشيخ العلامة أبى جعفر بن الزبير، و روى عن الوزير الراويه أبى محمد عبد الله المرادى ابن المؤذن، و على الأستاذ أبى بكر القلوسى، و أخذ عن الشيخ الوزير أبى الوليد الحضرمى القرطبى. و بمالقه عن الإمام الولى أبى عبد الله الطنجالى. و ببلش عن الخطيب الصالح أبى جعفر بن الزيات، و عن الخطيب أبى عبد الله بن شعيب المروى، و العلامة أبى الحسين بن أبى الربيع، و أبى الحكم بن منظور، و ابن الشاط، و ابن رشيد، و ابن خميس، و ابن برطال، و ابن ربيع، و ابن البتاء، و سميّه ابن البتاء الملقى، و ابن خميس النحوى، و أبى أميه بن سعد السّعود بن عفير الأمدى. هؤلاء كلهم لقيهم و سمع منهم، و أجازوا له ما عندهم. و ممن أجاز له مشافهه أو مكاتبه من أهل المغرب، الأستاذ أبو عبد الله محمد بن عمر الأنصارى التلمسانى ابن الدراج، و الكاتب أبو على الحسين بن عتيق، و تناول تواليفه، و الأديب

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥

الشهير أبو الحكم مالك بن المرخل، و الشريف أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أبى الشرف الحسينى، و أبو بكر بن خليل السكونى، و أبو العباس المطرى، و الجزارى، و شرف الدين بن معطى، و ابن الغمّاز، و ابن عبد الرفيع القاضى، و أبو الشمل جماعه بن مهيب، و أبو عبد الله محمد بن أحمد التجانى و أبناء عمه عمر و على، و ابن عجلان، و محمد بن إبراهيم القيسى السلولى، و محمد بن حماد اللبيدى، و ابن سيد الناس، و ابنه أبو الفتح، و ابن عبد النور، و المومنانى، و الخطيب ابن صالح الكتّانى، و ابن عياش الملقى، و المشدالى، و ابن هارون، و الخلاسى، و الدباغ، و ابن سماك، و ابن أبى السداد، و ابن رزين، و ابن مستقور، و أبو الحسن بن فضيله، و أبو بكر بن محرز. و كتب له من أهل المشرق جماعه منهم: الأبرقىشى، و ابن أبى الفتح الشيبانى، و ابن حماده، و ابن الطاهرى، و

ابن الصابوني، و ابن تيمية، و ابن عبد المنعم المفسر، و ابن شيبان، و ابن عساكر، و الرضى الطبرى، و ابن المخزومي، و ابن النحاس. قلت: من أراد استيفاءهم ينظر الأصل، فقد طال على استيفاء ما ذكره الشيخ رحمه الله. و قد ذكر جماعة من النساء، ثم قال بعد تمام ذلك: و لو قصدنا الاستقصاء لضاق عن مجاله المتبع.

شعره: و شعره متخل عن محلّه من العلم و الشهرة، و إن كان داخلا تحت طور الإجابة.

فمن ذلك قوله: [الطويل]

تراءى سحيرا و النسيم عليل و للنجم طرف بالصباح كليل
و للفجر بحر خاضه الليل فاعتلت شوى أدهم الظلماء منه حجول
بريق بأعلى الرّقمتين كأنه طلائع شهب فى السواد تجول
فمزق ساجى الليل منه شراره و خرّق ستر الغيم منه نصول
تبسم ثغر الروض عند ابتسامه و فاضت عيون للغمام همول
و مالت غصون البان نشوى كأنها يدار عليها من صباه شمول
و غنت على تلك الغصون حمائم لهنّ حفيف فوقها و هديل
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦ إذا سجت فى لحنها ثم قرقرت يطيح خفيف دونها و ثقيل
سقى الله ربعا لا تزال تشوقنى إليه رسوم دونه و طول
جاد رباه كلما ذرّ شارق من الودق هتان أجشّ هطول
و ما لى أستسقى الغمام و مدمعى سفوح على تلك العراض همول
و عاذلة ظلّت تلوم على السرى و تكثر من تعذالها و تطيل
تقول: إلى كم ذا فراق و غربته و نأى على ما خيّلت و رحيل
ذرينى أسعى للتى تكسب العلاسنة و تبقى الذّكر و هو جميل
فإنما ترينى من ممارسة الهوى نحيلاً فحدّ المشرفى نحيل
فوق أنابيب اليراعة صفرة تزين، و فى قدّ القناه ذبول
و لولا السرى لم يجتل البدر كاملا و لا بات منه للسعود نزيل
و لولا اغتراب المرء فى طلب العالما كان نحو المجد منه وصول
و لولا نوال ابن الحكيم محمداً أصبح ريع المجد و هو محيل
وزير سما فوق السماك جلاله و ليس له إلّا النجوم قبيل
من القوم، أمّا فى الندى فإنهم هضاب و أمّا فى الندى فسيول
حووا شرف العلياء إرثا و مكسبا و طابت فروع منهم و أصول
و ما جونه هطالة ذات هيدب مرثها شمال مرجف و قبول
لها زجل من رعداها و لوامع من البرق عنها للعيون كلول
كما هدرت وسط القلاص و أرسلت شقاشقها عند الهياج فحول
بأجود من كفّ الوزير محمداً إذا ما توالى للسنين محول
و لا روضة بالحسن طيبة الشداينم عليها إذخر و جليل
و قد أذكيت للزهر فيها مجامر تعطرّ منها للنسيم ذبول

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٧ و في مقل التوار للطلّ عبرة ترددها أجفانها و تحيل
بأطيب من أخلاقه الغرّ كلما تفاقم خطب للزمان يهول
حويت أبا عبد الإله مناقبات فوت يدي من رامها و تطول
فغرناطة مصر و أنت خصيها و نائل يمناك الكريمة نيل
فداك رجال حاولوا درك العلابيخ، و هل نال العلاء بخيل؟
تخيّر ك المولى وزيرا و ناصحافكان له ممّا أراد حصول
و ألقى مقاليد الأمور مفوضا إليك فلم يعدم يمينك سول
و قام بحفظ الملك منك مؤيد نهوض بما أعيأ سواك كفيل
و ساس الرعايا منك أروع باسل مبيد العدا للمعتفين منيل
و أبلج وقاد الجبين كأنما على وجنتيه للنضار مسيل
تهيم به العلياء حتى كأنها بثنته في الحبّ و هو جميل
له عزمات لو أعير مضاءها حسام لما نالت ظباه فلول
سرى ذكره في الخافقين فأصبحت إليه قلوب العالمين تميل
و أعدى قريضي جوده و ثناؤه فأصبح في أقصى البلاد يجول
إليك أيا فخر الوزارة أرقلت برحلى هو جاء النجاء ذلول
فليت إلى لقياك ناصية الفلابأيدى ركاب سيرهنّ ذميل
تسدّنى سهما لكلّ ثنية ضوامر أشباه القسيّ نحول
و قد لفظتني الأرض حتى رمت إلى ذراك برحلى هو جل و هجول
فقيدت أفراسى به و ركائبى و لذّ مقام لى به و حلول
و قد كنت ذا نفس عزوف و همّة عليها لأحداث الزمان ذحول
و يهوى العلا حظى و يغرى بضده لذاك اعترته رقة و نحول
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٨ و تأبى لى الأيام إلّا إداله فصونك لى إنّ الزمان مديل
فكلّ خضوع فى جنابك عزّة و كلّ اعتزاز قد عداك خمول
و هى طويلة. و من شعره: [السريع]
سقى ثرى سبتة بين البلاد و عهدا المحبوب صوب العهد
و جاد منهل الحيا ربعها بوبله تلك الرّبى و الوهاد
و كم لنا فى طور سينانها من رائح للأنس فى إثر غاد
و عينها البيضاء كم ليله بيضاء فيها قد خلت لو تعاد
و بالمنارة التى نورها لكلّ من ضلّ دليل و هاد
نروح منها مثلما نغتنى للأنس و الأفراح ذات ازدياد
فى فتية مثل نجوم الدّجى ما منهم إلّا كريم جواد
ارتشفوا كأس الصفا بينهم و ارتضعوا أخلاف محض الوداد
و بالأيام ببنيولش لقد عدت عنها صروف العوادى

أدركت من لبنى بها كالمبائنة و ساعدتني سعاد
و نلت من لذات دهرى الذى قد شئتته و للأمانى انقياد
منازل ما إن على مبدل هاء مكان اللام فيها انتقاد
سلوتها مذ ضمّنى بعدها نادى الوزير ابن الحكيم الجواد
و من المقطوعات قوله : [المتقارب]
أبت همّتى أن يرانى امرؤ على الدهر يوماً له ذا خضوع
و ما ذاك إلّا لأنى اتّقيت بعزّ القناعة ذلّ القنوع
و من ذلك فى المشط و النشفة من آلات الحمام: [الكامل]
إنى حسدت المشط و النشف الذى لهما مزايا القرب دونى مخلصه
فأنامل من ذا تباشر صدغه و مرأشف من ذا تقبل أخمصه
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٩
نثره: وقع هنا بياض مقدار وجهه فى أصل الشيخ.
مولده: ولد ببلده سبتة فى عام ستّة و سبعين و ستمائة.
وفاته: و توفى بتونس فى الثانى عشر لشوال من عام تسعة و أربعين و سبعمائة فى وقية الطاعون العام، بعد أن أصابته نبوة من مخدومه
السلطان أبى الحسن ، ثم استعته و تلتطف له. و كانت جنازته مشهورة، و دفن بالزّلاج من جبانات خارج تونس، رحمه الله.

عبد المهيم بن محمد الأشجعى البلدوذى

نزىل مراکش.

حاله: من كتاب «المؤتمن» ، قال: كان شاعرا مكثرا، سهل الشعر، سريعه، كثيرا ما يستجدى به، و كان يتقلد مذهب أبى محمد على بن
حزم، الفقيه الظاهرى، و يصول بلسانه على من نافر. دخل الأندلس و جال فى بلادها بعد دخوله مراکش.
و كان أصله من بلدوذ. ورد مالقة أيام قضاء أبى جعفر بن مسعدة، و أطال بها لسانه، فحمل عليه هنالك حملا أذاه، إلى أن كان مآل
أمره ما أخبرنى به شيوخ مالقة، و أنسيته الآن، فتوصل إلى مآل أمره من جهة من بقى بها الآن من الشيوخ، نقلت اسمه و نسبه من
خطه.

شعره: [مجزوء الرجز]

أما على ذى شرك فى صيدنا من درك؟

تصيدنا لوأحظو ما لها من حرك

و البدر إن غاب فمن يجلو ظلام الحلك؟

قد تاب للقلب فما يدرى إن لم تدركى

عدا السقام أو عدا وعد الذى لم يأكفك

أو لم يكن حلّ دمي فلتبطلى أو أترك

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٠ حاربت من لا قدره لده فى المعترك

يفلّ غرب سيفه سيف لحاظ فتك

يا لفتى يا قبلتى يا حجّتى يا نسكى

إن عظم الحزن فما أرجل حسن الفلك
 أو أهديت الحيّ فلا بن عبد الملك
 خطيب و مران للذي سلك على سلك
 ركن التقى محمد ذو الثبل و الطبع الزكى
 منفرد في جوده بماله المشترك
 يا نوق، هذا بابه فهو أجلّ مبرك
 و أنت يا حادية، قربت، ما أسعدك!
 فبركى و كبرى و أبركى و برّك
 فقد أتينا بشراله صفات الملك
 كفك يهمنى ملكت كأنها لم تملك
 قصيدتى لو لم تتل منك حلّى لم تسبك
 أبكىت ديمه الندى فزهرها ذو ضحك
 لكننى يا سيدى من فاقتى فى شرك

و شعره على هذه الوتيرة. حدّثنى أبى، قال: رأيت رجلا طوالا، شديد الأدمة، حليق الرأس، دمينه، عاريه، كثير الاستجداء و التّهاتر مع المحابين من أدباء وقته، يناضل عن مذهب الظاهرية بجهد.

وفاته: من خط الشيخ أبى بكر بن شبرين: و فى عام سبعة و تسعين و ستمائة توفى بفاس الأديب عبد المهيمن المكناسى، المكنى بأبى الجيوش البلذوذى، و كان ذا هذر و خرق، طوّفا على البلاد، ينظم شعرا ضعيفا يستمنح به الناس، و آلت حاله إلى أن سعى به لأبى فارس عزّوز الملزوزى الشاعر، شاعر السلطان أبى يعقوب و خديمه، و ذكر له أنه هجاه، فألقى إلى السلطان ما أوجب سجنه، ثم ضربت عنقه صبورا، نفعه الله.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١١

عبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد الملزوزى

من أهل العدو الغريبة، يكنى أبا فارس، و يعرف بعزّوز.

حاله: كان شاعرا مكثرا سيّال القريحة، منحطّ الطبقة، متجنّدا، عظيم الكفاية و الجرأة، جسورا على الأمراء، علق بخدمة الملوک من آل عبد الحق و أبنائهم، و وقف أشعاره عليهم، و أكثر النظم فى وقائعهم و حروبهم، و خلط المعرب باللسان الزناتى فى مخاطباتهم، فعرف بهم، و نال عريضا من دنياهم، و جمّا من تقرّيبهم. و احتلّ بظاهر غرناطة فى جملة السلطان أمير المسلمين أبى يعقوب، و أمير المسلمين أبيه، و استحقّ الذكر بذلك.

شعره: من ذلك أرجوزة نظمها بالخضراء فى شوال سنة أربع و ثمانين و ستمائة، و رفعها إلى السلطان أمير المسلمين أبى يوسف بن عبد الحق، سماها ب «نظم السلوك»، فى الأنبياء و الخلفاء و الملوک» لم يقصر فيها عن إجادة.

و من شعره، قال مخبرا عن الأمير أبى مالک عبد الواحد ابن أمير المسلمين أبى يوسف:

دعانى يوما و السما قد ارتدت بالسحائب و الغيث يبكى بالدموع السواكب

كأنه عاشق صدّ عنه حبيبه ففاضت دموعه عليه و كثر نحيبه

و لم يرق له مدمع كأنه لم يبق له فيه مطمع

فكان الموعد حسرتة و البرق لو عته و زفرته

فقال لى: ما أحسن هذا اليوم لو كان فى غير شهر الصوم

فاقترح غاية الاقتراح على و قال: قل فيه شعرا بين يديّ

فأنشدته هذه الأبيات: [الكامل]

اليوم يوم نزهة و عقارو تقرب الآمال و الأوطار

أو ما ترى شمس النهار قد اختفت و تسترت عن أعين النظار

و الغيث سخّ غمامه فكأنه دنف بكى من شدة التذكار

و البرق لاح من السماء كأنه سيف تألق فى سماء غبار

لا شىء أحسن فيه من نيل المنى بمدامة تبدو كشعلة نار

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٢ لولا صيام عاقنى عن شربها خلعت فى هذا النهار عذارى

لو كان يمكن أن يعار أعرتة و أصوم شهرا فى مكان نهار

لكن تركت سروره و مدامه حتى أكون لديه ذا أفكار

و نديرها فى الكأس بين نواهد تجلو الهموم بنغمة الأوتار

فجفونها تغنيك عن أكواسها و خدودها تغنيك عن أزهار

فشكره لما سمعه غاية الشكر، و قال: أسكرتنا بشعرك من غير سكر. قال:

و أتيت بهذه الأبيات: [الكامل]

أعلمت بعدك زفرتى و أنينى و صبابتى يوم التوى و شجونى ؟

أودعت إذ ودّعت وجدا فى الحشاما إن تزال سهامه تصمينى

و رقيب شوقك حاضر مترقب إن رمت صبيرا بالأسى يغرينى

من بعد بعدك ما ركنت لراحة يوما و لا غاضت عليك شؤونى

قد كنت أبكى الدمع أبيض ناصعا فاليوم تبكى بالدماء جفونى

قل للذين قد ادّعوا فرط الهوى إن شتم علم الهوى فسلونى

إنى أخذت كثيره عن عروءة و رويت سائره عن المجنون

هذى روايتنا عن اشياخ الهوى فإن ادّعيتم غيرها فأرونى

يا ساكنى أكناف رملة عالج ظفرت بظيكم الغرير يمينى

كم بات فى جنح الظلام معانقى و مجنت فى صفر إلى مجنون

فى روضة نمّ النسيم بعرفها و كذاك عرف الزوض غير مصون

و الورق من فوق الغصون ترّمت فتريك بالألحان أى فنون

تصغى الغصون لما تقول فتننى طربا لها فاعجب لميل غصون

و الأرض قد ليست غلائل سندس قد كللت باللؤلؤ المكنون

تاقت على زهر السماء بزهرها و على البدور بوجهها الميمون

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٣

قال أبو فارس: و كان أمير المسلمين أبو يوسف سار إلى مدينة سلا، فبوع بها ولده أبو يعقوب، و ذلك فى اليوم الثانى عشر من شهر

ربيع الأول عام أحد و سبعين و ستمائة، يوم مولد النبي صلى الله عليه و سلم، فأنشده يوم بيعته هذه القصيدة و رفعتها إليه:
[الكامل]

يا ظبية الوعاء، قد برح الخفائي صبرت على غرامك ما كفى
كم قد عصيت على هواك عواذلي و أناب بالتباعد منك و بالجفا
حملتني ما لا أطيق من الهوى و سقيتني من غنج لحظك قرقفا
و كسوتني ثوب النحول فمنظري للناظرين عن البيان قد اختفى
هذا قتيلك فارحميه فإنه قد صار من فرط النحول على شفا
لهفي على زمن تقضى بالحمى و على محل بالأجير قد عفا
أ ترى يعود الشمّل كيف عهدته و يصير بعد فراقه متألقاً؟
لله درك يا سلا من بلدة من لم يعاين مثل حسنك ما اشتفا
قد حزت بزّا ثم بحرا طامياو بذاك زدت ملاحه و تزخرفا
فإذا رأيت بها القطائع خلتهاطيرا يحوم على الورود مرفرفا
و الجاذفين على الرّكيم كأنهم قوم قد اتخذوا إماما مسرفا
جعل الصلاة لهم ركوعا كلها و أتى ليشرع فى السجود مخففا
و الموج يأتي كالجبال عبابه فتظنه فوق المنازل مشرفا
حتى إذا ما الموج أبصر حده غضّ العنان عن السرى و توقفا
فكأنه جيش تعاضم كثرة قد جاء مزدحما يبايع يوسف
ملك به ترضى الخلافة و العلاو به تجدد فى الرئاسة ما عفا
من لم يزل يسيى الفوارس فى الوغى إن سلّ فى يوم الكريهة مرهفا
ألفت محبته القلوب لأنه ملك لنا بالجود أضحى متحفا
ألقي إليه الأمر والده الذى عن كل خطب فى الورى ما استنكفا
يعقوب الملك الهمام المجتبى الماجد الأوفى الرحيم الأرفا
يهواه من دون البنين كأنما يعقوب يعقوب و يوسف يوسف
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٤ طوبى لمن فى الناس قبل كفه و الويل منه لمن غدا متوقفا
أعطاك ربك و ارتضاك لخلقه فاقتل بسيفك من أبى و تخلفا
و امدد يمينك للوفود فكلهم لليوم عاد مؤملا متشوقا
فاليوم لا تخشى النعاج ذنابها و يعود من يسطو بها متعطفا
صلح الزمان فلا عدوّ يتقى لم يخش خلق فى علاك تخوفا
لم لا و عدلك للبرية شامل؟ طبعا و غيرك لا يزال تكلفا
يا من سررت بملكه و علائه اليوم أعلم أنّ دهري أنصفا
فإذا ملكت فكن و فيا حازما اعلم بأنّ الملك يصلح بالوفا
و أفض بذلك للوجود و كن لهم كهفا و كن ببيدهم مستعطفا
فالجود يصلح ما تعلم فى العلاو سواه يفسد فى الخلافة ما صفا

إن البرية في يدك زمامها فاحذر فديتك أن تكون معنفا
يا من تسربل بالمكارم و العلاما زال حاسدكم يزيد تأسفا
خذها إليك قصيدة من شاعرفى نظم فخرک كيف شاء تصرفا
خضع الكلام له فصار كعبده ما شاء يصنع ناظما و مؤلفا
لا زالت الأمجاد تخدم مجدكم ما زارت الحجاج مروة و الصفا
و من شعره فى رثاء الأمير أبى مالک: [الكامل]
سهم المتية أين منه فرار من فى البرية من رجاء يجار
حكم الزمان على الخلائق بالفنالفالدار لا يبقى بها ديار
عش ما تشاء فإن غايتك الردى يبلى الزمان و تذهب الأعمار
فاحذر مسالمة الزمان و أمنه إن الزمان بأهله غدار
و انظر إلى الأمراء قد سكنوا الثرى و عليهم كأس المنون تدار
تركوا القصور لغيرهم و ترحلوا من اللحد عليهم أستار
قد وسدوا بعد الحرير جنادلاو من اللحد عليهم أستار
منعوا القباب و أسكنوا بطن الثرى حكمت بذاك عليهم الأقدار
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٥ لم تنفع الجرد الجياد و لا القنايوم الردى و العسكر الجزار
فى موت عبد الواحد الملك الرضا لجمع أملاك الورى إنذار
أن ليس يبقى فى الملوک مملک إلا أته متية و بوار
ناديته و الحزن خامر مهجتي و القلب فيه لوعه و أوار
يا من بطن الأرض أصبح آفلا أتغيب فى بطن الثرى الأقمار؟
أين الذين عهدت صفو و دادهم هل فيهم بعد الردى لك جار؟
تركوك فى بطن الثرى و تشاغلوا بعلا سواك فهجرهم إنكار
لما وقفت بقبره مترحما حان العزاء و هاجنى استعبار
فبكيك دمعاً لو بكت بمثاله عز السحاب لم تكن أمطار
يا زائريه استغفروا لمليكم ملك الملوک فإنه غفار
وفاته: توفى خنقا بسجن فاس بسعاية سعيته به، جناها تهوره فى وسط عام سبعة و تسعين و ستمائة، و قد كان جعل له النظر فى أمور
الحسبة ببلاد المغرب.

و من العمال

عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز الأسدى العراقى

من أهل وادى آش، نزل سلفه طرش من أحوازاها، و جدّه استوطنها، و ذكروا أنه كان له بها سبعون غلاما. و جدّه للأمّ أبو الحسن بن
عمر، شارح الموطأ و مسلم، و مصنف غير ذلك. كذا نقلته عن أبى عبد الله العراقى، قريبه.
حاله: كان طبيبا، شاعرا مجيدا، حسن الخط، طريف العمل، مشاركاً فى معارف، تولى أعمالا نبيهة.

شعره: نقلته من خطّه ما نصّه: [الوافر]
 صرفت لخير صدر في الزمان عريق في أصالته عنان
 كريم المنتمى من خير بيت سليل مجادة و رفيع شان
 رحيب بان فضل غير وان عن الأفضال في هذا الأوان
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٦ و من هذا؟ أذاك هو ابن عيسى محمد المعان على المعان؟
 أبو عبد الإله المنتمى من مساوى الفضل في سرو العنان
 ذراني في مجادته مجتافهشّ لما به يحوى جناني
 فأنس ثم بشر بالأمانى و رفع بعد تأنيس مكاني
 و سرّ الله ما أولى ليرأى و ليس كمن رآنى فازدراني
 و يوجب ذو الفضائل كلّ فضل بما فيها ترشّحت الأوانى
 و كم زهر رآه وسط روض و كم هاذ يدى بين الدنان
 بمالقه و بالأفطار أضحّت معاليكم مشيدة المباني
 فأبدوا للإله لسوف يأتى لكم منى سوابق فى الزهان
 قواف كم من الحكم قواف محامد للسمع و للعيان
 يفوق نظيمها من كل معنى سلوك الدّر من حلى الحسان
 متى خفّ ازدحام من همومى و رجيت الأمانى مع أمان
 شكرت الله ثم صفا فؤادى و أملى ما تحبّ على لسانى
 فهأنذا ببرّكم غذائى ولى منكم على بعدى تدان
 محبّك حيث كنت بلا سلو و ضيفك فى البعاد و فى التّوان
 ثنائى ثابت يبقى بقائى و من بعدى على طول الزمان
 و ما تهبّ الأكفّ قراك فان و ما تهبّ الطّروس فغير فان
 هنيئا بالتّراهة فى سرور و مع من لا له فى الفضل ثان
 فلا زالت مسرّته توالى و لا زالت تزفّ لك التّهانى
 وفاته: يبلده وادى آش عام خمسة عشر و سبعمائة.
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٧

عبد القادر بن عبد الله ابن عبد الملك بن سوار المحاربى

حاله: هذا الرجل دمث الأخلاق، سكون، وقور. خدم أبوه بغرناطة كاتباً للغزاة، متّوها به، مشهوراً بكرم و ظرف. و انتقل إلى العدو، و نشأ ابنه المذكور بها، و ارتسم بخدمه ولى العهد الأمير أبى زيّان، و ورد على الأندلس فى وسط عام سبعة و خمسين و سبعمائة فى بعض خدمه، و أقام بغرناطة أياماً يحاضر محاضرة يتأّس به من أجلها الطالب، و ينتظم بها مع أولى الخصوصية من أهل طريقه، و ينقل حكايات مستطرفة؛ فمن ذلك أن الشيخ عبد الرحمن بن حسن القروى الفاسى كان مع أبى القاسم الزياني بجامع القرويين ليلة سبع و عشرين من رمضان، فدخل عليهم ابن عبدون المكناسى، فتلّقاها الزياني و تأيده، و توجهوا إلى الثّريا بالقرويين و قد أوقدت، و هى تحتوى على نحو ألف كاس من الزجاج، فأنشد الزياني: [السريع]

انظر إلى نارِيَّة نورها يصدع بالألاء حجب الغسق

فقال ابن عبدون: [السريع]

كأنها في شكلها زهرة انتظم النور بها فاتسق

و حكيت القصة للأديب الشهير أبي الحكم مالك بن المرَّحَل، فقال: لو حضرت أنا لقلت: [السريع]

أعيدها من شرٍّ ما يتقى من فجأة العين برَّب الفلق

و استشهد من شعره في الثامن و العشرين لربيع الآخر من العام بقصر نجد، فقال من حكايات: إن السلطان أمير المسلمين وجد يوماً على

رجل أمر بتكيله، ثم عطف عليه في الحال و أحسن إليه، و كان حاضراً مجلسه أبو الحسن المزدغى، رحمه الله، فأنشده بديهة:

[البسيط]

لا تونسك من عثمان سطوته و إن تطاير من أتوابه الشرر

فإن سطوته و الله يكلاه كالبرق و الرعد يأتي بعده المطر

قال المترجم به: فحدثني بذلك والدي، فتعقبته عليه عام تسعة و عشرين و سبعمائة، لموجب جرّ ذلك بقولي: [البسيط]

لا تياسن من رجا كهف الملوک أبا سعيد المرتجى للنفع و الضرر

الإحاطة في أخبار غرناطة/ ج ٤/ م ٢

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٨ و إن بدا منه سخط أو رأيت له من سطوة أقبلت ترميك بالشرر

فإنما شيء مثل الرعد يتبعه برق و من بعده ينهل المطر

و أنشدني لبعض الأحداث من طلبه فاس، يخاطب صاحبنا الفقيه الكاتب أبا عبد الله بن جزى، و قد توعده على مطل باستنساخ كتاب

كان يتناول له، و هو بديع:

[الطويل]

إذا ما أتت أبطال قيس و عامرو أقيال عبس من بغام و قسور

تصادمنى وسط الفلا لا تهولنى فكيف أبالى بابين جزء مصغر؟

مولده: بفاس فى العشر الأول لذى حجة عام تسعة و سبعمائة.

و من الزهاد و الصلحاء و أول الأصيلين

عبد الأعلى بن معل

يكنى أبا المعلى الإلبيرى، من قرى القلعة، و نشأ بالحاضرة. و كان ينسب إلى خولان. و يذكر أنه أسلم على يدى رجل من خولان،

فتولاه و انتسب إليه، و خرج إلى البيرة، و نشأ بها، و شغف بكتب عبد الملك بن حبيب، و لم يكن أحد فى عصره يشبهه فى فضله و

زهده و ورعه، و تواضعه و انقباضه، و تستره؛ أرسل إليه حسين بن عبد العزيز، أخو هاشم بن عبد العزيز، و هو بالبيرة يرغب إليه فى

أن يشهد جنازة ابنه توفيت له، كان يشغف بها، فتعدّر عليه إذ خشى الشهرة. و قال لبعض جلسائه: ما علمت أن حسيناً يعرفنى، و عمل

على الخروج من البيرة، و تهيأ للخروج للحج، فحج، فلما كان منصرفه و نزل فى بعض السواحل، وجد هنالك مركبين يشحنان، فرغب

كل من أصحاب المركبين أن يركب عنده، و تنافسا فى ذلك، حتى خشى أن تقع الفتنة بينهم، فاهتم لذلك، ثم اصطلح أرباب

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٩

المركبين على أن يخرج كل واحد منهما قاربه إلى البر، فمن سبق قاربه إليه دخل عنده. و نزل فى منصرفه ببجانة و سكنها إلى أن

توفي سنة ثلاث و تسعين و مائتين.

عبد المنعم بن علي بن عبد المنعم بن إبراهيم ابن سدرای بن طفيل

يكنى أبا العرب، و يشهر بالحاج، و يدعى بكنيته.

حاله: كان عالما فاضلا صالحا، منقطعا متبتلا، بارع الخط، مجتهدا في العبادة، صاحب مكاشفات و كرامات. نبذ الدنيا وراء ظهره، و لم يتلبس منها بشيء، و لا- اكتسب مالا- و لا- زوجة، و ورث عن أبيه مالا- خرج عن جميعه، و قطع زمن فتائه في السّياحة و خدمة الصالحين، و زمان شيخوخته في العزلة و المراقبة و التزام الخلوة. و رحل إلى الحج، و قرأ بالمشرق، و خدم مشايخ من الصالحين، منهم الفخر الفارسي، و أبو عبد الله القرطبي و غيرهما، و كان كثير الإقامة بالعدوة، و فشا أمره عند ملوكها، فكانوا يزورونه، و يتبركون به، فيعرض عنهم، و هو أعظم الأسباب في جواز أهل المغرب لنصرة من بالأندلس في أول الدولة النّصيرية، إذ كان الزّوم قد طمعوا في استخلاصها، فكان يحرض على ذلك، حتى عزم صاحب العدو على الجواز، و أخذ في الحركة بعد استدعاء سلطان الأندلس إياه، و عندما تعرّف يغمور بن زيّان، ملك تلمسان، ذلك كله على بلاده بما منع من الحركة، فخاطبه الحاج أبو العرب مخاطبته المشهورة التي كفت عدوانه، و اقتصرته عما ذهب إليه.

و كان حيّا في صفر عام ثلاثة و ستين و ستمائة، و هو تاريخ مخاطبته أبا يحيى يغمور بن زيّان.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٠

و من الطارئين و غيرهم

عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن فتح ابن سبعين العكي

إشارة

مرسى، رقوطى الأصل، سكن بآخرة مكّة، يكنى أبا محمد، و يعرف بابن سبعين.

حاله: قال ابن عبد الملك: درس العريبيّ و الأدب بالأندلس، عند جماعة من شيوخها. ثم انتقل إلى سبتة، و انتحل التصوف، بإشارة بعض أصحابه، و عكف برهه على مطالعة كتبه، و تعرّض بعد لإسماعها، و التكلّم على بعض معانيها، فمالت إليه العامة، و غشيت محلّه. ثم فصل عن سبتة، و تجوّل في بلاد المغرب منقطعا إلى طريقة التصوف، داعيا إليها، محرّضا عليها. ثم رحل إلى المشرق، و حجّ حججا، و شاع ذكره، و عظم صيته هنالك، و كثر أتباعه على مذهبه الذي يدعو إليه من التصوف نحلّه، ارتسموا بها من غير تحصيل لها، و صنّف في ذلك أوضاعا كثيرة، تلقّوها منه، و تقلّدوها عنه، و بثّوها في البلاد شرقا و غربا، و لا يخلو أحد منها بطايل، و هي إلى وساوس المخبولين، و هذيان الممروضين أقرب منها إلى منازع أهل العلم، و لفظه غير ما بلد و صقع، لما كان يرمى به من بلايا الله أعلم بحقيقتها، و هو المطلع على سريرته فيها. و كان حسن الأخلاق، صبورا على الأذى، آية في الإيثار، أبدع الناس خطّا.

و قال أبو العباس الغبريني في كتاب «عنوان الدرّاية» عند ذكره: و له علم و حكمه و معرفة، و نباهة و بلاغة و فصاحة. و رحل إلى العدو، و سكن بجاية مدة، و لقيه من أصحابنا ناس كثير، و أخذوا عنه، و انتفعوا به في فنون خاصة له، مشاركة في معقول العلوم و منقولها، و وجاهة لسان، و طلاقة قلم، و فهم جنان،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢١

و هو آخر الفضلاء، و له أتباع كثيرة من الفقهاء، و من عامّة الناس، و له موضوعات كثيرة، موجودة بأيدي الناس، و له فيها ألغاز و

إشارات بحروف أبجد . و له تسميات مخصوصات في كتبه، هي نوع من الرموز. و له تسميات ظاهرة كالأسمى المعهودة، و له شعر في التحقيق، و في مراقى أهل الطريق، و كتابته مستحسنه في طريقة الأدباء. و له من الفضل و المزية ملازمته لبيت الله الحرام، و التزامه الاعتمار على الدوام، و حجته مع الحجاج في كل عام، و هذه مزية لا يعرف قدرها و لا يرام. و لقد مشى به للمغاربة بحظ في الحرم الشريف، لم يكن لهم في غير مدته.

و كان أصحاب مكة، شرفها الله، يهتدون بأفعاله، و يعتمدون على مقاله.

قلت : و أغراض الناس في هذا الرجل متباينة، بعيدة عن الاعتدال، فمنهم الموهن المكفر، و منهم المقلد المعظم، و حصل لطرفي هذين الاعتقادين من الشهرة و الذّياح ما لم يقع لغيره. و الذى يقرب من الحق، أنه كان من أبناء الأصالة ببلده، و ولى أبوه خطه المدينة، و بيته نبيه، و نشأ ترفا مبدجلاً، في ظل جاه، و عزّ نعمة، لم تفارق معها نفسه البلد. ثم قرأ و شدا، و نظر في العلوم العقلية، و أخذ التحقيق عن أبى إسحاق بن دهاق، و برع في طريقة الشّوذية، و تجرّد و اشتهر، و عظم أتباعه، و كان و سيما جميلاً، ملوكى البرّة، عزيز النفس، قليل التصنع، يتولّى خدمته الكثير من الفقراء السّفارة، أولى العبا و الدقايس، و يحفون به فى الشكك، فلا يعدم ناقدا، و لا يفقد متحاملاً. و لما توفرت دواعى النقد عليه من الفقهاء زياً و ابتاذاً و نحلة و صحبة و اصطلاحاً، كثر عليه التأويل، و وجهت لألفاظه المعارض، و فليت موضوعاته، و تعاورته الوحشة، و لقيه فحول من متابى تلك النحلة، قصر أكثرهم عن مداه فى الإدراك و الاضطلاع، و الخوض فى بحار تلك الأغراض. و ساءت منه لهم فى الملاطفة السيرة، فانصرفوا عنه مكظومين يندرون فى الآفاق عليه من سوء القيلة، ما لا شىء فوقه. و رحل إلى المشرق، و جرت بينه و بين الكثير من أعلامه خطوب. ثم نزل مكة، شرفها الله تعالى، و اختارها قراراً، و تلمذ له أميرها، فبلغ من

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٢

التعظيم الغاية. و عاقه الخوف من أمير المدينة المعظمة النبوية، عن القدوم عليها، إلى أن توفى، فعظم عليه الحمل لأجل ذلك، و قبحت الأحداث.

شهرته و محلّه من الإدراك:

أما اضطلاع، فمن وقف على «البد» من كتبه، رأى سعته ذرعه و انفساح مدى نظره، لما اضطلع به من الآراء و الأوضاع و الأسماء، و الوقوف على الأقوال، و التعمق فى الفلسفة، و القيام على مذاهب المتكلمين، بما يقضى منه العجب .

و لما وردت على سبته المسائل الصّقلية، و كانت جملة من المسائل الحكيمية، و جهها علماء الروم تبيكيتا للمسلمين، انتدب إلى الجواب عنها، على فتى من سنّه، و بديهته من فكرته. و حدّثنى شيخنا أبو البركات ، قال : حدّثنى أشياخنا من أهل المشرق، أن الأمير أبا عبد الله بن هود، سالم طاغية النصارى، فنكث عهده ، و لم يف بشرطه، فاضطرّه ذلك إلى مخاطبته إلى القومس الأعظم برومة، فوكل أبا طالب بن سبعين، أخا أبى محمد ، المتكلم عنه، و الاستظهار بالعقود بين يديه. قال: فلما بلغ باب ذلك الشخص المذكور برومة، و هو بلد لا- تصل إليه المسلمون، و نظر إلى ما بيده، و سئل عن نفسه، كلم ذلك القسّ من دنا منه محلّه من علمائهم بكلام، ترجم لأبى طالب بما معناه: اعلموا أنّ أخا هذا ليس للمسلمين اليوم أعلم بالله منه.

دعواه و إزراؤه:

و قد شهر عنه فى هذا الباب كثير، و الله أعلم باستحقاقه رتبة ما ادعاه أو غير ذلك. فقد ذكروا أنه قال: و قد مرّ ذكر الشيخ أبى مدين

رحمه الله: «شعيب عبد عمل، ونحن عبيد حضرة». وقال لأبي الحسن الششتري عندما لقيه، وقد سأله عن وجهته، وأخبره بقصده الشيخ أبا أحمد، إن كنت تريد الجنة فشأنك ومن قصدت، وإن كنت تريد ربّ الجنة فهلم إلينا. وفي كتاب «البدء» ما يتشوف إليه من

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٣

هذا الغرض عند ذكره حكماء الملة. وأما ما ينسب إليه من آثار السيمياء والتصريف فكثير.

توالمفه: و توالمفه كثيرة تشدّد عن الإحصاء، منها كتابه المسمى بالبدء «بدّ العارف»، و كتاب الدرّج، و كتاب الصفر، و الأجوبة اليمينية، و الكلّ و الإحاطة. و أما رسائله في الأذكار، كالنورية في ترتيب السلوك، و في الوصايا و العقايد فكثير، يشتمل على ما يشهد بتعظيم النبوة، و إثارة الورع، كقوله من رسالة: «سلام الله عليك و رحمته. سلام الله عليك ثم سلام مناجاتك. سلام الله و رحمته الممتدة على عوالمك كلها، السلام عليك أيها النبي و رحمة الله و بركاته، و صلى الله عليك كصلاة إبراهيم من حيث شريعتك، و كصلاة أعز ملائكته من حيث حقيقتك، و كصلاتته من حيث حقه و رحمانيته. السلام عليك يا حبيبه. السلام عليك يا قياس الكمال، و مقدّمه السعد، و نتيجة الحمد، و برهان المحمود، و من إذا نظر الذهن إليه قد أنعم العيد، السلام عليك يا من هو الشرط في كمال الأولياء، و أسرار مشروطات الأزكياء الأتقياء. السلام عليك يا من جاوز في السماء مقام الرسل و الأنبياء، و زاد رفعه، و استولى على ذوات الملأ الأعلى، و لم يسعه في وجهته تلك إلا ملاحظة الرفيق الأعلى، و ذلك قوله: سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) إلى الأخرى و الأولى، لا- إلى الآخرة و الأولى، و بلغ الغاية و المطلوب، التي عجزت عنه قوة ماهية التهي، و زاد بعد ذلك حتى نظر تحته من ينظر دونه سدره المنتهى، إلى استغراق كثير، أفضى إلى حال من مقام».

و من وصاياه يخاطب تلاميذه و أتباعه: حفظكم الله، حافظوا على الصلوات، و جاهدوا النفس في اجتناب الشهوات، و كونوا أوّابين، توّابين، و استعينوا على الخيرات بمكارم الأخلاق، و اعملوا على نيل الدرجات السنية، و لا- تغفلوا عن الأعمال السنية، و حصّلوا مخصص الأعمال الإلهية و مهممها، و ذوقوا مفضل الذات الروحانية و محلها، و لازموا المودة في الله بينكم، و عليكم بالاستقامة على الطريقة، و قدموا فرض الشريعة على الحقيقة، و لا تفرقوا بينهما؛ لأنهما من الأسماء المترادفة،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٤

و اكفروا بالحقيقة التي في زمانكم هذا، و قولوا عليها و على أهلها لعنة الله؛ لأنها حقيقة كما سمى اللديغ سليما، و أهلها مهملون حدّ الحلال و الحرام، مستخفون بشهر الصوم و الحج و عاشوراء و الإحرام، قاتلهم الله أتى يؤفكون.

و منها: و اعلموا أن القريب إلى منكم، من لا يخالف سنة أهل السنة و يوافق طاعة رب العزة و المنة، و يؤمن بالحشر و النار و الجنة، و يفضل الرؤية على كل نعمة، و يعلم أن الرضوان بعدها، أجل كل رحمة، ثم يطلب الذات بعد الأدب مع الصفات و الأفعال، و يرغب نفسه بالمشاهدة في النوم و البرزخ و الأحوال، و كل مخالف سخيّف، متهم منه الفساد، و إن كان من إخوانكم، فاهجروه في الله، و لا تلتفتوا إليه، و لا تسلّموا له في شيء، و لا تسلّموا عليه حتى يستغفر الله العظيم بمحض الكل منهم، و يرضى عن نفسه و حاله و عنكم، و يخرج من صفاته المذمومة، و يترك نظام دعوته المحرومة. و أنا مذ أشهدت الله العظيم، أتى قد خرجت من كل مخالف متخلف العقل و اللسان، و لا نسبة بيتي و بيته في الدنيا و الآخرة، فمن زلّ قدمه يستغفر الله، و لا يخدعه قدمه، و أمثال هذا كثير.

دخوله غرناطة: أخبرني غير واحد من أصحابنا المعتمنين بهذا، أنه دخل غرناطة في رحلته، و أظنه يجتاز إلى سبته، و أنه حلّ وسطه، على اصطلاح الفقهاء، برابطة العقاب من خارجها، في جملة من أتباعه.

شعره: و شعره كثير، مما حضرني منه الآن قوله: [البسيط]

كم ذا تمّوه بالشعيين و العلم و الأمر أوضح من نار على علم
و كم تعبّر على سلع و كاظمة و عن زرود و جيران بنى سلم

ظلت تسأل عن نجد و أنت بهاو عن تهامة، هذا فعل متهم
في الحى حى سوى ليلى فتسأله عنها! سؤالك وهم جز للعدم

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٥

وفاته: توفى بمكة، شرفها الله تعالى، يوم الخميس التاسع لشوال من عام تسعة و ستين و ستمائة .

و فيما يسمى بإحدى عيون الإسلام من الأسماء العينية و هم عتيق و عمر و عثمان و على، و أولا الأمراء و الملوك و هم ما بين طارئ و أصلى و غريب

عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر الإسلامى ابن كسمسم بن دميان بن فرغوش بن أذفونش

إشارة

كبير الثوار، و عظيم المنتزين، و منازع الخلفاء بالأندلس.

أوليته و حاله: قال صاحب التاريخ: أصله من رندة، من كورة تاكرتا، و جدّه جعفر إسلامى، و انتقل إلى رندة؛ لأمر دار عليه بها فى أيام الحكم بن هشام، فسكن قرية طرجيلة من كورة ريّه المجاورة لحصن أوطه، فاستوطن بها، و أنسل بها عمر، ثم أنسل بها عمر حفصا، و فخّم فقيل حفصون. ثم أنسل عمر هذا الثائر مع أخوة له، منهم أيوب و جعفر. و لما ترعرع عمر، ظهر له من شراسته و عتوه ما لم يعدم معه أبواه هربا عن مواضعهما، فزالا عن وطنهما، فذكر أنه لم يمسك من حين كان عن أحد ممن ناظره، و لا سكت عن أقبح ما يمكن من السب لمن عاتبه، و أنه قتل أحد جيرانه على سبب يسير دافعه عنه، فتغزّب لذلك عن الموضوع زمانا. و ذكر ابن القوطية أن عامل ريّه عاقبه فى جنابة و فرّ إلى العدو، و صار يتهرّب عند خياط كان من أهل ريّه، فبينما هو جالس فى حانوته يوما إذ أتاه شخص

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٦

ثوب يقطعه، فقام إليه الخياط، فسأل ذلك الشخص الخياط عن عمر، فقال له:

هو رجل من جيرانى، فقال الشيخ: متى عهدك بريّه؟ فقال له: منذ أربعين يوما، فقال له: أتعرف جبلا يقال له بيشر؟ فقال: أنا ساكن عند أهله، فقال: أله حركة؟ قال: لا. قال الشيخ: قد أذن ذلك، ثم قال: تعرف فيما يجاوره رجلا يقال له عمر بن حفصون؟ ففزع من قوله، فأحدّ الشيخ النظر فيه و قال: يا منحوس، تحارب الفقر بالإبرة، ارجع إلى بلدك، فأنت صاحب بنى أمية، و ستملك ملكا عظيما، فقام من فورهم، و أخذ خبزة فى كمّه، و رجع إلى الأندلس، فداخل الرجال، حتى ضبط الجبل المذكور، و انضوى إليه كل من يتوقع التهمة على نفسه، أو تشهره إلى الانتزاع بطبعه، و ضمّ إلى القلعة كل من كان حولها من العجم و المولدين. ثم تملك حصن أوطه و ميجش، ثم تملك قمارش و أرجدونه. ثم اتسع نظره حتى تملك كورة ريّه، و الخضراء، و إلبيرة، إلى بسطة، و أبدة، و بياسة، و قبرة، إلى حصن بلى المطل على قرطبة، و أشرق الخلافة بريقها، و قطع الزمان من استكانة إلى عهد، و كشف الوجه فى ختر، و تشمير الساعد عن حرب، و حسر اللثام عن أيد و بسطة، و شدّ الحزام على جهد و صبر، و نازله الخلائف و القواد، فلم يحل بطائل، و أصابته جراحات متخنة فى الوقائع و أصبحت فنتته سمر الزكاب، و حديث الرفاق، شدة أسر، و ثقل و طأة، و سعة ذرع، و اتّصال جبل، و طول إملاء، استغرق بها السنين، و طوى الأعمار، و أورث ذلك ولده بعده. و عند الله جزاء و حساب، و إن امتدّ المآب، لا إله إلا هو.

دخوله غرناطة و إلبيرة:

قال ابن الفتياض وغيره: ودخل البيرة مرات، عندما ثار بدعوته قاتل، وانضوى إلى حصن منتشافر، من إقليم برجيلة قيس، في نحو ستة آلاف، وتغلب على يحيى بن صقاله، ثم نازله سوار بن حمدون، أمير العرب بغرناطة، حتى غلبه وأخذه أسيرا. ثم أوقع بجعد و من معه من أهل البيرة وقائع مستأصلة، وتملك بعدها

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٧

بياسة وأيدته في أخبار طول. قال أبو مروان: قصد ابن حفصون حاضرة البيرة و حصونها، و ناصب الحرب سوارا، و قد استمد سوار رجالات العرب من كورتى جيان و ريه و البيرة، فوعدت الهزيمة على ابن حفصون، و جرح جراحتات مثخنة، و أصيب جماعة من فرسانه، و انقلب منهزما، فغضب عند ذلك على أهل البيرة فأغرمهم مغرما فدهمهم، و استعمل عليهم حفص بن المرّة، فلم يزل يعمل الحيل على سوار حتى أوقع به، و أتى بجثته إلى البيرة، و حمل رأسه إلى ببشتر، و استشرى داؤه، و أعيا أمره، فاتصل ملكه بالقواعد و الأقطار، و غلب أكثر المدن ما بين الموسطة و الغرب، و أحرق ملكه بقرطبة، و حجر عليها الخيل من حصن بلي من حصون قبرة، فجلت الكنباية، و امتد إلى بنيان المعقل. و لمّا رأى الأمير محمد ما أحاط به منه، تأهب إلى غزوه، و نزل حصن بلي، و ناهضه، فأوقع به، و هزمه و ألجأه إلى أن سلّم في حصنه. فلما خرج منه بمن معه، تطيرهم ريح الفرار و السيوف تأخذهم، استولى الخليفة على الحصن. و في ذلك يقول أحمد بن عبد ربه، شاعر دولتهم: [الرملة]

و له يوم بلي وقع لم تدع للكفر رأسا في ثبج

لم يجد إبليس في حومتهانفعا من رهبة حيث بلج

دفعتهم حملة السيل إلى كافح الأمواج مخض للجبج

فتح الله على الدين به و على الإسلام يا عامر تنج

و كان هذا الفتح سنة سبع و سبعين و مائتين . ثم استخلص مدينة إستجة.

وفاته: قال: و من هذا العهد أدبر أمر ابن حفصون، و توقّف ظهوره، بعد تخبط شديد، و لجاج كبير، و شرّ مبير، و كانت وفاته ببشتر، موضع انتزائه على عهد

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٨

الخليفة عبد الرحمن في سنة ست و ثلاثمائة، بعد مرض شمل النّفخ به جسده، حتى تشقّق جلده، و انتقل أمره إلى ولده جعفر، ثم إلى ولده سليمان، ثم إلى ولده حفص. و على حفص انقرض أمرهم.

عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة التجيبي

بطليوسى، مكناسى الأصل، من مكناسة الجوف، الأمير بالثغر الغربى، الملقب من ألقاب السلطنة بالمتوكل على الله، المكنى بأبى محمد، المنيز بابن الأفطس.

أوليته: قال ابن حيان: كان جدّهم عبد الله بن مسلمة، المعروف بابن الأفطس، أصله من فحص البلوط، من قوم لا يدعون نباهه، غير أنه كان من أهل المعرفة التامة، و العقل، و الدهاء، و السياسة. ثم كان بهذا الصّقع الغربى، بطليوس و أعمالها، و شنترين و الأشبونة، و جميع الثغر الجوفى فى أمر الجماعة، رجل من عبید الحكم المستنصر، يسمى سابور، فلما وقعت الفتنة، و انشقت العصا، انتزى سابور على ما كان بيده. و كان عبد الله يدبّر أمره إلى أن هلك سابور، و ترك ولدين لم يبلغا الحلم، فاشتمل عبد الله على الأمر، و استأثر به على ولديه، فحصل على ملك غرب الأندلس، و استقام أمره، إلى أن مضى بسيله، و أعقبه ابنه المظفر محمد بن عبد الله، و كان ملكا شهيرا عالما شجاعا أديبا، و هو مؤلف الكتاب الكبير المسّمى بالمظفرى، فاستقامت أموره إلى أن توفى، فقام بأمره ولده عمر

هذا المترجم به.

حاله: قال ابن عبد الملك: كان أديبا بارع الخط، حافظا للغة، جوادا، راعيا حقوق بلده، مواخيا لهم، محببا فيهم، مرت لهم معه أيام هدنة و تفضل إلى حين القبض عليه.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٩

وقال الفتح في قلائده: ملك جند الكتائب و الجنود، و عقد الألوية و البنود، و أمر الأيام فائتمت، و طافت بكعبته الآمال و اعتمرت، إلى لسن و فصاحة، و رحب جناب اللوافدين و ساحة، و نظم يزرى بالدّرّ النظيم، و نثر تسرى رفته سرى النسيم، و أيام كأنها من حسنها جمع، و ليال كان فيها على الأانس حضور و مجتمع، رقت إشراقا و تبلجا، و سالت مكارمه فيها أنهارا و خلجا، إلى أن عادت الأيام عليه بمعهود العدوان، و دبت إليه ديبها لصاحب الإيوان، و انبرت إليه انبراءها لابن زهير وراء عمان.

شعره: بلغه أنه ذكر في مجلس المنصور يحيى أخيه بسوء، فكتب إليه بما نصّه: [الطويل]

فما بالهم لا أنعم الله بالهم ينيطون بي ذمّا و قد علموا فضلى

يسيتون لى فى القول جهلا و ضلّو و إنى لأرجو أن يسوءهم فعلى

لئن كان حقّا ما أذاعوا فلا مشت إلى غاية العلياء من بعدها رجلى

و لم ألق أضيافى بوجه طلاقه و لم أمنح العافين فى زمن المحل

و كيف و راحى درس كلّ غريبة و ورد التقى شمى و حرب العدا نقلى؟

ولى خلق فى السخط كالشرى طعمه و عند الرضى أحلى جنى من جنى النحل

فيا أيها الساقى أخاه على التوى كؤوس القلى مهلا رويدك بالعلّ

لنظفى نارا أضرمت فى صدورنا فمثلى لا يقلى و مثلك لا يقلى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٠ و قد كنت تشكىنى إذا جئت شاكيا فقل لى: لمن أشكو صنيعك بى؟ قل لى

فبادر إلى الأولى و إلّا فإننى سأشكوك يوم الحشر للحكم العدل

و كتب جوابا لأبى محمد بن عبدون مع مركوب عن أبيات ثبتت فى القلائد:

[المتقارب]

بعثت إليك جناحا فطر على خفيه من عيون البشر

على ذلل من نتاج البروق و فى ظلل من نسيج الشجر

فحسبى ممّن نأى من دنافمن غاب كان كمن قد حضر

قال الفتح: أخبرنى الوزير أبو أيوب بن أمية أنه مرّ فى بعض أيامه بروض مفتر المباسم، معطر الرياح النواسم، فارتاح إلى الكون به

بقيّة نهاره، و التّنعّم بينفسجه و بهاره، فلما حصل من أنسه فى وسط المدى، عمد إلى ورقة كرنب قد بلّ لها الندى، و كتب فيها بطرف

غصن، يستدعى الوزير أبا طالب بن غانم أحد ندمائه، و نجوم سمائه: [مخلع البسيط]

أقبل أبا طالب إلينا و اسقط سقوط الندى علينا

فنحن عقد بغير وسطى ما لم تكن حاضرا لدينا

نثره: و هو أشفّ من شعره، و إنّه لطبقه تتقاصر عنها أفاذ الكتاب، و نهاية من نهاية الآداب. قال: كان ليلة مع خواصّه للأنس معاطيا،

و لمجلس كالشمس الإحاطة فى أخبار غرناطة؛ ج ٤؛ ص ٣٠

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣١

واطيا، قد تفرغ للسيورور، و تفرغ عيشا كالأمل المزورور، و المنى قد أفصحت ورقها، و أومض برقها، و السّيعد تطلع مخايله، و الملك

يبدو زهوه و تخايله، إذ ورد عليه كتاب بدخول أشبونة في طاعته، و انتظامها في سلك جماعته، فزاد في مسرته، و بسط من أسرته و أقبل على خدامه، و أسبل نداءه على جلسائه و ندامه، فقال له ابن خيرة، و كان يدل بالشباب، و ينزل منه منزلة الأحاب: لمن توليها، و من يكون و اليها؟ فقال له: أنت، فقال: فاكتب الآن بذلك، فاستدعى الدواة و الرق، و كتب و ما جف له قلم، و لا توقف له كلم: لم يسوغ أولياء النعم مثل الذي سوغتموه من التزام الطاعة، و الدخول في نهج الجماعة، و ذلك لا آلوكم، و نفسى فيكم، نصحا فيمن أتخيره للنيابة عنى فى تدبيركم، و القيام بالدقيق و الجليل من أموركم، و قد وليت عليكم من لم أوتر و الله فيه دواعى التقريب، على بواعث التجريب، و لا فوات التخصيص، على لوازم التميميص، و هو الوزير القائد أبو عبد الله بن خيرة، ابنى دربه، و بعضى صحبه، و نشأتى سكة و قرية، و قد رسمت له من وجوه الدب و الحماية، و معالم الرفق و الرعاية، ما التزم الاستيفاء بعهد، و الوقوف بجده عند حده، و المسؤول فى عونته من لا عون إلا من عنده، و لن أعرفكم من حميد خصاله، و سديد فعالة إلا بما سيبدو للعيان، و يزكو مع الامتحان، و يفشو من قبلكم إن شاء الله على كل لسان. و قد حدت له أن يكون لناشئكم أبا و لكهلكم أبا و لذى النفوس و الكبرة ابنا ما أعتتموه على هذا المراد، و لزوم الجواد، و ركوب الانقياد. و أما من شق العصا، و بان عن الطاعة و عصى، و ظهر منه المراد و الهوى، فهو القصى منه، و إن مت إليه بالرحم الدنيا، فكونوا خير رعيتة بالسمع و الطاعة فى جميع الأحوال، يكن لكم بالبر و الموالاة خير وال، إن شاء الله عز و جل.

وصوله إلى غرناطة: وصلها صحبة حليفه ابن عباد، لما قبض يوسف بن تاشفين على صاحبها و نزل بالمشيخة من خارجها فى رجب من عام ثلاثئة و ثمانين

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٢

و أربعمائه و رابهما الأمر، كما تقدم فى ذكر المعتمد بن عباد، فتعجلا الرجوع إلى وطنهما بحيلة دبراها.

نكته و وفاته: و لما اشتد خوفه من أمير لمتونة، و رأى أنه أسوء ابن عباد فى الخلع عن ملكه، و ضيقت الخيل على أطرافه و انتزعتها داخل طاغية الروم، و ملكه من مدينة الأشبونة رغبة فى دفاعه عنه، فاستوحشت لذلك رعيتة، و راسلت اللمتونيين، و اقتحمت عليه مدينة بطليوس، و اعتصم بالقصبة، و خانة المحاربة، فدخلت عليه عنوة، و تقبض عليه و على بنيه و عبيده، و تحصوا لموا فى ثقاف قائد الجيش اللمتونى.

و بادر إعلام الأمير سير بن أبى بكر، فلحق بها. و استخرج ما كان عند المتوكل من المال و الذخيرة، و أزعجه إلى إشبيلية مع ابنين له، فلمّا تجاوز و بعد عن حضرته، أنزل و قيل له: تأهب للموت، فسأل أن يقدم ابناه يحتسبهما عند الله، فكان ذلك، و قتل صبرا بين يديه، ثم ضرب عنقه، و ذلك صدر سنة سبع و ثمانين و أربعمائه، و انقرضت دولة بنى الألفس.

و ممن رثاهم، فبلغ الأمد و فاء و شهرة و إجادة، أبو محمد عبد المجيد بن عبدون بقصيدته الفريدة: [البسيط]

الدهر يفجع بعد العين بالأثر فما البكاء على الأشباح و الصور؟

أنهاك أنهاك لا آلوك موعظة عن نومة بين ناب الليث و الظفر

فالدهر حرب و إن أبدى مسالمه و البيض و السمر مثل البيض و السمر

و لا هواده بين الرأس تأخذه يد الضراب و بين الصارم الذكر

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٣ فلا تغرنك من دنياك نومتها فما صناعة عينها سوى السهر

ما لليالى، أقال الله عشرتنا من الليالى و خانتها يد الغير

فى كل حين لها فى كل جارحة منّا جراح و إن زاغت عن البصر

تسرّ بالشىء لكن كى تغرّ به كالأيم ثار إلى الجانى من الزهر

كم دولة وليت بالنصر خدمتهالم تبق منها و سل ذكراك من خبر

هوت بدارا و قُلت غرب قاتله و كان عضبا على الأملاك ذا أثر
و استرجعت من بنى ساسان ما وهبت و لم تدع لبنى يونان من أثر
و أتبعته أختها طسما و عاد على عاد و جرحهم منها ناقض المرر
و ما أقالت ذوى الهيئات من يمن و لا أجارت ذوى الغايات من مضر
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٤ و مؤقت سبأ في كل قاصية فما التقى رائح منهم بمبتكر
و أنفذت في كليب حكمها و رمت مهلهلا بين سمع الأرض و البصر
و لم ترد على الضليل صحته و لا ثنت أسدا عن ربها حجر
و دؤخت آل ذبيان و إخوانهم عبسا و عَضت بنى بدر على النهر
و ألحقت بعدى بالعراق على يد ابنه أحمر العينين و الشعر
و أهلكت أبرويزا بابنه و رمت بيزد جرد إلى مرو فلم يحر
و أشرفت بخبيب فوق فارعه و ألصقت طلحة الفياض بالعفر
و مؤقت جعفر بالبيض و اختلست من غيلة حمزة الظلام للجزر
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٥ و بلغت يزدرجرد الصين و اختزلت عنه سوى الفرس جمع الترك و الخزر
و لم ترد مواضى رستم و قنادى حاجب عنه سعدا فى ابنة الغير
و خضبت شيب عثمان دما و خطت إلى الزبير و لم تستحي من عمر
و ما رعت لأبى اليقظان صحبته و لم تزوده إلا الصيخ فى الغمر
و أجزرت سيف أشقاها أبا حسن و أمكنت من حسين راحتى شمر
و ليها إذ فدت عمرا بخارجة فدت عليا بمن شاءت من البشر
و فى ابن هند و فى ابن المصطفى حسن أتت بمعضلة الألباب و الفكر
فبعضنا قائل: ما اغتاله أحدو بعضنا ساكت لم يؤت من حصر
و عممت بالزردى فودى أبى أنس و لم ترد الزدى عنه قنا زفر
و أردت ابن زياد بالحسين فلم يبؤ بشسع له قد طاح أو ظفر
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٦ و أنزلت مصعبا من رأس شاهقة كانت بها مهجة المختار فى وزر
و لم تراقب مكان ابن الزبير و لاراعت عيادته بالبيت و الحجر
و لم تدع لأبى الذبان قاضيه ليس اللطيم لها عمرو بمنتصر
و أظفرت بالوليد بن يزيد و لم تبق الخلافة بين الكأس و الوتر
حبابه حب رمان ألم بها و أحمر قطرته نفحة القطر
و لم تعد قضب السفاح نايئة على رأس مروان أو أشياعه الفجر
و أسبلت دمعته الروح الأمين على دم يثج لآل المصطفى هدر
و أشرفت جعفر و الفضل ينظره و الشيخ يحيى بريق الصارم الذكر
و أخفرت فى الأمين العهد و انتدبت لجعفر بابنه و الأعبد الغدر
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٧ و روعت كل مأمون و مؤتمن و أسلمت كل منصور و منتصر
و أعرث آل عباس لعا لهم بذيل زباء من بيض و من سمر

و لا وقت بعهود المستعين و لا بما تأكد للمعتز من مرر
و أوثقت في عراها كل معتمدو أشرفت بقذاها كل مقتدر
بنى المظفر و الأيام ما برحت مراحل و الورى منها على سفر
سحقا ليومكم يوما و ما حملت بمثله ليلة في سالف العمر
من للأسرة أو من للأعنة أو من للأسنة يهديها إلى الثغر
من للبراعة أو من للبراعة أو من للسماحة أو للنفع و الضرر
من للظبا و عوالى الخط قد عقدت أطراف ألسنها بالعى و الحصر
و طوقت بالمنايا السود بيضهم أعجب بذاك و ما منها سوى ذكر
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٨ أو رفع كارثة أو دفع حادثة أو قمع آفة تعيى على القدر
ويح السماح و ويح الجود لو سلماو حسرة الدين و الدنيا على عمر
سقت ثرى الفضل و العباس هامية تعزى إليهم سماحا لا إلى المطر
ثلاثة ما ارتقى النسران حيث رقواو كل ما طار من نسر و لم يطر
ثلاثة كذوات الدهر منذ نأوعنى مضى الدهر لم يربح و لم يحر
و مر من كل شىء فيه أطيبه حتى التمتع بالأصال و البكر
من للجلال الذى عمت مهابته قلوبنا و عيون الأنجم الزهر
أين الإباء الذى أرسوا قواعده على دعائم من عز و من ظفر
أين الوفاء الذى أصفو شرائعه فلم يرد أحد منهم على كدر
كانوا رواسى أرض الله مذ نأوا عنها استطارت بمن فيها و لم تقر
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٩ كانوا مصايحها دهرها فمذ خبوا هذى الخليفة تالله فى صدر
كانوا شجى الدهر فاستهوتهم خدع منه بأحلام عاد فى خطا الخضر
من لى و لا من بهم إن أظلمت نوب و لم يكن ليلها يفضى إلى سحر
من لى و لا من بهم إن طبقت محن و لم يكن وردها يفضى إلى صدر
من لى و لا من بهم إن عطلت سنن و أخفيت ألسن الآثار و السير
و يلّمه من طلوب الثأر مدركه لو كان دينا على الأيام ذى عسر
على الفضائل إلا الصبر بعدهم تسليم مرتقب للأجر منتظر
يرجو عسى و له فى أختها طمع و الدهر ذو عقب شتى و ذو غير
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٠ قرطت آذان من فيها بفاضحة على الحسان حصا الياقوت و الدرر
سيارة فى أفاصى الأرض قاطعة شقاشقا هدرت فى البدو و الحضر
مطاعة الأمر فى الأبواب قاضيه من المسامع ما لم يقض من وطر

و من الغرباء

عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن

الدائل بتلمسان، يكنى أبا سعيد.

حاله: كان شيخاً مخيلاً بسمه الخير، متظاهراً بالنسف، بقيه آل زيّان، متقدماً في باب الدهاء والدّكر، بالغاً أقصى المبالغ في ذلك. سكن غرناطة و وادي آش، و ولد بغرناطة. و كان أبوه ممن هلك في وقعة فرتونة، فارتزق مع الجند الغربي بديوانها في حجر أبيه و بعده، ثم ثنى عنانه إلى وطنه، و تخطّنه المتالف عند تغلب السلطان صاحب المغرب على بلده تلمسان، و غاص في عرض من تهناً الإبقاء من قبيله. و كان ممن شمله حصار الجزيرة، و وصل قبله ممداً مع الجيش الغربي بجيش غرناطة عند منازل القلعة. و لما جرت على و اترهم السلطان أبي الحسن الهزيمة بظاهر القيروان، و بعد الطمع في انتشاله و جبره، و لحق كل بوطنه، حوم الغلّ من بني زيّان على ضعفهم، و مذ رحل عنه السلطان القائم بملك المغرب أبو عنان، إلى محل الأمر و دار الملك، و سدّ تلمسان بشيخ من قبيلهم يعرف بابن حرار له شهرة و انتفاخ لتنسيق رياح الاختلاف، فذ في إدارة الحيلة، و إحالة قداح السياسة، رأس الرّكب الحجازي غير ما مرة، و حلّ من الملوكة أطف محلة. و لما نهذ القوم إلى تلمسان، ناهضهم ابن الحرار بمن استركب من جنده، و انضم إليه من قومه، فدارت عليهم الهزيمة، و أحيط به، فتملك البلد، و تحصّل في الثّفاف، إلى أن هلك به معتالاً، و استولى عثمان بن يحيى على المدينة، و انقاد إليه ما يرجع إليها من البلاد و القبائل، فتاب لهم ملك لم

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤١

تكذ شعلة تقد حتى خبت، و على ذلك فبلغوا في الزمان القريب من وفور العدة، و استجادة الآلة، و حسن السيرة، ما يقضى منه العجب. و انفرد عثمان بالأمر، و عين أخاه أبا ثابت الزعيم إلى إمارة الجيش، فاستقام الصفّ، و انضمّ النّشر، و ترتب الألقاب، و استأنفوا الدولة، و تلقفوا الكرة، و قلّ ما أدبر شيء فأقبل. و بادر السلطان بالأندلس مفاتحته مهتئاً، و للحلف مجدداً، بكتاب من إنشائي من فصوله:

«بعد الصّدر و التّحميد، و لا زائد بفضل الله المرجو في الشّدائد، لجميل العوائد، إلّا ما شرح الصدور، و أكّد السرور، و بسط النفوس، و أضحك الرّسن العيوس، من اتّساق أمور ذلك الملك لديكم، و اجتماع كلمته عليكم، و ما تعرّفنا أن الدولة الرّيائية، وصل الله لبدورها استئناف الكمال، و أعلى أعلامها في هضاب اليمن و الإقبال، تذكّرت الرسائل القديمة و الأذمة، و ألفت إلى قومها بالأزمة، و حنّت إلى عهدهم على طول النّوى، و أنشد لسان حالها: «نقل فؤادك حيث شئت من الهوى»، فأصبح شيتيك بأهلها مجموعاً، و علم عليائها بأيدي أوليائها مرفوعاً، و ملابس اعتزازها بعد ابتزازها جديدة، و ظلال سعودها على أغوارها و نجودها مديدة، و قبيلها قد أنجح الله في ائتلافه أمل الآمل، و مبتداها مرفوعاً مع وجود العوامل، و الكثير من أوطانها قد سلكت مسلكها في الطاعة، و تبادرت إلى استباق فضيلة الوفاق بحسب الاستطاعة، فعظم الاستبشار بأن كان لكم مالها، و في إيالتكم انتيالها، من غير أن يعلق بأسبابها من ليس من أربابها، و يطمع في اكتسابها من لم يكن في حسابها. و قلنا موارد و جب، و عاصب حجب، و ركب علع من بعد القبول، و شمس طلعت من بعد الأفول، و جيد حلّى بعد ما اشتكى العطل، و غريم قضى بعد ما مطل، و طرف تتبه بعد ما سجع، و درّى استقام سيره عقب ما رجع، و قضيه انصرف دليلها عن حدود القواطع، و طرح عليه أشعة السّعود السّواطع، لا بل عبد أبق، لقد سبق، حتى إذا راجع نهاه، و عدله العقل و نهاه، جنح بعد هجره، إلى كنف من نشأ في حجره.

و علمنا أن الدولة التي عرفنا مكارمها قد دالت، و الغمامة التي شكرنا مواقعها قد انتالت، فجرينا في المسرة ملء الأعنة، و شاركنا في شكر هذه المنة، و أصدرنا إليكم هذا الخطاب مهتئاً، و عن الود الكريم و الولاء الصّميم منيباً، و في تعزيز ما بين الأسلاف جدّد الله عليهم ملابس الرّضوان معيدا مبدياً، و إن تأخر منه الغرض، و قضى بهذا العهد واجبه المفترض، و الأعدار واضحة، و أدلتها راجحة، و للضّرار أحكام تمضى، و الفروض للفوات تقضى، فكيف و الاعتقاد الجميل مسير مسكن، و الوقت و الحمد لله متمكن؟ و ما برحنا في مناط اجتهاد، و ترجيح استشهاد، و الأخبار يضطرد مفهومها، و الألفاظ لا يتخصّص عمومها، و الأحاديث يجول في متعارضها النّظر، و لا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٢

يلزم العمل ما لم يصح الخبر. فلتما تحققنا الأمر من قصه، و تعاضد قياسه بنصه، لم نقدّم على المبادرة عملاً، و بينا لكم من حسن اعتقادنا ما كان مجملاً، فليهن تلك الإيالة ما استأنفته من شبابها، و تسربلت من جديد أثوابها، و ليستقبل العيش خضراً، و الدهر معتزراً، و السعد مسفراً».

و تمادى ملكه من الثامن و العشرين لجمادى الآخرة من عام تسعة و أربعين و سبعمائة إلى أن استوسق ملك المغرب للسلطان أبي عنان، و استأثر إليه أبيه، و تحرك إلى منازل تلمسان في جمادى الآخرة عام ثلاثة و خمسين و سبعمائة، و كسر جمعهم، و استولى على ملكهم حسبما يأتي، و برز إليه سلطانها المذكور مؤثراً الإصحار على الاجتراح، و اللقاء على الانحصار، و كانت بين الفريقين حرب ضروس، ناشب الزيّانيون محلات المغرب القتال، بموضع يعرف بإنكاد، على حين غفلة، و بين يدي شروع في تنقل و سكون، و تفرق من الحامية في ارتياد الخلا، و ابتغاء الماء، فلم يرع إلا إطلال الزايات، و طلوع نواصي الخيل، فوقع الصراخ، و علا النداء، و ارتفع القتام، و بادر السلطان بمن معه من الخالصة، و روم الركاب الصدمة، و مضى قدماً، و قد طاش الخبر بهزيمته، فعاثت العربان في محلته، و كانوا على الأموال أعدى من عدوه، و فرّ الكثير إلى جهة المغرب بسوء الأحدثه.

و لما تقاربت الوجوه، و صدق المصاع، قذف الله في قلوب الزيّانيين الرعب، و استولى عليهم الإدبار، فانهزموا أقبح هزيمة، و تفرقوا شذر مذر، و اختفى سلطانهم عثمان المترجم به، و ذهب متنكراً و قد ترجل، فعثر عليه من الغد، و أوتى به فشدّ وثاقه، و أسرع السلطان اللحاق بتلمسان، و قد تلقاه أهلها معلنين بطاعته و لاثنين بجناب عفوه، و تنكّبها الجيش المفلول لنظر الأمير أبي ثابت، فاستقرّ بأحوال جزائر بني مزغناي. و دخل السلطان تلمسان في يوم الأحد الحادى عشر من ربيع الأول عام ثلاثة و خمسين و سبعمائة، و تدمير بنومرين، و استدركوا دحض الوصمة في أتباع أضدادهم المحرويين، فكان اللقاء بينهم و بين الجيش المفلول، و حكم الله باستئصالهم، فمضى عليهم السيف، و أوتى بزعيمهم الزعيم، فاحتمل مع أخيه في لمة من أوليائهم، و نفذ الأمر لأقتالهم من بنى حرار بأخذ حقهم، فقتل عثمان و الزعيم، رحمهما الله، بخارج تلمسان ذبحاً، و ألحق بهما عميد الدولة يحيى بن داود بعد أن استحضر عثمان بين يدي السلطان، و أسمع تأنيبا، حسن عنه جوابه بما دلّ على ثبات و صبر. و انقضى أمر كرتهم الثانية، و خلت منهم الأوطان، و خلصت لبنى مريم الجهة، و صفت العمالة. و الله يعطى ملكه من شاء سبحانه لا إله إلا هو، و كان مقتل عثمان و أخيه في أوائل شهر ربيع الآخر عام ثلاثة و خمسين و سبعمائة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٣

علي بن حمود بن ميمون بن حمود بن علي بن عبيد الله ابن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن علي ابن أبي طالب

أول ملوك بنى هاشم بالأندلس، يكنى أبا الحسن، و يلقب من الألقاب السلطانية، بالناصر لدين الله. حاله: كان شهماً ليبيا، جرى اللقاء، باطش السيف، شديد السطوة، أسمر، أعين، نحيف الجسم، طويل القامة، حادّ الذهن، من أولى الحزم و العزم.

خلافته: ذكروا أن هشام بن الحكم، لما ضيق به الحجر، كتب إليه في السيرة بعهد ولايته، و أهله للأخذ بثأره، فكان كذلك، و أجاز البحر من سبته، مظهر القيام بنصر هشام عندما خلع، فانحاش إليه كثير من الناس، و قصد قرطبة، و برز إليه الخليفة سليمان خالغ هشام و معتاله، فظهر عليه على بن حمود و هزمه، و دخل قرطبة، فقتل سليمان، و بحث عن هشام، و قد فات فيه الأمر، و تسمى بأمر المؤمنين. و أنس به أهل قرطبة؛ لقهرة من كان لنظره من البرابرة، و إمضاء الأحكام عليهم. قال المؤرخ: فبرقت للعدل يومئذ بارقة، لم تكذ تقدر حتى خبت. و كان الأغلب عليه السخاء و الشجاعة.

و مدحه الكثير من الشعراء، منهم أبو عمر بن دراج، و فيه يقول :

[المتقارب]

لعلك يا شمس عند الأصيل شجيت بشجو الغريب الدليل

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٤ فكوني شفيعى إلى ابن الشّفيح وكوني رسولى إلى ابن الرسول

فإما شهدت فأزكى شهيدو إما دلت فأهدى دليل

إلى الهاشمى إلى الطالبى إلى الفاطمى العطوف الوصول

وصوله إلى البيرة: قال: ولما استوسق الأمر، واضطرب عليه خيران صاحب المريء، أغراه و أذن لحربه، فخرج من قرطبة يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الآخرة من سنة ثمان و أربعمائه، و ساء إلى أن بلغ وادى آش، و ترادفت عليه الأمطار و السّيول، و انصرف إلى البيرة ثم إلى قرطبة.

وفاته: قال المؤرخ: و فى سنة ثمان و أربعمائه كان مقتل على بن حمّود، و ذلك أن صقالبته قتلوه بموضع أمنه، فى حمام قصره، و كانوا ثلاثة من أعمار صبيان قصره، منهم نجح و صاحبه، و سدّوا باب الحمام عليه، و تسلّوا، و لم يحسّ أحد بهم، و استطال نساؤه بقاءه، فدخلوا عليه، و دمه يسيل، فصحّ خبر مقتله، و بعثت زناته إلى أخيه بإشبيلية، فخاف أن تكون حيلة، حتى كشف عن الأمر، و لحق بقرطبة، فأخرج جسده، و صلّى عليه، و أنفذه إلى سبتة، فدفن بها، و بنى عليه مسجد هو الآن بسوق الكتان، و قبض من قاتليه على صبيّين عدّبا بأنواع العذاب، ثم قتلا و صلبا .

على بن يوسف بن ناشفين بن ترجوت**إشارة**

و ينظر اتصال نسبه فى اسم أبيه.

هو أمير المسلمين بالعدوة و الأندلس بعد أبيه، يكنى أبا الحسن، تصيّر إليه الملك بالعهد من أبيه عام سبعة و تسعين و أربعمائه، ثم ولى أمره يوم وفاته و هو يوم الاثنين مستهل محرم عام خمسماية .

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٥

حاله: و كان ملكا عظيما، عالى الهمة، رفيع القدر، فسيح المعرفة، شهير الحلم، عظيم السياسة، أنفذ الحق، و استظهر بالأزكياء، و والى الغزو، و سدّ الثغور، إلى أن دهمه من أمر الدولة الموحدية ما دهمه، و كل شيء إلى مدى، فأمهل السرح، و حالف الإدبار، و جاز إلى الأندلس، و غزا فيها بنفسه، و دخل غرناطة و باشرها.

قال ابن عذارى: تقدم الأمير أبو الحسن لذلك فاستعان بالله و استنجده و سأله حسن الكفاية فيما قلّده، فوجده ملكا مؤسّسا، و جندا مجنّدا، و سلطانا قاهرا، و مالا و افرا، فاقتفى إثر أبيه، و سلك سبيله فى عضد الحق، و إنصاف المظلوم، و أمن الخائف، و قمع المظالم، و سدّ الثغور، و نكاية العدو، فلم يعدم التوفيق فى أعماله، و التسديد فى حسن أفعاله.

دخوله غرناطة: و فى سنة خمس و خمسماية، جاز البحر إلى الجهاد. قال المؤرخ: قدم على بن يوسف غرناطة مرات مع أبيه. و فى سنة خمس و خمسماية تلوّم بها ريشما تلاحقت حشوده، و تأهبت مطوّعته و جنوده، فافتتح مدينة طليبرة عنوة . ثم عبر البحر عام أحد عشر و خمسماية، فغزا قلمرية .

ظهور الموحدين فى أيامه:

قال ابن عذاري: في سنة أربع عشرة و خمسمائة، كان ابتداء أمر الثائر على الدولة، الجالب للفتن الجمء، الجار لها منذ ثلاثين سنة، حتى أقفر المعمور، و أصار الضياء كالديجور، محمد بن تومرت السوسى الملقب بالمهدى. قلت: و أخباره عجيبة، و ما زال أمره فى ظهور، و أمر هذه الدولة فى ثبار و إدار، إلى أن محا رسومها، و قطع دابرها، و الملك لله، يؤتى الملك من يشاء، و ينزع الملك ممن يشاء، سبحانه.

وفاته: قال: و فى سنة سبع و ثلاثين و خمسمائة توفى أمير المسلمين على بن يوسف، لسبع خلون من رجب، و لم يشهر موته إلا لخمس خلون من

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٦

شوال، فكانت مدته من حين قدّمه أبوه، تسعا و ثلاثين سنة و أشهرًا، و عمره إحدى و ستون سنة. قال ابن حماد: و لما يئس من نفسه، عهد أن يدفن بين قبور المسلمين، و دفن بها فى جملتهم، رحمه الله.

الأعيان و الوزراء و الأماثل و الكبراء

عتيق بن زكريا بن مول التجيبى

قرطبى الأصل، يمّت إلى الإمارة النصيرية بقربى صهر، يكنى أبا بكر.

حاله: كان شهما جريًا مقداما، جهوريا، ذا أنفه و شارة، مليح التجند، ظاهر الزجولية، معروف الحق، نبيه الولاية، فصيح اللسان، مطبوعا، ذكيا، مؤثرا للفكاهة، ولى القيادة بمدينة وادى آش عقب الرئيس المتزى بها، ثم عزل عنها بسعاية رفعت فيه إلى ذى الوزارتين أبى عبد الله ابن الحكيم، فساء ما بينهما لذلك، و أعمل عليه التدبير بمدخله الأمير نصر، و إغرائه بالأمر، فتم له التوثب على ملك أخيه، و خلعه يوم عيد الفطر من عام ثمانية و سبعمائة. و قتل الوزير ابن الحكيم بين يديه، و انتهت منزلته، و استقل بعد بالتدبير و الوزارة، و حصل من صنائع الحائن، و متوقعى الضغط، على مال عريض، و قام بوظيف الوزارة محذور الشبا، مرهوب المديّة، مسنوّ الفتكة، فلم ينشب أن عين للرسالة إلى باب السلطان ملك المغرب، و سدّ باب الإياب لوجهته، و أقام بالعدوة تحت الحظوة، مشارا إليه فى وجوه الدولة، وزير المداخلة و الرتبة. و قد كان فى ريان حدائته لحق بطاغية الروم، و ركب فى جملته، و علقتة جارية من بنات زعماء الروم، لفضل جماله، و زين شيبته، ففرّ بها تحت حماية سيفه، و لحق ببلاد المسلمين، و كانت من أهل الأصالة و الجمال، فاتصل بمحلّة أمير المسلمين أبى يوسف بن عبد الحق، و قد جاز إلى الأندلس غازيا، فاستخلصت منه لمزيّة الحسن، و استقرت بقصر السلطان حظية لطيفة المحل، و جدّ أثر ردها و انتفع، هو و بنوه بعائد جاهها، و قد هلك السلطان.

و قامت لمن خلفه مقام الأمومة، فنالوا بها دنيا عريضة، و باشر بالمغرب أهوالا، و خاض فى فتن إلى أن أسنّ، و قيّده الكبر، و استولت على بصره الزمانة. و لما

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٧

ولى الوزارة ولده على عهد سادس الأمراء من بنى نصر؛ استقدمه فى ربيع الثانى من عام تسعة و عشرين و سبعمائة، فقدم شيخا قد استثنى أديمه و احقوب، و مسحة الظرف و اللوذعية تتعلق منه بطلل بائد. ثم اقتضى تقلص ظل الولاية عن ولده انصراف جميعهم إلى العدو، فكان ذلك فى رجب أو أول شعبان من العام، و بها هلك.

وفاته: توفى بمدينة فاس رابع محرم عام ثلاثين و سبعمائة. و كان كثيرا ما يتمثل بقول الشاعر: [الطويل]

نصحت فلم أفلح و خانوا فأفلحوا فأنزلنى نصحى بدار هوان

فإن عشت لم أنصح و إن متّ فالعنوادون النصح من بعدى بكل لسان

أخبرني بذلك شيخنا أبو الحسن بن الجياب وغيره.

عمر بن يحيى بن محلى البطوى

يكنى أبا علي.

حاله: كان يمت إلى السلطان ملك المغرب، رحمه الله، بالخزولة، وله جرأة و جرم و اضطلاع بالمهمة، إلى نكراء و خفوف إلى الفتنة و استسهال العزيمة. و لما تصيرت مالقة إلى إيالة السلطان أمير المسلمين أبي يوسف بن عبد الحق من قبل رؤسائها من بنى إشقيولة، استظهر عليها من عمر هذا بحجاج رجاله، و قدّمه بقصبتها، و جعل لنظره جيشا أحسن يقوده رجل من كبار و صفائه. و داخل السلطان ثاني الملوك من آل نصر عمر بن محلى هذا بوساطة أخيه طلحة السابق إلى إيالته، فأحكم بينهما صرف مالقة إليه، و انتقال عمر إلى خدمته، معوّضا عن ذلك بمال له بال، مسلما إليه حصن شلوبانية، و لأخيه طلحة مدينة المنكب، على أرزاق مقررّة، و أحوال مرتبة مقدرة، فتمّ ذلك، و تحمل ثقات السلطان بقصبة مالقة ليلا مع عمر، و استدعى للغداة قائد الجيش و مثله من الوجوه، موريا بمعارضتهم، فسقط الغشاء بهم

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٨

على سرحان، و أخذهم اعتقاله رهينة استخلص بها من كان من عياله بالعدوة، و جاء بها جلواة عارية أعربت عن لؤمه و خبث أمانته، و انتقل له موفى له بعهدده، فحل بحصن شلوبانية منتصف عام سبعة و ستين و سبعمائه، حسبما كتب لى بعض الشيوخ من مستى بقيه أهله، و احتل أخوه طلحة بمدينة المنكب، و لم يلبث أن خرج عنها للسلطان معوضا بالمال، و أعمل الانصراف إلى الحج. و أقام عمر بشلوبانية و ما يليها من العمالة، مظهرا للطاعة تمام العام المذكور، و فسد ما بينه و بين السلطان المذكور، و ظهر الخلاف و أخيفت الطرق، و تحرك السلطان إلى منازلته لأشهر ثلاثة من خلافه، و حاصره أياما شدّ فيها مخنقه، فلما رأى عزمه، خاطب سلطانه الذى نزع عنه أمير المسلمين أبا يوسف، و عرض الحصن عليه، فبادر إليه بالأسطول، فلما احتل بمرسى حصنه و اتصلت به يده و نشرت عنده بنوده، أفرج عنه السلطان، و انبت طمعه فيه، و صرف وجهه إلى حضرته، و بدا لعمر فى أمره، فصرف الأسطول متعللا ببعض الأعدار، و أقام على سبيله، و اتصل ذلك بالسلطان، فرتب عليه الحصن، و ضيق السبل، و تحرك فى صائفه العام إلى منازلته فى عدّة عظيمة، و حاصره و رماه بالمجانق، و تتبع بها مجاثمه، فأعياه الصبر، و أعمل الحيلة بإظهار الإنابة، و عرض على السلطان التخلّى عن الحصن، و طلب منه أن يوجه لقبضه وزيره، و أحظى الرؤساء لديه، و صاحب بنده، فوجههم السلطان فى طائفه من حاشيتهم، و قد أكن لهم عمر بمعرجات الطريق، بين يدي باب القلعة، فلما توسطوا الكمناء، و برز عمر ليسلم عليهم، ثار بهم رجاله الأسودة و غيرهم، و قبضوا عليهم بمرأى من السلطان، و أدخلوهم الحصن، و عاد السلطان إلى قتاله، فتوعد بقتلهم، و جعلهم بأعلى السور، و رمى عليه بحجر، فطرح أحدهم الحين، و علا صراخهم يسترحمون السلطان، فكفّ عنه، و انصرف مكظوما. و لأيام وقعت المهادنة على تخلّيه عن شلوبانية فى جملة شروط صعبة، منها العقد له على بنت السلطان المسماة بشمس، و انتقاله إلى مدينة المنكب، فتمّ ذلك فى وسط ثمانية و ستين بعده، و تمادت المهادنة شهورا أربعة، ثم تاب خلافه، و ضيقت عليه الحصص المرتبة، و خرج للسلطان عن منكب على مال و عهد، و صرف بعد وجهه إلى سلطانه، و تطارح عليه، و هو بجزيرة طريف، بعد أن أخذ أمانه، زعموا، و قد كان أخوه طلحة سبق إليه، فاعتقل يسيرا. ثم حلّ اعتقاله إيثارا للعفة، و رعيا للمتات. و لما توفى السلطان أبو يوسف، اضطره حاله، و آل أمره إلى العود إلى الأندلس، و بها الأشياخ من بنى عبد الله بن عبد الحق، مطالبو أبيه بدم عمّهم، سبقوا مقدمه على السلطان بإيعاز منه، و قد نزل بقرية أرملة على وادى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٩

أفلم، و اعتصم منهم ببرج، فقاتلوه و استنزروه فقتلوه، فانقضى أمره على هذه الوتيرة، و البقاء لله سبحانه.

عامر بن عثمان بن إدريس بن عبد الحق

شيخ الغزاة بالأندلس، وابن شيخها، يكنى أبا ثابت، أجرى مجرى الأصيلين لولادته بالأندلس. أوليته: تأتي في اسم أبيه.

حاله: كان رئيساً جليلاً، فذاً في الكفاية والإدراك، نسيج وحده في الدهاء والتكراء، مشاراً إليه في سعة الصدر، وفور العقل، و انفساح الذرع، و بعد الغور، باسلاً مقداماً، صعب الشكيمة على الهمة، لين الكلمة، ريش جناح العز، وافر أسباب الرئاسة، مجرباً، محتكاً، عارفاً بلسان قومه و أغراضهم، جاهلاً جفوات أخلاقهم دبر أذنه، مهيباً على دماثة وإلحاح سقام. تولى الأمر بعد أبيه، فقام به أحمد قيام، مسلماً لبقية من مسنى القرابة و أكابر الإخوة، اعترافاً بالفضل، و إثارة لمزية العتاقة على الهجنة، فحل أرفع المحال، و تبنك على حال الصننا نعيماً، و غزا غزوات شهيرة، إلى أن تناسى الأمر، و كبا بهم الجد، و حملهم قرب مخيفهم بالثار المنيم ملك المغرب، لما اقتحم فرضة المجاز إلى الجهاد على المبايعة و مراسلة الطاغية، فسأت القالة، و فسد ما بينهم و بين سلطانهم، و أعمل عليهم التدبير.

نكبتة: ثبت في الكتاب المسمى ب «طرفه العصر»: و لما أتصلت ليدى المسلمين، و فصل أميرهم من ملك المغرب، تنمر أصدادهم المناؤون له، المعاندون قدرة الله فيه، المتهيبون إلى القاصمة بمشاحتته، فأظهروا التفور و الحذر، و كانوا قد داخلوا ملك قشتالة و واعدوه اللحاق به، إن راعهم راع، و وصلتهم مخاطبته بقبولهم، فلما تخلف المسلمون عن اللحاق به، نسب لهم الفشل و التكاسل، فانطلقت الألسن، و ملّت القلوب، و تشوّف إلى الفتك بهم، و هم عصابة بأسها شديد، أشهروا فروسية و نجدة و أتباعاً، فعظم الخطب، و أعملت الشورى في أمرهم، و صرفت الحيل إلى كف عاديتهم، و معالجه أمرهم، فتم ذلك. و لما كان يوم السبت التاسع و العشرون من ربيع الأول، قعد لهم السلطان على عادته، و وجه عنهم في غرض الاستشارة في حال السفر إلى إمداد ملك المغرب، و قد عبر و نازل جزيرة طريف، و فواضعهم فيما عليه الناس من إنكار التلوم، ثم قام السلطان من

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٠

مجلسه، و ثارت بهم الرجال، فأحيط بهم، و نزع سيوفهم عن عواتقهم، و طارت الخيل في ضمّ من شدّ عنهم، فتقبض على طائفة من أعلامهم، كانوا بين غر يباشر قنصاً، أو مفلت لم يجد مهرباً، و طارت الكتب إلى مالقة في شأن من بها منهم، فشملمهم الاعتقال، ثم نقلوا إلى مدينة المنكب، فجعلوا في مطبق الأسرى بها، إبلاغاً في النكال، و تناهيا في المثلة، فلم تجر عليهم مصيبة أعظم منها، لا يضطراهم إلى قضاء حاجة الإنسان برأى عين من أخيه، خطه خسف سئموها، مع العلم بنفور نفوسهم عن مثلها، و فيهم صدور البيت و أعلامه، كأبي ثابت المترجم به، و أخيه كبيره إبراهيم، و ابن عمهم زين المواكب، و قريع السيوف، و عروس الخيل، حمو بن عبد الله، و سواهم، و قانا الله شرّ الهلكات، و اشرب مخيفهم للسلطان صاحب المغرب، و ولى الثرة، إلى صرفهم إليه، و قد استوجب من ملك الأندلس الملائفة لالتفاته لسىء البرد، و اقتحامه باب القطر. و أخفق السعى، و ضنّ بهم موقع التّمة عن إسلامهم إليه، سيرة أحسنها في جنسهم من أولى الجهالف، فأجلاهم عما قريب في البحر إلى إفريقية، فاستقرّوا ببجاية، ثم استقدموا إلى تونس تحت إرصاد و رقبة، و أخفر فيهم ملكها الدّمة، و هم لديه، فوجههم على بعد الدار، و نزوح المزار، إلى السلطان صاحب المغرب، مصحبين بشفاعه فيهم، كانت قصارى ما لديه، فاستقرّوا في الجملة تحت فلاح و كفاية، لا تلفت إليهم عين، و لا يتشبّث بذمل حظوتهم أمل. ثم نكبوا بظاهر سبته نكبة ثقيلة البرك، مغارة البرك الحمل، و أودعوا شرّ السجون بمدينة مكناسة، فأصبحوا رهن قيود عديدة، و مسلحة مرتبة، جرّ ذلك عليهم ذرة من القول في باب طموحهم إلى الثورة، و عملهم على الانتراء بسبته، الله أعلم بحقه من مينه. و لما صير الله ملك المغرب إلى السلطان، أمير المؤمنين أبي عنان، و اضطره الحال إلى الاستظهار بمثلهم، انتشلهم من النكبة، و جبرهم بعد الصدعة، و أعلق يد كبيرهم المترجم به بعروة العزة، و استعان بآرائه على افتراع الهضبة، فألفى منه نقاباً قد هدّبتة التجربة، و أرهفته

المحنة، وأخلصته الصّنيعه، فسَلَّ منه سيفاً على أعدائه، وزعموا أنه انقاد إلى هوى نفسه، واستفزّته قوة الثّرة، ولذّة التّسفي، وذهب إلى أن يكل للسلطان ناكبه المجاراة صاعاً بصاع، فانتدب إلى ضبط ما بالأندلس من عماله راجعه إلى ملك المغرب، فانقلب يجرّ وراءه الجيش، و يجنّب القوة، فقطع به عن أمله القاطع بالآمال، وأحانه الله ببعض مراحل طريقه مطعوناً لطفاً من الله به، وبمن استهدف إلى التّصّب بمجادّته. وهو سبحانه ملئ بالمغفرة عن المسرفين، سبحانه.

وفاته: في الأخريات من عام تسعة وأربعين وسبعمائاً.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥١

علي بن بدر الدين بن موسى بن رحو بن عبد الله ابن عبد الحق

يكنى أبا الحسن.

حاله: هذا الرجل نسيج وحده في الفضل والتخلّق، والوفاء، ونصح الجيب، وسلامة الصدر، وحسن الخلق، راجح العقل، سرى الهمة، جميل اللقاء، رفيع البزّة، كريم الخصال، يكتب ويشعر، ويحفظ ويطالع غرائب الفنون، صادق الموقف، معروف البسالة، ملوكيّ الصّلات، غزل، كثير الفكاهة، على تيقور وحشمة، قدّمه السلطان شيخ الغزاة بمدينة وادي آش، فلما وقعت به المحنة، وركب الليل مفلتا إليها، اتفق لقاؤه إياه صباحاً على أميال منها، وجاء به، وأدخله المدينة على حين غفلة من أهلها، فاستقرّ بقصبتها وما كاد، وأخذ له صفقه أهلها، وشمر في الذبّ عنه تشميراً نبأ فيه سمعه عن المصانعة، ودهيه عن الجملة، وكفّه عن قبول الأعواض، فلم يلف فيه العدو مغمزا، ولا المكيدة معجماً، ولا استأثر عنه بشيء ممّا لديه، إلى أن كان انتقال السلطان عنها إلى المغرب، فتبعه مشيعاً إلى مأمته، فتركها غريبة في الوفاء، شاع خبرها وتعوطى حديثها، على حين نكر المعروف، وحدثت الحقوق، وأخوت بروق الأمل. ثم قلق المتغلب على الدولة بمكانه، فصرفه إلى العدو الغريبة، فاستقرت به الدار هنالك، في أوائل عام ثلاثة وستين أو أواخر العام قبله.

وخطبته من مدينة سلا لمكان الودّ الذي بيني وبينه بما نصّه: [مخلع البسيط]

يا جملة الفضل والوفاء ما بمعاليك من خفاء

عندي بالودّ فيك عقد صحفه الدهر باكتفاء

ما كنت أفضى علاك حقّالوجئت مدحا بكلّ فاء

فأول وجه القبول عذري وجنب الشكّ في صفاء

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٢

سيدي، الذي هو فضل جنسه، ومزيّة يومه على أمسه، فإن افتخر الدين من الله ببدرة افتخر منه بشمسه، رحلت عن المشيا والقرارة، ومحلّ الصّيوه والغرارة، فلم تتعلّق نفسى بذخيرة، ولا عهد حيرة خيرة، كتعلّقها بتلك الذات التي لطفت لطافة الزّاح، واشتملت بالمجد الصّيراح، شفقه أن تصيبها معرّة والله تعالى يقيها، ويحفظها ويبقيها، إذ الفضائل في الأزمان الرّذلة غوائل، والضدّ منحرف بالطبع ومائل. فلما تعرّفت خلاص سيدي من ذلك الوطن، وإلقاءه وراء الفرضة بالعطن، لم تبق لي تعلّمة، ولا أجرضتني علّمة، ولا أوتى جمعي من قلّة، فكتبت أهنيء نفسي الثانية بعد هنيء نفسي الأولى، وأعترف للزمن باليد الطولى. فالحمد لله الذي جمع الشّمل بعد شتاته، وأحيا الأنس بعد مماته، سبحانه لا مبدل لكلماته. وإياه أسأل أن يجعل العصمة حظّ سيدي ونصيبه، فلا يستطيع حادث أن يصيبه، وأنا أحدرج عن بثّ كمين، ونصح أنابه قمين، بعد أن أسبر غوره، وأخبر طوره، وأرصد دوره، فإن كان له في التّشريق أمل، وفي ركب الحجاز ناقه وجمال، والرأى فيه قد نجحت منه تيّه وعمل، فقد غنى عن عوف والبقرات، بأزكى الثمرات، وأطفأ هذه الجمرات، برمي الجمرات، وتأنس بوصل السرى ووصال السّراة، وأنال إن رضى مرافق، ولو أغرى به خافق.

و إن كان على السَّيكون بناؤه، و انصرف إلى الإقامة اعتناؤه، فأمر له ما بعده، و الله يحفظ من الغير سعده. و الحق أن تحذف الأبهة و تختصر، و يحفظ اللسان

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٣

و يغصّ البصر، و ينخرط في الغمار، و يخلى عن المضمار، و يجعل من المحذور مداخلة من لا خلاق له، ممّن لا يقبل الله تعالى قوله و لا عمله، فلا يكتف سرّاً، و لا يتطرّق من الرّجولة زمرا، و رفض الصّحبة زمام السلامة، و ترك النّجاة علامة. و أمّا حالي فكما علمتم ملازم كنّ، و مبهوظ تجربة و سنّ، أزجى الأيام، و أروم بعد التفرّق الالتام، خالي اليد، مالى القلب و الخلد، بفضل الواحد الصّمد، عامل على الرّحلة الحجازية التي أختارها لكم و لنفسى، و آمل في التماس الإعانة عليها يومى بأمسى، أوجب ما قرّرت لكم ما أنتم أعلم به من ودّ قرّرت الأيام و الشهور، و الخلوص المشهور، و ما أطلت في شىء عند قدومى على هذا الباب الكريم إطالتي فيما يختصّ بكم من موالاته، و بذل مجهود القول و العمل في مرضاته. و أما ذكركم في هذه الأوضاع، فهو ممّا يقتر عين المجادة، و الوظيفة التي تنافس فيها أولو السيادة، و الله يصل بقاءكم، و يبسر لقاءكم، و السلام.

و هذا الفاضل ممن جال فيه لاختيار الإمارة أيام مقامه بالعدوة الغربية؛ لذياع فضله، و كرم خلاله. و قفل إلى الأندلس عند رجوع الدولة، فجنى ثمرة ما أسلفه، و قدّم شيخ الغزاة بمالقة، ثم نقل إلى التي لا فوقها من تقديمه شيخ الغزاة بحضرته منته لا على ميادين حظوته، مقطعا جانب تجلّته، فبلى الناس على عهد ولايته الفتوح الهتية، و النعم السّنية. و لما قفل السلطان، أيّده الله، من فتح قاعدة جيّان، أصابه مرض، توفي منه في ثالث صفر من عام تسعة و ستين و سبعمائة، فتأثر الناس لفقدته، لما بلوه من يمن طائره، و حسن موارده و مصادره. و كان قد صدر له المنشور الكريم، من إملائي، بما ينظر في اسم المؤلف، في آخر هذا الديوان.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٤

علي بن مسعود بن علي بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله ابن مسعود المحاربي

الوزير، يكنى أبا الحسن.

حاله: كان من أعيان أهل الحضرة، و ذوى الهيئات و النباهة من بيوتاتها، أيّدا، حسن الشكل، جهير الصوت، فصيح اللسان ثرثاره، جيد الخطّ، حلو الدّعابة، طيب النفس، لبقا، ذكيا، أديبا، فاضلا، لودعيّا، مدركا. و زر للسلطان أبى الوليد، نزع إليه لما دعا إلى نفسه بمالقة من إيالة مخلوعه بعد اصطناعه، و صرف وجهته إلى جهته، فتغلّب على هواه، و أشركه في الوزارة، مع القائد الوزير أبى عبد الله بن أبى الفتح الفهرى، و قد مرّ ذكره، فأبرّ عليه بمزيد المعرفة بالأمر الاشتغالية و جماح عنان اللسان و الجرأة في أبواب المداخلات الوزارية، فلم يزل يضمّ أذيال الخطّة و يقلصها عن قسيمه إلى أن لم يبق له منها إلّا الاسم إلى حين وفاته.

وفاته: و استمرت حاله على رسمه من القيام بالوزارة إلى أن فتك بسلطانه قرابته بباب داره كما تقدّم في اسم السلطان أبى الوليد فى حرف الألف، فكّر أدراجه و هاج بالباطشين، و سلّ سيفه يدافع عنه، فمالت إليه الأيدي، و انصرفت إليه الوجوه، و أصيب بجراحات مثخنة، أتى عليه منها جرح دماغى لأيام، و على ذلك فلم يبرح من سدّة السلطان، حتى تعجّل ثأره، و شمل السيف قتلته، و أخذ البيعة لولده.

و كانت وفاته فى السابع و العشرين لشعبان من عام خمسة و عشرين و سبعمائة. و دفن بباب البيرة. و كان الحفل فى جنازته عظيما، و الثناء عليه كثيرا، و الرحمة له مستفيضة.

ورثاه شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب، رحمه الله بقوله: [الطويل]

أيا زفرتى، زيدى و يا عبرتى جودى على فاضل الدّنيا على ابن مسعود

على الشامخ الأبيات فى المجد و العلاعلى السّابق الغايات فى البأس و الجود

على غزوة العصر التي جمعت إلى مهابة مرغوب طلاقة مودود
على من له في الملك غير منازع ووزارة ميمون التقيية محمود
على من إذا عد الكرام فإنه بواجب حق الفضل أول معدود
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٥ و من كعلی ذی الشجاعة و الرضا لإصراخ مذعور و إيواء مطرود؟
و من كعلی ذی السماحة و الندی لإسباغ إنعام و إنجاز موعود؟
و من كعلی للوزارة قائما عليها بتصويب عليها و تصعيد؟
و من كعلی للإدارة سالكا لها نهج تليين مشوب بتشديد؟
و من كعلی للسياسة منفذا أو امر تنفيذ و أحكام توطيد
و من كعلی في رضا الله حاكما بإنجاد معدوم و إعدام موجود
و من كعلی واصل الرحم التي تمت بتقريب له أو بتبعيد
و مسدى الأيدى البيض بدءا و عودة مرددة تمحو دجى الثوب للسود
أيا كافي السلطان كل عزيمة بآراء تسديد و أعمال تمهيد
و يا حامى الملك المشيد بناؤه بصولة محذور و غزوة مقصود
و يا كافل الأيتام يجرى عليهم جراية نعمى بابها غير مسدود
ذكرتك في نادى الوزارة صادعا بأمر مطاع حكمه غير مردود
ذكرتك في صدر الكتبية قائما بخدمة مولى بعد طاعة معبود
ذكرتك في المحراب و الليل دامن ترد آى الذكر أطيب ترديد
و دمعك مرفض و قلبك واجب لخشية يوم بين عينيك مشهود
عفاء على الدنيا و لا درّ درها فما جمعها إلّا رهين بتبديد
فمهما حلت منها لديك مسرة ففي إثرها فارق مرارة تنكيد
ألها على الوجه الجميل معطر ابدار البلى رهين الأسود و الدود
و عهدى به مستبشرا و مبشرا بتفريج مكروب و راحة مجهود
لأظلمت الدنيا على لفقدها أنا أرهاها بمقله مرصود
و قلص من ظل الرجاء فراقه فضل رجائي بعده غير ممدود
و كم سبحت فلك المنى فى بحارها موخر فالיום استوت بي على الجود
و هوّن عندى كلّ خطب مصابه فبعد على لست أبكى لمفقود
و لا أدعى أنى وفيت بعهدة فلم أرع عهدا حين أودى و لم أود
فلا يشمت الأعداء إن حان حينه فما بالزدى عار فكل امرئ مود
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٦ و لا سيما إذ مات ميتة عزّة بعيدا شهيدا ماضيا غير رعديد
وفيا لمولاه مطيعا لربه و قد بطلت ذعرا رقاب الصناديد
فبشرى له أن فاز حيا و ميتا بميتة مفقود و عيشة محسود
عليه سلام الله ما ذرّ شارق و ما صدعت ورقاء فى فرع أملود
و جادت ثرى اللحد الزكى سحائب مجددة الرحمى بأحسن تجديد

علي بن لب بن محمد بن عبد الملك ابن سعيد العنسي

غرناطى، قلعى .

حاله: كان ظريفاً، مليح الخط، حاز التندير، عينا من عيون القطر و وزرائه.

شعره: حدّث أبو الحسن بن سعيد، قال: تمشينا معا أيام استيلاء النهب و التهدم على معظم ديار مراكش بالفتنة المتصلة، قال: فانتهينا إلى قصر من قصور أحد كبرائهم، و قد سجدت حيطانه، و تداعت أركانه، و بقايا النهب و الأصبغة و المقربسات تشير الكمد، و لا تبقى جلدا لأحد، فوجدنا على بعضها مكتوبا بفحم:

[الكامل]

و لقد مررت على رسوم ديارهم فبكيتهما و الرّبع قاع صنف و ذكرت معجى الجور فى عرصاتهم فعلمت أنّ الدهر منهم منصف فتناول أبو الحسن بياضا من بقيّة جيار، و كتب تحتها ما نصّه: [الكامل] لهفى عليهم بعدهم فمثالهم بالله قل لى فى الورى هل يخلف؟ من ذا يجب مناديا لوسيلة أم من يجير من الزمان و يعطف؟ إن جار فيهم واحد من جملة كم كان فيهم من كريم ينصف وفاته: توفى بمراكش سنة سبع و عشرين و ستمائة. الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٧

علي بن يوسف بن محمد بن كماشة

القائد و الوزير بين القتادة و الخرط، يكنى أبا الحسن.

أوليته: كان جدّه من المنتزين ببعض حصون الأندلس، طلياطة، و خدم طاغية الروم ببعضها، و انخرط فى جملته، يشهد بذلك مكتوبات تلقاها بشماله و وراء ظهره، صانها حافده المترجم به فى خرقة من الشرق لا يزال يعرضها فى سبيل الفخر على من يصل إلى باب السلطان من رسل الرّوم. و لقد عرضها أيام سفارته إلى ملك قشتالة على وزيره شمويل اللبى اليهودى، و طلب تجديدها، فقال له: هذا يتضمن خدمة جدك للسلطان مولاي جدّ مولاي السلطان بجملة من بلاد المسلمين، و فيها الشكر له و الرّعاية على ذلك، فاذهب أنت هذا المذهب الذى ذهبه جدك، يتجدد لك ذلك إن شاء الله، فلمّا هلك و ورى بين مدافن الروم، بعد أن علّق زمانا من سور الحصن فى وعاء، توفية لشرط لا أحققه الآن. و لحق ولده بباب السلطان، فتفتياوا ظلّ كفالتة، و نشأوا فى عداد صبيته. و لما صلحوا للاستعمال، استخدم منهم علينا كبيرهم فى العمل، فاستظهر به على حفزه بحمى المريّة و ما إليها، فأثرى وراه استغنى، و طالت مدّة ولايته، و استعمل أخاه يوسف والد المترجم به، فى القيادة، و كان رجلا مضعوبا، فاستمرت حاله إلى أن فقد بصره، جنى عليه شؤم ولده الجلا شيخا زمتا.

ثم عاد إلى الأندلس فتوفى بها، حسبما يذكر فى اسميهما. و كانوا يتبجحون بنسبه إلى معن بن زائدة؛ طوّق جدّهم بتلك النسبة، بعض أولى التنفق و الكدية، فتعللوا منها بنسيج العناكب، و أكذبوها بالخلق الممقوت، و البخل بفتات القوت، و التعبد لعبدة الطاغوت إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم .

حاله: هذا الرجل حسن الشكل، كثير الهشّة، جيد الرّياش، كثير التعلّق و التوسل، لصقت بشجرات الدول صمغته، و ثبت بأسبابها قراده، شديد الملاطفة لحجبة الأبواب، و المداخلة لأذيال الأمراء، متصامم على أغراضهم، مكذب لمحسوس جفوتهم، متنقّ بالشعاية، متبدّل

في أسواق الخدمة، يسبق في الطيالس، و يلفظ الزبير، و يصرخ بالإطراء، و يولول بالدعاء، مدلّ في الأخونه، محكم في نفسه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٨

للنّادرة التي تضحكهم، بذى مهذار، قليل التصنّع، بعيد عن التّسمت، أطمع خلق الله و أبخلهم بما لديه، و أبعدهم في مهاوى الخسة. أما فلسه، فمخزون، و أما خوانه، فمحبوب، و أما زاده، فممنوع محجور، و أما رفده، فمعدوم العين و الأثر. و أما ثوبه، فحبس التّحت إلى يوم القيامة، قد جعل لكل فصل من فصول معاشه، و نفاضة مخالیه، و سور دوابه مؤنة ما. فالنّخاله بينه المصرف، و للسرّجين معين الجبهة، و فتات المنديل موقفة على فطور الغد، و دهن الاستصباح جار في التّجلة و الادخار مجرى دهن البلسان.

أخباره: في هذا الباب مغربة، و لزمت كعبة المنحسة، و علق في عنقه طائر الشّوم، فلم تنجح له وجهه، و لا سعدت له حركة، و استقرّ عند الكائنة على الدولة، بباب السلطان بالمغرب، خاطبا في حبل الغادر، المتوثّب على الملك، و معينا للدهر على الأحبّ الحقّ و وليّ التّعمه. ثم بدا له في المقام بالمغرب أمنا و اضطرابا. و لما رحل السلطان أبو عبد الله بن نصر المذكور إلى طلب حقه، و قد أعتبه، سلّد به رسم الوزارة في طريقه، كما اضطّرّ صياد إلى صحبة كلب مخابت آماله، و لحقت به المشامة، و تبر الجدد، و اشتهر ذلك، فعلقت به الشّفقة، إلى أن خاطب السلطان بعض من يهّمه أمره بهذه الأبيات: [الطويل]

كما شكّم من أجله انكمش السّعد إذا ما أطرحتم شؤمه نجز الوعد

و من لم تكن للسّعد في بدء أمره مخيلة نجح، كيف ترجى له بعد؟

و تصريفه المشؤوم فلتتذكروا ما قلت إلّا بالتي علمت سعد

و اقتضى أمره تبرّما به أن صرف من رنده، و قد استقرّ أمره بها رسولا إلى باب ملك المغرب؛ لأمر منها استخلاص ولده و إيصاله إليه، فتعدّر القصد، و سدّت الأبواب، و أزفت بدار المغرب عهد بدّ الآزفة، و تراخى مخنق مرسله لخلو دسته منه، فتاب الرّجاء و قرب الفتح، و ساعد السيّد بما طال منه التّعجب. و لما بلغ خبر صنع الله، و إفاقة الأيام، و جبر الله السلطان بدخول مالمقة في طاعته، لحق به، و قد قلقت به الجوانب، و تنكرت الوجوه، و ساءت لطيرته الطّنون، فتوفّر العزم على صرفه عن الأندلس في أوليات رمضان عام ثلاثه و ستين و سبعمائة، فقبض عليه، و صرف إلى البلاد الشرقية، و قد شرع في إغراء سلطان قشتالة بالمسلمين، و كان آخر العهد به،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٩

و ذكروا أنه حجّ و قفل و العوده تتبعه، و النفوس لمتوّع شؤمه مكرهه. و رجى أن يكون ماء زمزم و ضوء النّقع، أو أنّ مشاهدته الآثار الكريمة تصلح ما فسد من حاله، فأب شرّ إياب، و ربما نبض له شريان من جدّه الذي تقدم في خدمة النصارى ذكره، فأجاز البحر إلى ملك برجلونه، فجعل تقبيل كفه لاستلام الحجر الأسود وسيلة ثانية و قربة مزلفه، و القول بفضل وطنه حجة صادقة، ثم قلق لخبية قصده، و خلّو يده من الرّقوم الذي كان قد احتججه للمهمّ من أمره، و استيلاء النّحس على بيت سعده، فصرف وجهه المشؤوم إلى المغرب، فاحتلّ به، و جعل يطوق كل من أسلف له بداء الدّام، و يشيع عنه سوء القبلة، و يجهر في المجتمعات و الدّكاكين بكل شنيع من القول، بالغا في ألفاظ الشّغيلة أقصى مبالغ الفحش، لطف الله بنا أجمعين.

عثمان بن إدريس بن عبد الله بن عبد الحق بن محيو

من قبيل بني مرين، يكنى أبا سعيد، شيخ الغزاة بجزيرة الأندلس على عهده.

أوليتهم: جدّه هؤلاء الأقيال الكرام، الذي يشترك فيه الملوك الغرّ من بني مرين بالعدوة، مع هؤلاء القرابة، المنتسبين عنهم أضرار التّراث، و دواعي المنافسات، عبد الحق بن محيو. و كان له من الولد إدريس و عثمان و عبد الله و محمد و أبو يحيى و يعقوب، فكان الملوك بالمغرب من ولد يعقوب، و هؤلاء من ولد عبد الله و إدريس و يعقوب و رحو. و لما قتل جدّهم يعقوب بيد ابن عمّه عبد الحق بن يعقوب، أجفل أخواه و من معهم، و انتبدوا، و استقرّوا بتلمسان، بعد أمور يطول شرحها. ثم اجتاز الشيخ أبو سعيد في جملة

من اجتاز منهم إلى الأندلس، فنال بها العزة والشهرة.

حاله: كان رجل وقته جلاله وأصاله، ودهاء وشهرة وبسالة، مرمي لاختيار عتاقة وفراهة، واحد الزمن أبهه ورواء، وخلقاً ورجاحة، أيداً، عظيم الكراديس، طوالاً، عريض المنكب، أقى الأنف، تقع العين منه على أسد عيص، و فحل هجمة، بعيد الصيت، ذائع الشهرة، منجب الولد، يحمى السيرح، و يزين الدست. لحق بتلمسان مع زوج أمه وعمه، موسى بن رحو، عندما فزوا من الجبل بأحواز وزغه، شابا كما اجتمع، و أجاز البحر منها، و خدم مرتزقا بها. ثم عاد إلى العدو برضا من

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٠

عمه السلطان بها. ثم فز عنه و لحق بالأندلس، و استقر بها، و ولى خطة الشياخة العامة، و هى ما هى، من سمو الهضبة، و ورود الزرق، و انفساح الإقطاع، فشارك، و تبك التميم، و أقبل ما استظهر به على ما وراء مدينة سبتة، عند انتظامها فى الإيالة النصرية، فشن الغارة، و دعا إلى نفسه، و خلا فطلب النزال، فغلبت غارته أحواز وادى سبو. ثم رجع أدراجه إلى الأندلس، و ذمر السلطان أبا الوليد، منفق حظوته على طلب الملك، ففازت به قداحه، و استولى على الجم من ريق دنياه، و سل الكثير من ماله و ذخيرته فى أبواب من العبادة، و الاسترضاء و الاستهداء. و لمّا توفي، تضاعف لطف محلّه من ولده، إلى أن ساء ما بينه و بين مدبر أمره ابن المحروق، و نفر عنه، مؤاخذاً بالقيات كانت سلماً إلى تجنيه، يحسب أن الافتقار إليه يعيد له كل و عث، فاعتنم المذكور نفرته، و استبصر فى الانتباذ عنه، مطيعاً دواعى الخور و الرهبة، من شؤوب حاله. و أجلى الأمير عن رحيله و ولده إلى ساحل المريّة، موادعا، مزماً الرحيل عن الأندلس. و ارتاد الجهات، و راسل الملووك بالعدوة، فكلّ صم عن ندائه، و سدّ السبيل إليه، فداخل قوما من مشيخة حصن أندرش حاضرة وطن الجباية، فاستولى عليه، و انتقل إليه بجملته، و راسل الطاغية، فتحرك إلى منازل حصن وبره من الحصون التاكرونية، ففازت به قداحه، و استدعى عم السلطان، و هو الرئيس أبو عبد الله بن فرج بن نصر، من تلمسان، فدعا إليه، و شملت الفتنة، و كانت بينه و بين جيش الحضرة وقائع تناصف فيها القوم خطى المساجلة إلى أن نفذ صبره و ماله، و سمت فتنته الدولة، و اقتضت مسالمتة المصلحة، فعوهد على التخلي عن الحصن، و صرف أميره إلى متبؤته الأقصى، و انتقاله إلى مدينة وادى آش؛ ليكون سكنه بها تحت جرايات مقدرة، و ذلك فى شهر رمضان ثمانية و عشرين و سبعمائة، و على تفيته ذلك، عدا على مناوءة أميره، ففتك به، و استقدم الشيخ أبا سعيد فأعادته إلى محلّه، و استمرت على ذلك حياته إلى مدة حياته، إلى أن توفي فى أخريات أيامه.

وفاته: و لمّا نزل العدو ثغر أطيبه، و نهض جيش المسلمين إلى مضايقتة، أصابه المرض. و لمّا أشفى نقل إلى مالقة، فكانت بها وفاته يوم الأحد ثانى ذى حجة من عام ثلاثين و سبعمائة عن سنّ عالية تيف على الثمانين سنه، و نقل إلى غرناطة، فوورى بها، و بنيت عليه بنية ضخمة، و صار أمره إلى ولده. و نقش على قبره فى الرخام:

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦١

«هذا قبر شيخ الحماة، و صدر الأبطال الكماة، واحد الجلالة، ليث الإقدام و البسالة، علم الأعلام، حامى ذمار الإسلام، صاحب الكتاب المنصورة، و الأفعال المشهورة، و المغازى المسطورة، و إمام الصفوف، القائم بباب «الجنة تحت ظلال السيوف»، سيف الجهاد، و قاصم الأعداء، و أسد الآساد، العالى الهمم، الثابت القدم، الإمام المجاهد الأرضى، البطل الباسل الأمضى، المقدم، المرحوم، أبى سعيد عثمان، ابن الشيخ الجليل، الإمام الكبير، الأصيل الشهير، المقدس، المرحوم أبى العلاء إدريس بن عبد الله بن عبد الحق. كان عمره ثمانيا و سبعين سنه، أنفقه ما بين روحه فى سبيل الله، و غدوة، حتى استوفى فى المشهور سبعمائة و اثنتين و ثلاثين غزوة، و قطع عمره جاهداً مجاهداً فى طاعة الرب، محتسبا فى إدارة الحرب، ماضى العزائم فى جهاد الكفار، مصادماً [بين جموعهم] من تدفق التيار، و صنع الله له فيهم من الصنائع الكبار، ما صار ذكره فى الأقطار، أشهر من المثل السيار، حتى توفي، رحمه الله، و غبار الجهاد طى أثوابه، و هو مراقب لطاغية الكفار و أحزابه، فمات على ما عاش عليه، و فى ملحمة الجهاد قبضه الله إليه، و استأثر به سعيداً مرتضى، و سيفه على رأس ملك الروم منتضى، مقدّمه قبول و إسعاد، و نتيجة جهاد و جلاد، و دليلاً عن نيته الصالحة، و تجارته الراجعة، فارتجت

الأندلس لفقده ، أتحنه الله رحمةً من عنده، توفي يوم الأحد الثاني لذي الحجة من عام ثلاثين و سبعمائة».

القضاء الأصيلون

عتيق بن أحمد بن محمد بن يحيى الفسائي

غرناطي، يكنى أبا بكر، ويعرف بابن الفراء، ويعرف عقبه ببني الوادي آشي، وقد مرّ ذكر ولده أبي الفرج، و ينبز بقرنيات. حاله: حدّثني أبي، رضى الله عنه، و كان صديقا لأبيه، أنّه كان من أهل الجلالة و الفضل، حسن السّمت، عظيم الوقار، جميل الرّواء، فاضلا، حسن العشرة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٢

وقال القاضي ابن عبد الملك: كان جامعا لفنون من المعارف، معروف الفضل في كل ما يتناول من الأمور العلمية، و قيّد كثيرا، و عنى بالعلم العناية التامة، و استقضى بالمنكب، و عرف في ذلك بالعدالة و التّراهة.

تواليفه: صنّف «نزهة الأبصار، في نسب الأنصار»، و «نظم الحلّي، في أرجوزة أبي عليّ»، يعنى ابن سينا.

شعره: قال: و مما نظمته و وجّهته به صحبة رسالتين: [الكامل]

يا راكبا يبغي الجناب الأشرفا و مناه أن يلقي الكريم المسعفا

عزّج بطيبة مرّة لترى بهاعلمي قبول رحمة و تعظفا

و إذا حللت بها فقبّل تربها و ارغب جلالهم عسى أن يسعفا

و أسل دموعك رغبة و تضرّعا و أطل بها عند التضرّع موقفا

و اذكر ذنوبك و اعترف بعظيمها فعسى الذي ترجو له أن يعظفا

و اجعل شفيحك إن قصدت عناية قبراً تقدّس تربته و تشرفا

قبر تضمّن نور هدى و اضحالم يحتجب عن مبصريه و لا اختفى

قبر حوى النور المبين و نوره يهدى به سبل السلام من اقتفى

قبر به للهاشمي محمد أبهى الأنام سنا و أوفى من وفى

خير الورى علم التقى شمس الهدى للمتقى و المجتبى و المصطفى

سلم عليه و خصّه بتحيّئه و اقرأ عليه من السلام مضاعفا

و اذكر، هديت، أبا البطالة، عمره هيهات كم نقض العهود و أخلفا!

و لكم تيّقن بالدليل فما له ركب العناد لجاجة و تعسفا؟

و عصى فأسلم للقطيعة و الجوى حقّ على من خان أو لا يعرفا

هل للعفو تنفّح نحوه يوما فيضحى بالرّضا متعرّفا؟

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٣ و أعد حديث مشوق قلب عنده من لم يذب شوقا له ما أنصفا

أخبره عن حبّي و طول تشوّقي تفديك نفسي مخبرا و معرّفا

و تشكّك من جاء الإله فإنّ لى نفسا تسوّفنى المتاب تسوّفا

مولده: بغرناطة في ذى حجة خمس و ثلاثين و ستمائة.

وفاته: ذكر أنه كان حيا سنة خمس و ثمانين و ستمائة.

علي بن محمد بن توبة

يكنى أبا الحسن.

حاله: كان من العلماء الجامة الفقهاء الفضلاء. ولّى قضاء غرناطة لباديس بن حبّوس، و على يديه كان عمل منبر جامعها، و كان عمله في شهر ربيع الأول سنة سبع و أربعين و أربعمئة. و كان من قضاء العدل، و إليه تنسب قنطرة القاضي بغرناطة و المسجد المتصل بها في قبلتها. و كان كاتبه الزاهد أبا إسحاق الإلبيري، و فيه يقول:

[الخفيف]

بعلى ابن توبة فاز قدحى و سمت همّتى على الجوزاء
فهتيا لنا و للدين قاض مثله عالم بفضل القضاء
يحسم الأمر بالسياسة و العدل كحسم الحسام للأماء
لو أنا سيرناه قال اعترافا غلط الواصفون لى بالذكاء
لو رأى أحنف و أكبر منه حلمه ما انتموا إلى الحلما
أو رأى المنصفون بحر نداه جعلوا حاتما من البحر لاء
هو أوفى من الشمول و عهدا و لما زال مغرما بالوفاء
و حياء المزن و حيا أخاه أهملت كفه بوبل العطاء

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٤ يشهد العالمون فى كل فنّ أنّه كالشهاب فى العلماء
و قضاء الزمان أرض لديهم و هو من فوقهم كمثل السماء
لتعزّضت مدحه فكأنّى رمت بحرا مساجلا بالدلاء
فأنا معجم على أنّ خيلى لا تجارى فى حلبة الشعراء
لكسانى محبّرا ثوب فخرطال حتى حرّرته من ورائى
و لو انصفته و ذاك قليل كان خدى لنعله كالحداء
فأنا عبده و ذاك فخارى و جمالى بين الورى و بهائى
و ثنائى وقف عليه و شكرى و دعائى له بطول البقاء

علي بن عمر بن محمد بن مشرف بن محمد بن أضحى ابن عبد اللطيف بن الغريب بن يزيد بن الشمز ابن عبد شمس بن الغريب الهمداني

و الغريب بن يزيد هو أول مولود ولد للعرب اليمانيين بالأندلس، يكنى أبا الحسن.

ولى غرناطة، و كان من أهل العلم و الفهم، و المشاركة فى الطب، و الكفاية الجيدة، و الشعر فى ذروة همدان، و ذوائبهما، حسن الخط، كريم النفس، جواد بما يمارى، عطايه جزلة، و مواهبه ستيه، و خلقه سهله، كثير البشاشة، مليح الدّعابة، موطأ الأكناف، على خلق الأشراف و السادة.

مشيخته: روى بالمريه عن القاضى أبى محمد بن سمحون و به تفقه، و قرأ الأدب على ابن بقتّه، و على الإمام الأستاذ أبى الحسن على بن أحمد بن البادش، و سمع الحديث على الحافظ أبى بكر بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية و غيره.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٥

شعره: من شعره يخاطب الوزير ابن أبى و يعتذر إليه، و كان الفقيه أبو جعفر المذكور قد خاطبه شافعا فى بعض الأعيان، فتلقّى شفاعته

بالقبول، ثم اعتقد أنه قد جاء مقصراً، فكتب إليه: [الطويل]
 و مستشفع عندي بخير الوري عندي و أولاهم بالشكر مني و بالحمد
 و صلت فلما لم أقم بجزائه (للفت له رأسى حياء من المجد)
 و كتب يخاطب أبا نصر بن عبد الله، و قد كان أبو نصر خاطبه قبل ذلك :
 [الطويل]

أتنتى أبا نصر نتيجة خاطر سريع كرجع الطرف في الخطرات
 فأعربت عن وجد كمين طويته بأهيف طاو فاتر اللحظات
 غزال أحّم المقلتين عرفته بخيف مني للحسن أو عرفات
 رماك فأصمى و القلوب رمية لكل كحيل الطرف ذى فتكات
 و ظن بأن القلب منك محصّب فلباك من جنباه بالجمرات
 تقرب بالنسك في كل منسك و ضحى غداة التحر بالمهجات
 و كانت له جيان مثوى فأصبحت ضلوعك مثواه بكل فلاة
 يعز علينا أن تهيم فتنطوى كئيبا على الأشجان و الزفرات الإحاطة في أخبار غرناطة ؛ ج ٤ ؛ ص ٦٥
 فلو قبلت للناس في الحب فدية فديناك بالأموال و البشرات
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٦

و خاطب أحد أوليائه شافعا في رجل طلق امرأته، ثم علق بها نفسه، فلم تسعفه، و كتب إليه: [المتقارب]
 ألا أيها السيد المجتبي و يا أيها الألمعي العلم
 أتنتى أبياتك المعجزات بما قد حوت من بديع الحكم
 و لم أر من قبلها بابلا و قد نفتت سحرها في الكلم
 و لكنه الدين لا يشتري بنثر و لا بنظام نظم
 و كيف أبيع حمى مانعاو كيف أحلل ما قد حرم
 أ لست أخاف عقاب الإله و نارا مؤججه تضطرم؟
 أ أصرفها طالقه بتة على أنوك قد طغي و اجترم؟
 و لو أن ذلك الغبي الخمول تثبت في أمرى ما ندم
 و لكنه طاش مستعجلا فكان أحق الوري بالندم
 و من شعره أيضا قوله رحمه الله: [الخفيف]
 يا عليما بمضمرة القلوب أنا عبد مثقل بالذنوب
 فاعف عنى و تب على و فرج ما أنا فيه من أليم الكروب
 حالما أشتكى سواك طيب كيف أشجى به و أنت طبيى؟
 أنا ممن دعا قريب مجيب فأرح ما بمهجتي عن قريب

توالمفه: قال أبو القاسم بن خلف الغافقى: حدّثنى عنه الفقيه أبو خالد بن يزيد بن محمد و غيره بتوالمفه، منها كتاب «قوت النفوس»،
 «و أنس الجليس» و هو كتاب حسن، ضمن فيه كثيرا من شمائل النبى عليه الصلاة و السلام.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٧

وفاته: توفي بغرناطة في سنة أربعين و خمسمائة، و هو يحاصر الملمثين بقصبه غرناطة حسبما ثبت في اسم ابن هود أحمد.

و من الطارئين و الغرباء

عثمان بن يحيى بن محمد بن منظور القيسى

من أهل مالقة، يكنى أبا عمرو، و يعرف بابن منظور، الأستاذ القاضى، من بيت بنى منظور الإشبيليين، أحد بيوت الأندلس المعمور بالنباهة.

حاله: كان، رحمه الله، صدرا في علماء بلده، أستاذا ممتعا، من أهل النظر و الاجتهاد و التحقيق، ثاقب الذهن، أصيل البحث، مضطلعا بالمشكلات، مشاركاً في فنون، من فقه و عريية، برز فيهما، إلى أصول و قراءات و طب و منطق.

قرأ كثيراً، ثم تلاحق بالشادين، ثم غبّر في وجوه السوابق. قرأ على الأستاذ أبى عبد الله بن الفخار، و لازم الأستاذ أبى محمد بن أبى السداد الباهلى، و تزوج ابنة الفقيه أبى على بن الحسن، فاستقرت عنده كتب والدها، فاستعان بها على العلم و التبخر في المسائل. و قيد بخطه الكثير، و اجتهد، و صنّف، و أقرأ ببلده، متحرّفاً بصناعة التوثيق، فعظم به الانتفاع. و قعد للتدريس خلفاً للراوية أبى عثمان بن عيسى في شوال عام تسعة و سبعمائة. و ولى القضاء ببلش و قمارش،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٨

و ملتماس، ثم ببلده مالقة. و توفي قاضياً بها. لقيته و انتفعت بلقائه، و بلوت منه أحسن الناس خلقاً، و أعذبهم فكاهة.

شعره: و كان قليلاً ما يصدر عنه، كتب على ظهر الكتاب الذى ألفه للوزير أبى بكر بن ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الحكيم، مقتدياً بغيره من الأعلام في زمانه :

[السريع]

قد جمع الحكم و فصل الخطاب ما ضمّه مجموع هذا الكتاب

من أدب غضّ و من عليه تسابقوا للخير في كلّ باب

فجاء فذاً في العلى و النهى و منتقى صفو لباب اللباب

ألفه الحبر الجليل الذى حاز العلاء إرثاً و كسبا فطاب

تواليفه: ألف كتاب «اللمع الجدلية في كيفية التحدث في علم العريية». و له تقييد في الفرائض، حسن سمّاه، «بغية المباحث في معرفة مقدمات الموارث»، و آخر في المسح على الأنماق الأندلسى.

وفاته: توفي يوم الثلاثاء الخامس و العشرين لذي حجة من عام خمسة و ثلاثين و سبعمائة، و لم يخلف بعده مثله.

على بن أحمد بن الحسن المذحجى

من أهل حصن ملتماس، و ابن وزيره الفقيه الحافظ القاضى، يكنى أبا الحسن، و يعرف بجده.

حاله: من أولى الأصاله و الصّيانه و التعفّف، و العكوف على الخير، و الآوين إلى طعمه متوارثه، و نباهة قديمة، صنّاع اليد، متقن لكل ما يحاوله من تسعير و نجارة، مبدول المودة، مطعم للطعام بدار له معدة للضيّفان من فضلاء من تطويه الطريق، و يغشاه من أبناء السبيل. و لى قضاء بلده في نحو عشرين سنة، فحمدت سيرته، ثم ولى قضاء مالقة فظهرت دربته و معرفته بالأحكام، فأعفى و عاد إلى ما كان بسبيله من القضاء بموضعه و الخطابة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٩

مشيخته: قرأ على الشيخين الصالحين؛ أبي جعفر بن الزيات، و أبي عبد الله بن الكماد ببلده بلش، و أخذ عنهما. تواليفه: له أجوبة حسنة في الفقه، و صنّف على كتاب البراذعي تصنيفاً حسناً بلغ فيه إلى آخر رزمة البيوع ثلاثة عشر سفراً، و استمرت على ذلك حاله. وفاته: توفي ببلده بلش في ... من عام ست و أربعين و سبعمائة.

علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي النباهي المالقي

صاحبنا أبو الحسن.

أوليته: تنظر فيما تقدم من أهل بيته و المذكورين فيه من سلفه .

حاله: هذا الرجل، ولى قضاء الحضرة، و خطابه جامع السلطان، و عرض له تقزز فيما يقف عليه من منتخب وصفه، و عدم رضا بما يجتهد فيه من تحليلته، فوكلنا التعريف بخصائصه، إلى ما اشتهر من حميدها، تحرّجا مما يجزّ عتبه، أو يشير عدم رضاه. مشيخته: ذكر أنه أخذ عن الشيخ الخطيب أبي بكر الطنجالي، قريب أبيه، و الناظر عليه بعده بوصاته. و كان من أهل الدراية و الرواية، و عن الشيخ الفقيه أبي القاسم محمد بن أحمد الغساني، شهر بابن حفيد الأمين، و قرأ عليه الفقه و القرآن، و سمع عليه، و تلا على الشيخ الأستاذ المقرئ أبي محمد بن أيوب، و سمع عليه الكثير. و هو آخر من حدّث عن أبي بن أبي الأحوص، و على الشيخ المقرئ أبي القاسم بن يحيى بن محمد بن درهم، و أخذ عن قريبه القاضي، نسيح وحده أبي بكر عبد الله بن بكر الأشعري. و من أشياخه صهره القاضي الأستاذ أبو عمرو بن منظور،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٧٠

و الأستاذ الحافظ المتكلم أبو عبد الله القطان، و الصوفي أبو الطاهر محمد بن صفوان، و القاضي الكاتب أبو القاسم محمد البناء. و صحب الشيخ أبا بكر بن الحكيم، و لازمه و روى عنه. و لقي الخطيب المقرئ أبا القاسم بن جزى، و أخذ نسبه عن الشيخ أبي القاسم بن عمران. و برنده عن القاضي المحدث المقيد أبي الحجاج يوسف المنتشافي. و رحل فلقى بتلمسان عمران أبا موسى المشدالي، و حضر مجلسه، و الأخوين الإمامين أبا زيد و أبا موسى ابني الإمام. و بباجه، أبا العباس أحمد بن الرباعي، و أبا عبد الله بن هارون. و بتونس أعلاما، كقاضي الجماعة أبي عبد الله بن عبد السلام. قال: و من خطّه نقلت، و أجازني من أهل المشرق و المغرب، عالم كثير. شعره: قال: نظمت مقطوعتين، موطّئا بهما على البيتين المشهورين.

الأولى منهما قولى: [الطويل]

بنفسى من غزلان غزوى غزاله جمال محياها عن التّسك زاجر
تصيد بلحظ الطرف من رام صيدها لو أنه التّسر الذى هو طائر
معطره الأنفاس رائقه الحلوى هواها بقلبي فى المهامه سائر
«إذا رمت عنها سلوة قال شافع من الحبّ: ميعاد السلو المقابر»

و الأخرى قولى: [الطويل]

و قائلة لما رأت شيب لمتى لئن ملت عن سلمى فعذرك ظاهر
زمان التّصابى قد مضى لسبيله و هل لك بعد الشّيب فى الحبّ عاذر؟
فقلت لها: كلّا و إن تلف الفتى فما لهواها عند مثلى آخر
«ستبقى لها فى مضمرة القلب و الحشاسريرة و دّ يوم تبلى السّرائر»

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٧١

و كتب مع شكل يحذو على النعل الكريم، من شأنه أن يكتب ذلك لكل مزعم سفر: [الطويل]
 فديتك لا يهدى إليك أجلّ من حديث نبيّ الله خاتم رسله
 و من ذلك الباب المثال الذي أتى به الأثر المأثور في شأن نعله
 و من فضله مهما يكن عند حامل له نال ما يهواه ساعة حملة
 و لا سيما إن كان ذا سفر به فقد ظفرت يمناه بالأمن كلّه
 فدونك منه أيها العلم الرّضامثالا كريما لا نظير لمثله
 و من ذلك قوله: [البسيط]

لا تلجأن لمخلوق من الناس من يافت كان أصلا أو من الياس
 وثق برّبك لا تياس ترى عجبافلا أضّر على عبد من الياس
 و من قوله يمدح السلطان و يصف الإعدار: [البسيط]
 أبدى لنا من ضروب الحسن أفنانا هذا الزمان لمولانا ابن مولانا
 يقول فيها لطف الله بنا و به:

و لا تحرك لسانا يا أخا ثقة برّيم رامة إن وقي و إن خانا
 يظلّ ينشر ميت الوجد عن جدث من الجفون أو الأحشاء عريانا
 ثم قال فيها بعد كثير يرجي عفو الله فيه:

فما التسيب بأولى من حديث علاعن الإمام ينيل المرء رضوانا
 يّممه تحظ بما أملت من أمل يجنيك للسؤل أفنانا فأفنانا
 و منها في المدح:

ملك يخفّ لراجيه بنائله على وقار يرى كالعين ثملانا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٧٢ ملك ينصّ له الآلاء عزته على السعادة في الدارين فرقانا
 العاطر الذّكر ترتاح النفوس له تخال فيه لها روحا و ريحانا
 السّاحر المنطق في شتى العلوم إذا سألت منه لوجه الرّشد هانا
 كسا الزمان ثياب الفضل حتى قضا عن منكبي صرفه ظلما و عدوانا
 و عظم الشرع حتى أن داعيه لا يستطيع له المدعوّ عصيانا
 و منها في ذكر الإعدار:

لله درّك يا مولاي من ملك شيدت بالحق للإسلام بنيانا

و لم تبال ببذل المال في غرض يعمّ بالفضل ولدانا و بلدانا
 و قمت في الولد الميمون طائرته بسنة الدين إكمالاً و إتقانا
 بدا لنا قمرا ترنو العيون له مقلّدا من نطاق المجد شهبانا

و قام يسحب أذيال الجمال على بساط ملكك بالإعدار جدلانا
 خجلان بالقصور عن بلوغ مدامن العلى بل الحسن منه قد بانا
 فدهته أنفسنا لو كان يقبلها منّا و كانت على الإبلال قربانا
 فيا دما سال عن تقوى فعاد له بين الدماء طهورا طيبا زانا

ولا دليل على الغفلة المعبر عنها بالسلامة و الذهول كقوله: و قمت في الولد الميمون طائره. و من ذلك قوله يخاطب صاحب العلامة بالمغرب أبا القاسم بن رضوان: [الطويل]

لك الله قلبى فى هواك رهين و روحى عنى إن رحلت ظعين
ملكيت بحكم الفضل كلّى خالصا و ملكك للحرّ الصريح يزين
فهب لى من نطقى بمقدار ما به يترجم سرّ فى الفؤاد دفين
فقد شملتنا من رضاك ملابس و سخّ لدينا من نداك معين
أعنت على الدهر الغشوم و لم تزل بدنياك فى الأمر المهمّ تعين
و قصّر من لم تعلم النفس أنه خذول إذا خان الزمان يخون
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٧٣ و إنى بحمد الله عنه لفى غنى و حسبى صبر عن سواك يصون

أبى لى مجد عن كرام و رثته و قوفا بباب للكرام يهين
و نفسى سمت فوق السماكين همّة و ما كلّ نفس بالهوان تدين
و لما رأت عيني محياك أقسمت بأنك للفعل الجميل ضمين
و عاد لها الأفس الذى كان قد مضى بريّة إذ شرخ الشباب خدين
بحيث نشأنا لابسين حلى التقى و كلّ بكلّ عند ذاك ضنين
أما و سنى تلك الليالى و طيبها و جد غرامى و الحديث شجون
و فتیان صدق كالشموس و كالحياحيثهم ما شئت عنه يكون
لئن نرحت تلك الديار فوجدنا عليها له بين الضلوع أنين
إذا مرّ حين زاده الشوق جدّه و ليس يعاب للربوع حنين
لقد عبثت أيدى الزمان بجمعنا و حان افتراق لم نخله يحين
و بعد التقينا فى محلّ تغرّب و كلّ الذى دون الفراق يهون
فقابلت بالفضل الذى أنت أهله و ما لك فى حسن الصنيع قرين
و غبت و ما غابت مكارمك التى على شكرها الرّبّ العظيم يعين
يمينا لقد أوليتنا منك نعمة تلذّ بها عند العيان عيون
و يقصر عنها الوصف إذ هى كلّها لها وجه حرّ بالحياء مصون
و لما قدمت الآن زاد سرورنا و مقدمك الأسنى بذاك قمين
لأنك أنت الرّوح منّا و كلنا جسوم، فعند البعد كيف تكون
و لو كان قدر الحبّ فيك لقاؤنا إليك لكننا بالزّوم ندين
و لكن قصدنا راحة المجد دوننا فراحتته شمل الجميع تصون

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٧٤ هنيئا هنيئا أيها العلم الرّضابما لك فى طيّ القلوب كمين
لك الحسن و الإحسان و العلم و التقى فحبّك دنيا للمحبّ و دين
و كم لك فى دار الخلافة من يدأقرت لها بالصدق منك مرين
و قامت عليها للملوك أدلة فأنت لديها ما حييت مكين
فلا وجه إلّا و هو بالبشر مقبل و لا نطق إلّا عن علاك ميين

بقيت لربع الفضل تحمى ذماره صحيحا كما قد صحّ منك يقين
و دونك يا قطب المعالي بتيه من الفكر عن حال المحبّ تبين
أتتك ابن رضوان تمتّ بودها ما لسوى الإغضاء منك ركون
فخلّ انتقاد البحث عن هفواتها مهّد لها بالسّمح حيث تكون
و خذها على علّاتها فحديثها حديث غريب قد عراه سكون
و من شعره قوله في ليلة الميلاد الكريم من قصيدة: [الطويل]
خليلى، مرّا على أرض مأرب ولا تعذلانى إننى غير آئب
و هى طويلة أثبتت فى الرّحلة، فلينظرها هنالك من أراد استيفاء غرضها.

نثره: من أمثل ما صدر عنه فى غرض غريب، و هو وصف نخلة بإزاء باب الحمراء. و نثره كثير، و لكننا اخترنا له ما اختار لنفسه، و أشاد
بشفوفه على أبناء جنسه:

يا أيها الأخلّاء الذين لهم الصّينائع، التى تحسدها الغمائم، و البدائع التى توّدها بدلا من أزهارها الكمائم، بقيتم و شملكم جميع، و
روض أملككم مريع، و الكل منكم للغريب الحسن من حديث المحبّ سميع: [الوافر]

بأرض النخل قلبى مستهام فكيف يطيب لى عنها المقام؟

لذاك إذا رأيت لها شبها أقول و ما يصاحبنى ملام

ألا يا نخلة من ذات عرق عليك و رحمة الله السلام

فسلّمت يوما تسليم المبرّة، على مدنها الحرّة البرّة، جارة حائط الدار، الواقفة للخدمة كالمنار، على سدّة الجدار، بياض النهار، و سواد
الليل المتلفعة بشعار

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٧٥

الوقار، المكفولة الدّيل، أنيسة مشيخة الجماعة، القاطنة من الحمراء العليّة، بباب ابن سماعه، فحين عطفت عليها، و صرفت زمام راحلتى
إليها، و وقفت بإزاء فنائها، و لكنها وقوف المشفق من فنائى و فنائها، و قلت لها: كيف حالك أيتها الجارة، الساكنة بنجدة الحجارة،
الواعظة للقريب و البعيد، بمقامها صامتة على الصّعيد:

[الطويل]

سفاك من الغرّ الغوادى مطيرهاو لا زلت فى خضراء غصّ نظيرها

فما أحقّك من باسقة بالترّحيب، و أقربك من رحمت السّميع المجيب، خلّتها اهتزّت عند التّداء اهتزاز السّرور، و تمايلت أكامها
تمايل التّمّل المسرور، ثم قالت لسائلها، بلسان و سائلها، عند مشاهدته مثلى تقول العرب: عينها فرارها، و ابن جدّها للناظرين اصفرارها،
و جملة بخيتى، بعد إتمام تحيتى، أنّ الدهر عجم قناتى، و مسّ الكبير كدّر سناتى، و ما عسى أن أبثّ من ثكناتى، و جلّ علاتى من
تركيب ذاتى.

و لكنتى أجد مع ذلك أنّ وقارى، حسن لدى الحىّ احتقارى، و كثرة قناعتى، أثمرت إضاعته، و كمال قدّى، أوجب قدّى، فما أنس
م الأشياء، لا أنس عدوان جعسوس، من لعبوش اليهود أو المجوس، يفحص بمديته عن وريدى، و يحرص على مدّ جريدى، و يجده
كل عام بخنجره أنفى، و كلّما رمت كفّ إذايته عنى، كشم كفّ، فلو رأيت صمصعة أفنانى، و سمعتم عند جدم بنانى، قعقة جنانى،
و الدمع لّمّا جفانى، يفيض من أجفانى، و الجعسوس الخبيث المنحوس قد شدّ ما حدّ بأمراسه، و رفعه لبيعه كفره على راسه، بعد الأمر
بوضعه على أسنمة القبور، حسبما ثبت فى الحديث المشهور، لحملتكم يا بنى سام و حام، على الغيرة و شائج الأرحام، فقد علمتم
بنصّ الأثر أنى عمّتكم القديمة، و إن لم أكن لذلك بأهل فإننى لكم اليوم خديمة، أو من ذريّة الفريق الموجب المضروب به المثل

يوم السّقيفة، لمن رام من أشرف الأندلس أن يكون إذ ذاك خليفة. وخاله أبا كانت النخلة البرشاء الكبيرة، التي حدثها الأمير عبد الرحمن بالزّصافة القريبة من كورة إبيرة. فكيف الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٧٦

يسهل اليوم عليكم إهمالي، و يجمع لديكم إهمالي، و ترك احتمالي، و الأيام و الحمد لله مساعدة، و الملك ملك بني ساعدة؟ فلما سمعت عتابها، و علمت أنها قد شدّت للمناضلة أقتابها، قلت لها: أهلا بك و سهلا، و مهلا عليك أو بهلا، لقد دسع بعيرك، و عادت بالخيبة عيرك. فليست الحقيقة كالمجاز، و لا جليقية في التّيات كالحجاز. هنا جنّات من أعناب مرسله الذّيول، مكملة الأطناب، قد طاب استيارها، و حمد اختبارها و اختيارها، و عذبت عيون أنهارها، و تفتّحت كمام أزهارها، عن وردها و نرجسها و بهارها، و سرت بطرف محاسنها الرّفاق، حتى قلت منها الشّام و اليمن و العراق. فحين كثر خيرها، سحر بالضرورة غيرها، و أنت لا كنت يا خشبة، قد صرت من المنال عشبة، و أصبحت نذلي خالفة، و رذلي بالهم تالفة، لا- يجتنى بلحك و لا- طلحك، و لا يرتجى نفعك، فالأولى قطعك أو قلحك، و إلّا فأين قنوك أو صنوك، أو تمر ك أو سبرك؟ هلا أبقيت يا فسيلة على نفسك، و راعيته صلحة جنسك؟ و لقد انتهت بك المحارجه إلى ارتكاب ما لا- يجوز، و في علمك أنّ من أمثال الحكماء كل هالك عجوز. حسبك السّيح لك بالمقام، ما دمت حيّة في هذا المقام. فانقطع كلامها، و ارتفع بحكم العجز ملامها. و ما كان إلّا أن نقل مقالتي، فقال المتكلم بلسان القالي: أنا أتطوّع بالجواب، و على الله جزيل الثّواب، ليعلم كلّ سائل، أنّ تفضيل النخل على العنب من المسائل التي لا يسع فيها جحد جاحد، و إن كانا أخوين سقيا بماء واحد. و قد جرى مثل هذا الخطاب بين يدي عمر بن الخطاب، فقيل: يا بني حتمه: أيهما أطيب، الرّطب أم العنب؟ فقال: ليس كالصقر، في رؤوس الرّقل، الراسخات في العقل، المطاعم في المحل، تحفه الصّائم، و نقله الصّبي القادم، و نزل مريم بنت عمران، و النخلة هي التي مثّل بها المؤمن من الإنسان، ليس كالزّيب الذي إن أكلته ضرست، و إن تركته غربت، و كفى بهذه الرواية حجة، لمن أراد سلوك المحجّة. و على كل تقدير، فقد لزم التفضيل للنخلة على الكرمة لزوم الصّيلة للموصول، و التّصّب للمنادى الممتول، و العجز لكتابي المحصّل و المحصول. و كم على ترجيح ذلك من قياس صحيح، و نقل ثابت صريح. قال:

و اعتذاركم بالمهرمة، عن فعل المكرمة، لأمة في تلك الطّباع كامنة، و سامة للتلف لا للخلف ضامنة. و ذكرت المثمرة و البسرة، و الوقت ليس بوقت عسرة، فأذكرتم قول القائل، في بعض المسائل: دعنا من تمرتان و بسرتان أو تمرتين و بسرتين، على الوجهين، المتوجّهين في المسلتين، و في ضمن ذكركم لذلك أدلّة صدق على

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٧٧

تطلع النفس الفقيرة، للأعراض التافهة الحقيرة، و الإمامة العظمى، أجلّ عندنا و أسمى، من أن تلاحظ بعينها تلك الملاحظ، و لو اصل لديها مراتبها و أفكارها بيانه و تبيانه عمرو بن بحر الجاحظ، إذ هي كافأ الله فضلها و لا قلص ظلّها كالسحاب، نجد بغيثها على الآكام و الضّراب، و منابت الشجر من التّراب، فضلا عن الخدمة و الأتراب، فليس يضع مع جميل نظرها ذو نسب، و لا يجهل في أيامها السّعيدة مقدار منتسب إلى حسب. و إن وقعت هفوة صغيرة، أعقبها حسنة كبيرة، و من أثره، و نعم كثيرة. و لم لا، و روح أمرها، و مذهب نصره جمرها، علم السادة للقادة الأكابر، المغرم بجبر كل كسير، و ناهيك من به جابر الرازي، ذكر ما أثره بعرف أطيب الطّيب، الوزير أبو عبد الله بن الخطيب. و المطلوب منه لهذه الشجرة الثّمر، الغريبة الشّما، التي أصلها ثابت و فرعها في السماء، إنما هو يسير بنا، و ظهير اعتنا، و خنجر يرما، لعل عباسه أديم دوها أن تذهب، و أكام كباسه قنوها أن تفصّض بنعيم النضارة ثم تذهب، و يعود إليها شرح شبابها، و تستحكم صفرة ثيابها، و خضرة جلبابها، و ذلك كله بمنّ اللطيف الخبير، من أسهل العمل على مجد الأمير، و فضل الوزير، إذ هما، دام عزّهما، على بينة من أن الإحسان ألقاح، و الشكر نتاجه، و الثناء إكليل، و هو في الحقيقة تاجه. قال المسلم: و من يا إخوتي، لعلّي بمعارضة الحافظ أبي علي، و لو أني اشتملت شملة النّضر بن شميل، و أصبحت أفصح من عامر بن الطّنفيل، و أخطب من شبيب، و أشعر من حبيب، و جزت من طرق الجدال، منازل نقدة صدور الأبدال. و على أنه ما قال إلّا حقًا، فبعدا للمرء و سحقا. و

لكنى أقسم عليكم بمقدّر الضيا والحلك، و مسخر نجوم الفلك، بإصابة الأعراب، و أصحاب الإغراب، و أرباب فنون الإعراب، ألا ما تأملتم فصول هذه المقالة، و أفئتم بما يترجّح فيها لديكم من نسخ أو فسخ أو إجادة أو إقاله، فأنتم علماء الكلام، و زعماء كتائب الأقلام، و المراجعات بين شقاشق الرجال شنشنة معروفة، و طريقة إليها الوجوه في كثير من المخاطبات مصروفة، لا زلتم مذكورين في أهل البيان، مشكورين على بذل الفضل مدى الأحيان. و الله سبحانه يجعل التوفيق حاديكم، و نور العلم هاديكم، و منه نسل، جلّ اسمه، التطهير من كل معابة، و السّيح فيما تخلّل هذه المقامة من دعابه، و التحية الكريمة مع السلام الطيب المعاد، يعتمد من يقف عليها من الآن إلى يوم المعاد، و الرّحمت و المسرات، و البركات و الخيرات، من كاتبها على بن عبد الله بن الحسن، أرشده الله. الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٧٨

المقرؤون و العلماء

علي بن أحمد بن خلف بن محمد بن البادش الأنصاري

من أهل غرناطة، يكنى أبا الحسن، الشيخ الأستاذ، إمام الفريضة بجامع غرناطة. حاله: من الملاحى: أوحد زمانه إتقانا و معرفة و مشاركة في العلوم و انفرادا بعلم العربية. و كان حسن الخط، كثير الكتب، ترك منها بخطه كثيرا جدا، مشاركا في الحديث، عالما بأسماء رجاله و نقلته، مع الدّين، و الفضل، و الزهد، و الانقباض عن أهل الدنيا، و ترك الملابس لهم.

مشيخته: قرأ على المقرئ بغرناطة أبي القاسم نعم الخلف بن محمد بن يحيى الأنصاري، و أبي علي الصّديقي، و غيرهم ممن يطول ذكرهم. و حدث عنه القاضي أبو الفضل عياض بن موسى، و القاضي أبو محمد بن عطية، و القاضي أبو عبد الله بن عبد الرحيم، و القاضي أبو بكر جابر بن يحيى التّغلبى، و القاضي أبو خالد عبد الله بن أبي زمنين، و القاضي أبو الحسن بن أضحى. تواليفه: ألف في النحو كتبا كثيرة، منها على كتاب سيويه، و على كتاب المقضب، و على الأصول لابن السّراج، و شرح كتاب الإيضاح، و كلامه على كتاب الجمل لأبي القاسم، و كلامه على الكافي لابن النحاس، مع التنبيه على وهمه في نحو مائة موضع، إلى غير ذلك.

شعره: قال أبو القاسم: و له نظم ليس بالكثير. فمن ذلك: [الكامل]

أصبحت تقعد بالهوى و تقوم و به تقرّظ معشرا و تديم

تعنيك نفسك فاشتغل بصلاحتها ننى بغير السقام سقيم

وفاته: توفى بغرناطة سنة ثمان و عشرين و خمسمائة، و صلّى عليه إثر صلاة العصر ابنه الأستاذ أبو جعفر، و دفن بمقبرة باب إلبيرة، و ازدحم الناس على نعشه، و كانت جنازته حافلة، و تفجّع الناس على قبره. و قبره مشهور، يتبرّك به الناس.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٧٩

علي بن محمد بن دري

المقرئ الفقيه، الخطيب أبو الحسن، الإمام بجامع غرناطة، أصله من طليطلة. حاله: كان من خيار الناس و فضلائهم، و أهل المعرفة منهم، عارفا بإقراء كتاب الله، عزّ و جلّ، و الرواية للحديث. أخذ الناس عنه، و كانت عنده مشاركة و مسارعة لقضاء الحوائج، و المشى للإصلاح بين الناس، و الإشفاق على المساكين، كثير الصدقة، و السّعى في فداء الأسرى، و الوسائط الجميلة في مهمّات الأمور و مشكلاتها.

دخل رجل تاجر غريب الميضاة للوضوء، فنسى بها و عاء فيه جملة مال، فتذكر له، فرجع و لم يجده، فسقط مغشيا عليه، فاجتمع عليه الناس، و هو يقول: مالي، و وافق خروج الأستاذ أبي الحسن المذكور من الجامع، فسأل عنه، فجالس أذنه، فقال: مالك عندى وديعة تركته أنت عندى، و إذا كان بعد صلاة العصر تأخذه. فقام الرجل، فكأنما نشط من عقال، و مشى الخطيب فى حينه إلى مشرف غرناطة ابن مالك، فقال له: إنى اشتريت لك قصرا فى الجنة، بخمسائة دينار، و أنا الضامن لذلك، فشكره، و أخبره الخطيب بالقصة، فدفع إليه المال، فدفعه إلى الرجل. و كان الناس لا يتوقفون له فى أمر.

مشيخته: روى بطليطلة عن أبي عبد الله المقامى، و عن أبي مسلم الضرير المقرئ، و القاضى أبي الوليد الوقشى، و أخذ عن أبوى على الصدفى و الغسانى، و عن أبى مروان بن سراج، و ابنه سراج.

وفاته: توفى بغرناطة فى رمضان سنة عشرين و خمسمائة، و صلى عليه القاضى أبو القاسم بن ورد، و دفن فى مقبرة باب إلبيرة، و كانت جنازته حافلة، و تفجع الناس عليه، و أخلصوا الدعاء له.

و ممن رثاه أبو عبد الله بن أبى الخصال بقوله: [الطويل]

عتاب و ما يغنى العتاب على الزمن و شكوى كما تشكو الرياح إلى السفن

و ما رضيت بعد الغضارة أيكه نبحت و لكن عالم الكون ممتحن

و ما ذا عليه و السلامة حظه بأن تتخطاه النوائب و المحن

فليت كريما ينعش الناس خيره يعمر فيها عمره الآن أو حضن

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٨٠ و لكنه يمضى كظل غمامة و يبقى لسم سره غير مؤتمن

يود الفتى طول البقاء و طوله يورثه ثكل الأحبة و البدن

و أى اغتباط فى حياة مرزء ابروح على بث و يغدو على شجن

زيادته نغص و جدته بلى و راحتته كرب و هدنته دخن

إذا فوق السهم المصيب فقلبه و من صار فيه من أحبته فن

فيا عجبا للمرء يلتد عيشه معايش قد لزت مع الموت فى قرن

أرى كل حى للميتة حاملافيا ويحه مما تحمّل و احتضن

إذا زادت الأيام فينا إساءة نزيد على علم بما ساء حسن ظن

و لم أر مثل الموت حقا كباطل و كل قباء ليس بالموت مرتهن

أ إخواننا، لم تبق إلّا تحية أرقى بها تلك المعاهد و الدمن

أ إخواننا، هل تسمعون تحيتى و ذو كلم ما تحجب السرّ و العلن؟

أبا الحسن، خلّد فى الجنان منعماء جزاء بما أسلفت من سعيك الحسن

يطير فؤادى روعه فإذا رأى محياك فى دار الغنا و الرضا سكن

و قد كنت ترتاد المواطن إذ نبت فبؤأك الرحمن فردوسه وطن

و بت معنى بالجلاء فنلته و قد كان حاديه يغرد بالظعن

و لم ترض إلّا الأرض هجرتك التى تخيرها الأولياء على القنن

و فى مثلها أن الرسول مهاجر لسعد و قد واره أكرم مدفن

على أنك المدعو من كل بلدة هلم فإننا دونك الحجب الجنن

سيرضيك من أرضيته فى عبادته و جاهدت فيه بالفروض و بالشنن

و يبقى كما بقيت بعدك أنه لهم فلما استهوتهم روعه سكن
 و يحفظهم حفظ اليتيمين أيدا بوقع جدار قد تداعى و قد وهن
 أبا الحسن، إن المدى، بعد ما بدأ، طويل، و لا يعتد في جنب ما بطن
 و أسير وجد في فراقك أنه سيبقى عليك الوجد ما بقى الزمن
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٨١ سقى الله و السقى بكفيه تربة مباركة ضمتك أسرع ما هتن
 و لا برحتها ديمة مستهله إذا ركضتها الريح قام بها جرن
 فلا زلت في روض و روح و رحمته و مقبرة تترى على ذلك الجنن

على بن عمر بن إبراهيم ابن عبد الله الكنانى القيجاطى

يكنى أبا الحسن، أصله من بسطة، و استوطن غرناطة، حتى عد من أهلها قراءة و إلقاء و لزوما.
 حاله: من «العائد»: أوحد زمانه علما و تخلقا و تواضعا و تفننا. ورد على غرناطة مستدعى عام اثني عشر و سبعمائة، و قعد بمسجدها
 الأعظم يقرئ فنونا من العلم، من قراءات و فقه و عربية و أدب. و ولى الخطابة، و ناب عن بعض القضاة بالحضرة، مشكور المأخذ،
 حسن السيرة، عظيم النفع. و قصده الناس، و أخذ عنه البعيد و القريب. و كان أديبا لو ذعيا، فكها، حلوا، و هو أول أستاذ قرأت عليه
 القرآن و العربية و الأدب، إثر قراءة المكتب.

مشيخته: قرأ على أبيه ببلده بسطة القرآن، بالروايات السبع، و جمعها في ختمه، و على الأستاذ أبي عبد الله بن مساعد الغساني. و قرأ
 بغرناطة القرآن على الأستاذ أبي عبد الله بن مستقور، و الأستاذ أبي جعفر الطباع، و الأستاذ الشهير أبي الحسن بن الضايغ، و الأستاذ
 النحوى أبي الحسن الأبيدى، و على القاضي أبي عمرو بن الزندى، و الفقيه القاضى أبي على بن الأحوص، و على الفقيه النسابة أبي
 جعفر بن مسعدة، و الأستاذ العلامة أبي جعفر بن الزبير. و لقي الشيخ الصالح ولى الله أبا إسحاق بن عبيدس، و حضر مجالسه العامة. و
 ذكر أنه كان يفتح مجلسه الذى يتكلم فيه بقوله: لا حول و لا قوة إلا بالله، كنز من كنوز الجنة، رزقنا الله الأدب مع الله، و استعملنا
 فيما يرضيه، و يرضى رسوله، و جعل حظنا فى الدار الآخرة. و لقي الإمام بجامع بسطة الخطيب الراوية أبا الحسن بن نافع، و غيرهم، و
 له تواليف فى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٨٢

فنون، و شعر، و نثر. فمن شعره قوله: [الكامل]

روض المشيب تفتحت أزهاره حتى استبان ثغامه و بهاره
 و دجى الشباب قد استبان صباحه و ظلامه قد لاح فيه نهاره
 فأتى حمام لا يعاف وقوعه و مضى غراب لا يخاف مطاره
 و العمر مثل البدر يرمى حسنه حينا و يعقب بعد ذاك سراره
 ما للإخاء تقلصت أياؤه ما للصفاء تكدرت آثاره
 و الحرّ يصفح إن أخلّ خليله و البرّ يسمح إن تجزأ جاره
 فتراه يدفع إن تمكن جاهه و تراه يرفع إن علا مقداره
 و لأنت تعلم أننى زمن الصبما زلت زندا و الحياء سواره
 و الهجر ما بين الأحبة لم يزل ترك الكلام أو السلام مثاره
 و لكم تجافى عن جفاء خليله فظن و قد ظفرت به أظفاره

و لكم أصرّ على التدابر مدبرأفضى إلى ندم به إصراره
فأقام كالكسعى بان نهاره أو كالفزردق فارقتة نواره
أنكرتم من حقّ معترف لكم بالحقّ ما لا ينبغي إنكاره
و الشّرع قد منع التقاطع نصّه قطعاً و قد وردت به أخباره
و السنّ سنّ تورّع و تبرّع و تسرّع لتشرّع تختاره
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٨٣ ما يومنا من أمسنا قدك اتّذذهب الشّباب فكيف يبقى عاره؟
هلاً حضرتتم أو حذرتم منه ما حقّ عليكم حضره و حذاره
عجبا لمن يجرى هواه لغاية محدودة إضماره مضماره
يأتى ضحى ما كان يأتيه دجى فكأنّه ما شاب منه عذاره
فيعدّ ما تفنى به حسناته و يعيد ما تبقى به أوزاره
فالنفس قد أجرته ملء عنانه يشتدّ فى مضمارها إحضاره
و المرء من إخوانه فى جنّة بل جنّة تجرى بها أنهاره
فاليمن قد مدّت إليه يمينه و اليسر قد شدّت عليه يساره
شعر به أشعرت بالنصح الذى يهديه من أشعاره إشعاره
و لو اخترتم نقده بمحكّه لامتاز بهرجه و لاح نضاره
هذا هدى فيه اقتده تمل المنى أو أنت فى هذا و ما تختاره
و عليكم منى سلام مثل ما أرجت بروض يانع أزهاره
و من شعره فى الرّثاء قوله من قصيدة: [الطويل]
حمام حمام فوق أيك الأسى تشدوتهيج من الأشجان ما أوجد الوجد
و ذلك شجو فى حناجرنا شجى و ذلك لهو فى ضمائرنا جدّ
أرى أرجل الأرزاء تشتدّ نحونا و أيديها تسعى إلينا فتمتدّ
و نحن أولو سهو عن الأمر ما لنا سوى أمل إيجابنا عنده جحد
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٨٤ فإن خطرت للمرء ذكرى بخاطر فتسيح السّاهى إذا سمع الرّعد
مصاب به قدّت قلوب و أنفوس لدينا إذا فى غيره قطعت برد
تلين له الصّم الصّلاب و تنهمى عيون و يبكى عنده الحجر الصّلد
فلا مقلّة ترنو و لا أذن تعى و لا راحة تعطو و لا قدم تعدو
و قد كان يبدو الصّبر ممّا تجلّداو هذا مصاب صبرنا فيه لا يبدو
مولده: عام خمسين و ستمائة.

وفاته: توفى بغرناطة ضحى يوم السبت التاسع و العشرين من شهر ذى حجة من عام ثلاثين و سبعمائة، و دفن فى عصر اليوم بعد بجبانة باب البيرة. و كان الحفل فى جنازته عظيماً، حضرها السلطان، و احتمل الطلبة نعشه.

و من الطارئين

عمر بن عبد المجيد بن عمر الأزدي

المعروف بالزندى، من أهل رندة، يكنى أبا على .

حاله: كان من جملة المقرئين، و جهابذة الأستاذين، مشاركاً في فنون، نقّادا، فاضلا.

مشيخته: روى عن أبي زيد السهيلي ، و عنه أخذ العربية و الأدب، و به تفقه، و إياه اعتمد. و عن أبي محمد القاسم بن دحمان، و أبي عبد الله بن أبان، و تلا على هؤلاء القراءات بقراءات السبعة. و عن أبي إسحاق بن قرقول، و أبي عبد الله بن الفخار، و أبي الحسن صالح بن عبد الملك الأوسى، و أبي محمد عبد الحق بن بونه، و أبي عبد الله الحميرى الإستجى، و أبي العباس بن اليتيم، و أبي عبد الله بن مدرّك، و أبي القاسم بن حبّيش، و أبي عبد الله بن حميد. أخذ عن هؤلاء بمالقة، من أهلها، و من الواردين عليها. و رحل إلى غرناطة، فأخذ بها عن يزيد بن رفاعه، و ابن كوثر،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٨٥

و ابن عروس ، و أبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم بن الفرس، و أبي جعفر بن حكم. و إلى قرطبة، فأخذ بها عن ابن بشكوال، و أبي القاسم المشراط. و إلى إشبيلية، فأخذ بها عن أبي بكر بن الجدد، و أبي عبد الله بن رزق، و ابن خير، و ابن صاف. و أخذ بسبته عن ابن عبيد الله. و بالجزيرة الخضراء عن القاضى أبى جعفر بن عزرة . هؤلاء جملة من أخذ عنهم باللقاء و المشافهة. و أجازته جماعة من أهل المشرق كبيرة، ذكرهم فى برنامج، كالخشوعى، و الأرحى، و الحرشاني ، و حدّث عن السلفى الحافظ بإجازته العامة.

توآلفه: شرح جمل أبى القاسم الزجاجى، و ردّ على ابن خروف، منتصرا بشيخه أبى زيد السهيلي فى مسألة نحوية ردّ فيها ابن خروف على السهيلي، و قيّد فيما جرى بينه و بين الأستاذ أبى محمد القرطبي، جزءا سماه ب «الحقى، فى أغاليط القرطبي»، لم يخل فيه عن حمل و تعسف. و ألف برنامجا جامعاً. روى عنه أبو عبد الله بن عسكر القاضى، و الشيخ أبو عبد الله بن عبيد الأوسى، و أبو عبد الله الطنجالى، و الخطيب ابن أبى ريحانة.

مولده: سنة سبع و أربعين و خمسمائة.

وفاته: توفى سحر يوم الجمعة الموفى عشرين لشهر ربيع الثانى سنة عشر و ستمائة .

عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد الأموى

المقرئ، الحافظ المعروف بابن الصيرفى، قرطبي الأصل، يكنى أبا عمرو، و يشتهر بالدانى؛ لاستيطانه دانية. و دخل إلبيرة، و قرأ على أبى عبد الله بن أبى زمنين، فوجب ذكره لذلك.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٨٦

حاله: كان أحد الأئمة الأعلام فى علم القرآن، و آياته، و تفسيره، و معانيه و إعرابه، و جمع فى ذلك كله التوآليف العجيبة التى يكثر تعدادها، و يطول إيرادها، و له معرفة بالحديث و طرقه، و أسماء رجاله و نقلته. و كان حسن الخط، جيد الضبط، آية فى الحفظ و العلم، و الذكاء و الفهم، دينا عارفا، و رعا سنيا. قال المغامى :

و كان أبو عمرو مجاب الدعوة. و ذكره الحميدى فقال : محدّث مكثر، مقرئ متقدّم.

مشيخته: روى عن أبى المطرف عبد الرحمن بن عثمان القشيري بقرطبة، و عن أبى بكر حاتم بن عبد الله البراز، و أبى عبد الله محمد بن خليفة، و أحمد بن فتح بن الزهان ، و أبى بكر بن خليل، و يونس بن عبد الله القاضى، و خلف بن يحيى، و غيرهم. و بإلبيرة عن محمد بن أبى زمنين كثيرا من رواياته و توآلفه.

و سمع بأستجة و بجانة و سرقسطة من بلاد الثغر. و رحل إلى المشرق ، فلقى أبا الحسن بن أحمد بن مراس العنقى. و سمع بمصر من أبى محمد بن النحاس، و أبى القاسم بن ميسر، و خلف بن إبراهيم بن خاقان، و فارس بن أحمد، و طاهر بن عبد المنعم، و بالقيروان

من أبي الحسن القاسمي . و قدم الأندلس فاستوطن دانية .
شعره: قال أبو القاسم بن بشكوال: و مما يذكر من شعره قوله :
[البسيط]

قد قلت إذ ذكروا حال الزمان و مايجرى على كل من يعزى إلى الأدب
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٨٧ لا شيء أبلغ من ذلّ يجرّعه أهل الخساسة أهل الدين و الحسب
القائمين بما جاء الرسول به و المبغضين لأهل الزّيب و الرّيب
مولده: قال أبو عمرو : سمعت والدي يقول: إني ولدت سنة إحدى و سبعين و ثلاثمائة، و ابتدأت طلب العلم بعد خمس و ثمانين.
وفاته: من خط أبي الحسن المقرئ : يوم الاثنين منتصف شوال سنة أربع و أربعين و أربعمائة بدانية، و دفن عصر اليوم المذكور
ببقيعها. و مشى السلطان راجلا أمام نعشه.

علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح ابن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد

الإمام أبو محمد بن حزم.
أوليته: أصله من الفرس، و جدّه الأقصى في الإسلام اسمه يزيد، مولى ليزيد بن أبي سفيان. قال أبو مروان بن حيان: و قد كان من
عجائبه، انتمائه في فارس و أتباع أهل بيته، له في ذلك بعد حقبه من الدهر تولّى فيها الوزير، المفضل في زمانه، الراجح في ميزانه،
أحمد بن سعيد بن حزم، لبنى أمية أولياء نعمته، لا عن صحّة ولاية لهم عليه، فقد عهده الناس مؤلّد الأرومة من عجم لبله، جدّه الأدنى
حديث عهد بالإسلام، لم يتقدّم لسلفه نباهة. فأبوه أحمد، على الحقيقة، هو الذي بنى بيت نفسه في آخر الدهر برأس رايته، و عمره
بالخلال الفاضلة، من الرّجاحة و الدّهاء و المعرفة و الرجولة و الرأى، فأسدى جرثومة شرف لمن نماهم، أغتتهم عن الرسوخ في أولى
السابقة، فما من شرف إلّا مسبوق عن خارجته، و لم
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٨٨

يكن إلّا كلّ و لا، حتى تخطى على هذا أوليته لبله، فارتقى قلعة إصطخر من أرض فارس. فالله أعلم كيف ترقّأها، إذ لم يكن يؤتى من
خطل و لا جهالة، بل وصله بها وسع علم، و وشجّه رحم معقومة، فلها يستأخر الصلّة، فتناهت حاله مع فقهاء عصره إلى ما وصف، و
حسابه و حسابهم على الله الذي لا يظلم الناس مثقال ذرّة، عزّت قدرته.

حاله: قال الحميدى : كان حافظا، عالما بعلوم الحديث و فقهه، مستنبطا للأحكام من الكتاب و السنّة، متفنّنا في علوم جيّة، عاملا
بعلمه، زاهدا في الدنيا بعد الرّئاسة التي كانت له و لأبيه من قبله، في الإدارة و تدبير الممالك، متواضعا، ذا فضائل جمّة. قال: و ما رأينا
مثله فيما اجتمع له، مع الذكاء و سرعة الحفظ، و كرم النفس و التّدين. قال أبو مروان بن حيان: كان أبو محمد حامل فنون، من حديث
و فقه و نسب، مع المشاركة في كثير من أنواع التعاليم القديمة. و له في ذلك عدة تواليف.

و قد مال أولا- به التّنظر في الفقه إلى رأى أبي عبد الله الشافعي، و ناضل عن مذاهبه، و انحرف عن مذهب غيره، حتى وسم به، و
استهدف بذلك إلى كثير من الفقهاء، و عيب بالشذوذ. ثم عدل في الآخر إلى قول أصحاب الظّاهر، مذهب داود بن علي، و من تبعه
من فقهاء الأمصار، فنقحه و نهجه، و جادل عنه، و وضع الكتب في بسطه، و ثبت عليه إلى أن مضى بسيله. و كان يحمل علمه، و
يجادل عنه لمن خالفه فيه، على استرسال في طباعه، و استناد إلى العهد الذي أخذه الله على العلماء من عباده، لبيّنه للناس، و لا
يكتُمونه، فأل أمره إلى ما عرف.

مشيخته: قال : سمع سماعا جمّا، و أول سماعه من أبي عمر أحمد بن محمد بن الجسور قبل الأربعمائة.
تواليفه: قال : بلغت تواليفه أربعمائة مجلد. و قال: حمل بعير، فمنها في علم الحديث كتاب كبير سمّاه «الإيصال إلى فهم كتاب

الخصال، الجامعة لجمل شرائع الإسلام، في الواجب والحلال والحرام، و سائر الأحكام، على ما أوجه القرآن والسنة والإجماع؛
أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٨٩

و بيان ذلك كله، و تحقيق القول فيه. و له كتاب «الإحكام لأصول الأحكام» في غاية التقصي وإيراد الحجاج. و كتاب «الفصل في الملل والأهواء والنحل». و كتاب «الإجماع ومسائله» على أبواب الفقه. و كتاب «المجلى والمحلّى» و كتاب «في مراتب العلوم و كيفية طلبها و تعلق بعضها ببعض». و كتاب «إظهار تبادل اليهود و النصارى للتوراة و الإنجيل، و بيان تناقض ما بأيديهم من ذلك مما لا يحتمل التأويل». و هذا مما سبق إليه، و كتاب «التقريب لحد المنطق و المدخل إليه» بالألفاظ العامية و الأمثلة الفقهية؛ فإنه سلك في بيانه و إزالة سوء الظن عنه، و تكذيب المنحرفين به طريقة لم يسلكها أحد قبله فيما علمنا .

شعره: قال : و كان له في الأدب و الشعر نفس واسع، و باع طويل. و ما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه. و شعره كثير، و قد جمع على حروف المعجم. و منه قوله : [الطويل]

هل الدهر إلّا ما عرفنا و أدر كنا فجاجه تبقى و لذاته تفتنى

إذا أمكنت فيه مسرة ساعة تولّت كمرّ الطرف و استخلفت حزنا

إلى تبعات في الحساب و موقف نوّد لديه أننا لم نكن كنا

حصلنا على همّ و إثم و حسرة وفات الذي كنا نلذّ به عنا

حين لما ولّى، و شغل لما أتى و غمّ لما يرحى، فعيشك لا يهنا

كأن الذي كنا نسرّ بكونه إذا حقّقه النفس لفظ بلا معنى

و من ذلك قوله من قصيدة في الفخر : [الطويل]

أنا الشمس في جوّ العلوم منيرة و لكنّ عيبي أن مطلعى الغرب

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٩٠ و لو أننى من جانب الشرق طالع لجدّ على ما ضاع من ذكرى التّهب

ولى نحو أكناف العراق صبابه و لا غرو أن يستوحش الكلف الصّب

فإن ينزل الرحمن رحلى بينهم فحينئذ يبدو التأشّف و الكرب

فكم قائل: أغفلته و هو حاضر و أطلب ما عنه تجىء به الكتب

هنالك يدرى أن للبعد قصه و أن كساد العلم آفته القرب

و منها في الاعتذار عن المدح لنفسه:

و لكنّ لى فى يوسف خير أسوة و ليس على من سار سيرته ذنب

يقول، و قال الحقّ و الصّدق، إننى حفيظ عليم، ما على صادق عتب

و من شعره قوله فيما كان يعتقد من المذهب الظاهري : [الطويل]

و ذى عدل فيمن سباني حسنه يطيل ملامى فى الهوى و يقول:

أفى حسن وجه لاح لم تر غيره و لم تدر كيف الجسم أنت قتيل؟

فقلت له: أسرفت فى اللوم ظالما و عندى ردّ، لو أردت، طويل

ألم تر أنّى ظاهريّ و أنّى على ما بدا حتى يقوم دليل؟

و من ذلك قوله : [الطويل]

أبن وجه قول الحقّ فى نفس سامع و دعه فنور الحقّ يسرى و يشرق

سيؤنسه رفقا فينسى نفااره كما نسى القيد الموثق مطلق

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٩١

و من ذلك قوله: [الوافر]

لئن أصبحت مرتحلا بشخصى فروحى عندكم أبدا مقيم

و لكن للعيان لطيف معنى له طلب المعاينة الكليم

و فى المعنى: [الوافر]

يقول أخى: شجاك رحيل جسم و روحك ما له عئا رحيل

فقلت له المعين مطمئن لذا طلب المعاينة الخليل

دخوله غرناطة: وصل فى جملة الإمام المرتضى، و لما جرت عليه الهزيمة و استولى باديس الأمير بغرناطة على محلته، كان أبو محمد من عداد أسراه مع مثله، إلى أن أطلقه بعد لأى، و خلصه الله منه.

محنته: قال ابن حيان: استهدف إلى فقهاء وقته، فتألبوا على بغضه، و ردّ قوله، و أجمعوا على تضليله، و شنعوا عليه، و حذروا سلاطينهم من فتنته، و نهوا أعوامهم عن الدنو إليه، و الأخذ عنه، فطفق الملوك يقصونه عن قربهم، و يسيرونه عن بلادهم، إلى أن انتهوا به، منقطع أثره بتربة بلده من بادية لبله، و بها توفى غير راجع إلى ما أرادوا، به يث علمه فيمن ينتابه بباديته من عامّة المقتبس من أصاغر الطلبة الذين لا يحسون فيه الملامة بحدائتهم، و يفقههم و يدرسههم، و لا يدع المثابرة على العلم و المواظبة على التأليف و الإكثار من التصنيف حتى كمل من مصنفاته فى فنون العلم و قرعير، حتى لأحرق بعضها بإشبيلية، و فى ذلك يقول:

[الطويل]

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذى تضمّنه القرطاس بل هو فى صدرى

يسير معى حيث استقلت ركائبى و ينزل إن أنزل و يدفن فى قبرى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٩٢

مولده: سنة أربع و ثمانين و ثلاثمائة بقرطبة.

وفاته: توفى سنة ست و خمسين و أربعمائه .

على بن إبراهيم بن على الأنصارى المالقى

يكنى أبا الحسن، صاحبنا حفظه الله.

حاله: آية الله فى الحفظ، و ثقوب الذهن، و النجابة فى الفنون، و فصاحة الإلقاء، خريج طبعه، و تلميذ نفسه، و مبرز اجتهاده. إمام فى العربية، لا- يشقّ فيها غباره حفظا و بحثا و توجيها و اطلاعا و عثورا على سقطات الأعلام، ذاكر للغات و الآداب، قائم على التفسير، مقصود للفتيا، عاقد للوثيقة، مشارك فى الفنون، ينظم و ينثر، فلا يعدو الإجادة و السداد، سليم الصدر، أبى النفس، كثير المشاركة، مجدى الصّحبة، بعيد عن التسمت. رحل عن بلده مالقة بعد التبريز فى العدالة و الشهرة بالطلب، و استقرّ بالمغرب، فأقرأ بمدينة أنفا، منوها به، ثم بسلا، و استوطن بها، رئيس المدرسة بها، مجمها بكرسيها، فارعا بمنبرها بالواردة السلطانية، يفسر كتاب الله بين العشاءين، شرحا كثير العيون، محذوف الفضول، بالغا أقصى مبالغ الفصاحة، مسمعا على المحال الثابيه، و يدرس من الغدوات بالمدرسة، دولا فى العربية و الفقه، أخذه بزام النبل، مترامية إلى أقصى حدود الاضطلاع. و حضر المناظرة بين يدى السلطان، فاستأثر بشقص من رعيه، و أعجب بقوة جأشه، و أصالة حفظه، فأنمى جراياته، و نوه به.

مشيخته: قرأ ببلده على الأستاذين، علمى القطر؛ القاضى العالم أبى عبد الله ابن تبر، و القاضى النظار أبى عمرو بن منظور. و تلا القرآن

على المقرئ أبي محمد بن أيوب. و ذاكر بغرناطة إمام العربية أبا عبد الله بن الفخار و رئيس الكتاب شيخنا أبا الحسن ابن الجياب. و بالمغرب كثيرا من أعلامه، كالرئيس أبي محمد الحضرمي، و القاضي أبي عبد الله المقرئ و غيرهما. و هو الآن بحاله الموصوفة قاضيا بشرقي مالقة، و أستاذًا بها متكلمًا، معجز من مفاخر قطره.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٩٣

شعره: مما يؤثر من شعره منقولًا من خطّ صاحبنا أبي الحسن بن الحسن:

[البسيط] الإحاطة في أخبار غرناطة ؛ ج ٤ ؛ ص ٩٣

رحماك رحماك في قلب يقّله شوق يكاد بلفح الوجد يذهب

هام الفؤاد بمعنى للجمال بداعليك في السّرّ للأرواح أعجبه

و لاح منك لدى الإشراف جوهره ألاح الحسن عمّا كان يحجبه

فلو هم الصّحب أن الرّوح تيمها ماضى الجفون برود الثغر أشبهه

يظلّ معتقلا من خوط قامته بأسمر غالني منه مؤرّبه

و ذى فرند يدبّ الموت في شطب منه و يوحش في جنح تلّهه

يخاله ذو الصّدا ماء فيصيره يودّ في الحال أن لو كان يشربه

بالهندوانى و الذى توشّجه و بالصّباة و الأرواح ملعبه

كساه سرّ الجمال المحض حلّته إذ جاده من نكوب الجود صيّبه

و قام يرفل فيها و هى ضافية فأقبلت نحوه الأرواح تطلبه

هيهات من دونه باب بظاهره يجر الفناء و جند الروح يرهبه

فمرنا و الموت فيه عين عيشته فأوج مرقى حياة الروح مرقبه

نيدت لوائحه من بحر جوهره برقا يغير على الغيران خلبه

و تستعير له روحا مظاهره سرّ الجمال بها يبدو تحجّبه

بدر و فى أفق الأرواح مطلعته مهما أفاقت و إلّا فهى مغربه

بخاطر منه سرّ لا يفارقه و إن غدا بغرام الشوق يلهبه

لى هواه و البعد ينهانى و يصدقنى فى نصحه و صريح الوجد يكذبه

سرّ الغرام غريب ليس يعلمه إلّا الذى قد غدا يرضيه مغضبه

و للصبّابة أقوام و مورد هم بها من الأنس أحلاه و أعذبه

و ليس يعرف هذا حقّ معرفة إلّا الذى قد تجلّى عنه غيبه

و أبصر الحسن قد لاحت لوائحه و غرّ مستبشر الأضواء كوكبه

بذات أهيف من سرّ الحياة طرس يغالبه طورا فيغلبه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٩٤ و فى لجين الجمال المحض قد فعلت فعلا يردّ لها فى الحكم مذهبه

أروم إعجابه هونا و تطمعنى فيه التّفاسه و الأنفاس تعرفه

فمن لمثلى بكتمان و من نفسى أخو بيان مع الساعات يسهبه

لبانة السّرّ أن تحظى بمراقبة إلى سبيل من الزّلفى تقرّبه

تسمو على منكب الجوزاء ذروتها عن رقّة بشهود الفرق تسلبه

و في مصافّات سرّ القبض يبسطه لدى الوجود الذي قد عزّ مطلبه
فيرتقى في مراقى الجمع مختطفاً إلى المقام الذي إليه بغيته
فذاك أعظم ما يرجوه أن سبقت عنّا يد نحو باب العزّ تجذبه
و من منظومه في النسب قوله: [الكامل]

لمحمد البرقاء حسن باهر كلّ الورى حلف الصّباة فيه
السحر مفتون بغنج لحاظه و الشّهد ممزوج بريق فيه
فسحره أضنى المتيم في الهوى حتى يكاد سقامه يخفيه
و لو انه بالشّهد جاد و رشفه لصد لكان من الصّدا يشفيه
بصدوده قلبى يقطّع في الهوى يا ليته بوصاله رافيه
و صدّر كتابا بقوله يخاطبني: [الوافر]

أ نسيانا فديتك يا حياتي لمن لم ينس حبك للممات
و رجما بالظنون أخوا حين إليك رهين شوق و انتبات
يمينا بالنهار إذا تجلّى و بالقمر المنير و بالآيات
لقد أحلت حبك من فؤادى محلّ الروح من بثّ الجهات
و شعره بديع، و إدراكه عجب، و عارضته قوية.
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٩٥

علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتامي

يكنى أبا الحسن، و يعرف بابن الضّائع، من أهل إشبيلية.

حاله: قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: بلغ الغاية في الفنّ النحوى، وفاق أصحاب الأستاذ أبي علي الشلوين بأسرهم، و له في مشكلات
الكتاب العجائب، و قرأ ببلده أيضا علم الكلام، و أصول الفقه، و كان متقدما في هذه العلوم الثلاثة، متصرّفا فيها. و أما فنّ العربية، و
علم الكلام، فلم يكن في وقته من يقاربه في هذين العلمين.

و أما فهمه و تصرفه في كتاب سيبويه، فما أراه يسبقه في ذلك أحد. و له إملاء على طائفة كبيرة من إيضاح الفارسي. و كان له اعتناء
كبير بكلام الفارسي على الجملة، و بحسب ذلك استقضى اعتراضات أبي الحسين بن الطراوة على أبي علي بالردّ، و استوفى ما وقع له
في ذلك حتى لم يبق بيده شيء على طريقة من الإنصاف و دليل الهدى، لم يسبق إليها، و كذا فعل في ردّ أبي محمد بن السيد على
أبي القاسم الزجاجي. و كذا فعل في اعتراضات أبي الحسين بن الطراوة على كتاب سيبويه. و كان بالجملة إماما في هذا كله لا
يجارى. و أما اختيارات أبي الحسن بن عصفور في مغربه و غير ذلك من تعاليقه و ما قيد في ذلك، فردّ عليه معظمها أو أكثرها. و لم
يلق بالأندلس و العدو، و لا سمعنا بأنبه منه، ممن وقفنا على كلامه أو شاهدناه، و لا رأيت مختلفا عليه من أهل بلده من أتراه، و من
فوقهم. و كان إذا أخذ في فنّ أتى بعجائب. قال الأستاذ: لازمته، و أخذت عليه كتاب سيبويه في عدة سنين، و أكثر كتاب الإيضاح، و
جمل الزجاجي، إلى غير ذلك، و جميع التلقينات للسّهروردي، و طائفة كبيرة من إرشاد أبي المعالي، و من كتاب الأربعين لابن
الخطيب، و غير ذلك.

مشيخته: أجاز له من أهل بلده الراوية المسنّ أبو الحسن بن السّراج، و القاضي أبو الخطاب بن خليل. و من غيرهم، القاضي أبو بكر بن
محرز، و المقرئ المعمّر أبو بكر الشّماتى المعروف بالشريشى، و أبو عبد الله الأزدي، و أبو عبد الله بن جوهر، و آخرين. و قرأ ببلده،

و لازم الأستاذ أبا على الشلوين، حتى كمل عليه إيضاح

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٩٦

الفارسي، و كتاب سيويه. و سمع جمل الزجاجي، و غير ذلك من كتب العربية، ممن كان يقرأ في المجلس، و قرأ عليه طائفة كبيرة من تذكرة الفارسي مما يتعلّق بمسائل الكتاب، بعد أن جرّدها من التذكرة. و بلغ الغاية في الفن النحوي، وفاق أصحاب أبي على بأسرهم.

وفاته: توفي، رحمه الله، في شهر ربيع الآخر من سنة ثمانين و ستمائة، و قد قارب التسعين . [قلت: العجب من الشيخ الخطيب، رحمه الله، كيف لا يذكر للمترجم به، رحمه الله، شرحه لجمل الزجاجي، بل شرحه الصغير و الكبير؟ و لم يكن اليوم على الزجاجي أجدى منها، و لا أنفع، و لا أقلّ فضولا، و لا أفصح عبارة، و لا أوجز خطابة، و لا أجمل إنصافا، و لا أجود نظرا].

الكتاب و الشعراء و أولا الأصليون منهم

علي بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلي

يكنى أبا الحسن، من أهل غرناطة.

حاله: صاحبنا أبو الحسن، من أهل الفضل و السراوة و الرجولة و الجزالة. فذ في الكفاية، ظاهر السداجة و السلامة، مصعب لأضداده، شديد العصبية لأولى وده، في أخلاقه حدّة، و في لسانه نبالة، أخلا به، مشتمل على خلال من خطّ بارع، و كتابة حسنة، و شعر جيد، و مشاركة في فقه و أدب و وثيقة، و محاضرة ممتعة. ناب عن بعض القضاة، و كتب الشروط، و ارتسم في ديوان الجند، و كتب عن شيخ الغزاة أبي زكريا يحيى بن عمر على عهده. ثم انصرف إلى العدوّة سبع عشر جمادى الأولى من عام ثلاثة و خمسين و سبعمائة، فارتسم في الكتابة السلطانية منوها به، مستعملا في خدم مجديّه، بان غناؤه فيها، و ظهرت كفايته.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٩٧

و جرى ذكره في كتاب التاج بما نصّه: اللسن العارف، و الناقد الجواهر المعاني كما يفعل بالسّيكة الصّييارف، الأديب المجيد، الذي تحلّى به للعصر النحر و الجيد، إن أجال جياذ براعته فضح فرسان المهارق، و أخجل بين بياض طرسه و سواد نفسه الطّرر تحت المفارق. و إن جلا- أبكار أفكاره، و أثار طير البيان من أوكاره، و سلب الرّحيق المفدّم فضل أبكاره، إلى نفس لا يفارقها ظرف، و هيّة لا- يرتدّ إليها طرف، و إباية لا يفلّ لها غرب و لا حرف. و له أدب غضّ، زهره عن مجتنيه مرفضّ . كتبت إليه أنتجز وعده في

الالتحاف برائقه، و الإمتاع بزهر هواتفه، و هو قولي: [الكامل]

عندي لموعدك افتقار محوج و عهدك افتقرت إلى إنجازها

و الله يعلم فيك صدق مودّتي و حقيقة الأشياء غير مجازها

فأجانبى بقوله: [الكامل]

يا مهدي الدّر الثمين منظّما كلما حلال السّحر في إيجازها

أدركت حلبات الأوائل و انياو رددت أولاها على أعجازها

أحرزت في المضمّار خصل سباقها و لأنت أسبقهم إلى إحرازها

حليت بالسّمطين منى عاطلاو بعثت من فكري متات مفاها

فلأنجزنّ مواعدي مستعطفافاسمح و بالإغضاء منك مجازها

و من مقطوعاته قوله: [المديد]

ليت شعري و الهوى أمل و أمانى الصّب لا تقف
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٩٨ هل لذاك الوصل مرتجع أو لهذا الهجر منصرف؟
و من ذلك: [الطويل]

و ظبي سبي بالطرف و العطف و الجيد و ما حاز من غنج و لين و من غيد
أتيت إليه بالدنوّ مداعبا فقال: أيدنو الظبي من غابه الأسد؟
و قال من مبدإ قصيدة مطولة فيما يظهر منها: [الطويل]
حديث المغاني بعدهنّ شجون و أوجه أيام التباعد جون
لحا لله أيام الفراق فكم شجت و غادرت الجدلان و هو حزين
و حيا ديارا في ربي أغرناطة و إني بذاك القرب فيه ضنين
ليالي أنفقت الشباب مطواعا و عمرى لدى البيض الحسان ثمين
فأرخصت فيها من شبابى ما غلا و غرمى على مال العفاف أمين
خليلى، لا أمر، بأربعها قفاعدى إلى تلك الزبوع حنين
ألم تريانى كلما ذرّ شارق تضاعف عندى عبرة و أنين؟
إذا لم يساعدنى أخ منكما فلاحدت نحو قرن بعد ذاك أمون
أليس عجيبا فى البرية من لنا إلى عهد إخوان الزمان ركون؟
فلا تتقن من ذى وفاء بعهدة فقد أجن السلسال و هو معين
لقلبي عذر فى فراق ضلوعه و للدمع فى ترك الشؤون شؤون
و من ترك الحزم المعين فإنه لعان بأيدى الحادثات رهين
رعى الله أيامى الوثيق ذمامها فإنّ مكانى فى الوفاء مكين
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٩٩ و لم أر مثل الدهر أما عدوه فخبّ و أما خلّه فخؤون
و لولا أبو عمرو وجود يمينه لما كان فى عهد الزمان معين
و من شعره قوله: [الكامل]

زار الخيال و يا لها من لذة لكنّ لذات الخيال منام
ما زلت أثم ميسما منظومه درّ و مورده الشهيّ مدام
و أضمّ غصن البان من أعطافه فأشّم مسكا فضّ عنه ختام
مولده: عام ستّه و سبعمائة.

وفاته: و توفى بمدينة فاس، و قد تخلّفه السلطان كاتب ولده، عند وجهته إلى إفريقيا، فى شوال عام ثمانية و خمسين و سبعمائة، فتوفى
فى العشرين لرمضان منه.

على بن محمد بن سليمان بن على بن سليمان ابن حسن الأنصارى

من أهل غرناطة، يكنى أبا الحسن، و يعرف بابن الجياب، شيخنا و رئيسنا العلامة البليغ.
حاله: من عائد الصيلة: كان، رحمه الله، على ما كان عليه من التفنّن، و الإمامة فى البلاغة، و الأخذ بأطراف الطلب، و الاستيلاء على
غاية الأدب، صاحب مجاهدة، و ملازمة عبادة، على طريقة مثلى من الانقباض و النزاهة، و إيثار التقشف، محبّا فى أهل الخير و

الصالح، منحاشا إليهم، منافرا عن أصدادهم، شيخ طلبة الأندلس، رواية و تحقيقا، و مشاركة في كثير العلوم، قائما على العربية و اللغة، إماما في الفرائض و الحساب، عارفا بالقراءات و الحديث، متبحرا في الأدب و التاريخ، مشاركاً في علم التصوف، فذاً في المسائل الأدبية البيانية، حامل راية المنظوم و المثنور، و الإكثار من ذلك، و الاقتدار عليه، جلدا على الخدمة، مغتبطا بالولاية، محافظا على الرتبة، مراقبا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٠٠

لو ظائف الأبواب السلطانية، متوقد الذهن، ذلق الجوانب، مشغوقا بالأنس و المفاوضة في الأدب، محسنا للنادرة الظريفة، مليح الدعابة، غزير الحفظ، غيوراً على الخطّة، كثير النشاط إلى المذاكرة، مع استغراق الكلف، و علو السن. طال به المرض حتى أذهب جواهر بدنه، و على ذلك فما اختلّ تميزه، و لا تغير إدراكه.

بعثت إليه باكور رمان، فقال لي من الغد، نعم بالهدنة زمانك، يعني نعمت الهدية رمانك. فعجب الناس من اجتماع نفسه، و حضور فكره. و هو شيخى الذى نشأت بين يديه و تأدبت به، و ورثت خطته عن رضى منه. كتب عن الدول النصرية نحواً من خمسين سنة أو ما ينيف عليها، متين الجاه، رفيع المكانة، بعيد الصيت، و سفر إلى الملوك، و اشتهر بالخير، و الحمل على أهل الظلم، و جرى ذكره فى التاج بما نصّه :

صدر الصّيدور الجلمة، و علم أعلام هذه الملة، و شيخ الكتابة و بانيتها، و هاصر أفنان البدائع و جانيها، اعتمدهت الرياسة، فناء بها على حبل ذراعها، و استعانت به السياسة، فدارت أفلاكها على قطب من شباه يراعه، فتفتياً للعناية ظلماً ظليلاً، و تعاقبت الدول فلم تر به بديلاً، من ندب على علوه متواضع، و حبر لثدى المعارف راضع، لا- تمرّ مذاكرة فى فنّ إلّا و له فيه التبريز، و لا تعرض جواهر الكلام على محاكاة الأفهام إلّا و كلامه الإبريز، حتى أصبح الدهر راويًا لإحسانه، و ناطقًا بلسانه، و غرّب ذكره و شرّق، فأشام و أعرق، و تجاوز البحر الأخضر و الخليج الأزرق، إلى نفس هدّبت الآداب شمائلها، و جادت الرياض خمائلها، و مراقبة لرّبه، و استباق لروح الله من مهّبه، و دين لا يعجم عوده، و لا تخلف و عوده. و كلّ ما ظهر علينا- معشر بني- من شارة تجلى بها العين،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٠١

أو إشارة كما سبك اللّجين، فهى إليه منسوبة، و فى حسناته محسوبة، فإنما هى أنفس راضها بآدابه، و أعلقها بأهدابه، و هدّب طباعها، كالشمس تلقى على النجوم شعاعها، و الصور الجميلة تترك فى الأجسام الصقيلة انطباعها، و ما عسى أن أقول فى إمام الأئمة، و نور الدياتى المدلهمة، و المثل السائر فى بعد الصيت و علو الهمة.

مشيخته: نقلت من خطه، فى بعض ما كتب به إلى من الأشياخ الذين لقيتهم و أجازونى عامة؛ الشيخ الفقيه الخطيب الصالح الصوفى المحقق صاحب الكرامات و المقامات، نسيح وحده، أبو الحسن فضل بن محمد بن على ابن فضيلة المعافى، قرأت عليه كذا. و منهم الشيخ الفقيه الأستاذ العالم العلم الكبير، خاتمة المسندين بالمغرب، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفى، نشأت بين يديه، و قرأت عليه كثيرا و سمعت، و أجازنى. و منهم الشيخ الفقيه الخطيب الأستاذ أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد الخشنى البلوطى، قرأت عليه القرآن العزيز بالقراءات السبع و غير ذلك. و منهم الشيخ الفقيه الصالح أبو عبد الله محمد بن عياش الخزرجى القرطبى، لقيته بمالقة. و منهم الشيخ أبو محمد عبد الله بن على الغسانى السعدى الخطيب الصالح، قرأت عليه و سمعت. و منهم الشيخ العدل أبو الحسن على بن محمد بن على بن أحمد بن مستقور الطائى. و منهم قاضى الجماعة الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد العنسى. و منهم الشيخ الفقيه الخطيب المحدث الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد. و منهم الشيخ الخطيب أبو جعفر أحمد بن على الأنصارى الكحلى. و منهم الشيخ الخطيب الأستاذ الصالح أبو محمد عبد الواحد بن محمد بن أبى السداد الأموى الباهلى. و منهم الشيخ الوزير الحسيب أبو عبد الله محمد بن يحيى بن ربيع الأشعرى، و الشيخ الخطيب الأستاذ النظار أبو القاسم بن الشاط، و الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن مالك بن المرّحل، و الشيخ المبارك أبو محمد عبد المولى بن عبد

المولى الخولاني. هؤلاء كلهم لقيتهم، و أجازوني إجازة عامة، و أما من أجازني و لم ألقه، فعالم كثير من أهل المغرب و المشرق، منهم أبو العباس بن العَمَّاز، قاضي الجماعة بتونس، و أبو عبد الله بن صالح الكنانى، خطيب بجاية، و الشريف أبو على الحسن بن طاهر بن أبى الشرف بن رفيع الحسنى، و أبو فارس عبد العزيز الهوارى، و أبو محمد بن هارون القرطبي، و أبو على ناصر الدين المشدالى، و غيرهم.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٠٢

شعره: و شعره كثير مدون، جمعته و دونه، يشتمل على الأغراض المتعددة من المعشّرات النبويّات، و القصائد السلطانيات، و الإخوانيات، و المقطوعات الأدبيات، و الألغاز و الأحجيات.

فمن ذلك من المعشّرات في حرف الجيم على وجه التبرك: [الطويل]

جريناً على الزلّات غير مفكر جانا على الطاعات غير معرج
جمعت لما يفنى اغترارا بجمعه و ضيّعت ما يبقى سجيئة أهوج
جنونا بدار لا يدوم سرور هافدعها سدى ليست بعشك فادرج
جياذك في شأ و الضلال سوابق تفوت مدى بين الوجيه و أعوج
جهلت سبيل الرشد فاقصد دليله تجد دار سعد بابها غير مرتج
جناب رسول ساد أولاد آدم و قرّب في السبع الطباق بمعرج
جمال أثار الأرض شرقاً و مغرباً فكلّ سنى من نوره المتبلج
جلا صدأ المرتاب أن سبّح الحصاديه بنطق ليس بالمتلجلج
جعلت امتداحى و الصلاة عليه لى و سائل تحظيني بما أنا أرتج
و من الأغراض الصوفية السلطانية قوله: [الكامل]

هات اسقنى صرفاً بغير مزاج و احى التى هى راحتى و علاجى
إن صبّ منها فى الزجاجه قطرة شفّ الزجاج عن السنى الوهاج
فإذا الخليع أصاب منها شربة حاجاه بالسّر المصون محاجى
و إذا المرید أصاب منها جرعة ناجاه بالحقّ المبين مناج
تاهت به فى مهمه لا يهتدى فيه لتأديب و لا إدلاج
يرتاح من طرب بها فكأنها غنته بالأرمال و الأهزاج

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٠٣ هبت عليه نفحة قدسيّة فى فتح باب دائم الإرتاج

فإذا انتشى يوماً و فيه بقیة سارت به قصدا على المنهاج
و إذا تمكّن منه سكر معربد فليصرنّ لمصرع الحلّاج
قصرت عبارة فيه عن وجدانه فغدا يفيض بمنطق لجلّاج
أعشاه نور للحقيقة باهر فتراه يهبط فى الظلام الداجى
رام الصعود بها لمركز أصله فرمت به فى بحرها المّواج
فلئن أمدّ برحمة و سعادة فليخلصن من بعد طول هياج
و ليرجعنّ بغنيمه موفورة ما شيب عذب شرابها بأجاج
و لئن تحطّاه القبول لما جنى فليرجعن نكسا على الأدراج

ما أنت إلّا درّة مكنونة قد أودعت في نطفة أمشاج
 فاجهد على تخليصها من طبعها تعرّج بها في أرفع المعراج
 و اشدد يديك معا على حبل التقي فإن اعتصمت به فأنت التاجي
 ولدى العزيز اسبط بساط تذلل و إلى الغني امدد يد المحتاج
 هذا الطريق له مقدّمتان صادقتان أنتجتا أصحّ نتاج
 فاجمع إلى ترك الهوى حمل الأذى و اقنع من الإسهاب بالإدماج
 حرفان قد جمعا الذي قد سطر وامن بسط أقوال و طول حجاج
 و المشرب الأصفى الذي من ذاقه فقد اهتدى منه بنور سراج
 ألا ترى إلّا الحقيقة و حدها و الكلّ مضطرّ إليها لاجي
 هذى بدائع حكمه أنشأها بإشارة المولى أبي الحجاج
 و سع الأنام بفضلها و بعدله و بحلمه و بوجوده الثجاج
 من آل نصر نخبة الملك الرضا من المروّع هم و غيث اللّاجي
 من آل قيلة ناصري خير الوري و الخلق بين تخاذل و لججاج
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٠٤ ما ذا أقول و كلّ قول قاصر في وصف بحر زاخر الأمواج
 منه لباعى العرف درّ فاخرو لمن يعادى الدين هول فاجي
 دامت سعودك في مزيد، و المنى تأتيك أفواجا على أفواج
 و من الأمداح المطوّلة: [الكامل]
 لمن المطايا في السراب سوابح تفتلي الفلاة غوادي و روائحا
 عوج كأمثال القسيّ ضوامير ميم في الآفاق مرمي نازحا
 أو كالسحاب تسير مثقلة حملته من سقيا البطاح دوالحا
 ركب ييمم غايه بل آية أبدت محيا الحقّ أبلج واضحا
 لما دعا داعي الرشاد مردّ الثبوه شوقا و الحمام هوادحا
 فلهم عجيج بالسيطة صاعد يذكي بنار الشوق منك جوانحا
 و إذا حدا الحادي بذكر المصطفى أذروا على الأكوار دمعا سابحا
 عيس تهادي بالمحيتين الألي ركبو من العزم المصمم جامحا
 طارت بهم أشواقهم سباقه فتركن أعلام المطي روازحا
 رفقا بهنّ فهنّ خلق مثلكم أنضاء أسفار قطعن منادحا
 قد جين للهادي و هادا جمّه و سلكن نحو الأبطحيّ أباطحا
 ناشدتك الرحمن وافد مكة إلّا صرفت إليّ صرفا طامحا
 و أخت أيت القبر قبر محمد و حمدت سعي من سفارك ناجحا
 و ذهلت عن هذا الوجود مغيبا لما لمحت من الجمال ملامحا
 فقرأ سلامي عند قبر المصطفى و امسح بيمناك الجدار مصافحا
 قسما بوفد يزخرون رواحلا قطعت سباسبها بلقعا و ضحاضحا

حتى أناخوا بالمحصّب من منى و تأملوا النور المبين اللائحا
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٠٥ و تعرّضوا لعوارض عرفية هببت بها تلك الرياح لوافحا
و آووا إلى الحرم الشريف فطافعا بالبيت أوبا لركن منه ماسحا
و سقوا به من ماء زمزم شربة نالوا بها فى الخلد حظا رابحا
ثم اثنوا قصدا إلى دار الهدى يتسابقون عزائما و جوارحا
فتبوؤا المغنى الذى بركاته فاضت على الآفاق بحرا طافحا
ختموا مناسكهم بزورة أحمد بختام مسك طاب عرفا نافحا
إنّ السماحة و الشجاعة و الندى و البأس و العقل الأصيل الراجحا
وقف على شمس المعالى يوسف أعلى الملوك خواتما و فواتحا
فهو الذى ملأ البلاد فضائلا صارت لمن بارى علاه فضائحا
إن أجملت سير الكرام فخلقه ما زال للإجمال منها شارحا
حامى الدمار مدافعا و موادعا كفى العدو محاربا و مصافحا
للملك بالعزم المؤيد مانعا للعرف بالجود المردد مانحا
إن تلقه فى يوم جود هامرتلق السحاب على البلاد سوابحا
أو تلقه فى يوم بأس قاهر تلى الأسود لدى العرين كوافحا
أو تلقه فى يوم فخر ظاهر تلى الكواكب فى السماء لوائحا
من أسرة النصر الألى هم ناصحوا بعزائم الصدق الأمين الناصحا
هم أسسوا الملك المشيد بناؤه فكفوا به الإسلام خطبا فادحا
فاستفهم الأيام عن آثارهم تطلع عليك صحائفها و صفائحا
كان إذا ضنّ الغمام سحائبها يهيمى و إن جنّ الظلام مصابحا
شادوا له مجدا صميما راسخا يبقى على الأعقاب ذكرا صالحا
و سماء فخر فوق أمن جهادهم سمكوا له منه سماكا رامحا
الأعظمون مغانيا و مناقباو الأكرمون محامدا و ممداحا
يا دولة نصريّة قد جدت نصرا لأبواب المعازل فاتحا
و أمانة سعديّة قد أطلعت سعدا و لكن للأعداى ذابحا
فاضت جدى فكانما أيامها جعلت لأرزاق العباد مفاتحا
كفت عدا فكانما أوقاتها جاءت لآيات الأمان شوارحا
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٠٦ عدلا لأقطار الإيالة كالباو لجامحات البغى منها كافحا
بشرى بيوسف ناصر الملك الذى ما زال عنه مجالدا و مكافحا
جمع المواهب للمواهب مانحافوق المنى و عن الجرائم صافحا
ابن الإمام أبى الوليد و حسبنا مدحا تضمن فى الفخار مدائحا
يهنيك عيد النحر أسعد قادم و افاك من جدوى يمينك ماتحا
وقيته قربانه و صلاته و أقمت فيه شعائرا و ذبائحا

و رجعت فى الجيش الذى أخباره تروى غرائبها الحسان صحائحا
أسد ضراغم فوق خيل ترتعى نحو العدو سوانحا و بوارحا
طياره بالدارعين تخالها تنقض فى يوم القتال جوارحا
من كل من تخذ القنا خيما له يلقي العدو مماسيا و مصابحا
و الشمس أضرمت السبيكة عند مالقى الحديد شعاعها المطارحا
فاهنا به و انعم بدولتك التى ترضى الولى بها و تشجى الكاشحا
دامت و دام الحق فيها ثابتا يعلو يدا و الإفك فيها طالحا
و قال يمدح و يصف مصنعا سلطانيا: [الكامل]
زارت تجرر نحوه أذيا لها هيفاء تخط بالنفار دلالها
و الشمس من حسد لها مصفرة إذ قصرت عن أن تكون مثالها
و افتك تمزج لينها بقساوة قد أدرجت طى العتاب نوالها
كم رمت كتم مزارها لكنه صحت دلائل لم تطق إعلالها
تركت على الأرجاء عند مسيرها أرجا كأن المسك فت خلالها
ما واصلتك محبة و تفضلا لو كان ذاك لواصلت إفضالها
لكن توقعت السلو فجددت لك لوعة لا تتقى ترحالها
فوحبها قسما بحق بروره لتجشمك فى الهوى أهوالها
حسنت نظم الشعر فى أوصافها إذ قبحت لك فى الهوى أفعالها
يا حسن ليلة وصلها ما ضرها لو أتبت من بعدها أمثالها
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٠٧ لما سكرت بريقها و جفونها أهملت كأسك لم ترد أعمالها
هذا الربيع أتاك ينشر حسنه فافسح لنفسك فى مداه مجالها
و اخلع عذارك فى البطالة جامحا و اقرن بأسحار المنى آصالها
فى جنة تجلو محاسنها كما تجلو العروس لدى الزفاف جمالها
شكرت أيدى للحيا شكر الورى شرف الملوك همامها مفضالها
و صميمها أصلا و فرعا خيرا ذاتا و خلقا، سمحها بذالها
الطاهر الأعلى الإمام المرتضى بحر المكارم غيها سلسالها
حاز المعالى كبرا عن كابرو جرى لغايات الكرام فنالها
إن تلقه فى يوم بذل هباته تلق الغمام أرسلت هطالها
أو تلقه فى يوم حرب عداته تلق الضراغم فارقت أشبالها
ملك إذا ما صال يوما صولة خلت البسيطة زلزلت زلزالها
فبسيه و بسيفه نال المناو استعجلت أعداؤه آجالها
الواهب الآلاف قبل سؤالها فكفى العفاء سؤالها و مطالها
القاتل الآلاف قبل قراعتها فكفى العداة قراعتها و نزالها
إن قلت بحر كفه قصرت إذ شبهت بالملح الأجاج نوالها

ملاً البسيطة عدله و نواله فالوحش لا تعدو على من غالها
و سقى البرية فيض كفيه فقد عمّ البلاد سهولها و جبالها
جمع العلوم عنايةً بفنونها آدابها و حسابها و جدالها
منقولها، معقولها، و أصولها و فروعها، تفصيلها، إجمالها
فإذا عفاتك عاينوك تهللوا لِمَا رأوا من كَفِّكَ استهلالها
و إذا عداتك أبصروك تيقنوا أنّ المتيّة سلّطت ربّالها
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٠٨ بدّدت شملهم بيض صوارم روّيت من علق الكماة نصالها
و أبحث أرضهم فأصبح أهلها جزرا تغادر نهبة أموالها
فتحت إمارتك السعيدة للورى أبواب بشرى واصلت إقبالها
و بنت مصانع رائقات ذكّرت دار النعيم جنانها و ظلالها
و أجّلها قدرا و أرفعها مدى هذا الذى سامى النجوم فطالها
هو جنة فيها الأمير مخدّبلغت إمارته بها آمالها
و لأرض أندلس مفاخر، أنتم أربابها، أضفيتم سربالها
فحميتم أرجاءها، و كفيتم أعداءها، و هديتم ضلالها
فبال نصر فاخرت لا غيرهم لم تعتمد من قبلهم أقبالها
بمحمد و محمد و محمد قصرت على الخصم الألد نصالها
فهم الألى ركبوا لكلّ عظيمه جردا كسين من النجيع جلالها
و هم الألى فتحوا لكلّ ملّمه بابا أراح بفتحته إشكالها
متقلّدون من السيوف عضابها متأبطون من الرماح طوالها
الراكبون من الجياد عرابها و الضاربون من العدا أبطالها
أولى عهد المسلمين و نخبة الأملاك صفوة محضها و زلالها
إنّ العباد مع البلاد مقرة بفضائل لك مهّدت أحوالها
فتفكّ عانيها و تحمى سربها و تفيد حلما دائما جهالها
و من الرثاء قوله يرثى ولده أبا القاسم : [الطويل]
هو البين حتما، لا لعلّ و لا عسى فما بال نفسى لم تفض عنده أسى
و ما لفؤادى لم يذب منه حسرة فتبا لهذا القلب سرعان ما قسا
و يا لجفونى لا تفيض مورّدا من الدمع يهمنى تارة و مورّسا
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٠٩ و ما للسانى مفصحا بخطابه و ما كان لو أوفى بعهد لينبسا
أمن بعد ما أودعت روى فى الثرى و سدّدت منى فلذة القلب مرّسا
و بعد فراق ابنى أبى القاسم الذى كسانى ثوب الثكل لا كان ملبسا
أوّل فى الدنيا حياة و ارتضى مقبلا لدى أبنائها و معرّسا
فآها و للمفجوع فيها استراحة و لا بدّ للمصدور أن يتنفّسا
على عمر أفنيت فيه بضاعتى فأسلمنى للقبر حيران مفلسا

ظللت به في غفلة و جهالة إلى أن رمى سهم الفراق فقرطسا
 إلى الله أشكو برح حزني فإنه تلبس منه القلب ما قد تلبسا
 و صدمه خطب نازلتنى عشية فما أغت الشكوى و لا نفع الأسا
 فقد صدعت شملى و أصمت مقاتلى و قد هدمت ركنى الوثيق المؤسسا
 ثبت لها صبرا لشدّة وقعها فما زلزلت صبرى الجميل و قد رسا
 و أطمع أن يلقي برحمته الرضا و أجزع أن يشقى بذنب فينكسا
 أبا القاسم اسمع شجو و الدك الذى حسا من كؤوس البين أفضع ما حسا
 وقفت فوادى مذ رحلت على الأسي و أشهد لا ينفكّ وقفا محبسا
 و قطعت آمالى من الناس كلهم فليست أبالى أحسن المرء أم أسا
 تواريت يا شمسى و بدرى و ناظرى فصار وجودى مذ تواريت هندسا
 و خلقت لى عبنا من الثكل فادحافما أتعب الثكلان نفسا و أتعسا
 أحقّا ثوى ذاك الشباب فلا أرى له بعد هذا اليوم حولى مجلسا
 فيا غصنا نضرا ثوى عندما استوى فأوحشنى أضعاف ما كان آنسا
 و يا نعمة لما تبلّغتها انقضت فأنعم أحوالى بها صارا أبوسا
 فودّعته و الدمع تهمنى سحابه كما أسلم السلوك الفريد المجنسا
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١١٠ و قبلت فى ذاك الجبين مودعا لأكرم من نفسى على و أنفسا
 و خفف من وجدى به قرب رحلتى و ما ذا عسى أن ينظر الدهر ما عسا
 فيا رحمة للشيب يبكى شبيهة قياس لعمري عكسه كان أقيسا
 فلو أنّ هذا الموت يقبل فدية حيوانه أموالا كراما و أنفسا
 و لكنه حكم من الله واجب يسلم فيه من بخير الورى اتسى
 تغمدك الرحمن بالعفو و الرضا و كرم مثواك الجديد و قدّسا
 و ألف منّا الشملى فى جنة العلافن شرب تسنيم و نلبس سندسا
 و كتبت إليه قصيدة أولها: [الطويل]
 أ مستخرجا كنز العتيق بآماقى أناشدك الرحمن فى الرّمق الباقى
 فقد ضعفت عن حمل صبرى طاقتى عليك و ضاقت عن زفيرى أطواقى
 فأجابنى رحمة الله عليه عن ذلك: [الطويل]
 سقانى فأهلا بالسقاية و العناق سلافا بها قام السرور على ساق
 و لا نقل إلّا من بدائع حكمه و لا كأس إلّا من سطور و أوراق
 فقد أنشأت لى نشوة بعد نشوة تمدّ بروحانية ذات أذواق
 فمن حظّها الفانى متاع لناظرى و سمعى و حظّ الروح من حظّها الباقى
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١١١ أعادت شبابى بعد سبعين حجة فأثوابه قد جدّدت بعد إخلاق
 و ما كنت يوما للمدامه صاحبوا لا قبلتها قطّ نشأة أخلاقى
 و لا خالطت لحمى و لا مازجت دمي كفى شرّها مولاي فالفضل للواقى

و هذا على عهد الشباب فكيف لى بها بعد ماء للشيبية مهراق
تبصر فحكما القهوتين تخالفاكم بين إثبات لعقل و إزهاق
و شتان ما بين المدامين فاعتبركم بين إنجاح لسعى و إخفاق
فتلك تهادى بين ظلم و ظلمة و هذى تهادى بين عدل و إشراق
أيا علم الإحسان غير منازع شهادة إجماع عليها و إصفاق
فضائلك الحسنى على تواترت بمنهم من سحب فكرك غيداق
خزائن آداب بعثت بدرّها إلى و لم تمنن بخشية إنفاق
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١١٢ و لا مثل بكر حزة عربية زكية أخلاق كريمة أعراق
فأقسم ما البيض الحسان تبرمت تناجيك سزا بين وحى و إطراق
بدور بدت من أفق أطواقها على رياض شددت فى قضبها ذات أطواق
فناظر منها الأقحوان ثغورها و قابل منها نرجس سحر أحداق
و ناسب منها الورد خذا مورّد اسقاه الشباب النضر ، بورك من ساق!
و ألسن من صنعاء و شيا منمنما و حلين من درّ نفائس أعلاق
بأحلى لأفواه، و أبهى لأعين و أحلى لألباب، و أشهى لعشاق
رأيت بها شهب السماء تنزلت إلى تحيىنى تحية مشتاق
ألا إن هذا السحر لا سحر بابل فقد سحرت قلبى المعنى فمن راق ؟
لقد أعجزت شكرى فضائل ماجد أبر بأحباب و أوفى بميثاق
تقاضى ديون الشعر منى متبها رويدك لا تعجل على يارهاق
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١١٣ فلو نشر الصادان من ملحديهما لإنصاف هذا الدين لاذا ياملاق
فخذ بزمام الرزق شيئا تقاصرت خطاه و عاهده بمعهود إشفاق
فلا زلت تحيى للمكارم رسمها و قدرك فى أهل العلا و النهى راق
و كتبت إليه فى غرض العتاب و الاستعتاب : [الطويل]
أدرنا و ضوء الأفق قد صدع الفضا مدامه عتب بيننا نقلها الرضا
فله عينا من رآنا و للحياحبي بأفاق البشاشة أو مضا
نفر إلى عدل الزمان الذى أتى و نبرأ من جور الزمان الذى مضى
و نأسو كلوم اللفظ باللفظ عاجلا كذا قدح الصهباء داوى و أمرضا
فراجعنى بقوله : [الطويل]
ألا حنذا ذاك العتاب الذى مضى و إن جرّه واش بزور تمضمضا
أغارت له خيل فما ذعرت حمى و لكنها كانت طلائع للرضا
تألق منها بارق صاب مزنه على معهد الحبّ الصميم فروضا
تلاؤا نور للصدقة حافظا و إن ظنّ سيفا للقطيعة منتضى
فإن سوّد الشيطان منه صحيفة أتى ملك الرحمة عليها فيضا
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١١٤ و ما كان حبّ أحكم الصدق عهد ليرمى بوسواس الوشاة فيرفضا

أعيد ودادا زاكي القصد واياتخلص من أدرانه فتمحضا
و نية صدق في رضى الله أخلصت سناها بأفاق البسيطة قد أضا
من الآفك الساعى ليخفى نورها أ يخفى شعاع الشمس قد ملأ الفضاء؟
و كيف يحلّ المبطلون يافكهم معاقد حبّ أحكمتها يد القضا
تعرض بيغى هدمها فكأنه لتشييد مبناها الوثيق تعرضا الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ٤؛ ص ١١٤
و حرّض فى تنفيره فكأنما على البرّ و التسكين و الحبّ حرّضا
و أوقد ناراً فهو يصلى جحيمها يقلب منها القلب فى موقد الغضا
أيا واحدى المعدود بالألف وحده و يا ولدى البرّ الزكى إن ارتضى
بعثت من الدرّ النفيس قلائدا على ما ارتضى حكم المحبّة و اقتضى
نتيجة آداب و طبع مهذب أطال مداه فى البيان و أعرضا
و لا مثل بكر باكرتنى آنفا كزورة خلّ بعد ما كان أعرضا
هى الروضة الغناء أيع زهرها تناظر حسنا مذهبا و مفضضا
أو الغادة الحسناء راقت فينقضى مدى العمر فى وصفى لها و هو ما انقضى
تطابق منها شعرها و جبينها فذا الليل مسودا و ذا الصبح أبيض
أو الشهب منها زينة و هداية و رجم لشيطان إذا هو قىضا
أتت بديع الشعر طورا مصرّحاً بأبياتك الحسنى و طورا معرّضا
و مهّدت الأعدار دون جناية و لو أنك الجانى لكنت المغمّضا
لك الله من برّ و فى و صاحب محضت له صدق الضمير فأمحضا
لسانك فى شكرى مفيض تفضلا فى حسن ما أهدى و أسدى و أقرضا
و قلبك فاضت فيه أنوار خلّتى فأبقى يدى تسليمه لى مفوضا
و قصدك مشكور و عهدك ثابت و فضلك منشور و فعلك مرتضى
فهل مع هذا ريبه فى مودّة بحال! و إن رابت فما أنا معرّضا
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١١٥ فتق بولائى إننى لك مخلص هوى ثابتا يبقى فليس له انقضا
عليك سلام الله ما هبت الصبا و ما بارق جنح الدجّة أو مضا
و كتب إلى القاضى الشريف و هو بوادى آش: [الطويل]
أهزلا و قد جدت بك اللّمة الشمطا و أمنا و قد ساورتها حية رقطا
أغرّك طول العمر فى غير طائل و سرّك أن الموت فى سيره أبطا
رويدا فإنّ الموت أسرع و افد على عمرك الفانى ركائبه خطا
فإذ ذاك لا تستطيع إدراك ما مضى بحال و لا قبضا تطيق و لا بسطا
تأهب فقد وافى مشييك منذرا و ها هو فى فوديك أحرفه خطا
فرافقت منه كاتب السرّ و أشياله القلم الأعلى يخطّ به و خطا
معنى كتاب فكّه «احذر» فهذه سفينة هذا العمر قاربت الشطّا
و إن طال ما خاضت بك اللجج التى خبطت بها فى كلّ مهلكة خبطا

و ما زلت في أمواجها متقلباً آونة رفعا و آونة حطاً
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١١٦ فقد أوشكت تلقيك في قعر حفرة تشد عليك الجانبين بها ضغطا
و لست على علم بما أنت بعدها ملاق، أ رضوانا من الله أم سخطا
و أعجب شيء منك دعواك في النهي و هذا الهوى المردى على العقل قد غطى
قسطت عن الحق المبين جهالته و قد غالطتك النفس فادعت القسطا
و طاوعت شيطانا تجيب إذا دعاو تقبل إن أغوى و تأخذ إن أعطى
تناءى عن الأخرى و قد قربت مدى تدانى عن الدنيا و قد أزمعت شحطا
و تمنحها حبا و فرط صبابه و ما منحت إلا القتادة و الخرطا
فها أنت تهوى وصلها و هى فارك و تأمل قربا من حماها و قد شطا
صراط هدى نكبت عنه عمايه و دار ردى أوعيت فى سجنها سرطا
فما لك إلا السيد الشافع الذى له فضل جاه كل ما يرتجى يعطى
دليل إلى الرحمن فانهج سبيله فمن حاد عن نهج الدليل فقد أخطا
محبته شرط القبول فمن خلت صحيفته منها فقد فقد الشرطا
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١١٧ و ما قبلت منه لدى الله قربته و لا زكت الأعمال بل حببت حبطا
به الحق و ضاح، به الإفك زاهق به الفوز مرجو، به الذنب قد حطاً
هو الملجأ الأحمى، هو الموثل الذى به فى غد يستشفع المذنب الخطأ
إليك ابن خير الخلق بنت بديهة تقبل تبجيلا أنا ملك السبطا
وحيدة هذا العصر وافت وحيدة لتبسط من شتى بدائعها بسطا
و تتلو آيات التشيع إنها الموثقة عهدا و محكمة ربطا
لك الشرف المأثور يا ابن محمد و حسبك أن تنمى إلى سبطه سبطا
إلى شرفى دين و علم تظاهرا تبارك من أعطى و بورك فى المعطى
و رهطك أهل البيت، بيت محمد فأعظم به بيتا و أكرم بهم رهطا
بعثت به عقدا من الدرّ فاخراو ذكر رسول الله درّته الوسطى
و أهديت منها للسيادة عادة نظمت من الدرّ الثمين بها سمطا
و حاشيتها من كل ما شانها، فإن تجعد حوشى تجد لفظها سبطا
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١١٨ و فى الطيبين الظاهرين نظمتهافساعدها من أجل ذلك حرف الطا
عليك سلام الله ما ذرّ شارق و ما ردّدت و رقاء فى غصنها لغطا
و من غريب ما خاطبنى به قوله: [الرجز]
أقسم بالقيسين و النابغتين و شاعرى طيء المولدين
و باين حجر و زهير و ابنه و الأعشيين بعد ثم الأعميين
ثم بعشاق الثريا و الرقييات و عزّة و مى و بشين
و بأبى الشيص و دعبل و من كشاعرى خزاعة المخضرمين
و ولد المعتزّ و الرضى و السرى ثم حسن و ابن الحسين

و اختتم بقسّ و بسحبان فإن أوجب حقّ أن يكونا أولين
و حلّيتي نثرهم و نظمهم في مشرقى أقطارهم و المغربيين
أنّ الخطيب ابن الخطيب سابق بشره و نظمه للحلّبتين
و افتنى الصحيفة الحسنات التي شاهدت فيها المكرمات رأى عين
تجمع من براعة المعنى إلى براعة الألفاظ كلتا الحسينين
أشهد أنك الذي سبقت في طريقى الآداب أقصى الأمدين
شعر حوى جزالة و رقّة تصاغ منه حلية للشعرين
رسائل أزهارها منثورة سرور قلب و متاع ناظرين
يا أحوذيا، يا نسيح وحده شهادة تنزهت عن قول مين
بقيت في مواهب الله التي تقرّ عينيك و تملأ اليدين
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١١٩
و من المقطوعات الموطّئات على المثال: [مخلع البسيط]
لله عصر الشباب عصرافتح للخير كلّ باب
حفظت ما شئت فيه حفظا كنت أراه بلا ذهاب
حتى إذا ما المشيب وافى ندد و لكن بلا إياب
لا تعتنوا بعدها بحفظو قيدوا العلم بالكتاب
و من ذلك قوله: [مخلع البسيط]
يا أيها الممسك البخيل إلهك المنفق الكفيل
أنفق وثق بالآله تريح فإنّ إحسانه جزيل
و قدّم الأقرين و اذكر ما روى ابدأ بمن تعول
و من ذلك قوله: [المتقارب]
و قائلة لم عراقك المشيب و ما إن يعهد الصبا من قدم
فقلت لها: لم أشب كبره و لكنه الهمة نصف الهرم
و من ذلك قوله: [المتقارب]
هى النفس إن أنت سامحتها رمت بك أقصى مهاوى الخديعة
و إن أنت جشمتها خطّة تنافى رضاها تجدها مطيعه
فإن شئت فوزا فناقض هواها و إن واصلتك اجزها بالقطيعه
و لا تعبأ بميعادها فميعادها كسراب بعيه
و من المقطوعات أيضا: [الكامل]
من أنت يا مولى الورى مقصوده طوبى له قد ساعدته سعوده
فليشهدنك له فؤاد صادق و شهوده قامت عليه شهوده
و ليفين عن نفسه و رسومه طرا و فى ذاك الفناء وجوده
و ليخطفنه بارق يرقى به فى أشرف المعراج ثم يعيده

حتى يظّل و ليس يدري دهشة تقريبه المقصود أو تبعيده
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٢٠ لكنه ألقى السلاح مسلماً فمراده ما أنت منه تريده
فلقد تساوى عنده إكرامه و هوانه و مفيدة و مبيده

و من ذلك قوله في المعنى: [الطويل]

يقيني أنّ الله جلّ جلاله يقيني فراجى الله ليس يخيب
و من مقطوعاته في الألغاز و الأحاجي قوله في حجلة: [الرجز]
حاجيت كلّ فطن لبيب ما اسم لأنثى من بنى يعقوب
ذات كرامات فزرها قرينة فزورها أحقّ بالتقريب
تشرکہا في الاسم أنثى لم تزل حافظة لسرها المحجوب
و قد جرى في خاتم الوحي الرضالها حديث ليس بالمكذوب
و هو إذا ما الفاء منه صحّفت صبغ الحياء لا الحيا المسكوب
فهاكها واضحة أسرارها فأمرها أقرب من قريب

و في آب الشهر: [مجزوء الرجز]

حاجيتكم ما اسم علم ذو نسبة إلى العجم
يخبر بالرجعة و هو راجع كما زعم
وصف الحميم هو بالتصحيح او بدء قسم
دونكه أوضح من نار على رأس علم
و من ذلك قوله في كانون: [الهزج]
و ما اسم لسميين و لم يجمعهما جنس
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٢١ فهذا كلّما يأتي فبالآخر لى أنس
و هذا ما له شخص و هذا ما له حسّ

و هذا ما له سوم و ذا قيمته فلس

و هذا أصله الأرض و هذا أصله الشمس

و هذا واحد من سبعة تحيا بها النفس

فمن محموله الجنّ و من موضوعه الإنس

فقد بان الذي ألغزت ما في أمره لبس

و من ذلك قوله في نمر: [الرجز]

ما حيوان ما له من حرمة إن اسمه صحّفت فابن العمّه

و قلبه من بعد تصحيف له يريك في الذكر الحكيم أمّه

و من ذلك قوله في سلم: [الرجز]

ما اسم مركّب مفيد الوضع مستعمل في الوصل لا في القطع

ينصب لكن أكثر استعمال من يعنى به في الخفض أو في الرفع

و هو إذا خففته معييراً تراه شمالاً لم يزل ذا صدع

فلاسم إن طلبته تجده في خامسة من الطوال السبع
و هو إذا صحفته يعرب عن مكسر في غير باب الجمع
له أخ أفضل منه لم تزل آثاره محمودة في الشرع
هما جميعا من بنى النجار و الأفضل أصل في حنين الجذع
فهاكه قد سطعت أنواره لا سيما لكل زاكى الطبع
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٢٢
و من ذلك قوله في فنار: [مجزوء الرجز]
ما اسم إذا حذف منه فاء المنوعه
فإنه بنت الزناضافة لأربعة
و من ذلك قوله في حوت: [مجزوء الرجز]
ما حيوان في اسمه إن اعتبرته فنون
حروفه ثلاثه و الكل منها نون
تصحيفه قطع الفلأو ما جناه المذنبون
أو أبيض أو أسود أو صفه النفس الخؤون
و قلبه مصحفا عليه دارت السنون
كانت به في ما مضى عبرة قوم يعقلون
أودع فيها عنده سر من السر المصون
فهاكه كالنار في الزند لها فيه كمون
و من ذلك قوله في مائدة: [الرجز]
حاجيت كل فطن نظار ما اسم لأنثى من بنى النجار
و في كتاب الله جاء ذكرها فقل ما يغفل عنها القارى
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٢٣ في خبر المهدي فاطلبها تجد إن كنت من مطالعي الأخبار
ما هي إلا العيد عيد رحمه و نعمه ساطعه الأنوار
يشركها في الاسم وصف حسن من وصف قضب الروضة المعطار
فهاكه كالشمس في وقت الضحى قد شفت عنها حجب الأستار
و من ذلك قوله في زيب: [الرجز]
ما نقى العرض طاهر الجسد عندما خالطه الماء فسد
خالط الماء القراح فغوى بعد ما كان من أهل الرشد
عجمي الأصل تم حسنه عندما صاد الغزاة الأسد
و اسمه اسم امرأة مصحفا و لقد يكون وصفا لولد
هاكه قد بهرت أنواره فارم بالفكر تصب قصد الرشد
جميع هذه الأغراض المنسوبة إليه بحر لا ينفد مدده، و قطر لا يبلغ عدده.

و أما نثره فسلطانيات مطولات، عرضت بما تخللها من الأحوال متونها، و قلت لمكان الاستعجال و البديهة عيونها. و قد اقتضبت منها

أجزاء سميت «تافها من جم و نقطة من يم».
مولده: ولد بغرناطة في جمادى الآخرة عام ثلاثة و سبعين و ستمائة.
وفاته: ليلة يوم الأربعاء الثالث و العشرين من شوال عام تسعة و أربعين و سبعمائة. و دفن بباب البيرة. و كانت جنازته آخذة نهاية الاحتفال، حضرها السلطان فمن دونه.

و مما رثى به: رثيته بقصيدة أنشدتها على قبره خامس يوم دفنه ثبتت في غير ما موضع و هي: [الكامل]
ما لليراع خواضع الأعناق طرق التّعَى فهنّ في إطراق
و كأنما صبغ الشحوب وجوهاو السقم من جزع و من إشفاق
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٢٤ ما للصحائف صوّحت روضاتها أسفا و كنّ نصيرة الأوراق
ما للبيان كؤوسه مهجورة غفل المدير لها و نام الساقى
ما لى عدمت تجلدى و تصبرى و الصبر فى الأزمت من أخلاقى
خطب أصاب بنى البلاغة و الحجابّ الزفير به عن الأطواق
أما و قد أودى أبو الحسن الرضا فالفضل قد أودى على الإطلاق
كتر المعارف لا تبيد نقوده يوما و لا تنفى على الإنفاق
من للبدائع أصبحت سمر السرى ما بين شام للورى و عراق
من لليراع يجيل من خطيها سمّ العدا و مفاتيح الأرزاق
قضب ذوابل مثمرات بالمنى و أراقم ينفثن بالثرياق
من للرقاع الحمر يجمع حسنهابجل الخدود و صبغة الأحداق
تغتال أحشاء العدو كأنها صفحات دامية الغرار رقاق
و تهزّ أعطاف الوليّ كأنهاراح مشعشعة براحة ساق
من للفنون يجيل فى ميدانها خيل البيان كريمة الأعراق
من للحقائق أبهمت أبوابها للناس يفتحها على استغلاق
من للمساعى الغرّ تقصد جاهه حرما فينصرها على الإخفاق
كم شدّ من عقد وثيق حكمه فى الله أو أفتى بحلّ وثاق
رحب الذراع بكلّ خطب فادح أعيت رياضته على الحدّاق
صعب المقادة فى الهوادة و الهوى سهل على العافين و الطّراق
ركب الطريق إلى الجنان و حورها يلقينه بتصافح و عناق
فاعجب لأنس فى مظنّه وحشّه و مقام وصل فى مقام فراق
أ مطيبا بمحامد العمل الرضى و مكفنا بمكارم الأخلاق
ما كنت أحسب قبل نعشك أن أرى رضوى تسير على الأعناق
ما كنت أحسب قبل دفنك فى الثرى أنّ اللحد خزائن الأعلاق
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٢٥ يا كوكب الهدى الذى من بعده ركذ الظلام بهذه الآفاق
يا واحدا مهما جرى فى حلبة جلى بغيره سابق السباق
يا ثاويا بطن الضريح و ذكره أبدا رفيق ركائب و رفاق

يا غوث من وصل الضريح فلم يجد في الأرض من وزر ولا من واق
 ما كنت إلّا ديمة منشورة من غير إرعاد ولا إبراق
 ما كنت إلّا روضة ممطورة ما شئت من ثمر و من أوراق
 يا مزما عنا العشي ركابه هلمّا لبثت و لو بقدر فواق
 رفقا أبانا جلّ ما حملتنا تنس فينا عادة الإشفاق
 و اسمح و لو بمزار لقيّا في الكرى تبقى بها منا على الأرقام
 و إذا اللقاء تصرّمت أسبابه كان الخيال تعلّة المشتاق
 عجباً لنفس ودّعتك و أيقنت أن ليس بعد ثواك يوم تلاق
 ما عذرها إن لم تقاسمك الردى في فضل كأس قد شربت دهاق
 إن قصرت أحفاننا عن أن ترى تبكي النجيع عليك باستحقاق
 و استوقفت دهشا فإنّ قلوبنا نهضت بكلّ وظيفه الآماق
 ثق بالوفاء على المدى من فتية بك تقتدى في العهد و الميثاق
 سجعت بما طوقتها من منة حتى زرت بحمامم الأطواق
 تبكى فراقك خلوة عمّرتها بالذكر في طفل و في إشراق
 أمّا الثناء على علاك فذائع قد صحّ بالإجماع و الإصفاق
 و الله قد قرن الثناء بأرضه بثنائه من فوق سبع طباق
 جادت ضريحك ديمة هطّالة تبكى عليه بواكف رقراق
 و تغمّدتك من الإله سعادة تسمو بروحك للمحلّ الراقى
 صبرا بنى الجيّاب إنّ فقيدكم سيسرّ مقدمه بما هو لاق
 و إذا الأسى لفح القلوب أواره فالصبر و التسليم أى رواق
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٢٦

و أنشد في هذا الغرض الفقيه أبو عبد الله بن جزى رحمه الله: [الطويل]
 أ لم تر أنّ المجد أقوت معالمه فأطنابه قد قوّضت دعائمه
 هوى من سماء المعلوات شهابها و خانت جواد المكرمات قوائمه
 و ثلّت من الفخر المشيد عروشه و فلت من العزّ المنيع صوارمه
 و عطلّ من حلى البلاغة قسها و عرى من جود الأنامل حاتممه
 أجلّ إنه الخطب الذى جلّ وقعه و ثلمّ غرب الدين و العلم هاجمه
 و إلّا فما للنوم طار مطاره و ما للزيم الحزن قصّت قوادمه
 و ما لصباح الأنس أظلم نوره و ما لمحيا الدهر قطّب باسمه
 و ما لدموع العين فضّت كأنها فواقع زهر و الجفون كمائممه
 قضى الله فى قطب الرياسة أن قضى فشّت ذاك الشمل من هو ناظمه
 و من قارع الأيام سبعين حجّة ستنبو عراره و يندقّ قائمه
 و فى مثلها أعيان النطاسى طبه و ضلّ طريق الحزم فى الرأى حازمه

تساوى جواد في رداه و باخل فلا الجود واقيه و لا البخل عاصمه
و ما نفعت ربّ الجياد كرامه و لا منعت منه الغنى كرائمه
و كلّ تلاق فالفراق أمامه و كلّ طلوع فالغروب ملازمه
و كيف مجال العقل في غير منفذ إذا كان باني مصنع هو هادمه
لييك علينا مستجير بعدله يصاخ لشكواه و يمنع ظالمه
لييك علينا مائح بحر علمه يروى بأنواع المعارف هائمه
لييك علينا مظهر فضل نصحه يحلّا عن ورد المآثم حائمه
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٢٧ لبيك علينا معتف جود كفّه يواسيه في أمواله و يقاسمه
لييك علينا ليله و هو قائم يكابده أو يومه و هو صائمه
لييك علينا فضل كلّ بلاغه يخلده في صفحه الطرس راقمه
و شخص ضئيل الجسم يرهب نفثه ليوث الشرى في خيسها و ضراغمه
تكفل بالرزق المقدر للورى إذا الله أعطى فهو للناس قاسمه
يسدده سهما و ينضوه صارماو يشرعه رمحا فكلّ يلائمه
إذا سال من شقيه سائل حبره بما شاء منه سائل فهو عالمه
لييك عليه الآن من كان با كيا فتلك مغانيه خلت و معالمه
تقلد منه الملك غضب بلاغه يقد السلوقى المضاعف صارمه
و قلده مثنى الوزاره فاكتفى بها ألمعى حازم الرأى عازمه
ففى يده و هو الزعيم بحقه براعته و المشرفى و خاتمه
سخى على العافين سهل قياده أبى على العادين صعب شكائمه
إذا ضلت الآراء فى ليل حادث رآها برأى يصدع الحقّ ناجمه
و قام بأمر الملك للدين حاميا فذلّ معاديه و ضلّ مراغمه
و قد كان نيط العلم و الحلم و التقى به و هو ما نيطت عليه تمائمه
و دوخ أعناق الليالى بهمه بيت و نجم الأفق فيها يزاحمه
و زاد على بعد المنال تواضعا أبى الله إلا أن تتمّ مكارمه
سقيت الغوادى! أى علم و حكمه و دين متين ذلك القبر كاتمه
و ما زلت يستسقى بدعوتك الحيا و ها هو يستسقى لقبرك ساجمه
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٢٨ بكت فقدك الكتاب إذ كان شملهم يؤلفه من روح فضلك ناعمه
و طوّقتهم بالبرّ ثم سقيتهم نداك فكننت الروض ناحت حمائمه
و بيكيك منى ذاهب الصبر موجه توقد فى جنبيه للحزن جاحمه
فتى نال منه الدهر إلا و فاءه فما وهنت فى حفظ عهد عزائمه
عليل الذى زرت عليه جيوبه قريح الذى شدت عليه حزائمه
فقد كنت ألقى الخطب منه بجنة تعارض دونى بأسه و تصادمه
سأصبر مضطرا و إن عظم الأسى أحارب حزنى مرّة و أسالمه

و أهديك إذ عزّ اللقاء تحيةً و طيب ثناء كالعبير نواسمه

و أنشد القاضي أبو بكر القرشي قوله في قصيدة في ذلك: [الوافر]

هي الآجال غايتها نفاذو في الغايات تمتاز الجياد

و أنشد الفقيه الكاتب أبو بكر القاسم بن الحكيم قوله من قصيدة:

[الطويل]

لينع الحجا و الحلم من كان ناعياو يرع العلا و العلم من كان رايعا

و أنشد الفقيه القاضي أبو بكر بن جزى قصيدة أولها: [الطويل]

أبتكما و الصبر للعهد ناكث حديثا أمّته على الحوادث

قصائد مطولات يخرج استقصاؤها عن الغرض، فكان هذا التأبين غريبا لم يتقدم به عهد بالحضرة لكونها دار ملك، و التجلّه في مثل هذا مقصورة على أولى الأمر، فمضى بسبيله، رحمه الله.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٢٩

على بن موسى بن عبد الملك بن سعيد بن خلف ابن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عثمان بن عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر ابن كنانة بن قيس بن الحصين بن لوذم بن نعلب ابن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن نام بن عيس و اسمه زيد بن مالك بن أدد بن زيد العنسي المذحجي

من أهل قلعة يحصب، غرناطى، قلعى، سكن تونس، يكنى أبا الحسن، و يعرف بابن سعيد.

أوليته: قد تقرر من كرم أوليته و ذكر بيته ما ينظر فى محله.

حاله: هذا الرجل وسطى عقد بيته، و علم أهله، و درة قومه، المصنّف الأديب، الرحال، الطرفة، الإخبارى، العجيب الشأن فى التجول فى الأوطان، و مداخلة الأعيان، و التمتع بالخزائن العلمية، و تقييد الفوائد المشرقية و المغربية.

مشيخته: أخذ عن أعلام إشبيلية كأبى على الشلوبين، و أبى الحسن الدباج، و أبى الحسن بن عصفور و غيرهم.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٣٠

تواليفه: و تواليفه كثيرة، منها المرقصات و المطربات، عزيز الوجود، و المقتطف أغرب و أعجب، و الطالع السعيد فى تاريخ بيته و بلده، و الموضوعان الغريبان المتعددا الأسفار، و هما «المغرب فى حلى المغرب»، «و المشرق فى حلى المشرق»، و غير ذلك مما لم يتصل إلينا، فلقد حدّثنى الوزير أبو بكر بن الحكيم، أنه تخلف كتابا يسمى «المرزومة»، يشتمل على وقر بعير، لا يعلم ما فيه من الفوائد الأدبية و الإخبارية إلا الله.

شعره: قال: تعاطى نظم الشعر فى حدّ زمن الشيبية، يعجب فيه من مثله، فيذكر أنه خرج مع والده، و قد مرّ فى صحبته إلى إشبيلية، و فى صحبته سهل بن مالك، فجعل سهل يباحثه عن نظمه، إلى أن أنشده فى صفة النهر و النسيم يردّده، و الغصون تميل عليه: [المنسرح]

كأنما النهر صفحة كتبت أسطرها و النسيم ينشئها

لما أبانت عن حسن منظرها مالت عليها الغصون تقرؤها

فطرب أبو الحسن و أثنى عليه، ثم شدا. و ناب عن أبيه فى أعمال الجزيرة، و مازج الأدباء، و دوّن كثيرا من نظمه، و حفظ له فى

المدح: [الكامل]

يا أيها الملك الذى هباته و هباته شدّت عرى الإسلام

لما أسال نداءه سلّ حسامه فأراك برقاً فى متون غمام

لله شيعتك التي ترك العدا أقداحهم بمواطئ الأقدام
طاروا بأجنحة السيوف إليهم مثل الحمام جلين كل حمام
فهم سهام و الجياد قسيهم و عداهم هدف و سعدك رام
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٣١

و قال: و مما نظمته بالحضرة في فرس كان لهم لوباني أغرّ أكحل بحلياً :
[الطويل]

و أجرد تبرى أثرت به الثرى و للفجر في خصر الظلام و شاح
عجبت له و هو الأصيل بعرفه ظلام و بين الناظرين صباح

رحلته المشرقية، و فيها الكثير من نظمه، قال في «الطالع»: لما قدم الديار المصرية و اشتهر، كان مما نظمه سلماً لمعرفة الأدياء و الظرفاء
قوله، و قد رأى بساحلها وجوها لا يعرفها، و ألسنا غير ما عهد : [الكامل]

أصبحت أعترض الوجوه و لا أرى من بينها وجهاً لمن أدريه
ويح الغريب توخّشت ألاحظه في عالم ليس له بشيه

عودى على بدئى ضلالاً بينهم حتى كانى من بقايا التيه

و دخل القاهرة، فصنع له أدباؤها صنيعاً في ظاهرها، و انتهت بهم الفرجة إلى روض نرجس، و كان فيهم أبو الحسن الجزّار، فجعل
يدوس النرجس برجله، فقال أبو الحسن : [السريع]

يا واطئ النرجس بالأرجل ما تستحى أن تطأ الأعين بالأرجل؟
فتهافتوا بهذا البيت و راموا إجازته.

فقال ابن أبي الأصغ : [السريع]

فقال : دعنى لم أزل محرّجاً على لحاظ الرّشا الأكل

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٣٢

و كان أمثل ما حضرهم، ثم أبوا أن يجيزه غيره، فقال : [السريع]

قابل جفونا بجفون و لا تبتذل الأرفع بالأسفل

ثم استدعاه سيف الدين بن سابق، صاحب الأشغال السلطانية، إلى مجلس بصفة النيل، مبسوط بالورد، و قد قامت حوله شمامات
نرجس، فقال في ذلك :

[السريع]

من فضّل النرجس فهو الذى يرضى بحكم الورد إذ يرأس

أما ترى الورد غدا قاعدا و قام فى خدمته النرجس؟

و وافق ذلك مماليك الترك، و قوفاً فى الخدمة على عادة المشاركة، فطرب الحاضرون، من حسود و منصف. و لقي بمصر محبى
الدين بن ندا و اقد التركى، و الإمام زهير الحجارى بهاء الدين، و بالقاهرة جمال الدين بن مطروح، و جمال الدين بن يغمور، و تعرف

بكمال الدين بن العديم رسول سلطان حلب، فاستصحبه يتحف به الملك الناصر صاحب حلب، فلقى بحمص و بيت المقدس و حماه
أعلاماً جلّة، و له معهم أخبار يطول ذكرها، و دخل على السلطان بحلب، و أنشده قصيدة أولها : [الكامل]

جد لى بما ألقى الخيال من الكرى لا بدّ للطفيف الملمّ من الكرى

فقال كمال الدين: هذا رجل عارف مذ روى لمقصده من أول كلمة. ثم قال بعد أبيات:

الناصر الملك الذي عزماته أبدا تكون مع العساكر عسكرا

ما كان أنبا الفتح يلزم لأمه و الجمع من أعدائه متكسرا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٣٣

فعظم استظراف السلطان لهذه المقاصد، و أثنى عليه. ثم وصل فقال:

الدين أصلحه و عمّ صلاحه الدنيا و أصبح ناصرا و مظفرا

فكأن كنيته غدت موضوعه من ربّه و الوصف منه مقررا

و كأنما الأسماء قد عرضت على عليه قبل وجوده متخيرا

فقال السلطان: كيف ترون؟ و استعاده. فقال عون الدين العجمي عميد المجلس و كاتب الإنشاء: استنباطه ما سمع الملوک بمثله يا خونند. ثم أنشد:

من آل أيوب الذين هم هم وورثوا الندى و البأس أكبر أكبرا

أهل الرياسة و السياسة و العلابسيوفهم حلّوا الذرى منحوا الذرا

سمّ العداة على حياء فيهم لا تعجبوا فكذاك آساد الشرى

كادوا يقيلون العداة من الرّدى لو لم يمدّوا كالحجاب العثيرا

جعلوا خواتم سمرهم من قلب كلل معاند عدّ المثقف خنصرا

و ببيضهم قد توجوا أعداءهم حتى لقد حلّوا لكيما تشكرا

لو لم يخافوا تيه سار نحوهم وهبوا الكواكب و الصّباح المسفرا

و هى طويلة. ثم استجلسه السلطان، و سأله عن بلاده و مقصده بالرحلة، فأخبره أنه جمع كتابا فى الحلّى البلاديّة و الحلّى العباديّة المختصيّة بالمشرق، و أخبره أنه سمّاه «المشرق فى حلّى المشرق». و جمع مثله فسّمّاه «المغرب فى حلّى المغرب». فقال: نعينك بما عندنا من الخزائن، و نوصلك إلى ما لا عندنا، مثل خزائن الموصل و بغداد، و تضيف لنا المغرب. فخدم على عادتهم، و قال: أمر مولاي بذلك إنعام و تأنيس، ثم قال له السلطان مداعبا: إن شعراءنا ملقّبون بأسماء الطيور، و قد اخترت لك لقباً يليق بحسن صوتك و إيرادك للشعر، فإن كنت ترضى به، و إلّا لم يعلمه غيرنا، و هو البلبل، فقال: قد رضى المملوك بذلك يا خونند.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٣٤

فتبسّم السلطان، و قال: اختر واحدة من ثلاث، إمّا الضيافة التى ذكرتها أول شعرك، و إمّا جائزة القصيدة، و إمّا حقّ الاسم. فقال: يا خونند، المملوك ممّن لا يختنق بعشر لقم، فكيف بثلاث؟ فطرب السلطان، و قال هذا مغربى ظريف، ثم أتبعه من الدنانير و الخلع الملوكية و التواقيع بالأرزاق ما لا يوصف. و لقي بحضرته عون الدين العجمي، و هو بحر لا تنزفه الدلاء، و الشهاب التلعفري الشهير الذكر، و التاج ابن شقير، و ابن نجيم الموصلى، و الشرف بن سليمان الإربلي، و طائفة من بنى الصاحب.

ثم تحوّل إلى دمشق، و دخل الموصل و بغداد، و دخل مجلس السلطان المعظم ابن الملك الصالح بدمشق، و حضر بمجلس خلوته. و كان ارتحاله إلى بغداد فى عقب سنه ثمان و أربعين و ستمائة فى رحلته الأولى إليها. ثم رحل إلى البصرة، و دخل أَرْجان، و حجّ. ثم عاد إلى المغرب. و قد صتّف فى رحلته الأولى إليها مجموعا سمّاه ب «النفحة المسكية فى الرحلة المكية». و كان نزوله بساحل مدينة إقليبيّة من إفريقية فى إحدى جمادين من عام اثنين و خمسين و ستمائة، و اتصل بخدمة الأمير أبى عبد الله المستنصر فنال الدرجة الرفيعة من حظوته. و قال عند اتصاله به لحين قدومه: [المتقارب]

و ما زلت أضرب فى الخافقين أروم البلاد و أرى الدول

إلى أن رجعت إلى تونس محلّ الإمام و أقصى الأمل

فقلت البلاد لهذى قرى وقلت الأنام لهذا خول
 نكبتة: و حدثني شيخنا الوزير أبو بكر بن الحكيم، أن المستنصر جفاه في آخر عمره، و قد أسنّ لجراء خدمه مالىة أسندها إليه، و قد
 كان بلاء منه قبل جفوه، أعقبها انتشار و عناية. فكتب إليه: [الرملة]
 يا غزالا في الحشا منزله و بعينى دائما منهله
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٣٥ لا ترعنى بالجفا ثانياً ما بقى فى الجسم ما يحمله
 فرق له، و عاد إلى حسن النظر فيه، إلى أن توفى تحت برّ و عناية، رحمه الله.
 مولده: ولد بغرناطة ليلة الفطر فى سنه عشر و ستمائة.
 وفاته: توفى بتونس، حرسها الله، فى أحواز عام خمسة و ثمانين و ستمائة .

على بن عبد الرحمن بن موسى بن جودى القيسى

الأديب الكاتب، يكنى أبا الحسن.
 حاله: من أهل المعرفة بالعلوم القديمة، و أصله من عمل سرقسطه. و كان صديقا للوزير أبى الحسن بن هانى.
 مشيخته: قرأ على الحكيم أبى بكر بن الصايغ، المعروف بابن باجة . و كان خليع الرّسن فيما ذكر عنه.
 شعره: من شعره: [الطويل]
 خليلي من نعمان، بالله عزّ جاعلى الأيك من وادى العقيق فسّلا
 و قولاً له ما حال لبني لعله إذا سمع النجوى بلبنى تكّلا
 فعهدى به و الظلّ ينفصّ دوحه و قد خضلت عيدانه فتنعّما الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج ٤ ؛ ص ١٣٥
 تباركه لبني لا تيان موعده عزيز عليها أن يخان و يصرما
 نبثّ حديثها فنبكى بعبرة فترسلها ماء و نرسلها دما
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٣٦
 و من شعره قوله: [الوافر]
 أدر كأس المدام فقد تغنى بفرع الأيك أوركها الصّدوح
 و هبّ على الرياض نسيم صبح يمرّ كما ونى ساد طليح
 و سال النّهر يشكو من حصاه جراحات كما أنّ الجريح
 و قال: [الطويل]
 سقى الله دهرا ضمّ شمل مودّه و جمّع إخوان الصفاء بلا وعد
 بميناء تلوها الرياح بليلة و تنظر منها الشمس بالأعين الرّمد
 وفاته: توفى بغرناطة فى حدود الثلاثين و خمسمائة .

و من الطارئين

عمر بن خلاف بن سليمان بن سلمة

من أهل شابش، يكنى أبا على.

حاله: كان فقيها أديبا مكثرا، شهير المكان بجهته، مولعا بمكاتبة الأدباء و تقييد ما يصدر عنهم، مؤرخا من أهل النباهة و العناية. ألف كتابا سماه «نخبة الأعلاق، و نزهة الأحداق في الأدباء»، و حلّى من ذكر فما قصير عن السيداد. و له نظم و نثر و خطب، و بيعات و مراجعات تضمّنها الكثير من كتبه.

فمن شعره ما قاله يخاطب بعض إخوانه: [البسيط]

خذها إليك أبا إسحاق تذكّره من ذاكر لك في قرب و في شحط

يرعى ذمامك، لا تنسى لوازمه و لا يمازجه بالسّهو و الغلط

و لا يزال بحفظ العهد معتنيا و لا يعامل في البحران بالشطط

فأنت عندي أولى من أذمة ربحي و من صفوتي في أرفع النمط

قد طال شوقي للإعلام منك بمالديك إذ فيه لي تأنيس مغتبط

و قد تبت بنكري في التغافل عن معهود ما كنت توليه لدى الشحط

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٣٧ و قد عفا رسم عرفان الإخاء بما أوليت من كثرة الإهمال و الغلط

اجبر أخي وهيه و ارجع لصالح ما عودت في الكتب من مستحسن الخطط

و جد بسيط انبساط أنت تبدله فإن أقبح شيء قبض منبسط

و خذ سلاما كعرف المسك نفحته من ذي و لاء بذاك المجد مغتبط

و في مفاتحة بعض الأدباء: [الطويل]

أبا جعفر، و افتك في صفحة الطرس عقيلة و دّ لم تشنها يد اللّمس

لها حلل الإخلاص زيا و حليها عطر ثنا عرف روض الربى ينبس

و موجها ما قد فشا من محامد حباك بها الرحمن ذو العرش و الكرسي

و غرّ علوم حزتها و معارف غلوت بها فحى على البدر و الشّمس

فإن رزقت منك القبول تشرفت و فازت بتحصيل المسرة و الأنس

خطابك يا قاضي العدالة بغيتي و روحى و ريحاني و قصوى منى نفسى

اقتضبتها أعلى الله قدرك، كما أسنى في سماء المعارف و الأدب التالد و الطارف بدرك، عن ودّ ملك زمامي، و فضل في سبيل

المنافسة في خطبة و دادك غاية اهتمامي، و قد تقرّر لدى من محاسنك و إحسانك بالسماع، ما أوجب على مخاطبتك عند تعذر

المشافهة بالسنة اليراع، فانقدت بزمام ذلك الواجب، و قصدت أداءه على أصحّ المذاهب، راجيا من تجاوزك و إغضائك، ما يليق

بباهر علائك، و في جوابك هو الشفاء، و لدى خطابك يلقي الاعتناء و الاحتفاء، و الله يطلع منك السار، و يصل لك المبار. و قال

يخاطب السلطان: [الطويل]

إلى الحضرة العلياء يستبق العبدو في القرب منها و الدنو هو القصد

إلى حضرة الولي الإمارية التي تبلّج فيها العدل و ابتسم السعد

و فيها وجود المرء للدين و الدناو قد خصّها بالرحمة الصمد الفرد

وفاته: كان حيّا في سنة خمس و ستمائة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٣٨

من أهل قرية أرينتيرة من قرى سند مدينة وادي آش، يكنى أبا الحسن.

حاله: كان من جلمة الطلبة ونبهائهم و أذكيائهم و صلحائهم. عنده معرفة بالفقه، و مشاركة في الحديث، و معرفة بالنحو و الأدب، و حسن نظم و نثر، من أحسن الناس نظما للوثائق، و أتقنهم لها، و أعرفهم بنقدها، و أقصدهم لمعانيها، يستعين على ذلك بأدب و كتابة، فيأتي بأشياء عجيبة.

مشيخته: روى عن الراوية أبي العباس الخروبي، و المقرئ أبي الحسن طاهر بن يوسف بن فتح الأنصاري، و القاضي أبي محمد بن عبد الرحيم الخزرجي.

توليفه: ألّف كتابا في شرح المسند الصحيح لمسلم بن الحجاج في أسفار كثيرة، أجاد فيها كل الإجابة. و له كتاب سماه ب «الوسيلة في الأسماء الحسنى». و نظم في شمائل النبي، عليه أفضل الصلاة و السلام.

شعره: له شعر في الزهد و غيره، فمنه قوله: [مجزوء الرجز]

أيا كريما لم يضع لديك عبد أملك
بالباب من أنت له و دّ أن لو كان لك
عبد له أسئله و ليستحي أن يسألك
أفواهم تسأله و لم تحسن عملك
ألست أنت خنته أمانة قد حملك؟
و لم تكن تشكر مامن فضله قد حوّلك؟
و كلما أهملته من حقّه ما أهملك
إنّا كما قالوا سوى أنك أعلى من ملك
تلك التي تؤنسنى و ترتجى من فضلك
بشراى إن نال الرّضابها فقد توّسلك
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٣٩

علي بن محمد بن علي بن هيضم الرّعيني

من أهل إشبيلية، يكنى أبا الحسن.

حاله: الكاتب البليغ المحدث الراوية. قال الأستاذ: كان من أهل العلم و المشاركة، و غلبت عليه الكتابة السلطانية و اعتمدها صناعة. و كتب لجلّة من ملوك الأندلس و العدو. و كان انفصاله من الأندلس قبل سنّه أربعين و ستمائة.

قلت: و كتب للسلطان المتوكل على الله أبي عبد الله بن هود، ثم للسلطان المتوكل الغالب بالله أبي عبد الله بن نصر. و سكن بغرناطة مدة مديدة. ثم رحل إلى مراکش، فكتب عن أمير سبتة، و عن ملوك الموحدين بمراكش. و نمت حاله و نبهت رتبته، و استقلّ بالإنشاء بعد شيخه أبي زيد الفزازي، و كان محدّثا عارفا بالرواية، متعدد المشيخة، فاضلا، دينيا، مشاركا في كثير من المعارف، حسن الخط، جيد الكتابة، متوسط الشعر. قلت: هذا الرجل له مشيخة في أصل ابن الخطيب، طويلة اختصرتها.

شعره و نثره: من ذلك ما جمع فيه بين النظم و النثر: [الكامل]

وافى الكتاب و قد تقلّد جيده ما أنت تحسن نظمه و تجيده

من كلّ معنى ضمن لفظه في حلى خطّ يزيل طلى الطّروس فريده

أبا المطرف، دعوة من خالص لعلاك غابت وده و شهيد

أنت الوحيد بلاغة و براعة و لك البيان طريفه و تليده

فانثر فأنت بديعه و عماده و انظم فأنت حبيبه و وليده

إيه، أيها السيد الذى جلت سيادته، و حلت صميم الفؤاد سعادته، و دامت بها ينفع الناس عادته. ألقى إلى كتاب كريم خطته تلك اليمنى التى اليمن فيها تخطه، و نسقت جواهر بيانه التى راق بها سمطه، فلا تسلوا عن ابتهاجى بأعاجيبه، و انتهاجى لأساليبه، و شدة كلفى بالتماح و سيمه، و جدّه شغفى باسترواح نسيمه. فإنه قدم و أنس

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٤٠

النفس راحل، و استعاده و روض الفكر ماحل، فجاهه لا- جرم أنه بما حوى من حقد النوى، و روى من طرق الهوى، و بكى الربيع المحيل، و شكى من صابح الرّحيل، هتيج لواعج الأشواق و أثارها، و حرّك للنفس حوارها، فحنت، و استوهبت العين مدارها فما ضنت. فجاشت لوعه أسكنت، و تلاشت سلوة عنت، و كفّ دمع كفّ، و ثقل عدل حفّ، و اشتدّ الحنين، و امتدّ الأنين، و علا النحيب، و عرا الوجيب، و التقى الصّبّ و الحين، و هدى المحب قدر ما جناه البين، و طالما أعمل فى احتمال المشاق عزيزه، و شدّ لاجتياح الآفاق حيازيمه: [المنسرح]

و ادع مثوى المقام معتزما فلا يرى للغرام ملتزما

و أزمع البين عن أحبته و البين عن داره التى رثما

و ما درى أنه بعزمته قد أشعل البين فى الحشا ضرما

و هل جرى ذاك فى تصوّره؟ فربما أحدث الهوى لمما

إلهى، ألا نوى مشيئته شملا من العيش كان منتظما؟

و عاذل قال لى يعتنى لا تبد فيما فعلته ندما

ما حيلة فى يدي فأعملها عدل من الله كلّ ما حكما

أما أنّ القلب لو فهم حقيقة البين قبل وقوعه، و علم قدر ما يشبّ من الزرع فى روعه، لبالغ فى اجتنابه، و اعتقد المعنى عنه من قبيل المعتنى به، و لحا الله الأطماع، فإنها تستدرج المرء و تغزه، و تغريه بما يسره، ما زالت تقتل فى الغارب و الدرّوه، و تخيل بالترغيب و الثروة، حتى أنأت عن الأحباب و الحباب، و رمت بالغريب أقصى المغارب. فيا لوحشه ألوت بإيناسه، و بالغربة أحلت فى غير وطنه و ناسه، و يا عجبا للأيام و إساءتها، و قرب مسرّتها عن مساءتها، كأنها لم تتحف بوصول، و لم تسعف باتصال، و لم تتمّع بشباب، و لم تفتح لقضاء أوطار النفس كل باب: [الخفيف]

عجبا للزمان عتّى و عاقاو عدمنا مسرّة و وفاقا

أين أيامه و أين ليال كلال تالأو و اتساقا؟

كم نعمنا بظّلها فكأنّا مرّتها للصبّا علينا رماقا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٤١ كم بغرناطة و حمص وصلنا باصطباح من السرور اغتباقا

فى ربي نجد تلك أو نهر هدى و الأمانى تجرى إلينا استباقا

فى رياض راق و راق و لكن حين ندى الحيا لها فأراقا

رقّ فيها النسيم فهو نسيب قد سبا رقة نفوسا رفاقا

و ثنا للغصون منها قدود اتلاقى تصافحا و اعتناقا

كلّما هبّ من صباه عليل و تداوى بها العليل أفاقا

حكم السعد للأحبة فيه بكوؤوس الوصال أن تساقا

ثم كرت للدهر عادة سوء شقّ فيها خطب النوى حين شاقا
 شتّ الشمل بعد طول اجتماع و سقى للفراق كأسا دهاقا
 و أعاد الأوطان قفرا و لكن قد أعاد القطان فيها الرفاقا
 ليت شعري و العيش تطويه بالفيفى ، أشاما تبوءوا أم عراقا؟
 يا حداة القلوب، رفقا بصبّ بلغت نفسه السياق اشتياقا
 آه من شجوة و آه لبين ألزم النفس لوعه و احتراقا

هذه، يا سيدى، استراحة من فؤاد و قدته الفرقة و القطيعة، و استباحته لحمى الوقار بما لم تحظره الشريعة، فقيما تشوكيت الأخران، و تبوكيت الأوطان، و حنّ المشتاق، و كنّ له من الوجد ما لا يطاق، فاستوقف الركب يشكو البلايل، و استوكف السحب لسقيا المنازل، و فدى الربع و إن زاده كربا، و من له إن يلم لائما له تربا.
 حسبه دموع تفيض مجاريها، و نجوم يسامرها و يسايرها: [الكامل]
 ألف السهاد فشأنه إدمانه و استغرقت أحيانه أشجانه
 و شكا جفاء الطيف إذ لم يأت هـل ممكن من لم ينم إتيانه؟
 و استعبده صبا به و كذا الهوى فى حكمه أحراره عبدانه
 كم رام كتمان المحبة جهده و دموعه يبدو بها كتمانه
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٤٢ و إذا المحب طوى حديث غرامه كبا الضلوع و شت به أجفانه
 و هى طويلة.

وفاته: بمراكش سحر ليلة الأربعاء الرابعة و العشرين من رمضان سنة ست و ستين و ستمائة. و دفن عقب ظهره بجبانة الشيخ مقاربا باب السادة أحد أبواب قصر مراكش. و كان الحفل فى جنازته عظيما، لم يتخلف كبير أحد.

على بن محمد بن على بن البنا

من أهل وادى آش، يكنى أبا الحسن.

حاله: من «الإكليل الزاهر»، قال فيه : فاضل يروقك وقاره، و صقر بعد مطاره. قدم من بلده وادى آش يروم اللحاق بكتاب الإنشاء، و توسل بنظم أنيق، و أدب فى نسب الإجادة عريق، تعرب براعته عن لسان ذليق، و طبع طليق، و ذكاء بالأثرة خليق، و بيننا هو يلحم فى ذلك الغرض و يسدى، و يعيد و يبدى، و قد كادت وسائله أن تنجح، و ليلة رجائه أن تصبح، اغتاله الحمام، و خانته الأيام، و البقاء لله و الدوام.

شعره: من شعره يخاطبنى لما تقلدت الكتابة العليا : [البسيط]

هو العلاء جرى باليمن طائرته فكان منك على الآمال ناصره

و لو جرى بك ممتدا إلى أمل لأعجز الشمس ما أمت عساكره

لقد حباه منيع العزّ خالقه بفاضل منك لا تحصى ما أثره

فليزه فخرًا فما خلق يعارضه و لا علاء مدى الدنيا يفاخره

لله أوصافك الحسنى لقد عجزت من كلّ ذى لسن عنها خواطره

هيئات ليس عجيبا عجز ذى لسن عن وصف بحر رمى بالدّرّ زاخره

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٤٣ هل أنت إلّا الخطيب ابن الخطيب و من زانت حلى الدين و الدنيا مفاخره

فإن يقصّر عن الأوصاف ذو أدب فما بدا منك في التقصير عاذره
يا ابن الكرام الألى ما شبّ طفلهم إلّا و للمجد قد شدّت مآزره
مهلا عليك فما العلياء قافية و لا العلاء بسجع أنت ناثره
و لا المكارم طرسا أنت راقمه و لا المناقب طبّا أنت ماهره
ما ذا على سابق يسرى على سنن إن كان من نفعه خلّ يسايره
سر حيث شئت من العلياء متّندا فما أمامك سابق تحاذره
أنت الإمام لأهل الفخر إن فخر وأنت الجواد الذى عزّت مفاخره
ما بعد ما حزته من عزّة و علاشا و يطارد فيه المجد كابره
نادت بك الدولة النّصرى محتدها نداء مستنجد أزرأ يوازره
حليتها برداء البرّ مرتديا و صبح يمنك فجر السّعد سافره
فالملك يرفل فى أبراده مرحاقد عمّت الأرض إشراقا بشائره
فأهنا بها نعمة ما أن يقوم لها من اللسان ببعض الحقّ شاكره
و ليهنا أنه ألقّت مقالدها إلى سرى زكت منه عناصره
فإنه بدر تمّ فى مطالعها قد طبق الأرض بالأنوار ناثره
و من أطبع ما هزّ به إلى إقامة سوقه، و رعى حقوقه، قوله: [البسيط]

يا معدن الفضل موروثا و مكتسبا فكل مجد إلى عليائها انتسبا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٤٤ بباب مجدكم الأسمى أخو أدب مستصرخ بكم يستنجد الأدبا
ذلّ الزمان له طورا فبلّغه من بعض آماله بعض الذى طلبا
و الآن أركبه من كلّ نائبة صعب الأعتة لا يألو به نصبا
فحملته دواعى حبكم و كفى بذاك شافع صدق يبلّغ الأربا
فهل سرى نسمة من جاهكم فيها خليفة الله فينا يمطر الذهبا

و أهدى إلى قباقب خشب برسمى و معها من جنسها صغار للأولاد من مدينة وادى آش من خشب الجوز، و كتب لى معها:
[الخفيف]

هاكها ضمرا مطايا حسانا نشأت فى الرياض قضا لدا
و ثوت بين روضة و غدیر مرضعات من النّمير لبانا
ثم لما أراد إكرامها الله و سنى لها المنى و الأمانا
قصدت بابك العلى ابتدارا و رجت فى قبولك الإحسانا
قد قبلنا جياذك الدّهم لّمّا أن بلونا منها العتاق الحسانا
أقبلت خلف كلّ حجر ببيع خلعت و صفها عليه عيانا
فقبلنا برعيها و فسحنافى ديار العلى لها ميدانا
و أردنا امتطاءها فاتخذنا من شراك الأديم فيها عنانا
قدمت قبلها كتيبة سحر من كتاب سبت به الأذهانا
مثما تجنب الجيوش المذاكى عدّة للقاء مهما كانا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٤٥ لم ترق مقلتي و لا رقّ قلبى كحلاها براعة و بيانا من يكن مهديا فمثلك يهدى لم أجد للثنا عليك لسانا وفاته: توفى في الرابع لشعبان من عام خمسين و سبعمائة معتبطا في الطاعون، لم يبلغ الثلاثين.

علي بن محمد بن علي العبدري

إشارة

سكن غرناطة، يكنى أبا الحسن و يعرف بالوزاد، و يشهر أبوه باليربوني.

حاله: بقيه مسنى أدباء الأندلس في فن الهزل و المعرب، و الهزل متولى شهرته، و له القدح المعلى فيه، و الطريقة المثلى، ظريف المأخذ، نبيل الأغراض، حافظ للعيون، مال بأخرة إلى النسك و صحبة الصالحين. و لم يزل بحاله الموصوفة إلى أن استولت عليه الكبر، و ظرفه يتألق خلال النسك. و جرى ذكره في «الإكليل الزاهر» بما نصّه: أديب، نار ذكائه كأنه يتوقّد، و أريب لا يعترض كلامه و لا ينقد. أمّا الهزل فطريقته المثلى، التي ركض في ميدانها و جلى، و طلع في أفقها و تجلّى، فأصبح علم أعلامها، و عابر أحلامها. إن أخذ بها في وصف الكاس، و ذكر الورد و الآس، و ألمّ بالربيع و فصله، و الحبيب و وصله، و الروض و طيبه، و الغمام و تقطيه، شقّ الجيوب طربا، و علّ النفوس إربا و ضربا. و إن أشفق لاعتلال العشيّة، في فرش الربيع الموشية، ثم تعدّاها إلى وصف الصبوح، و أجهز على الرق المجروح، و أشار إلى نغمات الورق، يرفلن في الحلل الزرق، و قد اشتعلت الليل نار البرق، و طلعت بنور الصباح في شرفات الشرق، سلب الحليم وقاره، و ذكر الخليع كأسه و عقاره، بلسان يتراحم على مورده الخيال، و يتدقّق من حافاته الأدب السيال، و بيان يقيم أود المعانى، و يشيده صانع اللفظ محكمة المباني، و يكسو حلل الإحسان جسوم المثالث و المثاني، إلى نادرة لمثلها يشار، و محاضرة يجنى بها الشهد و يسار.

و قد أثبت من شعره المعرب، و إن كان لا يتعاطاه إلّا قليلا، و لا يجاوره إلّا تعليلا، أبياتا لا تخلو من مسحة جمال على صفحاتها، و هبة طيب ينمّ في نفحاتها.

فمن ذلك قوله: [الطويل]

يذكّرني حسن الكواعب روضة لها خطر قيد التواظر مونتق

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٤٦ خدود من الورد النضير و أعين من التّرجس السامى إليها تحدّق و خامات زرع يانع كذؤاب و ما شقّها من جدول الماء مفرقّ و من شعره قوله: [الوافر]

أ سافرة النقب، سحرت لّمّا مطت الخزّ عن بدر التمام

و تيمت الفؤاد بغنج طرف كحيل ما يفيق من المنام

لعمر أبيك ما بالنوم بعد عن الجفن المكحل بالظلام

و من معانيه المخترعة و أغراضه المبتدعة، و كلها كذلك: [البسيط]

ما لى إذا غبتم تهمة لفرقتكم عيني بمنهم كالغيث هتان

أشبهت نيلوفرًا و الشمس بهجتكم إن غبتم غبت في أمواه أجفان

السقم يشهد لى و الدّمع برّح بى متى استوى عندكم سرّ و إعلان؟

و قال من المستحسن الذى رمى فأصاب، و استمطر طبعه فصاب: [الطويل]
يقولون: لاح الشيب فاله عن الصباو عن قهوة تصبو لها و تنيب
فقلت: دعونى نصطحبها سلافة على صبح شيبى فالصبح عجيب
و قال كذلك: [الكامل]

لا تعجبن من البليد مخولا و من اللبيب يعد في الفقراء
الماء أصل الخصب غير مدافع و أخو البلادة طبعه كالماء
و النار مؤثرة الجدوب و إنها الشبيهة بطبائع الفطاء
و من قصائده الغريبة: [الكامل]

و معدّر لحظ المشيب بعارضى فتصرمت دونى جبال وصاله
هلا ثنته نسبة لمحبه؟ إن العذار لشبيهة لجمالها
و قال أيضا: [الوافر]

تحر الصدق إن حدثت يوما و إن حدثت لا تنقل حديثا
و كن للسر صوانا كتوما و ربما كان سرّك أو حديثا
و قال مما يكتب فى غمد سيف: [الطويل]

لئن راق منى منظر بان حسنه لقد سامنى بالمهند باطن
كأن أديمى رقعة من حديقة تلقفها صل لدى الروض كامن
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٤٧

و قال مما يكتب على قوس: [البسيط]

إن كان من وتر الألحان منبعثا سرور قوم مدى الآصال و البكر
فإن حزن العدا ما نال منبعثا منى و حينهم فى التقر فى وتر
و قال فى غير هذا الغرض: [السريع]

الخير كل الخير فى سته لم تلف إلّا فى كرام الرجال
الحزم و الحلم و حمل الأذى و الصبر و الصمت و صدق المقال
و مما نختم به محاسنه قوله: [الطويل]

ألا إن باب الله ليس بمغلق و لا دونه من مانع لموفق
و لكن بلينا فى سلوك طريقه بكلب من الشيطان ليس بمطرق
فمن يرم بالدنيا إليه كلقمة فذاك الذى من شره ليس يتقى
فخل عن الدنيا ودع عنك حبها يدعك إلى أوج السعادة ترتقى
و قوله: [البسيط]

أيقنت أن جميع الخلق ليس له شىء من الأمر فى شىء فيصنعه
فلا أخاف و لا أرجو مدى عمرى إلّا الذى فى يديه الخلق أجمعه

مولده: بمدينة مالقة فى اليوم الثالث و العشرين لذى حجة من عام أحد و ثمانين و ستمائة.
وفاته: فى أحواز أحد و ستين و سبعمائة.

على بن عبد العزيز ابن الإمام الأنصاري
 يكنى أبا الحسن، سرقسطى الأصل، غرناطى الاستيطان و الاستعمال.
 حاله: كان وزيرا جليلا، معظّم القدر، مبعجلا أثرا، ذا معارف جمه، أحد كتاب الزمن، و أهل البلاغه و الفصاحة و الكرم. وزير للأمير
 أبى الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين، صاحب غرناطة، فحمدت وزارته، و كتب للأمير على بن يوسف.
 و روى عن شيوخ غرناطة.

أخباره في الجود و الجلالة:

قال أبو القاسم: شكى إليه بعض إخوانه من حادث طرقة، و أن التفاق أخرجه من بلده، و حال بينه و بين بلده، فأنزله أكرم منزل، و
 خرج إلى المسجد الجامع،
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٤٨
 و أشهد على نفسه أنه وهبه الربع من أملاكه، و كتب بذلك عقدا و دفعه إليه، و قال: يا أخى، إن ذلك سيصلح من حالك، و حالى
 لا يتسع لأكثر من هذا، فاعذر أخاك.
 و كان الذى وهبه يساوى فوق الألف دينار مرابطية، فرحم الله الوزير أبا الحسن؛ فلقد كان نادرة الزمن.
 شعره: من ذلك قوله: [الكامل]

يا ليت شعرى و الأمانى كلها زور يغرك أو سراب يلمع
 فى كل يوم منزل لأحبه كالظلّ يلبس للمقبل و يخلع
 و من ذلك قوله: [الوافر]

تسموا بالمعارف و المعالى فليس المجد بالرحم البوال
 و إن فاتا فبالبيض المواضى و بالسمر المثقفة العوالى
 و إن المرء تنهضه هذه فليس بناهض أخرى الليالى
 و من أسمته أسباب سواها فرفعتها تؤول إلى سفال

و من المحدثين و الفقهاء و الطلبة النجباء

على بن إبراهيم بن على بن إبراهيم الجذامى

القاضى المتفنن الحافظ، من أهل غرناطة، يكنى أبا الحسن.
 حاله: من الصلة: كان عدلا فاضلا جليلا، ضابطا لما رواه، فقيها حافظا، حسن التقييد.
 تواليغه: قال: اختصر كتاب «الاستذكار» لأبى عمر بن عبد البر، و غير ذلك.
 مشيخته: روى عن أبى محمد عبد الحق بن بونه، و القاضى أبى عبد الله بن زرقون، و أبى القاسم بن حبيش، و أبى خالد بن رفاعه، و
 أبى محمد بن عبيد الله، و أبى زيد السهيلي، و أبى عبد الله بن الفخار، و أبى الوليد بن رشد.
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٤٩
 مولده: ضحوة يوم الأضحى من عام خمسة و خمسين و خمسمائة .

وفاته: و توفى قريب الظهر من يوم الأربعاء التاسع عشر لذى حجة من عام اثنين و ثلاثين و ستمائة.
من روى عنه: روى عنه القاضى أبو على بن أبى الأحوص .

على بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن الضحاك النزارى

من أهل غرناطة، يكنى أبا الحسن، و يعرف بابن النّفى.

حاله: قال أبو القاسم الغافقى: فقيه مشاور بغرناطة، محدث متكلم.

مشيخته: أخذ عن أبى الحسن شريح، و عن الإمام أبى الحسن على بن أحمد بن الباذش، و عن أبى القاسم بن ورد، و عن القاضى أبى الفضل عياض بن موسى، و عن الإمام أبى عبد الله المازرى، و عن أبى الطاهر السلفى، و عن أبى مروان بن مسرة، و أبى محمد بن سماك القاضى، و على بن عبد الرحمن بن سمحون القاضى، و القاضى أبى محمد بن عطية، و المشاور أبى القاسم عبد الرحيم بن محمد، و القاضى أبى القاسم بن أبى جمرة، و جماعة يطول ذكرهم.

توالياه: و له توالياه فى أنواع من العلم، منها كتاب «نزهة الأصفياء، و سلوة الأولياء، فى فضل الصلاة على خاتم الرسل و صفوة الأنبياء» اثنا عشر جزءا، و كتاب «زواهر الأنوار، و بواهر ذوى البصائر و الاستبصار، فى شمائل النبى المختار» سفران كبيران، و كتاب «منهج السداد، فى شرح الإرشاد» ثلاثون جزءا، و كتاب «مدارك الحقائق فى أصول الفقه» خمسة عشر جزءا، و كتاب «تحقيق القصد السنّى، فى معرفة الصمد العلى» سفر، و كتاب «نتائج الأفكار، فى إيضاح ما يتعلق بمسألة الأقوال من الغوامض و الأسرار» سفر، و كتاب «تنبية المتعلمين على المقدمات و الفصول، و شرح المهمات منها و الأصول» سفر، و كتاب «السبائيات»، و كتاب «تبيين مسالك العلماء، فى مدارك الأسماء»، و كتاب «رسائل الأبرار، و ذخائر أهل الحظوة و الإيثار، فى انتخاب الأدعية المستخرجة من الأخبار و الآثار» سفران اثنان، و كتاب «الإعلام، فى استيعاب الرواية عن الأئمة الأعلام» سفران.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٥٠

وفاته: توفى فى الكائنة بغرناطة سنة سبع و خمسين و خمسمائة. خرج منها يريد وادى آش، فلم يصل إليها، و فقد فلم يوقع له على خبر.

على بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصارى

يكنى أبا القاسم، و يعرف بابن زكريا.

أوليته: قد مرّ فى ذكر أبيه و عمّه.

حاله: هذا الرجل فاضل، سكون، من أهل السداجة و السلامة و العفاف و الصيانة، معّم مخول فى الخير، طاهر النشأة، جانح للعدالة. قعد للعلاج، و برز فى صناعة الطب على فتا من سنّه، و استيم إليه بمهم من نبيه العمل و خطّه، متصف بالإجادة و البيان. مشيخته: قرأ العريية و الفقه و غيرهما من المبادئ على مشيخته و قته، و الطب على الوزير أبى يزيد خالد بن خالد من أهل غرناطة، و قعد معه.

شعره: ينتحل من الشعر ما عينه فى الشّرد أو غير ذلك فراره، كقوله:

[الرمل]

صعدت نار فؤادى أدمعى فلذا ما جفّ قلبى فانفطر

لو أباح الله لى وصل إلى صدع للقلب منى و انجبر

أصل دائي منك لحظ فاترو أشدّ اللحظ منه ما فتر
 كيف أرجو منه براء و غدت قهوة للحسن تسقيه درر؟
 فانظر قوله الأنبل من شعره: [الطويل]
 ولي همّة من دونها كلّ همّة أموت بها عطشان أو يخلص الشرب
 يعزّ على الكريم ورود ماء يكدره شوب و يطرقه نهب
 و إني و إن أضحي لوذك موضع من القلب أضحي دون موضعه الخلب
 فتمنعني نفسي لأيمان أرواحهم لا على شرب يؤنّقه قشب
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٥١
 غفر الله له على قشب، و تجاوز عنه، فلقد دفع منه فضحها.
 و هو بحاله الموصوفة.

و من الطارئين و الغرباء

علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن أحمد الخشني

من أهل مالقة، من قرية يعيش من عمل ملتماس، من شريقيها، يكنى أبا الحسن. و دخل غرناطة و مدح أمراءها، و تردّد إليها.
 حاله: من «عائد الصلّة»: من صدور أهل الدين و الفضل، و الخير و الصلاح و النزاهة، و الاقتصاد و الانقباض، تحرّف بصناعة التوثيق
 بمالقة، جاريا على شاكله مثله من الاقتصاد، و التبّع باليسير، و مصابرة الحاجة، مكبا على المطالعة و النظر، مجانبا للناس، بعيدا عن
 الزيب، مؤثرا للزهد في الدنيا. ولى الخطابة بالمسجد الأعظم من قصبه مالقة في عام وفاته.
 مشيخته: قرأ على الأستاذ الصالح الخطيب أبي جعفر بن الزيات، و الأستاذ المقرئ رحله الوقت أبي عبد الله بن الكماد.
 شعره: و شعره آخذ بطرف من الإجادة في بعض المقاصد، فمن ذلك قوله:

[الوافر]

أرى لك في الهوى نظرا مريبا كأنّ عليك عدلا أو رقيا
 و لست بخائف في الحب شيئا على نفسي مخافتى المشيبا
 يريني كل ما تهواه نفسي قبيحا مائلا عيني عنيبا
 أنا منه ابن قيس لا يراح فذق مرّ التأسف مستطيبا
 إذا ما كنت تبكي فقد حبّ بما مثل الشباب به حيبا
 و قال في مذهب المدح من المطولات: [الكامل]
 الآن تطلب ودّها و وصالها من بعد ما شغلت بهجرك بالها
 و قد استحالت فيك سيماء الصبا حالاً يروع مثلها أمثالها
 و أتيتها متلبسا بروائع نكر بفودك أصبحت عدّها
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٥٢ بيض تخيل للنفوس نصولها سمرا تخول للنحور نصالها
 مثل الأفاعى الزقظ تنفث في الحشاو أرى بفودك جثما أطالها
 نار تضرّم في الفؤاد حريقها لکن تنير بمفرقيك ذبالها

جزعت لهذا الشيب نفسى و هى مازالت تهون كل صعب نالها
و لكم صدعت بنافذ من عزمتى همّا فلا يهدى العليم ضلالها
صادمت من كرب الدنا أشتاتها ما خفت غربتها و لا إقلالها
و لئن تقلص عسرتى فى الغناعتى فلى نفس تمدّ ظلّالها
ما مرّقت ديباجتى غير امرئ عرضت عليه النفس قط سؤلها
ألقي الليالى غير هبّ صرفها و الأسد غير مجنّب أغيالها
أمشى الهويّنا و العداة تمرّ بى مرّا يطير عن الجياد نسالها
علمت لى الخلق الجميل محققا و تسيء فى على عم أقوالها
تبغى انشاء، هل سمعت بنسمة مرّت على نجد تهزّ جبالها؟
و لربما عرضت لعينى نظرة يرضى الحكيم غرامها و خيالها
من غادة سرق الصباح بهاءها و البدر فى ليل التمام كمالها
تهوى المجرّة أن تكون نجومها من حليها و هلالها خلخالها
عرضت كما مرّت بعينك مطفل ترعى بناظر ك الكحيل غرامها
ما نهنت نفسى و إن ضمننت لها عبراتها يوم الوداع وصالها
من كان يأمل أن يقوم بمجلس حطّت به شهب السما أثقالها
محا أحاديث السرى أولى التهانصا و يضرى فى العلى أمثالها
ألقي هواه جانبا و سرى به و جنا تدوى فى الدجى أعمالها
و منها فى المدح:

ألبيت دين الله حلّه أمن أضفت على إسرائه زلزالها
أنتم بنى نصر نصرتم ملّة الإسلام حين شكت لكم عدّالها
كنتم لها أهلا و رحبتم بهافى الغربتين و منتم إنزالها
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٥٣ نزلت على سعد ليسعد جدّها و أوت إلى نصر لينصر آلهها
أحرزتم يوم السقيفة عودها دون الأنام و قودها و سكالها
لكن حبوتهم من أجرتم منة بخلافه الله التى يعنى لها
إذ تؤثرن سواكم قالت بذآى الكتاب، فمن يردّ مقالها؟
حتى إذا عثرت و لم ينهض بها إلّاكم بادرتم إنشالها
أويتم خير البرية كلّها و مغيثها و نجاتها و ثمالها
من ألبس الشرف الرفيع و ضيعها و كسا معصفرة الحجا جهّالها
من أمّ فى السبع العلى أملا كها جبريلها فى الغرب أو ميكالها
من أنقذ العرقى و قد شمل الردى هذا الأنام خيارها و حثالها
من فاضت الخيرات من تلقائه كالصبح فاض على الدجى فأزالها
من فجر العين الفرات بكفّه يرو الورى و رد القطا سلسالها
من لا يقاسى بالرياح إذا سرت نشرا تقلّ من السحاب ثقالها

معنى وجود الكون علّة كونه نفس الحياة منفساً أهوالها
دامت صلاة الله ديمة عارض يهمل عليه ندى الدنا هطّالها
لما تحققت النبوة أنها قد زلزلت منها الورى زلزالها
و تقاعست عن منعها أعمامها أمت أئمة نصرها أحوالها
فوثبت مثل الليوث لنصرها والحرب تجنب خلفها أشبالها
و أدّرت منها زبونا أصبحت ترمى رؤوس الملحدين ثقّالها
بدر و ما بدر و ردّم قلبها بجنادل الطاغوت تملأ جالها
و لكم بأوطاس و قد حمى الوطيس على العدا يوم أطاح بحالها
فنزعتهم أزواجها و سيّتم أولادها و سلبتم أموالها
و ذهبتم بالمصطفى لدياركم و حيا سواكم ساقها و جمالها
فزتم به فوز المعلى منحة أحرزتم دون الأنام منالها
يا أيها الملك الذى من ملكه جنت الملوك جمالها و جلالها
ما زال حزبك منهم يعلو على مرّ الدهور و يعتلى أجالها
حتى حللت من المجادة ذروة ما حلّ غيرك فى المجادة حالها
تحمى الهدى تهملى الندى تولى الجداو تقى الردى و ترى العدا أوجالها
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٥٤ قعدت شريعته بيمينك ليس من كدر يشين على العباد زلالها
يا سيّد السادات، يا ملك الملوك و شمسها و صباحها و هلالها
يا بدرها، يا بحرها، أو غيثها أو ليثها أو حسنها و جمالها
خذها كما دارت بكأس سلافها حوراء تمزج باللّمي جريالها
تثنى على السّحر المبين و شاحها و تدير من خمر الفتور جلالها
لمياء تبرز للعيون كشاطرو العقل يوجب حكمه إجلالها
وقفت و ذو إحسانها من هاشم من سبط خير العالمين حيالها
يرجو رضاك و طالما أرضيتهم آل النبى و كنتم أرسالها
كم من يد بيضا لدينا منكم شكرا له و أولياه فعالها
أوتيم، و اسيتم، و اليتم، أحللتهمونا داركم و جلالها
و هجرتم لوصالنا أعداءنا و صلتم لصلاتنا أوصالها
فصلوا حياءنا ما استطعتم وصله تعطوا من اجزاء الجزاء جزالها
و له تأليف غريب عكف عليه عمره فى فضل مكّة، و كأنه يروم برهاننا على وجوب كونها بالموضع الذى هى به، و فضله على سواه، و
تكلم على حروف اسمها، من جهة تناسب أعداد الحروف، مما الناظر فيه مخير فى نسبه إلى العرفان أو الهديان.
وفاته: توفى بمالقة فى أخريات صفر من عام خمسين و سبعمائة.

على بن أحمد بن محمد بن يوسف بن مروان بن عمر الغساني

من أهل وادى آش، و روى و تردّد إلى غرناطة، يكنى أبا الحسن.

حاله: كان فقيها حافظا، يقظا، حسن النظر، أديبا، شاعرا مجيدا، كاتباً بليغا، فاضلا.

مشيخته: روى عن أبي إسحاق بن عبد الرحيم القيسي، و أبي الحسن طاهر بن يوسف، و أبي العباس الخزوي، و أبي القاسم بن حبيش، و أبي محمد عبد المنعم بن الفرس الغرناطي، و محمد بن علي بن مسرة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٥٥

و روى عنه أبو بكر بن عبد النور، و أبو جعفر بن الدلال، و أبو عبد الله بن أحمد المذحجي، و أبو سعيد الطراز، و ابن يوسف، و ابن طارق، و أبو علي الحسن بن سمعان، و أبو القاسم بن الطليسان.

توآلفه: صنّف في شرح «الموطأ» مصنفا سَمَاه «نهج المسالك، للتفقه في مذهب مالك» في عشرة مجلدات. و شرح صحيح مسلم و سَمَاه «اقتباس السراج، في شرح مسلم بن الحجاج». و شرح تفريع ابن الجلاب و سَمَاه «الترصيع، في شرح مسائل التفرّيع». و صنّف في الآداب منظوماته و رسائله، و هي شهيرة، شاهدة بتبريزه و تقدّمه. و له نظم شمائل رسول الله صلى الله عليه و سلم، رسالة بديعة تشمل على نظم و نثر، بعث بها إلى القبر الشريف. و له كتاب «الوسيلة إلى إصاأة المعنى، في أسماء الله الحسنى».

شعره: من شعره في «الوسيلة»، و قد ضمّن كل قطعة أو قصيدة اسما من أسماء الله تعالى، فمنها قوله في اسم الله سبحانه: [الطويل]

قل الله نستفتح من اسمائه الحسنى بأعظمها لفظا و أعظمها معنى

هو الله فادع الله بالله تقترب لأقرب قربي من وريدك أو أدنى

و آمله مضطرا وقف عند بابه ووقف عزيز لا يصدّ و لا يثنى

بباب إله أوسع الخلق رحمة لله ما أولى أبرّ و ما أحنى

و قدّم من الإخلاص ثم وسيلة تنل رتبة العلياء و المقصد الأسنى

أمولاي، هل للخلق غيرك مفضل يصرّح عن ذكره في اللفظ أو يكنى؟

ببابك مضطر شكّا منك فقره لأكرم من أغنى فقيرا و من أقتنى

و للفضل و المعروف منك عوائلها الحمد ما أدنى قطوفا و ما أهنى

فمنها لك الإنعام دأبا خوالداتفانى بها الأيام طرا و لا يفنى

وفاته: توفى شهيدا في ربيع الآخر سنة تسع و ستمائة.

علي بن صالح بن أبي الليث الأسعد بن الفرج بن يوسف

طرطوشي، سكن دانية، يكنى أبا الحسن، و يعرف بابن عزّ الناس .

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٥٦

حاله: كان عالما بالفقه، حافظا لمسائله، متقدّما في علم الأصول، ثاقب الذهن، ذكي الفؤاد، بارع الاستنباط، مسدّد النظر، متوقّد الخاطر، فصيح العبارة، ذا حظّ من قرص الشعر .

من روى عنه: روى عنه أبو بكر أسامة بن سليمان، و سليمان بن محمد بن خلف، و يحيى بن عمر بن الفصيح.

دخوله غرناطة: قالوا: و استخلصه الأمير أبو زكريا يحيى بن غانية أيام إمارته ببلنسية لمشهور معرفته و نباهته، ثم سار معه إلى قرطبة، و لازمه إلى أن توفى أبو زكريا بن غانية بغرناطة سنة ثلاث و أربعين، فانتقل إلى شرق الأندلس، و استقرّ بدانية.

توآلفه: و له مصنّفات منها «كتاب العزلة»، و منها «شرح معاني التحيّة».

ولد بطرطوشه سنة ثمان و خمسمائة، و توفى بدانية؛ قتل مظلوما بإذن ابن سعد الأمير في رمضان سنة ست و ستين و خمسمائة.

علي بن أبي جلا الكناسي

يكنى أبا الحسن.

حاله: كان شيخا ذكيا، طيب النفس، مليح الحديث، حافظا للمسائل الفقهية، عارفا لها، قائما على كتاب المدونة، تفقه بالشيخ أبي يوسف الجزولي،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٥٧

و عليه اجتهد في مسائل الكتاب. و كان مضطلعا بمشكلاته، حسن المذاكرة، مليح المجلس أنيسه، كثير الحكايات، إلا أنه كان يحكى غرائب شاهدها تملحا و أنسا، فيتمقها عليه الطلبة، و ربما تعدوا ذلك إلى الافتعال على وجه المزاح و المداعبة، حتى لجمعوا من ذلك كثيرا في جزء سموه ب «السلك المحلى»، في أخبار ابن أبي جلا. فمن ذلك ما زعموا أنه حدث بأنه كانت له هرة، فدخل البيت يوما، فوجدها قد بلت أحد كفيها، وجعلته في الدقيق حتى علق به، و نصبته بإزاء كوة فأر في الجدار، و رفعت اليد الأخرى لصيده، فنادها باسمها، فردت رأسها، و جعلت إصبعها في فمها على هيئة المشير بالصمت. و أشباه ذلك كثير. و فاته: في حدود ستة و أربعين و سبعمائة.

علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن علي ابن سمحون الهلالي

يكنى أبا الحسن.

حاله: كان شيخا جليلا، فقيها، عارفا، نبیلا، نبیها، ذا مروءة كاملة، و خلق حسن، من بيت حسب و علم و دين. قال أبو القاسم الملاحى: حدثني صاحبنا الفقيه الخطيب أبو جعفر بن حسان، قال: كنت أجاوره في بعض أملاكي، و كان له ملك يلاصقني، أتمنى أن أكتسبه، فينتظم لي به ما هو مفترق، فوافقت ذات يوم في القرية، فسألته المعاوضة به، و خيرته في مواضع في أرضي، فضحك مني، و قال لي: انظر في ذلك إن شاء الله. ثم إنه وجه لي بعد ذلك بأيام يسيرة، بعقد يتضمن البيع و قبض الثمن مني، فخرجت منه، و راودته في أخذ الثمن، فأبى و قال لي: هذا قليل في حقك، و كان قد لقي شيوفا أخذ عنهم، و كانت له كتب كثيرة.

وفاته: توفي بالمنكب صباح اليوم السادس من رمضان عام ستة و تسعين و خمسمائة. و لست أحقق أهو القريب أو سلفه، و على كلا التقديرين، فالفضل حاصل.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٥٨

علي بن محمد بن عبد الحق الزرولي

يكنى أبا الحسن، و يعرف بالصغير، بضم الصاد و فتح الغين و الباء المشددة.

حاله: من «المؤتمن»: كان هذا الرجل قيما على التهذيب للبرادعي، حفظا و تفقها، يشارك في شيء من أصول الفقه، يطرز بذلك مجالسه، مغربا به بين أقرانه من المدرسين في ذلك الوقت، لخلوهم من تلك الطريقة بالجملة.

حضرت مجلس إقرائه، و كان ربعة، آدم اللون، خفيف العارضين، يلبس أحسن زي صنعة، و أحسن ما فيه ليس بحسن. و كان يدرس بجامع الأصدع من داخل مدينة فاس، و يحضر عليه نحو مائة نفس، و يقعد على كرسي عال ليسمع البعيد و القريب، على انخفاض كان في صوته، حسن الإقراء، و قورا فيه، سكونا، مثبتا، صابرا على هجوم طلبة البربر، و سوء طريقتهم في المناظرة و البحث، و كان أحد الأقطاب الذين تدور عليهم الفتوى أيام حياته، ترد عليه السؤالات من جميع بلاد المغرب، فيحسن التوقيع على ذلك، على طريقة من الاختصار و ترك فضول القول. ولى القضاء بفاس؛ قدمه أبو الربيع سلطان المغرب و أقام أوده، و عضده، فانطلقت يده على أهل

الجاه، و أقام الحق على الكبير و الصغير، و جرى من العدل على صراط مستقيم. و نقم عليه اتخاذ شمام يستنشق على الناس الخمر، و يحق أن ينتقد ذلك.

مشيخته: أخذ عن الفقيه راشد بن أبي راشد الوليدى، و انتفع به، و عليه كان اعتماده. و أخذ عن صهره أبي الحسن بن سليم، و أبي عمران الجورمانى، و عن غيرهما . و قيدت عنه بفاس على التهذيب و على رسالة أبي زيد، قيدها عنه تلاميذه، و أبرزوها تأليفا كأبى سالم بن أبي يحيى.

وفاته: وفاته يوم الثلاثاء السادس لرمضان عام تسعة عشر و سبعمائة، و دخل غرناطة لما وصل رسولا على عهد مستقضيه، رحمهما الله. الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٥٩

على بن محمد بن على بن محمد بن يحيى بن عبد الله ابن يحيى بن عبد الله بن يحيى الغافقى

إشارة

سبى، سارى الأصل، انتقل منها أبوه سنة اثنتين و ستين و خمسمائة، يكنى أبا الحسن، و يشهر أهل بيته فى سارة بنى يحيى. حاله: من «التكلمة»: كان محدثا راوية كثيرا، عدلا ثقة، ناقدا، ذاكرا للتواريخ و أيام الناس و أحوالهم و طبقاتهم، قديما و حديثا، شديد العناية بالعلم، و الرغبة فيه، جاعلا الخوض فيه، مفيدا و مستفيدا، وظيفه عمره، جماعة للكتب، منافسا فيها، مغاليا فى أثمانها، و ربما أعمل الرحلة فى التماسها حتى اقتنى منها بالاتباع و الانتساح كل علق نفيس. ثم انتقى منها جملة و افرة فحبسها فى مدرسته التى أحدثها بقرب باب القصير، أحد أبواب بحر سبته، و عين لها من خيار أملاكه و جيد رباعه وقفا صالحا، سالكا فى ذلك طريقة أهل المشرق، و قعد بها بعد إكمالها لتروية الحديث و إسماعه، فى رجب خمس و ثلاثين و ستمائة، و كثر الأخذ بها عنه، و استمر على ذلك مدة. و كان سرى الهمة، نزيه النفس، كريم الطبع، سمحا، مؤثرا، معانا على ما يصدر عنه من المآثر الجليلة و نبل الأغراض السنية، بالجدة المتمكنة، و اليسار الواسع. و كان سنيا، منافرا لأهل البدع، محبا فى العلم و طلابه، سمحا لهم بأعلاق كتبه، قوى الرجاء فى ذلك. و مما يؤثر عنه من النزاهة، أنه لم يباشر قط دينارا و لا درهما، إنما كان يباشر ذلك و كلاؤه اللائدون به.

مشيخته: روى عن أبوى الحسن أبيه و التجيبى، و أبى الحسن بن عطية بن غازى، و أبى عبد الله محمد بن عيسى، و ابن عبد الكريم، و ابن على الكتانى، و أبى إسحاق الشقوقرى، و أبوى بكر بن الفصيح، و يحيى بن محمد بن خلف البورينى، و أبى الحسن بن خروف النحوى، و ابن عبيدس، و ابن جابر، و ابن جبير، و ابن زرقون، و ابن الصانع، و أبى بكر بن أبى ركب، و أبى سليمان بن حوط الله، و أبى العباس القورانى، و أبى القاسم عبد الرحيم بن الملجوم، و أبى محمد الحجرى و أكثر عنه، و ابن حوط الله، و ابن محمد بن عيسى التادلى، و عبد العزيز بن زيدان، و يشكر بن موسى بن الغزلقى، هؤلاء أخذ عنهم بين سماع و قراءة، و أكثرهم أجازة الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٦٠

أو كتب إليه مجيزا. و لم يلقه أبو جعفر بن مضاء، و أبو الحسن بن القطان و نجبه، و أبو عبد الله بن حماد، و ابن عبد الحق التلمسانى، و ابن الفخار، و أبو القاسم السهيلي، و ابن حبيش، و أبو محمد عبد المنعم بن الفرس. و استجاز بأخرة، مكثرا من الاستفادة، أبا العباس بن الرومية، فأجاز له من إشبيلية.

من روى عنه: روى أبو بكر أحمد بن حميد القرطبى، و أبو عبد الله الطنجالى، و ابن عياش، و أبو العباس بن على الماردى، و أبو القاسم عبد الكريم بن عمران، و أبو محمد عبد الحق بن حكيم. و حدث بالإجازة عنه أبو عبد الله بن إبراهيم البكرى العباسى.

محنته و دخوله غرناطة:

غزبه أمير سبته اليانشتي الملقب بالواثق بالله، غاصاً به لجلالته و أهليته، و كونه قد عرضت عليه فأبأها، فدخل الأندلس في شعبان عام أحد و أربعين و ستمائة، فنزل ألمرية و أقام بها إلى المحرم من سنة ثمان و أربعين، و أخذ عنه بها عالم كثير. ثم انتقل إلى مالقة في صفر من هذه السنة و دخل غرناطة، فأخذ عنه جميع طلبتها إلّا النادر.

قال الأستاذ أبو جعفر الزبير: و قرأت إذ ذاك عليه، و كان يروم من مالقة الرجوع إلى بلده، و يحوم عليه، فلم يقض له ذلك، و أقام بها يؤخذ عنه العلم، إلى أن أته متيته.

مولده: بسبته يوم الخميس لخمس خلون من رمضان إحدى و سبعين و خمسمائة.
وفاته: توفي بمالقة ضحوه يوم الخميس ليليلة بقيت من رمضان تسع و أربعين و ستمائة، نفعه الله، بشهادة الموت غريقاً.

على بن عبد الله بن محمد ابن يوسف بن أحمد الأنصاري**إشارة**

فاسي المولد، أصله منها قديماً، و من مراكش حديثاً، يكنى أبا الحسن، و يعرف بابن قطرال.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٦١

حاله: كان ريان من الأدب، كاتباً بليغاً، دمث الأخلاق، لين الجانب، فقيها حافظاً، عاقداً للشروط، مقدماً في النظر فيها، كتب طويلاً عن قاضي الجماعة بمراكش، أبي جعفر بن مضاء، ثم عن أبي القاسم بن بقي، و أسنّ ممتعا بحواسه. الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ٤؛ ص ١٦١

مشيخته: روى عن أبوي بكر بن الجدد، و ابن أبي زمنين، و أبي جعفر بن يحيى و لازمه كثيراً، و أبي الحجاج بن الشيخ، و أبوي الحسن بن كوثر و نجبه، و أبي الحسن يحيى بن الصائغ، و أبي خالد بن رفاعه، و أبي عبد الله بن حفص، و ابن حميد، و ابن زرقون، و ابن سعادة الشاطبي، و ابن عروس، و ابن الفخار، و أبي العباس، و ابن مضاء، و يحيى المجريطي، و أبي القاسم بن بقي، و ابن رشد الوراق، و ابن سمحون، و ابن غالب، و ابن جمهور، و ابن حوط الله، و عبد الحق بن بونه، و عبد الصمد. و روى عنه ابنه أبو عبد الله و أبو محمد، و أبو عبد الله بن الأبار، و أبو محمد بن برطلة، و أبو محمد بن هارون الطائي، و أبو يعقوب بن عقاب. قال ابن عبد الملك: و حدثنا عنه من شيوخنا أبو الحجاج بن حكيم، و أبو الحسن الرعيني، و أبو الطيب صالح بن شريف، و أبو القاسم العزفي.

محنته: و امتحن بالأسر، و هو قاض بأيد، حين تغلب العدو الرومي عليها إثر وقعة «العقاب»، و ذهب لأجل ذلك أصول سماعه، و افتك بمشاركة الوزير أبي سعيد بن جامع، و يسر الله عليه، فتاب جاهه، و استقام أمره، و قدّم للقضاء بمواضع نبيهة.

دخوله غرناطة: قال: دخل غرناطة و أقام بها، و قرأ على أبي محمد عبد المنعم بن الفرس، و أبي بكر بن أبي زمنين، و أبي عبد الله بن عروس.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٦٢

ولد بفاس سنة ثنتين و ستين و خمسمائة. و توفي، عفا الله عنه، يوم الاثنين لإحدى عشرة خلت من جمادى الأولى عام أحد و خمسين و ستمائة بمراكش.

«انتهى اختصار السفر العاشر بحمد الله تعالى، يتلوه، و من السفر الحادي عشر ترجمة الطارئين في ترجمة العمال و الأثرا.

والحمد لله رب العالمين*** و من السفر الحادى عشر من ترجمة الطارئى فى ترجمة العمال والأثرا

عمر بن على بن عفرون الكلبى

من أهل منتفريد .

حاله: كان شيخا مخشوشن الظاهر بدويّه، سريع الجواب، جلدًا على العمل، صليبا وقاحا. له ببلده نباهة و خصل من طلب و خطّ و حساب. أمّ ببلده، و انتقل إلى الحضرة عند انتزاع ثغره، و داخل السلطان فى سبيل استرجاعه، فنشأت له غمامة رزق ببابه، و أقلّته هضبة حظوة ناطت به ديوان الجيش مدة أيام السلطان، و ولى بعده خططا نبيهة، ثم التأت حاله و أسنّ، و مات تحت خموم.

و جرى ذكره فى «الإكليل» بما نصّه: شيخ خدم، قام له الدهر فيها على قدم، و صاحب تعريض، و دهاء عريض، و فائز من الدولة بأيد بيض، خدم الدولة النصرىة ببلده عند انتزاع أهله، و كان ممن استزلهم من حزنه إلى سهله، و حكّم الأمر الغالبى فى يافعه و كهله، فاكتسب حظوة أرضته، و وسيلة أرهفته و أمضته، حتى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٦٣

عظم ماله، و اتسقت آماله. ثم دالت الدول، و نكرت أيامه الأول، و تقلب من يجانسه، و شقى بكل من كان ينافسه، فجفّ عوده، و التأت سعوده، و هلك و الخمول يطلبه، و الدهر يقوته من صباهة حرث كان يستغله.

شعره: و له شعر لم يتفقّه النظر، و لا وضحت منه الغرر. كتب للسلطان أمير المسلمين منفق سوق خدمته، و متغمده بنعمته، يطلب منه تجديد بعض عنايته:

[السريع]

يا ملكا، ساد ملوك الورى فى الحال أو فى الأعصر الخاليه
العبد لا يطلب شيئا سوى تجديد خطّ يدك العالیه

و من شعره يخبر عن وداده، و يعلن فى جناب الملوك الغالبين بحسن اعتقاده:

[الكامل]

حبّ الملوك من آل نصر دينى ألقى به ربّى بحسن يقينى
هو عدّتى فى شدّتى و ذخيرتى و به يتحسّبنى غدا و يقينى
حتى أوان الحشر لم أخدم سوى أبوابهم بوسيلة تكفينى
أرجو نفاذ العمر فى أيامهم من تحت ستر رعاية ترضينى
إن كان دهرى فى نفاذى بعدهم فالله، عزّ و جلّ، لا يبقينى

و سلم فى أيام خموله، و انغلق على المتغلب على الدولة أبى عبد الله بن المحروق، و قد احتقره ببابه، و أعرض عن جوابه، فكتب إليه، و لم يرهب ما لديه:

[المجتث]

يا من سألتك وعدا فى كل يوم مرارا

اردد علىّ سلامى و لا تدعه احتقارا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٦٤

وفاته: قال شيخنا الكاتب أبو بكر بن شبرين، رحمه الله: و فى ذى حجة من عام أربعة و أربعين و سبعمائة توفى الفقيه أبو على بن

غفرون من أهل منتفريد من حصون براجلة غرناطة. قدم قديما بالباب السلطانية فى تنفيذ واجب العسكر الأندلسى و إشراف الحضرة و حفازتها. و كان ميمون النقيبة، وجها فى الناس فاضلا، رحمه الله.

على بن يحيى الفزارى

من أهل مالقة، بربرى النسب فزاريه. يكنى أبا الحسن، و يعرف بابن البربرى.

حاله: كان من أمائل طريقته عدلا، و عفا، و فضلا، لئن العريكة، دمت الأخلاق، حسن الخط، جيد الشعر، تغلب عليه السلامة و الغفلة، تصرف فى إشراف مالقة و سواها عمره، محمود الطريقة، حسن السيرة. و مدح الملوك و الكبراء.

شعره: ممّا خاطبني به قوله: [الطويل]

لبابك أمّ الآملون و يّمواو فى ساحتى رحماك حطّوا و خيموا
 و من راحتى كفيك جدواك تنهمى فتروى عطاش من نداك و تنعم
 و أنت لما راموه كعبه حجّهم إذا شاهدوا مرآك لبوا و أحرّمو
 يطوفون سبعا حول بابك عندما يلوح لهم ذاك المقام المعظّم
 فيمناك يمن للرعايا و منة و يسراك يسر للعفاة و مغنم
 و لقياك بشر للنفوس و جنة ترقّ بها ورق المنا و ترنّم
 فيا واحد الأزمان علما و منصباو يا من به الدنيا تروق و تبسم
 و من وجهه كالبدر يشرق نوره و من جوده كالغيث بل هو أكرم
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٦٥ و من ذكره كالمسك فضّ ختامه و كالشمس نورا بشره المتوسّم
 لقد حزت خصل السبق غير معاند فأنت على أهل السباق مقدّم
 حويت من العلياء كلّ كريمة بها الروض يندى و الرّبى تتبسّم
 و باهيت أقلام المقام براعة فلا قلم إلّا يراعىك يخدم
 إذا فاخر الأمجاد يوما فإنما المجدك فى حال الفخار يسلم
 و إن سكتوا كنت البليغ لديهم يعبر عن سرّ العلى و يترجم
 و منها:

فيا صاحبي نجواى عوجا برامة على ربه حيث الندى و التّكرم
 و قولاه: عبد ببابك يرتجى قضاء لبانات لديك تتمم
 و ليس له إلّا علاك وسيلة و لا شىء أسمى من علاك و أعظم
 فجد بالذى يرجوه منك فما له كعقد ثمين من ثنائك ينظم
 بقيت و نجم السعد عندك طالع يضىء له بدر و تشرق أنجم
 و قال مراجعا القاضى أبا عبد الله بن غالب، رحمه الله: [الطويل]
 و ما كنت عن ذكر الأحبة سالياو لا عن هوى بيض الدّما برغيب
 فلما أتنتى رقعة بلبنة شغلت بها عن منزل و حبيب
 و قبلتها ألفا و قلت لها انعمى صباحا و ممسى بالقبول و طيب

فيا حسن خطّ جاء من عند بارع و يا سحر لفظ من كلام أديب
و إن قريضا لم يحكه ابن غالب لخلو من الآداب غير عجيب
وفاته: بمالقة في الطاعون عام خمسين و سبعمائة.
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٦٦

الزهاد و الصلحاء و الصوفية و الفقراء

عتيق بن معاذ بن عتيق بن معاذ بن سعيد بن مقدم بن سعيد بن يوسف بن مقدم اللخمي

من أهل غرناطة، يكنى أبا بكر، الشيخ الصوفى.
حاله: هذا الرجل فدّ الطريقة في الخصوصية و التخلّى، و إيثار الانقطاع و العزلة، طرفه في الوقار و الحشمة. نشأ بغرناطة و طلب بها، و كتب بالمريّة عن بعض ولاة قصبته، و عنى بمطالعة أقوال الصوفية، فأثر طريقهم، و عوّل عليه، و تجرّد و ترك التسبّب، و التزم منزله، بحيث لا يريمه إلّا لصلاة الجمعة في أقرب محالّها و إليه، نظيف البرّة، حسن السّمت، مليح الترتيب و الطّرف، طيب المجالسة، طلعه متعة، إخبارى، يصل ماضى الزمان بمستقبله، جليس مصلى، و مجيل سبحة، كثير الزوار، ممن يلتمس الخير و ينقر عن أهله، محظوظ المجلس، حفيّ بالوارد، ذاكر، مآثرة من مآثر بلده.

مشيخته: أخذ عن الخطيب الصالح ولى الله أبى عبد الله الطنجالى، و الخطيب المحدث أبى عبد الله بن رشيد، و الأستاذ النظار أبى القاسم بن الشّاط، و الخطيب الصالح أبى جعفر بن الزيات، و الشيخ الأستاذ أبى عبد الله بن الفخار الأركشى، نزيل مالقة، و الوزير الراوية أبى عبد الله بن ربيع الأشعري، و العدل الراوية أبى الحسن بن مستقور، و الأستاذ المقرئ أبى جعفر الجزيرى الضرير، و الخطيب أبى عبد الله بن الخشاب، و الخطيب المقرئ أبى إسحاق بن أبى العاصى، و الشيخ و المحدث أبى تمام غالب بن حسن بن غالب الجهارى، و القاضى المسنّ أبى جعفر الشاطبى، و القاضى المحدث أبى المجد يوسف بن الحسن بن أبى الأحوص، و الأستاذ المحدث أبى القاسم بن جابر، و أخيه المحدث أبى جعفر، و القاضى أبى جعفر بن أبى جبل، و الأستاذ الصوفى أبى محمد بن سلمون، و الشيخ الشريف أبى الحسن على بن جمرة بن القاسم الجهنى، و الأستاذ المقرئ أبى عبد الله بن بيش العبدري، و الشيخ المكتّب أبى عمرو عبد الرحمن بن يشت، و الشيخ الراوية المحدث الرحال أبى عبد الله بن جابر الواد آشى، الملقب من الألقاب المشرقية بشمس الدين، و الخطيبين أبوى الحسن بن فرحون، و ابن شعيب، و القاضى أبى الحسن البلوى، و الأستاذ المقرئ.
محنته: ناله امتحان من بعض القضاة ببلده، حملا عليه و إنكارا لما امتاز به من مثلى الطريقة، أدّاه إلى سجنه و منع الناس عن لقائه. و هو الآن بحاله الموصوفه، قد ناهز السبعين، تمرّ الناس تلتمس بركته و تغشى لطلب الدعاء خلوته.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٦٧

على بن على بن عتيق بن أحمد بن محمد ابن عبد العزيز الهاشمى

من أهل غرناطة، و يعرف بالقرشى.
حاله: كان، رحمه الله، على طريقة مثلى، حياء و وقارا و صمتا، و انقباضا و تخلّقا و فضلا، عاكفا على الخير، كثير الملازمة لكسر البيت، مكبا على المطالعة، مؤثرا للخلوة، كلفا بطريق الصوفية. كتب الشروط لأول أمره، فكان صدرا في الإثبات، و علما في العدول، إلى لين الجانب، و دماثة الخلق، و طهارة الثوب، و حسن اللقاء، و رجوح المذهب، و سلامة الصدر. قيّد الكثير، و لقي في تشريقه أعلما أخذ عنهم. و تقدّم خطيبا و إماما بالمسجد الأعظم في غرناطة، عام أحد عشر و سبعمائة، و استمرت حاله، إلى حين وفاته، على

سنن أولياء الله الصالحين.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، ولازمه وتأدب به، وتلا عليه بالقراءات السبع، وسمع كثيرا من الحديث، وعلی الخطيب الولی أبي الحسن بن فضيلة، و الشيخ الخطيب أبي عبد الله بن صالح الكنانی، سمع عليه الكثير، قال:

أنشدني الخطيب أبو محمد بن برطلة: [مخلع البسيط]

أسلمني للبلا وحيدامن هو في ملكه وحيد

قضى عليّ الفناء حتما فلم يكن عنه لى محيد

و كيف يبقى غريق نزي فذاته أولا صعيد

يعيد أحواله إليه من نعته المبدىء المعيد

و أخذ عن الشيخ الراوية المحدث أبي محمد بن هارون الطائي، و الشيخ الراوية المعمر أبي محمد الخلاسى، و الشيخ الشريف تاج الدين أبي الحسن العرامى، و الشيخ المحدث الإمام شرف الدين أبي محمد عبد المؤمن الدمياطى، و الشيخ رضى الدين الطبرى، و المحدث الحافظ فخر الدين التودرى الميكالى؛ قال: و أنشدني من لفظه بالحرم الشريف لشيخه الإمام أبي الحسن الخزرجى: [الرملى]

عن أهيل المنحني لا أصبرفاعذلوني فيهم أو فاعذروا

فيه أحبابى و إن هم عذبواو منائى و صلوا أم هجروا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٦٨

و الشيخ المحدث المفتى بالحرم الشريف، رضى الدين محمد بن أبى بكر بن خليل؛ قال: و أنشدني لبعض شيوخه: [الطويل]

أفى كل واد شاعر و مطيب و فى كل ناد منبر و خطيب؟

نعم كثر الأقوام قلّة ناقدلهم فتساوى مخطئى و مصيب

و الشيخ المحدث الإمام أنس الدين ابن الإمام قطب الدين القسطلانى، و الأديب الواعظ نفيس الدين بن إبراهيم اللمطى؛ قال: و أنشدني إجازة عن الشيخ الإمام شرف الدين أبى الفضل السلمى المرسى من قصيدة: [الطويل]

إذا جئت ألقى عند بابك حاجبامحيّاه من فرط الجهامة حالك

و من عجب مغناك جنّه قاصدو حاجبها من دون رضوان مالك

و الشيخ الإمام تقى الدين بن دقيق العيد، و أبى العباس بن الظاهرى، و محيى الدين بن عبد المنعم، و محمد بن غالب بن سعيد الجياني، و الخطيب الجليل أبى عبد الله بن رشيد من أهل المغرب. و كتب له الشريف أبو على الحسن بن أبى الشرف، و العدل أبو فارس الهوارى، و أبو القاسم بن الطيب، و أبو بكر بن عبيدة، و أبو إسحاق الغافقى، و أبو عبد الله الدرّاج، و أبو الحكم مالك بن المرّحل، و أبو إسحاق التلمسانى، و غيرهم.

تواليفه: صوّف فى تصوّف كتابا سماه «مطالع أنوار التحقيق و الهداية» و كتابا فى غرض «الشفاء العياضى». و من شعره، ثبتّ بظهور الكتاب المسمّى ب «الموارد المستعذبة» من تأليف شيخنا أبى بكر بن الحكيم ما نصّه: [الطويل]

كتابك ذا من هوته المفاخرسنا و سنا راق منه زواهر

لقد جاء كالعقد المنظّم ناثرافرائد قسّ عنك فى ذاك قاصر

بلاغته فى القوم تشهد عندماتشكك فيه أنه عنك صادر

فلله من روض أنيق غصونه بما تتمناه فزاه و زاهر

فما شئتة تجده فيه فإنه لناظره بحر بها هو زاخر

فنهنيكم بابن الألى شاع مجدهم قيادكم مجد بذاتك آخر

أتيت بما فيه تبث حياة من حوته على مَرّ الدهور المقابر

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٦٩ و أهديت فيه سحر لفظك رائقاً تلذ به الأجفان و هي سواهر

و متعت طرفي فيه لا زلت باقيانها بك ربّي يوم تبلى السرائر

و خصّك منّي بالسلام مردّدا عليك مدى الدنيا و ما طار طائر

مولده: في حدود سنة سبع و ستين و ستمائة.

وفاته: في صفر من عام أربعة و أربعين و سبعمائة. و كانت جنازته بالغه أقصى مبالغ الاحتفال، و تراحم الناس على قبره بما بعد العهد به.

و ممن رثاه شيخنا أبو الحسن بن الجياب فقال: [الرمل]

قضى الأمر، فيا نفس اصبري صبر تسليم لحكم القدر

و عزاء يا فؤادي إنّه حكم ملكك قاهر مقتدر

حكمت قد أحكمت تدبيرها نحن منها في سبيل السفر

أجل مقتدر ليس بمستقدم منه و لا متأخر

أحسن الله عزاء كلّ ذي خشية من ربّه في عمر

في أمانتي التقى الخاشع الطاهر الذات الزكي السبر

قرشي من سليم مستقى من صميم الشرف المطهر

يشهد الليل دليلاً أنه دائم الذكر طويل الشهر

في صلاة بعثت وفدا لها زمر للمصطفى من مضر

نائماً أو راکعاً أو ساجداً الطلوع فجره المنفجر

جمع الرحمن شملينا غداً بحبيب الله خير البشر

و تلقته وفود، رحمة الله تأتي بالرضى و البشر

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٧٠

علي بن أحمد بن محمد بن عثمان الأشعري

من أهل غرناطة، يكنى أبا الحسن، و يعرف بابن المحروق.

أوليته: قد مرّ ذلك عند ذكر عمّه و جدّه.

حاله: هذا الرجل شيخ الفقهاء السّفارة و المتسبب بالزّباط المنسوب إلى جدّه، و هو مقيم الرسم، حاج رحال، عارف بالبلاد، طواف

على كثير من مشاهير ما عرف الاصطلاح. و زار ترب الصالحين، و صحب السّفارة، حسن الشكل، أصيل البيت، حافظ للترتيب، غيور

على الطريقة، محظوظ العقد، بجانب للأعمار، منافر لأهل البدع، مكبوح عن غلو الصافنة، أنوف، مترفع، كلف بالتجانبه، يرى لنفسه

الحق و لا- يفارق الحظّ، خطيب متعاط لمواقف الإطالة و سرد الكثير من كلام الخطباء عن غير اختيار، يطبق المفصل، و يكافىء

الغرض المقصود، على شرود عن قانون الإعراب، حسن الحديث، طبقة للرّسم الدّنيوى من هذا الفن كثيرة، و حسن بزّه، و نفاذ أمره، و

نباهة بيته، و تعاطيا لنتائج الحلوة.

محتته: قبض عليه المتغلب على الدولة و أزعه بعد الثّفاف في المطبق، إلى مرسى المرية، اتهاما بممالة السلطان، فامتعض له من أهل

مدينة وادي آس، و تبعهم المشيخة على المجاهرة، فاستنقذوه، و كاشفوا المتغلب، إذ كانوا على أرقاع الخلاف عليه، و عاجل الأمر

تصير الملك لصاحبه، فعاد الشيخ إلى حاله، فهي معدودة عنه من أثر التصريف.

مشيخته: و من خطه نقلت. قال: ولدت في اليوم الحادى والعشرين لرجب عام تسعة و سبعمائة، و لبست الخرقه من يد الشيخ الفقيه الخطيب البليغ الولى الشهير أبى على عمر بن محمد بن على الهاشمى القرشى فى أوائل ذى قعدة من عام خمسة و ثلاثين و سبعمائة. و حدثنى بها، رحمه الله، عن الشيخ الزاهد أبى محمد الخلاسى، عن شرف الأئمة أبى عبد الله بن مسدى، عن الشيخ الكبير أبى العباس بن العريف، عن أبى بكر عبد الباقي بن برال، عن أبى عمرو الطلمنكى، عن أبى عمرو بن عون الله و أبى على الحسن بن محمود الجرجانى، عن أبى سعيد ابن الأعرابى، عن أبى محمد سالم بن محمد بن عبد الله الخراسانى، عن الفضل بن عياض، عن هشام بن حسان و يونس بن عبيد، عن أبى الحسن بن الحسن البصرى، عن الحسن البصرى، عن على بن أبى طالب، كرم الله وجهه. ثم رحلت إلى المغرب، طالبا فى لقاء أهل الطريقة، راغبا، فلقيت به من أعلام الرجال جملة يطول ذكرهم، و لا يجهل قدرهم. و لما توجهت إلى المشرق، لقيت به أعلاما

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٧١

و أشياخا كراما، لهم طرق سنية، و أحوال سنية، أودعت ذكرهم هذا طلبا للاختصار، و خوفا من سامة الإكثار، و كان اعتمادى فيمن لقيت منهم فى أيام تجريدى و اجتهادى، بعد إيابى من قضاء أربى، من حج بيت الله الحرام و زيارة قبر النبى عليه الصلاة و السلام، على من بهديه أستنير، و أعتد عليه فيمن لقيت و صحبت، و إليه أشير، سيدى الشيخ الكبير الجليل الشهير وحيد عصره و فريد دهره، جمال الدين أبو الحجاج الكورانى جنسا، و التميمى قبيلة، و الكلورى مولدا، و السهروردى خرقه و طريقة و نسبة، و هو الذى لقتنى، و سلكت على يده، و قطعت مفاوز العزلة عنده، مع جملة ولده. و حدثنى، رضى الله عنه، أنه لفته الشيخ الفقيه العارف أبو على الشمشورى، هو و الشيخ الإمام نجم الدين الأصبهانى، و الشيخ نجم الدين، و الشيخ بدر الدين الطوسى، لقتنا الفقيه محسنا المذكور، و الشيخ بدر الدين، لفته الشيخ نور الدين عبد الصمد النصيرى، و الشيخ عبد الصمد، لفته الشيخ نجيب الدين بن مرغوش الشيرازى، و الشيخ نجيب الدين، لفته الشيخ شهاب الدين السهروردى و الشيخ شهاب الدين، لفته عمه ضياء الدين أبو الحسن السهروردى، و الشيخ ضياء الدين فرج الزنجانى، و الشيخ فرج الزنجانى، لفته أبو العباس النهاوندى، و الشيخ أبو العباس، لفته أبو عبد الله بن خفيف الشيرازى، و الشيخ أبو عبد الله، لفته أبو محمد رديم، و الشيخ أبو محمد، لفته أبو القاسم الجنيد، و الشيخ أبو القاسم، لفته سرى السيقلى، و الشيخ سرى، لفته معروف الكرخى، و الشيخ معروف، لفته داود الطائى، و الشيخ داود، لفته حبيب العجمى، و الشيخ حبيب، لفته الإمام الحسن البصرى، و الشيخ الحسن، لفته الإمام على بن أبى طالب. و لبست الخرقه من يد الشيخ أبى الحجاج المذكور بسند التلقين المذكور إلى أبى القاسم الجنيد، رضى الله عنه، إلى جعفر الحذاء، إلى أبى عمر الإصطخرى، إلى شقيق البلخى، إلى إبراهيم بن أدهم، إلى موسى بن زيد الراعى، إلى أويس القرنى، إلى أميرى المؤمنين عمر و على، رضى الله عنهما، و منها إلى سيد الأولى و الآخرين صلى الله عليه و سلم، و ذلك فى أوائل عام ثلاثة و أربعين و سبعمائة. و قد ألقت كتابا جمعت فيه بعض ما صدر من أوردى، أيام تجريدى و اجتهادى، محتويا على نظم و نشر، مفرغا عن كلام الغير، إلما مقطوعة واحدة لبعض المتصوفة، فإنى سقتها على جهة لكونها غاية فى الاحتفال و هى: [الرملى]

قل لمن طاف بكاسات الرضاو سقى العشاق مما قد نهل

و سميت الكتاب ب «نكت الناجى، و إشارات الراجى». و لعل ذلك يكون اسما وافق مسماه، و لفظا طابق معناه. و إلى ما ذكرت من النكت، أشرت بما نظمت،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٧٢

فقلت: [البسيط]

فى كل واحدة منهن أسرارلا تنقضى، و لها فى اللفظ أسرار

إن رمت حصر معانيها بما سمعت أذناك ليس لها بالسمع إحصار
فأصبح خبيراً بما يرضى الحجاب ستارها و كذاك الحرّ ستار
و لعلّه يكون، إن شاء الله، كما ذكرته، و أعرف بما أنشدته.

ولى جملة قصائد و أزجال منظومة على البديهة و الارتجال، نطق بها لسان المقال، معرباً عمّا وجدته فى الحال، قصدت بها الدخول مع ذلك الفريق، و أودعتها غوامض أسرار التحقيق. فمن بعض نكت الكتاب، ما يعجب منه ذو و الألباب، نكتة سرّ الفقير، يشير إليه بجميع الكائنات، فلا- حديث معجم، و لا- موجود مبهم، فهو إذا يتكلم دون حدّه و بلسان وجده، و الفقيه يتكلم فوق قدره و بلسان غيره، و هذا ما حضرني فى الوقت، مع مزاحمة الشواغل، فتصفّحوا، و اصفحوا، و تلمحوا و اسمحوا. و لكم الفضل فى قبول هذه العجالة و السير من هذه المقالة. انتهى.

و من الطارئين

على بن عبد الله النميرى الششتري

عروس الفقراء، و أمير المتجرّدين، و بركة الأندلس، لايبس العباءة الخرقه، أبو الحسن. من أهل ششتر، قرية من عمل وادى آش، معروفة، و زقاق الششتري معروف بها. و كان مجوّداً للقرآن، قائماً عليه، عارفاً بمعانيه، من أهل العلم و العمل.
حاله: قال شيخنا أبو عثمان بن ليون فى صدور تهذيبه لرسالته العلمية: الإمام الصوفى المتجرّد، جال البلاد و الآفاق، و لقي المشايخ، و سكن الزبط، و حجّ حجّات، و أثر التجرد و العبادة. و ذكره القاضى أبو العباس الغبرينى، قاضى بجاية، فى كتابه المسّمى عنوان الدرّاية فى من عرف فى المائة السابعة بمدينة بجاية، و قال: الفقيه الصوفى الصالح العابد، أبو الحسن الششتري من الطلبة المحصّين، و الفقراء

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٧٣

المنقطعين، له علم و عمل بالحكمة، و معرفته بطريق الصوفية، و له تقدم فى النظم و النثر، على طريقة التحقيق. و أشعاره فى ذلك، و تواشحه و مقفياته و أزجاله، غاية فى الانطباع. و كان كثيراً ما يجودّ عليه القرآن. و نظمه فى التحقيق كثير.
مشيخته: أخذ عن القاضى محبى الدين أبى القاسم محمد بن إبراهيم بن الحسين بن سراقه الأنصارى الشاطبى، و عن غيره من أصحاب الشهروردى صاحب العوارف و المعارف. و اجتمع بالنجم بن إسرائيل الدمشقى الفقير سنة خمس و ستمائة.
قال: ألفتة على قدم التجرد، و له أشعار و أذواق فى طريق القوم، و كان من الأمراء و أولاد الأمراء، فصار من الفقراء و أولاد الفقراء، و خدم أباً محمد بن سبعين، و تلمذ له. و كان الشيخ أبو محمد دونه فى السن، لكن استمرّ باتباعه، و عوّل على ما لديه، حتى صار يعبر عن نفسه فى منظوماته و غيرها، بعد الحق بن سبعين، و به استدلل أصحاب أبى محمد على فضله. و يقال: إنه لما لقيه يريد المشايخ، إن كنت تريد الجنة، فصر إلى الشيخ أبى مدين، و إن كنت تريد ربّ الجنة فهلم. و لما مات الشيخ أبو محمد، انفرد بعده بالرياسة و الإمامة على الفقراء و المتجرّدين و السّفارة، و كان يتبعه فى أسفاره ما ينيف على أربعمائة فقير، فيقسّمهم الترتيب فى وظائف خدمته. كراماته: قالوا: نادى يوماً، و هو مع أصحابه فى برّيه، يا أحمد، فقال أحدهم: و من هذا، فقال تسزّون به غدا. فلما وردوا من الغد قابس، وجدوا أحمد قد جاء من الأسر، فقال: صافحوا أحاكم المنادى بالأمس. قالوا: و دخل عليه ببجاية أبو الحسن بن علّال من أمناها، و هو يذكر فى العلم، فأعجبته طريقته، فنوى أن يؤثر الفقراء من ماله بعشرين دينراً. ثم ساق شطرها، و حبس الباقي ليزودهم به، فرأى النبىّ صلّى الله عليه و سلّم، فى التّوم، و معه أبو بكر و عمر، فقال: ادع لى يا رسول الله، فقال لأبى بكر: أعطه، فأعطاه نصف رغيف كان بيده، فقال له الشيخ فى الغد: لو أتيت بالكل، لأخذت الرغيف كله.

توالمفه: له كتاب «العروة الوثقى في بيان السنن و إحصاء العلوم». و ما يجب على المسلم أن يعمل و يعتقد إلى وفاته. و له «المقاليد الوجودية في أسرار إشارات الصوفية». و له الرسالة القدسية في توحيد العامة و الخاصة. و المراتب الإيمانية و الإسلامية و الإحسانية. و الرسالة العلمية، و غير ذلك.

دخوله غرناطة: دخلها و نزل برباطة العقاب، و تكرر إليها، إذ بلده من عمالتها.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٧٤

شعره: من ذلك قوله: [الطويل]

لقد تهت عجباً بالتجرد و الفقر فلم أندرج تحت الزمان و لا الدهر

و جاءت لقلبي نفحة قدسية فغبت بها عن عالم الخلق و الأمر

طويت بساط الكون و الطي نشره و ما القصد إلا الترك للطي و النشر

و غمضت عين القلب عن غير مطلق فألفيتني ذاك الملقب بالغير

وصلت لمن لم تنفصل عنه لحظة و نزهت من أعنى من الوصل و الهجر

و ما الوصف إلا دونه غير أنني أريد به التشبيه عن بعض ما أدرى

و ذلك مثل الصوت أيقظ نائماً فأبصر أمراً جلّ عن ضابط الحصر

نقلت له الأسماء تبغى بيانه فكانت له الألفاظ ستر على ستر

و من شعره أيضاً قوله في الغرض المذكور: [الكامل]

من لأمنى لو أنه قد أبصر ما ذقته أضحى به متحيراً

و غدا يقول لصحبه إن أنتم أنكرتم ما بي أتيت منكر

شدت أمور القوم عن عاداتهم فلأجل ذاك يقال: سحر مفترى

و من شعره القصيدة الشهيرة و لها حكاية: [الطويل]

أرى طالبا منّا الزيادة لا الحسنى بفكر رمى سهماً فعدى به عدنا

و طالبنا مطلوبنا من وجودنا يغيب به عنّا لدى الصّعق إن عنّا

تركنا حظوظاً من حضيض لحوظنا إلى المقصد الأقصى إلى المقصد الأسنى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٧٥ و لم نلف كون الكون إلا توهموا و ليس بشيء ثابت هاك ألفينا

فرفض السوا فرض علينا لأننا أناس بمحو الشرك و الشرك قد دنا

و لكننا كيف السبيل لرفضه و رافضه المرفوض نحن و ما كنا؟

فيا قابلاً بالوصل و الوقفة التي حجبت بها اسمع و ارعوى مثل ما أبنا

تبدت لك الأوهام لما تداخلت عليك و نور العقل أورثك الشجنا

و سمّت بأنوار فهمنا أصولها و منبعها من أين كان فما سمنا

و قد تحجب الأنوار للعقل مثل ما تبعد من إظلام نفس حوت ظعنا

و أنى دجال في القضية يدعى و أكمل من فى الناس من صدع الأمتنا

فلو كان سرّ الله يلحق هكذا القال لنا الجمهور: ها نحن ما خبنا

و كم دونه من فتنة و بليّة و كم بهمة من قبل ذلك قد جبنا

و كل مقام لا تقم فيه إنه حجاب فجدّ السير و استنجد العونا

و لا تلتفت في السير إذ كل ما به سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا
و مهما ترى كل المراتب تجتلي عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٧٦ و قل: ليس لى فى غير ذلك مطلب فلا صورة تجلى و لا طرفة تجنى
و سر نحو أعلام اليمين فإنها سبيل بها يمن فلا تترك اليمينا
أمامك هول فاستمع لوصيتي عقال من العقل الذى منه قد تبنا
إمام الورى بالمشكلات و قبلهم بأوهامه قد أهلك الخر و البناء
محبتنا قطع الحجا و هو حجانا و حجتنا شلوه ها بها همنا
يشبتنا عند الصعود لأنه يودّ لأننا للصعيد قد اخلدنا
تلوح لنا الأطواق منه ثلاثة كراء و هارب و رؤية ما قلنا
و يظهر باسم السرّ و النفس مدبراو عقلا و خيرا مقبلا عندما يدنى
و لوح إذا لاح سطور كتاباله فيه و هو التون فالقلم الأذنى
و عرش و كرسى و برج و كوكب و حشى لجسم الكل فى وصفه حرنا
تمرّ خطوط الذهن عند التفاتنا أحاطته للقصى التى فيه أحضرنا
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٧٧ مقطّعه الأزمان للدهر مثل يكيّف للأجسام من نحلّه أينا
أقام دوين الدهر مدرّة ذاته و نحن و نفس الكل فى بحره عمنا
و فتقّ للأملاك جوهره الذى يشكّله سرّ الحروف فحرّفنا
يفرّق مجموع القضية ظاهراو يجمع فرقا من تداخله فزنا
و عدّد شيئا لم يكن غير واحد بالفاظ أسمائها شتت المعنى
و يعرج و المعراج منه ذواته لتطويره العلوى بالوسم أسرينا
ليفلل سفليا و يوهم أنه لسفليته المجهول بالذات أسبطننا
يقدرّ خصلا بعد وصل لذاته و فرض مسافات يجدرّ لها الذهنا
يحلّ لها طور المغبّة شكله و إن لمعت فيه فيلحقه المفنا
و يلحقه بالشرط من مثوية يلوح بها و هو الملوّح و المبني
فنحن كدود القرّ يحصرنا الذى صنعنا بدفع الحصر سجننا لنا منّا
فكم واقف أردى و كم سائر هذاو كم حكمه أبدى و كم مملق أغنى!
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٧٨ و تيم أرباب الهرامس كلّهم و حسبك من سقراط أسكنه الدنا
و جرّد أمثال العوالم كلهاو أبدى لأفلاطون فى المثل الحسننا
و هام أرسطو أن مشى من هيامه و بثّ الذى ألقى إليه و ما ضنا
فكان لذى القرنين عوننا على الذى تبدّى به و هو الذى طليه العينا
و يفحص عن أسباب ما قد سمعتم و بالبحث غطّى العين إذ رده عينا
و ذوق للحلاج طعم اتّحاده فقال لنا: من لا يحبط به معنى
فقال له ارجع عن مقالك قال: لاشربت مداما كلّ من ذاقها غنى
و أنطق للشبلى بالوحدة التى أشار بها لما محّا عنده الكونا

أقام لذات الصغريين لنا حولاً يخاطب بالتوحيد إذ رده خدنا
و كان خطا بايين ذاتين من يكن فقيرا يرى البحر فيه قد عمنا
فأصمت للحسنى تجريد خلقه مع الأمر إذ صحت فصاحته لكنا
تننى قضيب البان من سكر خمرة و كان كمثل العمر لكنه تنى
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٧٩ و قد شدّ بالشوذى عن ثوبه فلم يمل نحو أحواز و لا سكن الدنا

و أصبح فيه السهروردى حائرا يصيخ لما يلقي الوجود له أذنا
بعمر على بن الفارض الناظم الذى تجرد للأسفار إذ سهل الحزنا
و لابن قسى خلع نعلى و جوب و ليس أخوا طلب من المجد قد تبنا
أقام على ساق المسرة نحله لمن زمن الأسرار فاستمطر المزنا
و لاح سنا برق من القرب للسنانجل ابن سينا للذى ظن ما ظنا
و قد قلد الطوسى بما قد ذكرته و لكنه نحو التصوف قد حنا
و لابن طفيل و ابن رشد تيقظرساله يقطان اقتضت فتحه الجفنا
كسا لشعيب ثوب جمع لذاته فجر على حساده الدليل و الودنا
و قد طوق الطائى بسبط كنانه بدسكرة الخلاء إذ ذبنا الوهنا
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٨٠ تسمى برفع الروح صبرا و لم يبل ما يهز في المقام و لا قرنا

و باح به نجل الحرائى عندما رأى كتبه ضعفا و تلويحه غينا
و للأممى النظم و النثر فى الذى ذكرنا و إعراب كما عنه أعربنا
و أظهر منه الغافقى لما خفى و كشف عن أطواره الغيم و الدجنا
و بين أسرار العبودية التى عن اعرابها لم ترفع اللبس و اللحن
كشفنا غطاء من تداخل سرها فأصبح ظهرا ما رأيتم له بطنا
هوانا لدين الحق من قد تولهت إلى قربه ألباننا و له هدنا
فمن كان يبغى السير للجانب الذى تقدس لازبا فلا تأخذوا عنا

و هذه القصيدة غريبة المنزع، و إن لم تخل عن شذوذ من جهة اللسان، و ضعف فى الصناعة، أشار فيها إلى مراتب الأعلام من أهل
هذه الطريقة، و كأنها مبنية على كلام شيخه الذى خاطبه به عند لقائه حسبما قدمنا، إذ الحسنى الجنة، و الزيادة مقام النظر، فقوله: أرى
طالباً منّا الزيادة لا الحسنى، إشارة إلى ذلك، و الله أعلم.

و الغافقى الذى ختم به هو شيخنا أبو محمد، و هو مرسى الأصل غافقى، رحم الله جميعهم، و نفعنا بأولى الحظوة لديه.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٨١

نثره: و كلامه حسن، و مقاصده غريبة، رضى الله عنه، و نفع به. كتب إليه الشيخ الصوفى أبو على بن تادرت، لما سافر و لم يودعه، و
كان قد قال له: أغيب عنكم أياما قلائل، و أعود إن شاء الله، فأبطأ عنه:

بسم الله الرحمن الرحيم، الله وحده فقط ليس إلّا و صلواته على ملائه المقرب الأعلى، و على سيدهم الخاتم محمد و آله الهداء، و
سلامه الحق يخصّ العليم بسرّه، فى عالم الفرق، و رحمته و بركاته. من أخيه حقيقة فى العوالم الأول، لا- فى عالم العلم الحق، من
حيث هو موضوعه بحسب الإضاءة، بمنزله من مدينة بنى مدار عمرها الله و أرشدهم، و ليس إلّا أنى نعتبكم عرفا و عادة، لسفركم
دون موادعه، بخلاف سيرتكم الأولى من المشرق الأقصى، إلى المغرب الأقصى، و أما بكون حقيقة الأمر الموحد، فلا عتب، بل نقرأ

على الماهية سورة الإخلاص التي توحيدها المحض أحاط وأحصى. ثم وعدتم، أنكم ولا بدّ، لا تطول إقامتكم ببجاية كلاًها الله، إلّا ليالي قليلة العدد، تأخذون فيها كتبكم و تنفصلون قافلين في أسرع أمد. ثم ظهر غير ذلك من الإقامة إلى هذه المهلة التي نبا كما عندنا الزمان.

وقد ورد من أناس بالتواتر أنكم ولا بدّ تصومون هنالك رمضان المعظم على الأمان، فقلنا: لحظ البشريّة الحيوانية، و علمنا أن الأمر ليس سرا لأجل القضايا الحكيمية الطّليبة، و المقادير العلميّة السريّة. و لا تتحرك ذرّة إلّا بإذنه، و لا يسأل عما يفعل، و هم يسألون في دهره و زمنه، يمحو الله ما يشاء و يثبت، و عنده أمّ الكتاب.

و لكنّا أيضا نقرأ، و الله لا يخلف الميعاد. و قد يكون غير الوفاء بالعهد في الخلف لمصالح فيها وعد الله، لا يخلف الله وعده، و لكن أكثر الناس لا يعلمون. يعلمون ظاهرا من الحياة الدّنيا، و الله يفعل ما يشاء. و لا تكن معترضا، فلا تلوم إلّا بحسب فرقنا الأول. و أما من حيث الكمالات الثواني و الأول، فلا لوم و لا عتب، لرفع المثوية، و إحالة الكثرة و الإضافه، حتى ليس إلّا الوحده العلميّة المعنوية العليّة.

و بالجملة الله معكم، و لن يترككم أعمالكم، فإن ما يرفع العمد و العماد. قال الله: **ثُمَّ ذَرُؤُهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**، و هو معكم أينما كنتم، و الله عليم بما تصنعون.

و الرّغبة إلى ذاتكم الكاملة الوجودية، ذات الكمالات العلميّة القدسيّة، أن تعجلوا لي، إذ و أنتم مقيمون هنالك: [الطويل]

و أين يجد في عليين غرفه و إن شغلت عن نسخها

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٨٢

و الحق لا- يشغله شأن عن شأن، فوجهوا إليّ بها بعض الفقراء و الإخوان، و أنا أقسم عليك في ذلك، يا أخى و سيدي، بالسّير فقط الذى يشغله أبدا سرمد الله فقط، و أن تعجل لي بذلك، و تحيي مواتي، و تجمع أشتاتي، مع كلام تعنتوا لي به من كلامكم، تخصّوني به في كراس مبارك، علّمني الله العليم الحكيم منكم سرّ علمه العظيم و حكمته المحيطة، و كفانا سرّ هذه العوالم الأرضية المركبة الحبيطة، و نقلنا من البسيطة لغه إلى العوالم الرّيسة النفيسة البسيطة، و يرقينا به عنها إلى أن نتصل الحظّ المنفصل للتدبير بنقطته الأولى، و إن كان في الحقيقة ما انفصل، و يدخلها حضرة علمنا المحيط الوجودي، الذى ليس وراءها محيط إليه يرقى و يتصل. و السلام الحقّ محض مظهره و مجلاه و مرآته، و رحمة الله و بر كاته.

فراجعه الشيخ أبو الحسن الشّشتري المترجم به، رضى الله عنه بما نصّه:

بسم الله الرحمن الرحيم، و صلّى الله على النّبىّ محمد، المرسل بالحق لإدحاض الشّك، و إيضاح الغلط، الموصل على أقرب السّبيل للحضرة الإلهية، و من شطط المختص بجوامع الكلم، المبكت لكل من موه و سفسط، المبعوث بكلمة الإخلاص، التى حاصلها الله فقط، و رضى الله عن مظهر الوراثة المحمدية في كل زمان، المترجم عن كثر الوجود الذى طلسمه الإنسان، و سلام الله و رحمته على المستمع بأذن أنيته لذلك التّرجمان، المتجوهر بمقام الإسلام و الإيمان و الإحسان، القارئ على أخباره المنبعثه في أرض فرقة كلّ من عليها فان، بالمعنى الفقير الباطن للسّيار الظاهر المشير الحائم على سلب الاسمين، الدائر على دائرة قاب قوسين.

المشهور في العالم الأول، بأبى على الحسين من خبر ماسيه، الوارث الطالب لذاته بها للوصل له. و هو به عنه باحث، المنظور في ذات كمالاته، المنعوت بالوافى لا بالناكث، المعتصم بحبل التحقيق، القائل بالحق، عبده على الشّشتري، ابن إفادتكم عبد الحق بن سبعين، أما قبل من حيث الأصل، و مع من حيث الوصل، و بعد من حيث الفصل، فإنى أقسم بالبدر إذا أدبر، و الصّبح إذا أسفر، أن النصاب واقع من حيث الصور، لا من حية حقيقة المظهر. فأين هنا أنت أو أنا؟ أو قبل أو بعد؟ أو هند أو دعد؟ أو خلف أو وعد؟ و لا بدّ من المراح في ميدان الخطاب، و بيان المتشابه عليكم، المودع عليكم، فى هذا الكتاب، فأول عائق عنكم مرض أحد الأصحاب، و لا انفكاك عند وجود هذه القضية، عند كل طائفة ستيه، فما ظنكك بالسّبعينية، هذا مع وجود وعد ميين، و زمان معين. و نحن لم نعيّن

للموضوع وقتا، و لو عَيَّنَّا لكبر عند الله مقنا. و إنما قلنا: أيام قلائل، و يدخل في ذلك الجمعة و الشهر و العام القابل، بل برزخ العالم و إنائه عند التحرير العاقل. ثم لو عَيَّنَّا يوما أو يومين أو جمعتين، و لم

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٨٣

يكن فقلب المؤمن بين إصبعين. أما علمت أن الوعد المزعوم المراد منه الذي تتضمنه صعقة العمود بالبعد أو بالتواني، أو بالحواس أو بالمعاني؟ و المسكر هو الجريال لا الأواني. و أما قضية الوداع، فقد ارتفع بين الفقراء فيها النزاع، و وقع من الصوفية في ذلك الإجماع، أن الاجتماع من غير ميعاد و الافتراق عن غير مشورة، و قول إنه من حيث المذهب لازم بالضرورة، فإن المودع لا يخلق أن يكون من تربة الفرس و السبع، أو في مقام الفردانية و الجمع، أو في البرزخ الذي بين المقامين، المعبر عنه عند الصوفية بالفناء. فإن كان في التورية، فلا أنت و لا أنا، و لا مودع، و لا مودع، و قلعة العتب لهذا أليق و أطبع. و إن كان في برزخ الفناء، فمن المودع هنا، و إن كان في الفرق هنا. و إن كان في الفرق، فترك المودع أقرب إلى الحق لألم التفرقة الموجود المحسوس، المعترض عند ذلك للنفس. و اعلم أن الانفصال، كان بالطريق عند من يرى بالانفصال و الاتصال، و لا نقله عند ذوى الاتصال. و أما نكرة عرفة فهي عند الشيخ أبي عبد الله التوزري لا عندى، و لو كانت ما ضننت بها بحمد الله لا بحمدى.

و السلام على موضوعك و محمولك، و سلوكك و وصولك، و جمعك و فرقك، و عبوديتك و حَقِّك، بل على جملة الصالحة، و رحمة الله و بركاته.

وفاته: قالوا: إنه لما وصل بالشام إلى ساحل دمياط، و هو مريض مرضه الذى توفى منه، نزل قرية هناك على ساحل البحر الرومى يصاد فيها السمك، و قال: ما اسم هذه القرية، فقيل: الطينة، فقال: حنت الطينة إلى الطينة، و وصّى أن يدفن بمقبرة دمياط، إذ الطينة بالمفازة بالساحل، و دمياط أقرب المدن إليها، فحمله الفقراء على أعناقهم، فتوفى بها يوم الثلاثاء سابع عشر صفر عام ثمانية و ستين و ستمائة، و دفن بمقبرة دمياط.

و فى سائر الأسماء من حرف العين

الأعيان و الوزراء و الأماثل و الكبراء

عامر بن محمد بن على الهنتانى

رئيس متبواً قبيلة من جبل درن، و مزوار المصامدة، و المطلقة يده على جباية الوطن المراكشى، يكتنى أبا ثابت.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٨٤

حاله: هذا الرجل حسن الشكل، حصيف العقل، ثابت الجأش، معروف الأمانة و الصدق، عفيف الفرج، مؤثر للجِدِّ، ماضى الحذر بأهل الحكم، نزيه اليد، مشهور بالرجاحة، عين من عيون الحدود الغربية، و بقیة من بقايا الجلة العلمية، مسدّد اللسان للإبانه عن الأغراض، مختصر البرّة و الحلية، متوسط الجود، مؤثر للخصوصية، بعيد النظر، سديد الرأى.

قدمت عليه بمحلّه من الجبل، زائراً متوفّى السلطان أبى الحسن، مستجيراً حماهم، فبلوت من برّه و بر الرئيس الندى عبد العزيز أخيه ما تقصر عنه همم الملوك، و تقف دونه آمال الأشراف، تلقياً، و احتفالاً، و فرشاً، و آنية، و طعاماً، و صلّة، و انتخاباً، و احتشاماً، و أطفافاً، حسبما يتضمن بسط ذلك كتاب «الرحلة» من تأليفى.

و أنشدتهم عند رحيلى، و قد رأيت إلى ما يبقى الذكر و يخلد الآثار شيم السادة، و ديدن الرؤساء: [الكامل]

يا حسنها من أربع و ديارأضحت لباغى الأمن دار قرار

و جبال عزّ لا تذلل أنوفها إلّا لعزّ الواحد القهار

و مقرّر توحيد و أسّ خلافة آثارها تنبى عن الأخبار
ما كنت أحسب أنّ أنهار الندى تجرى بها فى جملة الأنهار
ما كنت أحسب أنّ أنوار الحجاتلتاح فى قنن و فى أحجار
مجتّ جوانبها البرود و إن تكن شبت بها الأعداء جذوة نار
هدت بناها فى سبيل وفائها فكأنها صرعى بغير عقار
لما توعدّها على المجد العدارضيت بيعث النار لا بالعار
عمرت بحلّة عامر و أعزّها عبد العزيز بمرهف بتار
فرسا رهان أحرزا قصب الندى و البأس فى طلق و فى مضمار
ورثا عن التدب الكريم أبيهما محض الوفاء و رفعة المقدار
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٨٥ و كذا الفروع تطول و هى شبيهة بالأصل فى ورق و فى أثمار
أزرت وجوه الصّيد من هنتاته فى جّوها بمطالع الأقمار
لله أى قبيلة تركت لها النظراء دعوى الفخر يوم فخار
نصرت أمير المسلمين و ملكه قد أسلمته عزائم الأنصار
آوت عليّا عند ما ذهب الردى و الروع بالأسماع و الأبصار
و تخاذل الجيش اللّهام و أصبح الأبطال بين تقاعد و فرار
كفرت صنائعه فيمّ دارها مستظها منها بعزّ جوار
و أقام بين ظهورها لا يتقى وقع الردى و قد ارتمى بشرار
فكأنها الأنصار لما آنست فيما تقدّم غربه المختار
لما غدا لحظا و هم أجفانه نابت شفارهم عن الأشفار
حتى دعاه الله بين بيوتهم فأجاب ممتثلا لأمر البارى
لو كان يمنع من قضاء الله ما خلصت إليه نوافذ الأقدار
قد كان يأمل أن يكافىء بعض ما أولوه لو لا قاطع الأعمار
ما كان يقنعه لو امتدّ المدى إلّا القيام بحقّها من دار
فيعيد ذاك الماء ذائب فضّة و يعيد ذاك التّرب ذوب نضار
حتى تفوز على النّوى أوطانها من ملكه بجلائل الأوطار
حتى يلوح على وجوه و جوههم أثر الرعاية ساطع الأنوار
و يسوّغ الأمل القصى كرامها من غير ما ثنيا و لا استعصار
ما كان يرضى الشّمس أو بدر الدّجى عن درهم فيه و لا دينار
أو أن يتوّج أو يقلّد هامها و نحورها بأهلّة و درارى
حقّ على المولى ابنه إيثار ما بذلوه من نصر و من إيثار
فلمثلها زخر الجزاء و مثله من لا يضيع صنائع الأحرار
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٨٦ و هو الذى يقضى الديون و برّه يرضيه فى علن و فى إسرار
حتى تحجّ محلّة رفعا بها علم الوفاء لأعين النّظار

فيصير منها البيت بيتا ثانياً للطنافين إليه أي بدار
تغني قلوب القوم عن هدى بهو دموعهم تكفى لرمي جمار
حيث من دار تكفل سعيها المحمود بالزلفى و عقبى الدار
و ضفت عليك من الإله عناية ما كثر ليل فيك إثر نهار
دخوله غرناطة: دخل الأندلس، و حلّ بغرناطة في حدود خمسين و سبعمائة، و أقام بها أياماً، و قد أسند إليه السلطان أبو الحسن، لما
رحل عن إفريقية، حفظ حرمة و أسبابه، في مراكب كان استقرارها بسواحل الأندلس، و حضر مجلس السلطان، فراق الحاضرين ملقاه
و ضمّ لسانه لأطراف الحديث و حسن تبويبه للأغراض. و لهذا الرجل في وطن المغرب ذكر بعيد، و قد أمسك الأمر مرات، على من
استقرّ لديه من ولد السلطان، و رتب له الألقاب و الترشيح يغازله بذلك الوطن. و تنوعت الحال بهذا الرجل، من بعد وفاة السلطان أبي
سالم ملك المغرب، و انحاز إليه ولده فقام بدعوته، و رتب له الألقاب بوطن مراكش، و نظر لنفسه أثناء ذلك، فحصن الجبل، و اتخذ
به القلعة، و أكثر الطعمه و العدة، فلما حاقت بأمره الدبرة، لجأ إلى ما أعدّه، و هو الآن يزجي الوقت مهادنة تشفّ عن انتراء، و الله
يهيئ له الخلاص من الورطة، و يتيح له إلى حزب السلامة الفيئة.

و من الطارئين في القضاء و الغرباء

عاشر بن محمد بن عشر بن خلف بن رجا ابن حكم الأنصاري

يتاسى الأصل.

حاله: كان، رحمه الله، فقيها حافظاً للمسائل، مفتياً بالرأى، معروفاً بالفهم و الإتقان، بصيراً بالفتوى، شورور ببلده و ببلنسية، و استقضاه
أبو محمد بن سمحون
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٨٧
على باغة أيام قضائه بغرناطة، إذ كان يكتب عنه و يلازمه، ثم استقضى بمرسية أعادها الله. و كان حافظ وقته، لم يعاصره مثله.
مشيخته: روى عن أبيه، و تلا بالسبع على ابن ذروة المرادي، و لقي أبا القاسم بن النحاس، و أخذ الحديث عن أبي بحر الأسدي، و
أبي بكر بن العربي، و أبي جعفر بن جحدر، و أبي الحسن بن واجب، و غيرهم.
مولده: ببيتاسة سنة أربع، و قيل: ست و ثمانين و أربعمائة.
وفاته: توفى بشاطبة، تسع و ستين و خمسمائة.
توالمفه: شرح المدونة مسألة مسألة، بكتاب كبير سماه «الجامع البسيط، و بغية الطالب النشيط»، حشد فيه أقوال الفقهاء، و رجح بعضها،
و احتج له. قالوا: و توفى قبل إكماله.

عياض بن محمد بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبي

من أهل سبتة، حفيد القاضي العالم أبي الفضل، يكنى أبا الفضل.

حاله: من «الضيلة»: كان من جلة الطلبة، و ذوى المشاركة في فنون من العلوم العقلية و غيرها، فصيحاً، شاعراً، لسناً، مفوهاً، مقداماً،
موصوفاً بجزالة و حدة امتحن بسببها. و كان مع ذلك كثير التواضع، فاضل الأخلاق، سرياً، مشاركاً، معظماً عند الملوك، مشاراً إليه،
جليل القدر. حضر الأندلس أيام قضاء أبيه بغرناطة، و غير ذلك الوقت، و جال فيها، و أخذ بقرطبة و إشبيلية و غيرهما، و استقرّ أخيراً
بمالقة، و تأثّل بها و بجهاتها أصول أملاك إلى ما كان له.

مشيخته: روى عن أبيه عبد الله، و عن أبي محمد بن عبد الله، و أبي بكر بن الحدّاد القاضي بسبته، و أبي القاسم بن بشكوال، و ابن حبّيش، و ابن حميد، و أبي بكر بن بيش الشلطي، و غيرهم.

من روى عنه: قال الأستاذ: روى عنه جماعة ممن أخذت عنهم، منهم ابنه أبو عبد الله قاضي الجماعة، و أبو العباس بن فرتون، أخذ عنه كثيرا بمدينة فاس.

مولده: قال صاحب «الذيل»: سأله عن مولده: فقال: ولدت في اليوم التاسع عشر من محرم عام واحد و ستين و خمسمائة بمدينة سبتة. وفاته: توفي في العشر الوسط من جمادى الآخرة عام ثلاثين و ستمائة بمالقة، و روضته بها في جنّة كانت له بربضها الشرقي، رحمه الله.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٨٨

عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى ابن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى ابن عياض اليحصبي

القاضي، الإمام المجتهد، يكنى أبا الفضل، سبتي الدار و الميلاد، أندلسي الأصل، بسطيه .

أوليته: من كتاب ولده في مآثره، و هو كُنّاش نبيه، قال: استقرّ أجدادنا في القدم بالأندلس بجهة بسطة، ثم انتقلوا إلى مدينة فاس. و كان لهم استقرار في القيروان، لا أدري قبل حلولهم بالأندلس أو بعد ذلك. و كان عمرو بن رجلا خيارا من أهل القرآن، و حجّ إحدى عشرة حجة، و غزا مع ابن أبي عامر غزوات كثيرة. و انتقل إلى سبتة بعد سكنى فاس، و كان موسرا، فاشترى بها من جملة ما اشتراه الأرض المعروفة بالمنارة، فبنى في بعضها مسجدا، و في بعضها ديارا حبسها عليه، و هو الآن منسوب إليه، و ولد له ابنه عياض، ثم ولد لعياض ابنه موسى، ثم ولد لموسى القاضي أبو الفضل المترجم به.

حاله: قال ولده في تأليفه النبيل: نشأ على عفة و صيانة، مرضى الخلال، محمود الأقوال و الأفعال، موصوفا بالنبيل و الفهم و الحذق، طالبا للعلم، حريصا عليه، إلى أن برع في زمانه، و ساد جملة أقرانه، فكان من حفاظ كتاب الله، مع القراءة الحسنه، و النعمة العذبة، و الصوت الجهير، و الحظ الوافر من تفسيره و جميع علومه.

و كان من أئمة الحديث في وقته، أصوليا متكلمًا، فقيها حافظا للمسائل، عاقدا للشروط، بصيرا بالأحكام، نحويا، ريان من الأدب، شاعرا مجيدا، كاتبا غالبا بليغا، خطيبا، حافظا للغة و الأخبار و التواريخ، حسن المجلس، نبيل النادرة، حلو الدعاية،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٨٩

صبورا، حلّما، جميل العشرة جوادا، سمحا، كثير الصدقة، دروبا على العمل، صلبا في الحق.

رحلته و ولايته و منشأ أمره: رحل إلى الأندلس سنة سبع و خمسمائة، فأخذ بقرطبة و مرسية و غيرهما، ثم عاد إلى سبتة، فأجلسه أهلها للمناظرة عليه في «المدونة»، و هو ابن ثلاثين سنة أو ينيف عليها، ثم جلس للشورى. ثم ولّى القضاء، فسار في ذلك حسن السيرة مشكور الطريقة، و بنى الزيادة الغربية في الجامع الأعظم.

و بنى بجبل الميناء الرابية الشهيرة، و عظم صيته. ثم نقل إلى غرناطة في أول صفر سنة إحدى و ثلاثين و خمسمائة، فتقلد خطّة القضاء بها. ثم ولّى قضاء سبتة ثانية. و لما ظهر أمر الموحدين بادر بالمسابقة إلى الدخول في طاعتهم، و رحل إلى لقاء أميرهم بمدينة سلا، فأجزل صلته، و أوجب بزه، إلى أن اضطرت أمور الموحدين عام ثلاثة و أربعين و خمسمائة، و حدث على من كان بقصبتها منهم ما هو معلوم من التغلب عليهم و استئصالهم، ثم من رجوع أمورهم، فالتاث حاله، و لحق بمراكش مشردا به عن وطنه، فكانت بها وفاته.

مشيخته: و رتبهم ولده حسبما نقل من فهرسته على الحروف؛ فمنهم أحمد بن محمد بن بقى، و أحمد بن سعيد بن مستقر، و أحمد بن محمد بن مكحول، و أحمد بن محمد السيلفي، الشيخ أبو الطاهر، و أحمد بن محمد بن غلبون بن الحضار، و أحمد بن محمد بن عبد العزيز المرحى، إلى غيرهم من جملة سبعة عشر رجلا، و الحسن بن محمد الصدفى بن سكرة، و الحسين بن محمد الغساني، و الحسين

بن عبد الأعلى السفاقسى، و الحسن بن على بن طريف، و خلف بن إبراهيم بن النحاس، و خلف بن خلف الأنصارى بن الأنقر، و خلف بن يوسف بن فرتون، و محمد بن عيسى التجيبى القاضى، و محمد بن على بن حمد بن القاضى، و محمد بن أحمد التجيبى القرطبى القاضى ابن الحاج، و محمد بن أحمد بن رشد، و محمد بن سليمان النَّفْزى ابن أخت غانم. و أجازة محمد بن الوليد الطَّروطشى، و محمد بن على بن عمر المازرى، و محمد بن عبد الله المعافى القاضى ابن العربى، و محمد بن عبد الرحمن بن شبرين القاضى، و محمد بن على الأزدي الخطيب الطَّلِيطى، و محمد بن على الشاطبى بن الصقيل، إلى غيرهم من جملة أحد و ثلاثين شيخا، و عبد الله بن محمد الخشنى، و عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى، و عبد الله بن محمد بن أيوب الفهرى، و عبد الرحمن بن محمد السبتي ابن العجوز، و عبد الرحمن بن محمد بن بقى، و على بن أحمد الأنصارى ابن الباذش، و على بن عبد الرحمن التجيبى ابن الأخضر، من جملة من سبعة و عشرين، و غالب بن عطية

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٩٠

المحاربى، و سراج بن عبد الملك بن سراج أبو الحسن، و سفيان بن العاصى الأسدى، من جملة خمسة من الأشياخ فى هذا الحرف، و شريح بن محمد الرعينى الإشبلى، و هشام بن أحمد القرطبى أبو الوليد بن العواد، و هشام بن أحمد الهلالى الغرناطى، و يونس بن محمد بن مغيث بن الصفار، و يوسف بن موسى الكلبى، سمع منه أرجوزته، و يوسف بن عبد العزيز بن عترىس الطليطلى.

شعره: قال: مما كتبت من خطه: [المتقارب]

أعوذ بربى من شر ما يخاف من الإنس و الجنه

و أسأله رحمة تقتضى عوارف توصل بالجنه

فما للخلائق من ناره سوى فضل رحماه من جنه

و من شعره، قال: أنشدني غير واحد من أصحابنا، فوا رحمة الله عليه: [الوافر]

أ ذات الخلّ، كم ذا تنتضيها على سيوف عينيك انتضاء

بمطلقك لى مواعد أقتضيها من التوريد و اللّمس اقتضاء

فقضى وعد مطلقك و انجزيه «خيار الناس أحسنهم قضاء»

قال: و مما كتبت من خطه: [البسيط]

يا من تحمّل عني غير مكترث لكنه للّصني و السقم أوصى بي

تركتني مستهام القلب ذا حرق أخا جوى و تباريح و أوصاب

أراقب النجم فى جنح الدجى ولها كأننى راصد للنجم أو صابى

و ما وجدت لذيد النوم بعدكم إلّا جنى حنظل فى الطعم أو صاب

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٩١

و من ذلك قوله رحمه الله: [البسيط]

الله يعلم أتى منذ لم أركم كطائر خانة ريش الجناحين

فلو قدرت ركبت الريح نحوكم فإنّ بعدكم عني جنى حيني

قال: و كتبت من خطه: [الكامل]

يا راحلين و بالفؤاد تحمّلوا ترى لكم قبل الممات ققول؟

أما الفؤاد فعندكم أنباؤه و لواعج تتابه و غليل

أ ترى لكم علم بمنترح الكرى عن جفن صبّ ليله موصول؟

أودى بعزمة صبره ولبابه طرف أحّم و ميسم مصقول
ما ضرّكم و أضنّكم بتحية يحيى بها عند الوداع قتيل
إن الخليل بلحظه أو لفظه أو عطفه أو وقفه لبخيل

و مما نسبه إليه الفتح و غيره، و من العجب إغفال ولده إياه، قوله يصف الزرع و الشقائق فيه: [السريع]

انظر إلى الزرع و خاماته تحكى و قد ماست أمام الرياح

كثيية خضراء مهزومة شقائق النعمان فيها جراح

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٩٢

نثره: و هو كثير. فمن خطبه، و كان لا يخطب إلّا بإنشائه:

الحمد لله الذى سبق كل شىء قدما، و وسع كل شىء رحمة و علما و نعما، و هدى أوليائه طريقا نهجا أمما، و أنزل على عبده الكتاب، و لم يجعل له عوجا قيما، لينذر بأسا شديدا من لدنه، و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنّ لهم أجرا حسنا، ما كثرين فيه أبدا. أحمده على مواهبه، و هو أحقّ من حمد، و أسأله أن يجعلنا أجمع، ممن حظى برضاه و سعد، و أستعينه على طاعته، فهو أعزّ من استعين و استنجد، و أستهديه توفيقا، فإنّ من يهد الله فهو المهتد، و من يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، و أشهد أن لا إله إلّا الله وحده، لا شريك له، شهادة فاتحة لأقوال قلوبنا، راجحة بأثقال ذنوبنا، منزّهة له عن التشبيه و التمثيل بنا، و أنه تعالى جدّ ربّنا ما اتخذ صاحبة و لا ولدا، و أشهد أن محمدا عبده و رسوله، أنزل عليه الفرقان، و بعثه بالهدى و الإيمان، و أغزى بدعوته دعوة أولياء الشيطان، و أبعدهم مقاعد عن السمع، فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا.

أيها السامع، قد أيقظك صرف القدر من سنة الهوى و تياراته، و وعظك كتاب الله بزواجه و عظاته، فتأمل حدوده، و تدبّر محكم آياته، و اتل ما أوحى إليك من كتاب ربّك لا مبدّل لكلماته، و لن تجد من دونه ملتحدا. أين الذين عتوا على الله، و تعظّموا و استطالوا على عباده و تحكّموا، و ظنّوا أنه لن يقدر عليهم حتى اصطلموا.

و تلك القرى أهلكتنا لما ظلموا و جعلنا لمهلكهم موعدا. غرهم الأمل و كواذب الظنون، و ذهلوا عن طوارق القبر و ريب المنون، و ظنّوا أنهم إلينا لا يرجعون، حتى إذا رأوا ما يوعدون، فسيعلمون من أضعف ناصرا و أقل عددا. فهذبوا، رحمكم الله، سراركم بتقوى الله و اخلصوا، و اشكروا نعمته، و إن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها، و احذروا نعمته و اتقوه. و لا تعصوا، و اعتبروا بوعيده. قُلْ كُلُّ مُرْتَبِصٍ فَتَرْبِصُوا فَسَيَتَلَعْمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصُّرَاطِ السَّوِيِّ وَ مَنْ اهْتَدَى (١٣٥) و انهضوا لطاعته الهمم العاجزة، و اركضوا فى ميدان التقوى، و حوزوا قصب خصله العابرة، و ادخروا ما يخلصكم يوم المحاسبة و المناجزة، و انتظروا قوله: وَ يَوْمَ نَسِيزُ الْجِبَالِ وَ تَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَ حَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) و ذلك يوم تذهل فيه الأبواب، و ترجف القلوب رجفا، و تبدل الأرض و تنسف الجبال نسفا، و لا يقبل الله فيه من الظالمين عدلا و لا صرفا. وَ نَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا و عرضوا على ربّك صفا، لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٩٣

بل زعتم أن لن نجعل لكم موعدا، اللهم انفعنا بالكتاب و الحكمة، و ارحمنا بالهداية و العصمة، و أوزعنا شكر ما أوليت من النعمة. ربنا آتنا من لدنك رحمة، و هيى لنا من أمرنا رشدا.

تواليفه: مما أكمله و قرىء عليه؛ كتاب «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» ستة أجزاء. و كتاب «إكمال المعلم فى شرح مسلم» تسعة و عشرون جزءا. و كتاب «المستنبط على الكتب المدونة و المختلطة» عشرة أجزاء. و كتاب «ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك» خمسة أسفار، و لم يسمعه. و كتاب «الإعلام بحدود قواعد الإسلام». و كتاب «الإلماع فى ضبط الرواية و تقييد السماع» سفر. و كتاب «الزائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد». و كتاب خطبه، سفر.

و كتاب المعجم في شيوخ أبي سكرة. و كتاب الغنية في شيوخه، جزء. و مما تركه في الميضة كتاب «مشارك الأنوار على صحيح الآثار» ستة أجزاء ضخمة، و هو كتاب جليل. و فيه يقول الشاعر: [الطويل]

مشارك أنوار تبدت بسبته و من عجب كون المشارق بالغرب

و كتاب «نظم البرهان على صحة جزم الأذان» جزء. و كتاب «مسألة الأهل المشترط بينهم التزاور» جزء. و مما لم يكمله «المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان».

و كتاب «الفنون الستة في أخبار سبته». و كتاب «غنية الكاتب و بغية الطالب» في الصدور و الترسيل. و كتاب «الأجوبة المحببة، على الأسئلة المتخيرة» وجدت منها يسيرا فضمته إلى ما وجدته في بطائقه و عند أصحابه. يقول هذا ولده من معان شاذة في أنواع شتى سئل عنها، رحمة الله عليه، فأجاب: جمعت ذلك في جزء.

و كتاب أجوبة القرطبيين وجدتها بطابق، فجمعتها مع أجوبة غيرهم. و أجوبته مما نزل في أيام قضائه، من نوازل الأحكام في سفر، و كتاب «سر السراة في أدب القضاء».

نبذ من أخباره: و أولا في ثناء الأعلام عليه؛ قال ولده: أخبرني ابن عمي الزاهد أن القاضي أبا عبد الله بن حمدان كان يقول له وقت رحلته إليه: و حتى، يا أبا الفضل، إن كنت تركت بالمغرب مثلك. و قال: و أخبرني أن أبا الحسين بن سراج قال له، و قد أراد الرحلة إلى بعض الأشياخ: فهو أحوج إليك منك إليه. الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ٤؛ ص ١٩٣

قال: إن الفقيه أبا محمد بن أبي جعفر قال له: ما وصل إلينا من المغرب مثل عياض، و أمثال ذلك كثير، و من دعابته، قال بعض أصحابنا: صنعت أبياتا تغزلت فيها، و التفت إلى أبيك، رضى الله عنه، ثم اجتمع بي، فاستنشدني إياها،

الإحاطة في أخبار غرناطة/ ج ٤/ م ١٣

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٩٤

فوجمت، فعزم عليّ فأنشدت: [الطويل]

أيا مكثرا صدى و لم آت جفوة و ما أنا عن فعل الجفاء براض
سأشكو الذى توليه من سوء عشرة إلى حكم الدنيا و أعدل قاض
و لا حكم بينك أرتضى قضاياه فى الدنيا سوى ابن عياض

قال: فلما فرغت حسن، و قال: متى عرفتنى قوادا يا فلان، على طريق المداعبة. و أخباره حسنة و فضائله جمّة.

مولده: بسبته حسبما نقل من خطه فى النصف من شعبان عام ستّه و سبعين و أربعمائه.

وفاته: توفى بمراكش ليلة الجمعة نصف الليلة التاسعة من جمادى الآخرة من عام أربعة و أربعين و خمسمائه، و دفن بها فى باب إيلان من داخل السور.

عقيل بن عطية بن أبى أحمد جعفر بن محمد ابن عطية القضاى

من أهل طرطوشة، يكنى أبا المجد .

حاله: كان فقيها متطرفا فى فنون من العلم، متقنا لما يتناوله من ذلك، حسن التهدى، من بيت طلب. و قد تقدّم ذكر جدّه الأستاذ. ولى عقيل قضاء غرناطة و سجلماسه.

مشيخته: روى عن أبى القاسم بن بشكوال. قرأ عليه و سمع، و تناول من يده، و أجاز له. و قفت على ذلك بخطه.

شعره: أنشد له فى «الذيل» قوله مما نظمه لجماعة من السادة: [الوافر]

ملوك دون بابكم و قوف سطت بهم الحوادث و الصروف

أذلّهم الزمان و كان قد مالهم راع و حولهم يطوف
غدوا عبرا لمعتبر فسحق الدنيا أمرها أمر سخيف
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٩٥ و طال و حقّ مجدك ما تبدوا و حولهم الغواضب و السيوف
أسود يقدمون أسود حرب و خلفهم العساكر و الصفوف
أتى بهم الزمان إليك قصدا حيارى فيه يعجزهم رغيف
فعطفأ أيها المولى عليهم و قاك السوء باريك اللطيف
فرحمة سيّد قد ذلّ فرض يقول به النبي الهادي الشريف
و ما يرعى الكرام سوى كريم و أنت الماجد الندى العطوف
تواليفه: قال الأستاذ: وقفت على تأليف سماه «فصل المقال، في الموازنة بين الأعمال» تكلم فيه مع أبي عبد الله الحميدى و شيخه أبى
محمد بن حزم، فأجاد فيه و أحسن و أتى بكل بديع، و شرح المقامات الحريرية.
وفاته: فى صفر سنة ثمان و ستمائة.

و من الكتاب و الشعراء

عاصم بن زيد بن يحيى بن حنظلة بن علقمة بن عدى بن محمد التميمى ثم العبادى الجاهلى

يكنى أبا المخشى ، من أهل البيرة.
حاله: كان شاعرا مجيدا، شهير المكان، بعيد الصيت على عهده. قال أبو القاسم: كان من أعلام الجند و مقدميهم. و قال الرّازى: دخل
والده زيد بن يحيى من المشرق إلى الأندلس، و اختطّ بكورة جند دمشق، و شهر ابنه عاصم هذا بالشعر، إذ كان غزير القول، حسن
المعاني، كثير النادر، سبط اللفظ، فاغتنى شاعر الأندلس، و مادح بنى أمية، المخلف فيهم قوافى شعر المديح الشاردة، و قد كان فى
لسانه بذاءة زائدة، يتسرّع به إلى من لم يوافق من الناس، فيقذع هجوهم، و يقذف نساءهم و يهتك حرّمهم. و كان أفّاكا نهابا، لا
يعدم متظّلما منه، و داعيا عليه، و ذاكر له بالسوء، و هو مستهزئ بذلك، جار على غلوائه.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٩٦

محنته: قال : و كان مع ذلك منقطعاً إلى سليمان ابن الأمير عبد الرحمن بن معاوية، كثير المدح له، على أنه ما أخلّى الأمير هشاماً من
مدحه، و هو مع ذلك لا يسأل سخيمته و حقه عليه؛ لانحطاطه فى شعب سليمان أخيه، و بينهما من التنافس و المشاحة ما لا شىء
فوقه. و روى أن الذى هاج غضب هشام عليه، أن قال له الساعى عليه: قد عرّض بك بقوله فى مديح أخيك سليمان فى شعر له فيه
منه :

[الوافر]

و ليس كمثل من إن سيل عرفا يقبّ مقلّة فيها اعورار
و كان هشام أحول، فاغتاظ لذلك. و ركب فيه من المثلة و ركبه، و حقد عليه، إلى أن استدعاه إلى مدينة ماردة، و هشام يومئذ و
اليها فى حياة الأمير أبيه، فخرج إليه أبو المخشى من قرطبة، طامعا فى نائله، غير مرتاب بباطنه، فلما دخل عليه قال له:
يا أبا المخشى، إن المرأة الصالحة التى هجوت ابنها فقدفتها، فأفحشت سبّها، قد أخلصت دعاءها لله فى أن ينتقم لها منك، فاستجاب
لها، و سلّطنى و تأذّن بالاقصاص لها على يدى منك، ثم أمر به فقطع لسانه، و سمّلت عيناه، و عولج من جراحه، فاستقل منها، و عاش
زمناً ممثلاً به. فأما لسانه، فانجبر بعيد وقت إلّا قليلا، و اقتدر على الكلام إلّا تلعثما كان يعترضه، و استمرّ العمى، فعظم عليه مصابه،

فكثرت في شكواه أشعاره. قال: و يذكر أن قصة أبي المخشى في نبات لسانه، لما بلغت مالك بن أنس، أشار إليها في فتواه في التائي بديّة اللسان طمعا في نبتها، و قال:

يتأني بالحكم عاما، فإن نبت أو شيء منه، عمل في ديتته بحسب ذلك، فقد بلغني أن رجلا بالأندلس نبت لسانه أو أكثره بعدما قطع، فأمكنه الكلام.

شعره: قالوا: و بلغ الأمير عبد الرحمن بن معاوية صنيع ابنه هشام بمادحهم أبي المخشى، فسأه و كتب إليه يعنّفه، و أوصل أبا المخشى إليه عند استيلائه بعد حين، فاعتذر إليه و رقّ له، و أنشده بعض ما أحدثه بعد، فكان لا يبين الإنشاد، فينشد له صبيّ كان قد علّمه و درّبه، فأنشده قصيدته التي وصف فيها عماء و أولها :

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٩٧

[الرمل]

خضعت أمّ بناتي للعدى إذ قضى الله بأمر فمضى
و رأت أعمى ضريرا إنمامشيه في الأرض لمس بالعصا
فبكت وجدا و قالت قوله و هي حزى بلغت منى المدى
ففؤادى قرح من قولها: ما من الأدواء داء كالعمى
و إذا نال العمى ذا بصر كان حيا مثل ميت قد ثوى
و كأنّ الناعم المسرور لم يك مسرورا إذا لاقى الردى
عانى بالقرب و هنا طرب يتنّج في الحمى
..... كيف يعتاد الصبا من لا يرى
أبصرت مستبدلا من طرفه قائدا يسعى به حيث سعى
بالعصا إن لم يقده قائد و سؤال الناس يمشى إن مشى
و إذا ركب دنوا كان لهم هوجلا في المهمة الخرق الصوى
لم يزل في كلّ مخشى الردى يصطلى الحرب و يجتاب الدّجى
امتطيناها سمانا بدنا فتر كناها نضاء بالفنا
و ذرينى قد تجاوزت بهامهما فقرا إلى أهل الندى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٩٨ قاصدا خير مناف كلها و مناف خير من فوق الثرى

و هى طوبلة. و من شعره فى الواقعة بأبى الأسود الفهرى ، و كانت عظيمه من أعظم فتوحات الأمير عبد الرحمن : [الكامل]

ما ذا تسائل عن مواقع معشر أودى بهم طلب الذى لم يقدر
رشد الخليفة إذا غووا فرماهم بالموبدّى الجهم و المتأزّر
فغدا سليمان السّماح عليهم كالليث لا يلوى على متعذّر
غاداهم متقنعا فى مأزق بالموت مرتجس العوارض ممطر
أما سليمان السّماح فإنه جلىّ الدّجى و أقام ميل الأصعر
و هو الذى ورث الندى أهل الندى و محا مغنّه يوم وادى الأحمر
بعدا لقتلى بالمجانص أصبحت جيّفا تلوح عظامها لم تقبر
فالليل فيها للذئاب فرائس و نهارها وقف لنهش الأنسر

أفناهم سيف مبير صارم فى قسطلونه بل بوادى الأحمر
فلتر كبتك ما هربت مخافه منه فقح يا ابن اللقيطة أو طر
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ١٩٩

وفاته: قال ابن حيان: قرأت بخط عبادة الشاعر، قال: عمّر أبو المخشى بعد محنته الشنعاء حتى لحق دوله الأمير عبد الرحمن ، فوالى بين
مديح أربعة أمراء ، ما بينه وبين جدّه عبد الرحمن بن معاوية الأمير الداخل. و توفى بعد ذلك قريبا من تاريخ الثمانين و المائة ، و بعد
عليه لحاق دوله الأمير عبد الرحمن لهذا التاريخ.

و من الأصليين من ترجمة المحدثين الفقهاء و الطلبة النجباء

عيسى بن محمد بن أبى عبد الله بن أبى زنين المرى

يكنى أبا الأصبع، من أهل البيرة.
حاله: نبيه القدر، و روى عن شيوخ بلده.
حاله: توفى بعد الأربعمائه. قلت: قد اعتذرت، و تقدم الاعتذار فى إثبات من أثبته من هذا البيت فى هذا الاختصار من هذا النمط،
فليظن هنالك إن شاء الله.

عيسى بن محمد بن عيسى بن عمر بن سعادة الأموى

لوشى الأصل، غرناطى الاستيطان و القراءة، يكنى أبا موسى، الشيخ الطيب بالدار السلطانية.
حاله: من «عائد الصلة»: بقيه أهل العلم، و نسيج وحده فى لين الجانب، و خفض الجناح، و حسن الخلق، و بذل التواضع، ممتع من
معارف قديمة، بين طلب و تعليم، على حال تدين و التزام سنّه، أقرأ الطّب، و خدم به الدار السلطانية، و ولى القضاء بلوشة بلده.
مشيخته: قرأ على الأستاذ أبى عبد الله الرقوى المرسى و لازمه، و أخذ عن أبى الحجاج بن خالصون، و أدرك أمه من صدور العلماء.
تواليفه: له تأليف كبير متعدد الأسفار سماه كتاب «القفل و المفتاح، فى علاج الجسوم و الأرواح»، تضمّن كثيرا من العلم الطبى و ما
يتعلق به، رأيت أجزاء من مسودته بيد ولده.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٠٠

وفاته: توفى بغرناطة ليلة السبت الخامس عشر لجمادى الآخرة عام ثمانية و عشرين و سبعمائة.
حرف الغين من الأعيان

غالب بن أبى بكر الحضرمى

من أهل غرناطة، يكنى أبا تمام، و يعرف بابن الأشقر.
حاله: كان قائدا جزلا مهيبا، مليح التجنّد، معروف الدربة و الثقافة، مشهور الفروسيه، ظريف الشكل، رائق الرّكبة، حسن الشّيبه، صليب
العود، مرهوب السطوة، ولى قيادة العسكر زمانا طويلا، فوقع الإجماع على أهليته لذلك؛ تميزا للطبقات، و انتهاضا بالخدمة، و إنفاذا
للعزمه، و معرفه بالعوائد، و اقتدارا على السهر فى تفقد المسالحو، و اختبار المراصد، و اختيار الحرس، و تنظيم المصاف، و إمساك
السّيقة ممن يرجع إلى حصيف رأيه، و يركن إلى يمن حنكته، و يعترف بحقه. لقي الجند منه ضغطا لا ضلّاعه باستخدامهم، و جعل

العقاب من وراء تقصيرهم؛ فقد كان بعض نقبائه يحمل معه مقصاً لإيقاع المثلثة بذقون مضيعة المسلحة أو متهيبي الملحمة. ولما أوقع بالسلطان أمير المسلمين أبي الوليد قرابته بباب داره بما هو مشهور، نمي عنه أنه اخترط سيفه. وكان ممن أئخن الوزير يومئذ جراحة لا يعلم؛ أحيرة وغلطا، أم تواطأ وقصدا، فقد كان من مرج الناس يومئذ، و أعمال بعضهم السلاح في بعض ما هو معلوم، فعزل عن الخطء، و سئم خطء الخمول، ففقد مكانه من العناء، و اضطر إليه.

وفاته: توفى بغرناطة عشية يوم الخميس الثاني والعشرين لشوال عام سبعة و عشرين و سبعمائة، و دفن قرب باب إلبيرة.

و من المقرين

غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام ابن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن خفاف ابن أسلم بن مكتوم المحاربي، أبو بكر

حاله: كان من أهل العلم والعمل، مقرئنا فاضلا، راوية، حج و روى، و كف بصره في آخر عمره.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٠١

مشيخته: قرأ القرآن بالسبع على أبي الحسن بن عبد الله الحضرمي، و درس الفقه و ناظر فيه على سعيد بن خلف بن جعفر الكناني. و روى عن أبي علي الغساني، و عن أبيه عبد الرحمن بن غالب، و أبي عمر بن عبد البر، الإمام الحافظ.

من روى عنه: حدّث عنه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن أبي الخصال، و أبو عبد الله بن عبد الرحيم القاضي، و عبد الله بن طلحة بن أحمد بن عطية.

شعره: قال يحذر من أبناء الزمن: [الرملة]

كن بذيا صائد مستأنساو إذا أبصرت إنسانا ففر

إنما الإنسي بحر ما له ساحل فاحذره إياك الغرر

و اجعل الناس كشخص واحد ثم كن من ذاك الشخص حذر

و له رحمه الله: [الكامل]

كيف السلو ولي حبيب هاجرقاسي الفؤاد يسومني تعذيا

لما درى أن الخيال مواصلي جعل الشهاد على الجفون رقبيا

مولده: ولد سنة إحدى و أربعين و أربعمائة.

وفاته: توفى ليلة الجمعة لسبب بقين من جمادى الآخرة سنة ثمانى عشرة و خمسمائة.

غالب بن حسن بن غالب بن حسن بن أحمد بن يحيى ابن سيد بونه الخزاعي

يكنى أبا تمام.

أوليته و حاله: أصل سلفه من بونه من بلد إفريقية، و استوطن جدّه بالأندلس قرية زنيته من وادي لسته شرقي الأندلس من عمل قسنطينة، و ملك فيها

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٠٢

أموالا عريضة. و لما ظهر سبطه ولي الله أبو أحمد شيخ المريدين بذلك الصقع، و ظهرت عليه البركات، و شهدت بولايته الكرامات، غمرتهم بركته، و نوهت بهم شهرته، إلى أن استولى العدو على تلك الجهات، بعد وفاة الشيخ، رضى الله عنه، فهاجرت ذريته إلى غرناطة، بعد استيطانهم مدينة أش، و بنوا بالربض المعروف برض البيازين، و اقتطعوا و امتطوا، و اتخذوا دار إقامة، و انتشرت به

نحلتهم الإرادية، و انضم إليهم من تبعهم من جالية أهل الشرق، و تقدّم هذا الشيخ بعد، شيخا و يعسوبا و قاضيا و خطيبا به، بعد خاله، رحمه الله، فقام بالأعباء، سالكا سنن الصالحين من أهل الجلد و الجدّة و القوة و الرجولة، من الإيثار و المثابرة على الرباط، و الحفوف إلى الجهاد، كان مليح الشّيبه، كثير التخلّق، جَمّ التواضع، مألّفا للغرباء، مبدول البشر، حسن المشاركة، رافضا للتصنّع، مختصر المطعم و الملبس، بقيه من بقايا الجلّة، معتمدا في مجالس الملوك بالتجلّة.

مشيخته: يحمل عن والده أبي علي، و عن خاله، و عن الخطيب أبي الحسن ابن فضيله، و غيرهم.

تواليفه: له تأليف في تحريم سماع اليراعة المسماة بالشّبابه، و على ذلك درج جمهورهم.

مولده: في ذي القعدة من عام ثلاثه و ثلاثين و خمسين و ستمائة.

وفاته: توفي في عاشر شوال من عام ثلاثه و ثلاثين و سبعمائة، و كان الحفل في جنازته يشدّ عن الوصف، و دفن بمقبرتهم.

غالب بن علي بن محمد اللخمي الشقوري

من أهل غرناطة، يكنى أبا تمام.

حاله: كان من أهل الفضل و الدّمائه، حسن الخلق، و سيم الخلق، مليح الانطباع، مستطرف الأغراض، من بيت كسب و خيريه. رحل في شبيبته إلى المشرق، فحجّ، و قرأ الطب بالمارستان من القاهرة المعزّيه، و حذق العلاج على طريقه المشاركة، و أطرف بكثير من أخبارهم، و انتصب للمداواة بيجايه بعد مناظره لها

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٠٣

حكاية. و قدم على بلده، فنبه به قدره، و استدعى إلى باب السلطان فخدم به، ثم تحول إلى العدو، فاتصل بخدمة ملكها السلطان أمير المسلمين أبي سعيد، مسوّا ما شاء من قبول، و لطف محلّه عنده؛ لانطباعه و لين عريكته و تأنيه لما يوافق غرضه من سبيل الفكاهه، و ولى الحسبه بمدينة فاس، و أثرى و حسنت حاله. و كان مثالا لأهل بلده، موصوفا بالجود و بذل المشاركة لمتغزبيهم.

و له تواليف طيبه، كان لا-يفتر عن الاشتغال بها، بحسب ما فتح له من الإدراك، فمنها نبيل و وييل. و لمّا انتقل الأمر إلى أمير المسلمين أبي الحسن، وصل جبل رعيه، طاويا بساط الهزل في شأنه، و اتصلت خدمته إياه إلى حين وفاته.

وفاته: توفي في أوائل عام أحد و أربعين و سبعمائة بسبته، عند حركة أميره المذكور إلى الجواز للأندلس برسم الجهاد، الذي محصه الله فيه بالهزيمة الكبرى.

مولده: ...

حرف الفاء الأعيان و الكبراء

فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر

الرئيس الجليل، أبو سعيد، و كان حقّه أن يفرد له باب في الأمراء، لكنه الأبواب المتعدده الأسماء، تؤثر فيها الجمع و الاختصار كما شرطنا.

أوليته: معروفة؛ و كان والده، رحمه الله، صنو أمير المسلمين الغالب بالله أبي عبد الله، و آثره بمدينة مالقة و ما يرجع إليها، عند تصير الملك إليه أو بعده. و كان دونه في السنّ، فاستمرت أيامه بها إلى أن توفي، رحمه الله، و تصير أمره إلى الرئيس أبي محمد بن إشقيلوله، و تخللت ذلك الفتن، حسبما وقع الإلماع به، و تصير أمرها إلى ملوك المغرب. ثم لما انجلت الحال عن عودتها إلى الملك النصري، ولى عليها الرئيس أبا سعيد، و مكّنه من ميراث سلفه بها، و هو كما استجمع شبابه، و عقد له

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٠٤

على ابنته الحرّة لباب الملك، فقام بأمرها خير قيام، و ثبت لزلزال الفتنة، حسبما هو مذكور في موضعه.

حاله: كان هذا الرئيس نسيج وحده في الحزم و الجزالة و فخامة الأحوال، مما يرجع إلى الفتية. ناغى السلطان ابن عمّه في اقتناء العقار، و تخليد الآثار، فيما يرجع إلى الفلاحة و الاعتماد و الازدياد و الاستكثار، و أربى عليه بإنشاء المراكب الكبار، فعظمت غلاته، و ضاقت المسارح عن سائمته، و غصت الأهراب بحبويه، و سالم الخرج دخل ماله، فبذّ الملوك جدّه و يسارا، تقتحم العين منه ظاهرا ساذجا، غفلا من الزينة و التصنّع، في طيه ظرف و ذكاء و حنكة و حلاوة، جهوريا، مرسل عنان النّادرة، باذلا النصفه، مهيب السّيطا، خصيب المائدة، شهير الجلالة، بعيد الصيت. ولى مالمّة عام سبعة و سبعين و ستمائة، فعانى بها الشّدّة و اللّيان، حتى رسخت بها قدمه، و طالت لأهلها صحبته، و عظم بها قراره و عساكره، و أينت غرسانه، و نمت متاجره، و تبنكت النّعيم حاشيته، و أضيفت إليه الجزيرة الخضراء، فاتسعت العمالة، و انفسحت الخطّة، إلى أن كان من تغلبه على مدينة سبتّه، و استيلائه عليها، مما وقع الإلماع به في موضعه من هذا الكتاب، في شهر شوال عام خمسة و سبعمائه، فساس رعيتها، و تملك جبالها، و شنّ الغارة على ما وراءها، و تملك القصر المضاف لها، و لم يزل نظره عليها، إلى أواخر ذى قعدة من عام ثمانية و سبعمائه، فصرف عنها، و جهل قدره، و أوغر صدره، و أوغر للولاء بالتضييق على حاشيته، فدعا بمالمّة إلى نفسه في شهر شعبان من عام أحد عشر و سبعمائه، و قدّم لطلب الملك ولده إسماعيل، و سمّاه السلطان، و ربّ له الألقاب، و دوّن الدواوين، فنزع إليه الجند، و انضافت إلى عمالته الحصون. ثم وقعت المهادنة، و أعقبتها المفاتنة، و كان من أمره ما وقع التّنبية على عيون منه في ذكر ولده.

نكبت: و لمّا استأصلت القطيعة محتججه الراكد في مغابن الخزائن من لدن عام سبعة و سبعين و ستمائة، و استنفدت عتاده المطاوله، نظر لنفسه فوجه كاتبه الوزير أبا عبد الله بن عيسى، و عاقده على الخروج له عن مالمّة، متعوّضا عنها بمدينة سلا من عمل ملك المغرب، و تمّ ذلك في شهر رمضان من عام ثلاثة عشر و سبعمائه، و ذاع خبره، و ضاقت بأولياء انتزائه السّبل، إذ تحقّقوا بإخفاق المسعى، و سقوط العشيّ بهم على سرحان من سلطانهم الراغبين عنه، فدخلوا ولده المقدّم الأمر، أبا الوليد، و اتفق أمرهم على خلعه، و معاجلة الأمر قبل تمامه، في ... من شهر رمضان، ركب

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٠٥

الرئيس، رحمه الله، في نفر من مماليكه المروقة إلى بعض بساتينه، فلمّا قضى وطره، و همّ بالخروج عنه، اعترضه القوم عند بابه، فالتفوا به، و أشعروه غرضهم فيه، و جاءوا به إلى بعض القصور بظاهر البلد، فجعلوه به تحت رقبة، و قد بادر ولده القصبه، فاستولى عليها من غير ممانعة؛ لعدم استرابة ثقاته به، إلّا ما كان من خائن يتولّى القيام ببعض أبوابها همّ بسده، فطاح لحينه، و تمّ لولده الاستبداد بالأمر، و استولى على النّصب و الذخيرة و باقى المال، و نقل الرئيس إلى معقل قرطبة، فلمّا خلص الأمر لولده، انتقل إلى معقل شلوبانية، فلم يزل به لا يبرح عن باب قصره، مرفّها عليه إلى أن قضى نجه.

وفاته: في الرابع عشر لشهر ربيع الأول من عام عشرين و سبعمائه، توفى، رحمه الله، بشلوبانية، و جرى بجنازته محمولا على رؤوس صدور الدولة و وجوه رجالها، متناغين في لباس شعار الحزن بما لم يتقدّم به عهد، و دفن بمقبرة الشّبيكة، و ولده أمير المسلمين واقف بإزاء لحده، مظهر الاكتراث لفقدته، و على قبره الآن مكتوب نقشا في الرخام البديع ما نصّه:

«هذا قبر علم الأعلام، و عماد دين الإسلام، جواد الأجواد، أسد الآساد، حامى الثغور و ممهد البلاد، المجاهد في ذات الله حقّ الجهاد، شمس الملك و بدره، و عين الزمان و صدره، الكريم الأخلاق، الطاهر الذات و الأعراق، الذى سار ذكره في الآفاق، و خلّد من فضائله ما تتحلّى به ظهور المنابر و بطون الأوراق، كبير الإمامة النّصريّة، و عظيم الدولة الغالبية، فرع الملك و أصله، و من وسع الأنام عدله و فضله، مخلد الفخر الباقي على الأعصار، و العمل الصالح الذى ينال به الحسنى و عقبى الدار، بسلالته الطاهرة الكريمة المآثر و الآثار، الإمام الرضى ناصر دين المختار، المنتخب من آل نصر و نعم النسب الكريم فى الأنصار، الهمام، الأكبر، الأشهر، المقدم،

المرحوم، الأطهر، أبو سعيد بن الإمام الأعلى، ناصر دين الإيمان، و قاهر عبدة الصلبان، صنو الإمام الغالب بالله، و مجهز الجيوش في سبيل الله، سهام العدا، و غمام التدي، و ضرغام الحروب، ذى البأس المرهوب، و الجود المسكوب، بطل الأبطال، و مناخ الآمال، المجاهد، الظاهر، المقدس، المرحوم، أبى الوليد بن نصر، قدس الله مضجعه، و رقه إلى الرفيق الأعلى و رفعه. كان، رضى الله عنه، و حيد عصره، و فريد دهره، علت في سماء المعالى رتبه، و كرم من أمير المسلمين صهره و نسبه، فلا يزاحم مكانه، و لا يدانى منصبه، نفذت أحكامه في الشرق و الغرب، و مضت أوامره في العجم و العرب، إلى أن استأثر الله به، فكانت وفاته ليلة الخميس الرابع عشر لشهر ربيع الأول من عام عشرين و سبعمائة، و كان مولده يوم الجمعة

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٠٦

الثامن لشهر رمضان المعظم من عام ست و أربعين و ستمائة، فسبحان الله الملك الحق، الباقي بعد فناء الخلق: [الطويل]
سلام على قبر المكارم و المجد مقام الرضى و الفوز و البشر و السعد
مثابة إحسان و معهد رحمته و مستودع العلياء و السرّ و العدّ
فيا أيها القبر الذى هو روضة تفوح شذى أذكى من المسك و التّد
لك الفضل إذ حملت أراضى أمانة تؤدّى يا كرام إلى جنّة الخلد
ففيك من الأنصار من آل نصرهم همام كريم الذات و الأب و الجدّ
و قسم أمير المسلمين ابن عمّه و نخبه بيت الملك واسطة العقد
و حامى ذمار الدين ناصره أبو سعيد عماد الملك فى الحلّ و العقد
ليكى أمير العدوتين بواجب من الحق أبناء الوغى و بنو الرّفد
و تبكى بلاد كان مالك أمرها أفاض بها التّعماء سابعه الورد
أقام بها العدل و الفضل سنّه يانصاف مستعد و إسعاف مستجد
و تبكى أسى ملء العيون لفقده و بالحق لو فاضت نفوس من الوجد
فيا أيها المولى الذى لمصابه بدا الحزن حتى فى المطهّمه الجرد
لك الله ما أعلى مكارمك التى تسير بها الركبان فى الغور و التّجد
و حسبك أن أورثت خير خليفه و أبديت منه للورى علم الرّشد
إمام هدى أعماله لهى رحمة تنال بها الرّلقى من الصّمد الفرد
عليك من الرحمن أزكى تحية توفّيك من إحسانه غاية القصد

فرج بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر

الأمير أبو سعيد، ولد أمير المسلمين ثانى الملوك النصريين، ابن الغالب بالله.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٠٧

حاله: كان أميراً جليلاً جميلاً، بلغ الغاية فى حسن الصورة، و فضل الفروسيه على صغر سنّه، و كان زناتى الشكل و الركض و الآله، عروس الميدان، و جلس الخيل، يؤثر من شجاعته و ثبات موقفه على الغرارة، و عدم الحنكة، أنه أنشبت فى اتباع خنزير ضخّم الكراديس، عظيم الناب، عريض الغبطة، طرح نفسه عليه فى ضحاح؛ لفضل شجاعته، فكبا به الطرف، و استقبله ذلك الخنزير الفحل صامداً، فاستقلّ، زعموا، من السيّقطه، و قد اخترط سيفاً عضبا كان يتقلّده، و سبقه بضربه تحت عينيه، أبانت فكّيه، و أطارت محلّ سلاحه، و خالطه مع ذلك أعزل، فلم يغن، و تلاحق به فرسانه، و قد يشسوا من خلاصه، فرأوا ما بهتوا له، و بشر بذلك أبوه، فملاً عينه

قرّة، و كان يولع منه بفرع ملك، و صقر بيت، و سيف دولة. أسف بذلك وليّ العهد كبيره، فاعتبط لأيام من تصير الأمر إليه. وفاته: توفي مغتالا في الأول من عام اثنين و سبعمائة. مولده: عام ستّة و ثمانين و ستمائة.

فرج بن محمد بن يوسف بن محمد بن نصر

الأمير أبو سعيد، ولي عهد السلطان الغالب بالله. حاله: كان هذا الأمير فاضلا ذكيا، من أهل الأدب و التّبل، قام الأدب في مدته على ساق، ولّاه أبوه الغالب بالله عنده، و أمّله لمكانه لو أنّ الليالي أمهله. شعره: و أدبه مما ينسب إليه بالأندلس، و هو عندي ما يبعد قوله: [الطويل] أيا ربه الحسن التي سلبت منك على أي حال كنت لا بد لي منك فأما بذلّ و هو أليق بالهوى و إمّا بغرّ و هو أليق بالملك و كان ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الحكيم، رحمه الله، يقول: أخبرني كاتب هذا الأمير، و هو الوزير أبو عبد الله بن القصيرة الإشبيلي بتونس قال: نظم الأمير بيتا و طلبني بإجازته، و أن يكون المنظوم مشوب بالنسيب بالفخر. و البيت: [الطويل] أرقت لبرق بالسّيكة لا الخيف و إن كان فيه ما أحاذر من حتف فقلت مجيزا: [الطويل] تجور على قلبي لواحظ عادة بأنفذ من عزمي و أقطع من سيف الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٠٨ ولي هزّة نحو الوصال أو اللقاكهزة آبائي الكرام إلى الضيف أبيض و فيض في الجفون و بالحشافأشكو بحالي في الشتاء و في الصيف لعمرى لقد و في العلا حقّ مفخرى لو اني في الدنيا مرادى أستوفى قال: و استحسّن ذلك و وقع عليه كاتبه، يعني بذلك نفسه. وفاته: عصر يوم الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجّة سنه ثلاث و خمسين و ستمائة، ابن خمس و عشرين سنه.

و من الكتاب و الشعراء

الفتح بن علي بن أحمد بن عبيد الله الكاتب المشهور

من قرية تعرف بصخرة الواد من قرى قلعة يحصب، يكنى أبا نصر، و يعرف بابن خاقان. حاله: كان آية من آيات البلاغة، لا يشقّ غباره، و لا يدرك شأوه، عذب الألفاظ ناصعها، أصيل المعاني وثيقها، لعوبا بأطراف الكلام، معجزا في باب الحلّي و الصفات، إلّا أنه كان مجازفا، مقدورا عليه، لا يملّ من المعاقرة و القصف، حتى هان قدره، و ابتذلت نفسه، و ساء ذكره، و لم يدع بلدا من بلاد الأندلس إلّا دخله، مسترفدا أميره، و واغلا على عليته. قال الأستاذ في «الصلة»: و كان معاصرا للكاتب أبي عبد الله بن أبي الخصال، إلّا أنّ بطالته أخلدت به عن الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٠٩

مرتبته. و قال ابن عبد الملك: دخل يوما إلى مجلس قضاء أبي الفضل عياض مخمرا، فتنسّم بعض حاضري المجلس رائحة الخمر، فأعلم القاضي بذلك، فاستثبت، و حدّه حدّا تاما، و بعث إليه بعد أن أقام عليه الحدّ، بثمانية دنانير و عمامة. فقال الفتح حينئذ لبعض

أصحابه: عزمت على إسقاط اسم القاضي أبي الفضل من كتابي الموسوم بـ «قلائد العقيان» قال: فقلت: لا تفعل، و هي نصيحة، فقال: وكيف ذلك؟ فقلت له: قضيتك معه من الجائر أن تنسى، و أنت تريد أن تتركها مؤرخة، إذ كل من ينظر في كتابك يجدك قد ذكرت فيه من هو مثله و دونه في العلم و الصيت، فيسأل عن ذلك، فيقال له، [أتفق معك كيت و كيت] فيتوارث العلم عن الأكابر الأصاغر، قال: فتبين له ذلك، و علم صحته و أقر اسمه .

و حدثني بعض الشيوخ أن سبب حقه على ابن باجة أبي بكر ، آخر فلاسفة الإسلام بجزيرة الأندلس، ما كان من إزرائه به، و تكذيبه إياه في مجلس إقراءه، إذ جعل يكثر ذكر ما وصله به أمراء الأندلس، [و يذكر الفخر بذلك] ، و وصف حليا، و كانت تبدو من أنفه فضله خضراء اللون. زعموا ، فقال له: فمن تلك

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢١٠

الجواهر إذن الزمردة التي على شاربك؟ فثلبه في كتابه بما هو معروف في الكتاب .
و على ذلك فأبو نصر نسيح وحده، غفر الله تعالى له.

مشيخته: روى عن أبوى بكر: ابن سليمان بن القصيرة، و ابن عيسى ابن اللبانه، و أبى جعفر بن سعدون الكاتب، و أبى الحسن بن سراج، و أبى خالد بن مستقور ، و أبى الطيب بن زرقون، و أبى عبد الله بن خلسة الكاتب، و أبى عبد الرحمن بن طاهر، و أبى عامر بن سرور، و أبى محمد بن عبدون، و أبى الوليد بن حجاج، و ابن دريد الكاتب.

توالمفه: و مصنفاته شهيرة: منها «قلائد العقيان»، و «مطمح الأنفس»، و «المطمح» أيضا . و ترسيه مدون، و شعره وسط، و كتابته فائقة.
شعره: من شعره قوله، و ثبت في قلائده، يخاطب أبا يحيى ابن الحجاج :

[الطويل]

أكعبه علياء و هضبة سؤدد و روضة مجد بالمفاخر تمطر
هنيئا لملك زان نورك أفته و فى صفحتيه من مضائك أسطر
و إنى لخفاق الجناحين كلما سرى لك ذكر أو نسيم معطر
و قد كان واش هاجنا لتهاجر فبت و أحشائي جوى تتفطر
فهل لك فى ودّ ذوى لك ظاهرا و باطنه يندى صفاء و يقطر
و لست بعلق بيع بخسا و إننى لأرفع أعلق الزمان و أخطر
فروجع عنه بما ثبت أيضا فى قلائده ممّا أوله: [الطويل]

ثبت، أبا نصر، عنانى، و ربّما ثنت عزمة السهم المصمّ أسطر
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢١١

نثره: و نثره شهير، و ثبت له من غير المتعارف من السلطانيات ظهيرا كتبه عن بعض الأمراء لصاحب الشرطة، و لا خفاء بإدلاله و براعته: كتاب تأكيد اعتناء، و تقليد ذى منة و غناء، أمر بإنفاذه فلان، أيده الله تعالى ، لفلان ابن فلان صانه الله تعالى ، ليتقدم لولاية المدينة بفلان و جهاتها، و يصرخ ما تكاثف من العدوان فى جنباتها، تنويها أحظاه بعلائه، و كساه رائق ملائه، لما علمه من سنائه، و توسّجه من غنائه، و رجاه من حسن منابه، و تحقّقه من طهارة ساحته و جنباه، و تيقّن - أيده الله تعالى ! أنه مستحق لما ولّاه، مستقل بما تولّاه، لا - يعتره الكسل، و لا - يثنيه عن إمضاء الصوارم و الأسل، و لم يكمل الأمر منه إلى و كل ، و لا ناطه مناط عجز و لا فشل، و أمره أن يراقب الله تعالى فى أوامره و نواهي، و ليعلم أنه زاجره عن الجور و ناهيه، و سائله عمّا حكم به و قضاه، و أنفذه و أمضاه، يوم لا تمليك نفس لِنَفْسٍ شَيْئاً وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩) فليتقدم لذلك بحزم لا يحمّد توقّده، و عزم لا ينفد تفقّده، و نفس مع الخير ذاهبه، و على سنن البرّ و التقوى راكبه، و يقدم للاحتراس من عرف اجتهاده، و علم أرقه فى البحث و سهاده، و حمدت أعماله، و أمن تفريطه

و إهماله، و يضمّ إليهم من يحذو حذوهم، و يقفو شأوهم، ممّن لا- يستراب بمناحيه، و لا- يصاب خلل في ناحية من نواحيه، و أن يذكي العيون على الجناة، و ينفي عنها لذيق السينات، و يفحص عن مكانهم، حتى يغصّ بالروع نفس آمنهم، فلا يستقرّ بهم موضع، و لا يقترّ منهم محبّ و لا موضع، فإذا ظفر منهم بمن ظفر بحث عن باطنه، و بثّ السؤال في مواضع تصرفه و موطنه، فإن لاحت شبهة أبقاها الكشف و الاستبراء، و تعدّاهما البغي و الافتراء، نكّله بالعقوبة أشدّ نكال، و أوضح له منها ما كان ذا إشكال، بعد أن يبلغ أنه، و يقف على طرف مده، و حدّ له ألا يكشف بشرة إلا في حدّ يتعيّن، و إن جاءه فاسق أن يتبيّن، و أن لا يطمع في صاحب

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢١٢

مال موفور، و أن لا يسمع من مكشوف في مستور، و أن يسلك السنن المحمود، و ينزّه عقوبته من الإفراط و عفوه من تعطيل الحدود. و إذا انتهت إليه قصّة مشكّلة أخرها إلى غده، فهو على العقاب أقدر منه على ردّه، فقد يتبيّن في وقت ما لا يتبيّن في وقت، و المعالجة بالعقوبة من المقت، و أن يتعمّد هفوات ذوى الهيئات، و أن يستشعر الإشفاق، و يخلع التّكبر فإنه من ملابس أهل النفاق، و ليحسن لعباد الله اعتقاده، و لا يرفض زمام العدل و لا مقاده، و أن يعاقب المجرم قدر زلّته، و لا يعتزّ عند ذلّته، و ليعلم أنّ الشيطان أغواه، و زين له مثواه، فيشفق من عثاره، و سوء آثاره، و ليشكر الله على ما وهبه من العافية، و أكسبه من ملابسها الضّافية، و يذكره جلّ و تعالى في جميع أحواله، و يفكر في الحشر و أهواله، و يتذكّر و عدا ينجز فيه و وعيدا يوم تجد كل نفس ما عملت من خيرٍ مخضراً و ما عملت من سوءٍ تودّ لو أنّ بينها و بينه أمّداً بعيداً. و الأمير أيده الله، وليّ له ما عدل و أقسط، و برىء منه إن جار و قسط. فمن قرأه فليقف عند حدّه و رسمه، و ليعرف له حقّ قطع الشّرّ و حسمه، و من وافقه من شريف أو مشروف، و خالفه في شيء منكر أو أمر بمعروف، فقد تعرّض من العقاب لما يذيقه و بال خبله، و لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله. و كتب في كذا.

وفاته: بمراكش ليلة الأحد لثمان بقين من محرم من عام تسعة و عشرين و خمسمائة، ألفى قتيلا- بيت من بيوت فندق لبيب أحد فنادقها، و قد ذبح و عبث به، و ما شعر به إلا بعد ثلاث ليال من مقتله.

و من المقرئين و العلماء

فرج بن قاسم بن أحمد بن لب التّغلبى

من أهل غرناطة، يكنى أبا سعيد.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢١٣

حاله: هذا الرجل من أهل الخير و الطهارة، و الزّكا و الديانة، و حسن الخلق. رأس بنفسه، و حلّى بفضل ذاته، و برز بمزية إدراكه و حفظه، فأصبح حامل لواء التحصيل عليه بدار الشورى، و إليه مرجع الفتوى ببلده، لغزارة حفظه، و قيامه على الفقه، و اضطلاع بالمسائل، إلى المعرفة بالعربية و اللغة، و المران في التوثيق، و القيام على القراءات، و التبريز في التفسير، و المشاركة في الأصلين و الفرائض و الأدب. جيد الخط، ينظم و ينثر. قعد ببلده للتدريس على وفور المسجد. ثم استقلّ بعد، و ولى الخطابة بالمسجد الأعظم، و أقرأ بالمدرسة التّصريّة، في ثامن و عشرين من رجب عام أربعة و خمسين و سبعمائة، معظماً عند الخاصة و العامة، مقرونا اسمه بالتسويد. و هو الآن بالحالة الموصوفة.

مشيخته: قرأ على الخطيب المقرئ، شيخنا أبي الحسن القيجاطى، و الخطيب الصالح الفاضل أبي إسحاق بن أبي العاصى، و القاضى العدل المحدث العالم أبي عبد الله بن بكر، و لازم الشيخ الفقيه أبا عبد الله البيانى، و أخذ العربية عن شيخ العصر أبي عبد الله بن الفخار، و روى عن الشيخ الرحال الراوية أبي عبد الله محمد بن جابر بن محمد القيسى الوادى آشى، و غيرهم.

شعره: من شعره في غرض النسب قوله: [الطويل]

خذوا للهوى من قلبى اليوم ما أبقي فما زال قلبى للهوى كلّ رقّا
دعوا القلب يصلى فى لظى الوجد ناره فنار الهوى الكبرى و قلبى هو الأشقى
سلوا اليوم أهل الوجد ما ذا به لقوا فكلّ الذى يلقون بعض الذى ألقى
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢١٤ فإن كان عبد يسأل العتق مالكا فلا أبتغى من مالكى فى الهوى عتقا
بدعوى الهوى يدعو أناس و كلهم إذا سئلوا طرق الهوى جهلوا الطرّقا
فطرق الهوى شتى و لكنّ أهله يحوزون فى يوم الزهان بها سبقا
فكم جمعت طرق الهوى بين أهله و كم أظهرت عند السرى بينهم فرقا
بسيما الهوى تسمو معارف أهله فحيث ترى سيما الهوى فاعرف الصدقا
فمن زفرة تزجى سحائب زفرة إذا زفرة ترقى فلا عبرة ترقا
إذا سكتوا عن وجدهم أعربت بهم بواطن أحوال و ما عرفت نطقا
و من منظومه فى وداع شهر رمضان المعظم قوله: [الطويل]
أ زمعت يا شهر الصيام رحيلًا وقاربت يا بدر التمام أفولا؟
أجدك قد جدت بك الآن رحلةً ورويدك أمسك للوداع قليلا
نزلت فآزمت الرحيل كلما نويت رحيلًا إذ نويت نزولا
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢١٥ و ما ذاك إلّا أنّ أهلك قد مضواتفانوا فأبصرت الديار طولوا
وقفت بها من بعدهم فعل ناد لربح خلا يبكى عليه خليلا
لقد كنت فى الأوقات ناشئة التقى أشدّ به وطأ و أقوم قبلا
و لما انجلى وجه الهدى فيك مسفرا سدلت على وجه الضلال سدولا
متى ارتاد مرتاد مقيلا لعترة أتاك فألقى للعتار مقيلا
و ناديت فينا صحبة الخير أقبلوا يا قبلكم حزتم لدى قبولا
لقد كنت لما واصلوك ببرهم حفتيا بهم برّاهم و وصولا
أقاموا لدين الله فيك شعائرا هدتهم إلى دار السلام سبيلا
فكم أطلقوا فيها أعتة جدّهم و كم أرسلوا فيها الدموع همولا
دموعا أثارت سحها ريح زفرة فسالت و خدّت فى الخدود مسيلا
لديك أيا شهر الهدى قصروا المدى فكم لك فى شأو الفضائل طولوا
دلائل تشرىف لديك كثيرة كفى بكتاب الله فيك دليلا

و من الصوفية و الصلحاء

فضل بن محمد بن على بن فضيلة المعافى

يكنى أبا الحسن، من أهل الشرق الأندلسى، أبو الحسن الولي الصالح الصوفى.

حاله: كان وليًا فاضلا، زاهدا، على سنن الفضلاء، و أخلاق الأولياء، غزير العلم، كثير العمل، دائم الاعتبار، مشهور الكرامة، مستجاب الدعوة، صوفيا محققا، انتهت إليه الرئاسة فى ذلك على عهده. يدلّ على ذلك كلامه على أغراض القوم، و كشفه عن رموزهم و

إشاراتهم، أديبا بليغا، كاتباً مرسلًا، لا يشقّ غباره في ذلك.

قائماً على تجويد كتاب الله، عالي الرواية، أسنّ و تاهى و ازدلف إلى التسعين، ممتعاً بجوارحه، و ولى الخطابة و الإمامة بالمسجد الأعظم، أقرأ به مدة كبيرة.

قال ابن الزبير في «صلته»: كان جليلاً في ذاته و خلقه و دينه، معدوم النظر في ذلك، مشاركاً في فنون من العلم، أديبا بارعاً، كاتباً بليغاً، فصيح القلم، متقدماً في ذلك، متصوّفاً، سنياً، و رعاً، معدوم القرين في ذلك، متواضعاً، مقتصدًا في شؤونه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢١٦

كلها، جارياً في خلقه و أفعاله و أحواله على سنن السلف، أحفظ الناس للسانه و جوارحه و أصدقائه، و أسلمهم عينا و مشهداً، و أشدهم تمسكاً بهدى السلف الصالح، مؤثراً للخمول، سريع العبرة، شديد الخوف لله سبحانه، تالياً لكتاب الله، كثير الصوم، خفيف القدم في حوائج أصحابه، مشاركاً لهم بأقصى ما يمكنه. له تقايد جوابية عما كان يسأل عنه في الفن الذي كان يؤثره، محرراً ما يلزم التقييد به من كتاب الله تعالى و سنّة نبيه صلى الله عليه و سلم، غير منافر لمذهب الأشعرية، مالكي المذهب، له اختيارات يسيرة لا يفتي بها، و لا تتعدى علمه.

مشيخته: روى عن أبي تمام غالب بن حسن بن أحمد بن سيد بونّة، و عن أبي العباس أحمد بن محمد بن شهيد، و أخذ أيضاً عن أبي بكر بن محرم، و أجاز له أبو بكر بن المرابط، و قرأ على القاضي أبي القاسم بن يحيى بن ربيع، و القاضي أبي عيسى بن أبي السّيد المرسي، و غيرهم.

من أخباره: و كراماته شهيرة، فمنها أن رجلاً استفته، فأفتاه بجواب لم يحصل له به الإقناع، فرأى في عالم النوم و إثر سؤاله إياه رسول الله صلى الله عليه و سلم، يقول له: الحق ما قال لك فلان في المسألة. قال الحاكي: فبكر إليه الرجل من الغد، فلما أقبل عليه بموضع إقرائه، قال له: ألم ترد أن تستفتي يا أبا فلان إلّا من رأس العين؟ فبهت الرجل. و أحواله شهيرة.

مولده: ولد عام سبعة و ستمائة.

وفاته: في الثامن عشر من محرم عام تسعة و تسعين و ستمائة. و دفن بمقبرة روض البيّازين مع قومه من صلحاء الشرق، و كانت جنازته مشهودة.

و من العمال الأترا

فلّوج العليج

مولى يحيى بن غانية .

حاله: كان فلّوج شهماً شجاعاً، مهيباً حازماً، نال من مولاه حظوة، و استعان به على أمور المهمّة. و جرى على يده إغرام أهل قرطبة، و انطلقت على أموالهم يده، و أثرى و جمع مالا دبراً من الصامت و الذخيرة عظيماً.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢١٧

نكبته: و كان يحيى بن غانية قد ولّاه حصن بنى بشير، فثقفه و حصّنه، و نقل إليه أمواله و متاعه و ذخيرته. و لمّا توفي مولاه لحق به و ملك أمره و استعان بجماعة من النصارى، ثم بدا له لضعف رأيه و سوء تدبيره، أن ألقى بيده إلى ابن أخى مولاه إسحاق بن محمد بن غانية، فأناجى و لحق به، معتذراً عن توقفه، فقبض عليه و صفّده، و عرض عليه العذاب، و أسكنه فى تابوت، باطنه مسامير، لا يمكنه معها التصرف، و أجاعه بمرأى من الطعام بمطبخه، إلى أن مات جوعاً و ألماً. و هو مع ذلك لا يطمعه فى شىء من المال. و تخلف بالحصن رجلاً من جهة سرقسطة، يعرف بابن مالك، و يكنى أبا مروان، فلما ذاع خبر القبض عليه، بادر الموحدون الذين بلوشة،

فتغلبوا عليه، و استولوا على ما كان به من مال و ذخيرة، و وجدوا فيه من أنواع الثياب و الحلوى و الذخيرة، كل خطير عظيم، و شدوا على ابن مالك فى طلب المال، فلم يجدوا عنده شيئا، إلى أن فدى نفسه منهم، بمال كبير، فمضى فلوج على هذا السبيل.

و من المقرئين و العلماء

قاسم بن عبد الله بن محمد الشاط الأنصارى

نزىل سبتة، و أصله من بلنسية، يكنى أبا القاسم. قال: و الشاط اسم لجدى، و كان طوالا فجرى عليه الاسم. حاله: نسيح وحده فى إدراك النظر، و نفوذ الفكر، و جودة القريحة، و تسديد الفهم، إلى حسن الشمائل، و علو الهمة، و فضل الخلق، و العكوف على العلم، و الاقتصار على الآداب السنية، و التحلى بالوقار و السكينة. أقرأ عمره بمدرسة سبتة الأصول و الفرائض، متقدما، موصوفا بالأمانة. و كان موفور الحظ من الفقه، حسن المشاركة فى العربية، كاتباً، مرسلًا، ريان من الأدب، ذا مماشة فى الفنون، و نظر فى العقلیات، ضرورة لم يتزوج، ممن يتحلى بطهارة و عفاف.

و قال فى «المؤتمن»: كان مع معارفه، عالى الهمة، نزيه النفس، ذا وقار و تودة فى مشيه و مجلسه، يشاب وقاره بفكاهة نظيفة، لا تنهض إلى التأثير فى وقاره، ظريف الملبس، يخضب رأسه بالحناء على كبره.

مشيخته: قرأ بسبتة على الأستاذ الكبير أبى الحسن بن أبى الربيع و به تأدب، و على أبى بكر بن مشليون، و على الحافظ أبى يعقوب المحاسبى، و على الطيب أبى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢١٨

عبد الله محمد بن على بن أبى خالد العبدري الأبدى، و على أبى الحسن البصرى، و على خاليه أبى عبد الله محمد و أبى الحسن ابنى الطرطانى. و أجازه أبو القاسم بن البراء، و أبو محمد بن أبى الدنيا، و أبو العباس بن على الغماز، و أبو جعفر الطباع، و أبو بكر بن فارس، و أبو محمد الأنبارى، و غيرهم. و أخذ عنه الجملة من أهل الأندلس من شيوخنا كالحكيم الأستاذ أبى زكريا بن هذيل، و شيخنا أبى الحسن بن الجياب، و شيخنا أبى البركات، و القاضى أبى بكر بن شيرين، و قاضى الجماعة أبى القاسم الحسنى الشريف، و الوزير أبى بكر بن ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الحكيم، و القاضى أبى القاسم بن سلمون، و غيرهم.

شعره: و كان يقرض أبياتا حسنة من الشعر، فمن ذلك قوله يذيل أبياتا لأبى المطرف بن عميرة و هى: [الكامل]

فضل الجمال على الكمال بخده و الحق لا يخفى على من وسطه

عجبا له برهانه بشروطه معه فما مطلوبه بالسفسطه

علم التباين فى النفوس و إنها منها مفرطة و غير مفرطة

فئة رأت وجه الدليل و فرقة أصغت إلى الشبهات فهى مورطة

فأراد جمعها معا فى حكمة هذى بمنتجة و ذى بمغلطة

و من شعره قوله: [الكامل]

إنى سلكت من انقباضى مسلكاو جريت من صمتى على منهاج

و تركت أقوال البرية جانباكى لا أميز مادحا من هاج

دخوله غرناطة: ورد على غرناطة عند تصير سبتة إلى الإيالة النصيرية مع الوفد من أهلها بيعة بلدهم، فأخذ عنه بها الجملة، ثم انصرف إلى بلده. قال شيخنا أبو

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢١٩

البركات: و أنشدنا لنفسه: [الخفيف]

قلت يوما لمن اتخذت هواه ملّة قد تبعتها و شريعته
لم تأبى الوصال و هو مباح و تسوم المحبّ سوء القطيعه؟
قال: إني خشيت منك ملا لا فتركت الوصال مدّ ذريعه
و أنشدنا: [الكامل]

و غزال أنس سلّ من ألحاضه سيفا أراق دم الفؤاد بسلّه
و بخدّه من ذاك أعدل شاهديقضى بأنّ الفتك بي من فعله
ما لي أطالبه فيدحض حجّتي و دمي يطلّ و شاهدي من أهله؟

و أنشدنا الفقيه أبو القاسم الزقاق، قال: أنشدنا الأستاذ أبو القاسم الشاط، و قد خرجنا معه مشيعين إياه في انصرافه عن غرناطة آتبا إلى
بلده: [البسيط]

يا أهل غرناطة، إني أودّ عكم و دمع عيني من جراكم جار
تركت قلبي غريبا في دياركم عساه يلقي لديكم حرمة الجار

توآلفه: منها «أنوار البروق، في تعقب مسائل القواعد و الفروق». و «غنية الرابض، في علم الفرائض». و «تحرير الجواب، في توفير
الثواب». و «فهرسة حافلة». و كان مجلسه مألفا للصدور من الطلبة، و النبلاء من العامة؛ حدّثني شيخنا القاضي الشريف أبو القاسم، قال:
كان يجلس عند رجل خياط من أهل سبتة، يعرف بالأجدع من العامة، فأخذ يوما يتكلم عن مسألة، فقال متمثلا: كما تقول: الأجدع
الخياط فعل كذا، ثم التفت معتذرا يتبسم و قال: أتمثل بك، فقال الأجدع بديهة: إذا يا سيدي، أعتق عليكم، إشارة إلى قول الفقهاء:
العبد يعتق على سيده إذا مثّل به، فاستظرف قوله.

مولده: في ذى قعدة من عام ثلاثة و أربعين و ستمائة بمدينة سبتة.
وفاته: توفي بها في آخر عام ثلاثة و عشرين و سبعمائة، و قد استكمل الثمانين.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٢٠

قاسم بن عبد الكريم بن جابر الأنصاري

من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، و يعرف بابن جابر.

حاله: كان، رحمه الله، من جلة أهل العلم و الفضل، حسن الأخلاق، مليح الحديث، عذب الفكاهة، لطيف الحاشية، على دين و التزام
سنّة. رحل إلى المشرق، فلقي العلماء، و أخذ عنهم، و كلف بعلم الجدل، فقرأه كثيرا، و بهر فيه. و ورد على غرناطة من رحلته، فأقرأ
بها الأصول و غيرها من جدل و منطق و فقه.

مشيخته: قرأ بغرناطة على الخطيب وليّ الله أبي الحسن بن فضيلة، و الأستاذ خاتمة المقرئين أبي جعفر بن الزبير، و وليّ القضاء ببسطة،
ثم كلف بالإقراء و عكف عليه، فلم ينتقل عنه.

من أخذ عنه: أخذ عنه كراسه الفخر المسماة ب «الآيات البيّنات»، و كان قائما عليها جملة من شيوخنا، كالأستاذ التعاليمي أبي زكريا
بن هذيل، و الأستاذ المقرئ أبي عبد الله بن البيّاني.

شعره: و له شعر؛ أنشدنا الشيخ أبو القاسم بن سلمون، قال: أنشدنا في شيخنا ابن جميل قوله: [مخلع البسيط]

إن أطلع الشّرق شمس دنيا قد أطلع الغرب شمس دين

و بين شمس و بين شمس ما بين دنيا و بين دين

مولده: ولد بغرناطة عام تسعة و ستين و ستمائة.

وفاته: توفي بها في جمادى الآخرة أو رجب من عام أربعة عشر و سبعمائة.

قاسم بن يحيى بن محمد الزروالى

يكنى أبا القاسم، و يعرف بابن درهم، مالقى، أصله من جبال تاغسى، و دخل غرناطة و قرأ بها.

حاله: من تذييل صاحبنا القاضى أبى الحسن، قال فيه: كان، رحمه الله، واحد زمانه، ينبوع الحكمة يتفجر من لسانه، و عنوان الولاية على طيلسانه. و من «عائد الصلة»: كان، رحمه الله، علما من أعلام الزهد و الورع و الديانة، و الثقل من الدنيا،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٢١

و العكوف على تجويد كتاب الله و إقرائه، منقطع القرين فيه، كثير المناقشة و التحقيق، يرى أن ليس فى الأرض من يحكم ذلك حق إحكامه، ما لم يأخذه.

مشيخته: قرأ على جملة من حملة كتاب الله بالمشرق و المغرب و الأندلس، و عنى بذلك. ثم لم يعتمد منهم إلا على الأستاذ أبى إسحاق الغافقى بسبته، و الخطيب أبى جعفر بن الزيات ببلش من الأندلس، و استمرت حاله على سبيلها من الزهد و الانقباض و التنطع، و الإغراق فى الصلاح، و الشذوذ فى بعض السجيا إلى أن توفى.

بعض من نوادره مع اخشيشانه: حدثنى القاضى أبو الحسن بن الحسن أن بعض الطلبة المنتسبين قال له: أتيتك أقرأ عليك، فأستخير الله، ثم أتاه فقال: قد استخرت، و هم بالقراءة، فقال له الشيخ: أمسك حتى أستخير أنا الله فى قراءة تك على، فقال الطالب: و هذا عمل بر، فقال له: الحجة عليك، فانفصل عنه. ثم عاد إليه يسأل منه القراءة، فقال: يا بنى، ظهر لى أن لا تقرأ على، فانصرف.

و من أخباره فى الكرامة، قال لى المذكور: و قد أزمعت السفر إلى ظاهر طريف مع جمع المسلمين، أنك إن سافرت يا ولدى، تقاسى مشقة عظمية إن سبق القدر بحياتك، و الله يرشدك، و قد كنت شرعت فى ذلك مع رفقائى. و فى سحر ليلة اليوم الذى انهزم فيه المسلمون، رأيت فى النوم يقول لى منكرا على: قلت لك لا تسافر، يكررها، فاستيقظت، و أوقع الله بقلبي الرجوع إلى الجزيرة، لآراب أفضيها، فما بلغ زوال الشمس من اليوم إلا و مقدمة الفل على أطواق البلد فى أسوأ حال.

وفاته: توفى ببلدة مالقة خامس صفر، من عام خمسين و سبعمائة فى وقعة الطاعون، توفى و آخر كلامه: رزقنا الله عملا صالحا يقربنا إليه زلفى، و جعلنا ممن يمرّ عقبتى الدنيا و الآخرة مرور أهل التقوى.

و من الكتاب و الشعراء

قرشى بن حارث بن أسد بن بشر بن هندی بن المهلب ابن القاسم بن معاوية بن عبد الرحمن الهمداني

حاله: هو أعرق الناس فى الشعر؛ لأن جدّه المهلب كان شاعرا، و ولده هندی كذلك، و أسد و حارث و قرشى، فهم شعراء سنة على نسق، و يدلّ شعرهم على شرف نفوسهم و بعد همهم.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٢٢

شعره: قال أبو القاسم الغافقى: من شعره قوله فى هاشم بن كعب التميمى، من أنجد الفرسان، قتل فى يوم خمسة من أنجاد المولدين:

[الطويل]

هجرت القوافى و الأطباء الأوانساو و دعت لذاتى نعم و اللواعسا

و رعت فؤادى بالمشيب عن الصباو أصبحت عن عهد الغواية يائسا

أبا خالد، ما زلت مذ كنت يافعالكل سنات للمكارم لابساً

فما حملت أنتى كمثلك سيّداو لا حملت خيل كمثلك فارسا

قاسم بن محمد بن الجد العمري

يكنى أبا القاسم، و يعرف بالورسيدي، من أهل المريّة، و تكرر وروده على غرناطة.

حاله: قال شيخنا أبو البركات: كان حسن الأخلاق، سليم الصدر، بعيدا عن إذايّة الناس بيده أو لسانه بالجملّة، له خطّ لا بأس به، و معرفة بالعدد، و سلك الطريقة الزّماميّة، و له حظ من قرض الشعر. و جرى ذكره في الإكليل بما نصه: من أئمة أهل الزمان، خليق برعى الدّمّام، ذو حظ كما تفتّح زهر الكمام، و أخلاق أعذب من ماء الغمام. كان ببلده محاسبا، في لجة الأعمال راسبا، صحيح العمل، يلبس الطّروس من براعته أسنى الحلل.

شعره: قال يمدح المقام السلطاني: [الطويل]

أرى أوجه الأيام قد أشرفت بشراقلي، رعاك الله، ما هذه البشري؟

و ما بال أنفاس الخزامى تعطّرت فأزّجت الأرجاء من نفحها عطرا؟

و نقبت الشمس المنيرة وجهها قصورا عن الوجه الذي أخجل البدرا

و ما زالت الأغصان في أريحيّة كما عطفت أعطافها تنثني شكرا

فما ذاك إلّا أن بدا وجه يوسف فأربت على الآيات آياته الكبرى

خليفة ربّ العالمين الذي به تمهدت الأرجاء و امتلأت بشرا

و جرّت على أعلى المجرّة صاحباذيول العلي فاستكمل النّهي و الأمرا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٢٣ و قام بأمر الله يقضى و يقتضى الفتوح التي تبقى له في العلي ذكرا

و أربى على كل الملوك وفاتهم بسيرته الحسنى التي قد علت قدرا

و هي طويلة. و من شعره أيضا قوله: [مخلع البسيط]

من أين أقبلت يا نسيم جادت بساحاتك الغيوم

و لا عدمناه سروا حلّ به عندنا النعيم

بلّغ سلامي أهيل وذي بلّغك الله ما تروم

قل لهم صبتكم مشوق أنحلّه وجده القديم

لطالما يسهر الليالي و طي أضلاعه جحيم

هبوا رضاكم لذي غرام ما زال قدما بكم يهيم

إن غبتم عن سواد عيني فحبّكم في الحشا مقيم

لو ساعد السعد أن أراكم لما اشتكى قلبي السقيم

يا حادي العيس نحو أرض بنية قدرها عظيم

إذا أتيت اللوى و سلفاؤ بان للناظر الحطيم

و لاح بالأبرقين بدر بسيره تهتدى النجوم

فقل: غريب ثوى بقرب في بحر أوزاره يعوم

قد أثقلت ظهره الخطايا و شجبت ذكره الرسوم

إن أعمل الحزم لارتحال أفعده ذنبه العظيم

لهفى هذا الشباب ولى و القلب فى غيّه مقيم
يا ربّ، عفوا لذي اجترام لا تهتك الستّر يا حلیم
ما لى شفیع سوى رجائی و حسن ظنى أيا كريم
فلا تكلنى إلى ذنوبى و ارحمنى الله يا رحيم
وفاته: توفى فى وقیة الطاعون عام خمسين و سبعمائة. الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج ٤ ؛ ص ٢٢٤
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٢٤

و من المحدثين و الفقهاء و الطلبة النجباء

قاسم بن أحمد بن محمد بن عمران الحضرمى

من أهل سبتة.
حاله: من خطّ صاحبنا القاضى أبى الحسن بن الحسن، قال: كان شيخنا يتقد ذكاء، رحل عن سبتة إلى الحجاز فقصى الفريضة، و تطور فى البلاد المشرقية نحو من أربعة عشر عاما، و أخذ بها عن جلّة من العلماء. و ورد على غرناطة فى حدود عام ثمانية عشر و سبعمائة، فأخذ عن بعض أسيائها، و عاد إلى بلده، و كان على خزانه الكتب به، و كان يقرئ القرآن به. قال: و أنشدنى، لما لقيته، بيتا واحدا يحتوى على حروف المعجم، و هو: [السريع]
قد ضمّ نصر و شكا بثّه مذ سخطت عضّ على الإبط
مشيخته: أخذ بالمشرق عن جماعة، منهم شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبى طالب الدمشقى الحجار، و الشيخ المحدث أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد الشيرازى ابن جميل، قرأ عليه كتاب ابن الحاجب و حدّثه به عن مؤلفه، و قرأ على الشيخين المقرئين الجليلين؛ أبى عبد الله محمد بن عبد الخالق، المعروف بابن الضائع، و أبى عبد الله بن يعقوب الجراش المقدسى، جملة من الكتب الحديثية و غيرها، و سمع عليهما كتاب «الشاطبية» و حدّثاه بها معا عن المقرئ أبى الحسن على كمال الدين بن شجاع العباسى الضرير، عن صهره، مؤلفها.
تواليفه: قال: له فى القراءات تقييد حسن سماه «الشافى، فى اختصار التيسير الكافى».
وفاته: توفى أيام الطاعون العام ببلده.

قاسم بن خضر بن محمد العامرى

يكنى أبا القاسم، و يعرف بابن خضر، هكذا دون تعريف. يعرف سلفه بنى عمرو، من أهل المريّة.
حاله: من خطّ شيخنا أبى البركات: كان هذا الشيخ من وجوه المريّة، و ممن تصرف سلفه فى خطّة القضاء بها. و هو أقدم خطيب أدركته بسنى بجامعها الأعظم.
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٢٥

و كان شيخا عفيفا من رجال الجدد، ضيق العطن، سريع الغضب، غيورا على تلك الخطّة، لا يحلى بعينه أحد. لما مات رفيقه فى الصلاة و الخطبة، الشيخ الشهير عند العامة، ثالث اثنين، الخراسى و النطية، أبو عبد الله بن الضايغ، فكلّ من عرض عليه أن يكون معه أباه، فقال أهل البلد: فما العمل؟ فقال: يكتب إلى أبى القاسم ابن الحاج إلى سبتة، ليأتى إلى أرض سلفه، و يكون رفيقى فى الصلاة و الخطبة، يعنى عمى، فكتب إليه بذلك، فكانت المسألة عند الآخر أهون من أن يجيب عن الكتاب، و لو بالإبائية، فبقى الأمر إلى أن

قدّم معه الشيخ الصالح الخطيب المصقع أبو الحسن بن فرحون البليقي، فلم يجد فيه قادحا إلّا كونه ليس من أهل البلد، فبقى مرافقا له إلى حين وفاته.

غريبة: قال الشيخ: أخبرتني جدّتي عائشة بنت يحيى بن خليل، قالت: كان الرجل الصالح أبو جعفر بن مكنون، خال قاسم بن خضر هذا، فرآه يلعب مع الصبيان في أزقة ألمرية، فقال له: من يكون خطيب ألمرية يلعب، فبقيت في حفظه إلى أن ولى الخطابة. وفاته: توفي في صفر من عام ثلاثة و سبعمائة، و كانت جنازته مشهودة.

حرف السين

سوّار بن حمدون بن عبدة بن زهير بن ديسم بن قديدة ابن هنيذة

إشارة

و كان علما من أعلام العرب، و صاحب لواء قيس بالأندلس، و نزل جدّه بقرية قربسانة من إقليم البلاط من قرى غرناطة، و بها أنسل ولده، و لم يزالوا أعلاما، إلى أن ظهر سوّار هذا منهم في الفتنة.

حاله و بعض آثاره و حروبه:

قال أبو القاسم: كان سوّار هذا بعيد الصيت، رفيع الذكر، شجاعا، محبّا في الظهور، حامى العرب و ناصرهم. و كان له أربعة من الإخوة، مثله في الشجاعة، حضروا معه في الحروب في الفتنة، و هو الذي بنى المدينة الحمراء بالليل، و الشّمع الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٢٦

تزهّر لعرب الفحص، و بنى مدينة وادي آش لبني سامي، و بنى مدينة منتيشة لبني عطاف، و بنى مدينة بسطة لبني قحطبة و بنى مسيرة، و بنى كورة جيّان للعرب. و لولا- أن الله منّ على العرب بسوّار و نصره لما أبقى العجم و المولدون منهم أحدا. و أنسل سوّار عبد العزيز المقتول بمنتشافر، و عبد الرؤوف و عبد الملك.

مبدأ أمره و حروبه و شعره:

قال أحمد بن عيسى، بعد اختصار، في صدر هذه السنة، يعني سنة خمس و سبعين و مائتين: ثار سوّار بن حمدون بناحية البراجلة من كورة إلبيرة، و انضوت إليه العرب، قام على تفتة مهلك يحيى بن صقاله أميرهم، قتيل المسالمة و المولدين، فطلب بثأره، و كثرت أتباعه، و اعتزت العرب به، و قصد بجمعه إلى منت شافر، و به من عدوّه المذكورين نحو من ستة آلاف رجل نازلهم حتى قهرهم، و طاف على حصونهم فافتتحها، و قتل و غنم، و تنادوا لقتاله في جموع عظيمة، عليها جعد بن عبد الغافر، عامل الأمير عبد الله، و برز إليهم فيمن برز، و ناشبهم الحرب، فانهزموا فقتل منهم خلق حرزوا بسبعة آلاف، و أسر جعد، و منّ عليه و أطلقه. و كانت وقيعته الأولى هذه تعرف بوقيعه جعد. و غلظ، و استند إلى حصن غرناطة، بالقرب من مدينة إلبيرة. و كانت العرب يتألبون على المولدين، إلى أن عزل الأمير جعدا عن الكورة إرضاء لسوّار، فأظهر عند ذلك الطاعة، و غزا الحصون الراجعة إلى ابن حفصون فأوقع بهم، فهاجمهم، و اجتمعت عليه كلمتهم، فقصده و حصروه بغرناطة في نحو عشرين ألفا، و برز إليهم في عدده القليل من عبيده، و رجال

بيوتات العرب من أهل إلبيرة، ورجعوا من جبل الفخار على تعبئة، يريدون الباب الشرقي من غرناطة، وكادهم لما التحمت الحرب و شبّ ضرارها، بما دبره من انسلاله في لخمه من فرسانه، حتى استدبرهم، فحمل بشعاره، فانذروا و انفضوا، فتوهم حماتهم أن مددا جاءهم من ورائهم، فولوا منهزمين، و أعمل سوار و أصحابه السيوف فيهم إلى باب إلبيرة، فيقال: إن قتلاهم في هذه الوقعة الثانية كانوا اثني عشر ألفا، و هي الوقعة المعروفة بوقعة المدينة، و لاذ المولدون بعد هذا بعمر بن حفصون و استدعوه، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٢٧

فوافاهم في جيش عظيم، و دخل إلبيرة، و ناهض سوارا، و عنده رجالات عرب الكور الثلاث؛ إلبيرة و جيان، و ريه، و اشتد القتال، و جال جيش ابن حفصون جولة جرح فيها جراحات صعبة، و كاد سوار يأتي عليه لولا رجال صدقوه الكز و استنقذوه، و تمت عليه الهزيمة، فانقلب على عقبه، و نالت الحضرة معرته، فأغرم أهلها الذين استجلبوه ما تشعث من عسكره، و استعمل عليهم قائده حفص بن المرّة، و انصرف، و نجح سوار بما تهيأ له على أعدائه، فاعتلت همته، و أجلته العرب، و علا في الناس ذكره، و قال الأشعار الجزلة فيما تهيأ له على المولدين، و أكثر الافتخار بنفسه، فشهر، من قوله في ذلك: [الكامل]

صرم الغواني، يا هنيد، مودتي إذ شاب مفرق لمتي و قدالي

و صددن عني، يا هنيد، و طالما علقت حبال و صالهنّ حبالى

و هي طويلة، أكثر فيها الفخر، و ألم بالمعنى.

وفاته: و لما انصرف عمر بن حفصون و ترك قائده بإلبيرة، جهّز معه طائفة من خيله، و أقره لمغاورة سوار و درك النيل لديه، و أعمل حفص جهده و طلب غرته، فأمكنه الله منه، و أنه دنا إليه يوما، و قد أكن أكثر خيله، و ظهر له مستغيرا بجانب من حصنه، فخرج سوار مبادرا من غرناطة لأول الصيحة في نفر قليل، لم يحترس من الحيلة التي يحذرها أهل الحزم، فأصحر لعدوه، و خرجت الكمائن من حوله، فقتل و جىء بجثته إلى إلبيرة، فذكر أن الثكالي من نسائهم قطعن لحمه مرقا، و أكلنه حنقا لما نالهنّ من الشكل. و كان قتل سوار في سنة سبع و سبعين و مائتين، و قتلت العرب بقتل سوار، و كلّ حدّها بما نزل بها.

سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر لدين الله الخليفة قرطبة

المكنى بأبي أيوب، الملقب من الألقاب الملوكية بالمستعين بالله.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٢٨

أوليته: معروفة.

حاله: كان أديبا شاعرا، مجموع خلال فاضله، أصيل الرأى، راجح العقل، ثبنا. ولى الخلافة غلابا، و قعصا، و منازعة، و أوقع بأهل قرطبة وقائع أبادتهم.

و خلع ثم عادت دولته، و جرت له و عليه الهزائم، على قصر أمد خلافته، لقيام البربر بدعوته، و تدويخ البلاد باسمه، في أخبار فيها عبرة، دخل في بعض حركاتها و هو لاتها المبيرة، إلى أن طحنته رحي الفتنة، و شيكا عن دنيا غير هتية، و صباية ليست بستيّة.

شعره: من شعره يعارض المقطوعة الشهيرة المنسوبة للرشيد: [الكامل]

عجبا يهاب الليث حدّ سناني و أهاب لحظ فواتر الأجفان

فأقارع الأهوال لا متهيبا منها سوى الإعراض و الهجران

و تملك نفسي ثلاث كالدمى زهر الوجوه نواعم الأبدان

ككواكب الظلماء لحن لناظري من فوق أغصان على كئبان

هذى الهلال و تلك أخت المشتري حسنا، و هذى أخت غصن البان

حاكمت فيهنّ السلوّ إلى الهوى فقضى بسطان على سلطاني
فأبحن من قلبى الحمى و تركنى فى عزّ ملكى كالأسير العانى
لا تعذلوا ملكا تذلل للهوى ذلّ الهوى عزّ و ملك ثان
مقتله: قتله على بن حمّود، المتقدم الذكر، متولّى الأمر بعده، صبوا بيده، بدم هشام المؤيد، و قال لما زحف إليه: لا يقتل الزّيطان إلّا
الزّيطان، يعنى السلطان، إذ كان بربرى اللسان، و ذلك فى أخريات المحرم من سنه سبع و أربعمائه.
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٢٩

سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان

يكنى أبا أيوب.
حاله: كان شهما جريئا، أنوفا شجاعا، ديننا فاضلا. و لما توفى أبوه بقصر قرطبة، و هشام و أبو أيوب هذا غائبان، و كل ابنه عبد الله
المعروف بالبنسى، و قال:
من سبق إليك من أخويك، فارم إليه بالخاتم، فإن سبق إليك هشام، فله فضل دينه و عفافه و اجتماع الكلمه عليه، فإن سبق إليك
سليمان، فله فضل دينه و نجاته، و حبّ الشاميين له. فقدم هشام من ماردة، و تولّى الخلافة قبل سليمان. و اتصل ذلك بسليمان، فأخذ
لنفسه البيعة بطليطلة، و ما اتصل بها، و دعا إلى نفسه، و واضح أخاه الحرب غير ما مرة، تجرى عليه فى كلها الهزائم، إلى أن تبرّم
بنفسه، و أجاز البحر عن عهد إلى ستين ألفا بذلت له، و استقرّ بأهله و ولده ببلاد البربر. و لما صار الأمر للحكم بن هشام، عاد إلى
الأندلس سنة اثنتين و ثمانين و مائه، و كان اللقاء فى شوال منها، فانهزم سليمان، ثم عاد للقاء فانهزم. و فى سنة أربع و ثمانين حشد و
احتلّ بجيان ثم بالبيرة، و التقى بها معه الحكم، و دام القتال أياما حتى همّ الحكم بالهزيمة، ثم انهزم سليمان و قتل فى المعركة بشر
كثير، و أفلت سليمان إلى جهة ماردة. و بالتقاء الحكم و عمّه سليمان بالبيرة و أحوازها استحقاّ الذكر هنا على الشرط المعروف.
وفاته: و بعث الحكم أصبغ بن عبد الله فى طلب سليمان، فأسره و أتاه به، فأمر بقتله، و بعث برأسه إلى قرطبة. قتل فى سنة خمس و
ثمانين بعدها .

سعيد بن سليمان بن جودى السعدى

حاله: كان سعيد بن سليمان صديق سوار، فغصبت العرب الإمارة به بعده، و علفت به، فقام بأمرها و ضمّ نشرها، و كان شجاعا بطلا،
فارسا مجزبا، قد تصرف
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٣٠
مع فروسيته فى فنون من العلم، و تحقق بضروب من الآداب، فاغتنى أديبا نحريرا، و شاعرا محسنا، و اتصل قيامه بأمر العرب إلى أن
قتل.

شعره: و من شعره فى وقية سوار بالمولدين قوله من قصيدة طويلة:

[الخفيف]

قد طلبنا بثأرنا فقتلنا منكم كلّ مارق و عنيد
قد قتلناكم بيحيى و ما أن كان حكم الإله بالمردود
هجتم يا بنى العبيد ليونالم يكونوا لجارهم بقعود

فاصلوا حزها و حدّ سيوف تنلّطى عليكم بالوقود
 حاكم ماجد يقود إليكم فئه سادة كمثل الأسود
 و رئيس مهذب من نزارو عميد ما مثله من عميد
 يطلب الثار بابن قوم كرام أخذوا بالعهود قبل المهود
 فاستباح الحمى فلم يبق منها غير عان و فقده المصفود
 قد قتلنا منكم ألوفاً فما يعدل قتل الكريم قتل العبيد
 مثله لَمَا أضاف إليهم لم يكن قتله برأى سديد
 قتله عبيد سوء لثام و فعال العبيد غير حميد
 لم يصيبوا الرشاد فيما أتوه لا و لا كان جدّهم لسعود
 قد غدرتم به بنى اللؤم من بعد يمين قد أكّدت و عهود
 فلئن كان قتله غدره ما كان بالتكس لا و لا الرّعيد
 كان ليثا يحمى الحروب و حصناو ملاذا و عصمه المقصود
 كان فيه التقي مع الحلم و البأس وجود ما مثله من جود
 عال مجد الأمجاد بعدكم و قديما، و فتّ كل مجيد
 فجزاك الإله جنه عدن حيث يجزى الثواب كلّ شهيد
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٣١

مقتله: قال الملاحى: كان من الأعلام، و عدّ في الشعراء و الفرسان و الخطباء و البلغاء، خطب بين يدي الخليفة المنذر، و هو حدث،
 أول ما أفضت الخلافة إليه، و عليه قباء خزّ، و قد تنكّب قوسا عريية، و الكنانة بين يديه. خطب خطبة بليغة، وصلها بشعر حسن، و لم
 يزل اللّواء يتردد عليه في العزّ و المقام، و يخطب في أعلى المنبر في المسجد الجامع بالبيرة. و سجل له الخليفة عبد الله على الكورة،
 إلى أن همّ بالقيام على بنى أمية عندما اشتدّت شكيمته، و ظهر على عمر بن حفصون إلى أن قتل بسبب امرأه، تمت عليه الحيلة لأجلها
 بدار يهودية، إذ كان منحنّطاً في هوى نفسه، فطاح في ذى قعدة سنة أربع و ثمانين و مائتين، و صار أمر العرب بعده إلى محمد بن
 أضحى، حسبما يتقرّر في مكانه.

و من ترجمة الأعيان و الوزراء و الأماثل و الكبراء

سهل بن محمد بن سهل بن مالك بن أحمد بن إبراهيم ابن مالك الأزدي

صدر هذا البيت، و ياقوته هذا العقد، يكنى أبا الحسن. قال أبو جعفر بن مسعدة: كان رأس الفقهاء و خطيب الخطباء البلغاء، و خاتمة
 رجال الأندلس.

تفنّن في ضروب من العلم، و بالجملة فحاله و وصفه في أقطار الدنيا، لا يجمله أحد، فحدّث عن البحر و لا حرج، ضمنّ الزمان أن
 يسمح برجل حاز الكمال مثله.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٣٢

حاله: قال ابن عبد الملك: كان من أعيان مصره، و أفضل أهل عصره، تفنّن في العلوم، و براعة في المنثور و المنظوم، محدّثا ضابطا،
 عدلا ثقة ثباتا، حافظا للقرآن العظيم، مجوداً له، متقنا في العربية، وافر النصيب من الفقه و أصوله، كاتباً، مجيداً للنظم في معرب الكلام

و هزله ، ظريف الدعابة، مليح التّندير. له في ذلك أخبار مستظرفة متناقلة، ذا جدة و يسار، متين الدين، تام الفضل، واسع المعروف، عميم الإحسان، تصدق عند القرب من وفاته بجملة كبيرة من ماله و رباعه، و له وفادة على مراکش.

مشيخته: روى ببلده عن خاله أبي عبد الله بن عروس، و خال أمّه أبي بكر يحيى بن محمد بن عروس، و أبي جعفر بن حكيم، و أبي الحسن بن كوثر، و أبي خالد بن رفاعه، و أبي محمد عبد المنعم بن الفرس. و بمالقه عن أبي زيد السّهيلي، و أبي عبد الله بن الفخار. و بمرسيه عن أبي عبد الله بن حميد، و أبي القاسم بن حبيش. و بإشيليه عن أبي بكر بن الجّد، و أبي عبد الله بن زرقون، و أبوى عبد الله العباس بن مضاء، و الجراوى الشاعر، و أبي الوليد بن رشد. قرأ عليهم و سمع، و أجازوا له. و أجاز له من أهل الأندلس أبو محمد عبد الله نزيل سبتّه، و عبد الحق بن الخراط، نزيل بجاية. و من أهل المشرق جماعة، منهم إسماعيل بن علي بن إبراهيم الجراوى، و بركات بن إبراهيم الخشوعى أبو الطاهر، و عبد الرحمن بن سلامة بن علي القضاعي، و غيرهم ممن يطول ذكرهم.

من روى عنه: روى عنه أبو جعفر بن خلف، و الطّوسى، و ابن سعيد القزاز، و أبو الحسن العنسى، و أبو عبد الله بن أبي بكر البرى، و ابن الجنان، و أبو محمد عبد الرحمن بن طلحيه، و أبو محمد بن هارون، و أبو القاسم بن نبيل، و أبو يعقوب بن إبراهيم بن عقاب، و أبو جعفر الطّباع، و أبو الحجاج بن حكيم، و أبو الحسن الرّيعنى، و أبو علي بن الناظر، و غيرهم.

ثناء الأعلام عليه: و المجال في هذا فسيح، و يكفى منه قول أبي زيد الفزارى:

[مجزوء الرمل]

عجبا للناس تاهوا بثبات المسالك

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٣٣ و صنفوا بالفضل قوما هم ليسوا هنالك

كثر الثقل و لكن صحّ عن سهل بن مالك

شعره: و شعره كثير مما ينخرط في سلك الجيد، فمن ذلك قوله: [الطويل]

نهارك في بحر السّفاهة يسبح و ليلىك عن نوم الرّفاهة يصبح

و في لفظك الدّعوى و ليس إزاءها من العمل الرّاكي دليل مصحّح

إذا لم توافق قوله منك فعلة ففى كل جزء من حديثك تفصح

تنحّ عن الغايات لست من اهله طريق الهوينا فى سلوكك أوضح

إذا كنت فى سنّ البنا غير صالح ففى أىّ سنّ بعد ذلك تصلح؟

إلى كم أماشيها على الرّغم غاية يصيب المزكى عندها و المجرّح

عليها ألا تنى و تنوى فتحسن فى عين الشّباب و تقبح

عسى و طر موقى فألتمس الرّضا و أقرع أبواب الرّشاد فتفتح

فقد ساء ظنّى بالذى أنا أهله و فضلك يا مولاي يعفو و يصفح

و قال فى تشييع بعض الفقهاء من غرض الأمداح: [البسيط]

يلقاك من كل من يلقاك ترحيب و من خليفتها عزّ و تقرب

و تصطفيك إلى أحوازها رتب لها على مفرق الجوزاء ترتيب

تأتى إليك بلا سعى بلا سبب كأنّ تركك للأسباب تسبب

من كلّ مشغوفة بالحسن دام لها إلى غنائك تصعيد و تصويب

يلقاك بالبشر و الإقبال خاطبها و حظّها منك إعراض و تقطيب

ما زلت ترغب عنها و هى راغبة كأنّ زهدك فيها عنك ترغب

فانهض إليها فلو تستطيع كان لها إلى لقائك إرجاء و تقريب
يحيى و يحيى فلباغى مواهبها عذب الزلال و للباغين تعذيب
سارت على العدل و الإحسان سيرتها حتى تلاقى عليها الشاة و الذيب
لم تصبها لذة الدنيا و زخرفها و لا سبتها المطايا و الجلابيب
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٣٤ إذا هم بنى الدنيا نعيمهم فهتمها البيض و الجرد السلاهيبي
فوق الكواكب مضروب سرادقها منها على أفق الأفلاك تطيب
كرعت في ظلها الصافي بسلسلها كأنها لك في المشروب شرب
في قبية من بنى الآمال قد قرعت سهم إلى طلب العليا طبايب
إذا حضرنا طعاما فهو مأدبه و إن سمعنا كلاما فهو تأديب
و من يلد بأبى إسحاق كان له أعلق مال و أعلق و تهذيب
يا مالك السر من قلبى و يا ملكا إن ناب خطب فمن جدواه تأيب
هب القرار لآمال مسافرة و قد أضرب بها بعد و تغريب
ففى يمينك و هابا و منتظما بسط و قبض و ترغيب و ترهيب
و ما يصبر كتابا راق منظره إن ناله من تراب الأرض تتريب
لك السيادة لا يلقى لسؤدها مثل و إن طال تنقير و تنقيب
عزم كحد سنان الزمخ يصحبه عدل كما اعتدلت فيه الأنابيب
كمال نفسك للأرواح تكمله و ذكر فضلك للأرواح تشيب
و عرف ذاتك كاف فى تعرفنا بنفحة الطيب يدرى أنه طيب
إذا ذكرت فلأشعار مضطرب رحب المجال و للألحان تطريب
سر حيث شئت موفى من مكارمها يهابك الدهر و الشبان و الشيب
فى غرة تخلق الأيام جدتها لها على أفق الأملاك تطيب
و من نمط التسيب و الأوصاف قوله و هو بسبته بعد وصوله من مراکش، و هو مما طار من شعره: [الكامل]
لما حطت بسبته قتب النوى و القلب يرجو أن تحوّل حاله
و الجوّ مصقول الأديم كأنما يبدى الخفى من الأمور صقاله
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٣٥ عاينت من بلد الجزيرة مكنسا و البحر يمنع أن يصاد غزاله
كالشكل فى المرأة تبصره و قد قربت مسافته و عز مناله
و من شعره قوله، رحمه الله: [الطويل]
تبسم و استأثرت منه بقبله فشمّت أقاحا و ارتشفت عقارا
و مرّ فأيدى الريح ترسل شعره كما ستر الليل البهيم نهارا
فيا لك ليلا بالكثيب قطعته كما رعت بالزجر الغراب فطارا
تغصّ بنا زهر الكواكب غيرة فتقدح فى فحم الظلام شرارا
و من ذلك قوله: [الطويل]
و لما رأيت الصبح هبّ نسيمه دعانى داعيه إلى البين و الشّت

و قلت : أخاف الشمس تفضح سرّنا فقالت: معاذ الله تفضحني أختي
و من الحكم و أبيات الأمثال قوله، رحمة الله عليه : [البسيط]
منعص العيش لا يأوى إلى دعه من كان ذا بلد أو كان ذا ولد
و الساكن النفس من لم ترض همته سكنى مكان و لم تسكن إلى أحد
و من شعره :

و لا مثل يوم قد نعمنا بحسنه مذهب أثناء المروج صقيل
إلى أن بدت شمس النهار تروعنابسير صحيح و اصفرار عليل
و لا توارت شمسه بحجابها و أدن باقى نورها برحيل
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٣٦ و غابت فكان الأفق عند مغيبها كقلبي مسوداً لفقد خليلي
أتانا بها صفراء يسطع نورها فمزق سربال الدجى بفطيل
فردت علينا شمسنا و أصيلنا بمشبهه شمس فى شبهه أصيل
و من نثره قوله يخاطب بنى أبى الوليد بن رشد، تعزى فى أبيهم، و استفتح به هذه الأبيات : [الطويل]
ألا ليت شعرى، هل لطالب غاية وصول و أحداث الزمان تعوقه؟
مضى علم العلم الذى بيانه تبيّن خافيه و بان طريقه
أخلأى ، إنى من دموعى بزأخر بعيد عن الشطين منه غريقه
و ما كان ظنى قبل فقد أيبكم بأن مصابا مثل هذا أطيعه
و لم أدر من أشقى الثلاثة بعده أبنائه أم دهره أم صديقه؟
و من شاهد الأحوال بعد مماته تيقن أن الموت نحن ندوقه
رجوعاً إلى الصبر الجميل فحقه علينا قضى أن لا توفى حقوقه
أعزىكم فى البعد عنه فإننى أهنيه قرباً من جوار يروقه
فما كان فينا منه إلّا مكانه و فى العالم العلوى كان رفيقه

إيه عن المدامع، هلما تلا انحدار الدّمة انحدارها؟ و المطامع هل ثبت على قطب مدارها؟ و الفجائع أغير دار بنى رشد دارها؟ فإنه
حديث أتعاطاه مسكراً، و أستريح الله مفكراً، و أبته باعثاً على الأشجان مذكراً، و لا أقول كفى، و قد ذهب الواخذ الذى كنت تتلافى،
و لا أستشعر صبراً، و قد حلّ نور العلم قبراً، بل أغرق
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٣٧

الأجفان بمائها، و أستدعى الأجزان بالشهير من أسمائها، و أستوهب الأشجان غمرة غمائها. ثم أتهالك تهالكك المجنون، و أستجير من
الحياة بريب المنون، و أنافر السيلوة منافرة و سواس الطنون، و لا عتب، فإذا خامر الواله جزعه، فإلى نصره المدامع مفرغه، و إذا ضعف
احتماله، فإلى غمرة الإغماء مآله، و من قال: إن الصبر أولى، وليته من ذلك ما تولى. أما أنا فأستعيد من هذا المقام و أستعفيه، و أنزه
نفس الوفاء عن الحلول فيه، فإنه متى بقى للصبر مكان، ففى محلّ الحزن لقبول ما يقاومه إمكان، و قد خان الإخاء و جهل الوفاء، من
رام قلبه السيلو، و ألفت عينه الإغفاء. هو الخطب الذى نقى الهجود، و ألزم أعين الثقلين أن تجود، و به أعظم الدهر المصاب، و فيه
أخطأ سهم المتية حين أصاب. فحقنا أن نتجاوز الجيوب إلى القلوب، و نقلب إذا غالبنا الحزن بصفقة المغلوب، و إذا كان الدهر
السالب فلا غضاضة على المستريح لأنه المسلوب. أستغفر الله، فقد أتذكر من مفقودنا، رضى الله عنه حكمه، و أشاهد بعين البصيرة
شيمه، فأجدهما يكفان من واكف الدمع ديمه، و يقولان: الوله عند مماسة المصاب، و مزاحمة الأوصاب، أمر إن وقع، فقد ضرّ فوق

ما نفع، فإنه لا ألم الحزن شفاه، ولا حق المصيبة وفاه، ولا الذّاهب الفائت استرجعه و تلافاه، فربما جنحت إلى الصّبر لا رغبة فيه، بل إيثارا لمقصده و تشييعا لتصافيه، فأستروح رائحة السّيلو، و أنحطّ قاب قوسين أو أدنى عن سدره ذلك العلو، و أقف بمقام الدّهش بين معنى الحزن

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٣٨

المستحکم و لفظ العزاء المتلوّ. فأبکی بكاء النساء، و أصبر صبر الرؤساء، و أحرز رزايا الفضلاء، بفضل رزايا الأخساء، موازنة بين هذا الوجود، و بخل يتعاقب على محل الجود . فالدهر يسترجع ما وهب، كان الصّيفر أو الذّهب. و إذا تحقّق عدم ثباته، و عدم استرجاعه لجميع هباته، كان المتعرّض لكثيره، محلا لتأثيره.

فلا- غرو أن دهمكم الرّزء، مورد الفلك الدّابر منه الجزء، فطالما بتمّ ترضعكم الحكمة أخلافها، و تهبكم الخلافة آالفها، و تؤملكم الأيام خلافها. و إذا صحيت العقول، و ضنّ بما لديه المعقول، و صارت الأذهان إلى حيث لا تتصوّر و الألسنة بحيث لا تقول، و ردت معينا، و وجدت معينا، و افتضضتموها كمثل اللؤلؤ المكنون صورا عينا. أظنتم أن عين الله تنام، أم رمت أن يكون صرحا إلى إله موسى ذلك السّينام؟ لشدّ ما شيدتم البناء، و ألزمت أتباع الأب الأبناء، حتى غرق الأول في الآخر، و صار السّيلف على ضخامته أقلّ المفاجر. و من علت في علاها قدم ترقّيه، و لم يصب بكماله عينا يحفظ من عين العلو و يقيه، فكثيرا ما يأتيه محذوره من جهة توقّيه. هذا أبوكم، رضى الله عنه، حين استكمل، فعرّف الصّارّ و الشّافى، و تعدّرت صفات كماله على الحرف النّافى، فيا لله لفظه أوالها، و أتبعها زفرة تليها، لقد بحثت الأيام عن حتفها بظلفها، و سعت على قدمها إلى رغم أنفها، [حين أتلفت الواحد يزن مائة ألفها]، فمن لبّ الوصل

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٣٩

و لرعى الوسائل، و إلى من يلجأ في مشكلات المسائل؟ و من المجيب إذا لم يكن المسؤول بأعلم من السّائل؟ اللهم صبرنا على فقد الأنس بالعلم، و أدلنا من حفوف الوله بوقار الحلم، و أخلفه في بنيه و عامه أهليه، بشييه ما أوليته في جوارك المقدس و تولّيه. و إليكم أيها الإخوة الأولياء، و العلية الذين عليهم قصرت العلياء، أعتذر من اتخاذ الشّيء من الكلام بنقصه الأشياء. فقد خان في هذا الزمان، حتى اللسان، و فقد منه حتى الحسان، و ليس لتأبين محمد صلى الله عليه و سلم، إلّا حسان، فالعذر منفسح المجال، و إلى التقصير في حقّ رزئكم الكبير نصير في الزوية و الارتجال.

و لذلك عدلت إلى الإيجاز، و اعتقدت في إرسال القول في هذا الموضع ضربا من المجاز، و مبلغ النفس عذرها مع العجز كالصّائر للإعجاز. و أما حسن العزاء، على تعاقب هذه الرّزاء، فأمر لا أهبه بل أستجديه، و لا أذكركم به و نفس صبركم متوغلة فيه، فسواكم يلهم للإرشاد، و يذكر بطرق الرشاد، جعل الله منكم لأبائكم خلفا، و أبقى منكم لأبنائكم سلفا، و لا أراكم الوجود بعده تلفا. و السلام.

محنته: امتحن، رحمه الله، بالتّغريب عن وطنه، لبغى بعض حسدته عليه، فأسكن بمرسية مدّة طويلة، إلى أن هلك بالمرية الأمير أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود، آخر جمادى الأولى سنة خمس و ثلاثين و ستمائة. فسرح أبو الحسن بن سهل إلى بلده في رمضان من هذه السنة.

و من شعره في ذلك الحال مما يدلّ على بعد شأوه و رفعه همته، قوله :

[الطويل]

أدافع همّي عن جوانب همّي و تأبى هموم العافين عن الدّفع

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٤٠ و ألتمس العتبي وحيدا و عاتبي و صرف الليالي و الحوادث في جمع

و إني من حزمي و عزمي و همتي و ما رزقته النّفس من كرم الطّبع

لفى منصب تعلق السماء سماته فتثبت نورا في كواكبها السبع
 غلا صرف دهرى إذ علا فإذا به تراب لنعلى أو غبار على شسى
 تدرعت بالصبر الجميل و أجلبت صروف الليالى كى تمزق لى درعى
 فما ملأت قلبى و لا قبضت يدى و لا نحتت أصلى و لا هصرت فرعى
 فإن عرضت لى لا يفوه بها فمى و إن زحفت لى لا يضيق بها ذرى
 و فى هذه الأبيات تأنيث السبعة الكواكب، و حكمها التذكير، و ذلك إما لتأويل بعد أو غفلة، فلينظره. قال أبو الحسن الرعيني: و
 دخلت عليه بمرسية، و بين يديه شمامة زهر، فأنشدنى لنفسه: [الطويل]

و حامل طيب لم يطيب بطيبه و لكنه عند الحقيقة طيب
 تألف من أعصاب آس و زهرة فمن صفته زاهر و رطيب
 تعانقت الأعصاب فيه كما التقى حبيب على طول التوى و حبيب
 و إن الذى أدناه دون فراقه إلى كبير فى الوجود عجيب
 مناسبة للبين كان انتسابها و كل غريب للغريب نسيب
 فبالأمس فى إسحاره و بداره و باليوم فى دار الغريب غريب
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٤١

تواليفه: صنف فى العربية كتابا مفيدا، رتب الكلام فيه على أبواب كتاب سيويه. و له تعاليق جليئة على كتاب المستصفي فى أصول
 الفقه، و ديوان شعر كبير.
 و كلامه الهزلى ظريف شهير.

مولده: عام تسعة و خمسين و خمسمائة.

وفاته: توفى بغرناطة منتصف ذى قعدة سنة تسع و ثلاثين و ستمائة. و زعم ابن الأبار أن وفاته كانت سنة أربعين و ستمائة، و ليس
 بصحيح. و دفن بمقبرة شقستر. قال ابن عبد الملك: و كان كريم النفس، [فاضل الطبع، نزيه الهممة]، حصيد الرأى، شريف الطباع،
 و جيبها، مبرورا، معظما عند الخاصة و العامة.

من رثاه: ممن كتب إلى بنه يعزيهم فى مصابهم بفقده، و يحضهم على الصبر من بعده، تلميذه الكاتب الرئيس أبو عبد الله بن الجنان
 : [الطويل]

دعونى و تسكاب الدموع السوافك فدعوى جميل الصبر دعوة آفك
 أصبر جميل فى قبيح حوادث خلعت على الأنوار ثوب الحواك
 تنكرت الدنيا على الدين ضللة و من شيمة الدنيا تنكر فارك
 فصبحنا حكم الردى بردائه فتلك و هذا هالك فى المهالك

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٤٢ عفا طلل منها و منه فأصبحا شريكى عنان فى بلا متدارك

فلا بهجة تبدى مسرة ناظرو لا حجة تهدى محجة سالك

و ما انتظم الأمران إلا ليؤذنا بأمر دها سير النجوم السوابك

و إن لمنشور الوجود انتظاره بكفى فناء للفناء مواشك

أما قد علمنا و العقول شواهد بأن انقراض العلم أصل المهالك

إذا أهلك الله العلوم و أهلها فما الله للدهر الجهول ببارك

هل العلم إلّا الزّوج و الخلق جثّه و ما الجسم بعد الروح بالتماسك
و ما راعنى فى عالم الكون حادث سوى حادث فى عالم ذى مدارك
لذلك ما أبكى كأنى متمم أتمم ما أبقى الأسى بعد مالك
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٤٣ و سهّل عندى أن أرى الحزن مالكى مصابى بالفياض سهل بن مالك
إمام هدى كئنا نقلد رأيه كتقليد رأى الشّافعى و مالك
غمام ندى كئنا عهدنا سماحه بساحل دارات العماد الحوائك
أحقّ قضى ذاك الجلال و قوّضت مبانى معال فى السماء سوامك؟
و أفقر فى نجد من المجد ربه و عمّر قبر مفرد بالدّكادك؟
و غيب طود فى صعيد بملحد و غيض بحر فى ثرى متلاحك
و وارى شمس المعارف غيب من الخطب يردى بالشّموس الدّوالك
ألا أيها النّاعى لك الثّكل لا تفه بها إنها أمّ الدّواهى الدّواهك
لعلّك فى نعى العلا متكذّب فكم ماحل من قبل فيه و ماحك
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٤٤ فكذّبهم يا ليت أنك مثلهم تواتر أخبار و صدق مالك
فيا حسن ذاك القول إذ بان كذبه و يا قبحه و الصّدق بادى المسالك
لقد أرجفوا فيه و قلبى راجف مخافة تصديق الطّنون الأوافك
كأنّ كمال الفضل كان يسوءهم فأبدوا على نقص هوى متهاك
كأنهم مستبطنون ليومه كما استبطأ المصبور هبةً باتك
كأنهم مستمطرون لعارض كعارض عاد للتجلّد عارك
بلى إنهم قد أرهصوا لرزية توضع ركن الصّابر المتمالك
فقد كان ما قد أذروا بوقوعه فهل بعده للصبر صولة فاتك؟
مصاب مصيب للقلوب بسهمه رمى عن قسىّ الليالى عواتك
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٤٥ بكت حسنها الغبراء فيه فأسعدت بأدمعها الخضراء ذات الحباك
على علم الإسلام قامت نوادب بهتن مباك أو بهتم مضاحك
فمن سنّه سنّت على الرأس تربها و مكرمه ناحت لأكرم هالك
و من آية تبكى منور صبحها إذا قام فى جنح من الليل حالك
و من حكمه تبكى لفقد مفجّر لينوعها السّلسال فى الأرض سالك
فيا أسفى من للهوى و رسومه و من لمنيح عند تلك المبارك؟
و من للواء الشّرع يرفع خفضه و يمنع من تمزيقه كفّ هاتك؟
و من لكتاب الله يدرس و حيه و يقبس منه النور غير متارك؟
و من لحديث المصطفى و ماخذ يبينها فى فهمه و متارك؟
و من ذا يزيل اللّبس فى متشابهه و من ذا يزيح الشّكّ عن متشابك؟
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٤٦ و من لليراع الصّفر طالت بكفّه فصارت طوال السمر مثل النيازك؟
و من للزّقاع البيض طابت بطيبه فجابت إلى الأملاك سبل المسالك؟

و من لمقام الحفل يصدع بالتي تقصّ لقسّ من جناح المدارك؟
و من لمقال كالتضار يخلص لإبريزه التبريز لا للسبائك؟
و من لفعال إن ذكرت بناءفعال و إن تنشر فمسكة فارك؟
و من لخلال كزمت و ضرائر ضربن بقده في عتاب الضرائك؟
و من لشعار الزهد أخفى بالغنى ففى طيه فضل الفضيل و مالك؟
و من لشعاب المجد أو لشعوبه إذا اختلطت ساداته بالصعالك؟
ألا ليس من: فاكفف عويلك أو فردفما بعد سهل فى العلى من مشارك
أصبنا فيالله فيه و إنماأصبنا لعمرى فى الدرّى و الحوارك
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٤٧ فناد بأفلاك المحامد: أقصرى فلا دوران، زال قطب المدارك
و صح بالسناء اليوم أقوىت منزلا بوطء المنايا لا بوطء السنابك
على هذه حام الحمام محلّقاثمانين حولا كالعدوّ المضاحك
فسالمة فى معرك الموت خادعاو حاربه إذ جاز ضنك المعارك
طواك الرّدى مهما يساكن فإنّه محرّك جيش ناهب العيش ناهك
سبى سبأ قدما و حى السكاسك و لم يأل عن خون لخان و مالك
و أفنى من ابناء البرايا جموعهاو ألقى البرى بالرغم فوق البرامك
سواء لديه أن يصول بفاتك من الناس ناس للتقى أو بناسك
و لو أنه أرعى على ذى كرامة لأرعى على المختار نجل العواتك
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٤٨ و لو راعه عمر تكامل ألفه لما راع نوحا فى السنين الدّكادك
و ما من سبيل للدوام و إنماخلقنا لأرحاء المنون الدواهك
فيا آل سهل أو بنيه مخصصاندا عموم فى غموم موالك
أعندكم أنى لما قد عراقم أمانع صبرى لن يلين عراقكى؟
فكيف أعزّى و التعزّى محرّم علىّ و لكن عادة آل مالك
فإن فرح يبدو فذاك تكزّه لتجريح صاب من مصاب مواعك
و إن كان صبر إنها لحلومكم ثوابت فى مرّ الرياح السواهك
ورثتم سنا ذاك المقدّس فارتقوا بأعلى سنام من ذرى العزّ تامك
فلم يمض من أبقي من المجد إرثه و لم يلق ملكا تارك مثل مالك
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٤٩ أ تدرّون لم جدّت ركاب أبيكم كما جدّ سير بالقلاص الرواتك؟
تذكّر فى أفق السماء قديمه فحنّ إلى عيص هنالك شابك
و كان سما فى حضرة القدس حظّه فلم يله عنه بالحظوظ الركائك
فيا عجباً منّا نبيكى مهنتبوا دارا فى جوار الملائك
يلاقيه فى تلك المغانى رفيقه بوجه منير بالتباشير ضاحك
فلا تحسبوا أنّ التوى غال روحه لجسم ثوى تحت الدّكادك سادك
فلو أنكم كوشفتكم بمكانه رأيتم مقيما فى أعالي الأرائك

ينعم في روض الرضا و تجوده سحائب في كئبان مسك عوانك
كذلك وعد الله في ذى مناسب من البر صحت بالتقى و مناسك
فيا رحمة الرحمن وافى جنباه و يا روحه سلم عليه و بارك

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٥٠ و يا لوعتى سيرى إليه برقعتي وقصى شجوننا من حديثى هنالك

حديث الأشجان شجون، و وجوه القراطيس به كوجوه الأيام جون، فارعنى سمعك أبثك بئى و اكتئابى، و أعرنى نظرة فى كتابى؛
لتعلم ما بى، فعندى ضرب الأسى جناية، و على وردى أطال باغى الأسى حمايه، و عبرتى أبكت من القطر سجامه، و زفرتى أذكت
من الجمر ضرامه، و منى تعلمت ذات الهديل كيف تنوح، و عنى أخذت ذات الحسن كيف تغدو والهة و تروح، فما مذعورة راعها
القنّاص، و علق بواحدھا جبل الجهالة فأعوزه الخلاص، فهى تتلفت إليه و المخافة خلفها و أمامها، و تتلهف عليه فتكاد تواقع فيه
حمامها، بأخفق ضلوعا، و أشفق روعا، و أضيّق مجالا، و أوسع أوجالا، و أشغل بالا، و أشعل بلبالا، بل ما طلاها، و قد رآها، ترمى
طلاها، فوقف حتى كاد يشركها فى الحين، و يحصل من الشّرك تحت جناحين. ثم أفلت و هو يشكّ فى الإفلات، و يشكو وحدته
فى الفلوات، بأرهب نفسا، و أجنب أنسا، و ألهب حشا، و أغلب توخشا، و أضيع بالمومات، و أضرع لغير الأمات، منى و قد وافى النبأ
العظيم، و نثر الهدى بكف الرّدى شمله النظيم، و أصبح يعقوب الأحزان و هو كظيم. و قيل: أصيبت الدنيا بحبشتها و حسنها، و الدّيانة
بمحسّنها و أبى حسنھا، فحقّ على القلوب انفتارها، و على العيون أن تهمنى قطارها، و على الصّبر أن يمزق جلبابه، و على الصّيدر أن
يغلق فى وجه السّلوّ بابہ.

أنعى الجليل السّعى، و رزيّة الجميل السّجيه، و وفاء الكريم الصفات، و فقد الصّميم المجد، و ذهاب السّمح الوهاب، و قبض روحانى
الأرض، و انعدام معنى الناس، و انهدام مغشى الإيناس، و انكساف شمس العلم، و انتساف قدس الحلم. يا له حادثا، جمع قديما من
الكروب و حادثا، و مصابا جرّع أوصابا، و أضحى الإحاطة فى أخبار غرناطة؛ ج ٤؛ ص ٢٥٠

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٥١

كلّ به مصابا. لا جرم أنى شربت من كأسه مستفظعها، و شرقت بها و بماء دمعى الذى ارفضّ معها، فعالت خلدى، و غالبت جلدى،
حتى غبت عنى، و لم أدر بالآمى التى تعنى. ثم أفقت من سكرى، و نفقت مبدّد فكرى، فراجعنى التذكار و التّهمام، و طاوعنى شجوننا
يتعاطاه الحمام، فبكيت حتى خشيت أن يعشيني، و غشيت إذ غشيني من ذلك أليم ما غشيني، و ظلت ألقى انبجاسا للترح يلقىنى،
فتارة يعينى، و تارة ييقينى، فلو أن احتدامى، و التّيدامى، و جفنى الدّامى، اطّلت على بعضه الخنساء، لقات: هذه عزمه حزن لا
يستطيعها النساء. ذلك بأن قسمه المراثى كقسمه الميراث، و للذّكران المزيّة، كان للسّرور أو للرزّيّة، على الإناث، هذا لو وازن مبكى
مبكي، و وارى ترايبى فلكيا، إنا لنبكى نور علم و هى تبكى ظلمة جهل، و ندبتى بجبل يدعى بسهل، كان يتفجّر منه الأنهار، و ينهال
جنبه من خشية الله أو ينهار، فى مثله و لا أريد بالمثل سواه، فما كان فى أبناء الجنس من ساواه. يحسن الجزع من كل مؤمن تقى، و
يقال للمتجلد: لا تنزع الرّحمة إلّا من شقى، فكل جفن بعده جاف، فصاحبه جلف أوصاف، و كل فؤاد لم تصدع له صفاته، و لم تتغير
لفقده صفاته، فمتحقّق عند العلماء معلوم، أنه معدود فى الحجارة أو معدوم. فيا ليت شعرى يوم ودّع للترحال، و دعا حاديه بشدّ
الترحال، كيف كان حاضره فى تلك الحال، هل استطاعوا معه صبرا، و أطاعوا لتليته أمرا؟ أو ضعف احتمالهم، و قوى فى مفارقة
النفوس احتمالهم؟ و يا ليت شعرى إذ أفادوا الماء طهارة زائدة بغسل جلاله! هل حطّوه فى غير ثنائه أو كّفنوه فى غير خلاله؟ و يا ليت
شعرى إذا استقلّ به نعشه لأشرف، ترفرف عليه الملائكة و يظللّه الرّفرف! هل رأوا قبله حمل الأطواد، على الأعواد، و سير الكواكب،
فى مثل تلك المواكب؟ فإنسوا بالإلف، و يرفعوا منكم الطّرف، و يدعوا لفيض من أثر ذلك الطّرف؟ و يا ليت شعرى إذ ودّعوا درّة
الوجود، صدفة اللّحد الموجود، لم آثروا الثّرى على نفوسهم، و رضوا الأرض مغربا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٥٢

لأنوار شمسهم؟ فهلا حفروا له بين أحشاء الضلوع، و جعلوا الصفيح صريح الحبّ و الولوع، فيكونوا قد فازوا بقربه، و جازوا فخرا خيّر لتربه؟ و يا ليت شعري إذا لم يفعلوا ذلك، و لم يهتدوا هذه المسالك! هل قضا حقّ الحزن، و سقوا جوانب الصّريح من عبراتهم بأمثال المزن؟ و هل اتصفوا بصفة الأسف، أو قنعوا منها بأن وصفوها؟ و هل تلافوا بقايا الأنفس، بعد المفقود الأنفس، و أتلّفوها؟ [الطويل]

فكلّ أسى لا تذهب النفس عنده فما هو إلّا من قبيل التصنّع

يا قدّس الله مثوى ذلك المتوفّي، و ما أظنّ الجزع تمّم حقّه و وفّى. و لو درى الزمن و بنوه، قدر من فقدوه، لوجدوا المفاجئ الفاجع أضعاف ما وجدوه، فقد فقدوا واحدا جامعا للعوالم، و ماجدا رافعا لأعلام المعالي و المعالم، و مفدّى ثقل له في الفدا، و نفوس الأوداء و الأعداء، و مبكى ما قامت على مثله النوائح، و لا حسنت إلّا فيه المراثي كما حسنت من قبل فيه المدائح. رحمة الله عليه و رضوانه، و ريحان الجنان يحييه به رضوانه. من لى بلسان يقضى حقّ ندبته، و جنان يقضى بما فيه إلى جثته و تربته، و قد تبهني حزني عليه و بلديني، و تملكني حصر الحسرة عليه و تعديني. و أين يقع مهلهل البديه، مما يخفيه مهلهل الثكل و بيديه؟ يمينا لو لبثت في كهف الرويّة ثلاثمائة سنين، و استمددت سواد ألسنة الفصحاء اللسنين، ما كنت في تأبين ذلك الفصل المبين من المحسنين، إلّا أنني أتيت بالطريف من بيانه [المعلم المطارف] و التليد، و رثيت رشد كماله برثائه كمال ابن رشد أبي الوليد، فأنشدت بنيه قوله فيه : [الطويل]

أخلّاي، إني من دموعي بزأخر بعيد عن الشّطين منه غريقه

و ما كان ظنّي قبل فقد أبيكم بأنّ مصابا مثل هذا أطيقه

و لم أدر من أشقى الثلاثة بعده أبنائه أم دهره أم صديقه؟

ثم استوفيت تلك الأبيات و الرسالة، و أجريت بترجيّعها من دم الكبد و نجيعها عبراتي المسألة، فحينئذ كنت أوفّي المصاب واجبه، و أشفى صدورا صديقه شجيّه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٥٣

و قلوبا واجفة واجبة. و لو أن ما رثي به نفسه الكريمة من ثر إساءته، حين رأى الحين مغتصبا حشاشه مكرماته، أثار كامن وجدى بألفاظه المبكية، و معانيه التي تحلّ من مزاد العيون الأوكية، لا هبّ لي رندا، و أعقبنى صفاة تندي، و أطمعني في أن يعود بكائي زبدا. فقد بلغني أنه لما وقف على ثيّه المتيّه، و عرف قرب انتقال السّاكن من البتيّه، جمع بنات فكره، كما جمع شبيهة الحمد بنات خدره، و قال: يا بنياتي، قد آن ليومي أن يأتي، فهل لكن أن ترينني؟ فوضعن أكبادهن على الوشيج، و رفعن أصواتهن بالتّشيج، و أقبلن يرجعن الأناشيد، و يفجعن القريب و البعيد، حتى أوما إلهنّ، بأن قضين ما عليهنّ، فيا إخوانه، و مثلي بهذا النداء نخي و تاه: أسهموا أخاكم في ميراث تلكم الكلم، و احموا فؤادا باللممّ المؤلم قد كلم، و لا تقولوا يكفيه ميراث الأحران، فتبخسوا و حاشاكم في الميزان، فإني و إن تناولتها باليدين، و غلبت عليها فإني صاحب الفريضة و الدّين، فإني لحظّي من ميراث الحكمة سائل، و مع أن لي حقّا فلي ذمم و وسائل، فابعثوا إليّ ما يطارحني في أشجاني، و أفف على رسمة فأقول شجاني، و لا أطلب من كلام ذلكم الإمام، العزيز فقدّه على الإسلام، قوله في التصبير، على الرزء الكبير، و وصاته، لئلا يلزمني و لست بالمستطيع إصغاء للمطيع لأمره و إنصاته، فإن امتثلت، أصبت قتلي بما نثلت، و إن عصيت، أبعدت نفسي من رضاه و أقصيت، ولي في استصحاب حالي أمل، و ما لم يرد خطاب لم يلزم عمل. على أني و إن صاب و ابل دمعي و صب، و أصبحت بذكر المصاب الكلف الصّب، فلا أقول إلّا ما يرضى الربّ، فإني أبكي عالما كبيرا، و علما شهيرا، تسعدني في بكائه الملمّة، و تنجدني بوجده فأنا الكاتب و هي المملّة.

و أما أنتم أيها الإخوة الفضلاء، و الصفوة الكرماء، فقد تلقيتهم وصلته المباركة شفاهها، و داوى صدوركم بكلامه النافع و شفاهها، فلا يسعكم إلّا الامتثال، و الصبر الذي تضرب به الأمثال، فعزاء عزاء، و انتماء إلى التّأسي و اعتزاء، و إن فضل رزء

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٥٤

أرزاء، و كان جزء منه يعدل أجزاء، فعلى قدرها تصاب العلياء، و أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء. ذلك لتبين فضيلة الرضا و التسليم، و تتعين صفات من يأتي الله بالقلب السليم، و يعلم كيف يخلف الكريم للكريم، و كيف يحل الأجر العظيم، و هب الله لكم في مصابكم صبرا على قدره، و سكب ديم مغفرته على مئوى فقيدكم و قبره، و طيب بعرف روضات الجنات جنات قصره، و نفعه بما كان أودعه من أسرار العلوم فى صدره، و خلفه منكم بكل سرى بحلة المجد من كل ندى بصدرة.

قلت: ذكر الشيخ ابن الخطيب فى الأصل فى هذه الترجمة «الأعيان و الوزراء»، ستة من أهل هذا البيت، كلهم يسمون بهذا الاسم، عدا واحدا، فإنه سمي بسعيد، و ذاك مما يدل على كثرة النباهة و الأصالة و الوجاهة، رحمهم الله.

سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن أحمد ابن عبد السلام الحميرى الكلاعى

بلنسى الأصل، يكنى أبا الربيع، و يعرف بابن سالم.

حاله: كان بقتية الأكاير من أهل العلم بصقع الأندلس الشرقى، حافظا للحديث، مبرزاً فى نقده، تام المعرفة بطرقه، ضابطا لأحكام أسانيده، ذاكرا لرجالها، ريان من الأدب، كاتباً بليغاً. خطب بجامع بلنسية و استقضى، و عرف بالعدل و الجلالة، و كان مع ذلك من أولى الحزم و البسالة، و الإقدام و الجزالة

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٥٥

و الشهامة، يحضر الغزوات، و يباشر بنفسه القتال، و يبلى البلاء الحسن، آخرها الغزاة التى استشهد فيها.

مشيخته: روى عن أبى القاسم بن حبيش و أكثر عنه، و أبى محمد بن عبيد الله، و أبى عبد الله بن زرقون، و أبى عبد الله بن حميد، و أبى بكر بن الجدد، و أبى محمد بن سيد بونء، و أبى بكر بن مغاور، و أبى محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم بن الفرس، و أبى بكر بن أبى جمره، و أبى الحسن بن كوثر، و أبى خالد بن رفاعه، و أبى جعفر بن حكم، و أبى عبد الله بن الفخار، و أبى الحجاج بن الشيخ، و أبى عبد الله بن نوح، و أبى الحجاج بن أبى محمد بن أيوب، و أبى بكر عتيق بن على العبدري، و أبى محمد عبد الوهاب بن عبد الصمد بن عتاب الصدفى، و أبى العباس بن مضاء، و أبى القاسم بن سمحون، و أبى الحسن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع الأشعري، و أبى زكريا الأصبهاني، و أبى بكر أسامة بن سليم، و أبى محمد عبد الحق الأزدي، و أبى محمد الشاذلى، و أبى الطاهر بن عوف، و أبى عبد الله الحضرمى، و جماعة غير هؤلاء من أهل المشرق و المغرب.

من روى عنه: روى عنه أبو بكر بن أبى جعفر بن عمر، و عبد الله بن حزب الله، و أبو جعفر بن على، و ابن غالب، و أبو زكريا بن العباس، و أبو الحسن طاهر بن على، و أبو الحسين عبد الملك بن مفوز، و ابن الأبار، و ابن الجنان، و ابن المواق، و أبو العباس بن هرقد، و ابن الغمّاز، و أبو عمرو بن سالم، و أبو محمد بن برطله، و أبو الحسن الرعيني، و أبو جعفر الطنجالى، و أبو الحجاج بن حكم، و أبو على بن الناظر.

تصانيفه: منها «مصباح الظلم» فى الحديث، و «الأربعون حديثاً عن أربعين شيخاً لأربعين من الصحابة»، و «الأربعون السباعية»، و «السبعيات من حديث الصدفى»، و «حلية الأمالى، فى المراقبات العوالى»، و «تحفة الوداد، و نجعة

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٥٦

الرؤاد»، و «المسلسلات و الإنشادات»، و «كتاب الاكتفاء فى مغازى رسول الله، و مغازى الثلاثة الخلفاء»، و «ميدان السابقين، و حلية الصيادقين المصدقين» فى غرض كتاب الاستيعاب، و لم يكمله، و «المعجم ممن وافقت كنيته زوجه من الصحابة»، و «الإعلام بأخبار البخارى الإمام»، و «المعجم فى مشيخة أبى القاسم بن حبيش»، و «برنامج رواياته». و «جنى الرطب فى سنى الخطب»، و «نكتة الأمثال و نفثة السحر الحلال»، و «جهد النصيح، فى معارضة المعزى فى خطبة الفصيح»، و «الامتثال لمثال المنبهج فى ابتداع الحكم و اختراع

الأمثال»، و «مفاوضة القلب العليل و منابذة الأمل الطويل بطريقة أبي العلاء المعري في ملقى السيل»، و «مجاز فتيا اللحن للآحن الممتحن»، يشتمل على مائة مسألة ملغزة، و «نتيجة الحب الصميم و زكاة المنثور و المنظوم»، و «الصحف المنشرة، في القطع المعشرة»، و «ديوان رسائله»، سفر متوسط، و «ديوان شعره»، سفر .

شعره: من شعره ما كتب به إلى أبي بحر صفوان بن إدريس، عقب انفصاليه من بلنسية عام سبعة و ثمانين و خمسمائة: [الطويل]

أحنّ إلى نجد و من حلّ في نجدو ما ذا الذي يغني حنيني أو يجدي؟

و قد أوطنوها و ادعين و خلفوا محبتهم رهن الصبابة و الوجد

تبيّن بالبين اشتياقي إليهم و جدى فساوى ما أجنّ الذي يبدي

و ضاقت على الأرض حتى كأنهاو شاح بخصر أو سوار على زند

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٥٧ إلى الله أشكو ما ألقى من الجوى و بعض الذي لاقته من جوى يردى

فراق أخلاء و صدّ أجنّه كأنّ صروف الدهر كانت على وعد

فيا سرحتي نجد، نداء متتيم له أبدا شوق إلى سرحتي نجد

ظمت، فهل ظلّ يبرّد لوعتي؟ ضحيت، فهل ظلّ يسكن من وجد؟

و يا زما قد مرّ غير مذمم لعلّ الأنس قد تصرّم من ردّ

ليالى نجنى الأنس من شجر المنى و نقطف زهر الوصل من شجر الصّد

و سقيا لإخوان بأكناف حائل كرام السجايا لا يحولون عن عهد

و كم لى بنجد من سرى ممجدو لا كابن إدريس، أخى البشر و الجدّ

أخو همّة كالزهر فى بعد نيلهاو ذو خلق كالزهر غبّ الحيا العدّ

تجمعت الأصداد فيه حميدة فمن خلق سبط و من حسب جعد

أيا راحلا أودى بصبرى رحيله و قلل من عزمى و ثلم من حدى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٥٨ أتعلم ما يلقى الفؤاد لبعدهم؟ ألا مذ نأتم لا يعيد و لا يبدي

فيا ليت شعرى! هل تعود لنا المنى؟ و عيش كما نممت حاشيتى برد؟

عسى الله أن يدنى السرور بقربكم فيبدو بنا الشمل منتظم العقد

و من شعره فى النسب و فقد الشباب: [الطويل]

توالت ليال للغواية جون و وافى صباح للرشاد ميبين

ركاب شباب أزمعت عنك رحلة و جيش مشيب جهّزته منون

و لا أكذب الرحمن فيما أجنّه و كيف و ما يخفى عليه جنين؟

و من لم يخل أن الرّياء يشينه فمن مذهبي أن الرّياء يشين

لقد ريع قلبى للشباب و فقده كما ريع بالعقد الفقيد ضنين

و آلمنى و خط المشيب بلمتى فخطت بقلبي للشجون فنون

و ليل شبابى كان أنضر منظرا و آتق مهما لاحظته عيون

فآها على عيش تكدر صفوه و أنس خلا منه صفا و حجون

و يا ويح فودى أو فؤادى كلّماتريد شيبى كيف بعد يكون؟

حرام على قلبى سكون بغيره و كيف مع الشيب الممضّ سكون؟

و قالوا: شباب المرء شعبة جنة فما لي عراني للمشيب جنون؟

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٥٩ وقالوا شجاعك الشيب حدثان ما أتى ولم يعلموا أن الحديث شجون

وقال في الاستعانة والتوكل عليه: [الطويل]

أمولى الموالى ليس غيرك لى مولى و ما أحد يا رب منك بذا أولى

تبارك وجه وجهت نحوه المنى فأوزعها شكرا و أوسعها طولا

و ما هو إلا وجهك الدائم الذى أقل حلى عليائه يخرس القولا

تبرأت من حولى إليك وقوتى فكن قوتى فى مطلبى و كن الحولا

و هب لى الرضا مالى سوى ذاك مبتغى ولا لقيت نفسى على نيله الهولا

وقال: [الطويل]

مضت لى سبع بعد عشرين حجة ولى حركات بعدها و سكون

فيا ليت شعرى كيف أو أين أو متى يكون الذى لا بد أن سيكون؟

واستجاز المترجم به من يذكر بما نصه: المسؤول من السادة العلماء أئمة الدين، و هداة المسلمين، أن يجيزوا لمن ثبت اسمه فى هذا

الاستدعاء، و هم المولى الوزير العالم الفاضل الأشرف بهاء الدين أبو العباس أحمد ابن القاضى الأجل أبى عبد الرحمن بن على

البيسانى، و لولديه أبى عبد الله، محمد، و أبى عبد الله الحسين و ولده عبد الرحيم، و لأولاد ولده أبى الفتح حسن، و أبوى محمد

عبد الرحمن و يوسف، و لمماليكه سنقر و أخيه الصغير و سنجر التركيون، و أفيد و أفسر الروميان، و لكمال بن يوسف بن نصر بن

سارى الطباخ، و للوجه أبى الفخر بن بركات بن ظافر بن عساكر. و لأبى الحسن بن عبد الوهاب بن وردان، و لأبى البقاء

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٦٠

خالد بن يوسف الشاذلى و لولده محمد، و لمحمد بن يوسف بن محمد البزالي الإشبيلي و لولده، و لعبد العظيم بن عبد الله المندرى

و لولده أبى بكر، و لأبى الحسن بن عبد الله العطار جميع ما يجوز لهم روايته من العلوم على اختلافها، و ما لهم من نظم و نشر، و إن

رأوا تعيين موالدهم و مشايخهم و إثبات أبيات يخف موقعها ثراه من الزلل، و مما يخالف الحق، فعملوا ماجورين. و كتب فى العشر

الأخر من شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين و ستمائة.

فكتب مجيزا بما نصه: قال سليمان بن موسى بن سالم الكلاعى، و كتب بيده تجاوز الله عنه، و أقام بالعفو من أوده: إنى لَمَا وقفت

على هذا الاستدعاء، أجب الله فى مستدعيه المسمى فيه صالح الدعاء، اقتضى حق المسؤول له، الوزير الأجل، العالم الأشرف الأفاضل

بهاء الدين أبو العباس ابن القاضى الأجل، الفاضل العلم الأوحده، ندره الزمان، و لسان الدهر، و قس البيان، أبو على عبد الرحيم بن

على، أعلى الله قدره و رفعه، و وسم سلفه الكريم و نفعه، تأكيد الإسعاف، بحكم الإنصاف، له و لكل من سمى معه، فأطلقت الإذن

لجميعهم، على تباعد أفكارهم و تدانيها، و تباين أقدارهم و تساويها، من أب سنّى، و ذرية عريقة فى النسب العلى، و مماليك له

تميزوا بالنسب المولوى، و سمين بعدهم، اعتلقوا من الرغبة فى نقل العلم بالحبل المتين و السبب القوى. و الله بالغ بجميعهم من

تدارك الآمال أبعد الشأو القصى، و يجريهم من مساعدة الإمكان، و مسالمة الزمان، على المنهج المرضى، و السنن السوى، أن يحدّثوا

بكل ما اشتملت عليه روايتى، و نظمته عنايتى، من مشهور الدواوين، و منشور الأجزاء المنقولة عن ثقافت الزاوين، و غير ذلك من

المجموعات فى أى علم كان من علوم الدين، و كل ما يتعلق بها من قرب أو بعد مما يقع عليه التّعين، و بما يصح عندهم نسبه إلى

من مجموع جمعته، و منظوم نظمته، أو نشر صنعته. الإباحة العامة على ذلك آتية، و مقاصد الإسعاف لرغبتهم فيه مطاوعة و موافية،

فليروا عنى من ذلك موقّنين، ما شاءوا أن يرووه، و ليلتموا فى تحصيله أولا و أدائه ثانيا أوفى ما التزمه العلماء و اشترطوه. و من جلّه

شيوخى و صدورهم الذين سمعت منهم، و أخذت بكل وجوه الأخذ عنهم، القاضى الإمام الخطيب العلامة أبو القاسم عبد الرحمن بن

محمد بن عبد الله بن يوسف بن حبيش، آخر أئمة المحدثين بالمغرب، رضى الله عنهم. و الإمام الحافظ الصدر الكبير أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرج بن الجدد الفهري. و الفقيه المشاور القاضي المسند أبو عبد الله محمد بن أبي الطيب.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٦١

و الفقيه الحافظ أبو محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي. و القاضي الخطيب النحوي أبو عبد الله محمد بن جعفر بن حميد. و الأستاذ الحافظ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن جمهور القيسي. و الشيخ الراوية الثقة أبو محمد عبد الحق بن عبد الملك بن بونه بن سعيد بن عصام العبدري. و الشيخ الصالح أبو جعفر أحمد بن حكم القيسي الحصار الخطيب بجامعة غرناطة. و الفقيه القاضي الأجل أبو العباس يحيى بن عبد الرحمن بن الحاج. و القاضي الفقيه الحسيب أبو بكر بن أبي جمرة. و القاضي أبو بكر بن مغمور. و القاضي المسند أبو الحسين عبد الرحمن بن ربيع الأشعري. و سوى هؤلاء ممن سمعنا منه كثيرا، و كلهم أجازني روايته و ما سمعه.

و قرأت على الخطيب أبي القاسم بن حبيش غير هذا و سمعت كثيرا، و توفي، رحمه الله، بمرسية في الرابع عشر لصفرة لسنة أربع و ثمانين و خمسمائة. و مولده سنة أربع و خمسمائة، على ما أخبرني به، رحمه الله و رضى عنه. و مما أخذته عن الحافظ أبي بكر بن الجدد بإشبيلية بلده، موطأ مالك، رواية يحيى بن يحيى القرطبي، أخبرني به عن أبي بحر سفيان بن العاصي الأسدي الحافظ، سمعا بأسانيد المعلومه. و توفي الحافظ أبو بكر سنة ست و ثمانين. و قرأت على الفقيه أبي عبد الله بن زرقون أيضا موطأ مالك، و حدثني به عن أبي عبد الله الخولاني إجازة، قال: سمعته على أبي عمرو عثمان بن أحمد بن يوسف اللخمي؛ عن أبي عيسى يحيى بن عبد الله بن أبي عيسى، عن أبيه عبيد الله بن يحيى الليثي، عن أبيه عن مالك بن أنس، رضى الله عن جميعهم. و لا- يوجد اليوم بأندلسنا و مغربنا بأعلى من هذه الأسانيد. و ممن كتب لي بالإجازة من ثغر الإسكندرية الإمام الحافظ مفتي الديار المصرية و رئيسها أبو الطاهر بن عوف، و الفقيه الحاكم أبو عبد الله بن الحضرمي، و الفقيه المدرس أبو القاسم بن فيزه، و غيرهم، نفعنا الله بهم، و وفقنا للاقتداء بصالح مذهبهم. و أما المولد الذي وقع السؤال عنه، فإني ولدت على ما أخبرني أبواي، رحمهما الله، بقاعدة مرسية، مستهل رمضان المعظم سنة خمس و ستين و خمسمائة. و مما يليق أن يكتب في هذا الموضع ما أنشدني شيخنا الفقيه أبو بكر عبد الرحمن بن محمد بن مغاور، رحمه الله، في منزله بشاطبة سنة ست و ثمانين و خمسمائة، و هو بقتية مشيخة الكتاب بالأندلس لنفسه، مما أعدّه ليكتب على قبره: [الخفيف]

أيها الواقف اعتبارا بقبرى استمع فيه قول عظمى الرميم

أودعوني بطن الضريح و خافوا من ذنوب كلومها بأديم

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٦٢ قلت: لا تجزعو عليّ فإني حسن الظنّ بالرؤوف الرحيم

و دعوني بما اكتسبت رهينا غلق الرهن عند مولى كريم

انتهى. و كتب هذا بخطه في مدينة بلنسية، حماها الله، سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي، في الموفى عشرين لجمادى الآخرة سنة إحدى و ثلاثين و ستمائة.

و الحمد لله رب العالمين.

وفاته: كان أبدا يقول: إن منتهى عمره سبعون سنة لرؤيا رآها في صغره، فكان كذلك، و استشهد في الكائنة على المسلمين بظاهر أنيشة على نحو سبعة أميال منها؛ لم يزل متقدما أمام الصفوف زحفا إلى الكفار، مقبلا على العدو، ينادى بالمنهزمين من الجند: أعن الجنة تفرون؟ حتى قتل صابرا محتسبا، غداة يوم الخميس لعشر بقين من ذى الحجة سنة أربع و ثلاثين و ستمائة.

و رثاه أبو عبد الله بن الأبار، رحمه الله، بقوله: [الطويل]

ألما بأشلاء العلى و المكارم تقدّ بأطراف القنا و الصّوارم

و عوجا عليها مآربا و حفاوة مصارع غصت بالطلا و الجماجم
نحى وجوها فى الجنان و جبهة بما لقيت حمرا و جوه الملاحم
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٦٣ و أجساد إيمان كساها نجيعها مجاسد من نسج الطى و اللهازم
مكزمة حتى عن الدفن فى الثرى و ما يكرم الرحمن غير الأكارم
هم القوم راحوا للشهادة فاغندوا و ما لهم فى فوزهم من مقاوم
تساقوا كؤوس الموت فى حومة الوغى فمالت بهم ميل الغصون النواعم
مضوا فى سبيل الله قدما كأنما يطرون من أقدامهم بقوادم
يرون جوار الله أكبر مغنم كذاك جوار الله أسنى المغنم
عظام نالوها فخاضوا لنيلها و لا روع يثنيهم صدور العظام
و هان عليهم أن تكون لحدودهم متون الروابى أو بطون التهائم
ألا بأبى تلك الوجوه سواهما و إن كن عند الله غير سواهم
عفا حسنها إلا بقايا مباسم يعز علينا و طوها بالمناسم
و سور أسارير تنير طلاقة فتكسف أنوار النجوم العواتم
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٦٤ لئن و كفت فيها الدموع سحائب فعن بارقات لحن فيها لشائم
و يا أبى تلك الجسوم نواحلا يجرائها نحو الأجور الجسائم
تغلغل فيها كل أسمر ذابل فجدل منها كل أبيض ناعم
فلا يبعد الله الذين تقربوا إليه بإهداء النفوس الكرائم
مواقف أبرار قضوا من جهادهم حقوقا عليهم كالقروض اللوازم
أصيبوا و كانوا فى العبادة أسوة شبابا و شيئا بالغواشى الغواشم
فعامل رمح دق فى صدر عامل و قائم سيف قد فى رأس قائم
و يا رب صوام الهواجر واصل هنالك مصروم الحياة بصارم
و منقذ عان فى الأدهم راسف ينوء برجلي راسف فى الأدهم
أضاعهم يوم الخميس حفاظهم و كرمهم فى المأزق المتلاحم
سقى الله أشلاء بسفح أنيشه سوافح ترجيها ثقال الغمام
و صلى عليها أنفسا طاب ذكرها فطيب أنفاس الرياح النواسم
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٦٥ لقد صبروا فيها كراما و صابروا فلا غرو أن فازوا بصفو المكارم
و ما بدلوها إلا نفوسا كريمة تحن إلى الأخرى حنين الروائم
و لا فارقوا و الموت يتلع جيده فحيث التقى الجمعان صدق العزائم
بعيشك طارحنى الحديث عن التى أراجع فيها بالدموع السواجم
و ما هى إلا غاديات فجائع تعب عنها رائحات مآتم
جلائل دق الصبر فيها فلم نطق سوى غص أجفان و غص أباهم
أبيت لها تحت الظلام كأننى رمى نصال أو لديغ أراقم
أغازل من برح الأسى غير بارح و أزجر من سأم البكا غير سائم

و أعقد بالنجم المشرق ناظرى فيغرب عنى ساهرا غير نائم
و أشكو إلى الأيام سوء صنيعهاو لكنها شكوى إلى غير راحم
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٦٦ و هيهات هيهات العزاء و دونه قواصم شتى أردفت بقواصم
و لو برّد السلوان حرّ جوانحى لآثرت عن طوع سلو البهائم
و من لى بسلوان يحلّ منفرايجاث من الأرزاء حولى جاثم
و بين الثنايا و المخارم رمه سرى فى الثنايا طيها و المخارم
بكتها المعالى و المعالم جهدها فمن للمعالى بعدها و المعالم؟
سعيد سعيد لم ترمه قراره و أعظم بها وسط العظام الزمائم
كأن دما أذكى أديم ترابهاو قد مازجته الريح مسك اللطائم
يشقّ على الإسلام إسلام مثلها إلى خامعات بالفلا و قشاعم
كأن لم تبت تغشى السراة قباهاو يرعى حماها الصّيد رعى السوائم
سفتحت عليها الدمع أحمر وارسا كما تنثر الياقوت أيدى التواظم
و سامرت فيها الباقيات نوادبا يؤرّقن تحت الليل ورق الحمام
و قاسمت فى حمل الرزية أهلها و ليس قسيم البر غير المقاسم
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٦٧ فوا أسفا للذين أعضل داؤه و آيس من أسّ لمسراه حاسم
و يا أسفا للعلم أقوت ربوعه و أصبح مهدود الدرّى و الدعائم
قضى حامل الآثار من آل يعرب و حامى هدى المختار من آل هاشم
خبا الكوكب الوقاد إذ متع الضحى ليخبط فى ليل من الجهل فاحم
و خانت مساعى السامعين حديثه كما شاء يوم الحادث المتفاقم
فأى بهاء غار ليس بطالع و أى سناء غاب ليس بقادم
سلام على الدنيا إذا لم يلح بهامحيا سليمان بن موسى بن سالم
و هل فى حياتى متعه بعد موته و قد أسلمتنى للدواهى الدواهم؟
فهاذا فى حرب دهر محارب و كنت به فى أمن دهر مسالم
أخو العزة القعساء كهلا و يفاعو أكفأوه ما بين راض و راغم
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٦٨ تفرد بالعلياء علما و سؤددواو حسبك من عال على الشهب عالم
معزسه فوق السهى و مقيله و مورده قبل النسور الجواثم
بعيد مداه لا يشقّ غباره إذا فاه فاض السحر ضربه لازم
يفوّض منه كلّ ناد و منبر إلى ناجح مسعا فى كلّ ناجم
متى صادم الخطب الملمم بخطبه كفى صادما منه بأكبر صادم
له منطق سهل التواحي قريها فإن رمته ألفت صعب الشكائم
و سحر بيان فات كلّ مفوه فبات عليه قارعا سنّ نادم
و ما الروض حلّاه بجوهره الندى و لا البرد و شته أكفّ الرواقم
بأبدع حسنا فى صحائفه التى تسيرها أقلامه فى الأقالم

يمان كلاعى نماء إلى العلاتمام حواه قبل عقد التمام
 يروق رواق الملك في كل مشهدو يحسن وسما في وجوه المواسم
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٦٩ و يكثر أعلام البسيطة وحده كمال مثال أو جمال مقاوم
 لعا لزمان عاثر من خلاله بواق من الجلى أصيب بواقم
 مناد إلى دار السلام منادم بها الحور، واهما للمنادى المنادم
 أتاه رداه مقبلا غير مدبرليحظى بإقبال من الله دائم
 إماما لدين أو قواما لدولة تولى و لم تلحقه لومة لائم
 فإن عابه حساده شرقا به فلن تعدم الحسنة ذاما بذائم
 فيا أيها المخدوم سامى محلله فدى لك من ساداتنا كل خادم
 و يا أيها المختوم بالفوز سعيه ألا إنما الأعمال حسن الخواتم
 هنيئا لك الحسنى من الله إنها لكل تقى خيمه، غير خائم
 تبوات جنات النعيم و لم تزل نزيل الثريا قبلها و النعائم
 و لم تأل عيشا راضيا أو شهادة ترى ما عداها في عداد المآتم
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٧٠ لعمري ما يبلى بلاؤك في العداو قد جرت الأبطال ذيل الهزائم
 و تالله لا ينسى مقامك في الوغى سوى جاحد نور الغزاة كاتم
 لقيت الردى في الزوع جذلان باسمافبوركت من جذلان في الزوع باسم
 و حمت على الفردوس حتى وردته ففزت بأشتات المنى فوز غانم
 أجدك لا تتنى عنانا لأوبة أداوى بها برح الغليل المداوم
 و لا أنت بعد اليوم واعد هبة من النوم تحدونى إلى حال حالم
 لسرعان ما قوضت رحلك ظاعناو سرت على غير النواجى الزواسم
 و خلقت من يرجو دفاعك يائسامن النصر أثناء الخطوب الصوائم
 كأنى للأشجان فوق هواجر بما عادنى من عاديات هواجم
 عدمتك مفقودا يعز نظيره فيا عز معدوم و يا هون عادم
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٧١ و رمتك مطلوبوا فأعيا مناله و كيف بما أعيا منالا لرائم؟
 و إنى لمحزون الفؤاد صديعه خلافا لسال قلبه منك سالم
 و عندى إلى لقياك شوق مبرح طوانى من حامى الجوى فوق جاحم
 و فى خلدى و الله ثكلك خالد أئيه بر لا أئيه آثم
 و لو أن فى قلبى مكانا لسولة سلوت و لكن لا سلو لهائم
 ظلمتك أن لم أقض نعماك حقهاو مثلى فى أمثالها غير ظالم
 يطالبنى فيك الوفاء بغايه سموت لها حفظا لتلك المراسم
 فأبكى لشلو بالعراء كما بكى زياد لقبر بين بصرى و جاسم
 و أعبد أن يمتاز دونى عبده بعلياء فى تأبين قيس بن عاصم
 و هذى المراثى قد وفيت برسمها مسهمة جهد الوفى المساهم

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٧٢ فمد إليها رافعا يد قابل أكب عليها خافضا فم لاثم

و من القضاء في هذا الحرف

سلمون بن علي بن عبد الله بن سلمون الكنانى

من أهل غرناطة، يكنى أبا القاسم، و يدعى باسم جده سلمون، و قد مرّ ذكر أبيه و أخيه. حاله: من أهل العلم و الهدى الحسن و الوقار، قديم العدالة، متعدّد الولاية، مضطلع بالأحكام، عارف بالشروط، صدر وقته في ذلك، و سابق حلته إلى الرواية و المشاركة و التبجّح في بيت الخير و الحشمة و فضل الأبوة و الأخوة. قلّ في الأندلس مكان شدّ عن ولايته، و ناب عن القضاء بالحضرة، فحمد نفاذه، و حسنت سيرته. ثم ولى مستبداً في الدولة الباغية، و خاض في بعض أهوائها، بما جرّ عليه عتبا، فعقبه الإعتاب عن كتب. تواليفه: ألف في الوثائق المرتبطة بالأحكام كتابا مفيدا، نسبه بعض معاصريه إلى أنه قيّده عن شيخه أبى جعفر بن فركون، و دون مشيخته.

مشيخته: أجازته الرواية المعمر أبو محمد بن هارون الطائى، و الشيخ المسن أبو جعفر أحمد بن عيسى بن عياش المالقى، و الشيخ الأديب أبو الحكم ابن المرخيل، و العدل أبو بكر بن إسحاق التجيبى، و القاضى أبو العباس بن الغمّاز، و الفرضى أبو إسحاق التلمسانى، و أبو الحسن بن عبد الباقي بن الصواف، و المحدث أبو محمد الخلاسى، و الرواية أبو سلطان جابر بن محمد بن قاسم بن حيّان القيسى، و الوزير أبو محمد بن سماك، و الشيخ المدرّس بالديار المصرية أبو محمد الدميّاطى، و المقرئ الزاوية أبو عبد الله بن عياش، و أبو الحسن بن مضاء، و المحدث أبو عبد الله بن النجار، و أبو زكريا بن عبد الله بن محرز، و المقرئ أبو بكر بن عبد الكريم بن صدقة السّفاقسى، و الشيخ زين الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن القرشى العونى، و أبو القاسم الأيسر الجذامى، و شهاب الدين الأبرقوسى،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٧٣

و العدل أبو فارس الهوارى، و أبو الكرم الحميرى، و أبو الفدا بن المعلم، و الشريف أبو الحسن القرافى، و أبو عبد الله بن رحيمه، و الشيخ أبو عبد الله بن الليدى، و أبو الحسن بن عطية البودرى، و أبو محمد بن سعيد المسراتى، و أبو عبد الله بن عبد الحميد، و الخطيب أبو الحسن بن السّفّاح الرّندى، و أبو محمد بن عطية، و الوزير أبو عبد الله بن أبى عامر بن ربيع، و العدل أبو الحسن بن مستقور، و الخطيب أبو عبد الله بن شعيب، و الشريف أبو على بن طاهر بن أبى الشرف، و الأستاذ أبو بكر بن عبيدة. و قرأ على الأستاذ أبى جعفر بن الزبير، و برنامج رواياته نبيه. مولده: عام خمسة و ثمانين و ستمائة .

و من المحدثين و الفقهاء و سائر الطلبة النجباء بين أصلى و غيره:

سعيد بن محمد بن إبراهيم بن عاصم بن سعيد الغسانى

من أهل غرناطة، يكنى أبا عثمان. حاله: هذا الرجل من أهل الذكاء و المعرفة و الإدراك، يقوم على الكتاب العزيز حفظا و تدريسا، و يشارك في فنون؛ من أصول و فقه و حساب و تعديل، و معرفة بالإمامات الشّعاعية. يكتب خطا حسنا، و ينظم الشعر، و يحفظ الكثير من التّف و الأخبار، مقتصد،

منقبض عن الناس، مشغل بشأنه، قيد الكثير، يسير إلى لزمانة أصابت أختها، بما يدل على نشاطه و همته. مشيخته: قرأ على الأستاذ الخطيب أبي القاسم بن جزي، ورحل إلى العدو، فلقى بفاس و تلمسان جملة، كالأستاذ أبي إسحاق السلاوي التلمساني، و أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن المكناسي من أهل فاس، و الحاج ابن سبيع، و غيرهم. و استدعيته لتأديب ولدي، أسعدهم الله، فبلوت منه على السنين، نضحا و سلامة و دينا و عفة. الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٧٤

شعره: جرى ذكره في «الإكليل الزاهر» بما نصّه: ممن يتشوق إلى المعارف و المقالات، و يتشوق إلى الحقائق و المجالات، و يشتمل على نفس رقيقة، و يسير من تعليم القرآن على خير طريقة، و يعاني من الشعر ما يشهد بنبهه، و يستظرف من مثله. فمن شعره قوله: [الكامل]

لما نأوا في الطاعنين و ساروا أضحت قلوب العاشقين تحار
تركوهم في ظلمة و توخّش ما انجابت الأضواء و الأنوار
ذهبوا فأبقوا كل عقل ذاهلا و لكل قلب بالتزوح مطار
ظعنوا و قد فتنوا الوري بجمالهم عبثوا بأفئدة الأنام و حاروا
ما ضرهم قبل التوى لو و دعوا ما ضرهم لو أعلموا إذ ساروا
فقلوبنا من بعدهم في فجعة و دموعنا من بعدهم أمطار
يا دار، أين أحتبى و وصالنا؟ أين الذي كنا به يا دار؟
كنا نذيع به عبير حديثنا و كلامنا الألفاظ و الأشعار
و الطير تتلو فوقنا نغماتها و الدهر يسمح و المدام تدار
و لطالما بتنا و بات رقينا في غفلة قضيت بها الأوطار
هل نحن في زمن تقادم عهده لنا به النعمى و نحن صغار؟
فلا تذر على الوصال و ابكين ما دامت الآصال و الأسحار
و من المقطوعات: [الطويل]

و كم عدلوني في هواه و ما رأوا محياه حتى عاينوه و سلّموا
و قالوا: نعم هذا الكمال حقيقة فحطوا و جاءوا صاغرين و سلّموا
و كتب إليّ صحبة كتاب أعرته إياه، عقب الفراغ من مطالعته: [السريع]
هذا كتاب كله معجم أفحمني معناه إفحاما

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٧٥ أعجمه منشئه أولوا زاده التاسخ إعجاما
أسقط من إجماله جملة و زاد في التفصيل أقساما
و غير الألفاظ عن وضعها و صير الإيجاد إعداما
فليس في إصلاحه حيلة ترجى و لو قوبل أعواما

نثره: كتب إليّ شافعا في الولد، و أنا واجد عليه: من حلّ محلّ السيد نادرة الزمان، و سابق حلبة البيان، في رسوخ العلم، و السيمو في درجة اللحم، و أرضعته الحكم درتها، و قلّدتها المعارف دررها، و جلت عليه بدرها، و جلبت إليه بدرها، كان بالحنوّ و الرأفة خليقا، و أن يهب نسيمه لدنا رقيقا، و أن يتعاهد بالعطف غرسا في زاكي تربته ظلي، و إلى محتده المنجب و فضله المنجب انتمى، فيلحفه من الرحمة جناحا، و يطلع عليه في ليل الوحشة المؤلمة من نور صفحه عن حفته مصباحا، و الذنب إذا لم يكن عقوقا و لا سوء أدب، و

كان في المماليك و القيم المالية مغتفر عند الأكاير مثله من ذوى الرتب، و قد بلغ فى الاعتراف غاية المدى، و اندمل الجرح الذى أصابته المدى، البون واضح فى المقاييس، بين المرؤوس و الرئيس، و شتان بين الزيف و الجوهر النفيس. و مع أن الولد كمد فهو للنفس ريحانه، و فى فص خاتم الإنسان جمانه، و قد نال منه هذا الإمضاء، و الصارم يتخذ فيزيد منه المضاء، و هو يرتجى كل ساعة أن يفد عليه البشير برضاك فيستأنف جهورا، و ينقلب إلى أهله مسرورا، و اللّهُ يبيك و الوزارة ترفل منك فى مظهر حلل، و يريك فى نفسك و بنيك غاية الأمل.

مولده: التاسع لذي الحجة عام تسعة و تسعين و ستمائة، و هو الآن على حاله الموصوفة.

و من الكتاب و الشعراء

سهل بن طلحة

من أهل غرناطة، يكنى أبا الحسن.

حاله: كان ظريفا، عنده مشاركة فى الطلب. مدح ولى العهد أبا عبد الله بن الغالب بالله بشعر وسط، فمن ذلك قوله من قصيدة أولها:
[الكامل]

أنا للغرام و للهوى مدفوع فمتى السلو و وصلها ممنوع؟
يقول أيضا منها بعد كثير:

يا حبتا دار لزينب باللوى حيث الفؤاد على الهوى مطبوع

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٧٦ يا حادى العيس التفت نحو اللوى إني بسكان اللوى مفجوع

و عج المطى بلعلع و برامه فهناك قلب للشجى مروع

أطلال آرام و بيض خردهن الأهلة بالجيوب طلوع

فى ظبية من بينهن تصدنى حسنا ولى أبدا إليه نزوع

حوراء جائرة على بحكمهاظلما و إنى مدعن و سميع

تفنى الليالى و الزمان و أنقضى كمدا و لا نبأ لها مسموع

يا ليت! هل دهر يعود بوصلها فيكون للعيش الخصب رجوع؟

و تعود أيام السرور كمثل ماقد عاد روح حياتها و الروح؟

فقدوم مولانا الأمير محمد خير الملوك و من له الترفيع

وفاته: كان حيا سنة اثنتين و خمسين و ستمائة.

سالم بن صالح بن على بن صالح بن محمد الهدانى

من أهل مالقة، يكنى أبا عمرو، و يعرف بابن سالم.

حاله: قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: كان أديبا مقيدا، كتب بخطه كثيرا، و انتسخ أجزاء عدده، و اجتهد و أكثر، و كان متبدلا فى لباسه، متواضعا، مقتصدا، مليح المجالسة، حسن العشرة، جليل الأخلاق، فاضل الطبع.

مشيخته: روى عن الحافظ أبى عبد الله بن الفخار، و أبى زيد السهلى، و أبى الحجاج بن الشيخ، و أبى جعفر بن حكم، و أبى بكر بن الجدى، و أبى عبد الله بن زرقون، و أبى محمد بن عبيد الله. و شارك فى كثير من شيوخه أبا محمد القرطبي، و كان يناهضه.

دخوله غرناطة: دخلها و أقام بها و أخذ عن شيوخها و تردّد إليها.

شعره: قال في رمح: [الوافر]

أنا الرّمح المعدّ إلى النّواذب فصاحبني تجدني خير صاحب

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٧٧ لئن فخر اليراع بكتب خطفان الخط فخر بالكتائب

و مما كتب له ابن خميس قوله: [الوافر]

إلهي قد عصينا منك ربّاتعالى أن يقابل بالمعاصي

فكيف خلوصنا من هول يوم تشيب لهوله سود النّواصي؟

و جلب شعرا كثيرا دون شهرته، و ما ذكر به. و توفي بمالقة ليلة الاثنين لثمانى عشرة ليلة خلت من رمضان المعظم سنة عشرين و ستمائة .

حرف الهاء من الملوك و الأمراء

هشام بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله بن محمد بن عبد الله

أخو المرتضى المتقدم الذّكر ، يكنى أبا بكر، و يلقب بالمعتد بالله، الخليفة بقرطبة.

صفته: أبيض أصهب، إلى الأدمة، سبط الشعر، أخنس، خفيف العارض و اللحية، حسن الجسم، إلى قصر، أمه أم ولد تسمى عاتبا.

حاله: بويغ له بالشعر ، فقرطبة أيام استقراره بحصن ألبنت ، عند صاحبه عبد الله بن قاسم الفهرى. قال ابن حيان، ثالبا إياه على عادته :

قلّد الأمر في سنّ الشيخوخة، و كان معروفا بالشطارة في شبابه، و ألقع فرجى فلاحه. و قال: دخل

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٧٨

قرطبة في زىّ تقتحمه العين، وهنا و قلّمه، عديم رواء و بهجة، و عدد و عدّة، فوق فرس دون مراكب الملوك، بحلية مختصرة، سادلا

سمل غفارة على ما تحتها من كسوة رثة، قدّامه سبع جنائب من خيل العامريين دون علم و لا مضطرد، يسير هونا و الناس ينظرون إليه،

و يصيحون بالدعاء فى وجهه. فدخل القصر، و قلّد حكما المعروف بالقراز الأعمال و الأمر، و أطلق يده فى المال، و هو الذى يقول

فيه الشاعر: [مخلع البسيط]

هبك كما تدعى وزيراً وزير من أنت يا وزير؟

و الله ما للأمير معنى فكيف من وزر الأمير؟

و ضعف أمره، و آثر الناس الوثوب على وزيره، فأوقع به طائفة من الجند، و ثارت العامة بهشام فخلع فى خبر طويل، و دخل غرناطة

مع أخيه المرتضى، و لحق يوم هزيمته بظاهرها، بحصن ألبنت إلى أن بويغ له بقرطبة يوم الأحد لخمس بقين من ربيع الآخر سنة ثمانى

عشرة و أربعمائة.

محتته: ثارت العامة به بقرطبة كما تقدم، ملتفتة على أمية بن عبد الرحمن بن هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، يوم الثلاثاء

الثانى عشر لذى حجة من سنة اثنتين و أربعمائة، بسوء تدبير وزيره، و بادر الاعتصام بعليّة القصر، و أنزل منها إلى ساباط الجامع

بالأمان، فيمن تألّف إليه من ولده و حريمه، فحدّث بعض سدنة الجامع أنّ أوّل ما سأل الشيوخ، إحضار كسيرة من خبز يسدّ جوع

طفيلة له كان قد احتضنها، ساترا لها بكمه من قرّ ليلته تلك، كانت تشكو الجوع ذاهلة عما أحاط به، فأبكى من كلمه اعتبارا بعادية

الدهر. و أخرج إلى حصن ابن الشرف إلى أن هلك.

وفاته: فى صفر ثمان و عشرين و أربعمائة . و سنّه نحو أربع و ستين سنة.

و كان آخر ملوك بنى أمية بالأندلس.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٧٩

و من ترجمة الأعيان والكبرا والأمانل والوزرا

هاشم بن أبي رجاء الإلبيري

الوزير، يكنى أبا خالد.

حاله: كان من عظماء أهل البيرة و حليتهم، و هو الذي عاد الفقيه الزاهد أبا إسحاق بن مسعود الإلبيري في مرضه، و عدله على رداءة مسكنه، و قال له: لو سكنت دارا خيرا من هذه لكنت أولى لك، فأجابه، رحمه الله، بقوله: [مخلع البسيط]

قالوا: ألا تستجيد بيتا تعجب من حسنه البيوت؟

فقلت: ما ذاكم صواب حفش كثير لمن يموت الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ٤؛ ص ٢٧٩

لولا شتاء و لفتح قيظو خوف لص و حفظ قوت

و نسوة يبتغين كئنا بنيت بنيان عنكبوت

و أي معنى لحسن مغنى ليس لسكانه ثبوت

ما وعظ القبر لو عقلنا موعظة الناطق الصموت

يومي إلى ممتطى الحنايما لك عن مضجعي عميت؟

نسيت يومي و طول نومي و سوف تنسى كما نسيت

و سدت يا هادمي قصور انعمت فيهن كيف شيت

معنتقا للحسان فيهامستنشقا مسكها الفتيت

تسحب ذيل الصبا و تلهو بآنسات يقلن هيت

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٨٠ فاذا ذكر سهادى قبل التنادى و اسهد له قبل أن يفوت

فعن قريب يكون ظعنى سخطت يا صاح أم رضيت

حرف الياء الملوكة و الأمراء

يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الأنصاري الخرجي

إشارة

أمير المسلمين بالأندلس، أبو الحججاج.

حاله و صفته: كان أبيض أزهر، أيدا، براق الثنايا، أنجل، رجل الشعر أسوده، كثر اللحية، تقع العين منه على بدر تمام، يفضل الناس بحسن المرأى و جمال الهيئة كما يفضلهم مقاما و رتبة، عذب اللسان، وافر العقل، عظيم الهيئة، إلى ثقبو الذهن، و بعد الغور، و التفطن للمعاريض، و التبريز في كثير من الصنائع العملية، مائلا إلى الهدنة، مزجيا للأموار، كلفا بالمباني و الأثواب، جماعة للحلى و الذخيرة، مستميلا لمعاصريه من الملوكة. تولى الملك بعد أخيه بوادى السيقائين من ظاهر الخضراء، ضحوه يوم الأربعاء الثالث عشر من ذى الحجة عام ثلاثه و ثلاثين و سبعمائة، و سنه إذ ذاك خمسة عشر عاما و ثمانية أشهر. و استقل بالملك، و اضطلع بالأعباء، و تملأ الهدنة ما شاء. و عظم مرانه لمباشرة الألقاب، و مطالعة الرسم، فجاء نسيج وحده، ثم عانى شدائد العدو، فكرم يوم الوقعة العظمى

بظاهر طريف موقعه ، و حمد بعد في منازل الطاغية عند الجثوم على الجزيرة صبره، و أجاز البحر في شأنها، فأفلت من مكيدة العدو التي تخطاها أجله، و أوهن حبلها سعده.

و لما نفذ فيها القدر، و أشفت الأندلس، سدّد الله أمور المسلمين بها على يده،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٨١

و راخى مختق الشدة بسعيه، فعرفت الملوك رجاحته، و أثنت على قصده، إلى حين وفاته .

أمه: أم ولد تسمى بهارا، طرف في الخير و الصون و الرجاحة.

ولده: كان له ثلاثة من الولد، كبيرهم محمد أمير المسلمين من بعده، و تلوه أخوه إسماعيل المستقر في كنفه، محجورا عليه التصرف إلى أعمال التدبير، و ثالثهم اسمه قيس، شقيق إسماعيل.

وزراء دولته: تولّى وزارته لأول أمره، كبير الأكره و نبيه الدهاقين ، من منتجعي المدر بحضرته، أبو إسحاق بن عبد البر، لمخيلة طمع نشأت لمقيمي الدولة فيما بيده، سدا لحال بها على عوز طريقه إلى حضرته، إلى ثالث شهر المحرم من العام. و أنف الخاصة و النبهاء رياسته، فطلبوا من السلطان إعاضته، فعدل عنه إلى خاصة دولتهم الحاجب أبي النعيم رضوان ، مظنة التسديد، و محط الإنفاق، فاتصل نظره مستبدا عليه، في تنفيذ الأمور، و تقديم الولاة و العمال، و جواب المخاطبات، و تدبير الرعايا، و قود الجيوش. ثم نكبه ، و أحاط به مكروها، مجهول السبب، ليلة الأحد الثاني و العشرين لرجب عام أربعين و سبعمائة.

و تولّى الوزارة بعده، ابن عمه أبيه القائد أبو الحسن على بن مول بن يحيى بن مول الأحمى، ابن عم وزير أخيه، رجل جهورى حازم؛ مؤثر للغلظة على الشفقة ، و لم ينشب أن كفّ استبداده، فانكدر نجم سعادتهم، و التأث حاله، و لزمته شكايه سدكت فاستنقذته . و أقام لرسم الوزارة كاتبه شيخنا نسيج وحده أبا الحسن بن الجياب إلى أخريات شوال عام تسعة و أربعين و سبعمائة. و هلك، رحمه الله، فأجرى لى الرسم، و عصّب لى تلك المثابة، مضاعف الجراية، معززة بولاية القيادة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٨٢

كتابه: تولّى كتابته كاتب أخيه و أبيه، شيخنا المذكور إلى حين وفاته. و قلّدى كتابه سرّه مثناه بمزيد قربه، مظفّرة برسم وزارته. قضاته: تولّى أحكام القضاء، قاضى أخيه الصدر البقية، شيخنا أبو عبد الله محمد بن يحيى بن بكر إلى يوم الوقيعة الكبرى بطريف، و فقد فى مصافه، و تحت لوائه . و تولى القضاء الفقيه المفتى البقية أبو عبد الله محمد بن عياش ، من أهل مالقة أياما، ثم طلب الإعفاء، فأسعف عن أيام تقارب أسبوعا، و ولى مكانه الفقيه أبو جعفر أحمد بن محمد بن برطال من أهل مالقة، فسدد الخطّة، و أجرى الأحكام، إلى الرابع من شهر ربيع الآخر عام ثلاثة و أربعين و سبعمائة. و قدّم عوضا عنه، الفقيه الشريف الصدر الفاضل أبو القاسم محمد بن أحمد الحسينى السبتي المولد و المنشأ، الطالع على أفق حضرته فى أيام أخيه، النازع إلى إياتهم النصرية، معدودا فى مفاخر أيامها، مشارا إليه بالبنان عند اعتبار أعلامها؛ ثم عزله لغير جرمة تذكر، إلّا ما لا ينكر وقوعه، مما تجره تبعات الأحكام. و ولى الخطّة شيخنا نسيج وحده الزحلة البقية أبا البركات بن الحاج، شيخ الصّقع، و صدر الجلة. و استمرّ قاضيا إلى ... و أربعين و سبعمائة. ثم أعاد إليها القاضى المفوض هونه، الشريف الفاضل، أبا القاسم، إلى يوم وفاته.

رئيس الغزاة و يعسوب الجند الغربى:

تولّى ذلك لأول الأمر الشيخ أبو ثابت عامر بن عثمان بن إدريس بن عبد الحق، قريع دهره فى النكراء و الدهاء، المسلم له فى الرتبة، عتاقه و رأيا و ثباتا، إلى أن نكبه، و قبض عليه و على إخوته، يوم السبت التاسع و العشرين من ربيع الأول، عام أحد و أربعين و سبعمائة. و أقام شيخا و رئيسا، دائلهم و ابن عمهم، المتلقّف لكره عزهم يحيى بن عمر بن رحو، ولى ذلك بنفسه و نديمه و مبرز

خصاله إلى تمام مدته.

من كان على عهده من الملوك:

و أولا بفاس دار الملك بالمغرب، السلطان المتناهي الجلاله، أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق. و جاز على عهده إلى الأندلس، إثر صلاة

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٨٣

يوم الجمعة تاسع عشر صفر، من عام أحد و أربعين و سبعمائة، بعد أن أوقع بأسطول الروم، المستدعى من أقطارهم، وقية كبيرة شهيرة، استولى فيها من المتاع و السلاح و الأجفان، على ما قدم به العهد، و استقر بالخضراء في جيوش وافر، و كان جوازه، في مائة و أربعين جفنا غزويا. و بادر إلى لقائه، و اجتمع به في وجوه الأندلسيين و أعيان طبقاتهم بظاهر الجزيرة الخضراء، في اليوم الموفى عشرين من الشهر المذكور. و نازل إثر انقضاء المولد النبوي، مدينة طريف، و نصب عليها المجانيق، و أخذ بمخترتها، و استحث من بها من المحصورين طاغية الروم، فبادر يقاتد جيشا يجز الشجر و المدر. و كانت المناجزة يوم الاثنين السابع لجمادى الأولى من العام. و مخص المسلمون بوقية هائلة، أتت على النفوس و الأموال و الكراع، و هلك فيها بمضرب الملك جملة من العقائل الكرام، فعظمت الأحداث، و جلت المصيبة، و أسرع اللحاق بالمغرب مفلولا في سبيل الله، محتسبا يروم الكثرة.

و كان ما هو معلوم من إمعانه في حدود الشرق، عند إحكام المهادنة بالأندلس، و توغله في بلاد إفريقية، و جريان حكم الله عليه بالهزيمة، ظاهر القيروان التي لم ينتشله الدهر بعدها، و علقت آمال الخلق بولده، مستحق الملك، من بين سائر إخوته، و هلك على تفتة لحاقه بأحواز مراكش، ليلة الأربعاء السادس و العشرين لربيع الأول عام اثنين و خمسين و سبعمائة، فاختار الله له ما عنده، بعد أن بلغ من بعد الصيت، و تعظيم الملوك له، و شهرة الذكر، ما لم يبلغه سواه.

و نحن نجلب دليلا على فضله، و الإشادة بفخره، نسخة العقد الذي تضمن هديته إلى صاحب الديار المصرية، صحبة الزبعة الكريمة بخرطه، و ذلك قبة من مائة بنية، و فيها أربعة أبواب، و قبة أخرى من ستة و ثلاثين بنية؛ داخلها حلة محلوقة و وجهها حرير أبيض، و ركيزها أبنوس و عاج مرصع، و الأهار فضة مذهبة، و الشرائط حرير. و ضربت القبتان بالصفصيف، و حلّ فيها جميع الهدية. و صفت جميع الدواب

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٨٤

بجهازاتها أمام القبة، من الخيل ثلاثمائة، و خمسة و ثلاثون من البغل بين ذكور و أناث، و من الجمال سبعمائة، إلا أنها لم تصف، بل أعدت لحمل الهدية، و من البزاة الأحرار أربعة و ثلاثون، و من أحجار الياقوت مائتان و خمسة و عشرون، و من قطب الزمرد مائة و ثمانية و عشرون، و من حبوب الجواهر الفاخر أكثره، ثلاثة آلاف و أربعة و ستون. و من أحجار الزبرجد ثمانية و عشرون، و من المهندات بحلية الذهب عشرة، و من أزواج مهاميز الذهب عشرة، و من أزواج الأركب عشرة؛ واحد كله ذهب، و ثلاثة كلها فضة، و ستة من حجبته مذهبة على الحديد، و اثنان من اللصمات من ذهب، و شاشية مذهبة، و حلل: ثلاث عشرة، و عشر كلل و مخاد حلة. و توق ذهب:

مائتان، و اشتراق ذهب: عشرون. و قدود: ستة و أربعون. و فرش جلة. و عشر علامات معششة. و عشر وقايات مذهبة. و ثلاثون من وجوه اللحف حرير و ذهب.

و مائتان من المحررات الملونة الرفيعة المختمة. و حيطان أحدهما حلة و الآخر طوق.

و ثلاثة و عشرون شقة من الرهاز. و اثنان من هنابل الحلة. و عشرة براقع للخيل، منها ثمانية من الحلة. و من أسلة الخيل ثلاثون، و ثلاثة

طنافس من الحرير. و هنبال حرير:

اثنان. و عشرة هنبال من الحرير و الصوف. و هنبال و انشربشية و زمورية: مائة و سبعة.

و أربعة آلاف من الجلد التركي و الأغماتي. و من درق اللّمت المثلثة مائتان. و من الأكسية المحررة أربعة و عشرون. و من البرانس المحررة ثمانية. و من الأحارم ما بين محررة و صوف عشرون. و من أزواج المحفف خمسون. و عشر لزمات من الفضة. و ست عشرة شقة من الملف. و أما أزودة الحجاج فأعطى للحرّة المكرمة أخته، أعزّها الله، ثلاثة آلاف دينار من الذهب، و مائتي كسوة برسم العرب. و لمن سافر معها ستمائة و سبعين. و لأبي إسحاق بن أبي يحيى ثلاثمائة من الذهب و كسوة رفيعة. و لعريفه يحيى السويدي ألف دينار من الذهب. إلى العدد الكثير من الذهب العين برسم الوصفان و الخدام، و لرسوم التحبيس على قراء الرابعة الكريمة، ستة عشر ألفا و خمسمائة دينار. انتهى.

و كان هذا السلطان، رحمه الله، ممّن دوّخ الأقطار، و جاهد الكفار، و وطى بالأساطيل حدود البحار، و التمس ما عند الله من الثواب، و أعلق يده من نسخ كتابه بأوثق الأسباب، إلى أن استوسق الأمر لولده، أمير المؤمنين بالمغرب و ما إليه، فارس المكنى بأبي عنان، الملقب بالمتوكل على الله. فقام بالأمر أحمد قيام.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٨٥

و جرت بين هذا السلطان و بينه المخاطبات و المراسلات. و سفّرنى إليه لأول الأمر، معزياً بأبيه، و مهتناً بما صار إليه من ملكه، و استصحبت إليه كتاباً من إنشائي، نجليه بحول الله، تجميماً لمن يقف على هذه الأخبار، و إن اقتحمتها ثبج الإكثار، و هو:

المقام الذى رسخت منه فى مقامى الصبر و الشكر قدم، فلا يغيره وجود لا يروعه عدم، و صدقت منه فى كتاب المجد عزمة لم يختلجها وهن و لا- ندم، حتى تصرفت بحكم معاليه، أيام دهره و لياليه، هو ولدان و هذه خدم. مقام محل أخينا الذى إن جاشت النوائب، و سعتها صدره، أو عظمت المواهب، ترفع عنها قدره، أو أظلمت الكروب جلاها بدره. أو تألبت الخطوب هزمها صبره، أو أظلت سحائب النعم أسدرها حمد الله و شكره، أو عرضت عقود الحمد فى أسواق المجد أغلاها فجره، أو راقى حلل الصنائع طرزها ذكره، أو طبقت سيوف الناس أغمدها صفحه، و سلّها قهره. السلطان الكذا أبقاه الله ضاحك السعد كلما بكت عين، مجموع الشمل كلما أرف بين، وارى الزند إذا اقتضى دين، محمى الدّمار بانفساح الأعمار كلما أغار على الأحياء حين. و لا زال يقيد منه شكر الله نعماً ما فى وعدّها لى و لا فى قولها مين، و يلبس منها حللا تقواه فى عواتقها زين. مساهمة فى كل خطب غم، أو فضل من الله عم، و مقاسمة فى كل ما ألم. و تهنئة بالملك الذى خلص و تم، فلان.

أما بعد حمد الله الذى جعل الصبر فى الحوادث حصناً منيعاً، و الشكر يستدعى المزيد من النعم سريعاً، فمتى أعملت للصبر دعوة كان بها الأجر سميماً، و متى رفعت من الشكر رقة كان المزيد عليها توقيعاً، و الصلاة على سيدنا و مولانا محمد رسوله الذى بوأنا من السعادة جناباً مريعاً، و بين له حدود أوامره و نوايه فطوبى لمن كان مطيعاً، و كان لنا فى الدنيا هادياً و نجده فى الآخرة شفيماً، و الرضا عن آله و صحبه الذين كانوا على العداة قيظاً و للعفاة ربيعاً، فحلّوا من الاقتداء به فيما ساء و سرّ و أحلى و أمرّ مقاماً ربيعاً. و خفض عليهم مضاضة فقده، مثابرتهم على ضمّ شمل المسلمين من بعده، اقتداء بقوله سبحانه: و اعتصموا بحبل الله جميعاً. و الدّعاء لمقامكم الأسمى بالنصر الذى يشكر منه الجياد و البيض الحداد صنيعة، و تشرح منه ألسن الأقلام تهذيباً و تقرّيعاً، و الصبر الذى زرافات الأجر قطعاً فقطيعاً. فإننا كتبناه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٨٦

إليكم، كتب الله لكم من حظوظ الخير أوفرها عدداً، و أقطعكم من خطط السيّد أبعدها مداً. و أتبعكم من كتائب العز أطولها يداً، و حوّلكم من بسطة الملك ما لا يبىد أبداً، و ألهمكم من الصبر لما تقدّمونه فتجدونه غداً. من حمراء غرناطة، حرسها الله، و عندنا من الاعتداد فى الله أسباب وثيقة، و أنساب صدق فى بجوحه الخلوص عريقة، و من الثناء عليكم حدائق روض لا تحاكيها حديقة، و من

المساهمة لكم في شتى الأحوال مقاصد لا تلتبس منها طريقته، و من الشروع بما سناه الله لكم نعم بشكر الله عزّ وجلّ خليفة. و إلى هذا، أئيدكم الله بنصره، و حكم لمقامكم بشدّ أزره، و إعلاء أمره، فإننا ورد علينا الخبر الذي قبض و بسط، و جار و أقسط، و بخس و وفى، و أمرض و شفى، و أضحى و ظلّل، و تجهّم و تهلّل، و أمّر و أحلى و أساء ثم أحسن، و بشّر بعد ما أحزن، خبر وفاة والدكم، محلّ أبنائنا، السلطان العظيم القدر، الكبير الخطر، قدّس الله طاهر تربته، و كرم لحده، كما أحيا بكم معالم مجده. فيا له من سهم رمى أغراض القلوب فأثبتها، و طرق مجتمعات الآمال فشتتها. و نعى إلى المجد إنسان عينه و عين إنسانه، و إلى الملك هيولى أركانه، و إلى الدين ترجمه ديوانه، و إلى الفضل عميد إيوانه.

حادث تبه العيون من سنه غرورها، و ذكّر النفوس بهم أمورها. و أشرق المحاجر بماء دموعها، و أضرم الجوانح بنار ولوعها. و بيّن أن سراب الآمال سراب، و أنّ الذي فوق التراب تراب. فمن تأمل الدنيا و طباعها، و الأيام و إسراعها، و الحوادث و قراعها، بدا له الحقّ من المين، و استغنى عن الأثر بالعين. فشأنها أن لا تفتّر عن سهم تسدّه إلى غرض، و صحّة تعقبها بمرض، و جوهر ترميه بعرض. و داء للموت قديم، و قربه لا يبقى عليه أديم، و كأسه يشربها موسر و عديم. دبّت إلى كسرى الفرس عقاربه، فلم تمنعه أساورته و لا مرازبه. و قصر قيصر على حكمه فكدرت مشاربه، و أتر سيف بن ذى يزن عمدانه فلم ترعه مضاربه، و أردى تبعاً فلم يكن فى أتباعه من يحاربه. لم تدافع عنهم الجنود المجنّدة، و لا الصّيفاح المهنّدة، و لا الدّروع المحكّمة، و لا الثّياب المعلمة. و لا الجياد الجرد المسوّمة، و لا الرّماح المثقّفة المقومة. كلّ قدّم على ما قدّم. و جدّ إلى ما أعدّ. جعلنا الله ممن يسرّ لسفره زادا، و قدّم بين يديه رباطا شافعا لديه و جهادا. و وثر لنفسه بمناصحة الله و المؤمنين فى أعلى عليين مهادا، و طوّق المسلمين عدلا و فضلا و إمدادا. غير أن هذا الفاجيء الذى فجّع، و منع القلوب أن تقزّ و العين أن تهجع، غمرته البشرى، و غلبته المسرّة الكبرى، و عارضته من بقائكم الآية المحكّمة الأخرى، فاضمحلّ من بعد الرّسوخ، و صار ليله فى حكم المنسوخ.

ما كان من استخلاصكم الملك الذى أنتم أهله، و احتيازكم المجد الذى أشرق بكم

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٨٧

محلّه. و كيف بسهم أخطأ ذاتكم الشريفه، أن يقال فيه: أصمى و أجهز، و الأمل بعد بقائكم أن يقال فيه: تعدّر أو أعوز. إنما الآمال ببقائكم للملا منوطه، و سعادة الإسلام بحياتكم المتّصلة مشروطه.

و منها: فأى ترح يبقى بعد هذا الفرح، و أى كسل ينشأ بعد هذا المرح. إن أفل البدر، فقد تبلّج الفجر، أو غاض النّيل فقد فاض البحر. و إن مال فللك الملك فقد عاد إلى مداره، و إن أذنب الدّهر فقد أحسن ما شاء فى اعتذاره. إنما هذا الخطب و هنّ أعقبه ضوء النهار، و سطعت بعده أشعة الأنوار، و صمصامه أغمدت و سلّ من بعدها ذو الفقار.

و منها: و إنّنا لما ... عن حقّه و رصدنا طالعه فى أفقه قابلنا الواقع بالتّسليم، و المنحة الزّادفة بالشكر العظيم، و أنسنا فى غمام الهدنة ربّ هذا الإقليم. و قلنا استقرّ الحقّ و وضحت الطرق، و هوى الرّائد و صدق البرق، و تقرّرت القاعدة و ارتفع الفرق، و استبشر يابلال المغرب أخوه الشّرق. و ثابت آمال أولى الجهاد إلى اقتحام فرضه المجاز، و أولى الحجّ إلى مرافقه ركب الحجاز، و آن للدنيا أن تلبس الحلّى العجيبة بعد الابتزاز. و الحمد لله الذى زيّن بكم أفق الملك، و كيف بسعدكم نظم ذلك السّلك. و هنا الله إيايالكم العباد و البلاد، و الحجّ و الجهاد. و صدّق الظنون الذى فى مقامكم الذى جاز فى المكارم الآماد. بادرنا، أئيدكم الله، من برّكم إلى غرضين، و قمنا من حقّ عزائكم و هنائكم بواجبين مفترضين و شرعنا و من لدينا أن نباشر بالنفوس هذين القصدين. إلّا أننا عاقنا عن ذلك ما اتصل بنا من العدو الذى بلينا بجواره، و رمينا بمصابرة تياره، و إلّا فهذا الغرض قد كنّا لا نرى فيه بإجراء الاستنابة، و لا نحظى غيرنا بزيارة تلك المثابة. فليصل الفضل جلالكم، و يقبل العذر كمالكم. و إذا كان الاستخلاف مما تحتمله العبادة، و لا ينكره عند الضرورة العرف و العادة، فأحرى الأخوة و الودادة، و الفضل و المجادة. فتخيرنا جهدنا، و اصطفينا لباب اللّباب فيمن عنادنا، فعينا فلانا. و اتصلت أيامه إلى آخر مدته.

و بمدينة تلمسان: عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيّان، يكنى أبا تاشفين. وقد تقدم ذكره، وهو الذي انقضى ملك بني زيّان على يده .

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٨٨

تولّى الملك عام ثمانية عشر كما تقدم، و تهنّأه إلى أن تأكّدت الوحشة بينه و بين السلطان ملك المغرب، فتحرك لمنازلته، و أخذ بكظمه ، و حصره سنين ثلاثا، و اقتحم عليه ملعب البلدة ليلئ سبع و عشرين من رمضان عام سبعة و ثلاثين و سبعمائة. و فى غزوة شوال منها، دخل البلد من أقطاره عنوة، و وقف هو و كبير ولده برحبة قصره، قد نزعا لام الحرب المانعة من عمل السلاح استعجالا للمتيّة و رغبة فى الإجهاز، و قاما مقام الثبات و الصبر و الاستجماع، إلى أن كوثرأ و أثخنا، و عاجلتها متيّة العزّ قبل شدّ الوثاق، و إمكان الشّمات، و استولى على الملك ملك المغرب. و فى ذلك قلت من الرّجز المسمى بقطع السلوك فى الدول الإسلامية، مما يخص ملوك تلمسان، ثم أميرها عبد الرحمن هذا: [الرجز]

و حلّ فيها عابد الرحمن فاعتزّ بالدنيا و بالزمان

و سار فيها مطلق العنان من مظهر سام إلى جنان

كم زخرفت عليه من ببيان آثاره تنبى عن العيان

و صرف العزم إلى بجايه فعضمت فى قومها النكايه

حتى ما إذا مدّة الملك انقضت و أوجه الأيام عنهم أعرضت

و حقّ حقّ الدهر فيها و وجب و كتب الله عليها ما كتب

حثّ إليها السير ملك المغرب يا لك من ممارس مجرّب

فغلب القوم بغير عهد بعد حصار دائم و جهد

فأقفرت من ملكهم أوطانه سبحان من لا ينقضى سلطانه

ثم نشأت لهم بارقه، لم تكذ تقد حتى خبت ، عندما جرت على السلطان أبى الحسن الهزيمة بالقيروان؛ و انبتّ عن أرضه، و صرفت البيعة فى الأقطار إلى ولده، و ارتحل إلى طلب منصور ابن أخيه، المنتزى بمدينة فاس، فدخلوا تلمسان، و قبضوا على القائم بأمرها، و قدّموا على أنفسهم عثمان بن يحيى بن عبد الرحمن بن يغمراسن، المتقدم الذكر فى رسم عثمان، و ذلك فى الثامن و العشرين لجمادى الآخرة

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٨٩

من عام تسعة و أربعين و سبعمائة. و استمرت أيامه أثناء الفتنة و ارتاش، و أقام رسم الإمرة، و جدّد ملك قومه. و استمرت حاله إلى أن أوقع بهم ملك المغرب، أمير المسلمين أبو عنان الوقيعة المصطلمة التى خضدت الشوكة، و استأصلت الشأفة. و تحصيل عثمان فى قبضته. ثم ألحقت النكبة به أخاه، فكانت سيبلهما فى القتل صبرا عبرة، و ذلك فى وسط ربيع الأول من عام التاريخ.

و بتونس: الأمير أبو يحيى أبو بكر ابن الأمير أبى زكريا ابن الأمير أبى إسحاق ابن الأمير أبى زكريا، إلى أن هلك. و ولى الأمر ولده عمر، ثم ولده أحمد، ثم عاد الأمر إلى عمر. ثم استولى ملك المغرب السلطان أبو الحسن على ملكهم. ثم ضمّ نشرهم بعد نكبته و خروجه عن وطنهم على أبى إسحاق بن أبى بكر.

و من ملوك النصارى بقشتالة: ألفنش بن هرندة بن دون جانجه بن ألفنش المستولى على قرطبة، ابن هرندة المستولى على إشبيلية، إلى عدد جمّ. و كان طاغية مرهوبا، و ملكا مجدودا. هبت له الريح، و عظمت به إلى المسلمين النكايه.

و تملك الخضراء بعد أن أوقع بالمسلمين الوقيعة الكبرى العظمى بطريف. ثم نازل جبل الفتح، و كاد يستولى على هذه الجزيرة، لولا

أن الله تداركها بجميل صنعه و خفى لطفه، لا إله إلا هو. فهلك بظاهره في محلته حتف أنفه ليلة عاشوراء من عام أحد و خمسين و سبعمائة، فتنفس المَخْتَق، و انجلت الغميمة، و انسدل الشتر. كنت منفردا بالسلطان، رحمه الله، و قد غلب اليأس، و توقعت الفضيحة، أو نسه بعجائب الفرج بعد الشدة، و أقوى بصيرته في التماس لطف الله، و هو يرى الفرج بعيدا، و يتوقع من الأمر عظيما. و ورد الخبر بمهلكه، فاستحالت الحال إلى ضدها من السرور و الاستبشار، و الحمد لله على نعمه. و في ذلك قلت: [الطويل]

ألا حدثاني فهي أم الغرائب و ما حاضر في وصفها مثل غائب

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٩٠ و لا تخليا منها على خطر السرى سروج المذاكى أو ظهور النجائب

أ يوسف، إن الدهر أصبح واقفا على بابك المأمول موقف تائب

دعاؤك أمضى من مهنة الطباو سعدك أفضى من سعود الكواكب

سيوفك في أعمادها مطمئنة و لكن سيف الله دامي المضارب

فتق بالذي أراك أمر عباده و سل فضله فالله أكرم و اهب

لقد طوق الأذفنى سعدك خزينة تجدد على مَرَّ العصور الذواهب

وفيت و خان العهد في غير طائل و صدق أطماع الظنون الكواذب

هوى في مجال العجب غير مقصرو هل نهض العجب المخل براكب؟

و غالب أمر الله جل جلاله و لم يدر أن الله أغلب غالب

و لله في طي الوجود كتائب تدق و تخفى عن عيون الكتائب

تغير على الأنفاس في كل ساعه و تكمن حتى في مياه المشارب

فمن قارع في قومه سن نادمو من لاطم في ربه خد نادب

مصائب أشجى وقعها مهج العداو كم نعم في طي تلك المصائب

شواظ أراد الله إطفاء ناره و قد نفع الإسلام من كل جانب

و إن لم يصب منه السلاح فإنما أصيب بسهم من دعائك صائب

و لله من أطفاه في عباده خزائن ما ضاقت لمطلب طالب

فمنهما غرست الصبر في تربة الرضا بأحكامه فلتجن حسن العواقب

و لا تعد الأمر البعيد وقوعه فإن الليالي أمهات العجائب

و هي طويلة سهلة؛ على ضعف كان ارتكابه مقصودا في أمداحه.

و ببرجلونه: السلطان بطره المتقدم ذكره في اسم أخيه.

و من الأحداث في أيامه الواقعة الكبرى بظاهر طريف، يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى، من عام أحد و أربعين و سبعمائة، و ما

اتصل بذلك من منازل الطاغية

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٩١

ألهنشه قلعة يحصب الماسة الجوار من حضرته، و استيلائه عليها، و على باعة. ثم منازل الجزيرة الخضراء عشرين شهرا، أو جف خلالها

بجيوش المسلمين من أهل العدو تين إلى أرضه. ثم استقر منازل إياها إلى أن فاز بها قداحه، و الأمر لله العلى الكبير، في قصص يطول

ذكره، تضمن ذلك «طرفة العصر» من تأليفنا. ثم تهنا السلم، و التحف جناح العافية و الأمانة برهه، رحمه الله.

وفاته: و ما استكمل أيام حياته، و بلغ مداه، أتم ما كان شبابا و اعتدالا و حسنا و فخامة و عزًا، حتى أتاه أمر الله من حيث لا يحتسب،

و هجم عليه يوم عيد الفطر، من عام خمسة و خمسين و سبعمائة، في الركعة الأخيرة، رجل من عداد الممرورين، رمى بنفسه عليه، و

طعنه بخنجر كان قد أعدّه، وأغرى بعلاجه، وصاح، وقطعت الصلاة، وقبض عليه، واستفهم، فتكلم بكلام مخلط، واحتمل إلى منزله، على فوت لم يستقر به، إلّا وقد قضى، رحمه الله ورضى عنه، وأخرج ذلك الخبيث للناس، وقتل وأحرق بالنار، مبالغاً في التشفي، ودفن السلطان عشية اليوم في مقبرة قصره لصق والده، وولى أمره ابنه أبو عبد الله محمد، وبلغ في احتفال قبره، بما أشف على من تقدمه، وكتب عليه ما نصه:

«هذا قبر السلطان الشهيد، الذي كرمت أحسابه وأعراقه، وحاز الكمال خلقه وأخلاقه، وتحدث بفضله وحلمه شام المعمور وعراقه، صاحب الآثار السنية، والأيام الهية، والأخلاق الرضية، والسير المرضية. الإمام الأعلى، والشهاب الأجل، حسام الملة، علم الملوك الجلة، الذي ظهرت عليه عناية ربه، وصنع الله له في سلمه وحربه. قطب الرجاحة والوقار، وسلالة سيد الأنصار، حامى حمى الإسلام برأيه ورايته، المستولى في ميدان الفخر على غايته، الذي صحبته عناية الله في بداية أمره وغايته، أمير المسلمين أبي الحجاج يوسف ابن السلطان الكبير، الإمام الشهير، أسد دين الله، الذي أذعت الأعداء لقهره، ووقفت الليالي والأيام عند نهيه وأمره. رافع ظلال العدل في الآفاق، حامى حمى السنية بالسمر الطوال والبيض الرقاق، مخلد صحف الذكر الخالد والعز الباقي، الشهيد السعيد المقدس أبي الوليد، ابن الهمام الأعلى الطاهر النسب والذات، ذى العز البعيد الغايات، والفخر الواضح الآيات، كبير الخلافة النصرية، وعماد الدولة الغالبية، المقدس

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٩٢

المرحوم أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن نصر، تغمده الله برحمته من عنده، وجعله في الجنة جارا لسعد بن عباد جده، وجازى عن الإسلام والمسلمين حميد سعيه، وكريم قصده. قام بأمر المسلمين أحمد القيام، ومهد لهم الأمن من ظهور الأيام، وجلي لهم وجه العناية مشرق القسام، وبذل فيهم من تواضعه وفضله كل واضح الأحكام، إلى أن قضى الله بحضور أجله، على خير عمله، وختم له بالسعادة، وساق إليه على حين إكمال شهر الصوم هدية الشهادة. وقبضه ساجدا خاشعا، منيا إلى الله ضارعا، مستغفرا لذنبه، مطمئنا في الحالة التي أقرب ما يكون العبد فيها من ربه. على يد شقي قيضه الله لسعادته، وجعله سببا لنفوذ سابق مشيئته وإرادته، خفى مكانه لخمول قدره، وتم بسببه أمر الله لحقارة أمره، وتمكن له عند الاشتغال بعبادة الله، ما أضمره من غدره، وذلك في السجدة الأخيرة من صلاة العيد، غرة شوال، من عام خمسة وخمسين وسبعمائه، نفعه الله بالشهادة التي كرم منها الزمان والمكان، ووضح منها على قبول رضوان الله البيان، وحشره مع سلفه الأنصار الذين عز بهم الإيمان، وحصل لهم من النار الأمان. وكانت ولايته الملك في غرة اليوم الرابع عشر لذي الحجة من عام ثلاثه وثلاثين وسبعمائه. ومولده في الثامن والعشرين لربيع الآخر عام ثمانية عشر وسبعمائه. فسبحان من انفرد بالبقاء المحض، وحتم الفناء على أهل الأرض، ثم يجمعهم إلى يوم الجزاء والعرض، لا إله إلا هو.

وفي الجهة الأخرى من النظم، وكلاهما من إملائي، ما نصه: [الطويل]

يحييك بالريحان والروح من قبر رضى الله عمن حل فيك مدى الدهر
إلى أن يقوم الناس تعنو وجوههم إلى باعث الأموات في موقف الحشر

ولست بقبر إنما أنت روضة منعمة الريحان عاطرة النشر

ولو أنني أنصفتك الحق لم أقل سوى يا كمام الزهر أو صدف الدر

ويا ملحد التقوى ويا مدفن الهدى ويا مسقط العليا ويا مغرب البدر

لقد حط فيك الرحل أي خليفة أصيل المعالي غرة في بني نصر

لقد حل فيك العز والمجد والعلو وبدر الدجا والمستجار لدى الدهر

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٩٣ و من كأبي الحجاج حامى حمى الهدى؟ و من كأبي الحجاج ماحى دجا الكفر؟

إمام الهدى غيث الندى دافع العدا بعيد المدى في حومة المجد والفخر

سلالة سعد الخزرج بن عبادة و حسبك من بيت رفيع و من قدر
إذا ذكر الإغضاء و الحلم و التقى و حدثت عن علياه حدثت عن البحر
تخونه طرف الزمان و هل ترى بقاء لحي أو دواما على أمر؟
هو الدهر ذو وجهين يوم و ليلة و من كان ذا وجهين يعتب في غدر
تولى شهيدا ساجدا في صلاته أصيل التقى رطب اللسان من الذكر
و قد عرف الشهر المبارك حق ما أفاض من النعمى و وفى من البر
و باكر عيد الفطر و الحكم مبرم و ليس سوى كأس الشهادة من فطر
أتيح له و هو العظيم مهابة و قدرا حقير الذات و الخلق و القدر
شقى أته من لدنه سعادته و منكر قوم جاء بالحادث النكر
و كم من عظيم قد أصيب بخامل و أسباب حكم الله جلت عن الحصر
فهذا على قد قضى بابن ملجم و أوقع وحشى بحمزة ذى الفخر
نعد الزمخشرى و القناو يطرق أمر الله من حيث لا تدرى
و من كان بالدنيا الدنية و ائقاعلى حالة يوما فقد باء بالخسر
فيا مالك الملك الذى ليس ينقضى و يا من إليه الحكم فى النهى و الأمر
تغمّد بستر العفو منك ذنوبنا فلسنا نرجى غير سترك من ستر
فما عندك اللهم خير ثوابه و أبقى و دنيا المرء خدعه مغتر
و مما رثى به قولى فى غرض ناء عن الجزالة، متحريرا اختيار ولده :

[الكامل]

العمر يوم و المنى أحلام ما ذا عسى أن يستمر منام
و إذا تحققتنا لشيء بدأه فله بما تقضى العقول تمام
و النفس تجمع فى مدى آمالها ركضا، و تأبى ذلك الأيام
من لم يصب فى نفسه فمصابه بحبيبه نفذت بذا الأحكام
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٩٤ بعد الشيبه كبره و وراءها هوم و من بعد الحياه حمام
و لحكمه ما أشرقت شهب الدجاو تعاقب الإصباح و الإظلام
ديناك يا هذا محلّة نقله و مناخ ركب ما لديه مقام
هذا أمير المسلمين و من به وجد السّماح و أعدم الإعدام
سرّ الإمامة و الخلافة يوسف غيث الملوک و ليثها الصرغام
قصده عادية الزمان فأقصدت و العزّ سام و الخميس لهام
فجعت به الدنيا و كدر شربهاو شكى العراق مصابه و الشام
أسفا على الخلق الجميل كأنه بدر الدجّة قد جلاه تمام
أسفا على العمر الجديد كأنه غصّ الحديقة زهره بسام
أسفا على الخلق الرضى كأنها زهر الرياض همى عليه غمام
أسفا على الوجه الذى مهما بدا طاشت لنور جماله الأفهام

يا ناصر الثغر الغريب و أهله و الأرض ترجف و السماء قتام
يا صاحب الصدمات في جنح الدجاو الناس في فرش النعيم نيام
يا حافظ الحرم الذي بظلاله ستر الأرامل و اكتسى الأيتام
مولاي، هل لك للقصور زيارة بعد انتزاح الدار أو إمام؟
مولاي، هل لك للعبيد تذكرة؟ حاشاك أن تنسى لديك ذمام
يا واحد الآحاد و العلم الذي خفت بعزة نصره الأعلام
وفاك أمر الله حين تكاملت فيك النهى و الجود و الإقدام
و رحلت عنا الركب خير خليفة أثنى عليك الله و الإسلام
نعم الطريق سلكت كان رفيقه و الزاد فيه تهجد و صيام
و كسفت يا شمس المحاسن ضحوه فاليوم كيل و الضياء ظلام
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٩٥ و سقاك عيد الفطر كأس شهادة فيها من الأجل الوحي مدام
و ختمت عمرك بالصلاة فحبا عمل كريم سعيه و ختام
مولاي، كم هذا الرقاد؟ إلى متى بين الصفائح و التراب تنام؟
أعد التحية و احتسبها قربة إن كان يمكنك الغداة كلام
تبكى عليك مصانع شيدتها بيض كما تبكى الهديل حمام
تبكى عليك مساجد عمرتها فالناس فيها سجد و قيام
تبكى عليك خلائق أمنتها بالسلم و هي كأنها أنعام
عاملت وجه الله فيما رتمه منها فلم يبعد عليك مرام
لو كنت تفدى أو تجار من الردى بذلت نفوس من لدنك كرام
لو كنت تمنع بالصوارم و القنما كان ركنك بالغلاب يرام
لكنه أمر الإله و ما لنا إلا رضى بالحكم و استسلام
و الله قد كتب الفنا على الورى و قضاؤه جفت به الأقدام
نم في جوار الله مسرورا بما قدمت يوم تزلزل الأقدام
و اعلم بأن سليل ملك قد غدافي مستقر علاك و هو إمام
ستر تكتف منه من خلفته ظل ظليل فهو ليس يضمام
كنت الحسام و صرت في غمد الثرى و لنصر ملكك سل منه حسام
خلفت أمة أحمد لمحمد فقضت بسعد الأمة الأحكام
فهو الخليفة للورى في عهده ترعى اليهود و توصل الأرحام
أبقى رسومك كلها محفوظة لم ينتثر منها عليك نظام
العدل و الشيم الكريمة و التقى و الدار و الألقاب و الخدام
حسى بأن أغشى ضريحك لائما و أقول و الدمع السفوح سجام
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٩٦ يا مدفن التقوى و يا مثنوى الهدى منى عليك تحية و سلام
أخفيت من حزني عليك و فى الحشانا لها بين الضلوع ضرام

و لو اننى أذيت حَقَّك لم يكن لى بعد فقدك فى الوجود مقام
و إذا الفتى أَدَى الذى فى وسعه و أتى بجهد ما عليه ملام
و كتبت فى بعض المعاهد التى كان يأنس بها رحمه الله عليه: [السريع]
غبت فلا عين و لا مخبر و لا انتظار منك مرغوب
يا يوسف، أنت لنا يوسف و كلنا فى الحزن يعقوب

يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن عقبه ابن نافع الفهرى

أوليته: كان عبد الرحمن أحد زعماء العرب بالأندلس، و كان ممن ثار منها من أصحاب بلج عصبية لقتله، فخرج عن الأندلس إلى إفريقيا، و جدّه عقبه بن نافع، هو الذى اختطّ قيروانها أيام معاوية بن أبى سفيان. قال عيسى بن أحمد: و هرب ابنه يوسف هذا من إفريقيا إلى الأندلس مغاضبا له، أيام بشر بن صفوان الكلبي، فهوى الأندلس و استوطنها، فساد بها ثم تأمر فيها.
حاله: كان شريفا جليلا، حازما عاقلا، اجتمع عليه أهل الأندلس من أجل أنه قرشى، بعد موت أميرهم ثوابه بن سلامة، و رضى به الخيار من مضر و اليمن، فدانت له الأندلس تسع سنين و تسعة أشهر، و كان آخر الأمراء بالأندلس، و عنه انتقل سلطانها إلى بنى أمية.
و أشرك الصّيميل بن حاتم فى أمره، فتركت لذلك نسبة الأمر له، و كانت الحرب التى لم يعرف بالمشرق و المغرب أشدّ جلادا و لا أصبر رجالا منها، و اعتزلها يوسف تحرفا، و قام بأمرها الصّيميل، و انهزم اليمانيون و استلحموا ملحمة عظيمة، و استوسق الأمر ليوسف.
و غزا جليقية فعظم فى عدوها

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٩٧

أثره. و لما تم له الأمر طرقة ما تقدم به الإلماع، من عبور صقر بنى أمية عبد الرحمن الداخل فى خبر طويل. و التقى بظاهر قرطبة سنة ثمان و ثلاثين و مائة فى ذى الحجة، و انهزم يوسف بن عبد الرحمن و الصّيميل، و لحقا بالبيرة. و أتبعهما عبد الرحمن بن معاوية، فنازله، و قد تحصن بمعقل البيرة حصن غرناطة، و ترددت بينهما الرّسل فى طلب المهادنة و البقاء على الصلح. و تخلى يوسف عن الدعوة، و استقرّ سكانه بقرطبة، و ذلك فى صفر سنة تسع و ثلاثين و مائة، و أقبل معه فى عسكره إلى قرطبة. و ذكر أنه تمثّل عند دخوله عسكر عبد الرحمن ببيت جرور ابن ابنه النعمان: [الطويل]

فبتنا نسوس الأمر و الأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتصّف

فتبا لدنيا لا يدوم نعيمها تقلّب ساعات بنا و تصرّف

و استقرّ بقرطبة دهرا، ثم بدا له فى الخلاف. و لحق بأحواز طليطلة، و أعاد عهد الفتنة، فاغتاله مملوك كان له، و قتلاه، رحمه الله، فى سنة اثنتين و أربعين و مائة. و أخبار يوسف بن عبد الرحمن معروفة، و هو محسوب من الأمراء الأصلاء بغرناطة، إذ كانت له قبل الإمارة بها ضياع يتردد إليها.

و من غير الأصليين

يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد ابن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبى عزفه اللخمي

الرئيس أبو زكريا و أبو عمرو ابن الرئيس أبى طالب ابن الرئيس أبى القاسم. كناه أبوه أبا عمرو، و غلبت عليه الكنية المعروفة.
حاله: كان قيما على طريقة أصحاب الحديث، رواية و ضبطا و تقييدا و تخريجا، مع براعة خط، و طرف ضبط، شاعرا مجيدا مطوعا، ذا فكاهاة و حسن مجالسة. رأس بسبته، بعد إجازته البحر من الأندلس و الاحتلال بفاس، نائبا عن ملك المغرب السلطان أبى سعيد بن

عبد الحق، لأمر متّ به إليه قبل استقلاله، ليس هذا موضع ذكره. ثم استبدّ بها مخالفاً عليه، لأمر يطول شرحه، أجرى فيه موقّفي الجانب من الخلع، باسلا مقداما، سكون الطائر، مثقفاً بخلال رئاسته، ضاماً لأطرافها. و نازله

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٩٨

جيش المغرب، و بيد أميره ولده أبو القاسم مرتتها، فأتيح له ظفر أجلى ليله غريبات المحلّة، و الأثر فيها، و استخلاص ولده. مشيخته: أخذ عن جماعة من أهل بلده و غيرهم، قراءة و سماعاً و إجازة. فممن أخذ عنه من أهل بلده سبتّه، أبو إسحاق الغافقي، و أبو عبد الله بن رشيد، و أبو الظفر المنورقي، و أبو القاسم البلفيقي، و أبو علي الحسن بن طاهر الحسيني، و أبو إسحاق التلمساني، و أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم الأنصاري، و أبو القاسم بن الشّاط.

و بغرناطة لما قدم عليها، مغزياً عن وطنه، عند تصيّره إلى الإيالة النّصيرية من أيديهم، و سكناه بها، عن أبي محمد عبد المنعم بن سماك، و أبي جعفر بن الزبير، و أبي محمد بن المؤذن، و أبي الحسن بن مستقور، و غيرهم. و من أهل المريّة أبو عبد الله محمد بن الصايغ، و أبو عبد الله بن شعيب. و من أهل مالقة الولي أبو عبد الله بن الطنجالي، و أبو محمد الباهلي، و أبو الحسن بن منظور، و أبو الحسن بن مصامد.

و من أهل الخضراء، أبو جعفر بن خميس. و من أهل بلش أبو عبد الله بن الكماد.

و من أهل أرجبة أبو زكريا البرشاني. و من أهل بجاية أبو علي ناصر الدين المشدالي، و أبو عبد الله بن غريوز. و من أهل فاس أبو عبد الله المومنانى. و من أهل تيزى أبو عبد الله محمد القيسى. و كتب له بالإجازة طائفة كبيرة من أهل المشرق، منهم قطب الدين القسطلاني.

شعره: قال لي شيخنا أبو البركات: سألته، و أنا معه واقف بسور قصبه سبتّه، أن يجيزني و يكتب لي من شعره، فكتب لي قطيعات منها في تهنته السلطان أبي الجيوش يوم ولايته: [الكامل]

الآن عاد إلى الإمامة نورها و ارتاح منبرها و هسّ سريرها

و بدا لنا من بعد طول قطوبها منها التهلّل و استبان سرورها

وضعت أزمّتها بكفّ خليفه هو أصلها الأولى بها و نصيرها

من معشر عرفت بطون أكفهم بذل الندى و اللّاثمين ظهورها

خرصانهم و وجوههم في ظلمة التّقع المثار نجومها و بدورها

وسع الرعايا منه عدله لم يزل إليه قلوبهم و يصورها

حتى اغتدت بالحب فيه صدورهم ملأى و أخلص في الولاء ضميرها

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٢٩٩ رام العداة لمجده كيدا فلم تنجح مساعدتها و ساء مصيرها

و كذاك فعل الله فيمن كاده جهلا و غرّته المنى و غرورها

مولاي، إنا عصبه معروفة بالحبّ فيك صغيرها و كبيرها

جننا نقضى من حقوقك واجبانسدى المدائح تارة و نبيرها

و لقد خدمت مقامكم من قبلها بفرائد حسنا يعزّ نظيرها

فاجذب بضبعي من حضيض مزارتي من عرّست و على يدك مسيرها

و افتكّني من أسر فرط خصاصة عنفت فلم يقصد سواك أسيرها

لا زلت للإسلام تحمي أمة دانت مما يتقى و يجيرها

و بقيت في عزّ و سعد شامل حتى يحين من الرفات نشورها

و في الإلغاز بالأقلام و المحيرة: [الوافر]

و سرب ضمهم دست ستير شباب ليس يفزعهم قدير
قد اختصروا فلم يفرش سآدلمجلسهم و لم ينصب سرير
لهم كأس إذا دارت عليهم فقد أذف الترحل و المسير
و أفشوا سر ساقهم بلفظيين ليس يفهمه البصير
و هزت من رؤوسهم نشاطوا عند الصحو يعرفهم فتور
فصاح إن تحللهم و إلفشأنهم التلثم و القصور
صلاب حين تعجمهم و لكن إذا طعنوا فدمعهم غزير
لهم عقل يلوم على القوافي لذلك نومهم أبدا كثير
طويلهم يطول العمر منه أخانعب و يخترم القصير
و هم لم يشف يوما بغير القطع عضوهم الكبير
فقل لي: من هم، لا زلت فردادياجي المشكلات به تسير
نكبتة: تنظر في العبادة في اسم أبيه .

مولده: سنة سبع و سبعين و ستمائة.

وفاته: عام تسعة عشر و سبعمائة، في شعبان، رحمه الله.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٠٠

يحيى بن علي بن غانية الصحراوي، الأمير أبو زكريا

حاله: كان بطلا شهما حازما، كثير الدهاء و الإقدام، و المعرفة بالحروب، مجمعا على تقدمه. نشأ في صحبة الأمير بقرطبة محمد ابن
الحاج اللمتوني و ولما مدينة إستجة، فهي أول ولايته. وليها يحيى، و تزوج محمد بن الحاج أمة غانية بعد أبيه و كفله، و أقام معه
بقرطبة، إلى أن كان من محمد ابن الحاج ما كان من مداخلة أشياخ مسوفة على خلع محمد بن يوسف بن تاشفين عن الأمر، و صرف
البيعة إلى يحيى الحفيد، الوالي في ذلك العهد بمدينة فاس، و لم يتم له الأمر، فأجلى عن نكبتة. و انفصل يحيى بن غانية عن جماعته،
و أقام متصرفا في الحروب، معروف الحق و الغناء، إلى أن اشتهرت بسالته و ديانتة، و رغب يدبر بن ورقا، صاحب بلنسية، من السلطان
في توجيهه إليه، ليستعين به على مدافعة العدو، فأجيب إلى ذلك.

فوصل يحيى بلنسية، و أقام بها ذابا عن المسلمين، إلى أن توفي يدبر بن ورقا، فولاه علي بن يوسف إياها و شرق الأندلس، فظهر غناؤه
و جهاده، و هزم الله بها ابن رذمير الطاغية منازل إفرغة على يده، فطار ذكره، و عظم صيته، و اشتهر سعده، و أسل عن البيضة دفاعه.
أخبار عزمه: حكى عنه أنه تزوج في فتوته امرأة من قومه شريفة جميلة، و قر بها عينا، ثم تركها و طلقها، فسئل عن ذلك، فقال: و الله
ما فارقتها عن خلّة تدم، و لكن خفت أن أشتغل بها عن الجهاد. و لم يزل يدافع النصارى عن المسلمين بالأندلس، فهزم ابن رذمير، و
أقلع محلاتهم عن مدينة الأشبونة، و استمسك به حال الأندلس. و ولّى قرطبة و ما إليها من قبل تاشفين بن علي بن يوسف، عام ثمانية
و ثلاثين و خمسمائة، فاستقامت الأمور بحسن سيرته، و ظهور سعده، إلى صفر من عام تسعة و ثلاثين. و كانت ثورة ابن قسى باكورة
الفتنة. و لما خرج إلى لبله، ثار ابن حمدين بقرطبة دار ملكه في رمضان من العام، و استباح قصره، و انطلقت الأيدي على قومه، و تم
له الأمر. و بلغ يحيى الخبر، فرجع أدراجه إلى إشبيلية، فثار به أهلها، و ناصبوه الحرب و أصابوه بجراحة، فلجأ إلى حصن مرجانة، فأقام
به يصابر الهول، و يرقع القنن. ثم تحرك إليه جيش ابن حمدين، و كانت بينهما وقعة انهزم فيها ابن حمدين، و استولى ابن غانية على
قرطبة، في شعبان من عام أربعين، و تحصن ابن حمدين بأندوجر ممتنعا بها. و نهض يحيى إلى منازلته، فاستعان ابن حمدين بملك

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٠١

قشتالة، و أطمعه في قرطبة، فتحرك إلى نصرته. و لما وصل أندوجر، أعذر يحيى في الدفاع و المصابرة، ثم انصرف بالجيش إلى قرطبة، و أخذ العدو في آثارهم، صحبة مستغيثه ابن حمدين. فانزل قرطبة، و امتنع ابن غانية بالقصر و مائليه من المدينة. و أدخل ابن حمدين النصارى قرطبة في عاشر ذى الحجة من عام أربعين، فاستباحوا المسجد، و أخذوا ما كان به من النواقيس، و مزقوا مصاحفه، و منها زعموا مصحف عثمان، و أنزلوا المنار من الصومعة، و كان كله فضة، و حرقت الأسواق، و أفسدت المدينة، و ظهر من صبر ابن غانية، و شدة بأسه، و صدق دفاعه، ما أياس منه. و كان من قدر الله، أن بلغ طاغية الروم يوم دخولهم قرطبة، اجتياز الموحدين إلى الأندلس، فأجال طاغيتهم قدام الرأي، فاقتضى أن يهادن ابن غانية، و يتركه بقرطبة في نحر عدوه من الموحدين، سدا بينهم و بين بلاده. فقعدت الشروط، و نزل إليه ابن غانية فعاقده، و استحضر له أهل قرطبة، و قال لهم: أنا قد فعلت معكم من الخير، ما لم يفعل من قبلى، غلبتكم فى بلدكم و تركتكم رعية لى، و قد وليت عليكم يحيى بن غانية، فاسمعوا له و أطيعوا. قال المؤرخ: و فخر الطاغية فى ذلك اليوم بقومه، و قال:

و لا يرينكم أن تكونوا تحت يدي و نظرى، فعندى كتاب نبيكم إلى جدى. حدث ابن أم العماد أبو الحسن، قال: حضرت، و أحضر حق من ذهب، فتح و أخرج منه كتاب من رسول الله صلى الله عليه و سلم، إلى قيصر ملك الروم، و هو جدّه بزعمه. و الكتاب بخط على بن أبى طالب. قال أبو الحسن: قرأته من أوله إلى آخره، كما جاء فى حديث البخارى.

و انصرف إلى بلاده، و انصرف ابن حمدين، فكان هلاكه بمالقة، بعد اضطراب كثير. و استقرّ ابن غانية بقرطبة الغادر به أهلها، فشرع فى بنان القصبه و سدّ عورتها، و سام أهلها الخسف و سوء العذاب، و والى إغرامهم، و استعجل أمرهم، و اتصل سلمه مع العدو إلى تمام أحد و أربعين و خمسمائة، و قد تملك الموحدون إشبيلية و ما إليها. و ضيق عليه النصارى فى طلب الإتاوة، و اشتطوا عليه فى طلب ما بيده، و نزل طاغيتهم أندوجر و به رجل يعرف بالعربى، و استدعى ابن غانية، فلمّا تحصّل بمحلته، طلبه بالتخلّى عن بياسة و أيّده، فكان ذلك. و تشاغل الموحدون بأمر نائر نازعهم بالمغرب، فكلب العدو على الأندلس، فانزل الأشبونة و شنترين، و ألمرية و طرطوشة و لا ردة و إفراغة، و طمع فى استئصال بلاد الإسلام، فداخل ابن غانية سرا من إشبيلية من الموحدين، و وصله كتاب خليفتهم بما أحبّ، و تحرك الطاغية فى جيوش لا ترام. و طالب ابن غانية بالخروج عن جيان و تسليمها إليه، و كاده، حسبما تقدم فى اسم

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٠٢

عبد الملك بن سعيد. و نهض بعد هذه الكائنة إلى غرناطة، و هى آخر ما تبقى للمرابطين من القواعد ليجمع بها أعيان لمتونه و مسوفة، فى شأن صرف الأمر إلى الموحدين.

وفاته: و لما وصل الأمير يحيى بن غانية إلى غرناطة أقام بها شهرين، و توفى عصر يوم الجمعة الرابع عشر من شعبان عام ثلاثة و أربعين و خمسمائة، و دفن بداخل القصبه فى المسجد الصغير، المتصل بقصر باديس بن حبوس، مجاورا له فى مدفنه، و عليه فى لوح من الرخام تاريخ وفاته، و الناس يقصدوه للتبرك به.

يوسف بن ناشين بن إبراهيم بن توقورت بن وريابطن ابن منصور بن مصالمة بن أمية بن وياىمى الصنهاجى ثم اللمتونى

يكنى أبا يعقوب و يلقب بأمرير المسلمين.

أوليته: ذكروا أن يحيى بن إبراهيم بن توقورت حجّ، و هو كبير قبيل الصحراويين فى عشر الأربعين و أربعمائه، و اجتاز على القيروان و هى موفورة بالعلماء، و تعرّف بالفقيه أبى عمران الفاسى، و رغب إليه أن ينظر له فى طلب من يستصحبه، ليعلم قومه و يفقههم، فخطب له فقيها من فقهاء المغرب الأقصى اسمه و اجاج، و اختار له و اجاج عبد الله بن ياسين القائم بدولتهم، البادى نظم نشرهم، و

تأليف كلمتهم، فاجتمع عليه سبعون شيخاً من نبهائهم ليعلمهم، فانقادوا له انقياداً كبيراً، و تناسل الناس، فضخم العدد، و غزا معهم قبائل الصحراء. ثم التأت حاله معهم، فصرفوه، و انتهوا كتبه، فلجأ إلى أمير لمتوننة يحيى بن عمر بن تالاكان اللمتوننى، فقبله، و أعاد حاله، و ثابت طاعته، فأمضى القتل على من اختلف عليه.

و كان يحيى بن عمر يمثل أمر عبد الله امتثالا- عظيمًا. ثم خرج بهم إلى سجلماسة، فتملكوها، و تملكوا الجبل. ثم ظهوروا على المغرب، ثم قتل الأمير يحيى بن عمر، فقدم عبد الله أخاه أبا بكر بن عمر بدرعة، و نهد به، فتملك الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٠٣

جبال المصامدة، و احتل بأغمت وريكة و استوطنها. و لعبد الله أخبار غريبة و شذوذ في الأحكام، الله أعلم بصحتها. و قتل عبد الله بن ياسين برغواطة. و لم يزل الأمير أبو بكر بن عمر حتى أخذ ثاره، و أثنى القتل فيهم، و قدم ابن عمه يوسف بن تاشفين بن إبراهيم على عسكر كبير، فيهم أشياخ لمتوننة، و قبائل البرابرة و المصامدة، و اجتاز على بلاد المغرب، فدانت له. و طرق الأمير أبا بكر خبر من قومه من الصحراء انزعج له، فولى يوسف بن تاشفين على مملكة المغرب، و ترك معه الثلث من لمتوننة، إخوانه، و أوصاه، و طلق زوجته زينب، و أمره يتزوجها؛ لما بلاه من يمينها، فبنى يوسف مدينة مراكش و حصنها، و تحبب إلى الناس، و استكثر من الجنود و القوة، و جبي الأموال، و استبد بالأمر. و رجع الأمير أبو بكر من الصحراء سنة خمس و ستين و أربعمائه، فألفى يوسف مستبداً بأمره، فسالمه، و انخلع له عن الملك، و رجع إلى صحرائه، فكان بها تصله هدايا يوسف إلى أن قتله السودان. و استولى يوسف على المغرب كله، ثم أجاز البحر إلى الأندلس، فهزم الطاغية الهزيمة الكبرى بالزلاقة، و خلع أمراء الطوائف، و تملك البلاد إلى حين وفاته.

حاله: قال أبو بكر بن محمد بن يحيى الصيرفى: كان، رحمه الله، خائفاً لربه، كتوما لسره، كثير الدعاء و الاستخارة، مقبلاً على الصلاة، مديماً للاستغفار، أكثر عقابه لمن تجرأ أو تعرض لانتقامه الاعتقال الطويل، و القيد الثقيل، و الضرب المبرح، إلا من انتزى أو شق العصا، فالسيف أحسم لانتثار الداء. يواصل الفقهاء، و يعظم العلماء، و يصرف الأمور إليهم، و يأخذ فيها بأرائهم، و يقضى على نفسه و غيره بفتياهم، و يحض على العدل، و يصدع بالحق، و يعضد الشرع، و يحزم فى المال، و يولع بالاقتصاد فى الملبس و المطعم و المسكن، إلى أن لقى الله، مجدداً فى الأمور، ملقنا للصواب، مستحباً حال الجد، مؤدياً إلى الرعايا حقها، من اللب عنها، و الغلظة على عدوها، و إفاضة الأمن و العدل فيها. يرى صور الأشياء على حقيقتها، تسمى بأمر المسلمين لما احتل الأندلس و أوقع بالروم، و كان قبل يدعى الأمير يوسف، و قامت الخطبة فيها جميعاً باسمه، و بالعدوة، بعد الخليفة العباسى. و كان درهمه فضة، و دنيه تير محض، فى إحدى صفحاته الدنير «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»، و تحت ذلك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، و فى الداير: «و من يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه و هو فى الآخرة من الخاسرين». و فى الصفحة الأخرى:

«الإمام عبد الله أمير المسلمين»، و فى الداير: تاريخ ضربه و موضع سكتته، و فى جهتي الدرهم ما حمله من ذلك.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٠٤

بعض أخباره: فى سنة سبعين و أربعمائه وردت عليه كتب الأندلس، يثون حالهم، و يحركونه إلى نصرهم. و فى سنة اثنتين بعدها ورد عليه عبد الرحمن بن أسباط من ألمرية يشرح حال الأندلس. و فى سنة خمس و سبعين بعدها و جه إلى شراء العدد فيها و استكثر منها. و فى سنة ست بعدها فتح مدينه سبتة و دخلها عنوة على الثائر بها سقوت البرغواطى. و فى سنة ثمان اتصل به تملك طاغية قشتالة مدينه طليطلة، و جاز إليه المعتمد بن عباد بنفسه، و فاوضه و استدعاه لنصرة المسلمين، و خرج إليه عن الجزيرة الخضراء. و علم بذلك الأذفنش، فاخرق بلاد المسلمين معرضاً عن رؤساء الطوائف، لا يرضى أخذ الجزية منهم، حتى انتهى إلى الخضراء، و مثل على شاطئ البحر، و أمر أن يكتب إلى الأمير يوسف بن تاشفين، و الموج يضرب أرساغ فرسه، بما نسخته:

«من أمير الملتين أذفونش بن فردلند إلى الأمير يوسف بن تاشفين. أما بعد، فلا خفاء على ذى عينين أنك أمير الملة المسلمة، كما أنا أمير الملة النصرانية. و لم يخف عليكم ما عليه رؤساؤكم بالأندلس من التخاذل، و التواكل، و إهمال الرعية، و الإخلاد إلى الراحة، و

أنا أسومهم سوء الخسف، وأضرب الديار، وأهتك الأستار، وأقتل الشبان، وأسبى الولدان، ولا عذر لك في التخلف عن نصرتهم، إن أمكنتك قدرة.

هذا و أنتم تعتقدون أن الله، تبارك و تعالى، فرض على كل منكم، قتال عشرة منّا، ثم خفف عنكم فجعل على كل واحد منكم قتال اثنين منّا، فإنّ قتلاكم في الجنة، و قتلانا في النار، و نحن نعتقد أن الله أظهرنا بكم، و أعاننا عليكم، إذ لا- تقدرّون دفاعا، و لا تستطيعون امتناعا. و بلغنا عنك أنك في الاحتفال على نية الإقبال، فلا أدري إن كان الحين يطع بك أمام التكذيب لما أنزل عليك. فإن كنت لا- تستطيع الجواز فابعث إلى ما عندك من المراكب لأجوز إليك، و أنا جزك في أحبّ البقاع، فإن غلبتني، فتلك غنيمه جاءت إليك، و نعمه مثلت بين يديك. و إن غلبتك، كانت لي اليد العليا، و استكملت الإمارة. و الله يتمّ الإرادة».

فأمر يوسف بن تاشفين أن يكتب في ظهر كتابه: «جوابك يا أذفونش، ما تراه، لا ما تسمعه إن شاء الله». و أورد الكتاب بيت أبي الطيب: [الطويل]

و لا كتب إلّا المشرفية و القنا و لا رسل إلّا الخميس العرمم

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٠٥

و عبر البحر، و قد استجاش أهل الأندلس. و كان اللقاء يوم الجمعة منتصف رجب من عام تسعة و سبعين و أربعمائه. و وقعت حرب مرّة، اختلط فيها الفريقان، بحيث اقتحم الطاغية محله المسلمين، و صدم يساره جيوش الأندلس، و اقتحم المرابطون محلته للحين. ثم برز الجميع إلى مأزق، تعارفت فيه الوجوه، فأبلوا بلاء عظيما، و أجلت عن هزيمة العدو، و استئصال شأفته. و أفلت أذفونش في فلّ قليل، قد أصابته جراحه، و أعزّ الله المسلمين و نصرهم نصرا لا كفاء له، و أكثر شعراء المعتمد القول في ذلك، فمن ذلك قول عبد المجيد بن عبدون من قصيدة:

[الوافر]

فأين العجب يا أذفونش هلا تجنبت المشيخة يا غلام؟
ستشملك النساء و لا رجال فحدّث ما وراءك يا عصام
أقمت لدى الوغى سوقا فخذها مناجزة و هون لا تنام
فإن شئت اللجين فتمّ سام و إن شئت النصار فتمّ حام
رأيت الضرب تطيبا فصلب فأنت على صليبك لا تلام
أقام رجالك الأشقون كلّوا هل جسد بلا رأس ينام؟
رفعنا هامهم في كلّ جذع كما ارتفعت على الأيك الحمام
سيعبد بعدها الظلماء لمّا أتيح له بجانبها اكتتام
و لا ينفك كالخفاش يعضى إذا ما لم يباشره الظلام
نضا إذ راعه و اجتاب ليلا يودّ لو أنّ طول الليل عام
سيبقى حسرة و يبيد إن لم أبادتنا القناه أو الحسام
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٠٦

و عاد إلى العدو. ثم أجاز البحر ثانية إلى منازل حصن لبيط، و فسد ما بينه و بين أمراء الأندلس، و عاد إلى العدو، ثم أجاز البحر عام ثلاثة و ثمانين و أربعمائه، عاملا على خلعهم، فتملك مدينة غرناطة في منتصف رجب من العام المذكور، و دخل القصر بالقصبة العليا منها، و استحسنته، و أمر بحفظه و مواصلة مرّمته، و طاف بكل مكان منه. ثم تملك المريّة و قرطبة و إشبيلية و غيرها، في أخبار يطول اقتضاؤها، و البقاء لله.

وفاته: توفي، رحمه الله، بمدينه مراكش يوم الاثنين مستهل محرم سنة خمسمائة. و ممن رثاه أبو بكر بن سوار من قصيدة أنشدها على قبره: [الكامل]

ملك الملوک، و ما ترکت لعامل عملا من التقوى يشارك فيه
يا يوسف، ما أنت إلا يوسف و الكل يعقوب بما يطويه
اسمع، أمير المؤمنين، و ناصر الدين الذي بنفوسنا نفيه
جوزيت خيرا عن رعيتك التي لم ترض فيها غير ما يرضيه
أما مساعيك الكرام فإنها خرجت عن التكييف و التشيه
في كل عام غزوة مبرورة تردى عديد الروم أو تفنيه
تصل الجهاد إلى الجهاد موقفا حتم القضاء بكل ما تقضيه
و يجيء ما دبّرت كميته فكأن كل معتب تدرية
متواضعا لله مظهر دينه في كل ما تبديه أو تخفيه
و لقد ملكت بحقك الدنيا و كم ملك الملوک الأمر بالتمويه
لو رامت الأيام أن تحصي الذي فعلت سيوفك لم تكذ تحصيه
إنا لمفجوعون منك بواحد جمعت خصال الخير أجمع فيه
و إذا سمعت حمامة في أيكه تبكي الهديل فإنها ترثيه
و مضى قد استرعى رعيه أمه فأقام فيهم حق مسترعيه
إذا هزير الغاب صرّى شبله في الغاب كان الشبل شبه أبيه
و إذا عليّ كان وارث ملكه فالسهم يلقي في يدي باريه
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٠٧

يوسف بن محمد بن يوسف بن محمد بن نصر

ولى عهد أبيه أمير المسلمين، الغالب بالله.
حاله: كان أميراً جليلاً حصيفاً فاضلاً، ظاهر النبل، محباً في العلم ... من فنونه. مال إلى التعاليم و النجوم، أفرط في الاستغراق في ذلك،
و نعى إلى أبيه، فأنكره، و قصد يوماً منزله لأجل ذلك، و دخل المجلس، و به مجلّدات كثيرة، و قال:
ما هذه يا يوسف؟ فقال، ستر لغرضه المتوقع فيه نكير أبيه: يا مولاي، هي كتب أدب، فقال السلطان، و قد قنع منه بذلك: يا ولدي، ما
أخذناها، يعنى السلطنة، إلا بقلّة الأدب، توريه حسنة، إشارة إلى الثورة على ملوك كانوا تحت إيالتهم، فغرب في حسن النادرة، و كان
قد ولّاه عهده بعد أخيه، لو أمهله المنية.
وفاته: توفي يوم الجمعة ثالث عشر صفر عام ستين و ستمائة.

يوسف بن عبد المؤمن بن علي

الخليفة أبو يعقوب الوالي بعد أبيه.
حاله: كان فاضلاً كاملاً عدلاً و رعا جزلاً، حافظاً للقرآن بشرحه، عالماً بحديث رسول الله صلى الله عليه و سلم، خطئه و صحيحه، آية

الموحددين في الإيعاء و المواساء، راغبا في العمارء، مابرا على الجهاد، مشيعا للعدل. أصلح العدو و أمنها، و أنس شاردها، و حصن جزيرة الأندلس ببعوثة لها، فقمعوا عاصيها، و افترعوا بالفتح أقاصيها، و أحسن لأجنادها، و أمدهم من الخيل بالميين من أعدادها، رحمه الله.

ولده: ثمانية عشر، أكبرهم يعقوب ولى عهده، نجم بنى عبد المؤمن و جوهرتهم. حاجبه: أبو حفص شقيقه.

وزراؤه: إدريس بن جامع، ثم أبو بكر بن يوسف الكومى.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٠٨

قضاة: حجاج بن يوسف بن عمران، و ابن مضاء.

كتابه: أبو الحسن بن عياش القرطبي، و أبو العباس بن طاهر بن محشرة.

بعض أخباره: فى أيامه استوصلت دولة ابن مردنيش، بعد حروب مبيرة، و دوخ إفريقيا، و رد أهل باجة إلى وطنهم، بعد تملك العدو إياه، و جبرهم جدا و استنقاذا، و فتح حصن بلج.

وفاته: فى الثامن و العشرين لربيع الآخر سنة ثمانين و خمسمائة، بظاهر شنترين من سهم أصابه فى خبائه، و هو محاصر لها، فقضى عليه، و كتم موته، حتى اشتهر بعد رحيله. ذكر ذلك أبو الحسن بن أبى محمد الشريشى، فكانت خلافته اثنين و عشرين عاما، و عشرة أشهر، و عشرة أيام، و عمره سبع و أربعون سنة.

مولده: فى مستهل سنة ثلاث و ثلاثين و خمسمائة، و دخل غرناطة لأول مرة، و وجب ذكره فىمن حل بها.

يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن مجبو

أمير المسلمين بالمغرب، يكنى أبا يعقوب.

أوليته: معروفة مذ وقع الإلماع بذلك فى اسم أمير المسلمين أبيه.

حاله: كان ملكا على الهمة، بعيد الصيت، مرهوب الشبا، رابط الجأش، صعب الشكيمة، على عهده اعتلى الملك، و ناشب القبيل، و استوسق الأمر. جاز إلى الأندلس مع والده، و دوخ بين يديه بلاد الروم، و وقف بظاهر قرطبة و إشبيلية، و حضر الواقعة بذنونه، و جرت بينه و بين سلطان الأندلس، على عهده، منافرات أجلت أخيرا عن لحاق السلطان به مستعتبا، و استقر آخر محاصرا لتلمسان، غازيا لبنى زيان الأمراء بها، و ابنتى مدينه سماها تلمسان الجديدة، و أقام محاصرا لها، مضيقا على أهلها نحو من ثمانية أعوام، و عظمت الملوك شرقا و غربا، و وردت عليه الرسل و الهدايا من كل جهة، و هابه الأقارب و الأبعد.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٠٩

وفاته: و لما أراد الله إنفاذ حكمه فيه، قيض له عبدا خصيا حبشيا، أسفه بقتل أخ له أو نسيب، فى باب خيانة عشر له عليها، فاقتحم عليه دار الملك على حين غفلة، فدجاه بسكين أعدّه لذلك، و ضج القصر، و خرج و بالسلطان رمق، ثم توفى من الغد، أو قريبا منه، فى أوائل ذى قعدة من عام ستته و سبعمائه، فكانت دولته إحدى و عشرين سنة و أشهر، و انتقل إلى مدفن سلفه بسلا، و قبره بها. و ركب قاتله فرسا أزعجها ركضا، يروم النجاة و اللحاق بالبلد المحصور، و سبقه الصيياح، فسد بعض الأبواب التى أمل النجاة منها، و قتل و ألحق به كثير من جنسه.

و جرى ذكره فى الرجز المتضمن دول الملوك من تأليفنا، بما نصه:

[الرجز]

حتى إذا الله إليه قيضه قام ابنه يوسف فيها عوضه

و هو الهمام الملك الكبير فابتهج المنبر و السرير
و ضخم الملك و ذاع الصيت بملكه و انتظم الشيت
و ساعد السعد و أغضى الدهر و خلص السر له و الجهر
و أمل الجود و خيف الباس و استشعر الخشية منه الناس
ثم تقضى معظم الزمان مواصلا حصر بنى زيان
حتى أهل تلمسان للفرج و نشقوا من جانب اللطف الفرغ
لما توفى درج السعد درج فانفرج ضيق الحصر عنها و انفرج
و نزل بظاهر غرناطة و ببعض مروجها بقرية أشقظمر، فى بعض غزوات أبيه إلى قرطبة، و تقدم السلطان إليهم من البر و القرى، ما كثر
الإخبار به و التعجب منه، و وجه إليهم ولده و ولى عهده.

يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن بكر بن حمامة ابن محمد بن رزين بن فقوس بن كرناطة بن مرين

من قبيلة زناته، أمير المسلمين، المكنى بأبى يوسف، الملقب بالمنصور، رحمه الله.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣١٠

أوليته: ظهر بالمغرب أبوه الأمير عبد الحق، و قد اضطرت دولة الموحدين، و التأث أمرهم، و مرجت عرب رياح؛ لعجز الدولة عن
كف عدوانهم، فخرج الأمير عبد الحق فى بجوحه قومه من الصحراء، و دعا إلى نفسه، و استخلص الملك بسيفه، عام عشرة و ستمائة،
و كان على ما يكون عليه مثله، ممن جعله الله جرثومة ملك و خدم دولة، من الصدق و الدهاء و الشجاعة. و رأى فى نومه كأن شعلا
أربع من نار، خرجن منه، فعلون فى جو المغرب، ثم احتوين على جميع أقطاره، فكان تأويلها تملك بنيه الأربعة بعده، و الله يؤتى
ملكه من يشاء. و كان له من الولد إدريس، و عثمان، و عبد الله، و محمد، و أبو يحيى، و أبو يوسف، و يعقوب هذا. و لما هلك هو و
ابنه إدريس فى وقية رياح، ولى أمره عثمان ولده، ثم ولى بعده أخوه محمد، ثم ولى بعده أبو يحيى أخوهما. و فى أيامه اتسق
الملك، و ضخم الأمر، و افتتحت البلاد. و لما هلك حتف أنفه بفاس فى رجب من عام ست و خمسين و ستمائة، قام بالملك أخوه
يعقوب المترجم به، و أرث الملك بنيه.

حاله: كان ديناً فاضلاً حياً، جواداً سمحاً، شجاعاً، محباً فى الصالحين، منقاداً إلى الخير، حريصاً على الجهاد. أجاز ولده فى أوائل عام
اثنين و سبعين و ستمائة إلى الأندلس، ثم عبر بنفسه فى سرار صفر من العام بعده، فاحتل بظاهر إشبيلية، و كسر جيش الزوم المنعقد
على زعيمهم المسسمى ذنونه، بظاهر إستجة فى ربيع الآخر من العام. ثم عبر ثانياً، مغتتما ما نشأ بين الروم من الفرقة، فغزا مدينة قرطبة، و
صار أمر العدو فى أطواق الفرنتيرة، بحيث لا يوجد فى بطن القتل منها إلا العشب أزلا و مسغبة، لانتشار الغارات، و انتساف الأقوات، و
حديث الفتنة.

و سببها ما كان من تصير مالقة إليه، من أيدي المنتزين عليها من بنى إشبيلية، ثم عودتها إلى سلطان الأندلس، من أيدي رجاله،
شيوخ بنى محلى، ثم تدارك الله المسلمين بصلاح ذات البين، و احتل بظاهر غرناطة، فى بعض هذه الغزوات، فنزل بقرية إسقظمر من
مرجها، و احتفل السلطان، رحمه الله، فى بره، و أجزل نزله، و توجيه ولده إليه. و ذكر سيرته شاعرهم أبو فارس عزوز فى أرجوزته،
فقال:

[الرجز]

سيرة يعقوب بن عبد الحق قد حاز فيها قصبات السبق

بغيتان، يقرأ الكتاب و تذكر العلوم و الآداب

يقوم للكتاب ثلث الليل و ما له عن ورده من سبيل
حتى إذا الصباح لاح و ارتفع قام و صَلَّى لِلإله و ركع
و ضجَّ بالتسبيح و التقديس حتى يتمَّ الحزب في التعلّيس
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣١١ يقرأ أولاً كتاب السّير و القصص الآتي بكلّ خبر
ثم فتوح الشّام باجتهاد و بعده المشهور بالإنجاد
سؤاله تعجز عنه الطّلبه و من لديه من أجلّ الكتبه
يعقد الكتب إلى وقت الصّحى ثم يصلّيها كفعل الصّلحا
و يأمر الكتاب بالأوامر في باطن من سرّه و ظاهر
و يدخل الأشياخ من مرين للرأى و التدبير و التّزيين
مجلسه ليس به فجور و لا فتى في قوله يجور
كأنهم مثل النجوم الزّهر و بينهم يعقوب مثل البدر
قد أسبر الوقار و السكينه و حلّ في مكانه مكينه
حتى إذا ما جاز وقت الظهر قام إلى بيت للندى و الفخر
يبقى إلى وقت صلاة العصر يأتي إلى بيت العلى و الأمر
و ينصف المظلوم ممن ظلمه و لم يزل إلى صلاة العتمه
ثم يؤمّ بيته الكريما و يترك الوزير و الخديما
ثم ينام تاره، و تاره يدبّر الأمور بالإداره
ما إن ينام الليل إلّا ساهرا ينوى الجهاد باطنا و ظاهرا
فهل سمعتم مثل هذه السّيره و هذه المآثر الأثيره
لملك كان من الملوكة أو مالك في الدهر أو مملوك
كذاك كان فعله قديما بذاك نال الملك و التّعظيما
و من الرّجز المسمى بقطع السلوك من تأليفنا، في ذكره، قولى: [الرجز]
تبوّا هذا الأمر عبد الحقّ أكرم من نال العلى بحقّ
و استخلص الملك بحدّ المرهف لسن مجد عظيم الشرف
و كان سلطانا عظيم الجود و صدقت رؤياه في الوجود
فأعلى الأيام نور سعده و نالها أبنائه من بعده
عثمان ثم بعده محمد ثم أبو يحيى الحمام الأسعد
تمهّد الملك له لما هلك و سلك السعد به حيث سلك الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ٤؛ ص ٣١١
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣١٢ و فتحت فاس على يديه و الملك العلىّ حلّه لديه
و كان ذا فضل و هدى و ورع قد رسم الملك فيهم و اخترع
ثم أتت وفاته المشهوره فولّى المنصور تلك الصّوره
و هو أبو يوسف غلاب العداو واحد الأملاك بأسا و ندى
ممهّد الملك و مورى الرّندو باسط العدل و مولى الرّند

مدّت إلى نصرته الأكفّ والروم في العدوان لا تكفّ
فاقتحم البحر سريعا و عبرو دافع الأعداء فيها و صبر
و وقعت في عهده أمور و فتنة ضاقت لها الصدور
و آلت الحال إلى التثام فما أضيعت حرمة الإسلام
حتى إذا الله إليه قبضه قام ابنه يوسف فيها عوضه

وفاته: توفي في شهر المحرم عام خمسة و ثمانين و ستمائة، بالجزيرة الخضراء و دفن بها. ثم احتمل بعد إلى سلا، فدفن بالجبانة
المعروفة هنالك لملوك من بني مرين. و محلّ هذا السلطان في الملوك المجاهدين المرابطين معروف، تعمّده الله برحمته.

الأعيان و الوزراء و الأمان و الكبراء

يحيى بن رحو بن تاشفين بن معطى بن شريفين

أقرب القبائل المرينية إلى قبيل سلطانهم من بني حمامة. خدم جدّه بتونس، ثم بالأندلس، يكنى أبا زكريا، شيخ القبيل الزناتى، و
محراب رأيهم، و قطب رحي حماتهم.

حاله: كان هذا الشيخ و حيد دهره، و فريد وقته، و شامة أهل جلدته، في النبيل و الفطانة، و الإدراك و الزجاجه، شديد الهزل مع البأو،
و الممالقة مع التيقور، و المهاترة مع الحشمة، عارفا بأخلاق الملوك و شروط جلسائها، حسن التوصل إليها، و التأتى لأغراضها، بعيد
الغور، كثير التكرار، لطيف الحيلة، عارفا بسياسة الوطن، قيوما على أخلاق أهله، عديم الرضا بسير الملوك و إن أعلقوا بالعروة الوثقى
يده و يسروا على عبور عقبة الصراط عونته، و أقطعوه الجنّة وحده، طنازا بهم، مغريا خائنة الأعين بتصرفاتهم، مقتحما حمى اغتيالهم، قد
اتخذ ذلك سجيّة أقطعته جانب القطيعة برهه،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣١٣

فارتكب لها الأدهام مدّة، جماعه للمال، ذائدا عنه بعضا التقتير، و ربما غمس فيه إبرة للصدقة و ساما بينه و بين الوزير، مكفى السماء
على الأرض برأيه المستعين على الفتكة و ما وراءها، بمنيع موالاتهم، و بانيه يوم مكاشفة الملا إياه بالنفرة، و كان قطب الرّحى للقوم
في الوجهة إلى الأمير عبد الحليم، و مقيم رسمه. و انصرف إلى جهة مراكش عند الهزيمة عليه، فاتّصل بعميدها عامر بن محمد بن
على الهنتاتى، و جرت عليه خطوب، و عانت في الكثير من نعمته أكفّ التمزيق، ديدن الدهر، في الأموال المحتجئة، و النقود المكتنزة،
و استقرّ أخيرا بسجلماسة، في مظاهرة الأمير عبد الحليم المذكور، و بها هلك. و كان على إزرائه و لسب لسانه، و اخز تلال حية
حدّته، ناصح الرأى لمن استنصحه، قواما فيه بالقسط، و لو على نفسه و الوالدين و الأقربين، فضيلة عرف فيها شأوه، مقيما لكثير من
الرّسوم الحسية.

دخوله غرناطة: قدم غرناطة في جمادى من عام تسعة و خمسين و سبعمائة في غرض الرّسالة، و وصل صحبته قاضى الجماعة بالمغرب
أبو عبد الله المقرئ، و كان من امتساكه بالأندلس، ما أوجب عودة المترجم به في شأنه، فتعدد الاستمتاع بنبله.
وفاته: توفي قتيلا في الهزيمة على الأمير عبد الحليم بظاهر سجلماسة في ربيع الأول من عام أربعة و ستين و سبعمائة.

يحيى بن طلحة بن محلى البطوى، الوزير أبو زكريا

حاله: كان مجموعا رائعا، حسن شكل و جمال رواء، و نصاعة ظرف، و استجادة مركب و بزّة، قديم الجاه، مرعى الوسيلة، دربا على
الخدمة، جلدا على الوقوف و الملازمة، مجدى الجاه، تلمّ به نوبة تواضع، يتشبّث به الفقراء و أولى الكدية، فكه المجلس، محبّا في

الأدب، ألفا للظرفاء، عاملا- على حسن الذكر و طيب الأحداث. تولى الوزارة للسلطان أبي الحسن، و نشأ في حجر أبيه، ماتا إليهم بالخوولة القديمة، فتملأ ما شاء من قرب و مزينة، و باشر حصار الجبل لما نازله الطاغية؛ لقرب عهد بفتحها، فأبلى و حسن أثره. نشأ بالأندلس، و سكن وادي آش و غرناطة، و استحقّ الذكر لذلك.

شعره: و كان ينظم الشعر، فمن ذلك قوله في مزدوجه في غرض الفخر:

[الرجز]

أنا ابن طلحة و لا أبالي ليث السرى في الحرب و النزال

يحيى حياة البيض و العوالي ميد كل بطل مغتال

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣١٤ إن سمعوا باسمي في مجال يلقوا بأيديهم إلى النكال

أستنزل القرن لدى الصيال و أكرس النصل على النصال

من أملى التفريق للأموال و الجمع بين الأقوال و الفعال

و الشعر إن تسمعه من مقال تعلم بأن السحر في أقوال

أوشح الغريب فالأمثال و أقرن الأشباه بالأمثال

و أفضل المرجان باللال و أذكر الأيام و الليال

فمن أبو أمية الهلال و من وحيد عصره الميكال

هذا ولي في غير ذا معال بها أعالي الدهر من أعال

كما لحسب الصميم و المعال و المحتد الضخم الحفيل الحال

و كرم الأعمام و الأخوال و الصون و العفاف و الأفضال

فمن يساجلني فذا سجال و من يناضلني فذا نضال

وفاته: توفي في أواخر عام خمسة و ثلاثين و سبعمائة؛ أصابه سهم نفض رمى به من سور تلمسان أيام الحصار، فقضى عليه، نفعه الله.

يحيى بن عبد الرحمن بن إبراهيم ابن الحكيم اللخمي

أخو الوزير أبي عبد الله بن الحكيم و كبيره، يكنى أبا بكر، رندى الأصل. قد مرّ شيء من ذكر أوليته. دخل غرناطة مرات، وافدا و زائرا، و ساكنا و مغربا.

حاله: كان وزيرا جليلا و قورا عفيفا، سريّا فاضلا، رحب الجانب، كثير الأمل، جَمّ المعروف، شهير المحل، عريض الجاه، صريح الطعمه، من أقطاب أرباب النعم، و منتجعي الفلاحه بالأندلس. استبدّ ببلده برهه، بإسناد ذلك إليه و إلى أخيه، من السلطان أمير المسلمين أبي يعقوب ملك المغرب، الصائر إليه أمره عند نبذها مغاضبا، ثم أصاره إلى إيالة السلطان، ثاني الملوك من بني نصر، على يدى أخيه كاتبه و وزير ولده.

محنته و وفاته: و لما تقلد أخوه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الحكيم الأمر، سما جاهه، و عظم قدره، و تعدد أمله، إلى أن تعدى إليه أمر المحنة يوم الفتك بأخيه، فطاح في سبيله نشبه، و ذهب في حادثه الشنيع مكسبه. و استقرّ مغربا بمدينه فاس، تحت ستر و جرايه، و بها أدركته وفاته في أوائل شوال من عام عشرة و سبعمائة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣١٥

يحيى بن عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق

جدّ الملوک من بنى مرین، یکنى أبا زکریا، شیخ الغزاة، و رئیس جمیع القبائل بالأندلس.

أولیتة: قد تقدمت الإشارة إلى أولیة هذا البیت، و نحن نلمع بسبب انتبأذهم عن قومهم، و هو ما كان من قتل أخى جدّهم، یعقوب بن عبد الله بن عبد الحق، ابن أخى السلطان أبى یوسف، إذ كان ثائرا مصعبا، مظنةً للملك، و محلاً للآمال، فنافسه ولّى العهد و أوقع به، فوقع بینهم الشّتات، و فرّ شیوخ هذا البیت و أتباعهم إلى تلمسان، ثم اجتازوا إلى الأندلس، منهم من آثر الجهاد، أو نبا به ذلك الوطن، أو شرّده الخوف، أو أحطب به الاستدعاء. فمنهم موسى و عمران و العباس، أبناء رحو بن عبد الله، و عثمان بن إدريس، و غیرهم، فبدت فیهم الشیاحة، و صحبهم التّقدیم، و أقامت فیهم الخطّة، و تردّدت بینهم الولاية.

حاله: هذا الشیخ مستحقّ الرّتبة، أهل لهذه الرئاسة، بأسا و نجدة، و عتقا و أصالة، و دهاء و معرفة، طرف فی الإدراک، عامل على الحظوة، مستدیم للنعم، طیب بالخدمة، كثير المزاولة و الحنكة، شدید التّيقظ، عظیم الملاحظة، مستغرق الفكرة فی ترتیب الأمور الدنیویة، بّحاث عن الأخبار، ملتمس للعیون، حسن الجوار، مبذول التّصفه، بقیة بیته بالعدوتین و شیخ رجاله. له الإمامة و التّبریز فی معرفة لسانهم، و ما یتعلّق به من شعر و مثل و حکمة و خبر، لو عرضت علیه رمم من عبر مهم لأثبتها، فضلا عن غیر ذلك، نسابه بطونهم و شعابهم، و علامه سیرهم، و عوائدهم، ألمعی، ذکی، حافظ للكثیر من الحکم و التّواریخ، محفوظ الشّیبه من العصمة، طاهر الصّون و العفّة، مشهور الشّهامة و النّجدة، معتدل السّیخاء، یضع الهناء مواضع النّصب فلا یخضع عن جدته، و لا یطمع فی غفلته، و لا ینازع فیما استحقّه من مزیتة، خدم الملوک، و خیر السّیر، فترك الأخبار لعلمه، و عضل عقله بتجربته.

تولّى رئاسة القبیل وسط صفر من عام سبعة و عشرين و سبعمائة، معوّضا به عن شیخ الغزاة عثمان بن أبى العلاء، فتنعم البیت، و خدن الشّهرة، عندما أظلم ما بینه و بین ابن المحروق مدبّر الدولة، و دافعه بالجیش فی ملقى حرانه، من أحواز حصن أندرش مرات، تناصف الحرب فیها، و ربما ندر الفلج فی بعضها، و استمرت حاله إلى سابع محرم من عام تسعة و عشرين و سبعمائة، و أعید عثمان بن أبى العلاء إلى رتبته على تفتنة مهلك ابن المحروق، و انتقل هو إلى مكانه بوادی آش فی قومه،

الإحاطة فی أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣١٦

تحت حفظ و مبرّة. ثم دالت له الدولة، و عادت إلى ولده الكرة، یوم القبض على نظرائه و قرابته، مترفی حظوته، ولد الشیخ أبى سعید عثمان بن أبى العلاء، عند إیقاع الفتنة بهم یوم السبت التاسع و العشرين لربیع الأول عام أحد و أربعین و سبعمائة. و استمرت له الولاية، و ألفت عصاها كلفه منه بالكفو الذى سلّم له المنازع، إلى أن قبض سلطانه، رحمه الله، فجرى ولده على و تیره أبیه، و وقى له صاع وفائه، فجدّد ولايته، و شدا حسّه، و نوّه رتبته، و صدر له یوم بیعته منشور کریم من إنشائی نصّه:

«هذا ظهیر کریم منزلته فی الظهائر الکریمه منزلة المعتمد فی الظّهر الکرام، أطلع وجه التعظیم سافر القسام، و عقد رایة العزّ السامی الأعلام، و جدّد کریم المتات و قدیم الدّمام، و انتضى للدفاع عن حوزة الدین حساما یقرّ بمضائه صدر الحسام، فأعلن تجدیده بشدّ أزر الملك و مناصحة الإسلام، و أعرب عن الاعتناء الذى لا تخلق جدیده أیدی اللیالی و الأيام. أمر به الأمير عبد الله محمد ابن أمير المسلمین أبى الحیّاج، ابن أمير المسلمین أبى الولید بن نصر، أید الله أمره و أعزّ نصره، لولیه الذى هو عماد سلطانه، و واحد خلصائه، و سیف جهاده، و رأس أولى الدفاع عن بلاده، و عقد ملكه، و وسطى سلکة، الشیخ الجلیل الکبیر الشّهیر، الأعزّ الأسنى، الصدر الأسمی، الأحفل، الأسعد، الأطهر، الأظهر، الكذا، أبى زکریا ابن الشیخ الكذا، أبى على ابن الشیخ الكذا، أبى زید رحو بن عبد الله بن عبد الحق، زاد الله قدره علواً، و مجده سمواً، و جهاده ثناء متلواً.

لما كان محلّه من مقامه، المحل الذى تتقاصر عنه أبصار الأطماع فترتدّ حاسرة، و كان للدولة یدا باطشه، و مقله باصرة، فهو ملاک أمورها واردة أو صادرة، و سیف جهادها الذى أصبحت بمضائه ظافرة، و على أعدائها ظاهرة، و كان له الصّییت البعید، و الذکر الحمید، و الرأى السدید، و الحسب الذى یلیق به التمجید، و القدر الذى سما منه الجید، و عرفه القریب و البعید، و الجهاد الذى صدق به فی قواعده الاجتهاد و التّقلید، فإن أقام جیسا أبعد غارته، و إن دبّر أمرا أحکم إدارته، مستظها بالجلال الذى لبس شارته. فهو

واحد الزمان، و العدة الرفيعة من عدد الإيمان، و من له بذاته و سلفه علو الشان، و سمو المكان، و الحسب الوثيق البنيان، و لبيته الكريم بيت بنى رحو السابقة في ولاية هذه الأوطان، و المدافعة عن حوزة الملك و حمى السلطان. إن فوخروا صدعوا بالمكارم المعلومة، و متوا إلى ملك المغرب ببنوة العمومة، و تزيّنوا من حلى الغرب بالتيجان المنظومة. فهم سيوف الدين، و أبطال الميادين، و أسود العرين، و نجوم سماء بنى مدين. و كان سلفه الكريم، رضى الله الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣١٧

عنه، يستضىء من رأيه بالشهاب الثاقب، و يحلّه من بساط تقريبه أعلى المراتب، و يستوضح بركته جميع المذاهب، و يستظهر بصدق دفاعه على جهاد العدو الكاذب، و يرى أنه عزّ دولته، و سيف صولته، و ذخيرة فخره، و سياج أمره. جدّد له هذا الرتب تجديدا صير الغاية منها ابتداء، و استأنف به إعلاء، و لم يدخر عنه حظوة و لا اعتناء.

و حين صير الله إليه ملك المولى أبيه بمظاهرة، و قلده قلادة الملك بأصيل اجتهاده، و حميد سعيه، بعد أن سبق الألوف إلى الأخذ بثاره، و عاجلت البطشة الكبرى يد ابتداره، و أردى بنفسه الشقى الذى سعى فى تبيد شمل الإسلام و إطفاء أنواره، على تعدد الملك يومئذ و توفر أنصاره، فاستقرّ الملك فى قراره، و انسحب الشتر على محلّه و امتدّ ظل الحفظ على داره، عرف وسيلة من المقام الذى قامه، و الوفاء الذى رفع أعلامه، و ألقى إليه فى أهم الأمور بالمقاليد، و أزمه ملازمة الحضور بمجلسه السعيد، و شديد الاغتباط على قربه مستنجحا منه بالرأى السديد، و مستندا من وده إلى الركن الشديد، و أقامه بهذه الجزيرة الأندلسية عماد قومه فهو فيهم يعسوب الكتيبة و وسطى العقد الفريد، و فذلكة الحساب و بيت القصيد، فدوّاره منهم للشريد، مأوى الطارف و التليد، الكفيل بالحسنى و الميزيد. يقف ببابه أمراؤهم، و تنعقد فى مجلسه آراؤهم، و يركض خلفه كبراؤهم، مجددا من ذلك ما عقده سلفه من تقديمه، و أوجه مزيه حديثه و قديمه. فهو شيخ الغزاة على اختلاف قبائلهم، و تشعب وسائلهم، تتفاضل درجات القبول عليهم بتعريفه، و تشرف أقدارهم لديه بتشريفه، و تثبت واجباتهم بتقديره، و ينالهم المزيد بتحقيقه للغناء منهم و تقريره، فهو بعده، أيده الله، قبله آمالهم، و ميزان أعمالهم، و الأفق الذى يصب من سحاب قطره غمام نوالهم، و اليد التى تستمنح عادة أطمعتهم و أموالهم. فليتول ذلك عظيم القدر، منشرح الصدر، حالا من دائرة جمعهم محلّ القلب من الصدر، متألقا فى هالتها تألق البدر، صادعا بينهم باللغات الزناتية التى تدل على الأصالة العريقة و التجار الحرّ. و هو إن شاء الله الحسام الذى لا ينبه على الضريبة، و لا يزيده حسنا جلب الحلّى العجيبة، حتى يشكر الله و المسلمون اغتباط مقامه بمثله، و يزرى برّه به على من أسرّ برّه من قبله، و يجنى الملك ثمره تقريبه من محلّه. و من وقف على الظهر الكريم من الغزاة آساد الكفاح، و متقلدى السيوف و معتلقى الرماح، كماه الهيجاء و حماة البطاح، حيث كانوا من موسطة أو ثغر، و من أقيم فى رسم من الجهاد أو أمر، أن يعلموا قدر هذه الغاية المشرفة، و اليد المطلقة، و الحظوة المتألقة، فتكون أيديهم فيما قلّده رداً ليده، و عزائمهم متوجهة إلى مقصده، فقصده، فقدره فوق الأقدار، و أمره الذى ناب أمره مقابل الابتدار، على توالى الأيام و تعاقب الأعصار. و كتب فى كذا ...

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣١٨

مولده: ولد بظاهر تلمسان، عند لحاق أبيه، رحمه الله، بسطانها عام أحد و تسعين و ستمائة، تلقّيته من لفظه.

و من «المستدرک»: و تمادت ولايته إلى الأوائل من شهر رمضان عام اثنين و ستين و سبعمائة، فلما تصيرت إلى قدار ناقته، محمد بن إسماعيل بن نصر، عزله، و همّ به، فغزبه إلى بلد الروم، فرارا أرق به البسالة و الصبر، و تبعه الجيش، فأصيب بجراحة، ورد من صامته، و جلى عن نفسه، فتخلصه عزمه و مضائه، و استقرّ عند طاغية الروم، فأولاه من الجميل ما يفوت الوصف، و اجتاز العدو، فعرف بها حقّه، و عادت رتبة هذا الرجل، بعد أن ردّ الله على سلطانها ملكه، إلى أحسن أحوالها من الجاه و الحظوة، و انطلاق اليد. و السلطان مع ذلك منطو له على الضغن لأمر؛ منها غمس اليد فى أمر عمّه، و قعوده عنه، و هو أحوج ما كان لنصره، و انزحاله عنه فى الشدة، عندما جمعه المنزل الخشن، فسحب عليه أذيال النكبة لابنه عثمان، مترقى مرقب الظهور فى عودته، و المستأثر بجواره، و المحكم فى

أمره، فتقبض عليهما، و على من لهما، مخالفا للوقت فيهما، إذ كان متوافرا على الحلم لحدثان العودة، وجدة الإيالة، صبيحة يوم الاثنين لثالث عشر لرمضان عام أربعة و ستين و سبعمائة، فأحاط بهم الرجال لهذا السلطان، و التقطوا من بين قبيلهم، و دهمهم الرجال، آخذين بحجزهم و أيديهم إلى دور الثقافة. ثم أركبوا الأدهم، و انتقلوا إلى بعض الأطباق المتفرقة بقصبه المنكب، و اقتضى نظر السلطان جلا المترجم به و أولاده من مرسى المنكب، و نقل ولده الأكبر إلى المرية حسبا مرفى اسمه، فلينظر هنالك. و استقر إلى هذا العهد، بعد قفوله من الحج بمدينة فاس، فلقى بها بزا و عناية، و لحق ولداه بالأندلس، و هما بها، تحت جرياه و ولاية.

يوسف بن هلال

صهر الأمير أبي عبد الله بن سعد .

حاله: كان شجاعا حازما، أحظاه الأمير المذكور و صاهره، و جعل لنظره حصن مطرنش و مواضع كثيرة. و فسدت طاعته إياه، فقبض عليه و نكبه و عذبه،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣١٩

و استخلص ما كان لنظره و تركه. فأعمل الحيلة، و لحق بمورتلة فثار بها، و عاقد صاحب برجلونه على تصيير ما يملكه إليه. فأعانه بجيش من النصرى، و لم يزل يضرب و يوالى الضرب على بلنسية و يشجى أهلها، و تملك الصخرة و الصخرة و غيرها. و اتفق أن خيلا جهزها ابن سعد للضرب عليه، عثرت بجملته متوجها إلى شنت بيطر، فقبض عليه، و قيّد أسيرا، فنهض به للحين إلى مورتلة و طلبه بإخلائها، فأبى، فأمر ابن مردنيش بإخراج عينه اليمنى، فأخرجت بعدد. ثم قرب من الحصن و طلبه بإخلائها، فدعا بزوجه و طلبها بإخلاء الحصن، و إلّا فتخرج عينه الأخرى، فحمل على التكذيب، و لم يجبه أحد، فأخرجت للحين عينه الأخرى، و سيق إلى شاطبة، فبقى إلى أن مات سنة ثلاث و أربعين و ستمائة. و دخل غرناطة، و باشر منازلها مع الأمير صهره، فاستحق الذكر لذلك.

و من القضاء الأصليين و غيرهم

يحيى بن عبد الله بن يحيى بن كثير بن و سلاسن ابن سمال بن مهايا المصمودى

أوليته و حاله: دخل أبو عيسى يحيى بن كثير الأندلس مع طارق بن زياد، و قيل له الليثى؛ لأنه أسلم على يد رجل اسمه يزيد بن عامر الليثى، فنسب إليه، و قيل: إنهم نزلوا بنزل الليث، فنسبوا إليه. يكنى يحيى هذا، أبا عيسى، و كان جليل القدر، عالى الدرجة فى القضاء، و لى قضاء البيرة و بجانة مدة، و لى قضاء جيان و طليطلة، ثم عزل عن طليطلة، و أضيفت إليه كورة البيرة مع جيان. ثم استعفى عن جيان و بقى يلى قضاء البيرة، و كان لا يرى القنوت فى الصلاة، و لا يقنت فى مسجده البتة.

مشيخته: روى عن أبى الحسن النحاس، و سمع الموطأ من حديث الليث و غيره من عمّ أبيه عبيد الله بن يحيى.

مولده: فى ذى القعدة سنة سبع و ثمانين و مائتين.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٢٠

وفاته: توفى ليلة الثلاثاء بعد صلاة العشاء، و دفن يوم الثلاثاء بعد العصر، لثمان خلت من رجب عام سبعة و ستين و ثلاثمائة.

يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع الأشعري

يكنى أبا عامر.

حاله: العالم الجليل، المحدث الحافظ، واحد عصره، و فريد دهره، كان، رحمه الله، علما من أعلام الأندلس، ناصرا لأهل السنة، رادعا لأهل الأهواء، متكلمًا دقيق النظر، سديد البحث، سهل المناظرة، شديد التواضع، كثير الإنصاف، مع هيبه و وقار و سكينه. ولى قضاء الجماعة بقرطبة ثم بغرناطة، و أقرأ بغرناطة لأكابر علمائها و نبهائها الحديث و الأصليين و غير ذلك، بالمسجد الجامع منها و غيره. مشيخته: حدث عن والده العالم المحدث أبى الحسن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع، و عن الشيخ الأستاذ الخطيب أبى جعفر أحمد بن يحيى الحميرى، و عن الراوية المحدث أبى القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، و عن الحافظ المسن أبى بكر بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن الجدد الفهرى، و القاضى أبى عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون، و الزاهد الورع أبى الحجاج يوسف بن محمد البلوى المالى، عرف بابن الشيخ، و أبى زكريا يحيى بن عبد الرحمن بن عبد المنعم الأصبهاني الواعظ، و الفقيه القاضى أبى محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجى. وفاته: بمالقة سنة سبع و ثلاثين و ستمائة .

يحيى بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصارى

أوليته: تقدمت فى اسم عمه أبى إسحاق، فلينظر هنالك.

حاله: من أهل العدالة و الزكاء و السلف فى الخطط الشرعية، سكون، متفطن فى العلوم الشرعية من فقه و أحكام، و له التقدم فى الوقت فى علم الفرائض و الحساب.

حبس على الزاوية التى اتخذتها بالحضرة موضوعات فى ذلك الغرض نبيهه، لم يقصر

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٢١

فيها عن الإجابة. و تولى قضاء مواضع من الأندلس، ثم استعمل فى الثيابة عن قاضى الحضرة العلية، و هو الآن قاض بمدينة وادى آش، و خطيب بمسجدها الأعظم، تتنابه الطلبة للأخذ عنه، و القراءة عليه.

مشيخته: روى مع الجملة ممن هو فى نمطه، و أخذ بالإجازة عن الشيخ الأستاذ الصالح أبى إسحاق بن أبى العاصى، و الخطيب أبى على القرشى، و عن الفقيه الخطيب أبى عبد الله البيانى، و عن الأستاذ شيخ الجماعة أبى عبد الله بن الفخار، و أخذ عن والده و عمه أبى إسحاق. و أجازته الشيخ القاضى الخطيب أبو البركات ابن الحاج، و الخطيب الصالح أبو محمد بن سلمون، و الكاتب الجليل أبو بكر بن شبرين، و رئيس الكتاب أبو الحسن بن الجيئاب، و قاضى الجماعة أبو القاسم الشريف، و الخطيب أبو عبد الله القرشى، و هو الآن بالحال المذكورة.

يوسف بن الحسن بن عبد العزيز بن محمد ابن أبى الأحوص القرشى الفهرى

يكنى أبا المجد، و يعرف بابن الأحوص.

حاله: كان من أهل العلم و العدالة و النزاهة. و لى كثيرا من القواعد، فظهر من قصده الحق، و تحريه سبيل الصواب، ما يؤثر عن الجلة. مشيخته: قرأ على والده و روى عنه، و استدعى له بالإجازة من أعلام زمانه، فأجازته الراوية أبو يحيى بن الفرس، و أبو عمر بن حوط الله، و أبو القاسم بن ربيع، و أبو جعفر أحمد بن عروس العقيلي، و أبو الوليد العطار، و الخطيب أبو إسحاق الأوسى القرطبي، و القاضى أبو الخطاب بن خليل، و أبو جعفر الطباع، و غيرهم.

قال القاضى أبو المجد شيخنا، رحمه الله: أنشدنى أبو على الحسن قال:

أنشدنى الخطيب أبو الربيع بن سالم قال: أنشدنا أبو عمرو السيفاقى قال: أنشدنا أبو نعيم الحافظ قال: أنشدنا عبد الله بن جعفر الجابرى

قال: أنشدنا ابن المعتز:

[الطويل]

ألم تر أن الدهر يوم و ليلة يكرآن من سبت عليك إلى سبت؟

فقل لجديد العيش: لا بد من بلى و قل لاجتماع السَّمَل: لا بد من شت

و بالسند المذكور إلى أبي الربيع بن سالم قال: أنشدنا أبو محمد عبد الحق بن عبد الملك بن بونه قال: أنشدنا أبو بكر غالب بن عطية

الحافظ

الإحاطة في أخبار غرناطة/ ج ٤/ م ١٢

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٢٢

لنفسه: [الطويل]

جفوت أنا سا كنت إلفا لوصلهم و ما بالجفا عند الضرورة من ناس

بلوت فلم أحمد فأصبحت يائساو لا شيء أشفى للنفوس من الياس

فلا تعذلوني في انقباضى فإننى وجدت جميع الشَّر في خلطة الناس

وفاته: فى اليوم التاسع عشر من شهر رجب الفرد عام خمسة و سبعمائه.

يوسف بن موسى بن سليمان بن فتح بن أحمد ابن أحمد الجذامى المتشاقري

من أهل رندة، يكنى أبا الحجاج.

حاله: هذا الرجل حسن اللقاء، طرف فى التخلُّق و الدماثة، و حسن العشرة، أديب ذاكر للأخبار، طلعة، يكتب و يشعر، سيال الطبع

معينه. ولى القضاء ببلده رندة، ثم بمربله. و ورد غرناطة فى جملة وفود من بلده و على انفراد منهم.

و جرى ذكره فى «التاج المحلى» بما نصه: حسنة الدهر الكثير العيوب، و توبه الزمان الجَم الذنوب، ما شئت من بشر يتألق، و أدب

تتعطر به النسمات و تتخلق، و نفس كريمة الشمائل و الضرائب، و قريحه يقطف بحرها بدرر الغرائب، إلى خشية لله تحول بين القلوب

و قرارها، و تشنى النفوس عن اغترارها، و لسان يبوح بأشواقه، و جفن يسخو بدرر آماقه، و حرص على لقاء كل ذى علم و أدب، و

ممن يمت إلى أهل الديانة و العبادة بسبب، سبق بقطرة الحلبة، و فرع من الأدب الهضبة، و رفع الراية، و بلغ فى الإحسان الغاية،

فطارت قصائده كل المطار، و تغنى بها راكب الفلك و حادى القطار. و تقلد خطه القضاء ببلده، و انتهت إليه رياسة الأحكام بين أهله

و ولده، فوضحت المذاهب بفضل مذهبه، و حسن مقصده. و له شيمة فى الوفاء تعلم

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٢٣

منها الآس، و مؤانسه عذبة لا تستطيعها الأكواس. و قد أثبت من كلامه ما تتحلى به ترائب المهارق، و يجعل طيبه فوق المفارق. و

كنت أتشوق إلى لقاءه، فلقيته بالمحلّة من ظاهر جبل الفتح لقايا لم تبلّ صدا، و لا شفت كمداء، و تعدّر بعد ذلك لقاؤه فخاطبته بقولى

: [الطويل]

حمدت على فرط المشقة رحلة أتاحت لعينى اجتلاء محياكا

و قد كنت فى التذكار بالبعد قانعاو بالريح أن هبت بعاطر رياكا

فجلت لى التعمى بما أنعمت به على فحياها الإله و حياكا

أيها الصّيدر الذى بمخاطبته يبأى و يتشرف، و العلم الذى بالإضافة إليه يتعرّف، و الروض الذى لم يزل على البعد بأزهاره الغضة

يتحف. دمت تتراحم على موارد ثنائك الألسن، و تروى للرواة ما يصح من أنبائكك و يحسن، طالما مالت إليك النفوس منا و جنحت،

و زجرت الطائر الميمون من رقاعك كلما سنحت. فالآن أتضح البيان، و صدق الأثر العيان. و لقد كنا للمقام بهذه الرحال نرتمض، و يجنّ الظلام فلا نغتمض، هذا يقلقه إصفار كيسه، و ذا يتوجع لبعد أنيسه، و هذا تروّعه الأهوال، و تضجره بتقلباتها الأحوال. فمن أنه لا تنفع، و شكوى إلى الله تعالى ترفع.

فلما ورد بقدمك البشير، و أشار إلى ثبته طلوعك المشير، تشوّفت النفوس الصّديّة إلى جلائها و صقالها، و العقول إلى حلّ عقالها، و الألسن المعجمة إلى فصل مقالها. ثم إنّ الدهر راجع التفاته، و استدرك ما فاتته، فلم يسمح من لقائك الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٢٤

إلما بلمحة، و لا- بعث من نسيم روضك بغير نفضة، فما زاد أن هيج الأشواق فالتهبت، و شنّ غاراتها على الجوانح فانتهبت، و أعلّ القلوب و أمرضها، و رمى ثغرة الصبر فأصاب غرضها. فإن رأيت أن تنفس عن نفس شدّ الشوق مخنقها، و كدر مشارب أنسها و أذهب رونقها، و تتحف من آدابك بدرر تفتني، و روضة طيبة الجنى، فليست ببدع في شيمك، و لا شاذة في باب كرمك. و لو لا شاغل لا يبرح، و عوائق أكثرها لا يشرح، لناست هذه السّجاءة في القوم عليك، و المثل بين يديك، فتشوّفي إلى اجتلاء أنوارك شديد، و تشيبي فيك على إبلاء الزمان جديد. فراجعني بقوله: [الطويل]

حباك فؤادي نيل بشري و أحياكا وحيد بآداب نفائس حياكا
بدائع أباها بديع زمانه فطاب بها يا عاطر الزوض رياكا
أ مهديها أودعت قلبي علاقة و إن لم يزل مغرى قديما بعلياكا
إذا ما أشار العصر نحو فرنده فإياك أعنى بالإشارة إياكا
لأتحنفي لقياك أسمى مؤملي و هل تحفه في الدهر إلّا بلياقاكا؟
و أعقت إتحافى فرائدك التي وجوب ثناها يا لسانى أعيكا

خصصتني أيها الحبر المخصوص بمآثر أعياء عدها و حصرها، و مكارم طيب أرواح الأزهار عطرها، و سارت الركبان بثنائها، و شملت الخواطر محبة علائها، بفرائدك الأنيفة، و فوائدك المزريّة جمالا على أزهار الحديقة، و معارفك التي زكت حقا و حقيقة، و هدت الضالّ عن سبيل الأدب مهيعه و طريقه، و سبق تحفتك عندي أعلى التحف، و هو مأمول لقائك، و التمتع بالتماح سناك الباهر و سناك، على حين امتدت لذلك اللقاء أشواقى، و عظم من فوت استنارتي بنور محياك إشفاقى،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٢٥

و تردّد لهجى بما يبلغنى من معاليك و معانيك، و ما شاده فكرك الوقاد من مبانيك، و ما أهلت به بلاغتك من دارسه، و ما أضفت على الزمان من رائق ملبسه، و ما جمعت من أشناته، و أحيت من أمواته، و أيقظت من سناته، و ما جاد به الزمان من حسناته. فلترداد هذه المحاسن من أنباك، و تصرّف الألسنة بثنائك، علقت النفس من هواها بأشدّ علاقة، و جنحت إلى لقائك جنوح والهة مشتاقه، و الحوادث الجارية تصرفها، و العوائق الحادثة كلما عطفت بأملها إليه لا تتحفها به و لا تعطفها، إلى أن ساعد الوقت، و أسعد البخت، بلياقكم هذه السفرة الجهادية، و جاد إسعاف الإسعاد من أميتى بأسنى هديّة، فلقيتكم لقا خجل، و لمحت أنواركم لمحّة على وجل، و مهجتى فى محاسنكم الرائقة، و معاليكم الفائقة، على ما يعلمه ربنا عزّ و جلّ.

و تذكرت عند لقائكم المأمول، إنشاء قائل يقول: [البيسط]

كانت محادثه الركبان تخبر عن محمد بن خطيب بأطيب الخبر
حتى التقينا فلا و الله ما سمعت أذننى بأحسن ممّا قد رأى بصرى

قسما لعمرى أقوله و أعتقده، و أعتده و أعتمده، فلقد بهرت منك المحاسن، و فقت من يحاسن، و قصر عن شأوك كلّ بليغ لسن، و سبقت فطنتك الثارية الثورية بلاغه كلّ فطن، و شهد لك الزمن أنك وحيد، و رئيس عصبتة الأدبية و فريده. فبورك لك فيما أنلت

من الفضائل، و أوتيت من آيات المعارف التي بها نور الغزاة هائل ، و لا- زلت مرقي في مراتب المعالي، موقى صروف الأيام و الليالى.

و من شعره يمدح الجهة النبوية، مصدرًا بالنسب لبسط الخواطر النفسانية :

[الكامل]

لما تنهى الصب في تشويقه درر الدموع اعتاضها بعقيقه
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٢٦ متلهف و فؤاده متلهب كيف البقاء مع احتدام حريقه؟
متموج بحر الدموع بخده أنى خلاص يرتجى لغريقه
متجرع صاب النوى من هاجرما إن يحنّ للاعجات مشوقه
يسبى الخواطر حسنه بديعه يصبى النفوس جماله بأنيقه
قيد النواظر إذ يلوح لرامق لا تنشى الأحداق عن تحديقه
للبدر لمحته كبشر ضيائه للمسك نفتحته كنشر فتيقه
سكرت خواطر لا محيه كأنهم شربوا من الصهباء كأس رحيقه
عطشوا لثغر لا سبيل لريقه إلّا كلمحهم للمع بريقه
ما ضرّ مولى عاشقوه عبيده لو رقّ إشفاقا لحال رقيقه
عنه اصطبارى ما أنا بمطيعه مثل السلو و لا أنا بمطيعه
سجع الحمام يشوق ترجيع الهوى فأثار شجو مشوقه بمشوقه
و بكت هديلا راعها تفريقه و يحقّ أن يبكى أخو تفريقه
و بكاء أمثالى أحقّ لأننى لم أقض للمولى أكيد حقوقه
و غفلت فى زمن الشباب المنقضى أقبح بنسخ بروره بعقوقه
و بدا المشيب و فيه زجر ذوى النهى لو كنت مزدجرا لشيم بروقه
حسبى ندامه آسف ممّا جنى يصلّ الشيوخ لوزره بشهيقه
و يرمّ ما حرم الهوى زمن الصبا و يروم من مولاه رتق فتوقه
و يردّد الشكوى لديه تدلّاعلّ الرضا يحييه درك لحوقه
فيصخّ من سكر التصابى صحوه نسخا لحكم صبوحة بغبوقه
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٢٧ لو كنت يمتّ التقى و صحبته و سلكت إيثارا سواء طريقه
لأفدت منه فوائدا و فرائد اعرضت تسام لرابح فى سوقه
لله أرباب القلوب فإنهم من حزب من نال الرضا و فريقه
قاموا و قد نام الأنام فنورهم هتك الدجا بضيائه و شروقه
و تأنّسوا بحبيبتهم فلم به بشر لصدق الفضل فى تحقيقه
قصرت عنهم عندما سبقوا المدى و لسابق فضل على مسبوقه
لولا رجاء تلمحى من نورهم يحيى الفؤاد بسيره و طروقه
و تأرّج يستاف من أرواحهم سبب انتعاش الرّوح طيب خلقه
لفتنت من جرّا جرائرى التى من خوفها قلبى حليف خفوقه

و معى رجاء توّسل أعددته ذخرا لصدّامات الزمان و ضيقه
حبيّ و مدحى أحمد الهادى الذى فوز الأنام يصحّ فى تصديقه
أسمى الورى فى منصب و بمنسب من هاشم زاكى النّجار عريقه
الحقّ أظهره عقيب خفائه و الدّين نظّمه لدى تفريقه
و نفى هداه ضلاله من جائر مستوثق بنعوته و لعوقه
سبحان مرسله إلينا رحمته يهدى و يهدى الفضل من توفيقه
و المعجزات بدت بصدق رسوله و حقيقه بالمأثرات خليقه
كالطّيبى فى تكليمه و الجذع فى تحنيه و البدر فى تشقيقه
و النّار إذ خمدت بنور ولادة و أجاج ماء قد حلا من ريقه
و الزّاد قلّ فزاد من بر كاته فكفى الجيوش بتمره و سويقه
و نبوع ماء الكفّ من آياته و سلام أحجار غدت بطريقه
و النخل لما أن دعاه مشى له ذا سرعه بعروقه و عدوقه
و الأرض عاينها و قد زويت له فقريب ما فيها رأى كسحيقه
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٢٨ و كذا ذراع الشّاة قد نطقت له نطق اللسان فصيح و ذليقه
و رمى عداه بكفّ حصبا فانثنت هربا كمدعور الجنان فروقه
و عليه آيات الكتاب تنزلت تتلى بعلو جلاله و بسوقه
فأذيق من كأس المحبّة صرفها سبحانه ساقيه بها و مذيقه
حاز الشّناء و ناله بعروجه جاز السماء طباقها بخروقه
و لكم له من آية من ربّه و رعاية و عناية بحقوقه
يا خيرة الأرسال عند إلهه يا محرز العليا على مخلوقه
علّقت آمالى بجاهك عدّه و القصد ليس يخيب فى تعليقه
و وثقت من حبل اعتمادى عمده لتمسكى بقويّه و وثيقه
و لئن غدوت أخيد ذنبي إننى أرجو بقصدك أن أرى كطليقه
و كساد سوقى مذلجأت لبابكم يقضى حصول نفوذه و نفوقه
و يحنّ قلبى و هو فى تغريبه لمزاره لرباك فى تشريقه
و تريد لوعته متى حتّ السرى حاد حدا بجماله و بنوقه
و أرى قشيب العمر أمسى باليا و مرور دهرى جدّ فى تمزيقه
و أخاف أن أقضى و لم أقض المنى بنفوذ سهم متيتى و مروقه
فمتى أحطّ على اللوى رحلى و قد بلغت ركابى للحمى و عقيقه
و أمرغ الخدّين فى ترب غدا كالمسك فى أرج شذا منشوقه
و أعيد إنشادى و إنشائى الثّنا بديع نظم قريحتى و رقيقه
حتى أميل العاشقين تطرّبا كالغصن مرّ صبا على ممشوقه
و تحية التسليم أبلغ شافعى و ثنا المديح حديثه و عتيقه

و لذي الفخار و ذى العلى و وزيره صديقه و أخى الهدى فاروقه
منى السلام عليهم كالزهر فى تأليفها و الزهر فى تأليفه
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٢٩
قال: و كتب بذلك إلى فى جملة من شعره: [الطويل]
هو اكم بقلبي ما لأحكامه نسخ و من أجله جفنى بمدمه يسخو
و من نشأتى ما إن صحت منه نشوتى سواء به عصر المشيب أو الشرخ
عليه حياتى مذ تمادت و ميتتى و بعثى إذا بالصور يتفق النّفخ
ولى خلد أضحى قنيص غرامه و لا شرك يدنى إليه و لا فح
قتلت سلوى حين أحييت لوعتى و ما اجتبح بالإقرار فى حالتى لطخ
و ناصح كتمى إذ زكت بيناته يجول عليه من دموع الأسى نضخ
و أرجو بتحقيقى هواكم بأن أفى فعهد و لا نقض و عقد و لا فسخ
و ما الحبّ إلا ما استقلّ ثبوته لمبناه رصّ فى الجوانح أو رسخ
إذا مسلك لم يستقم بطريقه سلكت اعتدالا مثل ما يسلك الرّخ
بدا لضميرى من سناكم تلمح فيح لعقل لم يطر عندها بخ
على عود ذاك اللّمح ما زلت نادبا كما تندب الورقاء فارقتها الفرخ
يدى بأياديكم و قلبى شاغل فمن فكرتى نسج و من أنملى نسخ
و من شعره أيضا قوله فى غرض يظهر منه: [الطويل]
إليك تحنّ النّجب و النّجباء فهم و هى فى أشواقهم شركاء
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٣٠ تحبّ برّكّاب تحبّ ووصولها الأرض بها باد سنى و سناء
فأنفاسها ما إن تنى صعداؤها و أنفاسهم من فوقها سعداء
هم عالجا إذ عجل السّير داءهم و أشباه مثلى مدنّفون بطاء
فعدت و دونى للحبيب ترخّلوا ما قاعد و الراحلون سواء
له و عليه حبّ قلبى و أدمعى و قد صحّ لى حبّ و سخّ بكاء
بطبيّة هل أرضى و تبدو سماؤها؟ و إن تك أرضا فالحبيب سماء
شذا نفحها و اللّمح منها كأنه ذكاء عبير و الضّياء ذكاء
فيا حاديا غنى و للركب حاديا عنائى بعد البعد عنك عناء
بسّلع فسل عمّا أقاسى من الهوى و سل بقاء إذ يلوح بقاء
و فى عالج منى بقلبي لاعج فهل لى علاج عنده و شفاء؟
و فى الرقمتين أرقم الشوق لاذع و درياقه أن لو يباح لقاء
أماكن تمكين و أرض بها الرضى و أرجاء فيها للمشوق رجاء
و من المقطوعات قوله: [الكامل]
أدب الفتى فى أن يرى متيقظا لأوامر من ربّه و نواه
فإذا تمسّك بالهوى يهوى به و الحبل منه لمن تيقن واه

و من ذلك: [المنسرح]

يا من بدنيه ظل في لجج حقق بأن النجاة في الشاطي
تطمع في إرثك الفلاح و قد أضعت ما قبله من اشراط
كن حذرا في الذي طمعت به من حجب نقص و حجب إسقاط
و قال: [الطويل]

ترى شعروا أني غبطت نسيمه ذكت بتلاقي الزوض غب الغمام
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٣١ كما قابلت زهر الرياض و قبلت ثغور أقاحيه بلا لوم لائم
و قال: [الكامل]

ورد المشيب مبيضا بوروده ما كان من شعر الشيبه حالكا
يا ليته لو كان يبيض بالتقى ما سوره ما ثم من حالكا
إن المشيب غدا رداء للزدي فإذا علاك أجد في ترحالكا

و أنشدني صاحبنا القاضي أبو الحسن، قال: مما أنشدني الشيخ أبو الحجاج لنفسه: [الخفيف]
لوعه الحب في فؤادي تعاصت أن تداوى و لو أتى ألف راق
كيف يبرا من علة و عليها زائد علة النوى و الفراق؟
فانسكاب الدموع جار فجارو التهاب الصلوع راق فراق

نبذة من أخباره: نقلت من خط صاحبنا الفقيه القاضي المؤرخ أبي الحسن بن الحسن، قال حاكيا عنه: و من غريب ما حدثني به، قال:
كنت جالسا بين يدي الخطيب أبي القاسم التاكروني صبيحة يوم بمسجد مالقة الأعظم، فقال لنا في أثناء حديثه: رأيت البارحة في
عالم النوم كأن أبا عبد الله الجلياني يأتي بي بيته شعر في يده و هما: [الخفيف]
كل علم يكون للمرء شغلابسوى الحق قادح في رشاده
فإذا كان فيه لله حظ فهو مما يعده لمعاده

قال: فلم ينفصل المجلس حتى دخل علينا الفقيه الأديب أبو عبد الله الجلياني، و البيتان عنده، فعرضهما على الشيخ، و أخبره أنه
صنعهما البارحة، فقال له

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٣٢

كل من في المجلس: أخبرنا بهذا الشيخ قبل مجيئك، فكان هذا من العجائب.
و قد وقعت الإشارة لذلك في اسم الشيخ.

مشيخته: منقول من خطه في ثبت أجاز فيه أولادى، أسعدهم الله، بعد خطابه بليغة. قال: فمن شيوخى الذين رويت عنهم، و استرقدت
البركة منهم، الشيخ الخطيب الصالح المتفنن أبو محمد عبد الواحد بن أبي السداد الباهلي، و الشيخ الإمام أبو جعفر بن الزبير، و الشيخ
الوزير المشاور أبو عبد الله بن أبي عامر بن ربيع، و القاضي العدل أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن برطال، و الشيخ الخطيب
الصالح أبو عبد الله الطنجالي، و الراوية المسن أبو عمرو و محمد بن عبد الرحمن الرندي الطنجي، و المدرس الصالح أبو الحسن علي
بن أحمد الإشبيلي بن شاله، و الخطيبان الأستاذان الحاجان أبو عبد الله محمد بن رشيد الفهرى، و أبو عثمان سعيد بن إبراهيم بن
عيسى الحميرى، و الشيخ الصالح أبو الحسين عبد الله بن محمد بن يوسف بن منظور، و الخطيب الصالح العلامة المصنف
أبو جعفر بن الزيات، و الفقيه القاضي أبو جعفر بن عبد الوهاب، و الشيخ الراوية المحدث أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الكماد، و
الخطيب أبو العباس أحمد بن محمد اللورقي، و العدل أبو الحسن علي بن محمد الطائي ابن مستقور، و الخطيب الصالح أبو العباس

أحمد بن محمد بن خميس الجزيري، والقاضي العدل الحاج أبو محمد عبد الله بن أبي أحمد بن زيد الغرناطي، والشيخ الراوية الحاج الزحال الصوفي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أمين الفارسي العجمي الأشرى، والقاضي الحسين أبو عبد الله محمد بن عياض بن محمد بن عياض، والقاضي أبو عبد الله بن عبد المهيمن الحضرمي، والأستاذ أبو إسحاق الغافقي، والإمام أبو القاسم بن الشاط، والخطيب القاضي أبو عبد الله القرطبي، والراوية أبو القاسم البليقي، والمحدث أبو القاسم التجيبي، والخطيب أبو عبد الله الغماري، والإمام الكبير ناصر الدين المشدالي، والفقير الصوفي أبو عبد الله محمد بن محمد الباهلي، عرف بالمسفر من أهل بجاية، وقاضي القضاء بتونس أبو إسحاق بن عبد الرفيق، والعلامة أبو عبد الله بن راشد، والخطيب أبو عبد الله بن عزمون، والعلامة الخطيب أبو محمد عبد الواحد بن منظور بن محمد بن المنير الجذامي. قال: وكلهم أجازني عامة ما يرويه، وكان ممن لقيته، وقرأت عليه، إلا المدرس أبا الحسن بن شالة، فوقع لي شك في إجازته.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٣٣

تواليفه: قال: ومما يسير الله تعالى فيه من التأليف، كتاب «ملاذ المستعبد، و عياذ المستعين، في بعض خصائص سيد المرسلين، في الأحاديث الأربعين المروية على آيات من الذكر الحكيم والنور المبين». و كتاب «تخصيص القرب، و تحصيل الأرب»، و «قبول الرأي الرشيد، في تخميس الوترية النبوية لابن رشيد». و «انتشاق التسمات التجديده، و اتساق النزعات الجدیده».

و «غرر الأمانى المسفرت، في نظم المكفّرات». و «التفحات الزندية، و اللّمحات الزندية»، و هو مجموع شعري. و «حقائق بركات المنام، في مرأى المصطفى خير الأنام». و «الاستشفاء بالعدّة، و الاستشفاع بالعمدة، في تخميس القصيدة النبوية المسماة بالبردة». و «توجع الراثي، في تنوع المراثي». و «اعتلاق المسائل، بأفضل الوسائل». و «لمح البهيج، و نفع الأريج»، في ترجيز ما لولى الله أبى مدين شبيب بن الحسين الأنصارى، رضى الله عنه، من عبارات حكمه و إشارات صوفية.

و «تجريد رؤوس مسائل البيان و التحصيل، لتيسير البلوغ لمطالعتها و التوصيل».

و فهرسه روايتي. و رجز في ذكر مشيخة شيخنا الراوية أبى عمر الطنجي، رحمه الله، و إسناده. قال: و مما كنت شرعت فيه و لم يتفق تمامه، كتاب سميت «عواطف الأعتاب، في لطائف أسباب المتاب». و مما بيدى الآن جمعه و هو إن شاء الله على التمام، أربعون حديثا متصله الإسناد، أول حديث منها فى الخوف، و الثانى فى الرجاء، بلواحق تتبعها، و سميت «أرج الأرجاء، فى مزج الخوف و الرجاء». و الله يصفح عنا، و يغفر زلّاتنا، و أن لا- يجعل ما نتولاه من ذلك حجة علينا، و أن نكون ممن منح مقولا، و منع معقولا، و يختم لنا بخواتم السعداء من عباده، و ممن وفق و هدى إلى سبيل رشاده.

وفاته: كان حيا عام أحد و ستين و سبعمائة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٣٤

و من المقرئين

يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبي

يكنى أبا زكريا، شيخنا أبو زكريا بن هذيل، رحمه الله، أوجدوني الأصل، ينسب إلى سلفه أملاك و معاهد كولابج هذيل، مما يدل على أصالة.

حاله: كان آخر حملة الفنون العقلية بالأندلس، و خاتمة العلماء بها، من طب و هندسة و هيئة و حساب و أصول و أدب، إلى إمتاع المحاضرة، و حسن المجالسة، و عموم الفائدة، و حسن العهد، و سلامة الصدر، و حفظ الغيب، و البراءة من التصنع و السمت، مؤثرا للخمول، غير مبال بالناس، مشغولا بخاصة نفسه.

خدم أخيراً باب السلطان بصناعة الطّب، وقعد بالمدرسة بغرناطة يقرئ الأصول والفرائض والطب.

عمن أخذ: قرأ على جملة من شيوخ وقته، كالأستاذ أبي بكر بن الفخار، أخذ عنه العربية والأدب. وقرأ الطب على أبي عبد الله الأركشي، وأبي زكريا القصرى، وجملة من الإسلاميين بالعدوة. وقرأ كراسة الإمام فخر الدين الرازى، المسماء بالآيات البيئات، على الأستاذ أبي القاسم بن جابر. ونظر الأصول على الأستاذ النظار أبي القاسم بن الشاط. وأخذ الحساب عن أبي الحسن بن راشد. والحساب والهندسة والأصول وكثيراً من عمليات الحساب وجبره ومقابلته والنجوم، على الأستاذ أبي عبد الله بن الرقام، ولازمه كثيراً.

تواليفه: وله تصانيف وأوضاع منها، ديوان شعره المسمى بالسليمانيات والعرييات وتنشيط الكسل. ومنها شرحه لكراسة الفخر، وهو غريب المأخذ، جمع فيه بين طريقتي القدماء والمتأخرين من المنطقيين. وكتابه المسمى بـ «الاختيار والاعتبار في الطب». وكتابه المسمى بـ «التذكرة في الطب».

شعره: وجرى ذكره في التاج المحلى بما نصه: درة بين الناس مغفلة، وخزانة على كل فائدة مقفلة، وهدية من الدهر الصنين لبنينه محتفلة. أبداع من رتب

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٣٥

التعاليم وعلّمها، وركّض في الألواح قلمها، وأتقن من صور الهيئة ومثلها، وأسّس قواعد البراهين وأثلها، وأعرف من زاول شكايه، ودفع عن جسم نكايه، إلى غير ذلك من المشاركة في العلوم، والوصول من المجهول إلى المعلوم، والمحاضرة المستفزة للحلوم، والدعابة التي ما خلعت العذار فيها بالملوم. فما شئت من نفس عذبة الشيم، وأخلاق كالزهر من بعد اللّيم، ومحاضرة تتحف المجالس والمحاضر، ومذاكرة يروق النواظر زهرها الناظر. وله أدب ذهب في الإجابة كل مذهب، وارتدى من البلاغة بكل رداء مذهب، والأدب نقطة من حوضه، وزهرة من زهرات روضه، وسيمر له في هذا الديوان، ما يبهر العقول، ويحاسن بروائه ورائق بهائه الفرند المصقول.

فمن ذلك ما خرّجته من ديوان شعره المسمى بـ «السليمانيات والعرييات» من النسيب: [الطويل]

ألا استودع الرحمن بدرا مكمّلابفاس من الدرب الطويل مطالعه
و في فلك الأزرار يطلع سعدهو في أفق الأكبّاد تلفى مواقعه
يصير مرآه منجم مقلتي فتصدق في قطع الرجاء قواطعه
تجسم من نور الملاحة خدهو ماء الحيا فيه ترجج مائه
تلون كالحرباء في خجلاته فيحمرّ قانيه وبيض ناصعه
إذا اهترّ غنى حليه فوق نحره كغصن النقا غنت عليه سواجعه
يذكر حتف الصبّ عامل قدّه و تقطف من واو العذار توابعه
أعدّ الورى سيفا كسيف لحاظه فهذا هو الماضى و ذاك يضارعه
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٣٦

و من أخرى في النسيب، وتضمنت التورية الحسنه: [الطويل]

و صالك هذا أم تحية بارق؟ و هجر ك أم ليل السليم لتائق؟
أناديك و الأشواق تركض حجرها بصفحة خدى من دموع سوابق
أبارق ثغر من عذيب رضابه قضت مهجتي بين العذيب و بارق
و منها:

فلا تتعين ريح الصبا في رسالته ولا تخجل الطيف الذي هو طارقي
متى طمعت عيني الكرى بعد بعدكم فإني في دعوى الهوى غير صادق
قوله: «أبارق ثغر من عذيب رضابه» ينظر إلى قول ابن النبيه في مثل ذلك:
[الكامل]

يلوى على زرد العذار دلالة كم فتنة بين اللوى و زرود

و من قصيدة ثبتت في السليمانيات : [الطويل]

بدا بدر تم فوقه الليل عسعساو جنة أنس في صباح تنفسا

حوى النجم قرطا و الدرارى مقلداو أسبل من مسك الذوائب حندسا

كأن سنا الإصباح رام يزورناو خاف العيون الرامقات فغلسا

أتى يحمل التوراة ظيبا مزترالطيف التشتى أشنب الثغر العسا

و قابل أحبار اليهود بوجهه فبارك ربى عليه و قدسا

و منها، و تماجن ما شاء، غفر الله له:

رويت و لوعى من ضلوعى مسلسلا فأصبحت في علم الغرام مدرسا

نفى النوم عنى كى أكون مسهدا فأصبحت في صيد الخيال مهندسا

غزال من الفردوس تسقيه أدمعى و يأوى إلى قلبى مثيلا و مكنسا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٣٧ طغى ورد خديه بجنات صدغه فأضعفه بالأس نبتا و ما أسا

قوله: طغى ورد خديه، البيت، محال على معنى فلاحى، إذ من أقوالهم: أن الآس، إذا اغترس بين شجر الورد، أضعفته بالخاصية.

و قال أيضا من قصيدة مهيارية : [الرملى]

نام طفل النبت في حجر النعمى لاهتزاز الطل في مهد الخزامى

و سقى الوسمى أغصان التفاهوت تلمم أفواه الندامى

كحل الفجر لهم جفن الدجى و غدا في وجنه الصبح لثاما

تحسب البدر محيا ثمل قد سقته راحة الصبح مداما

حواله الزهر كؤوس قد غدت مسكة الليل عليه ختاما

يا عليل الريح رفقا علنى أشف بالسقم الذى حزت سقاما

و ابلغن شوقى عريبا باللوى همت فى أرض بها حلوا غراما

فرشوا فيها من الدر حصى ضربوا فيها من المسك خياما

كنت أشفى غله من صدكم لو أذنتم لجفونى أن تناما

و استفدت الزوح من ريح الصبالو أتت تحمل من سلمى سلاما

نشأت للصب منها زفرة تسكب الدمع على الربيع سجاما

طرب البرق مع القلب بهاو بها الأناث طارحن الحماما

طلل لا تستفى الأذن بهو هو للعنين قد ألقى كلاما

ترك الساكن لى من وصله ضمة الجدران لثما و التزاما

نزعات من سليمان بهافهم القلب معانيها فهاما

شادن يرعى حشاشات الحشاحسب حظي منه أن أرعى الذماما

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٣٨

و قال من قصيدة أولها في غرض النسيب: [الطويل]

أ أرجو أمانا منك و اللحظ غادرو يثبت عقلي فيك و الطرف ساحر؟

أعدّ سليمان أليم عذابه لهدهد قلبي فهو للبين صائر

أشاهد منه الحسن في كل نظرة و ناظر أفكارى بمغناه ناظر

دعت للهوى أنصار سحر جفونه فقلبي له عن طيب نفس مهاجر

إذا شقّ عن بدر الدجى أفق زرّه فإني بتمويه العواذل كافر

و في حرم السلوان طافت خواطرى و قلبى لما فى وجنتيه مجاور

و قد ينزع القلب المبلى لسلوّه كما اهتزّ من قطر الغمامه طائر

يقابل أغراضى بضدّ مرادها و لم يدر أنّ الضدّ للضدّ قاهر

و نار اشتياقى صعّدت مزن أدمعى فمضمّر سرّى فوق خدى ظاهر

و قد كنت باكى العين و البين غائب فقل لى كيف الدمع و البين حاضر

و ليس النوى بالطبع مزا و إنمالكثره ما شقت عليه المرائر

و منها فى وصف ليلة :

و زنجية فات الكؤوس بنحرها قلاند ياقوت عليها الجواهر

و لا عيب فيها غير أنّ ذبالها يقطب فتبدو للكؤوس سرائر

تجنّبت فيها نيل كل صغيرة و قد غفرت فيها لدى الكبائر

و من السليمانيات من قصيدة: [الكامل]

يا بارقا، قاد الخيال فأومضا أقصد بطيفك مدنفا قد غمضا

ذاك الذى قد كنت تعهد نائما بالشهد من بعد الأخبه عوضا الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج ٤ ؛ ص ٣٣٨

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٣٩ لا تحسبني معرضا عن طيفه لكن منامى عن جفونى أعرضا

عجب الوشاء لمهجتي أن لم تذب يوم النوى و تشككت فيما مضى

و منها:

خفيت لهم من سرّ صبرى آية ما فهّمت إلّا سليمان الرضا

لله درك ناهجا سبل الهوى فلمثله أمر الهوى قد فوضا

أمّنت نملا فوق خدك سارحاو سللت سيفا من جفونك منتضى

و من الأمداح قوله من قصيدة: [الطويل]

حريص على جرّ الذوائب و القنا إذا كعت الأبطال و الجوّ عابس

و تعتنق الأبطال لولا سقوطها لقلت لتوديع أته الفوارس

إذا اختطفتهم كفه فسروجهم مجال و هم فى راحتيه فرائس

و قال يمدح السلطان أمير المسلمين أبا الوليد بن نصر عند قدومه من فتح أشكر من قصيدة أولها: [الطويل]

بحيث البنود الحمر و الأسد الورد كتائب، سگان السماء لها جند

و تحت لواء النصر ملك هو الورى تضيق به الدنيا إذا راح أو يغدو
تأمنت الأرواح فى ظلّ بنده كأنّ جناح الروح من فوقه بند
فلو رام إدراك النجوم لنالهاو لو همّ لانتقادت له السند و الهند
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٤٠ يعنى بحر التّع تحت أسنة تمنمه وهنا كما نمم البرد
سما عجاج و الأسنة شهبهاو وقع القنا رعد إذا برق الهند
و فى وصف آلة النّفظ:

و ظنوا بأنّ الرعد و الصّعق فى السما فحاق بهم من دونها الصّعق و الرعد
عجائب أشكال سما هرمس بهامهندمة تأتى الجبال فتهدّ
ألا إنّها الدنيا تريك عجائبها ما فى القوى منها فلا بدّ أن يبدو
و كتب و هو معتقل بسبب عمل تولاه جحدريه أولها: [الطويل]
تباعد عنى منزل و حبيب و هاج اشتياقى و المزار قريب
و إنى على قرب الحبيب مع النوى يكاد إذا اشتدّ الأنين يجب
لقد بعدت عنى ديار قريية عجبت لجار الجنب و هو غريب
و منها:

أعاشر قوما ما تقرّ نفوسهم فللهمّ فيها عند ذاك ضروب
إذا شعروا من جارهم بتأوه أجابته منهم زفرة و نجيب
فلا ذاك يشكو همّ هذا تأسّف الكلّ امرئ مما دهاه نصيب
كأنى فى غاب الليوث مسلّمًا يروّ عنى منها الغداة و ثوب
تحكّم فينا الدهر و العقل حاضر بكلّ قياس و الأديب أريب
و لو مال بالجهال ميلته بنالجاى بعدر، إنّ ذا لعجيب
رفيق بمن لا ينثنى عن جريمه بطوش بمن ما أوبقته ذنوب
و تطمعنا منه بوارق خلب نقول: عساه يرعوى و يتوب
إذا ما تشبّنا بأذيال برده دهتنا إذا جرّ الذبول خطوب
أدار علينا صولجانا و لم يكن سوى أنه بالحادثات لعب
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٤١
و منها:

أيا دهر، إنى قد سئمت تهدّفى أجرنى فإنّ السهم منك مصيب
إذا خفق البرق الطروق أجابه فؤادى و دمع المقلتين سكوب
و إن طلع الكفّ الخضيب بسحره فدمعى بحنّاء الدماء خضيب
تذكرنى الأسحار دارا ألفتها فيشتدّ حزنى و الحمام طروب
إذا علقت نفسى بليت و ربماتكاد تفيض أو تكاد تذوب
دعوتك ربّى و الدعاء ضراعه و أنت تناجى بالدعا فتجيب
لئن كان عقبى الصبر فوزا و غبطة فإنى على الصبر الجميل دروب

و بعثت إليه هدية من البادية، فقال يصف منها ديكا، و كتب بذلك، رحمة الله عليه : [المنسرح]

أيا صديقا جعلته سندافراح فيما أحبه و غدا

طلبت منكم صريد كما خنتا وجهتموني مكانه لبدا

صير منى مؤرخا و لكم ظللت في علمه من البلدا

قلت له: آدم أتعرفه؟ قال: حفيدى بعصرنا ولدا

نوح و طوفانه رأيتهما؟ قال: علونا لفيضه أحدا

فقلت: هل لى بجرهم خبر؟ فقال: قومي و جيرتى السعدا

فقلت: قحطان هل مررت به؟ قال: نفثنا بيرده العقدا

فقلت: صف لى سبا و ساكنها فعند هذا تنفس الصعدا

و قال : كم لى بدجنهم سحران صرخة لى و للتووم هدا

فقلت: هاروت هل سمعت به؟ فقال: ريشى لسحره نفدا

فقلت: كسرى و آل شرعته؟ فقال: كنا بجيشه وفدا

ولوا و صاروا وها أنا لبد ؟ فهل رأيتم من فوقهم أحدا؟

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٤٢ ديك إذا ما انثنى لفكرته رأى وجودا طرائقا قددا

يرفل فى طيلسانه ولهاقد صير الدهر لونه كمدا

إذا دجا الليل غاب هيكله كأن حبرا عليه قد جمدا

كأنما جلنار لحيته برجان حازا عن الهواء مدا

كأن حصنا علا بهامته أعدّه للقتال فيه عدا

يرنو بياقوتتى لواحظه كأنما اللحظ منه قد رمدا

كأن منجالتى ذؤابته قوس سماء من أجله بعدا

و عوسج مد من مخالبه طغى بها فى نقاره وعدا

فذاك ديك جلت محاسنه له صراخ بين الديوك غدا

يطلبنى بالذى فعلت به فكم فللنا بلبتيه مدى

وجّهته محنه لآكله و الله ما كان ذاك منى سدى

و لم نزل بعد نستعدى عليه بإقراره بقتله، و نطلبه بالقود عند تصرفه فى العمل، فيوجه الديّة لنا فى ذلك رسائل.

و من شعره فى غرض الحسن بن هانىء : [الطويل]

طرقنا ديور القوم وهنا و تغليساو قد شرفوا الناسوت إذ عبدوا عيسى

و قد رفعوا الإنجيل فوق رؤوسهم و قد قدسوا الروح المقدس تقديسا

فما استيقظوا إلّا لسكره بابهم فأدهش رهبانا و روع قسيسا

و قام بها البطريق يسعى ملتياو قد لئن الناقوس رفقا و تأنيسا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٤٣ قلنا له: آمنا فإننا عصابة أتينا لتثليث و إن شئت تسديسا

و ما قصدنا إلّا الكؤوس و إنمالحنّا له فى القول خبثا و تدليسا

ففتحت الأبواب بالرحب منهم و عرس طلاب المدامه تعريسا

فلما رأى زقى أمامي و مزهري دعاني: أتأنيسا لحت و تليسا؟
 و قام إلى دنّ يفصّ ختامه فكبس أجرام الغياهب تكبسا
 و طاف بها رطب البنان مزترفاً بصرت عبدا صير الحرّ مرءوسا
 سلافا حواها القار لبسا فخلتها مثالا من الياقوت في الحبر مغموسا
 إلى أن سطا بالقوم سلطان نومهم و رأس قتيل الشمع نكس تنكيسا
 و ثبت إليه بالعناق فقال لي: بحق الهوى هب لي من الضمّ تنفيسا
 كتبت بدمع العين صفحة خده فطلّس حبر الشعر كتبي تطليسا
 فبئس الذي احتلنا و كدنا عليهم و بئس الذي قد أضمرنا قبل ذا بيسا
 فبتنا يرانا الله شرّ عصابة نطيع بعصيان الشريعة إبليسا
 و قال بديهة في غزاله من النحاس على بركة في محل طلب منه ذلك فيه :
 [الكامل]

عنت لنا من وحش وجره ظبيّه جاءت لورد الماء ملء عنانها
 و أظنها إذا حدّدت آذانها ريعت بنا فتوقفت بمكانها
 حيث بقرني رأسها إذ لم نجد يوم اللقاء تحية بينانها
 حتت على التدمان من إفلاسهم فرمت قضيب لجينها لحنانها
 لله درء غزاله أبدت لنادرّ الحجاب تصوغه بلسانها
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٤٤

وفاته: فلج فالترم المنزل عندي لمكان فضله، و وجوب حقّه، و قد كانت زوجه توفيت، و صحبه عليها وجد شديد، و حزن ملازم، فلما
 ثقل، و قربت وفاته، استدعاني، و قد كان لسانه لا يبين القول، و أملى عليّ فيما وصاني به من مهم أمره: [الطويل]
 إذا متّ فادفني حذاء حليلتي يخالط عظمي في التراب عظامها
 و لا تدفني في البقيع فإنني أريد إلى يوم الحساب التزامها
 و ربّ ضريحي كيفما شاء الهوى تكون أمامي أو أكون أمامها
 لعل إله العرش يجبر صدعتي فيعلى مقامي عنده و مقامها
 وفاته: و مات في ليلة الخامس و العشرين من عام ثلاثة و خمسين و سبعمائة، و دفنته عصره بباب إلبيرة حذاء حليلته كما عهد، رحمه
 الله عليه.

يحيى بن عبد الكريم الشتوفى

من أهل الجزيرة الخضراء.
 حاله: كان كاتباً ثرثاراً، أديباً لودعياً، كثير النظم و الشعر. كتب عن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب، و ابنه أبي يعقوب، و احتلّ
 معهما بظاهر غرناطة.

كتابه: كتب عن المذكور عند نزوله غازيا و مجاهدا بظاهر شريش ما نصّه:

أخونا الذي يسير بما يخلده بطون أوراق الدفاتر، من مأثور حميد المآثر، و يتلقّى ما يرد عليه من قبلنا من منشور حزب البشائر، بمعاشر
 القبائل و العشائر، و يفوق ما قبسته المنن لأفلام و أفواه المحابر، في مراقب مراقى المنابر، و يجمع لما وشته سحائب الخواطر، من

روضات السجلات في النوادي والمحاضر، الأمير الكذا، أدام الله اهتزازة للأنباء السارة وارتياحه، ونعم بها أرواحه، ووصل بكل أرج من نسيم الجدل، ومبهج من وسيم الأمل، غدوه ورواحه، وأحب به أرواحه. سلام كريم عليكم، ورحمة الله وبركاته. من أحيكم الذي لا يتم بشره إلا بأخذكم منه بأوفى حظ، وأوفر نصيب، ومصافيكم الذي لا يكمل سروره، ويجمل حورته، حتى يكون لكم فيه سهم

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٤٥

مصيب، ومرعى خصيب، الأمير يوسف ابن أمير المسلمين وناصر الدين يوسف بن عبد الحق.

أما بعد حمد الله، محق الحق بتصعيده فوق النجوم ومعليه، ومبطل الباطل بتصريه تحت النجوم ومدليه، ومطهر الأرض من نجس دنس الكفر وأوليه، ضربا بالمرهفات صبرا وطعنا بالمشفعات دراكا، وجاعل بلاد الشرك الأسار عباد الإفك، بما نظمهم من سلك الملك، وبددهم من هتك الستر، بالفتك والسيفك، حباث لا يخرجون منها وأشراكا، وخاذل من زلت عن السور قدمه، وخرجت من الدور ذممه، بأن يراق دمه، ويعدم وجوده وقدمه، بلوغا لأمان أمانى الإيمان وإدراكا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، ناظم فرائد الفرائد، ومنضد عوائد المواعد، بالظفر المنتظر بكل جاحد معاند، قلائد لا تنتثر وأسلاك- و سالك مسالك الغزوات، وناسك مناسك الخلوات، ومدرك مدارك قبول الدعوات، إفاء لأعداء الله وإهلاكا، والرضا على آله وصحبه، المرتدين بمننه، المهتدين بسننه، فى إباحة حرم الحرم، وإزاحة ظلم الظلم، حنادس وأحلاكا، القارعين بأسياهم أصلاب كلاب الصيلمان تباكا، والقارعين أبواب ثواب الرحمن نساكا، وموالة الدعاء لسيدنا ومولانا الوالد، بتخليد السيد المساعد، وإدارة الإرادة بعضد من النصير وساعد، مقادير كما يشاء وأفلاكا، وممالات آياته آيات، هذه الزايات، بإدراك نهايات الغايات، فى اشتباه أشياء ذوى الشايات، فلا تذر فى الأرض كفرا ولا تدع فيها إشراكا. فكتبناه، كتب الله لإخائكم الكريم أرفع الدرجات علا وأتمها تعظيما، وفضلكم مع القعود عن الشهود بالنية التى لها أكرم ورود، وأصدق وفود، أجرا عظيما. من منزلنا بمخفق شريش حيث الكتاب الهائلة هالة بدرها البادية الخسوف، والحماء الكماء أكام زهرها الدانى القطوف، وسوار معصمها النائى عن العصمة مجردات صفوف صفوف السيوف. فالشفار بالأحداق كالأشفار بالأحداق إدارتها، الطاقة بحيزومها نطاقا، والفتح قد لاحت مخايله، وباحث مقاوله، والكفر قلت مناصله وعرفت مقاتله، والمترف يتمنى أن يلقاه قاتله، فلا يقاتله فرقا، لا يجدون له فراقا فواقا، فحماتها العتاة لا يرون إلا سماء نقع الكفاح، لمعا متلاقيا وائتلافا، وكماتها لا يشربون إلا من تحت دمهم المطهر بنجسه وجه الأرض، المعدى به هريقه من فيح حثهم يوم العرض، المودى يراقتة واجب الفرض، إعدادا لامثال الأمر الإلهى واعتناقا.

ومن هذا الكتاب وهو طويل: ووصلنا والخيل ترح فى أعتنها تصلفا، وتختال فى مشيها تغطفا، وتعص على لجمها تحدقا وتحرفا، كأنها لم ترم قصارى قصور النصارى، دون تصور عنها، أغراضا وأهدافا، ودون معاهدة العيون وصف

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٤٦

الواصف، ولأقل مما احتوى عليه هذا الفتح تهتر المعاطف، إذ الإيمان اهتر إعطافا، وتوشح به عطافا. وهل الكتب وإن طال، نبذة من نبد الفتوح، وفلذة من كبد النصير الممنوح، وزهرة من غصن الندى المروح، أدنيا لإخائكم الكريم منه اقتطافا، والسلام.

شعره: [البيسط]

مالى وللصبر عنى دونكم حجابوا طالما هزنى أنسى لكم طربا

فحين شب النوى فى أضلعي لهاهزرت سيف اصطبارى بعدكم فنيا

وقلت للقلب يسلو بعدكم فأبى غبتم فغاب لذيد الأانس والوسن وخانى جلدى فيكم فأزقنى

ذكرى ليالينا فى غفلة الزمن فارقتمنى وطيب العيش فارقتنى

وصرت من بعدكم حيران مكتنبا من لى بقربكم فى حفظ عهدكم فكم ظفرت به أيام ودكم

و كم جرى دمع أجناني لفقدكم فلو بكيتم دما من بعدكم
 لم أقض من حق ذاك القرب ما وجبا لله أيامنا ما كان أجملها أعزت بآخرها شكرا و أولها
 من حسننها لم أزل أصبو بها ولهايا صاح، صبرا على الأيام إن لها
 على تصاريها من أمرها عجا صبرا على زمن يديك شيمته اقبل مساءته و احمد مسرته
 فما عسى يبلغ الإنسان منيته و من كرهت و من أحببت صحبته
 لا بد أن يفقد الإنسان من صحبا قلت : عجا من الشيخ ابن الخطيب، رحمه الله، في ذكره هذا المترجم به في ترجمة المقرئين، مع
 تحليته له، و وصفه إياه بما وصفه من الكتابة و الشعر، بل و إثباته له كتابته، و شعره، فكان حقه أن يكون في ترجمة الكتاب و الشعراء
 بعد هذه الترجمة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٤٧

يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن محمد بن قاسم بن علي الفهري

من أهل غرناطة، يكنى أبا الحجاج، و يعرف بالساحلي .
 حاله: من «العائد»: صدر في حمله القرآن، على و تيرة الفضلاء و سنن الصالحين، من لين الجانب، و العكوف على الخير، و بذل
 المعروف، و حسن المشاركة، و الخوف إلى الشفاعة. أبّ الأعمراء، و حظى بتسويدهم، و ناب في الخطابة بالمسجد الأعظم من
 حمرائهم، و كان إماما به، ذا هدى و سكينه و وقار. و حجّ، و لقي المشايخ، و اعتنق الرواية و التقييد، فانتفع بلقائه.
 مشيخته: قرأ على الأستاذ العلامة أبي جعفر ابن الزبير ببلده، و على الشيخ الخطيب الصوفي أبي الحسن ابن فضيلة، و على الخطيب
 الصالح أبي جعفر بن الزيات، و المحدث الرّحال أبي عبد الله بن رشيد. و أخذ في رحلته عن جملة، كالخطيب الراوية أبي عبد الله
 محمد بن محمد بن فرتون، و ناصر الدين منصور بن أحمد المشدالي، و الأستاذ أبي عبد الله بن جعفر اليحصبي، و قاضي الجماعة
 ببجاية الإمام أبي عبد الله بن يحيى الزواوي، و الفقيه المحدث أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن الحسن الشافعي. و أجازته سوى من
 تقدّم ذكره من أهل المشرق، عبد الغفار بن محمد الكلابي، و حسن بن عمر بن علي الكردي، و عتيق بن عبد الرحمن بن أبي الفتح
 العمري، و محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني، و عمر بن أبي بكر الوادي آشي، و صالح بن عباس بن صالح بن أبي
 الفوارس الأسعد الصدفي، و أحمد بن محمد بن علي الكناني، و محمد بن أحمد، و أحمد بن إسماعيل بن علي بن محمد بن
 الحباب، و أمّ الخير ابنة شرف الدين ابن الطباخ الصوفي. و قرأ ببلده غرناطة على الأستاذ أبي جعفر الطباع، و الشيخ أبي الحسن معن
 بن مؤمن، و أبي محمد النبعدي، و أبي الحسن البلوطي.

أنشدنا، قال: كتب إليّ شيخنا محمد بن عتيق بن رشيق في الاستدعاء الذي أجازني، و لمن سمى فيه: [الطويل]

أجزت لهم أبقاهم الله كلّما رويت عن الأشياخ في سالف الدهر

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٤٨ و ما سمعت أذناي عن كلّ عالم و ما جاد من نظمى و ما راق من نثرى

على شرط أصحاب الحديث و ضبطهم برى من التصحيف عار من النكر

و جدّى رشيق شاع في الغرب ذكره و في الشرق أيضا فادر إن كنت لا تدري

ولى مولد من بعد عشرين حجّة ثمان على السّت المثين ابتدا عمري

و بالله توفيقى عليه توكلّى له الحمد فى الحالين فى العسر و اليسر

حدّثنى شيخنا أبو بكر بن الحكيم، قال: أصابتنى حمى، فلمّا انصرفت عنى، تركت فى شفتى بثورا على، فزارنى الفقيه أبو الحجاج
 الساحلي، فأنشدنى :

[السريع]

حاشاك أن تمرض حاشاك اقد اشتكى قلبى لشكواكا
 إن كنت محموما ضعيف القوى فإنتى أحسد حمّاكا
 ما رضيت حمّاك إذ باشرت جسمك حتى قبلت فاكا
 مولده: عام سبعة و ستين و ستمائة .

وفاته: توفى، رحمه الله، بالحمراء العلية، فى السابع و العشرين لشهر رمضان من عام اثنين و خمسين و سبعمائة.

و من الكتاب و الشعراء بين أصلى و غيره:

يحيى بن محمد بن يوسف الأنصارى

يكنى أبا بكر، و يعرف بابن الصيرفى، من أهل غرناطة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٤٩

حاله: كان نسيج وحده فى البلاغة و الجزالة، و التبريز فى أسلوب التاريخ، و التملؤ من الأدب، و المعرفة باللغة و الخبر. قال أبو القاسم : من أهل المعرفة بالأدب و العربية و الفقه و التاريخ، و من الكتاب المجيدين و الشعراء المطبوعين المكثرين. كتب بغرناطة عن الأمير أبى محمد تاشفين ، و له فيه نظم حسن.

مشيخته: قرأ على شيوخ بلده، و أخذ عن العالم الحافظ أبى بكر بن العربى و نمطه.

تواليفه: أُلّف فى تاريخ الأندلس كتابا سماه «الأنوار الجلية»، فى أخبار الدولة المرابطية» ضمّنه العجائب إلى سنة ثلاثين و خمسمائة. ثم وصله إلى قرب وفاته، و كتابا آخر سماه «تقصى الأنباء و سياسة الرؤساء».

شعره: قال: أنشدت الأمير تاشفين فى هلاك ابن رزمير: [البسيط]

أشكو الغليل بحيث المشرب الخضر حسبى و إلّا فورد ما له صدر

تجهّمت لى وجوه الصبر منكروه و لا حظتنى عيون حشوها حذر

إنى لأجزع من ذاك الوعيد و فى ملقى الأسنه منا معشر صبروا

فلت سلاحى الليالى أى ظالمه لو أعادت شبابى كنت أنتصر

مشيعا كنت ما استصحبت من أمل كما يشيع سهم التازع الوتر

فها أنا و عزيز فى نامسة تسود فى عينه الأوضاح و الغرر

يا حى عذرة، فتياكم بنازلة لم تنفصل يمن عنها و لا مضر

ما الحكم عندكم إذ نحن فى حرم على جناية رام سهمه النظر

أرعانى الشهب فى أحشاء ليلتها حمل من الصبح أرجوه و أنتظر

يفتر عن برد من حوله لهب أو عن نبات أقاح أرضه سقر

و بين أجفانه نهيف الأمير أبى محمد تاشفين أو هو القدر

سيف به ثلّ عرش الروم و اطادت قواعد الملك و استولى به الظفر

و أدرك الدين بالتأر المنيم على رغم و جاءت صروف الدهر تعتذر

منى تنال و أيام مفضضة مذهبات العشايا ليلها سحر

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٥٠ و في الذؤابة من صنهاجة ملك أغر أبلج يستسقى به المطر مؤيد من أمير المسلمين له هوى و رأى و من سير له سير أنحى على الجور يمحور رسم أحرفه حتى استجار بأحداق المهى الحور يا تاشفين، أما تنفك بادرة من راحتك المنايا الحمر تبتدر؟ و كم ترشح في روض جداوله بيض السيوف و ملتف للقنا شجر هي الترايك فوق الهام لا حب و السابغات على الأعطاف لا القدر لك الكتاب ملء اليد غازية إذا أتت زمر منها مضت زمر على ساكبها للتقع أودية من تحتها جلق من تحتها زبر تدب منها إلى الأعداء سابلة عقارب ما لها إلّا القنا إبر بعثتها أسدا شتى إذا مرجت جنّ الوغا انقضّ منها أنجم زهر يا أيها الملك الأعلى الذى سجدت لسيفه الهام فى الهيحاء و القصر أعر حرار ضلوعى برد ما نهلت خيل الزبير و نار الحرب تستعر حيث الغبار دخان و الظبا لهب و الأسنه فى هام العدا شرر و التقع يطفو و بيض الهند راسية إن الصواعق يوم الغيم تنكدر أعطى الزبير فتى العلياء صارمه لكن بسعدك ما لم يعطه عمر ولته أظهرها الأبطال خاضعة تكبو و تصفعها الهنديه البتر بحر من الخلق المسرود ملتطم يسيل من كل سيف نحوه نصر أم ابن الزبير ابن رذمير بدهيه عضت و مسك من أظفاره ظفر لقد نفحت من التيجان فى محم و أين من فتكات الضيغم النمر؟ لقد نجوت طليق الركض فى وهن من الأسنه حتى جاءك القدر خلعت درعا و اعتضت الظلام بهاو خاض بحر الوغا مر كوبك الخطر و منها:

ما بال إنجيلك المتروك ما ذمرت نفوس قومك منه الآى و السور أهديتها غير مشكور مضمره ملء الأعنة منها الزهو و الأسر و ظل طفل من البولاد دانية سمراء ترضعه اللبات و الثغر

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٥١ و عابس للمنايا و هى ضاحكة من خده بثغور زانها أشر و كل حارسه فى الزوع لابسها منسوجه من عيون ما لها نظر أعدت للحرب إنذارا سخوت بها على الرجال التى منها لها وزر قضتكم من حمير صيد غطارفه فضّ الرجاحة عوص الدهر ينحبر ملثمون حياء كلما سفرت لهم وجوه المنايا فى الوغا سفروا جادوا بطعن كأسماع المحاص إلى ضرب كما فغرت أفواها الحمر و حدث عنها محيا مروعة فضت بما مجّ فى أحشائك الدعر فرت إلى حتفها من حتفها فمضت و الموت يطردها و الموت ينتظر

قالوا: نجا بدماء النفس منك فمانجا و قد بقرته الحيّة الذّكر
توزّعت نفسا على حشيتهما من للوساوس يحدو جيشها السّهر؟
نصر عزيز و فتح ليس يعدله فتح و لله فيه الحمد و الشكر
فاهنا به ابن أمير المسلمين ودم للملك ما قامت الأصال و البكر
و اهنأ بعيدك و افخر شانتيك به فإنّها نسك الأسياف لا الجزر
جاورت بحرك تغشاني مواهبه فمن بذاك و نظمي هذه الدّرر
و أنشد أيضا من شعره قوله، رحمه الله عليه: [الخفيف]
ركبت خيلها جيوش الصّلال و سرت من رماحها بذبال
ملقيات دروعها لا لوقت فيه تنضو الجلود رقص الصّلال
حثّ في إثرها الأمير بعقبان جياذ هوت بأسد رجال
في صقيل البريك تحدث للشمس بعكس الشعاع حمى اشتعال
لاث بالريح عمّة من غبارو مشى للحديد في أذيال
كلّما جرّها على الصّلد أبتت كخطوط الصّلال فوق الرمال
لبست أمرها على الرّوم حتى فجئتها كعادة الآجال
أبدلت هامها قصار قدود بطوال من الرّماح الطوال
و الذي فزّ عن سيوفك أودى بقنا الرّعب في ثنايا الجبال
كنت فيها و أنت في كل حرب مغمّد التّصل في طلي الأبطال
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٥٢ يطلع البدر منك حاجب شمس و يرى الليث في إهاب هلال
يا لصنهاجة و حولك منهم خير جيش عليهم خير وال
ملك ليس يركب الدهر إلّا كلّ عالي الركاب عالي القذال
ما عرا الجذب أو علاه الخطب سال غيثا و لاح بدر كمال
و حفيف على أمور خفاف و ثقيل على أمور ثقال
لاعب المعطفين بالحمد زهواشيمه الرّمح هزّة في اعتدال
مسترقّ النفوس خوفا و حسنا إنما السيف هيبه في جمال
شيم كالغمام ينشر في الروض بأندابه صغار اللّال
و سجايا تفتّحت زهرات و خلال تسدّ كل اختلال
أنت يا تاشفين و الله واق لك شخص العلا و نفس الكمال
ليس آمال من على الأرض إلّا أن ترى و أنت غايه الآمال
و هتيا بأن نهضت و أقبلت عزيز النهوض و الإقبال
و على الكفر منك حرّ مجيرو على الدّين منك برد ظلال
يا فتى و الزمان نعمى و بؤس شرّ حال أفضت إلى خير حال
و بما تجزع النفوس من الأمر له فرجة كحلّ العقال
ربّ أشياء ليس يبلغ منها كنه ما في النفوس بالأقوال

غير أن الكلام إن جلّ قدر او علا كنت فوقه فى الفعّال

و من شعره، و قد بيّت العدوّ محلّمة الأمير تاشفين، و يذكر حسن ثباته، و قد أسلمه قومه، و هى من القصائد المفيدة، المبدية فى الإحسان المعيدة: [الكامل]

يا أيها الملك الذى يتقّع من منكم البطل الهمام الأروع؟

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٥٣ و من الذى غدر العدوّ به دجى فانفضّ كلّ و هو لا يتزعزع؟

تمضى الفوارس و الطعان يصدّها عنه و يزجرها الوفاء فترجع

و الليل من وضح الترائك و الطبا صبح على هام الكماء ممّن

عن أربعين ثنت أعنتها دجى ألف حاسر و مقنّع

لولا رجال كالجبال تعرّضت ما كان ذاك السيل مما يردع

يتفخّمون على الرماح كأنهم إبل عطاش و الأسد تكرع

و من الدجى لهم على قمم الرّبى و ذؤابة بين الطبا تتقطّع

نصرت ظلام الكفر ظلمة ليلة لم يدر فيها الفجر أين المطلع

لولا ثبوتك تاشفين لغادرت أخرى الليالى و هيبه لا ترقع

فثبتّ و الأقدام تزلق و الرّدى حول السّرادق و الأسد تفرع

لا تعظمنّ على الأمير فإنها خدع الحروب و كل حرب تخدع

و لكل يوم حنكه و تمرّس و تجارب فى مثل نفسك تنجع

يا أشجع الشجعان ليلة أمسه اليوم أنت على التجارب أشجع

أهديك من أدب الوغا حكما بها كانت ملوك الحرب مثلك تولع

لا أئنّى أدرى بها لكنّها ذكرى تخصّ المؤمنين و تنفع

اختر من الخلق المضاعفة التى وصّى بها صنع السّوابغ تبع

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٥٤ و الهند و انى للرفيق فإنه أمضى على حلق الدلاص و أقطع

و من الرواجل ما إذا زعزعت أعطاك هزة معطفيه الأشجع

و من الجياد الجرد كلّ مضمر تشجى بأربعه الرياح الأربع

و الصّمه البطل الذى لا يلتوى منه الصّليب و لا يلين الأخدع

و كذاك قدر فى العدو حزامه فالّتبّع بالتّبّع المثقّف يقرع

خندق عليك إذا اضطربت محلّة سيان تتبع ظافرا أو تتبع

و اجعل ببابك فى الثّقات و من له قلب على هول الحروب مشيع

و توقّ من كذب الطلائع إنّه لا رأى للمكذوب فيما يصنع

فإذا احترست بذاك لم يك للعدا فى فرصة أو فى انتهاز مطمع

حارب بمن يخشى عقابك بالذى يخشى و من فى جود كّفك يطمع

قبل التّناوش عبّ جيشك مفحصا حيث التمكنّ و المجال الأوسع

إياك تعبئه الجيوش مضيقوا الخيل تفحص بالرجال و تمرع

حصّن حواشيها و كن فى قلبها و اجعل أمامك منهم من يشجع

و البس لبوسا لا يكون مشهراً فيكون نحوك للعدو تطلع
و احتل لتوقع في مضايقة الوغى خدعا ترويهها و أنت موسع
و احذر كمين الزوم عند لقاءها و اخفض كمينك خلفها إذ تدفع
لا تبقي النهر خلفك عندما تلقى العدو فأمره متوقع
و اجعل مناخزة العدو عشية و وراءك الصدف الذي هو أمنع
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٥٥ و اصدمه أول وهلة لا ترتدع بعد التقدم فالتكول يضعضع
و إذا تكاثفت الرجال بمعرك ضنك فأطراف الزماح توسع
حتى إذا استعصت عليك و لم يكن إلا شماس دائم و تمنع
و رأيت نار الحرب تضرم بالطباو دخانها فوق الأسنه يسطع
و مضت تؤذن بالصميل جيادها و الهام تسجد و الصوارم تركع
و الرمح يثنى معطفيه كأنه في الزاح لا علق الفوارس يكرع
و الريح تنشأ سحسجا هفافة و هي السكينة عن يمينك توضع
أقص الكمين على العدو فإنه يعطيك من أكتافه ما يمنع
و إذا هزمت عداك فاحذر كرها و اضرب وجوه كوماتها إذ ترجع
و هي الحروب قوى النفوس و حزبهامن قوة الأبدان فيها أنفع
ثم انتهض بجميع من أحمده حتى يكون لك المحلل الأرفع
و بذاك تعتب إن تولت عصبه كانت ترفه للوغى و ترفع
من معشر إعراض و جهك عنهم فعل الجميل و سخطك المتوقع
يكبو الجواد و كل حبر عالم يهفو و تنبو المرهفات القطع
أنى قرعتم يا بنى صنهاجه و إليكم فى الزوع كان المفرع؟
ما أنتم إلا أسود خفيه كل بكل عظمة تستطلع
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٥٦ ما بال سيدكم تورط؟ لم يكن لكم التفات نحوه و تجمع
إنسان عين لم يصبه منكم جفن و قلب أسلمته الأضلع
تلك التى جزت عليكم خطه شنعاء و هى على رجال أشنع
أو ما ليوسف جدّه ممن على كل و فضل سابق لا يدفع؟
أو ما لوالده على نعمة و بكل جيد ربقه لا تخلع؟
و لكم بمجلس تاشفين كرامة و شفيعكم فيما يشاء مشفع
ألا رعيتم ذاك و أحسابكم و أنتم من قاله تستشع
أبطأتم عن تاشفين و لم يزل إحسانه لجميعكم يتسرّع
ردت مكارمه لكم و توطأت أكنافه إن الكريم سميع
خاف العدى لكن عليكم مشفقا فهجعتم و جفونه لا تهجع
و من العجائب أنه مع سنه أدرى و أشهر فى الخطوب و أضلع
و لقد عفا و العفو منه سجيته و لسطوة لو شاء فيكم موضع

يا تاشفين، أقم لجيشك عذره فالليل و القدر الذى لا يدفع
هجم العدو دجى فرّوع مقبلاو مضى يهينم و هو منك مروّع
لا يزدهى إلّا سواك بها و لا إلّا لغيرك بالسنان يقنّع
لمّا سددت له الثّيبه لم يكن إلّا على ظهر المتيه مهيع
و كذاك للعيّرات إقدام على أسد العرين الورد ممّا يجزع
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٥٧ و لقد تقفّاها الزبير و قد نجت إلّا فلولا إنّ منه المصرع
و غدا يعاقب و النفوس حميّه و السمر هيم و الصّوارم جوع
أعطش سلاحك ثم أوردّها الوغاكيما يلدّها لها و يصفو المشرع
كم وقعه لك في ديارهم انثنت عنها أعزّتها تذللّ و تخضع
التعمه العظمى سلامتك التى فيها من الظفر الرضى و المقنع
لا ضيع الرحمن سعيك إنه سعى به الإسلام ليس يضيع
نستحفظ الرحمن منك وديعه فهو الحفيظ لكلّ ما يستودع
وفاته: بغرناطة في حدود السبعين و خمسمائه .

و من ترجمة الشعراء من السفر الأخير و هو الثاني عشر المفتوح بالترجمة بعد

يحيى بن محمد بن أحمد بن عبد السلام التطيلي الهذلي

أصله من تطيلة، و هو غرناطى، يكنى أبا بكر.
حاله: قال أبو القاسم الملاحى: أديب زمانه، و واحد أقرانه، سيال القريحه، بارع الأدب، رائق الشعر، علم فى النحو و اللغه و التاريخ و
العروض و أخبار الأمم، لحق بالفحول المتقدمين، و أعجزت براعته براعه المتأخرين، و شعره مدوّن، جرى فى ذلك كلمه طلق
الجموح. ثم انقبض و عكف على قراءة القرآن، و قيام الليل، و سرد الصوم، و صنع المعشّرات فى شرف النّبى عليه الصلاة و السلام.
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٥٨
و أشعاره كثيره، من الزهد و التذكير للآخرة، و التجريد من الدنيا، حتى جمع له من ذلك ديوان كبير.

شعره: من ذلك قوله من قصيدة: [الطويل]

أذوب حياء إن تذكّرت زلتى و حلمك حتى ما أقلّ نواظرى
و أسكت مغلوبا و أطرق خجله على مثل أطراف القنا و التواتر
تعود بصفح إثر صفح تكّرّما على الذنب بعد الذنب يا خير غافر
و تلحظنى بالعمو أثناء زلتى و تنظر منى فى خلال جرائر
و حقّ هواك المستكّن بأصلعى و ما لك عندى من خفىّ ضمائر
لما قمت بالمعشار من عشر عشره و لو جئت فيه بالنجوم الزواهر
فيا أيها المولى الصفوح و من به تنوء احتمالاتى بأعباء شاكر
أنلى من برد اليقين صبا به ألف بها حدّ الهوى و الهواجر
و خلت الدجى عذرا أهاب سرى العدا إلىّ تغطّينى بسود الغدائر

و خافت على عيني من السهد و البكافذرت بقايا الكحل من جفن ساهر
و قال راداً على ابن رشد حين ردّ على أبي حامد في كتابه المسمى «تهافت التهافت»: [الطويل]
كلام ابن رشد لا يبين رشاده هو الليل يعشى الناظرين سواده
و لا سيما نقض التهافت إنه تضمّن برساما يعزّ اعتقاده
كما اطرّد المحموم في هذيانه يفوه بما يملى عليه احتداده
أتى فيه بالبهت الصريح مغالطافما غير البحر الخضمّ ثماده الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ٤؛ ص ٣٥٨
و حاول إخفاء الغزاة بالسها فأخفق مسعاه و ردّ اعتقاده
دلائل تعطيك التقيضين بالسوى و أكثر ما لا يستحيل عناده
إذا أوضح المطلوب منها و ضده يبين على قرب و بان انفراده
و أنت بعيد الفكر عن ترهاته فمعظمها رأى يقلّ سداده
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٥٩
و من شعره :

إليك بسطت الكفّ في فحمة الدجى نداء غريق في الذنوب عريق

رجاك ضميرى كى تخلّص جملتى فكم من فريق شافع لفريق

مشيخته: أخذ عن أبيه أبي عبد الله، و حدّث عن الأستاذ أبي الحسن جابر بن محمد التميمي، و عن الأستاذ المقرئ ببلنسية أبي محمد
عبد الله بن سعدون التميمي الضرير، عن أبي داود المقرئ. و قرأ أيضاً على الخطيب أبي عبد الله محمد بن عروس، و على القاضي
العالم أبي الوليد بن رشد.

مولده: فجر يوم الثلاثاء الخامس و العشرين لمحرّم تسعة و خمسين و خمسمائة.

وفاته: بغيرناطة عام تسعة و عشرين و ستمائة.

يحيى بن بقى

من أهل وادى آش .

حاله: بارع الأدب، سيال القريحة، كثير الشعر جيده في جميع أنواعه. و كان مع ذلك موصوفاً بغفلة.

شعره: [الكامل]

بأبى غزال غازلته مقلتي بين العذيب و بين شطى بارق

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٦٠ و سألت منه قبله تشفى الجوى فأجابنى عنها بوعد صادق

و أتيت منزله و قد هجع العدا أسرى إليه كالخيال الطارق

بتنا و نحن من الدجى فى لجة و من النجوم الزهر تحت سراق

عاطيته و الليل يسحب ذيله صهباء كالمسك العتيق لناشق

حتى إذا مالت به سنه الكرى باعدته شيئاً و كان معانقى

أبعدته من أضلع تشتاقه كى لا ينام على و ساد خافق

و ضمّمته ضمّ الكمى لسيفه و ذؤابته حمائل فى عاتقى

لما رأيت الليل ولى عمره قد شاب فى لمم له و مفارق

ودعت من أهوى و قلت تأسفا: أعزز عليّ بأن أراك مفارقى
وفاته: توفى بمدينة وادى آش سنة أربعين و خمسمائة .

يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر النهري

فرثى ، و قال صفوان: إنه بلّشى ، يكنى أبا بكر.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٦١

حاله: قال ابن عبد الملك: كان فى وقته شاعر المغرب، لم يكن يجرى أحد مجراه من فحول الشعراء. يعترف له بذلك أكابر الأدباء، و تشهد له بقوة عارضته و سلامه طبعه قصائده التى صارت مثالا، و بعدت على قربها منالا. و شعره كثير مدون، و يشتمل على أكثر من سبعة آلاف بيت و أربعمائه بيت. امتدح الأمراء و الرؤساء، و كتب عن بعضهم، و حظى عندهم حظوة تامه، و اتصل بالأمير أبى عبد الله بن سعد ، و له فيه أمداح كثيرة. و بعد موته انتقل إلى إشبيلية، و بملازمته للأمير المذكور، و كونه فى جملة، استحق الذكر فيمن حلّ بغرناطة. و من أثرته لدى ملوك مراكش، أنه أنشد يوسف بن عبد المؤمن يهنئه بفتح من قصيدة: [الخفيف]

إن خير الفتوح ما جاء عفوا مثل ما يخطب البليغ ارتجالا

قالوا: و كان أبو العباس الجراوى الأعمى الشاعر حاضرا، فقطع عليه؛ لحساده و جدها، فقال: يا سيدنا، اهتدم فيه بيت ابن وضاح:
[الرجز]

خير شراب ما جاء عفوا كأنه خطبة ارتجالا

فبدر المنصور، و هو حينئذ وزير أبيه، و سنّه فى حدود العشرين من عمره، فقال: إن كان قد اهتدمه، فقد استحقه لنقله إياه من معنى خسيس إلى معنى شريف، فسّر أبوه لجوابه، و عجب منه الحاضرون.

و مرّ المنصور أيام إمرته بأونبة من أرض شلب، و وقف على قبر أبى محمد بن حزم، و قال: عجا لهذا الموضع، يخرج منه مثل هذا العالم. ثم قال: كلّ

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٦٢

العلماء عيال على ابن حزم. ثم رفع رأسه، و قال: كما أن الشعراء عيال عليك يا أبا بكر، يخاطب ابن مجبر.

شعره: من شعره يصف الخيل العتاق من قصيدة فى مدح المنصور :

[الطويل]

له خطّت الخيل العتاق كأنها نشاوى تهادت تطلب العزف و القصفا

عرانس أغنتها الحجول عن الحلّى فلم تبغ خلخالا و لا التمسّت وقفا

فمن يقق كالطرس تحسب أنه و إن جرّده فى ملاءته التّفّا

و أبلق أعطى الليل نصف إهابه و غار عليه الصبح فاحتبس النّصفا

و ورد تغشّى جلده شفق الدّجى فإذا حازه حلّى له الدّيل و العرفا

و أشقر مَجّ الراح صرفا أديمه و أصفر لم يسمح بها جلده صرفا

و أشهب فضّى الأديم مدترّ عليه خطوط غير مفهمة حرفا

كما خطر الزاهى بمهرق كاتب يجرّ عليه ذيله و هو ما جفّا

تهبّ على الأعداء منها عواصف ستسّف أرض المشركين بها نسفا

ترى كلّ طرف كالغزال فتمترى أظبيا ترى تحت العجاجة أم طرفا؟

و قد كان في البيداء يألف سربه فرتبته مهرا و هي تحسبه خشفا

تناوله لفظ الجواد لأنه متى ما أردت الجرى أعطاكه ضعفا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٦٣

و لما اتخذ المنصور ستارة المقصورة بجامعه ، و كانت مدبرة على انتصابها إذا استقر المنصور و وزراؤه بمصلاه، و اختفائها إذا انفصلوا

عنها، أنشد في ذلك الشعراء، فقال ابن مجير من قصيده أولها: [الكامل]

أعلمتني ألقى عصا التسيار في بلدة ليست بدار قرار

و منها في وصف المقصورة :

طورا تكون بمن حوته محيطه فكأنها سور من الأسوار

و تكون حيناً عنهم مخبوة فكأنها سر من الأسرار

و كأنما علمت مقادير الوري فتصرفت لهم على مقدار

فإذا أحست بالإمام يزورها في قومه قامت إلى الزوار

و يكفى من شعر ابن مجير هذا القدر العجيب، رحمه الله.

من روى عنه: حدّث عنه أبو بكر محمد بن محمد بن جمهور، و أبو الحسن بن الفضل، و أبو عبد الله بن عياش، و أبو علي الشلوبين،

و أبو القاسم بن أحمد بن حسان، و أبو المتوكل الهيثم، و جماعة.

وفاته: توفى بمراكش سنة ثمان و ثمانين و خمسمائة ، و سنّه ثلاث و خمسون سنة.

يوسف بن محمد بن محمد بن محمد اليحصبي اللوشي، أبو عمر

حاله: من كتاب ابن مسعدة: خطيب الإمامة السعيدة التصريه الغالبية، و صاحب قلمها الأعلى. كان شيخا جليلا، فقيها، بارع الكتابة،

ماهر الخطه، خطيبا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٦٤

مصقعا، منقطع القرين في عصره، منفردا عن النّظير في مصره، عزيزا، أنوفا، فاضلا، صالحا، خيرا، شريف النفس، منقبضا، و قورا،

صموتا، حسن المعاشرة، طيب المحادثة.

مشيخته: حدّث عن والده الشيخ الراوية أبي عبد الله، و عن الأستاذ ابن يربوع. و لقي بإشبيلية الأستاذ أبا الحسن الدبّاج، و رئيس النّحاة

أبا علي الشلوبين، و غيرهما.

شعره: و من شعره، و إن كان غير كثير، قوله: [الخبيف]

شرد النوم عن جفونك و انظر كلمه توقظ النفوس النياما

فحرام على امرئ يشاهد حكمه الله أن يلدّ المناما

و قوله: [الرمل]

ليس للمرء اختيار في الذي يتمنى من حراك و سكون

إنما الأمر لربّ واحد إن يشا قال له: كن فيكون

وفاته: توفى في المحرم من عام ستين و ستمائة، و دفن بمقبرة باب البيرة.

و حضر جنازته الخاصة و العامة، السلطان فمن دونه، و كلّ ترحم عليه، و تفتح له.

حدّثني حافده شيخنا، قال: أخرج الغالب بالله، يوم وفاته، جبّه له، لبسته مرفوعة، من ملفّ أبيض اللون، مخشوشه، زعم أنها من قديم

مكسبه من ثمن مغنم ناله، قبل تصير الملك إليه، أمر ببيعها، و تجهيزه من ثمنها، ففعل، و في هذا ما لا ما مزيد عليه من الصيحة و السلامة، و جميل العهد، رحم الله جميعهم.

يوسف بن علي الطرطوشي، يكنى أبا الحجاج

حاله: من «العائد»: كان، رحمه الله، من أهل الفضل و التواضع، و حسن العشرة، مليح الدعابة، عذب الفكاهة، مدلاً على الأدب جدّه و هزله، حسن الخط، سلس الكتابة، جيد الشعر، له مشاركة في الفقه و قيام على الفرائض. كتب بالدار السلطانية، و امتدح الملوك بها، ثم توجه إلى العدو، فصحب خطة القضاء عمره، مشكور السيرة، محفوظاً بالمبرّة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٦٥

و جرى ذكره في «الإكليل» بما نصّه: روض أدب لا تعرف الذّواء أزهاره، و مجموع فضل لا تخفى آثاره، كان في فنون الأدب مطلق الأعتة، و في معاركه ماضى الظّبا و الأستة. فإن هزل، و إلى تلك الطريقة اعتزل، أبرم من الغزل ما غزل، و بذل من دنان راحته ما بذل. و إن صرف إلى المعرب غرب لسانه، و أعاره لمحة من إحسانه، أطاعه عاصيه، و استجمعت لديه أقاصيه. ورد على الحضرة الأندلسية و الدنيا شائبة، و ربح القبول هائبة، فاجتلى محاسن أوطانها، و كتب عن سلطانها. ثم كز إلى وطنه و عطف، و أسرع اللحاق كالبارق إذا خطف. و توفي عن سنّ عالية، و برود من العمر بالية.

و من شعره أيام حلوله بهذه البلاد، قوله يمدح الوزير ابن الحكيم، و يلمّ بذكر السلم في أيامه: [البيسط]

رضاكم إن منتم خير مرهوب و ما سوى هجركم عندي بموهوب

لكم كما شتم العتبي و عتبكم مقابل الرضى من غير تثريب

منوا بلحظ رضى لى ساعة فعسى أنال منه لدهرى طب مطبوب

فكم أثارى لى الأيام و ابتسمت ثغور سعدى بتقريب فتقريب

قد كنّ بيضا رعايبا بقربكم و الآن يوصفن بالسود الغرايب

آها لدهر تقضى لى بياكم مرتب للأمانى أى ترتيب

ما كان إلّا كأحلام سررت بها فواصلت حال تقويض بتظنيب

يا ليت شعرى هل تقضى بعودته فأقدر الحسن منه بعد تجريب؟

و منها:

يا أيها السيد الأعلى الذى يده حازت ندى السحب مسكوبا بمسكوب

فلو سألنا بلاد الله عن كرم فيها لكفيه و الأنواء منسوب

لقلن: إن كان جود لا يضاف لذى الوزارتين فجود غير محسوب

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٦٦ فالعود جنس و لكن في إضافته للهند يختصّ عود الهند بالطيب

من سيد لا يوقى الحمد واجبه و لو تواصل مكتوبا بمكتوب

له المحامد لا تحصى و لا عجب فرمل عالج شى غير محسوب

تناول الشرف الأقصى بعزمه ذى ظنّ نبيل الأمانى غير مكذوب

و واصل المجد من آياته شرفاً بمجده وصل أنبوب بأنبوب

و جاء مكتسباً أعلى ذخائره و المجد ما بين موروث و مكسوب

ردء الخليفة لا يرتاح من نصب في بذل نصح لحفظ قائم منصوب

موفق الرأي مأمون التقيية في تدبير ذى حنكة صحت و تدريب
تهابه النفس إذ ترجوه من شرف فشأنه بين مرهوب و مرغوب
و منها:

يا أوحد العصر في فضل و في كرم خصال قاطع دهر في التجارب
أعد فديت لأمرى منعا نظرا ينل به همّ حالي بعض تشيب
لولا ارتكاب حسود الأمر في ضررى ما كان ظهر التوى عندي بمركوب
هذا زمانى و منك الأمن حاربنى حتى أرانى فى حالات محروب
فامن بتفريج كرى بالرضا فإذا رضيت لم أك من شىء بمكروب
إن لم أذق من رضاكم ما ألدّ به فلا حياة بما أكل و مشروب
و من شعره: [المتقارب]

بذكرك تشرح آى العلاو تسند أخباره فى الصحيح
بأفقك يشرق بدر السنو باسمك يحسن نظم المديح
و ما يحسن العقد إلّا إذا تحلّت به ذات وجه مليح
وفاته: كان حيا عام أحد و أربعين و سبعمائة.
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٦٧

و من ترجمة المحدثين و الفقهاء و سائر الطلبة النجباء:

يحيى بن محمد بن عبد العزيز بن على الأنصارى

يكنى أبا بكر، و يعرف بالعشاب، و يعرف بالبرشاني .

حاله: كان هذا الشيخ من أهل الخير، كثير التؤدة و الصمت، معرضا عمّا لا يعنيه. رحل إلى الحج، و أقام هنالك سنين، و قفل منها
فخطب بأرجبة . و أخذ ببلاد المشرق عن قطب الدين القسطلانيّ، و أبى الفضل ابن خطيب المرى، و زين الدين أبى بكر محمد بن
إسماعيل الأنماطى. و لقي أبا على بن الأحوص بالأندلس و لم يأخذ عنه. أنشدنى شيخنا أبو البركات، قال: أنشدنى الشيخ أبو بكر
البرشاني، و قد لقيته بأرجبة، قال: أنشدنا الإمام أبو عبد الله بن النعمان عن قطب الدين:

[الطويل]

إذا كان أنسى فى لزومى وحدتى و قلبى من كل البرية خال
فما ضرّنى من كان للدهر قالياو ما سرّنى من كان فى موال
و من العمال

يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن محمد بن خير بن أسامة الأنصارى التجارى

قال القاضى المؤرخ أبو الحسن بن الحسن ممليه: و الذى رفع إلى هذا النسب للركانة هو صاحبنا الفقيه أبو القاسم ولده، و رفع هذا
النسب بحاله من التكرار دليل على أصالته.

حاله: من أهل الخير و الخصوصية، و حسن الزواء و الوقار و الحياء و المودة.

نبيه القدر، معروف الأمانة، صدر في أهل العقد والحل ببلده، بيته بيت صون وخير واستعمال، ولو لم يكن من بركات هذا الرجل و آثار فضله إلا ابنه صدر الفضلاء و بقيه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٦٨

الخواص أبو القاسم لكفاه. تولى قيادة الديوان بمالقة بلده، أرفع الخطط الشرعية العملية، فحمدت سيرته.

وفاته: وفاته بمالقة في ... و على قبره مكتوب من نظم ولده: [الطويل]

إلهي، خدى في التراب تذلل بسطت، عسى رحماك يحيا بها الروح

و جاوزت أجدات الممالك خاضعاو قلبى مصدوع و دمعى مسفوح

و وجّهت وجهى نحو جودك ضارعا لعل الرضى من جنب حلمك ممنوح

أتيت فقيرا و الذنوب تؤذنى و فى القلب من خوف الجرائم تبريح

و لم أعتد إلا الرجاء وسيله و إخلاص إيمان به الصدر مشروح

و أنت غنى عن عذابى و عالم بفقرى و باب العفو عندك مفتوح

فهب لى عفوا من لدنك و رحمه يكون بها من ربه الذنب تسريح

و صل على المختار ما همع الحياو ما طلعت شمس و ما هبت الريح

و من ترجمة الزهاد و الصالحاء

يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطى

من أهل أنفا، من بيت عمال يعرفون بينى التّرجمان، أولى شهرة و شدّة على الناس و ضغط. و كان من الحظوة و ضدّها بباب سلطانهم

ديدن الجبّاء. غرّب عنهم و انقطع إلى لقاء الصالحين و صحبة الفقراء المتجرّدين، و قدم على الأندلس عابدا، كثير العمل، على حدائثه

سنّه، و نزل برباط السودان، من خارج مالقة، و اشتهر، و اثنال عليه الناس. ثم راض طول ذلك الاجتهاد، و أنس بمداخلة الناس.

حاله: هذا الرجل نسيج وحده فى الكفاية، و طلاقة اللسان، مدل على أغراض الصوفية، حافظ لكل غريبة من غرائب طريقتهم، متكلم

فى مشكلات أقوالهم، قائم على كثير من أخبارهم، يستظهر حفظ جزء إسماعيل الهروى المسمى ب «منازل السائرين إلى الحق»، و

القصيده الكبيرة لابن الفارض. عديم النظر فى ذلك

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٦٩

كله، مليح الملبس، مترفع عن الكدية، عزيز النفس، قليل الإطراء، حسن الحديث، عذب التّجاوز فيه، على سنن من السّداجة و السّلامه

و الرجولة و الحمل، صاحب شهرة قرعت به أبواب الملوك بالعدوتين. و على ذلك فمغضوض منه، محمول عليه، لما جبل عليه من

رفض الاضطلاع، و ترك السّيمت، و أطراح التغافل، و ولوعه بالنقد و المخالفة فى كل ما يطرق سمعه، مرشحا ذلك بالجدل المبرم،

ذاهبا أقصى مذاهب القحة، كثير الفلتات. نالته بسبب هذه البليّة محن كثيرة، أفلت منها بجريعه الذقن، و وسم بالوهن فى دينه، مع

صحة العقل. و كان الآن عامرا للرباط المنسوب إلى اللّجام، على رسوم الشياخه، و عدم التابع، مهجور الفناء.

مشيخته: زعم أنه حجّ، و لقي جلة، منهم الشيخ أبو الطاهر بن صفوان المالقى، و لقاءه إياه و صحبته معروف بالأندلس، و غير ذلك

مما يدّعيه متعدّد الأسماء.

تواليفه: قيّد الكثير من الأجزاء، منها فى نسبة الذنب إلى الذاكر جزء نبيل غريب المأخذ، و فيما أشكل من كتاب أبى محمد ابن

الشيخ. و صنّف كتابا كبير الحجم فى الاعتقاد، جلب فيه كثيرا من الأقوال و الحكايات، رأيت عليه بخط شيخنا عبد الله بن المقرئ ما

يدل على استحسانه. و طلب منى الكتب عليه بمثل ذلك، فكتبت له ببعض و رقائه ، إثارة لضجره، و استدعاء لفكاهة انزعاجه، ما نصّه: و قفت من الكتاب المنسوب لأبي زكريا البرغواطى، على برسام محموم، و اختلاط مذموم، و انتساب زنج فى روم، و كان حقّه أن يتهيب طريقا لم يسلكها، و يتجنب عقيله لم يملكها، إذ المذكور لم يتلق شيئا من علم الأصول، و لا نظر فى الإعراب فى فصل من الفصول. إنما

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٧٠

هى قحه و خلاف، و تهاون بالمعارف و استخفاف، غير أنه يحفظ فى طريق القوم كل نادرة، و فيه رجولة ظاهرة، و عنده طلاقة لسان، و كفاية قلما تتأتى لإنسان.

فإلى الله نسأل أن يعرّفنا بمقادير الأشياء، و يجعلنا بمعزل عن الأغبياء. و قد قلت مرتجلا عند أول نظرة، و اجتزأت بقليل من كثرة: [الخفيف]

كلّ جار لغاية مرجوة فهو عندي لم يعد حدّ الفتوة
و أراك اقتحمت ليلا بهيما مولجا منك ناقة فى كوه
لا أتباعا و لا اختراعا أرتنا إذ نظرنا عروسك المجلوه
كلّ ما قلته فقد قاله الناس مقالا آياته متلوه
لم تزد غير أن أبحت حمى الإعراب فى كلّ لفظه مرقوه
نسأل الله فكرة تلزم العقل إلى حشمة تحوط المروه
و عزيز على أن كنت يحيى ثم لم تأخذ الكتاب بقوه
و من البرسام الذى يجرى على لسانه بين الجدّ و القحه، و الجهالة و المجانه، قوله لبعض خدام باب السلطان، و قد ضويق فى شىء
أضجره منقولا من خطّه، بعد ردّ كثير منه إلى الإعراب:

الله نور السماوات من غير نار و لا غيرها، و السلطان ظلاله و سراجة فى الأرض، و لكل منهما فراش مما يليق به و يتهافت عليه، فهو تعالى محرق فراشه بذاته، مغرقهم بصفاته، و سراجة و ظلّه. و هو السلطان محرق فراشه بناره، مغرقهم بزيتة و نواله. ففراش الله ينقسم إلى حامدين، و مسبحين، و مستغفرين، و أمناء و شاخصين. و فراش السلطان ينقسمون إلى أقسام، لا ينفك أحدهم عنها. و هم وزغة ابن وزغة، و كلب ابن كلب، و كلب مطلقا، و عار ابن عار، و ملعون ابن ملعون، و قط

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٧١

ابن قط، و محق. فأما الوزغة، فهو المحرق فى زيت نواله، المشغول بذلك عما يليق بصاحب النعمة من النصح و بذل الجهد. و الكلب ابن الكلب، هو الكيس المتحرّز فى تهافته من إحراق و إغراق، يعطى بعض الحق، و يأخذ بعضه. و أما الكلب مطلقا، فهو الواجد و المشردّ للسفهاء عن الباب المعظم لقليل النعمة. و أما العار ابن عار، فهو المتعاطى فى تهافته ما فوق الطوق، و لهذا امتاز هذا الاسم بالرئاسة عند العامة، إذا مرّ بهم جلف أو متعاط، يقولون: هذا العار بن عار، يحسب نفسه رئيسا، و ذلك بقرب المناسبة، فهو موضوع لبعض الرئاسة، كما أن الكلب ابن الكلب لبعض الكياسة.

و أما الملعون ابن الملعون، فهو الغالط المعاند، المشارك لربه، المنعم عليه فى كبريائه و سلطانه. و أمّا القط، فهو الفقير مثلى، المستغنى عنه، بكونه لا- تخصّ به رتبة، فتارة فى حجر الملك، و تارة فى السنداس، و تارة فى أعلى المراتب، و تارة محسن، و تارة مسيء، تغفر سيئاته الكثيرة بأدنى حسنة، إذ هو من الطوافين، متطير بقتله و إهانته، تراه فى بعض الأحيان لعزّة يجدها فى نفسه، من حرمة أبقاها الشارع له، و كل ذلك لا يخفى. و أما الفراش المحق، فهو عند الدول نوعان، تارة يكون ظاهرا و حظه مسح المصباح، و إصلاح فتيله، و تصفية زيتة، و ستر دخانه، و مسايسة ما أعوز من المطلوب منه. و وجود هذا شديد الملازمة ظاهرا. و أما المحقّ

الباطن، فهو المشار إليه في دولته بالصلاح والزهد والورع، فتستقبله الخلق لتعظيمه و تركه لما هو بسيله، فيكون وسيله بينهم وبين ربهم، و خليفته الذي هو مصباحهم، فإذا أراد الله بهلاك الدولة، و إطفاء مصباحها تولّى ذلك أهل البطالة و الجهالة، فكان الأمر كما رأيتم، و الكلّ يعمل على شاكلته.

و أفضى به الهوى و تسور حمى السياسة، و الإغياء في ميدان القحه إلى مصرع السوء، فجلد جلدا عنيفا بين يدي السلطان، كان سبب وفاته في المطبق، و ذلك في شهر المحرم من عام ثمانية و ستين و سبعمائة، و قانا الله المعزات، و جنبنا سبل المضرات، و في كثرة تبجحه باصطلاح المنطق قيل: [الطويل]

لقد كان يحيى منطقيا مجادلاتجاري سيل الهوى و تهورا
غدا مطلق التقوى و راح مكمماو أصبح من فوق الجدار مسورا
فما نال من معنى اصطلاح أداره سوى أن بدا في نفسه و تصورا
تجاوز الله عنا و عنه.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٧٣

[ترجمة ابن الخطيب]

إشارة

بقية السفر الثاني عشر من كتاب الإحاطة مشتملة على ترجمة ابن الخطيب مكتوبة بقلمه بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد، و على آله و صحبه و سلم تسليمًا يقول هذا الديوان، تعمّد الله خطله في ساعات أضعائها، و شهوة من شهوات اللسان أطاعها، و أوقات للاشتغال بما لا يعنيه، استبدل بها اللهو لما باعها:

أما بعد حمد الله الذي يغفر الخطيئة، و يحث من النفس اللجوج المطيئة، فيحرك ركابها البطيئة، و الصلاة على سيدنا و مولانا محمد ميسر سبل الخير القاصدة الوطيئة، و الرضا عن آله و صحبه منتهى القصد و مناخ الطيئة، فإني لما فرغت من تأليف هذا الكتاب الذي حمل عليه فضل النشاط، مع الالتزام لمرعاة السياسة السلطانية و الارتباط، و التفت إليه فراقني منه صوان درر، و مطلع غرر، قد تخلدت مآثرهم بعد ذهاب أعيانهم، و انتشرت مفاخرهم بعد انطواء زمانهم، نافستهم في اقتحام تلك الأبواب، و لباس تلك الأثواب، و قنعت باجتماع الشمّل بهم و لو في الكتاب. و حرصت على أن أنال منهم قربا، و أخذت من أعقابهم أدبا و حبا، و كما قال: ساقى القوم آخرهم شربا، فأجريت نفسي مجراهم في التعريف، و حدوت بها حدوهم في باب النسب و التصريف، بقصد التشریف، و الله لا يعدمني

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٧٤

و إياهم واقفا يترحم، و ركاب الاستغفار بمنكيه يزحم، عندما ارتفعت وظائف الأعمال، و انقطعت من التكتسيبات حبال الآمال، و لم يبق إلا رحمة الله التي تنتاش النفوس و تخلصها، و تعينها بميسم السعادة و تخصصها، جعلنا الله ممن حسن ذكره، و وقف على التماس ما لديه فكره، بمنه.

المؤلف: محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السيلمانى. قرطبي الأصل، ثم طليطليه، ثم لوشيه، ثم غرناطيه. يكنى أبا عبد الله، و يلقب من الألقاب المشرقية بلسان الدين.

أوليتي: يعرف بيتنا في القديم بنى وزير، ثم حديثا بلوشه بنى الخطيب.

انتقلوا مع أعلام الجالية القرطبية، كحبي بن يحيى الليثي و أمثاله، عند وقعة الرّيض الشهيرة إلى طليطلة، ثم تسربوا محومين على

وطنهم، قبل استيلاء الطاغية عليها، فاستقرّ منهم بالموسطة الأندلسية جملة من النبهاء، تضمّن منهم ذكر خلف، كعبد الرحمن قاضي كورة باغة، وسعيد المستوطن بلوشة، الخطيب بها، المقرون اسمه بالتسويد عند أهلها، جاريا مجرى التسمية بالمركب، تضمّن ذلك تاريخ الغافقي وغيره. و تناسل عقبهم بها، و سكن بعضهم بمنتفريو، مملكين إياها، مختطين قبل التحصين و المنعة، فنسبوا إليها. و كان سعيد هذا، من أهل العلم، و الخير و الصلاح، و الدين و الفضل، و زكاء الطعمة. و قفى الشيخ المسنّ الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٧٥

الوزير أبو الحكم بن محمد المنتفريدي، رحمه الله، و هو بقيه هذا البيت و إخباريه، على جدار برج ببعض ربي أملاكنا بلوشة، تطأه الطريق المارة من إغرناطة إلى إشبيلية، و قال: كان جدك يربع بهذا المكان فصولا من العام، و يجهر بقراءة القرآن، فيستوقف الزفق المدلجة، الحنين إلى نعمته، و الخشوع لصدقه، فتعزّس رحالها لصق جداره، و تريح ظهرها موهنا، إلى أن يأتي على ورده. و توفي، و قد أصيب بأهله و حرمة، عندما تغلب العدو على بلده عنوة في خبر طويل. و قفت على مكتوبات من المتوكل على الله، محمد بن يوسف بن هود، أمير المسلمين بالأندلس، [القائم بها بدعوة الأئمة من ولد العباس، رضى الله عنهم، و من ولده أبى بكر الواثق بالله ولى عهده،] فى غرض إعانتة، و الشفاعة إلى الملكة زوج سلطان قشتالة، بما يدل على نباهة قديم و يفيد إثارة عبرة، و استقالة عثره. و تخلف ولده عبد الله، جاريا مجراه فى التجلّة، و التمعش من حرّ النّشب، و التزيى بالانقباض، و التحلى بالنزاهة، إلى أن توفي، و تخلف ولده سعيد جدنا الأقرب، و كان صدرا خيرا، مستوليا على خلال حميدة، من خطّ و تلاوة وفقه، و حساب، و أدب، و ناس جيرته من بنى الطنجالى الهاشميين، و تحوّل إلى غرناطة، عندما شعر بعملهم على الثورة، و استطلاعهم إلى التزوّة التى خضدت الشوكة، و استأصلت منهم الشّافة، و صاهر بها الأعيان من بنى أضحى بن عبد اللطيف الهمداني، أشراف جند حمص، الداخلين إلى الجزيرة فى طليعة بلج بن بشر القشيري، و لحقه من جزاء منافسيه، لما جأهروا السلطان بالخلعان، اعتقال أعتبه السلطان بعده و أحظه على تفتته، و ولّاه الأعمال النّبيهة، و الخطط الرّيفية. حدّثنى من أئقه، قال: عزم السلطان أن يقعد جدك أستاذًا لولده، فأنفت من ذلك أمّ الولد، إشفاقا عليه من فظاظه كانت فيه. ثم صاهر القواد من بنى الجعدالة على أمّ أبى، و تمتّ إلى زوج السلطان بينوة الخوولة، فنبه القدر، و انفسحت الحظوة، و انتاب البيت الرؤساء و القرابة. و كان على قوّة شكيمة، و صلابة مكسرة، مؤثرا للحمول، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٧٦

محبيا فى الخير. حدّثنى أبى عن أمه، قالت: قلّما تهنأنا نحن و أبوك طعاما حافلا لإيثاره به من كان يكمن بمسجد جواره، من أهل الحاجة، و أحلاف الضرورة، يهجم علينا منهم بكل وارش، يجعل يده ثنى يده، و يشركه فى أكيلته، ملتدًا بموقعها من فؤاده. توفي فى ربيع الآخر من عام ثلاثة و ثمانين و ستمائة، صهرته الشمس مستسقيًا فى بعض المحول، و قد استغرق فى ضراعتة، فدلت الحنف على نفسه.

و تخلف والدى، نابتا فى الترف نبت العليق، يكفنه رعى أيم، تجرّ ذيل النعمة، و تحنو منه على واحد تحذر عليه الحولى من ولد الذر، ففاته لترفه حظّ كبير من الاجتهاد. و على ذلك فقرا على الخطيب أبى الحسن البلوطى، و المقرئ أبى عبد الله بن مستقور، و أبى إسحاق بن زورال، و خاتمة الجلّة أبى جعفر بن الزبير، و كان يفصله. و شارك أهل عصره فى الزواية المستدعاة عن أعلام المشرق، كجار الله أبى اليمن وغيره. و انتقل إلى لوشة بلد سلفه، مقيما للرسم، مخصوصا بلقب الوزارة، مرتبًا بعادة الترف، إلى أن قصدها السلطان أبو الوليد، متخطيا إلى الحضرة، هاويا إلى ملك البيضة، و أجزل نزله، و عضد أمره، و أدخله بلده، لدواع يطول استقصاؤها. و لمّا تم له الأمر، صحبه إلى دار ملكه، مستأثرا بشقص عريض من دنياه. و كان من رجال الكمال، طلق الوجه، أنيق المجلس، حلو النادرة، مستوليا على كثير من الخصل، متجنّدا مع الظرف، تضمّن كتاب «التاج المحلى» و «الإحاطة» جزءا رائعا من شعره، و فقد فى الكائنة العظمى بطريف، يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى عام أحد و أربعين و سبعمائة، ثابت الجأش، غير جزوع و لا هيباء. حدّث الخطيب بالمسجد الجامع من غرناطة، الفقيه أبو

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٧٧

عبد الله بن اللوشى، قال: كبا بأخيك الطرف يومئذ، و قد غشى العدو، و جنحت إلى إردافه، فانحدر إليه والدك و صرفنى، و قال: أنا أولى به، فكان آخر العهد بهما .

و خلفنى على الدرجة، شهير الخطء، مشمولاً بالقبول، مكنوفاً بالعناية، «و إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها». فقلدنى السلطان كتابة سرّه، و لما يجتمع الشباب، و يستكمل السن، معززة بالقيادة، و رسوم الوزارة، و استعملنى فى السفارة إلى الملوك، و استتابنى بدار ملكه، و رمى إلى يدي بخاتمه و سيفه، و ائتمنى على صوان ذخيرته و بيت ماله، و سجوف حرمه، و معقل امتناعه. و من فصول منشوره: «و أطلقنا يده على كل ما جعل الله لنا النظر فيه». و لما هلك، قدس الله روحه، ضاعف ولده، مولاي رضى الله عنه، حظوتى، و أعلى مجلسى، و قصر المشورة على نصحى، إلى أن كانت عليه الكائنة، فاقتدى فى، أخوه المتغلب على الأمر، فسجل الاختصاص، و عقد القلادة، ثم قطع الإبقاء، و عكس الاختصاص، و حل القلادة، لما حمله أولو الشحنة من أعوان ثورته على القبض على، فكان ذلك، و قبض على، و نكث ما أبرم من أمانى، و اعتقلت بحال ترفيه. و بعد أن كبست المنازل و الدور، و استكثر من الحرس، و ختم على الأغلاق، و أبرد إلى ما نأى، فاستوصلت نعمة لم تكن بالأندلس من ذوات النظائر و لا ربّات الأمثال، فى تبخر الغلة، و فراهة الحيوان، و غبطة العقار، و نظافة الآلات، و رفعة الثياب، و استجادة العدة، و وفور الكتب، إلى الآنية و الخرشى، و الفرش، و الماعون، و الزجاج، و المحكم و الطيب، و الذخيرة، و المضارب، و الأقيية . و اكتسحت السائمة، و ثيران الحرث، و ظهر الحمولة، و قوام الفلاحة، و أذواد الخيل، فأخذ الجميع

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٧٨

البيع، و تناهبتها الأسواق، و صاحبها البخس، و رزأتها الخونة، و شمل الخاصة و الأقارب الطلب، و استخلصت القرى و الجنّات، و أعملت الحيل، و دسّت الإخافة، و طوّقت الذنوب، و أمّد الله بالصبر، و أنزل السكينة، و انصرف اللسان إلى ذكر الله تعالى، و تعلّقت الآمال به، و طبقت نكبة مصحفية، مطلوبها الذات، و سبب إفاتها المال، حسبما قلت عند إقالة العشرة، و الخلاص من الهفوة:

[الطويل]

تخلّصت منها نكبة مصحفية لفقدانى المنصور من آل عامر

و وصلت الشفاعة فى مكتبة بخط ملك المغرب، و جعل خلاصى شرطاً فى العقدة، و مسالمة الدولة، فانقلت صحبة سلطانى المكفور الحقّ إلى المغرب. و بالغ ملكه فى برى، و اغيا فى حلة رعى منزلاً-رحبا، و عيشاً حفصاً، و إقطاعاً جمّاً، و جراية ما وراءها مرمى، و جعلنى بمجلسه صدرًا. ثم أسعف قصدى فى تهنىء الخلوء بمدينة سلا، منوّه الصير كوك، مهناً القرار، متفقداً باللهى و الخلع، مخوّل العقار، موفور الحاشية، مخلى بينى و بين إصلاح معادى، إلى أن ردّ الله تعالى على السلطان أمير المسلمين أبى عبد الله ابن أمير المسلمين أبى الحجاج ملكه، و صير إليه حقّه، و صرف إليه كرسيه، فطالبنى بوعد ضربته، و عهد فى القدوم عليه بولده أحكمته، و لم يوسعنى عذراً، و لا فسح فى الترك مجالاً. فقدمت عليه بولده، فى اليوم الأغز المحجّل، و قد ساءه بإمساكه رهينة ظنّه، و نغص مسرة الفتح بعده، على حال من التقشف، و الرغبة عمياً بيده، و عزف عن الطمع فى الكسب و زهد فى الزّهد، حسبما قلت، فى بعض المقطوعات فى مخاطبته، شكر الله عنى فضله:

[الكامل]

قالوا لخدمته دعاك محمد فكرهتها و زهدت فى التّوبه

فأجبتهم أنا و المهيمن كاره فى خدمة المولى محبّ فيه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٧٩

عاهدت الله على ذلك، و شرحت صدرى إلى الوفاء به، و جنحت إلى الانفصال لبيت الله الحرام نشيدة أملى، و مرمى تيتى، فعلق بى

علق الكرمه، و صارفنى بدار العبره، و خرج لى عن الضروره، و ارانى أن مؤازرته أبر القربه، و راكننى إلى عهد بخطه، فسح لعامين أمد الثواء، و اقتدى بشعيب صلوات الله عليه، فى خطب الزيادة، و على تلك النسبه، و أشهد من حضر من العليه. ثم رمى إلى بعد ذلك مقاليد رأيه، و حكم عدلى فى اختبارات عقله، و غطى على جفائى بحلمه، و حثا فى وجوه شهورته بتراب زجرى، و وقف القبول على وعظى، و استنزل هواى فى التحول، نايبا عن قصدى، و اعترف بقبول نصحى، فاستعنت الله عليه، و عاملت وجهه فيه، من غير تلبس بخديعه، و لا تشبث بولايه، مقتصرًا على الكفايه، حذرا من التقد، حامل المركب، معتمدا على المنسأه، مستمتعا بخلق التعل، راضيا بغير التبيه من الثوب، مشفقا من موافقه الغرور، هاجرا للزخرف، صادعا بالحق فى أسواق الباطل، كآفا عن السخال براثن السباع، مفوتا للأصول فى سبيل الصدقه. ثم صرفت الفكر إلى بناء الزاويه و المدرسه و التربه، بكر الحسنات بهذه الخطه، بل بالجزيره فيما سلف من المده، فتأتى بمنه الله من صلاح السلطان، و عفاف الحاشيه، و نشر الأمن، و روم الثغور، و تميم الجبايه، و إنصاف الحماء و المقاتله، و مقارعه الملوك المجاوره فى إيتار المصلحه الدينيه، و الصّدع فوق المنابر، ضمنا عن السلطان بترياق سم الثوره، و إصلاح بواطن الخاصيه و العاميه ما الله المجازى عليه، و المعوض من سهر خلعتة على أعطافه، و كد أعملته من جزائه، و خطر اقتحمته من أجله، لا للثريد الأعفر، و لا للجرد تمرح فى الأرسان، و لا للبدر تنقل الأكتاد، فهو الذى لا يضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى، سبحانه إليه الرجعى، و الآخره و الأولى. و مع ذلك فقد عادت هيف إلى أديانها من الاستهداف للشرور، و الاستعراض للمحذور، و النظر الشّر المنبعث من خزر العيون، شيمه من ابتلاه الله بسياسه الدهماء،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٨٠

و رعايه سخطه أرزاق السماء، و قتله الأنبياء، و عبده الأهواء، ممن لا يجعل لله إرادة نافذه، و لا مشيئه سابغه، و لا يقبل معذره، و لا يجمل فى الطلب، و لا يتلبس مع الله بأدب. ربنا لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا، و الحال إلى هذا العهد، و هو أول عام أحد و سبعين و سبعمائه، على ما ذكرته، أداله الله بحال السّلامه، و بفيأه العافيه، و التمتع بالعباده، و ربك يخلق ما يشاء و يختار. و قال الشاعر: [مجزوء الكامل]

و على أن أسعى و ليس على إدراك النجاح

و لله فينا سرّ غيب نحن صائرون إليه، ألحفنا الله بلباس التقوى، و ختم لنا بالسّبعاده، و جعلنا فى الآخره من الفائزين. نفتت عن بثّ، و تأوّهت عن حمى، ليعلم بعد المنقلب قصدى، و يدلّ مكتبى على عقدى.

ذكر بعض ما صدر لى من التشريعات الملوكيه أيام تآبشى بهذه الغرور

من ذلك ظهير من مولاي السلطان أبى عبد الله، عندما صار له أمر والده المقدّس أبى الحجاج، رحمه الله عليه، و قد ثبت فى المحمدين، فى اسم السلطان، أيده الله، فلينظره هنالك من تشوّف لاحتفاله و احتفائه، و ظاهر برّه و اعتناؤه. و كتب إلى مخبرا بما فتح الله عليه، قبل الوصول إليه:

«من أمير المسلمين أبى عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبى الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبى الوليد بن نصر، أيده الله أوامرهم، و نصر أجنادهم المظفره و عساكرهم، و خلّد مفاخرهم الكريمه و ماثرهم.

«إلى ولينا فى الله تعالى، الذى نعلم ما له فى الإخلاص لجانبنا من حسن المذاهب، و نعتدّ به اعتدادا يتكفّل بنجاح المقاصد و المآرب، و خلاصتنا، الذى ننشئ على مجده البعيد الغايات، فى الشّاهد و الغائب، الفقيه، الوزير الجليل، الصّدر الأوحد المثل، العالم العلم الأوحد، الرّفيح الشهير، الحسيب الأصيل، الماجد الأثيل الخطير، الخطيب البليغ الكبير، الأوحد، الحافل الفاضل الكامل، إمام البلغاء، و صدر الخطباء، و علم العلماء، و كبير الرؤساء، الحبيب المخلص، الأوّد الأصفى،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٨١

أبي عبد الله ابن الوزير الفقيه الجليل، الأعرّ الأرفع، الماجد الأسمى، الصّيدر الحافل، الفاضل الكامل، الأعلى الكبير، الخطير الأثير، الأرضى، المعظم الموقر، المبرور المقدس، المرحوم الشهيد، أبي محمد بن الخطيب، و صل الله سعده، و حرس مجده، سلام عليكم، و رحمة الله و بركاته.

أما بعد حمد الله، وليّ الحمد و أهله، و ناصر الحقّ، و مطلع أنواره، من آفاق رحمته و فضله، و قاهر كل باغ، و خازله و مذكّله. و الصلاة على سيّدنا و مولانا محمد، صفوة أنبيائه، و خاتم رسله، المبعث بالهدى و دين الحق، ليظهره على الدّين كلّ، نبى الرحمة، الذى ببركة محبّته لنا الأمانة، فى جمع الدّين و نظم شمله، و بفضيلة جاهه عدنا إلى أرفع رتبة ملكنا، و أعلى محلّه. و الرضا على آله و صحبه، المقتدين بهديه فى أمرهم كله. فكتبنا إليكم، كتب الله لكم، عزّا لا- يبلى جديده، و سعدا لا- ينقطع مزيده. من حمرائنا بغرناطة، حرسها الله و مهدها، و لا متعرّف بفضل الله سبحانه إلّا ما عود من أطفاه الخفية، و أسدى من صنائعه السّنية، و عنايته التى كفلت ببلوغ الأمانة. و الحمد لله كثيرا، كما ينبغى لجلاله، و يليق بصفات كماله، و عندنا من إجلالكم، ما يليق بكمالكم، و من المعرفة بمقداركم، ما يعرب عن حسن اعتقادنا فى كريم نجاركم، و من قدر أحسابكم، ما يلزم بسببه تعظيم جنابكم. و إلى هذا وصل الله سعدكم، و حفظ مجدكم، فإننا بحسب الودّ الذى نصل لمعاليتكم، و الحب الذى نضاعفه فيكم، خاطبناكم بهذا المكتوب بشرح ما منّ الله علينا من الفتح العظيم الذى أشرق به أقطار هذه البلاد، و ما منّ به من العودة إلى ملكنا المتوارث عن كرام الآباء و الأجداد، و ما أنعم به من قهر ذوى الشّقاق و العناد. و ذلك أنّا، أعزّكم الله، طال علينا المقام برنده، و لم نزل نوجه إلى أهل الحصون التى بغربى مالقة و غيرهم، نقصّ عليهم ما ألزمهم الله من الوفاء ببيعتنا، و نحدّثهم عار النكث لطاعتنا، إلى أن آوأن الفرج، و نفذ قضاء الله و قدره، بالعودة إلى ما كنا تغلبنا عليه. فاقتضى نظرنا أن خرجنا إلى مالقة فى مائتى فارس، فما وصلنا واديتها، و علم بنا أهلها، إلّا و خرج لنا جميعهم، ملتبين بالبيعة، فرحين بقدمنا. و فى الحين بادرننا لقتال القصبه حتى استخلصت و أنزل من فيها بنواحيها. و ليوم آخر، و صلتنا بيعات أهل الجهات التى توالياها، من أنتقيرة، و لوشة، و بلّش، و صالحه، و قمارش، و الحميّة، و سائر الحصون الغربية، فلمّا وصل الخبر إلى الغادر الخاسر، خاف و ذعر، و رأى أن لا ملجأ له إلّا أن يفرّ، فجمع شردمته، و ألف حاشيته، و خرج عن الحمراء ليلا فى ليلة الخميس الماضى، قريبا من التاريخ، هاربا إلى أرض الكفّار. و فى صبيحة الليلة، ووجه إلينا أهل حضرنا، و توجهت الأجناد إلى بيعتنا، و انصرفنا إلى دار ملكنا، و حللناها يوم

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٨٢

السبت الماضى، من غير حرب و لا- قتال، بل بفضل الله تعالى، ذى العظمة و الجلال. و عزّفناكم بذلك، لتأخذوا بحظكم من هذه المسرّة الكبرى، إذ أنتم الحبيب الذى لا يشكّ فيه، و الخلاصة، الذى نعلم صدق خلوصه و تصافيه، و الله يصل سعودكم، و يحفظ وجودكم، و السلام الكريم عليكم، و رحمة الله و بركاته.

و كتب فى يوم الأربعاء الرابع و العشرين لجمادى الثانية، من عام ثلاثة و ستين و سبعمائة.

و عند استقرارى لديه، و قدومى عليه، أصدر لى هذا الظّهير الكريم، بما يظهر من فصوله:

«هذا ظهير كريم، أقام مراسم الوفاء، و أحيا معالم الحقّ الفسيحة الأرجاء، و قلص ظلال الجود المتكاثفة الأفياء، و جلى بأنوار الحقّ ظلم الظّلم و الاعتداء، و أدّى الأمانة إلى أهلها إذ كانت متعينة الأداة. أمر بتسوية إنعامه، و إبرام أحكامه، أمير المسلمين عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبى الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبى الوليد بن نصر، أعلى الله مقامه و شكر إنعامه، لولّى مقامه، و محلّ إجلاله و إعظامه، كبير دولته، و فخر مملكته، و مشيد سلطانه، و عين زمانه، ظهيره الذى ببركاته أنجحت مقاصده، و حامل لواء وزارته الذى بيمن رأيه عذبت مصادره و موارد، الفقيه الأجلّ الوزير المثيل، الماجد الأثيل، الحسيب الأصيل، العالم العلم، الطاهر الظاهر، العظيم المفاخر، الكريم المآثر، إمام البلاغة، و فارس البراعة و اليراعة، فخر الرئاسة، و مدبّر فللك السياسة، الخطيب الحافل، الصّدر الفاضل الشّمائل، الحبيب الخالص، الأودّ الأصفى، أبى عبد الله محمد ابن الوزير الجليل الأوحّد الأعلى، الصّدر الكبير الخطير

الشهير الأسنى، الحافل الفاضل، الظاهر الطاهر، السامى الأرقى، المعظم الموقر، الشهيد المقدس السعيد، أبى محمد بن الخطيب، وصل الله سعادته، وحرس مجادته، وحفظ رتبته الرفيعة ومكانته، وبلغه أمله الأرضى وإرادته. لما كان أبقاه الله مدبر ملك المولى أبیه، وظهره الذى لم يزل يدنيه ويصطفيه، و عماده الذى ألقى إليه مقاليد الملك، حين علم أنه صدر الأولياء واسطة السيلك، و وزيره الذى اعتمده بإدارة أمره، و ركن إلى مناصحته فى سرّه و جهره، و قلده نجاد الوزارتين، و حلّاه بحلى الرئاستين، فاكتفى منه عن الأثر بالعين، و نشر له لواء الولايتين، فتلقاه بيمينه، و قام مضطلعا بأمره قيام الأسد دون عرينه.

و حين انعقد هذا الأمر العلى، قام بسياسة ملكه أحسن قيام و أوفاه، و أداره فأصاب فى إدارته مرمى السداد الذى لم يوافقه إلّا إياه. و استولى فى هذه الميادين على غاية الكمال، و اضطلع بالرئاسة و السياسة اضطلاع أفاذ الرجال. و لم يزل يدفع عن حماه، الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٨٣

و يذبّ عن حوزته بما يحبّه الله و يرضاه، حتى انتظمت بالسعود أفلاكه المنيفة و أملاكه، و دارت بالتأييد أفلاكه. و لما كان الشقى الغادر الذى اغتصب الحقّ، و طهر منه الطرق، قد جار على جانب المعتمد به فى ماله، و تعدّى بالبغى على حاله، ظلما و عدوانا، و جورا و طغيانا، لم يقدم، أيده الله، عملا، عند العودة إلى ملكه المؤيد، و سلطانه الأسعد، و فخره المجدد المؤيد، و أخذ الله تعالى له، من الظالم أعظم الثار، و أمده بإعلامه و إظهاره بأعظم الأنصار، على أن صرف عليه جميع أملاكه التى خلصت له بالشرع موجباتها، و وضعت فى سبيل الاستحقاق بيناتها، مما كان الغادر قد غصبه له و انتهبه، و قطع بالباطل عنه سببه، و مكّنه، أيده الله، منها باحتيازها، و تولّى لنفسه إحرازها، و عاد بهذا التسويغ الملكى يوم عودتها إليه خيرا من أمسه، هنأه الله الانتفاع بها فى العمر الطويل، و حفظها عليه و على عقبه، يتملكها الجيل منهم بعد الجيل. و هى كذا و كذا، بداخل الحضرة و خارجها، و كذا و كذا من البلاد. سوغ إليه، أيده الله، ذلك تسويغا شرعيا، و رفع به عنه الأغراض، رفعا كلياً أبدياً، و تبرأ من حق يتعلّق به، أو شبهه تنطرق بسببه. فليتصرف، أعزه الله، فى ذلك بما شاء من أنواع التصرفات، على ما توجه السنّة الواضحة الآيات، من غير حجر عليه، و لا تعقب لما لديه. و شمل حكم هذا التسويغ الجسيم، و الإنعام العميم، جميع ما يستغلّ على الأرض و الجنّات و الكروم، و الثمرات من العوائد المستقبلية عليها، و الغلات، شمولاً تاماً، مطلقاً عاماً، و أن يكون هذا ثابتاً صحيحاً، و من الشكّ مزيحاً، و حكمه على الأيام، و اتصال الشهور و الأعوام، متصل الدوام. كتبنا خطّ يدنا شاهداً بامضائه، و سجّلنا الحكم باستقلاله و اقتضائه. فليعلم ذلك من يقف عليه، و يعتبر ما لديه. و ذلك فى اليوم الثانى لرمضان المعظم من عام ثلاثه و ستين و سبعمائة. صح هذا.

و لما قضى الله بالانصراف إلى العدو الغريب، صدرت عن سلطانها أمير المسلمين أبى سالم منشورات ربيعة منها، و قد تشوّفت إلى مطالعة بلاده الغريبة، و جهاتها المراكشيّة، بقصد لقاء أهل الصلاح و العبادة، و زيارة ملاحد السادة، ما نصّه: «هذا ظهير كريم أشاد بالتنبؤ الفسيح المجال، و الإكرام السابغ الأذيال، و أعاد النعم بعد إبدائها عميمة النوال، و وارفة الظلال، و ألقى فى يد المعتمد به صحيفة الاعتناء حميدة المقال، مقتضبة ديوان الآمال، و رفع له لواء الفخر العزيز المنال، على

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٨٤

النظراء و الأمثال. حكم بإعماله، و إمضاء أمره الكريم و امتثاله، عبد الله المستعين بالله إبراهيم ابن مولانا أمير المسلمين، المجاهد فى سبيل الله رب العالمين، أبى الحسن ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين أبى سعيد ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين أبى يوسف بن عبد الحق. أيده الله أمره، و أعزّ نصره، للشيخ الفقيه الأجلّ، الأعزّ الأسنى، الوزير الأمد الأتوه المحترم، الملحوظ، الأثير الأكمل، السرى الحظىّ الذكى الأخلص، أبى عبد الله ابن الشيخ، الوزير، الفقيه الأجلّ، الأعزّ الأسنى الأمد، الحسيب الأصيل، الأتوه الأتزه، الأثير الأكمل، المبرور المرحوم أبى محمد بن الخطيب، وصل الله حظوته، و والى عزّته.

جدّد له الحظوة التى يفضى لباسها، و صحح بنظر البرّ و الإكرام قيامها و شيّد بمباني الحفاية التى مهّد أساسها، لما وفد على بابه

الكريم عائذا بجواره، و ملقيا في ساحة العز المشيد عصا تسيار و مجريا في ميدان التنا جياذ أفكاره، و معتمدا على نظرنا الجميل في بلوغ آماله و حصول أوطاره، فسحنا له في ميدان البرّ و الترحيب فبلغ مداه، و أنس في حضرتنا الكريمة أنوار العناية التي كانت هداه، و أحللتاه من بساطنا المحلّ الذي اشتمل به العزّ و ارتداه، و كمل له الأمل و وقاه. و أدنا له تفننا في إسداء التعم الثرة، و تلقى وفادته بوجوه القبول و المبرّة، في زيارة التربة المقدّسة بشالة المعظمة، حيث ضريح مولانا المقدّس، و من معه من أسلافنا الكرام، نور الله مثواهم، و جعل في الجنة مأواهم. و هذا الغرض الجميل، و إن عدّ من أنواع التكريم، و الإحسان العميم، فهو السعي الذي تصرف إليه وجوه القبول و الرضا و الاهتمام، و الرغبة التي يصفى لها موارد الإسعاف عذوبة الحمام، و التقرب الذي تؤثره مهاد البرّ المستدام، و لفاعله مزيّة الاعتناء و التقديم، و جزاء القيام بخدمة سلفنا الكريم، و قد أدنا له في مشاهدة تلك الجهات من حضرتنا العليّة إلى مرآكش المحروسة للقاء الأعلام، و اجتلاء المعاهد الكرام، و الآثار الباقية على الأيام، كيف أحبّ و على ما شاء من إراحه أو إمام، مصحبا بمن ينوّه به في طريقه من الخدّام تنويها للكرامة و تعديدا، و تجديدا للعناية و تأكيدا. فليعلم بذلك، ما له في بابنا الكريم من الاعتناء، و ما اعتدنا لمحبي أسلافنا الكرام من الجزاء، و يجري في جميع مآربه و أحواله على التهجّج السواء، مراعى حال إياه إلى مقرّه من حضرتنا العليّة، و محلّه من بساطنا الأشرف، و عرضه أعمال القائمين ببرّه، و أكرمنا بين أيدينا، فيجنى المبادرة إلى توفيه آماله، و ثمره أعماله، و يقابل القائم بمبرّته، و الله المستعان. و كتب بالمدينة البيضاء، مهدها الله، في الحادي

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٨٥

و العشرين لربيع الثاني عام أحد و ستين و سبعمائة. و ليعتمد لوزيرنا الشيخ الأجلّ الحظي الأكمل أبو الحسن علي بن العباس، أكرمه الله، على أن يدخله إلى المساكن العلية بقصبة مراكش، حرسها الله، ليشاهد الآثار السلطانية التي انتظمت في سلكنا، و عفى عليها جديد ملكنا، فليعلم ذلك، و ليعمل به، و الله المستعان، و كتب في التاريخ المؤرخ به.

و جرّ هذا الإنعام دنيا عريضة، تفتقت فيها المواهب، و وضحت من اشتهاها المذاهب، شكر الله نعمته، و والى على تربته رحمته.

و صدر لى عن المتصير إليه أمره ما نصّه، و هو بعض من جملة، و نوع من أجناس مبرّة:

«هذا ظهير كريم، نظم العناية و وصلها، و أجمل الرعاية و فصّلها، و أحرز مواهب السعادة و حصّلها، أمر بإيرامه، و الوقوف عند أحكامه، عبد الله المتوكل على الله محمد، أمير المسلمين، المجاهد في سبيل ربّ العالمين، ابن مولانا الأمير عبد الرحمن ابن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل ربّ العالمين أبي الحسن، ابن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل ربّ العالمين أبي سعيد، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل ربّ العالمين، أبي يوسف بن عبد الحق، أيده الله و نصره، و سنى له الفتح المبين و يسّره، للشيخ الفقيه الأجلّ، الأسنى الأعزّ، الأخطى و الأرفع، الأمجد الأسنى، الأنوه الأرقى، العالم العلم، الرئيس الأعراف، المتفتن الأبرع، المصنّف المفيد، الصدر الأحفل، الأفضل الأكمل، أبي عبد الله، ابن الشيخ الفقيه الوزير الأجلّ، الأسنى الأغرّ، الأرفع الأمجد، الوجيه الأنوه، الأحفل، الأفضل، الحسيب الأصيل الأكمل، المبرور المرحوم أبي محمد بن الخطيب، أيده الله بوجه القبول و الإقبال، و أضفى عليه ملابس الإنعام و الإفضال، و رعى له خدمة السيلف الرفيع الجلال، و ما تقزّر من مقاصده الحسنه في خدمة أمرنا العال، و أمر في جملة ما سوّغ من الآلاء الوارفة الظلال، الفسيحة المجال، بأن يجدد له حكم ما بيده من الأوامر المتقدم تاريخها، المتضمنه تمشية خمسمائة من الفضة العشرية في كل شهر، عن مرتّب له و لولده الذي لنظره، من مجبى مدينة سلا، حرسها الله، في كل شهر، من حيث جرت العادة أن يتمشى له، و رفع الاعتراض بابها فيما يجلب من الأدم و الأقوات على اختلافها، من حيوان و سواه، و فيما يستفيدة خدامه بخارجها و أحوازها من عنب و قطن و كتان، و فاكهه و خضر و غير ذلك، فلا يطلب في شيء من ذلك بمغرم و لا وظيف، و لا يتوجه فيه إليه بتكليف. يتصل له حكم ما ذكر في كل عام، تجديدا تاما، و احتراما عاما، أعلن بتجديد الحظوة و اتصالها، و إتمام التعمه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٨٦

و إكمالها، من تواريخ الأوامر المذكورة إلى الآن، و من الآن إلى ما يأتي على الدوام، و اتصال الأيام، و أن يحمل جانبه فيمن يشركه أو يخدمه محمل الرعى، و المحاشاة من الشيخة متى عرضته، و الوظائف إذا افترضت، حتى يتصل له تالد العناية بالطارف، و تتضاعف أسباب المنن و العوارف، بفضل الله، و تحرر له الأزواج التي يحرتها، تبالغت من كل وجيبه، و يحاش من كل مغرم أو ضريبة، بالتحريز التام، بحول الله و عونه. و من وقف على هذا الظهير الكريم، فليعمل بمقتضاه، و ليمض ما أمضاه، إن شاء الله. و كتب في العاشر لشهر ربيع الآخر من عام ثلاثة و ستين و سبعمائة. و كتب في التاريخ.

و هذا و مثله، لولا- أنه أحفظ ربما انتفع العقب بوضمها، و رمى غرض الإغفال بسهمها، لم يعن بها، من يرى أن لا جدوى إلا في التقوى، و أن يد الله من هذه الأسباب الضعيفة أقوى.

و أما ما رفع إلى من الموضوعات العلمية، و الوسائل الأدبية، و الرسائل الإخوانية، لما أقامني الملك صنما يعبد، و جبلا إليه يستند، صادرة عن الأعلام، و حملة الأقلام، و رؤساء الثار و النظام، فجم يضيق عنه الإحصاء، و يعجز عن ضم نشره الاستقصاء. فربما تضمن هذا الكتاب- كتاب الإحاطة- هذا منه كثيرا، منظوما و نثرا، جرى في أثناء الأسماء، و انتمى إلى الإجابة أكبر الانتماء. غفر الله لي و لقائله، فما كان أولاني و إياه بستر وزره، و إغراء الإضراب بغروره، فأهون بما لا ينفع، و إن ارتفع الكلم الطيب لا يدفع، اللهم تجاوز عنا بكرمك و فضلك .

المشيخة: قرأت كتاب الله، عز و جل، على المكتب، نسيج وحده، في تحمّل المنزل حقّ حمله، تقوى و صلاحا، و خصوصية و إتقانا، و نعمة، و عناية

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٨٧

و حفظا، و تبخرا في هذا الفن، و اضطلاعا بضرائبه، و استيعابا لسقطات الأعلام، الأستاذ الصالح أبي عبد الله بن عبد الولي العواد، كتبا ثم حفظا، ثم تجويدا، إلى مقرئ أبي عمرو، رحمه الله عليهما. ثم نقلني إلى أستاذ الجماعة، و مطية الفنون، و مفيد الطلبة، الشيخ الخطيب أبي الحسن القيحاوي، فقرأت عليه القرآن و العريية، و هو أول من انتفعت به. و قرأت على الحسين الصدر أبي القاسم بن جزى. و لازمت قراءة العربية و الفقه و التفسير، على الشيخ الأستاذ الخطيب أبي عبد الله بن الفخار البيري، الإمام المجمع على إمامته في فن العربية، المفتوح عليه من الله فيه، حفظا، و اضطلاعا، و نقلا و توجيها، بما لا مطمع فيه لسواه.

و قرأت على قاضي الجماعة الصدر المتفّن أبي عبد الله بن بكر، رحمه الله. و تأدبت بالشيخ الرئيس صاحب القلم الأعلى، الصالح الفاضل، أبي الحسن بن الجيّاب.

و رويت عن كثير ممن جمعهم الزمان بهذا القطر من أهل الزوايه، كالمحدّث أبي عبد الله بن جابر، و أخيه أبي جعفر، و القاضي الشهير بقيه السلف، شيخنا أبي البركات ابن الحاج، و الشيخ المحدّث الصالح أبي محمد بن سلمون، و أخيه القاضي أبي القاسم بن سلمون، و أبي عمرو ابن الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، و له رواية عالية. و الأستاذ اللغوي أبي عبد الله بن بيش، و المحدّث الكاتب أبي الحسين التلمساني، و الشيخ الحاج أبي القاسم بن البناء، و العدل أبي محمد الزرقون، يحمل عن الإمام ابن دقيق العيد، و القائد الكاتب ابن ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم، و القاضي المحدّث الأديب، جملة الطّرف، أبي بكر بن شبرين، و الشيخ أبي عبد الله بن عبد الملك، و الخطيب أبي جعفر الطنجالي، و القاضي أبي بكر بن منظور، و الزاوية أبي عبد الله بن حزب الله، كلّهم من مالقة، و القاضي أبي عبد الله المقرئ التلمساني، و الشريف أبي علي حسن بن يوسف،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٨٨

و الخطيب الرئيس أبي عبد الله بن مرزوق، كلّهم من تلمسان. و المحدّث الفاضل الحسين أبي العباس بن يربوع السبتي، و الرئيس أبي محمد الحضرمي السبتي، و الشيخ المقرئ أبي محمد بن أيوب المالقي، آخر الرواة عن ابن أبي الأحوص، و أبي عثمان بن ليون من ألمرية، و القاضي أبي الحجاج المنتشاقري من أهل رنده، و طائفة كبيرة من المعاصرين، و من أهل العدو الغربية و المشرق،

الكثير بالإجازة. وأخذت الطبّ و التّعالم و صناعة التعديل عن الإمام أبي زكريا بن هذيل ، و لازمته. هذا على سبيل الإمام . و لو تفرّغت لذكرهم ، لخرج هذا التقييد عمّا وضع له.

التوايف: من ذلك : «اللمحة البدرية، في الدولة التصرية»، و «الحلل المرقومة»، و «مثلى الطريقة»، و «السحر و الشعر»، و «ريحانة الكتاب» في أسفار ثمانية، و كتاب «المحبة» في سفرين، و «الصيّب و الجهام» مجموع شعري، و «معيار الاختيار»، و «مفاضلة بين مالقة و سلا». و «رسالة الطاعون»، و «المسائل الطيبة»، سفر. و «الرجز في عمل الترياق». و «اليوسفى في الطب»، في سفرين. و «التاج المحلى»، في سفر. و «نفاضة الجراب»، في أربعة أسفار. و «البيزرة» في سفر. و «البيطرة» في سفر، جامع لما يرجع إليها من محاسن الخيل، و غير ذلك. و رسالة «تكوين الجنين». و «الوصول، لحفظ الصحة في الفصول». و «رجز الطب».

و «رجز الأغذية». و «رجز السياسة». و كتاب «الوزارة»، و «مقامة السياسة». و كتاب «الإحاطة» هذا في خمسة عشر سفرا. إلى ما صدر منى في هذا العهد القريب، و هي «الغيرة، على أهل الحيرة»، و «حمل الجمهور، على السنن المشهور». و «الزبدة الممخوضه»، و «الزيمه». و «الزرد على أهل الإباحه»، و «سدّ الذريعة، في تفضيل الشريعة». و «تقرير الشبه، و تحرير المشبه». و «استنزال اللطف الموجود، في سر الوجود».

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٨٩

و من التوايف الصادرة قديما : «بستان الدول»، و هو موضوع غريب، ما سمع بمثله، قلّ أن شدّ عنه فنّ من الفنون، يشتمل على شجرات عشر: أولها شجرة السلطان، ثم شجرة الوزارة، ثم شجرة الكتابة، ثم شجرة القضاء و الصلاة، ثم شجرة الشرطه و الحسبه، ثم شجرة العمل، ثم شجرة الجهاد، و هو فرعان، أسطول و خيول.

ثم شجرة ما يضطر باب الملك إليه من الأطباء، و المنجمين، و البيازرة، و البياطرة، و الفلاحين، و الندماء، و الشطرنجيين، و الشعراء و المغنين. ثم شجرة الرعايا. و تقسيم هذا كله غريب، يرجع إلى شعب و أصول، و جراثيم و عمد، و قشر و لحاء، و غصون، و أوراق، و زهرات مثمرات و غير مثمرات، مكتوب على كل جزء من هذه الأجزاء اسم الفن المراد به. و برنامجه صورة بستان، كمل منه نحو ثلاثين جزءا تقارب الأسفار، ثم قطع عنه الحادث على الدولة. و «أبيات الأبيات». و «فتات الخوان، و لقط الصوان» في سفر، يتضمن المقطوعات. و «عائد الصلة» في سفرين، وصلت به «صلة» الأستاذ أبي جعفر بن الزبير. و «تخليص الذهب في اختيار عيون الكتب الأدبيات». و «جيش التوشيح». و «طرفه العصر، في دولة بني نصر»، ثلاثة أسفار. إلى غير ذلك، حتى في الموسيقى و سواها. هذر كتّف به الحجاب، و لعب بالنفس الإعجاب، و ضاع الزمان و لا تسل بين الرّد و القبول و النفي و الإيجاب. و لله درّ القائل : [السرّيع]

و الكون أشراك نفوس الورى طوبى لنفس حرّة فازت

إن لم تحز معرفة الله قدأورطها الشيء الذى حازت

و كلّ ميسر لما خلق له، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم.

هذا ، و قد ذكرت مؤلفات ابن الخطيب، التى أوردها فى ختام ترجمته لنفسه، بصور مختلفه، وفقا لتواريخ كتابتها، و قد أورد لنا المقرئ منها صورة ربّبت على نمط آخر، و بها زيادات لم ترد فى نسخة الإسكوريال مما يدلّ على أن نسخة الإحاطة التى وردت بها، قد كتبت فى وقت لاحق. و قد رأينا أن نقلها فيما يلى:

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٩٠

التوايف: «التاج المحلى، فى مساجله القده المعلى». و «الكتيبة الكامنة، فى أدباء المائة الثامنة». و «الإكليل الزاهر، فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر». ثم «التفايه، بعد الكفايه»، هذا فى نحو «الفلاند» و «المطمحين» لأبى نصر الفتح بن محمد. و «طرفه العصر، فى دولة بنى نصر»، فى أسفار ثلاثة. و «بستان الدول» موضوع غريب ما سمع بمثله ... (الخ الأوصاف التى وردت فى البيان السابق).

و ديوان شعري في سفرين، سمّيته الصَّيْب و الجهام، و الماضي و الكهام». و النثر في غرض السلطانيات كثير. و الكتاب المسمّى ب «اليوسفي في صناعة الطّب» في سفرين كبيرين، كتاب ممتع، و «عائد الصّلة»، وصلت به صلة الأستاذ أبي جعفر ابن الزبير، في سفرين. و كتاب «الإحاطة بما تيسّر من تاريخ غرناطة»، كتاب كبير في أسفار تسعة، هذا متّصل بآخرها. و «تخليص الذهب، في اختيار عيون الكتب الأدبيات الثلاثة». و «جيش التّوشيح» في سفرين. و من بعد الانتقال إلى الأندلس، و ما وقع من كساد الدولة: «نفاضة الجراب في علالة الاغتراب»، موضوع جليل في أربعة أسفار.

و كتاب «عمل من طبّ، لمن حبّ»، و منزلته في الصناعة الطّيبية، بمنزلة كتاب أبي عمرو بن الحاجب المختصر في الطريقة الفقهيّة، لا نظير له. و من الأراجيز المسمّاة ب «رقم الحلل في نظم الدول». و الأرجوزة المسمّاة ب «الحلل المرقومة، في اللمع المنظومة»، ألفيّة من ألف بيت في أصول الفقه. و الأرجوزة المسمّاة ب «المعلومة»، معارضة للمقدمة المسمّاة ب «المجهولة»، في العلاج من الرأس إلى القدم، إذا أضيفت إلى رجز الرئيس أبي علي، كملت بها الصّناعة كمالا لا يشينه نقص. و الأرجوزة المسمّاة ب «المعمّدة، في الأغذية المفردة». و الأرجوزة في «السياسة المدنيّة». إلى ما يشدّ عن الوصف، كالجز «في عمل الترياق الفاروقى»، و «الكلام على الطاعون المعاصر»، و «الإشارة»، و «قطع السلوك»، و «مثلى الطريقة، في ذمّ الوثيقة». حتى في الموسيقى و البيطرة و البيزرة. هذر به كثف الحجاب، و لعب بالنفس الإعجاب، و لله درّ القائل: الشعر السابق ذكره.

الشعر: من ذلك قولى في الجناب الكريم النبوى، شرفه الله، و هو من أوليات نظمى فى ذلك الغرض : [الكامل]

هل كنت تعلم فى هبوب الريح نفسا يؤجج لاجع التّبريح؟

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٩١ أهدتك من مشج الحجاز تحية غاضت لها عرض الفجاج الفيح

بالله قل لى كيف نيران الهوى ما بين ريح بالفلاة و شيخ؟

و خضيبه المنقار تحسب أنها نهلت بمورد دمعى المسفوح

باحث بما تخفى و ناحت فى الدّجى فرأيت فى الآفاق دعوة نوح الإحاطة فى أخبار غرناطة؛ ج ٤؛ ص ٣٩١

نطقت، بما يخفيه قلبى، أدمعى و لطالما صمتت عن التّصريح

عجبا لأجفانى حملن شهادة عن خافت بين الضلوع جريح

و لقلما كتبت رواه مدامعى فى طزيتها حلية التّجريح

جاد الحمى بعدى و أجراع الحمى جود تكلّ به متون الريح

هنّ المنازل ما فؤادى بعدها سال، و لا وجدى بها بمرح

حسبى ولو عا أن أزور بفكرتى زوارها و الجسم رهن نزوح

فأبتّ فيها من حديث صبايتى و أحتّ فيها من جناح جنوحى

و دجنّة كادت تضلّ بنى الشّرى لولا وميضا بارق و صفيح

رعشت كواكب جوّها فكأنها ورق تقلّبها بنان شحيح

صابرت منها لجة مهما ارتمت و طمت رميت عابها بسبوح

حتى إذا الكفّ الخضيب بأفقهامسحت بوجه للصباح صبيح

شمت المنى و حمدت إدلاج السّرى و زجرت للآمال كلّ سنيح

فكأنما ليلى نسيب قصيدتى و الصّبح فيه تخلّص لمديح

لمّا حطّطت لخير من وطئ الثرى بعنان كلّ مولّد و صريح

رحمى إله العرش بين عبادته و أمينه الأرضى على ما يوحى

و الآية الكبرى التي أنوارها ضاءت أشعتها بصفحة يوح
 ربّ المقام الصدق و الآي التي راقت بها أوراق كلّ صحيح
 كهف الأنام إذا تفاقم معضل مثلوا بساحة بابه المفتوح
 يردون منه على مثابه راحم جمّ الهبات عن الذنوب صفوح
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٩٢ لهفي على عمر مضى أنضيته في ملعب للتّهات فسيح
 يا زاجر الوجناء يعتسف الفلاو الليل يعثر في فضول مسوح
 يصل السرى سبقا إلى خير الوري و التركب بين موسد و طريح
 لى فى حمى ذاك الصريح لبانه إن أصبحت لبنى أنا ابن ذريح
 و بمهبط الزوح الأمين أمانة اليمن فيها و الأمان لروحي
 يا صفوة الله المكين مكانه يا خير مؤتمن و خير نصيح
 أقرضت فيك الله صدق محبتي أ يكون تجرى فيك غير ربيح؟
 حاشا و كلاً أن تخيب وسائلى أو أن أرى مسعاى غير نجيح
 إن عاق عنك قبيح ما كسبت يدى يوما فوجه العفو غير قبيح
 و اخجلتا من حلبة الفكر التي أغريتها بغرامى المشروح
 قصرت خطاها بعد ما ضمرتها من كلّ موفور الجمام جموح
 مدحتك آيات الكتاب فما عسى يثنى على عليك نظم مديحى
 و إذا كتاب الله أثنى مفصحا كان القصور قصار كلّ فصيح
 صلى عليك الله ما هبت صبا فهفت بغصن فى الرياض مروح
 و استأثر الرحمن جلّ جلاله عن خلقه بخفى سرّ الروح
 و أنشدت السلطان ملك المغرب ليله الميلاد الأعظم من عام ثلاثة و ستين و سبعمائة هذه القصيدة: [الطويل]
 تألق نجدياً فأذكرنى نجداً و هاج بى الشوق المبرح و الوجد
 و مبيض رأى برد الغمامة معقلاً فمدّ يداً بالتبر أعلمت البردا
 تبسم فى مجريّة قد تجهمت فما بذلت وصلاً و لا ضربت وعدا
 و راود منها فاركا قد تنعمت فأهوى لها نصلاً و هددها رعدا
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٩٣ فحلّتها الحمراء من شفق الضحى نضاها و حلّ المزن من جيدها عقدا
 لك الله من برق كأنّ وميضه يد الساهر المقرور قد قدحت زندا
 تعلم من سكانه شيم الندى فغادر أجراء الحمى روضة تندی
 و توج من نوارها قنن الربا و ختم من أزهارها القضب الملدا
 لسرعان ما كانت مناسف للصابق قد ضحكت زهرا و قد خجلت وردا
 بلاد عهدنا فى قرارتها الصبايقل لذاك العهد أن يألف العهدا
 إذا ما التّسيم اعتلّ فى عرساتها تناول فيها البان و الشّيح و الرّندا
 فكّم فى مجانى وردها من علاقة إذا ما استثيرت أرضها أنبتت وجدا
 إذا استشعرتها النفس عاهدت الجوى إذا ما التّمحتها العين عاقدت السّهدا

و من عاشق حرّ إذا ما استماله حديث الهوى العذرى صيره عبدا
و من ذابل يحكى المحبين رقة فيثني إذا ما هب عرف الصبا قدا
سقى الله نجدا ما نضحت بذكرها على كبدى إلّا وجدت لها بردا
و آنس قلبى فهو للعهد حافظو قلّ على الأيام من يحفظ العهدا
صبور و إن لم يبق إلّا ذبالة إذا استقبلت مسرى الصبا اشتعلت و قدا
صبور إذا الشوق استجاد كتيبه تجوس خلال الصبر كان لها بندا
و قد كنت جلدا قبل أن يذهب النوى ذمائي و أن يستأصل العظم و الجلدا
أ أجد حقّ الحبّ و الدمع شاهدو قد وقع التسجيل من بعد ما أدّى؟
تأثر فى إثر الحمول فريده فلله عينا من رأى الجوهر الفردا
جرى يققا فى ملعب الخدّ أشهبوا أجهده ركض الأسى فجرى وردا
و مرتحل أجريت دمعى خلفه ليرجعه فاستنّ فى إثره قصدا
و قلت لقلبي: طر إليه برقعتى فكان حماما فى المسير بها هدّا
سرت صواع العزم يوم فراقه فلجّ و لم يرقب صواعا و لا ودّا
و كحلت عيني من غبار طريقه فأعقبها دمعا و أورثها سهدا
إلى الله كم أهدى بنجد و حاجرو أكنى بدعد فى غرامى أو سعدي
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٩٤ و ما هو إلّا الشوق ثار كمينه فأذهل نفسا لم تبين عنده قصدا
و ما بى إلّا أن سرى الركب موهناو أعمل فى رمل الحمى النّصّ و الوخدا
و جاشت جنود الصبر و البين و الأسى لدى فكان الصبر أضعفها جندا
و رمت نهوضا و اعتزمت مودّعافصدنى المقدور عن وجهتى صدّا
رقيق بدت للمشترين عيوبه و لم تلتفت دعواه فاستوجب الرّدا
تخلّف عنى ركب طيبة عانيا ما آن للعانى المعنى بأن يفدى؟
مخلّف سربى قد أصيب جناحه و طرن فلم يسطع مراحا و لا مغدى
نشدتك يا ركب الحجاز، تضاءلت لك الأرض مهما استعرض السهب و امتدّا
و جمّ لك المرعى و أذعنت الصوى و لم تفتقد ظلّا ظليلا و لا وردا
إذا أنت شافهت الديار بطيبة و جئت بها القبر المقدّس و اللّحدا
و آنست نورا من جناب محمد يجلّى القلوب الغلف و الأعين الرّمدا
فنب عن بعيد الدار فى ذلك الحمى و أذر به دمعا و عقر به خدّا
و قل يا رسول الله عبد تقاصرت خطاه و أضحى من أحبّته فردا
و لم يستطع من بعد ما بعد المدى سوى لوعة تعتاد أو مدحة تهدى
تداركه يا غوث العباد برحمة فجودك ما أجدى و كفّك ما أندى
أجار بك الله العباد من الرّدى و بؤأهم ظلّا من الأمن ممتدّا
حمى دينك الدّنيا و أقطعك الرضاو توجّك العليا و ألبسك الحمدا
و طهر منك القلب لّمّا استخصّه فجلّله نورا و أوسعه رشدا

دعاه فما ولى هداه فما غوى سقاه فما يظما، جلاه فما يصد
تقدّمت مختاراً، تأخّرت مبعثاً فقد شملت علياً وك القبل و البعدا
و علّه هذا الكون أنت، و كلّ ما أعاد و أنت القصد فيه و ما أبدى
و هل هو إلّا مظهر أنت سرّه ليمتاز فى الخلق المكبّ من الأهدى
ففى عالم الأسرار ذاتك تجتلى ملامح نور لاح للطور فانهدا
و فى عالم الحسن اغتديت مبولّثشفى من استشفى و تهدي من استهدى
فما كنت لو لا أن ثبتّ هداية من الله مثل الخلق رسما و لا حدّا
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٩٥ فماذا عسى يثنى عليك مقصّرو لم يأل فيك الله شكرا و لا حمدا
بماذا عسى يجزيك هاو على شفامن النار قد أسكنته بعدها الخلدا
عليك صلاة الله يا خير مرسل و أكرم هاد أوضح الحقّ و الرّشدا
عليك صلاة الله يا كاشف العمى و مذهب ليل الشّرك و هو قد اربدا
إلى كم أرانى فى البطالة كانعاو عمرى قد ولى، و وزرى قد عدّا
تقضى زمانى فى لعلّ و فى عسى فلا عزمه تمضى و لا لوعه تهدا
حسام جبان كلّما شيم نصله تراجع بعد العزم و التزم الغمدا
ألا ليت شعرى هل أرانى ناهدا أفود القلاص البدن و الضّامر التّهدا
رضيع لبان الصدق فوق شمله مضمره و سدّت من كورها مهدا
فتهدى بأشواقى السّراه إذا سرت و تحدى بأشعارى الرّكاب إذا تحدى
إلى أن أحطّ الرّحل فى تربك الذى تضوّع ندّا ما رأينا له ندّا
و أطفىء فى تلك الموارد غلّتى و أحسب قريبا مهجة شكت البعدا
بمولدك اهترّ الوجود فأشرقت قصور ببصرى ضاءت الهضب و الوهدا
و من رعبه الأوثان خرّت مهابة و من هوله إيوان كسرى قد انهدا
و غاض له الوادى و صبّح عزّه بيوتا لنار الفرس أعدمها الوقدا
رعى الله منها ليلة أطلع الهدى على الأرض من آفاقها القمر السّعدا
و أقرض ملكا قام فينا بحقّها لقد أحرز الفخر الموثل و المجدا
و حيّا على شطّ الخليج محلّة يحالف من ينتابها العيشة الرّغدا
و جاد الغمام العدّ فيها خلائفا ما أثرهم لا تعرف الحصر و العدّا
علينا و عثمان و يعقوب، لا عدارضى الله ذاك التّجل و الأب و الجدّا
حموا و هم فى حومه البأس و التّدى فكانوا الغيوث المستهله و الأسدا
و لله ما قد خلّفوا من خليفه حوى الإرث عنهم و الوصيّه و العهدا
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٩٦ إذا ما أراد الصّعب أغرى بنيه صدور العوالى و المطهّمه الجردا
فكم معتد أردى و كم تائه هدى و كم حكمة أخفى و كم نعمة أبدى
أبا سالم، دين الإله بك اعتلى أبا سالم، ظلّ الإله بك امتدّا
فدم من دفاع الله تحت وقاية كفاك بها أن تسحب الحلق الشردا

و دونكها منى نتيجة فكرة إذا استرشت للنظم كانت صفا صلدا
و لو تركت منى الليالى صباة لأجهدتها ركضا و أرهقتها شدا
و لكنه جهد المقل على الثوى و قد أوضح الأعدار من بلغ الجهدا

و من ذلك قصيدة أنشدتها مولاي السلطان الغنى بالله بمحضرى بالمشور الحافل، المتخذ بعد الرجوع إلى الأندلس، فى بعض ليالى
المولد الكريم، المنوه بوليمتها، و هى خاتمة النظم فى هذا الغرض المقتضى للإمام، بمدح السلطان، صرف الله وجوهنا إليه :
[الخفيف]

ما على القلب بعدكم من جناح أن يرى طائرا بغير جناح
و على الشوق أن يشب إذا هب بأنفاسكم نسيم الصباح
جيرة الحى، و الحديث شجون و الليالى تلين بعد الجماح
أ ترون السلو خامر قلبى بعدكم لا و فائق الإصباح
و لو انى أعطى اقتراحى على الأيام ما كان بعدكم باقتراحى
ضايقتنى فيكم صروف الليالى و استدارت على دور الوشاح
و سقتنى كأس الفراق دهاقفى اغتباق مواصل باصطباح
و استباح من جدتى و فتائى حرما لم أخله بالمستباح
قصفت صعدة انتصارى و فلت غرب عزمى المعد يوم كفاحى
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٩٧ لم تدع لى من السلاح سوى مغفر شيب أهوى به من سلاح
عاجلتنى به و فى الوقت فضل لاهتزازى إلى الهوى و ارتياح
فكأن الشباب طيف خيال أو وميض قما عقيب التماح
ليل أنس دجى و أقصره ليل جاذبت برده يمين صباح
صاح و الوجد مشرب و الورى صففان من منتش و آخر صاح
يا ترى و النفوس أسرى الأمانى ما لها عن وثاقها من سراح
هل يباح الورود بعد ذيادة؟ أو يتاح اللقاء بعد انتزاح؟
و إذا أعوز الجسم التلاقى ناب عنه تعارف الأرواح
جاء عهد الهوى من السحب هام مستهل الوميض ضافى المناخ
كلما أخضل الربوع بكاء ضحكت فوقها ثغور الأقاحى
عادنى من تذكّر العيد عيد كان منى للعين عيد الأضحى
سفحت فيه للدموع دماهى فوق الخدود ذات انسياح
و ركاب سروا و قد شمل الليل بمسح الدجى جميع التواحى
و كأن الظلام عسكر زنج و نجوم الدجى نصول الرماح
حملت منهم ظهور المطايا أى جد بحث و عزم صراح
ستروا الوجد و هو نار و كان الستر يجدى لولا هبوب الرياح
خلفونى من بعدهم يائس الطرف ثقيل الخطا مهيض الجناح
و جدوها مثل القسى ضموراقد برت منهم سهام قداحى

و طووا طوع باعث الوجد و الشوق إلى الأبطحي غير البطاح
مصطفى الكون من ظهور التبيين هداة الأنام سبل الفلاح
حجة الله حكمه الله سر الله في كل غاية و افتتاح
حاشر الخلق عاقب الرسل المثبت بالله بعدهم و الماحي
صاحب المعجزات لا يتمارى العقل فى آى للحسان صحاح
من جماد يقرأ و قمر يشقّ و من الماء من بنان الرّاح
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٩٨ دعوة الأنبياء منتظر الكون و دعوى البشير باستفتاح
مظهر الوحي مطلع الحق معنى الخلق فتح المهيمن الفتح
أى غيث من رحمة الله هام و سراج بهديه و ضاح
ما الذى يشرح امرؤ فى رسول عاجل الله صدره بانسراح؟
شقّه الروح ثم طهر منه القلب من بعد بالبرود القراح
مدحتك الرسل أيا خاتم الرسل فمن لى بعدها بامتداح؟
و لعجز النفوس عن درك الحق و إيقافها و قوف اقتضاح
صلوات الإله يا نكتة الكون على مجدك اللباب القراح
عدد القطر و الرمال و ماعاقب دهر غدوه برواح
و جزاك الإله أفضل ما يجزى كرام الأئمة النصّاح
أسفى كم أرى طريد ذنوب أوبقتنى فليس لى من براح
قد غزتنى الخطوب غزو الأعادى و برتنى الهموم برى القداح
سبق الحكم و استقلّ و هل يمحي قضاء قد خطّ فى الألواح؟
لا لدنيا جنحت ألهو فيها لا لدين خلصت لا لصالح
قاطعاً فى الغرور برهه عمري خسرت صفقتى و خاب قداحى
طمع الشيب باللجام المحلى حين أبديت أن يردّ جماحى
فأبت نفسى اللجوج و جدت فى سمو إلى الهوى و طماح
يا طيب الذنوب تدبيرك الناجع فى علّتى ضمّين النّجاح
يا مجلى العمى و كافى الدواهى و مداوى المرضى و آسى الجراح
سدّ باب القبول دونى و ما لى يا غياثى سواك من مفتاح
خصّك الله بالكمال و زند الكون لم تقترن بكفّ اقتداح
قبل أن يوجد الوجود و أن يتحف بالثور ظلمة الأشباح
و أضاءت من بعد ميلادك الأرض و هزّت له اهتزاز ارتياح
فسرى الخصب فى الجسوم الهزالي و جرى الرسل فى الضروع الشحاح
و لقد روعيت لديه حقوق أقطعتها العدا جناب أطراح
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٣٩٩ لمعالى محمد بن أبى الحججاج ليث العدا و غيث السّماح
ناصر الحقّ مرسل النّفع سحبايين سمر القنا و بيض الصّفاح

و مرید الجیاد أرض الأعدى و هی مختالة لفرط المراح
یتلاعین بالظلال عراباغذیت فی الفلا لبان اللقاح
یا سراج النادی و حتف الأعدى و عماد الملك الکریم المنّاح
جمع الله من حلی آل عباس لعلیاک فی سبیل امتداح
بین رأى موفّق و اعتزام مستعین و صارم سفّاح
و خفضت الجناح فی الأرض حتی لم تدع فوق ظهرها من جناح
أنت مصباحها و نور دجاها دافع الله عنک من مصباح
محصّ الله منک یاقوته الملك و ینبوع العدل و الإصلاح
بخطوب أرت حدیث سلیمین و جاءت بالحادث المجتاح
بیدى فاقد الحجا هلهل النّسج أخی جرأه و ربّ اجترّاح
نال منها عقبی مسیلمة الكذّاب إذ عاند الهوى و سجاح
ثم ردّ الأمور ردّاً جمیلاً لک من بعد فرقة و انتزّاح
فاجره فی الوری الجمیل و عامل منه کنز الغنی و مثنوی الزّیاح
و اشتر الحمد بالمواهب و اعقد عقدها فی مطنة الأریاح
برکات السماء تبتدر الأرض إذا استودعت بدور السّماح
و تهناً منه بدنیاً سعیداً جاء للمعلوات وفق اقتراح
و تمتّع منه بهالة ملک أطلعت منک أی بدر لیاح
مشور الزّأى مجمع الحفل مثنوی کلّ ذمر و سید جحجّاح
و مقام السّلام فی مدة السّلم و غاب الأسود یوم الکفّاح
ملتقى حکمة و ملعب إلهام و مغنی السّرور و الأفراح
أین کسرى و أین ایوان کسرى؟ لا یغلّ الخضمّ بالصّحّاح
الإحاطة فی أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٠٠ أین نور الأبدان من عنصر النار إذا ما اعتبرته یا صاح
بنیه کان فضلها لک مذخوراً کزهر الرّیاض فی الأدواح
حین طاب الزّمان و اعتدل الفصل استجدّت و بادرت بافتتاح
هاکها قد تتوّجت بالمعانی و اکتست حلّة اللّغات الفصاح
حین غاض الشّباب و ارتجع الفکر و ضاق الخطو العریض السّاح
جهد قلب لفقّت بعد جهاد نقطة من قلبیه الممتّاح
و معانی البیان منّ عذارى لا یبح للشّیوخ عقد نکاح
مع شیخ سوى الرجوع إلى اللّه و نجوى أهل التقى و الصّلاح
و لزوم الباب الذی یجبر الکسر و وصل السّؤال و الإلحاح
و علی ذاک فهی ساحرة الأحداق ترى بكلّ خود رداح
تنفث السّحر فی الجفون و تهدی طرر الحسن فی الوجوه الملاح
دمت فی عزّة و رفعة قدرین مغدی موفّق و مراح

ما تولت دهم الدجنة غدواو جرت خلفهن شهب الصباح

و من غرض الأمداح قولى فى امتداح سلطان المغرب أبى عنان، لما توجهت إليه رسولا، محملا مصالح البلاد و العباد، و استدعى الشعر منى فقلت :

[الكامل]

أبدى لداعى الفوز وجه منيب و أفاق من عدل و من تأنيب

كلف الجنان إذا جرى ذكر الحمى و البان حنّ له حين التيب

و النفس لا تنفك تكلف بالهوى و الشيب يلحظها بعين رقيب

رحل الصبا فطرحت فى أعقابه ما كان من غزل و من تشيب

أ ترى التغزل بعد أن ظعن الصباشانى الغداة أو التسيب نسيبى ؟

أتى لمتلى بالهوى من بعد ماللوخط فى الفودين أى ديب

لبس البياض و حلّ ذروه منبرمنى و والى الوعظ فعل خطيب

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٠١ قد كان يسترنى ظلام شيبتي و الآن يفضحنى صباح مشيبى

و إذا الجديدان استجدّا ألبيا من لبسة الأعمار كلّ قشيب

سلنى عن الدهر الخؤون و أهله تسل المهلب عن حروب شيب

متقلب الحالات فاخبر تقله مهما أعدت يدا إلى تقلب

فكل الأمور إذا اعترتك لربها ما ضاق لطف الربّ عن مربوب

قد يخبأ المحبوب فى مكروهها من يخبأ المكروه فى المحبوب

و اصبر على مضض الليالى إنها الحوامل سيلدن كلّ عجب

و اقنع بحظّ لم تنله بحيلة ما كلّ رام سهمه بمصيب

يقع الحريص على الردى و لكم غدا ترك التسيب أنفع التسيب

من رام نيل الشىء قبل أوانه رام انتقال يللمم و عسيب

فإذا جعلت الصبر مفزع معضل عاجلت علته بطبّ طيب

و إذا استعنت على الزمان بفارس لبى نداءك منه خير مجيب

بخليفة الله الذى فى كفه غيث يروض ساح كلّ جديد

المنتقى من طينه المجد الذى ما كان يوما صرفه بمشوب

يرمى الصعاب بسعده فيقودها ذللا على حسب الهوى المرغوب

و يرى الحقائق من وراء حجابها لا فرق بين شهادة و مغيب

من آل عبد الحقّ حيث توشّحت شعب العلى و ربت بأى كتيب

أسد الشرى سرج الورى فمقامهم لله بين محارب و حروب

إما دعا الداعى و ثوب صار خا تابوا و أموا حومه التثويب

شهب ثواقب و السماء عجاجة مأثورها قد صحّ بالتجريب

ما شئت فى آفاقها من رامح يبدو و كفّ بالتجيع خضيب

عجبت سيوفهم لشدة بأسهم فتبسمت و الجوّ فى تقطيب

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٠٢ نظموا بلبات العلا و استوسقوا كالمزح أنبوا على أنبوب
تروى العوالى فى المعالى عنهم أثر الندى المولود و المكسوب
عن كل موثوق به إسناده بالقطع أو بالوضع غير معيب
فأبو عنان عن على نضه للثقل عن عثمان عن يعقوب
جاءوا كما اتسق الحساب أصاله و غدوا فذاك ذلك المكتوب
متجسدا من جوهر النور الذى لم ترم يوما شمسه بغروب
متألقا من مطلع الحق الذى هو نور أبصار و سر قلوب
قل للزمان و قد تبسم ضاحكا من بعد طول تجهم و قطوب
هى دعوة الحق التى أوضاعها جمعت من الآثار كل غريب
هى دعوة العدل الذى شمل الورى فالشاة لا تخشى اعتداء الذيب
لو أن كسرى الفرس أدرك فارسا للقى إليه بتاجه المعصوب
لما حلت بأرضه متمليا ما شئت من بز و من ترحيب
شمل الرضا فكان كل أقاحة تومى بثغر للسلام شنيب
و أتيت فى بحر القرى أم القرى حتى حطت بمرفأ التقريب
فأريت أمر الله من ظل التقى و العدل تحت سرادق مضروب
و رأيت سيف الله مطرور الشبا يمضى القضاء بحده المرهوب
و شهدت نور الحق ليس بأقل و الدين و الدنيا على ترتيب
و وردت بحر العلم يقذف موجه للناس من درر الهدى بضروب
لله من شيم كأزهار الزبي غب انثيال العارض المسكوب
و جمال مرأى فى رداء مهابة كالسيف مصقول الفرند مهيب
يا جنه، فارقت من غرفاتها دار القرار بما اقتضته ذنوبى
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٠٣ أسفى على ما ضاع من حظى بهالا تنقضى ترحاته و نحيبى
إن أشرق شمس شرقت بعبرتى و تفيض فى وقت الغروب غروبى
حتى لقد علمت ساجعة الضحى شجوى و جانحة الأصيل شحوبى
و شهادة الإخلاص توجب رجعتى لنعيمها من غير مس لغوب
يا ناصر الدين الحنيف، و أهله إنضاء مسغبة و فل خطوب
حقق ظنون بنيه فيك فإنهم يتعللون بوعدك المرقوب
ضاقت مذاهب نصرهم فتعلقوا بجناب عز من علاك رحيب
و دجا ظلام الكفر فى آفاقهم أو ليس صبحك منهم بقريب ؟
فانظر بعين العز من ثغر غدا حذر العدا يرنو بطرف مريب
نادتك أندلس و مجدك ضامن أن لا تخيب لديك فى مطلوب
غضب العدو بلادها و حسامك الماضى الشبا مسترجع المغصوب
أرها السوابح فى المجاز حقيقة من كل قعدة محرب و جنيب

يتأود الأسل المثقف فوقهاو تجيب صاهله رغاء نجيب
و النَّصر يضحك كلَّ مبسم غرّه و الفتح معقود بكلَّ سيب
و الزوم فارم بكلَّ نجم ثاقب يذكى بأربعها شواظ لهيب
بذمايل السلب التى تركت بنى زيّان بين مجدل و سليب
و أضف إلى لام الوغى ألف القناتظهر لديك علامة التّغليب
إن كنت تعجم بالعزائم عودهاعود الصّليب اليوم غير صليب
و لك الكتائب كالخمائيل أطلعت زهر الأسنه فوق كلّ قضيب
فمرنّح العطفين لا من نشوة و مورّد الخدين غير مريب
يبدو سداد الرأى فى راياتهاو أمورها تجرى على تجريب
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٠٤ و ترى الطيور عصائباً من فوقهاالحول يوم فى الضلال عصيب
هذبتها بالعرض يذكر يومه عرض الورى للموعد المكتوب
و هى الكتائب إن تنوسى عرضها كانت مدونه بلا تهذيب
حتى إذا فرض الجلاذ جلاده و رأيت ربح النَّصر ذات هبوب
قدّمت سالبة العدو و بعدها أخرى بعز النَّصر ذات وجوب
و إذا توسط نصل سيفك عندها جزأى قياسك فزت بالمطلوب
و تبرأ الشيطان لما أن علاحزب الهدى من حزبه المغلوب
الأرض إرث و المطامع جمه كلّ يهش إلى التماس نصيب
و خلائف التّقوى هم وراثها فإليها بالحظّ و التعصيب
لكأنتى بك قد تركت ربوعها قفرا بكرّ الغزو و التعقيب
و أقمت فيها مأتما لكنّه عرس لنسر بالفلاة و ذيب
و تركت مفلتها بقلب واجب رهبا و خدّ بالأسى مندوب
تبكى نوادبها و ينقلن الخطامن شلو طاغية لشلو صليب
جعل الإله البيت منك مثابة للعاكفين و أنت خير مثير
فإذا ذكرت كأنّ هبات الصّبا قضت بمدرجها لطيمه طيب
لولا ارتباط الكون بالمعنى الذى قصر الحجا عن سرّه المحجوب
قلنا لعالمك الذى شرفته حسد البسيط مزية التركيب
و لأجل قطر ك شمسها و نجومها عدلت عن التّشريق للتّغريب
تبدو بمطلع أفقها فضية و تغيب عندك و هى فى تذهب
مولاي، أشواقى إليك تهزنى و النار تفضح عرف عود الطيب
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٠٥ بحلى علاك أطلتها و أطبتهاو لكم مطيل و هو غير مطيب
طالبت أفكارى بفرض بديها فوفت بشرط الفور و التّرتيب
متبى أنا فى حلا تلك العلالكنّ شعرى فيك شعر حبيب
الطبع فحل و القريحة حرّة فاقبله بين نجيبه و نجيب

لكنني سهلتها و أدلتها من كل وحشي بكل ريب
هابت مقامك فاطيت صعبا حتى غدت ذللا على التدريب
إن كنت قد قاربت في تعديلها لا بد في التعديل من تقرب
عذري لتقصيري و عجزى ناسخ و يجعل منك العفو عن تريب
من لم يدن لله فيك بقربه هو من جناب الله غير قريب
و الله ما أخفيت حبك خيفة إلا و أنفاسي على تشي بي
و قولي في امتداح سلطاني لما احتفل لإعذار ولده، و استركب الفرسان لمزاملة الهدف الخشبي المتخذ في الجو المسمى بالطبلة، و
أرسل جوارح الأكلب الضخام، المجتلبه من أرض ألان، خلف فحول البقر الطاغية الشرس، تمسكها من آذانها و أجنابها، حتى تتمكن
منها الرجال، و غير ذلك من أوضاع الإعذار و جزئياته.

و هي آخر الشعر في هذا الغرض، لخبيل السلطان من تنزلي إلى ذلك، و ترفيهي عنه تجلة، أجله الله، و كزمه لديه : [الطويل]

شحطت وفود الليل بان به الوخط و عسكره الزنجي هم به القبط
أتاه وليد الصبح من بعد كبره أ يولد أجنى ناكل الجسم مشطاً؟
كأن النجوم الزهر أعشار سورة و من خطرات الرجم أثناءها مط
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٠٦ و قد وردت نهر المجرة سحرة غوائص فيه مثلما تفعل البط

و قد جعلت تفلتي بأنملها الدجي و يرسل منها في غدائره مشط
يحف عباب الليل عنها جواهر فيكثر فيها النهب للحين و اللقط
فعدت خيالاً مثلها، غير أنه من البث و الشكوى يبين له لغط
سرت سلخ شهر في تلفت مقله على كنب الأحلام تسمو و تنحط
لى الله من نفس شعاع و مهجة إذا قدحت لم يخب من زندها سقط
و نقطة قلب أصبحت منشأ الهوى و عن نقطة مفروضة ينشأ الخط
فأقسم لولا زاجر الشيب و النهى و نفس لغير الله ما خضعت قط
لريع لها الأحراس متى بطارق مفارقه شمط و أسيافه شمط
تناقله كوما سامية الدرى و يقذفه شهم من التيق منحط
و لولا النهى لم تستبن سبل الهدى و كاد وزان الحق يدركه الغمط
و لولا عوادى الشيب لم يبرح الهوى يهيجه نوء على الرمل مختط
و لولا أمير المسلمين محمدهالت بحار الزوع و احتجب الشط
ينوب عن الإصباح إن مطل الدجي و يضمن سقيا السرح إن عظم القحط
تقر له الأملاك بالشيم العلا إذا بذل المعروف أو نصب القسط
أرادوه فارتدوا و جاروه فانتوا ساموه فى مرقى الجلالة فانحطوا
تثر على المداح غر خلاله و ما رسموا فوق الطروس و ما خطوا
تعلم منه الدهر حاله فى الورى فأونة يسخو و آونة يسطو

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٠٧ و يجمع بين القبض و البسط كفه بحكمه من فى كفه القبض و البسط
خلايق قد طابت مذاقا و نفحة كما مزجت بالبارد العذب إسفنت

أسبط الإمام الغالبى محمداً يا فخر ملك كنت أنت له سبط
وقتك أواقى الله من كل غائل فأى سلاح ما المجن و ما اللمط
لقد زلزلت منك العزائم دولة أناخت على الإسلام تجنى و تشتط
إيالة غدر ضعضع الله ركنهاو نادى بأهلها التبار فلم يبطوا
على قدر جلّى بك الله بؤسهاو لا يكمل البحران أو ينضج الخلط
و كانوا نعيم الجنتين تفتياو أو لَمَا يقع منها النزول أو الهبط
فقد عَوْضوا بالأثل و الخمط بعدهاو هيهات أين الأثل منهم أو الخمط
فمن طائح فوق العراء مجدّل و من راسف فى القيد أرقه الضغط
أنمت على مهد الأمان عيونها فيسمع من بعد الشهاد لها غطّ
و صمّ صدى الدنيا فلما رحمتها تراحم مرتاد عليها و محتطّ
و ألحف منك الله أمّه أحمد أمانا كما يصفو على الغادة المرط
و أحكمت عقد السلم لم تأل بعده و جاء فصّح العقد و استوثق الرّبط
و أيقن مرتاب و أصحاب نافرو أذعن معتاص و أقصر مشتطّ
و لله مبناك الذى معجزاته أبت أن توافيها الشّفاه أو الخطّ
و أنست غريب الدار مسقط رأسه و من دون فرخيه القتادة و الخرط الإحاطة فى أخبار غرناطة؛ ج ٤؛ ص ٤٠٧
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٠٨ تناسبت الأوضاع فيه و أحكمت على قدر حتى الأرائك و البسط
فجاء على وفق العلا رائق الحلّى كما سمط المنظوم أو نظم السّمط
و لله إعدار دعوت له الورى فهتوا لداعيه المهيب و إن شطّوا
تقودهم الزّلفى و يدعوهم الرّضاو يحدوهم الخصب المضاعف و الغبط
و أغريت بالبهم العلاج تحفيا فلم يدّخر الشىء الغريب و لا السّمط
أت صوراً معلولة عن مزاجهاو أصل اختلاف الصّورة المزج و الخلط
قضيت بها دين الزمان و لم يزل الدّ كذوب الوعد يلوى و يشتطّ
و أرسلت يوم السّبق كلّ طمرّة كما ترسل الملمومة النّار و التّفط
رنت عن كحيل كالغزال إذا رناو أوفت بهاد كالظّليم إذا يعطو
و قامت على منحوتة من زبرجد تخطّ على الصّم الصّلاب إذا تخطو
و كلّ عتيق من تماثيل رومة تأنق فى استخطاطه القسّ و القمط
و طاعته نحر السّكاك أعانها على الكون عرق واشج و لحا سبط
تلّف حيات العصى إذا هوت فتعبانها لا يستتم له سرط
أزرت بها بحر الهواء سفينة على الجود لا الجودى كان لها حط
و طاردت مقدم الصّوار بجارج يصاب به منه الصّماخ أو الإبط
وجىء بشبل الملك ينجد عزمه عليه الحفاظ الجعد و الخلق السّبط
سمحت به لم ترع فرط ضنائه و فى مثلها من سنّة يترك الفرط
فأقدم مختاراً و حكّم عاذراو لم يشتمل مسك عليه و لا ضبط

و لو غير ذات الله رامته نضنضت قنا كالأفاعي الرقظ أو دونها الرقظ
و أسد نزال من ذؤابة خزرج بهاليل لا روم القديم و لا قبط
جلادهم مثني إذا اشتجر الوغى كأن رعاء بالعضاه لها خبط
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٠٩ ككتاب أمثال الكتاب تتاليفمن بيضها شكل و من سمرها نقط
دليلهم القرآن يا حبذا الهدى و رهطهم الأنصار يا حبذا الرهط
و بيض كأمثال البروق غمامها إذا وشحت سحب القتام دم عبط
و لكنه حكم يطاع و سنه و أعمال بر لا يليق بها الحبط
و ربه نقص للكمال ماله و لا غرو فالأقلام يصلحها القظ
فهنيته صنعا و دمت مملكاعزيزا تشيد المعلومات و تختط
و دون الذي يهدى ثناؤك في الوري من الطيب ما تهدي الألوه و القسط
رضيت و من لم يرض بالله حاكماضلالا فله الرضا و له السخط
حياتك للإسلام شرط حياته و لا يوجد المشروط إن عدم الشرط
و من أغراض النسب قولي في الأوليات و الله ولي المغفرة: [الطويل]
تعلقته من دوحه الجود و الباس قضيبا لعوبا بالزجاج و بالياس
دروبا بتصريف اليراعة و القناطروبا بحمل المشرفية و الكاس
يذكر فيه الصبح عند انصداعه جمال رواء في تأرج أنفاس
و يبدو لعيني شعره و جبينه إذا ما سفحت الحبر في صفح قرطاس
أجال من الشوق المبرح غارة على أربع من جنى صبرى أدراس
فظاهرت من سرد السقام ملامه و أوجفت من شفر الدموع بأمراس
لك الله من ربي طواك على الظما و من أمل لم أجن منه سوى ياس
و من قمر سعد عشوت لنوره فسعر أحشائي و صعد أنفاسي
إذا ما شرعت اللحظ نحوي عباس أقول لقلبي ضاع ما بين جلاسي
أيا عبد شمس الحسن هل لك قدرة على سطوة السفاح من آل عباس؟
سجمت على هول الغرام بمهجة تعامت فلم تدر النعيم من الياس
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤١٠ توهج نار الخد نار جوانحي و يعيث و سواس الحلبي بوسواس
يا قلب، صبيرا في الغرام و حسبه لمن تشكى بالداء و الممرض الآس
و مطلوله الأعطاف جرت ذبولها على مسكه من مسكه الغاسق القاسي
يحدق من أجفانه نرجس الربي و هدّد من آذانه ورق الآس
لعمرك ما أرى و قد ثقّف النهي إذا التبس الحقّ المبين بالياس
أ تلك شمال أم شمول مداره على كل غصن في الحديقة مياس؟
لقد ضعفت حلمي و لم أر نسمة تضعضع من هباتها جبل راس
رعى الله أجراء الحمى دار صبوتى و مربع آلامى و معهد إيناسى
فما كان فيه الوصل إلّا علالة كنبه مرتاح و نهبة خلّاس

و قالوا: أبعث العيش بعد فراقنا فلقت أدراني حياء على الرأس
 ثقوا بوفائي ما استقلت جوارحي و رعى ذمامي ما تماسك إحساسى
 و لا تعذروني إن نسيت عهدكم و إن رفع الله الجناح عن الناس
 فؤادى غنى بالوفاء و ربما تسجل فى صبرى وثيقه إفلاس
 لى الله من قلب خفوق معذب يرى أنّ ما بالموت فى الحبّ من باس
 تجول بنات الفكر حول خياله كما حفّ جوال الفراش بنبراس
 أفوض للرحمن أمرى فى الهوى و أعلق كفى من حماه بأمراس
 و آمل لطف الله فيه فإنه أبرّ بميثاق و أوفى بقسطاس
 و قلت فى النسب كذلك: [الطويل]

أما و خيال فى المنام يزورو إن كان عندى أنّ ذلك زور
 لقد ضقت ذرعا بالشوى بعد بعدكم على أننى للنائبات صبور
 أدافع فى شوقى و وجدى كتابا تزلزل رضوى عندها و ثبير
 سرايا إذا ما الليل مدّ رواقه على ساحة الصبر الجميل ثغير
 برى جسدى فيكم غرام و لوعه إذا سكن الليل البهيم ثثور
 و لا أننى إذ ما اهتدى نحو مضجعى خيالكم بالليل حين يزور
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤١١ و لو شئت فى طى الكتاب لزرتكم و لم تدر عنى أحرف و سطور؟
 تذكرت عهدا طال بعد انصرامه عليه الأسى و انجاب و هو قصير
 و قد طلعت للزاح فى ظلماته نجوم توالى حثهن بدور
 و تبنيتم الوصل فى روضة الرضا بليلا و أكواس السرور تدور
 و عهدا بعين الدمع للدمع بعده موارد فى آماقنا و بحور
 عهد منى غصّ الزمان بحسنها فغار عليها و الزمان غيور
 فيها أنا أستقرى الرياح إذا سرت ليخبرنى بالظاعنين خبير
 و إن خطّ وجدى من دموعى رسالة على صفح خدى فالنسيم سفير
 أيا رحله الصيف التى بجوانحى لها لهب لا ينقضى و سفير
 أحول منك الشهر حولاً على الورى و أصبحت الأيام و هى شهور؟
 و يا قلب، لا تطرح سلاحك رهبة فهل هى إلا أنه و زفير؟
 جنيت التوى لا عن ملال و لا قلى فمئلى بموصول الملام جدير
 و جردت عنى لبسه الوصل طاعوا كم شرق بالماء و هو نمير؟
 أ أحمد إن جلّ الذى بى من الجوى و أصبحت ما لى فى هواك نصير
 فلست من اللطف الخفى بيئس فكم من بكاء كان عنه سرور
 أتانى كتاب منك لا بل حديقه تفتأتها و الهجر منك هجير
 و أرسلت دمع العين حين قرأته فمناها أمامى روضة و غددير
 تكلفت فيك الصبر و الصبر معوزو هونت فيك الخطب و هو عسير

ولدت إلى الآمال و هي سفاهة و ملت إلى الأطماع و هي غرور
سألقي إلى أيدي الزمان مقادتي فيعدل في أحكامه و يجور
و إن الذي بالبعد أجرى قضاءه على جمع شملى كيف شاء قدير
فتدرك آمال و تقضى مآرب لدينا و تشفى باللقاء صدور
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤١٢

و قلت، و هي من القصائد التي تشتمل على أغراض غريبة: [الطويل]
عسى خطرة بالركب يا حادى العيس على الهضبة الشّماء من قصر باديس
لنظفر من ذاك الزلال بعلة و ننعم فى تلك الظلال بتعريس
حبست بها ركبى فواقا، و إنما عقدت على قلبى بها عقد تحبب
و قد رسخت آى الجوى فى جوانحى كما رسخ الإنجيل فى قلب قسيس
بميدان جفنى للسهاد كتيبة تغير على سرح الكرى فى كراديس
و ما بى إلا نفحة حاجرية سرت و الدجى ما بين و هن و تغليس
ألا نفس يا ريح من جانب اللوى ينفس من نار الجوى بعض تنفيس
و يا قلب، لا تلق السلاح فرماتعدّر فى الدهر أطراد المقاييس
و قد تعبت الأيام بعد عتابها و قد يعقب الله النعيم من البوس
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤١٣ و لا تخشى ليج الدمع، يا خطرة الكرى، على الجفن بل قيسى على صرح بلقيس
تقول سليمان: ما لجسمك شاحبا مقالة تأنيب يشاب بتأنيس
و قد كنت تعطو كلما هبت الصبا بریان فى ماء الشبية مغموس
و من رايح الأيام يا ابنه عامر يوجب الفلا قلت يداه بتفليس
فلا تحسى و الصدق خير سجية ظهور النوى إلا بطون النواميس
و منها:

و قفراء أما ركبها فمضلل و مربعها من آنس غير مأنوس
خبطنا بها من هضبة لقراره ضلالا و ملنا من كناس إلى خيس
و قد غمر الآل الرّحال كأنما تختب منه فى ضباب الدماميس
إذا ما نهضنا من مقيل غزاة نزلنا فعرّسنا بساحة عريس
أدرنا بها كأسا دهاقا من السرى أملنا بها عند الصّباح من الرّوس
و حانه خمّار هدانا لقصد هاشميم الحميا و اصطكاك التّواقيس
تطلع ربّاتها من جداره يهينم فى جنح الظلام بتقديس
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤١٤ بكرنا و قلنا إذ نزلنا بحانه عن الصّافات الجرد و الضّمّ العيس:

أيا عابد الناسوت، إنا عصابة أتينا لتثليث، بلى، و لتسدس
و ما قصدنا إلا المقام بحانه و كم ألبس الحقّ المبين بتلبس
فأنزلنا قوراء فى جنباتها محارب شتى لاختلاف النواميس
بدرنا بها طين الختام بسجدة أردنا بها تجديد حسرة إبليس

و طاف العذارى بالمدام كأنها قطا تتهادى فى ريش الطواويس
 و صارفنا فيها نضارا بمثله كأننا ملأنا الكاس ليلا من الكيس
 و قمنا نشاوى عندما متع الضحى كما نهضت غلب الأسود من الخيس
 فقال: لبس المسلمون ضيوفنا أما و أبيك الحبر ما نحن بالبيس
 و هل فى بنى مثواك إلّا مبرّز بلبه شورى أو بحلقه تدريس؟
 يحدّق تحت التّع مقله ضاحك إذا التقت الأبطال عن مقل شوس
 إذا هزّ عسال اليراعة فاتكا أسال نجيع الحبر فوق القراطيس
 سينا عقار الزوم فى عقر حانها بحيلة تمويه و خدعه تدليس
 لئن أنكرت شكلى ففضلى واضح و هل جاتز فى العقل إنكار محسوس؟
 رسبت بأقصى الغرب ثغر مظنه و كم دره علياء فى قاع قاموس
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤١٥ و أغريت سوسى بالعذيب و هاجر على وطن دانى الجوار من السوس
 و قلت فى أسلوب مهيار، رحمه الله: [الخفيف]

جز على جرع للحمى لا محاله و تعرّض لرائد الرخاله
 و أفض فى تلال نجد و قد جمم بها الحمض و اذكرن زابقا له
 و أدر فى قرارة الماء قد دارت على بدرها من الرّيع هاله
 ربما يعجز القوى عن الأمر فيرضى الضّعيف فيها احتياله
 فإذا ما استجدت من خبر الحمى يقينا أو التمتحت جلاله
 فاعقل الحرف فى ظلال من البان على الوحش فى الهجير مماله
 و ادخل الحى عندما روّح الرّاعى و ضمّ المساء فيه رعاله
 لا تجاوز أطناب خيمة ظمنا فهاتيك القلوب حباله
 و لتقل إن أتتك تسأل عن حالى تعرّضتها بحالك حاله
 ليس إلّا امتعاضه لغريب أنخنته جفونك القتاله
 سيّل الماء و المزادة ملأى ثم ما نال غير نفس مساله
 كيف لو جاء سائلا منك رسلا أو أتى يحتدى جواب رساله
 قسما إنه أخى ضنين وهب البأس شأنه و البساله
 بكت الورق شجوه حين ناجها و أبدى له الأصيل اعتلاله
 نازح زار من تباله نجدا أين ما بينه و بين تباله
 أيها السابق العنيف ترى المهر يسقى يمينه و شماله
 يرد الحوض حوله كل أشقى كلّ حول يلقي عليه مساله
 فكراه إذا استحمّ غرارو قراه إذا ألمّ عجاله
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤١٦ فإذا السكنى راحه و الأمانى لليالى شرّابه أكاله
 لا تحلّوا دم الغريب المعنى و على الله فى الجزاء الحواله
 و كسا من نمارق السندس المخضّر ذهنا يحيا به و رساله

يا لقومى من ذكر تلك المغانى ما لقلبي يهوى أنينى ما له
علق البثّ و الصباة فيهاو يلي البحر عندها و الملاله
كان لا يرتضى الحياض لوردفهو اليوم قانع ببلاله
همّة ترحم السماك و قلب آثر اللبث فى حضيض الإقاله
كان أولى له الإباية و العرز، فيا بنس ما ارتضى لو إياله
و الهوى مركب الهوان إذا هملج فى ملعب الصبا و الجهاله
ما الذى يجلب العذول لسمعى من حديث خبا إلى خباله
لا أبالى بما يقول فهلاً أقصر العذل جاهدا لا أبأ له
أنا ما بى سوى لحاظ فتاةختلتنى و أدبرت مختاله
بسمت أقحوانة و تثنت بانة ثم لا حظتنى غزاله
و رمتنى فقل لعرف نجدان تخلصت إذ فدونك ماله
أخبر الخابط المدوم نشكوأظهر العيس جملة و فصاله
إننى قد نزعت عن نتن الغيبى و يا طالما انتحلت محاله
و من الفخر و التأيين، قلت متشعبا، علم الله بألا أملك، و إنما هى أغراض الشعراء يتفنن فيها، و الله وليّ التجاوز عن التجاوز: [الوافر]
لنا فى الفخر سيمات مطلة تقوم على دعاويها الأدلة
و شمس الحقّ منظور سناهاعلى الشبه المخيلة المخلة
بنى سلمان سل عنهم ستدرى على الأجيال منهم كلّ جلّه
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤١٧ يمانية المناسى و المواضى مفاخرها رسوم مستقله
فمن نار الوغى فى كلّ وادو من نار القرى فى كلّ حلّه
و من وصل الخطاب بكلّ نادو من فضل الثناء بكلّ ملّه
تهشّ لنا البدور بكلّ خدرو تهوانا الشّمسوس بكلّ كلّه
و يمرضنا العفاف فكم عليل و ما غير الهوى و الکتّم علّه
تحجّ بيوتنا القصاد دأبافلا تنفكّ طائفه مهله
بحيث البيض ضامنه المساعى و حيث السمر مشرة مغله
فعدن السلم محرمة عكوف و عند الحرب فاتكة محلّه
و حيث الجرد للغارات تردى فتركها جواسر مشمعلّه
و لم أر مثلنا فى الدهر قومارياح الجو تلحف بالأجلّه
و تضطبن الصواعق فى غمودو تقتنص البوارق بالأهلّه
فتطعمنا المجانى و الرّواسى و تسقينا الغيوث المستهلّه
و تفترش البطاح لنا الحشاياو للزرايات أروقه مظلّه
و تعرف من أغرتنا الدياجى لعزّ الله خاضعة أذلّه
أبا عبد الإله ، فدتك نفس على ما حزت من فضل مدله
دعوتك مستجدا عهد أنس أبلته الليالى المستملّه

و قد ظعن الصبا إلّا اذكارو قد ذهب الهوى إلّا تعلّه
فساعدنى عليه من اغترابله فى مهجتي وخز الأخلّه
و ما حلنى بفخر ك فى صريح فكم تاج هناك و كم تجلّه
و دمت مجمعا شمل المعالى و مقتادا، أم الدّنيا شملّه؟
و قلت أرثى ثلاثة من الإخوان تقاربت و فياتهم، جمع الله الشّمل بهم فى دار الرضوان و المغفرة بمنّه: [الطويل]
أسائلكم، هل من خير و سلوان ففى ليل همى ضاع أو سيل أجفانى؟
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤١٨ و هل عندكم علم بصبرى إننى فقدت جميل الصّبر أوجع فقدان؟
يقولون: خفّض بعض ما بك من جوى يهون على المرتاح ما لقى العانى
تضيق على الأرض و هى فسيحة كما حال فوق الخصر معقد هيمان
و ما يفتأ الشوق المقيم بأضلعى إذا مرّ عن طوق الصّبا به أفنانى
و ليس مشيبا ما ترون بمفرقى و لكن خطوب جمّة ذات ألوان
و أرق عينى الأسى يبعث الأسى مطوّقه نامت على غصن البان
لمن دمن يشكو العفاء رسوما كحظّ زبور فى مصاحف رهبان
وقفت بها أذرى التّجيع كأنما تقرّى و شكّ اللين منى بقربان
ديار الألى كانوا إذا أفق دجا كواكب يجلو نورها ليل أشجانى
هوت من سمائى بعد ما كنّ زينّه و لهفى عليها من ثلاثة شهبان
رمانى بيعقوب الزمان و بعده رمانى بدرهام يا لك سهمان
و إن كان ما بين الخطوب تفاضل فلا نال فقدى أحمد بن سليمان
كفانى أن أدرجت محض مسرّتى و جملة أنسى بين لحد و أكفان
و و الله ما أنسانى الدهر أو لا بتأر و لا أنسى بالثالث الشّان
تخونهم صرف الرّدى فتحزّ مواكما انتثرت يوما قلادة عقيان
فمن سابق ولى على إثر سابق كما استبقت غرّ الجياد بميدان
بنفسى من حبيته فاستخفّ بى و لو أنه ردّ التحية أحيانى
و عهدى به مهما دعوت و بينه و بينى العلى و النّيل و الخيل لبان
دنا منزلا منى و شطّ مزاره فى منى لقلبى منه بالسّاخط الدّانى
ألا ليت عمرى لم يفدنى زمانه مودّة حلّ سار عنى و خلّان
فلو شعرت نفسى فإنى لشاعره يوم أردانى لشمرت أردانى
هو الموت يختار الخيار و ينتقى جنى لبنى الدّنيا كما يفعل الجانى
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤١٩ فلا تقن ما يفنى تعش و ادع للحشا أبى الدهر أن يلقى على الدهر ألفتان
صديق الفتى إن خفّق الحق روحه فكم نسبة ما بين روح و جثمان
و ما حال زند لم يؤيد بساعدو ما حال طرف قد أصيب بإنسان
و هبنى أمنت الحادثات و لم يرع جنانى و خلّانى الزمان و خلّائى
أليس إلى التّحليل كلّ مركّب مقدّمة لم يختلف عندها اثنان؟

يدبر لي الدهر المكيدة في المنى فإن قلت قضاني الخفوق تقاضاني
و ليل بقبابي محلة قلعة أهدرته في ترص على مان
أ يعقوب، ما حزني عليك بمنقض ولا أنس إنسان مصابك أنساني
و لا حالي الحالي على البعد غزني ولا عيشي الهاني على التأني الهاني
فمن لي بدمع في المحاجر مهتد عليك و قلب في الحناجر حيران
نسبت إلى ماء السماء مدامعي فأورت ولي فيها شقائق نعمان
إذا ما حدت ريح الزفير سحبها ثقالا سقى منها المعاهد عهدان
و قد دان قبل اليوم دمعي خالصا و لكن أملني على الدمع إدماني
لقد كنت لي ركنا شديدا و ساعدا مديدا و مذخورا لسرى و إعلاني
كسا لحدك الريحان و الروح و الرحاف قد كنت روي في الحياة و ريحاني
و جادت على مثواك منزنة رحمة يحييك منها كل أوظف هتان
و ما كان إبراهيم إلا حديقه من الفضل توتي أكلها كل إنسان
أمين على السر المصون محافظ على كتبه إن شاق صدر بكتمان
لئن بليت تلك المحاسن في الثرى فحزني جديد ما استمر الجديدان
قراه عليها من نعيم و نضره و لهفي عليه من شباب و ريعان
ذكتك و للأيام سلم و شملنا جميع و طرف الدهر ليس بيقظان
و للترجس المطلول تحديق أعين و للآسة التي بها ربد آذان
و للشمس ميل للغروب مرئح ترى راجح الدنير في كف ميزان
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٢٠ بساط طواه الدهر إلا تذكرا كما تنقع الرمضاء غلة ظنان
و إن ذكر الإخوان، من مثل أحمد؟ ألا كل مرعي تعده غير سعدان
ذخيرة أيامي و وسطى قلاذتي و نكتة إخلاصي و حكمة ديواني
و ثران ضلت الفضل يوم استفادة هداني إلى نهج السبيل و هاداني
شهاد ذرت عيني عليه نجيعها كأنهم واروه ما بين أجفان
أخلاء كانوا في الشدائد عده إذا أثمرت هوج الخطوب بخطبان
و قد شلهم شوى الردى فتجملوا و حلوا جوار الله أكرم ضيفان
يحق لهم أن يغبطوا إذ تنقلوا إلى العالم الباقي و للعالم الفاني
و ما أكتب اللقيا و إن بعد المدى و يا قرب ما بين المعجل و الواني
سكنتم فحزرتكم جحيم جوانحي و غبتم فأحضرتم لواجع أحزاني
و يمتتم دار التعميم و إنني لأشقى، فيا بؤسى بسكان نعمان
و لو أنني أعطيت نفسي حقها فما أنا للعهد الكريم بخوان
و لا عار في ورد الحمام فإنه سبيل الوري ما بين شيب و شبان
لعمر ك ما يصفو الزمان لواردو إن طال ما أحمى لظى الحرب صفان
و قس آتيا من أمره بالذي مضى فرب قياس كان أجلى لبرهان

أما تركت كسرى كسيرا صروفه و لان على صولانه ملك اللان؟
و مد إلى سيف أكف اعتدائه فأخرجه بالرغم من غمد غمدان؟
و هل دافعت خطبا توابع تبع و هل درأت كريا سياسة ساسان؟
و كان قياد الصعب صعبا ممنعا فألقي إلى الدنيا مقادة إذعان
جلت لبنى العباس وجه عبوسها و قبل أمدت سرب أبناء مروان
و كم أخلفت شتى المنى من خليفة و أذوت رياح الدهر إذواء تيجان
و غادرت القصر المشيد بناؤه بسنداد قفرا بلقعا بعد عمران
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٢١ و لم تبقى يوما للخورنق رونقا و لا شعت بالقتل من شعب بوان
و كم من أبى سامه العسر دهره فأبدى له بعد الرضا وجه غضبان
و محترق ماضى الذبايين فى الوغى سطا منه بالأنف الحمى ذبابان
و أى سرور لم يعد بمساءة و أى كمال لم يعاقب بنقصان
و من باع ما يبقى بفان فإنما تعجل فى دنياه صفقة خسران
خذوها على بعد النوى من مسهد حليف أسى ما فى الجوانح لهفان
و و الله ما وقيت حق موده و لكنه وسعى و مبلغ إمكانى
و مهما تساوى طيب و مقصربحال فحكم التطق و الصمت سنان
و لا لوم لى فى العجز عن نيل فائت فإن الذى أعي البرية أعيانى
و من الاسترجاع و الاعتبار، و التحزن لورطة الغفلة، و ما توفيقى إلا بالله، قلت من الشعر المتقدم عن هذا الوقت: [الطويل]
جهد هوى لكن بغير ثواب و شكوى جوى لكن بغير جواب
و عمر تولى فى لعل و فى عسى و دهر تقضى فى نوى و عتاب
أما آن للمنبت فى سبل الهوى بأن يهتدى يوما سبيل صواب؟
تأملتها خلفى مراحل جبتها يناهز فيها الأربعين حسابى
جرى بى طرف اللهو حتى شكا الوجى و أقفر من زاد النشاط جرابى
و ما حصلت نفسى عليها بكامل و لا ظفرت كفى ببعض طلاب
نصيبى منها حسرة كونها مضت بغير زكاة و هى مثل نصاب
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٢٢ و ما راعنى و الدهر ربّ وقائع سجال على أبنائه و غلاب
سوى شعرات لحن من فوق مفرقى قذفن لشيطان الصبا بشهاب
أبحن ذمارى و انتهبن شيبتي أهنّ نصول أم نصول خطاب؟
و قد كنت يهدى الروض طيب شمائلى و يمرح غصن البان بين ثيابى
فمد كتب الوخط الملمّ بعارضى حروفا أتى منها بمحض عتاب
نسخت بما قد خطّه مسند الهوى و كم سنّه منسوخه بكتاب
سلامى على تلك المعاهد إنها مراتب ألفى و عهد صحابى
و يا آله العهد انعمى فلطالماسكبت على مثواك ماء شبابى
كأنى بذات الصال هاتيك من فتى تذكر فيها اللهو بعد ذهاب

تقول اذكريني بعد ما بان حيرتى و صوّح روضى و اقشعرّ جنابى
و أصبحت من بعد الأوانس كالدّمى يهول حداة العيس جوب يباب
تغار الرياح الساجيات بطارقي فما أن تديم الرّكض حول هضابى
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٢٣ فإن سجّع الركبان في بمدحهُ حتى في وجوه المادحين ترابى
ألم تعلموا أنّ الوفاء سجيتى إذا شحطت دارى و شطّ ركابى؟
سفاك كدمع أو لحدوى وابل يقلّد نحر الحوض درّ حباب
و لا برحت تهفو لعهدك للصبّ و يسحب فيه المزن فضل سحاب
سواى يعادى الدّهر أو يستفّزه بيوم فراق أو بيوم إياب
و غيرى يثنى الحوض ثنى عنانه إلى نيل رقد و التماس ثواب
تملأت بالدنيا الدنيّة خبرة فأعظم ما بالناس أيسر ما بى
و أيقنت أنّ الله يمنع جاهداو يرزق أقواما بغير حساب
فيا ذلّ أذن ضمّها أذن حاجب و يا هون وجه خلف سدّة باب
و قد كان همى أن تعانى مطيتى ببعض نبات الليل خوض عبابى
و أضحى و محراب الدّجى متهجّدى و أمسى و ماء الرّافدين شرابى
و تضحك من بغداد بيض قبابها إذا ما تراءت بالسّواد قبابى
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٢٤ و لكن قضاء يغلب العزم حكمه و يضرب من دون الحجا بحجاب
يقولون لى: حتى م تندب فاسافقلت، و حسن العهد ليس يعابى:
إذا أنا لم آسف على زمن مضى و عهد تقضى فى صبا و تصاب
فلا نظمت درّ القريض قريحتى و لا كانت الآداب أكبر دابى
و قلت أبياتا تبرز بها يد من طاق خشى، لتمام ساعة من الليل، فى نهاية الإحكام و حسن الشكل، ينصب مكانها بين يدي السلطان ليلة
اتخاذ المولد الكريم، فكان منها عند تمام الساعة الرابعة قولى: [الكامل]
سبق القضاء و أبرم المحتوم و الغيب عنّا سرّه مكتوم
حال الزمان إذا اعتبرت غريبه و الحال فى التحقيق ليس تدوم
و الليل سلّك درّة ساعاته إن حلّ معقده هوى المنظوم
أكرم برابعة تولّت بعد ما ثبت لها فى الصّالحات رسوم
و لقد سهرت مفكرا و البدر فى بحر السماء مع النجوم يعوم
فحسبت شكل البدر أبيض هائما فوقى يحلّق طيره و يحوم
و منها:
حجر رماه المنجنيق فشأنه متطأطى متدافع ملموم
و من النجوم أسنّة لجيوشها من كلّ مطلع على هجوم
رجعت إلى حربى و عمرى معقل و مخلصى من نابها معدوم
بدرت لها شرفات أسنانى تهى و قواى تفقد رجعة و تقوم
فصرخت: يا ولى أصيبت غرتى ما ذا عسى هذا البناء يدوم

و إذا رمى فلك البروج مدينة بالمنجنيق فسورها المهودوم
 ما دون وجه الحق إن حَقَّقته يفنى و يبقى الواحد القَيوم
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٢٥

المقطوعات المشتملة على الأغراض العديدة

منها في غرض التورية: [البسيط]

ناديت دمعى إذ جدّ الرّحيل بهم و القلب من فرق التوديع قد وجبا
 سقطت، يا دمع، من عيني غداة نأى عني الحبيب و لم تقض الذى وجبا
 و قلت في التورية أيضا: [الوافر]

كنت بدمع عيني صفح خدى و قد منع الكرى هجر الخليل
 و راب الحاضرين فقلت: هذا كتاب «العين» ينسب للخليل
 و قلت في التورية أيضا: [الطويل]

و لما رأيت عزمي حثيثا على السرى و قد رابها صبرى على موقف البين
 أت بصحاح الجوهرى دموعها فعارضت من دمعى بمختصر العين
 و قلت في التورية أيضا: [الخفيف]

مضجعى فيك عن قتادة يروى و روى عن أبى الزناد فوادى
 و كذا النوم شاعر فيك أمسى من دموعى يهيم فى كل وادى
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٢٦
 و قلت في التورية أيضا: [الخفيف]

حين ساروا عني و قد خنقتنى عبرات قد أعربت عن ولوعى
 صحت من فيض العذيب؟ فلما لم أجد ناصرا فلعت دموعى
 و قلت في التورية أيضا: [الخفيف]

قال لى و الدموع تنهلّ سحبا فى عراض من الخدود محول:
 بك ما بى، فقلت: مولاي عافاك المعافى من عبرتى و نحولى
 أنا جفنى القريح يروى عن الأعمش و الجفن منك عن مكحول
 و قلت في التورية أيضا: [الكامل]

مكناسة جمعت بها زمر العدا فمدا بريد فيه ألف بريد
 من واصل الجوع لا لرياضة أو لابس الصوف غير مرید
 فإذا سلكت طريقها متصوّفا بن السلوك بها على التجريد
 و قلت في التورية أيضا و لها حكاية: [الخفيف]

قلت لما استقلّ مولاي زرعى و رأى غلّة الطعام قليله:
 دمننى لانتجاعى الحرث كلت فهى اليوم دمنه و كليله

و قلت في التورية أيضا، و قد أهدى الوزير عمر بن عبد الله فرسا به جراد فى عرقوبه: [البسيط]

أشكو إلى الله من أبناء يعقوب والوعد ما بين مرموق و مرقوب
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٢٧ زرعت عرقوب أرضي من شعيركم جاء الجراد فأفنى زرع عرقوب
وقلت أيضا، وقد جلس السلطان للسلام في يوم شديد البرد: [الرميل]
جلس المولى لتسليم الوري و لفضل البرد في الجو احتكام
فإذا ما سألوا عن يومناقلت: هذا اليوم برد و سلام
وقلت في التورية أيضا في سنة قحط: [الطويل]
سألنا ربيع العام للعام رحمة فضنّ و لم يسمح بذرة إنعام
وقلنا، و قد ردّ الحياء و جوهنا: قليل الحيا و الله أصبح من عام
وقلت في التورية أيضا و ضمّنته مثلا: [الكامل]
لما رأوا كلفي به وردوا قدر الذي في فيه من حبّ
قالوا الفتى حلوا فقلت: نعم طلعت حلواته على القلب
وقلت في ذلك و الله وليّ التّجاوز: [الكامل]
أنا كافر و سواي فيه بعاذل لا يستبين الصدق في آياته
و مصدق بصحيفة الخدّ الذي قد أعجب الكفار حسن نباته
وقلت في التورية أيضا: [مجزوء الكامل]
بأبي طيبي غزاني مستبيحا شرح صدرى
فأنا اليوم شهيد الحبّ من غزوة بدر الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ٤؛ ص ٤٢٧
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٢٨
وقلت في التورية أيضا على طريقة المشاركة: [الكامل]
أشكو لمبسمه الحزين و قد حمى عنى لمام المشتهى و رحيقه
يا ريقه حيرتني و مطلنتني ما أنت إلّا بارد يا ريقه
وقلت في التورية فيمن ركب البحر و ماد: [الكامل]
ركب السفينة و استقلّ بأفقهافكأنما ركب الهلال الفرقد
و شكوا إليه بميده فأجبتهم لا غرو أن ماد القضيب الأملد
وقلت في التورية أيضا: [المجتث]
يا مالكي بخلال تهدي إلى الفكر خيره
أضرمت قلبي نارايا مالك بن نويره
وقلت في التورية على عرف العامة: [السريع]
قلت و قد ألبس جسمي الضناصبغة سقم أبدا لا تحول
يا من رأني أشفق لما حلّ بي يلبس مخيوط على ذى النحول
وقلت في التورية، و قد ذلك السلطان يديه بالحناء: [المديد]
إن شمس الدين مخبر الملوكة درّة العقد و وسطى السلوك
ذلك الكفّ بحناء فقلنا أنت شمس الدين عند الدلوكة

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٢٩

و قلت من التورية في رثاء رجل اسمه الحسن: [البسيط]

أشكو إلى الله من بئى و من شجنى لم أجن من شجنى شيئا سوى محن

أصابت الحسن العين التى رشقت و عادة العين لا تضى سوى الحسن

و قلت من التورية الغريبة، عندما خرج السلطان من المدينة البيضاء بفاس طالبا حقه، يريد الحمراء بغرناطة: [الطويل]

و لما حثت السير و الله حاكم لملكك فى الدنيا بعز و فى الأخرى

حكى فرس الشطرنج طرفك لا يرى ينقل من بيضاء إلّا إلى حمرا

و قلت فى قرية شخت من بادية المنكب، و تمكنت فيها التورية من وجهين:

[المتقارب]

بات رفيقى لهم شخت بشيئته عافها العيان

و قلت: ما هذه البوادى فقال لى: شخت يا فلان

و قلت فى قريب منه: [الطويل]

تعجلت و خط الشيب فى زمن الصبالخوضى غمار الهم فى طلب المجد

فمهما رأيتم شبيهة فوق مفرقى فلا تنكروها إنها شبيهة الحمد

و قلت من التورية بالفقه، و قد صدرت بها كتابا، مجيبا به آخر تقدمه:

[الكامل]

يا من تقلد للعلاء سلوكا و الفضل أضحى نهجه مسلوكا

كاتبتنى متفضلا فملكتنى لا زلت منك مكاتبا مملوكا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٣٠

و قلت من أبيات فى التورية: [الطويل]

و ما كان إلّا أن جنى الطرف نظرة غدا القلب رهنا فى عقوبة ذنبه

و ما الحق أن يأتى امرؤ بجريرة فيؤخذ فى أوزارها جار جنبه

و قلت فى التورية: [الكامل]

ما للسها بادی التحول كأنه متستر تبدو مخايل خوفه؟

قالوا: عليل، قلت: هذا ممكن و الله أعلم داؤه من جوفه

و قلت فى التورية أيضا: [الطويل]

أجاد يراع الحسن خط عذاره و أودعه السر المصون الذى يدرى

و لم يفتقر فيه لختم و طابع فمبسمه أغناه عن طابع السر

و قلت فى عين قرية البذول، و فيه التورية: [السرير]

قلت اعشقوا عين البذول التى فى مثلها يرفض قول العذول

فقل ما أبصرتم منظرا ملح من منظر عين البذول

و قلت أيضا فى التورية: [الطويل]

و ظبى لأوضاع الجمال مدرّس عليم بأقسام المحاسن ماهر

أرى جيده نصّ المحلّي وقررت ثناياه ما ضمت صحاح الجواهر
وقلت في التورية أيضا، وفي إشارة إلى رجل يقصد اللائم من أجل بطنه، وشدّة نهمه: [السريع]
اذم ذوى التطفيل مهما أتى وإن تكن أجملتهم فاعنه
يمشى على رجليه مع كونه من جنس من يمشى على بطنه
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٣١
وقلت في التورية أيضا، و التورية طيبية، و قد سهرت في طريق المنكب برأس المزاد، و قد صدعتني و عورتني: [الخفيف]
عند رأس المزاد عادني السهد و لم تغن حيلتي و اجتهادي
حسبي الله كيف يبرأ سريعا سهر عن صداع رأس الزاد؟
وقلت في التورية بكتاب مسلم، من كتب الحديث: [مجزوء الكامل]
ذهب الألى كانوا نجوما للورى فالكون مظلم
و تذاكر الناس الحديث الحق و افتقد المعلم
أنا كاتب السلطان ما طالعت قط كتاب مسلم
إلا سخاما قادحافي الدين و الله المسلم
وقلت في التورية النجومية في المدح: [البسيط]
إن أبهم الخطب جلى في دجنته رأيا يفرق بين الغي و الرشد
و إن عتا الدهر أبدى من أسرته و كفه هدى حيران و رى صد
و إن نظرت إلى لألاء غزته يوم الهياج رأيت الشمس في الأسد
وقلت من التورية في المدح: [الطويل]
تخونه صرف الزمان و هل ترى دواما لحال أو بقاء على أمر؟
هو الدهر ذو وجهين يوم و ليلة و من كان ذا وجهين معتب في غدر
وقلت و قد جمدت رجلاى لشدة البرد بتاجره، موريا بعرف العامة، إذ تقول لمن بولغ في نكاله، عملت إطرافه: [الطويل]
لقد جمدت رجلاى تاجره الردى فخفضت من بأى لديها و إشراف
و ما أرتجى من بقعه قد هجوتها لقد ظفرت بي فهي تعمل أطرافى
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٣٢
وقلت في التورية لمن يدعى شمس الدين: [الرملى]
قل لشمس الدين: وقيت الردى لم يدع سقمك عندى جلدا
رمدت عينك هذا عجب أوعين الشمس تشكو الرمد؟
وقلت في التورية في رجل أقسم أنه ذو مالىة و أمانة، و طلب من السلطان خدمته: [الوافر]
حلفت لهم بأنك ذو يسار و ذو ثقة و بز باليمين
ليستندوا إليك بحفظ مال فتأكل باليسار و باليمين

و من المقطوعات أيضا:

في غرض المدح [الطويل]:

طوى البعد عن شوق و حثّ ركابه و أوشك في مغناك حطّ رحاله
و ممّا شجاه البعد عنك و شفّه تبدّى نحول السقم فوق هلاله
و كتبت في جواب للسلطان، و قد رحلت لتفقد الثغور، و كان من فصوله إلى تقرير الشوق إلى اللقاء: [الطويل]
تخالف جنس الشوق و الحكم واحدو كلّ محبّ في الكمال مشتاق
فمعنى اشتياق الأرض للغيث حاجئو معنى اشتياق الغيث للأرض إشفاق
و خاطبت سلطان المغرب ابن السلطان أبي الحسن، و لها حكاية، و أبو الحسن الصغير، رجل كبير من فقهاءها: [الكامل]
قل للذي ذكر الهدى و عهوده فبكي و أصبح مشفقاً من فقدها
غصبت حقوق الله جلّ جلاله فقضى أبو الحسن الصغير بردها
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٣٣
و قلت في غرض المدح، أشير إلى الكفتين، و العدد المستخرج منهما للمجهول: [البيسط]
لا عدل في الملك إلّا و هو قد نصبه و صير الخلق في ميراثه عصبه
و الكفتان ترى من كفه درّة تستخرج العدد المجهول للطلبه
و قلت، و قد مررت بين يدي السلطان، في يوم شديد الهاجرة، و هو ينظر من طاق بقبة قصره، و أنا أروم تفقد أملاكي بالفحص، و
أنكر ذلك في شدة الحر:

[الطويل]

إذا كان فوقى من نداك غمامة و حولي روح من رضاك و ريحان
فإنّ سموم القيظ عندي نسمه و إنّ مشيم القفر عندي بستان
و قلت مشيراً إلى الحديث في البحر: [المتقارب]
رأيت بكفك اعتباراً بأساً و ندى ما أن يبارى
فقلت و قد عجبت منه يا بحر متى تعود ناراً؟
و قلت و قد جعل السلطان في رأسه بيضة السلاح مصقولة: [الوافر]
يا إماماً، أطل ربّي علاه و همّاماً بالفخر ما أولاه
أنت كالزّمع في اعتدال و طول و انتخاب الحديد في أعلاه
و قلت في غرض الافتخار: [الكامل]
ما ضرّني أن لم أجيء متقدّمًا فالسّبق يعرف آخر المضمّار
و لئن غدا ربع البلاغة بلقعا فلربّ كنز في أساس جدار
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٣٤
و قلت و فيه الإشارة إلى الكاتب ابن الكواب: [المتقارب]
بأوت على زمني همّة فأعتبني الزمن العاتب
و شرفني الله في موطني و في بيته يشرف الكاتب
و قلت، و هو من التخلّص المخترع، و قد جرى بعض ما مدح به الملوك من بني العباس: [البيسط]
أقول و الليل أعياني تطاوله و أوسع الدّم و التّعنت أسوده
ما كان يجرؤ ليلي أن يطاولني شعاركم يا بني العباس أيده

و قلت و هو من بديع التخلص: [البيسط]
أقول و الصبح لا تبدو مخايله و قد تعجبت من سهدى و من أرقى
كأنما الليل زنجى ملابسه قد زينت بالآلى أنجم الأفق
و نام سكرًا فلا شىء يبتهه لما يخشى حراكا حمرة الشفق
و قلت من أبيات أمدح السلطان أبا الحجاج رحمه الله: [الكامل]
فى مصر قلبى من خزائن يوسف حبّ و غير مدامعى تمتاره
حليت شعرى باسمه فكأنه فى كل قطر جلّه ديناره
و خاطبت ولده، رضى الله عنه، معترفا بحبى فيه، و كره الخدمه: [الكامل]
قالوا: لخدمته دعاك محمد ففكرتها و زهدت فى التثويه
فأجبتهم أنا و المهيمن كاره فى خدمه المولى محبّ فيه
و راجعته عن كتاب كتب لى بخطه، من فصوله الإنحاء على رداءه الحبر:
[الطويل]

إذا ما تجلّى النور فى جنح ظلمة جلاها كما تجلو الدجى غرة الفجر
فلا تنكرنّ الحبر إن حال لونه فوجهك يجلو ظلمتى الليل و الحبر
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٣٥

و من مدح البلاد و فيه بيان سبب حبها قولى فى غرناطة: [الطويل]
أحبك يا مغنى الجلال بواجب و أقطع فى أوصافك الغر أوقاتي
تقسّم منك التراب قومي و جيرتى فى الظهر أحيائي و بالبطن أمواتى
و فى سبته المحروسة: [السريع]

حييت يا مختطّ سبت بن نوح بكلّ مزن يغتدى أو يروح
و حمل الزّيحان ريح الصّبا أمانة فيك إلى كلّ روح

و لينظر تمام هذه المقطوعة فى اسم الخطيب أبى عبد الله بن مرزوق فى حرف الميم. و قلت فى بنيونش من أحواز خارج سبته
المذكورة: [البيسط]

لله بنيونش تحكى منازلها كواكب أشرقت فى جنح ظلماء
صحّ النسيم فما يعتلّ من أحد إلاّ النسيم و ما يرتاع من داء
و من كرامتها أنّ الشمال إذارامت زيارتها تمشى على الماء
و فى مصر، و قد بينت مزية محبتها على من دونهم:

سلمت لمصر فى الهوى من بلديهديه هواؤه لدى استنشاقه
من ينكر دعواى فقل عنيّ له تكفى امرأة العزيز من عشاقه
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٣٦

و فى غرناطة: [الكامل]

بلد تحفّ به الرياض كأنه وجه جميل و الرياض عذاره
و كأنما واديه معصم فضّه و من الجسور المحكمات سواره

و في رياض الكدية التي لولدى، أسعده الله، و لا نظير لها في جلاله القدر:

[السريع]

حدّث عن الكدية من شتته يظنّ إخبارك تصحيفا
 فالعقل بالمعتاد مستأنس إن ذكر الواصف موصوفا
 و الحقّ في أوصافها أنها خرقاء حسن وجدت صوفا
 و في جنّة أخيه المعروفة بجنان الورد: [الطويل]
 إذا أهدى الإنسان وردة جنّة تهلّل من بعد العبوس محيّا
 و أمل أن يحيا لفصل يعيدها فكيف بمن في جنّة الورد مثواه
 و في جنّة أخيهما بالزّاوية: [السريع]
 إن كانت الجنّة موجودة في الأرض قلنا: جنّة الزّاوية
 يا بقعه فاز بها المشتري فأّم من خلفها هاويه
 و من أغراض النّسب قلت من قصيدة: [الطويل]
 تذكّرت عهدا كان أحلى من الكرى و أقصر من إمام طيف خياله
 فيا ليت شعري من أتاح لي الجوى و عذب بالي هل أمرّ بياله؟
 و قلت، و هو من التّشبيه العقيم: [الكامل]
 أمعللي بمطامع من دونها جوب النفوس مفاوز الأعمار
 تزداد أشواقى إذا يوم خلا كتضاعف الأعداد بالأسعار
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٣٧
 و قلت من أغراض المشاركة: [المتقارب]
 رموا بالسّلو حليف الغرام و أدمعه كالحيا الهاطل
 أعوذ بعزّك يا سيدى لذلى من دعوة الباطل
 و قلت من أبيات: [الكامل]
 عدّبت قلبى بالهوى فقيامه فى نار هجر ك دائما و قعوده
 و لقد عهدت القلب منك موّخدا فعلام يقضى فى العذاب خلوده؟
 و قلت فى ذى ذؤابة سوداء: [الرملى]
 يا غزالا ترك القلب المبلّى حين ولى فى ذفوف و كآبه
 كيف يخشى القلب منى خفقانا و دواء المسك فى تلك الذّؤابه؟
 و قلت فى النّسب: [الكامل]
 من لى بذكري كلّما أوجبتها تمحو سلوى و اشتياقى تثبت
 و سحاب دمع كلّما استمطرته غير القتاد بمضجعى لا تثبت
 و قلت فى النّسب أيضا: [الوافر]
 أضاف إلى الجفون السود شعرا كجنح اللّيل أو صبغ المداد
 فقلت: أمير هذا الحسن تزكو الأجور له بتكثير السّواد

و قلت في المعنى أيضا: [السريع]

من لى به أسمر حلوا اللما أهيف ماضى السحر مرهوبه

كالنحل في رفة خصر و فى لسع متى شاء و مقلوبه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٣٨

و قلت في النسب أيضا: [المنسرح]

أنكرت لَمَا أطلّ عارضه فقال لى حين رابه نظرى

أ لم تقل لى بأننى قمر فانظر إلى وبر أرنب القمر

و من أغراض التضمين قلت: [المديد]

لا تهج بالذكر من خلدى نار شوق شقّ محتمله

و يقول الناس فى مثل لا تحرّك من دنا أجله

و قلت من التضمين: [السريع]

يا من بأكناف فؤادى رتع قد ضاق بى فى حبك المتسع

ما فيك لى جدوى و لا أرعوى «شح مطاع و هوى متبع»

و قلت من التضمين [مجزوء الرجز]

قال جوادى عندما همزت همزا أعجزه

إلى متى تهمزنى ويل لكل همزه

و قلت: [الخفيف]

أصبح الخدّ منك جنة عدن معجلى أعين و شم أنوف

ظللتنا من الجفون سيوف جنة الخلد تحت ظلّ السيوف

و قلت: [الوافر]

محاسنك اغتدت جنات عدن لمن يرتاد إحسانا و حسنا

فمهما حلها إنسان عين فللإنسان فيها ما تمنى

و قلت فى طول الليل: [الكامل]

ساورت أسود من ظلام دجى من باته فإلى الجحيم دفع

أنا لا أقول سطا الصباح به لكن طغى ثعبانه فربح

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٣٩

و قلت: [الخفيف]

رفعت قصة اشتياقى ليحى فزوى الوجه رافضا للفتوه

و رمى بالكتاب ضعف ابتسال قلت: يحيى، خذ الكتاب بقوه

و قلت: [الخفيف]

سار بى للأمير يشكو اعتراضا يوسف و الشهود أبناء جنسه

قال: ما تقول؟ قلت بديها لم أخف من عقابه أو حبسه

حصحص الحقّ يا خونند، فدعنى أنا راودت يوسفنا عن نفسه

و قلت: [البسيط]

يا كوكب الحسن، يا معناه، يا قمره يا روضة المتناهى الزرع يا ثمره
أمرتنى بسلو عنك ممتنع «مأمور حسنك لما يقض ما أمره»

و قلت فى ذلك أيضا: [السريع]

أفقد عينى لذيد الوسن من لم أزل فيه خليع الرسن
عذاره المسكى فى خده أنبتة الله الثبات الحسن
و قلت فى العين الذى بحصن نارجه، و هو ينفع من مرض الحصا:
[الكامل]

انظر إليه شبيه معجزه العصاماء بتنقيه المثانه خصصا
فإذا الطبيب سقاه أسرع نجحه و تحدت الماء الزلال مع الحصا
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٤٠
و قلت فى التضمين أيضا: [الطويل]

يعاهدنى دمعى على كتم سره و يجرى إذا ذكر جوى و يمين
و ذاك لأننى من نجيعى خضبتة و ليس لمخضوب البنان يمين

و من الأوصاف و ما يرجع إليها

قلت فى الليل: [الطويل]

تلوى ظلام الليل بالصبح ظالما إلى أن تبدى الضوء و انقشع الحلك
كما سرق العبد العبوس عمامة فأخرجها من تحته حاكم الفلك
و قلت فى المعنى: [الطويل]

أقول و وعد الصبح يمطله الدجى إلى أن تبدى للعيون محياه
كأن الصباح الطلق طفل مجرد تلقفه الثعبان ثم تبناه
و قلت فيه: [الرمل]

عبس الليل فلا صبح يرى و هوى النجم و غاب الفرقد
و ضحكنا و حلينا طرفا أفلا يضحك هذا الأسود؟
و قلت فيه: [المتقارب]

أيا ليل، أفرطت فى جفوتى و عودتنى منك شرّ الخلال
و ما لى ذنب و لكن سخفت بقرط الثريا و تاج الهلال
و قلت فيه: [الطويل]

أرقت و جنح الليل قيد لخطوة فلهفى على الجفن القريح المسهد
و ما بليت نفس تنظر فيه بأوحش من عبد عبوس مقيد
و قلت فيه: [الكامل]

يا ليل، طلت و لم تجد بتبسم و أريتنى خلق العبوس النادم

هَلَّا رَحِمْتَ تَغْرَبِي وَ تَفَرَّقِي لَلَّهِ مَا أَقْسَاكَ يَا ابْنَ الْخَادِمِ!

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٤١

و قلت فيه: [الكامل]

حَارَ الظَّلَامُ عَلَيَّ دَوْرَهُ كَافِرٍ قَصَدْتَ قَصْدَ عِبَادَةٍ وَ تَلَاوَهُ

وَ لَوْ أَنَّنِي كَابِرْتَهُ لَمْ أَسْتَطِعْ مَا حَالَ أَيْضُ فِي بِلَادِ قَهَاوَهُ

و قلت فيه: [السريع]

بَلِيلُ كَانُونٍ عَرَفْتَ الْجَوِيَّ لَوْلَا ضِيَاءُ كَفِّ مِنْ ظَلَمِهِ

طَالَ بِهِ نَفْحُ نَسِيمِ الصَّبَا فَاشْتَعَلَ الْإِصْبَاحُ فِي فَحْمِهِ

و قلت فيه: [الكامل]

وَ كَأَنَّ جَنَحَ اللَّيْلِ أَسْوَدَ سَارِقٍ سَرَقَ الصَّبَاحَ الطَّلُقُ ثَوْبًا أَيْضًا

مَا زَالَ يَضْرِبُ بِالْبُورَاقِ ظَهْرَهُ حَتَّى أَقْرَبَ بِهِ فِهَا هُوَ قَدْ أَضَا

و قلت فيه: [الكامل]

يَا لَيْلَةُ سَاهَرْتَ طَالِعَ أَفْقِهَا حَتَّى تَمَاطِيلُ غَارِبًا أَوْ غَاطِسًا

وَ الصَّبْحُ مِنْ رِيحِ الشَّمَالِ بِزَكْمَةٍ تَرَكَتَهُ مِنْ بَعْدِ اسْتِكَانِ عَاصِفًا

وَ قَلْتُ فِي لَيْلَةٍ انْتَخَبَ لَهَا الْكَثِيرُ مِنَ الْفَوَاكِه: [الطويل]

أَيَا لَيْلَةَ بِالْخَصْبِ لَمْ تَأَلِ شَهْرَةً كَمَا اسْتَهْرَتْ فِي فَضْلِهَا لَيْلَةُ الْقَدَرِ

فَأَمَّنَ فِيهَا اللَّوْزُ مِنْ غَمَّةِ النَّوَى وَ أَصْبَحَ فِيهَا التَّيْنُ مَنْشَرِ الْبَصْدَرِ

وَ قَلْتُ فِي وَصْفِ السَّمَاءِ: [الكامل]

تَتَعَاوَرُ الْقَطْبَانُ فِيهَا رَقْعَةٌ وَ كِلَاهُمَا فِيهَا لَعُوبٌ حَازِقٌ

الزَّهْرَةُ الزَّهْرَاءُ قَرِيبَانِ بَهَاوِ الْبَدْرِ شَاةٌ وَ النُّجُومُ بِيَاذِقِ

وَ قَلْتُ أَصْفَ فَرَسًا أَهْدَيْتَهُ: [الطويل]

إِذَا مَا سَرَى لَيْلًا فَبِالنَّجْمِ يَهْتَدِي وَ مَهْمَا انْتَمَى يَوْمًا فَلِلْبَرْقِ يَنْتَمِي

يَصِيخُ إِذَا أَصْغَى بِمَسْمَعِ كَاهِنٍ وَ يَرْنُو إِذَا أَوْمَى بِطَرْفِ مَنْجَمِ

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٤٢ فبؤاته من مهجتي متبؤأخفيا على سر الفؤاد المكتم

فِيَا عَجْبًا مَنِيَّ وَ فَرَطَ تَشْيَعِي أَهْمِيَّ بُوْجْدِي فِيهِ وَ هُوَ ابْنُ مَلْجَمِ

وَ قَلْتُ أَصْفَ سَكِّينَ بَشْرٍ لِلسُّلْطَانِ أَبِي سَالِمِ مَلِكِ الْمَغْرِبِ: [الطويل]

أَرَى سَيْفَ إِبْرَاهِيمَ بَيْنِي وَ بَيْنَهُ مَنَاسِبَةٌ عِنْدَ اعْتِبَارِ الْمَنَاسِبِ

أَزِيلُ حُرُوفَ الْخَطِّ عِنْدَ التَّبَاسُهَا وَ تَبْشُرُ حِدَاهُ حُرُوفُ الْكُتَائِبِ

وَ قَلْتُ فِي سَكِّينِ الْأَضَاحِيِّ لِلسُّلْطَانِ أَبِي الْحِجَّاجِ: [الطويل]

لِي الْفَضْلُ أَنْ شَاهَدْتَنِي وَ اخْتَبَرْتَنِي عَلَى كُلِّ مَصْقُولِ الْغَرَارِينَ مَرْهَفِ

كَفَانِي فَخِرَا أَنْ تَرَانِي قَائِمًا بِسَنَةِ إِبْرَاهِيمَ فِي كَفِّ يَوْسُفِ

وَ قَلْتُ كَذَلِكَ: [السريع]

إِنْ شَهَرْتَ نَصَلِي يَدَا يَوْسُفَ رِيَعْتَ لِكَفِّي مَهْجَةَ اللَّيْثِ

و لحت مثل البرق في كفه لا ينكر البرق على الغيث
و قلت في بزادة كان يشرب فيها السلطان: [مجزوء الرمل]
علم الملوكة أعنى يوسف المولى الهماما
الغمام الأرض سقى و أنا أسقى الغماما
و قلت في طيفور طعام أهديته: [الطويل]
تعلم طيفورى خلال سميه و إن كان منسوبا إلى غير بسطام
فجاء فقير الوقت لا بس خرقه و ليس براض غير صحبة صوام
فديتك لا تردده عنك مخياو درسك ، يا مولاي، قصة بلعام
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٤٣
و قلت في روض: [المجتث]
كأتما الروض ملك يباى به جلساه
يرضى النديم فمهما سقى الرياض كساه
و قلت في مروحة سلطانية: [الطويل]
كأننى قرص الشمس عند طلوعها و قد قدمت من قبلها نسمة الفجر
و إلا كما هبت بمحتدم الوغى صبا النصر لكن من بنود بنى نصر
و قلت في بحر يلاعب على الشريط، منوع الحركات: [المتقارب]
و يجرى تلاعب فى شريطوحى الفعل متصل الصموت
تدلى و ارتقى و سما و أهوى فأعجب فى التماسك و الثبوت
فقل: إن يكن بشرا سوياففيه غريزة عنكبوت
و قلت فى بيضة سلاح مصقولة اتخذت للسلطان: [المنسرح]
خصصت بالحسن و انفردت به فجعل قدرى و قل أشباهى
كأننى كوكب الصباح بداعلى جبين الغنى بالله
و قلت فى الدواة و القلم: [مجزوء الرمل]
ما رأت عينى عجيبا كيراعى فى الدواة
غائضا يستخرج الدرر ببحر الظلمات
و قلت كذلك: [المجتث]
أقلامنا الواسطيه ذوابل خطيه
مصروفه لجهاد و حكمه و عطيه
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٤٤
و قلت فى ملزم الكتب: [الكامل]
يا حسنه من ملزم آثاره لذوى الوراثة أحسن الآثار
و كأنما الكراس طرف أشهب شدوا على شفتيه عود زيار
و كأنما قلم الكتاب بصفحه مكوى و ذاك التفت نطق النار

و قلت فى بيضة السلاح أيضا: [الطويل]
إذا أنت لاحظت السلاح وجدتنى أطاوله عزًا و أفضله قدرا
و يلبسنى المولى الإمام محمدفتبصر منه الشمس توجت البدرا
و قلت فى ذلك: [الطويل]
لحسن بنى نصر صنعت محمدافيهديك معنى العز فآلى و النصر
علوت على بحر السماء حبابه و لا غرو أن يعلو الحباب على البحر
و قلت فى مرآة اتخذت للسلطان أيضا: [الكامل]
لمجدد الملك الزفيق محمد أنشئت فاعجب من غرابه شان
تبدو مظاهرى لها فكأنتى من باطن المولى الذى أنشاني
و قلت فى وصف قينه: [الطويل]
و مرضعه طفلا من العود ثديهاو لا در إلا الدر من أدب محض
إذا لمستة بالبنان تخالهاطيبيا من الحداق جس على نبض
و قلت أيضا فى البدر: [البيسط]
أقول و البدر يسمو فى السما صعدالصاحبي و الدجى مستقبل الفجر
انظره فى كفه الميزان صاعده كأنها ضجة بيضاء من حجر
و قلت متغزلا، و الله ولى التجاوز: [الكامل]
قلم المحاسن خط نور عذاره أو مثل حلته يحاك بلا علم
لا تتقوا عينا تصيب جماله فالله عوده بنون و القلم
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٤٥
و قلت فى معنى غريب: [الكامل]
و لرب رزق غد لقيت مواجها كفت أكفهم وقاية واق
جاورت و التفتوا إلى فخلتهم جعلوا ذوابلهم على الأعناق
و قلت فى رمانه: [البيسط]
رمانه راق منها منظر عجيب تريك صورتها إبداع باريتها
كأنما حبها در و ظاهرها خد و من شحمها قطن يواريتها
و قلت مرتجلا لمن طلب ذلك على ضفة الوادى الكبير: [المتقارب]
و منتقش المتن كالمبرد إذا هب عرف التسيم الندى
تدافع مسترسلا مائجا كما اندفع الدرع من مزود
و قلت، و قد استزاد الطلبة الحاضرون من ذلك: [الخفيف]
و طموح العباب ضافى المقبل حسر الزوح عن حسام صقيل
كسيبك اللجين ذهبه الصانع سبحانه بشمس الأصيل
و استرادوا من ذلك فقلت: [الطويل]
و مدرع ينساب فى منبت الخوط يداعب مئوى ظلّه كل مغبوط

أقام شعاع الشمس يشغل فوفه فسال له ذوب اللجين من البوط

ثم قلت في ذلك: [السريع]

ثعبان نهر راعنا مده لئما أتى ينساب من حجره

فاهترت الأغصان من فوفه وصاحت الأطيوار في إثره

ثم قلت في ذلك: [الكامل]

انظر إليه و الأصيل مورس و الشمس ترسل من عنان مسيرها

و كأنما هو زئبق مترجرج ألقته عليه الشمس من إكسيها

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٤٦

و من وصف المواضع قلت في تاجرة: [الطويل]

بتاجرة ريح أزاحك بردها إله متى استرحمته فهو يرحم

رأت عصبى غزلا و جسمى مرمة فها هي تسدى كل يوم و تلحم

و من ذلك أيضا: [السريع]

يا بقعة بالحمد معروفة تحذرنا الشمس فلا تشرق

ترى عيون الماء عمشا بهاو أعين النيران لا تنطق

و من ذلك أيضا: [الطويل]

جفاك الحيا من بقعة ظلت عندها بلا جلد ممّا لقيت و لا جلد

فلو سامتها الشمس أرعد قرصهاو لئت فلم تسطع حراكا من البرد

و قلت أصف جبل شلير: [المتقارب]

شلير، لعمري أساء الجوارو سدّ على رحيب الفضاء

هو الشيخ أبرد شيء يرى إذا لبس البرنس الأبيض

و قلت أخطب بعض أصحابنا ممن يخضب بياض شبيهه من بعد الإنقاء:

[الكامل]

و كريمه شهد الخضاب شهادة بفتوها عند الأداء مزوره

مرض الفؤاد و حمّ لأجلها فجعلت منها للعلاج مزوره

و قلت و قد استزاد الحاضرون من هذا المعنى: [الكامل]

عهدي بهاتيكي الكريمة مهرق يقن تسرّ به العيون و تغبط

أغريت أجزاء المداد بظلههاو كذا المداد على الطروس مسلط

و قلت في ذلك: [البسيط]

و خضتها بعدما لاح المشيب و قد جوّزت في العقل كتم الصبح بالغبش

فاض البياض على رغم السواد بهاو يرشح الدمع تحت الكحل في العمش الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ٤؛ ص ٤٤٧

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٤٧

و قلت عند الرجوع من الرحلة: [الطويل]

رجعنا بفضل الله بعد استداره و فينا بها الأنس كيل اختياره

كما راجع البركان مفروض نقطة من الشطح، منها كان بدء مداره
و قلت في الغرض المذكور: [الطويل]
إلى العين تنأى الشهب و الشمس فتنة تالأ من البر و البحر ذو الموج
رحلنا عن الأوج الرفيع نحلها لمن أجل شتى ثم عدنا إلى الأوج
و قلت أحاطب شيخنا أبا الحسن بن الجيب: [الكامل]
بين السهام و بين كتبك نسبة مهما يصاب من العدو المقتل
و إذا أردت لها زيادة نسبة هذى و هذى فى الكنانة تجعل
و قلت فى البراغيث و فيها التجنيس: [البسيط]
بتنا نكابدهم القحط ليلتنا و أنجد الشهد و الكرب البراغيثا
و كان يحمل ما كنا نكابده من المشقة لو أن البرى غيثا
و قلت فى ذلك: [الطويل]
و قالوا: بدت منكم على الجلد حمرة فقلنا: براغيث لكم رقطونا
عدت نحونا ليلا و من بعد ذا امتدت كما رقصت فى القلو بزر قطونا
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٤٨
و قلت فى معنى غريب: [الكامل]
إن اللحاظ هى السيوف حقيقه و من استراب فحجتى تكفيه
لم يدع غمد السيف جفنا باطلا إلا لشبه اللحظ يغمد فيه
و قلت فيما يظهر منها: [الوافر]
هممت لأن أقبليها بشييتى فأبدت عند ذا سمه القنوط
و قالت لى: رأيتك فى حياتى جعلت بجسمها قطن الحنوط
و من الدعابة و الفكاهة، قولى أحاطب رجلا منتفخا بالجاه، يعطى أموره فوق حقها: [الكامل]
رفقا بنفسك سيدى رفقا فالفضل أن تبرا و أن تبقى
أما مزاجك فهو معتدل لكن أظن خيالك استسقا
و قلت فى الغرض المذكور: [الطويل]
رأيت بمخدومى انتفاخا فرابنى و باكرت دكان الطيب كما وجب
فقال: وقاك الله فيه فلا تخف عليه فهذا التفخ ليس له سبب
و قلت على طريقة المشاركة: [مجزوء الرمل]
هم أن يتنف ذقنى قلت: و الانى بفضله
لم أكن أدخل إلا آملا جنة وصله
و قلت على طريقتهم أيضا: [مجزوء الرمل]
قلت لما سألوني بامتحانى و اختبارى
أنا من عارى كأس أنا من كأسى عار
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٤٩

و قلت على طريقتهم أيضا : [الطويل]
و قالت: حلقت الكسّ منى بنورة فقلت لها استنصرت من ليس ينصر
ألا فاجبري عني فديتك و اصدقى محلّق ذاك الكسّ أنّى مقصّر
و قلت في بعض الأصحاب، و قد أكثر من سرقة كتب البرق الشامي للعماد الأصفهاني، رحمه الله : [الطويل]
خليبيّ إن يقض اجتماع بخالدفقولا له عني و لن تعدوا الحقّا
سرت العماد الأصفهانيّ برقه و كيف ترى في شاعر يسرق البرقا؟
و قلت، و قد أرجف قوم من الممرورين بظهور الخاتم: [الطويل]
و قالوا: ظفرنا في الزمان بخاتم قد اجتمعت أوصافه الغرّ في شخص
فقلت لهم: إن صحّ ما قد ذكرت فلا بدّ أن يحتاج فيه إلى فصّ
و قلت، و نستغفر الله من السّفاهة: [الكامل]
قالت: بعقلك فاحتفظ كي لا ترى تبكي بضرّ ليس يعرف كاشفا
و اعمل فديت حساب سحري و ارعوى فأنا الذي أخرجت سرّنا كاشفا
و قلت مطاوعا إخوان الدّعاة: [الكامل]
قالت: إذا استخبرتها عن زوجها هو يقرن الأزواج في الفدان
قلت ابلي عني السلام تحية عند المجيء لزوجك القران
و قلت و هي نزعها بيطارية : [الطويل]
و ذى زوجة تشكو فقلت له اسقها دواء من الحبّ المئين للبطن
فقال: أبت شرب الدواء بطبعها فقلت اسقها إن عافت الشرب بالقرن
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٥٠
و قلت أخطب بعض الطلبة، و كنية أبيه أبو الربيع، و اتهمته بأكل الحشيش:
[الطويل]

إننى ابن سليمان و فى الفكر فترة تخبر أنّ العقل جدّ معيب
فقلت: أظنّ السيّد اعتم عمّه و لكنها فى الأصل من كنية الأب
و قلت على طريقة المشاركة و الله وليّ المغفرة : [الخفيف]
قال لى عندما أتى بجداول و شكوك على أصول الدّين
و لسانى يبذل الدالّ تاء عاجزا فى الأمور عن تبيين
التمس مخرجا يوافق قولى قلت: أحسنت يا جلال التّين
و قلت معارضا أبياتا مثلها لبعض المعاصرين: [الوافر]
بعثت له إذ اتبعنا عصيراهجرنا فى تفقّده البيوتا
لعلك يا حبيب القلب تأتى فتأكل عندنا عنبا و توتا
و قلت أخطب من أدل عليه، و ما أولانى بذلك : [المتقارب]
إذا قمت قل بعقيب الكرى إلهى أنت إله الورى
تباركت أنشأتهم من تراب و أنشأتنى بينهم من خرا

و قلت و هي نزعۃ مشرقية : [الكامل]

يا قائدی نحو الغرام بمقلة نفقت حلاوتها بكل فوادی

ما ذا جنيت علی من مفضض الهوى الله ينصف منك يا قوادی

و قلت فيمن رعى محبوبه عارضه في حال السكر، و لحيۃ التيس دواء نافع للبطن: [الطويل]

رعى عارضی ظبی شکى سقم بطنه و قال، و لم ترشد لحذق و لا كيس:

ألم تر أنى علۃ البطن أشتكى و ينفع من يشكو بها لحيۃ التيس؟

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٥١

و قلت: [الخفيف]

حين لم أرج للخلاص سيلا دأبه بالصّدود في عشّاقه

قيض الله لحيۃ لخالصى قبضت بالبنان فوق خناقه

و قلت في ذلك: [الخفيف]

لم أجد فيه لين بثّ لقلبي و قبولاً لحجّتي و اعتذارى

ثقل الله ظهره بعيال سؤد الله وجهه بعدار

و قلت في ذلك: [الكامل]

ناديت مبتهلاً و قد جنّ الدجى لَمَا برمت برّده و بنججه

يا ربّ، و اجعل لوعتي في قلبه يا ربّ، و اجعل لمحتى في وجهه

و في قريب من ذلك، و الله العفوّ الغفور: [الرملة]

لى حبيب لست أعصى أمره لم أطق بعد وصال هجره

يدعى أنى ثقيل مبرم أثقل الله بعدلى ظهره

و قلت في مجتمع فضلاء: [الطويل]

أقول و قد جاء الغلام بثرده بأمثالها يحيى السعيد و ينعم

بنيت على زرد و لقمنى الفتى كذلك ماعون البناء يلقم

و قلت، و الله ولى التجاوز، أداعب بعضهم: [السريع]

شيخ رباط إن أتى شادن خلوته عند انسداد الظلام

أدلى و قد أبصره دلوه و قال: يا بشرى، هذا غلام

و قلت مشيراً إلى بعض طبقات الغناء: [الكامل]

ضرب الفقيه فقلت: ذاك غريبه ما كان ذلك منه بالمعلوم

فرنا إلى و قال: قد أظفتكم من ضرطتى بغريبه المزموم

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٥٢

و قلت أصف رجلاً خبيثاً غفر الله لى و له: [الطويل]

و ذى حيل يعبى التقيۃ أمرها مكايده في لجة الليل تسبح

يدبّ شبول الليث و الليث ساهرو يسرق ناب الكلب و الكلب ينبح

و قلت في نزعات المشاركة: [الوافر]

أقول لعاذلى لما نهانى و قد وجد الملامة إذ جفانى
علمت بأنه مرّ التجنى وفاتك أنه حلو اللسان

و من أغراض الإشارات الصوفية و غيرها من الوعظ و الجّد و الحكم، و لعل ذلك ما حيا لما تقدّمه بفضل الله

قلت: و ربما ثبتت فى كتاب «المحبة» من تأليفى: [الطويل]
تعددت الألفاظ و اتحد المعنى و أصبح فردا ما مررت به مثنى
و عادت لعين الجمع و هى كثيرة محا كلّ فرق مجتلى وجهك الأسنى
تعبدت الأفكار آثارك العليا و قيدت الأبصار روضتك الغنا
و قصّرت الألفاظ عن نيل غاية ببعض الذى أبدته ذاتك من معنى
و قلت: [الكامل]

لا تنكروا إن كنت قد أحببتكم أو أننى استولى علىّ هواكم
طوعا و كرها ما ترون فإننى طففت الوجود فما وجدت سواكم
و قلت: [السريع]

و الكون أشراك نفوس الورى طوبى لنفس حرّة فازت
إن لم تحز معرفة الله قدأورطها الشىء الذى حازت
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٥٣

و قلت أيضا فى المشيب و ما فى معناه: [الكامل]
أنى لمتلى بالهوى من بعد ماللوخط بالفودين أى ديب
لبس البياض و حلّ ذرّوة منبرمّنى و والى الوعظ فعل خطيب
و قلت فى تعلل يناقض ذلك: [الخفيف]
قلت للشيب: لا يربك جفائى فى اختصارى لك البرور و مقتك
أنت بالعتب يا مشيبى أولى جئتنى فجأه و فى غير وقتك
و قلت: [الرمّل]

طال حزنى لنشاط ذاهب كنت أسقى دائما من خانه
و شباب كان يندى نضرة نزل الثلج على ريحانه
و نظرت يوما إلى ولدى فأعجبتنى شيبته فقلت: [الرمّل]
سرق الدهر شبابى من يدي ففؤادى مشعر بالكمند
و حملت الأمر إذ أبصرته باع ما أفقدنى من ولدى
و قلت و هو الحق: [المنسرح]

انظر لخضاب الشيب قد نصلوا رائد العيش بعده انفصلا
و مطلبى و الذى كلفت به قد رمت تحصيله فما حصلا
لا أمل مسعف و لا عمل و نحن فى ذا و الموت قد وصلا
و قلت: [الوافر]

قحطنا ثم صاب الغيث رحمي فشكرا يا حمام، إذا غططنا
و يا غيث الرضا، عنا انسكابأفأنت على الخير به سقطنا
و قلت لما أخذت في طريقه أبي الفرج: [الطويل]
قعدت لتذكير و لو كنت منصفالذكرت نفسي فهي أحوج للذكري
إذا لم يكن مني لنفسي زاجرافيا ليت شعري كيف نفعل في أخرى
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٥٤
و قلت، و أنا بسلا، و قد أحسست غفلة، و الحال كله كذلك: [الطويل]
أيا أهل هذا القطر، ساعده القطردهيت فدلوني لمن يرفع الأمر؟
تشاغلت بالدنيا و نمت مفترطاو في شغلي أو نومتي سرق العمر
و قلت في منكانة الرمل و هو بديع: [البسيط]
منكانة الرمل فيها عبرة و نهى و شاهد أن كلاً منقض كمد
لباب عمر الفتى يجرى بجريتها كأنما العمر لما أطلقت فصد
و لما ارتجلت ذلك، استراد الحاضرون فقلت: [البسيط]
تأمل الرمل في المنكان منطلقا يجرى و قدره عمرا منك منتها
و الله لو كان وادى الرمل ينجده ما طال طائله إلّا و قد ذها
و قلت في قريب منه: [الطويل]
حمى الفلك الدوار جفني عن الكرى لشتي هموم منه فكري يجنيها
أراه رحي قين و عمري صفيحة يكرّ عليها بالمدار فيفنيها
و قلت في الوصايا: [الوافر]
إذا ما النفس مالت نحو حسن فقد خطرت على خطر الولوع
فإن أحسّت ميله أدر كهافما بعد الممبل سوى الوقوع
و قلت في المعنى: [الرجز]
إذا صرفت نحو وجه حسن طرفك و استهداك للحن الطمع
فلا تمل قلبك ما اسطعت له فالقلب كالحائط إن مال وقع
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٥٥
و قلت: [المتقارب]
أخي، لا تقل كذبا إن نطقت فللناس في الصدق فضل وضح
و خف إن كذبت طرّو افتضح فما كذب الفجر إلّا افتضح
و قلت منحيا على عالم الكون و الفساد: [الكامل]
و الله لو كانت حياتي في يدي مع جهل وعد الله أو لقيه
في خفض عيش لا تكلف منّة الإنسان مطعمه و لا سقيه
ما كان هذا العالم الجمّ الأذى مما يؤمل عاقل بقيه
و كتبت في بعض الحيطان لما اجتزت على مدينه سبتة: [الوافر]

أقمنا برهه ثم ارتحلنا كذلك الدهر حال بعد حال
و كلّ بداية فإلى انتهاء و كلّ إقامة فإلى ارتحال
و من سام الزمان بعام أمر فقد وقف الرجاء على المحال
و لنختم غرض هذه المقطوعات بقولي، و لا حول و لا قوة إلا بالله : [مجزوء الرمل]
عدّ عن كيت و كيت ما عليها غير ميت
كيف ترجو حالة البقاء لمصباح و زيت؟
و من الموشحات التي انفرد باختراعها الأندلسيون، و قد طمس اليوم رسمها، قولي :
ربّ ليل ظفرت بالبدرو نجوم السماء لم تدر
حفظ الله ليلنا و رعى أيّ شمل من الهوى جمعا
غفل الدهر و الرقيب معا الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٥٦ ليت نهر النهار لم يجر حكم الله لى على الفجر
علل النفس يا أبا الطرب بحديث أحلى من الضرب
فى هوى من وصاله أربى كلما مرّ ذكر من أدري قلت: يا برده على صدرى
صاح لا تهتمم بأمر غدو أجز صرفها يدا بيد
بين نهر و بلبل غرد و غصون تميل من سكر أعلنت: يا غمام ، بالشكر
يا مرادى و منتهى أملى هاتها عسجدية الحلل
حلّت الشمس منزل الحمل و برود الربيع فى نشرو الصبا عنبرية النشر
غزة الصبح هذه وضحت و قيان الغصون قد صدحت
و كأنّ الصبا إذا نفحت وهفا طيها عن الحصر مدحة فى علا بنى نصر
هم ملوك الورى بلا ثيامهدوا الدين زينوا الدنيا
و حمى الله منهم العليا بالإمام المرفّع الخطر و الغمام المبارك القطر
إنما يوسف إمام هدى جاز فى المعلوات كلّ مدى
قل لدهر بملكه سعدا الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٥٧ افتخر واجبا على الدهر كافتخار الربيع بالزهر
يا عماد العلاء و المجد أطلع العيد طالع السعد
و وفى الفتح فيه بالوعد و تجلّت فيه على القصر غرر من طلائع النصر
فتهنأ من حسنه البهج ب حياة النفوس و المهج
و استمعها و دع مقال شجى قسما بالهوى لذى حجرما لليل المشوق من فجر
و من ذلك قولي أيضا :
زمن الأنس كلما ولى رده معوزفاغتنم منك ريق العمر و هو مستوفز
اطرد الهمّ بابنة العنب و أحل غيم الثرى
عن شمس عكفن فى حجب عن عيون الورى
هى كنز من خالص الذهب حلّ عند العرا
كم فقير أتى على وعد فيه يستنجزو الوعيد الشديد معروف للذى يكثر
أضحك الفجر مبسم الشروق فاستراب الظلام

و انتضى الأفق صارم البرق من قراب الغمام
و تحلّت ترائب الورق درّ زهر الكمام
و لجيش الصباح فى الأفق راية تركزو خيول السحاب بالبرق أبدا تنهز
و قدود الغصون ترتاح للقاء النسيم
و شميم الرياض نفاح كثناء الكريم
و محيا الصباح يلتاح فى الجمال الوسيم
و خطيب الحمام فى الغصن مسهب موجزينكر التوم فهو بالعتب مفصح ملغز
للهى قدوة من الناس ذات نهج قويم
لا ترى فى المدام من باس و ارتشاف النديم
بحديث الغرام و الكاس فى الزمان القديم
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٥٨ طور و اصفح كل ديوان و به طرّزما لا تجز فى شريعة الظرف غير ما جوّز
قف ركاب المدائح الغزبأهل بز الهدى
يوسف الملك نخبة الأمرغيث أفق الندى
من لأسلافه بنى نصرفى جهاد العدى؟

و كتبت عن السلطان أبى الحجاج ابن السلطان أبى الوليد بن نصر، رحمه الله، إلى التربة المقدسة، تربة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و هى من أوليات ما صدر عنى فى هذه الأغراض: [الطويل]
إذا فاتنى ظلّ الحمى و نعيمه فحسب فؤادى أن يهبّ نسيمه
و يقنعنى أنى به متكيف فزمزمه دمعى و جسمى حطيمه
يعود فؤادى ذكر من سكن الغضا فيقعده فوق الغضا و يقيمه
و لم أر يوما كالنسيم إذا سرى شفى سقم القلب المشوق سقيمه
نعلل بالتذكار نفسا مشوقه يدير عليها كأسه و يديمه
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٥٩ و ما شفىنى بالخور قد مرّتم و لا شاقنى من وحش وجره ريمه
و لا سهرت عينى لبرق ثنيه من الثغر يبدو موهنا فأشيمه
برانى شوق للنبي محمد يسوم فؤادى برحه ما يسومه
ألا يا رسول الله، ناداك ضارع على البعد محفوظ الوداد سليمه
مشوق إذا ما الليل مدّ رواقه تحثّ به تحت الظلام همومه
إذا ما حديث عنك جاءت به الصباشجاه من الشوق الحديث قديمه
أ يجهر بالتجوى و أنت سميعهاو يشرح ما يخفى و أنت عليه؟
و تعوزه السقيا و أنت غياثه و تتلفه البلوى و أنت رحيمه؟
بنورك، نور الله، قد أشرق الهدى فأقماره و ضاحه و نجومه
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٦٠ لك انهلّ فضل الله بالأرض ساكبا فأنواؤه ملتفة و غيومه
و من فوق أطباق السماء بك اقتدى خليل الذى أوطا كها و كليمه
لك الخلق الأرضى الذى جلّ ذكره و مجدك فى الذكر الحكيم عظيمه

يجلّ مدى عليك عن مدح مادح فموسر دَرّ القول فيك عديمه
 ولى، يا رسول الله، فيك ورائه و مجدك لا ينسى الدّمام كريمه
 و عندى إلى أنصار دينك نسبة هي الفخر لا يخشى انتقالا مقيمه
 و كان بوذى أن أزور مبوأبك افتخرت أطلاله و رسومه
 و قد يجهد الإنسان طرف اعترامه و يعوزه من بعد ذاك مرومه
 و عذرى فى تسويف عزمى ظاهر إذا ضاق عذر العزم عمن يلومه
 عدتنى بأقصى الغرب عن تربك العدا جلالقه الثغر الغريب و رومه
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٦١ أجاهد منهم فى سبيلك أمهه هى البحر يعبى أمرها من يرومه
 فولوا اعتناء منك يا ملجأ الورى لريع حماه و استبيح حريمه
 فلا تقطع الجبل الذى قد وصلته فمجدك موفور التوال عميمه
 و أنت لنا الغيث الذى نستدرّه و أنت لنا الظلّ الذى نستديمه
 و لما نأت دارى و أعوز مطمعى و ألقنى شوق يشبّ جحيمه
 بعثت بها جهد المقلّ معولاً على مجدك الأعلى الذى جلّ خيمه
 و كلت بها همى و صدق قريحتي فساعدها هاء الرّوى و ميمه
 فلا تنسنى يا خير من وطئ الثرى فمثلك لا ينسى لديه خديمه
 عليك صلاة الله ما ذرّ شارق و ما راق من وجه الصّباح و سيمه

إلى رسول الحقّ، إلى كافّة الخلق، و غمام الرحمة الصادق البرق، و الحائر فى ميدان اصطفاء الرحمن قصب السّيق، خاتم الأنبياء، و
 إمام ملائكة السماء، و من وجبت له النبوة و آدم بين الطّين و الماء، شفيع أرباب الذنوب، و طيب أدواء
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٦٢

القلوب، و وسيلة الخلق إلى علّام الغيوب، نبى الهدى الذى طهر قلبه، و غفر ذنبه، و ختم به الرسالة ربّه، و جرى فى النفوس مجرى
 الأنفاس حبّه، المشقّع يوم العرض، المحمود فى ملائكة السماوات و الأرض، صاحب اللّواء المنشور، و المؤمن على سرّ الكتاب
 المسطور، و مخرج الناس من الظلمات إلى النور، المؤيّد بكفاية الله و عصمته، الموفور حظّه من عنايته و نعمته، الظلّ الخفّاق على
 أمته، من لو حازت الشمس بعض كماله ما عدت إشرافاً، أو كانت للآباء رحمة قلبه ذابت نفوسهم إشفاقاً، فائدة الكون و معناه، و سرّ
 الوجود الذى بهر الوجود سنانه، و صفى حضرة القدس الذى لا ينام قلبه إذا نامت عيناه، البشير الذى سبقت له البشرى، و رأى من
 آيات ربّه الكبرى، و نزل عليه سُبْحانَ الَّذِي أَسْرَى . الأنوار من عنصر نوره مستمدّه، و الآثار من آثاره مستجدّه.

من طوى بساط الوحى لفقده، و سدّ باب النبوة و الرسالة من بعده، و أوتى جوامع الكلم فوقف البلغاء حسرى دون حدّه، الذى انتقل
 فى الغرر الكريمة نوره، و أضاءت لميلاده مصانع الشام و قصوره، و طففت الملائكة تحتيه وفودها و تزوره. و أخبرت الكتب المنزّلة
 على الأنبياء بأسمائه و صفاته، فجاء بتصديق الخبر ظهوره و أخذ عهد الإيمان به على من اتصلت بمبعثه منهم أيام حياته، المفزع الأمتع
 يوم الفزع الأكبر، و السّند المعتمد عليه فى أهوال المحشر، ذو المعجزات التى أثبتتها المشاهدة و الحسّ، و أقرّ بها الجنّ و الإنس، من
 جماد يتكلّم، و جذع لفراقه يتألّم، و قمر له ينشقّ، و شجر يشهد أنّ ما جاء به هو الحقّ،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٦٣

و شمس بدعائه عن مسيرها تحبس، و ماء من أصابعه الكريمة ينبجس، و غمام باستسقائه يصبوب، و ركية بصق فى أجاجها فأصبح
 ماؤها و هو العذب المشروب، المخصوص بمناقب الكمال و كمال المناقب، المسّمى بالحاشر العاقب ذو المجد البعيد المراقى و

المراقب ، أكرم من رفعت إليه وسيلة المعترف المتغرب ، سيد الرسل محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، الذي فاز بطاعته المحسنون، و استنقذ بشفاعته المذنبون، و سعد باتباعه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، صلى الله عليه وسلم، ما لمع برق، و همع ودق ، و طلعت شمس، و نسخ اليوم أمس. من عتيق شفاعته، و عبد طاعته، المعتصم بسببه، المؤمن بالله ثم به، المستشفى بذكره كلما تألم، المفتوح بالصلاة عليه كلما تكلم، الذي إن ذكر تمثّل طلوعه بين أصحابه و آله، و إن هبّ النسيم العاطر وجد فيه طيب خلاله، و إن سمع الأذان تذكر صوت بلاله ، و إن ذكر القرآن استشعر تردّد جبريل بين معاهده و خلاله ، لاثم تربه، و مؤمل قربه، و رهين طاعته و حبه، المتوسّل به إلى رضى الله ربه ، يوسف بن إسماعيل بن نصر . كتبه إليك يا رسول الله، و الدّمع ماح، و خيل الوجد ذات جماح، عن شوق يزداد كلما نقص الصبر، و انكسار لا يتاح له إلّا بدنو مزارك الجبر، و كيف الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٦٤

لا يعيب مشوقك الأمر، و توطأ على كبده الجمر ، و قد مطلت الأيام بالقدوم على تربتك المقدسة اللحد، و وعدت الآمال و دانت بإخلاف الوعد، و انصرفت الرفاق و العين يائس ضريحك ما اكتحلت، و الركائب إليك ما ارتحلت ، و العزائم قالت و ما فعلت، و النواظر فى تلك المشاهد الكريمة لم تسرح، و ظهور الآمال عن ركوب العجز لم تبرح. فيا لها من معاهد فاز من حياها، و مشاهد ما أعطر رياها! بلاد نيطت بها عليك التمام ، و أشرفت بنورك منها النجود و التهائم. و نزل فى حجراتها عليك الملك، و انجلى بضيء فرقانك فيها الحلحك ، مدارس الآيات و السور، و مطالع المعجزات السافرة الغرر ، حيث قضيت الفروض و حتمت، و افتتحت سور الوحى و ختمت، و ابتدئت الملة الحنيفية و تمّت، و نسخت الآيات و أحكمت. أما و الذى بعثك بالحق هاديا، و أطلعك للخلق نورا باديا، لا- يطفئ غلتي إلّا شربك، و لا يسكن لوعتي إلّا قربك، فما أسعد من أفاض من حرم الله إلى حرمك، و أصبح بعد أداء ما فرضت عن الله ضيف كرمك، و عفر الخد فى معاهدك و معاهد أسرتك، و تردّد ما بين دارى بعثتك و هجرتك . و إنى لما عاقتنى عن زيارتك العوائق و إن كان شغلى عنك بك، و صدّتنى الأعداء فيك عن وصل سببى بسببك، و أصبحت بين بحر تتلاطم أمواجه، و عدوّ تتكاثف أفواجه، و يحجب الشمس عند الظهيرة عجابه، فى طائفه من المؤمنين بك و طنوا على الصبر نفوسهم، و جعلوا التوكّل على الله و عليك لبوسهم ، و رفعوا إلى مصارحتك رؤوسهم، و استعذبوا فى مرضاه الله و مرضاتك بوسهم ، يطيرون من هيعه إلى أخرى،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٦٥

و يلتفتون و المخاوف عن يمنى و يسرى، و يقارعون و هم الفئة القليلة جموعا كجموع قيصر و كسرى، لا يبلغون من عدوّ هو الذرّ عند انتشاره، عشر معشاره، قد باعوا من الله تعالى الحياة الدنيا؛ لأن تكون كلمة الله هى العليا، فيا له من سرب مروع، و صريخ إلّا منك ممنوع، و دعاء إلى الله و إليك مرفوع. و صبية حمر الحواصل، تخفق فوق أوكارها أجنحة المناصل، و الصليب قد تمطى يمدّ ذراعيه، و رفعت الأطماع بضبعيه، و قد حجت بالقتام السماء، و تلاطمت أمواج الحديد، و البأس الشديد، فالتقى الماء، و لم يبق إلّا الدماء . و على ذلك فما ضعفت البصائر و لا ساءت الظنون، و ما وعد به الشهداء تعتقده القلوب حتى تكاد تشاهده العيون، إلى أن نلتاك غدا إن شاء الله و قد أبلينا العذر ، و أرغمنا الكفر، و أعملنا فى سبيل الله و سبيلك البيض و السّمر ، استنبت رقعتي هذه لتطير إليك من شوقى بجناح خافق، و تشعر نيتى التى تصحبها لرفيق موافق، فتؤدى عن عبدك و تبلى، و تعفر الخد فى تربك و تمرغ، و تطيب برّيا معاهدك الطاهرة و بيوتك، و تقف و قوف الخشوع و الخضوع تجاه تابوتك، و تقول بلسان التملق، عند التّشبت بأسبابك و التعلّق، منكسرة الطّرف، حذرا بهرجها من عدم الصّرف: يا غياث الأمة، و غمام الرحمة، ارحم غربتى و انقطاعى، و تغمّد بطولك

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٦٦

قصر باعى، و قو على هيبتك خور طباعى. فكم جزت من لّج مهول، و جبت من حزون و سهول، و قابل بالقبول نيابتى، و عجل بالرضا إجابتى. و معلوم من كمال تلك الشّيم، و سخاء تلك الدّيم، أن لا يخيب قصد من حطّ بفنائها، و لا يظمأ وارد أكبّ على إنائها .

اللهم، يا من جعلته أول الأنبياء بالمعنى و آخرهم بالصورة، و أعطيته لواء الحمد يسير آدم فمن دونه تحت ظلالة المنشورة، و ملكت أمته ما زوى له من زوايا البسيطة المعمورة، و جعلتني من أمته المجبولة على حبه المفطورة، و شوقتني إلى معاهده المبرورة، و مشاهده المزورة، و وكلت لساني بالصلاة عليه، و قلبى بالحنين إليه، و رغبتني فى التماس ما لديه، فلا تقطع عنه أسبابى، و لا تحرمنى فى حبه أجر ثوابى، و تداركنى بشفاعته يوم أخذ كتابى. هذه يا رسول الله وسيلة من بعدت داره، و شط مزاره، و لم يجعل بيده اختياره. فإن لم تكن هذه للقبول أهلا فأنت للإغضاء و السماح أهل، و إن كانت ألفاظها و عرة فجنابك للقاصدين سهل، و إذا كان الحب يتوارث كما أخبرت، و العروق تدسّ حسبما إليه أشرت، فلى بانتسابى إلى سعد عميد أنصارك مزبته، و وسيلة أثيرة حفيته، فإن لم يكن لى عمل ترتضيه فلى ثبته. فلا تنسنى و من بهذه الجزيرة التى افتتحت بسيف كلمتك، على أيدى خيار أمتك، فإنما نحن بها وديعة تحت بعض أفعالك، نعوذ بوجه ربك من إغفالك، و نستنشق من ريح عنايتك نفحة، و نرتقب من محيا قبولك لمحفة، ندافع بها عدوا ظغى و بغى، و بلغ من مضايقتنا ما ابتغى. فمواقف التّمحيص قد أعيت من كتب و أرخ، و البحر قد الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٦٧

أصممت بواعث لججه من استصرخ، و الطاغية فى العدوان مستبصر، و العدو محلّق و الوليّ مقصير. و بجاهك نستدفع ما لا نطيع، و بعنايتك نعالج سقيم الدّين فيفيق، فلا تفردنا و لا تهملنا، و ناد ربك فىنا، ربنا و لا تُحمّلنا، و طوائف أمتك حيث كانوا، عناية منك تكفيهم، و ربك يقول لك، و قوله الحق: و ما كان الله ليعدّ بهم و أنت فيهم. و الصلاة و السلام عليك يا خير من طاف و سعى، و أجاب داعيا إذا دعا، و صلّى الله على جميع أحزابك و آلك، صلاة تليق بجلالك، و تحقّق لكمالك، و على ضجيعيك و صدقيك، و حبيبيك و رفيقيك، خليفتك فى أمتك، و فاروقك المستخلف بعده على ممتك، و صهرك ذى النورين المخصوص ببرك و نحلّتك، و ابن عمك، سيفك المسلول على حلتك، بدر سمائك و والد أهلتك. و السلام الكريم عليك و عليهم كثيرا أثيرا، و رحمة الله تعالى و بركاته. و كتب بحضرة جزيرة الأندلس غرناطة، صانها الله تعالى و وقاها، و دفع عنها ببركتك كيد عداها.

و كتبت عن ولده أمير المسلمين أبى عبد الله إلى ضريح رسول الله صلى الله عليه و سلم، و ضمّنت ذلك ما فتح الله عليه من الفتوحات السّنيّات إليه

و فى أوائل عام أحد و سبعين و سبعمائة: [الطويل]
دعاك بأقصى المغربين غريب و أنت على بعد المزار قريب
مدلّ بأسباب الرجاء و طرفه غضيض على حكم الحياء مهيب الإحاطة فى أخبار غرناطة؛ ج ٤؛ ص ٤٦٧
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٦٨ يكلف قرص البدر حمل تحية إذا ما هوى و الشمس حين تغيب
ليرجع من تلك المعالم غدوة و قد ذاع من ورد التحية طيب
و يستودع الريح الشمال شمائل من الحب لم يعلم بهنّ رقيب
و يطلب فى جيب الجيوب جوابها إذا ما أطلت و الصباح منيب
و يستفهم الكفّ الخضيب و دمه غراما بحناء النّجيع خضيب
و يتبع آثار المطى مشيعا و قد زمزم الحادى و حنّ نجيب
إذا أثر الأخفاف لاح محاربا يخز عليها راكعا و ينب
و يلقي ركاب الحجّ و هى قوافل طلاح و قد لبى النداء لبيب
فلا قول إلّا أنّه و توجّع و لا حول إلّا زفره و نجيب

غليل و لكن من قبولك منهل عليل و لكن من رضاك طيب
 ألا ليت شعري و الأمانى ضلّهُ و قد تخطىء الآمال ثم تصيب
 أ ينجد نجد بعد شطّ مزاره و يكتب بعد البعد منه كتيب ؟
 و هل ينقضى دينى فيسمح طائعا و أدعو بحظي مسمعا فيجيب ؟
 و يا ليت شعري هل لحومى مورد لديك ؟ و هل لى فى رضاك نصيب ؟
 و لكنك المولى الجواد و جاره على أى حال كان ليس يخيب
 و كيف يضيق الذرع يوما بقاصدو ذاك الجناب المستجار رحيب ؟
 و ما هاجنى إلّا تألق بارق يلوح بفود الليل منه مشيب
 ذكرت به ركب الحجاز و جيرة أهاب بها نحو الحبيب مهيب
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٦٩ فبتّ و جفنى من لآلىء دمعته غنى و صبرى للشجون سليب
 ترنحنى الذكري و يهفو بى الهوى كما مال غصن فى الرياض رطيب
 و أحضر تعليلا لشوقى بالمنى و يطرق وجد غالب فأغيب
 منأى ، لو اعطيت الأمانى، زوررة بيتّ غرام عندها و وجيب
 فقول حبيب إذ يقول تشوّقاعسى وطن يدنو إلى حبيب
 تعجبت من سيفى و قد سابق القضاء قلبى فلم يسكبه منه مذيب
 و أعجب أن لا يورق الرمح فى يدي و من فوقه غيث المشوق سكيب
 فيا سرح ذاك الحى لو أخلف الحيا لأغناك من صوب الدموع صيب
 و يا هاجر الجوّ الجديد تلبثا فعهدى رطب الجانين خصيب
 و يا قادح الزند الشّحاح ترفقا عليك فشوقى الخارجى شيب
 أيا خاتم الرسل المكين مكانه حديث الغريب الدار فيك غريب
 فؤادى على جمر البعاد مقلب يماح عليه للدموع قلب
 فوالله ما يزداد إلّا تلهبا أ أبصرت ماء نار عنه لهيب ؟
 فليلته ليل السليم و يومه إذا شدّ للشوق العصاب عصب
 هواى هدى فيك اهتديت بنوره و منتسى للصّحب منك نسيب
 و حسبي على أنى لصحبك متم و للخزرجيين الكرام نسيب
 عدت عن مغانيك المشوقة للعدا عقارب لا يخفى لهنّ ديب
 حراس على إطفاء نور قدحته فمستلب من دونه و سليب
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٧٠ تمرّ الرياح الغفل فوق كلومهم فتعقب من أنفاسها و تطيب
 بنصر ك عنك الشغل من غير منه و هل يتساوى مشهد و مغيب ؟
 فإن صحّ منك الحظّ طاوعت المنى و يبعد مرمى السهم و هو مصيب
 و لولاك لم يعجم من الزوم عودها فعود الصليب الأعجمى صليب
 و قد كانت الأحوال لولا مراغب ضمنت و وعد بالظنون تريب
 منابر عزّ أذن الفتح فوقها و أفصح للعضب الطيرير خطيب

نقود إلى هيجائها كل صائل كما ريع مكحول اللحاظ ريبب
و نجتاب من سرد اليقين مدارعايكفتها من يجتنى و يثيب
إذا اضطرب الخطي حول غدبرها يروقك منها لجة و قضيب
فعدرا و إغضاء و لا تنس صارخابعرك يرجو أن يجيب مجيب
و جاهك بعد الله نرجو و إنه لحظ مليء بالوفاء رغب
عليك صلاة الله ما طيب الفضا عليك مطيل بالثناء مطيب
و ما اهتر قد للغصون مرتح و ما افتتر ثغر للبروق شنيب

إلى حجة الله تعالى المؤيد براهيم أنواره، و فائدة الكون و نكتة أدواره، و صفوة نوع البشر و منتهى أطواره. إلى المجتبي و موجود
الوجود لم يغن بمطلق الوجود عديمه، و المصطفى من ذرية آدم قبل أن يكسو العظام أديمه، المحتوم في القدم، و ظلمات العدم، عند
صدق القدم، تقديمه و تفضيله إلى وديعة النور المنتقل في الجباه الكريمة و الغرر، و غمام الرحمة الهامية الدرر. إلى مختار الله
المخصوص باجتماعه، و حبيبه الذي له المزية على أحبائه، من ذرية أنبياء الله تعالى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٧١

آبائه. إلى الذي شرح صدره و غسله، ثم بعثه واسطة بينه و بين العباد و أرسله، و أتم عليه إنعامه الذي أجزله، و أنزل عليه من النور و
الهدى ما أنزله. إلى بشرى المسيح و الذبيح، و من لهم التجر الرياح، المنصور بالزعب و الزريح، المخصوص بالنسب الصريح. إلى
الذي جعله في المحول غماما، و للأنبياء إماما، و شق صدره لتلقى روح أمره غلاما، و أعلم به في التوراة و الإنجيل إعلاما، و علم
المؤمنين صلاة عليه و سلاما. إلى الشفيح الذي لا ترد في العصاة شفاعته، و الوجيه الذي قرنت بطاعة الله طاعته، و الرؤوف الرحيم
الذي خلصت إلى الله في أهل الجرائم ضراعتة.

صاحب الآيات التي لا يسع ردها، و المعجزات التي أربى على الألف عدها، فمن قمر شق، و جذع حن له و حق، و بنان يتفجر بالماء،
فيقوم برى الظماء، و طعام يشبع الجمع الكثير يسيره، و غمام يظل به مقامه و مسيره، خطيب المقام المحمود إذا كان العرض، و أول
من تنشق عنه الأرض، و وسيلة الله تعالى التي لولاها ما أقرض القرض، و لا عرف النفل و الفرض، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
بن هاشم بن عبد مناف المحمود الخلال، من ذى الجلال، الشاهدة بصدقه صحف الأنبياء و كتب الإرسال، و آياته التي أثلجت
القلوب ببرد اليقين السلسال، صلى الله عليه و سلم، ما ذر شارق، و أومض بارق، و فرق بين اليوم الشامس و الليل الدامس فارق،
صلاة تتأرجع عن شذى الزهر، و تنبلج عن سنا الكواكب الزهر، و تتردد بين السير و الجهر، و تستغرق ساعات النهار و أيام الشهر، و
تدوم بدوام الدهر، من عبد هدا، و مستقرى مواقع نداء، و مزاحم أبناء أنصاره في منتداه، و بعض سهامه المفوقة إلى نحور عداه.
مؤمّل العتق من النار بشفاعته، و محرز طاعة الجيار بطاعته، الآمن باتصال رعيه من إهمال الله و إضاعته، متخذ الصلاة عليه وسائل
نجاه، و ذخائر في الشدائد مرتجاء، و متاجر

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٧٢

بضائعها غير مزجاء، الذي ملأ بجنه جوانح صدره، و جعل فكره هالة لبدرة، و أوجب حقه على قدر العبد لا على قدره، محمد بن
يوسف بن نصر الأنصاري الخزرجي نسيب سعد بن عباد من أصحابه، و بوارق سحابه، و سيوف نصرته، و أقطاب دار هجرته، ظلله
الله يوم الفرع الأكبر من رضاك عنه بظلال الأمان، كما أنار قلبه من هدايتك بأنوار الهدى و الإيمان، و جعله من أهل السباحة في
فضاء حبك و الهيمن. كتبه إليك يا رسول الله و اليراع يقتضى مقام الهيبة صفرة لونه، و المداد يكاد أن يحول سواد جونه، و ورقة
الكتاب يخفق فؤادها حرصا على حفظ اسمك الكريم و صونه، و الدمع يقطر فتتقط به الحروف و تفصل الأسطر، و توهم المثل
بمثواك المقدس لا يمر بالخاطر سواه و لا يخطر، عن قلب بالبعد عنك قريح، و جفن بالبكاء جريح، و تأوّه عن تبريح، كلما هب

من أرضك نسيم ريح.

و انكسار ليس له إلّا جبرك ، و اغتراب لا- يؤنس فيه إلّا قربك، و إن لم يقض فقبرك. و كيف لا يسلم في مثلها الأسى، و يوحش الصباح و المساء، و يرجف جبل الصبر بعد ما رسى، لولا لعلّ و عسى. فقد سارت الزكبان إليك و لم يقض مسير، و حوّمت الأسراب عليك و الجناح كسير، و وعدت الآمال فأخلفت، و حلفت العزائم فلم تف بما حلفت، و لم تحصل النفس من تلك المعاهد ذات الشرف الأثيل، إلّا على التمثيل، و لا من المعالم المتناهيّة التنوير، إلّا على التصوير، مهبط وحى الله و متنزل أسمائه، و متردد ملائكة سمائه، و مرافق أوليائه، و ملاحد أصحاب خيرة أنبيائه، رزقنى الله الرضا بقضائه، و الصبر على جاحم البعد و رمضائه.

من حمراء غرناطة، حرسها الله تعالى، دار ملك الإسلام بالأندلس قاصية سيلك ، و مسلحة رجلك يا رسول الله و خيلك، و أنأى مطارح دعوتك

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٧٣

و مساحب ذيلك، حيث مصافّ الجهاد فى سبيل الله و سبيلك، قد ظلّ لها القتام، و شهبان الأسنّة أطلعها منه الإعتماد، و أسواق بيع النفوس من الله قد تعدّد بها الأيامى و الأيتام، حيث الجراح قد تحلّت بعسجد نجيعها النحور، و الشهداء تحفّ بها الحور، و الأمم الغريبة قد قطعها عن المدد البحور، حيث المباسم المفتّرة، تجلوها المصارع البرّة، فتحيها بالعراء ثور الأزاهر، و تندبها صوادح الأدواح برنات تلك المزاهر، [و تحمل السحاب أشلاءها المعطّلة من ظلّها بالجواهر،] حيث الإسلام من عدوّه المكاييد بمنزلة قطرة من عارض غمام، و حصاة من ثبير أو شمام، و قد سدّت الطريق، و أسلم الفراق الفريق، و أغضّ الريق، و يئس من الساحل الغريق، إلّا أن الإسلام بهذه الجهة المتمسكة بجبل الله و جبلك، المهتدية بأدلة سبلك، سالم و الحمد لله من الانصداع، محروس بفضل الله من الابتداع، مقدود من جديد الملة، معدوم فيه وجود الطوائف المضلّة، إلّا ما يخصّ الكفر من هذه العلة، و الاستظهار على جمع الكثرة من جموعه بجمع القلّة.

و لهذه الأيام، يا رسول الله، أقام الله أوده بزا بوجهك الوجيه و رعياء، و إنجازا لوعدك و سعيا، و هو الذى لا يخلف وعدا و لا يخيب سعيا، و فتح لنا فتوحا أشعرتنا برضاه عن وطننا الغريب، و بشرتنا منه تعالى بتغمّد التقصير و رفع التّريب، و نصرنا و له المنّة على عبده الصليب، و جعل لألفنا الزدينى

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٧٤

و لا منا السردى حكم التغليب. و إذا كانت الموالى التى طوّقت الأعناق منها، و قررت العوائد الحسنه سيرها و سننها، تبادر إليها نوابها الصّيرحاء، و خدامها التّصحاء، بالبشائر، و المسرّات التى تشاع فى العشائر، و تجلو لديها نتائج أيديها، و غايات مباديها، و تتاحفها و تهاديها، بمجانى جنّاتها و أزاهر غواديهها، و تطرف محاضرها بطرف بواديها، فبابك يا رسول الله أولى بذلك و أحقّ، و لك الحقّ الحقّ، و الحرّ منا عبدك المسترقّ، حسبما سجّله الرّق. و فى رضاك من كل من يلتمس رضاه المطمع، و مثواك المجمع، و ملوك الإسلام فى الحقيقة عبيد سدّتك المؤمّلة، و خول مثابتك المحسّنة بالحسنات المجملّة، و شهب تعشو إلى بدورك المكملّة، و محض سيوفك المقلّدة فى سبيل الله المحمّلة، و حرمة مهادك، و سلاح جهادك، و بروق عهادك. و إنّ مكفول احترامك الذى لا يخفر، و ربّى إنعامك الذى لا يكفر، و ملتحف جاهك الذى يمحي ذنبه بشفاعتك إن شاء الله و يعفر، يطالع روضه الجنّة المفتّحة أبوابها بمثواك، و يفتح صوان القدس الذى أجنك و حواك، و ينثر بضائع الصلاة عليك بين يدي الصّريح الذى يهواك، و يعرض جنى ما غرست و بذرت، و مصداق ما بشرت به لئما بشرت و أنذرت، و ما انتهى إليه طلق جهادك، و مصبّ عهادك، لتقرّ عين نصحك الذى أنام العيون السّاهرة هجوعها، و أشبع البطون و رواها ظمؤها من الله و جوعها. و إن كانت الأمور بمراى من عين عنايتك، و غيبها متعرّف بين إفصاحك و كنايتك. و مجمله يا رسول الله، صلّى الله عليك، و بلغّ وسيلتى إليك، هو أنّ الله سبحانه لّمّا عرفنى لطفه الخفى فى التّمحيص، المقتضى عدم المحييص، ثم فى التّخصيص، المغنى بعيانه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٧٥

عن التنصيص، وفق ببركتك السارية رحماها في القلوب، و وسائل محبتك العائدة بنيل المطلوب، إلى استفادة عظة و اعتبار، و اغتنام إقبال بعد إدبار، و مزيد استبصار، و استعانة بالله تعالى و انتصار، فسكن هبوب الكفر بعد إعصار، و حلّ محقق الإسلام بعد حصار، و جرت على سنن السنة بحسب الاستطاعة و المنة اليسيرة، و جبرت بجاهك القلوب الكسيرة، و سهلت المآرب العسيرة، و رفع بيد العزة الضيم، و كشف نور البصيرة الغيم، و ظهر القليل على الكثير، و باء الكفر بخطئة التعثير، و استوى الدين الحنيف على المهاد الوثير، فاهتبلنا يا رسول الله غرة العدو و انتهزناها، و شمنا صوارم غرة العدو و هزناها، و أزحنا علل الجيوش و جهزناها، فكان مما ساعد عليه القدر، و الحظّ المتبدر، و الورد الذي حسن منه الصّيدر، أننا عاجلنا مدينة برغة، و قد جرّعت الأختين؛ مالقة و رنده، من مدائن دينك، و خزائن ميادينك، أكواس الفراق، و أذكرت مثل من بالعراق، و سدّت طرق التّراور على الطّراق، و أسالت المسيل بالتّجيع المراق، في مراصد المراد و المراق، و منعت المراسلة مع هدى الحمام، لا بل مع طيف المنام عند الإلمام، فيسير الله اقتحامها، و ألحمت بيض الشّفار في رؤوس الكفار إلحامها، و أزال بشر السيوف من بين تلك الحروف إقحامها، فانطلق المسرى، و استبشرت القواعد الحسرى، و عدمت بطريقها المخيف مصارع الصّرعى و مثاقف الأسرى، و الحمد لله على فتحه الأسنى و منحه الأسرى، و لا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٧٦

إله إلا هو منقل قيصر و كسرى، و فاتح مغلقاتها المنيعه قسرا، و استولى الإسلام منها على قرار جنّات، و أمّ بنات، و قاعدة حصون، و شجرة غصون، طهّرت مساجدها المغتصبة المكرهه، و فجع فيها الفيل الأفيال و أبرهه، و انطلقت بذكر الله الألسنة المدرهه، و فاز بسبق ميدانها الجياد الفرهه. هذا و طاغية الزّوم على توفّر جموعه، و هول مرثيه و مسموعه، قريب جواره، بحيث يتّصل خواره، [و قد حرّك إليها الحنين حواره.] ثم نازل المسلمون بعدها شجا الإسلام الذي أعيا النّطاسى علاجه، و كرك هذا القطر الذي لا تطاول أعلامه و لا تصاول أعلامه، و ركاب الغارات التي تطوى المراحل إلى مكايده المسلمين طى البرود، و جحر الحيات التي لا تخلع على اختلاف الفصول جلود الزرود، و منغص الورود في العذب المورود، و مقصّ المضاجع، و حلم الهاجع، و مجهّز الخطب الفاجيء الفاجع، و مستدرّك فاتكة الراجع، قبل هبوب الطائر السّاجع، حصن آشر، حماه الله دعاء لا خبرا، كما جعله للمتفكرين في قدرته معتبرا، فأحاطوا به إحاطة القلادة بالجيد، و أدلّوا عزّته بعزّة ذى العرش المجيد، و حفّت به الرايات يسمها و سمكن، و يلوح في صفحاتها اسم الله تعالى و اسمك، فلا ترى إلا نفوسا تتراحم على موارد الشهادة أسرابها، و ليوثا يصدق طعانها في الله و ضرابها، و أرسل الله عليها رجزا إسرائيليا من جراد السّيهام، تشدّ آيته عن الأفهام، و سدّد إلى الجبل النفوس القابلة للإلهام، من بعد الاستغلاق و الاستبها،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٧٧

و قد عبثت جوارح صحوره في قنائص الهام، و أعيا صعبه على الجيش اللّهام، فأخذ مسائغه النّقص و النّقب، و رغا فوق أهله السّقب، و نصبت المعارج و المراقي، و قرعت المناكب و التّراقي، و اغتمت الصّيادقون من الله الحظّ الباقي، و قال الشهيد المسابق: يا فوز استباقي، و دخل البلد فالتحم السيّيف، و استلب البحت و الزّيف، ثم استخلصت القصبة فعملت أعلامك في أبراجها المشيدة، و ظفر ناشد دينك منها بالنّشيدة، و شكر الله في قصدها مساعى النّصائح الرّشيدة، و عمل ما يرضيك يا رسول الله في سدّ ثلمها، و صون مستلمها، و مداواة ألمها، حرصا على الاقتداء في مثلها بأعمالك، و الاهتداء بمشكاة كمالك، و ربّ فيها حماة تشجى العدو، و تواصل في مرضاة الله تعالى و مرضاتك الرّواح و العدو. ثم كان الغزو إلى مدينة أطريرة، بنت حاضرة الكفر إشبيلية، التي أظلتها بالجنّاح السّاتر، و أنامتها في ضمان الأمان للحسام الباتر، و قد وتر الإسلام من هذه المومسة البائسة بوتر الواتر، و أحفظ منها بأذى الوقاح المهاتر، لما جرّته على أسراه من عمل الخاتل الخاتر، حسب المنقول لا بل المتواتر، فطوى إليها المسلمون المدى النازح، و لم تشك المطى الروازح، و صدق في الجدّ جدّها المازح، و خفقت فوق أوكارها أجنحة الأعلام، و غشيتها أفواج الملائكة الموسومة و

ظلال الغمام، و صابت من السهام

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٧٨

ودق الرّهام ، و كاد يكفى السماء على الأرض ارتجاج أطواها بكلمة الإسلام، و قد صمّ خاطب عروس الشهادة عن الملام، و سمح بالعزير المصون مبايع الملك العلام، و تكلم لسان الحديد الصّامت و صمت إلّا بذكر الله لسان الكلام، و وقت الأوتار بالأوتار، و وصل بالخطّي ذرع الأبيض البتار، و سلّطت النار على أربابها، و أذن الله في تبار تلك الأمة و تبابها ، فنزلوا على حكم السيف آلافا، بعد أن أتلّفوا بالسلاح إتلافا، و استوعبت المقاتلة أكنافا ، و قرنوا في الجدل أكتافا أكتافا، و حملت العقائل و الخرائد، و الولدان و الولائد، إركابا من فوق الظهور و إردافا، و أقلت منها أفلاك الحمول بدورا تضىء من ليالى المحاق أسدافا ، و امتلأت الأيدي من المواهب و الغنائم، بما لا- يصوّره حلم النّائم، و تركت العوافى تتداعى إلى تلك الولائم، و تفتنّ من مطاعمها فى الملائم، و شنت الغارات على حمص فجّلت خارجها مغارا، و كست كبار الزّوم بها صغارا، و أبحرت أبطالها إجحارا ، و استاقت من النعم ما لا يقبل الحصر استبحارا، و لم يكن إلّا أن عدل القسم، و استقلّ بالقول العزيز الرّسم، و وضح من التوفيق الوسم، فكانت الحركة إلى قاعدة جيان قيعه الظلّ الأبرد، و نسيجه المنوال المفرد، و كناس الغيد الخرد، و كرسى الإمارة، و بحر العماره، و مهوى هوى الغيث الهتون، و حزب التين و الزيتون، حيث خندق الجنّه المعروف تدنو لأهل النار مجانيه، و تشرق بشواطئ الأنهار إشراق الأزهار زهر مبانیه، و القلعة التى تختمت بنان شرفاتها بخواتم النّجوم،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٧٩

و همت من دون سحابها البيض سحائب الغيث السّجوم، و العقيلة التى أبدى الإسلام يوم طلاقها، و هجوم فراقها، سمه الوجوم لذلك الهجوم فرمتها البلاد المسلمة بأفلاذ أكبادها الوادعه، و أجابت منادى دعوتك الصادقة الصّادعه، و حبتها بالفادحة الفادعه، فغصيت الرّبى و الوهاد بالتكبير و التّهليل، و تجاوزت الخيل بالصّهيل، و انهالت الجموع المجاهدة فى الله تعالى انهيال الكتيب المهيل. و فهمت نفوس العباد المجاهدة فى الله حقّ الجهاد معانى التّيسير من ربّها و التّسهيل، و سفرت الرايات عن المرأى الجميل، و أربت المحلّات المسلمة على التّأميل. و لما صبحتها النواصى المقبله الغرر، و الأعلام المكتبة الطّور، برز حاميتها مصحرين ، و للحوزه المستباحه مستنصرين، فكأثرهم من سرعان الأبطال رجل الدّبى ، و نبت الوهاد و الرّبى، فأفحموهم من وراء السّور، و أسرع أعلام الرّماح فى بسط عددهم المكسور، و تركت صرعاهم و لائم للسّور. ثم اقتحموا ربض المدينة الأعظم فافترعوه ، و جدلوا من دافع عن أسواره و صرعوه، و أكواس الحتوف جرّعوه، و لم يتصل أولى الناس بأخراهم، و يحمد بمخيم النصر العزيز سراهم، حتى خذل الكفّار الصبر و أسلم الجلد، و أنزل على المسلمين النصر فدخل البلد، و طاح فى السيل الجارف الوالد منه و الولد، و أتهم المطرف منه و المتلد، فكان هولاً بعيد الشّناعه، و بعثا كقيام الساعه، أعجل المجانيق عن الركوع و السجود، و السلالم عن مطاولة النّجود، و الأيدي عن ردم الخنادق و الأغوار، و الأكبش عن مناطحه الأسوار، و التّفوط عن إصعاق الفجّار ، و عمد الحديد، و معاول البأس

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٨٠

الشديد، عن نقب الأبراج و نقض الأحجار، فهيلت الكتبان، و أييد الشّيب و الشّبان، و كسرت الصّلبان، و فجع بهدم الكنائس الرّهبان، و أهبطت التّواقيس من مراقبها العالیه، و صروحها المتعالیه، و خلعت ألسنتها الكاذبه، و نقل ما استطاعته الأيدي المجاذبه ، و عجزت عن الأسلاب ذوات الظّهور، و جلل الإسلام شعار العزّ و الظّهور، بما خلت عن مثله سواف الدهور ، و الأعوام و الشهور، و أعرست الشهداء بالحور، و منّوا النفوس المبيعه من الله بحلّ الصدقات الصّادقه و المهور. و من بعد ذلك هدم السور، و محيت من مختطه المحكم السطور، و كاد يسير ذلك الجبل الذى اقتعدته تلك المدينة و يدكّ ذلك الطّور. و من بعد ما خرب الوجار، و عقرت الأشجار، عفر المنار، و سلّطت على بنات التراب و الماء النّار، و ارتحل عنها المسلمون و قد عمّتها المصائب، و أصمى لبتها السّيهم الصّائب، و ظلّلتها القشاعم العصاب، فالذّتاب فى الليل البهيم تعسل ، و الصّباع من الحذب البعيد تنسل، و قد ضاقت الجدل عن

المخائق، وبيع العرض الثمين بالدائق، و سبكت أسورة الأسوار، و سويت الهضاب بالأغوار، و اكتسحت الأحواز القاصية سرايا الغوار، و حجت بالدخان مطامع الأنوار، و تخلّفت قاعتها عبرة للمعتبرين، و عظة للناظرين، و آية للمستبصرين، و نادى لسان الحمية، يا لثارات الإسكندرية، فأسمع آذان المقيمين و المسافرين، و أحقّ الله الحقّ بكلماته و قطع دابر الكافرين.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٨١

ثم كانت الحركة إلى أختها الكبرى، و لدتها الحزينة عليها العبرى، مدينة أبدء، ذات العمران المستبحر، و الرّيب الخرق المصحّر، و المباني الشّم الأنوف، و عقائل المصانع الجمّة الحلى و الشّنوف، و الغاب الأنوف، و بلد التّجر، و العسكر المجر، و أفق الضّلال الفاجر الكاذب على الله الكذب الفجر، فخذل الله حاميته التي يعيى الحسابان عدّها، و سجر بحورها التي لا يرام مدّها، و حقّت عليها كلمة الله التي لا يستطاع ردّها. فدخلت لأول وهلة، و استوعب جمعها و المنّة لله في نهلة، و لم يك للسيف من عطف عليها و لا مهلة. و لما تناولها العفاء و التّخريب، و استباحها الفتح القريب، و أسند عن عواليها حديث التّصر الحسن القريب، و أفعدت أبراجها من بعد القيام و الانتصاب، و أضرعت مسايها لهول المصاب، انصرف عنها المسلمون بالفتح الذي عظم صيته، و العزّ الذي سما طرفه و اشرب ليته، و العزم الذي حمد مسراه و مبيته، و الحمد لله ناظم الأمر و قد رأب شتيته، و جابر الكسر و قد أفات الجبر مفيته. ثم كان الغزو إلى أمّ البلاد، و مثنى الطارف و التّلاذ، قرطبة، و ما قرطبة؟ المدينة التي على عمل أهلها في القديم بهذا الإقليم كان العمل، و الكرسي الذي بعصاه رعى الهمل، و المصر الذي له في خطّة المعمور النّاقة و الجمّل، و الأفق الذي هو لشمس الخلافة العيشية الحمل، فخيم الإسلام بعقوتها المستباحة، و أجاز نهرها

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٨٢

المعيى على السّباحة، و عمّ دوحها الأشب بوارا، و أدار الكماء بسورها سوارا، و أخذ بمخنقها حصارا، و أعمل التّصر بشجر نصلها اجتناء ما شاء و اهتصارا، و جدل من أبطالها من لم يرض انجحارا، فأعمل إلى المسلمين إصحارا، حتى فرع بعض جهاتها غلابا جهارا، و رفعت الأعلام إعلاما بعزّ الإسلام و إظهارا، فلولا استهلال الغوادي، و إن أتى الوادي، لأفضت إلى فتح الفتوح تلك المبادى، و لقضى تفثه العاكف و البادى، فاقتضى الرأى- و لذنب الزّمان في اغتصاب الكفر إياها متاب، تعمل بيشراه بفضل الله أقتاد و أقتاب، و لكلّ أجل كتاب- أن يراض صعبها حتى يعود ذلولاً و تعقى معاهدها الآهله فتترك طولاً- فإذا فجع الله بمارج النار طوائفها المارجه، و أباد بخارجها الطائره و الدّراجة، خطب السيف منها أمّ خارجة. فعند ذلك أطلقنا بها ألسنة النار و مفارق الهضاب بالهشيم قد شابت، و الغلّات المستغلة قد دعاها القصل فما ارتابت، و كأنّ صحيفة نهرها لما أضرمت النار حفافى ظهرها ذابت، و حيته فزت أمام الحريق فانسابت، و تخلّفت لغمائم الدّخان عمائم تلويها برءوس الجبال أيدي الرياح، و تنشرها بعد الرّكود أيدي الاجتياح. و أغريت بأقطارها الشّاسعة، و جهاتها

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٨٣

الواسعة، جنود الجوع، و توعّدت بالرجوع، فسلب أهلها لتوقع الهجوم منور الهجوم، فأعلامها خاشعة خاضعة، و ولدانها لثدى البؤس راضعة، و الله سبحانه يوفد بخبر فتحها القريب ركاب البشرى، و ينشر رحمته قبلنا نشرا. [و لهذا العهد يا رسول الله صلّى الله عليك، و بلغ وسيلتى إليك، بلغ عن هذا القطر المرتدى بجاهك الذى لا يذلّ من أدّعه، و لا يضلّ بالسييل الذى يشرعه، إلى أن لاطفنا ملك الروم بأربعة من البلاد كان الكفر قد اغتصبها، و رفع التّمائل بيوت الله و نصبها، فانجاب عنها بنورك الحلّك، و دار بإدالتها إلى دعوتك الفلك، و عاد إلى مكاتبتها القرآن الذى نزل به على قلبك الملك]. ثم تنوعت يا رسول الله لهذا العهد أحوال العدو تنوعا يوهم إفاقته من الغمرة، و كادت فتنته تؤذن بخمود الجمره، و توقّع الواقع، و حذر ذلك السّم النّاقع، و خيف الخرق الذى يحار فيه الرّاقع، فتعرّفنا عوائد الله سبحانه ببركة هدايتك، و موصول عنايتك، فأنزل النصر و السّيكينة، و مكّن العقائد المكيّنة، فثابت العزائم و هبت، و أطردت عوائد الإقدام و استتبت، و ما راع العدو إلّا خيل الله تجوس خلاله، و شمس الحقّ تقلص ظلاله، و هداك الذى

هديت يدحض ضلاله.

و نازلنا حصنى قنبييل و الحوائر ، و هما معقلان متجاوران يتناجى منهما الساكن سرارا، و قد اتخذنا بين النجوم قرارا، و فصل بينهما حسام النهر يروق غرارا، و التفّ معصمه في حلّة العصب و قد جعل الجسر سوارا، فخذل الصليب بذلك الثغر من تولاه، و ارتفعت أعلام الإسلام بأعلاه، و تبرّجت عروس الفتح الميين بمجلاه، و الحمد لله على ما أولاه. ثم تحرّكنا على تفيئه تعدى ثغر الوسطة على عدوّه المساور في المضاجع، و مصبحة بالفاجيء الفاجع، فنازلنا حصن روطه الآخذ

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٨٤

بالكظم، المعترض بالشّجا اعتراض العظم، و قد شحنه العدو مددا بئيسا، و لم يأل اختياره رأيا و لا رئيسا، فأعيا داؤه، و استقلّت بالمدافعة أعداؤه. و لما أتلع إليه جيد المنجنيق، و قد برک عليه برک الفنيق، و شدّ عصاب العزم الوثيق، لجأ أهله إلى التماس العهود و المواثيق، و قد غصّوا بالريق، و كاذ يذهب بأبصارهم لمعان البريق، فسكّناه من حامية المجاهدين بمن يحمى ذماره، و يقزّر اعتماره، و استولى أهل الثغور إلى هذا الحد على معاقل كانت مستغلقة ففتحوها، و شرعوا أرشيء الرماح إلى قلب قلوبها فمتحوها. و لم تكذ الجيوش المجاهدة تنفض عن الأعراف متراكم الغبار، و ترخي عن آباط خيلها شدّ حزم المغار، حتى عاودت النفوس شوقها، و استتبت ذوقها، و خطبت التي لا فوقها، و ذهبت بها الآمال إلى الغاية القاصية، و المدارك المتصاعبة على الأفكار المتعاصية، فقصدنا الجزيرة الخضراء، باب هذا الوطن الذي منه طرق وادعه، و مطلع الحقّ الذي صدع الباطل صادعه، و ثبّية الفتح التي برق منها لامعه، و مسرب الهجوم الذي لم تكن لتعثر على غيره مطامعه، و فرضة المجاز التي لا تنكر، و مجمع البحرين في بعض ما يذكر، حيث يتقارب الشّطان، [و تتقاطر ذوات الأشطان]، و يتوازي الخطان، و يكاد أن تلتقى حلقتا البطان. و قد كان الكفر قدّر قدر هذه الفرضة التي طرق منها حماه، و رماه الفتح الأول بما رماه، و علم أن لا تتصل أيدي المسلمين بإخوانهم إلّا من تلقائها، و أنه لا يعدم المكروه مع بقائها، فأجلب عليها برجله و خيله، و سدّ أفق البحر من أساطيله، و مراكب أباطيله، بقطع ليله. و تداعى المسلمون بالعدوتين إلى استنفاذها من لهواته، أو إمساكها من دون مهواته، فعجز الحول، و وقع بملكه إياها القول، و احتازها قهرا، و قد صابرت الضّيق ما يناهز ثلاثين شهرا، و أطرق الإسلام بعدها إطراق الواجم، و اسودّت الوجوه لخبرها الهاجم، و بكتها حتى دموع الغيث الساجم، و انقطع المدد إلّا من رحمة من ينفس الكروب، و يغرى بالإدالة الشروق و الغروب.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٨٥

و لمّا شككنا بشبا الله نحرها، و أغصصنا بجيوش الماء و جيوش الأرض تكاثر نجوم السماء برّها و بحرها، و نازلناها نذيقها شديد التّزال، و نجحنا بصدق الوعيد في غير سبيل الاعتزال، رأينا بأوا لا يظاهر إلّا بالله و لا يطال، و منعة يتحاماها الأبطال، و جنابا روضه الغيث الهطال. أمّا أسوارها فهي التي أخذت النّجد و الغور، و استعدت بجدال الجلاذ عن البلاد فارتكبت الدّور، تحوز بحرا من الاعتمار ثانيا، و تشكّك أن يكون الإنس لها بانيا. و أمّا أبراجها فصفوف و صنوف، تزين صفحات المساييف منها أنوف، و آذان لها من دوافع الصخر شنوف. و أمّا خندقها فصخر مجلوب، و سور مقلوب، فصدقها المسلمون القتال بحسب محلّها من نفوسهم، و اقتران اغتصابها ببوسهم، و أفول شمسهم، فرشقوها من النبال بظلال تحجب الشمس فلا يشرق سناها، و عرجوا في المراقى البعيدة يفرعون مبنها، و نقبوها أنقبا، و حصبوها عقابا، و دخلوا مدينة إلبنة بنتها غلابا، و أحسبوا السيوف استلالا و الأيدي اكتسابا، و استوعب القتل مقاتلتها السابغة الجن، البالغة المنن، فأخذهم الهول المتفاقم، و جدلوا كأنهم الأراقم، لم تغلت منهم عين تطرف، و لا لسان يلبي من يستطلع الخبر أو يستشرف. ثم سمت الهمم الإيمانية إلى المدينة الكبرى فداروا سوارا على سورها، و تجاسروا على اقتحام أودية الفناء

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٨٦

من فوق جسورها، و أدنوا إليها بالضرّوب، من حيل الحروب، بروجا مشيدة، و مجانيق توثق حبالها منها نشيدة، و خفقت بنصر الله عذبات الأعلام، و أهدت الملائكة مدد الإسلام، فخذل الله كفّارها، و أكهم شفارها، و قلّم بيد قدرته أظفارها، فالتمسوا الأمان

للخروج، و نزلوا عن مراقى العروج، إلى الأباطح و المروج، من سمائها ذات البروج، فكان بروضهم إلى العراء من الأرض، تذكرة بيوم العرض، و قد جَلَل المقاتلة الصغار، و تعلق بالأمهات النشاء الصغار .

و بوردت المدينة بالتطهير، و نظقت المآذن العالية بالأذان الشهير، و الذكر الجهير، و طرحت كبار التماثيل عن المسجد الكبير، و أزرى بالسنة النواقيس لسان التهليل و التكبير، و أنزلت عن الصروح أجرامها، يعيى الهندام مرامها، و ألقى منبر الإسلام بها مجفوا فأنست غربته، و أعيد إليه قربه و قربته، و تلا-واعظ الجمع المشهود، قول منجز الوعود، و مورق العود و ما ظلمناهم و لكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لَمَا جاء أمر ربك و ما زادوهم غير تئيب (١٠١) و كذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى و هي ظالمة إن أخذة أليم شديد (١٠٢) إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس و ذلك يوم مشهود (١٠٣) إلى آخرها، فكاد الدمع يغرق الآماق، و الوجد يستأصل الأرقام، و ارتفعت الزعقات، و علت الشهقات، و جىء بأسرى المسلمين يرسفون فى القيود الثقال، و ينسلون من أحداث الاعتقال، ففكت عن سوقهم أساود الحديد، و عن أعناقهم فلكات البأس الشديد، و ظللوا بجناح اللطف العريض المديد، و ترتبت فى المقاعد الحامية، و أزهرت بذكر الله المآذن السامية، فعادت المدينة لأحسن أحوالها، و سكنت من بعد أهوالها، و عادت الجالية إلى أموالها، و رجع إلى القطر شبابه، و رد على دار

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٨٧

هجرة الإسلام بابه، و اتصلت بأهل لا إله إلا الله أسبابه، فهى اليوم فى بلاد الإسلام قلادة النحر، و حاضرة البر و البحر، أبقى الله عليها و على ما وراءها من بيوت أمتك، و دائع الله فى ذمتك، [ظلال عنايتك الواقية، و أمتعها إلى أن يرث الله الأرض و من عليها] بكلمة دينك الصالحة الباقية، و سدل عليها أستار عصمته الواقية. وعدنا و الصلاة عليك شعار البروز و القفول، و هجىرى الشروق و الأفول. و الجهاد يا رسول الله الشأن المعتمد، ما امتد بالأجل الأمد، و المستعان الواحد الفرد الصمد .

فوجبت مطالعة مقرّك النبوى بأحوال هذه الأمة المكفولة فى حجرك، المفصلة بإرادة تجرك، المهتدية بأنوار فجرك. و هل هو إلا ثمره سعيك، و نتائج رعيك، و بركة حيك، و رضاك الكفيل برضا ربك، و غمام رعدك، و إنجاز وعدك، و شعاع من نور سعدك، و بذر يجنى ريعه من بعدك، و نصر رايتك، و برهان آيتك، و أثر حمايتك و رعايتك؟

و استنبت هذه الرسالة مائحة بحر التدى الممنوح، و مفاتحة باب الهدى بفتح الفتوح، و فارعة المظاهر و الصيروح، و ملقيه الرّحل بمتنزل الملائكة و الرّوح، لتمد إلى قبولك يد استمناح، و تطير إليك من الشوق الحثيث بجناح، ثم تقف بموقف الانكسار، و إن كان تجرها أمنا من الخسار، و تقدم بأنس القرية، و تحجم بوحشة الغربه، و تتأخر بالهيبه، و تجهش لطول الغيبه، و تقول ارحم بعد دارى، و ضعف اقتدارى، و انتراح أوطانى، و خلّو أعطانى، و قلّه زادى،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٨٨

و فراغ مزادى، و تقبل وسيلة اعترافى، و تغمّد هفوة اقترافى، و عجل بالرضا انصراف متحملى لانصرافى . فكم جبت من بحر زاخر، و قفر بالركاب ساخر، و حاش لله أن يخيب قاصدك، أو تتخطانى مقاصدك، أو تطردنى موائدك، أو تضيق عنى عوائدك، ثم تمد مقتضية مزيد رحمتك، مستدعية دعاء من حضر من أمتك. و أصحبتها يا رسول الله عرضا من النواقيس التى كانت بهذه البلاد المفتحة تعين الإقامة و الأذان، و تسمع الأسماع الضالة و الآذان، مما قبل الحركة، و سالم المعركة، و مكن من نقله الأيدي المشتركة، و استحقّ بالقدوم عليك، و الإسلام بين يديك، السابقة فى الأزل البركة، و ما سواها فكانت جبالا عجز عن حملها الهندام، فنسخ وجودها الإعدام. و هى يا رسول الله جنى من جنانك، و رطب من أفنانك، و أثر ظهر عليها من مسحة حنانك. هذه هى الحال و الانتحال، و العائق أن تشد إليك الرّحال، و يعمل التّرحال، إلى أن نلقاك فى عرصات القيامة شفيعا، و نحلّ بجاهك إن شاء الله محلا رفيعا، و نقدّم فى زمرة الشهداء الدامية كلومهم من أجلك، الناهلة غلهم فى سجلّك، و نبتهل إلى الله الذى أطلعك فى سماء الهداية سراجا، و أعلى لك فى السّيع الطّباق معراجا، و أمّ الأنبياء منك بالنّبي الخاتم، و قفى على آثار نجومها المشرقة بقمرك

العاتم، أن لا يقطع عن هذه الأمة الغريبة أسبابك، ولا يسدّ في وجوها أبوابك، و يوفقها لاتباع هداك، و يثبت أقدامها على جهاد عداك. و كيف تعدم ترفيها، أو تخشى بخسا و أنت موفيهها؟ أو يعدبها الله و أنت فيها؟ و صلاة الله و سلامه تحطّ بفنائك رحال طبيها، و تهدر في ناديك شقاشق خطيها، ما أذكر الصباح الطلق هداك، و الغمام السكب نداك، و ما حنّ مشتاق يلثم ضريحك، و فليت نسמת الأسحار عما استرقت من ريحك، و كتب في كذا .

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٨٩

و صدر عنى قبل هذه الرسالة عن السلطان ، رضى الله عنه، رسالة بهذه الفتوح إلى صاحب تونس نصها :

الخلافة التى ارتفع فى عقائد فضلها الأصيل القواعد الخلاف، و استقلت مبانى فخرها الشائع و عزّها الذائع على ما أسسه الأسلاف، و وجب لحقها الجازم و فرضها اللمازم الاعتراف، و وسعت الآملين لها الجوانب الرحيب و الأكناف، فامتراجنا بعلائها المنيف و ولائها الشريف كما امتزج الماء و السيلاف ، و ثناؤنا على مجدها الكريم و فضلها العميم كما تأزجت الرياض الأفواف، لما زارها الغمام الوكاف، و دعاؤنا بطول بقائها و اتصال علائها يسمو به إلى قرع أبواب السيماءات العلا الاستشراف، و حرصنا على توفية حقوقها العظيمة و فواضلها العميمة لا- تحصره الحدود و لا- تدركه الأوصاف، و إن عذر فى التقصير عن نيل ذلك المرام الكبير الحقّ و الإنصاف. خلافة وجهه تعظيمنا إذا توجهت الوجوه، و من ثورته إذا همنا ما نرجوه، و نفذيه و نبديه إذا استمنح المحبوب و استدفع المكروه، السلطان الخليفة ، الجليل، الكبير، الشهير، الإمام، الهمام، الأعلى، الأوحى، الأصعد، الأسعد، الأسمى، الأعدل، الأفضل، الأسنى، الأطهر، الأظهر، الأرضى، الأحفل، الأكمل، أمير المؤمنين أبى إسحاق ابن الخليفة الإمام البطل الهمام، عين الأعيان، و واحد الزمان، الكبير، الشهير، الطاهر، الظاهر، الأوحى، الأعلى، الحسيب، الأصيل، الأسمى، العادل، الحافل، الفاضل، المعظم، الموقر، الماجد، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٩٠

الكامل، الأرضى، المقدس، أمير المؤمنين أبى يحيى أبى بكر، ابن السلطان الكبير، الجليل، الرّفع، الماجد، الظاهر، الطاهر، المعظم، الموقر، الأسمى، المقدس، المرحوم أبى زكريا، ابن الخليفة الإمام، المجاهد، الهمام، الكبير ، الشهير، الخطير، بطل الميدان، مفخر الزمان، الطاهر الظاهر، الأمضى، المقدس، الأرضى، أمير المؤمنين أبى إسحاق، ابن الخليفة الهمام الإمام، ذى الشهرة الجامحة، و المفخر الواضحة، علم الأعلام، فخر السيوف و الأقاليم، المعظم الممجد، المقدس، الأرضى، أمير المؤمنين، المستنصر بالله أبى عبد الله ابن أبى زكريا بن عبد الواحد بن أبى حفص، أبقاه الله. و مقامه مقام إبراهيم رزقا و أمانا، لا يخصّ جلب الثمرات إليه وقتا و لا يعين زمانا، و كان على من يتخطف الناس من حوله مؤيدا بالله معانا، معظم قدره العالى على الأقدار، و مقابل داعى حقه بالابتدار، المثنى على معاليه المخلمة الآثار، فى أصونه النظام و الثثار، ثناء الرّوضة المعطار على الأمطار، الداعى إلى الله بدوام بقائه فى عزّة منسدلة الأستار، و عصمه ثابتة المركز مستقيمة المدار، و أن يختم له بعد بلوغ غايات الآجال و نهايات الأعمار، بالزلفى و عقبى الدار.

سلام كريم كما حملت نسמת الأسحار، أحاديث الأزهار، و روت ثغور الأفايحى و البهار، عن مسلسلات الأنهار، و تجلّى على منصّة الاشتهار، وجه عروس النهار، يخصّ خلافتكم الكريمة النّجار، العزيزة الجار، و رحمته الله و بركاته. أما بعد حمد الله الذى أخفى حكيمته البالغة عن أذهان البشر، فعجزت عن قياسها، و جعل الأرواح كما ورد فى الخبر، تحنّ إلى أجناسها، منجد هذه الملمّة، من أوليائه الجلّة، بمن يروض الآمال بعد شماسها، و ييسر الأعراض قبل التماسها، و يعنى بتجديد المودات فى ذاته، و ابتغاء مرضاته، على حين إخلاق لباسها، الملك الحقّ و اصل الأسباب بحوله بعد انتهاكات أمراسها، و مغنى النفوس بطوله بعد إفلاسها، حمدا يدرّ أخلاف التعم بعد إيساسها، و ينشر رمم الآمال من أمراسها، و يقدّس النفوس بصفات ملائكة السماوات بعد إيبلاسها .

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٩١

و الصلاة على سيدنا و مولانا محمد رسوله سراج الهداية و نبراسها، عند اقتناء الأنوار و اقتباسها، مطهر الأرض من أوضارها و أدناسها،

ومصطفى الله من بين ناسها، و سيد الرسل الكرام ما بين شيئا وإلياسها، الآتى مهيمنا على آثارها فى حين فترتها و من بعد نصرتها و استثناسها ، مرغم الضراغم فى أخياسها ، بعد افترارها و افتراسها، و معقر أجرام الأصنام و مصمت أجراسها. و الرضا عن آله و أصحابه ، و عترته و أحزابه، حماة شرعته البيضاء و حرّاسها، و ملقحى غراسها، ليوث الوغى عند احتدام مراسها، و رهبان الدجى تتكفل مناجاة السميع العليم، فى وحشة الليل البهيم، بإيناسها، و تفواح نواسم الأسحار عند الاستغفار بطيب أنفاسها، و الدعاء لخلافتكم العلية المستنصرية بالصدّ نائع التى تشعشع أيدى العزة القعساء من أكواسها، و لزال العصمة الإلهية كفيلاً باحترامها و احتراسها ، و أبناء الفتوح المؤيدة بالملائكة و الروح ریحان جلاسها، و آيات المفاخر التى ترك الأول للآخر مكتتبه الأسطار بأطراسها، و ميادين الوجود مجالاً- لحياد جودها و باسها، و العزّ و العدل منسويين لفسطاطها و قسطاسها، و صفيحة النصر العزيز تفيض كفها المؤيدة بالله على رياسها، عند احتياج أصدادها و شرّة انتكاسها ، لانتهاج البلاد و انتهاسها ، و هبوب رياح ریحها و تمرّد مرداسها.

فإنّا كتبناه إليكم- كتب الله لكم من كتائب نصره أمدادا تدعن أعناق الأنام لطاعة ملككم المنصور الأعلام عند إحساسها، و آتاكم من آيات العنايات آية تضرب الصخرة الصماء ممن عصاها بعصاها فتبادر بانجاسها - من حمراء غرناطة حرسها الله و أيام الإسلام بعناية الملك العلام تحتفل وفود الملائكة الكرام لو لائمها و أعراسها، و طواعين الطعان فى عدوّ الدين المعان تجدد عهدا بعام عمواسها، و الحمد لله الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج ٤ ؛ ص ٤٩١

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٩٢

حمدا معادا يقيّد شوارد النعم و يستدرّ مواهب الجود و الكرم و يؤمّن من انتكاب الجدود و انتكاسها، وليّ الآمال و مكاسها. و خلافتكم هى المثابة التى يزهى الوجود بمحاسن مجدها زهو الرياض بوردها و آسها، و تستمدّ أضواء الفضائل من مقباسها ، و تروى رواء الإفادة و الإبادة غريب الوجداء عن ضحّاكها و عبّاسها. و إلى هذا أعلى الله معارج قدركم و قد فعل، و أنطق بحجج فخركم من احتفى و انتعل، فإنه وصلنا كتابكم الذى حسبناه على صنائع الله لنا تيممة لا تلقع بعدها عين، و جعلناه على حلل مواهبه قلادة لا يحتاج معها زين، و دعوانه من جيب الكنانة آية بيضاء الكتابة لم يبق معها شكّ و لا مين ، و قرأنا منه وثيقه و دّ هضم فيها عن غريم الزمان دين. و رأينا منه إنشاء، خدم اليراع بين يديه [و شاء، و احتزم بهيمان عقدته] مشاء، و سئل عن معانيه الاختراع فقال: إنّ أنشأناهنّ إنشاء، فأهلا به من عربى أبى يصف السانح و البانة، و يبين فيحسن الإبانة، أدّى الأمانة، و سئل عن حيه فانتمى إلى كنانة، و أفصح هو لا- ينس، و تهلّت قسماته و ليل حبره يعبس، و كأنّ خاتمة المقفل على صوانه، المتحف بباكر الورد فى غير أوانه، رعف من مسك عنوانه. و لله من قلم ديبج تلك الحلل، و نقع بمجاج الدواة المستمدّة من عين الحياة الغلل. فلقد تخارق فى الجود، مقتديا بالخلافة التى خلد فخرها فى الوجود، فجاد بسرّ البيان و لبابه، و سمح فى سبيل الكرم حتى بماء شبابه، و جمح لفرط بشاشته و فهامته، بعد شهادة السيف بشهامته، فمشى من الترحيب فى الطرس الرّحيب على أمّ هامته.

و أكرم به من حكيم أفصح بملغوز الإكسير، فى اللفظ اليسير، و شرح بلسان الخبير، سرّ صناعة التدبير، كأنما خدم الملكة الساحرة بتلك البلاد، قبل اشتجار الجلاذ، فأثرته بالطّارف من سحرها و التّلاذ، أو عثر بالمعلّقة، و تيك القديمة

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٩٣

المطلّقة، بدفينه دار، أو كتر تحت جدار، أو ظفر لبانى الحنايا، قبل أن تقطع به عن أمانيه المنايا، بديعة ، أو خلف جرجير الروم قبل منازل القروم على وديعة ، أو أسهمه ابن أبى سرح، فى نشب للفتح و سرح، أو ختم له روح بن حاتم ببلوغ المطلب، أو غلب الحظوظ بخدمة آل الأغب، أو خصّه زيادة الله بمزيد، أو شارك الشيعة فى أمر أبى يزيد ، أو سار على منهاج فى مناصحه بنى صنهاج، و فضح بتخليد أمداحهم كلّ هاج.

و أعجب له و قد عزّز منه مثنى البيان بثالث، فجلب سحر الأسماع و استرقاق الطّباع بين مثنان للإبداع و مثالث. كيف اقتدر على هذا المحيد ، و ناصح مع التّليب مقام التّوحيد؟ نستغفر الله وليّ العون، على الصّمت و الصّون، فالقلم هو الموحد قبل الكون، و المتّصف

من صفات السادة أولى العبادة بضمور الجسم و صفرة اللون. إنما هي كرامة فاروقية، و آثاره من حديث سارية و بقيته، سفر وجهها في الأعقاب، بعد طول الانتقاب، و تداول الأحقاب، و لسان مناب عن كريم جناب.

و إصابة السهم لسواه محسوبة، و إلى الزامى الذى يسدده منسوبة، و لا تنكر على الغمام بارقة، و لا على المتحققين بمقام التوحيد كرامة خارقة، فما شاء الفضل من غرائب برّ وجد، و محاريب خلق كريم ركع الشكر فيها و سجد، حديقه بيان استشارت نواسم الإبداع من مهبتها، و استزارت غمائم الطباع من مصبتها، فآتت أكلها مرتين ياذن ربها، لا بل كتيبه عز طاعت بقنا الألفات سطورها، فلا يرومها التقد و لا يطورها، و نزعت عن قسيّ التونات خطوطها، و اصطفت من بياض الطرس و سواد النقس بلق تحوطها. فما كأس المدير على الغدير، بين

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٩٤

الخورنق و السدير، تقامر بنرد الحباب، عقول ذوى الألباب، و تغرق كسرى فى العباب، و تهدي و هى الشمطاء نشاط الشباب. و قد أسرج ابن سريح و أجم، و أفصح الغريض بعد ما جمجم، و أعرب الثاى الأعجم، و وقع معبد بالقضيب، و شرعت فى حساب العقد بنان الكف الخضيب، و كأن الأنامل فوق مثلث العود و مثانيه، و عند إغراء الثقليل بثانيه، و إجابة صدى الغناء بين مغانيه.

المرادو تشرع فى الوشى، أو العناكب تسرع فى المشى، فما المخبر بنيل الرغائب، أو قدوم الحبيب الغائب، لا بل إشارة البشير، بكم المشير على العشير، بأجلب للسرور من زائر المتلقى بالبرور، و أدعى للجور من سفيره المبهج للشفور. فلم نر مثله من كتيبه كتاب تجنب الجرد تمرح فى الأرسان، و تشوف مجالى ظهورها إلى عرائس الفرسان، و تهز معاطف الارتياح من صهيلها الصراح بالنعغات الحسان. إذا أوجست الصيربخ نازعت إثناء الأعنة، و كاثرت بأسنة آذانها مشرعة الأسنة، فإن ادعى الظليم إنكالها فهو ظالم، أو نازعها الطبى هواديهها و أكفالها فهو هاذ أو حالم. و إن سئل الأصمعى عن عيوب الغرر و الأوضاح، قال مشيرا إلى جوهها الصباح: جلده بين العين و الأنف سالم من كلّ عبل الشوى، مسابق للنجم إذا ما هوى، سامى التليل، عريض ما تحت الشليل، ممسوحة أعطافه بمنديل التسيم البليل، من أحمر كالمدام، تجلى على الندام عقب الفدام، أتحف لونه بالورد، فى زمن البرد، و حى أفق محياه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٩٥

بكوكب السد، و تشوف الواصفون إلى عد محاسنه فأعيت على العد، بحر يساجل البحر عند المد، و ريح تبارى الريح عند الشد، بالذراع الأشد، حكم له مدبر فلك الكفل باعتدال فصل القد، و ميزه قدره المميز يوم الاستباق، بقصب السباق، عند اعتبار الجد، و ولمد مختط غرته أشكال الجمال على الكمال بين البياض و الحمرة و نقاء الخد، و حفظ رواية الخلق الوجيه، عن جدّه الوجيه، و لا تنكر الرواية على الحافظ ابن الجد. و أشقر أبى الخلق، و الوجه الطلق، أن يحقر كأنما صيغ من العسجد، و طرف بالدّر و أنعل بالزيرجد. و وسم فى الحديث بسمه اليمن و البركة، و اختص بفلج الخصام عند اشتجار المعركة، و انفرد بمضاعف السهام، المنكسرة على الهام، فى الفرائض المشتركة، و اتصف فلك كفه بحركتى الإرادة و الطبع من أصناف الحركة. أصغى إلى السماء بأذن الملمهم، و أغرى لسان الصهيل عند التباس معانى المهمز و التسهيل بيان المبهم، و فتنت العيون من ذهب جسمه و لجين نجمه بحب الدثير و الدرهم، فإن انقض فرجم، أو ريح لما هجم، و إن اعترض فشفق لاح به للنجم نجم. و أصفر قيد الأوابد الحرّة، و أمسك المحاسن و أطلق الحرّة، و سئل من أنت فى قواد الكتاب، و أولى الأخبار العجائب، فقال: أنا المهلب بن أبى صفرة، نرجس هذه الألوان، فى رياض الأكوان، تحيا به محيا الحرب العوان. أغار بنخوة الصائل على معصفرات الأصائل فارتداها، و عمد إلى خيوط شعاع الشمس عند جانحة الأمس فألحم منها حلتة و أسداها، و استعدت عليه ملك المحاسن فما أعداها، فهو أصيل تمسك بذيل الليل عرفه و ذيله، و كوكب يطلعه من القتام ليله، فيحسده فرقد الأفق و سهيله. و أشهب تغشى من لونه مفاضة، و تسربل منه لأمة فضفاضة، قد احتفل زينه، لما رقم بالتبال لجينه، فهو الأشمط، الذى حقه لا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٩٦

يغبط، و الدّراع المسارع، و الأعزل الدّراع ، و راقى الهضاب الفارع، و مكتوب الكتيبة البارع، و أكرم به من مرتاض سالك، و مجتهد على غايات السابقين الأولين متهالك. و أشهب يروى من الخليفة، ذى الشّيم المنيفة، عن مالك. و حبارى كلّما سابق و بارى، استعار جناح الحبارى ، فإذا أعملت هذه الحسبة، قيل من هنا جاءت النسبة، طرد النّمر لما عظم أمره و أمر، فنسخ وجوده بعدمه، و ابتزّه الفروّة ملطّخة بدمه. و كأنّ مضاعف الورد نثر عليه من طبقه أو الفلك، لما ذهب الحلّك، مزج فيه بياض صبحه بحمرة شفقه، و قرطاسى حقّه لا- يجهل، متى ما ترقى العين فيه تسهل ، إن نزع عنه جلّه، فهو نجم كلّه، انفرد بمادة الألوان، قبل أن تشوبها يد الأ-كوان، و تمزجها أقلام الملوان ، يتقدم منه الكتيبة لواء ناصع، أو أبيض ماصع ، لبس وقار المشيب ، فى ريعان العمر القشيب، و أنصت الآذان من سهيله المطيل المطيب، لما ارتدى بالبياض إلى نعمة الخطيب، و إن تعتّب منه للتأخير المتعتّب ، قلنا: الواو لا ترتّب، ما بين فحل و حرّة، و بهرمانه و درّة، و يا لله من ابتسام غرّة، و وضوح يمن فى طرّة، و بهجة للعين و قرّة. و إن ولع الناس بامتداح القديم، [و خصّوا الحديث بفرى الأديم، و أوجب المتعصّب و إن أبى المنصب مزية التقديم،] و طمح إلى رتبة المخدوم طرف الخديم، و قورن المثرى بالقديم، و بخس فى سوق الكسد الكيل، و دجا الليل، [و ظهر فى فلك الإنصاف الميل، لمّا تذوكرت الخيل،] فجىء بالوجه و الخطار، و الذائد و ذى الخمار ، و داحس و السّكب، و الأجر و زاد الركب، و الجموح و اليعموم،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٩٧

و الكميت و مكتوم، و الأ-عوج و الحلوان ، و لا-حق و الغضبان، و عفزر و الزّعفران، و المحبّر و اللّعباب، و الأ-غرّ و الغراب، و شعله و العقاب، و الفياض و اليعوب، و المذهب و اليعسوب، و الصّيموت و القطيب، و هيدب و الصيب، و أهلوب و هدّاج، و الحرون و خزّاج ، و علوى و الجناح و الأ-حوى و مجاج ، و العصا و النّعامه، و البلقاء و الحمامه، و سكاب و الجراده، و خوصاء و العراده. فكم بين الشّاهد و الغائب، و الفروض و الرغائب، و فرق ما بين الأثر و العيان، غنى عن البيان، و شتّان ما بين الصّيريح و المشتبه، و لله درّ القائل فى مثلها: «خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به». و التّاسخ يختلف به الحكم، و سرّ الدواب عند التفضيل بين هذه الدواب الصّيم البكم ، إلّا ما ركبته نبى، أو كان له يوم الافتخار برهان خبى ، و مفضّل ما سمع على ما رأى غبى، فلو أنصفت محاسنها التى وصفت لأفضمت حبّ القلوب علفا، و أوردت ماء الشيبية نطفًا، و اتّخذت لها من عذر الخدود الملاح عذر موشية، و علّت بصفير ألحان القيان كلّ عشيّة. و أنعلت بالأهله، و غطّيت بالرياض بدل الأجله.

إلى الرّقيق، الخليق بالحسن الحقيق، تسوقه إلى مثنوى الرعاية روقه الفتان رعاته، و يهدى عقيقتها من سبجه أشكالا تشهد للمخترع سبحانه بإحكام مخترعته، و قفت ناظر الاستحسان لا يريم، لمّا بهره منظرها الكريم، و تخامل الظّليم، و تضائل الرّيم، و أحرص مفوه اللسان، و هو بملكة التّبيان ، الحفيظ العليم. و ناب لسان الحال عن لسان المقال، عند الاعتقال، فقال يخاطب

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٩٨

المقام الذى أطلعت أزهارها غمام جوده، و اقتضت اختيارها بركة وجوده. لو علمنا أيها الملك الأصيل، الذى كرم منه الإجمال و التّفصيل، أن الثناء يوازيها، لكننا لك بكيلك، أو الشّكر يعادلها و يجازيها ، لتعزّضنا بالوشل إلى نيل نيلك، أو قلنا: هى التى أشار إليها مستصرخ سلفك المستنصر بقوله: «أدرك بخيلك» حين شرق بدمعه الشرق، و انهزم الجمع و استولى الفرق، و اتسع فيه و الحكم لله الخرق، و رأى أن مقام التوحيد بالمظاهرة على التّثليث، و حزبه الخبيث، هو الأولى و الأحقّ.

و الآن قد أغنى الله بتلك التّية، عن إنجاد الطّوال الرّديتية، و بالدعاء من تلك المثابة الديتية، إلى ربّ البتية، عن الأمداد السّيتية، و الأجواد تخوض بحر الماء إلى بحر المتيّة، و عن الجرد العريية فى مقاود اللبوث الأبيّة، فجّد برسم هذه الهدية، مراسم العهود الودية، و الدّم الموحديّة، لتكون علامة على الأصل، و مكذّبة لدعوى الوقف و الفصل، و إشعارا بالألفة التى لا تزال ألفها بحول الله ألف الوصل، و لامها حراما على التّصل.

و حضر بين يدينا رسولكم فلائق فقرّر من فضلكم ما لا ينكره من عرف علو مقداركم، و أصالة داركم، و فلك إبداركم، و قطب

مداركهم، و أجبناه عنه بجهد ما كنا لننقع من جناه المهتصر، بالمقتضب المختصر، و لا لنقابل طول طوله بالقصر، لولا طروء الحصر. و قد كان بين الأسلاف رحمة الله عليهم و رضوانه و دأبرمت من أجل الله معاقده، و وثرت للخلوص الجليّ النصوص مضاجعه القارّة و مراقده،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٩٩

و تعاهد بالجميل توجّع لفقده فيما سلف فاقده، أبا الله إلّا أن يكون لكم الفضل في تجديده، و العطف بتوكيده. و نحن الآن لا ندرى أى مكارمكم نذكر، أو أى فواضلكم نشرح أو نشكر، أمفاتحتكم التي هي في الحقيقة عندنا فتح، أم هديتكم و في وصفها للأقلام سبح، و لعدوّ الإسلام بحكمتها كبح. إنما نكل الشكر لمن يوفّي جزاء الأعمال البرّة، و لا يبخس مثقال الدّرة، و لا أدنى من مثقال الدّرة، ذى الرّحمة الثّرة، و الألفاف المتصلة المستمرة، لا إله إلّا هو.

و إن تشوقتم إلى الأحوال الراهنة، و أسباب الكفر الواهية بقدره الله الواهنة، فنحن نظرفكم بطرفها، [و نطلعكم على سبيل الإجمال بطرفها] و هو أننا لما أعادنا الله من التّمحيص، إلى مثابة التخصيص، من بعد المرام العويص، كحلنا بتوفيق الله بصر البصيرة، و وقفنا على سبيله مساعى الحياة القصيرة، و رأينا كما نقل إلينا، و كرّر على من قبلنا و علينا، أن الدنيا و إن غرّ الغرور، و أنام على سرر الغفلة السّرور، فلم ينفع الخطور على أحداث الأحباب و المرور، جسر يعبر، و متاع لا يغبط من حبي به و لا يجبر، إنما هو خبر به يخبر، [و أن الحسرة بمقدار ما على تركه تجبر]، و أن الأعمار أحلام، و أن الناس نيام، و ربما رحل الراحل عن الخان، و قد جلّله بالأذى و الدّخان، أو ترك به طيبا، و ثناء يقوم بعده للآتى خطيبا، فجعلنا العدل في الأمور ملاكا، و التفقّد للثغور مساكا، و ضجيع المهاد، حديث الجهاد، و أحكامه مناط الاجتهاد، و قوله: يا أيّها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارّة تنجيكم دليل الاستشهاد، و بادرنا رمق الحصون المضاعة و جنح التّقيّة دامس، [و عوراتها لا تردّد لأمس]، و ساكنها بائس، و الأعصم في شعفاتها من العصمة آيس، فزينا بيض الشّرفات ثناياها، و أفعمنا بالعذب

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٠٠

الفرات ركايها، و غشينا بالصّفيح المضاعف أبوابها، و احتسبنا عند موفّي الأجور ثوابها، و بيضنا بناصع الكلس أثوابها، فهي اليوم توهم حسّ العيان، أنها قطع من بيض العنان، تكاد تناول قرص البدر بالبنان، متكفّلة للمؤمن من فزع الدنيا و الآخرة بالأمان. و أقرضنا الله قرضا، و أوسعنا مدوّنة الجيش عرضا، و فرضنا أنصافه مع الأهلّة فرضا، و استندنا من التوكّل على الله الغنى الحميد إلى ظلّ لواء، و نبذنا إلى الطاغية عهده على سواء، و قلنا: ربّ أنت العزيز، و كلّ جبار لعزّك ذليل، و حزبك هو الكثير و ما سواه قليل، أنت الكافي، و وعدك الوافي، فأفض علينا مدارع الصابرين، و اكتبنا من الفائزين، بحظوظ رضاك الظافرين، و ثبت أقدامنا و انصرنا على القوم الكافرين.

فتحرّكنا أولى الحركات، و فاتحة مصحف البركات، في خفّ من الحشود، و اقتصار على من بحضرتنا من العساكر المظفّرة و الجنود، إلى حصن أشرّ البازي المطلّ، و ركاب العدو الضالّ المضلّ، و مهدي نثبات الصلّ، على امتناعه و ارتفاعه، و سموّ يفاعه، و ما بذل العدو فيه من استعداد، و توفير أسلحته و أزواده، و انتخاب أنجاده. فصلينا بنفسنا ناره، و زاحمنا عليه الشّهداء نصابر أواره، و تلقى بالجوارح العزيزة سهامه المسمومة و جلامده الملمومة و أحجاره، حتى فرعنا بحول من لا حول و لا قوة إلّا به أبراجه المنيعه و أسواره، و كففنا عن البلاد و العباد أضراره، بعد أن استضفنا إليه حصن السّهلة جاره، و رحلنا عنه بعد أن شحّاه رابطة و حاميه، و أزوادا ناميه، و عملنا بيدنا في رمّ ما ثلم القتال، و بقر من بطون مسابقة الرجال، و اقتدينا بنبيّنا صلوات الله و سلامه عليه في الخندق لما حمى ذلك المجال، و وقع الارتجاز المنقول خبره و الارتجال، و ما كان ليقرّ الإسلام مع تركه القرار، و قد كتب الجوار، و تداعى الدّعرة و تعاوى الشّرار.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٠١

وقد كنا أغرنا الجهة الغربية من المسلمين بمدينة برغة التي سدت بين القاعدتين؛ رنده و مالمقة الطريق، و ألبست ذلّ الفراق ذلك الفريق، و منعتهما أن تسيغا الرّيق، فلا سبيل إلى الإلمام لطيف المنام، إلّا في الأحلام، و لا رسالة إلّا في أجنحة هدى الحمام، فيسر الله فتحها، و عجل منحها، بعد حرب انبثت فيها النّحور، و تزيّنت الحور، و تبع هذه الأمّ بنات شهيرة، و بقع للزرع و الضّرع خيرة، فشفي الثّغر من بوسه، و تهلّل وجه الإسلام بتلك الناحية بعد عبوسه.

ثم أعملنا الحركة إلى مدينة الجزيرة، على بعد المدى، و تغلغلها في بلاد العدا، و اقتحام هول الفلا و غول الرّدى، مدينة تبتتها حمص فأوسعت الدّار، و أغلت الشّوار، و راعت الاستكثار، و بسطت الاعتمار، رّجّح إلينا قصدتها على البعد، و الطريق الجعد، ما أشقت به المسلمين، من استئصال طائفة من أسراهم مرّوا بها آمين، و بطاثرها المشؤوم متيمين، قد أنهكهم الاعتقال، و القيود الثّقال، و أضرعهم الإسار، و جلّهم الانكسار، فجدّلوهم في مصرع واحد، و تركوهم عبدة للرّائي و المشاهد، و أهدوا بوقيعتهم إلى الإسلام ثكل الواجد، و ترة الماجد، فكبسناها كبسا، و فجأناها بالهام من لا يضلّ و لا ينسى، فصبّحتها الخيل، ثم تلاحق الرّجل لما جنّ الليل، و حاق بها الويل، فأبيح منها الدّمار، و أخذها الدّمار، و محقت من مصانعها البيض الأهلّة و خسفت الأقمار، و شفيت من دماء أهلها الضّلوع الحرار، و سلّطت على هياكلها النار، و استولى على الآلاف العديدة من سبيها الإسار، و انتهى إلى إشبيلية الثّكلي المغار، فجلّل وجهه من بها من

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٠٢

كبار النصرانية الصّغار، و استولت الأيدي على ما لا يسعه الوصف و لا تقّله الأوقار.

وعدنا و الأرض تموج سيبا، لم تترك بعفرين شبلا و لا بوجرة طيبا، و العقائل حسرى، و العيون يبهرها الصّنع الأسرى، و صبح السرى قد حمد من بعد بعد المسرى، فسبحان الذي أسرى، و لسان الحميّة ينادى في تلك الكنائس المخزيّة و التّوادي: يا لثارات الأسرى. و لم يكن إلّا أن نفّلت الأنفال، و سمت بالإيضاح الأغفال، و تميّزت اليهودى و الأكفال، و كان إلى غزو مدينة جيّان الاحتفال، قدنا إليها الجرد تلاعب الظّلال نشاطا، و الأبطال تقتحم الأخطار رضى بما عند الله و اغتباطا، و المهنّدة الدّلق تسبق إلى الرّقاب استلالا و اختراطا، و الرّدييّة السّمر تسترط حياتها النفوس استراطا، [و استكثرنا من عدد القتال احتياطاً]، و أزحنا العلل عمّن أراد جهادا منجيا غباره من دخان جهنّم و رباطا، و نادينا الجهاد الجهاد، يا أمّة [الجهاد راية] النّبى الهاد، الجنّة الجنّة تحت ظلال السيوف الحداد، فهزّ النداء إلى الله تعالى كلّ عامر و غامر، و ائتمر الجمّ من دعوة الحقّ إلى أمر أمر، و أتى الناس من الفجوج العميقة رجالا و على كلّ ضامر، و كاثرت الرايات أزهار البطاح لونا و عدّا، و سدّت الحشود مسالك الطرق العريضة سدّا، و مدّ بحرها الزّاخر مدّا، فلا يجد لها الناظر و لا المناظر حدّا. و هذه المدينة هي الأمّ الولود، و الجنّة التي في النار لسكانها من الكفّار الخلود، و كرسى الملك، و مجبّته الوسطى من ذلك السّلك، بآت بالمزايا العديدة و نجحت، و عند الوزان غيرها من أمّات البلاد رجحت، غاب الأسود، و جحر الحيات السّود، و منصب التماثيل الهائلة، و معلق النواقيس الصّائلة.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٠٣

و أدنينا إليها المراحل، و عيّنا لبحار المحلّات المستقلّات منها الساحل. و لمّا أكثبنا جوارها، و كدنا نلمح نارها، تحرّكنا و وشاح الأفق المرقوم بزهر النجوم قد دار دائره، و الليل من خوف الصّباح على سرحه المستباح قد شابت غدائره، و التّسر يرفرف باليمن طائره، و السّماك الرامح يثار بعزّ الإسلام نائره، و التّعائم راعده فرائص الجسد، من خوف الأسد، و القوس يرسل سهم السعادة، بوتر العادة، إلى أهداف التّعّم المعادة، و الجوزاء عابرة نهر المجزّة، و الزّهرة تغار من الشّعريّ العبور بالضّرة، و عطارديسدى في حبل الحروب، على البلد المحروب و يلحم، و يناظر على أشكالها الهندسيّة فيفحم، و الأحمر يبهر، و العلم الأبيض يفرى و ينهر، و المشتري يبدى في فضل الجهاد و يعيد، و يزاحم في الحلقات على ما للسعادة من الصفات و يزيد، و زحلّ عن الطالع منزحل، [و عن العاشر مرتحل]، و فى زلق السّقوط و حل، و البدر يطارح حجر المنجنيق، كيف يهوى إلى النّيق، و مطلع الشمس يرقب، و جدار الأفق يكاد بالعيون عنها

ينقب.

ولمّا فشا سرّ الصباح، واهتزّت أعطاف الرّيات لتحيّيات مبشّرات الرّياح، أطلنا عليها إطلال الأسود على الفرائس، و الفحول على العرائس، فنظرنا منظرا يروع بأسا و منعاه، و يروق وضعا و صنعاه، تلقّت معاقله الشّم للسّحاب ببرود، و وردت من غدیر المزن في برود، و أسرعرت لاقتطاف أزهار النجوم، و الذّراع بين النطاق معاصم رود، و بلدنا يعيبى الماسح و الذراع، و ينتظم المحانى و الأجارع. فقلنا اللهمّ نفلّه أيدي عبادك، و أرنا فيه آية من آيات جهادك، فنزلنا بساحتها العريضة المتون، نزول الغيث الهتون، و تيمّنا من فحصها الأفيح بسورة التين و الزيتون، متبرّية من أمان الرحمن للبلد المفتون، و أعجلنا الناس بحميّة نفوسهم التّفيسة، و سجيّة شجاعتهم البئيسة، عن أن نبوّى للقتال المقاعد، و ندنى بإسماع

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٠٤

شهير التّغير منهم الأبعاد، و قبل أن يلتقى الخديم بالمخدوم، و يركع المنجنيق ركعتى القدوم، فدافعوا من أصرّ إليهم من الفرسان، و سبق إلى حومة الميدان، حتى أحجروهم فى البلد، و سلبوهم لباس الجلد، فى موقف يذهل الوالد عن الولد، صابت السّيهام فيه غماما، و طارت كأسراب الحمام تهدى حماما، و أضحت القنا قصدا، بعد أن كانت شهبا رصدا. و ماج بحر القتام بأموج التّصول، و أخذ الأرض الرّجفان لززال الصباح الموصول. فلا ترى إلّا شهيدا تظلل مصرعه الحور، و صريعا تقذف به إلى السّاحل أمواج تلك البحور، و نواشب تباى بها الوجوه الوجيهة عند الله و النّحور، فالمقضب فوده يخضب و الأسمر غصنه سيثمر، و المغفر حماه يخفر، و ظهور القسيّ تقصم، و عصم الجند الكوافر تفصم. و ورق اليب فى المنقلب يسقط، و البتر تكتب، و السّيمر تنقط، فاقتم الرّيض الأعظم لحيته، و أظهر الله لعيون المبصرين و المستبصرين عزّه دينه، و تبرّأ الشيطان من خديته، و بهت الكفّار و خذلوا، و بكلّ مرصد جدلوا، ثم دخل البلد بعده غلابا، و جلّ قتلا و استلابا، فلا تسل، إلّا الطّبا و الأسل، عن قيام ساعتها، و هول يومها و شناعته، و تخريب المبائت و المبانى، و غنى الأيدي من خزائن تلك المغانى، و نقل الوجود الأول إلى الوجود الثانى. و تخارق السيف فجاء بغير المعتاد، و نهلت القنا الرّديتيّة من الدماء حتى كادت تورق كالأغصان المغترسة و الأوتاد، و همت أفلاك القسيّ و سحّت، و أرنت حتى بحت، و نفذت موادّها فشحّت، بما ألحّت، و سدّت المسالك جثّ القتلى فمنعت العابر، و استأصل الله من عدوّه الشّافّة و قطع الدّابر، و أزلف الشهيد و أحسب الصابر، و سبقت رسل الفتح الذى لم يسمع بمثله فى الزمن الغابر، تنقل البشرى من أفواه المحابر، إلى آذان المنابر. أقمنا بها أياما نعقر الأشجار، و نستأصل بالتّخريب الوجار، و لسان الانتقام من عبدة الأصنام، ينادى يا لثارات الإسكندرية تشفّيا من الفجّار، و رعا لحقّ الجار.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٠٥

و قفلنا و أجنحة الرّيات برياح العنايات خافقه، و أوافق التوفيق الناشئة من خطوط الطريق موافقه، و أسواق العزّ بالله نافقه، و حملاء الرفق مصاحبة و الحمد لله مرافقه، و قد ضاقت ذروع الجبال، عن أعناق الصّيهب السّيبال، و رفعت على الأكفال، ردفاء كرائم الأنفال، و قلقلت من النواقيس أجرام الجبال، بالهندام و الاحتيال، و هلك بمهلك هذه الأمّ بنات كنّ يرتضعن ثديها الحوافل، و يستوثرن حجرها الكافل، شمل التّخريب أسوارها، و عجلت النار بوارها .

ثم تحرّكنا بعدها حركة الفتح، و أرسلنا دلاء الأدلاء قبل المتح، فبشّرت بالمنح. و قصدنا مدينة أبتده و هى ثانية الجناحين، و كبرى الأختين، و مساهمة جيّان فى حين الحين، مدينة أخذت عرض الفضاء الأخرق، و تمشّت فى أرباضها تمشّى الكتابة الجامحة فى المهرق، المشتملة على المتاجر و المكاسب، و الوضع المتناسب، و الفلح المعيب ريعه عمل الحاسب، و كواره الدير اللاسب، المتعددة اليعاسب، فأناخ العفاء بربوعها العامرة، و دارت كووس عقار الحتوف بينان السيوف على متديريها المعاقرة، و صبّحتها طلائع الفاقرة، و أغريت ببطون أسوارها عوج المعاول الباقرة، و دخلت مدينتها عنوة السيف، فى أسرع من خطرة الطّيف، و لا- تسل عن الكيف. فلم يبلغ العفاء من مدينة حافله، و عقيله فى حلل المحاسن رافله، ما بلغ من هذه البائسة التى سجّدت لألهة النيران أبراجها، و

تضائل بالرّغام معراجها، و ضفت على أعطافها ملابس الخذلان، و أقفر من كنائسها كناس الغزلان.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٠٦

ثم تأهبنا لغزو أم القرى الكافرة، و خزائن المزاين الوافرة، و رية الشهرة السافرة، و الأنباء المسافرة، قرطبة، و ما أدراك ما هيه؟ ذات الأرجاء الحالية الكاسية، و الأطواد الراسخة الراسية، و المباني المباهية، و الزهراء الزاهية، و المحاسن غير المتناهية، حيث هالة بدر السماء قد استدارت من السور المشيد البناء دارا، و نهر المجرّة من نهرها الفياض المسلول حسامه من غمود الغياض قد لصق بها جارا، و فلک الدولاب المعتدل الانقلاب قد استقام مدارا، و رجّع الحنين اشتياقا إلى الحبيب الأول و اذكارا، حيث الطود كالتاج يزدان بلجين العذب المجاج فيزرى بتاج كسرى و دارا، حيث قسى الجسور المديرة كأنها عوج المطى الغريرة تعبر النهر قطارا، حيث آثار العامرى المجاهد تعبق بين تلك المعاهد شذى معطارا، حيث كرائم السحاب تزور عرائس الرياض الحباب فتحمّل لها من الدرّ نثارا، حيث شمول الشمال تدار على الأدواح بالغدو و الزواح فترى الغصون سكارى، و ما هى بسكارى، حيث أيدي الافتتاح تفتض من شقائق البطاح أبكارا، حيث ثغور الأقاح الباسم تقبلها بالسحر زوار التواسم فتحقق قلوب النجوم الغيارى، حيث المصلّى العتيق قد رحب مجالاً و طال منارا، و أزرى ببلاط الوليد احتقارا، حيث الظهور المثارة بسلاح الفلاح تجبّ عن مثل أسنمة المهارى، و البطون كأنها لتدميث الغمام بطون العذارى، و الأدواح العالیه تخترق أعلامها الهادية بالجداول الخيارى . فما شئت من جوّ صقيل، و معرس للحسن و مقيل، و مالك للعقل و عقيل، و خمائل كم فيها للبلابل من قال و قيل، و خفيف يجاوب بثقيل، و سنابل تحكى من فوق سوقها، و قضب بسوقها، الهمزات فوق الألفات، و العصافير البديعة الصّيفات، فوق القضب المؤتلفات، تميل لهبوب الصّبا و الجنوب، مائة الجيوب، بدرر الحبوب، و بطاح لا تعرف عين المحل، فتطلبه بالدّحل، و لا تصرف فى خدمة بيض قباب الأزهار، عند افتتاح السوسن و البهار، غير العبدان من سودان النحل و بحر الفلاحة

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٠٧

الذى لا يدرك ساحله، و لا يبلغ الطيئة البعيدة راحله، إلى الوادى، و سمر النوادى، و قرار دموع الغوادى، المتجاسر على تخطيه عند تمطيه الجسر العادى، و الوطن الذى ليس من عمرو و لا زيد، و الفرا الذى فى جوفه كلّ صيد، أقلّ كرسية خلافة الإسلام، و أغار بالزّصافة و الجسر دار السلام، و ما عسى أن تطنب فى وصفه ألسنة الأرقام، أو تعبّر به عن ذلك الكمال فنون الكلام، فأعملنا إليها السرى و السير، و قدنا إليها النخيل و قد عقد الله فى نواصيها الخير.

و لما وقفنا بظاهرها المبهت المعجب، و اصطففنا بخارجها المنبت المنجب، و القلوب تلتمس الإعانة من منعم مجزل، و تستنزل مدد الملائكة من منجد منزل، و الركائب واقفة من خلفنا بمعزل، تتناشد فى معاهد الإسلام: «فقا نيك من ذكرى حبيب و منزل» برز من حاميتها المحامية، و وقود النار الحامية، و بقية السيف الوافرة على الحصاد النامية، قطع الغمام الهامية، و أمواج البحور الطامية، استجنت بظلال أبطال المجال أعداد الرجال الناشبة و الرامية. و تصدّى للنزال من صناديدها الصّهب السّيال أمثال الهضاب الراسية، يجنّها جنن السّوايح الكاسية، و قواميسها المفادية للصّلبان يوم يؤسها بنفوسها الموسية، و خنازيرها التى عدتها عن قبول حجج الله و رسوله ستور الظلم العاشية، و صخور القلوب القاسية، فكان بين الفريقين أمام جسرهما الذى فرق البحر، و حلى بلجينه و لآلىء زينه منها النحر، حرب لم تنسج الأزمان على منوالها، و لا أتت الأيام الحبالى بمثل أجنّة أهوالها، من قاسها بالفجار أفك و فجر، أو مثلها بجفر الهباءة خرف و هجر، و من شبّهها بحرب داحس و الغبراء فما عرف الخبر، فليسأل من جرّب و خبر. و من

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٠٨

نظرها بيوم شعب جلّه، فهو ذو بله، أو عادلها ببطن عاقل، فهو غير عاقل، أو احتجّ بيوم ذى قار، فهو إلى المعرفة ذو افتقار، أو ناضل بيوم الكديد، فسهمه غير السديد. إنما كان مقاما غير معتاد، و مرعى نفوس لم يف بوصفه لسان مرتاد، و زلزال جبال أوتاد، و متلف مذخور لسلطان الشيطان و عتاد، أعلم فيه البطل الباسل، و تورّد الأبيض الباتر و تأوّد الأسمر العاسل، و دوّم الجلمد المتكاسل، و انبعث

من حذب الحتية إلى هدف الرمية الناشر الناسل، و رويت لمرسلات السهام المراسل. ثم أفضى أمر الزماح إلى التشاجر و الارتباك، و نشبت الأسنان في الدروع نشب السيمك في الشباك، ثم اختلط المرعى بالهمل، و عزل الرديني عن العمل، و عادت السيوف من فوق المفارق تيجانا، بعد أن شقت غدر السوابغ خليجانا، و اتحدت جداول الدروع فصارت بحرا، و كان التعانق فلا ترى إلّا نحرا يلزم نحرا، عناق وداع، و موقف شمل ذى انصداع، و إجابته مناد إلى فراق الأبد و داع.

و استكشفت مآل الصبر الأنفس الشفافة، و هبت بريح النصر الطلائع المبشرة الهفافة. ثم أمد السيل ذلك العباب، و صقل الاستبصار الألباب، و استخلص العزم صفوة اللباب، و قال لسان النصر ادخلوا عليهم الباب، فأصبحت طوائف الكفار، حصائد مناجل الشفار، فمغافهم قد رضيت حرمانها بالإخفار، و رؤوسهم محطوة في غير مقام الاستغفار، و علت الرايات من فوق تلك الأبراج المستطرفة و الأسوار، و رفرف على المدينة جناح البوار، لولا الانتهاء إلى الحدّ و المقدار، و الوقوف عند اختفاء سرّ الأقدار.

ثم عبرنا نهرها، و شددنا بيدي الله قهرها، و ضيقنا حصرها، [و أدركنا بلالئ القباب البيض حصرها]، و أقمنا بها أياما تحوم عقبان البنود على فريستها حياما و ترمى الأدواح ببوارها، و نسلط

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٠٩

النيران على أقطارها، فلولا عائق المطر، لحصلنا من فتح ذلك الوطن على الوطر، فرأينا أن نروضها بالاجتثاث و الانتساف، و نوالى على زروعها و ربوعها كزرات رياح الاعتساف، حتى يتهيا للإسلام لو ك طعمتها، و يتهيا بفضل الله إرث نعمتها. ثم كانت عن موقفها الإفاضة من بعد نحر النحور، و قذف جمار الدمار على العدو المدحور، و تدافعت خلفنا الشيقات المتسقات تدافع أمواج البحور. و بعد أن ألحنا على جناتها المصحرة، و كرومها المستبحرة، إلحاح الغريم، و عوّضناها المنظر الكريه من المنظر الكريم، و طاف عليها طائف من ربيك فأصبحت كالصيريم، و أغرينا حلاق النار بحمم الجحيم، و راكمنا في أجواف أجوائها غمام الدخان، تذكر طيبة البان، بيوم الغميم، و أرسلنا رياح الغارات لا تذر من شيء أتت عليه إلّا جعلته كالزيم، و استقبلنا الوادي يهول مدّا، و يروع سيفه الصقيل حدّا، فيسره الله من بعد الإعواز، و انطلقت على الفرصة بتلك الفرصة أيدى الانتهاز، و سألنا من ساءله أسد بن الفرات فأفتى برجحان الجواز، فعّم الاكتساح و الاستباح جميع الأحواز، فأدبل المصون، و انتهت القرى و هدمت الحصون، و اجتتت الأصول و حطمت الغصون، و لم نرفع عنها إلى اليوم غارة تصافحها بالبوس، و تطلع عليها غررها الضاحكة باليوم العبوس. فهي الآن مجرى السوابق و مجرّ العوالى، على التوالى، و الحسرات تتجدد في أطلالها البوالى، و كأنّ بها قد صرعت، و إلى الدعوة المحمّدية قد أسرع، بقدره من أنزل القرآن على الجبال فخشعت، من خشية الله و تصدعت، و عزّة من أذعن الجابرة لعزّه و خنعت. و عدنا و البنود لا يعرف اللف نشرها، و الوجوه المجاهدة

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥١٠

لا يخالط التقطب بشرها، و الأيدى بالعروة الوثقى معتلة، و الألسن بشكر نعم الله منطلقه، و السيوف في مضاجع الغمود قلقة، و سراييل الدروع خلقه، و الجياد من ردها إلى المرابط و الأوارى ردّ العوارى حنقه، و بعبرات الغيظ المكظوم مختنقه، تنظر إلينا نظر العاتب، و تعود من ميادين المراح و الاختيال تحت حلال السّلاح عود الصّيبان إلى المكاتب، و الطبل بلسان العزّ هادر، و العزم إلى منادى العود الحميد مبادر، و وجود نوع الزماح من بعد ذلك الكفاح نادر، و القاسم ترتب بين يديه من السبى النوادر، و وارد مناهل الأجر غير المحلّ و لا المهجور غير صادر، و مناظر الفضل الآتى عقب أخيه المتأتى على المطلوب المواتى صادر، و الله على تيسير الصّيعاب و تخويل المنن الرّغاب قادر، لا إله إلّا هو فما أجمل لنا صنعه الخفي، و أكرم بنا لطفه الحفي، اللهم لا نحصى ثناء عليك، و لا نلجأ منك إلّا إليك، و لا نلتمس خير الدنيا و الآخرة إلّا لديك، فأعد علينا عوائد نصر ك يا مبدى يا معيد، و أعنا من وسائل شكر ك على ما ينثال به المزيد، يا حيّ يا قيوم يا فعال لما يريد.

و قارنت رسالتكم الميمونة لدينا حذق فتح بعد صيته، مشرّب ليته، و فخر من فوق النجوم العوائم مبيته، عجبنا من تأتي أملة الشارد، و

قلنا البركة في قدوم الوارد. و هو أن ملك النصارى لاطفنا بجملة من الحصون كانت من مملكة الإسلام قد غضبت، و التماثيل فيها بيوت الله قد نصبت، أدالها الله بمحاولتنا الطيب من الخيث، و التوحيد من التثليث، و عاد إليها الإسلام عودة الأب الغائب، إلى البنات الجائب، يسأل عن شؤونها، و يمسح دموع الرقة عن جفونها. و هي للزوم خطه خسف قل ما ارتكبوها فيما الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥١١

نعلم من العهود، و نادرة من نوادر الوجود، و إلى الله علينا و عليكم عوارف الوجود، و جعلنا في محارِب الشكر من الرّكع السّجود. عزّفناكم بمجملات أمور تحتها تفسير، و يمن من الله و تيسير، إذ استيفاء الجزئيات عسير، لنسرّكم بما منح الله دينكم، و نتوّج بعزّ الملمّة الحنيفية جبينكم، و نخطب بعده دعاءكم و تأمينكم، فإنّ دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب سلاح ماض، و كفيل بالمواهب المسؤولة من المنعم الوهاب متقاض، و أنتم أولى من ساهم في برّ، و عامل الله بخلوص سرّ، و أين يذهب الفضل عن بيتكم و هو صفة حيكم، و تراث ميتكم، و لكم مزية القدم، و رسوخ القدم، و الخلافة مقرّها إيوانكم، و أصحاب الإمام مالك، رضى الله عنه، مستقرّها قيروانكم، و هجير المنابر ذكر إمامكم، و التوحيد إعلام أعلامكم، و الوقائع الشهيرة في الكفر منسوبة إلى إمامكم، و الصحابة الكرام فتحه أوطانكم، و سلالة الفاروق عليه السلام و شائج سلطانكم، و نحن نستكثر من بركة خطابكم، و وصله جنابكم، و لولا الأعدار لوالينا بالمتزيّادات تعريف أبوابكم. و الله، عزّ و جلّ، يتولّى عنّا من شكركم المحتوم، ما قصّر المكتوب منه عن المكتوم، و يبيقيكم لإقامة الرّسوم، و يحلّ محبتكم من القلوب محلّ الأرواح من الجسوم، و هو سبحانه يصل سعدكم، و يحرس مجدكم، [و يوالى نعمه عندكم]. و السلام الكريم الطيب [الزّاكى المبارك] البرّ العميم يخصّكم كثيرا أثيرا، ما أطلع الصبح وجهها منيرا، بعد أن أرسل التّسيم سفيرا، و كان الوميض الباسم لأكواس الغنائم على أزهار الكمائ مديرا، و رحمة الله تعالى و بركاته . الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥١٢

و صدر عنى في مخاطبة الشيخ الخطيب أبى عبد الله بن مرزوق جوابا عن كتابه: [الوافر]

و لما أن نأت عنكم ديارى و حال البعد بينكم و بينى
بعثت لكم سوادا فى بياض لأنظركم بشىء مثل عيني

بم أفاتحك يا سيدى، و أجلّ عددى؟ كيف أهدى سلاما، فلا أهدر ملاما؟ أو أنتخب لك كلاما، فلا أجد لتبعه التّقصير فى حقّك الكبير إيلاما؟ إن قلت: تحية كسرى فى الثناء و تبع، فكلمة فى مربع العجمة تربع، و لها المصيف فيه و المربع، و الجميم و المنبع، فتروى متى شاءت و تشبع. و إن قلت: إذا العارض خطر، و مهما همى أو قطر، سلام الله يا مطر، فهو فى الشريعة بطر، و مركبه خطر، و لا يرعى به وطن و لا يقضى وطر. و إنما العرق الأوشح، و لا يستوى البان و البنفسج، و العوسج و العرفج: [الطويل]

سلام و تسليم و روح و رحمة عليك و ممدود من الظلّ سجسج
و ما كان فضلكم ليمنعنى الكفران أن أشكره، و لا لينسينى الشيطان أن أذكره، فأتخذ فى البحر سببا، أو أسلك غير الوفاء مذهبا، تأبى ذلك، و المنّة لله تعالى، طباع لها فى مجال الرّعى باع، و تحقيق و إشباع، و سوائم من الإنصاف لها مرعى فى رياض الاعتراف فلا يطرقها ارتياح، و لا تخفيها سباع. و كيف نجحد تلك الحقوق و هى شمس ظهيرة، و أذان عقيرة جهيرة، فوق مئذنة شهيرة، آدت الأكتاد لها

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥١٣

ديون تستغرق الدّم، و تسترقّ حتى الرّم، فإن قضيت فى الحياة فهى الخطّة التى نرتضيها، و لا نقنع من عامل الدهر المساعد إلّا أن ينفذ مراسمها و يمضيها، و إن قطع الأجل فالغنى الحميد من خزائنه التى لا تبيد يقضيها، و يرضى من يقضيها.
و حيا الله أيها العلم السيامى الجلال زما بمعرفتك المبرّة على الآمال أبرّ و أتحف، و إن أساء بفراقك و أجحف، و أعرى بعد ما ألحف، و أظفر باليتيمة المذخورة للشدائد و المزايين، ثم أوحش منها أصوثة هذه الخزائن، فأب حنين الأمل بخفيه، و أصبح المغرب

غريبا يقلب كفيه، و نستغفر الله من هذه الغفلات، و نستهديه دليلاً- في مثل هذه الفلوات، و أى ذنب فى الفراق للزمن أو لغراب الدمن، أو للزواجل المدلجة ما بين الشام إلى اليمن، و ما منها إلّا عبد مقهور، و فى رمة القدر مبهور، عقد و الحمد لله مشهور، و حجة لها على النفس اللوامة ظهور. جعلنا الله ممن ذكر المسبب فى الأسباب، و تذکر و ما يذکر إلّا أولوا الألباب قبل غلق الزهن و سد الباب.

و بالجملة فالفراق ذاتي، و وعده مأتى، فإن لم يحن فكأن قد، ما أقرب اليوم من الغد، و المرء فى الوجود غريب، و كل آت قريب، و ما من مقام إلا لزيال من غير احتيال، و الأعمار مراحل و الأيام أميال : [الوافر]

نصيبك فى حياتك من حبيب نصيبك فى منامك من خيال
جعل الله الأدب مع الحق شاننا، و أبعد عنا الفرق الذى شاننا، و إنى لأسرّ لسيدى بأن رعى الله صالح سلفه، و تداركه بالتلافي فى تلفه، و خلص سعادته من كلفه، و أحله من الأمن فى كنفه، و على قدرها تصاب العلياء، و أشدّ الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء. هذا و الخير و الشّرّ فى هذه الدار، المؤسسة على الأقدار، ظلان مضمحلان، فإذا ارتفع، ما ضرّ أو ما نفع، و فارق المكان، فكأنه ما كان، و من كلمات المملوك البعيدة عن الشكوك، إلى أن يشاء ملك الملوک :

خذ من زمانك ما تيسر و اترك بجهدك ما تعسر

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥١٤ و لربّ مجمل حالة ترضى به ما لم يفسر

و الدهر ليس بدائم لا بدّ أن سيسوء إن سرّ

و اكنتم حديثك جاهداشمت المحدث أو تحسّر

و الناس آنية الزجاج إذا عثرت به تكسّر

لا تعدم التقوى فمن عدم التقى فى الناس أعسرّ

و إذا امرؤ خسر الإله فليس خلق منه أخسر

و إنّ لله فى رعيك لسرّاً، و لطفاً مستمراً مستقراً، إذ ألقاك بسرّ الزوع إلى الساحل، و أخذ بيدك من ورطة الواحل، و حرّك منك عزيمة الزاحل، إلى الملك الحلال، فأدالك من إبراهيمك سميّاً، و عرفك بعد الولي و سميّاً، و نقلك من عناية إلى عناية، و هو الذى يقول و قوله الحقّ ما ننسخ من آية الآية. و قد وصل كتاب سيدى يحمّد- و الحمد لله - العواقب، و يصف المراقى التى حلّها و المراقب، و ينشر المفاهير الحفصية و المناقب، و يذكر ما هياؤه الله لديها من إقبال، و رخاء بال، و خصيصى اشتمال و نشور آمال، و أنه اغتبط و ارتبط، و ألقى العصا بعد ما خبط.

و مثل تلك الخلافة العلية من تزن الذوات، المخصوصة من الله بشريف الأدوات، بميزان تمييزها، و تفرّق بين شبه المعادن و إبريزها، و شبه الشئ مثل معروف، و لقد أخطأ من قال: الناس ظروف، إنما هم شجرات مربع فى بقعة ماحلة، و إبل مائة

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥١٥

لا تجد فيها راحلة، و ما هو إلّا اتفاق، و نجح للملك و إخفاق، و قلما كذب إجماع و إصفاق، و المجلس الصالح لربّ السياسة أمل مطلوب، و حظّ إليه مجلوب، و إن سئل أطرف، و عمر الوقت ببضاعه أشرف، و سرق الطباع، و مدّ فى الحسنات الباع، و سلّى فى الخطوب، و أضحك فى اليوم القطوب، و هدى إلى أقوم الطّرق، و أعان على نواب الحقّ، و زرع له المودة فى قلوب الخلق، زاد الله سيدى لديها قرباً أثيراً، و جعل فيه للجميع خيراً كثيراً، بفضل و كرمه. و لعلمى بأنّه أبقاه الله يقبل نصحى، و لا يرتاب فى صدق صبحى، أغبطه بمشواه، و أنشده ما حضر من البديهة فى مسارة هداه و نجواه: [الكامل]

بمقام إبراهيم عدو و اصرف له فكراً تؤرّق عن بواعث تعترى

فجواره حرم و أنت حمامة و رقاء و الأغصان عود المنبر

فلقد أمنت من الزمان و ريبه و هو المروّع للمسيء و للبرى

و إن تشوّف سیدی للحال ، فلعمر وليه لو كان المطلوب دنيا لوجب وقوع الاجتراء، و لاغتبط بما تحصّل فى هذه الجزور، المبيعة فى حانوت الزور، من السيّهام الوافرة الأجزاء، فالسلطان رعاه الله، يوجب ما فوق مزية التعليم، و الولد، هداهم الله، قد أخذوا بحظّ قلّ أن ينالوه بغير هذا الإقليم، و الخاصّة و العامة تعامل بحسب ما بلته من نصح سليم، و ترك لما بالأيدى و تسليم، و تدبير عاد على عدوهم بالعذاب الأليم، إلّا من أبدى السلامة و هو من إبطان الحسد بحال السليم، و لا ينكر ذلك فى الحديث و لا فى القديم. لكن النفس منصرفه عن هذا الغرض، و نافضة يدها من الغرض، قد فوّت الحاصل، و وصلت فى الله القاطع و قطعت الواصل، و صدقت لما نصح الفود الناصل ، و تأهّبت للقاء الحمام الواصل، و قلت: [المنسرح]

انظر خضاب الشّباب قد نصلا و زائر الأّنس بعده انفصلا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥١٦ و مطلبى و الذى كلفت به حاولت تحصيله فما حصلا

لا أمل مسعف و لا عمل و نحن فى ذا و الموت قد وصلا

و الوقت إلى الإمداد منكم بالدعاء فى الأصائل و الأسحار، إلى مقيل العثار، شديد الافتقار، و الله عزّ و جلّ يصل لسیدی رعى جوانبه، و يتولّى تيسير آماله من فضله العميم و مآربه، و أقرأ عليه من التّحيات، المحمّلة من فوق رحال الأريحيات، أزكاها، ما أوجع البرق الغمائم فأبكاها، و حسد الروض جمال النّجوم الزّواهر فقاسها بمباسم الأزهار و حكاها، و اضطبن هرم اللّيل عند الميل عصا الجوزاء و توّكّاه، و رحمته الله تعالى و بركاته.

و خاطبت الفقيه الرئيس أبا زيد بن خلدون لما ارتحل من بحر ألمرية، و استقرّ بيسكرة عند الرئيس بها أبى العباس ابن مزنى صحبة رسالة خطّبها أخوه أبو زكريا، و قد تقلّد كتابه الإنشاء لصاحب تلمسان، و وصل الكتب عنه من إنشائه :

[الطويل]

بنفسى و ما نفسى علىّ بهينه فينزلى عنها المكاس بأثمان

حبيب نأى عنى و صمّم لا ينى و راش سهام الين عمدا فأصمانى

و قد كان همّ الشّيب، لا كان، كافيافقد آدنى لمّا ترحل همّان الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج ٤ ؛ ص ٥١٦

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥١٧ شرعت له من دمع عيني موردافكدر شربى بالفراق و أظمانى

و أروعته من حسن عهدي حميمه فأجذب آمالى و أوحش أزمانى

حلفت على ما عنده لى من رضى قياسا بما عندى فأحث أيمانى

و إنى على ما نالى منه من قلى لأشتاق من لقيه نغبه ظمآن

سألت جنونى فيه تقريب عرشه فقست بجنّ الشوق جنّ سليمان

إذا ما دعا داع من القوم باسمه و ثبت و ما استثبت شيمه هيمان

و تالّله ما أصغيت فيه لعاذل تحاميته حتى ارعوى و تحامانى

و لا استشعرت نفسى برحمه عابد تظلل يوما مثله عبد رحمان

و لا شعرت من قبله بتشوق تخلل منها بين روح و جثمان

أمّا الشّوق فحدّث عنه و لا حرج، و أمّا الصّبر فاسأل به أيّة درج، بعد أن تجاوز اللوى و المنعرج، لكنّ الشّدة تعشق الفرج، و المؤمن ينشق من روح الله الأرج، و أنى بالصّبر على أبرّ الدّبر، لا بل الضرب الهبر، و مطاوله اليوم و الشهر، تحت حكم القهر؟ و هل للعين أن تسلو سلو المقصر، عن إنسانها المبصر، أو تذهل ذهول الزّاهد، عن سرّها الزّائى و المشاهد؟ و فى الجسد بضعة يصلح إذا صلحت، فكيف حاله إذا رحلت عنه و نزحت، و إذا كان الفراق و هو الحمام الأول، فعلام المعول؟ أعيّت مراوضة الفراق، على الرّاق، و كادت

لوعه الاشتياق، أن تفضى إلى السباق: [السريع]

تركتموني بعد تشييعكم أوسع أمر الصبر عصيانا

أقرع سنّي ندما تارّه وأستميح الدمع أحيانا

و ربما تعلّمت بغشيان المعاهد الخالية، و جدّدت رسوم الأسي بمباكرة الرسوم البالية، أسأل نون التوى عن أهليه، و ميم الموقد المهجور عن مصطليه، و ثاء

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥١٨

الأثافي المثلة عن منازل الموحدين، و أحرار بين تلك الأطلال حيرة الملحدين، لقد ضللت إذا و ما أنا من المهتهدين. كلفت لعمر الله، بسال عن جفوني المؤرقة، و نائم عن همومي المتجمعة المتفرقة، ظعن عن ملال، لا متبرّما منى بشرّ خلال، و كدر الوصل بعد صفائه، و ضرج التصل بعد عهد وفائه: [الطويل]

أقلّ اشتياقا أيها القلب ربّما رأيتك تصفى الودّ من ليس جازيا

فها أنا أبكى عليه بدم أساله، و أنهل فيه أسى له، و أعللّ بذكراه قلبا صدعه، و أودعه من الوجد ما أودعه، لثما خدعه، ثم قلاه و ودّعه، و أنشق رياه أنف ارتياح قد جدعه، و أستعديه على ظلم ابتدعه: [الطويل]

خليلى، هل أبصرتما أو سمعتما قتيلا بكى، من حبّ قاتله، قبلى؟

فلولا- عسى الرجاء و لعله، لا- بل شفاعه المحلّ الذى حلّه، لمزجت الحنين بالعتب، و بثت كتابه كمناء فى شعاب الكتب، تهزّ من الألفات رماحا خزر الأسنه، و توتر من التونات أمثال القسى المرنة، و تقود من مجموع الطرس و النفس بلقا تردى فى الأعنة. و لكنه أوى إلى الحرم الأمين، و تفتيا ظلال الجوار المؤمن من معرّة العوار عن الشمال و اليمين، حرم الخلال المزنيّه،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥١٩

و الظلال اليزنيّه، و الهمم السيّتيّه، و الشيم التى لا ترضى بالدون و لا بالدنيّه، حيث الرّفد الممنوح، و الطير الميامن يزرجر لها السنوح، و المثوى الذى إليه مهما تقارح الكرام على الضيفان حول جوابى الجفان الميل و الجنوح: [الكامل]

نسب كأنّ عليه من شمس الصّحى نورا و من فلق الصباح عمودا

و من حلّ بتلك المثابه فقد اطمأنّ جنبه، و تعمّد بالعفو ذنبه. و لله درّ القائل:

[الكامل]

فوحقه لقد انتدبت لوصفه بالبخل لولا أنّ حمصا داره

بلد متى أذكره تهتج لوعتى و إذا قدحت الرّند طار شراره

اللهم غفرا، لا- كفرا، و أين قرارة النّخيل، من مئوى الأقلف البخيل، و مكذبة المخيل؟ و أين ثانيه هجر، من متبوّ من ألد و فجر؟ [المتدارك]

من أنكر غيثا منشؤه فى الأرض فليس بمخلفها

فبنان بنى مزنى مزن تنهلّ بلطف مصرفها

مزن مذ حلّ بيسكرة يوما نطقت بمصحفها

شكرت حتى بعبارتها و بمعناها و بأحرفها

ضحكت بأبى العباس من الأيام ثنايا زخرفها

و تنكرت الدنيا حتى عرفت منه بمعرفها

بل نقول: يا محلّ الولد لا أقسمُ بهذا البلد (١) و أنت حلّ بهذا البلد (٢)، لقد حلّ بينك عرى الجلد، و خلّمد الشوق بعدك يا ابن

خلدون في الصميم من الخلد.

فحيتا الله زمنا شفيت برقى قربك زمانته، و اجتليت في صدف مجدك جمانته ، و يا من لمشوق لم تقص من طول خلّتك لبانته، و أهلا بروض أطلّت أشتات معارفك بانته، فحمامه بعدك تندب ، فيساعدوها الجندب، و نواسمه ترقّ فتغاشي ، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٢٠

و عشياته تتخافت و تتلاشي، [و مزنه باك] و أدواحه [في ارتباك، و حمامه] في مآتم ذى اشتباك، كأن لم تكن قمر هالات قبابه، و لم يكن أنسك شارع بابه، إلى صفوة الظرف و لبابه، و لم يسبح إنسان عينك في ماء شبابه. فلهفى عليك من درّة اختلستها يد النوى، و مطل بردها الدهر و لوى، و نعت الغراب بينها في ربوع الجوى ، و نطق بالزجر فما نطق عن الهوى. و بأى شىء يعناض منك أيتها الرياض، بعد أن طمى نهرك الفيض، و فهقت الحياض؟ و لا كان الشانىء المشنوء ، و الجرب المهنوء، من قطع ليل أغار على الصبح فاحتمل، و شارك في الدّم الناقه و الجمل، و استأثر جنحه ببدر النادى لما كمل. نشر الشراع فراع، و أعمل الإسراع، كأنما هو تمساح التيل ضايق الأحباب فى البرهه، و اختطف لهم من الشطّ نزهه العين و عين النزهه. و لجاج بها و العيون تنظر، و الغمر عن الاتباع يحظر، فلم يقدر إلّا على الأسف، و التماح الأثر المنتسف ، و الرجوع بملء العيبه من الخيبه، و وقر الجسره من الحسره. إنما نشكو إلى الله البثّ و الحزن، و نستمطر من عبراتنا المزن، و بسيف الرجاء نصول، إذا شرعت لليأس أسنّه و نصول: [البسيط]

ما أقدر الله أن يدنى على شحطمن داره الحزن ممّن داره صول

فإن كان كلم الفراق رغيبا ، لمّا نويت مغيبا، و جلّلت الوقت الهنيّ تشغيبا، فلعلّ الملتقى يكون قريبا، و حديثه يروى صحيحا غريبا. إيه شقّه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٢١

التفس كيف حال تلك الشّمائل، المزهرة الخمائل؟ و الشّيم ، الهاميه اللّيم، هل يمرّ ببالها من راعت بالبعد باله؟ و أخدمت بعاصف البين ذباله؟ أو ترثى لشؤون شأنها سكب لا يفتر، و شوق بيتّ جبال الصّبر و يبتتر، و ضنى تقصر عن حلله الفاقعه صنعاء و تستر، و الأمر أعظم و الله يستر. و ما الذى يضيرك؟ صين من لفح السيّموم نصيرك، بعد أن أضمرت و أشعلت و أوقدت و جعلت، و فعلت فعلتك التى فعلت، أن تترقّق بدماء، أو تردّ بنغبه ماء أرقاق ظماء، و تتعاهد المعاهد بتحيه يشمّ عليها شذا أنفاسك، أو تنظر إلينا على البعد بمقله حوراء من بياض قرطاسك، و سواد أنفاسك ، فربما قنعت الأنفس المحبّه بخيال زور، و تعلّلت بنوال منزور، و رضيت لمّا لم تصد العنقاء بزرزور: [الكامل]

يا من ترخّل و الرياح لأجله تشتاق إن هبت شذا رياها

تحبى النفوس إذا بعثت تحية فإذا عزمت اقرأ و من أحيها

و لئن أحييت بها فيما سلف نفوسا تفديك، و الله إلى الخير يهديك، فنحن نقول معشر مريدك : ثنّ و لا تجعلها بيضه اللّيك ، و عذرا فيّنى لم أجتريء على خطابك بالفقر الفقيره، و أدلت لدى حجراتك برفع العقيره، عن نشاط بعثت مرموسه ، و لا- اغتباط بالأدب تغرى بسياسته سوسه، و انبساط أوحى إلى على الفترة ناموسه، و إنما هو اتفاق جرّته نفثه المصدور، و هناء الجرب المجذور، و خارق

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٢٢

لا مخارق، فثمّ قياس فارق، أو لحن غنى به بعد البعد مفارق . و الذى هيأ هذا القدر و سيّبه، و سوّغ منه المكروه و حبّيه، ما اقتضاه الصّينو يحيى، مدّ الله حياته، و حرس من الحوادث ذاته- من خطاب ارتشف به لهذه القريحه بلالتها، بعد أن رضى علالتها، و رشّح إلى الصّيهر الحضرمى سلالتها، فلم يسع إلّا إسعافه، بما أعافه، فأملت مجيبا، ما لا يعدّ فى يوم الرّهان نجيبا، و أسمعت وجيبا، لمّا ساجلت بهذه الترهات سحرا عجيبا، حتى إذا ألف القلم العريان سبحة، و جمع برذون الغراره فلم أطق كبحه، لم أفق من غمره غلوه، و

موقف متلوّه، إلّا وقد تحيّر إلى فتتك مغتراً، بل معتراً، واستقبلها ضاحكا مفتراً، وهش لها برّاً، وإن كان لونه من الوجع مصفراً، و ليس بأول من هجر، في التماس الوصول ممّن هجر، أو بعث التمر إلى هجر، و أى نسب بينى اليوم و بين زخرف الكلام، و إجاله جياذ الأعلام، فى محاوره الأعلام، بعد أن حال الجريض دون القريض، و شغل المريض عن التعريض، و استولى الكسل، و نصلت الشعرات البيض، كأنها الأسل، تروع برقط الحيات، سرب الحياة، و تطرق بذوات الغرر و الشّيات، عند البيات. و الشّيب الموت العاجل، و إذا ابيضّ زرع صبّحته المناجل، و المعتبر الآجل. و إذا اشتغل الشيخ بغير معاده، حكم فى الظاهر بإبعاده، و أسره فى ملكه عاده، فأغض، أبقاك الله، و اسمح، لمن قصّر عن المطمح، و بالعين الكليله فالمح، و اغتتم لباس ثوب الثّواب، و اشف بعض الجوى بالجواب، تولّك الله

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٢٣

فيما استضفت و ملكت، و لا بعدت و لا هلكت، و كان لك آية سلكت، و وسمك من السعادة بأوضح السّمات، و أتاح لقاءك من قبل الممات. و السلام الكريم يعتمد جلال ولدى، و ساكن خلدى، بل أخی، و إن اتّقيت عتبه و سيدى، و رحمه الله و بركاته. [من محبّه المشتاق إليه محمد بن عبد الله بن الخطيب، و فى الرابع عشر من شهر ربيع الثّانى، من عام سبعين و سبعمائة]. و خاطبت الفقيه أبا زكريا بن خلدون، لما ولى الكتابه عن السلطان أبى حمّو موسى بن زيّان، و اقترن بذلك نصر و صنع غبطته به، و قصدت بذلك تنفيقه و إنهاءه لديه :

نخصّ الحبيب الذى هو فى الاستظهار به أخ و فى الشّفقة عليه ولد، و الولي الذى ما بعد قرب مثله أمل و لا على بعده جلد، و الفاضل الذى لا يخالف فى فضله ساكن و لا بلد، أبقاه الله و فاز فوزه و عصمته لها من توفيق الله سبحانه عمد، و مورد سعاداته المسوخ لعاداته لا غور و لا ثمد، و مدى إمداده من خزائن إلهام الله و سداده ليس له أمد، و حمى فرح قلبه بمواهب من ربّه أن يطرقه كمد. تحية محلّه، من صميم قلبه بمحلّه، المنشئ رواق الشّفقة مرفوعا بعمد المحبّه و المقه فوق ظعنه و حلّه، مؤثره و مجله، المعتنى بدقّ أمره و جلّه، ابن الخطيب. من الحضرة الجهادية غرناطة صان الله خلالها، و وقى هجير هجر الغيوم ظلالها، و عمر بأسود الله أغيالها، كما أغرى بمن كفر بالله صيالها. و لا زائد إلّا منن من الله تصوب، و قوة يستردّ بها المغصوب، و يخفض الصّليب المنصوب، و الحمد لله الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٢٤

الذى بحمده ينال المطلوب، و بذكره تطمئنّ القلوب. و موّدتك المودّة التى غدّتها ثدىّ الخلوص بلبانها، و أحلتها حلائل المحافظة بين أعينها و أجفانها، و مهّدت موات أخواتها الكبرى أساس بانيها، و استحققت ميراثها مع استصحاب حال الحياة، إن شاء الله، و اتصال أزمانها، و اقتضاء عهود الأيام بيمينها و أمانها. و لله درّ القائل :

[الطويل]

فإن لم يكنها أو تكنه فإنّه أخوها غذته أمه بلبانها

وصل الله ذلك من أجله و فى ذاته، و جعله وسيلة إلى مرضاته، و قربته تنفع عند اعتبار ما روعى من سنن الجبار و مفترضاته. و قد وصل كتابكم الذى فاتح بالريحان و الرّوح، و حلّ من مرسوم الحياة محلّ البسمله من اللّوح، و أذن لنوافح الثناء بالبوح، يشهد عدله بأنّ البيان يا آل خلدون سكن من مثواكم دار خلود، و قدح زندا غير صلود، و استأثر من محابركم السيّالة و قضب أفلامكم الميآدة الميآلة بأب منجب و أمّ ولود، يقفو شانيه غير المشنوّ، و فصيله غير الجرب و لا المهنوّ، من الخطاب السلطاني سفينه منوح، إن لم نقل سفينه نوح. ما شئت من آمال أزواج، و زمر من الفضل و أفواج، و أمواج كرم تطفو فوق أمواج، و فنون بشائر، و إهطاع قبائل و عشائر، و ضرب للمسرّات أعيان السّامر. فله هو من قلم راعى نسب القنا فوصل الرّحم، و أنجد الوشيج الملتحم، و ساق بعصاه من البيان الدّود المزدحم، و أخاف من شدّ عن الطاعة مع الاستطاعة فقال: لا عاصم اليوم من أمر الله إلّا من رجم. و لو لم يوجب الحقّ برقه و رعده، و وعيده و وعده، لأوجه يمينه و سعده. فلقد ظهرت مخايل نجحه، علاوة على نصحه، و وضحت محاسن صبحه، فى

وحشة الموقف الصّعب و قبحه، وصل الله له عوائد منحه، و جعله إقليدا

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٢٥

كلما استقبل باب أمل و كلّه الله بفتحته. أما ما قرره و لاؤكم من حبّ زكا عن حبة القلب حبه، و أنبته النبات الحسن ربّه، و ساعده من الغمام سكبه، و من التّسيم اللّدن مهته، فرسم ثبت عند الوليّ نظيره، من غير معارض يضيره، و ربما أربى بتذليل مزيد، و شهادة ثابت و يزيد . و لم لا- يكون ذلك و للقلب على القلب شاهد؟ و كونها أجنادا مجتدّة لا يحتاج تقريره إلى ماهد، أو جهد جاهد. و مودّة الأخوة سبيلها لاحب، و دليلها للدّعوى الصادقة مصاحب، إلى ما سبق من فضل و لقاء، و مصافحة سقاء و اعتقاد، لا يراغ سر به بذئ انتقاد، و اجتلاء شهاب و قّاد، لا يحوج إلى إيقاد. إنما عاق عن مواصلة ذلك نوى شطّ منها الشّطن، و تشذيب لم يتعيّن معه الوطن. فلتما تعين، و كاد صبح الحقّ أن يتبين، عاد الوميض ديجورا، و الثّمد بحرا مسجورا، إلى أن أعلق الله منكم اليد بالسّيب الوثيق، و أحلكم بمنجى نيق، لا- يخاف من منجنيق، و جعل يراعكم لسعادة موسى معجزة تأتي على الخبر بالعيان، فتخرّ لثعبانها سحره البيان: [المتقارب]

أ يحيى، سقى، حيث لحت، الحيا فنعم الشّباب و نعم الزّكون
و حيا يراعك من آية فقد حرّك القوم بعد السّكون
دعوت لخدمة موسى عصاه فجاءت تلقّف ما يأفكون
فأذعن من يدعى السّحر رغما و أسلم من أجلها المشركون

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٢٦ و ساعدك السّعد فيما أردت فكان كما ينبغي أن يكون

فأنتم أولى الأصدقاء بصله السّيب، و رعى الوسائل و القرب. أبقاكم الله و أيدي الغبطة بكم عالية، و أحوال تلك الجهات بدركم المهمات حالية، و ديم المسرّات من إنعامكم المدرّات على معهود المبرّات متواليه . و أما ما تشوّفتم إليه من حال وليكم فأمل متقلّص الظّل، و ارتقاب لهجوم جيش الأجل المطلّ، و مقام على مساورة الصّلّ، و عمل يكذب الدعوى، و طمأنينه تنتظر الغارة الشّعوا. و يد بالمدخور تفتح، و أخرى تجهد و تمنح، و مرض يزور فيثقل، و ضعف عن الواجب يعقل إلّا أنّ اللطائف تستروح، و القلب من باب الرجاء لا- يبرح. و ربما ظفر اليانس، و لم تطرد المقاييس، تداركنا الله بعفوه، و أوردنا من منهل الرّضا و القبول على صفوه، و أذن لهذا الخرق في رفوه. و أمّا ما طلبتم من انتساح ديوان، و أعمال بنان في الإتحاف ببيان، فتلك عهود لدى مهجورة، و معاهد لا متعهدة و لا مزورة، شغل عن ذلك خوض يعلو لجبهه، و حوض يقضى من لغط المانح عجبه، و هول جهاد تساوى جمادياه و رجه، و لولا التماس أجر، و تعلل بريح تجر، لقلت: أهلا بذات النّحين . فلئن شكت، و بذلت المصون بسبب ما أمسكت، فلقد ضحكت في الباطن ضعف ما بكت. و نستغفر الله من سوء انتحال، و إثثار المزاح بكلّ حال. و ما الذي ينتظر مثلى ممّن عرف المآخذ و المتارك، و جرّب لما بلا المبارك، و خبر مساءة الدّنيا الفارك؟ هذا أيها الحبيب ما وسعه الوقت الضيق، و قد ذهب الشّباب الرّيق . فليسمح فيه معهود كمالك،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٢٧

جعل الله مطاوعة أمالك، مطاوعة يمينك لشمالك، و وطأ لك موطأ العزّ باب كلّ مالك، و قرن التّجح بأعمالك، [و حفظك في نفسك و أهلك و مالك، و السّلام من فلان].

و كتبت إلى الأولاد و هم بالمنكب صحبة السلطان، رضى الله عنه: [مخلع البسيط]

يا ساكني مرفا الشّوانى شوقى من بعدكم شوانى

و لاهج الشّوق قد هوانى من بعدكم فاقتضى هوانى

كأنّه مالكا عنانى أنموذج من أبى عنان

لقد كفاني لقد كفاني باقي ذما ذاهب كفاني

مَنوا على الخوف بالأمانى فأنتم جملة الأمانى

إلى أى كاهن أتنافر، و فى أى ملعب أتجاول و أتظافر، و بين يدي أى حاكم أتظالم فلا أتغافر، مع هذا الجبل، الذى هو فى الشكل
جمل، حفّ به من الثعب همل، سنامه التامك أجرد، و ذنبه الشابل كأنه جمل يطرد، و عنقه إلى مورد البحر يتعرج و يتعرد، و كأنما
البنية بأعلاه خدر فاتنه، أو برق غمامه هاتنه، استأثر غير ما مرّة بأنسى، و صارت عينه الحمئة مغرب شمسي، حتى كأن هذا الشكل من
خدر و بعير، و إن كان مجاز مستعير، يتضمن شكوى البين، و يفرق بين المحبين:

ما فرّق الأحباب بعد الله إلا الإبل و الناس يلحون غراب البين لما جهل

و ما على ظهر غراب البين تقضى الرّحل و لا إذا صاح غراب فى الديار ارتحل

و ما غراب البيت إلا ناقة أو جمل الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٢٨

فأقسم لولا أن الله ذكر الإبل فى الكتاب الذى أنزل، و أعظم الغايه بها و أجزل، لسلت عليه سلاح الدّعاء، و أغريت بهجره نفوس
الرّعاء. و قلت: أرانى الله إكسارك من بعير، فوق سكير، و لا سمحت لك عقبه الأندر و السعير، ببرّ و لا شعير: [الوافر]

دعوت عليك لما عيل صبرى و قلبى قائل يا ربّ لا لا

نستغفر الله، و أى ذنب لذي ذنب شائل، و ليث مائل، يازاء لّج هائل، يتعاوره الوعد و الوعيد، فلا يبدى و لا يعيد، و تمرّ الجمعة و
العيد، فلا يستدبر و لا يستعيد، إنما الذّنب لدهر يرى المجتمع فيغار، و يشنّ منه على الشّمل المغار، و نفوس على هذا الغرض تسانده
، و تعينه ليطش ساعده، و تقاربه فيما يريد فلا تباعده: [الكامل]

و لقد علمت فلا تكن متجنّباً إنّ الفراق هو الحمام الأول

حسب الأحنه أن يفرق بينهم صرف الزمان فما لنا نستعجل

لكن المحبّ جنيب، و لغرض المحبوب سلب: [الطويل]

و يحسن قبح الفعل إن جاء منكم كما طاب عرف العود و هو دخان

و قد قنعت برسائه تبّلع الأنة، و تدخل بعد ذلك الصّيراط الجنّه، و يعبر لسانها عن شوقى من دون عقله، و تنظر عيني من بياض طرسها
و سواد نفسها بمقله.

و إن كان الجواب، فهو الأجر و الثّواب، و لم أر مثل شوقى من نار تخمد بطرس يلقى على أوارها، فأمن عادية جوارها. لكنها نار
الخليل ربما تمسكت من

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٢٩

المعجزة بأثر، و عثرت على آثاره مع من عشر، جمع الله من الشّمل بكم ما انتثر، و أنسى بالعين الأثر، و حرس على الكل من مسوق و
سائق، و موحش و رائق، سرّ القلوب، و مناخ الجوى المجلوب، و مثار الأمل المطلوب. و لا زالت العصمة تنسدل فوق مئواه قبابها، و
السعود تحمل فى أمره العلىّ منانها. فالمحبيب إليه حبيب و إن أساء، و أوحش الصباح و المساء: [البسيط]

إن كان ما ساءنى ممّا يسرّكم فعذبوا فقد استعدبت تعذيبى

و السلام عليكم ما حنّ مشوق، و تأوّد لليراع فى رياض الرّقاع قضيب مشوق، و رحمة الله و بركاته.

و أجاب عن ذلك الفقيه أبو عبد الله بن زمرك، كاتب الدولة، و الولدان عبد الله و على، بما يستحسن فى غرض الرسالة و أبياتها،
فراجعت الثلاثة بما نصه:

[مخلع البسيط]

أكرم بها من بناء بان أرسخ فى الفخر من أبان

أجنا لديها الرضا حنان من المعانى جنا جناني
 أى جبي للأكف دان ما للمبارى به يدان
 أقسم بالذكر و المثنان ما لك فيما سمعت ثان
 مدامه بزت الأوانى تشط للقول كل وان
 تقول أوضاعها الغوانى بالعلم عن زينة الغوان

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٣٠ يا رب، بارك لمن بنان في الفكر و القلب و البنان
 هكذا هكذا، و بعين الحسود القذا، تستشار الدرر الكامنة، و تهاج القرائح النائمة، في حجر الغفلة الآمنة، و تقتضى الديون من الطباع
 الضامنة: [الرجز]

أعيدها بالخمس من ولائد قد قلدت بنخب القلائد
 أعيدها بالخمس من حبايب يغذين بالمراضع الأطايب
 أعيدها بالخمس من وجوه يصونها الله من المكروه

و يا ماتح قلب القلوب أرويت ، و صدق ما نويت، السير بيرك، ذو حفرت و ذو طويت، و ما رميت إذ رميت، و لو علمنا السرائر،
 لأعددنا لهذا المكيل الغرائر، و لو تحققنا إجابة السؤال، و التسيج على هذا المنوال، لفسحنا الظروف لهذا التوال. ساجلنا الغيوث
 فشحننا، و بارزنا الليوث فافتضحنا، و صلينا و الحمد لله على السلامة بما قدحنا، لا بل التمسنا نقبه ، فأقطعنا تنورا، و اقتبسنا جذوة،
 فأقبسنا نورا، و ما كان عطاء ربك محظورا : [الكامل]

ملك الثلاث الأنسات عنانى و حللن من قلبى بكل مكان

هذى الهلال و تلك بنت المشتري حسنا و هذى أخت غصن البان

متى كان أفق المنكب، مطلعاً لهذا الكوكب، و أجمه ذلك الساحل الماحل، مرتبعا لهذا الذمر الحلال، و مورد الجمل البادى العز،
 مغاصا لمثل هذا الدر، إلا أن يكون كنز هذا المرام، المستدعى للكلف و الغرام، من مستودعات

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٣١

تلك الأهواء و الأهرام، دفنه الملك الغصاب، بعد أن قدست الأنصاب، و أخفى الأثر فلا يصاب، أو تكون الأنوار هنالك تتجسم، و
 الحظوظ تعين و تقسم، و الحقائق تحدد و ترسم، أو تتوالد بتلك المغارات يوسانيا و روسم. أنا ما ظننت بأن ثور من أجم الأقالم
 أسود، و تعبت بالسويداوات من نتائج اليراع و الدواء لحاظ سود. من قال فى الإنسان عالما صغيرا فقد ظلمه، كيف و الله بالقلم علمه،
 و رفع فى العوالم علمه.

لقد درت حلما تلك الأقالم من رسل غزير، و ما كان فحل تلك الأقالم بزير، و لا سلطان تلك الطباع المديدة الباع ليستظهر بوزير.
 إنما هى مشاكي كمال أوقدها الله و أسرجها، و ملكات فى القوة رجحها مرجح القوة فأبرزها إلى العقل و أخرجها.

و أحر بها أن تحط بذرى المدارك الإلهية رحالها، و تترك إلى الواجب الحق محالها، فتتجاوز أحوالها، مستنيرة بما أوحى لها. إيه
 بتيه، أقسم برّب البتية، و قاسم الحظوة السيتية، لقد فزت من نجابتكم عند التماح إجابتكم بالأميتية، فما أبالى بعدها بالمتية. و قاه الله
 عين الكمال من كمال، صان سوجه من إهمال، و اكتنفته بالمزيد من غير يمين و شمال، كما سوغ الفقير مثلى إلى فقرها زكاه جمال
 ، لا زكاه جمال. و لعمري، و ما عمري على بهين، و لا الحلف فى مقطع الحق بمتعين، لقد أحقب منها إلى ثلاث كتائب، قادهما النصر
 جنائب، ألفتها العصي، و نوناتها القسي، و غاياتها المرام القصي، و رقومها الحلق، و جياها قد فشا فيها البلق، بحيث لا استظهار
 للشيوخ إلا بشعب سدر، و لا افتراس إلا لمرقه قدر، و دريد هذا الفن يحمل فى خدر: [الكامل]

سلت على سيوفها أجفانه فلقيتهن من المشيب بمغفر

فلولا تقدّم العهد بالسلم، لخيف من كلمها وقوع الكلم. أما إحداهنّ ذات القتام، والدّليج بالإعتماد، المستمدّ سوادها الأعظم من مسك الختام، فعَلَّت

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٣٢

فريضة نظامها بالزيادة، و علت يدها بمشور السيّادة، و رسم شنشنتها المعروفة لأخزم، و جادها من الطبع السّماك و المرزم، و ضفر أشجاعها المضفّرة لزوم ما لا يلزم: [الكامل]

خدم اليراع بها فدبّجها و سألت مجتهدا عن الغرض

فعلت أنّ الصّلح مقصده لتزول بعض عداوة الرّيض

و أما أختها التّالية، و لدّتها الحافلة الحالية، فتؤوم مكسال، ريقها برود سلسال، و من دونها موارد و نسال، و ذئب عسال، و إن علّت بنقص في التّظم، و قد أخذت من البدائع بالكظم، و امتكته المعاني امتكاك العظم. و أمّا الثالثة فكاعب، حسنها بالعقول متلاعب، بنت لبون، لا لهمة حرب زبون، حيّاها الله و بيّاها، فما أعطر ريّاها: [البسيط]

تشمّ أرواح نجد من ثيابهم عند القدوم لقرب العهد بالدّار

و لو قصّرت لتغمّد تقصيرها، و كثر بالحقّ نصيرها، فكيف و قد أجادت، و صابت غمامتها و جادت. و قد شكرت على الجملة و التّفصيل، و عرفت منّة الباذل و جهد الفصيل، و طالعت مسائل البيان و التّحصيل، و قابلت مفضّض الضّحى بمذهب الأصيل. و أثرت يدي و كانت إلى تلك الفقر فقيرة، و نهبت في عيني الدّنيا و كانت حقيرة، و رجحت أن لا تعدم هذه الأسواق مديرا، و لا تفقد هذه الآفاق روضة و غديرا. و سألت لجملتكم المحوطة للشّمل، الملحوظة بعين السّتر و الحمل، عزّا أثيرا، و خيرا كثيرا، و أمنا تحمدون منه فراشا و ثيرا. و عذرا أيها الأحباب، و الصّيفو اللّباب، عن كدح سنّ و كبره، و فلّ استرجاع و عبره، استرقته و لّج الشّغب ذو النظام، و الخلق فراش يكبون منّي على حطام، و رسل الفرنج قد غشى المنازل مثالها، و نبحتها بالعشى أمثالها، و المراجعات تشكون اللّبث، و الجبّاء تستشعر

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٣٣

المكيده و الخبث: [الطويل]

و لو كان همّا واحدا لبكيتته و لكّنه همّ و ثان و ثالث

و الله، عزّ و جلّ، يمتّع بأنسكم من عدم الاستمتاع بسواه، و قصر عليه متشعب هواه، و يبقى بركة المولى الذي هو قطب مدار هذه الأقمار، و الأهلّة، لا- بل مركز فلك الملة، و سجلّ حقوقها المستقلّة، و السلام عليكم، ما حتّت التّيب إلى الفصال، و تعلّلت أنفس المحبّين بذكر أزمنة الوصال، و كرت البكر على الآصال، و رحمته الله و بركاته.

و كتبت إلى بعض الفضلاء، و قد بلغني مرضه أيام كان اللّحاق بالمغرب:

وردت عليّ من فتى التي إليها في معرك الدهر أتخيز، و بفضل فضلها في الأقدار المشتركة أتميز، سحاءة سرّت و ساءت، و بلغت من القصد ما شاءت، أطلع بها صنيعه وده من شكواه على كل عابث في السّويداء، موجب اقتحام البيداء، مضمّر نار الشّفقة في فؤاد لم يبق من صبره إلّا القليل، و لا من إفصاح لسانه إلّا الأنيب و الأليل، و نوى مدّت لغير ضرورة يرضاها الخليل، فلا تسل عن ضنين تطرّقت اليد إلى رأس ماله، أو عابد موزع متقبّل أعماله، و أمل ضويق في فذلكه آماله. لكنني رجّحت دليل المفهوم على دليل المنطوق، و عارضت القواعد الموحّشة بالفروق، و رأيت الخطّ يبهر و الحمد لله و يروق، و اللفظ الحسن و مض في حبره للمعنى الأصيل بروق، فقلت: ارتفع الوصب، و ردّ من الصّيحة المغتصب، و كلّه الحسّ و الحركة هو العصب. و إذا أشرق سراج الإدراك حمل على سلامة سليطه، و الزّوح خليط البدن و المرء بخليطه، و على ذلك فليد احتياطي لا- يقنعه إلا- الشّرح، فيه يسكن الظّمأ البرح. و عذرا عن التّكليف فهو محلّ الاستقصاء و الاستفسار، و الإطناب و الإكثار. و زند القلق في مثلها أورى، و الشّفيق بسوء الظن مغرى.

و السلام.

وخاطبت بعضهم: كتبت إلى سيدي، و الخجل قد صبغ وجه يراعي، و عقم ميلاد إنشائي و اختراعي، لمكارمه التي أعيت منه ذراعي، و عجر في خوض بحرهما سفيني و شراعي، فلو كان فضله فنا محصورا، لكنك على الشكر معانا منصورا، أو على غرض مقصورا، لزارت أسدا هصورا، و لم يكن فكري عن عقائل البيان الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٣٤

حصورا، لكنه نجد تألق بكل ثنيته، و مكارم رمت عن كل حثيته، و مجد سبق إلى كل أميته، و أياذ ببلوغ غايات الكمال معيته. فحسبي الإلقاء باليد لغلبة تلك الأيادي، و إسلام قيادي، إلى ذلك المجد السيادي، و إعفاء يراعي و مدادي. فإذا كانت الغاية لا تدرك، فالأولى أن يلقي الكد و يترك، و لا يعرج على الادعاء، و يصرف القول من باب الخبر إلى باب الدعاء. و قد وصل كتاب سيدي مختصر الحجم، جامعا بين النجم و النجم، قريب عهد من يمينه بمجاورة المطر السجم، فقلت: اللهم كلف سيدي و أجره، و مدّ يده بالضر فاخره. و لله درّ المثل، أشبه امرؤ بعض برّه كمال و اختصار، و ريحان أنوف و إئتمد أبصار. أعلق بالزعي الذي لا يقرب بعد الدار من شيمته، و لا يقدر اختلاف العروض و الأقطار في ديمته. إنما نفسه الكريمة و الله يقيها، و إلى معارج السعادة يرقبها، قانون يلحق أدنى الفضائل بأقصاها، و كتاب لا يغادر صغيرة و لا كبيرة إلّا أحصاها. و إنى و إن عجزت عما خصّني من عمومها، و أحسنني من جموعها، لمخلد ذكر يبقى و تذهب اللها، و يعلى مباني المجد تجاوز ذوابها السها، و يذيع بمخايل الملك فما دونها، ممدوح يهوى المسك أن يكونها، و يقطف له الروض الموجود غصونها، و تكحل به الحور العين عيونها، و تؤدي منه الأيام المتهزبة ديونها. و إن تشوف سيدي، بعد حمده و شكره، و استفاد الوسع في إطالة حمده، و إطابة ذكره، إلى الحال، ففلان حفظه الله يشرح منها المجمل، و يبين من عواملها الملغى و المعمل. و إما اعتناء سيدي بالولد المكفّن بحرمة، فليس بدع في بعد صيته، و علوّ همته، على من تمسك بأذمته، و فضله أكبر من أن يقيّد بقصّة، و بدر كماله أجلّ من أن يعدل بوسط أو حصّة. و الله تعالى يحفظ منه في الولاء وليّ القبله، و وليّ المكارم بالكسب و الجبلة، و يجعل جيش ثنائيه لا يؤتى من القلّة، بفضله و كرمه، و السلام الكريم عليه، و رحمة الله و بركاتة. و كتب في كذا.

و من تشوف إلى الإكثار من هذا الفن، فعليه بكتابتنا المسمى ب «ريحانة الكتاب، و نجعة المنتاب» .

رسالة السياسة

قال ابن الخطيب: و لنختم هذا الغرض ببعض ما صدر عنى في السياسة و كان إملاؤها في ليلة واحدة :

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٣٥

حدّث من امتاز باعتبار الأخبار، و حاز درجة الأشتهار، بنقل حوادث الليل و النهار، و ولج بين الكمام و الأزهار، و تلطف لخجل الورد من تبسم البهار، قال:

سهر الرشيد ليلة، و قد مال في هجر النيذ ميلا، و جهد ندماؤه في جلب راحتة، و إمام النوم بساحته، فشحت عهادهم، و لم يغن اجتهادهم. فقال: اذهبوا إلى طرق سمّاها و رسمها، و أمهات قسمها، فمن عثرتم عليه من طارق ليل، أو غشاء سيل، أو ساحب ذيل، فبلّغوه، و الأمنة سوغوه، و استدعوه، و لا تدعوه. فطاروا عجالى، و تفرّقوا ركبانا و رجالا، فلم يكن إلّا ارتداد طرف، أو فواق حرف، و أتوا بالغميمة التي اكتسحوها، و البضاعة التي ربحوها، يتوسّطهم الأشعث الأغر، و اللّجّ الذي لا يعبر، شيخ طويل القامة، ظاهر الاستقامة، سبلته مشمطة، و على أنفه من القبح مطّة، و عليه ثوب مرقوع، لطير الخرق عليه وقوع، يهينم بذكر مسموع، و ينبى عن وقت مجموع. فلما مثل سلّم، و ما نبس بعدها و لا تكلم.

فأشار إليه الملك فقعد، بعد أن انشمر و ابتعد، و جلس، فما استرقّ النظر و لا اختلس، إنما حركة فكره، معقودة بزمام ذكره، و

لحظات اعتباره، في تفاصيل أخباره. فابتداه الرشيد سائلا، وانحرف إليه مائلا، وقال: ممن الرجل؟ فقال:

فارسي الأصل، أعجمي الجنس عربي الفصل، قال: بلدك، وأهلك وولدك؟ قال:

أما الولد فولد الديوان، وأما البلد فمدينه الإيوان. قال: النحلة، وما أعملت إليه الرحلة؟ قال: أما الرحلة فلا اعتبار، وأما النحلة فالأمور الكبار، قال: فنك، الذي اشتمل عليه دنك؟ فقال: الحكمة فني الذي جعلته أثيرا، وأضجعت منه فراشا وثيرا، و سبحان الذي يقول: وَ مَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا. وما سوى ذلك فتبيع، ولي فيه مصطاف و تريبع. قال: فتعاقد جدل الرشيد و توفر، و كأنما غشى وجهه قطعة من الصبح إذا أسفر، وقال: ما رأيت كالليله أجمع لأمل شارد، و أنعم بمؤانسه وارد. يا هذا، إني سائلك، و لن تخيب بعد و سائلك، فأخبرني

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٣٦

بما عندك في هذا الأمر الذي بلينا بحمل أعبائه، و منينا بمراوضة إباطه، فقال:

هذا الأمر قلادة ثقيلة، و من خطه العجز مستقيلة، و مفتقرة لسعة الذرع، و ربط السياسة المدنية بالشرع، يفسدها الحلم في غير محله، و يكون ذريعة إلى حله، و يصلحها مقابلة الشكل بشكله: [المتقارب]

و من لم يكن سبعا آكلاتداعت سباع إلى أكله

فقال الملك: أجملت ففصل، و برت ففصل، و كلت فأوصل، و انثر الحب لمن يحوصل، و اقسام السياسة فنونا، و اجعل لكل لقب قانونا، و ابدأ بالزعية، و شروطها المرعية. فقال: رعيتك و دائع الله قبلك، و مرآة العدل الذي عليه جبلك، و لا تصل إلى ضبطهم إلا بإعانتة التي وهب لك. و أفضل ما استدعيت به عونك فيهم، و كفايته التي تكفيهم، تقويم نفسك عند قصد تقويمهم، و رضاك بالسهر لتقويمهم، و حراسه كهلم و رضيعهم، و الترفع عن تضييعهم، و أخذ كل طبقه بما عليها و ما لها، أخذنا يحوط مالها، و يحفظ عليها كمالها، و يقصير عن غير الواجب آمالها، حتى تستشعر عليتها رأفتك و حنانك، و تعرف أوساطها في التنبه امتنانك، و تحذر سفلتها سنانك، و حطر على كل طبقه منها أن تتعدى طورها، أو تخالف دورها، أو تجاوز بأمر طاعتك فورها. و سد فيها سبل الذريعة، و أقصر جميعها على خدمة الملك بموجب الشريعة، و امنع أغنياءها من البطر و البطالة، و النظر في شبهات الدين بالتمشدد و الإطالة، و ليقل فيما شجر بين السلف كلامها، و ترفض ما ينبز به أعلامها، فإن ذلك يسقط الحقوق، و يرتب العقوق. و امنعهم من فحش الحرص و الشره، و تعاهدهم بالمواعظ التي تجلو البصائر من المره، و احملهم من الاجتهاد في العماره على أحسن المذاهب، و انهم عن التحاسد على المواهب، و رضهم على الإنفاق بقدر الحال، و التعزى عن الفائت فردّه من المحال. و حذر البخل على

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٣٧

أهل اليسار، و السخاء على أولى الإعسار. و خذهم من الشريعة بالواضح الظاهر، و امنعهم من تأويلها منع القاهر. و لا تطلق لهم التجمع على من أنكروا أمره في نواديهم، و كف عنهم أكف تعدّيتهم، و لا تبج لهم تغيير ما كرهوه بأيديهم. و لتكن غايتهم، فيما توجهت إليه إبايتهم، و نكصت عن الموافقة عليه رايتهم، إنهاؤه إلى من وكلته بمصالحهم من ثقافتك، المحافظين على أوقاتك. و قدّم منهم من أمنت عليهم مكره، و حمدت على الإنصاف شكره، و من كثر حياؤه مع التائب، و قابل الهفوة باستقالة المنيب، و من لا يتخطى عندك محله، الذي حله، فربما عمد إلى المبرم فحله. و حسن الثية لهم بجهد الاستطاعة، و اغتفر المكاره في جنب حسن الطاعة. و إن ثار جرادهم، و اختلف في طاعتك مرادهم، فتحصن لثورتهم، و اثبت لفورتهم، فإذا سألوا و سلّوا، و تفرقوا و انسلّوا، فاحتقر كثرتهم، و لا تقل عثرتهم، و اجعلهم لما بين أيديهم و ما خلفهم نكالا، و لا تترك لهم على حلمك اتكالا.

ثم قال: و الوزير الصالح أفضل عددك، و أوصل مددك، فهو الذي يصونك عن الابتذال، و مباشرة الأندال، و يثب لك على الفرصة، و ينوب في تجرع الغصة، و استجلاء القصة، و يستحضر ما نسيته من أمورك، و يغلب فيه الرأي بموافقة أمورك، و لا يسعه ما تمكّنك المسامحة فيه، حتى يستوفيه. و احذر مصادمة تياره، و التجوز في اختياره، و قدّم استخارة الله في إثارة، و أرسل عيون

الملاحظة في آثاره، و ليكن معروف الإخلاص لدولتك، معقود الرضا و الغضب برضاك و صولتك، زاهدا عمّا في يديك، مؤثرا كلّ ما يزلف لديك، بعيد الهمة، راعيا للأذمية، كامل الآلة، محيطا بالإيالة، رحب الصدر، رفيع القدر، معروف البيت، نبيه الحي و الميت، مؤثرا للعدل و الإصلاح، دريا بحمل السّلاح، ذا خبرة بدخل المملكة و خرجها، و ظهرها و سرجها، صحيح العقد، متحرزا من التّقد، جادا عند لهوك، متيقظا في حال سهوك، يلين عند غضبك، و يصل الإسهاب بمقتضبك، قلقا من شكره دونك الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٣٨

و حمده، ناسبا لك الأصلة بعمده. و إن أعيا عليك وجود أكثر هذه الخلال، و سبق إلى نقيضها شيء من الاختلال، فاطلب منه سكون النفس و هدونها، و أن لا يرى منك رتبة إلّا رأى قدره دونها، و تقوى الله تفضل شرف الانتساب، و هي للفضائل فذلّة الحساب. و ساو في حفظ غيبه بين قربه و نأيه، و اجعل حظّه من نعمتك موازيا لحظّك من حسن رأيه، و اجتنب منهم من يرى في نفسه إلى الملك سيلا أو يقود من عيصه للاستظهار عليك قبلا، أو من كثر مالك ماله، أو من تقدم لعدوك استعماله، أو من سمت لسواك آماله، أو من يعظم عليه إعراض وجهك، و يهّمه نادرة نهجك، أو من يداخل غير أحبابك، أو من ينافس أحدا ببابك.

و أمّا الجند فاصرف التّقويم منهم للمقاتلة، و المكايده المخاتلة، و استوف عليهم شرائط الخدمة، و خذهم بالثبات للصدمة، و وفّ ما أوجبت لهم من الجراية و النّعمة، و تعاهدهم عند الغناء بالعلف و الطّعمة، و لا تكثر منهم إلّا من أكرمه غناؤه، و طاب في الذّب عن ملّتك ثناؤه، و ولّ عليهم التّبهاء من خيارهم، و اجتهد في صرفهم عن الاقتنان بأهلهم و ديارهم، و لا توطّئهم الدّعة مهادا، و قدّمهم على حفظك و بعوثك متى أردت جهادا، و لا تلتن لهم في الإغماض عن حسن طاعتك قيادا، و عودهم حسن المواساة بأنفسهم اعتيادا، و لا تسمح لأحد منهم في إغفال شيء من سلاح استظهاره، أو عدّة اشتهاره، و ليكن ما فضل عن شعبهم و ريّهم، مصروفا إلى سلاحهم و زيّهم، و التّزيّد في مراكبهم و غلمانهم، من غير اعتبار لأثمانهم. و امنعهم من المستغلّات و المتاجر، و ما يتكسّب منه غير المشاجر، و ليكن من الغزو اكتسابهم، و على المغانم حسابهم، كالجوارح التي تفسد باعتيادها، أن تطعم من غير اصطيادها. و اعلم أنها لا تبذل نفوسها من عالم الإنسان، إلّا لمن يملك قلوبها بالإحسان و فضل اللسان، و يملك حركاتها بالتّقويم، و رتبها بالميزان القويم، و من تثق بإشفاقها على أولادها،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٣٩

و تشتري رضا الله بصبرها على طاعته و جلادها. فإذا استشعرت لها هذه الخلال تقدمتك إلى مواقف التّلف، مطيعة دواعي الكلف، واثقة منك بحسن الخلف. و استبق إلى تمييزهم استباقا، و طبّقهم طباقا، أعلاها من تأملت منه في المحاربة عنك إحظارا، و أبعدهم في مرضاتك مطارا، و أضبّطهم لما تحت يدك من رجالك حزما و وقارا، و استهانة بالعظام و احتقارا، و أحسنهم لمن تقلده أمرك من الرعيّة جوارا، إذا أجدت اختيارا، و أشدّهم على مباطلة من مارسه من الخوارج عليك اصطبارا. و من بلا في الذّب عنك إحلاء و إمرارا، و لحقه الضّرّ في معارك الدفاع عنك مرارا. و بعده من كانت محبته لك أكثر من نجدته، و موقع رأيه أصدق من موقع صعده. و بعده من حسن انقياده لأمرائك، و إحماده لأرائك، و من جعل نفسه من الأمر حيث جعله، و كان صبره على ما عراه أكثر من اعتداده بما فعله. و احذر منهم من كان عند نفسه أكبر من موقعه في الانتفاع، و لم يستح من التّزيّد بأضعاف ما بذله من الدّفاع، و شكا البخس فيما تعدّر عليه من فوائدك، و قاس بين عوائد عدوك و عوائدك، و توعد بانتقاله عنك و ارتحاله، و أظهر الكراهية لحاله.

و أما العمّال فإنهم ينبئون عن مذهبك، و حالهم في الغالب شديدة الشّبه بك، فعرفهم في أمانتك السّعادة، و ألزمهم في رعيّتك العادة، و أنزلهم من كرامتك بحسب منازلهم في الاتّصاف، بالعدل و الإنصاف، و أحلّهم من الحفاية، بنسبة مراتبهم من الأمانة و الكفاية، وقفهم عند تقليد الأرجاء، مواقف الخوف و الرّجاء، و قرّر في نفوسهم أن أعظم ما به إليك تقربوا، و فيه تدرّبوا، و في سبيله

أعجموا و أعرىوا، إقامة حقّ و دحض باطل ، حتى لا- يشكو غريم مطل ماطل، و هو آثر لديك من كل رباب هاطل. و كفهم من الرزق الموافق، عن التصدّي لدنىء المرافق. و اصطع منهم من تيسّرت كلفته، و قويت للرعايا ألفته، و من زاد على تأميله صبره، و أربى على

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٤٠

خبره خبره، و كانت رغبته في حسن الذّكر، تشفّ على غيرها من بنات الفكر، و اجتنب منهم من غلب عليه التّخرق في الإنفاق، و عدم الإشفاق، و التنافس في الاكتساب، و سهل عليه سوء الحساب، و كانت ذريعته المصانعة بالثّفاية، دون التّقصّي و الكفاية، و من كان منشؤه خاملا، و لأعباء الدّناءة حاملا، و ابغ من يكون الاعتذار في أعماله، أوضح من الاعتذار في أقواله، و لا- يفتنّك من قلمدته اجتلاب الحظّ المطمع ، و التّنفق بالسّعي المسمع، و مخالفة السّين المرعية و إتباعه رضاك بسخط الرعية، فإنه قد غشّك، من حيث بلمك و رشّك، و جعل من يمينك في شمالك، حاضر مالك. و لا تضمّن عاملا مال عمله، و حل بينه فيه و بين أمله، فإنّك تميت رسومك بمحيّاه، و تخرجه من خدمتك فيه إلّا أن تملكه إياه. و لا تجمع له في الأعمال فيسقط استظهارك ببلد على بلد، و الاحتجاج على والد بولد، و احرص على أن يكون في الولاية غريبا، و متنقله منك قريبا، و رهينة لا يزال معها مريبا، و لا تقبل مصالحته على شيء اختانه، و لو برغيبه فتّانه، فتقبل المصانعة في أمانتك، و تكون مشاركا له في خيانتك، و لا تطل مدّة العمل، و تعاهد كشف الأمور ممّن يرضى الهمل، و يبلغ الأمل.

و أما الولد فأحسن آدابهم، و اجعل الخير دابهم ، و خف عليهم من إشفاقك و حنانك، أكثر من غلظة جنانك، و اكنم عنهم ميلك، و أفض عليهم جودك و نيلك، و لا تستغرق بالكلف بهم يومك و لا ليلك، و أثبهم على حسن الجواب، و سبق إليهم خوف الجزاء على رجاء الثواب، و علّمهم الصّبر على الضّرائر، و المهلة عند استخفاف الجرائر، و خذهم بحسن السّرائر، و حبّ إليهم مراس الأمور الصعبة المراس، و حصّن الاضطناع و الاغتراس، و الاستكثار من أولى المراتب و العلوم، و السياسات و الحلوم، و المقام المعلوم، و كره إليهم مجالسة الملحين، و مصاحبة السّاهين، و جاهد أهواءهم عن عقولهم، و احذر الكذب على مقولهم، و رشّهم

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٤١

إذا أنست منهم رشدا أو هديا، و أرضعهم من المؤازرة و المشاورة ثديا، لتمزّنهم على الاعتياد، و تحملهم على الازدياد، و رضهم رياضة الجياد، و احذر عليهم الشهوات فهي داؤهم، و أعداؤك في الحقيقة و أعداؤهم. و تدارك الخلق الدّميمة كلّما نجمت، و اقدعها إذا هجمت، قبل أن يظهر تضعيفها، و يقوى ضعيفها، فإن أعجزتك في صغرهم الحيل، عظم الميل: [البسيط]

إنّ الغصون إذا قومتها اعتدلت و لن تلين إذا قومتها الخشب

و إذا قدروا على التدبير، و تشوّفوا للمحلّ الكبير، فلا توطنهم في مكانك، جهد إمكانك، و فرّقهم في بلدانك، تفرّق عبدانك. و استعملهم في بعوث جهادك، و النياحة عنك في سبيل اجتهادك، فإنّ حضرتك تشغلهم بالتّحاسد، و التّبارى و التّفاسد. و انظر إليهم بأعين الثّقات، فإنّ عين الثّقة، تبصر ما لا تبصر عين المحبّة و المقّة.

و أمّا الخدم فإنهم بمنزلة الجوارح التي تفرّق بها و تجمع، و تبصر و تسمع، فرضهم بالصدق و الأمانة، و صنهم صون الجمائنة، و خذهم بحسن الانقياد إلى ما آثرته، و التقليل ممّا استكثرته. و احذر منهم من قويت شهواته، و ضاقت عن هواه لهواته، فإنّ الشهوات تنازعك في استرقاقه، و تشاركك في استحقاقه. و خيرهم من ستر ذلك عليك بلطف الحيلة، و آداب للفساد مخيلة. و أشرب قلوبهم أنّ الحقّ في كلّ ما حاولته و استنزلته، و أنّ الباطل في كلّ ما جانبته و اعتزلته، و أنّ من تصفّح منهم أمورك فقد أذنب، و باين الأدب و تجنّب. و أعط من أكدده، و أضقت منهم ملكه و شدّدته، روحة يشتغل فيها بما يغنيه، على حسب صعوبة ما يعانیه، تغبطهم فيها بمسارحهم، و تجمّ كليله جوارحهم. و لتكن عطاياك فيهم بالمقدار الذي لا- يبظر أعلامهم، و لا- يؤسف الأصاغر فيفسد أحلامهم، و لا ترم محسنهم بالغاية من إحسانك، و اترك لمزيدهم فضلة من رفدك و لسانك. و حدّر عليهم مخالفتك و لو في

صلاحك، بحدّ سلاحك. و امنعهم من التّوائب و التّشاجر، و لا تحمد لهم شيم التّقاطع و التّهاجر، و استخلص منهم لسرّك من قلّت في الإفشاء ذنوبه، و كان أصبرهم على ما ينوبه، و لودائعك من كانت رغبته في وظيفة لسانك، أكثر من رغبته في إحسانك، الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ٤؛ ص ٥٤١

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٤٢

و ضبطه لما تقلّده من وديعتك، أحبّ إليه من حسن صنيعتك. و للسّفارة عنك من حلا الصدق في فمه، و أثره و لو بإخطار دمه، و استوفى لك و عليك فهم ما تحمّله، و عنى بلفظه حتى لا- يهمله، و لمن تودعه أعداء دولتك من كان مقصور الأمل، قليل القول صادق العمل، و من كانت قسوته زائدة على رحمته، و عظمه في مرضاتك أثر من شحمته، و رأيه في الحذر سديد، و تحرّزه من الحيل شديد. و لخدمتك في ليلك و نهارك من لانت طباعه، و امتدّ في حسن السّجّية باعه، و آمن كيده و غدوره، و سلم من الحقد صدره، و رأى المطامع فما طمع، و استقلّ إعادة ما سمع، و كان بريئا من الملال، و البشر عليه أغلب الخلال. و لا تؤنسهم منك بقبیح فعل و لا قول، و لا تؤيسهم من طول . و مكنّ في نفوسهم أنّ أقوى شفعاثهم، و أقرب إلى الإجابة من دعائهم، إصابة الغرض فيما به و كلوا، و عليه شكّوا، فإنّك لا تعدم بهم انتفاعا، و لا يعدمون لديك ارتفاعا.

و أمّا الحرم فهنّ مغارس الولد، و رياحين الخلد، و راحة القلب الذي أجهده الأفكار، و النّفس التي تقسّيها الإحماذ إلى المساعي و الإنكار، فاطلب منهنّ من غلب عليهنّ من حسن الشّيم، المترقّعة عن القيم، ما لا يسوءك في خلدك، أن يكون في ولدك، و احذر أن تجعل لفكر بشر دون بصر إلهنّ سيلا، و انصبّ دون ذلك عذابا وبيلا، و أرعهنّ من النّساء العجز من فاقت في الدّيانة و الأمانة سبله، و قويت غيرته و نبهه، و خذهنّ بسلامة النّيات، و الشّيم السّيّيات، و حسن الاسترسال، و الخلق السّلسال. و حطّر عليهنّ التّغامز و التّغايير، و التّنافس و التّخاير، و آس بينهنّ في الأغراض، و التّصامم عن الإعراض، و المحاباة بالأعراض. و أقلل من مخالطتهنّ فهو أبقى لهمتك، و أسبل لحرمتك، و لتكن عشرتك لهنّ عند الكلال و الملال، و ضيق الاحتمال، بكثرة الأعمال، و عند الغضب و التّوم، و الفراغ من نصب اليوم. و اجعل مبيتك بينهنّ تتم بركاتك، و تستر حركاتك، و افضل من ولدت منهنّ إلى مسكن يختبر فيه استقلالها، و تعتبر بالتّفرد خلالها. و لا تطلق لحرمة شفاعه و لا تدبيرا، و لا تنظ بها من الأمر صغيرا و لا كبيرا، و احذر أن يظهر على خدمهنّ في خروجهنّ عن القصور، و بروزهن من

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٤٣

أجمه الأسد الهصور، زىّ مفارع، و لا طيب للأنوف مسارع، و اخصص بذلك من طعن في السنّ، و ينس من الإنس و الجنّ، و من توفّر النزوع إلى الخيرات قبله، و قصر عن جمال الصورة و وسم بالبله.

ثمّ لما بلغ إلى هذا الحدّ، حمى و طيس استجفاره، و ختم حزيه باستجفاره، ثم صمت مليا، و استعاد كلاما أوليا. ثم قال: و اعلم يا أمير المؤمنين، سدّد الله سهمك لأغراض خلافته، و عصمك من الزمان و آفته، أنك في مجلس الفصل، و مباشرة الفرع من ملكك و الأصل، في طائفه من عزّ الله تذبّ عنك حماتها، و تدافع عن حوزتك كماتها، فاحذر أن يعدل بك غضبك عن عدل تزرى منه ببضاعه، أو يهجم بك رضاك على إضاعه. و لتكن قدرتك وقفا على الاتصاف، بالعدل و الإنصاف، و احكم بالسّويّة، و اجنح بتدبيرك إلى حسن الرّويّة. و خف أن تقعد بك أناتك عن حزم تعين، أو تستفزّك العجلة في أمر لم يتبين. و أطع الحجّة ما توجّهت عليك، و لا تحفل بها إذا كانت إليك، فانقيادك إليها أحسن من ظفرك، و الحقّ أجدى من نفرك. و لا تردّد النّصيحة في وجهه، و لا تقابل عليها بنجه، فتمنعها إذا استدعيتها، و تحجب عنك إذا استوعبتها، و لا تستدعها من غير أهلها، فيشغبك أو لو الأغراض بجهلها. و احرص على أن لا ينقضى مجلس جلسته، أو زمن اختلاسته، إلّا و قد أحرزت فضيلة زائدة، أو وثقت منه في معادك بفائدة، و لا يزهّدنك في المال كثرته، فتقلّ في نفسك أثرته.

وقس الشّاهد بالغائب، و اذكر وقوع ما لا يحتسب من النّوائب، فالمال المصون، أمنع الحصون. و من قلّ ماله قصرت آماله، و تهاون

بيمينه شماله، و الملك إذا فقد خزينه، أنحى على أهل الجدة التي تزينه، و عاد على رعيتته بالإجحاف، و على جبايته بالإلحاف، و ساء معتاد عيشه، و صغر في عيون جيشه، و منوا عليه بنصره، و أنفوا من الاقتصار على قصره. و في المال قوة سماوية تصرف الناس لصاحبه، و تربط آمال أهل السِّلاح به. و المال نعمة الله تعالى فلا تجعله ذريعة إلى خلافه، فتجمع بالشهوات بين إتلافك و إتلافه. و استأنس بحسن جوارها، و اصرف في حقوق الله بعض أطوارها، فإن فضل المال عن الأجل فأجل، و لم يضر ما تلف منه بين يدي الله عزّ و جلّ. و ما ينفق في سبيل الشريعة، و سدّ الذريعة، مأمول خلفه،

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٤٤

و ما سواه فمستيقن تلفه. و استخلص لحضور نواديك الغاصّة، و مجالسك العامّة و الخاصّة، من يليق بولوج عتبتها، و العروج لرتبها. أما العاميّة فمن عظم عند الناس قدره، و انشرح بالعلم صدره، أو ظهر يساره، و كان لله إخبائه و انكساره، و من كان للفيتا منتصبا، و بتاج المشورة معتصبا. و أما الخاصيّة فمن رقت طباعه، و امتدّ فيما يليق بتلك المجالس باعه، و من تبخر في سير الحكماء، و أخلاق الكرماء، و من له فضل سافر، و طبع للدنيّة منافر، و لديه من كل ما تستتر به الملوك عن العوام حظّ وافر. وصف ألبابهم بمحصول خيرك، و سكن قلوبهم بيمين طيرك، و أغنهم ما قدرت عن غيرك.

و اعلم بأنّ مواقع العلماء من ملكك مواقع المشاعل المتألقّة، و المصايح المتعلقة، و على قدر تعاهدها تبذل من الضياء، و تجلو بنورها صور الأشياء، و فرّعها لتحرير ما يزين مدتك، و يحسن من بعد البلاء جدّتك. و بعناية الأواخر، ذكرت الأول، و إذا محيت المفاجر، خربت الدّول. و اعلم أنّ بقاء الذّكر مشروط بعمارة البلدان، و تخليد الآثار الباقية في القاصي منها و الدّان، فاحرص على ما يوضّح في الدهر سبلك، و يحوز المزيّة لك على من قبلك، و أنّ خير الملوك من ينطق بالحجّة و هو قادر على القهر، و يبذل الإنصاف في السّير و الجهر، مع التمكن من المال و الظّهر. و يسار الرعية جمال للملك و شرف، و فاقتهم من ذلك طرف، فعلب أئنيق الحالين بمحلّك، و أولاهما بظعنك و حلّك. و اعلم أنّ كرامة الجور دائرة، و كرامة العدل مكاثرة، و الغلبة بالخير سيادة، و بالشّر هوانة.

و اعلم أنّ حسن القيام بالشريعة يحسم عنك نكايه الخوارج، و يسمو بك إلى المعارج، فإنها تقصد أنواع الخدع، و توري بتغيير البدع. و أطلق على عدوك أيدي الأقوياء من الأكفاء، و ألسنة اللّيف من الضّعفاء، و استشعر عند نكته شعار الوفاء.

و لتكن ثقّتك بالله أكثر من ثقّتك بقوة تجدها، و كتيبة تنجدها، فإنّ الإخلاص يمنحك قوى لا تكتسب، و يهديك مع الأوقات نصرا لا يحتسب. و التمس سلم من

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٤٥

سالمك، بنفيس ما في يدك. و فضّل حاصل يومك على منتظر غدك، فإنّ أبى وضحت محجّتك، و قامت عليه للناس حجّتك، فللنفوس على الباغين ميل، و لها من جانبه نيل، و استمدّ كل يوم سيرة من يناويك، و اجتهد أن لا يباريك في خير و لا يساويك، و أكذب بالخير ما يشنّعه من مساويك، و لا تقبل من الإطراء إلّا ما كان فيك، فضل عن إطالته، و جدّ يزرى ببطالته. و لا تلق المذنب بحميّتك و سبّك، و اذكر عند حميّة الغضب ذنوبك إلى ربّك. و لا تنس أنّ ذنب المذنب أجلسك مجلس الفصل، و جعل من قبضتك رياش النّصل. و تشاغل في هدنة الأيام بالاستعداد، و اعلم أنّ التراخي منذر بالاشتداد. و لا تهمل عرض ديوانك، و اختبار أعوانك، و تحصين معاقلك و قلاعك، و عمّ إيالتك بحسن اضطلاعك. و لا تشغل زمن الهدنة بلداتك، فتجنّي في الشّدة على ذاتك. و لا تطلق في دولتك ألسنة الكهانة و الإرجاف، و مطاردة الآمال العجاف، فإنه يبعث سوء القول، و يفتح باب الغول. و حدّر على المدرّسين و المعلّمين، و العلماء و المتكلّمين، حمل الأحداث على الشّكوك الخالجه، و الزلّات الواجبه، فإنه يفسد طباعهم، و يغري سباعهم، و يمدّ في مخالفة الملة باعهم. و سدّ سبل الشّفاعات فإنها تفسد عليك حسن الاختيار، و نفوس الخيار. و ابذل في الأسرى من حسن ملكتك ما يرضى من ملكك رقابها، و قلّدك ثوابها و عقابها. و تلقّ بدء نهارك بذكر الله في ترفّعك و ابتدالك، و اختم اليوم بمثل ذلك. و اعلم أنك مع كثرة حجّابك، و كثافة حجّابك، بمنزلة الظّاهر للعيون، المطالب بالدّيون، لشّدة البحث عن

أمورك، و تعرف السيّر الخفي بين أمرك و مأمورك، فاعمل في سرّك ما لا- تستقيح أن يكون ظاهرا، و لا- تأنف أن تكون به مجاهرا، و أحكم بريك في الله و نحتك، و خف من فوقك يخفك من تحتك.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٤٦

و اعلم أنّ عدوك من أتباعك من تناسيت حسن قرضه، أو زادت مؤونته على نصيبه منك و فرضه. فأصمت الحجج ، و توقّ اللّجج ، و استرب بالأمل، و لا يحملنك انتظام الأمور على الاستهانة بالعمل. و لا تحقّرّ صغير الفساد، فأخذ في الاستسداد. و احبس الألسنة عن التّحالي باغتيابك، و التّشيبّ بأذيال ثيابك، فإنّ سوء الطّاعة ينتقل من الأعين الباصرة، إلى الألسن القاصرة، ثم إلى الأيدي المتناصرة. و لا تثق بنفسك في قتال عدوّ ناواك ، حتى تظفر بعدوّ غضبك و هواك. و ليكن خوفك من سوء تدبيرك، أكثر من عدوّك السّاعي في تتييرك . و إذا استنزلت ناجما ، أو أمنت نائرا هاجما، فلا تقلده البلد الذي فيه نجم، و همى عارضه فيه و انسجم، يعظّم عليك القدح في اختيارك، و الغضّ من إثارك، و احترز من كيده في حوزك و مأميك، فإنّك أكبر همّه و ليس بأكبر همّك. و جمل المملكة بتأمين الفلوات، و تسهيل الأقوات، و تجويد ما يتعامل به من الصّرف في البياعات، و إجراء العوائد مع الأيام و السّاعات، و لا تبخس عيار قيم البضاعات، و لتكن يدك عن أموال الناس محجورة، و في احترامها إلّا عن الثلاثة مأجورة: مال من عدا طوره و طور أهله، و تجاوز في الملابس و الزّينة، و فضول المدينة، يروم معارضتك بحمله، و من باطن أعداك، و أمن اعتدائك، و من أساء جوار رعيتك ياخساره، و بذل الأذية فيهم يمينه و يساره. و أضرّ ما منيت به التّعادى بين عبدانك، أو في بلد من بلدانك، فسدّ فيه الباب، و أسأل عن الأسباب، و انقلهم بوساطة أولى الأبواب، إلى حالة الأحباب. و لا تطوّق الأعلام أطواق المنون، بهواجس الظّنون، فهو أمر لا- يقف عند حدّ، و لا- ينتهى إلى عدّ. و اجعل ولدك في احتراسك، [و صدق مراسك]، حتى لا- يطمع في افتراسك.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٤٧

ثم لمّا رأى الليل قد كاد ينتصف، و عموده يريد أن ينقصف، و مجال الوصايا أكثر ممّا يصف، قال: يا أمير المؤمنين، بحر السّياسة زاخر، و عمر التّمع بناديك العزيز مستأخر، فإن أذنت في فنّ من فنون الأنس يجذب بالمقاد، إلى راحة الرّقاد، و يعتق النّفس بقدرة ذى الجلال، من ملكة الكلال . فقال: أما و الله قد استحسنا ما سردت، فشأنك و ما أردت. فاستدعى عودا فأصلحه حتى أحمده ، و أبعده في اختياره أمده. ثم حرّك فمه ، و أطال الحسن ثمّه، ثم تغنى بصوت يستدعى الإنصات، و يصدع الحصاة ، و يستفزّ الحليم عن وقاره، و يستوقف الطّير و رزق بنيه في منقاره، و قال: [الخفيف]

صاح، ما أعطر القبول بنمّه أ تراها أطالت اللبث ثمّه؟

هي دار الهوى منى النّفس فيها أبد الدّهر و الأمانى جمّه

إن يكن ما تأرّج الجوّ منها و استفاد الشّذا و إلّا فمّمّه

من بطرفى بنظرة و لأنفى فى رباها و فى ثراها بشمّه

ذكر العهد فانتفضت كأنّى طرفتنى من الملائك لّمّه

وطن قد نصيت فيه شبابا لم تدنّس منه البرود مذمّه

بنت عنه و النفس من أجل من قد خلّفته خلاله مغتمّه

كان حلما فويح من أمل الدّهر و أعماه جهله و أصمّه

تأمل العيش بعد أن أخلق الجسم و بنيانه عسير المرّمّه

و غدت و فرّة الشّيبية بالشّيب على رغم أنفها معتمّه

فلقد فاز مالك جعل اللّه إلى الله قصده و مأمّه

من بيت من غرور دنيا بهم يلدغ القلب أكثر الله همّه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٤٨

ثم أحال اللحن إلى لون التتويم، فأخذ كل في النعاس و التتويم، و أطال الجس في الثقل، عاكفا عكوف الضاحي في المقييل، فخاط عيون القوم، بخيوط النوم، و عمر بهم المراقد، كأنما أدار عليهم الفراق، ثم انصرف، فما علم به أحد و لا عرف. و لما أفاق الرشيد جد في طلبه، فلم يعلم بمنقلبه فأسف للفراق، و أمر بتخليد حكمه في بطون الأوراق. فهي إلى اليوم تروى و تنقل، و تجلى القلوب بها و تصقل، و الحمد لله رب العالمين.

هذا ما حضرني من المنشور و المنظوم، و حظّه عندى في الإفادة حظّ ضعيف، و غرضه، كما شاء الله تعالى، سخيّف، لكن الله سبحانه بعباده لطيف، [سبحانه لا إله إلا هو].

مولدى: فى الخامس و العشرين لرجب عام ثلاثة عشر و سبعمائة، و كم بالحىّ ممّن ذكرته ألحق بالميت، و بالقبر قد استبدل من البيت، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم.

قلت : هنا انتهى هذا التأليف المسمّى ب «الإحاطة في تاريخ غرناطة» بالاختصار، و تحصل منه ما أردناه من هذا المقدار، و وهبناه للنظر فيه هبة ليست بهبة اعتصار، بل هي لتحصيله ذات انتصار. و لما لم يمكنه أن يعرّف بمحتته و وفاته، رأيت أنا بعده أن أعرف بذلك فى مختصرى هذا على مهيعه، و عادته، فأقول:

محتته و وفاته: رأيت تعليقا بخط بعض العدول المعاصرين، الأذكياء المحاضرين، الأدباء المجيدين، الطرفاء المقيدين، و هو صاحبنا أبو عبد الله ... الوادى آشى، حفظه الله، طرفه زمان، و حفظة أوان، و هو ما نصّه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٤٩

من تاريخ ابن خلدون، قال :

و لما استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد، دار ملكه، فاتح ست و سبعين، استقلّ بسلطانه، و الوزير محمد بن عثمان مستبدّ عليه، و سليمان بن داود من أعراب بنى عسكر رديف له . و قد كان الشرط وقع بينه و بين السلطان ابن الأحمر، عندما بويح بطنجة، على نكبة ابن الخطيب و إسلامه إليه، لما نمى عنه أنه كان يغرى السلطان عبد العزيز بملك الأندلس. فلما زحف السلطان أبو العباس من طنجة، و لقي الوزير أبا بكر بن غازى بساحة البلد الجديد، فهزمه السلطان، و لاذ منه بالحصار، أوى معه ابن الخطيب إلى البلد الجديد خوفا على نفسه، فلما استولى السلطان على البلد أقام أياما، ثم أغراه سليمان بن داود بالقبض عليه، فقبضوا عليه، و أودعوه السجن، و طيروا بالخبر إلى السلطان ابن الأحمر. و كان سليمان بن داود شديد العداوة لابن الخطيب، لما كان سليمان قد بايعه السلطان ابن الأحمر على مشيخة الغزاة بالأندلس، متى أعاده الله إلى ملكه. فلما استقرّ له سلطانه، أجاز إليه سليمان سفيرا عن عمر بن عبد الله، و مقتضيا عهده من السلطان، فصده ابن الخطيب عن ذلك، بأن تلك الرياسة إنما

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٥٠

هي لأعياص الملك من آل عبد الحق؛ لأنهم يعسوب زناته، فرجع آيسا، و حقد ذلك لابن الخطيب. ثم جاور الأندلس بمحل إمارته من جبل الفتاح، فكانت تقع بينه و بين ابن الخطيب مكاتبات ينفس كل واحد منهما لصاحبه، بما يحفظه لما كمن فى صدورهما. و حين بلغ الخبر بالقبض على ابن الخطيب إلى السلطان [ابن الأحمر]، بعث كاتبه و وزيره بعد ابن الخطيب، و هو أبو عبد الله بن زمرك، فقدم على السلطان أبى العباس، و أحضر ابن الخطيب بالمشور فى مجلس الخاصة و أهل الشورى، و عرض عليه بعض كلمات وقعت له فى كتابه، فعظم عليه النكير فيها، فويح و نكل و امتحن بالعذاب بمشهد ذلك الملا. ثم تلّ إلى محبسه، و اشتوروا فى قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه، و أفتى بعض الفقهاء فيه. و دسّ سليمان بن داود لبعض الأوغاد من حاشيته بقتله، فطرقوا السجن ليلا، و معهم زعانفة جاءوا فى لفيف الخدم مع سفراء السلطان ابن الأحمر، و قتلوه خنقا فى محبسه، و أخرجوا شلوه من

الغد، فدفن في مقبرة باب المحروق. ثم أصبح من الغد على شأفة قبره طريحا، و قد جمعت له أعواد، و أضرمت عليه نارا، فاحترق شعره، و اسودّ بشره، فأعيد إلى حفرته. و كان في ذلك انتهاء محنته. و عجب الناس من هذه

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٥١

السفاهة التي جاء بها سليمان، و اعتدوها من هناته، و عظم النكير فيها عليه و على قومه و أهل دولته. و الله فعال لما يريد. و كان، عفا الله عنه، أيام امتحانه بالسجن، يتوقع مصيبه الموت، فيتجيش هواتفه بالشعر يبكي نفسه. و مما قال في ذلك: [المتقارب]

بعدنا و إن جاورتنا البيوت و جئنا بوعظ و نحن صموت

و أنفاسنا سكنت دفعة كجهر الصلاة تلاه القنوت

و كئنا عظاما فصرنا عظاما و كئنا نقوت فها نحن قوت

و كئنا شמוש سماء العلاغرين فناحت علينا البيوت

فكم جدلت ذا الحسام الطباو ذو البخت كم جدلته البخوت

و كم سيق للقبر في خرقة فتى ملئت من كساه التخوت

فقل للعدا: ذهب ابن الخطيب وفات و من ذا الذي لا يفوت

فمن كان يفرح منهم له فقل: يفرح اليوم من لا يموت

انتهى من السفر الأخير منه، حيث عرّف بنفسه و بشيوخه، رحمه الله على الجميع.

قلت: و هنا انتهى ما قصدناه، و تمّ بحول الله ما أردناه و استوفيناها و استلحمتنا، و ذلك بغرناطة أقالها الله و صانها، و عمر بالعلماء الأعلام، و صالحى الإسلام، عمرانها، و بتاريخ أوائل شهر ربيع الآخر من عام خمس و تسعين و ثمانمائة، و الحمد لله، و سلام على عباده الذين اصطفى.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٥٢

الحمد لله، من كتاب «نفاضة الجراب» لابن الخطيب المذكور، رحمه الله، الذى ألفه بالعدوة بعد صرفه عن الأندلس، و استقراره بالعدوة بأخرة من عمره، و قرب وفاته، و لذلك سمّاه «نفاضة الجراب»، قال في أثنائه ما نصّه:

و إلى هذا العهد صدر عنى من النظم و النثر بحال القلعة، و مكان الغمرة، رسائل إخوانية، و مقطوعات أدبية، ثبتها إحماضا و إراحة؛ لتعيد مطالع هذا جماما، أو تهدي إليه أنسا، و الحمد لله على البأساء و النعماء: [المتقارب]

جزتنى غرناطة بعد ماجلوت محاسنها بالجلا

و لم تبق جاها و لا حرمة و لم تبق مالا و لا منزلا

كأنى انفردت بقتل الحسين و جرّدت سيفى فى كربلا

و لم أجن ذنبا سوى أننى صدعت بأمداحها فى الملا

و أنى صنعت فيها الغريب فصرت الغريب أجوب الفلا

يمينا لقد أنكرت ما جرى نفوس الورى و أبته العلا

و ما خصنى زمنى بالعقوق فكم خصّ من فاضل مبتلى

أ إن ظهرت نعمة الإله على فألبست منها حلا

أ إن قرّبتنى الملوكة الكرام يقلّد آخرها الأولا

و إن مكنتنى من أمرها فشمّت السيوف و صنت الطّلا

و قابلت بالشكر منها الصنيع و حاشى لمثلنى أن يغفلا

فأقسم بالله لولا أنوفالجرّدت من مقولى منصلا
يقدّ الدرّوع و يخلى الدموع و يلقي على من عدا الله ركلا
فيترك في الناس أمثاله تجدّ على رغم أنف البلا
و لا خلق أجهل ممن يظنّ بمقدار مثلى أن يجهلا
و ما ركبت الدّجى إذ سمايقلد للنجم نصرا كلا
و كان لسانى سيفا صقيلا و كانت يراعى قنا ذبلا
و لكن ليأت بصبر جميل قضاء الذى لم يزل مجملا
و حاسبت نفسى فيما أمر فألفيته البعض فيما خلا
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٥٣ و أسكنت نارى لما دعاو أسكنت يأسى لما غلا
سلام عليها و إن أخفرت ذمامى و وجّزت بالقلا
و ألبستها الأمن سترا حصيفا و إن هتكت ستري المسبلا
و مثلى يبقى على عهده إذا أعرض الخلّ أو أقبلا
و قلت : [مخلع البسيط]
من حاكم بى على الفراق حكم زياد على العراق
بيدى و قد ختمت يداه بالجور فى أنفس رفاق
و عاجل التّظم بانتثار و صير السّمل لافتراق
فمن أكفّ على حدود و من دموع على تراق
و أىّ حال إلى دوام و ما سوى الله غير باق
يا سائق الرّكب، إنّ نفسى من لوعه البين فى سياق
رفقا على مهجتي فإنّى قد بلغت روحى التّراقى
و يا رسول التّسيم، بلغ بحيرة الحىّ ما ألقى
و سق إلى سمعهم حديثا من أرضهم طيب المساق
جرّعنى البين كأس حزن بعدهم مرّة المذاق
فلا أنيسا سوى اذكارى و لا جلسا إلى اشتياق
ففى غدوى بها اصطباحى و فى رواحى بها اغتباقى
يا شقّة القلب، ليت شعرى هل صحّ شملك فى اتّساق؟
أو يقلع الدهر من عتاب أو يطلق الشوق من وثاق؟
طال على الظلام لّماضنّ محياك بالتّلاقى
فيكذب الليل فى ارتحال و يمطل الفجر بانشقاق
ضايقنى الدهر فيك حتى فى موقف البين و الفراق
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٥٤ فلم يكن فيه من سلام و لا كلام و لا اعتناق
قد عجز النطق عن شجونى قد بلغ الماء للنّطاق
أقسمت حقّا بخير هادسرى إلى الله بالبراق

لو خيرت في الوجود نفسى ما اخترت منها سوى التلاقي
 إن بطش الدهر بى و أبدى سجيئ الغدر و التفاق
 فكم هلال رأيت بدراأفلت من ظلمة المحاق
 يا من على فضله اعتمادى يا من بأسبابه اعتلاقي
 إن لم تجد منك لى برحمى ما لى فى الخلق من خلاق
 تم بحمد الله
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٥٥

فهارس الإحاطة

إشارة

١- تراجم الأعلام ٢- الكنى و الألقاب ٣- الكتب و المؤلفات ٤- الأماكن و البقاع ٥- القوافى ٦- الأرجاز ٧- فهرس المحتويات
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٥٧

فهرس تراجم الأعلام

- باب الألف إبراهيم بن أبى بكر بن عبد الله بن موسى الأنصارى (أبو إسحاق التلمسانى): ١ / ١٦٨.
- إبراهيم بن أبى الحسن بن أبى سعيد عثمان بن أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق (أبو سالم): ١ / ١٥٥.
- إبراهيم بن خلف بن محمد بن الحبيب القرشى العامرى: ١ / ١٩١.
- إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم (أبو إسحاق ابن الحاج النميرى): ١ / ١٧٨.
- إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبى بكر التسولى (أبو سالم بن أبى يحيى): ١ / ١٩٦.
- إبراهيم بن فرج بن عبد البر الخولانى (أبو إسحاق بن حره): ١ / ١٦٦.
- إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصارى الساحلى (الطويجن): ١ / ١٧٠.
- إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيدس بن محمود النفزى (أبو إسحاق): ١ / ١٩٣.
- إبراهيم بن محمد بن على بن محمد بن أبى العاصى التنوخى: ١ / ١٩٧.
- إبراهيم بن محمد بن مفرج بن همشكك: ١ / ١٥١.
- إبراهيم بن محمد بن أبى القاسم بن أحمد بن محمد الأزدي (أبو إسحاق): ١ / ١٦٥.
- إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص عمر بن يحيى الهناتى (أبو إسحاق): ١ / ١٥٩.
- إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسى (أبو إسحاق ابن المرأة): ١ / ١٦٨.
- أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان (أبو جعفر): ١ / ٩٣.
- أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد الثقفى (أبو جعفر): ١ / ٧٢.
- أحمد بن أيوب اللمائى (أبو جعفر): ١ / ١٠١.
- أحمد بن أبى جعفر بن محمد بن عطية القضاعى (أبو جعفر): ١ / ١٢٧.
- أحمد بن حسن بن باصه الأسلمى (أبو جعفر): ١ / ٨١.

أحمد بن الحسن بن علي بن الزيات الكلاعي (أبو جعفر): ١ / ١٤٥.

أحمد بن خلف بن عبد الملك الغساني القليعي: ١ / ٤٥.

أحمد بن سليمان بن أحمد القرشي (أبو جعفر بن فركون): ١ / ٩٢.

أحمد بن أبي سهل بن سعيد بن أبي سهل الخزرجي (أبو جعفر): ١ / ٥٩.

أحمد بن عباس بن أبي زكريا (أبو جعفر):

١ / ١٢٥.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٥٨

أحمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد اللخمي (أبو العباس بن عرفة): ١ / ١٣٨.

أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن عميرة المخزومي (أبو مطرف): ١ / ٦٢.

أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الأنصاري الخزرجي (أبو العباس): ١ / ٦٨.

أحمد بن عبد الحق بن محمد بن يحيى بن عبد الحق الجدلي (أبو جعفر): ١ / ٦٦.

أحمد بن عبد الملك بن سعيد: ١ / ٨٨.

أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد (أبو جعفر): ١ / ٧٧.

أحمد بن عبد الولي بن أحمد الرعيني (أبو جعفر العواد): ١ / ٧٥.

أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري (أبو جعفر ابن الباذش): ١ / ٧٦.

أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري (أبو جعفر):

١ / ١٠٨.

أحمد بن علي الملياني (أبو عبد الله و أبو العباس): ١ / ١٤٣.

أحمد بن عمر بن يوسف بن إدريس بن عبد الله بن ورد التميمي (أبو القاسم):

١ / ٦٠.

أحمد بن أبي القاسم بن عبد الرحمن (أبو العباس ابن القتاب): ١ / ٧١.

أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن علي العامري (أبو جعفر): ١ / ٥٦.

أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الكلبي (ابن جزى): ١ / ٥٢.

أحمد بن محمد بن أحمد بن قعنب الأزدي (أبو جعفر): ١ / ٥٨.

أحمد بن محمد بن أحمد بن هشام القرشي (ابن فركون): ١ / ٤٩.

أحمد بن محمد بن أحمد بن يزيد الهمداني اللخمي: ١ / ٤٧.

أحمد بن محمد بن أضحى بن عبد اللطيف الهمداني الإلبيري: ١ / ٤٧.

أحمد بن محمد بن أبي الخليل (أبو العباس): ١ / ٨٣.

أحمد بن محمد بن سعيد بن زيد الغافقي:

١ / ٥٩.

أحمد بن محمد بن شعيب الكرياني (أبو العباس): ١ / ١٣٤.

أحمد بن محمد بن طلحة (أبو جعفر): ١ / ١٠٤.

أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن علي الأموي (أبو جعفر بن برطال):

٦٠ / ١

- أحمد بن محمد بن علي بن محمد (أبو جعفر بن مصادف): ٨٠ / ١.
- أحمد بن محمد بن عيسى الأموي (أبو جعفر الزيات): ١٤٤ / ١.
- أحمد بن محمد الكرني: ٨٣ / ١.
- أحمد بن محمد بن يوسف الأنصاري (أبو جعفر الحبالى): ٨٢ / ١.
- أسباط بن جعفر بن سليمان بن أيوب بن سعد بن بكر بن عفان الإلبيري: ٢٢٨ / ١.
- أسد بن الفرات بن بشر بن أسد المرّي: ٢٣١ / ١.
- أسلم بن عبد العزيز بن هشام بن خالد (أبو الجعد): ٢٢٩ / ١.
- إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد الأنصاري الخزرجي (أمير المؤمنين بالأندلس): ٢٠٠ / ١.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٥٩
- إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي (المأمون): ٢٢٢ / ١.
- إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر (أبو الوليد): ٢١٤ / ١.
- أصغ بن محمد بن الشيخ المهدي (أبو القاسم): ٢٣٥ / ١.
- باب الباء باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي (أبو مناد الحاجب المظفر بالله الناصر لدين الله): ٢٤٠ / ١.
- بدر مولى عبد الرحمن بن معاوية الداخل (أبو النصر): ٢٤٦ / ١.
- بكرون بن أبي بكر بن الأشقر الحضرمي (أبو يحيى): ٢٤٦ / ١.
- بلكين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي (سيف الدولة): ٢٣٨ / ١.
- باب التاء تاشفين بن علي بن يوسف: ٢٤٧ / ١.
- باب التاء ثابت بن محمد الجرجاني الأستراباذي (أبو الفتوح): ٢٥٣ / ١.
- باب الجيم جعفر بن أحمد بن علي الخزاعي (أبو أحمد): ٢٥٥ / ١.
- جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيد بونة الخزاعي (أبو أحمد): ٢٥٧ / ١.
- باب الحاء حاتم بن سعيد بن خلف بن سعيد: ٢٧٢ / ١.
- حباسة بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي: ٢٧٣ / ١.
- حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي (أبو مسعود): ٢٦٧ / ١.
- حبيب بن محمد بن حبيب النجشي: ٢٧٤ / ١.
- حسن بن محمد بن باصة (أبو علي الصلعل): ٢٦١ / ١.
- حسن بن محمد بن حسن القيسي (أبو علي القلنار): ٢٦١ / ١.
- الحسن بن محمد بن الحسن النباهي الجذامي (أبو علي): ٢٦٠ / ١.
- الحسن بن محمد بن علي الأنصاري (أبو علي ابن كسرى): ٢٦٢ / ١.
- الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص القرشي الفهري (أبو علي ابن الناظر): ٢٥٩ / ١.
- الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق التغلبي (أبو علي): ٢٦٤ / ١.
- حفصة بنت الحاج الركوني: ٢٧٧ / ١.
- حكم بن أحمد بن رجا الأنصاري (أبو العاصي): ٢٧١ / ١.

الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله (المستنصر بالله): ٢٦٨ / ١.

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية (أبو العاصي): ٢٦٩ / ١.

حمدة بنت زياد المكتوب: ٢٧٥ / ١.

باب الخاء خالد بن عيسى بن إبراهيم بن أبي خالد البلوى: ٢٨٦ / ١.

الخضر بن أحمد بن الخضر بن أبي العافية (أبو القاسم): ٢٨١ / ١.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٦٠

باب الدال داود بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن حوط الله الأنصاري الحارثي الأندلي (أبو سليمان): ٢٨٧ / ١.

باب الراء رضوان النصرى الحاجب المعظم: ٢٨٩ / ١.

باب الزاي زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي (أبو مثنى): ٢٩٣ / ١.

زهير العامري (فتى المنصور بن أبي عامر):

٢٩٦ / ١.

باب السين سالم بن صالح بن علي بن صالح بن محمد الهمداني (أبو عمرو بن سالم): ٢٧٦ / ٤.

سعيد بن سليمان بن جودي السعدي: ٢٢٩ / ٤.

سعيد بن محمد بن إبراهيم بن عاصم بن سعيد الغساني (أبو عثمان): ٢٧٣ / ٤.

سلمون بن علي بن عبد الله بن سلمون الكتاني (أبو القاسم): ٢٧٢ / ٤.

سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن (أبو أيوب المستعين بالله):

٢٢٧ / ٤.

سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان (أبو أيوب): ٢٢٩ / ٤.

سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميري الكلاعي (أبو الربيع بن سالم):

٢٥٤ / ٤.

سهل بن طلحة (أبو الحسن): ٢٧٥ / ٤.

سهل بن محمد بن سهل بن مالك بن أحمد بن إبراهيم بن مالك الأزدي (أبو الحسن): ٢٣١ / ٤.

سوار بن حمدون بن عبدة بن زهير: ٢٢٥ / ٤.

باب الصاد صالح بن يزيد بن صالح بن موسى النفزي (أبو الطيب): ٢٧٥ / ٣.

صفوان بن إدريس بن إبراهيم بن عبد الرحمن (أبو بجر): ٢٦٦ / ٣.

الصميل بن حاتم بن عمر بن جذع الضبابي الكلبى: ٢٦٤ / ٣.

باب الطاء طلحة بن عبد العزيز بن سعيد البطليوسي (أبو محمد بن القبطرنة): ٢٩٨ / ١.

باب العين عاشر بن محمد بن عاشر بن خلف بن رجا بن حكم الأنصاري: ١٨٦ / ٤.

عاصم بن زيد بن يحيى بن حنظلة التميمي العبادي الجاهلي (أبو المخشي): ١٩٥ / ٤.

عامر بن عثمان بن إدريس بن عبد الحق (أبو ثابت): ٤٩ / ٤.

عامر بن محمد بن علي الهنتاني (أبو ثابت):

١٨٣ / ٤.

عبد الأعلى بن معلا الإلبيري (أبو المعلى):

١٨ / ٤.

عبد الأعلى بن موسى بن نصير: ٣ / ٤٠٥.

عبد الله بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن بن الحسين الثقفي العاصمي (أبو محمد):

٣ / ٣١٩.

عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأزدي (أبو محمد بن المربع): ٣ / ٣٢٠.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٦١

عبد الله بن إبراهيم بن علي بن محمد التجيبي (أبو محمد بن أشقيولة): ٣ / ٢٨٧.

عبد الله بن إبراهيم بن وزمر الحجاري الصنهاجي (أبو محمد): ٣ / ٣٢٨.

عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عيسى بن أحمد بن إسماعيل بن سماك العاملي (أبو محمد): ٣ / ٣١٣.

عبد الله بن أحمد بن محمد بن سعيد الغافقي (أبو محمد): ٣ / ٣١٤.

عبد الله بن أيوب الأنصاري (أبو محمد بن خدوج): ٣ / ٣٠٩.

عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي: ٣ / ٢٨٩.

عبد الله بن الجبير بن عثمان بن عيسى بن الجبير اليحصبي (أبو محمد): ٣ / ٢٩٣.

عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الأنصاري (أبو محمد القرطبي):

٣ / ٣٠٩.

عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد بن علي السلماني (أبو محمد):

٣ / ٢٩٤.

عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن الأنصاري الحارثي الأزدي (أبو محمد بن حوط الله): ٣ / ٣١٧.

عبد الله بن سهل الغرناطي (أبو محمد وجه نافخ): ٣ / ٣٠٨.

عبد الله بن عبد البر بن سليمان بن محمد الرعيني (أبو محمد ابن أبي المجد): ٣ / ٣٤٩.

عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد (اليرطبول): ٣ / ٣٤٧.

عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن سلمون الكناني (أبو محمد): ٣ / ٣٠٦.

عبد الله بن علي بن محمد التجيبي الرئيس (أبو محمد بن أشقيولة): ٣ / ٢٩١.

عبد الله بن علي بن هذيل الفزاري (أبو مروان): ٣ / ٤١١.

عبد الله بن فارس بن زيان (أبو محمد): ٣ / ٣٥١.

عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي (أبو محمد بن العسال): ٣ / ٣٥٢.

عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن مجاهد العبدري الكواب (أبو محمد): ٣ / ٣٠٥.

عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن جزي (أبو محمد): ٣ / ٢٩٨.

عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الملك بن أبي جمره الأزدي (أبو محمد): ٣ / ٣١٦.

عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد العزفي (أبو طالب): ٣ / ٢٩٢.

عبد الله بن محمد بن سارة البكري: ٣ / ٣٣٣.

عبد الله بن محمد الشراط (أبو محمد): ٣ / ٣٣٥.

- عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني (أبو محمد بن الخطيب): ٣ / ٣٣١.
- عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد المرّي (أبو خالد): ٣ / ٣١٥.
- عبد الله بن موسى بن عبد الرحمن بن حماد الصنهاجي (أبو يحيى): ٣ / ٣٢٠.
- عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد الأشعري (أبو القاسم بن ربيع): ٣ / ٣١٨.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٦٢
- عبد الله بن يحيى بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري (أبو محمد): ٣ / ٣١٥.
- عبد الله بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان النجاري (أبو القاسم): ٣ / ٣٣٧.
- عبد البر بن فرسان بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الغساني (أبو محمد): ٣ / ٤٤٥.
- عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن فتح بن سبعين العكي (أبو محمد): ٤ / ٢٠.
- عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق بن محيو (أبو إدريس): ٣ / ٤١٠.
- عبد الحق بن علي بن عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق: ٣ / ٤٠٨.
- عبد الحق بن غالب بن عطية بن عبد الرحمن المحاربي (أبو محمد): ٣ / ٤١٢.
- عبد الحق بن محمد بن عطية بن يحيى المحاربي: ٣ / ٤٢٥.
- عبد الحكيم بن الحسين بن عبد الملك بن يحيى التتمالي اليدرأزني: ٣ / ٤١٩.
- عبد الحلیم بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو (أبو محمد): ٣ / ٤٠٦.
- عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الأنصاري (أبو بكر ابن الفضال): ٣ / ٣٦٨.
- عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن سعيد بن محمد اللخمي (أبو القاسم ابن الحكيم): ٣ / ٣٥٩.
- عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد بن محمد الأزدي (أبو جعفر ابن القصير): ٣ / ٣٦٧.
- عبد الرحمن بن أسباط: ٣ / ٣٩٩.
- عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي (أبو زيد، و أبو القاسم، أبو الحسين): ٣ / ٣٦٣.
- عبد الرحمن بن عبد الملك الينشتي (أبو بكر): ٣ / ٤٠٣.
- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن (أبو مطرف المرتضى): ٣ / ٣٥٥.
- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مالك المعافري (أبو محمد): ٣ / ٤٠٠.
- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد (الناصر لدين الله): ٣ / ٣٥٣.
- عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد (ولي الدين ابن خلدون): ٣ / ٣٧٧.
- عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك (أبو المطرف، و أبو زيد، و أبو سليمان، الداخل، صقر بني أمية): ٣ / ٣٥٦.
- عبد الرحمن بن هانيء اللخمي (أبو المطرف): ٣ / ٣٦٦.
- عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد بن تغليت الفاذازي (أبو زيد): ٣ / ٣٩٥.
- عبد الرحيم بن إبراهيم بن عبد الرحيم الخزرجي (أبو القاسم ابن الفرس، المهر): ٣ / ٣٦٠.
- عبد الرزاق بن يوسف بن عبد الرزاق الأشعري (أبو محمد): ٣ / ٤٣٩.

- عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز الأسدي العراقي: ١٥ / ٤.
- عبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد الملووزي (أبو فارس عزّوز): ١١ / ٤.
- عبد العزيز بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن (أبو سلطان بن يست): ٣ / ٤٤١.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٦٣
- عبد القادر بن عبد الله بن عبد الملك بن سوار المحاربي: ١٧ / ٤.
- عبد القهار بن مفرج بن عبد القهار بن هذيل الفزاري: ٣ / ٤١١.
- عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي (أبو مروان): ٣ / ٤٢٠.
- عبد الملك بن سعيد بن خلف العنسي: ٣ / ٤٤٠.
- عبد الملك بن علي بن هذيل الفزاري (أبو محمد): ٣ / ٤١١.
- عبد المنعم بن علي بن عبد المنعم بن إبراهيم بن سدرای بن طفيل (أبو العرب الحاج): ٤ / ١٩.
- عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني (أبو محمد و أبو الفضل): ٣ / ٤٤٨.
- عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن فرج الخزرجي (أبو محمد ابن الفرس): ٣ / ٤١٥.
- عبد المهيم بن محمد الأشجعي البلذودي:
- ٩ / ٤.
- عبد المهيم بن محمد بن عبد المهيم الحضرمي (أبو محمد): ٣ / ٤.
- عبد المؤمن بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو (أبو محمد): ٣ / ٤٠٨.
- عبد الواحد بن زكريا بن أحمد اللحياني (أبو ملك): ٣ / ٤٠٩.
- عبد الواحد بن محمد بن علي بن أبي السداد الأموي المالقي (الباهلي): ٣ / ٤٢٤.
- عتيق بن أحمد بن محمد بن يحيى الغساني (أبو بكر ابن الفراء، قرنيات): ٤ / ٦١.
- عتيق بن زكريا بن مول التجيبي (أبو بكر): ٤ / ٤٦.
- عتيق بن معاذ بن عتيق بن معاذ اللخمي (أبو بكر): ٤ / ١٦٦.
- عثمان بن إدريس بن عبد الله بن عبد الحق بن محيو (أبو سعيد): ٤ / ٥٩.
- عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد الأموي (أبو عمرو ابن الصيرفي): ٤ / ٨٥.
- عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن (أبو سعيد): ٤ / ٤٠.
- عثمان بن يحيى بن محمد بن منظور القيسي (أبو عمرو): ٤ / ٦٧.
- عقيل بن عطية بن أبي أحمد جعفر بن محمد بن عطية القضاءي (أبو المجد): ٤ / ١٩٤.
- علي بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن الضحاك الفزاري (أبو الحسن ابن النفري): ٤ / ١٤٩.
- علي بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم الجذامي (أبو الحسن): ٤ / ١٤٨.
- علي بن إبراهيم بن علي الأنصاري المالقي (أبو الحسن): ٤ / ٩٢.
- علي بن أحمد بن الحسن المذحجي (أبو الحسن): ٤ / ٦٨.

- علي بن أحمد بن خلف بن محمد بن الباذش الأنصاري (أبو الحسن): ٧٨ / ٤.
- علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (أبو محمد): ٨٧ / ٤.
- علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن أحمد الخشني (أبو الحسن):
١٥١ / ٤.
- علي بن أحمد بن محمد بن عثمان الأشعري (أبو الحسن ابن المحروق): ١٧٠ / ٤.
- علي بن أحمد بن محمد بن يوسف بن عمر الغساني (أبو الحسن): ١٣٨ / ٤.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٦٤
- علي بن أحمد بن محمد بن يوسف بن مروان بن عمر الغساني (أبو الحسن):
١٥٤ / ٤.
- علي بن بدر الدين بن موسى بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق (أبو الحسن): ٥١ / ٤.
- علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن علي بن سمحون الهلالي (أبو الحسن):
١٥٧ / ٤.
- علي بن أبي جلا المكناسي (أبو الحسن):
١٥٦ / ٤.
- علي بن حمود بن ميمون بن حمود (أبو الحسن الناصر لدين الله): ٤٣ / ٤.
- علي بن صالح بن أبي الليث الأسعد بن الفرّج بن يوسف (أبو الحسن ابن عزّ الناس): ١٥٥ / ٤.
- علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي النباهي المالقي (أبو الحسن): ٦٩ / ٤.
- علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن أحمد الأنصاري (أبو الحسن ابن قطرال): ١٦٠ / ٤.
- علي بن عبد الله النميري الششتري (أبو الحسن): ١٧٢ / ٤.
- علي بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصاري (أبو القاسم): ١٥٠ / ٤.
- علي بن عبد الرحمن بن موسى بن جودي القيسي (أبو الحسن): ١٣٥ / ٤.
- علي بن عبد العزيز ابن الإمام الأنصاري (أبو الحسن): ١٤٧ / ٤.
- علي بن علي بن عتيق بن أحمد الهاشمي القرشي: ١٦٧ / ٤.
- علي بن عمر بن إبراهيم بن عبد الله الكناني القيحاوي (أبو الحسن): ٨١ / ٤.
- علي بن عمر بن محمد بن مشرف بن محمد بن أضحى الهمداني (أبو الحسن): ٦٤ / ٤.
- علي بن لب بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي: ٥٦ / ٤.
- علي بن محمد بن توبة (أبو الحسن): ٦٣ / ٤.
- علي بن محمد بن دري (أبو الحسن): ٧٩ / ٤.
- علي بن محمد بن سليمان بن علي بن سليمان بن حسن الأنصاري (أبو الحسن ابن الجياب): ٩٩ / ٤.
- علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي (أبو الحسن الصغير): ١٥٨ / ٤.
- علي بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلي (أبو الحسن): ٩٦ / ٤.
- علي بن محمد بن علي بن البنا (أبو الحسن): ١٤٢ / ٤.
- علي بن محمد بن علي العبدري (أبو الحسن الورّاد): ١٤٥ / ٤.

- علي بن محمد بن علي بن محمد الغافقي (أبو الحسن): ١٥٩ / ٤.
- علي بن محمد بن علي بن هيثم الرعيني (أبو الحسن): ١٣٩ / ٤.
- علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتامي (أبو الحسن ابن الضائع): ٩٥ / ٤.
- علي بن مسعود بن علي بن أحمد المحاربي (أبو الحسن): ٥٤ / ٤.
- علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد العنسي المذحجي (أبو الحسن ابن سعيد): ١٢٩ / ٤.
- علي بن يحيى الفزاري (أبو الحسن ابن البربري): ١٦٤ / ٤.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٦٥
- علي بن يوسف بن تاشفين (أبو الحسن):
- ٤٤ / ٤. الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ٤؛ ص ٥٦٥
- ي بن يوسف بن محمد بن كماشة (أبو الحسن): ٥٧ / ٤.
- عمر بن حفصون بن عمر جعفر الإسلامى:
- ٢٥ / ٤.
- عمر بن خلاف بن سليمان بن سلمة (أبو علي): ١٣٦ / ٤.
- عمر بن عبد المجيد بن عمر الأزدي (أبو علي الرندي): ٨٤ / ٤.
- عمر بن علي بن عفرون الكلبي: ١٦٢ / ٤.
- عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة التجيبي (أبو محمد المتوكل على الله، ابن الأفضس).
- عمر بن يحيى بن محلي البطوي (أبو علي): ٤٧ / ٤.
- عياض بن محمد بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبي (أبو الفضل): ١٨٧ / ٤.
- عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي (أبو الفضل القاضي): ١٨٨ / ٤.
- عيسى بن محمد بن أبي عبد الله بن أبي زنين المزى (أبو الأصبخ): ١٩٩ / ٤.
- عيسى بن محمد بن عيسى بن عمر بن سعادة الأموى (أبو موسى): ١٩٩ / ٤.
- باب الغين غالب بن أبي بكر الحضرمي (أبو تمام ابن الأشقر): ٢٠٠ / ٤.
- غالب بن حسن بن غالب بن حسن (أبو تمام ابن سيد بوننة): ٢٠١ / ٤.
- غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف المحاربي (أبو بكر): ٢٠٠ / ٤.
- غالب بن علي بن محمد اللخمي الشقوري (أبو تمام): ٢٠٢ / ٤.
- باب الفاء الفتح بن علي بن أحمد بن عبيد الله (أبو نصر ابن خاقان): ٢٠٨ / ٤.
- فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر (أبو سعيد): ٢٠٣ / ٤.
- فرج بن قاسم بن أحمد بن لب التغلبي (أبو سعيد): ٢١٢ / ٤.
- فرج بن لب - فرج بن قاسم بن أحمد بن لب التغلبي (أبو سعيد).
- فضل بن محمد بن علي بن فضيلة المعافري (أبو الحسن): ٢١٥ / ٤.
- فرج بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر (أبو سعيد الأمير): ٢٠٦ / ٤.
- فرج بن محمد بن يوسف بن محمد بن نصر (أبو سعيد الأمير): ٢٠٧ / ٤.
- فلوج العليج: ٢١٦ / ٤.

- باب القاف قاسم بن أحمد بن محمد بن عمران الحضرمي: ٢٢٤ / ٤.
- قاسم بن خضر بن محمد العامري (أبو القاسم): ٢٢٤ / ٤.
- قاسم بن عبد الله بن محمد الشاط الأنصاري (أبو القاسم): ٢١٧ / ٤.
- قاسم بن عبد الكريم بن جابر الأنصاري (أبو محمد): ٢٢٠ / ٤.
- قاسم بن محمد بن الجدة العمري (أبو القاسم الورسيدي): ٢٢٢ / ٤.
- قاسم بن يحيى بن محمد الزروالي (أبو القاسم ابن درهم): ٢٢٠ / ٤.
- قرشي بن حارث بن أسد بن بشر الهمداني:
٢٢١ / ٤.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٦٦
- باب الميم مالك بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن (ابن المرحل): ٢٣١ / ٣.
- مؤمل (مولى باديس بن حبوس): ٢٥٢ / ٣.
- مؤمل بن رجاء بن عكرمة بن رجاء العقيلي:
٢٣٠ / ٣.
- مبارك (مولى المنصور بن أبي عامر): ٢٢٠ / ٣.
- محمد بن إبراهيم بن خيرة (أبو القاسم ابن المواعيني): ٢٢٣ / ٢.
- محمد بن إبراهيم بن سالم بن فضيلة المعافري (أبو عبد الله اليو): ٢٢٦ / ٢.
- محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أحمد الأنصاري (أبو عبد الله ابن السراج): ١٢٢ / ٣.
- محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي زمنين المزي (أبو عبد الله): ١٢٤ / ٣.
- محمد بن إبراهيم بن علي بن باق الأموي (أبو عبد الله): ٢٢٤ / ٢.
- محمد بن إبراهيم بن عيسى بن داود الحميري (أبو عبد الله): ٢٥٢ / ٢.
- محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البلفيقي (ابن الحاج): ١٨٧ / ٣.
- محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسي (أبو عبد الله ابن الرقام): ٤٩ / ٣.
- محمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد الأنصاري (أبو عبد الله الصنّاع): ١٧٤ / ٣.
- محمد بن إبراهيم بن المفرج الأوسي (ابن الدباغ الإشبيلي): ٤٨ / ٣.
- محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الزبير (أبو عمرو): ١١٩ / ٣.
- محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التلمساني الأنصاري (أبو الحسين): ١٥١ / ٣.
- محمد بن أحمد بن أحمد بن صفوان القيسي: ٢٦٢ / ٢.
- محمد بن أحمد بن أمين بن معاذ العراقي الخلاطي الأقرشي الفارسي (جلال الدين): ٢٠٢ / ٣.
- محمد بن أحمد الأنصاري (أبو عبد الله المواق): ١٧٥ / ٣.
- محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن جبير الكناني: ١٤٦ / ٢.
- محمد بن أحمد بن جعفر بن عبد الحق السلمي (أبو عبد الله ابن جعفر القونجي): ١٧٧ / ٣.
- محمد بن أحمد بن الحداد الوادي آشي (أبو عبد الله): ٢٢٠ / ٢.
- محمد بن أحمد بن حسين بن يحيى القيسي (أبو الطاهر ابن صفوان): ١٧٩ / ٣.

- محمد بن أحمد بن خلف بن عبد الملك بن غالب الغساني (أبو بكر القليعي): ٣ / ١٢١.
- محمد بن أحمد بن داود بن موسى بن مالك اللخمي اليكي (أبو عبد الله ابن الكماد): ٣ / ٤٣.
- محمد بن أحمد الرقوطي المرسي (أبو بكر): ٣ / ٤٨.
- محمد بن أحمد بن زيد بن أحمد الغافقي (أبو بكر): ٢ / ٧٧.
- محمد بن أحمد بن شاطر الجمحي المراكشي (أبو عبد الله): ٣ / ٢٠٣.
- محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الإستجى الحميري (أبو عبد الله): ٢ / ٢٠٧.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٦٧
- محمد بن أحمد بن عبد الله العطار: ٣ / ١٤١.
- محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري (أبو عبد الله الساحلي): ٣ / ١٨١.
- محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي (أبو عبد الله): ٢ / ١١٤.
- محمد بن أحمد بن علي بن حسن بن علي بن الزيات الكلاعي (أبو بكر): ٢ / ٨٠.
- محمد بن أحمد بن علي بن قاسم المذحجي (أبو عبد الله): ٣ / ٤٦.
- محمد بن أحمد بن علي الهواري (أبو عبد الله ابن جابر): ٢ / ٢١٦.
- محمد بن أحمد بن فتوح بن شقرال اللخمي (أبو عبد الله الطرسوني): ٣ / ٣١.
- محمد بن أحمد بن قاسم الأمي (أبو عبد الله القطان): ٣ / ١٨٢.
- محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي (أبو القاسم): ٢ / ١٥٩.
- محمد بن أحمد بن المتأهل العبدري (أبو عبد الله): ٣ / ١٦٤.
- محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد (أبو بكر ابن شبرين): ٢ / ١٥٢.
- محمد بن أحمد بن محمد الأشعري (أبو عبد الله ابن المحروق): ٢ / ٧٩.
- محمد بن أحمد بن محمد بن الأكحل (أبو يحيى): ٣ / ١٥٤.
- محمد بن أحمد بن محمد بن أبي خيثمة الجبائي (أبو الحسن): ٢ / ٢٠٧.
- محمد بن أحمد بن محمد الدوسي (أبو عبد الله ابن قطبة): ٣ / ١٢٢.
- محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصاري: ٣ / ١٤٠.
- محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الكلبي (أبو القاسم ابن جزى): ٣ / ١٠.
- محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغساني (أبو الحكم ابن حفيد الأمين): ٣ / ٤٧.
- محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن علي الغساني (أبو القاسم ابن حفيد الأمين): ٣ / ٤٥.
- محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي (شمس الدين أبو عبد الله): ٣ / ٧٥.
- محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد الحسن (أبو القاسم): ٢ / ١١٠.
- محمد بن أحمد بن المراكشي (أبو عبد الله): ٣ / ١٤٢.
- محمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد الهاشمي الطنجالي: ٣ / ١٨٦.

محمد بن إدريس بن علي بن إبراهيم بن القاسم (أبو عبد الله ابن مرج الكحل):

٢٢٨ / ٢.

محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر (أبو عبد الله الرئيس): ٣٠١ / ١.

محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف الخزرجي (أبو عبد الله): ٣٠٦ / ١.

محمد بن بكرون بن حزب الله (أبو عبد الله):

١٤٣ / ٣.

محمد بن جابر بن محمد بن قاسم القيسي (أبو عبد الله): ١٢٤ / ٣.

محمد بن جابر بن يحيى بن محمد بن ذى النون التغلبي (ابن الرمالية): ١٥ / ٣.

محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حميد بن مأمون الأنصاري (أبو عبد الله):

٤٩ / ٣.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٦٨

محمد بن الحسن بن أحمد بن يحيى الأنصاري الخزرجي الميورقي: ١٤٤ / ٣.

محمد بن الحسن بن زيد بن أيوب بن حامد الغافقي (أبو الوليد): ١٥٧ / ٣.

محمد بن حسن العمراني الشريف: ٣٧١ / ٢.

محمد بن حسن بن محمد بن عبد الله الأنصاري (أبو عبد الله ابن صاحب الصلاة و ابن الحاج): ٥٢ / ٣.

محمد بن حسنون الحميري (أبو عبد الله):

١٧٥ / ٣.

محمد بن حكيم بن محمد بن أحمد بن باق الجذامي (أبو جعفر): ٥١ / ٣.

محمد بن خلف بن موسى الأنصاري الأوسي (أبو عبد الله): ١٢٦ / ٣.

محمد بن خميس بن عمر بن محمد (أبو عبد الله): ٣٧٦ / ٢.

محمد بن رضوان بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أرقم النميري (أبو يحيى):

٨٢ / ٢.

محمد بن سعد الحرسني (أبو ورد ابن القصجة): ٣٦٢ / ٣.

محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مردنيش الجذامي (أبو عبد الله): ٧٠ / ٢.

محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد العنسي (أبو بكر): ١٦٣ / ٣.

محمد بن سعيد بن علي بن يوسف الأنصاري (أبو عبد الله الطراز): ٢٧ / ٣.

محمد بن سعد بن محمد بن لب (أبو عبد الله): ٢٥ / ٣.

محمد بن سليمان بن القصيرة (أبو بكر):

٣٦٧ / ٢.

محمد بن سودة بن إبراهيم بن سودة المري (أبو عبد الله): ١٣٩ / ٣.

محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل (المعتمد بن عباد): ٦١ / ٢.

محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد النميري (أبو عمرو ابن الحاج):

١٥٨ / ٣.

- محمد بن عبد الله ابن الحاج البضيعة: ٣٠٨ / ٢.
- محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي: ٢٩٥ / ٢.
- محمد بن عبد الله بن أبي زنين (أبو عبد الله): ١٣٢ / ٣.
- محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله السلماني (أبو عبد الله لسان الدين ابن الخطيب السلماني): ٣٧٤ / ٤.
- محمد بن عبد الله بن عبد العظيم بن أرقم النميري (أبو عامر): ٦٢ / ٣.
- محمد بن عبد الله بن فطيس (أبو عبد الله): ٣٠٩ / ٢.
- محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي (أبو عبد الله ابن بطوطة): ٢٠٦ / ٣.
- محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي عامر بن محمد بن أبي الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري (المنصور ابن أبي عامر): ٥٧ / ٢.
- محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن المرّي: ١٣٢ / ٣.
- محمد بن عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري (أبو القاسم): ١٧٢ / ٣.
- محمد بن عبد الله بن محمد بن لب الأمي (أبو عبد الله): ٢٩٩ / ٢.
- محمد بن عبد الله بن محمد بن مقاتل (أبو القاسم): ١٧٣ / ٣.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٦٩
- محمد بن عبد الله بن منظور القيسي (أبو بكر): ١٠١ / ٢.
- محمد بن عبد الله بن ميمون بن إدريس بن محمد بن عبد الله العبدري (أبو بكر): ٦٠ / ٣.
- محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن فرج بن الجد الفهري (أبو بكر): ٦٣ / ٣.
- محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى اللخمي (أبو عبد الله ذو الوزارتين): ٣١٠ / ٢.
- محمد بن عبد الرحمن بن الحسن بن قاسم اللخمي القائصي (أبو الحسن): ١٣٣ / ٣.
- محمد بن عبد الرحمن بن سعد التميمي التسلي الكرسوطي (أبو عبد الله): ٩٨ / ٣.
- محمد بن عبد الرحمن بن عبد السلام بن أحمد بن يوسف بن أحمد الغساني (أبو عبد الله): ١٣٤ / ٣.
- محمد بن عبد الرحمن العقيلي الجراوي (أبو بكر): ٣٣٢ / ٢.
- محمد بن عبد الرحمن الكاتب (أبو عبد الله): ١٥٩ / ٣.
- محمد بن عبد الرحمن المتأهل (عمامتي): ٣٣٣ / ٢.
- محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن الفخار الجذامي (أبو بكر): ٦٤ / ٣.
- محمد بن عبد العزيز بن سالم بن خلف القيسي (أبو عبد الله): ١٣١ / ٣.
- محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عياش التجيبي البرشاني (أبو عبد الله): ٣٣٧ / ٢.
- محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد: ١٦١ / ٣.
- محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي (أبو بكر): ٣٣٤ / ٢.
- محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري (أبو عبد الله): ١٠١ / ٣.

- محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم بن مفرج الغافقي (أبو القاسم الملاحى): ١٣٥ / ٣.
- محمد بن عبد الولي الرعيني (أبو عبد الله العواد): ٢١ / ٣.
- محمد بن علي بن أحمد الخولاني (أبو عبد الله ابن الفخار): ٢٢ / ٣.
- محمد بن علي بن الحسن بن راجح الحسنى (أبو عبد الله): ٤١٢ / ٢.
- محمد بن علي بن الخضر بن هارون الغساني (أبو عبد الله ابن عسكر): ١٠٣ / ٢.
- محمد بن علي بن العابد الأنصارى (أبو عبد الله): ١٨٥ / ٢.
- محمد بن علي بن عبد الله بن علي القيسى العرادي: ١٨٤ / ٢.
- محمد بن علي بن عبد الله اللخمي (أبو عبد الله الشقورى): ١٣٦ / ٣.
- محمد بن علي بن عبد الله بن محمد ابن الحاج (أبو عبد الله): ٨١ / ٢.
- محمد بن علي بن عبد ربه التجيبى (أبو عمرو): ١٧٣ / ٣.
- محمد بن علي بن عمر العبدري (أبو عبد الله): ٤١٨ / ٢.
- محمد بن علي بن عمر بن يحيى بن العربى الغستاني (أبو عبد الله): ٦٧ / ٣.
- محمد بن علي بن فرج القربليانى (أبو عبد الله الشفرة): ١٣٧ / ٣.
- محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد الهمدانى (أبو القاسم ابن البراق):
٣٤١ / ٢.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٧٠

- محمد بن علي بن محمد البلنسى (أبو عبد الله): ٢٥ / ٣.
- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن عبد الملك الأوسى (العقرب): ١٨٣ / ٢.
- محمد بن علي بن محمد العبدري (أبو عبد الله اليتيم): ٦٨ / ٣.
- محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصارى (أبو عبد الله):
٣٤٥ / ٢.
- محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن يوسف بن قطرال الأنصارى (أبو عبد الله): ١٥٣ / ٣.
- محمد بن علي بن هانىء اللخمي السبتي (أبو عبد الله): ١٠٨ / ٣.
- محمد بن علي بن يوسف بن محمد السكونى (أبو عبد الله ابن اللؤلؤة): ١٣٨ / ٣.
- محمد بن عمر بن علي بن إبراهيم المليكىشى (أبو عبد الله): ٤٠٥ / ٢.
- محمد بن عمر بن محمد بن عمر الفهرى (أبو عبد الله ابن رشيد): ١٠٢ / ٣.
- محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبى (أبو عبد الله): ١٤٤ / ٢.
- محمد بن عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى بن عياض اليحصبى (أبو عبد الله): ١٤٥ / ٢.
- محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان الزهرى (أبو بكر): ٣٤٧ / ٢.
- محمد بن غالب الرصافى (أبو عبد الله): ٣٥٦ / ٢.
- محمد بن فتح بن علي الأنصارى (أبو بكر الأشبرون): ٨٠ / ٢.
- محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصارى (أبو عبد الله): ١٤٨ / ٣.
- محمد بن قاسم بن أبى بكر القرشى المالقى: ٣٦٦ / ٢.

- محمد بن مالك المرزى الطغرى: ١٨٢ / ٢.
- محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد (أبو البركات ابن الحاج البلقي): ٨٣ / ٢.
- محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الخولاني (أبو عبد الله الشريشي): ١٢٧ / ٣.
- محمد بن محمد بن إبراهيم بن المرادى (ابن العشاب): ٣٧٣ / ٢.
- محمد بن محمد بن أحمد الأنصارى (السّواس): ١٧٦ / ٣.
- محمد بن محمد بن أحمد الأنصارى (أبو عبد الله ابن الجنان): ٢٣٣ / ٢.
- محمد بن محمد بن أحمد بن أبى بكر بن يحيى القرشى المقرئ (أبو عبد الله): ١١٦ / ٢.
- محمد بن محمد بن أحمد بن شلطبور الهاشمى (أبو عبد الله): ٢٤٣ / ٢.
- محمد بن محمد بن أحمد بن على الأنصارى (أبو عبد الله ابن قرال): ٥٣ / ٣.
- محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسى (أبو بكر): ١٦١ / ٢.
- محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الكلبي (أبو عبد الله ابن جزى): ١٦٣ / ٢.
- محمد بن محمد بن إدريس بن مالك القضاعى (أبو بكر القلوسى): ٥٣ / ٣.
- محمد بن محمد البدوى (أبو عبد الله): ٥٧ / ٣.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٧١
- محمد بن محمد البكرى (أبو عبد الله ابن الحاج): ١٧٥ / ٣.
- محمد بن محمد بن جعفر بن مشتمل الأسلمى (أبو عبد الله البليانى): ٢٤٦ / ٢.
- محمد بن محمد بن حزب الله (أبو عبد الله): ٢٤٩ / ٢.
- محمد بن محمد بن حسان الغافقى (أبو عبد الله): ١٥٧ / ٣.
- محمد بن محمد بن الشديد (أبو عبد الله): ٢٦٧ / ٢.
- محمد بن محمد بن شعبه الغسانى (أبو عبد الله): ١٧٠ / ٣.
- محمد بن محمد بن لب الكنانى (أبو عبد الله): ٥٦ / ٣.
- محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد اللوشى اليحصبى (أبو عبد الله): ١٧٤ / ٢.
- محمد بن محمد بن عبد الله بن مقاتل (أبو بكر): ٢٦١ / ٢.
- محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصارى الساحلى (أبو عبد الله المعمم): ١٤٥ / ٣.
- محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن الحكيم اللخمى (أبو بكر): ١٧٦ / ٢.
- محمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمى (أبو عبد الله بن الحلفاوى و ابن المؤذن التونسى): ٢٠٥ / ٣.
- محمد بن محمد بن عبد الملك بن سعيد الأنصارى الأوسى (أبو عبد الله): ٣٧٥ / ٢.
- محمد بن محمد بن عبد الواحد بن محمد البلوى (أبو عبد الله): ٢٦٢ / ٢.

محمد بن محمد بن العراقي (أبو عبد الله):

١٧١ / ٣

محمد بن محمد بن علي بن سودة المرى (أبو القاسم): ١٢٩ / ٣.

محمد بن محمد بن علي بن العابد الأنصاري: ١٨١ / ٢.

محمد بن محمد بن محارب الصريحي (أبو عبد الله ابن أبي الجيش): ٥٥ / ٣.

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي (أبو القاسم): ١٦٢ / ٢.

محمد بن محمد بن محمد بن بيش العبدري (أبو عبد الله): ١٦ / ٣.

محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم اللخمي (أبو القاسم ابن الحكيم): ١٧٢ / ٢.

محمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوي (أبو بكر): ١٦٦ / ٣.

محمد بن محمد بن محمد بن قطبة الدوسي (أبو بكر): ١٦٢ / ٢.

محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن نصر بن قيس الخزرجي (أبو عبد الله): ٣١٦ / ١.

محمد بن محمد المكودي (أبو عبد الله):

٨ / ٣

محمد بن محمد بن ميمون الخزرجي (أبو عبد الله لا أسلم): ١٤٧ / ٣.

محمد بن محمد النمري الضرير (أبو عبد الله): ١٩ / ٣.

محمد بن محمد بن يوسف بن عمر الهاشمي (أبو بكر الطنجالي): ١٤٦ / ٣.

محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الأنصاري الخزرجي: ٣٢٦ / ١.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٧٢

محمد بن مسعود بن خالصة بن فرج بن مجاهد بن أبي الخصال الغافقي (أبو عبد الله): ٢٦٩ / ٢.

محمد بن مفضل بن مهيب اللخمي (أبو بكر): ٢٨٨ / ٢.

محمد بن هاني بن محمد بن سعدون الأزدي الإلبيري الغرناطي الأندلسي (أبو القاسم): ١٨٦ / ٢.

محمد بن يحيى بن إبراهيم بن أحمد النفزي (أبو عمرو ابن عباد): ١٩٠ / ٣.

محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد العزفي (أبو القاسم): ٣ / ٣.

محمد بن يحيى العبدري (أبو عبد الله الصدفي): ١١٨ / ٣.

محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى الأشعري المالقي (أبو عبد الله ابن بكر):

١٠٦ / ٢

محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى الغساني البرجي الغرناطي (أبو القاسم):

١٩٠ / ٢

محمد بن يزيد بن رفاعة الأموي الإلبيري:

١٣٩ / ٣

محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج بن يوسف بن نصر الخزرجي (الغني بالله): ٣ / ٢.

محمد بن يوسف بن خالصون (أبو القاسم):

١٩٤ / ٣

- محمد بن يوسف بن عبد الله بن إبراهيم التميمي المازني (أبو الطاهر): ٣٧٠ / ٢.
- محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفري (أبو حيان): ٢٨ / ٣.
- محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري (أبو عبد الله الغالب بالله): ٥١ / ٢.
- محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد الصريحي (أبو عبد الله ابن زمرك): ١٩٦ / ٢.
- محمد بن يوسف بن هود الجذامي (أبو عبد الله المتوكل على الله): ٧٤ / ٢.
- مزدلي بن تيو لتكان بن حمى: ٢٠٧ / ٣.
- مسلم بن سعيد التملى: ٢٥١ / ٣.
- المطرف بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن: ٢١٠ / ٣.
- مظفر (مولى المنصور بن أبي عامر): ٢٢٠ / ٣.
- مقاتل بن عطية البرزالي (أبو حرب ذو الوزارتين، الزبي): ٢٢٩ / ٣.
- منديل بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو الأمير (أبو زيان): ٢٠٨ / ٣.
- منذر بن يحيى التجيبى (أبو الحكم الحاجى المنصور ذو الوزارتين): ٢١١ / ٣.
- منصور بن علي بن عبد الله الزواوى (أبو علي): ٢٤٨ / ٣.
- منصور بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو (أبو علي): ٢٢٨ / ٣.
- المهلب بن أحمد بن أبي صفرة الأسدى (أبو القاسم): ٢٣١ / ٣.
- موسى بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الهنتانى (أبو عمران): ٢٠٧ / ٣.
- موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان (أبو حمو): ٢١٦ / ٣.
- باب النون نزهون بنت القليعى: ٢٦٢ / ٣.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٧٣
- نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح الفهرى (أبو الفتح): ٢٦١ / ٣.
- نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح بن نصر بن إبراهيم بن نصر الفهرى (أبو الفتح): ٢٦١ / ٣.
- نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر (أبو الجيوش): ٢٥٤ / ٣.
- باب الهاء هاشم بن أبي رجاء الإلبيرى (أبو خالد): ٢٧٩ / ٣.
- هشام بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن (أبو بكر، المعتد بالله): ٢٧٧ / ٤.
- باب الياء يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطى: ٣٦٨ / ٤.
- يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبى (أبو زكريا): ٣٣٤ / ٤.
- يحيى بن بقى (أبو بكر): ٣٥٩ / ٤.
- يحيى بن رحو بن تاشفين بن معطى بن شريفين: ٣١٢ / ٤.
- يحيى بن طلحة بن محلى البطوى (الوزير أبو زكريا): ٣١٣ / ٤.
- يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد اللخمي (أبو زكريا، و أبو عمرو): ٢٩٧ / ٤.

- يحيى بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصاري: ٣٢٠ / ٤.
- يحيى بن عبد الله بن يحيى بن كثير المعمودي (أبو عيسى): ٣١٩ / ٤.
- يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر الفهري (أبو بكر): ٣٦٠ / ٤.
- يحيى بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن الحكيم اللخمي (أبو بكر): ٣١٤ / ٤.
- يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع الأشقري (أبو عامر): ٣٢٠ / ٤.
- يحيى بن عبد العزيز الشنتوفى: ٣٤٤ / ٤.
- يحيى بن علي بن غانية الصحراوي (أبو زكريا): ٣٠٠ / ٤.
- يحيى بن عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق (أبو زكريا): ٣١٥ / ٤.
- يحيى بن محمد بن أحمد بن عبد السلام التطيلي الهذلي (أبو بكر): ٣٥٧ / ٤.
- يحيى بن محمد بن عبد العزيز بن علي الأنصاري (أبو بكر العشاب البرشاني): ٣٦٧ / ٤.
- يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري (أبو بكر ابن الصيرفي): ٣٤٨ / ٤.
- يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن محمد بن قاسم بن علي الفهري (أبو الحجاج الساحلي): ٣٤٧ / ٤.
- يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل الأنصاري الخزرجي (أبو الحجاج): ٢٨٠ / ٤.
- يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن توقورت الصنهاجي اللمتوني (أبو يعقوب): ٣٠٢ / ٤.
- يوسف بن الحسن بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص القرشي الفهري (أبو المجد ابن الأحوص): ٣٢١ / ٤.
- يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان الأنصاري النجاري: ٣٦٧ / ٤.
- يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن بكر (أبو يوسف المنصور): ٣٠٩ / ٤.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٧٤
- يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبه بن نافع الفهري: ٢٩٦ / ٤.
- يوسف بن عبد المؤمن بن علي (أبو يعقوب): ٣٠٧ / ٤.
- يوسف بن علي الطرطوشي (أبو الحجاج): ٣٦٤ / ٤.
- يوسف بن محمد بن محمد اليحصبي اللوشي (أبو عمر): ٣٦٣ / ٤.
- يوسف بن محمد بن يوسف بن محمد بن نصر: ٣٠٧ / ٤.
- يوسف بن موسى بن سليمان بن فتح بن أحمد الجذامي المنتشاقري (أبو الحجاج): ٣٢٢ / ٤.
- يوسف بن هلال: ٣١٨ / ٤.
- يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو (أبو يعقوب): ٣٠٨ / ٤.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٧٥

فهرس الكنى و الألقاب

باب الألف ابن الأحوص - يوسف بن الحسن بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص القرشي الفهري (أبو المجد).
ابن أسباط - عبد الرحمن بن أسباط.

- الإستجى الحميرى- محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الإستجى الحميرى (أبو عبد الله).
 الأشبرون- محمد بن فتح بن على الأنصارى (أبو بكر).
 ابن الأشقر- غالب بن أبى بكر الحضرمى (أبو تمام).
 ابن أشقيولة- عبد الله بن إبراهيم بن على بن محمد التجيبى (أبو محمد).
 ابن أشقيولة- عبد الله بن على بن محمد التجيبى الرئيس (أبو محمد).
 ابن أضحى الإلبيرى- أحمد بن محمد بن أضحى بن عبد اللطيف الهمدانى الإلبيرى.
 ابن أضحى الهمدانى- على بن عمر بن محمد بن مشرف بن محمد بن أضحى الهمدانى (أبو الحسن).
 ابن الأفطس- عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة التجيبى (أبو محمد المتوكل على الله).
 ابن الأكل- محمد بن أحمد بن محمد بن الأكل (أبو يحيى).
 ابن الإمام الأنصارى- على بن عبد العزيز ابن الإمام الأنصارى (أبو الحسن).
 باب الباء ابن الباذش- أحمد بن على بن أحمد بن خلف الأنصارى (أبو جعفر).
 ابن الباذش- على بن أحمد بن خلف بن محمد بن الباذش الأنصارى (أبو الحسن).
 ابن باصة- أحمد بن حسن بن باصة الأسلمى (أبو جعفر).
 ابن باصة- حسن بن محمد بن باصة (أبو على الصلعل).
 ابن باق- محمد بن إبراهيم بن على بن باق الأموى (أبو عبد الله).
 ابن باق- محمد بن حكم بن محمد بن أحمد بن باق الجذامى (أبو جعفر).
 الباهلى- عبد الواحد بن محمد بن على بن أبى السداد الأموى الملقى (الباهلى).
 البدوى- محمد بن محمد البدوى (أبو عبد الله).
 ابن البراق- محمد بن على بن محمد بن إبراهيم بن محمد الهمدانى (أبو القاسم).
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٧٦
 ابن البربرى- على بن يحيى الفزارى (أبو الحسن).
 البرجى- محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى الغسانى البرجى الغرناطى (أبو القاسم).
 ابن برطال- أحمد بن محمد بن على بن أحمد بن على الأموى (أبو جعفر).
 البرغواطى- يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطى.
 البضيعة- محمد بن عبد الله ابن الحاج.
 ابن بطوطة- محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتى (أبو عبد الله).
 البطوى- يحيى بن طلحة بن محلى البطوى (الوزير أبو زكريا).
 ابن بقى- محمد بن سعد بن محمد بن لب (أبو عبد الله).
 ابن بكر- محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى (أبو عبد الله).
 أبو بكر بن إبراهيم المسوفى الصحراوى (أبو يحيى): ٢١٨ / ١.
 أبو بكر بن عبد العزيز بن سعيد البطلبوسى (ابن القبطرنة): ٢٩٨ / ١.
 أبو بكر المخزومى الأعمى المورورى المدورى: ٢٣١ / ١.
 البلذوذى- عبد المهيم بن محمد الأشجعى البلذوذى.

- البلوى - محمد بن محمد بن عبد الواحد بن محمد البلوى (أبو عبد الله).
- البليناني - محمد بن محمد بن جعفر بن مشتمل الأسلمي (أبو عبد الله).
- ابن البنا - علي بن محمد بن علي بن البنا (أبو الحسن).
- ابن بيش - محمد بن محمد بن محمد بن بيش العبدري (أبو عبد الله).
- البيو - محمد بن إبراهيم بن سالم بن فضيلة المعافري (أبو عبد الله البيو).
- باب التاء التسولي - إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر التسولي (أبو سالم ابن أبي يحيى).
- التطيلي - يحيى بن محمد بن أحمد بن عبد السلام التطيلي الهذلي (أبو بكر).
- التلمساني - إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري (أبو إسحاق التلمساني).
- التلمساني - محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التلمساني الأنصاري (أبو الحسين).
- ابن توبة - علي بن محمد بن توبة (أبو الحسن).
- التونسي - محمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمي (أبو عبد الله).
- باب الجيم ابن جابر - قاسم بن عبد الكريم بن جابر الأنصاري (أبو محمد).
- ابن جابر - محمد بن أحمد بن علي الهواري (أبو عبد الله).
- ابن جابر - محمد بن جابر بن محمد بن قاسم القيسي (أبو عبد الله).
- ابن جبير - محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن جبير الكناني.
- ابن الجبير - عبد الله بن الجبير بن عثمان بن عيسى بن الجبير اليحصبي (أبو محمد).
- ابن الجد - محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن فرج بن الجد الفهري (أبو بكر).
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٧٧
- الجراوي - محمد بن عبد الرحمن العقيلي الجراوي (أبو بكر).
- ابن جزى - أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الكلبي.
- ابن جزى - عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن جزى (أبو محمد).
- ابن جزى - محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الكلبي (أبو عبد الله):
- ١٦٣ / ٢.
- ابن جزى الكلبي - محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الكلبي (أبو القاسم).
- ابن جعفر القونجي - محمد بن أحمد بن جعفر بن عبد الحق السلمي (أبو عبد الله).
- ابن أبي جلا - علي بن أبي جلا المكناسي.
- ابن أبي جمره الأزدي - عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الملك بن أبي جمره الأزدي (أبو محمد).
- ابن الجنان - محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري (أبو عبد الله).
- ابن جودي - سعيد بن سليمان بن جودي السعدي.
- ابن جودي - علي بن عبد الرحمن بن موسى بن جودي القيسي (أبو الحسن).
- ابن الجياب - علي بن محمد بن سليمان بن علي بن حسن الأنصاري (أبو الحسن).
- ابن أبي الجيش - محمد بن محمد بن محارب الصريحي (أبو عبد الله).
- أبو الجيوش - نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر.

- باب الحاء ابن الحاج- محمد بن حسن بن محمد بن عبد الله الأنصاري (أبو عبد الله ابن صاحب الصلاة و ابن الحاج).
- ابن الحاج- محمد بن علي بن عبد الله بن محمد ابن الحاج (أبو عبد الله).
- ابن الحاج البكري- محمد بن محمد البكري (أبو عبد الله).
- ابن الحاج البلقي- محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البلقي.
- ابن الحاج البلقي- محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد (أبو البركات).
- ابن الحاج النميري- إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم (أبو إسحاق ابن الحاج النميري).
- ابن الحاج النميري- محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد النميري (أبو عمرو).
- الحاج المنصور- منذر بن يحيى التجيبي (أبو الحكم).
- الحاج المظفر بالله- باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي (أبو مناد).
- الجبالي- أحمد بن محمد بن يوسف الأنصاري (أبو جعفر).
- ابن حبيب السلمي- عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي (أبو مروان).
- الحجاري- عبد الله بن إبراهيم بن و زمر الحجاري الصنهاجي (أبو محمد).
- ابن الحداد- محمد بن أحمد بن الحداد الوادي آشي (أبو عبد الله).
- ابن حرّة- إبراهيم بن فرج بن عبد البر الخولاني (أبو إسحاق).
- ابن حزب الله- محمد بن بكرون بن حزب الله (أبو عبد الله).
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٧٨
- ابن حزب الله- محمد بن محمد بن حزب الله (أبو عبد الله).
- ابن حزم- علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (أبو محمد).
- ابن حسان- محمد بن محمد بن حسان الغافقي (أبو عبد الله).
- أبو الحسن بن عبد العزيز بن سعيد الطليوسي (ابن القبطرنة): ٢٩٨ / ١.
- أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي:
- ٢٣٧ / ١.
- ابن الحسن المذحجي- علي بن أحمد بن الحسن المذحجي (أبو الحسن).
- ابن حسنون- محمد بن حسنون الحميري (أبو عبد الله).
- ابن حفصون- عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر الإسلامي.
- ابن حفيد الأمين- محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغساني (أبو الحكم).
- ابن حفيد الأمين- محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغساني (أبو القاسم).
- الحكم الربضي- الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية (أبو العاصي).
- ابن الحكيم- عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن سعيد بن محمد اللخمي (أبو القاسم).
- ابن الحكيم اللخمي- محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى اللخمي (أبو عبد الله ذو الوزارتين).
- ابن الحكيم اللخمي- محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن الحكيم اللخمي (أبو بكر).
- ابن الحكيم اللخمي- محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم اللخمي (أبو القاسم).
- ابن الحكيم اللخمي- يحيى بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن الحكيم اللخمي (أبو بكر).

- ابن الحلقاوى - محمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمي (أبو عبد الله).
- أبو حمّو - موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان.
- ابن حوط الله - داود بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن حوط الله الأنصارى الحارثى الأندى (أبو سليمان).
- ابن حوط الله - عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن الأنصارى الحارثى الأزدي (أبو محمد).
- باب الخاء ابن خاتمة - أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصارى (أبو جعفر).
- ابن خاتمة - محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصارى (أبو عبد الله).
- ابن خاقان - الفتح بن علي بن أحمد بن عبيد الله (أبو نصر).
- ابن خدوج - عبد الله بن أيوب الأنصارى (أبو محمد).
- الخشني - علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن أحمد الخشني (أبو الحسن).
- ابن أبي الخصال - محمد بن مسعود بن خالصه بن فرج بن مجاهد بن أبي الخصال الغافقى (أبو عبد الله).
- ابن خضر - قاسم بن خضر بن محمد العامرى (أبو القاسم).
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٧٩
- ابن خطاب - محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقى.
- ابن الخطيب السلماني - عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني (أبو محمد).
- ابن الخطيب السلماني - محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله السلماني (أبو عبد الله لسان الدين ابن الخطيب السلماني).
- ابن خلاف - عمر بن خلاف بن سليمان بن سلمة (أبو علي).
- ابن خلدون - عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد (ولى الدين).
- ابن خلصون - محمد بن يوسف بن خلصون (أبو القاسم).
- ابن خميس - محمد بن خميس بن عمر بن محمد (أبو عبد الله): ٣٧٦ / ٢.
- ابن خميس الأنصارى - محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصارى.
- ابن أبي خيثمة الجبائى - محمد بن أحمد بن محمد بن أبي خيثمة الجبائى (أبو الحسن).
- باب الدال الداخلة - عبد الله بن معاوية بن هشام بن عبد الملك (أبو المطرف، و أبو زيد، و أبو سليمان، صقر بنى أمية).
- ابن الدباغ الإشبلى - محمد بن إبراهيم بن المفرج الأوسى.
- ابن درهم - قاسم بن يحيى بن محمد الزروالى (أبو القاسم).
- ابن درى - علي بن محمد بن درى (أبو الحسن).
- ابن دهاق - إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسى (أبو إسحاق ابن المرأة).
- باب الذال ذو الوزارتين - ابن أبي الخصال.
- ذو الوزارتين - محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى اللخمي (أبو عبد الله).
- ذو الوزارتين - مقاتل بن عطية البرزالي (أبو حرب).
- ذو الوزارتين - منذر بن يحيى التجيبى (أبو الحكم).
- ابن ذى النون - محمد بن جابر بن يحيى بن محمد بن ذى النون التغلبى (ابن الرمالية).
- باب الراء ابن راجح - محمد بن علي بن الحسن بن راجح الحسنى (أبو عبد الله).
- ابن ربيع - عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد الأشعري (أبو القاسم).

- ابن رشيد- محمد بن عمر بن محمد بن عمر (أبو عبد الله).
- ابن رشيق- الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق التغلبي (أبو علي).
- الرصافي البلسي- محمد بن غالب الرصافي.
- ابن رضوان- عبد الله بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان النجاري (أبو القاسم).
- ابن الرقام- محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسي (أبو عبد الله).
- الرقوطي- محمد بن أحمد الرقوطي المرسي (أبو بكر).
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٨٠
- ابن الرمالية- محمد بن جابر بن يحيى بن محمد بن ذى النون التغلبي.
- الرندي- عمر بن عبد المجيد بن عمر الأزدي (أبو علي).
- ابن الرومية- أحمد بن محمد بن أبي الخليل (أبو العباس).
- الزّيّه- مقاتل بن عطية البرزالي (أبو حرب ذو الوزارتين).
- باب الزاي ابن الزبير- محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الزبير (أبو عمرو).
- ابن زكريا- علي بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصاري (أبو القاسم).
- ابن أبي زكريا- أحمد بن عباس بن أبي زكريا (أبو جعفر).
- ابن زمرك- محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد الصريحي (أبو عبد الله).
- ابن أبي زنين- عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد المرّي (أبو خالد).
- ابن أبي زنين- عيسى بن محمد بن أبي عبد الله بن أبي زنين المرّي (أبو الأصيغ).
- ابن أبي زنين- محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي زنين المرّي (أبو عبد الله).
- ابن أبي زنين- محمد بن عبد الله بن أبي زنين (أبو عبد الله).
- ابن أبي زنين- محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن المرّي.
- الزواوي- منصور بن علي بن عبد الله الزواوي (أبو علي).
- الزيات- أحمد بن الحسن بن علي بن الزيات الكلاعي (أبو جعفر).
- الزيات- أحمد بن محمد بن عيسى الأموي (أبو جعفر).
- ابن الزيات- محمد بن أحمد بن علي بن حسن بن علي بن الزيات الكلاعي (أبو بكر).
- باب السين الساحلي- محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري (أبو عبد الله).
- الساحلي- يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن محمد بن قاسم بن علي الفهري (أبو الحجاج الساحلي).
- ابن سارة البكري- عبد الله بن محمد بن سارة البكري.
- ابن سالم- سالم بن صالح بن علي بن صالح بن محمد الهمداني (أبو عمرو).
- ابن سالم- سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميري الكلاعي (أبو الربيع).
- ابن سبعين- عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن فتح بن سبعين العكي (أبو محمد).
- ابن أبي السداد- عبد الواحد بن محمد بن علي بن أبي السداد الأموي المالقي (الباهلي).
- ابن السراج- محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أحمد الأنصاري (أبو عبد الله).
- ابن سعادة- عيسى بن محمد بن عيسى بن عمر بن سعادة الأموي (أبو موسى).

ابن سعيد- علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد العنسى المذحجي (أبو الحسن ابن سعيد).

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٨١

ابن سعيد الغساني- سعيد بن محمد بن إبراهيم بن عاصم بن سعيد الغساني (أبو عثمان).

ابن سلمون- عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن سلمون الكنانى (أبو محمد).

ابن سماك العاملى- عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عيسى بن أحمد بن إسماعيل بن سماك العاملى (أبو محمد).

ابن سمحون- علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن علي بن سمحون الهلالي (أبو الحسن).

ابن أبي سهل الخزرجى- أحمد بن أبي سهل بن سعيد بن أبي سهل الخزرجى (أبو جعفر).

السهيلي- عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمى (أبو زيد، و أبو القاسم، و أبو الحسين).

ابن سوار المحاربى- عبد القادر بن عبد الله بن عبد الملك بن سوار المحاربى.

السواس- محمد بن محمد بن أحمد الأنصارى.

ابن سوذة المرى- محمد بن سوذة بن إبراهيم بن سوذة المرى (أبو عبد الله).

ابن سوذة المرى- محمد بن محمد بن علي بن سوذة المرى (أبو القاسم).

ابن سيد بونء- غالب بن حسن بن غالب بن حسن (أبو تمام).

ابن سيد بونء الخزاعى- جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيد بونء الخزاعى (أبو أحمد).

الشاط- قاسم بن عبد الله بن محمد الشاط الأنصارى (أبو القاسم).

ابن شاطر- محمد بن أحمد بن شاطر الجمحى المراكشى (أبو عبد الله).

ابن شبرين- محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد (أبو بكر).

ابن الشديد- محمد بن محمد بن الشديد (أبو عبد الله): ٢٦٧ / ٢.

الشديد على بنىة- محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصارى (أبو عبد الله).

الشراط- عبد الله بن محمد الشراط (أبو محمد).

الشريشى- محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الخولانى (أبو عبد الله).

الشريف العمرانى- محمد بن حسن الهمرانى الشريف.

الششتى- علي بن عبد الله النميرى الششتى (أبو الحسن).

ابن شعبة- محمد بن محمد بن شعبة الغساني (أبو عبد الله).

ابن شعيب- أحمد بن محمد بن شعيب الكريانى (أبو العباس).

الشفرة- محمد بن علي بن فرج القربليانى (أبو عبد الله).

ابن شقرال اللخمى- محمد بن أحمد بن فتوح بن شقرال اللخمى (أبو عبد الله الطرسونى).

الشقورى- محمد بن علي بن عبد الله اللخمى (أبو عبد الله).

ابن شلطور- محمد بن محمد بن أحمد بن شلطور الهاشمى (أبو عبد الله).

الشتوفى- يحيى بن عبد العزيز الشنتوفى.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٨٢

باب الصاد ابن الصائغ- محمد بن عبد الله بن محمد بن لب الأمى (أبو عبد الله).

ابن صاحب الصلاة- محمد بن حسن بن محمد بن عبد الأنصارى (أبو عبد الله ابن صاحب الصلاة و ابن الحاج). الإحاطة في أخبار

غرناطة؛ ج ٤؛ ص ٥٨٢

- ن الصباغ العقيلي - علي بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلي (أبو الحسن).
- الصدفي - محمد بن يحيى العبدري (أبو عبد الله).
- الصعلعل - حسن بن محمد بن باصة (أبو علي).
- الصغير - علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي (أبو الحسن).
- ابن صفوان - أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان (أبو جعفر).
- ابن صفوان - محمد بن أحمد بن حسين بن يحيى القيسي (أبو الطاهر).
- ابن الصقر الأنصاري - أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الأنصاري الخزرجي (أبو العباس).
- صقر بنى أمية - عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك (أبو المطرف، و أبو زيد، و أبو سليمان، الداخل).
- صقر قريش - عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك (الداخل).
- الصناع - محمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد الأنصاري (أبو عبد الله).
- ابن الصيرفي - عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد الأموي (أبو عمرو).
- ابن الصيرفي - يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري (أبو بكر).
- باب الضاد ابن الضائع - علي بن محمد بن علي بن يوسف الكنامي (أبو الحسن).
- باب الطاء أبو طالب العزفي - عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد العزفي (أبو طالب).
- الطرّاز - محمد بن سعيد بن علي بن يوسف الأنصاري (أبو عبد الله).
- الطرسوني - محمد بن أحمد بن فتوح بن شقرال اللخمي (أبو عبد الله).
- الطرطوشي - يوسف بن علي الطرطوشي (أبو الحجاج).
- الطغرى - محمد بن مالك المرّي الطغرى.
- ابن طفيل - محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي (أبو بكر): ٢ / ٣٣٤.
- ابن طلحة - أحمد بن محمد بن طلحة (أبو جعفر).
- الطنجالي - محمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد الهاشمي الطنجالي.
- الطنجالي - محمد بن محمد بن يوسف بن عمر الهاشمي (أبو بكر).
- الطويجن - إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الساحلي.
- باب العين ابن العابد - محمد بن علي بن العابد الأنصاري (أبو عبد الله).
- ابن العابد الأنصاري - محمد بن محمد بن علي بن العابد الأنصاري.
- العاصمي - عبد الله بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن بن الحسين الثقفي العاصمي (أبو محمد).
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٨٣
- ابن أبي العاصي - إبراهيم بن محمد بن علي بن محمد بن أبي العاصي التنوخي.
- ابن أبي العافية - الخضر بن أحمد بن الخضر بن أبي العافية (أبو القاسم).
- العامل - عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عيسى بن أحمد بن إسماعيل بن سماك العامل (أبو محمد).
- ابن عبّاد النفزي - محمد بن يحيى بن إبراهيم بن أحمد النفزي (أبو عمرو ابن عبّاد).
- ابن عبد الحق - أحمد بن عبد الحق بن محمد بن يحيى بن عبد الحق الحدلي (أبو جعفر).

- ابن عبد الحق - علي بن بدر الدين بن موسى بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق (أبو الحسن).
- عبد الرحمن الداخل - عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك (أبو المطرف، و أبو زيد، و أبو سليمان، صقر بنى أمية).
- ابن عبد ربه التجيبي - محمد بن علي بن عبد ربه التجيبي (أبو عمرو).
- ابن عبد العظيم - محمد بن عبد الله بن عبد العظيم بن أرقم النميري (أبو عامر).
- ابن عبد الملك - محمد بن محمد بن عبد الملك بن سعيد الأنصاري الأوسي (أبو عبد الله): ٣٧٥ / ٢.
- ابن عبد المنعم - محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري (أبو عبد الله).
- ابن عبد النور - أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد (أبو جعفر).
- ابن عبد الواحد - محمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوي (أبو بكر).
- العبدري - محمد بن علي بن عمر العبدري (أبو عبد الله).
- العبدري - محمد بن علي بن محمد العبدري (أبو عبد الله اليتيم).
- العجيسي - محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي (شمس الدين أبو عبد الله).
- العرادي - محمد بن علي بن عبد الله بن علي القيسي العرادي.
- ابن العراقي - محمد بن محمد بن العراقي (أبو عبد الله).
- أبو العرب - عبد المنعم بن علي بن عبد المنعم بن إبراهيم بن سدرای بن طفيل (أبو العرب الحاج).
- ابن العربي الغستاني - محمد بن علي بن عمر بن يحيى بن العربي الغستاني (أبو عبد الله).
- ابن عرفة - أحمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد اللخمي (أبو العباس).
- ابن عز الناس - علي بن صالح بن أبي الليث الأسعد بن الفرغ بن يوسف (أبو الحسن).
- العزفي - محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد العزفي (أبو القاسم).
- عزوز - عبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد الملوزي (أبو فارس).
- ابن العسال - عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي (أبو محمد).
- ابن عسكر - محمد بن علي بن الخضر بن هارون الغساني (أبو عبد الله).
- العشاب - أحمد بن محمد بن أبي الخليل (أبو العباس).
- العشاب - يحيى بن محمد بن عبد العزيز بن علي الأنصاري (أبو بكر).
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٨٤
- ابن العشاب - محمد بن محمد بن إبراهيم بن المرادي.
- العطار - محمد بن أحمد بن عبد الله العطار.
- ابن عطية - عقيل بن عطية بن أبي أحمد جعفر بن محمد بن عطية القضاعي (أبو المجد).
- ابن عطية القضاعي - أحمد بن أبي جعفر بن محمد بن عطية القضاعي (أبو جعفر).
- ابن عطية المحاربي - عبد الحق بن محمد بن عطية بن يحيى المحاربي.
- العقرب - محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن عبد الملك الأوسي.
- أبو علي بن هدية: ٢٣٦ / ١.
- عمامتي - محمد بن عبد الرحمن المتأهل.
- ابن عمر المليكشي - محمد بن عمر بن علي بن إبراهيم المليكشي (أبو عبد الله).

- ابن عميرة المخزومي - أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن عميرة المخزومي (أبو مطرف).
- العواد - أحمد بن عبد الولي بن أحمد الرعيني (أبو جعفر).
- العواد - محمد بن عبد الولي الرعيني (أبو عبد الله).
- ابن عياش - محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عياش التجيبي البرشاني (أبو عبد الله).
- ابن عيسى الحميري - محمد بن إبراهيم بن عيسى بن داود الحميري (أبو عبد الله).
- باب الغين الغافقي - أحمد بن محمد بن سعيد بن زيد الغافقي.
- الغالب بالله - إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد الأنصاري الخزرجي.
- الغالب بالله - محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري (أبو عبد الله).
- ابن غالب الرصافي - محمد بن غالب الرصافي.
- ابن غانية - يحيى بن علي بن غانية الصحراوي (أبو زكريا).
- الغساني البرجي - محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى الغساني البرجي الغرناطي (أبو القاسم).
- ابن غفرون - عمر بن علي بن غفرون الكلبى.
- الغنى بالله - محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج بن يوسف بن نصر الخزرجي.
- باب الفاء الفازازي - عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد بن تفلت الفازازي (أبو زيد).
- الفتح بن خاقان - الفتح بن علي بن أحمد بن عبيد الله (أبو نصر ابن خاقان).
- ابن الفخار - محمد بن علي بن أحمد الخولاني (أبو عبد الله).
- ابن الفخار الجذامي - محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن الفخار الجذامي (أبو بكر).
- ابن الفراء - عتيق بن أحمد بن محمد بن يحيى الغساني (أبو بكر قرنيات).
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٨٥
- ابن فرتون - محمد بن عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري (أبو القاسم).
- ابن الفرس - عبد الرحيم بن إبراهيم بن عبد الرحيم الخزرجي (أبو القاسم).
- ابن الفرس - عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن فرج الخزرجي (أبو محمد).
- ابن فرسان - عبد البر بن فرسان بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الغساني (أبو محمد).
- ابن فرق - إبراهيم بن خلف بن محمد بن الحبيب القرشي العامري.
- ابن فركون - أحمد بن سليمان بن أحمد القرشي (أبو جعفر).
- ابن فركون (أبو جعفر) - أحمد بن محمد بن أحمد بن هشام القرشي.
- الفتتالي - محمد بن أحمد بن عبد الملك الفتتالي (أبو عبد الله).
- ابن الفضال - عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الأنصاري (أبو بكر).
- ابن فضيلة - فضل بن محمد بن علي بن فضيلة المعافري (أبو الحسن).
- ابن فضيلة المعافري - محمد بن إبراهيم بن سالم بن فضيلة المعافري (أبو عبد الله البيو).
- ابن فطيس - محمد بن عبد الله بن فطيس (أبو عبد الله).
- باب القاف أبو القاسم السهيلي - عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي (أبو زيد، و أبو القاسم، و أبو الحسين).
- القاضي عياض - عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي (أبو الفضل القاضي).

- ابن القباب - أحمد بن أبي القاسم بن عبد الرحمن (أبو العباس).
- ابن القبطرنة - أبو بكر بن عبد العزيز بن سعيد البطلوسى.
- ابن القبطرنة - أبو الحسن بن عبد العزيز بن سعيد البطلوسى.
- ابن القبطرنة - طلحة بن عبد العزيز بن سعيد البطلوسى (أبو محمد).
- ابن قرال - محمد بن محمد بن أحمد بن على الأنصارى (أبو عبد الله).
- القرشى - على بن على بن عتيق بن أحمد الهاشمى القرشى.
- القرطبي - عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الأنصارى (أبو محمد).
- قرنيات - عتيق بن أحمد بن محمد بن يحيى الغسانى (أبو بكر بن الفراء).
- ابن قرمان - محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قرمان الزهرى (أبو بكر):
٣٤٧ / ٢.
- ابن القصبة - محمد بن سعد الحرسنى (أبو ورد).
- ابن القصير - عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد بن محمد الأزدي (أبو جعفر).
- ابن القصيرة - محمد بن سليمان بن القصيرة (أبو بكر).
- القطان - محمد بن أحمد بن قاسم الأمى (أبو عبد الله): ١٨٢ / ٣.
- ابن قطبة - محمد بن أحمد بن محمد الدوسى (أبو عبد الله).
- ابن قطبة الدوسى - محمد بن أحمد بن قطبة الدوسى (أبو القاسم).
- ابن قطبة الدوسى - محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسى (أبو بكر).
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٨٦
- ابن قطبة الدوسى - محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسى (أبو القاسم).
- ابن قطبة الدوسى - محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسى (أبو بكر).
- ابن قطرال - على بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن أحمد الأنصارى (أبو الحسن).
- ابن قطرال - محمد بن على بن محمد بن على بن محمد بن يوسف بن قطرال الأنصارى (أبو عبد الله).
- ابن قعنب - أحمد بن محمد بن أحمد بن قعنب الأزدي (أبو جعفر).
- القللوسى - محمد بن محمد بن إدريس بن مالك القضاعى (أبو بكر).
- القلنار - حسن بن محمد بن حسن القيسى (أبو على).
- القليعى - أحمد بن خلف بن عبد الملك الغسانى (أبو جعفر).
- القليعى - محمد بن أحمد بن خلف بن عبد الملك بن غالب الغسانى (أبو بكر).
- القيجاطى - على بن عمر بن إبراهيم بن عبد الله الكنانى القيجاطى (أبو الحسن).
- باب الكاف الكرسوطى - محمد بن عبد الرحمن بن سعد التميمى التسلى الكرسوطى (أبو عبد الله).
- الكرنى - أحمد بن محمد الكرنى.
- ابن كسرى - الحسن بن محمد بن على الأنصارى (أبو على).
- ابن الكماد - محمد بن أحمد بن داود بن موسى بن مالك اللخمى اليكى (أبو عبد الله).
- ابن كماشة - على بن يوسف بن محمد بن كماشة (أبو الحسن).

- الكواب- عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن مجاهد العبدري الكواب (أبو محمد).
- باب اللام لا أسلم- محمد بن محمد بن ميمون الخزرجي (أبو عبد الله).
- ابن لب- علي بن لب بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي.
- ابن لب- فرج بن قاسم بن أحمد بن لب التغلبي (أبو سعيد).
- ابن لب- محمد بن سعد بن محمد بن لب (أبو عبد الله).
- ابن لب- محمد بن محمد بن لب الكناني (أبو عبد الله).
- ابن لب الأثمي- محمد بن عبد الله بن محمد بن لب الأثمي (أبو عبد الله).
- لسان الدين ابن الخطيب السلماني- محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله السلماني (أبو عبد الله لسان الدين).
- اللمائي- أحمد بن أيوب اللمائي (أبو جعفر).
- ابن اللؤلؤة- محمد بن علي بن يوسف بن محمد السكوني (أبو عبد الله): ١٣٨ / ٣.
- اللوشي- محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد اللوشي اليحصبي (أبو عبد الله).
- باب الميم المازني- محمد بن يوسف بن عبد الله بن إبراهيم المازني (أبو الطاهر).
- ابن مالك الطغفري: محمد بن مالك المرّي الطغفري.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٨٧
- ابن مالك المعافري- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مالك المعافري (أبو محمد).
- المأمون (مأمون الموحدين)- إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي.
- ابن مأمون- محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حميد بن مأمون الأنصاري (أبو عبد الله).
- المتأهل- محمد بن عبد الرحمن المتأهل.
- ابن المتأهل- محمد بن أحمد بن المتأهل العبدري (أبو عبد الله).
- المتوكل على الله- عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة التجيبي (أبو محمد ابن الأفطس).
- المتوكل على الله- محمد بن يوسف بن هود الجذامي (أبو عبد الله).
- ابن مجبر الفهري- يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر الفهري (أبو بكر).
- ابن أبي المجد- عبد الله بن عبد البر بن سليمان بن محمد العريني (أبو محمد).
- ابن المحروق- علي بن أحمد بن محمد بن عثمان الأشعري (أبو الحسن).
- ابن المحروق- محمد بن أحمد بن محمد الأشعري (أبو عبد الله).
- ابن محيو- عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق بن محيو (أبو إدريس).
- ابن محيو- عبد الحليم بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو (أبو محمد).
- ابن محيو- عبد المؤمن بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو (أبو محمد).
- أبو المخشي: عاصم بن زيد بن يحيى بن حنظلة التميمي العبادي الجاهلي (أبو المخشي).
- المدوّري- أبو بكر المخزومي الأعشى الموروري المدوّري.
- ابن المربع- عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأزدي (أبو محمد ابن المربع).
- المراكشي- محمد بن أحمد بن المراكشي (أبو عبد الله).
- ابن المرأة- إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسى (أبو إسحاق ابن المرأة).

- المرتضى - عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن (أبو مطرف).
- ابن مرج الكحل - محمد بن إدريس بن علي بن إبراهيم بن القاسم (أبو عبد الله).
- ابن المرهل - مالك بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن.
- ابن مردنيش - محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مردنيش الجذامي (أبو عبد الله).
- ابن مرزوق العجيسى - محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسى (شمس الدين أبو عبد الله).
- المستعين بالله - سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن (أبو أيوب المستعين بالله).
- المستنصر بالله - الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله.
- ابن مصادف - أحمد بن محمد بن علي بن محمد (أبو جعفر).
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٨٨
- المعتد بالله - هشام بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن (أبو بكر).
- المعتمد بن عباد - محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل.
- المعتم - محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري الساحلي (أبو عبد الله المعتم).
- مفرج الأموى - أحمد بن محمد بن أبي الخليل (أبو العباس).
- ابن مقاتل - محمد بن عبد الله بن محمد بن مقاتل (أبو القاسم).
- ابن مقاتل - محمد بن محمد بن عبد الله بن مقاتل (أبو بكر).
- المقرى - محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى القرشى المقرى (أبو عبد الله).
- المكودى - محمد بن محمد المكودى (أبو عبد الله).
- الملاحى - محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم بن مفرج الغافقى (أبو القاسم).
- المليانى - أحمد بن علي المليانى (أبو عبد الله و أبو العباس).
- المليكىشى - محمد بن عمر بن علي بن إبراهيم المليكىشى (أبو عبد الله).
- المنتشاقرى - يوسف بن موسى بن سليمان بن فتح بن أحمد الجذامى المنتشاقرى (أبو الحجاج).
- ابن منخل الغافقى - محمد بن أحمد بن زيد بن أحمد الغافقى.
- المنصور - يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن بكر (أبو يوسف المنصور).
- المنصور بن أبى عامر - محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبى عامر بن محمد بن أبى الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافرى.
- المنصور العامرى - محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبى عامر بن محمد بن أبى الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافرى (المنصور بن أبى عامر).
- ابن منظور القيسى - عثمان بن يحيى بن محمد بن منظور القيسى (أبو عمرو).
- ابن منظور القيسى - محمد بن عبد الله بن منظور القيسى (أبو بكر).
- المهر - عبد الرحيم بن إبراهيم بن عبد الرحيم الخزرجى (أبو القاسم ابن الفرس).
- ابن مهيب - محمد بن مفضل بن مهيب اللخمي (أبو بكر).
- ابن المؤذن - محمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمي (أبو عبد الله).
- ابن المواعينى - محمد بن إبراهيم بن خيرة (أبو القاسم).

- المواق- محمد بن أحمد الأنصاري (أبو عبد الله).
- ابن ميمون- محمد بن عبد الله بن ميمون بن إدريس بن محمد بن عبد الله العبدري (أبو بكر).
- باب النون الناصر لدين الله- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد (الناصر لدين الله).
- الناصر لدين الله- علي بن حمود بن ميمون بن حمود (أبو الحسن).
- ابن الناظر- الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص القرشي الفهري (أبو علي).
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٨٩
- النباهي- الحسن بن محمد بن الحسن النباهي الجذامي (أبو علي).
- النباهي- علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي النباهي المالقي (أبو الحسن).
- النفزي- إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيدس بن محمود النفزي (أبو إسحاق).
- النفزي (أثير الدين)- محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزي (أبو حيان).
- ابن النفزي- علي بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن الضحاک الفزاري (أبو الحسن).
- النمري- محمد بن محمد النمري الضرير (أبو عبد الله).
- باب الهاء ابن هانيء الأندلسي- محمد بن هانيء بن محمد بن سعدون الأزدي الإلبيري الغرناطي الأندلسي.
- ابن هانيء اللخمي- عبد الرحمن بن هانيء اللخمي (أبو المطرف).
- ابن هانيء اللخمي- محمد بن عبد الرحمن بن الحسن بن قاسم اللخمي القائصي (أبو الحسن).
- ابن هانيء اللخمي- محمد بن علي بن هانيء اللخمي السبتي (أبو عبد الله).
- ابن هديئة- أبو علي بن هديئة.
- ابن هذيل التجيبي- يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبي (أبو زكريا).
- ابن همشك- إبراهيم بن محمد بن مفرج بن همشك.
- الهنا- محمد بن عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري (أبو القاسم).
- الهنثاني- عامر بن محمد بن علي الهنثاني (أبو ثابت).
- ابن هيضم- علي بن محمد بن علي بن هيضم الرعيني (أبو الحسن).
- باب الواو وجه نافخ- عبد الله بن سهل الغرناطي (أبو محمد).
- الورّاد- علي بن محمد بن علي العبدري (أبو الحسن الورّاد).
- ابن ورد- أحمد بن عمر بن يوسف بن إدريس بن عبد الله بن ورد التميمي (أبو القاسم).
- الورسيدي- قاسم بن محمد بن الجد العمري (أبو القاسم).
- باب الياء اليتيم- محمد بن علي بن محمد العبدري (أبو عبد الله).
- ابن أبي يحيى- إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر التسولي (أبو سالم).
- اليرطبول- عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد.
- ابن يست- عبد العزيز بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن (أبو سلطان).
- ابن يغمراسن- عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن (أبو سعيد).
- الينشتي- عبد الرحمن بن عبد الملك الينشتي (أبو بكر).
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٩٠

فهرس الكتب و المؤلفات

- باب الألف أبكار الأفكار فى الأصول/ ابن الرقام/ ٣/ ٤٩
- الإجماع و مسائله/ ابن حزم/ ٤/ ٨٩
- أجوبة الإقناع و الإحساب فى مشكلات مسائل الكتاب/ ابن الفخار/ ٣/ ٦٦
- الأجوبة المحجرة على الأسئلة المتخيرة/ القاضى عياض/ ٤/ ١٩٣
- الأجوبة اليمينية/ ابن سبعين/ ٤/ ٢٣
- الأحاديث الأربعة بما ينتفع به القارئون و السامعون/ ابن الفخار/ ٣/ ٦٦
- الإحاطة فى أخبار غرناطة/ ابن الخطيب السلماني/ ٤/ ٣٨٨، ٣٩٠
- الاحتفال فى استيفاء ما للخليل من الأصول/ محمد بن رضوان/ ٢/ ٨٢
- الإحكام لأصول الأحكام/ ابن حزم/ ٤/ ٨٩
- أخبار محمد بن إسحاق/ ابن الرومية/ ١/ ٨٧
- الأخبار المذهبة/ ابن الحكيم اللخمي/ ٢/ ١٧٧
- أخبار معاوية/ ابن البراق/ ٢/ ٣٤٢
- اختصار غريب حديث مالك للدارقطنى/ ابن الرومية/ ١/ ٨٦
- اختصار الكامل فى الضعفاء و المتروكين لابن عدى/ ابن الرومية/ ١/ ٨٧
- الاختيار و الاعتبار فى الطب/ ابن هذيل/ ٤/ ٣٣٤
- الأدب/ ابن الموائىنى/ ٢/ ٢٢٤
- أربعون حديثا/ ابن جابر القيسى/ ٣/ ١٢٦
- الأربعون حديثا/ ابن الحاج/ ١/ ١٨٠
- الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٩١
- أربعون حديثا/ ابن عسكر/ ٢/ ١٠٤
- الأربعون حديثا/ الملاحى/ ٣/ ١٣٦
- الأربعون حديثا/ ابن الناظر/ ١/ ٢٦٠
- الأربعون حديثا عن أربعين شيخا لأربعين من الصحابة/ ابن سالم/ ٤/ ٢٥٥
- أربعون حديثا فى الرقائق/ ابن منظور القيسى/ ٢/ ١٠٢
- الأربعون السباعية/ ابن سالم/ ٤/ ٢٥٥
- أرج الأرجاء فى مزج الخوف و الرجاء/ المنتشاقرى/ ٤/ ٣٣٣
- أرجوزة الطيبة المجهولة/ ابن طفيل/ ٢/ ٣٣٤
- أرجوزة فى شرح كتاب الفصيح/ القلوسى/ ٣/ ٥٤
- أرجوزة فى شرح ملاحن/ ابن دريد/ القلوسى/ ٣/ ٥٤
- أرجوزة فى العروض/ ابن المرحل/ ٣/ ٢٣٣
- أرجوزة فى الفرائض/ التلمساني/ ١/ ١٦٩

- أرجوزة في الفرائض / القلوسى / ٣ / ٥٤
- أرجوزة في الفرائض / ابن هانىء اللخمي / ٣ / ١٠٩
- إرشاد السائل لنهج الوسائل / المعتم / ٣ / ١٤٦
- إرشاد السالك في بيان إسناد زياد عن مالك / ابن الفخار / ٣ / ٦٦
- أسس مبنى العلم و أسس معنى الحلم / الزياد / ١ / ١٤٦
- الاستشفاء بالعدة و الاستشفاع بالعمدة في تخميس القصيدة النبوية المسماة بالبردة / المنتشاقري / ٤ / ٣٣٣
- استنزال اللطف الموجود في سر الوجود / ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٣٨٨
- استواء النهج في تحريم اللعب بالشطرنج / ابن الفخار / ٣ / ٦٦
- الأسطربلاب / أصبغ بن محمد / ١ / ٢٣٦
- الأسرار / المعتم / ٣ / ١٤٦
- الإشارة / ابن الحكيم اللخمي / ٢ / ١٧٧
- الإشارة ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٣٩٠
- الإشارة الصوفية و النكت الأدبية / ابن الحكيم اللخمي / ٢ / ١٧٧
- أشعة الأنوار في الكشف عن ثمرات الأذكار / المعتم / ٣ / ١٤٦
- إصلاح النية في المسألة الطاعونية / البلياني / ٢ / ٢٤٧
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٩٢
- الأصول إلى معرفة الله و نبوة الرسول / محمد بن خلف / ٣ / ١٢٧
- أصول القراء الستة غير نافع / ابن جزى الكلبي / ٣ / ١٢
- إظهار تبادل اليهود و النصرى للتوراة و الإنجيل و بيان تناقض ما بأيديهم من ذلك مما لا يحتمل التأويل / ابن حزم / ٤ / ٨٩
- اعتلاق المسائل بأفضل الوسائل / المنتشاقري / ٤ / ٣٣٣
- إعراب القرآن / ابن حبيب السلمى / ٣ / ٤٢٢
- الإعلام بأخبار البخارى الإمام / ابن سالم / ٤ / ٢٥٦
- الإعلام بحدود قواعد الإسلام / القاضى عياض / ٤ / ١٩٣
- الإعلام فى استيعاب الرواية عن الأئمة الأعلام / ابن النفري / ٤ / ١٤٩
- إعلان الحججة فى بيان رسوم المحججة / الساحلى / ٣ / ١٨٢
- الإفصاح فيمن عرف بالأندلس بالصلاح / ابن الحاج البلفيقي / ٢ / ٨٦
- إقامة المريد / المقرئ (أبو عبد الله) / ٢ / ١٢٥
- اقتباس السراج فى شرح مسلم بن الحجاج / على بن أحمد الغساني / ٤ / ١٥٥
- الاقتصار على مذاهب الأئمة الأخيار / محمد بن خلف / ٣ / ١٢٧
- الإقناع فى القراءات / ابن البادش / ١ / ٧٧
- الاكتفاء فى مغازى رسول الله و مغازى الثلاثة الخلفاء / ابن سالم / ٤ / ٢٥٦
- الإكليل الزاهر فيمن فصل عند نظم الجواهر / ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢٣٧

الإكليل الزاهر فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر/ ابن الخطيب السلماني / ٣٩٠ / ٤

إكمال المعلم فى شرح مسلم/ القاضى عياض / ١٩٣ / ٤

الإكمال و الإتمام فى صلة الإعلام بمجالس الأعلام من أهل مالقة الكرام/ ابن عسكر / ١٠٥ / ٢

الإلماع فى ضبط الرواية و تقييد السماع/ القاضى عياض / ١٩٣ / ٤

الامثال لمثال المنبهج فى ابتداء الحكم و اختراع الأمثال/ ابن سالم / ٢٥٦ / ٤

الأمثال السائرة/ ابن الموعينى / ٢٢٤ / ٢

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٩٣

إملاء فوائد الدول فى ابتداء مقاصد

الجمال / ابن الفخار / ٦٦ / ٣

انتشاق النسمات النجدية و اتساق النزعات

الجدية/ المنتشاقى / ٣٣٣ / ٤

انتفاع الطلبة النبهاء فى اجتماع السبعة

القرء / ابن الفخار / ٦٦ / ٣

أنس الفريد/ ابن أبى زمنين / ١٣٣ / ٣

إنشاد الطوال و إرشاد السؤل فى لحن

العامه/ ابن هانىء اللخمى / ١٠٩ / ٣

أنوار الأفكار فىمن دخل جزيرة الأندلس

من الزهاد و الأبرار/ أحمد بن عبد الرحمن

الخرجى / ٧٠ / ١

أنوار البروق فى تعقب مسائل القواعد

و الفروق/ الشاط / ٢١٩ / ٤

الأنوار الجلية فى أخبار الدولة المرابطية/ ابن الصيرفى / ٣٤٩ / ٤

الأنوار السنية فى الكلمات السنية/ ابن جزى الكلبي / ١١ / ٣

الإيجاز فى دلالة المجاز عبد الحكيم بن الحسين / ٤٢٠ / ٣

الإيصال إلى فهم كتاب الخصال/ ابن حزم / ٨٨ / ٤

الإيضاح و البيان فى الكلام على القرآن/ محمد بن خلف / ١٢٧ / ٣

إيقاظ الكرام بأخبار المنام/ ابن الحاج / ١٨٠ / ١

باب الباء

البحر المحيط (تفسير القرآن)/ النفزى / ٢٩ / ٣

بَرّ العارف/ ابن سبعين / ٢٣ / ٤

برنامج رواية الملاحى / الملاحى / ١٣٦ / ٣

برنامج روايات ابن سالم/ ابن سالم / ٢٥٦ / ٤

برنامج روايات ابن الناظر/ ابن الناظر / ٢٦٠ / ١

- البرهان في ترتيب سور القرآن / أحمد بن إبراهيم بن الزبير / ١ / ٧٣
- البرهان و الدليل في خواص سور التنزيل
- و ما في قراءتها في النوم من بديع
- التأويل / ابن منظور القيسي / ٢ / ١٠٢
- بستان الدول / ابن الخطيب السلماي / ٤ / ٣٨٩، ٣٩٠
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٩٤
- بشارة القلوب بما تخبر الرؤيا من الغيوب / ابن الحكيم اللخمي / ٢ / ١٧٧
- بغية السالك في أشرق المسالك / المعتم / ٣ / ١٤٦
- بغية المباحث في معرفة مقدمات
- الموارث / ابن منظور القيسي / ٤ / ٦٨
- بغية المستفيد / ابن صفوان / ١ / ٩٤
- البها الكامل / الكرسوطي / ٣ / ١٠٠
- بهجة الأفكار و فرجة التذكار في مختار
- الأشعار / ابن البراق / ٢ / ٣٤٢
- بهجة الأنوار / المعتم / ٣ / ١٤٦
- بهجة المجالس / أبو عمر بن عبد البر / ٢ / ٢٢٤
- البيان في حقيقة الإيمان / محمد بن خلف / ٣ / ١٢٧
- البيزرة / ابن الخطيب السلماي / ٤ / ٣٨٨
- البيطرة / ابن الخطيب السلماي / ٤ / ٣٨٨
- باب التاء
- التاج المحلى في مساجلة القدح المعلى / ابن الخطيب السلماي / ٤ / ٣٨٨، ٣٩٠
- تاريخ ابن رشيق / ابن رشيق / ١ / ٢٦٧
- تاريخ أصبغ بن محمد / أصبغ بن محمد / ١ / ٢٣٦
- تاريخ ألمرية / ابن الحاج البليقي / ٢ / ٨٦
- تاريخ علماء إلبيرة / الملاحى / ٣ / ١٣٦
- تاريخ غرناطة / ابن جزى / ٢ / ١٦٤
- تبين مسالك العلماء في مدارك الأسماء / ابن النفزى / ٤ / ١٤٩
- التجر الربيع في شرح الجامع الصحيح / المعتم / ٣ / ١٤٦
- تجريد رؤوس مسائل البيان و التحصيل
- لتيسير البلوغ لمطالعتها و التوصيل / المنتشاقري / ٤ / ٣٣٣
- تجبير نظم الجمان في تفسير أم القرآن / ابن الفخار / ٣ / ٦٦
- تحرير الجواب في توفير الثواب / الشاط / ٤ / ٢١٩
- تحريم سماع اليراعة المسماة بالشبابة / ابن سيد بونة / ٤ / ٢٠٢

- تحفة الأبرار فى مسألة النبوة و الرسالة
و ما اشتملت عليه من الأسرار/ ابن منظور القيسى / ٢ / ١٠٢
تحفة المتوصل فى صنعة الطب/ الشقورى / ٣ / ١٣٧
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٩٥
تحقيق القصد السنى فى معرفة العمدة
العلى / ابن النفزى / ٤ / ١٤٩
تحفة الوداد و نجعة الرواد/ ابن سالم / ٤ / ٢٥٥
تخصيص القرب و تحصيل الأرب/ المنتشاقرى / ٤ / ٣٣٣
تخليص الذهب فى اختيار عيون الكتب
الأديبات الثلاثة/ ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٣٨٩، ٣٩٠
التذكرة فى الطب/ ابن هذيل / ٤ / ٣٣٤
ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة
أعلام مذهب مالك/ القاضى عياض / ٤ / ١٩٣
ترحيل الشمس/ القلوسى / ٣ / ٥٤
الترشيد فى صناعة التجويد/ ابن الناظر / ١ / ٢٦٠
الترصيع فى شرح مسائل التفريع/ على بن أحمد الغساني / ٤ / ١٥٥
تسمية الشيوخ و تحرير الأسانيد/ المعمم / ٣ / ١٤٦
التصوّف و الكلام على اصطلاح القوم/ ابن صفوان / ٣ / ١٧٩
تعاليق على كتاب المستصفى فى أصول
الفقه/ سهل بن محمد الأزدي / ٤ / ٢٤١
تفسير البحر المحيط/ النفزى / ٣ / ٢٩
تفسير القرآن/ ابن حبيب السلمى / ٣ / ٤٢٢
تفسير القرآن/ ابن أبى زمنين / ٣ / ١٣٣
تفضيل صلاة الصبح للجماعة فى آخر
الوقت المختار، على صلاة الصبح
للمنفرد فى أول وقتها بالابتدار/ ابن الفخار / ٣ / ٦٦
تقايد منشور و منظوم فى علم النجوم/ محمد بن رضوان / ٢ / ٨٢
التقريب لحد المنطق و المدخل إليه/ ابن حزم / ٤ / ٨٩
تقريب الوصول إلى علم الأصول/ ابن جزى الكلبي / ٣ / ١٢
تقرير الشبه و تحرير المشبه/ ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٣٨٨
تقصى الأنباء و سياسة الرؤساء/ ابن الصيرفى / ٤ / ٣٤٩
التكملة و التبرئة فى إعراب البسملة
و التصليّة/ ابن الفخار / ٣ / ٦٦

- تكوين الجنين / ابن الخطيب السلماني / ٣٨٨ / ٤
- تلخيص التهذيب لابن بشير / الكرسوطي / ١٠٠ / ٣
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٩٦
- تلخيص الدلالة في تخلص الرسالة / الزيات / ١٤٧ / ١
- تلخيص محصل الإمام فخر الدين ابن الخطيب الرازي / ابن خلدون / ٣٨٦ / ٣
- التنبيه على أغلاط الغافقي / ابن الرومية / ٨٧ / ١
- التنبيه على مذهب الشافعية و الحنفية و الحنبلية / ابن جزى الكلبي / ١٢ / ٣
- تنبيه المتعلمين على المقدمات و الفصول و شرح المهمات منها و الأصول / ابن النفزي / ١٤٩ / ٤
- تنعيم الأشباح بمحادثه الأرواح / ابن الحاج / ١٨٠ / ١
- توجع الراثي في تنوع المراثي / المتشاقري / ٣٣٣ / ٤
- التوجيه الأوضح الأسمى في حذف التنوين من حديث أسما / ابن الفخار / ٦٦ / ٣
- توهين طرق حديث الأربعين / ابن الرومية / ٨٧ / ١
- باب الثاء
- ثمار العدد / أصبغ بن محمد / ٢٣٦ / ١
- ثورة المريدين / ابن صاحب الصلاة / ٧٠ / ٢، ٦٣ / ٣
- باب الجيم
- الجامع / ابن حبيب السلمى / ٤٢٢ / ٣
- جامع أنماط السائل في العروض و الخطب و الرسائل / عبد المنعم بن عمر / ٤٤٨ / ٣
- الجامع البسيط و بغية الطالب النشيط / عاشر بن محمد / ١٨٧ / ٤
- الجدل الصغير / ابن باق / ٥٢ / ٣
- الجدل الكبير / ابن باق / ٥٢ / ٣
- جزء الحرّ، في التوحيد / ابن صفوان / ١٨٠ / ٣
- جزء على حديث جبريل / صالح بن يزيد / ٢٧٦ / ٣
- جزء في إجماع الفقهاء / ابن المرأة / ١٦٨ / ١
- جزء في بيان اسم الله الأعظم / ابن الحاج / ١٨٠ / ١
- جزء في تفضيل التين على التمر / ابن حفيد الأمين / ٤٦ / ٣
- جزء في شواذ العروض / ابن عبد النور / ٧٨ / ١
- جزء في العروض / ابن عبد النور / ٧٨ / ١

- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٩٧
- جنى الرطب في سنى الخطب / ابن سالم / ٢٥٦ / ٤
- الجهاد الأكبر / الشقورى / ١٣٧ / ٣
- جهد النصيح في معارضة المعزى في
- خطبة الفصيح / ابن سالم / ٢٥٦ / ٤
- جواب البيان على مصارمة أهل الزمان / ابن الفخار / ٦٦ / ٣
- الجواب المختصر المروم في تحريم
- سكنى المسلمين ببلاد الروم / ابن الفخار / ٦٦ / ٣
- الجوابات المجتمععة عن السؤالات
- المنوعة / ابن الفخار / ٦٦ / ٣
- جوامع الأشراف و العنايات في الصوادع
- و الآيات / الزيات / ١٤٦ / ١
- الجواهر / ابن شاس / ٤٥ / ٣
- الجولات (مختار شعر ابن المرحل) / ابن المرحل / ٢٣٣ / ٣
- جيش التوشيح / ابن الخطيب السلماني / ٣٨٩، ٣٩٠ / ٤
- باب الحاء
- الحافل في تذييل الكامل / ابن الرومية / ٨٧ / ١
- الحديقة في البديع / الحجارى / ٣٣٠ / ٣
- حركة الدخولية في المسألة المالقية / ابن الحاج البليقى / ٨٦ / ٢
- الحسبة في الأمراض / ابن حبيب السلمى / ٤٢٢ / ٣
- حقائق بركات المنام في مرآة المصطفى
- خير الأنام / المتشاقري / ٣٣٣ / ٤
- الحقائق و الرقائق / المقرئ (أبو عبد الله) / ١٢٥ / ٢
- الحقبي في أغاليط القرطبي / الرندى / ٨٥ / ٤
- حكم الدعاء في أدبار الصلوات / ابن الرومية / ٨٧ / ١
- الحكم و العدل بالجوارح / ابن حبيب السلمى / ٤٢٢ / ٣
- الحلل المرقومة في اللع المنظومة / ابن الخطيب السلماني / ٣٨٨، ٣٩٠ / ٤
- حلية الأمالى في المراقبات العوالى / ابن سالم / ٢٥٥ / ٤
- الحلية في ذكر البسملة و التصلية / ابن عبد النور / ٧٨ / ١
- حلية النبيل في معارضة ما فى السبيل / أبو القاسم السهيلي / ٣٦٤ / ٣
- حمل الجمهور على السنن المشهور / ابن الخطيب السلماني / ٣٨٨ / ٤
- حى بن يقظان / ابن طفيل / ٣٣٤ / ٢
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٩٨

حياة القلوب / ابن أبي زمنين / ٣ / ١٣٣

باب الخاء

الخبر المختصر في السلوى عن ذهاب

البصر / ابن عسكر / ٢ / ١٠٤

خطب القاضي عياض / القاضي عياض / ٤ / ١٩٣

خطر فبطر و نظر فحظر، على تنبيهات

على وثائق ابن فتوح / ابن الحاج البليقي / ٢ / ٨٦

خطرات الواجد في رثاء الواحد / ابن البراق / ٢ / ٣٤٢

خطرة المجلس في كلمة وقعت في شعر

استنصر به أهل الأندلس / ابن الحاج البليقي / ٢ / ٨٦

باب الدال

الدر المنظم في الاختيار المعظم / ابن البراق / ٢ / ٣٤٢

الدر الفاخرة و اللجج الزاخرة / ابن الخطيب السلماي / ١ / ٩٧

الدر في اختصار الطرر / الكر سوطي / ٣ / ١٠٠

الدر المنظومة الموسومة في اشتقاق

حروف الهجا المرسومة / ابن فضيلة / ٢ / ٢٢٨

الدر المكنونة في محاسن إسطنبول / القلوسى / ٣ / ٥٤

الدعوات و الأذكار المخرجة من صحيح

الأخبار / ابن جزى الكلبي / ٣ / ١١، ١٢

ديوان رسائل ابن سالم / ابن سالم / ٤ / ٢٥٦

ديوان شعر ابن الحاج البليقي / ابن الحاج البليقي / ٢ / ٨٦

ديوان شعر ابن الحداد الوادى آشى / ابن الحداد الوادى آشى / ٢ / ٢٢٠

ديوان شعر ابن سالم / ابن سالم / ٤ / ٢٥٦

ديوان شعر سهل بن محمد الأزدي / سهل بن محمد الأزدي / ٤ / ٢٤١

باب الذال

ذيل تاريخ مالقة / أبو الحسن بن الحسن / ٣ / ١٤٦

باب الراء

الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من

الفوائد / القاضي عياض / ٤ / ١٩٣

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٥٩٩

الربا / ابن حبيب السلمى / ٣ / ٤٢٢

رجز الأغذية / ابن الخطيب السلماي / ٤ / ٣٨٨

رجز الطب / ابن الخطيب السلماي / ٤ / ٣٨٨

- رجز في الأحكام الشرعية/ ابن الحاج/ ١ / ١٨١
- رجز السياسة المدنية/ ابن الخطيب السلماي/ ٤ / ٣٨٨، ٣٩٠
- رجز في ألفاظ فصيح ثعلب/ البلياني/ ٢ / ٢٤٧
- رجز في الجدل/ ابن الحاج/ ١ / ١٨١
- رجز في الحجب و السلاح/ ابن الحاج/ ١ / ١٨١
- رجز في علم الكلام/ البلياني/ ٢ / ٢٤٧
- الرجز في عمل الترياق الفاروقى/ ابن الخطيب السلماي/ ٤ / ٣٨٨، ٣٩٠
- رجز في الفرائض/ ابن الحاج/ ١ / ١٨١
- رجز في الفرائض/ ابن فرقد/ ١ / ١٩٢
- رجوع الإنذار بهجوم العذار/ ابن البراق/ ٢ / ٣٤٢
- الرحلة/ صفوان بن إدريس/ ٣ / ٢٦٧
- رحلة/ ابن جبير ابن جبير/ ٢ / ١٤٨
- الرحلة/ العنوية النفزى/ ١ / ١٩٤
- رحلة المتبتل/ المقرئ (أبو عبد الله)/ ٢ / ١٢٥
- الرحلة النباتية و المستدركة/ ابن الرومية/ ١ / ٨٧
- الردّ على ابن خروف/ الرندى/ ٤ / ٨٥
- الردّ على ابن غرسية في رسالته في
- تفضيل العجم على العرب/ ابن الفرس/ ٣ / ٤١٦
- الرد على أهل الإباحة/ ابن الخطيب السلماي/ ٤ / ٣٨٨
- ردع الجاهل عن اغتيال المجاهل/ أحمد بن إبراهيم بن الزبير/ ١ / ٧٣
- رسائل الأبرار و ذخائر أهل الحظوة
- و الإيثار في انتخاب الأدعية
- المستخرجة من الأخبار و الآثار/ ابن النفزى/ ٤ / ١٤٩
- الرسائل في الفقه و المسائل/ النفزى/ ١ / ١٩٤
- رسالة حى بن يقظان/ ابن طفيل/ ٢ / ٣٣٤ الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ٤؛ ص ٥٩٩
- الطاعون/ ابن الخطيب السلماي/ ٤ / ٣٨٨
- الرسالة العلمية/ الششتري/ ٤ / ١٧٣
- رسالة في ادّخار الصبر و افتخار القصر
- و الفقر/ ابن عسكر/ ٢ / ١٠٥
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٠٠
- رسالة في الأسطرلاب الخطى و العمل به/ محمد بن رضوان/ ٢ / ٨٢
- الرسالة القدسية في توحيد العامة
- و الخاصة/ الششتري/ ٤ / ١٧٣

- الرسالة النورية في ترتيب السلوك / ابن سبعين / ٢٣ / ٤
- رصف المباني في حروف المعاني / ابن عبد النور / ٧٨ / ١
- رصف نفائس الآلي، و وصف عرائس
المعالي / الزيات / ١٤٦ / ١
- رغائب القرآن / ابن حبيب السلمى / ٤٢٢ / ٣
- رفع الحجب المستورة في محاسن
المقصورة / محمد بن أحمد الحسنى / ١١٣ / ٢
- رقم الحلل في نظم الدول / ابن الخطيب السلمانى / ٢٢٨ ، ٢١٤ / ١
- ٣٩٠ / ٤ ، ٢٥٧ / ٣
- الرمى بالحصا / ابن المرحل / ٢٣٣ / ٣
- الريممة / ابن الخطيب السلمانى / ٣٨٨ / ٤
- الرهون و الحدثان / ابن حبيب السلمى / ٤٢٢ / ٣
- الروض الآنف و المشرع الرّوا فيما اشتمل
عليه كتاب السيرة و احتوى / أبو القاسم السهيلي / ٣٦٤ / ٣
- الروض المحظور في أوصاف بنى منظور - / ١٠١ / ٢
- روضه الجنان / ابن فضيلة / ٢٢٨ / ٢
- روضه الحدائق في تأليف الكلام الرائق / ابن البراق / ٣٤٢ / ٢
- روضه العباد المستخرجه من الإرشاد / ابن الحاج / ١٨٠ / ١
- رياضة الأبي في قصيدة الخزرجى / محمد بن أحمد الحسنى / ١١٣ / ٢
- ريحان الآداب و ريعان الشباب / ابن المواعينى / ٢٢٤ / ٢
- ريحانة الكتاب / ابن الخطيب السلمانى / ٣٨٨ / ٤
- باب الزاى
- زاد المسافر / صفوان بن إدريس / ٢٦٧ / ٣
- الزبد الممخوضه / ابن الخطيب السلمانى / ٣٨٨ / ٤
- الزهرات و إجاله النظرات / ابن الحاج / ١٨٠ / ١
- زهرة البستان و نزهة الأذهان / محمد بن مالك الطغترى / ١٨٢ / ٢
- زواهر الأنوار و بواهر ذوى البصائر
و الاستبصار في شمائل النبى المختار / ابن النفزى / ١٤٩ / ٤
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٠١
- الزيج القويم / ابن الرقام / ٤٩ / ٣
- باب السين
- السباعيات / ابن النفزى / ١٤٩ / ٤
- السباعيات من حديث الصدقى / ابن سالم / ٢٥٥ / ٤

- سبيل الرشاد في فضل الجهاد/ أحمد بن إبراهيم بن الزبير / ١ / ٧٣
 سخّ مزنة الانتخاب في شرح خطبة
 الكتاب/ ابن الفخار / ٣ / ٦٦
 السحب الواكفة و الظلال الوارفة في الرد
 على ما تضمنه المضمون به على غير
 أهله من اعتقاد الفلاسفة/ ابن منظور القيسي / ٢ / ١٠٢
 السحر و الشعر/ ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٣٨٨
 السخاء و اصطناع المعروف/ ابن حبيب السلمى / ٣ / ٤٢٢
 سد الذريعة في تفضيل الشريعة/ ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٣٨٨
 سر السراء في أدب القضاء/ القاضي عياض / ٤ / ١٩٣
 السرّ المذاع في تفضيل غرناطة على كثير
 من البقاع/ ابن السراج / ٣ / ١٢٣
 السلك المحلى في أخبار ابن أبي جلا- / ٤ / ١٥٧
 سلك المنخل لمالك بن المرحل / ابن المرحل / ٣ / ٢٣٣
 سلوة خاطر فيما أشكل من نسبة النسب
 الرتب إلى الذاکر/ ابن الحاج البليقي / ٢ / ٨٦
 السليمانيات و العربيات و تنشيط الكسل / ابن هذيل / ٤ / ٣٣٤
 باب الشين
 الشافى في اختصار التيسير الكافى/ قاسم بن أحمد الحضرمى / ٤ / ٢٢٤
 الشافى في تجربة ما وقع من الخلاف
 بين التيسير و التبصرة و الكافى/ ابن سلمون / ٣ / ٣٠٨
 الشجرة في الأنساب/ الملاحى / ٣ / ١٣٦
 شجرة في أنساب العرب/ محمد بن رضوان / ٢ / ٨٢
 شذور الذهب في صروم الخطب/ الزيات / ١ / ١٤٧
 شرح آية الوصية/ أبو القاسم السهلى / ٣ / ٣٦٤
 شرح أبيات الإيضاح العضدى/ ابن ميمون / ٣ / ٦١
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٠٢
 شرح الأسماء الحسنى/ ابن المرأة / ١ / ١٦٨
 شرح الإشارة للباغى في الأصول/ أحمد بن إبراهيم بن الزبير / ١ / ٧٣
 شرح إيضاح الفارسى/ ابن باق / ٣ / ٥٢
 شرح إيضاح الفارسى/ ابن مأمون / ٣ / ٥١
 شرح البخارى/ المهلب بن أحمد / ٣ / ٢٣١
 شرح التسهيل لابن مالك/ ابن هانىء اللخمى / ٣ / ١٠٩

- شرح التيسير في القراءات / الباهلي / ٣ / ٤٢٤
- شرح جمل أبي القاسم الزجاجي / الرندي / ٤ / ٨٥
- شرح جمل الزجاجي / ابن مأمون / ٣ / ٥١
- شرح حشائش دياسقوريدوس و أدوية
- جالينوس / ابن الرومية / ١ / ٨٧
- شرح الشهاب أحمد بن عبد الرحمن
- الخزرجي / ١ / ٧٠
- الشرح الصغير على جمل الزجاجي / ابن ميمون / ٣ / ٦١
- شرح غريب البخاري / ابن أبي خيثمة الجبائي / ٢ / ٢٠٧
- شرح قصيدة البردة / ابن خلدون / ٣ / ٣٨٦
- الشرح الكبير على جمل الزجاجي / ابن ميمون / ٣ / ٦١
- شرح كتاب الإرشاد لأبي المعالي / ابن المرأة / ١ / ١٦٨
- شرح كتاب الإيضاح / ابن الباذش / ٤ / ٧٨
- شرح كتاب التسهيل لأبي عبد الله بن
- مالك / محمد بن أحمد الحسنی / ٢ / ١١٣
- شرح كتاب تسهيل الفوائد لابن مالك / النفزي / ٣ / ٢٩
- شرح كتاب الرسالة / ابن أبي يحيى / ١ / ١٩٧
- شرح كتاب الشهاب محمد بن عبد الرحمن
- الغساني / ٣ / ١٣٤
- شرح كتاب القرشي في الفرائض / ابن صفوان / ١ / ٩٤
- شرح كراسة الفخر الرازي / ابن هذيل / ٤ / ٣٣٤
- شرح الكوامل لأبي موسى الجزولي / ابن عبد النور / ١ / ٧٨
- شرح محاسن المجالس لأبي العباس
- أحمد بن العريف / ابن المرأة / ١ / ١٦٨
- شرح المسند الصحيح لمسلم بن
- الحجاج / علي بن أحمد الغساني / ٤ / ١٣٨
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٠٣
- شرح مشكل ما وقع في الموطأ و صحيح
- البخاري / محمد بن خلف / ٣ / ١٢٧
- شرح معاني التحية / ابن عز الناس / ٤ / ١٥٦
- شرح المعشرات الغزلية و المكفرات
- الزهدية / ابن ميمون / ٣ / ٦١
- شرح مغرب أبي عبد الله بن هشام

- الفهرى/ ابن عبد النور/ ٧٨ /١
- شرح مقامات الحريرى/ ابن ميمون/ ٦١ /٣
- شرح المقامات الحريرية/ ابن عطية/ ١٩٥ /٤
- شروف المفارق فى اختصار كتاب
- المشارق/ الزيات/ ١٤٧ /١
- الشريف و الإعلام بما أبهم فى القرآن من
- أسماء الأعلام/ أبو القاسم السهيلي/ ٣٦٤ /٣
- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى/ القاضى عياض/ ١٩٣ /٤
- باب الصاد
- الصحف المنشرة فى القطع المعشرة/ ابن سالم/ ٢٥٦ /٤
- الصدور و المطالع/ ابن المرحل/ ٢٣٣ /٣
- صلة الصلة لابن بشكوال/ أحمد بن إبراهيم بن الزبير/ ٧٣ /١
- صناعة الجدل/ ابن الفرس/ ٤١٦ /٣
- الصيب الهتان الواكف بغايات الإحسان
- المشتمل على أدعية مستخرجة من
- الأحاديث النبوية و سور القرآن/ ابن منظور القيسى/ ١٠٢ /٢
- الصيب و الجهم و الماضى و الكهام/ ابن الخطيب السلماني/ ٣٩٠، ٣٨٨ /٤
- باب الطاء
- الطالع السعيد/ أبو الحسن بن سعيد/ ٢٣٢ /١
- الطالع السعيد (فى التاريخ)/ ابن سعيد/ ١٣٠ /٤
- طرفة العصر فى تاريخ دولة بنى نصر/ ابن الخطيب السلماني/ ٢٠٠ /١، ١٧٤ /٢،
- ٢٥٤ /٣
- طرفة العصر فى دولة بنى نصر/ ابن الخطيب السلماني/ ٣٩٠، ٣٨٩ /٤
- الطرق المتداولة فى القراءات/ ابن الباذش/ ٧٧ /١
- الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٠٤
- باب العين
- عائذ الصلة/ ابن الخطيب السلماني/ ٣٩٠، ٣٨٩ /٤
- العبارة الوجيزة عن الإشارة/ الزيات/ ١٤٦ /١
- العجالة/ صفوان بن إدريس/ ٢٦٧ /٣
- عجالة المستوفز المستجاز فى ذكر من
- سمع من المشايخ دون من أجاز من
- أئمة المغرب و الشام و الحجاز/ ابن مرزوق/ ٧٦ /٣
- عدده الداعى و عمده الواعى/ الزيات/ ١٤٦ /١

- عدة المحقق و تحفة المستحق / الزيات / ١ / ١٤٧
- العذب و الأجاج فى شعر أبى البركات
- ابن الحاج / ابن الحاج البليقى / ٢ / ٨٦
- عرائس بنات الخواطر المجلوة على
- منصات المنابر / ابن الحاج البليقى / ٢ / ٨٦
- العروض / صالح بن يزيد / ٣ / ٢٧٦
- العروض / أبو محمد القرطبي / ٣ / ٣١١
- العروة الوثقى فى بيان السنن و إحصاء
- العلوم / الششتري / ٤ / ١٧٣
- العشريات الزهدية / ابن المرحل / ٣ / ٢٣٣
- العشريات و النبويات / ابن المرحل / ٣ / ٢٣٣
- عمل من طب لمن حب / ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٣٩٠
- عنوان الدراية / الغبريني / ٤ / ٢٠
- عوارف الكرم و صلوات الإحسان فيما
- حواه العين من لطائف الحكم و خلق
- الإنسان / الزيات / ١ / ١٤٦
- عواطف الأعتاب فى لطائف أسباب
- المتاب / المنتشاقري / ٤ / ٣٣٣
- باب الغين
- غرائب النجب فى رغايب الشعب / المعمم / ٣ / ١٤٦
- غرر الأمانى المسفريات فى نظم
- المكفريات / المنتشاقري / ٤ / ٣٣٣
- الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٠٥
- الغرر فى تكميل الطرر / الكرسوطي / ٣ / ١٠٠
- الغرة الطالعة فى شعراء المائة السابعة / ابن هانىء اللخمى / ٣ / ١٠٩
- الغلسيات / ابن الحاج البليقى / ٢ / ٨٦
- غنية الخطيب بالاختصار و التقريب / المعمم / ٣ / ١٤٦
- غنية الرابض فى علم الفرائض / الشاط / ٤ / ٢١٩
- الغنية فى شيوخ القاضى عياض / القاضى عياض / ٤ / ١٩٣
- غنية الكاتب و بغية الطالب / القاضى عياض / ٤ / ١٩٣
- الغيرة على أهل الحيرة / ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٣٨٨
- الغيرة المذهلة عن الحيرة و التفرقة
- و الجمع / النفزى / ١ / ١٩٤

باب الفاء

- فائدة الملتقط و عائدة المغتبط / الزيات / ١ / ١٤٧
- فتات الخوان و لقط الصوان / ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٣٨٩
- الفرائض / ابن حبيب السلمى / ٣ / ٤٢٢
- الفرائض / ابن حفيد الأمين / ٣ / ٤٦
- الفرائض و أعمالها / صالح بن يزيد / ٣ / ٢٧٦
- فضائل القرآن / الملاحى / ٣ / ١٣٦
- الفعل المبرور و السعى المشكور فيما وصل إليه أو تحصل لديه من نوازل
- القاضى أبى عمر بن منظور / ابن منظور القيسى / ٢ / ١٠٢
- الفصل فى الملل و الأهواء و النحل / ابن حزم / ٤ / ٨٩
- فصل المقال فى الموازنة بين الأعمال / ابن عطية / ٤ / ١٩٥
- الفصول المقتضبة فى الأحكام المنتخبة / ابن الحاج / ١ / ١٨١
- الفصول و الأبواب فى ذكر من أخذ غير من الشيوخ و الأتباع و الأصحاب / ابن الحاج البليقى / ٢ / ٨٦
- فضل مكة / الخشنى / ٤ / ١٥٤
- الفنون الستة فى أخبار سبتة / القاضى عياض / ٤ / ١٩٣
- فهرسة حافلة / الشاط / ٤ / ٢١٩
- الفوائد العامة فى لحن العامة / ابن جزى الكلبي / ٣ / ١٢
- الفوائد المنتخبة و الموارد المستعذبة / ابن الحكيم اللخمى / ٢ / ١٧٧
- الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٠٦
- الفيصل المنتضى المهزوز فى الرد على من أنكر صيام يوم النيروز / ابن الفخار / ٣ / ٦٦
- فيض العباب و إجاله قدام الآداب فى الحركة إلى قسنطينة و الزاب / ابن الحاج / ١ / ١٨١

باب القاف

قاعدة البيان و ضابطة اللسان / الزيات / ١ / ١٤٦

قبول الرأى الرشيد فى تخميس الوتريات

النبويات لابن رشيد / المنتشاقرى / ٤ / ٣٣٣

القدح المعلى / - / ١ / ١٠٤

قراءة نافع / أبو محمد القرطبي / ٣ / ٣١١

قدر جم فى نظم الجمل / ابن الحاج البليقى / ٢ / ٨٦

قرة عين السائل و بغية نفس الآمل / الزيات / ١ / ١٤٦

قصائد في مدح النبي صلى الله عليه و سلم / الفازازي / ٣ / ٣٩٦
 قطع السلوك (أرجوزة) / ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢١٤، ٣ / ٢٥٧،
 ٣٩٠ / ٤

القفل و المفتاح في علاج الجسوم

و الأرواح / ابن سعادة / ٤ / ١٩٩

قلائد العقيان / الفتح بن خاقان / ٤ / ٢١٠

قمع اليهود عن تعدى الحدود / الشقوري / ٣ / ١٣٧

القوانين الفقهية في تلخيص مذهب

المالكية / ابن جزى الكلبي / ٣ / ١٢

قوت المقيم / ابن هانيء اللخمي / ٣ / ١٠٩

قوت النفوس و أنس الجليس / ابن أضحى / ٤ / ٦٦

باب الكاف

كائنة مبرقة أحمد بن عبد الله

المخزومي / ١ / ٦٥

كتاب الأحكام / ابن الفرس / ٣ / ٤١٦

كتاب الأربعين حديثا البلدانية / ابن الحاج / ١ / ١٨٠

كتاب الحيوان و الخواص / ابن الرقام / ٣ / ٤٩

كتاب الدرر / ابن سبعين / ٤ / ٢٣

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٠٧

كتاب الزمان و المكان / أحمد بن إبراهيم بن الزبير / ١ / ٧٣

كتاب الشفاء / ابن الرقام / ٣ / ٤٩

كتاب الصفر / ابن سبعين / ٤ / ٢٣

كتاب العروض / ابن الحداد الوادي آشي / ٢ / ٢٢٠

كتاب العزلة / ابن عز الناس / ٤ / ١٥٦

كتاب في التورية / ابن الحاج / ١ / ١٨٠

الكتاب الكبير في التاريخ / ابن رشيق / ١ / ٢٦٧

كتاب المختلطة / أسد بن الفرات / ١ / ٢٣١

الكتاب المؤتمن في أبناء أبناء الزمن / ابن الحاج البليقي / ١ / ١٩٦

الكتيبة الكامنة في أدباء المائة الثامنة / ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٣٩٠

كراهية الغناء / ابن حبيب السلمى / ٣ / ٤٢٢

الكل و الإحاطة / ابن سبعين / ٤ / ٢٣

الكلام على الطاعون المعاصر / ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٣٩٠

كلام على نوازل الفقه / ابن حفيد الأمين / ٣ / ٤٦

كيفية الأذان يوم الجمعة/ ابن الرومية/ ٨٧ /١

باب اللام

اللائح المعتمد عليه فى الرد على من

رفع الخبر بلا إلى سيويه/ ابن الفخار/ ٦٦ /٣

اللباس و الصحبة/ ابن الحاج/ ١٨١ /١

لذات السمع من القراءات السبع/ الزيات/ ١٤٦ /١

اللطائف الروحانية و العوارف الربانية/ الزيات/ ١٤٦ /١

لمح البهيج و نفع الأريج/ المنتشاقري/ ٣٣٣ /٤

اللمحة البدريه فى الدولة النصرية/ ابن الخطيب السلماني/ ٣٨٨ /٤

اللمع الجدلي في كيفية التحدث فى علم

العربية/ ابن منظور القيسى/ ٦٨ /٤

لهجة اللافظ و بهجة الحافظ/ الزيات/ ١٤٦ /١

اللؤلؤ و المرجان/ ابن المرحل/ ٢٣٣ /٣

اللؤلؤ و المرجان اللذان من العذب

و الأجاج يستخرجان/ ابن الحاج البليقي/ ٨٦ /٢

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٠٨

باب الميم

ما اتفق لأبى البركات فيما يشبه الكرامات/ ابن الحاج البليقي/ ٨٦ /٢

ما رأيت و ما رثى لى من المقامات/ ابن الحاج البليقي/ ٨٦ /٢

ما كثر وروده فى مجلس القضاء/ ابن الحاج البليقي/ ٨٦ /٢

المباحث البديعة فى مقتضى الأمر من

الشريعة/ عبد الحكيم بن الحسين/ ٤٢٠ /٣

مباشرة ليلة السفح/ ابن البراق/ ٣٤٢ /٢

المبدى لخطأ الرندى/ أبو محمد القرطبي/ ٣١١ /٣

مثاليت القوانين فى التورية و الاستخدام

و التضمين/ ابن الحاج/ ١٨١ /١

مثلى الطريقة فى ذم الوثيقة/ ابن الخطيب السلماني/ ٣٨٨، ٣٩٠ /٤

مجاز فتيا اللحن للاحن الممتحن/ ابن سالم/ ٢٥٦ /٤

المجتنى النضير و المقتنى الخطير/ الزيات/ ١٤٦ /١

المجلى و المحلى/ ابن حزم/ ٨٩ /٤

مجموع فى الألغاز/ ابن البراق/ ٣٤٢ /٢

مجموع فى العروض/ ابن فرقد/ ١٩٢ /١

المحبة/ ابن الخطيب السلماني/ ٣٨٨ /٤

- المحبة/ ابن خلصون / ٣ / ١٩٤
- المحتسب/ ابن جنى / ٣ / ٤١٦
- مختار شعر ابن المرحل (الجولات)/ ابن المرحل / ٣ / ٢٣٣
- مختصر الأحكام السلطانية/ ابن الفرس / ٣ / ٤١٦
- مختصر إصلاح المنطق/ ابن عياش / ٢ / ٣٣٨
- مختصر أغاني الأصبهاني/ ابن عبد ربه التجيبي / ٣ / ١٧٤
- مختصر اقتباس الأنوار للرشاطي/ محمد بن عبد الرحمن
الغساني / ٣ / ١٣٤
- المختصر البارع في قراءة نافع/ ابن جزى الكلبي / ٣ / ١٢
- مختصر الغريب المصنف/ محمد بن رضوان / ٢ / ٨٢
- مختصر كتاب الاستدكار لأبي عمر بن
عبد البر/ علي بن إبراهيم الجذامي / ٤ / ١٤٨
- مختصر كتاب الجمل لابن خاقان
الأصبهاني/ ابن القصير / ٣ / ٣٦٧
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٠٩
- مختصر كتاب النسب لأبي عبيد بن سلام/ ابن الفرس / ٣ / ٤١٦
- مختصر المحتسب لابن جنى/ ابن الفرس / ٣ / ٤١٦
- مختصر ناسخ القرآن و منسوخه لابن
شاهين/ ابن فرس / ٣ / ٤١٦
- المختلطة/ أسد بن الفرات / ١ / ٢٣١
- مدارك الحقائق في أصول الفقه/ ابن النفري / ٤ / ١٤٩
- المدخل إلى الهندسة/ أصبغ بن محمد / ١ / ٢٣٦
- المراتب الإيمانية و الإسلامية و الإحسانية/ الششتري / ٤ / ١٧٣
- مراتب العلوم و كيفية طلبها و تعلق بعضها
ببعض/ ابن حزم / ٤ / ٨٩
- المرجع بالدرك على ما أنكر وقوع
المشترك/ ابن الحاج البليقي / ٢ / ٨٦
- المرزومة/ ابن سعيد / ٤ / ١٣٠
- المرقصات و المطربات/ ابن سعيد / ٢ / ٣٤٠، ٤ / ١٣٠
- المسائل التي اختلف فيها النحويون من
أهل البصرة و الكوفة/ ابن الفرس / ٣ / ٤١٦
- المسائل الطيبة/ ابن الخطيب السلماي / ٤ / ٣٨٨
- مسألة الأهل المشترط بينهم التزاور/ القاضي عياض / ٤ / ١٩٣

- المساهلة و المسامحة في تبيين طرق
المداعبة و الممازحة/ ابن الحاج / ١ / ١٨٠
المسلسلات ابن الناظر / ١ / ٢٦٠
المستنبطه على الكتب المدونه و المختلطه/ القاضي عياض / ٤ / ١٩٣
المسلسلات و الإنشادات/ ابن سالم / ٤ / ٢٥٦
المسهب في غرائب المغرب/ الحجارى / ٣ / ٣٣٠
مشاحذ الأفكار في مآخذ النظار/ ابن ميمون / ٣ / ٦١
مشارك الأنوار على صحيح الآثار/ القاضي عياض / ٤ / ١٩٣
مشبهات اصطلاح العلوم/ ابن الحاج البلقيى / ٢ / ٨٦
المشتمل في أصول الوثائق/ ابن أبى زمنين / ٣ / ١٣٣
المشروع الروى في الزيادة على المروى/ ابن عسكر / ٢ / ١٠٤
المشرف الأصفى في المأرب الأوفى/ الزيات / ١ / ١٤٦
المشرق في حلى المشرق/ ابن سعيد / ٤ / ١٣٠
مصباح الظلم، فى الحديث/ ابن سالم / ٤ / ٢٥٥
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦١٠
مطالع أنوار التحقيق و الهداية/ القرشى / ٤ / ١٦٨
مطلع الأنوار البهية/ ابن صفوان / ١ / ٩٤
مطلع الأنوار و نزهة الأبصار فيما احتوت
عليه مألقة من الرؤساء و الأعلام
و الأخيار و تقييد من المناقب و الآثار/ ابن عسكر / ٢ / ١٠٥
مطمح الأنفس/ الفتح بن خاقان / ٤ / ٢١٠
المعاملات ثمار العدد/ أصبغ بن محمد / ١ / ٢٣٦
المعاني المبتكرة الفكرية فى ترتيب
المعالم الفقهية/ عبد الحكيم بن الحسين / ٣ / ٤٢٠
المعمدة فى الأغذية المفردة/ ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٣٩٠
المعجم فى شيوخ أبى سكرة/ القاضي عياض / ٤ / ١٩٣
المعجم فى مشيخة أبى القاسم بن حبيش/ ابن سالم / ٤ / ٢٥٦
المعجم ممن وافقت كنيته زوجه من
الصحابة/ ابن سالم / ٤ / ٢٥٦
المعشرات الحية/ الفازازى / ٣ / ٣٩٦
المعشرات الزهدية/ الفازازى / ٣ / ٣٩٦
المعشرات الغزلية و المكفرات الزهدية/ ابن ميمون / ٣ / ٦١
المعلم بزوائد البخارى على مسلم/ ابن الرومية / ١ / ٨٦

- معيار الاختيار/ ابن الخطيب السلماني / ٣٨٨ / ٤
- المغازي/ ابن حبيب السلمى / ٤٢٢ / ٣
- المغرب فى اختصار المدونة/ ابن أبى زمنين / ١٣٣ / ٣
- المغرب فى حلى المغرب/ ابن سعيد / ١٣٠ / ٤
- مغنيطاس الأفكار فيما تحتوى عليه مدينه
- الفرج من النظم و النثر و الأخيار/ الحجارى / ٣٢٨ / ٣
- مفاضله بين مالقه و سلا/ ابن الخطيب السلماني / ٣٨٨ / ٤
- مفاوضة القلب العليل و منابذة الأمل
- الطويل بطريقه أبى العلاء المعرى فى
- ملقى السبيل / ابن سالم / ٢٥٦ / ٤
- المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان/ القاضى عياض / ١٩٣ / ٤
- مقاله فى الإخوان/ ابن البراق / ٣٤٢ / ٢
- مقاله فى علم العروض الدوبيتى / التلمساني / ١٦٩ / ١
- الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦١١
- المقاليد الوجودية فى أسرار إشارات
- الصوفية/ الششتري / ١٧٣ / ٤
- مقام رسول الله صلى الله عليه و سلم/ ابن حبيب السلمى / ٤٢٢ / ٣
- المقام المخزون فى الكلام الموزون/ الزيات / ١٤٦ / ١
- مقامة السياسة/ ابن الخطيب السلماني / ٣٨٨ / ٤
- المقتطف/ ابن سعيد / ١٣٠ / ٤
- ملء العيبة/ ابن رشيد / ٣٢٣ / ٢
- ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة فى
- الوجهتين الكريمتين إلى مكة و طيبة/ ابن رشيد / ١٠٣ / ٣
- ملاذ المستعبد و عياد المستعين فى بعض
- خصائص سيد المرسلين / المنتشاقرى / ٣٣٣ / ٤
- ملاك التأويل فى متشابه اللفظ فى
- التنزيل / أحمد بن إبراهيم بن الزبير / ٧٣ / ١
- ملخص أسانيد الموطأ/ أبو محمد القرطبي / ٣١١ / ٣
- ملقى السبل فى فضل رمضان/ ابن البراق / ٣٤٢ / ٢
- الممتع فى تهذيب المقنع/ ابن الكماد / ٤٤ / ٣
- مناسك الحج/ المعمم / ١٤٦ / ٣
- منتخب الأحكام/ ابن أبى زمنين / ١٣٣ / ٣
- منظوم الدرر فى شرح كتاب المختصر/ ابن الفخار / ٦٦ / ٣

- المنهاج فى ترتيب مسائل الفقيه المشاور
 أبى عبد الله ابن الحاج/ عبد الله بن أحمد الغافقى / ٣ / ٣١٥
 منهج السداد فى شرح الإرشاد/ ابن النفزى / ٤ / ١٤٩
 منهج الضوابط المقسمة فى شرح قوانين
 المقدمة/ ابن الفخار / ٣ / ٦٦
 المنوطة على مذهب مالك/ ابن خدوج / ٣ / ٣٠٩
 المهذب فى تفسير الموطأ/ ابن أبى زمنين / ٣ / ١٣٣
 المؤتمن على أبناء أبناء الزمن/ ابن الحاج البلفيقى / ٢ / ٨٦ / ٣ / ١٤٧
 الموارد المستعذبة/ ابن الحكيم / ٤ / ١٦٨
 الموارد المستعذبة/ أبو بكر ابن الحكيم / ٢ / ٣٢٥
 مواهب العقول وحقائق المعقول/ النفزى / ١ / ١٩٤
 الموطأ لمالك/ ابن المرحل / ٣ / ٢٣٣
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦١٢
 ميدان السابقين و حلية الصادقين
 المصدقين/ ابن سالم / ٤ / ٢٥٦
 ميزان العمل/ ابن رشيق / ١ / ٢٦٧
 ميزان العمل/ ابن رشيق / ٢ / ١٧٧
 باب النون
 ناسخ القرآن و منسوخه/ ابن شاهين / ٣ / ٤١٦
 الناسخ و المنسوخ/ ابن حبيب السلمى / ٣ / ٤٢٢
 النبات/ الشفرة / ٣ / ١٣٨
 نتائج الأفكار فى إيضاح ما يتعلق بمسألة
 الأقوال من الغوامض و الأسرار/ ابن النفزى / ٤ / ١٤٩
 نتيجة الحب الصميم و زكاة المنثور
 و المنظوم/ ابن سالم / ٤ / ٢٥٦
 نتيجة وجد الجوانح فى تأيين القرين
 الصالح/ ابن جبير / ٢ / ١٤٨
 النجوم/ ابن حبيب السلمى / ٣ / ٤٢٢
 نخبة الأعلام و نزهة الأحداق فى الأدباء/ ابن خلاف / ٤ / ١٣٦
 نزهة الأبصار فى نسب الأنصار/ ابن الفراء / ٤ / ٦٢
 نزهة الأصفياء و سلوة الأولياء فى فضل
 الصلاة على خاتم الرسل و صفوة
 الأنبياء/ ابن النفزى / ٤ / ١٤٩

- نزهة الحدق فى ذكر الفرق/ ابن الحاج/ ١/ ١٨٠
- نزهة الخاطر فى مناقب عمار بن ياسر/ ابن عسكر/ ٢/ ١٠٤
- النسب/ ابن حبيب السلمى/ ٣/ ٤٢٢
- النسب/ أبو عبيد بن سلام/ ٣/ ٤١٦
- النصائح المنظومة/ ابن أبى زمين/ ٣/ ١٣٣
- نصح المقالة فى شرح الرسالة/ ابن الفخار/ ٣/ ٦٦
- نصرة الحق ورد الباغى فى مسألة الصدقة
- ببعض الأضحىة/ عبد الحكيم بن الحسين/ ٣/ ٤٢٠
- نظم البرهان على صحة جزم الأذان/ القاضى عياض/ ٤/ ١٩٣
- الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦١٣
- نظم الجمان فى التشكى من إخوان
- الزمان/ ابن جبير/ ٢/ ١٤٨
- نظم الحلّى فى أرجوزة أبى على/ ابن الفراء/ ٤/ ٦٢
- نظم الدرارى فيما تفرد به مسلم عن
- البخارى/ ابن الرومىة/ ١/ ٨٦، ٨٧
- نظم سلك الجواهر فى جئد معارف
- الصدور و الأكابر/ المعتمم/ ٣/ ١٤٦
- نظم السلوك فى الأنبياء و الخلفاء
- و الملوك/ عزوز/ ٤/ ١١
- نظم السلوك فى شيم الملوك/ الزيات/ ١/ ١٤٦
- نظم شمائل الرسول صلى الله عليه و سلم/ على بن أحمد الغسانى/ ٤/ ١٥٥
- نظم فى العروض و القوافى/ القالوسى/ ٣/ ٥٤
- نفاضة الجراب/ ابن الخطيب السلمانى/ ٢/ ١٩١
- نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب/ ابن الخطيب السلمانى/ ٤/ ٣٨٨، ٣٩٠
- النفاية بعد الكفاية/ ابن الخطيب السلمانى/ ٤/ ٣٩٠
- النفحات الرندية و اللمحات الرندية/ المنتشاقرى/ ٤/ ٣٣٣
- نفحات المسوك و عيون التبر المسبوك فى
- أشعار الخلفاء و الوزراء و الملوك/ ابن منظور القيسى/ ٢/ ١٠٢
- النفحة الأرجية فى الغزوة المرجية/ ابن خميس الأنصارى/ ٣/ ١٤١
- النفحة القدسية/ المعتمم/ ٣/ ١٤٦
- النفحة الوسيمة و المنحة الجسيمة/ الزيات/ ١/ ١٤٦
- النكت و الأمالى فى الرد على الغزالى/ محمد بن خلف/ ٣/ ١٢٧
- نكتة الأمثال و نفثة السحر الحلال/ ابن سالم/ ٤/ ٢٥٦

- نهج المسالك للتفقه فى مذهب مالك/ على بن أحمد الغسانى / ١٥٥ / ٤
- نوازل الفقه/ ابن حفيد الأمين / ٤٦ / ٣
- النور المبين فى قواعد عقائد الدين/ ابن جزى الكلبي / ١٢ / ٣
- باب الهاء
- الهندسة/ أصبغ بن محمد / ٢٣٦ / ١
- الهودج فى الكتب/ ابن الحكيم اللخمي / ١٧٧ / ٢
- الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦١٤
- باب الواو واسطة السلوك فى سياسة الملوك/ موسى بن يوسف (أبو جمو) / ٢١٦ / ٣
- الواضحة/ ابن حبيب السلمى / ٤٢٢ / ٣
- الواضحة/ ابن المرحل / ٢٣٣ / ٣
- الوافى فى علم القوافى / صالح بن يزيد / ٢٧٦ / ٣
- الوجيز فى التفسير/ عبد الحق بن غالب / ٤١٢ / ٣
- الورع فى المال/ ابن حبيب السلمى / ٤٢٢ / ٣
- الوزارة/ ابن الخطيب السلمانى / ٣٨٨ / ٤
- الوسائل و نزهة المناظر و الحمامات/ ابن الحاج / ١ / ١٨٠
- الوسيلة إلى إصابة المعنى فى أسماء الله الحسنى/ على بن أحمد الغسانى / ١٥٥ / ٤
- الوسيلة فى الأسماء الحسنى/ على بن أحمد الغسانى / ١٣٨ / ٤
- الوسيلة الكبرى المرجو نفعها فى الدنيا و الأخرى/ ابن المرحل / ٢٣٣ / ٣
- وسيلة المسلم فى تهذيب صحيح مسلم/ ابن جزى الكلبي / ١١ / ٣
- الوشاح المفضل/ ابن المواعينى / ٢ / ٢٢٤
- الوصايا النظامية فى القوافى الثلاثية/ الزيات / ١ / ١٤٦
- وصف السلوك إلى ملك الملوك/ ابن خلصون / ٣ / ١٩٤
- الوصول لحفظ الصحة فى الفصول/ ابن الخطيب السلمانى / ٤ / ٣٨٨
- باب الباء اليوسفى فى الطب/ ابن الخطيب السلمانى / ٤ / ٣٨٨، ٣٩٠
- الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦١٥

فهرس الأماكن و البقاع

باب الألف آقله (قرية): ٣٣ / ١.

إبتايلس (قرية): ٣٥ / ١.

أبده: ٧٣، ٤٦ / ٢.

أبده: ١٩٣ / ١ ابن ناطح (قرية): ٣٣ / ١.

أججر (قرية): ٣٢ / ١.

أحجر (قرية): ٣٣ / ١.

أحواز طنجة: ٣ / ٢٥٥ أحواز الغبطة: ٢ / ٢٦٢.

أربل (قرية): ١ / ٣٥.

أرجدونة: ٢ / ٢٦، ٣ / ٣٤٩، ٤ / ٣٣٤.

أرجونة: ٢ / ٥١.

الأرش (مدينة): ١ / ٦٣.

أرنالش (قرية): ١ / ٣٥.

أركش: ٣ / ٦٤.

أرملة (قرية): ٤ / ٤٨.

أرملة الصغرى (قرية): ١ / ٣٢.

أرملة الكبرى (قرية): ١ / ٣٢.

أرينتيرة (قرية): ٤ / ١٣٨.

إستبة: ٢ / ٣٧٦.

إستبونة - إشتبونة.

إستجة: ١ / ١٨، ٢ / ٢٠٧، ٤ / ٢٧.

إسطبونة: ٣ / ٥٣.

الإسكندرية: ٢ / ١٣٩، ١٤٧، ١٥٢، ٣ / ١٧٣.

أشبونة: ٤ / ٢٨.

إشيلية: ١ / ١٥، ٨٨، ٢٣٠، ٢٥٤، ٢٦٢، ٣٠٦، ٢ / ٦١، ٧٣، ٧٥، ٧٧، ٨١، ١٠١، ١٤٤، ١٥٣، ٣ / ٦٣، ١٥٧، ٣٧٧، ٤٠٢، ٤ / ٩٥، ١٢٩.

إشيلية: ٤ / ١٣٩.

أشتبونة: ٢ / ١٠، ٨٤.

أشتر (قرية): ١ / ٣٣.

أشقطر (قرية): ١ / ٣٤، ٤ / ٣٠٩.

أشكر (قرية): ١ / ٣٢.

أشكن (قرية): ١ / ٣٥.

أصبهان: ٢ / ١٤٧.

أطرية: ٢ / ٤٥.

أغمات: ٢ / ٦٩.

إفراغة: ١ / ٢٢، ٢ / ٧٠.

إفريقية: ١ / ٢٠، ١٥٩، ٢٣٨، ٢٩٤، ٢٩٦، ٣٠٥، ٣٣١، ٣ / ١٤، ٣٧٨، ٤٠٩، ٤ / ٩٩، ٢٠١.

إلبيرة: ١ / ١٣، ١٤، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٢، ١٦٥، ٢٢٩، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢ / ٦٠، ٨٤، ١٨٩، ٣ / ١٣٥، ٢٣٠، ٣٥٤، ٣٥٧، ٤٤٠، ٤ / ٢٦، ٤٤، ٨٥، ١٩٩.

٢٧٩.

إلبيرة (قرية): ١ / ٣٤.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦١٦

ألفنت (قرية): ٣٤ / ١.

المرية: ١ / ١٥، ٦٠، ٦٨، ٧١، ٨٠، ١٠٨، ٢٥٩، ٢٦٨، ٢٩٧، ٢ / ٨٣، ٨٤، ٩٦، ٢٢٦، ٢٢٣، ٢٤٦، ٢٦٢، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٤٥.

المرية: ٣ / ٤٤، ٦٨، ١٤١، ١٤٢، ١٤٨، ١٥٨، ١٦٦، ١٧٠، ١٧٦، ٢٩٩، ٣٣٣، ٣٦٢، ٤ / ٦٤، ٢٢٢، ٢٢٤.

أنتيانة (قرية): ٣٤ / ١.

الأنجرون: ٣ / ٤٣٩.

أندرش: ١ / ٥٢، ٣ / ١٥٨.

الأندلس (وردت في معظم صفحات الكتاب).

أندة: ١ / ٢٨٧.

أنطاكية: ١ / ١٥.

أنطس (قرية): ١ / ٣٣.

أنقر (قرية): ١ / ٣٣.

باب الباء باب إستجئة: ١ / ٢٥٤.

باب إشييلية: ٢ / ٦٢.

باب إلبيرة: ١ / ٢١، ٢٤٦، ٢٨٥، ٤١٨، ٣ / ١٩، ٤ / ١٢٣.

باب بجاية: ١ / ٨٠.

باب البنود: ٢ / ٤١. الإحاطة في أخبار غرناطة؛ ج ٤؛ ص ٦١٦

ب السادة (بمراكش): ٤ / ١٤٢.

باب السمارين: ٢ / ١٠.

باب عبد الجبار: ٢ / ٢٨٨.

باب الفخارين: ١ / ٧٦.

باب الفرج: ١ / ١٨٢، ٢ / ٦٣.

باب قبالة: ١ / ٥٧.

باب يعقوب: ١ / ٢٠٨.

باجة: ٢ / ٦٨، ١٥٣.

بادس: ٣ / ١٠١. بادي (قرية): ١ / ٢٧٥.

باغة (مدينة): ١ / ٢٩١، ٣ / ٤٠٣.

باغوة (مدينة): ١ / ٣٠٨.

بجانة: ٢ / ٩٦.

بجاية: ١ / ٦٣، ٨٠، ١٦٣، ٢ / ٨٤، ١٢٤، ٢٤٢، ٣ / ٤٩، ٤١٩، ٤٢٠.

بحر الزقاق: ٣ / ١٠٠.

بحر الشام: ١ / ١٥.

البحر المحيط الغربي: ١ / ١٥.

براجلة ابن خريز (إقليم): ١ / ٥٦.

- بريل (قرية): ٣٥ / ١.
- برج هلال (قرية): ٣٤ / ١.
- برجلوننة - برشلوننة.
- برجة: ١ / ٥٢، ٥٩، ٢٨٥، ٢ / ١٤، ٢٢٩.
- برجيلة قيس: ٢٦ / ٤.
- برذنان (قرية): ٣٣ / ١.
- برسانة برياط (قرية): ٣٤ / ١.
- برشانة: ١ / ٢٢، ٢ / ٨٢، ٣٤١.
- برشلوننة: ٢ / ١٥، ٥٩، ٧١، ٣ / ١٤٨، ٤ / ٢٩٠.
- برقلش (قرية): ٣٤ / ١.
- برقة: ١٨٩ / ٢.
- البساط (إقليم): ١ / ٢٣١.
- بسطة: ١ / ٢٢، ٨٠، ٢٥٩، ٢ / ٧٣، ٨٠، ٣ / ٤٤، ٣١٦، ٤ / ٨١، ١٨٨.
- البشارات: ٣ / ٤١١.
- البشارة: ٣ / ١٢٩.
- بشارة بنى حسان: ٣ / ١٢٩.
- بشتر: ٢٧ / ٤.
- بشر (قرية): ٣٥ / ١.
- بشر عيون: ٣١ / ١.
- بشرة غرناطة: ٣ / ١٣٩.
- بطليوس: ٣ / ١٧٢، ٤ / ٢٨.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦١٧
- بغداد: ٢ / ١٤٧.
- بلاد العدو: ١ / ١٥.
- بلاد القبلة: ٢ / ٥٩.
- بلاد يأجوج و مأجوج: ١ / ١٤.
- البلاط (إقليم): ١ / ٣٣، ٤ / ٢٢٥.
- بلاى: ١ / ٢٣.
- بلش: ١ / ٢٤، ١٤٥، ١٥٠، ٣ / ٤٣، ٤٧، ٦٠، ٦٨، ١٨١، ٣٢٠، ٣٢٨، ٤ / ٦٩، ٣٦٠.
- بلفيق: ٢ / ٨٣.
- بلنسية: ١ / ٢٢، ٦٦، ٦٨، ١٠٤، ٢٢٣، ٢٥٨، ٣١٢، ٢ / ٧٣، ١٥٢، ٣ / ٢٢٠، ٤ / ٢١٧.
- البلوط (قرية): ١ / ٣٤.
- بلومال (قرية): ١ / ٣٤.

- بليانة (قرية): ٣٤ / ١.
- بنوط (قرية): ٣٥ / ١.
- البنية (مدينة): ٤٩ / ٢.
- بونة: ٢٠١ / ٤، ١٥ / ٣.
- بياسة: ١٨٧ / ٤، ٣٠٨، ١٧٥ / ٣، ٧٣ / ٢.
- بيش (قرية): ٣٢ / ١.
- بيت المقدس: ١٤٧، ١٢٥ / ٢.
- بيرة- البيرة.
- بيرة (قرية): ٣٣ / ١.
- بيش: ٢٣ / ١.
- بيش (قرية): ٣٥ / ١.
- بين القصرين: ٢٩ / ٣.
- البيبول: ٨٤ / ٢.
- باب التاء تاجرة الجمل (إقليم): ٤٠٠ / ٣.
- تازا- تيزى.
- تازى: ١٩٦ / ١.
- تاكرونا: ٢٥ / ٤، ٥١ / ٢.
- تاجر (قرية): ٣٣ / ١.
- تطيلة: ٣٥٧ / ٤.
- تلمسان: ٢٨٧، ٤٠ / ٤، ٤١١، ٣٥٢، ٢٥٦، ٧٥، ٥٢ / ٣، ٢٩٩، ١٤٣، ١٣٧، ١١٦، ٥٤، ٢٠، ٨ / ٢، ٣٣١، ٣٢١، ٣١٢، ٣٠٥، ١٦٣ / ١.
- تلمسان: ٣١٨، ٣١٤ / ٤.
- تنبكتو: ١٧٧ / ١.
- تونس: ٣٩٥، ٣٧٧، ٢٥٦، ٢٠٥، ١٢٤، ٥٧ / ٣، ٤١٨، ٤١٢، ١٢٥، ٥٤، ٢٠، ٨ / ٢، ٣٢١، ٣١٢، ١٦٧، ١٦٣، ١٥٩، ١٣٨، ٦٦، ٦٣، ١٩ / ١.
- ٤٠٩، ١٢٩ / ٤.
- تونس: ٤٨٩، ٢٨٩، ١٣٥ / ٤.
- تيزى: ٢٥٥، ١٠٢ / ٣.
- تينملل: ٤١٩ / ٣.
- باب الجيم جامع باب الفخارين: ٤٨ / ٣.
- جامع الربض: ٥٥ / ٣.
- جامع غرناطة: ٤٨ / ٣.
- جبال تاغسى: ٢٢٠ / ٤.
- جبانة باب البيرة: ١٤٤ / ١.
- جبانة باب الفخارين: ٧٦ / ١.

- جبانة جبل فاره: ١٨٣ / ٣.
- جبانة الشيوخ (بمراكش) ٣ / ٣٣٦، ١٤٢ / ٤.
- جبل أبي خالد: ١ / ٢٢٩.
- جبل الثلج - جبل شلير.
- جبل درن: ١٨٣ / ٤.
- جبل شلير: ١ / ١٦، ٣ / ٣٢٤.
- جبل طارق - جبل الفتح.
- جبل فاره: ١ / ٢٨٩، ٣ / ١٨٣.
- جبل الفتح: ١ / ٧١، ٨٩، ٣٠٨، ٢ / ٩، ٣ / ١١٦.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦١٨
- جبل الفخار: ١ / ٢٩.
- جرف مقبل: ١ / ٢٦.
- جرليانة (قرية): ١ / ٣٣.
- الجزائر (مدينة): ٣ / ٤٠٨.
- الجزيرة الخضراء: ١ / ٣٣٠، ٢ / ٤٨، ٥٧، ٣ / ٦٨، ١٤٠، ٤ / ٣١٢، ٣٤٤.
- جزيرة شقر: ١ / ٦٦، ١٠٤، ٢ / ٢٢٨.
- جزيرة طريف: ١ / ١٩٧.
- جنه ابن عمران: ١ / ٢٦.
- جنه ابن كامل: ١ / ٢٦.
- جنه ابن المؤذن: ١ / ٢٦.
- جنه الجرف: ١ / ٢٦.
- جنه الحفرة: ١ / ٢٦.
- جنه العرض: ١ / ٢٦.
- جنه العريف: ١ / ٢٦، ٢ / ١١.
- جنه فدان عصام: ١ / ٢٦.
- جنه فدان الميسه: ١ / ٢٦.
- جنه قدام بن سحنون: ١ / ٢٦.
- جنه المعروري: ١ / ٢٦.
- جنه نافع: ١ / ٢٦.
- جنه النخله السفلى: ١ / ٢٦.
- جنه النخله العليا: ١ / ٢٦.
- جيان: ١ / ١٩، ٧٥، ٧٦، ١٩٦، ٢ / ٤٦، ٥١، ٧٣، ٢٦٩.
- جيجانه (قرية): ١ / ٣٣.

- باب الحاء حارة البحر: ١ / ٦٠.
- حارة الجامع: ١ / ٣٣.
- حارة عمروس (قرية): ١ / ٣٣.
- حارة الفراق: ١ / ٣٣.
- الحبشان (قرية): ١ / ٣٣.
- الحجاز: ٢ / ٣١١.
- حزان: ٢ / ١٤٨.
- حش أبى على: ١ / ٣١.
- حش البكر: ١ / ٣٣.
- حش البلوطه (قرية): ١ / ٣٤.
- حش بنى الرسيليه (قرية): ١ / ٣٤.
- حش البومل (قرية): ١ / ٣٤.
- حش خليفه (قرية): ١ / ٣٤.
- حش الدجاج (قرية): ١ / ٣٤.
- حش رقيب (قرية): ١ / ٣٤.
- حش الرواس (قرية): ١ / ٣٤.
- حش زنجيل: ١ / ٣٣.
- حش السلسله (قرية): ١ / ٣٤.
- حش الصحاب: ١ / ٣١.
- حش على (قرية): ١ / ٣٤.
- حش قصيره (قرية): ١ / ٣٤.
- حش الكوبانى (قرية): ١ / ٣٤.
- حش مرزوق (قرية): ١ / ٣٤.
- حش المعيشه (قرية): ١ / ٣٤.
- حش نوح (قرية): ١ / ٣٤.
- حصن أركش: ٣ / ٦٧.
- حصن أريول: ٣ / ٢٦١.
- حصن أشر: ٢ / ٤٥.
- حصن ألبنت: ٤ / ٢٧٧.
- حصن أندة: ١ / ٢٨٧.
- حصن أوطه: ٤ / ٢٥.
- حصن بجيج: ١ / ٢٠٧.
- حصن برشانه: ٢ / ٣٣٧.

- حصن بيش: ٣٢ / ١.
- حصن تشكر: ٢٠٧ / ١.
- حصن خريز: ٣١ / ١.
- حصن روط: ٢٠٨ / ١.
- حصن سنيانة: ٣٢ / ١.
- حصن شتمانس: ٢٠٧ / ١.
- حصن شلب: ١٥٣ / ٢.
- حصن طلياطة: ٥٧ / ٤.
- الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦١٩
- حصن غافق: ٣١٤ / ٣.
- حصن قشتالة: ٣٠٨ / ١.
- حصن قشرة: ٣٠٨ / ١.
- حصن قمارش: ١٣٩ / ٣.
- حصن المدور: ٢٩١ / ١.
- حصن مطرنيش: ٣١٨ / ٤.
- حصن ملتماس: ٦٨ / ٤.
- حصن متشافر: ٢٦ / ٤.
- حصن متفريد: ٢٩٤ / ٣.
- حصن متماسن: ٦٠ / ١.
- حصن منت ميور: ١٠٣ / ١.
- حصن متليل: ٤٦ / ٢.
- حصن ناجرة: ٣١ / ١.
- حصن النجش: ٢٧٤ / ١.
- حصن واط: ٣٢٠ / ٣، ٣٢ / ١.
- حصن الورد: ١٠٣ / ١.
- حصن ولبة: ١٠ / ٣.
- حصن يسر: ٥٥ / ٣.
- حصن البراجلة: ١٠ / ٣.
- حمام أبى العاصى (بغرناطة): ٢٧١ / ١.
- حمراء غرناطة: ٣١٨، ١٨٢ / ١.
- حمص: ٦١ / ٢.
- الحممة: ٦٧ / ٣، ٥٩ / ١.
- حممة بجانة: ٩٦ / ٢.

- الحورة (قرية): ٣٤ / ١.
- حوز الساعدين: ٣٢ / ١.
- حوز وتر: ٣٢ / ١.
- باب الخاء خراسان: ١٤ / ١.
- الخندق العميق (المشايع): ٢٨ / ١.
- باب الدال دار ابن جزى: ٣١ / ١.
- دار أم مرضى: ٣١ / ١.
- الدار البيضاء: ٣١ / ١.
- دار الحديث الأشرفية: ١٠٣ / ٣.
- دار خلف: ٣١ / ١.
- دار السنينات: ٣١ / ١.
- دار العطشى: ٣١ / ١.
- دار الغازى (قرية): ٣٤ / ١.
- دار نبلة و وثر: ٣١ / ١.
- دار هذيل: ٣١ / ١.
- دار وهدان (قرية): ٣٣ / ١.
- دانية: ١٢٧ / ١، ٢٥٧، ٢ / ٧٣، ٤ / ٨٥، ١٥٥.
- دجمة (قرية): ٢٣ / ١.
- ددشطر (قرية): ٣٥ / ١.
- درب أبى العاصى (بغرناطة): ٢٧١ / ١.
- درب الفرعونى: ٢٨٨ / ٢.
- دلایة: ٨٤ / ٢.
- دمشق: ٣١١ / ٢، ٣ / ١٠٣، ٤٠٠.
- دمياط: ١٨٣ / ٤.
- دور (قرية): ٣٥ / ١.
- الدوير (قرية): ٣٤ / ١.
- دويرتايش (قرية): ٣٣ / ١.
- الديموس الصغرى (قرية): ٣٤ / ١.
- الديموس الكبرى (قرية): ٣٤ / ١.
- باب الذال ذرذر (قرية): ٣٥ / ١.
- ذكر (قرية): ٢٤ / ١.
- باب الرء رابعة بنى عمار: ٥٧ / ١.
- ربض البيازين: ٢٥٦ / ١، ٢ / ١٩٦.

- رحبة أبان: ٢ / ٢٨٨.
- رغون: ١ / ٣٠٥، ٣١٢، ٣٢١، ٣٣٢، ٢ / ٢٤، ٥٤.
- رقاق (قرية): ١ / ٣٢.
- الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٢٠.
- رق المخيض (قرية): ١ / ٣٤.
- الرقعة: ١ / ١٥.
- رقوطة: ٤ / ٢٠.
- الركن (قرية): ١ / ٣٤.
- رمداى: ١ / ٢٧٣.
- رندة: ١ / ٣٠٦، ٢ / ١٥٣، ١٨١، ٣١١، ٣٣٠، ٣ / ٤٩، ٢٧٥، ٣٥٩، ٤ / ٢٥، ٨٤، ٣٢٢.
- روضه بنى يحيى: ١ / ٥٧.
- روط: ١ / ٢٠٨.
- روطة: ١ / ٢١٩، ٣ / ١٩٤، ٣٢٩.
- رومة (قرية): ١ / ٣١.
- ريه (كورة): ٣ / ٣٤٩، ٤ / ٢٥.
- باب الزاى الزاوية (قرية): ١ / ٣٥.
- زقاق الشترى: ٤ / ١٧٢.
- زناة: ١ / ٢٥٨.
- زنيته (قرية): ٤ / ٢٠١.
- باب السين ساقية القليعى: ١ / ٤٥.
- سبته: ١ / ٦٣، ٦٨، ٢٢٧، ٢ / ٨٧، ٩٢، ١١٢، ١٤٤، ١٤٥، ١٥٣، ٢٩٥، ٣ / ٣، ١٧، ٥٥، ٦٨، ١٠١، ١٤١، ٢٣١، ٢٩٣، ٤٠٠، ٤ / ٤، ١٦٠، ١٨٨، ٢١٧.
- سبته: ٤ / ٢٢٤.
- السيكة: ١ / ١٨٣، ٢ / ٥٦.
- سبح (قرية): ١ / ٣٥.
- سجلماسة: ١ / ٢١٩، ٢٢٢، ٢ / ٢٦١، ٣ / ٤٠٦، ٤ / ١٩٤، ٣١٣.
- سردانية: ١ / ١٥.
- سرقسطة: ١ / ٦٨، ١٥١، ١٥٢، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢ / ٣٧٠، ٣ / ٥١، ٤ / ١٣٥.
- سرقوسة: ١ / ٢٣١.
- سعدى (قرية): ١ / ٣٥.
- سقرسطونة: ٢ / ٥١.
- السكة: ١ / ٢٣.
- سكون (قرية): ٢ / ١٨٦.

- سلا (مدينة): ٧١ / ١ ، ٣١٢ / ٤.
- سنبودة (قرية): ٣٣ / ١.
- سنتشر (قرية): ٣٣ / ١.
- سند (قرية): ١٣٨ / ٤.
- سنيانة (قرية): ٣٢ / ١.
- السودان: ١٧٧ / ١.
- سويده (قرية): ٣٤ / ١.
- السيجة (قرية): ٣٣ / ١.
- باب الشين شابش: ١٣٦ / ٤.
- شاطبة: ١٨٧ / ٤ ، ٧٣ / ٢ ، ١٥ / ١.
- شالش: ٤٢٠ / ٣.
- شالة: ٣٨٤ / ٤.
- الشام: ١٨٣ / ٤ ، ١٢٥ ، ٤١ / ٢ ، ١٤ / ١.
- شمانس (قرية): ٣٥ / ١.
- شدونة: ١٤٦ / ٢.
- شريش: ٦٥ ، ٤٦ / ٣.
- ششتر: ١٧٢ / ٤.
- شقورة: ١٣٦ / ٣ ، ٢٦٩ / ٢.
- الشكروجة (قرية): ٣٤ / ١.
- شكنب (قرية): ٤٠٠ / ٣.
- شلار: ٢٣٠ / ١.
- الشلان (قرية): ٣٤ / ١.
- شلب: ٣٢٩ / ٣ ، ٢٨٨ / ٢.
- الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٢١
- شلوبانية: ٤٠٩ / ٣.
- شترين: ٣٠٨ ، ٢٨ / ٤ ، ٣٣٣ / ٣.
- شنتلية: ٣٤٩ / ٣.
- شتمرية: ٢٣١ / ٣.
- شوذر (قرية): ٣٣ / ١.
- الشوش (قرية): ٣٣ / ١.
- شون (قرية): ١٦٥ ، ٣٤ / ١.
- شيجه: ٢٣ / ١.
- باب الصاد صخرة الوادى (قرية): ٢٠٨ / ٤.

- الصخور: ٧٤ / ٢.
- الصيرمورثة: ٢٣١ / ١.
- باب الضاد ضوجر (قرية): ٣٤ / ١.
- باب الطاء طرجيلة (قرية): ٢٥ / ٤.
- طوش: ١٣٩ / ٣.
- طرطوشة: ١٥ / ١، ١٢٧، ٢٦٨، ٤ / ١٥٦، ١٩٤.
- الطرف (قرية): ٣٤ / ١.
- طريف: ١٠٩ / ٢، ١٣ / ٣، ٤٦، ٢٩٨، ٤ / ٢٨٩، ٢٩٠.
- طشانة (إقليم): ٦١ / ٢.
- طغئر (قرية): ٣٤ / ١، ٥٦، ١٨٢ / ٢.
- طلبيرة: ٤٥ / ٤.
- طلياطة (حصن): ٥٧ / ٤.
- طليطة: ١٨ / ١، ١٩، ٦٢ / ٢، ٧٧، ٣ / ١٥٧، ٢٩٤، ٧٩ / ٤.
- طنجة: ٢٠٦ / ٣.
- طوق الحضرة: ٤٥ / ١.
- طيلاطة: ٣٠٦ / ١.
- الطينة (قرية): ١٨٣ / ٤.
- باب العين عرتقة (قرية): ٣٣ / ١.
- العريش: ٦١ / ٢.
- العناب: ١٦١ / ١.
- العيان (قرية): ٣٤ / ١.
- عين الأبراج: ٣١ / ١.
- عين الحورة (قرية): ٣٤ / ١.
- عين الدمع: ٢٩ / ١.
- باب الغين الغبطة: ٢٦٢ / ٢.
- غدير الصغرى: ٣٣ / ١.
- غدير الكبرى: ٣٣ / ١.
- غوليانة (قرية): ٣٣ / ١.
- غرناطة (وردت فى معظم صفحات الكتاب).
- غرناطة (قرية): ٣٣ / ١.
- الغروم (قرية): ٣٣ / ١.
- غسان (قرية): ٣٣ / ١.
- غلجر (قرية): ٣٥ / ١.

الغضون (قرية): ١ / ٣٢، ٣٤.

باب الفاء فاس: ١ / ٧١، ١٣٤، ١٩٧، ٣٠٥، ٣١١، ٣٢٠، ٥٩ / ٢، ٥٩، ٨١، ٨٢، ٨٤، ١١٤، ١١٦، ١٢٤، ١٣٩، ١٤٤، ١٤٤، ١٦٤، ١٧١، ١٨٥، ٣٧١، ٨ / ٣، ٥١، ٥٢، ٤٨، ٩٨، ١٠٨.

فاس: ٣ / ١١٨، ٢٣١، ٣٨٦، ٤ / ١٨، ٤٧، ٩٩، ١٦٢، ٢٨٢.

فتن (قرية): ١ / ٣٥.

فحص البلوط: ٤ / ٢٨.

فحص الرنيسول: ١ / ٢٣.

الفخار (قرية): ١ / ٣٥.

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٢٢

فدان عصام: ١ / ٢٦.

فدان الميسة: ١ / ٢٦.

فرتش: ٤ / ٣٦٠.

فرتونة: ٤ / ٤٠.

الفرج (مدينة): ٣ / ٣٢٨.

فرغليط: ٢ / ٢٦٩.

فرقد: ٣ / ٣٦٦.

فتيلان (قرية): ١ / ٣٣.

فنيانة: ٢ / ٨٤.

باب القاف قابس: ١ / ٦٣.

القاهرة: ٣ / ٢٨، ٣٠، ٤٤٨، ٤ / ١٣١.

قبالة (قرية): ١ / ٣٤.

قبرة: ١ / ٢٣، ٣٠٨.

قرباسة (قرية): ١ / ٣٥.

قربسانة (قرية): ١ / ٣٤، ٤ / ٢٢٥.

قربليان: ٣ / ١٣٧.

قرطاجنة: ١ / ١٩١.

قرطبة: ١ / ٨٣، ٢٦٠، ٣٠٨، ٢ / ٧٣، ٧٧، ٢٦٩، ٢٨٧، ٢٨٨، ٣٤٧، ٣٧٠، ٣ / ٢٩٤، ٣١٨، ٣٥٨.

قرمونة: ٢ / ٧٣.

قريش (قرية): ١ / ٣٥.

قرية ابن ناطح: ١ / ٣٣.

قرية البلوط: ١ / ٣٤.

قرية الخزرج: ٢ / ٥١.

قرية الفخار: ١ / ٣٥.

- قرية قريش: ٣٥ / ١.
- قرية النبيل: ٣٥ / ١.
- قسطيلية: ١٣ / ١.
- قسلة (قرية): ٣ / ٤١٢.
- قسطنانية: ٢٠١ / ٤.
- قشالة: ١ / ١٥٢، ٢٩٠، ٢٩١، ٣٠٥، ٣٢١، ٣٣١، ٢ / ٩، ٢١، ٥٤، ٤١، ٧٢، ٣ / ٢٥٨، ٤ / ٢٨٩.
- قشالة (قرية): ١ / ٣٢، ١٥٢.
- القصر (قرية): ١ / ٢٢، ٣٥.
- قصر كتامة: ٣ / ٢٨٨.
- قصر نجد: ٤ / ١٧.
- القصيبة (قرية): ١ / ٣٣.
- قفصة: ٢ / ٣٣٤.
- ققلولش (قرية): ١ / ٣٥.
- قلتيش (قرية): ١ / ٣٤.
- قلجار (قرية): ١ / ٣٢.
- القلصادة: ١ / ٢٨٩.
- قلعة أيوب: ٣ / ٣٠٩.
- قلعة بنى سعيد- قلعة يحصب.
- القلعة الملكية- قلعة يحصب.
- قلعة يحصب: ١ / ٢٣، ٢٧٢، ٣ / ١٦٣، ٣٤٧، ٤٤٠، ٤ / ١٨، ١٢٩، ٢٠٨.
- قلجاج (قرية): ١ / ٣٥.
- قلمرية: ٤ / ٤٥.
- قنبيرة (قرية): ١ / ٣٥.
- قنقر (قرية): ١ / ٣٥.
- قمارش: ٣ / ١٣٨.
- القصور (قرية): ١ / ٣٣.
- القنار (قرية): ١ / ٣٥.
- قنالش (قرية): ١ / ٣٥، ٢ / ٨٤.
- قنب قيس: ١ / ٣٣، ٣ / ١٣٥.
- قنتر (قرية): ١ / ٣٥.
- قنتورية: ١ / ٢٨٦.
- قنجة: ٣ / ١٧٧، ١٧٨.
- قنطرة القاضي (بغرناطة): ٤ / ٦٣.

- قورت (قرية): ٣ / ٤٢٠.
- قولجر (قرية): ١ / ٣٣.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٢٣
- قولر (قرية): ١ / ٣٣.
- قيجاطة: ١ / ٣٢٩، ٢ / ٣٢٥، ٣ / ١٧٦.
- القيروان: ١ / ٢٢٩، ٢٣١، ٢٩٦، ٣ / ٣٥٦، ٤ / ٣٠٢.
- باب الكاف الكدية (قرية): ١ / ٣٤.
- كدية ابن سعد: ١ / ٢٩.
- الكدية المبصلة: ١ / ٢٩.
- كورة (قرية): ١ / ٣٥.
- باب اللام لاقش (قرية): ١ / ٣٤.
- لبلة: ٣ / ٦٣.
- لدويانة: ١ / ٢٣.
- لسانة (قرية): ١ / ٣٢.
- اللسانة: ١ / ٢٣.
- لص (قرية): ١ / ٣٥.
- اللقوق: ١ / ٢٤.
- لورقة: ١ / ٢٩١، ٣ / ٤١٤.
- لوشة: ١ / ٢٢٩، ٢ / ١٧٤، ٣ / ٢٢٩، ١٥٨، ١٩٤، ٢٩٣، ٤٠٠، ٤٠٣، ٤ / ٣٧٤.
- باب الميم ماس (قرية): ١ / ٣٤.
- مالقة: ١ / ١٥، ١٨، ٥٧، ٥٩، ٦٦، ٧٤، ٧٧، ٩٣، ١٠١، ١٠٣، ١٦٨، ١٦٩، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٤، ٣١٣، ٢ / ٨٠، ٨٤، ١٠١، ١٠٣، ١١١، ٢٠٧، ٢٢٦، ٢٥٢.
- مالقة: ٢ / ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٧، ٣٦٦، ٣ / ٤٥، ٤٧، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ٦٤، ٦٧، ٦٨، ٩٨، ١٣، ١٤٥، ١٤٧، ١٥٨، ١٧٢، ١٧٩، ١٨١، ١٨٢، ١٨٧، ٢٩١، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٤٧.
- مالقة: ٣ / ٤٢٥، ٤ / ٦٧، ١٤٧، ١٥١، ١٥٤، ١٦٠، ١٦٤، ٢٢١، ٢٧٧، ٣٢١.
- مجلقر: ٣ / ٢٢.
- مدرج السبيكة: ١ / ٢٦.
- مدرج نجد: ١ / ٢٦.
- مدينة سالم: ٢ / ٦١.
- مدينة الفرج: ٣ / ٢٣١.
- المدينة المنورة: ٢ / ١٤٩، ٣١١.
- مراكش: ١ / ٢٥، ٦٣، ٦٩، ٧٠، ٧١، ١٢٧، ١٤٣، ١٧١، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٥٢، ٢٨٠، ٢ / ٥٤، ٧٥، ٢٢٤، ٢٤٦، ٣٣٦.
- مراكش: ٢ / ٣٤١، ٣٦٧، ٣٧٥، ٣ / ٦٢، ١٥٣، ١٦٢، ٢٧٤، ٣٦٠، ٣٦٦، ٣٩٩، ٤١٩، ٤ / ٥٦، ١٤٢، ١٦٠، ٢١٢، ٣٠٦، ٣٦٣.

- مريلة: ٨٤ / ٢.
- مرتش: ٢١٠، ٢٠٩ / ١.
- مرسانة: ٢٣ / ١.
- مرسانة (قرية): ٣٤ / ١.
- مرسية: ٣١٦، ٢٦٦، ٢٦١، ٥٥، ٥١، ٤٩، ٤٤ / ٣، ٢٣٣، ٧٤، ٧٣ / ٢، ٢٩٧، ٢٩١، ٢٢١، ١٦٨، ٢٢، ١٥ / ١.
- مربيط (قرية): ٣٥ / ١.
- مسجد ابن عزرة: ٤٨ / ٣.
- مسجد أبي العاصي (بغرناطة): ٢٧١ / ١.
- مسجد البيازين: ١٤ / ٣.
- المسجد الجامع (بالحمراء): ٣١٨ / ١.
- مسجد الضيافة (بقرطبة): ٤٢٣ / ٣.
- المشايع (الخدق العميق): ٢٨ / ١.
- المشيخة: ٣١ / ٤.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٢٤.
- مصر: ٤١٨، ١٨٩، ١٤٧، ٦١ / ٢، ٢٢٩ / ١.
- المعروى: ٢٦ / ١.
- المغرب: ٣١١، ٥٧، ١٩، ٦ / ٢، ٣٣٠، ٣٠٥، ٢٦٢، ٢٤٦، ٢٣٧ / ١، ٣٧٨، ٢٨٨، ٢٥٥ / ٣، ٣ / ٤.
- المغرب الأقصى: ٢٤٦ / ١.
- مقبرة إلبيرة: ٣٠٦ / ٣، ٥٩ / ١.
- مقبرة أم سلمة: ٤٢٣ / ٣.
- مقبرة ربض البيازين: ٢١٦ / ٤.
- مقبرة العسال: ٣٥٣ / ٣.
- مقبرة الغرباء: ١٤٢ / ١.
- المقرمدة: ٨٢ / ٢.
- مكناسة: ٦٨ / ٣، ١٥٥ / ١.
- مكناسة الجوف: ٢٨ / ٤.
- مكناسة الزيتون: ٦٣ / ١.
- مكة المكرمة: ٢٥ / ٤، ١٤٧، ١٢٥ / ٢.
- الملاحه (قرية): ١٣٥ / ٣، ٣٣ / ١.
- ملتماس: ١٥١ / ٤، ٤٦ / ٣.
- مليانة: ٦٣ / ١.
- منتفيد: ١٦٢ / ٤، ٢٩٤ / ٣.
- منشتال (قرية): ٣٥ / ١.

- المنصورة: ٢٢ / ١.
- المنظر (مدينة): ٣١٨ / ١.
- منية السيد: ٣١٣ / ١.
- المهدية: ١٦٠ / ١.
- ميورقة: ١٥ / ١.
- باب النون ناجرة (قرية): ٣١ / ١.
- الناعورة (بقرطبة): ٢٦٠ / ١.
- تبارة: ٢٢ / ٢.
- نبالة (قرية): ٣٤ / ١.
- نبلة و وتر: ٣١ / ١.
- النييل (قرية): ٣٥ / ١.
- النجش - حصن النجش.
- نفجر (قرية): ٣٣ / ١.
- نفجر و غرنطلة (قرية): ٣٣ / ١.
- النهر الأعظم (ياشيبيلية): ٦١ / ٢.
- نهر الغنداق: ٢٢٩ / ٢.
- باب الهاء همدان (قرية): ٤٧، ٣٢، ٢٤ / ١.
- هنين: ٩٥ / ٢.
- هونين: ٩٥ / ٢.
- باب الواو و ابشر (قرية): ٣٥ / ١.
- وادي آش: ٢٢ / ١، ٢٣، ٢٤، ٥٢، ٢٧٥، ١١ / ٢، ٧٣، ٧٧، ١١١، ١٨٣، ٢٤٩، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٤١، ٣ / ٣، ٦٢، ١٦٤، ٢٦٠، ٢٨٧، ٤٤٨، ٤ / ٤، ١٦، ٤٠، ١١٥، ١٣٨، ١٤٢، ١٥٤، ١٧٢، ٢٠١، ٣٦٠.
- وادي أفلم: ٤٩، ٤٨ / ٤.
- وادي أم الربيع: ٢٢٧ / ١.
- وادي الحجارة: ٣٢٨، ٢٣١ / ٣، ٦١ / ٢.
- وادي الحممة: ٢٧٥ / ١.
- وادي شلوبانية: ٢٤ / ١.
- وادي طرش نصر: ٦٠ / ١.
- وادي عبد شمس: ١٤٣ / ٢.
- وادي الغيران: ٢٤٣ / ٢.
- وادي فرتونة: ٢٠٧ / ١.
- وادي المنصورة: ٢٨٦، ٢٧٤ / ١.
- وادي ناظلة: ٢٢ / ١.

- واط (قرية): ٣٢ / ١.
- واله (قرية): ٣٣ / ١.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٢٥.
- واني (قرية): ٣٥ / ١.
- الوطا (قرية): ٣٥ / ١.
- ولبة: ١٠ / ٣.
- ولجر (قرية): ٣٥ / ١.
- الولجة (قرية): ٣٤ / ١.
- وهران: ٢٥٣ / ١.
- باب اليباء ياجر البلديين (قرية): ٣٢ / ١.
- ياجر الشاميين (قرية): ٣٢ / ١.
- يعشيش (قرية): ١٥١ / ٤.
- يوميين (قرية): ٦١ / ٢.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٢٦.

فهرس القوافي

قافية الألف المقصورة

- عتبي / مخلع البسيط / النفزي / ٢ / ٣ / ٤٣
- أضحى / - / أبو بكر المخزومي / ٣ / ١ / ٢٣٥
- الضحى / الكامل / ابن الحاج البليقي / ١٩ / ٢ / ٩١
- الصدى / الطويل / ابن جزى / ٢ / ٢ / ١٧٠
- يفدى / المجتث / - / ٤ / ٣ / ٢٨٨
- الندى / الكامل / الرصافي / ١ / ٣ / ١٦١
- الهدى / الكامل / - / ١١ / ١ / ٣١٤
- يبارى / المتقارب / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٣٣
- الأخرى / الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٢٩
- سرى / الطويل / ابن خلصون / ١٥ / ٣ / ١٩٧
- أسرى / المجتث / ابن الشيخ / ٢ / ١ / ٢٦٣
- البشرى / الطويل / الورسيدي / ٩ / ٤ / ٢٢٢
- الكرى / الطويل / ابن أبى حبل / ٤ / ١ / ٧٥
- الكرى / الكامل / ابن سعيد / ٣ / ٤ / ١٣٢
- للكرى / الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٥٣
- الورى / المتقارب / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٥٠

- أسي / الطويل / ابن الجياب / ٣١ / ٤ / ١٠٨
- البوسى / الطويل / ابن الخطيب السلماني / ١ / ٣ / ٢٢٠
- عيسى / الطويل / ابن هذيل / ١٦ / ٤ / ٣٤٢
- ففضى / البسيط / - / ١ / ٢ / ١٣٨
- فمضى / الرمل / أبو المخشى / ١٥ / ٤ / ١٩٧ الإحاطة في أخبار غرناطة ؛ ج ٤ ؛ ص ٦٢٦
- ي / الكامل / عزوز / ٣٦ / ٤ / ١٣
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٢٧
- تبقى / الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٤٨
- منتقى / الطويل / ابن أبي الخصال / ٢ / ٢ / ٢٨٠
- يرقى / الطويل / ابن قطبة الدوسي / ٧ / ٢ / ١٦٢
- ففعالي / الخفيف / عبد الله بن سعيد السلماني / ٣ / ٣ / ٢٩٧
- أولى / الطويل / ابن سالم / ٥ / ٤ / ٢٥٩
- الخزامى / الرمل / ابن هذيل / ١٦ / ٤ / ٣٣٧
- الحمى / الطويل / ابن طفيل / ١٨ / ٢ / ٣٣٥
- لمى / البسيط / ابن المربع / ١٠ / ٣ / ٣٢١
- مثنى / الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٤ / ٤٥٢
- الأدنى / الطويل / ابن أبي الخصال / ٢ / ٢ / ٢٧٨
- معنى / الطويل / على بن أحمد الغساني / ٩ / ٤ / ١٥٥
- أفنى / الطويل / العبدري / ٣ / ٢ / ٤١٩
- تفنى / الطويل / ابن حزم / ٦ / ٤ / ٨٩
- الجوى / الطويل / ابن شبرين / ٤ / ٢ / ١٥٤
- و الشكوى / الطويل / المليكى / ٨ / ٢ / ٤٠٥
- نوى / الطويل / ابن أبي الخصال / ٢ / ٢ / ٢٨٢
- الهوى / المتقارب / ابن المربع / ٥ / ٣ / ٣٢٣
- قافية الهمزة
- الهمزة الساكنة
- و ثناء / الطويل / ابن الحاج / ٢ / ١ / ١٨١
- الهمزة المفتوحة
- أضاءها / الطويل / قيس بن الخطيم / ١ / ٣ / ٣٨٢
- فناه / الطويل / ابن أبي الخصال / ٢ / ٢ / ٢٨٠
- هاء / السريع / ابن المرحل / ٢ / ٣ / ٢٤٢
- الهمزة المضمومة
- باء / الوافر / الاستجى الحميرى / ١ / ٢ / ٢١٢

- أنباء/ الطويل/ ابن خميس / ٥١ / ٢ / ٣٨٥
- انتضاء/ الوافر/ القاضى عياض / ٣ / ٤ / ١٩٠
- جفاؤه/ الطويل/ النفزى / ٢ / ٣ / ٤٢
- خفاء/ الطويل/ ابن الخطيب السلماني / ٨ / ٣ / ٩٥
- الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٢٨
- شركاء/ الطويل/ المنتشاقرى / ١٣ / ٤ / ٣٢٩
- العناء/ الوافر/ النفزى / ١٢ / ١ / ١٩٥
- مناؤها/ الكامل/ ابن صفوان / ١ / ١ / ٩٩
- و نهاؤه/ الخفيف/ أبو محمد ابن القبطرنة / ٢ / ١ / ٣٠٠
- ينشئها/ المنسرح/ ابن سعيد / ٢ / ٤ / ١٣٠
- واطئ/ الطويل/ ابن الحداد / ٢١ / ٢ / ٢٢٢
- الهمزة المكسورة
- رداء/ الكامل/ ابن خاتمة / ٦ / ١ / ١١٥
- أعدائه/ الكامل ابن الحكيم اللخمي / ٤ / ٢ / ٣٢٤
- أعدائها/ الكامل/ ابن الحاج البليقى / ٤ / ٢ / ٩٦
- بسوداء/ الطويل/ النفزى / ٢ / ٣ / ٤٢
- و الضراء/ الكامل / - / ٢ / ٣ / ٣٨٥
- الفقراء/ الكامل/ الوزاد / ٣ / ٤ / ١٤٦
- الجوزاء/ الخفيف/ أبو إسحاق الإلبيرى / ١٦ / ٤ / ٦٣
- استرضائه/ الكامل/ ابن الصقر / ٢ / ١ / ٧٠
- الحفاء/ المتقارب/ ابن رضوان / ٢ / ٣ / ٣٤٣
- خفاء/ مخلع البسيط/ ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٤ / ٥١
- الشرفاء/ الكامل/ ابن هانىء اللخمي / ٣ / ٣ / ١١١
- لصفائه/ الكامل/ الرصافى البلسنى / ٣ / ٢ / ٣٦٥
- ذكائه/ الطويل/ ابن أبى الخصال / ٢ / ٢ / ٢٧٧
- ماء/ الوافر/ ابن طلحة / ٢ / ١ / ١٠٦
- بدمائه/ الطويل/ ابن فرسان / ٢ / ٣ / ٤٤٧
- سماء/ الكامل/ صفوان بن إدريس / ٢٥ / ٣ / ٢٦٧
- ظلماء/ البسيط/ ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٤ / ٤٣٥
- أثنائه/ الكامل/ الرصافى البلسنى / ٢ / ٢ / ٣٦٤
- العناء/ الخفيف/ ابن جزى / ٢ / ٢ / ١٧١
- قافية الباء
- الباء الساكنة

- الكتاب / السريع / ابن منظور القيسي / ٤ / ٤ / ٦٨
عجب / الطويل / النفزي / ٢ / ٣ / ٤١
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٢٩
وجب / الطويل / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٤٨
صاحب / الوافر / ابن سالم / ٢ / ٤ / ٢٧٦
لاحب / المتقارب / البرجي / ٤ / ٢ / ١٩٥
هارب المجث / ابن فركون / ٥ / ١ / ٥١
الغضب / المتقارب / أبو القاسم السهيلي / ٢ / ٣ / ٣٦٥
الطلب / الرمل / أبو البركات ابن الحاج / ٢ / ١ / ٦١
عجيب / السريع / صالح بن يزيد / ٣ / ٣ / ٢٨٢
قريب / الخفيف / النفزي / ٢ / ٣ / ٤٢
القشيب / المتقارب / ابن زمرك / ٣ / ٢ / ٢٠٣
الرطيب / السريع / الشريشي / ٧ / ٣ / ١٢٨
المغيب / السريع / ابن البراق / ٥ / ٢ / ٣٤٤
الباء المفتوحة
و كآبه / الرمل / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٣٧
قبايا / الوافر / صفوان بن إدريس / ٤٥ / ٣ / ٢٦٨
النجابه / مخلع البسيط / عبد الله بن سعيد السلماي / ٢ / ٣ / ٢٩٧
عابه / الوافر صالح بن يزيد / ١ / ٣ / ٢٨٦
غابها / الكامل / ابن عبد الواحد / ٥ / ٣ / ١٦٧
ركابا / الكامل / ابن هانيء الأندلسي / ٢ / ٢ / ١٨٧
صوابه / مجزوء الرمل / المعتمد بن عباد / ٣ / ٢ / ٦٤
عتبي / مخلع البسيط / النفزي / ٢ / ٣ / ٤٣
عجبا / البسيط / صالح بن يزيد / ٢ / ٣ / ٢٨٠
وجبا / البسيط / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٢٥
الحبا / الطويل / ابن الحكيم اللخمي / ٨ / ٢ / ٣٢٣
مجدبا / الكامل / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٢ / ٨٥
مقتربا / البسيط / الشراط / ٣ / ٣ / ٣٣٦
طربا / البسيط / الشتوقي / ٢ / ٤ / ٣٤٦
انتسبا / البسيط / ابن البنا / ٦ / ٤ / ١٤٣
عصبه / البسيط / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٣٣
قصبه / الرمل / ابن قزمان / ٢ / ٢ / ٣٥٠
تعبا / البسيط / - / ١ / ٣ / ٣٨٢

- تعبا/ البسيط/ إبراهيم بن سهل / ١ / ١ / ٣٠٧
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٣٠
لعبا/ المتدارك/ ابن حريق / ٨ / ٣ / ٢٠٨
مرتقبا/ المنسرح/ ابن عرفة / ٣ / ١ / ١٤١
كوكبا/ السريع/ ابن قزمان / ٥ / ٢ / ٣٤٨
مجانبا/ الكامل/ الفازازي / ١٤ / ٣ / ٣٩٧
منتهبا/ البسيط/ ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٥٤
لهبه/ البسيط/ ابن سارة / ٢ / ٣ / ٣٣٤
حبيبا/ الوافر/ المتنبى / ١ / ١ / ٨
تعذيبا/ الكامل/ غالب بن عبد الرحمن / ٢ / ٤ / ٢٠١
رقيبا/ الوافر/ الخشني / ٥ / ٤ / ١٥١
الباء المضمومة
صائب/ الطويل/ أبو الحسن الجياب / ٢ / ١ / ٣٣٠
بابها/ الطويل/ محمد بن حسان / ٢ / ٢ / ٥٧
آداب/ الكامل/ الشريف العمراني / ٤ / ٢ / ٣٧٣
ترايبها/ الطويل/ الطويجن / ١ / ١ / ١٧٢
العاتب/ المتقارب/ ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٣٤
يعاتبه/ البسيط/ البرجي / ٨٢ / ٢ / ١٩١
المهذب/ الطويل/ الرشاس / ٢ / ٣ / ٤٢٣
شارب/ المتقارب/ ابن الحاج / ٢ / ١ / ١٨٢
الشرب/ الطويل/ ابن زكريا / ٤ / ٤ / ١٥٠
لهارب/ الطويل/ ابن عبد الواحد / ١٥ / ٣ / ١٦٧
الغرب/ الطويل/ ابن حزم / ٨ / ٤ / ٨٩
الخشب/ البسيط/ ابن الخطيب/ السلماي / ١ / ٤ / ٥٤١
خواضب/ الطويل/ ابن بيش / ٣ / ٣ / ١٧
كوكب/ الطويل/ الفتاح بن خاقان / ٢ / ٣ / ٤٠١
الطلب/ البسيط/ ابن الخيمي / ٢ / ٢ / ٣١٢
أطلب/ الطويل/ ابن الحاج / ٢ / ١ / ١٨١
جانب/ الطويل/ ابن خاتمة / ٧ / ١ / ١١٨
هتبا/ الطويل/ ابن حسون البرجي / ١٥ / ٣ / ٣١٢
يذهبه/ البسيط/ علي بن إبراهيم الملقى / ٣٠ / ٤ / ٩٣
ويذهب/ الطويل/ ابن مالك المعافري / ١ / ٣ / ٤٠١
طروب/ الخفيف/ عبد الرحمن المعافري / ٢ / ٣ / ٤٠١

- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٣١
- مرقوب / السريع / ابن الخطيب السلماى / ٢ / ٤ / ٢٩٦
- مطلوب / الطويل / الزيات / ٥ / ١ / ١٤٩
- مرهوبه / السريع / ابن الخطيب السلماى / ٢ / ٤ / ٤٣٧
- حبيب / الطويل / ابن حبيب / ٩ / ٣ / ٤٢٢
- حبيب / الوافر / صالح بن يزيد / ٢١ / ٣ / ٢٨٣
- عجيب / الطويل / ابن الحكيم اللخمي / ٥ / ٢ / ١٨١
- يخيب / الطويل / ابن الجياب / ١ / ٤ / ١٢٠
- قريب / الطويل / ابن قطبة / ٤ / ٢ / ١٦١
- قريب / الطويل / ابن الخطيب السلماى / ٥١ / ٤ / ٤٦٧
- قريب / الطويل / ابن هذيل / ٢٠ / ٤ / ٣٤٠
- و تقريب / البسيط / سهل بن محمد الأزدي / ٢٧ / ٤ / ٢٣٣
- طيب / الطويل / سهل بن محمد الأزدي / ٦ / ٤ / ٢٤٠
- و خطيب / الطويل / - / ٢ / ٤ / ١٦٨
- يغيب / الطويل / ابن قطبة / ٤ / ٢ / ١٦١
- و تنيب / الطويل / الوراد / ٢ / ٤ / ١٤٦
- الباء المكسورة
- به / الطويل / ابن أبي العافية / ٢ / ٣ / ٣٥٠
- غائب / الطويل / ابن الخطيب السلماى / ١٩ / ٤ / ٢٨٩
- نائب / الطويل / الفاذازي / ١٢ / ٣ / ٣٩٨
- لنوابه / الطويل / ابن خاتمة / ٢ / ١ / ١١٧
- باب / مخلع البسيط / ابن الجياب / ٤ / ٤ / ١١٩
- الألباب / الكامل / ابن جزى / ٢ / ٣ / ٣٠٣
- الكتاب / الوافر / ابن قرمان / ٢ / ٢ / ٣٥٠
- للخراب / الوافر / ابن الخطيب السلماى / ١ / ١ / ١٥٩
- أوصى بي / البسيط / القاضى عياض / ٤ / ٤ / ١٩٠
- خضابى / الطويل / ابن المرحل / ٣ / ٣ / ٢٤١
- بالعاب / الكامل / صالح بن يزيد / ٣ / ٣ / ٢٨٤
- جوابى / الطويل / الشقورى / ٣ / ٣ / ١٣٧
- جواب / الطويل / ابن الخطيب السلماى / ٣٥ / ٤ / ٤٢١
- جوابى / الكامل / ابن عرفة / ٤ / ١ / ١٤١
- ثيابى / الكامل / المليانى / ٦ / ١ / ١٤٤
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٣٢

- سبب / البسيط / ابن الجبير / ٢٩٣ / ٣ / ٤
- سبب / البسيط / الرصافي البلنسي / ٣٦٢ / ٢ / ١٩
- العجب / المتدارك / موسى بن محمد / ٢٠٨ / ٣ / ٢
- حبّ / الكامل / ابن الخطيب السلماي / ٤٢٧ / ٤ / ٢
- حبّي / الطويل / - / ١٥ / ٣ / ٥
- صحب / الطويل / ابن أبي الخصال / ٢٨١ / ٢ / ٢
- الأدب / البسيط / ابن الصيرفي / ٨٦ / ٤ / ٣
- و الأدب / البسيط / ابن شبرين / ١٦٨ / ٣ / ٣٤
- و تهذّبي / الكامل / أحمد بن عبد الملك بن سعيد / ٩٠ / ١ / ٦
- المآرب / الطويل / ابن عطية المحاربي / ٤٣١ / ٣ / ٤٦
- بالغرب / الطويل / - / ١٩٣ / ٤ / ١
- و مغرّب / الكامل / - / ٢٣٠ / ١ / ١
- قريبى / الطويل / ابن صفوان / ١٨٠ / ٣ / ٣
- التقرب / الطويل / أبو زيد / ١٨٠ / ٣ / ١
- مكاسبه / الطويل / ابن عياش / ٣٤٠ / ٢ / ٣
- المناسب / الطويل / ابن الخطيب السلماي / ٤٤٢ / ٤ / ٢
- مكتسب / البسيط / الشريف العمراني / ٣٧٢ / ٢ / ٨
- القشب / البسيط / ابن صفوان / ٩٩ / ١ / ١
- القشب / البسيط / ابن عطية القضاعي / ١٣٢ / ١ / ١
- المناقب / الطويل / ابن جزى / ١٢ / ٣ / ٦
- السواكب / الطويل / عزوز / ١١ / ٤ / ٦
- غالب / الطويل / ابن طفيل / ٣٣٤ / ٢ / ١٤
- مطلبه / البسيط / اليتيم / ٧٠ / ٣ / ١٤
- متجنّب / الكامل / المليكشى / ٤٠٦ / ٢ / ١٧
- ذنب / الطويل / ابن فرقد / ١٩٣ / ١ / ٧
- ذنبه / الطويل / ابن الخطيب السلماي / ٤٣٠ / ٤ / ٢
- ذهب / البسيط / صالح بن يزيد / ٢٨٣ / ٣ / ٢
- مذهبي / السريع / ابن الحاج البلفيقي / ١٠٠ / ٢ / ٢
- و مرقوب / البسيط / ابن الخطيب السلماي / ٤٢٦ / ٤ / ٢
- مقلوبها / السريع / الطرطوشي / ١٤٢ / ٢ / ١
- الذنوب / مخلع البسيط / ابن الحاج البلفيقي / ١٠٠ / ٢ / ١
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٣٣
- بالذنوب / الخفيف / ابن أضحى / ٦٦ / ٤ / ٤

- بموهوب / البسيط / الطرطوشي / ٢٦ / ٤ / ٣٦٥
- عيوبه / الطويل / ابن أبي المجد / ٢ / ٣ / ٣٥٠
- آب / الطويل / النباهي / ١ / ٤ / ٧٤
- الحبيب / الخفيف / - / ٢ / ٣ / ٢٨٧
- ديب / الكامل / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٥٣
- كثيب / الطويل / النفزي / ٢ / ٣ / ٤٢
- و نحيب / الكامل / ابن خلدون / ٥٢ / ٣ / ٣٨٧
- تعذيبي / البسيط / ابن الخطيب السلماي / ١ / ٤ / ٥٢٩
- خصيبه / الطويل / أبو بكر بن أرقم / ٢ / ٣ / ٣٥٠
- كنصيبه / الطويل / ابن الجياب / ٢ / ٣ / ٣٥٠
- بطيبه / الطويل / ابن شبرين / ٢ / ٣ / ٣٥٠
- عيبى / السريع / ابن شبرين / ٢ / ٢ / ١٥٦
- برغيب / الطويل / ابن البربري / ٥ / ٤ / ١٦٥
- مغيب / الطويل / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٥٠
- تأنيب / الكامل / ابن الخطيب السلماي / ١٠١ / ٤ / ٤٠٠
- قافية التاء
- التاء الساكنة
- فازت / السريع / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٣٨٩ ، ٤٥٢
- عرفت / المنسرح / ابن أبي الخصال / ٢ / ٢ / ٢٧٢
- صموت / المتقارب / ابن الخطيب السلماي / ٨ / ٤ / ٥٥١
- بيت / المتقارب / ابن الحاج / ٢ / ١ / ١٨٢
- التاء المفتوحة
- مسرتة / البسيط / الشتوفى / ٢ / ٤ / ٣٤٦
- زنته / المتقارب / ابن جزى / ١ / ٥٣
- البيوتا / الوافر / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٥٠
- التاء المضمومة
- فئات / الطويل / ابن أبي الخصال / ٢ / ٢ / ٢٧٦
- شتات / الطويل / ابن جزى / ٣ / ٣ / ٣٠٤
- أوقات / الطويل / - / ٢ / ٨
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٣٤
- ثبت / الكامل / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٣٧
- الكبت / الكامل / ابن خميس / ٥٠ / ٢ / ٣٩١
- منبت / الطويل / ابن أبي الخصال / ٢ / ٢ / ٢٧٩

- نعت / الطويل / ابن خلصون / ٣٤ / ٣ / ١٩٨
- الفنت / الطويل / ابن جزي / ٢٨ / ٢ / ١٦٨
- منعوت / البسيط / صالح بن يزيد / ٢ / ٣ / ٢٨٣
- البيوت / مخلع البسيط / أبو إسحاق بن مسعود / ١٣ / ٤ / ٢٧٩
- ميت / الطويل / ابن شبرين / ٣ / ٢ / ١٥٩
- التاء المكسورة
- الظبات / الوافر / حاتم بن سعيد / ٣ / ١ / ٢٧٣
- الجنبات / الطويل / عبد المنعم بن عمر / ٢ / ٣ / ٤٤٨
- الطيبات / الوافر / ابن الحاج البلفيقي / ٤ / ٢ / ٩٩
- انباته / الطويل / ابن شعيب الكرياني / ٣ / ١ / ١٣٥
- لداتي / الطويل / أبو محمد القرطبي / ٢ / ٣ / ٣١١
- اللذات / الكامل / العزفي / ٢٢ / ٣ / ٤
- الخطرات / الطويل / ابن أضحى / ٩ / ٤ / ٦٥
- زفراي / الطويل / اللوشي / ٤ / ٢ / ١٧٥
- عات / البسيط / محمد بن قاسم / ٢ / ٢ / ٣٦٧
- أوقاتى / الطويل / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٣٥
- البركات / الكامل / ابن الحاج البلفيقي / ٢ / ٢ / ٩٥
- حركاتى / الطويل / النفزي / ٧ / ٣ / ٣٩
- نغماتها / الكامل / ابن البراق / ١٦ / ٢ / ٣٤٣
- للممات / الوافر / على بن إبراهيم الملقى / ٤ / ٤ / ٩٤
- الرواء / مجزوء الرمل / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٤٣
- أقوات / البسيط / ابن الفصال / ٢ / ٣ / ٣٧١
- آياته / الطويل / محمد بن عبد الرحمن الكاتب / ١١ / ٣ / ١٦٠
- آياته / الكامل / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٢٧
- سبت / الطويل / - / ٢ / ٤ / ٣٢١
- و الشت / الطويل / سهل بن محمد الأزدي / ٢ / ٤ / ٢٣٥
- أمته / السريع / عبد الرزاق بن يوسف / ٨ / ٣ / ٤٣٩
- زيتي / الطويل / المقرئ (أبو عبد الله) / ١٧٥ / ٢ / ١٢٥
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٣٥
- فوت / السريع / ابن الفصال / ٣ / ٣ / ٣٧١
- الصموت / المتقارب / ابن الخطيب السلماي / ٣ / ٤ / ٤٤٣
- ميت / مجزوء الرمل / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٥٥
- قافية التاء

الثاء الساكنة

ناكث / مخلع البسيط / ابن المرحل / ٢٣٨ / ٣ / ٨

الثاء المفتوحة

حديثا / الوافر / الوراد / ١٤٦ / ٤ / ٢

البراغيثا / البسيط / ابن الخطيب السلماى / ٤٤٧ / ٤ / ٢

الثاء المضمومة

الأخابث / الطويل / ابن مرج الكحل / ٢٣١ / ٢ / ٤

الحوادث / الطويل / ابن جزى / ١٢٨ / ٤ / ١

و ثالث / الطويل / ابن الخطيب السلماى / ٥٣٣ / ٤ / ١

و ثالث / الطويل / الإستجى الحميرى / ٢١١ / ٢ / ٢

الخيث / المتقارب / بشار بن برد / ٣٨١ / ٣ / ٢

الثاء المكسورة

المثلث / الطويل / ابن الحداد / ٢٢١ / ٢ / ١٠

الليث / السريع / ابن الخطيب السلماى / ٤٤٢ / ٤ / ٢

قافية الجيم

الجيم الساكنة

ثبج / الرمل / ابن عبد ربه / ٢٧ / ٤ / ٤

فينفرج / الطويل / الينشتى / ٤٠٥ / ٣ / ٥

المهج / المتقارب / ابن الحاج / ١٨٢ / ١ / ٣

الجيم المفتوحة

سراجا / مخلع البسيط / ابن فطيس / ٣١٠ / ٢ / ٣

منهاجا / البسيط / الزيات / ١٥٠ / ١ / ٢

حجّه / الخفيف / ابن أبى العافية / ٢٨٥ / ١ / ٢

تأرجا / الطويل / ابن أبى الخصال / ٢٧٧ / ٢ / ٢

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٣٦

عالجا / الطويل / ابن الخبان / ٢٣٥ / ٢ / ٣٠

الجيم المضمومة

دارج / السريع / محمد بن مالك الطغنى / ١٨٣ / ٢ / ٦

سجسج / الطويل / ابن الخطيب السلماى / ٥١٢ / ٤ / ١

الجيم المكسورة

و حراج / الكامل / ابن خميس / ٣٩٤ / ٢ / ٦٤

المزاج / الوافر / ابن طفيل / ٣٣٦ / ٢ / ٣

الحلاج / الكامل / ابن عياش / ٣٣٩ / ٢ / ٢

- و علاجي / الكامل / ابن الجياب / ٣١ / ٤ / ١٠٢
- منهاج / الكامل / الشاط / ٢ / ٤ / ٢١٨
- تبرج / الكامل / ابن العابد / ٢ / ٢ / ١٨٥
- معرج / الطويل / ابن الجياب / ٩ / ٤ / ١٠٢
- و بنهجه / الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٥١
- الموج / الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٤٧
- البهيج / الوافر / ابن الفخار / ٢ / ٣ / ٦٧
- قافية الحاء
- الحاء الساكنة
- النجاح / السريع / ابن الكماد / ٢ / ٣ / ٤٥
- الرياح / السريع / القاضي عياض / ٢ / ٤ / ١٩١
- وضح / المتقارب / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٥٥
- يروح / السريع / ابن الخطيب السلماني / ٢٣ / ٣ / ٩٧ / ٤ / ٤٣٥
- الحاء المفتوحة
- و روائحا / الكامل / ابن الجياب / ٥٦ / ٤ / ١٠٤
- راحا / الكامل / النفزي / ٩ / ٣ / ٤٠
- إفصاحه / الطويل / ابن الحاج / ٢ / ١ / ١٨٢
- جناحا / المتقارب / ابن خميس / ٨٠ / ٢ / ٣٨٨
- الضحى / الكامل / ابن الحاج البليقي / ١٩ / ٢ / ٩١
- أضحى - / أبو بكر المخزومي / ٣ / ١ / ٢٣٥
- الصريحة / الوافر / اليتيم / ١٠ / ٣ / ٧٤
- النصيحه / الوافر / ابن عبد السلام / ٢ / ٣ / ٧٤
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٣٧
- الحاء المضمومة
- و نجاح / الكامل / ابن قرمان / ٩ / ٢ / ٣٤٩
- الراح / البسيط / ابن قرمان / ٢ / ٢ / ٣٤٩
- الجراح / الوافر / ابن عبادة المرى / ٦ / ٢ / ٦٣
- و شاح / الطويل / ابن سعيد / ٢ / ٤ / ١٣١
- لماح / الكامل / ابن الصائغ / ٤٧ / ٢ / ٣٠٥
- الألواح / الكامل / ابن الحاج البليقي / ٢٠ / ٢ / ٩٠
- تسبح / الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٥٢
- يصبح / الطويل / سهل بن محمد الأزدي / ٩ / ٤ / ٢٣٣
- السوافح / الطويل / ابن عيسى الحميري / ٤٩ / ٢ / ٢٥٨

- السمح / الطويل / ابن عبد النور / ٧٨ / ١ / ٨
- الصدوح / الوافر / ابن جودي / ١٣٦ / ٤ / ٣
- الروح / الطويل / أبو القاسم ابن رضوان / ٣٦٨ / ٤ / ٨
- و يروح / الكامل / ابن الحكيم اللخمي / ١٧٣ / ٢ / ٣
- جنوح / الخفيف / محمد بن مالك الطغرى / ١٨٢ / ٢ / ٣
- الحاء المكسورة
- بصباح / الكامل / القلوسى / ٥٤ / ٣ / ٨
- راح / الوافر / أبو الطاهر المازنى / ٣٧٠ / ٢ / ٦
- أفراح / الكامل / ابن مرزوق / ٧٧ / ٣ / ١٤
- البطاح / الوافر / الرصافى البنسى / ٣٦٥ / ٢ / ٤
- وقاح / الخفيف / - / ١٥٣ / ١ / ٢
- سلاح / الكامل / ابن جزى / ١٧١ / ٢ / ٢
- الرماح / المتقارب / الرصافى البنسى / ٣٦٥ / ٢ / ٣
- جناح / الخفيف / ابن الخطيب السلماني / ٣٩٦ / ٤ / ٩٤
- جناحى / الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٧٨ / ٣ / ١٧
- بالرياح / الوافر / ابن عيسى الحميرى / ٢٥٤ / ٢ / ٤
- لناصح / الطويل / ابن أبى الخصال / ٢٧٩ / ٢ / ٢
- نازح / الطويل / ابن راجح / ٤١٤ / ٢ / ٢٥
- الجوانح / الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٤١٣ / ٢ / ٢٠
- الصحيح / المتقارب / الطرطوشى / ٣٦٦ / ٤ / ٣
- التبريح / الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٣٩٠ / ٤ / ٣٩
- الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٣٨
- ضريح / الخفيف / محمد بن مالك الطغرى / ١٨٣ / ٢ / ٣
- قافية الخاء
- الخاء المفتوحة
- ليصرخا / الطويل / ابن أبى الخصال / ٢٧٩ / ٢ / ٢
- شيوخا / الكامل / ابن مرج الكحل / ٢٣٠ / ٢ / ٧
- الخاء المضمومة
- يسخو / الطويل / المنتشاقرى / ٣٢٩ / ٤ / ١٢
- الخاء المكسورة
- نسخها / الطويل / ابن تادرت / ١٨١ / ٤ / ١
- قافية الدال
- الدال الساكنة

- و الحسد/ الطويل / حفصة بنت الحاج / ٢٧٨ / ١ / ٤
 فقد/ الطويل / ابن الحكيم اللخمي / ٣٢٤ / ٢ / ٢
 جلد/ الطويل / ابن الخطيب السلماي / ٤٤٦ / ٤ / ٢
 غيد/ الطويل / ابن الصباغ العقيلي / ٩٨ / ٤ / ٢
 الدال المفتوحة
 الإراده/ الخفيف / محمد بن عبد العزيز بن سالم / ١٣١ / ٣ / ٢
 سادا/ الوافر/ الزيات / ١٥٠ / ١ / ٢
 و الأجساد/ الكامل / ابن الخطيب السلماي / ٧ / ٢ / ٥
 و جمادها/ الكامل / ابن فركون / ٩٣ / ١ / ١
 الشهاده/ الوافر / محمد بن محمد بن يوسف / ٣٢٧ / ١ / ١
 و الوجداء/ الطويل / ابن الخطيب السلماي / ٣٩٢ / ٤ / ٨٢
 الحداء/ الطويل / المليكشي / ٤٠٧ / ٢ / ٢٣
 عددا/ البسيط / ابن جزى / ١٣ / ٣ / ٣
 و الورداء/ الطويل / ابن قطبة / ١٦٠ / ٢ / ٣
 موردا/ الطويل / - / ٧٧ / ٢ / ٤
 الصدى / الطويل / ابن جزى / ١٧٠ / ٢ / ٢
 قصدا/ الطويل / ابن الحاج / ١٨٢ / ١ / ٢
 عدّه/ المجتث / حفصة بنت الحاج / ٢٨٠ / ١ / ٢
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٣٩
 و غدا/ المنسرح / ابن هذيل / ٣٤١ / ٤ / ٢٣
 يفدى / المجتث / - / ٢٨٨ / ٣ / ٤
 جلدا/ الرمل / ابن الخطيب السلماي / ٤٣٢ / ٤ / ٢
 مخلدا/ الطويل / ابن الكماد / ٤٤ / ٣ / ١٠
 و حمده/ المجتث / محمد بن سعيد بن خلف / ١٦٣ / ٣ / ٣
 كمدا/ البسيط / ابن الخطيب السلماي / ٤٥٤ / ٤ / ٢
 الندى / الكامل / الرصافي / ١٦١ / ٣ / ١
 الهدى / الكامل / - / ٣١٤ / ١ / ١١
 القدودا/ المتقارب/ الإستجى الحميري / ٢١٢ / ٢ / ٢
 ورودا/ الكامل / أبو الأجر / ٢٦٥ / ٣ / ٣
 سعودا/ الكامل / ابن ميمون / ٦٢ / ٣ / ٢
 قعودا/ الطويل / ابن أبي الخصال / ٢٧٧ / ٢ / ٢
 عقوده/ الوافر / ابن طفيل / ٣٣٦ / ٢ / ٢
 عمودا/ الكامل / أبو تمام / ٥١٩ / ٤ / ١

- طريدا/ الطويل / أبو بكر بن شيرين / ٣ / ١ / ١٦
المقيدا/ الطويل / ابن المرحل / ١ / ٣ / ٢٤٥
الذال المضمومة
مراد/ الكامل / ابن خطاب / ٢ / ٢ / ٢٩٧
اجتهاده/ الطويل / - / ١ / ٣ / ٣٨٣
و مهاد/ الكامل / ابن خطاب / ١٦ / ٢ / ٢٩٧
سواده/ الطويل / يحيى بن محمد التطيلي / ٨ / ٤ / ٣٥٨
الجياد/ الوافر / أبو بكر القرشي / ١ / ٤ / ١٢٨
عبده/ مخلع البسيط / ابن لب / ٢ / ٣ / ٢٧
يبدو/ الطويل / ابن صفوان / ١ / ١ / ٩٩
أجد/ المنسرح / اللمائي / ٢ / ١ / ١٠٣
منجد/ السريع / ابن المرابط / ١ / ١ / ٣٣٠
الوجد/ الطويل / القيحاوي / ٩ / ٤ / ٨٣
قاصدة/ الطويل / النفزي / ١٠٥ / ٣ / ٣٥
القصد/ الطويل / ابن خلاف / ٣ / ٤ / ١٣٧
و الرعد/ الطويل / ابن هذيل / ٣ / ١ / ٢٠٩
فعدوا/ الرمل / ابن عرفة / ٢ / ١ / ١٤١
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٤٠
الوعد/ الطويل / - / ٣ / ٤ / ٥٨
يتوعد/ الكامل / ابن شعيب الكرياني / ٣ / ١ / ١٣٦
الفرقد/ الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٢٨
الفرقد/ الرمل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٤٠
و يحمد/ الكامل / الفازازي / ١٩ / ٣ / ٣٩٧
سرمد/ مجزوء السريع صالح بن يزيد / ٧ / ٣ / ٢٧٩
جند/ الطويل / ابن هذيل / ١ / ١ / ٢٠٩
جند/ الطويل / ابن هذيل / ٩ / ٤ / ٣٣٩
يفند/ الطويل / ابن الحاج البليقي / ٢ / ٢ / ٩٣
أسوده/ البسيط / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٣٤
تعود/ الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ١ / ٢٩
سعود/ الطويل / ابن قطبة / ٥ / ١ / ٣٠
سعوده/ الكامل / ابن الجياب / ٧ / ٤ / ١١٩
و قعوده/ الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٣٧
الجنود/ الوافر / محمد بن عبد الله ابن الحاج البضيعة / ١ / ٢ / ٣٠٩

- عبيد/ الطويل / ابن زمرك / ٢٠٦ / ٢ / ١
و تجيده/ الكامل / ابن هيزم / ١٣٩ / ٤ / ٥
وحيد/ مخلع البسيط / ابن برطلة / ١٦٧ / ٤ / ٤
عيد/ الطويل / ابن فركون / ٥١ / ١ / ٣
يفيد/ مجزوء الكامل ابن شبرين / ١١٦ / ٣ / ٣٨
الذال المكسورة
فؤادى/ الخفيف / ابن الخطيب السلماني / ٤٢٥ / ٤ / ٢
فؤادى/ الكامل / ابن جابر / ٢١٨ / ٢ / ٦
فؤادى/ الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٤٥٠ / ٤ / ٢
العباد/ الخفيف / الحكم الربضى / ٢٧٠ / ١ / ٢
ابن عباد/ البسيط / المعتمد بن عباد / ٦٩ / ٢ / ١٠
بالحداد/ الخفيف / حفصة / ٩٢ / ١ / ٣
المداد/ الوافر / ابن الخطيب السلماني / ٤٣٧ / ٤ / ٢
بفساد/ الطويل / ابن الحاج البليقي / ٩٧ / ٢ / ١٣
رشاده/ الخفيف / - / ٣٣١ / ٤ / ٢
عاد/ الوافر / ابن المرحل / ٢٤١ / ٣ / ٢
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٤١
و المعاد/ مخلع البسيط / ابن العسال / ٣٥٣ / ٣ / ٢
و اجتهادى/ الخفيف / ابن الخطيب السلماني / ٤٣١ / ٤ / ٢
العهاد/ السريع / عبد المهين بن محمد / ٨ / ٤ / ١٣
واد/ السريع ابن الخطيب السلماني / ٣٠٦ / ١ / ٢
بوادى/ الوافر / حمدة بنت زياد / ٢٧٦ / ١ / ٦
عوادى/ الكامل / ابن عبد الصمد / ٦٩ / ٢ / ٣
إياد/ الكامل / الرصافى البلنسى / ٣٦٠ / ٢ / ٤٩
مزبد/ الكامل / عروة بن حزام / ٣٨٥ / ٣ / ٣
كبد/ البسيط / ابن خلصون / ١٩٦ / ٣ / ٥
الكبد/ البسيط / المكودى / ٩ / ٣ / ١٦
زبرجد/ الكامل / ابن الفخار / ٦٧ / ٣ / ٣
زبرجد/ الكامل / ابن فضيلة / ٢٢٧ / ٢ / ٤
المجد/ الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٤٢٩ / ٤ / ٢
نجد/ الطويل / ابن حزب الله / ٢٥٢ / ٢ / ٣
نجد/ الكامل / ابن شعيب الكريانى / ١٣٥ / ١ / ١
الوجد/ الكامل / ابن خلدون / ٣٨٩ / ٣ / ٣٧

- و وجدى / الخفيف / ابن الحكيم اللخمي / ٩ / ٢ / ٣٢١
- يجدى / الطويل / ابن سالم / ١٨ / ٤ / ٢٥٦
- واحد / الطويل / اللوشى / ٢١ / ٣ / ٢٣
- وحدها / الكامل / الفشتالي / ١١ / ٢ / ١١٥
- ردّه / السريع / ابن عبد الملك / ٢ / ٢ / ٣٧٥
- الردّ / الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٥ / ٢ / ٤١٧
- وارد / الطويل / ابن أبي الخصال / ٢ / ٢ / ٢٧٩
- و الزرد / الطويل / ابن أضحى الإليبرى / ١٤ / ١ / ٤٨
- الورد / الطويل / البلوى / ٩ / ٢ / ٢٦٥
- الورد / الطويل / ابن جابر / ١٢ / ٢ / ٢١٧
- وردها / السريع / ابن جزى / ٢ / ٣ / ٣٠٣
- يزد / البسيط / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ١ / ٢٧، ٢٨
- حاسد / الكامل / ابن هانىء اللخمي / ٢ / ٣ / ١١١
- و الرشده / البسيط / ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٤ / ٤٣١
- مقصد / الطويل / ابن أبي الخصال / ٢ / ٢ / ٢٧٨
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٤٢
- صاعد / الطويل / الجراوى / ٣ / ٢ / ٣٣٣
- بعده / المتقارب / ابن الحداد / ٢ / ٢ / ٢٢١
- بعدى / الطويل / ابن أبي الخصال / ٣ / ٢ / ٢٧٢
- بأسعد / الطويل / ابن رشيد / ٥ / ٣ / ١٠٤
- و السعد / الطويل / - / ١٦ / ٤ / ٢٠٦
- وعد / الطويل / ابن جودى / ٢ / ٤ / ١٣٦
- غد / البسيط / الينشتى / ٢ / ٣ / ٤٠٤
- الرفد / الطويل / ابن راجح / ٣ / ٢ / ٤١٧
- و الرفد / الطويل / ابن رضوان / ١٣ / ٣ / ٣٤٠
- مرفد / الطويل / ابن الأكحل / ٢٦ / ٣ / ١٥٥
- فقدها / الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٣٢
- و بتالد / الكامل / - / ٣ / ١ / ٢٨٦
- بلد / البسيط / ابن الخطيب السلماني / ٥ / ٣ / ٤٠٤
- الملد / الطويل / النمرى / ١٨ / ٣ / ٢٠
- ولد / البسيط / سهل بن محمد الأزدي / ٢ / ٤ / ٢٣٥
- مولدى / الطويل / ابن زمرك / ٢ / ٢ / ٢٠٣
- و بالحمد / الطويل / ابن أضحى / ٢ / ٤ / ٦٥

- لمحمد/ الطويل /- / ١٥٢ / ٣ / ٢ / ٢
- بالكمد/ الرمل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٥٣
- الندي/ المتقارب/ ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٤٥
- بفرنده/ الكامل / ابن عبد الحق / ٣ / ١ / ٦٧
- زنده/ المتقارب/ ابن الفصال / ١٠ / ٣ / ٣٦٩
- المسهد/ الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٤٠
- مشهد/ الطويل / ابن رضوان / ٢٣ / ٣ / ٣٤٠
- العهد/ الطويل / ابن الحاج البلفيقي / ٢ / ٢ / ٩٥
- المهد/ الطويل / ابن الحكيم اللخمي / ٤ / ٢ / ١٧٢
- الوجود/ الخفيف/ ابن الجياب / ٢ / ٣ / ٣٥١
- الوجود/ الخفيف/ ابن أبي المجد / ٧ / ٣ / ٣٥١
- قدود/ الطويل / ابن قشوم / ٢ / ٣ / ٤٦
- القدود/ المتقارب/ الممتني / ١ / ١ / ٣٠٧
- و زرود/ الكامل / ابن النبيه / ١ / ٤ / ٣٣٦
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٤٣
- الورود/ مخلع البسيط/ صالح بن يزيد / ٢ / ٣ / ٢٨٢
- مسعود/ الطويل / ابن الجياب / ٣٥ / ٤ / ٥٤
- مفقود/ البسيط/ أحمد بن ساهي / ٢ / ٣ / ٤٢٣
- بالأملود/ الكامل / ابن أبي العافية / ١٠ / ١ / ٢٨
- و اليد/ الطويل / ابن أبي الخصال / ٢ / ٢ / ٢٨١
- المؤيد/ الطويل /- / ٢١ / ١ / ٣٢٥
- بريد/ الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٤ / ٤٢٦
- تنزيد/ الكامل / ابن عبد الحق / ٢ / ١ / ٦٨
- الغيد/ الكامل / ابن عبد العظيم / ١ / ٣ / ٦٣
- و عنيد/ الخفيف / ابن جودي / ١٨ / ٤ / ٢٣٠
- قافية الرء
- الرء الساكنة الإحاطة في أخبار غرناطة ؛ ج ٤ ؛ ص ٦٤٣
- ائر/ مجزوء الكامل قس بن ساعدة / ٣ / ٢ / ٢١٢
- السرار/ المتقارب/ ابن الحاج / ٢ / ١ / ١٩١
- النهار/ السريع / صالح بن يزيد / ١٠ / ٣ / ٢٨٠
- يفخر/ الكامل / الينشتي / ٢ / ٣ / ٤٠٤
- القدر/ مخلع البسيط / حفصة بنت الحاج / ٥ / ١ / ٢٧٨
- يعتذر/ مخلع البسيط / أبو الحسن بن سعيد / ٦ / ١ / ٢٧٩

- تعسر/ مجزوء الكامل ابن الخطيب السلماني / ٧ / ٤ / ٥١٣
- البشر/ السريع/ ابن الحاج البليقي / ٣ / ٢ / ٩٥
- البشر/ المتقارب/ - / ٢ / ٢ / ٢١٣
- البشر/ المتقارب/ ابن الأفتس / ٣ / ٤ / ٣٠
- يحشر/ المجتث/ نزهون بنت القلاعى / ٧ / ١ / ٢٣٤
- معشر/ الكامل/ ابن رضوان / ٢٠ / ٣ / ٣٤٢
- قصر/ الطويل/ ابن المرائع / ٨ / ٣ / ٣٢٤
- فانفطر/ الرمل/ ابن زكريا / ٤ / ٤ / ١٥٠
- ففر/ الرمل/ غالب بن عبد الرحمن / ٣ / ٤ / ٢٠١
- الوطر/ الطويل/ ابن زمرك / ٥ / ٢ / ٢٠٢
- نافر/ السريع/ صالح بن يزيد / ٢ / ٣ / ٢٨٠
- السفر/ الطويل/ المراكشى / ١ / ٣ / ١٤٣
- الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٤٤
- تامر/ مجزوء الكامل أبو عمرو بن العلاء / ١ / ٢ / ١٣٦
- قمر/ المتقارب/ أبو محمد بن القبطرنة / ٤ / ١ / ٢٩٩
- ماهر/ الطويل/ ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٣٠
- تزهرا/ الطويل/ صالح بن يزيد / ٤ / ٣ / ٢٨٠
- نظير/ السريع/ الزيات / ٢١ / ١ / ١٤٨
- الراء المفتوحة
- آثار/ البسيط/ ابن خلعون / ١٠ / ٣ / ١٩٧
- يبارى/ المتقارب/ ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٣٣
- إيثاره/ السريع/ ابن الحكيم اللخمي / ٣ / ٢ / ٣٢٣
- جارا/ المتقارب/ المنتشاقري / ٨ / ٢ / ٢٥١
- دارا/ المتقارب/ ابن أبي العافية / ٥ / ١ / ٢٨٤
- مرارا/ المجتث/ ابن غفرون / ٢ / ٤ / ١٦٣
- أوزارها/ المتقارب/ ابن جبير / ٢ / ٢ / ١٥٠
- و طارا/ الكامل/ صفوان بن إدريس / ٣ / ٣ / ٢٧٣
- أسفارا/ البسيط/ المليكى / ١٨ / ٢ / ٤٠٩
- عقارا/ الطويل/ سهل بن محمد الأزدي / ٤ / ٤ / ٢٣٥
- الأقمارا/ الكامل/ ابن مقاتل / ٣ / ٢ / ٢٦١
- نارا/ البسيط/ البدوي / ٥ / ٣ / ٥٨
- نارا/ المتقارب/ ابن حزب الله / ١١ / ٢ / ٢٥١
- أنارا/ المتقارب/ ابن جبير / ٣٢ / ٢ / ١٤٩

- أكبر/ الكامل / ابن سعيد / ٧ / ٤ / ١٣٣
- نثر/ الطويل / صفوان بن إدريس / ٥١ / ٣ / ٢٧٠
- هجره/ الرمل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٥١
- الأخرى/ الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٢٩
- قدرا/ الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٤٤
- قدرا/ المجتث / ابن الفخار / ٢ / ٣ / ٦٤
- المعذره/ المتقارب / ابن أبى العاصى / ٢ / ١ / ٢٠٠
- سرى/ الطويل / ابن خلصون / ١٥ / ٣ / ١٩٧
- أسرى/ المجتث / ابن الشيخ / ٢ / ١ / ٢٦٣
- البشرا/ الطويل / ابن جزى / ٤٨ / ٣ / ٣٠٠
- البشرا/ الطويل / ابن راجح / ١٦ / ٢ / ٤١٥
- الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٤٥
- البشرى/ الطويل / الورسىدى / ٩ / ٤ / ٢٢٢
- عاطرا/ السريع / ابن رشيد / ٣ / ٣ / ٣٠٧
- و منظرا/ الطويل / ابن أبى الخصال / ٢ / ٢ / ٢٧٩
- و سافرا/ الطويل / ابن أبى الخصال / ٢ / ٢ / ٢٧٩
- فأسفرا/ الكامل / ابن دراج القسطللى / ٦٦ / ٣ / ٢١٢
- و مظفرا/ الكامل / ابن سعيد / ٣ / ٤ / ١٣٣
- الكرى/ الطويل / ابن أبى حبل / ٤ / ١ / ٧٥
- الكرى/ الكامل / ابن سعيد / ٣ / ٤ / ١٣٢
- ذاكرا/ السريع / سارة بنت أحمد / ١٢ / ٣ / ٣٠٧
- ذكرا/ الوافر / ابن طلحة / ٢ / ١ / ١٠٦
- للكرى/ الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٥٣
- سكرا/ الطويل / الرصافى البنسى / ٤٧ / ٢ / ٣٥٧
- مكره/ السريع / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٣ / ٣٨٠
- المجامرا/ الطويل / ابن أبى الخصال / ٢ / ٢ / ٢٧٨
- ثمره/ البسيط / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٣٩
- العمرا/ الطويل / النفرى / ٢ / ٣ / ٤١
- الورى/ المتقارب / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٥٠
- زورا/ الكامل / ابن المرحل / ١٥ / ٣ / ٢٣٨
- مزوره/ الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٤٦
- مقصوره/ الكامل / ابن هانىء اللخمى / ٢ / ٣ / ١١١
- مذكورا/ البسيط / ابن حبيب / ٤ / ٣ / ٤٢٣

- و تهوّر/ الطويل/ ابن الخطيب السلماني/ ٣/ ٤/ ٣٧١
 كثيره/ مخلع البسيط/ ابن حسان/ ٣/ ٣/ ١٥٧
 متحيرا/ الكامل/ الششتري/ ٣/ ٤/ ١٧٤
 خيره/ المجتث/ ابن الخطيب السلماني/ ٢/ ٤/ ٤٢٨
 الرء المضمومة
 طائره/ البسيط/ ابن الجياب/ ٤١/ ٢/ ٣١٥
 تمثاره/ الكامل/ ابن الخطيب السلماني/ ٢/ ٤/ ٤٣٤
 الثار/ الطويل/ ابن الحاج/ ٢/ ١/ ١٨٣
 آثاره/ الكامل/ ابن أبي الخصال/ ٢/ ٢/ ٢٧٢
 يستتار/ مخلع البسيط/ ابن جزى/ ٣/ ٢/ ١٧٠
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٤٦
 إيثاره/ السريع/ صالح بن يزيد/ ٣/ ٣/ ٢٨١
 جار/ البسيط/ البلياني/ ٨/ ٢/ ٢٤٨
 يجار/ الكامل/ عزوز/ ١٨/ ٤/ ١٤
 تحار/ الكامل/ ابن سعيد الغساني/ ١٢/ ٤/ ٢٧٤
 أسحار/ البسيط/ عبد الحق بن غالب/ ١٠/ ٣/ ٤١٣
 داره/ الكامل/ -/ ٢/ ٤/ ٥١٩
 تدار/ الوافر/ ابن المربع/ ٦/ ٣/ ٣٢٢
 عذاره/ الكامل/ ابن الخطيب السلماني/ ٢/ ٤/ ٤٣٦
 عذاره/ الكامل/ ابن الخطيب السلماني/ ٢/ ١/ ٢٥
 عذاره/ الكامل/ ابن شعيب الكرياني/ ٢/ ١/ ١٣٦
 اعتذار/ مخلع البسيط/ صالح بن يزيد/ ٣/ ٣/ ٢٨٤
 حرار/ الكامل/ أبو القاسم السهيلي/ ٥/ ٣/ ٣٦٦
 أسرار/ البسيط/ ابن المحروق/ ٣/ ٤/ ١٧٢
 الضرار/ الوافر/ ابن الحاج/ ١/ ١/ ١٨٨
 اعورار/ الوافر/ أبو المخشى/ ١/ ٤/ ١٩٦
 أفكاره/ الكامل/ ابن عيسى الحميري/ ٣/ ٢/ ٢٥٥
 و بهاره/ الكامل/ القيحايطي/ ٢٧/ ٤/ ٨٢
 أزهارها/ البسيط/ ابن المرحل/ ٢/ ٣/ ٢٤٠
 يدبر/ السريع/ صالح بن يزيد/ ٢/ ٣/ ٢٨٥
 يصبر/ الطويل/ ابن جزى/ ٢/ ٣/ ٣٠٣
 فيصبر/ الكامل/ ابن المرحل/ ٢/ ٣/ ٢٤١
 و الكبير/ البسيط/ ابن سارة/ ٥/ ٣/ ٣٣٤

- ناثره / البسيط / البدوى / ١٧ / ٣ / ٥٩
- زاجر / الطويل / النباهى / ٤ / ٤ / ٧٠
- فجر / الطويل / أحمد بن عبد الملك بن سعيد / ٤ / ١ / ٩١
- ساحر / الطويل / ابن هذيل / ١٤ / ٤ / ٣٣٨
- و البحر / الطويل / ابن أبى الخصال / ٢ / ٢ / ٢٧٨
- ذخروا / البسيط / أبو الحسن ابن القبطرنة / ٢ / ١ / ٣٠٠
- صدر / البسيط / ابن الصيرفى / ٥٢ / ٤ / ٣٤٩
- مصدر / الطويل / ابن الخطيب السلمانى / ٤ / ١ / ٢٩٣
- غدر وه / الخفيف / ابن شبرين / ٣ / ١ / ٣١٥
- الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٤٧
- فاعذروا / الرمل / أبو الحسن الخزرجى / ٢ / ٤ / ١٦٧
- يذر / البسيط / صالح بن يزيد / ٢٧ / ٣ / ٢٧٨
- الشرر / البسيط / المزدغى / ٢ / ٤ / ١٧
- بيشّر / الطويل / ابن رشيد / ٥٥ / ٣ / ١٠٤
- ناصره / البسيط / ابن البنا / ٢١ / ٤ / ١٤٢
- ينصر / الطويل / ابن الخطيب السلمانى / ٢ / ٤ / ٤٤٩
- يخاطر / الطويل / المنصور بن أبى عامر / ٧ / ٢ / ٥٩
- أسطر / الطويل / الفتح بن خاقان / ١ / ٤ / ٢١٠
- القطر / الطويل / ابن العشاب / ٥ / ٢ / ٣٧٤
- تمطر / الطويل / الفتح بن خاقان / ٦ / ٤ / ٢١٠
- شاعر / الطويل / المخزومى الأعمى / ٤ / ٣ / ١٦٤
- الذعر / الطويل / ابن القصيرة / ١٨ / ٢ / ٣٦٨
- أمر / الطويل / أحمد بن عبد الملك بن سعيد / ٨ / ١ / ٨٩
- الأمر / الطويل / ابن الخطيب السلمانى / ٢ / ٤ / ٤٥٤
- قمر / المنسرح / ابن الخطيب السلمانى / ١ / ٢ / ٧
- ظاهر / الطويل / النباهى / ٤ / ٤ / ٧٠
- زواهر / الطويل / القرشى / ١٠ / ٤ / ١٦٨
- الزهر / الطويل / ابن الخطيب السلمانى / ١ / ٢ / ١٢
- جوهر / السريع / البدوى / ٤ / ٣ / ٥٧
- و البدور / الوافر / أبو بكر بن الطفيل / ٢ / ١ / ٧١
- زور / الطويل / ابن الخطيب السلمانى / ٢٨ / ٤ / ٤١٠
- أزوره / الطويل / ابن الصائغ / ٣ / ١ / ٢٢١
- قتير / الوافر / يحيى بن عبد الله اللخمى / ١١ / ٤ / ٢٩٩

سريها/الكامل/ يحيى بن عبد الله اللخمي / ١٦ / ٤ / ٢٩٨

وزير/مخلع البسيط /- / ٢ / ٤ / ٢٧٨

و نصير/ الطويل/ ابن صفوان / ١٤ / ١ / ١٠١

نظيرها/ الطويل/ النباهي / ١ / ٤ / ٧٥

نقير/ الطويل/ ابن الصقر / ٣ / ١ / ٧٠

الراء المكسورة

و اختباري/ مجزوء الرمل/ ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٤٨

ثار/ الطويل/ حمدة بنت زياد / ٣ / ١ / ٢٧٦

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٤٨

الآثار/الكامل/ ابن الخطيب السلماي / ٣ / ٤ / ٤٤٤

جار/ البسيط/ الشاط / ٢ / ٤ / ٢١٩

داري/ المتقارب/ ابن رشيق / ٢ / ١ / ٢٦٦

بالدار/ البسيط/ ابن الخطيب السلماي / ١ / ٤ / ٤٣٢

مقدار/ الطويل/ ابن جزى / ٣ / ١ / ٥٣

و اعتذارى/ الخفيف/ ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٥١

الجزار/ الكامل/ صالح بن يزيد / ١٠ / ٣ / ٢٨١

مدرار/ الكامل/ ابن زمرك / ٨ / ٢ / ٢٠١

المدرار/ الكامل/ ابن زمرك / ١٥ / ٢ / ٢٠٠

الأزرار/ الكامل/ المعتمد بن عباد / ٧ / ٢ / ٦٦

قرار/ الكامل/ ابن الخطيب السلماي / ٣٩ / ٤ / ١٨٤

قرار/ الكامل/ ابن مجبر / ٥ / ٤ / ٣٦٣

مزاره/ الطويل/ ابن الفرس / ١٠ / ٣ / ٤١٨

مزارى/ الكامل/ البلوى / ٣٣ / ٢ / ٢٦٣

الاختصار/ الوافر/ ابن البنا / ٣ / ٣ / ٢٠٤

و الأوطار/ الكامل/ عزوز / ١٠ / ٤ / ١١

عقار/ الكامل/ النفزي / ٩ / ٣ / ٤٠

وقاره/ الكامل/ الرصافي البنسي / ٢ / ٢ / ٣٦٥

بالوقار/ الوافر/ ابن الحكيم اللخمي / ١٠ / ٢ / ٣٢٢

بالذكار/ الكامل/ المأمون / ٤ / ١ / ٢٢٦

تذكاره/ الكامل/ ابن الحكيم اللخمي / ١٥ / ٢ / ٣٢٢

المضممار/ الكامل/ ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٣٣

الأعمار/ الكامل/ ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٣٦

نار/ الطويل/ ابن قطبة / ٢ / ٢ / ١٦٠

- النهار/ الوافر/ العبدري / ٢ / ٢ / ٤١٩
- الأنوار/ الكامل/ ابن صفوان / ١ / ١ / ٩٩
- اختياره/ الطويل/ ابن الخطيب السلماى / ٢ / ٢ / ٤٤٧
- الديار/ الوافر/ الطويجن / ١ / ١ / ١٧٣
- الديار/ الوافر/ عبد الله بن سعيد السلماى / ٢ / ٣ / ٢٩٧
- الخبر/ البسيط/ المنتشاقري / ٢ / ٢ / ٣٢٥
- خبرى/ مجزوء الرجز/ ابن مرزوق / ٣ / ١١٦ / ٨٠
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٤٩
- فتصبر/ الكامل/ ابن خطاب / ٥ / ٢ / ٢٩٥
- و اصطبر/ البسيط/ ابن منظور القيسى / ٢ / ٢ / ١٠٢
- قبرى/ الطويل/ اللماى / ٤ / ١ / ١٠٤
- تعترى/ الكامل/ ابن الخطيب السلماى / ٣ / ٤ / ٥١٥
- يعترى/ السريع/ عبد الحق بن مفرج / ٣ / ٣ / ٤١٢
- و كثره/ المجتث/ ابن اللؤلؤة / ٤ / ٣ / ١٣٨
- و نثر/ المجتث/ أبو بكر بن سعيد / ٩ / ١ / ٢٣٢
- الكوثر/ الكامل/ ابن مرج الكحل / ٢١ / ٢ / ٢٢٩
- و بالأجر/ الطويل/ ابن أبى العافية / ٣ / ١ / ٢٨٥
- تجرى/ الطويل/ صالح بن يزيد / ٩ / ٣ / ٢٨٣
- تجرى/ الطويل/ ابن مهيب / ١٧ / ٢ / ٢٩١
- تجرى/ الكامل/ ابن الخطيب السلماى / ١ / ٣ / ٣٣٣
- حجره/ السريع/ ابن الخطيب السلماى / ٢ / ٢ / ٤٤٥
- الفجر/ الطويل/ ابن الخطيب السلماى / ٢ / ٢ / ٤٤٣
- الفجر/ الطويل/ ابن الخطيب السلماى / ٢ / ٢ / ٤٤٤، ٤٣٤
- بحر/ الطويل/ ابن أبى الخصال / ٢ / ٢ / ٢٨١
- القادر/ الكامل/ ابن الخطيب السلماى / ٣ / ٢ / ٢٥٠
- بالنوادر/ الطويل/ ابن جزى / ٢ / ٣ / ٣٠٤
- تدر/ موشح/ ابن الخطيب السلماى / ٣٧ / ٤ / ٤٥٥
- صدرى/ الطويل/ ابن حزم / ٢ / ٤ / ٩١
- صدرى/ الطويل/ نزهون بنت القليعى / ٢ / ٣ / ٢٦٣
- صدرى/ مجزوء الكامل/ ابن الخطيب السلماى / ٢ / ٢ / ٤٢٧
- المصدر/ المتقارب/ ابن الحاج البليقى / ١٤ / ٢ / ٩٩
- غدر/ الطويل/ ابن الحكيم اللخمى / ١٨ / ٢ / ١٧٩
- القدر/ الطويل/ ابن الخطيب السلماى / ٢ / ٢ / ٤٤١

- القدر/ الرمل/ ابن الجياب/ ١٢/ ٤/ ١٦٩
- يقدر/ الكامل/ أبو المخشى/ ١٠/ ٤/ ١٩٨
- يدري/ الطويل/ ابن الخطيب السلماي/ ٢/ ٤/ ٤٣٠
- الذّرّ/ الطويل/ ابن الحكيم اللخمي/ ٢/ ٢/ ١٧٧
- و الضرر/ البسيط/ ابن سوار المحاربي/ ٣/ ٤/ ١٧
- بأسر/ الخفيف/ الحجاري/ ٢/ ٣/ ٣٣٠
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٥٠
- و اليسر/-/ محمد بن أحمد القيسي/ ٢/ ٢/ ٢٦٢
- العشر/ البسيط/ أبو العلاء المعري/ ١/ ٣/ ٧١
- و البصر/ البسيط/ ابن الرومية/ ٤/ ١/ ٨٧
- و النصر/ الطويل/ ابن الخطيب السلماي/ ٢/ ٤/ ٤٤٤
- القطر/ الطويل/ ابن بيش/ ٥/ ٣/ ١٧
- نواظري/ الطويل/ يحيى بن محمد التطيلي/ ١٠/ ٤/ ٣٥٨
- النواظر/ الطويل/ ابن قطبة/ ٦/ ١/ ٣٠
- نظري/ المنسرح/ ابن الخطيب السلماي/ ٢/ ٤/ ٤٣٨
- الشعر/ الطويل/ ابن هذيل/ ٦/ ٣/ ٢٩٨
- وعر/ الطويل/ محمد بن عبد الملك بن سعيد/ ٢/ ٣/ ١٦٢
- الأعفر/ الكامل/ الطويجن/ ١/ ١/ ١٧٦
- بمغفر/ الكامل/ ابن الخطيب السلماي/ ١/ ٤/ ٥٣١
- و الفقر/ الطويل/ ابن عباد النفزي/ ٢/ ٣/ ١٩٠
- و البكر/ البسيط/ الورّاد/ ٢/ ٤/ ١٤٧
- بالنكر/ الطويل/ ابن الحاج/ ٢/ ١/ ١٨٣
- أمر/ الطويل/ ابن الخطيب السلماي/ ٢/ ٤/ ٤٣١
- الأمر/ الطويل/ ابن خلصون/ ٩/ ٣/ ١٩٨
- عامر/ الطويل/ ابن الخطيب السلماي/ ١/ ٤/ ٣٧٨
- الخمير/ الطويل/ المكودي/ ٢/ ٣/ ٩
- و الخمير/ الطويل/ ابن راجح/ ٢٠/ ٢/ ٤١٦
- القمر/ البسيط/ ابن الحكيم اللخمي/ ٢/ ٢/ ٣٢٤
- الطاهر/ الكامل/ ابن حزب الله/ ٩/ ٢/ ٢٥٠
- الدهر/ الطويل/ ابن الخطيب السلماي/ ٨/ ١/ ٢٠١
- الدهر/ الطويل/ ابن الخطيب السلماي/ ٢٥/ ٤/ ٢٩٢
- الدهر/ الطويل/ ابن رشيق/ ٦/ ٤/ ٣٤٧
- الدهر/ الطويل/ الششتري/ ٨/ ٤/ ١٧٤

- قهرة/ السريع / صالح بن يزيد / ٢٨٥ / ٣ / ٥
- بزوره/ الوافر/ ابن سارة/ ٣٣٥ / ٣ / ٣
- و قسور/ الطويل /- / ١٨ / ٤ / ٢
- و الصور/ البسيط/ ابن عبدون/ ٣٢ / ٤ / ٧١
- و قصورها/ الطويل / ابن أبي الخصال / ٢٨١ / ٢ / ٢
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٥١
- الأكور/ الكامل/ ابن الحاج/ ١٨٣ / ١ / ٢
- تكبيرى/ الكامل/ ابن عميرة/ ٦٥ / ١ / ٢
- مسيرها/ الكامل/ ابن الخطيب السلماني / ٤٤٥ / ٤ / ٢
- قافية الزاى
- الزاى الساكنة
- مستوفز/ موشح/ ابن الخطيب السلماني / ٤٥٧ / ٤ / ٢٠
- الزاى المفتوحة
- أعجزه/ مجزوء الرجز/ ابن الخطيب السلماني / ٤٣٨ / ٤ / ٢
- عزّا/ الطويل / عمامتى / ٣٣٣ / ٢ / ٢
- الزاى المضمومة
- عزيز/ الكامل/ ابن صفوان / ١٠٠ / ١ / ٢
- الزاى المكسورة
- مجاز/ الطويل / أبو محمد القرطبي / ٣١١ / ٣ / ٢
- إنجازها/ الكامل/ ابن الخطيب السلماني / ٩٧ / ٤ / ٢
- إيجازها/ الكامل/ ابن الصباغ / ٩٧ / ٤ / ٥
- و تنتزى/ الطويل / ابن أبي الخصال / ٢٧٧ / ٢ / ٢
- العزّ / المنسرح/ السالمى / ٧١ / ٢ / ٤
- قافية السين
- السين الساكنة
- ناكس / مخلع البسيط/ ابن المرحل / ٢٣٨ / ٣ / ٨
- السين المفتوحة
- أسى / الطويل / ابن الجياب / ١٠٨ / ٤ / ٣١
- غاطسا/ الكامل/ ابن الخطيب السلماني / ٤٤١ / ٤ / ٢
- و اللواعسا/ الطويل / قرشى بن حارث / ٢٢٢ / ٤ / ٤
- تنفسا/ الطويل / ابن هذيل / ٣٣٦ / ٤ / ٩
- فأفلسا/ الطويل /- / ٣٨٤ / ٣ / ٢
- البوسى / الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٢٢٠ / ٣ / ١

- حسيسا / الكامل / التلمساني / ١٧٠ / ١ / ٣
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٥٢
عيسى / الطويل / ابن هذيل / ٣٤٢ / ٤ / ١٦
السين المضمومة
يرأس / السريع / ابن سعيد / ١٣٢ / ٤ / ٢
إنياس / البسيط / ابن عيسى الحميرى / ٢٥٦ / ٢٠ / ١
عابس / الطويل / ابن هذيل / ٣٣٩ / ٤ / ٣
مختلس / البسيط / ابن عياش / ٣٣٩ / ٢ / ٢
جنس / الهزج / ابن الجياب / ١٢٠ / ٤ / ٨
السين المكسورة
الآسى / الطويل / الرصافى البلنسى / ٣٦٥ / ٢ / ٣
الآسى / البسيط / محمد بن أحمد القيسى / ٢٦٢ / ٢ / ٢
بقرطاس / البسيط / أم الحسن بنت أبى جعفر الطنجالى / ٢٣٧ / ١ / ٢
كاس / الوافر / المكودى / ٩ / ٣ / ٣
ناسى / الطويل / ابن عطية / ٣٢٢ / ٤ / ٣
الناس / مجزوء البسيط / - / ٢٣٧ / ١ / ٢
و ناسى / المتقارب / ابن الحاج / ١٨٤ / ١ / ٢
أكياس / البسيط / الطريفى / ٣٢٥ / ٢ / ٣
الياس / البسيط / النباهى / ٧١ / ٤ / ٢
بالياس / البسيط / النفزى / ٤١ / ٣ / ٢
و الياس / البسيط / ابن الحكيم اللخمى / ٣٢٥ / ٢ / ٣
و بالياس / الطويل / ابن الخطيب السلمانى / ٤٠٩ / ٤ / ٢٨
السندس / الكامل / ابن خاتمة / ١١٤ / ١ / ٢٩
مفترس / البسيط / الطويجن / ١٧٦ / ١ / ٢٥
يدرس / الكامل / ابن شعيب الكريانى / ١٣٦ / ١ / ٤
و العرسى / الطويل / الينشتى / ٤٠٥ / ٣ / ٣
نفسه / السريع / - / ٣٨٤ / ٣ / ٢
تنفس / الطويل / ابن أبى الخصال / ٢٨١ / ٢ / ٢
الشمس / السريع / الشريشى / ١٢٨ / ٣ / ٥
اللمس / الطويل / ابن خلاف / ١٣٧ / ٤ / ٦
الجنس / الطويل / الفازازى / ٣٩٩ / ٣ / ٥
جنسه / الخفيف / ابن الخطيب السلمانى / ٤٣٩ / ٤ / ٣
باديس / الطويل / ابن الخطيب السلمانى / ٢٤٦ / ١ / ١

- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٥٣
 باديس / الطويل / ابن الخطيب السلماي / ٣٧ / ٤ / ٤١٢
 رسيي / الكامل / ابن خطاب / ٤ / ٢ / ٢٩٨
 عيسه / الطويل / ابن أبي الخصال / ٢ / ٢ / ٢٧٧
 كيس / الطويل / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٥٠
 كأويس / الخفيف / ابن شبرين / ١ / ٢ / ١٥٦
 قافية الشين
 الشين المفتوحة
 الأشا / مجزوء الكامل / عمامتي / ٢ / ٢ / ٣٣٣
 رشا / الخفيف / ابن خاتمة / ٥ / ١ / ١١٧
 يشا / البسيط / - / ٢ / ١ / ١٥٣
 الشين المكسورة
 بالغيش / البسيط / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٤٦
 ريشي / الوافر / ابن مرج الكحل / ٢ / ٢ / ٢٣١
 قافية الصاد
 الصاد المفتوحة
 شخصا / البسيط / أبو القاسم الحسني / ١ / ٣ / ١١٠
 خصصا / الكامل / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٣٩
 قضا / مجزوء الوافر / المقرئ (أبو عبد الله) / ٣ / ٢ / ١٣٤
 مخلصه / الكامل / عبد المهيم بن محمد / ٢ / ٤ / ٨
 قلصا / البسيط / ابن هانيء اللخمي / ١٦ / ٣ / ١١٠
 نصا / مجزوء الوافر / أبو بكر بن العربي / ٢ / ٢ / ١٣٤
 الصاد المكسورة
 بالمعاصي / الوافر / ابن خميس / ٢ / ٤ / ٢٧٧
 شخص / الطويل / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٤٩
 القصص / البسيط / ابن الفصال / ٩ / ٣ / ٣٧٥
 قص / البسيط / ابن الفصال / ٤ / ٣ / ٣٧١
 بنقص / الخفيف / ابن خاتمة / ٧ / ١ / ١١٦
 منتكص / البسيط / ابن الفصال / ٤ / ٣ / ٣٧٣
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٥٤
 قافية الضاد
 الضاد المفتوحة
 أغراضه / الكامل / - / ٢ / ٣ / ٣٧٤

- الرضا/ الطويل / ابن الخطيب السلماني / ١١٣ / ٤ / ٤
 و عرضا/ الوافر/ ابن الزبير/ ١٧ / ٣ / ١٢٠
 مقرّضا/ الطويل / الشريف العمراني / ١٤ / ٢ / ٣٧٢
 الفضا/ المتقارب / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٤٦
 القضا/ المتقارب / ابن جزى / ٢ / ٢ / ١٧١
 فقضى / البسيط / - / ١ / ٢ / ١٣٨
 تميمضا/ الطويل / ابن الجياب / ٣٠ / ٤ / ١١٣
 غمّضا/ الكامل / ابن هذيل / ٧ / ٤ / ٣٣٨
 فمضى / الرمل / أبو المخشى / ١٥ / ٤ / ١٩٧
 أو مضا/ الطويل / ابن الجنان / ٢٠ / ٢ / ٢٣٤
 أبيضاً/ الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٤١
 الضاد المكسورة
 رائض / السريع / النفزى / ٢ / ٣ / ٤١
 براض / الطويل / - / ٣ / ٤ / ١٩٤
 براض / الكامل / ابن الحكيم اللخمي / ٤ / ٢ / ١٧٤
 المراض / - / الإستجى الحميرى / ٢ / ٢ / ٢١٠
 قاض / الطويل / ابن الحاج / ٢ / ١ / ١٨٦
 لعياض مجزوء الرمل / ابن الخطيب السلماني / ٢٢ / ٣ / ٩٦
 محض / الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٤٤
 و العرض / الطويل / - / ٣ / ٢ / ٢١٥
 و العرض / الطويل / ابن كسرى / ٣ / ١ / ٢٦٣
 الغرض / الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٥٣٢
 الغضّ / الطويل / ابن فرسان / ٦ / ٣ / ٤٤٧
 قافية الطاء
 الطاء المفتوحة
 وسطه / الكامل / الشاط / ٥ / ٤ / ٢١٨
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٥٥
 القطا/ الكامل / ابن الحداد / ٨ / ٢ / ٢٢٣
 رقطا/ الطويل / ابن الجياب / ٣٥ / ٤ / ١١٥
 الطاء المضمومة
 و تغبط / الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٤٦
 القبط / الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٦٨ / ٤ / ٤٠٥
 الطاء المكسورة

- الشاطى / المنسرح / المنتشاقرى / ٣ / ٤ / ٣٣٠
- الإبط / السريع / قاسم بن أحمد الحضرمى / ١ / ٤ / ٢٢٤
- شحط / البسيط / ابن خلاف / ١٠ / ٤ / ١٣٦
- الخطط / المنسرح / ابن قزمان / ١٣ / ٢ / ٣٥٠
- تعطى / الطويل / ابن الخطيب السلمانى / ٤ / ٣ / ٢٩٨
- مغبوط / الطويل / ابن الخطيب السلمانى / ٢ / ٤ / ٤٤٥
- القنوط / الوافر / ابن الخطيب السلمانى / ٢ / ٤ / ٤٤٨
- قافية العين
- العين الساكنة
- ودع / مجزوء الخفيف ابن أبى الخصال / ٦ / ٢ / ٢٨٧
- المتسع / السريع / ابن الخطيب السلمانى / ٢ / ٤ / ٤٣٨
- دفع / الكامل / ابن الخطيب السلمانى / ٢ / ٤ / ٤٣٨
- المدامع / مجزوء الكامل / المقرئ (أبو عبد الله) / ٤ / ٢ / ١٣٣
- العين المفتوحة
- تابعه / الكامل / محمد بن عبد الرحمن الغسانى / ٧ / ٣ / ١٣٤
- تبعه / الرمل / ابن لب / ٥ / ٣ / ٢٦
- أربعا / الطويل / البرجى / ٩ / ٢ / ١٩٥
- الرجوعا / الخفيف / المليكىشى / ٣ / ٢ / ٤٠٩
- الخديعه / المتقارب / ابن الجياب / ٤ / ٤ / ١١٩
- و شريعته / الخفيف / الشاطى / ٣ / ٤ / ٢١٩
- مريعا / الطويل ابن أبى الخصال / ٢ / ٢ / ٢٧٧
- شنيعه / المتقارب / العزفى / ٣ / ٣ / ٤
- الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٥٦
- العين المضمومة
- ينابع / الطويل / ابن الزيات / ٥ / ٣ / ٣٢٢
- مرتّع / الكامل / ابن عميرة / ٢ / ١ / ٦٤
- و لادع / الطويل / ابن الخطيب السلمانى / ٣ / ١ / ٣٠
- ودّعوا / الطويل / ابن أبى الخصال / ٢ / ٢ / ٢٧٩
- أودعوا / الطويل / ابن صفوان / ١ / ١ / ٩٩
- ذرعاه / المجتث / محمد بن سعيد بن خلف / ٢ / ٣ / ١٦٤
- و يخشع / الكامل / الزيات / ٥ / ١ / ١٤٩
- تنفع / الكامل / صالح بن يزيد / ٢ / ٣ / ٢٨٥
- طالع / الطويل / ابن المربع / ٤ / ٣ / ٣٢٢

- مطالعه / الطويل / ابن هذيل / ٣٣٥ / ٤ / ٨ /
الأضلع / الكامل / ابن خميس / ٣٨٢ / ٢ / ٦٤ /
مطلع / الطويل / ابن أبى الخصال / ٢٨٠ / ٢ / ٢ /
المدامع / الطويل / ابن الجياب / ١٥٠ / ١ / ١ /
هامع / الكامل / ابن المراجع / ١٥١ / ١ / ١ /
لوامع / الطويل / ابن أبى الخصال / ٢٧٦ / ٢ / ٢ /
و يجمع / الكامل / ابن مرج الكحل / ٢٣١ / ٢ / ٩ /
مطمع / الطويل / ابن جزى / ٣٠٤ / ٣ / ٤ /
يطمع / الكامل / اللمائي / ١٠٣ / ١ / ٢ /
يلمع / الكامل / ابن الإمام الأنصارى / ١٤٨ / ٤ / ٢ /
يصنع / الكامل / ابن خاتمة / ١١١ / ١ / ١ /
فيصنعه / البسيط / الوراد / ١٤٧ / ٤ / ٢ /
الأروع / الكامل / ابن الصيرفى / ٣٥٢ / ٤ / ٧٥ /
نزوعها / الطويل / ابن زمرك / ٢٠٣ / ٢ / ٢ /
الجموع / مجزوء الكامل المعتمد بن عباد / ٦٤ / ٢ / ٧ /
ممنوع / الكامل / سهل بن طلحة / ٢٧٥ / ٤ / ١١ /
سريع / الكامل / - / ١٢٣ / ١ / ١ /
تقطيع / البسيط / ابن خاتمة / ١١٣ / ١ / ٩ /
و مطيع / الطويل / ابن ميمون / ٦٢ / ٣ / ٢ /
شفيح / الطويل / ابن أبى العافية / ٢٨٥ / ١ / ٢ /
جميعها / الطويل / ابن زمرك / ٢٠٣ / ٢ / ١٣ /
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٥٧
العين المكسورة
بدائعى / الطويل / ابن عطية المحاربي / ٤٣٧ / ٣ / ١٧ /
الرائع / الكامل / ابن خاتمة / ١٠٩ / ١ / ٥ /
بالخداع / الخفيف / ابن عميرة / ٦٥ / ١ / ٢ /
لوداعى / الكامل / ابن برطال / ٦١ / ١ / ٣ /
أسماعى / السريع / ابن خاتمة / ١٢١ / ١ / ٢ /
خاشع / الكامل / ابن المرحل / ٢٤٢ / ٣ / ٥٦ /
الدفع / الطويل / سهل بن محمد الأزدي / ٢٣٩ / ٤ / ٨ /
مشفع / الطويل / ابن أبى الخصال / ٢٨١ / ٢ / ٢ /
الطواع / الطويل / ابن الحكيم اللخمي / ١٧٣ / ٢ / ٣ /
الطواع / الطويل / ابن أبى الخصال / ٢٨٠ / ٢ / ٢ /

- أضلعه / السريع / ابن هانىء اللخمي / ١٣٣ / ٣ / ٥
 معى / الطويل / ابن أبى الخصال / ٢٨٢ / ٢ / ٢
 جمعه / السريع / - / ٣١٩ / ١ / ٢
 تسمع / الكامل / ابن شعيب الكريانى / ١٣٧ / ١ / ٦
 التصنع / الطويل / ابن الجنان / ٢٥٢ / ٤ / ١
 خضوع / المتقارب / عبد المهيم بن محمد / ٨ / ٤ / ٢
 و لوعى / الخفيف / ابن الخطيب السلماني / ٤٢٦ / ٤ / ٢
 الولوع / الوافر / ابن الخطيب السلماني / ٤٥٤ / ٤ / ٢
 التوديع / الكامل / ابن جزى / ١٦٧ / ٢ / ٣١
 سميع / الكامل / ابن خلدون / ٣٩١ / ٣ / ٢١
 قافية الغين
 الغين المضمومة
 و فراغ / الطويل / ابن جزى / ١٢ / ٣ / ٤
 مصاغ / الطويل / ابن اللؤلؤة / ١٣٨ / ٣ / ٤
 قافية الفاء
 الفاء الساكنة
 و الطارف / السريع / الشريشى / ١٢٩ / ٣ / ٢
 فعطف / البسيط / ابن عرفة / ١٤١ / ١ / ٢
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٥٨
 الفاء المفتوحة
 التفتا / الطويل / ابن زمرك / ٢٠١ / ٢ / ٧
 أجفا / الطويل / صالح بن يزيد / ٢٧٨ / ٣ / ٦
 خفا / الطويل / ابن أبى الخصال / ٢٨٠ / ٢ / ٢
 صرفا / الطويل / ابن العابد / ١٨٢ / ٢ / ١
 طرفا / الرمل / ابن خلصون / ١٩٦ / ٣ / ٩
 كاشفا / الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٤٤٩ / ٤ / ٢
 و القصفا / الطويل / يحيى بن عبد الجليل الفهرى / ٣٦٢ / ٤ / ١٢
 المسعفا / الكامل / ابن الفراء / ٦٢ / ٤ / ١٨
 كفى / الكامل / عزوز / ١٣ / ٤ / ٣٦
 ألفا / الوافر / الشراط / ٣٣٦ / ٣ / ٥
 مدنفا / الكامل / ابن المرحل / ٢٤٢ / ٣ / ٣
 شنفا / الطويل / ابن هانىء الأندلسى / ١٨٧ / ٢ / ٣٢
 الوفا / السريع / محمد بن محمد بن محمد الخزرجى / ٣١٧ / ١ / ١٦

- مجوّفا/ الطويل/ ابن أبى العافية/ ٢/ ١/ ٢٨٥
- تصحيفا/ السريع/ ابن الخطيب السلماني/ ٣/ ٤/ ٤٣٦
- الفاء المضمومة
- سلافه/ الكامل/ ابن الحاج/ ٢/ ١/ ١٨١
- ملتفّ/ الطويل/ -/ ٢/ ٣/ ٣٨٤
- تذرف/ الطويل/ ابن الحاج البلفيقي/ ٧١/ ٢/ ٨٧
- تصرفها/ المنسرح/ التلمساني/ ٤/ ١/ ١٦٩
- مصرف/ الكامل/ الزيات/ ٤/ ١/ ١٥٠
- ينصرف/ المتقارب/ محمد بن أحمد بن أمين/ ٢/ ٣/ ٢٠٣
- صفصف/ الكامل/ -/ ٢/ ٤/ ٥٦
- تقف/ المديد/ ابن الصباغ العقيلي/ ٢/ ٤/ ٩٧
- و وكف/ الخفيف/ ابن خاتمة/ ٥/ ١/ ١١٦
- يخلف/ الكامل/ ابن لب/ ٣/ ٤/ ٥٦
- نتنصف/ الطويل/ -/ ٢/ ٤/ ٢٩٧
- و الصروف/ الوافر/ ابن عطية/ ٩/ ٤/ ١٩٤
- يسوّف/ الطويل/ ابن أبى الخصال/ ٢/ ٢/ ٢٨١
- خفيف/ الطويل/ ابن الحاج/ ٢/ ١/ ١٨٤
- الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٥٩
- الفاء المكسورة
- الطوائف/ الطويل/ ابن أبى الخصال/ ٢/ ٢/ ٢٨٠
- و إشراف/ الطويل/ ابن الخطيب السلماني/ ٢/ ٤/ ٤٣١
- نطاف/ الكامل/ ابن قزمان/ ٢/ ٢/ ٣٤٧
- حتف/ الطويل/ فرج بن محمد/ ١/ ٤/ ٢٠٧
- كطرفه/ الطويل/ ابن أبى مدين/ ٢/ ٢/ ٣٢٤
- رشفه/ الكامل/ أبو الطاهر المازني/ ٤/ ٢/ ٣٧١
- المنصف/ الكامل/ البلياني/ ١٧/ ٢/ ٢٤٨
- شغف/ البسيط/ ابن عرفة/ ٢/ ١/ ١٤٢
- بالجلف/ الطويل/ ابن العراقي/ ٥/ ٣/ ١٧١
- بمخلفها/ المتدارك/ -/ ٦/ ٤/ ٥١٩
- و السلف/ البسيط/ ابن عطية المحاربي/ ٢٢/ ٣/ ٤٢٦
- مرهف/ الطويل/ ابن الخطيب السلماني/ ٢/ ٤/ ٤٤٢
- بالخوف/ الطويل/ ابن الحاج البلفيقي/ ٢/ ٢/ ٩٣
- خوفه/ الكامل/ ابن الخطيب السلماني/ ٢/ ٤/ ٤٣٠

- المتصوف / الكامل / ابن الجياب / ١١ / ٣ / ١٧٩
- أنوف / الخفيف / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٢ / ٤ / ٤٣٨
- سيف / الطويل / ابن القصيرة / ٤ / ٤ / ٢٠٧
- قافية القاف
- القاف الساكنة
- الرفاق / مجزوء الكامل ابن شعيب الكرياني / ١٦ / ١ / ١٣٧
- السبق / الكامل / - / ١ / ١ / ٢٠٩
- فأسق / السريع / ابن عبدون / ١ / ٤ / ١٧
- عسق / السريع / صفوان بن إدريس / ٤ / ٣ / ٢٧٣
- العسق / السريع / الزياني / ١ / ٤ / ١٧
- أفق / المتقارب / ابن ميمون / ٣ / ٣ / ٦١
- الفلق / السريع / ابن المرحل / ١ / ٤ / ١٧
- العقيق / السريع / ابن طلحة / ٣ / ١ / ١٠٥
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٦٠
- القاف المفتوحة
- و وفاقا / الخفيف / ابن هيضم / ١٦ / ٤ / ١٤٠ الإحاطة في أخبار غرناطة ؛ ج ٤ ؛ ص ٦٦٠
- قى / الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٢ / ٤ / ٤٤٨
- منتقى / الطويل / ابن أبي الخصال / ٢ / ٢ / ٢٨٠
- الحقا / الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٢ / ٤ / ٤٤٩
- رقا / الطويل / فرج بن لب / ١٠ / ٤ / ٢١٣
- رقا / الكامل / ابن الحاج البليقي / ٢ / ٢ / ٩٣
- الورقا / البسيط / المقرئ (أبو عبد الله) / ٥ / ٢ / ١٣٤
- يرقى / الطويل / ابن قطبة الدوسي / ٧ / ٢ / ١٦٢
- تنطقا / المتقارب / ابن جزى / ١ / ٢ / ١٧١
- خلقا / البسيط / ابن الحكيم اللخمي / ٤ / ٢ / ١٧٣
- طلقا / الخفيف / ابن أبي العافية / ٥ / ١ / ٢٨٤
- و رحيقه / الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٢ / ٤ / ٤٢٨
- الطريقه / الوافر / ابن الخطيب السلماني / ٦ / ١ / ٧١
- شفيقا / الطويل / ابن جبير / ٢ / ٢ / ١٥١
- القاف المضمومة
- الحدائق / الطويل / ابن رشيد / ٢٩ / ٣ / ١٠٦
- حقائقه / البسيط / مروان بن عبد العزيز / ٦ / ١ / ١٢٩
- مشتاق / الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٢ / ٤ / ٤٣٢

- إشراق / البسيط / ابن حسان / ٣ / ٣ / ١٥٨
- حاذق / الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٤١
- الأرق / الرمل / ابن خاتمة / ٨ / ٢ / ٣٤٦
- تحترق / المنسرح / - / ١ / ١ / ٨٠
- تشرق / السريع / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٤٦
- و يشرق / الطويل / ابن حزم / ٢ / ٤ / ٩٠
- يفرق / الكامل / ابن خاتمة / ١ / ١ / ١٢٣
- تنطق / الطويل / أبو القاسم السهيلي / ٢ / ٣ / ٣٦٤
- منطق / الكامل / ابن يست / ١ / ٣ / ٤٤٢
- تشقق / الكامل / - / ١ / ٢ / ١٠
- موتق / الطويل / الوزاد / ٣ / ٤ / ١٤٥
- الشروق / الخفيف / أبو الحسن بن سعيد / ٤ / ١ / ٢٨٠
- الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٦١
- و تشوق / الطويل / يوسف بن سعيد بن حسان / ١٠ / ١ / ٢٧
- تعوقه / الطويل / سهل بن محمد الأزدي / ٩ / ٤ / ٢٣٦
- رحيق / الوافر / ابن خاتمة / ٥ / ١ / ١١٧
- طريق / الطويل / الطرسوني / ٣ / ٣ / ١٤
- غريقه / الطويل / سهل بن محمد الأزدي / ٣ / ٤ / ٢٥٢
- تضيق / الكامل / ابن مهيب / ٢٢ / ٢ / ٢٩٢
- أطيق / الطويل / اللوشى / ٢ / ٢ / ١٧٥
- عقيقها / الطويل / البلياني / ٩ / ٢ / ٢٤٧
- طليق / الطويل / ابن جزى / ٢٠ / ٢ / ١٦٤
- القاف المكسورة
- لتائق / الطويل / ابن هذيل / ٥ / ٤ / ٣٣٦
- سائق / الطويل / ابن الحاج البليقي / ٢ / ٢ / ٩٧
- الباقي / الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ١١٠
- الباقي / الطويل / الرصافي البلنسى / ٩ / ٢ / ٣٦٣
- راق / الخفيف / المنتشاقرى / ٣ / ٤ / ٣٣١
- إطراق / الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٤٨ / ٤ / ١٢٣
- العراق / مخلع البسيط / ابن الخطيب السلماني / ٢٥ / ٤ / ٥٥٣
- الفراق / الوافر / ابن لب / ٢ / ٣ / ٢٦
- ساق / الطويل / ابن الجياب / ٢٨ / ٤ / ١١٠
- العشاق / الكامل / ابن خاتمة / ٢٧ / ١ / ١١١

عشاقه / الخفيف / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٥١

عشاقه / الكامل / ابن جزى / ١٧ / ٢ / ١٦٥

استنشاقه / الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٣٥

الخفاق / الكامل / ابن أبى الخصال / ١٩ / ٢ / ٢٧٠

الإشفاق / الكامل / صالح بن يزيد / ٢ / ٣ / ٢٨٤

باستحقاق / الكامل / ابن جبير / ٤ / ٢ / ١٥١

الرقاق / الخفيف / صالح بن يزيد / ٢ / ٣ / ٢٨٢

الآماق / الكامل / ابن الصائغ / ٥٦ / ٢ / ٣٠١

و اعتناق / الوافر / صالح بن يزيد / ٢ / ٣ / ٢٨٢

واق / الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٤٥

الأشواق / الكامل / ابن خلصون / ١٠ / ٣ / ١٩٥

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٦٢

السوابق / الطويل / - / ٢ / ٣ / ٣٦١

السوابق / الطويل / المتنبى / ٢ / ١ / ١٥٤

تتقى / الكامل / ابن أبى العافية / ١٦ / ١ / ٢٨٣

و انتق / الكامل / ابن جزى / ٢ / ٢ / ١٧٠

الحق / الطويل / الإستجى الحميرى / ١ / ٢ / ٢١٢

الحقّ / الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٢ / ١٦٣

أرقى / البسيط / ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٤ / ٤٣٤

بارق / الكامل / يحيى بن بقى / ١٠ / ٤ / ٣٥٩

مشرق / الكامل / المليكىشى / ٢ / ٢ / ٤١٢

طرق / المنسرح / ابن أبى الخصال / ١٠ / ٢ / ٢٧١

المورق / الكامل / ابن أبى العافية / ٢ / ١ / ٢٨٤

لموقق / الطويل / الورداد / ٤ / ٤ / ١٤٧

مراهق / الطويل / ابن أبى الخصال / ٢ / ٢ / ٢٧٨

الطريق / المتقارب / ابن الحاج البلفيقى / ٩ / ٢ / ٩٦

عريق / الطويل / التطيلي / ٢ / ٤ / ٣٥٩

و عشيق / المجتث / أبو بكر بن سعيد / ٢ / ٣ / ٢٦٣

بعقيقه / الكامل / المنتشاقرى / ٦٤ / ٤ / ٣٢٥

قافية الكاف

الكاف الساكنة

و مقتك / الخفيف / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٥٣

مقدار ك / السريع / محمد بن أحمد الحسنى / ٥ / ٢ / ١١١

- بقدرك / الوافر / ابن عبد الملك / ٢ / ٢ / ٣٧٦
 أمرك / الوافر / ابن خاتمة / ٢ / ١ / ١١٧
 شمسك / السريع / ابن الحاج / ٢ / ١ / ١٨٤
 معك / الرمل / ابن مرج الكحل / ٢ / ٢ / ٢٣٢
 آفك / الطويل / ابن الجنان / ٨٠ / ٤ / ٢٤١
 المسالك / مجزوء الرمل / أبو زيد الفزارى / ٣ / ٤ / ٢٣٢
 الحلک / الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٤٠
 الحلک / الكامل / ابن مرزوق / ٤ / ٣ / ٧٧
 بذلك / الخفيف / ابن رضوان / ٣ / ٣ / ٣٤٣
 الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٤٤٣
 هلك / مجزوء الرمل / البدوى / ٤ / ٣ / ٥٨
 الكاف المفتوحة
 سواكا / الخفيف / ابن خطاب / ٨ / ٢ / ٢٩٨
 حياكا / الطويل / المنتشاقرى / ٦ / ٤ / ٣٢٤
 محياكا / الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٤ / ٣٢٣
 البكا / الطويل / ابن مرج الكحل / ٣ / ٢ / ٢٣٢
 دركا / البسيط / ابن شبرين / ٣ / ٢ / ١٥٥
 حالكا / الكامل / المنتشاقرى / ٣ / ٤ / ٣٣١
 مسالكا / الكامل / الشاطبي / ١ / ٣ / ٦١
 هنالكا / الكامل / ابن ميمون / ١ / ٣ / ٦٢
 خيالكا / الكامل / ابن رشيق / ٤ / ١ / ٢٦٦
 كذلكا / الكامل / ابن قوسرة / ١ / ٣ / ٦١
 لشكوكا / السريع / الساحلى / ٣ / ٤ / ٣٤٨
 مسلوكا / الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٢٩
 عريكه / مجزوء الرمل / ابن الحاج / ٢ / ١ / ١٨٣
 الكاف المضمومة
 هتاك / البسيط / النفزى / ٨ / ١ / ١٩٥
 فتك / المنسرح / ابن شعيب الكريانى / ٤ / ١ / ١٣٦
 فارك / الطويل / ابن خميس / ٧٠ / ٢ / ٣٧٩
 الشرك / المنسرح / ابن أبى تليد / ٢ / ٣ / ٣٠
 التّسك / الطويل / النفزى / ٣ / ٣ / ٤٢
 حالك / الطويل / السلمى / ٢ / ٤ / ١٦٨
 مالک / الكامل / ابن رشيق / ٣٦ / ١ / ٢٦٤

- يسلكه / البسيط / ابن جعفر القونجى / ١٧٨ / ٣ / ٧
الكاف المكسورة
- رشاك / الكامل / ابن خطاب / ٢٩٦ / ٢ / ٢٤
حواك / الكامل / العقرب / ١٨٤ / ٢ / ٨
أشكى /- / ابن الحكيم اللخمي / ١٨٠ / ٢ / ٣
المتدارك / الكامل / ابن عباد النفزى / ١٩٠ / ٣ / ١١
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٦٤
جوارك / الطويل / ابن دراج القسطلي / ٢٢١ / ٣ / ٦٩
درك / البسيط / ابن أبى الخصال / ٢٧٢ / ٢ / ٣٢
درك / مجزوء الرجز / البلذوى / ٩ / ٤ / ٢٢
لزهر ك / الطويل / ابن عياش / ٣٣٩ / ٢ / ٢
شك / المنسرح / ابن شبرين / ١٥٥ / ٢ / ٥
ابن همشك / الخفيف / ابن صفوان / ١٥٢ / ١ / ١
الحوالك / الطويل / ابن أبى الخصال / ٢٨١ / ٢ / ٢
المملك / الطويل / ابن أبى الخصال / ٢٧٨ / ٢ / ٢
منك / الطويل / فرج بن محمد / ٢٠٧ / ٤ / ٢
السلوك / المديد / ابن الخطيب السلماني / ٤٢٨ / ٤ / ٢
قافية اللام
اللام الساكنة
دلائل / دوييت / ابن المرحل / ٢٣٦ / ٣ / ٢١
ذبال / السريع / ابن خميس / ٣٩٧ / ٢ / ٣٠
فصال / الكامل / ابن الفصال / ٣٧٣ / ٣ / ٣
حلال / السريع / ابن طلحة / ١٠٦ / ١ / ٢
الأجل / المتقارب / ابن خاتمة / ١١٨ / ١ / ٤
وارتحل / المديد /- / ١٥ / ٣ / ٢
نحل / المتقارب / صالح بن يزيد / ٢٨٢ / ٣ / ٣
بمعزل / الخفيف / ابن الزيات / ١٩٩ / ١ / ٤
منزل / الخفيف / ابن أبى العاصي / ١٩٩ / ١ / ٩
بالأمل / الطويل / القلوسى / ٥٤ / ٣ / ٤
جهل /- / ابن الخطيب السلماني / ٥٢٧ / ٤ / ٢
نهل / الرمل /- / ١٧١ / ٤ / ١
تحول / السريع / ابن الخطيب السلماني / ٤٢٨ / ٤ / ٢
الدول / المتقارب / ابن سعيد / ١٣٤ / ٤ / ٣

- نزول/ السريع/ ابن شلطور/ ٢٤٤ / ٢ / ٤
- مستحيل/ الرمل/ ابن هانئ اللخمي/ ١١١ / ٣ / ٢
- اللام المفتوحة
- رسائل/ الطويل/ ابن زمرك/ ٢٠٢ / ٢ / ٤
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٦٥
- وسائل/ الطويل/ ابن رضوان/ ٣٣٨ / ٣ / ٣٣
- لالا/ الوافر/ ابن الخطيب السلماي/ ٥٢٨ / ٤ / ١
- بالها/ الكامل/ الخشني/ ١٥١ / ٤ / ٦٥
- ذباله/ مجزوء الكامل/ أحمد بن عبد الملك بن سعيد/ ٩٢ / ١ / ٣
- نبالا/ الوافر/ صالح بن يزيد/ ٢٨٢ / ٣ / ٢
- ارتجالا/ الخفيف/ يحيى بن عبد الجليل/ ٣٦١ / ٤ / ١
- الرحاله/ الخفيف/ ابن الخطيب السلماي/ ٤١٥ / ٤ / ٣٤
- زالا/ البسيط/ ابن الحكيم اللخمي/ ٣٢٤ / ٢ / ٢
- فتعالى/ الخفيف/ عبد الله بن سعيد السلماي/ ٢٩٧ / ٣ / ٣
- دلالها/ الكامل/ ابن الجياب/ ١٠٦ / ٤ / ٤٨
- نمالا/ الوافر/ المعري/ ١٥٦ / ٣ / ١
- أبو الالبسيط/ -/ ١٧٨ / ٢ / ١
- خياله/ الكامل/ ابن خلصون/ ١٩٥ / ٣ / ٦
- أذيالها/ المتقارب/ أبو بكر المخزومي/ ٢٣٤ / ١ / ٢
- البلا/ الطويل/ ابن الحكيم اللخمي/ ٣٣٠ / ٢ / ٤١
- و الإيلا/ البسيط/ ابن عطية المحاربي/ ٤٣٤ / ٣ / ٤٥
- المثالا/ البسيط/ ابن هانئ اللخمي/ ١١١ / ٣ / ٣
- بالجلا/ المتقارب/ ابن الخطيب السلماي/ ٥٥٢ / ٤ / ٢٣
- راحلا/ الطويل/ الحجاري/ ٣٢٩ / ٣ / ٢
- الأدله/ الوافر/ ابن الخطيب السلماي/ ٤١٦ / ٤ / ٢٣
- الذلا/ الطويل/ المقرئ (أبو عبد الله)/ ١٣٣ / ٢ / ٥
- أرسلا/ الطويل/ السبتي/ ١٤٢ / ٣ / ١
- انفصلا/ المنسرح/ ابن الخطيب السلماي/ ٥١٥، ٤٥٣ / ٤ / ٣
- فعلا/ البسيط/ ابن الحاج/ ١٨٧ / ١ / ١
- فلا/ البسيط/ ابن المرحل/ ٢٣٥ / ٣ / ١٢
- أسفله/ السريع/ -/ ٣٨٣ / ٣ / ٢
- و كلاً/ الخفيف/ ابن المربع/ ١٥١ / ١ / ٢
- أولى/ الطويل/ ابن سالم/ ٢٥٩ / ٤ / ٥

- قبولا/الكامل/ابن الحاج البليقى / ٢ / ٢ / ٩٣
و نحولا/الكامل/الإستجى الحميرى / ١ / ٢ / ٢٠٧
و نحولا/الكامل/ابن المرحل / ٢٠ / ٣ / ٢٣٤
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٦٦
رسولا/الطويل/المليكىشى / ٣ / ٢ / ٤٠٧
رسولا/المتقارب/العزفى / ٧٥ / ٣ / ٥
أفولا/الطويل/فرج بن لب / ١٥ / ٤ / ٢١٤
شمولا/الخفيف/أبو بكر ابن القبطرنة / ٣ / ١ / ٣٠٠
بالوسيلة/الخفيف/ابن الفصال / ١٠ / ٣ / ٣٦٩
قليله/الخفيف/ابن الخطيب السلمانى / ٢ / ٤ / ٤٢٦
ميلا/الطويل/ابن أبى الخصال / ٢ / ٢ / ٢٧٨
مميلا/الكامل/ابن المرحل / ٢ / ٣ / ٢٤١
طويلا/المتقارب/ابن قطبة الدوسى / ٣ / ٢ / ١٦٣
اللام المضمومة
حاله/الكامل/سهل بن محمد الأزدى / ٤ / ٤ / ٢٣٤
حالوا/الطويل/ابن جزى / ٢ / ٣ / ٣٠٤
رسائله/الطويل/الزواوى / ٣ / ٣ / ٢٥١
وسائل/الطويل/ابن صفوان / ١ / ١ / ٩٩
الوسائل/الطويل/ابن مهيب / ٢ / ٢ / ٢٩٣
ظلال/الطويل/فخر الدين الرازى / ٥ / ٢ / ١٤٠
الوبل/الطويل/ابن خاتمة / ٤ / ٢ / ٣٤٦
تمثل/البيسط/الزواوى / ٢ / ٣ / ٢٥٠
رجل/البيسط/كثير عزة / ١ / ٢ / ٢٣٨
فتقبل/الطويل/ابن الحاج البليقى / ٢ / ٢ / ٩٤
المقتل/الكامل/ابن الخطيب السلمانى / ٢ / ٤ / ٤٤٧
بدل/البيسط/ابن المربع / ١٢ / ٣ / ٣٢٣
نزلوا/البيسط/الإستجى الحميرى / ١ / ٢ / ٢١١
و الهزل/السريع/ابن الخطيب السلمانى / ٢ / ٣ / ١٤٩
يواصل/الطويل/ابن عميرة / ٢ / ١ / ٦٥
تتنقل/الكامل/الينشتى / ٢ / ٣ / ٤٠٤
الطلل/المتدارك/ابن شبرين / ٣ / ١ / ١٥١
و الأمل/البيسط/ابن شعبة / ٢١ / ٣ / ١٧٠
محتمله/المديد/ابن الخطيب السلمانى / ٢ / ٤ / ٤٣٨

- تحمل / الطويل / ابن أبى الخصال / ٢ / ٢ / ٢٧٦
و العمل / البسيط / ابن المرحل / ١٩ / ٣ / ٢٣٧
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٦٧
متبول / البسيط / النفزى / ٧٨ / ٣ / ٣١
المناهل / الطويل / ابن قطبة / ٣ / ٢ / ١٦٠
مستهله / الطويل / ابن أبى الخصال / ٢ / ٢ / ٢٧٧
سهل / الطويل / ابن عسكر / ٤ / ٢ / ١٠٥
منهله / الرمل / ابن سعيد / ٢ / ٤ / ١٣٤
الأول / الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٥٢٨
و قبول / الطويل / ابن الخطيب السلماني / ١٧ / ٣ / ٣٣١
دول / البسيط / ابن خاتمة / ٢ / ٢ / ٣٤٦
صول / البسيط / حذج المرى / ١ / ٤ / ٥٢٠
قفول / الكامل / القاضى عياض / ٦ / ٤ / ١٩١
و يقول / الطويل / ابن حزم / ٤ / ٤ / ٩٠
رحيل / الوافر / ابن حزم / ٢ / ٤ / ٩١
مناديل / البسيط / عبدة بن الطيب / ١ / ٣ / ١٤٠
أصيل / الكامل / أم الحسن بن أبى جعفر الطنجلى / ٢ / ١ / ٢٣٧
الكفيل / مخلع البسيط / ابن الجياب / ٣ / ٤ / ١١٩
الخليل / الوافر / ابن صفوان / ٢ / ١ / ١٠٠
دليل / الوافر / الحجارى / ٣ / ٣ / ٣٢٩
عليل / الطويل / ابن عرفة / ٣ / ١ / ١٤٢
القليل / الوافر / ابن قزمان / ٢ / ٢ / ٣٥٠
كليل / الطويل / عبد المهيمن الحضرمى / ٥١ / ٢ / ٣١٧، ٥ / ٤
اللام المكسورة
لى / المنسرح / ابن شبرين / ٦ / ٢ / ١٥٦
السائل / السريع / ابن عيسى الحميرى / ١ / ٢ / ٢٥٦
بالى / الطويل / - / ٣ / ٣ / ٣٨٤
البالى / الطويل / ابن جزى / ٣٨ / ١ / ٥٣
بيالها / الكامل / ابن خميس / ٤٦ / ٢ / ٣٩٨
بذبال / الخفيف / ابن الصيرفى / ٢٧ / ٤ / ٣٥١
و التالى / الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٢ / ١١٤
الرجال / السريع / الوراد / ٢ / ٤ / ١٤٧
حال / الوافر / ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٤ / ٤٥٥

- حال / البسيط / ابن خاتمة / ١ / ١ / ١٢٤
- الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٦٨
- رحاله / الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٢ / ٤ / ٤٣٢
- المحال / الرمل / ابن الحكيم / ١ / ٢ / ٣١٢
- المحال / الرمل / ابن الحكيم اللخمي / ٤٠ / ٢ / ٣١٩
- خال / الطويل / - / ٢ / ٢ / ٣٦٧
- الأبدال / الخفيف / ابن الحاج البليقي / ٩ / ٢ / ٩٨
- العَدَال / الكامل / اليتيم / ١٦ / ٣ / ٧٣
- و قذالى / الكامل / سوار بن حمدون / ٢ / ٢ / ٢٢٧
- و أنذال / السريع / ابن قزمان / ٣ / ٢ / ٣٥٥
- قطرال / المنسرح / ابن شبرين / ١ / ٣ / ١٥٤
- النزال / المتقارب / ابن الخطيب السلماني / ٩ / ٣ / ٤٠٩
- وصاله / الكامل / الورداد / ٢ / ٢ / ١٤٦
- بالوصال / الخفيف / حفصة بنت الحاج / ٢ / ١ / ٢٧٩
- و المتعالى / مخلع البسيط / منصور بن عمر / ٣ / ٣ / ٢٢٨
- و الأفعال / الكامل / الساحلى / ٢ / ٣ / ١٨٢
- المعالى / المجتث / الزواوى / ٣ / ٣ / ٢٥١
- للتغالى / الخفيف / المليكىشى / ١٢ / ٢ / ٤١٠
- اعتلالها / الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٣ / ٣٤٤
- الخلال / المتقارب / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٢ / ٤٤٠
- إذلال / الطويل / امرؤ القيس / ١ / ٣ / ٣٨٢
- و المال / البسيط / ابن منخل الغافقى / ٤ / ٢ / ٧٨
- منالها / الطويل / ابن رضوان / ٢ / ٣ / ٣٤٤
- البوال / الوافر / ابن الإمام الأنصارى / ٤ / ٤ / ١٤٨
- طوال / الوافر / أبو الأجرى / ٣ / ٣ / ٢٦٥
- بالغوالى / الوافر / ابن طلحة / ٣ / ١ / ١٠٥
- الموالى / الخفيف / ابن سيد الناس / ٩ / ٢ / ٤١٠
- خيال / الخفيف / البلوى / ٢١ / ٢ / ٢٦٦
- خياله / الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٢ / ٤٣٦
- خيال / الوافر / المتنبي / ١ / ٤ / ٥١٣
- الليالى / المتقارب / ابن شعيب الكريانى / ١٣ / ١ / ١٣٥
- بلابلى / الطويل / ابن فضيلة / ١٦ / ٢ / ٢٢٧
- قبلى / الطويل / جميل بثينة / ١ / ٤ / ٥١٨

- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٦٩
 لأجله / الخفيف / ابن الحاج البلقي / ٢ / ٢ / ٩٤
 مثلي / الطويل / ابن مهيب / ١٩ / ٢ / ٢٩٣
 بالأرجل / السريع / ابن سعيد / ١ / ٤ / ١٣١
 و الوجل / البسيط / ابن الحكيم اللخمي / ٤ / ٣ / ٣٥٩
 و مرتحل / البسيط / ابن يست / ٢٨ / ٣ / ٤٤٢
 زحل / البسيط / - / ١ / ٣ / ٢٠١
 الأكلح / السريع / ابن أبي الأصبح / ١ / ٤ / ١٣١
 للكحل / البسيط / ابن جهور / ٣ / ٢ / ٢٣٣
 للكحل / البسيط / ابن مرج الكحل / ٣ / ٢ / ٢٣٣
 خلاخله / الكامل / نزهون بنت القليعي / ٢ / ٣ / ٢٦٣
 النخل / الطويل / عبد الرحمن الداخل / ٤ / ٣ / ٣٥٧
 العدل / الطويل / المليكشي / ١ / ٢ / ٤١٢
 فاعدل / الكامل / ابن عرفة / ٤١ / ١ / ١٣٩
 تعدل / الطويل / ابن رضوان / ٤ / ٣ / ٣٤٣
 الذل / الطويل / ابن مهيب / ٢ / ٢ / ٢٩٣
 مبتذل / البسيط / الرصافي البلنسي / ١٠ / ٢ / ٣٦٤
 غيرلي / الطويل / ابن جزى / ٤ / ٣ / ٣٠٥
 المنازل / الطويل / ابن قطبة / ٢ / ١ / ٣١
 أنزل / الكامل / ابن الحاج / ٢ / ١ / ١٨٣
 بسله / الكامل / الشاط / ٣ / ٤ / ٢١٩
 تسل / البسيط / ابن عطية المحاربي / ٣٠ / ٣ / ٤٣٦
 رسله / الطويل / النباهي / ٥ / ٤ / ٧١
 الرسل / البسيط / ابن شرف / ٣ / ٣ / ١٦١
 تنسل / الطويل / امرؤ القيس / ١ / ١ / ٣٠٧
 يسل / البسيط / صالح بن يزيد / ٦ / ٣ / ٢٨١
 فضلي / الطويل / ابن الأفتس / ١٠ / ٤ / ٢٩
 بفضله / الوافر / ابن عبد الملك / ٢ / ٢ / ٣٧٦
 بفضله / مجزوء الرمل / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٤٨
 الهاطل / المتقارب / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٣٧
 عل / الطويل / ابن أبي الخصال / ٢ / ٢ / ٢٧٩
 شغل / البسيط / ابن خاتمة / ١٢ / ٢ / ٣٤٥
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٧٠

- بالأسفل / السريع / ابن سعيد / ١ / ٤ / ١٣٢
- عاقل / الطويل / ابن جبير / ٢ / ٢ / ١٥١
- أكله / المتقارب / ابن الخطيب السلماي / ١ / ٤ / ٥٣٦
- الثكل / الطويل / - / ٥ / ١ / ١٦١
- الجلل / البسيط / ابن الفرس / ٢ / ٣ / ٣٦١
- شامل / المتقارب / ابن جزى / ٢ / ٣ / ٣٠٣
- مؤمل / الطويل / أبو جعفر بن سعيد / ٤ / ١ / ٢٧٨
- النمل / الطويل / ابن مرج الكحل / ٢ / ٢ / ٢٣٢
- للمتأهل / الطويل / ابن المتأهل / ٤ / ٣ / ١٦٥
- سهل / الطويل / ابن أبي الخصال / ٢ / ٢ / ٢٧٧
- و السهل / الطويل / ابن الخطيب السلماي / ٣ / ٣ / ٣٧٩
- ولى / مجزوء الخفيف ابن المرحل / ٤ / ٣ / ٢٤٧
- محول / الخفيف / ابن الخطيب السلماي / ٣ / ٤ / ٤٢٦
- العذول / السريع / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٣٠
- معول / الطويل / امرؤ القيس / ١ / ٣ / ٣٨٥
- يلى / السريع / أحمد بن إبراهيم بن الزبير / ٣ / ١ / ٧٣
- سخايل / الطويل / الطويجن / ٢ / ١ / ١٧٥
- صقيل / - / سهل بن محمد الأزدي / ٦ / ٤ / ٢٣٥
- صقيل / الخفيف / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٤٥
- الخليل / الوافر / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٢٥
- الذليل / المتقارب / ابن دراج / ٤ / ٤ / ٤٣
- العليل / الوافر / ابن جزى / ٢ / ٣ / ٣٠٣
- العليل / الوافر / ابن خاتمة / ١ / ١ / ١٢٢
- قليل / الخفيف / ابن الخطيب السلماي / ١ / ٣ / ٣٣٣
- قافية الميم
- الميم الساكنة
- احتكام / الرمل / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٢٧
- الظلام / السريع / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٥١
- و ظلام / الدوبيت / ابن جزى / ٢ / ٢ / ١٧٠
- قدم / المتقارب / ابن الجياب / ٢ / ٤ / ١١٩
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٧١
- مظلم / مجزوء الرمل / ابن الخطيب السلماي / ٤ / ٤ / ٤٣١
- علم / الكامل / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٤٤

العلم / المتقارب / ابن أضحى / ٨ / ٤ / ٦٦

الأمم / المتقارب / البدوي / ٢ / ٣ / ٥٩

الميم المفتوحة

التثاما / الوافر / ابن خميس / ٣٧ / ٢ / ٣٧٧

إفحاما / السريع / ابن سعيد الغساني / ٥ / ٤ / ٢٧٤

و داما / الكامل / محمد بن قاسم الأنصاري / ٤ / ٣ / ١٥٠

الخذامي / الرمل / ابن هذيل / ١٦ / ٤ / ٣٣٧

عظامها / الطويل / ابن هذيل / ٤ / ٤ / ٣٤٤

و ز كاما / الطويل / - / ٢ / ٣ / ٣٨٤

السلامه / مجزوء الكامل ابن مرزوق / ٥ / ٣ / ٩٢

الهاما / مجزوء الرمل / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٤٢

النياما / الخفيف / يوسف بن محمد اللوشي / ٢ / ٤ / ٣٦٤

عائمه / مجزوء الخفيف / - / ٢ / ١ / ١٢٢

ثمّه / الخفيف / ابن الخطيب السلماي / ١٢ / ٤ / ٥٤٧

مترجما / الطويل / ابن الفرس / ٢٧ / ٣ / ٤١٦

الحمى / الطويل / ابن طفيل / ١٨ / ٢ / ٣٣٥

ملترما / المنسرح / ابن هيضم / ٧ / ٤ / ١٤٠

تنسما / الطويل / الإستجى الحميري / ٢ / ٢ / ٢١٠

ضما / الطويل / ابن فرسان / ٣ / ٣ / ٤٤٧

لمى / البسيط / ابن المربع / ١٠ / ٣ / ٣٢١

سلما / الكامل / ابن قطبة الدوسي / ١ / ٢ / ١٦٣

فسلما / الطويل / ابن جودي / ٥ / ٤ / ١٣٥

مسلمما / السريع / الحجاري / ٤ / ٣ / ٣٣٠

تعلمما / الطويل / ابن زمرك / ٢ / ٢ / ٢٠١

قلمه / الخفيف / ابن باق / ١٤ / ٢ / ٢٢٥

بينهما / البسيط / ابن عميرة / ٢ / ١ / ٦٤

مروما / الكامل / ابن أبي العافية / ١٩ / ١ / ٢٨٢

نسيما / مخلص البسيط / ابن الفرس / ١٣ / ٣ / ٤١٨

الذميمه / الخفيف / ابن الحاج البليقي / ٣ / ٢ / ٩٤

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٧٢

الميم المضمومة

عائمه / السريع / ابن عسكر / ٢ / ٢ / ١٠٥

دعائمه / الطويل / ابن جزى / ٤٥ / ٤ / ١٢٦

- مدام / الوافر / ابن مرج الكحل / ٢٣١ / ٢ / ٤
 حرام / الكامل / - / ١٣٨ / ٢ / ١
 حرام / المتقارب / - / ١٢٦ / ١ / ١
 ضرامه / الكامل / ابن عيسى الحميري / ٢٥٣ / ٢ / ٥
 الغرام / الوافر / صالح بن يزيد / ٢٧٦ / ٣ / ٤٥
 يرام / الوافر / ابن زمرك / ٢٠٢ / ٢ / ٣
 اعتصام / مخلع البسيط / ابن عبد الملك / ٣٧٦ / ٢ / ٤
 سقام / المتقارب / أبو القاسم السهيلي / ٣٦٦ / ٣ / ٣
 مقام / الوافر / ابن الشديد / ٢٦٧ / ٢ / ٣٣
 المقام / الوافر / النباهي / ٧٤ / ٤ / ٣
 غلام / الوافر / الإستجى الحميري / ٢١٤ / ٢ / ١
 غلام / الوافر / ابن عبدون / ٣٠٥ / ٤ / ١١
 الكلام / الوافر / ابن جزى / ٣٠٣ / ٣ / ٢
 اهتمام / الوافر / ابن جابر / ٢١٨ / ٢ / ٣٥
 حمام / الكامل / أبو تمام / ١٧٩ / ٢ / ١
 منام / الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٢٩٣ / ٤ / ٥٠
 منام / الكامل / ابن الصباغ العقيلي / ٩٩ / ٤ / ٣
 تختم / الطويل / ابن شلطور / ٢٤٣ / ٢ / ١٩
 ترجم / الطويل / الوراد / ١٨٣ / ٣ / ٥٣
 الأنجم / الكامل / الجراوى / ٣٣٣ / ٢ / ٤
 تترخم / الطويل / ابن الفرس / ٤١٩ / ٣ / ٤
 يرحم / الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٤٤٦ / ٤ / ٢
 قدم / - / الإستجى الحميري / ٢١١ / ٢ / ١
 المكارم / الطويل / العبدري / ٤١٨ / ٢ / ٤
 تتصرّم / الكامل / ابن البراق / ٣٤٤ / ٢ / ٤
 أكرم / الكامل / المعتمد بن عباد / ٦٥ / ٢ / ٧
 العرمرم / الطويل / المتنبى / ٣٠٤ / ٤ / ١
 فأكرم / الطويل / ابن زمرك / ١٩٨ / ٢ / ٢٠
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٧٣
 و ينعم / الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٤٥١ / ٤ / ٢
 هواكم / الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٤٥٢ / ٤ / ٢
 ودّكم / البسيط / الشنتوفى / ٣٤٦ / ٤ / ٢
 أحلم / الطويل / ابن عسكر / ١٠٥ / ٢ / ٣

- و سلموا/ الطويل/ ابن سعيد الغساني / ٢ / ٢ / ٢٧٤
يسلم/ الكامل /- / ٥ / ٢ / ٦٥
و علم/ الوافر/ ابن طلحة/ ٣ / ١ / ١٠٧
الهمم/ الرمل/ المقرئ (أبو عبد الله) / ٥ / ٢ / ١٣٣
و يَمَموا/ الطويل/ ابن أبي الخصال / ٢ / ٢ / ٢٨٠
مراهم/ الطويل/ النفزي / ٢ / ٣ / ٤٣
يبهم/ السريع/ أبو عمرو الزاهد / ٣ / ٣ / ٤٦
منفهم/ البسيط/ صالح بن يزيد / ٢ / ٣ / ٢٨٢
لفضلهم/ البسيط/ ابن الحاج البليقي / ٨ / ٢ / ٩٧
مكتوم/ الكامل/ ابن الخطيب السلماني / ١٣ / ٤ / ٤٢٤
تحوم/ الطويل/ ابن صفوان / ١ / ١ / ٩٩
مرحوم/ الخفيف/ النفزي / ٢ / ٣ / ٤٢
تروم/ الكامل /- / ٢ / ١ / ٢٥٢
يروم/ الكامل/ ابن صفوان / ١ / ١ / ٩٩
كلوم/ الطويل/ ابن مقاتل / ٢ / ٣ / ١٧٣
الغيوم/ مخلع البسيط/ الورسيدي / ١٨ / ٤ / ٢٢٣
و خيموا/ الطويل/ ابن البربري / ١٩ / ٤ / ١٦٤
و تديم/ الكامل/ ابن الباذش / ٢ / ٤ / ٧٨
مديم/ الطويل/ محمد بن عبد الله ابن الحاج البضيعة / ٦ / ٢ / ٣٠٩
و التكريم/ الكامل/ الرصافي / ١ / ٣ / ١٦٢
نسيمه/ الطويل/ ابن الخطيب السلماني / ٣٣ / ٤ / ٤٥٨
سقيم/ الطويل/ ابن مهيب / ٣ / ٢ / ٢٩٤
مقيم/ الوافر/ ابن حزم / ٢ / ٤ / ٩١
كليم/ الطويل/ ابن مقاتل / ٥ / ٢ / ٢٦٢
صميم/ الوافر/ ابن بيش / ٣٢ / ٣ / ١٨
إبراهيم/ الكامل /- / ١ / ٢ / ٢١٥
إبراهيم/ الكامل/ ابن كسرى / ١ / ١ / ٢٦٣
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٧٤
الميم المكسورة
الغمائم/ الطويل/ أبو القاسم الحسنی / ١ / ٣ / ١١٦
الغمائم/ الطويل/ المنتشاقري / ٢ / ٤ / ٣٣٠
المدام/ الرمل/ ابن قطبة / ٢ / ٢ / ١٦٠
بسظام/ الطويل/ ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٤ / ٤٤٢

- إنعام / الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٢٧
- الإسلام / الكامل / ابن سعيد / ٥ / ٤ / ١٣٠
- و سلام / الكامل / - / ١٢ / ٣ / ٢٤١
- التمام / الوافر / الوراد / ٣ / ٤ / ١٤٦
- ينتمى / الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٤ / ٤٤١
- للترحم / الطويل / صالح بن يزيد / ٢ / ٣ / ٢٨٧
- الدم / الطويل / ابن الحاج / ١ / ١ / ٢٩
- المتقادم / الطويل / موسى بن يوسف (أبو حمّو) / ٥٧ / ٣ / ٢١٧
- النادم / الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٤٠
- القدم / البسيط / ابن قزمان / ٧ / ٢ / ٣٤٨
- و الصوارم / الطويل / ابن الأبار / ١٠١ / ٤ / ٢٤٢
- الكرم / البسيط / - / ٢ / ٢ / ٢١٣
- كالمواسم / الطويل / الحجاري / ٣ / ٣ / ٣٣٠
- رسمه / الخفيف / - / ٢ / ٣ / ٤٠٧
- و هاشم / الطويل / أبو العلاء المعري / ١ / ٢ / ١٤٣
- المنعم / الطويل / النفزي / ٥ / ٣ / ٣٠
- و تحكّمى / الطويل / ابن الجياب / ٢٧ / ١ / ٢١٣
- و الألم / البسيط / ابن شلطور / ٣ / ٢ / ٢٤٤
- سلم / المتقارب / ابن أبي العافية / ٢ / ١ / ٢٨٥
- و السلم / البسيط / ابن المرحل / ١٦ / ٣ / ٢٤٠
- الظلم / البسيط / عبد الحق بن غالب / ٣ / ٣ / ٤١٣
- ظلمه / السريع / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٤١
- علم / البسيط / ابن سبعين / ٤ / ٤ / ٢٤
- العلم / البسيط / - / ١٣ / ٢ / ٥٦
- قلمى / البسيط / حفصة بنت الحاج / ٢ / ١ / ٢٧٧
- و القلم / البسيط / ابن عطية المحاربي / ١٤ / ٣ / ٤٣٨
- الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٧٥
- كلمه / السريع / عبد الله بن سعيد السلماني / ٣ / ٣ / ٢٩٧
- ذمم / البسيط / ابن أبي الخصال / ٧ / ٢ / ٣٤٨
- و الصنم / البسيط / ابن بكر / ٢ / ٢ / ١٠٨
- كالنجوم / الخفيف / محمد بن سعيد بن خلف / ٢ / ٣ / ١٦٤
- الأقوم / الكامل / ابن أبي العاصي / ٢ / ١ / ١٩٩
- بالمعلوم / الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٥١

لثيم / الوافر / ابن المرحل / ٢ / ٣ / ٢٤١

الكريم / الوافر / العاملي / ٦ / ٣ / ٣١٤

سقيم / الطويل / ابن الفضال / ٣ / ٣ / ٣٦٨

الريم / الخفيف / ابن سالم / ٤ / ٤ / ٢٦١

بالصميم / الوافر / الطويجن / ٢ / ١ / ١٧٢

قافية النون

النون الساكنة

ثوان / الكامل / الإستجى الحميرى / ٢ / ٢ / ٢١١

الرسن / السريع / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٣٩

السفن / الطويل / ابن أبي الخصال / ٣٠ / ٤ / ٧٩

الركون / المتقارب / ابن الخطيب السلماني / ٥ / ٤ / ٥٢٥

و سكون / الرمل / يوسف بن محمد اللوشى / ٢ / ٤ / ٣٦٤

هتين / المتقارب / ابن فرقد / ٨ / ١ / ١٩٢

النون المفتوحة

لدانا / الخفيف / ابن البنا / ١٢ / ٤ / ١٤٤

و إحسانا / الطويل / ابن السراج / ٤ / ٣ / ١٢٣

مولانا / البسيط / النباهى / ١٩ / ٤ / ٧١

برهانها / السريع / ابن الحاج البلقيى / ٢ / ٢ / ٩٢

سلوانا / الكامل / ابن الحاج / ٢ / ١ / ١٨٤

و هوانا / الكامل / ابن خلصون / ١٣ / ٣ / ١٩٥

عصيانا / السريع / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٥١٧

مثنى / الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٤ / ٤٥٢

و الجته / المتقارب / القاضى عياض / ٣ / ٤ / ١٩٠

فحننا / الخفيف / ابن الصائغ / ٤ / ١ / ٢٢١

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٧٦

الأدنى / الطويل / ابن أبي الخصال / ٢ / ٢ / ٢٧٨

عدنا / الطويل / الششتري / ٦٩ / ٤ / ١٧٤

السنا / مجزوء الكامل / الجراوى / ٣ / ٢ / ٣٣٣

و حسنا / الوافر / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٣٨

معنى / الطويل / على بن أحمد الغساني / ٩ / ٤ / ١٥٥

غنا / المتقارب / الباهلى / ٦ / ٣ / ٤٢٥

أفنى / الطويل / العبدري / ٣ / ٢ / ٤١٩

تفنى / الطويل / ابن حزم / ٦ / ٤ / ٨٩

- لنا/ الكامل / ابن قطبة / ٤ / ٢ / ١٦٠
 رَقُونَا/ الطويل / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٤٧
 الجفونا/ الوافر/ ابن المرحل / ٢٠ / ٣ / ٢٣٩
 العيون/ الوافر/ صالح بن يزيد / ٢ / ٣ / ٢٨٣ الإحاطة في أخبار غرناطة ؛ ج ٤ ؛ ص ٦٧٦
 نا/ المجتث / محمد بن قاسم / ٥ / ٢ / ٣٦٦
 تصحيحنا/ الوافر/ عمرو بن كلثوم / ١ / ٩ / ١
 سبعينا/ السريع / ابن المرحل / ٢ / ٣ / ٢٤٢
 تلاقينا/ البسيط/ ابن زيدون / ١ / ٢ / ٢٥٦
 علينا/ مخلع البسيط/ ابن الأفتس / ٢ / ٤ / ٣٠
 الياسمينا/ الخفيف/ الإستجى الحميرى / ٢ / ٢ / ٢٠٩
 النون المضمومة
 بانوا/ الكامل / ابن صفوان / ٣٧ / ١ / ٩٤
 أشجانه/ الكامل / ابن هيضم / ٥ / ٤ / ١٤١
 و ريحان/ الطويل / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٣٣
 دخان/ الطويل / ابن الخطيب السلماي / ١ / ٤ / ٥٢٨
 هجرانه/ السريع / ابن جزى / ٨ / ٢ / ١٧٠
 الخفقان/ الطويل / ابن عطية القضاعى / ١ / ١ / ١٣١
 الحرمان/ الكامل / ابن سارة / ٢ / ٣ / ٣٣٤
 فعدنان/ البسيط / - / ١ / ٣ / ٢٠١
 إخوان/ الطويل / ابن أبى الخصال / ٢ / ٢ / ٢٨٠
 العيان/ المتقارب / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٢٩
 باطن / الطويل / الورّاد / ٢ / ٤ / ١٤٦
 شؤون/ الطويل / ابن صفوان / ٣٧ / ١ / ٩٦
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٧٧
 جون/ الطويل / ابن الصباغ العقيلى / ١٥ / ٤ / ٩٨
 شجون/ الطويل / ابن شبرين / ١٣ / ٢ / ١٥٧
 المجون/ الوافر/ ابن طلحة / ٦ / ١ / ١٠٧
 تكون الخفيف / أبو محمد القرطبي / ٣ / ٣ / ٣١٢
 ركون/ الطويل / ابن كسرى / ٣ / ١ / ٢٦٤
 و سكون/ الطويل / ابن سالم / ٢ / ٤ / ٢٥٩
 سحنون/ البسيط / المقرئ (أبو عبد الله) / ١ / ٢ / ١٣٤
 عيون/ الطويل / العبدري / ٨ / ٢ / ٤٢٠
 العيون/ الوافر/ ابن الرومية / ١ / ١ / ٨٨

- مبين / الطويل / ابن سالم / ١٢ / ٤ / ٢٥٨
 وشين / المجتث ابن أبي العافية / ٤ / ١ / ٢٨٤
 فتعيته / الكامل / ابن سوذة / ٣٧ / ٣ / ١٢٩
 ظعين / الطويل / النباهي / ٣٦ / ٤ / ٧٢
 و يمين / الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٤٠
 رهين / الوافر / ابن حوط الله / ٢ / ٣ / ٣١٨
 النون المكسورة
 أبان / مخلع البسيط / ابن الخطيب السلماني / ٧ / ٤ / ٥٢٩
 بلبانها / الطويل / أبو الأسود الدؤلي / ١ / ٤ / ٥٢٤
 هتان / البسيط / الوراد / ٣ / ٤ / ١٤٦
 ثان / مخلع البسيط / - / ٢ / ٣ / ١٧
 خانه / الرمل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٥٣
 دان / البسيط / أبو بكر المخزومي / ٤ / ١ / ٢٣٢
 التدانى / مخلع البسيط / ابن زمرك / ٦ / ٢ / ٢٠٤
 الفدان / الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٤٩
 هدانى / الطويل / أبو القاسم السهيلي / ٨ / ٣ / ٣٦٥
 و الآذان / الخفيف / ابن الحاج البليقي / ٢ / ٢ / ٩٣
 هجرانى / البسيط / الحكم الربضى / ٤ / ١ / ٢٧٠
 الميزان / الخفيف / ابن المرحل / ٣ / ٣ / ٢٤١
 لإحسان / - / ابن المرحل / ٢ / ٣ / ١٧٧
 شان / الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٤٤
 شان / الكامل / ابن رضوان / ٤ / ٣ / ٣٤٣
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٧٨
 العانى / البسيط / ابن العشاب / ٨ / ٢ / ٣٧٤
 المغانى / مجزوء الرمل / ابن شبرين / ٢ / ١ / ٣١٥
 جفانى / الوافر / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٥٢
 أجبانى / الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٧٧ / ٤ / ٤١٧
 الأجبان / الكامل / المستعين بالله / ٨ / ٤ / ٢٢٨
 مكان / الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٥٣٠
 مكاني / مخلع البسيط / ابن بيش / ٢ / ٣ / ١٧
 الأمانى / مجزوء الكامل / ابن شعيب الكريانى / ٤ / ١ / ١٣٦
 بأثمان / الطويل / ابن الخطيب السلماني / ١٢ / ٤ / ٥١٦
 زمان / الكامل / صالح بن يزيد / ٢ / ٣ / ٢٨٥

- الزمان / الوافر / ابن خاتمة / ١ / ١ / ١٢٣
- نعمانه / الكامل / ابن عباد النفزي / ٣ / ٣٤ / ١٩١
- الإيمان / الطويل / ابن الجياب / ٣ / ١ / ٢٠٨
- عنان / الوافر / عبد العزيز بن عبد الله / ٢٢ / ٤ / ١٥
- عنانها / الكامل / ابن هذيل / ٥ / ٤ / ٣٤٣
- أوانه / الكامل / اللمائي / ٤ / ١ / ١٠٣
- شواني / مخلع البسيط / ابن الخطيب السلماني / ٥ / ٤ / ٥٢٧
- الألوان / الكامل / العاملي / ٦ / ٣ / ٣١٣
- هوان / الطويل / - / ٢ / ٤ / ٤٧
- فأحياني / البسيط / ابن عيسى الحميري / ٤ / ٢ / ٢٥٤
- عياني / الوافر / ابن صفوان / ٢ / ١ / ١٠٠
- محن / البسيط / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٢٩
- عدن / الكامل / ابن خميس / ٢ / ٢ / ٤٠١
- بدارين / البسيط / - / ١٥ / ١ / ٢١٢
- و الحزن / البسيط / ابن عطية القضاعي / ١٠ / ١ / ١٣١
- كالغصن / الطويل / ابن الحكيم اللخمي / ٣ / ٢ / ١٧٣
- للبن / الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٤٩
- فاعنه / السريع / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٣٠
- جفنها / السريع / ابن الحاج البلفيقي / ٢ / ٢ / ٩٤
- فأرقني / البسيط / الشنتوفى / ٢ / ٤ / ٣٤٦
- الزمن / البسيط / ابن أبي الخصال / ٣٧ / ٢ / ٢٧٤
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٧٩
- و شجونى / الكامل / عزوز / ١٥ / ٤ / ١٢
- تعذلونى / الخفيف / محمد بن خلف / ٢ / ٣ / ١٢٧
- اللون / البسيط / ابن أبي العافية / ٢ / ١ / ٢٨٥
- بفنونه / الكامل / ابن المرحل / ٢١ / ٣ / ٢٣٤
- ممنون / الطويل / أحمد بن خالد / ١ / ١ / ١٦٠
- البين / الطويل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٢٥
- و بينى / الوافر / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٥١٢
- يأتينى / البسيط / المعتمد بن عباد / ٨ / ٢ / ٦٧
- بالراحتين / المتقارب / محمد بن محمد بن يوسف / ٣ / ١ / ٣٢٧
- بالرقمتين / الوافر / - / ٢ / ٢ / ١٣٨
- الجناحين / البسيط / القاضى عياض / ٢ / ٤ / ١٩١

- دين / مخلع البسيط / ابن جابر / ٢ / ٤ / ٢٢٠
- الدين / البسيط ابن الحاج النميري / ١٥ / ٣ / ١٥٩
- الدين / الخفيف / ابن الخطيب السلماي / ٣ / ٤ / ٤٥٠
- رفدين / الطويل / أبو بكر ابن القبطرنة / ٣ / ١ / ٣٠١
- و دين / الوافر / - / ٢ / ٣ / ٣٦٧
- الحزين / الوافر / ابن جزى / ٢ / ٣ / ١٣
- معينى / الخفيف / ابن جزى / ٢ / ١ / ٥٣
- يسقيني / البسيط / ابن قطبة / ٤ / ١ / ٣٠
- يقيني / الطويل / ابن رضوان / ٢ / ٣ / ٣٤١
- يقيني / الكامل / ابن غفرون / ٥ / ٤ / ١٦٣
- و بيكيني / البسيط / ابن عباد النفزى / ١٤ / ٣ / ١٩٣
- مين / مجزوء البسيط / ابن عرفة / ٢ / ١ / ١٤١
- ثمين / الكامل / ابن الحاج البليقي / ٤ / ٢ / ٩٦
- سمين / الوافر / ابن رضوان / ٤ / ٣ / ٣٤٤
- و يظمني / البسيط / ابن خلدون / ٣٤ / ٣ / ٣٩٢
- باليمين / الوافر / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٣٢
- أفانين / المنسرح / ابن قطرال / ٢ / ٣ / ١٥٤
- قافية الهاء
- الهاء الساكنة
- الله / الكامل / ابن الفرس / ١٤ / ٣ / ٣٦١
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٨٠
- أم له / المتقارب / ابن جبير / ٢ / ٢ / ١٥٠
- الهاء المفتوحة
- رباها / الكامل / عبد الله بن سعيد السلماي / ٤ / ٣ / ٢٩٧
- فتاها / الخفيف / - / ٢ / ٢ / ١٤١
- قراها / الكامل / البدوى / ٢ / ٣ / ٥٩
- أعلاها / الطويل / ابن أبي الخصال / ٢ / ٢ / ٢٧٨
- نواها / الطويل / العطار / ١٢ / ٣ / ١٤٢
- قضاياها / الطويل / العبدري / ١٤ / ٢ / ٤١٩
- ريهاها / الكامل / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٥٢١
- ما لها / المتقارب / صالح بن يزيد / ٢ / ٣ / ٢٨٥
- و أولها / البسيط / الشتوفى / ٢ / ٤ / ٣٤٦
- باريها / البسيط / ابن الخطيب السلماي / ٢ / ٤ / ٤٤٥

- يجاريتها/ البسيط/ النفزي/ ١٩٥ / ١ / ٥
- أرضيتها/ البسيط/ ابن شبرين/ ١٥٦ / ٢ / ٢
- تليها/ الخفيف/ ابن عميرة/ ٨٥ / ٢ / ٣ / ١ / ٦٤
- يجنيها/ الطويل/ ابن الخطيب السلماي/ ٤٥٤ / ٤ / ٢
- الهاء المضمومة
- تراه/ الكامل/ -/ ٦١ / ٢ / ٢
- جلساه/ المجتث/ ابن الخطيب السلماي/ ٤٤٣ / ٤ / ٢
- و تخشاه/ الطويل/ -/ ٢٠ / ٢ / ٢
- و أغلاه/ السريع/ ابن شعيب الكرياني/ ١٣٦ / ١ / ٢
- أولاه/ الوافر/ ابن الخطيب السلماي/ ٤٣٣ / ٤ / ٢
- مغناه/ الطويل/ الإستجى الحميري/ ٢٠٨ / ٢ / ١٣
- و عيناه/ المنسرح/ ابن قزمان/ ٣٤٩ / ٢ / ٤
- مثواه/ الكامل/ ابن أبي الخصال/ ٤٠٢ / ٣ / ٢٠
- تقواه/ الطويل/ ابن الصائغ/ ٣٠٧ / ٢ / ٣١
- يهواه/ السريع/ ابن جزى/ ١٧١ / ٢ / ٢
- محياه/ الطويل/ -/ ١٤١ / ٢ / ٢
- محياه/ الطويل/ ابن الخطيب السلماي/ ٤٤٠، ٤٣٦ / ٤ / ٢
- لقياه/ الكامل/ ابن الخطيب السلماي/ ٤٥٥ / ٤ / ٣
- له/ السريع/ البدوي/ ٥٨ / ٣ / ٢
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٨١
- الهاء المكسورة
- أشباهي/ المنسرح/ ابن الخطيب السلماي/ ٤٤٣ / ٤ / ٢
- ساهي/ المنسرح/ صفوان بن إدريس/ ٢٧٣ / ٣ / ٢
- و نواه/ الكامل/ المتشاقري/ ٣٣٠ / ٤ / ٢
- رسول الله/ المنسرح/ ابن كسرى/ ٢٦٣ / ١ / ٢
- و الله/ السريع/ ابن شبرين/ ١٥٥ / ٢ / ٩
- الواله/ الكامل/ ابن صفوان/ ٩٩ / ١ / ٥
- شبيهه/ الكامل/ ابن طلحة/ ١٠٦ / ١ / ٢
- و جنتيه/ الخفيف/ ابن عرفة/ ١٤٢ / ١ / ٤
- أدرية/ الكامل/ ابن سعيد/ ١٣١ / ٤ / ٣
- فيه/ الكامل/ ابن الحاج البلقيي/ ٩٥ / ٢ / ٢
- فيه/ الكامل/ ابن سوار/ ٣٠٦ / ٤ / ١٦
- فيه/ الكامل/ أبو الطاهر المازني/ ٣٧١ / ٢ / ٣

- فيه / الكامل / على بن إبراهيم الملقى / ٥ / ٤ / ٩٤
- تكفيه / الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٤٨
- يتقيه / الخفيف / أبو القاسم السهيلي / ٢ / ٣ / ٣٦٥
- عليه / المجتث / - / ٢ / ٢ / ١٣٩
- تحويه / الكامل / الإستجى الحميري / ٢ / ٢ / ٢١٤
- التنويه / الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٣٧٨، ٤٣٤
- قافية الواو
- الواو المفتوحة
- و تلاوه / الكامل / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٤١
- الجوى / الطويل / ابن شبرين / ٤ / ٢ / ١٥٤
- و الشكوى / الطويل / المليكى / ٨ / ٢ / ٤٠٥
- الهوى / المتقارب / ابن المراجع / ٥ / ٣٢٣
- نوى / الطويل / ابن أبي الخصال / ٢ / ٢ / ٢٨٢
- الفتوه / الخفيف / ابن الخطيب السلماني / ٧ / ٤ / ٣٧٠
- للفتوه / الخفيف / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٣٩
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٨٢
- قافية الياء
- الياء المفتوحة
- عنايه / الكامل / - / ٢ / ٣ / ٣٧٣
- نايه / الكامل / ابن مهيب / ٢ / ٢ / ٢٩٤
- المحتيا / الخفيف / ابن الحكيم اللخمي / ٤ / ٢ / ١٧٣
- يحيا / الطويل / الإستجى الحميري / ١٣ / ٢ / ٢٠٩
- يحيا / الطويل / الشراط / ٥ / ٣ / ٣٣٦
- الأعادي / الطويل / ابن الحاج البليقي / ٢ / ٢ / ٩٩
- الأعادي / الطويل / النفزي / ٢ / ٣ / ٤٣
- عاريا / الطويل / أبو بكر المخزومي / ٢ / ١ / ٢٣٣
- جازيا / الطويل / المتنبى / ١ / ٤ / ٥١٨
- خطيه / المجتث / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٤٣
- راعيا / الطويل / ابن الحكيم / ١ / ٤ / ١٢٨
- باليا / الطويل / ابن زمرك / ١٤ / ٢ / ١٩٩
- الخاله / السريع / ابن غفرون / ٢ / ٤ / ١٦٣
- جليه / مخلع البسيط / ابن ميمون / ٢ / ٣ / ٦٢
- داهيه / الطويل / - / ٢ / ٣ / ٣٨٤

الزوايه / السريع / ابن الخطيب السلماني / ٢ / ٤ / ٤٣٦

الياء المكسورة

حيه / الطويل / ابن باق / ٥ / ٢ / ٢٢٦

و موشى / البسيط / ابن خاتمة / ٢ / ١ / ١١٦

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٨٣

فهرس الأرجاز

إشارة

قافية الألف

ظاهره يريك سر من رأى / ابن صفوان / ١ / ١٠٠

كم من خليل بشره زهر الربى / ابن صفوان / ١ / ١٠٠

عوجى على تلك الربى / العزفى / ٣ / ٤

يعقد الكتب إلى وقت الضحى / عزوز / ٤ / ٣١١

ولا مثل الشمس فى وقت الضحى / ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢٢٨

حتى إذا أدركه شرك الردى / ابن الخطيب السلماني / ١ / ١٦٤

و انتحب النادى عليه و الندى / ابن الخطيب السلماني / ١ / ١٦٤

فعاد من خالف فيها و انتزى / ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٣٥٨

فأذهب الرحمن عنها البوسى / ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٢٢٠

بادرها المفدى الهمام موسى / ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٢٢٠

و سار فى الليل إلى وادى الأشى / ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢١٤

حتى إذا الملك سليمان قضى / ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٢٥٧

و نسى العهد الذى كان مضى / ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٢٥٧

ثم بنى الزهرا فيما قد بنى / ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٣٥٩

و ساعد السعد فتال و اقتنى / ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٣٥٩

و زكرياء بها بعد ثوى / ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٢٥٨

و حل بالشرق و بالشرق ثوى / ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٢٥٨

و ربما فاز امرؤ بما نوى / ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٢٥٨

ثم نوى الرحلة عنها و النوى / ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٢٥٨

قافية الهمزة

الهمزة المكسورة

و عاد نصر بمدى حمرائه / ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢١٤

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٨٤

أتى وأمر الله من ورائه/ ابن الخطيب السلماني / ٢١٤ / ١

قافية الباء

الباء الساكنة

بغيتان يقرأ الكتاب/ عزوز/ ٣١٠ / ٤

و تذكر العلوم و الآداب/ عزوز/ ٣١٠ / ٤

و كتب الله عليها ما كتب/ ابن الخطيب السلماني / ٢٨٨ / ٤

و حق حقّ الدهر فيها و وجب/ ابن الخطيب السلماني / ٢٨٨ / ٤

مناقب كالشهب الثواقب/ ابن الخطيب السلماني / ٢١٤ / ١

و جدّه صنو الإمام الغالب/ ابن الخطيب السلماني / ٢١٤ / ١

أعيدها بالخمسة من حبايب/ ابن الخطيب السلماني / ٥٣٠ / ٤

يغذّين بالمراضع الأطايب/ ابن الخطيب السلماني / ٥٣٠ / ٤

الباء المفتوحة

و من لديه من أجل الكتبه/ عزوز/ ٣١١ / ٤

كم من خليل بشره زهر الربى/ ابن صفوان/ ١٠٠ / ١

عوجى على تلك الربى/ العزفى / ٤ / ٣

لكى تقضى ما ربا/ العزفى / ٤ / ٣

ترسل غماما صبّيا/ العزفى / ٤ / ٣

أفديك يا ربح الصبا/ العزفى / ٤ / ٣

أعتق بكل عض منه رقبه- / ٣٥٩ / ٣

و اعتد ذلك ذخرا ليوم العقبه- / ٣٥٩ / ٣

لا أجد منقبة مثل هذه المنقبة- / ٣٥٩ / ٣

سؤاله تعجز عنه الطلبة/ عزوز/ ٣١١ / ٤

عن صب سلاما صبّيا/ العزفى / ٤ / ٣

الباء المضمومة

بكى عليه الحرب و المحراب/ ابن الخطيب السلماني / ٢١٤ / ١

و ندبته الضمير العراب/ ابن الخطيب السلماني / ٢١٤ / ١

الباء المكسورة

و أصبح العدو فى تباب/ ابن الخطيب السلماني / ٣٥٨ / ٣

و عادت الأيام فى شباب/ ابن الخطيب السلماني / ٣٥٨ / ٣

و صير الدعى رهين التراب/ ابن الخطيب السلماني / ١٦٤ / ١

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٨٥

يا لك من ممارس مجرّب/ ابن الخطيب السلماني / ٢٨٨ / ٤

حّتّ إليها السير ملك المغرب/ ابن الخطيب السلماني / ٢٨٨ / ٤

- ثم أبو حفص سما عن قرب/ ابن الخطيب السلماني / ١ / ١٦٤
 في الذي سطره من نسبه/ ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢٢٨
 و كان ليثا دامي المخالب/ ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٢٥٧
 تغلب الأمر بجعد غالب/ ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٢٥٧
 أغرب في ناموسه و مذهبه/ ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢٢٨
 حافظه لسرها المحجوب/ ابن الجياب / ٤ / ١٢٠
 لها حديث ليس بالمكذوب/ ابن الجياب / ٤ / ١٢٠
 ما اسم لأنثى من بنى يعقوب/ ابن الجياب / ٤ / ١٢٠
 صبغ الحياء لا الحيا المسكوب/ ابن الجياب / ٤ / ١٢٠
 حاجيت كل فطن لبيب/ ابن الجياب / ٤ / ١٢٠
 فزورها أحق بالتقريب/ ابن الجياب / ٤ / ١٢٠
 فأمرها أقرب من قريب/ ابن الجياب / ٤ / ١٢٠
 قافية التاء
 التاء الساكنة
 و أوجه الأيام عنهم أعرضت/ ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٢٨٨
 حتى إذا مدء الملك انقضت/ ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٢٨٨
 التاء المفتوحة
 و طلق الدنيا بها بتاتا/ ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢١٤
 و لم يزل فيها إلى أن ماتا/ ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢١٤
 التاء المضمومة
 و عارض في خده نباته/ ابن الحاج / ١ / ١٨٣
 بملكه و انتظم الشتيت/ ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٣٠٩
 و ضخم الملك و ذاع الصيت/ ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٣٠٩
 التاء المكسورة
 إن خرج الخلط مع الحيات/ ابن سينا / ١ / ٨٣
 في يوم بحران فعن حياة/ ابن سينا / ١ / ٨٣
 و كان يوم المرج في دولته/ ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢١٤
 ففرق الأعداء من صولته/ ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢١٤
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٨٦
 قافية التاء
 التاء المفتوحة
 فلم تخف من عقدها انتكاثا/ ابن الخطيب السلماني / ١ / ١٦٤
 و عاث في أموالها عياثا/ ابن الخطيب السلماني / ١ / ١٦٤

قافية الجيم

الجيم الساكنة

و نشقوا من جانب اللطف الأرج / ابن الخطيب السلماي / ٢٥٧ / ٣

لما ترقى درج السعد درج / ابن الخطيب السلماي / ٢٥٧ / ٣ ، ٣٠٩ / ٤

و نشقوا من جانب اللطف الفرغ / ابن الخطيب السلماي / ٣٠٩ / ٤

حتى أتى أهل تلمسان الفرغ / ابن الخطيب السلماي / ٢٥٧ / ٣ ، ٣٠٩ / ٤

حتى أهل تلمسان للفرغ / ابن الخطيب السلماي / ٣٠٩ / ٤

فانفض ضيق الحصر عنها و انفرج / ابن الخطيب السلماي / ٢٥٧ / ٣ ، ٣٠٩ / ٤

قافية الحاء

الحاء المفتوحة

إلى متى تستحسن القبائحا / ابن الحاج البكري / ١٧٦ / ٣

يا غاديا في غفلة ورائحا / ابن الحاج البكري / ١٧٦ / ٣

صحيفة قد ملئت فضائحا / ابن الحاج البكري / ١٧٦ / ٣

يوم يفوز من يكون رابحا / ابن الحاج البكري / ١٧٦ / ٣

ثم تلمسان وفاسا فتحا / ابن الخطيب السلماي / ٢٢٨ / ١

يستنطق الله به الجوارحا / ابن الحاج البكري / ١٧٦ / ٣

كيف تجنب الطريق الواضحا / ابن الحاج البكري / ١٧٦ / ٣

يعقد الكتب إلى وقت الضحي / عزوز / ٣١١ / ٤

ولا مثل الشمس في وقت الضحي / ابن الخطيب السلماي / ٢٢٨ / ١

فضاء لون سعده و وضحا / ابن الخطيب السلماي / ٢٢٨ / ١

ثم يصلها كفعل الصلحا / عزوز / ٣١١ / ٤

و ملك أصحاب اللثام قد محا / ابن الخطيب السلماي / ٢٢٨ / ١

الحاء المضمومة

و سقيت بسعده الرماح / ابن الخطيب السلماي / ١٦٤ / ١

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٨٧

هبت بنصر عزه الرياح / ابن الخطيب السلماي / ١٦٤ / ١

و اتصلت من بعد ذا فتوح / ابن الخطيب السلماي / ٣٥٨ / ٣

تغدو على مئواه أو تروح / ابن الخطيب السلماي / ٣٥٨ / ٣

قافية الدال

الدال الساكنة

قد قلدت بنخب القلائد / ابن الخطيب السلماي / ٥٣٠ / ٤

أعيدها بالخمس من ولائد / ابن الخطيب السلماي / ٥٣٠ / ٤

و فضلهم ليس له من جاحد / ابن الخطيب السلماي / ١٦٤ / ١

أولهم يحيى بن عبد الواحد/ ابن الخطيب السلماني / ١٦٤ / ١
 عندما صاد الغزاة الأسد/ ابن الجياب / ١٢٣ / ٤
 ما نقي العرض طاهر الجسد/ ابن الجياب / ١٢٣ / ٤
 عندما خالطه الماء فسد/ ابن الجياب / ١٢٣ / ٤
 فارم بالفكر تصب قصد الرشد/ ابن الجياب / ١٢٣ / ٤
 بعد ما كان من أهل الرشد/ ابن الجياب / ١٢٣ / ٤
 و لقد يكون وصفا لولد/ ابن الجياب / ١٢٣ / ٤
 الدال المفتوحة

حتى إذا أدركه شرك الردى/ ابن الخطيب السلماني / ١٦٤ / ١
 و هو أبو يوسف غلاب العدا/ ابن الخطيب السلماني / ٣١٢ / ٤
 أباح بالسيف نفوسا عدّه/ ابن الخطيب السلماني / ٢٥٧ / ٣
 واحتجن المال بها و العده/ ابن الخطيب السلماني / ٢٢٠ / ٣
 فلم تطل في الملك منه المدّه/ ابن الخطيب السلماني / ٢٥٧ / ٣
 و هو بها باق لهذي المدّه/ ابن الخطيب السلماني / ٢٢٠ / ٣
 و واحد الأملاك بأسا و ندا/ ابن الخطيب السلماني / ٣١٢ / ٤
 و انتحب النادى عليه و الندى/ ابن الخطيب السلماني / ١٦٤ / ١
 و نشر الأعلام و البنودا/ ابن الخطيب السلماني / ٢١٤ / ١
 فقاد من مالقة الجنودا/ ابن الخطيب السلماني / ٢١٤ / ١
 الدال المضمومة

ثم أبو يحيى الحمام الأسعد/ ابن الخطيب السلماني / ٣١١ / ٤
 ثم الشهيد و الأمير خالد/ ابن الخطيب السلماني / ٢٥٨ / ٣
 هيهات ما فى الدهر حى خالد/ ابن الخطيب السلماني / ٢٥٨ / ٣
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٨٨
 حتى انتهى على يديه أمدّه/ ابن الخطيب السلماني / ٢٥٨ / ٣
 و هو الذى سطا عليه ولده/ ابن الخطيب السلماني / ٢٥٨ / ٣
 عثمان ثم بعده محمد/ ابن الخطيب السلماني / ٣١١ / ٤
 الدال المكسورة

و بعده المشهور بالإنجاد/ عزوز/ ٣١١ / ٤
 ثم فتوح الشام باجتهاد/ عزوز/ ٣١١ / ٤
 و نالها أبناؤه من بعده/ ابن الخطيب السلماني / ٣١١ / ٤
 قام أبو حمو بها من بعده/ ابن الخطيب السلماني / ٢٥٨ / ٣
 فأعلى الأيام نور سعده/ ابن الخطيب السلماني / ٣١١ / ٤
 حتى إذا استوفى زمان سعده/ ابن الخطيب السلماني / ٢٥٨ / ٣

- و باسط العدل و مولى الرفد/ ابن الخطيب السلماني / ٣١٢ / ٤
 من بعد عهد موثق مؤكّد/ ابن الخطيب السلماني / ٢١٤ / ١
 ممهد الملك و موري الزند/ ابن الخطيب السلماني / ٣١٢ / ٤
 بعد حصار دائم و جهد/ ابن الخطيب السلماني / ٢٨٨ / ٤
 فغلب القوم بغير عهد/ ابن الخطيب السلماني / ٢٨٨ / ٤
 و كان سلطانا عظيم الجود/ ابن الخطيب السلماني / ٣١١ / ٤
 و حدثت رؤياه في الوجود/ ابن الخطيب السلماني / ٣١١ / ٤
 فخلع الأمر و ألقى باليد/ ابن الخطيب السلماني / ٢١٤ / ١
 قافية الرء
 الرء الساكنة
 و دافع الأعداء فيها و صبر/ ابن الخطيب السلماني / ٣١٢ / ٤
 فافتحم البحر سريعا و عبر/ ابن الخطيب السلماني / ٣١٢ / ٤
 فأسرع السير إليها و ابتدر/ ابن الخطيب السلماني / ٣٥٨ / ٣
 و كل شيء بقضاء و قدر/ ابن الخطيب السلماني / ٣٥٨ / ٣
 و هو الذي عليها لا تنحصر/ ابن الخطيب السلماني / ١٦٤ / ١
 ثم تولى ابنه المستنصر/ ابن الخطيب السلماني / ١٦٤ / ١
 تدارك الأمر الإمام الطاهر/ ابن الخطيب السلماني / ٢١٤ / ١
 فعالج الدار طيب ماهر/ ابن الخطيب السلماني / ٢١٤ / ١
 الرء المفتوحة
 ثم ينام تارة و تاره/ عزوز/ ٣١١ / ٤
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٨٩
 يدبر الأمور بالإدارة/ عزوز/ ٣١١ / ٤
 و عن قريب سلب الإمارة/ ابن الخطيب السلماني / ١٦٤ / ١
 عنه الدعى ابن أبى عماره/ ابن الخطيب السلماني / ١٦٤ / ١
 من بعد ستمائة مفسره/ ابن المرحل / ٢٤٧ / ٣
 ولدت يوم سبعة و عشرة/ ابن المرحل / ٢٤٧ / ٣
 يا سائلى عن مولدى كى أذكره/ ابن المرحل / ٢٤٧ / ٣
 أصبح بعد ناهيا و أمرا/ ابن الخطيب السلماني / ٢٥٧ / ٣
 و ابن ابنه و هو المسمى عامرا/ ابن الخطيب السلماني / ٢٥٧ / ٣
 ما إن ينام الليل إلا ساهرا/ عزوز/ ٣١١ / ٤
 ينوى الجهاد باطنا و ظاهرا/ عزوز/ ٣١١ / ٤
 فولّى المنصور تلك الصورة/ ابن الخطيب السلماني / ٣١٢ / ٤
 ثم أتت وفاته المشهوره/ ابن الخطيب السلماني / ٣١٢ / ٣

- و هذه المآثر الأثيرة/ عزوز/ ٣١١ /٤
- فهل سمعتم مثل هذه السيره/ عزوز/ ٣١١ /٤
- الراء المضمومة
- و عظمت في صقعه آثاره/ ابن الخطيب السلماني/ ١٦٤ /١
- و نال ملكا عاليا مقداره/ ابن الخطيب السلماني/ ١٦٤ /١
- و الناس محصور بها و حاصر/ ابن الخطيب السلماني/ ٣٥٨ /٣
- و قام بالأمر الحفيد الناصر/ ابن الخطيب السلماني/ ٣٥٨ /٣
- و أشرق الأمن و ضاء القصر/ ابن الخطيب السلماني/ ٣٥٨ /٣
- فأقبل السعد و جاء النصر/ ابن الخطيب السلماني/ ٣٥٨ /٣
- و خلص السر له و الجهر/ ابن الخطيب السلماني/ ٣٠٩ /٤
- و ساعد السعد و أغضى الدهر/ ابن الخطيب السلماني/ ٣٠٩ /٤
- مجلسه ليس به فجور/ عزوز/ ٣١١ /٤
- و لا فتى في قوله يجور/ عزوز/ ٣١١ /٤
- و فتنه ضاقت لها الصدور/ ابن الخطيب السلماني/ ٣١٢ /٤
- و وقعت في عهده أمور/ ابن الخطيب السلماني/ ٣١٢ /٤
- و هو الهمام الملك الكبير/ ابن الخطيب السلماني/ ٣٠٩ /٤
- فابتهج المنبر و السرير/ ابن الخطيب السلماني/ ٣٠٩ /٤
- الراء المكسورة
- إن كنت من مطالعي الأخبار/ ابن الجياب/ ١٢٣ /٤
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٩٠
- قد شف عنها حجب الأستار/ ابن الجياب/ ١٢٣ /٤
- ما اسم لأنثى من بنى النجار/ ابن الجياب/ ١٢٢ /٤
- من وصف قضب الروضة المعطار/ ابن الجياب/ ١٢٣ /٤
- حاجيت كل فطن نظار/ ابن الجياب/ ١٢٢ /٤
- فقل ما يغفل عنها القارى/ ابن الجياب/ ١٢٢ /٤
- و نعمة ساطعة الأنوار/ ابن الجياب/ ١٢٣ /٤
- و القصص الآتى بكل خبر/ عزوز/ ٣١١ /٤
- و بينهم يعقوب مثل البدر/ عزوز/ ٣١١ /٤
- و يأمر الكتاب بالأوامر/ عزوز/ ٣١١ /٤
- قام إلى بيت العلا و الأمر/ عزوز/ ٣١١ /٤
- في باطن من سره و ظاهر/ عزوز/ ٣١١ /٤
- كأنهم مثل النجوم الزهر/ عزوز/ ٣١١ /٤
- حتى إذا ما جاز وقت الظهر/ عزوز/ ٣١١ /٤

و هو الذى استبد بالأمر/ ابن الخطيب السلماني / ١٦٤ / ١

و حازها بيعة الجمهور/ ابن الخطيب السلماني / ١٦٤ / ١

قام ابنه الواثق بالتدبير/ ابن الخطيب السلماني / ١٦٤ / ١

يقرأ أولا كتاب السير/ عزوز/ ٣١١ / ٤

ثم مضى فى زمن يسير/ ابن الخطيب السلماني / ١٦٤ / ١

قافية الزاى

الزاى المفتوحة

فعاد من خالف فيها و انتزى/ ابن الخطيب السلماني / ٣٥٨ / ٣

و حارب الكفار دأبا و غزا/ ابن الخطيب السلماني / ٣٥٨ / ٣

قافية السين

السين المفتوحة

فأذهب الرحمن عنها البوسى/ ابن الخطيب السلماني / ٢٢٠ / ٣

بادرها المفدى الهمام موسى/ ابن الخطيب السلماني / ٢٢٠ / ٣

السين المضمومة

و أمل الجود و خيف الباس/ ابن الخطيب السلماني / ٣٠٩ / ٤

و استشعر الخشية منه الناس/ ابن الخطيب السلماني / ٣٠٩ / ٤

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٩١

السين المكسورة

لدولة المسترشد العباسى/ ابن الخطيب السلماني / ٢٢٨ / ١

و وافقت أيامه فى الناس/ ابن الخطيب السلماني / ٢٢٨ / ١

فأصبحت فريسة المفترس/ ابن الخطيب السلماني / ٣٥٨ / ٣

لم يأل فيها أن دعا لنفسه/ ابن الخطيب السلماني / ٢٢٨ / ١

و جلت الفتنة فى أندلس/ ابن الخطيب السلماني / ٣٥٨ / ٣

و كان فى الحزم فريد جنسه/ ابن الخطيب السلماني / ٢٢٨ / ١

و ضج بالتسييح و التقديس/ عزوز/ ٣١٠ / ٤

حتى يتم الحزب فى التغليس/ عزوز/ ٣١٠ / ٤

قافية الشين

الشين المفتوحة

و سار فى الليل إلى وادى الأشى/ ابن الخطيب السلماني / ٢١٤ / ١

و الملك لله يعز من يشا/ ابن الخطيب السلماني / ٢١٤ / ١

قافية الضاد

الضاد الساكنة

مستوحشا كالليث ألقى و ربض/ ابن الخطيب السلماني / ٢٧١ / ١

و استشر الثورة فيها و انقبض / ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢٧١

الضاد المفتوحة

فلاح نور السعد فيها و أضأ / ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٢٥٧

تصير الملك لعثمان الرضا / ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٢٥٧

حتى إذا الملك سليمان قضى / ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٢٥٧

و نسي العهد الذي كان مضى / ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٢٥٧

قام ابنه يوسف فيها عوّضه / ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٣٠٩، ٣١٢

حتى إذا الله إليه قتيضه / ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٣٠٩، ٣١٢

الضاد المكسورة

فأفحش الوقعة في أهل الربض / ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢٧١

حتى إذا فرصته لاحت تفض / ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢٧١

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٩٢

قافية العين

العين الساكنة

قد رسم الملك فيهم و اخترع / ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٣١٢

كان ذا فضل و هدى و ورع / ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٣١٢

أيا كريما لم يضع / على بن أحمد الغساني / ٤ / ١٣٨

حتى إذا الصباح لاح و ارتفع / عزوز / ٤ / ٣١٠

فالقلب كالحائط إن مال وقع / ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٤٥٤

قام و صلى للإله و ركع / عزوز / ٤ / ٣١٠

طرفك و استهداك الطمع / ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٤٥٤

العين المفتوحة

فإنه بنت الزنا مضافة لأربعه / ابن الجياب / ٤ / ١٢٢

و انحكم الأمر له و انجمعا / ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢٢٨

في خبر نذكر منه لمعا / ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢٢٨

و دولة أموالها مجموعه / ابن الخطيب السلماني / ١ / ١٦٤

و طاعة أقوالها مسموعه / ابن الخطيب السلماني / ١ / ١٦٤

ما اسم إذا حذفت منه فاء المنوعه / ابن الجياب / ٤ / ١٢٢

و ابتهجت بعدله الشريعة / ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢١٤

و فتح المعادل المنيعه / ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢١٤

العين المضمومة

أبو الربيع دهره ربيع / ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٢٥٧

يثنى على سيرته الجميع / ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٢٥٧

العين المكسورة

- خامسة من الطوال السبع / ابن الجياب / ١٢١ / ٤
 لا سيما لكل زاكي الطبع / ابن الجياب / ١٢١ / ٤
 تراه شمالا لم يزل ذا صدع / ابن الجياب / ١٢١ / ٤
 و الأفضل أصل في حنين الجذع / ابن الجياب / ١٢١ / ٤
 آثاره محموده في الشرع / ابن الجياب / ١٢١ / ٤
 ما اسم مركب مفيد الوضع / ابن الجياب / ١٢١ / ٤
 مستعمل في الوصل لا في القطع / ابن الجياب / ١٢١ / ٤
 يعنى به في الخفض أو في الرفع / ابن الجياب / ١٢١ / ٤
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٩٣
 مكسر في غير باب الجمع / ابن الجياب / ١٢١ / ٤
 قافية الفاء

الفاء المفتوحة

- و كلما أقدره الله عفا / ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٣٥٨
 سطا و أعطى و تعاضى وفا / ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٣٥٨
 و كان عبد المؤمن الخليفة / ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢٢٨
 ثم انقضت أيامه المنيفه / ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢٢٨
 الفاء المضمومة
 مدت إلى نصرته الأكف / ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٣١٢
 و الروم في العدوان لا تكف / ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٣١٢
 الفاء المكسورة

- لسن مجد عظيم الشرف / ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٣١١
 أنت في إعراضه في أسف / ابن صفوان / ١ / ١٠٠
 كل امرئ عنوانه من يصطفى / ابن صفوان / ١ / ١٠٠
 و استخلص الملك بحد المرهف / ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٣١١
 و طى ذاك البشر حد المرهف / ابن صفوان / ١ / ١٠٠
 لا تصحبني يا صاحبي غير الوفي / ابن صفوان / ١ / ١٠٠
 قافية القاف

- القاف المفتوحة الإحاطة في أخبار غرناطة ؛ ج ٤ ؛ ص ٦٩٣
 اخترم السيف أبا إسحاقا / ابن الخطيب السلماني / ١ / ١٦٤
 أبا هلال لقي المحاقا / ابن الخطيب السلماني / ١ / ١٦٤
 جدد فيها الملك لما أخلقا / ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٢٢٠
 و بعث السعد و قد كان لقا / ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٢٢٠

- عنك و يأبى الله إلا سوقها/ ابن أضحى الإلبيري / ١ / ٤٨
إليك حتى قلدوك طوقها/ ابن أضحى الإلبيري / ١ / ٤٨
و قد أراد الملحدون عوقها/ ابن أضحى الإلبيري / ١ / ٤٨
الله أعطاك التي لا فوقها/ ابن أضحى الإلبيري / ١ / ٤٨
القاف المكسورة
دع ما بقى منها و أدرك ما بقى/ ابن شلطور / ٢ / ٢٤٥
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٩٤
قد حاز فيها قصبات السبق/ عزوز / ٤ / ٣١٠
عذراء تحثو في وجوه السبق/ ابن شلطور / ٢ / ٢٤٦
بابن الخطيب الأمن مما أتقى/ ابن شلطور / ٢ / ٢٤٥
مؤمن الأغراض فيما تتقى/ ابن شلطور / ٢ / ٢٤٦
موصول عز في سعود ترتقى/ ابن شلطور / ٢ / ٢٤٦
أصبح رقى في يديه معتقى/ ابن شلطور / ٢ / ٢٤٥
و حسرة بين الدموع تلتقى/ ابن شلطور / ٢ / ٢٤٥
أكرم من نال العلى بحق/ ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٣١١
تبوأ هذا الأمر عبد الحق/ ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٣١١
سيرة يعقوب بن عبد الحق/ عزوز / ٤ / ٣١٠
أقر عيني و إن لم يصدق/ ابن شلطور / ٢ / ٢٤٥
بوابل من غيث جود غدق/ ابن شلطور / ٢ / ٢٤٦
و أوقع الروم به في الخندق/ ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٣٥٨
إن ساعد الجفن رقيب الأرق/ ابن شلطور / ٢ / ٢٤٥
سوى ريح لاح لى بالأبرق/ ابن شلطور / ٢ / ٢٤٥
من صرفه من مرعد أو مبرق/ ابن شلطور / ٢ / ٢٤٥
ملتقطات لفظه المفترق/ ابن شلطور / ٢ / ٢٤٦
عليه من نور السماح المشرق/ ابن شلطور / ٢ / ٢٤٦
بدر علا في مغرب أو مشرق/ ابن شلطور / ٢ / ٢٤٥
على القلوب موقف التفرق/ ابن شلطور / ٢ / ٢٤٥
نائب الدهر مشيب المفروق/ ابن شلطور / ٢ / ٢٤٥
منها بشكوى روعه أو فرق/ ابن شلطور / ٢ / ٢٤٥
حواشى الروض حدود المهرق/ ابن شلطور / ٢ / ٢٤٦
بالبدر تحت لمه من غسق/ ابن شلطور / ٢ / ٢٤٥
من لاعج الشوق بما لم تطق/ ابن شلطور / ٢ / ٢٤٥
حليها من درر ذاك المنطق/ ابن شلطور / ٢ / ٢٤٦

تبهرجت أنوار شمس الأفق / ابن شلطور / ٢ / ٢٤٦
فانقلب الملك بسعي مخفق / ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٣٥٨
و أن مسعى بغيتي لم يخفق / ابن شلطور / ٢ / ٢٤٥
يمن اختيار للطريق الأوفق / ابن شلطور / ٢ / ٢٤٦
ليل دجاها عن سنى مؤتلق / ابن شلطور / ٢ / ٢٤٦
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٩٥
لديك بالأعشى لدى المحلق / ابن شلطور / ٢ / ٢٤٦
تناسبت في الخلق أو في الخلق / ابن شلطور / ٢ / ٢٤٥
تالله ما أروى زناد القلق / ابن شلطور / ٢ / ٢٤٥
عن التصابي و فنون القلق / ابن شلطور / ٢ / ٢٤٥
نجدية منكم تلافت رمقى / ابن شلطور / ٢ / ٢٤٥
كالسيف في حد الظبا و الروتق / ابن شلطور / ٢ / ٢٤٦
حمل في شرح الشباب المونق / ابن شلطور / ٢ / ٢٤٦
جواره الأمنع رحل أينقى / ابن شلطور / ٢ / ٢٤٥
قافية الكاف

الكاف الساكنة

و ليستحي أن يسألك / على بن أحمد الغساني / ٤ / ١٣٨
و سلك السعد به حيث سلك / ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٣١١
بها فقد توصلك / على بن أحمد الغساني / ٤ / ١٣٨
و ترتجى من فضلك / على بن أحمد الغساني / ٤ / ١٣٨
لديك عبد أملك / على بن أحمد الغساني / ٤ / ١٣٨
أمانة قد حملك / على بن أحمد الغساني / ٤ / ١٣٨
و لم تحسن عملك / على بن أحمد الغساني / ٤ / ١٣٨
أنك أعلى من ملك / على بن أحمد الغساني / ٤ / ١٣٨
من حقه ما أهملك / على بن أحمد الغساني / ٤ / ١٣٨
و ود أن لو كان لك / على بن أحمد الغساني / ٤ / ١٣٨
تمهد الملك له لما هلك / ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٣١١
من فضله قد خولك / على بن أحمد الغساني / ٤ / ١٣٨
الكاف المضمومة

و اتسق الأمر وقر الملك / ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢١٤

و ربما جر الحياة الهلك / ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢١٤

الكاف المكسورة

و عندما خيف انتشار السلوك / ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢١٤

و وزير الروم وزير الملك / ابن الخطيب السلماني / ٢١٤ / ١

لملك كان من الملوكة / عزوز / ٣١١ / ٤

أو مالك في الدهر أو مملوك / عزوز / ٣١١ / ٤

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٩٦

قافية اللام

اللام الساكنة

ما فرق الأحباب بعد الله إلا الأيل / ابن الخطيب السلماني / ٥٢٧ / ٤

و لا إذا صاح غراب في الديار ارتحل / ابن الخطيب السلماني / ٥٢٧ / ٤

و ما على ظهر غراب البين تقضى الرحل / ابن الخطيب السلماني / ٥٢٧ / ٤

و ما غراب البيت إلا ناقة أو جمل / ابن الخطيب السلماني / ٥٢٧ / ٤

و الناس يلحون غراب البين لما جهل / ابن الخطيب السلماني / ٥٢٧ / ٤

و هو أبو الوليد إسماعيل / ابن الخطيب السلماني / ٢١٤ / ١

و الشمس لا يفقدها دليل / ابن الخطيب السلماني / ٢١٤ / ١

اللام المفتوحة

كأنه خطبة ارتجالا / ابن وضاح / ٣٦١ / ٤

فسلط البيض على بيض الطلا / ابن الخطيب السلماني / ٢٢٨ / ١

ثم تولى أمرهم أبو العلاء / ابن الخطيب السلماني / ٢٢٨ / ١

اللام المضمومة

و الحق لا يغلبه المحال / ابن الخطيب السلماني / ١٦٤ / ١

و اضطربت على الدعى الأحوال / ابن الخطيب السلماني / ١٦٤ / ١

اللام المكسورة

و أفضل المرجان باللال / البطوى / ٣١٤ / ٤

أنا ابن طلحة و لا أبالي / البطوى / ٣١٣ / ٤

ما خطرت لعاقل ببال / ابن الخطيب السلماني / ١٦٤ / ١

مبيد كل بطل مغتال / البطوى / ٣١٣ / ٤

و أقرن الأشباه بالأمثال / البطوى / ٣١٤ / ٤

أوشج الغريب فالأمثال / البطوى / ٣١٤ / ٤

فمن يساجلنى فذا سجال / البطوى / ٣١٤ / ٤

إن سمعوا باسمى فى مجال / البطوى / ٣١٤ / ٤

و المحتد الضخم الحفيل الحال / البطوى / ٣١٤ / ٤

ليث السرى فى الحرب و النزال / البطوى / ٣١٣ / ٤

و أكسر النصل على النصال / البطوى / ٣١٤ / ٤

و الصون و العفاف و الأفضال / البطوى / ٣١٤ / ٤

- من يناضلنى فذا نضال/ البطوى/ ٣١٤/٤
- الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٤، ص: ٦٩٧
- بها أعالي الدهر من أعال/ البطوى/ ٣١٤/٤
- و الجمع بين الأقوال و الفعال/ البطوى/ ٣١٤/٤
- هذا ولى فى غير ذا معال/ البطوى/ ٣١٤/٤
- كما لحسب الصميم و المعال/ البطوى/ ٣١٤/٤
- و الشعر إن تسمعه من مقال/ البطوى/ ٣١٤/٤
- يلقوا بأيديهم إلى النكال/ البطوى/ ٣١٤/٤
- و من وحيد عصرة الميكال/ البطوى/ ٣١٤/٤
- فمن أبو أمية الهلال/ البطوى/ ٣١٤/٤
- كرم الأعمام و الأخوال/ البطوى/ ٣١٤/٤
- يحيى حياة البيض و العوالى/ البطوى/ ٣١٣/٤
- تعلم بأن السحر فى أقوال/ البطوى/ ٣١٤/٤
- من أملى التفريق للأموال/ البطوى/ ٣١٤/٤
- أستزل القرن لدى الصيال/ البطوى/ ٣١٤/٤
- عجيبه من لعب الليالى/ ابن الخطيب السلمانى/ ١٦٤/١
- و أذكر الأيام و الليالى/ البطوى/ ٣١٤/٤
- و ما له عن ورده من سبيل/ عزوز/ ٣١٠/٤
- يقوم للكتاب ثلث الليل/ عزوز/ ٣١٠/٤
- و غمر الهول كقطع الليل/ ابن الخطيب السلمانى/ ٣٥٨/٣
- بفتنة الفهرى و الصميل/ ابن الخطيب السلمانى/ ٣٥٨/٣
- قافية الميم
- الميم الساكنة
- فرد العلا و علم الأعلام/ ابن الخطيب السلمانى/ ٢١٤/١
- ابن الرئيس الماجد الهمام/ ابن الخطيب السلمانى/ ٢١٤/١
- ذو نسبة إلى العجم/ ابن الجياب/ ١٢٠/٤
- بالتصحيح أو بدء قسم/ ابن الجياب/ ١٢٠/٤
- حاجيتكم ما اسم علم/ ابن الجياب/ ١٢٠/٤
- نار على رأسه علم/ ابن الجياب/ ١٢٠/٤
- الميم المفتوحة
- يريك فى الذكر الحكيم أمه/ ابن الجياب/ ١٢١/٤
- و لم يزل فى صلاة العتمه/ عزوز/ ٣١١/٤
- ثم سليمان عليها قدما/ ابن الخطيب السلمانى/ ٢٥٧/٣

- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٩٨
- لم يرع من آل بها أو ذمه/ ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢٧١
- ومات حتف أنفه و اخترما/ ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٢٥٧
- ما حيوان ما له من حرمة/ ابن الجياب / ٤ / ١٢١
- إن اسمه صحف فابن العمه/ ابن الجياب / ٤ / ١٢١
- حتى إذا الدهر عليه احتكما/ ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢٧١
- قام بها ابنه المسمى حكما/ ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢٧١
- و ينصف المظلوم ممن ظلمه/ عزوز/ ٤ / ٣١١
- و كان جبارا بعيد الهمة/ ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢٧١
- و أطلع الشمس و النجوم/ ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٢٢٠
- و رتب الرتب و الرسوما/ ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٢٢٠
- و يترك الوزير و الخديما/ عزوز/ ٤ / ٣١١
- كذاك كان فعله قديما/ عزوز/ ٤ / ٣١١
- ثم يؤم بيته الكريما/ عزوز/ ٤ / ٣١١
- بذاك نال الملك و التعظيما/ عزوز/ ٤ / ٣١١
- الميم المضمومة
- سبحان من لا ينقضى دوامه/ ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٣٥٩
- حتى إذا ما كملت أيامه/ ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٣٥٩
- و جرأة و كلام و حلم/ ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢٢٨
- و عنده سياسة و علم/ ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢٢٨
- و الملك في أربابه عقيم/ ابن الخطيب السلماني / ١ / ١٦٤
- سطا عليه العم إبراهيم/ ابن الخطيب السلماني / ١ / ١٦٤
- الميم المكسورة
- و آلت الحال إلى التثام/ ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٣١٢
- و خلف الأمر إلى هشام/ ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٣٥٨
- فما أضيعت حرمة الإسلام/ ابن الخطيب السلماني / ٤ / ٣١٢
- ثم أجاب داعي الحمام/ ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٣٥٨
- و هو الذي أركب جيش الروم/ ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢٢٨
- و جدّ في إزالة الرسوم/ ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢٢٨
- على يدي طائفة من قومه/ ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢١٤
- و انتبه الدهر له من نومه/ ابن الخطيب السلماني / ١ / ٢١٤
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٦٩٩
- قافية النون

النون الساكنة

- و بأبي الشيص و دعبل من / ابن الجياب / ١١٨ / ٤
 أو صفه النفس الخؤون / ابن الجياب / ١٢٢ / ٤
 أو ما جناه المذنبون / ابن الجياب / ١٢٢ / ٤
 سر من من السر المصون / ابن الجياب / ١٢٢ / ٤
 عبرة قم يعقلون / ابن الجياب / ١٢٢ / ٤
 الزند لها فيه كمون / ابن الجياب / ١٢٢ / ٤
 و الكل منها نون / ابن الجياب / ١٢٢ / ٤
 عليه دارت السنون / ابن الجياب / ١٢٢ / ٤
 إن اعتبرته فنون / ابن الجياب / ١٢٢ / ٤
 في مشرق أقطارهم و المغربين / ابن الجياب / ١١٨ / ٤
 بنثره و نظمه للحلبيين / ابن الجياب / ١١٨ / ٤
 أقسم بالقيسين و النابغتين / ابن الجياب / ١١٨ / ٤
 و الرقيات و عزه و مى و تبين / ابن الجياب / ١١٨ / ٤
 و شاعرى طيىء المولدين / ابن الجياب / ١١٨ / ٤
 طريقى الآداب أقصى الأمدين / ابن الجياب / ١١٨ / ٤
 تفر عينيك و تملأ اليدين / ابن الجياب / ١١٨ / ٤
 سرور قلب و متاع ناظرين / ابن الجياب / ١١٨ / ٤
 ثم حسن و ابن الحسين / ابن الجياب / ١١٨ / ٤
 شاهدت فيها المكرمات رأى عين / ابن الجياب / ١١٨ / ٤
 أوجب حق أن يكونا أولين / ابن الجياب / ١١٨ / ٤
 كشاعرى خزاعة المخضرمين / ابن الجياب / ١١٨ / ٤
 شهادة تنزعت عن قول مين / ابن الجياب / ١١٨ / ٤
 تصاغ منه حليه للشعريين / ابن الجياب / ١١٨ / ٤
 و الأعشيين بعد ثم الأعميين / ابن الجياب / ١١٨ / ٤
 يراعة الألفاظ كلتا الحسينين / ابن الجياب / ١١٨ / ٤

النون المفتوحة

- ثم بنى الزهرا فيما قد بنى / ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٣٥٩
 و ساعد السعد فنال و اقتنى / ابن الخطيب السلماني / ٣ / ٣٥٩
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٧٠٠
 فحسنة بين الورى يسحرنا / ابن الحاج / ١ / ١٨٣
 فقلت هذا عارض ممطرنا / ابن الحاج / ١ / ١٨٣
 قد أسبر الوقار و السكينه / عزوز / ٤ / ٣١١

وصل فى مكانه مكينه/ عزوز/ ٣١١ /٤

النون المضمومة

وافق عزا ساميا سلطانه/ ابن الخطيب السلماني / ١٦٤ /١

سبحان من لا ينقضى سلطانه/ ابن الخطيب السلماني / ٢٨٨ /٤

أصاب ملكا رئيسا أوطانه/ ابن الخطيب السلماني / ١٦٤ /١

فأفقرت من ملكهم أوطانه/ ابن الخطيب السلماني / ٢٨٨ /٤

النون المكسورة

فاغتر بالدنيا و بالزمان/ ابن الخطيب السلماني / ٢٨٨ /٤

ثم تقضى معظم الزمان/ ابن الخطيب السلماني / ٣٠٩ /٤، ٢٥٧ /٣

من مظهر سام إلى جنان/ ابن الخطيب السلماني / ٢٨٨ /٤

و سار فيها مطلق العنان/ ابن الخطيب السلماني / ٢٨٨ /٤

باني المعالي لبنى مروان/ ابن الخطيب السلماني / ٣٥٨ /٣

مواصل حصر بنى زيان/ ابن الخطيب السلماني / ٣٠٩ /٤، ٢٥٧ /٣

آثاره تنبى عن العيان/ ابن الخطيب السلماني / ٢٨٨ /٤

كم زخرت عليها من بنيان/ ابن الخطيب السلماني / ٢٨٨ /٤

و حل فيها عابد الرحمن/ ابن الخطيب السلماني / ٢٨٨ /٤

صقر قریش عابد الرحمن/ ابن الخطيب السلماني / ٣٥٨ /٣

فاغتموا السلم لهذا الحين/ ابن الخطيب السلماني / ٣٥٨ /٣

و يدخل الأشياخ من مرين/ عزوز/ ٣١١ /٤

و وصلت إرسال قسطنطين/ ابن الخطيب السلماني / ٣٥٨ /٣

للراى و التدبير و التريين/ عزوز/ ٣١١ /٤

قافية الهاء

الهاء المفتوحة

جدد عهد الخلفاء فيها/ ابن الخطيب السلماني / ٣٥٨ /٣

و أسس الملك لمترفيها/ ابن الخطيب السلماني / ٣٥٨ /٣

الهاء المضمومة

أجرى دموى إذ جرت شوقا له/ ابن الحاج / ١٨٣ /١

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٧٠١

الهاء المكسورة

أعيدها بالخمس من وجوه/ ابن الخطيب السلماني / ٥٣٠ /٤

يصونها الله من المكروه/ ابن الخطيب السلماني / ٥٣٠ /٤

و الملك العلى حله لديه/ ابن الخطيب السلماني / ٣١٢ /٤

و فتحت فاس على يديه/ ابن الخطيب السلماني / ٣١٢ /٤

و رجع الحق إلى أهليه/ ابن الخطيب السلماىى / ١٦٤ / ١

و بعده محمد يلىه/ ابن الخطيب السلماىى / ١٦٤ / ١

قافية الواو

الواو المفتوحة

و زكرياء بها بعد ثوى/ ابن الخطيب السلماىى / ٢٥٨ / ٣

حل بالشرق و بالشرق ثوى/ ابن الخطيب السلماىى / ٢٥٨ / ٣

ربما فاز امرؤ بما نوى/ ابن الخطيب السلماىى / ٢٥٨ / ٣

ثم نوى الرحلة عنها و النوى/ ابن الخطيب السلماىى / ٢٥٨ / ٣

قافية الياء

الياء المفتوحة

و صرف العزم إلى بجايه/ ابن الخطيب السلماىى / ٢٨٨ / ٤

فعضمت فى قومه النكايه/ ابن الخطيب السلماىى / ٢٨٨ / ٤

و نجم المهدي هو الداھيه/ ابن الخطيب السلماىى / ٢٢٨ / ١

فأصبحت تلك المبانى واهيه ابن الخطيب السلماىى / ٢٢٨ / ١

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٧٠٣

يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الأنصارى الخزرجى ٢٨٠

يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيده بن عقبه بن نافع الفهرى ٢٩٦

و من غير الأصليين ٢٩٧

يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبى عزفه اللخمى ٢٩٧

يحيى بن على بن غانية الصراوى، الأمير أبو زكريا ٣٠٠

يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن توقورت بن وريابطن بن منصور بن مصالمة بن أمية بن و ايامى الصنهاجى ثم اللمتونى ٣٠٢

يوسف بن محمد بن يوسف بن محمد بن نصر ٣٠٧

يوسف بن عبد المؤمن بن على ٣٠٧

يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو ٣٠٨

يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن بكر بن حمامة بن محمد بن رزين بن فقوس بن كرناطة بن مريبن ٣٠٩

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٧٠٩

الأعيان و الوزراء و الأماثل و الكبراء ٣١٢

يحيى بن رحو بن تاشفين بن معطى بن شريفين ٣١٢

يحيى بن طلحة بن محلى البطوى، الوزير أبو زكريا ٣١٣

يحيى بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن الحكيم اللخمى ٣١٤

يحيى بن عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق ٣١٥

يوسف بن هلال ٣١٨

و من القضاء الأصليين و غيرهم ٣١٩

يحيى بن عبد الله بن يحيى بن كثير بن و سلاسن بن شمال بن مهايا المصمودى ٣١٩

يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع الأشعري ٣٢٠

يحيى بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصارى ٣٢٠

يوسف بن الحسن بن عبد العزيز بن محمد بن أبى الأحوص القرشى الفهرى ٣٢١

يوسف بن موسى بن سليمان بن فتح بن أحمد بن أحمد الجذامى المنتشاقرى ٣٢٢

و من المقرئين ٣٣٤

يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبى ٣٣٤

يحيى بن عبد الكريم الشنتوفى ٣٤٤

يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن محمد بن محمد بن قاسم بن على الفهرى ٣٤٧

و من الكتاب و الشعراء بين أصلى و غيره ٣٤٨

يحيى بن محمد بن يوسف الأنصارى ٣٤٨

و من ترجمة الشعراء من السفر الأخير و هو الثانى عشر المفتوح بالترجمة بعد ٣٥٧

يحيى بن محمد بن أحمد بن عبد السلام التطيلي الهذلى ٣٥٧

يحيى بن بقى ٣٥٩

يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجير الفهرى ٣٦٠

يوسف بن محمد بن محمد اليحصبى اللوشى، أبو عمر ٣٦٣

يوسف بن على الطرطوشى، يكنى أبا الحجاج ٣٦٤

و من ترجمة المحدّثين و الفقهاء و سائر الطلبة النجباء ٣٦٧

يحيى بن محمد بن عبد العزيز بن على الأنصارى ٣٦٧

و من العمال ٣٦٧

يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان بن محمد بن خير بن أسامة الأنصارى التجارى

٣٦٧

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٧١٠

و من ترجمة الزهاد و الصلحاء ٣٦٨

يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطى ٣٦٨

ذكر بعض ما صدر لى من التشريعات الملوكية أيام تآبشى بهذه الغرور ٣٨٠

و صدر عنى قبل هذه الرسالة عن السلطان، رضى الله عنه، رسالة بهذه الفتوح إلى صاحب تونس نصها ٤٨٩

رسالة السياسة ٥٣٤

الفهارس العامة ٥٥٥

فهرس المحتويات ٧٠٣

فهرس المحتويات

- و من الغرباء ٣
- عبد المهيم بن محمد بن عبد المهيم بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن محمد الحضرمي ٣
- عبد المهيم بن محمد الأشجعي البلذوي ٩
- عبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد الملوذي ١١
- و من العمال ١٥
- عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز الأسدي العراقي ١٥
- عبد القادر بن عبد الله بن عبد الملك بن سوار المحاربي ١٧
- و من الزهاد و الصلحاء و أولاء الأصليون ١٨
- عبد الأعلى بن معلا ١٨
- عبد المنعم بن علي بن عبد المنعم بن إبراهيم بن سدرای بن طفيل ١٩
- و من الطارئين و غيرهم ٢٠
- عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن فتح بن سبعين العكي ٢٠
- و فيما يسمى بإحدى عيون الإسلام من الأسماء العينية و هم عتيق و عمر و عثمان و علي، و أولاء الأمراء و الملوك و هم ما بين طاريء و أصلي و غريب ٢٥
- عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر الإسلامي بن كسمسم بن دميان بن فرغلوش بن أذفونش ٢٥
- عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة التجيبي ٢٨
- و من الغرباء ٤٠
- عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن ٤٠
- علي بن حمود بن ميمون بن حمود بن علي بن عبيد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب ٤٣
- علي بن يوسف بن تاشفين بن ترجوت ٤٤
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٧٠٤
- الأعيان و الوزراء و الأمائل و الكبراء ٤٦
- عتيق بن زكريا بن مول التجيبي ٤٦
- عمر بن يحيى بن محلي البطوي ٤٧
- عامر بن عثمان بن إدريس بن عبد الحق ٤٩
- علي بن بدر الدين بن موسى بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق ٥١
- علي بن مسعود بن علي بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن مسعود المحاربي ٥٤
- علي بن لب بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي ٥٦
- علي بن يوسف بن محمد بن كماشة ٥٧
- عثمان بن إدريس بن عبد الله بن عبد الحق بن محيو ٥٩
- القضاء الأصليون ٦١

- عتيق بن أحمد بن محمد بن يحيى الغساني ٦١
 علي بن محمد بن توبة ٦٣
 علي بن عمر بن محمد بن مشرف بن محمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن الغريب بن يزيد بن الشمير بن عبد شمس بن الغريب
 الهمداني ٦٤
 و من الطارئين و الغرباء ٦٧
 عثمان بن يحيى بن محمد بن منظور القيسي ٦٧
 علي بن أحمد بن الحسن المذحجي ٦٨
 علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي التباهي المالقي ٦٩
 المقرئون و العلماء ٧٨
 علي بن أحمد بن خلف بن محمد بن الباذش الأنصاري ٧٨
 علي بن محمد بن دري ٧٩
 علي بن عمر بن إبراهيم بن عبد الله الكناني القيجاطي ٨١
 و من الطارئين ٨٤
 عمر بن عبد المجيد بن عمر الأزدي ٨٤
 عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد الأموي ٨٥
 علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد ٨٧
 علي بن إبراهيم بن علي الأنصاري المالقي ٩٢
 علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتامي ٩٥
 الكتاب و الشعراء و أولا الأصيليون منهم ٩٦
 الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٧٠٥
 علي بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلي ٩٦
 علي بن محمد بن سليمان بن علي بن سليمان بن حسن الأنصاري ٩٩
 علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن عبد الله بن سعد
 بن عمار بن ياسر بن كنانة بن قيس بن الحصين بن لوذم بن ثعلب بن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن نام بن عيس و اسمه زيد بن
 مالك بن أدد بن زيد العنسي المذحجي ١٢٩
 علي بن عبد الرحمن بن موسى بن جودي القيسي ١٣٥
 و من الطارئين ١٣٦
 عمر بن خلاف بن سليمان بن سلمة ١٣٦
 علي بن أحمد بن محمد بن يوسف بن عمر الغساني ١٣٨
 علي بن محمد بن علي بن هيضم الزعيني ١٣٩
 علي بن محمد بن علي بن البنا ١٤٢
 علي بن محمد بن علي العبدري ١٤٥
 علي بن عبد العزيز ابن الإمام الأنصاري ١٤٧

- و من المحدّثين و الفقهاء و الطلبة النجباء ١٤٨
- على بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم الجذامي ١٤٨
- على بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن الضحاك الفزاري ١٤٩
- على بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصاري ١٥٠
- و من الطارئين و الغرباء ١٥١
- على بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن أحمد الخشني ١٥١
- على بن أحمد بن محمد بن يوسف بن مروان بن عمر الغساني ١٥٤
- على بن صالح بن أبي الليث الأسعد بن الفرج بن يوسف ١٥٥
- على بن أبي جلا المكناسي ١٥٦
- على بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن علي بن سمحون الهلالي ١٥٧
- على بن محمد بن عبد الحق الزرويلي ١٥٨
- على بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن يحيى بن غافقي ١٥٩
- على بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن أحمد الأنصاري ١٦٠
- و من السفر الحادي عشر من ترجمة الطارئين في ترجمة العمال و الأثرا ١٦٢
- عمر بن علي بن عفرون الكلبى ١٦٢
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٧٠٦
- على بن يحيى الفزاري ١٦٤
- الزهاد و الصلحاء و الصوفية و الفقراء ١٦٦
- عتيق بن معاذ بن عتيق بن معاذ بن سعيد بن مقدم بن سعيد بن يوسف بن مقدم اللخمي ١٦٦
- على بن علي بن عتيق بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز الهاشمي ١٦٧
- على بن أحمد بن محمد بن عثمان الأشعري ١٧٠
- و من الطارئين ١٧٢
- على بن عبد الله النميري الششتري ١٧٢
- و في سائر الأسماء من حرف العين الأعيان و الوزراء و الأماثل و الكبراء ١٨٣
- عامر بن محمد بن علي الهنتاني ١٨٣
- و من الطارئين في القضاة و الغرباء ١٨٦
- عاشر بن محمد بن عاشر بن خلف بن رجا بن حكم الأنصاري ١٨٦
- عياض بن محمد بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبي ١٨٧
- عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي ١٨٨
- عقيل بن عطية بن أبي أحمد جعفر بن محمد بن عطية القضاعي ١٩٤
- و من الكتّاب و الشعراء ١٩٥
- عاصم بن زيد بن يحيى بن حنظلة بن علقمة بن عدى بن محمد التميمي ثم العبادي الجاهلي ١٩٥
- و من الأصليين من ترجمة المحدّثين الفقهاء و الطلبة النجباء ١٩٩

عيسى بن محمد بن أبي عبد الله بن أبي زمنين المزي ١٩٩

عيسى بن محمد بن عيسى بن عمر بن سعادة الأموي ١٩٩

حرف الغين من الأعيان

غالب بن أبي بكر الحضرمي ٢٠٠

و من المقرئين ٢٠٠

غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن خفاف بن أسلم بن مكتوم

المحاربي، أبو بكر ٢٠٠

غالب بن حسن بن غالب بن أحمد بن يحيى بن سيد بونه الخزاعي ٢٠١

غالب بن علي بن محمد اللخمي الشقوري ٢٠٢

الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٧٠٧

حرف الفاء الأعيان و الكبراء

فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر ٢٠٣

فرج بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر ٢٠٦

فرج بن محمد بن يوسف بن محمد بن نصر ٢٠٧

و من الكتاب و الشعراء ٢٠٨

الفتح بن علي بن أحمد بن عبيد الله الكاتب المشهور ٢٠٨

و من المقرئين و العلماء ٢١٢

فرج بن قاسم بن أحمد بن لب التغلبي ٢١٢

و من الصوفية و الصلحاء ٢١٥

فضل بن محمد بن علي بن فضيلة المعافري ٢١٥

و من العمال الأثرا ٢١٦

فلوج العليج ٢١٦

و من المقرئين و العلماء ٢١٧

قاسم بن عبد الله بن محمد الشاط الأنصاري ٢١٧

قاسم بن عبد الكريم بن جابر الأنصاري ٢٢٠

قاسم بن يحيى بن محمد الزروالي ٢٢٠

و من الكتاب و الشعراء ٢٢١

قرشي بن حارث بن أسد بن بشر بن هندی بن المهلب بن القاسم بن معاوية بن عبد الرحمن الهمداني ٢٢١

قاسم بن محمد بن الجعد العمري ٢٢٢

و من المحدّثين و الفقهاء و الطلبة النجباء ٢٢٤

قاسم بن أحمد بن محمد بن عمران الحضرمي ٢٢٤

قاسم بن خضر بن محمد العامري ٢٢٤

حرف السين

- سوار بن حمدون بن عبدة بن زهير بن ديسم بن قديده بن هنيده ٢٢٥
- سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر لدين الله الخليفة بقرطبة ٢٢٧
- سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ٢٢٩
- سعيد بن سليمان بن جودي السعدي ٢٢٩
- و من ترجمة الأعيان و الوزراء و الأماثل و الكبراء ٢٣١
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص: ٧٠٨
- سهل بن محمد بن سهل بن مالك بن أحمد بن إبراهيم بن مالك الأزدي ٢٣١
- سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن أحمد بن عبد السلام الحميري الكلاعي ٢٥٤
- و من القضاء في هذا الحرف ٢٧٢
- سلمون بن علي بن عبد الله بن سلمون الكتاني ٢٧٢
- و من المحدثين و الفقهاء و سائر الطلبة النجباء بين أصلي و غيره ٢٧٣
- سعيد بن محمد بن إبراهيم بن عاصم بن سعيد الغساني ٢٧٣
- و من الكتاب و الشعراء ٢٧٥
- سهل بن طلحة ٢٧٥
- سالم بن صالح بن علي بن صالح بن محمد الهمداني ٢٧٦
- حرف الهاء من الملوك و الأمراء
- هشام بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله بن محمد بن عبد الله ٢٧٧
- و من ترجمة الأعيان و الكبراء و الأماثل و الوزرا ٢٧٩
- هاشم بن أبي رجاء الإلبيري ٢٧٩
- حرف الياء الملوك و الأمراء

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بأموالكم و أنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللهُ عَبْدًا أَحْيَا أُمَّرْنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - في تليخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرُّضَا(ع)، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصبهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللهُ - كان أحدًا من جهايزه هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ و لهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسة و طريقة لم ينطفي مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصبهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تسيط ثقافة الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحري الأذق للمسائل الدينيّة، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المبتدلة أو الرديئة - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامعة ثقافية على أساس معارف القرآن و أهل البيت عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلامية، إناله منابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعة، و...

- منها العدالة الاجتماعية: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعدة، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - في أنحاء العالم - من جهة أخرى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقية و مكتبيه، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمة" www.Ghaemiyeh.com و عدة مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضية، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدعم العلمي لنظام إجابة الأسئلة الشرعية، الاخلاقية و الاعتقادية (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائي و اليدوي للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخري مع عشرات مراكز طبيعية و اعتبارية، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلمية، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين في الجلسة

(ي) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربي (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنة

المكتب الرئيسي: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيد" / "ما بين شارع" پنج رمضان " و مفترق "وفائي" / "بنايه" القائمية " تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (=١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الإلكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزات الحالية لهذا المركز، شعبيّة، تبرعية، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم

المتزايد و المتسع للامور الدينيه و العلميه الحاليه و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله اعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حدّ التمكن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله وليّ التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
أصبحان
الغائمة

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

